الف ليلة وليلة

الطبعة الأولى

مقابلة وتصحيح الشيخ محمد قطة العدوى

اعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد

لصاحبها

قاسم محمد الرجب

طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٥٢ هجرية

المجلد الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين (والصلاة والسلام على سيد المرسلين) سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين * وبعد فان سير الاولين صارت عبرة للآخرين * لكي يرى الانسان العبر التى حصلت لغيره فيعتبر * ويطالع حديث الامم السالفة وما جرى لهم فينزجر * فسبحان من جعل حديث الاولين عبرة لقوم آخرين (فمن تلك العبر الحكايات التى تسمى الف ليلة وليلة وما فيها من الغرائب والامثال فقد حكى والله اعلم * واحكم واعز واكرم * انه كان فيما مضى وتقدم * من قديم الزمان * وسالف العصر والاوان * ملك من ملوك ساسان بجزائر الهند والصين * صاحب جند واعوان وخدم وحشم وكان له ولدان احدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بطلين وكان الكبير افرس من الصغير وقد ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد واحبه اهل بلاده ومملكته وكان اسمه الملك شهرباز وكان اخوه الصغير اسمه الملك شاه زمان وكان ملك سمرقند العجم ولم يزل الامر مستقيما فى بلادهما وكل واحد منهما فى مملكته حاكم عادل فى رعيته مدة عشرين سنة وهم فى غاية البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة الى ان اشتاق الملك الكبير الى اخيه الصغير فامر وزيره ان يسافر اليه ويحضر به فاجابه بالسمع والطاعة وسافر حتى وصل بالسلامة ودخل على اخيه وبلغه السلام واعلمه ان اخاه مشتاق اليه وقصده ان يزوره فاجابه بالسمع والطاعة وتجهز للسفر واخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه واعوانه واقام وزيره حاكما فى بلاده وخرج طالبا بلاد اخيه فلما كان فى نصف الليل تذكر حاجة نسيها فى قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة فى فراشه معانقة عبدا اسود من العبيد فلما رأى هذا اسودت الدنيا فى وجهه وقال فى نفسه اذا كان هذا الامر قد وقع وانا ما فارقت المدينة فكيف حال هذه العاهرة اذا غبت عند اخى مدة ثم انه سل سيفه وضرب الاثنين فقتلهما فى الفراش ورجع من وقته وساعته وامر بالرحيل وسار

الى

الى ان وصل الى مدينة اخيه ففرح اخوه بقدومه ثم خرج اليه ولاقاه وسلم عليه وفرح به غاية الفرح وزين له المدينة وجلس معه يتحدث بانشراح فتذكر الملك شاه زمان ما كان من امر زوجته فحصل عنده غم زائد واصفر لونه وضعف جسمه فلما رآه اخوه على هذه الحالة ظن فى نفسه ان ذلك بسبب مفارقته بلاده وملكه فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك ثم انه قال له فى بعض الايام يا اخى انى اراك ضعف جسمك واصفر لونك فقال له يا اخى انا فى باطنى جرح ولم يخبره بما رأى من زوجته فقال انى اريد ان تسافر معى الى الصيد والقنص لعله ينشرح صدرك فابى ذلك فسافر اخوه وحده الى الصيد وكان فى قصر الملك شبابيك تطل على بستان اخيه فنظر واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا وامرأة اخيه تمشى بينهم وهى فى غاية الحسن والجمال حتى وصلوا الى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم واذا بامرأة الملك قالت يا مسعود فجاءها عبد اسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقى العبيد فعلوا بالجوارى ولم يزالوا فى بوس وعناق ونيك ونحو ذلك حتى ولى النهار فلما رأى ذلك اخو الملك قال فى نفسه والله ان بليتى اخف من هذه البلية وقد هان ما عنده من القهر والغم وقال هذا اعظم مما جرى لى ولم يزل فى اكل وشرب وبعد هذا جاء اخوه من السفر فسلما على بعضهما ونظر الملك شهرباز الى اخيه الملك شاه زمان وقد ردّ لونه واحمرّ وجهه وصار يأكل بشهية بعدما كان قليل الاكل فتعجب من ذلك وقال يا اخى كنت اراك مصفر اللون والوجه والآن قد رد اليك لونك فاخبرنى بحالك فقال له اما تغير لونى فاذكره لك واعف عنى من اخبارك برد لونى فقال له اخبرنى اولا بتغير لونك وضعفك حتى اسمعه فقال له يا اخى اعلم انك لما ارسلت وزيرك الىّ يطلبنى للحضور بين يديك جهزت حالى وقد برزت من مدينتى ثم انى تذكرت الخرزة التى اعطيتها لك فى قصرى فوجدت زوجتى معها عبد اسود وهو نائم فى فراشى فقتلتهما وجئت اليك وانا متفكر فى هذا الامر فهذا سبب تغير لونى وضعفى واما رد لونى فاعف عنى من ان اذكره لك فلما سمع اخوه كلامه قال له اقسمت عليك بالله ان تخبرنى بسبب رد لونك فاعاد عليه جميع ما رآه فقال شهرباز لاخيه شاه زمان مرادى ان انظر بعينى فقال له اخوه شاه زمان اجعل انك مسافر للصيد والقنص واختف عندى وانت تشاهد ذلك وتحققه عيانا فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر والخيام الى ظاهر المدينة وخرج الملك ثم انه جلس فى الخيام وقال لغلمانه لا يدخل علىّ احد ثم انه تنكر وخرج مختفيا الى القصر الذى فيه اخوه وجلس فى الشباك المطل على البستان ساعة من الزمان واذا بالجوارى وسيدتهم دخلوا مع العبيد وفعلوا كما قال اخوه واستمروا كذلك الى العصر فلما رأى الملك شهرباز ذلك الامر طار عقله من رأسه وقال لاخيه شاه زمان قم بنا نسافر الى حال سبيلنا وليس لنا حاجة بالملك حتى ننظر هل جرى لاحد مثلنا اولا فيكون موتنا خير من حياتنا فاجابه لذلك ثم انهما خرجا من باب سر فى القصر ولم يزالا مسافرين اياما وليالى الى ان وصلا الى شجرة فى وسط مرج عندها عين ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين وجلسا يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار واذا هم بالبحر قد هاج وطلع منه عامود اسود صاعد الى السماء وهو قاصد تلك المرجة قال فلما رأيا ذلك خافا وطلعا الى اعلى الشجرة وكانت عالية وصارا ينظران ماذا يكون واذا بجنى طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر والقامة على رأسه صندوق فطلع الى البر واتى الشجرة التى هما فوقها وجلس تحتها وفتح الصندوق واخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية غراء بهية كانها شمس مضيئة كما قال الشاعر

اشرقت فى الدجى فلاح النهار　　واستنارت بنورها الاشجار
من سناها الشموس تشرق لما　　تتبدى وتنجلى الاقمار
تسجد الكائنات بين يديها　　حين تبدو وتهتك الاستار
واذا اومضت بروق حماها　　هطلت بالمدامع الامصار

قال فلما نظر اليها الجنى قال ياسيدة الحرائر التى قد اختطفتها ليلة عرسها اريد ان انام قليلا ثم ان الجنى وضع راسه على ركبتها ونام فرفعت الصبية راسها الى اعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فرفعت راس الجنى من فوق ركبتها ووضعتها على الارض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالاشارة انزلا ولا تخافا من هذا العفريت فقالا لها بالله عليك ان تسامحينا من هذا الامر فقالت لهما بالله عليكما ان تنزلا والا انبهت عليكما العفريت فيقتلكما شر قتلة فخافا ونزلا اليها فقامت لهما وقالت ارصعا رصعا عنيفا والا انبه لكما العفريت فمن خوفهما قال الملك شهرباز لاخيه الملك شاه زمان يا اخى افعل ما امرتك به فقال لا افعل حتى تفعل انت قبلى واخذا يتغامزان على نيكها فقالت لهما مالى اراكما تتغامزان فان لم تتقدما وتفعلا والا انبهت لكما العفريت فمن خوفهما من الجنى فعلا ما امرتهما به فلما فرغا قالت لهما افيقا واخرجت لهما من جيبها كيسا واخرجت لهما منه عقدا فيه خمسمائة وسبعون خاتما فقالت لهما اتدرون ما هذه فقالا لها لا ندرى فقالت لهما اصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بى على غفلة قرن هذا العفريت فاعطيانى خاتمكما الاثنان الاخوان فاعطياها من يديهما خاتمين فقالت لهما ان هذا العفريت قد اختطفنى ليلة عرسى ثم انه وضعنى فى علبة وجعل العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة اقفال وجعلنى فى قاع البحر العجاج المتلاطم بالامواج ولم يعلم ان المرأة منا اذا ارادت امرا لم يغلبها شئ كما قال بعضهم

لا تأمنن الى النساء　　ولا تثق بعهودهن
فرضاؤهن وسخطهن　　معلق بفروجهن
يبدين ودا كاذبا　　والغدر حشو ثيابهن
بحديث يوسف فاعتبر　　متحذرا من كيدهن
اوما ترى ابليس اخرج آدما من اجلهن

وقال بعضهم

كف لوما غدا يقوى الملوما　　ويزيد الغرام عشقا عظيما
ان اكن عاشقا فما آتى الا　　ما اتته الرجال قبلى قديما
انما يكثر التعجب ممن　　كان من فتنة النساء سليما

فلما سمعا منها هذا الكلام تعجبا غاية التعجب وقالا لبعضهما اذا كان هذا عفريت وجرى له اعظم مما جرى لنا فهذا شئ يسلينا ثم انهما انصرفا من ساعتهما عنها ورجعا الى مدينة الملك شهرباز ودخلا قصره ثم انه رمى عنق زوجته وكذلك اعناق الجوارى والعبيد وصار الملك شهرباز كلما يأخذ بنتا بكرا يزيل بكارتها ويقتلها من ليلتها ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات فضجت الناس وهربت بناتها ولم يبق فى تلك المدينة بنت تحمل الوطئ ثم ان الملك امر الوزير ان يأتيه ببنت على جرى عادته فخرج الوزير وفتش فلم يجد بنتا فتوجه الى منزله وهو غضبان مقهور خائف على نفسه من الملك وكان الوزير له بنتان الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة

اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين واخبار الامم الماضيين قيل انها جمعت الف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لابيها مالى اراك متغيرا حامل الهم والاحزان وقد قال بعضهم فى المعنى شعر

قل لمن يحمل هما * ان هما لا يدوم
مثل ما يفنى السرور * هكذا تفنى الهموم

فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الاول الى الآخر مع الملك فقالت له بالله يا ابت زوجنى هذا الملك فاما ان اعيش واما ان اكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهم من بين يديه فقال لها بالله عليك لا تخاطرى بنفسك ابدا فقالت له لا بد من ذلك فقال اخشى عليك ان يحصل لك ما حصل للحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذى جرى لهما يا ابت قال اعلمى يا ابنتى انه كان لبعض التجار اموال ومواش وكان له زوجة واولاد وكان الله تعالى اعطاه معرفة السن الحيوانات والطير وكان مسكن ذلك التاجر الارياف وكان عنده فى داره حمار وثور فاتى يوما الثور الى مكان الحمار فوجده مكنوسا مرشوشا وفى معلفه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفى بعض الاوقات يركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله فلما كان فى بعض الايام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيئا لك ذلك انا تعبان وانت مستريح تاكل الشعير مغربلا ويخدمونك وفى بعض الاوقات يركبك صاحبك ويرجع وانا دائما للحرث والطحن فقال له الحمار اذا خرجت الى الغيط ووضعوا على رقبتك الناف فارقد ولا تقم ولو ضربوك فان قمت فارقد ثانيا فاذا رجعوا بك ووضعوا لك الفول فلا تأكله كأنك ضعيف وامتنع من الاكل والشرب يوما او يومين او ثلاثة فانك تستريح من التعب والجهد وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السواق الى الثور بعلفه اكل منه شيأ يسيرا فاصبح السواق يأخذ الثور الى الحرث فوجده ضعيفا فقال له التاجر خذ الحمار وحرثه مكانه اليوم كله فرجع الرجل واخذ الحمار مكان الثور وحرثه مكانه اليوم كله فلما رجع آخر النهار شكره الثور على تفضلاته حيث اراحه من التعب فى ذلك اليوم فلم يرد عليه الحمار جوابا وندم اشد الندامة فلما كان ثانى يوم جاء الزراع واخذ الحمار وحرثه الى آخر النهار فلم يرجع الحمار الا مسلوخ الرقبة شديد الضعف فتأمله الثور وشكره ومجده فقال له الحمار كنت مقيما مستريحا فما ضرنى الا فضولى ثم قال اعلم انى لك ناصح وقد سمعت صاحبنا يقول ان لم يقم الثور من موضعه اعطوه للجزار ليذبحه ويعمل جلده قطعا وانا خائف عليك ونصحتك والسلام فلما سمع الثور كلام الحمار شكره وقال فى غد اسرح معهم ثم ان الثور اكل علفه بتمامه حتى لحس المدود بلسانه كل ذلك وصاحبهما يسمع كلامهما فلما طلع النهار خرج التاجر وزوجته الى دار البقر وجلسا فجاء السواق واخذ الثور وخرج فلما رأى الثور صاحبه حرك ذنبه وضرط وبرطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له زوجته من اى شئ تضحك فقال لها شئ رأيته وسمعته ولا اقدر ان ابوح به فاموت فقالت له لا بد ان تخبرنى بذلك وما سبب ضحكك ولو كنت تموت فقال لها ما اقدر ان ابوح به خوفا من الموت فقالت له انت لم تضحك الا على ثم انها لم تزل تلح عليه وتلج فى الكلام الى ان غلبت عليه وتحير فاحضر اولاده وارسل احضر القاضى والشهود واراد ان يوصى ثم يبوح لها بالسر ويموت لانه كان يحبها محبة عظيمة لانها بنت عمه وام اولاده وكان قد عمر من العمر مائة وعشرين سنة ثم انه ارسل احضر جميع اهلها واهل حارته وقال لهم حكايته وانه متى قال لاحد على سره مات فقال لها جميع الناس ممن حضرها بالله عليك اتركى هذا الامر

لئلا يموت زوجك ابو اولادك فقالت لهم لا ارجع عنه حتى يقول لى ولو يموت فسكتوا عنها ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجه الى دار الدواب ليتوضى ثم يرجع يقول لهم ويموت وكان عنده ديك تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع التاجر الكلب وهو ينادى الديك ويسبه ويقول له انت فرحان وصاحبنا رايح يموت فقال الديك للكلب وكيف ذلك الامر فاعاد الكلب عليه القصة فقال له الديك والله ان صاحبنا قليل العقل انا لى خمسون زوجة ارضى هذه واغضب هذه وهو ماله الا زوجة واحدة ولا يعرف صلاح امره معها فماله لا ياخذ لها بعضا من عيدان التوت ثم يدخل الى حجرتها ويضربها حتى تموت او تتوب ولا تعود تسأله عن شى قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب رجع الى عقله وعزم على ضربها ثم قال الوزير لابنته شهرزاد ربما افعل بك مثل ما فعل التاجر بزوجته فقالت له وما فعل قال دخل عليها الحجرة بعدما قطع لها عيدان التوت وخباها داخل الحجرة وقال لها تعالى داخل الحجرة حتى اقول لك ولا ينظرنى احد ثم اموت فدخلت معه ثم انه قفل باب الحجرة عليهما ونزل عليها بالضرب الى ان اغمى عليها فقالت له تبت ثم انها قبلت يديه ورجليه وتابت وخرجت هى واياه وفرح الجماعة واهلها وقعدوا فى اسر الاحوال الى الممات فلما سمعت ابنة الوزير مقالة ابيها قالت له لا بد من ذلك فجهزها وطلع الى الملك شهريار وكانت قد اوصت اختها الصغيرة وقالت لها اذا توجهت الى الملك ارسل اطلبك فاذا جئت عندى ورأيت الملك قضى حاجته منى فقولى يا اختى حدثينى حديثا غريبا نقطع به السهر وانا احدثك حديثا يكون فيه الخلاص ان شاء الله ثم ان اباها الوزير طلع بها الى الملك فلما رآه فرح وقال اتيت بحاجتى فقال نعم فلما اراد ان يدخل عليها بكت فقال لها مالك فقالت ايها الملك ان لى اختا صغيرة اريد ان اودعها فارسل الملك اليها فجاءت الى اختها وعانقتها وجلست تحت السرير فقام الملك واخذ بكارتها ثم جلسوا يتحدثون فقالت لها اختها الصغيرة بالله عليك يا اختى حدثينا حديثا نقطع به سهر ليلتنا فقالت حبا وكرامة ان اذن لى هذا الملك المهذب فلما سمع الملك ذلك الكلام وكان به قلق فرح بسماع الحديث

فلما كانت الليلة الاولى

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان تاجر من التجار كثير المال والمعاملات فى البلاد قد ركب يوما وخرج يطالب فى بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده فى خرجه واكل كسرة كانت معه وتمرة فلما فرغ من اكل التمرة رمى النواة واذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف فدنا من ذلك التاجر وقال له قم حتى اقتلك مثل ما قتلت ولدى فقال له التاجر كيف قتلت ولدك قال له لما اكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة فى صدر ولدى فقضى عليه ومات من ساعته فقال التاجر للعفريت اعلم ايها العفريت انى على دين ولى مال كثير واولاد وزوجة وعندى رهون فدعنى اذهب الى بيتى واعطى كل ذى حق حقه ثم اعود اليك ولك على عهد وميثاق انى اعود اليك فافعل بى ما تريد والله على ما اقول وكيل فاستوثق منه الجنى واطلقه فرجع الى بلده وقضى جميع تعلقاته واوصل الحقوق الى اهلها واعلم زوجته واولاده بما جرى له فبكوا وكذلك جميع اهله ونسائه واولاده واوصى وقعد عندهم الى تمام السنة ثم توجه واخذ كفنه تحت ابطه وودع اهله وجيرانه وجميع اهله وخرج رغما عن انفه فاقاموا عليه العياط والصراخ فمشى الى ان وصل الى ذلك البستان وكان ذلك اليوم اول السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكى على ما يحصل له واذا بشيخ كبير قد اقبل عليه ومعه غزالة مسلسلة فسلم على ذلك التاجر وحياه وقال له

ما سبب جلوسك في هذا المكان وانت منفرد وهو مأوى الجن فاخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت وبسبب قعوده في هذا المكان فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله يا اخي ما دينك الا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على اماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم انه جلس بجانبه وقال والله يا اخي لا ابرح من عندك حتى انظر ما يجرى لك مع ذلك العفريت ثم انه جلس عنده يتحدث معه فغشى على ذلك التاجر وحصل له الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه واذا بشيخ ثان قد اقبل عليهما ومعه كلبتان سلاقيتان من الكلاب السود فسألهما بعد السلام عليهما عن سبب جلوسهما في هذا المكان وهو مأوى الجان فاخبراه بالقصة من اولها الى آخرها فلم يستقر به الجلوس حتى اقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن سبب جلوسهم في هذا المكان فاخبروه بالقصة من اولها الى آخرها وليس في الاعادة افادة واذا بغبرة هاجت وزوبعة عظيمة قد اقبلت من وسط تلك البرية فانكشفت الغبرة واذا بذلك الجني وبيده سيف مسلول وعيونه ترمى بالشرر فاتاهم وجذب ذلك التاجر من بينهم وقال له قم حتى اقتلك مثل ما قتلت ولدى وحشاشة كبدى فانتحب ذلك التاجر وبكى واعلن الثلاثة شيوخ بالبكاء والعويل والنحيب فانتبه منهم الشيخ الاول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له يا ايها الجني وتاج ملوك الجان اذا حكيت لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة تهب لى ثلث دم هذا التاجر فقال نعم يا ايها الشيخ اذا انت حكيت لى الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال ذلك الشيخ الاول اعلم يا ايها العفريت ان هذه الغزالة هي بنت عمى ومن لحمى ودمى وكنت تزوجت بها وهي صغيرة السن واقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم ارزق منها بولد فاخذت لى سرية فرزقت منها بولد ذكر كانه البدر اذا بدا بعينين مليحتين وحاجبين مزججين واعضاء كاملة فكبر شيأ فشيأ الى ان صار ابن خمس عشرة سنة فطرأت لى سفرة الى بعض المدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمى هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا وسحرت الجارية امه بقرة وسلمتهما الى الراعى ثم جئت انا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدى وعن امه فقالت لى جاريتك ماتت وابنك هرب ولم اعلم اين راح فجلست مدة سنة وانا حزين القلب باكى العين الى ان جاء عيد الضحية فارسلت الى الراعى ان يخصنى ببقرة سمينة فجاءني ببقرة سمينة وهي سريتى التي سحرتها تلك الغزالة فشمرت ثيابى واخذت السكين بيدى وتهيأت لذبحها فصاحت وبكت بكاء شديدا فقمت عنها وامرت ذلك الراعى بذبحها وسلخها فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحما ولا لحما غير جلد وعظم فندمت على ذبحها حيث لا ينفعنى الندم واعطيتها للراعى وقلت له ائتنى بعجل سمين فاتاني بولدى المسحور عجلا فلما رآنى ذلك العجل قطع حبله وجاءني وتمرغ على وولول وبكى فاخذتنى الرأفة عليه وقلت للراعى ائتنى ببقرة ودع هذا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما اطيب حديثك والطفه والذه واعذبه فقالت لها واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك في نفسه والله ما اقتلها حتى اسمع بقية حديثها ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح متعانقين فخرج الملك الى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت ابطه ثم حكم الملك وولى وعزل الى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشيء من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار قصره

فلما كانت الليلة الثانية

قالت دنيازاد لاختها شهرزاد يا اختي اتممي لنا حديثك الذي هو حديث التاجر والجني قالت حبا وكرامة

ان اذن لي الملك في ذلك فقال لها الملك احكي فقالت بلغني ايها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد انه لما رأى بكاء

العجل حن قلبه اليه وقال للراعي ابق هذا العجل بين البهائم كل ذلك والجني يتعجب من حكاية ذلك الكلام

العجيب ثم قال صاحب الغزالة يا سيد ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمي هذه الغزالة تنظر وترى وتقول

اذبح هذا العجل فانه سمين فلم يهن علي ان اذبحه وامرت الراعي ان يأخذه فاخذه وتوجه به ففي ثاني يوم

انا جالس واذا بالراعي مقبل علي وقال يا سيدي اني اقول شيأ تسر به ولي البشارة فقلت نعم فقال ايها

التاجر ان لي بنتا كانت تعلمت السحر في صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كنا بالامس واعطيتني

العجل دخلت به عليها فنظرت اليه بنتي وغطت وجهها وبكت ثم انها ضحكت وقالت يا ابي قد خس قدري

عندك حتى تدخل علي الرجال الاجانب فقلت لها واين الرجال الاجانب ولماذا بكيت وضحكت فقالت لي

ان هذا العجل الذي معك ابن سيدي التاجر ولكنه مسحور سحرته زوجة ابيه هو وامه فهذا سبب ضحكي

واما سبب بكائي من اجل امه حيث ذبحها ابوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح

حتى جئت اليك لاعلمك فلما سمعت ايها الجني كلام هذا الراعي خرجت معه وانا سكران من غير مدام من

كثرة الفرح والسرور الذي حصل لي الى ان اتيت الى داره فرحبت بي ابنة الراعي وقبلت يدي ثم ان العجل

جاء الي وتمرغ علي فقلت لابنة الراعي أحق ما تقولينه عن ذلك العجل فقالت نعم يا سيدي انه ابنك وحشاشة

كبدك فقلت لها ايتها الصبية ان انت خلصتيه فلك عندي ما تحت يد ابيك من المواشي والاموال فتبسمت

وقالت يا سيدي ليس لي رغبة في المال الا بشرطين * الاول ان تزوجني به * والثاني ان اسحر من سحرته

واحبسها والا فلست آمن مكرها فلما سمعت ايها الجني كلام بنت الراعي قلت ولك فوق جميع ما تحت يد

ابيك من الاموال زيادة واما بنت عمي فدمها لك مباح فلما سمعت كلامي اخذت طاسة وملأتها ماء ثم انها

عزمت عليها ورشت بها العجل وقالت له ان كان الله خلقك عجلا فدم على هذه الصفة ولا تتغير وان كنت

مسحورا فعد الى خلقتك الاولى باذن الله تعالى واذا به انتفض ثم صار انسانا فوقعت عليه وقلت له بالله

عليك احك لي جميع ما صنعت بك وبامك بنت عمي فحكى لي جميع ما جرى لهما فقلت يا ولدي قد قيض الله

لك من خلصك وخلص حقك ثم اني ايها الجني زوجته ابنة الراعي ثم انها سحرت ابنة عمي هذه الغزالة

وجئت الى هنا فرأيت هؤلاء الجماعة فسألتهم عن حالهم فاخبروني بما جرى لهذا التاجر فجلست لانظر

ما يكون وهذا حديثي فقال الجني هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه فعند ذلك تقدم الشيخ

الثاني صاحب الكلبتين السلاقيتين وقال له اعلم يا سيد ملوك الجان ان هاتين الكلبتين اخوتي وانا ثالثهم

ومات والدي وخلف لنا ثلاثة آلاف دينار ففتحت انا دكانا ابيع فيه واشتري وسافر اخي بتجارته وغاب عنا

مدة سنة مع القوافل ثم اتى وما معه شيء فقلت له يا اخي اما اشرت عليك بعدم السفر فبكى وقال يا اخي قدر الله

عز وجل علي بهذا ولم يبق لهذا الكلام فائدة ولست املك شيأ فاخذته وطلعت به الى الدكان ثم ذهبت به

الى الحمام والبسته حلة من الملابس الفاخرة واكلت انا واياه وقلت له يا اخي اني احسب ربح دكاني من السنة

الى السنة ثم اقسمه دون رأس المال بيني وبينك ثم اني عملت حساب الدكان من ربح مالي فوجدته الفي دينار

فحمدت الله عز وجل وفرحت غاية الفرح وقسمت الربح بيني وبينه شطرين واقمنا مع بعضنا اياما ثم ان

اخوتي طلبوا السفر ايضا وارادوا ان اسافر معهم فلم ارض وقلت لهم اي شيء كسبتم في سفركم حتى اكسب

انا فالحوا علي ولم اطعهم بل اقمنا في دكاكيننا نبيع ونشتري سنة كاملة وهم يعرضون علي السفر وانا لم ارض

حتى مضت ست سنوات كوامل ثم وافقتهم على السفر وقلت لهم يا اخوتي اننا نحسب ما عندنا من المال فحسبناه فاذا هو ستة آلاف دينار فقلت ندفن نصفها تحت الارض لينفعنا اذا اصابنا امر ويأخذ كل واحد منا الف دينار ونتسبب فيها قالوا نعم الرأي فاخذت المال وقسمته نصفين ودفنت ثلاثة آلاف دينار واما الثلاثة آلاف دينار الاخرى فاعطيت كل واحد منهم الف دينار وجهزنا بضائع واكترينا مركبا ونقلنا فيها حوائجنا وسافرنا مدة شهر كامل الى ان دخلنا مدينة وبعنا بضائعنا فربحنا في الدينار عشرة دنانير ثم اردنا السفر فوجدنا على شاطئ البحر جارية عليها خلق مقطع فقبلت يدي وقالت يا سيدي هل عندك احسان ومعروف اجازيك عليهما قلت نعم ان عندي الاحسان والمعروف ولو لم تجازيني فقالت يا سيدي تزوجني وخذني بلادك فاني قد وهبتك نفسي فافعل معي معروفا لاني ممن يصنع معه المعروف والاحسان ويجازي عليهما ولا يغرنك حالي فلما سمعت كلامها حن قلبي اليها لامر يريده الله عز وجل فاخذتها وكسوتها وفرشت لها في المركب فرشا حسنا واقبلت عليها واكرمتها ثم سافرنا وقد احبها قلبي محبة عظيمة وصرت لا افارقها ليلا ولا نهارا واشتغلت بها عن اخوتي فغاروا مني وحسدوني على مالي وكثرة بضاعتي وطمحت عيونهم في المال جميعه وتحدثوا بقتلي واخذ مالي وقالوا نقتل اخانا ويصير المال جميعه لنا وزين لهم الشيطان اعمالهم فجاؤني وانا نائم بجانب زوجتي وحملوني انا وزوجتي ورمونا في البحر فلما استيقظت زوجتي انتفضت فصارت عفريتة وحملتني واطلعتني على جزيرة وغابت عني قليلا وعادت الي عند الصباح وقالت لي انا زوجتك التي حملتك ونجيتك من القتل باذن الله تعالى واعلم اني جنية رأيتك فحبك قلبي وانا مؤمنة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم فجئتك بالحال الذي رأيتني فيه فتزوجت بي وها انا قد نجيتك من الغرق وقد غضبت على اخوتك ولا بد ان اقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها اما هلاك اخوتي فلا ينبغي ثم حكيت لها ما جرى لي معهم من اول الزمان الى آخره فلما سمعت كلامي قالت انا في هذه الليلة اطير اليهم واغرق مركبهم واهلكهم فقلت لها بالله عليك لا تفعلي فان صاحب المثل يقول يا محسنا لمن اساء كفى المسيء فعله وهم اخوتي على كل حال قالت لا بد لي من قتلهم فاستعطفتها ثم انها حملتني وطارت فوضعتني على سطح داري ففتحت الابواب واخرجت الذي خبأته تحت الارض وفتحت دكاني بعدما سلمت على الناس واشتريت بضائع فلما كان الليل دخلت داري فوجدت هاتين الكلبتين مربوطتين فيها فلما رأياني قاما الي وبكيا وتعلقا بي فلم اشعر الا وزوجتي قالت هؤلاء اخوتك فقلت ومن فعل بهم هذا الفعل قالت انا ارسلت الى اختي ففعلت بهم ذلك وما يتخلصون الا بعد عشر سنوات فجئت وانا سائر اليها تخلصهم بعد اقامتهم عشر سنوات في هذا الحال فرأيت هذا الفتى فاخبروني بما جرى له فاردت ان لا ابرح حتى انظر ما يجري بينك وبينه وهذه قصتي قال الجني انها حكاية عجيبة وقد وهبت لك ثلث دمه في جنايته —

فلما كانت الليلة الثالثة

قالت بلغني ان الشيخ الثالث صاحب البغلة قال للجني انا احكي لك حكاية اعجب من حكاية الاثنين وتهب لي باقي دمه وجنايته فقال الجني قال نعم فقال الشيخ ايها السلطان ورئيس الجان ان هذه البغلة كانت زوجتي سافرت وغبت عنها سنة كاملة ثم قضيت سفري وجئت اليها في الليل فرأيت عبدا اسود راقدا معها في الفراش وهما في كلام وغنج وضحك وتقبيل وهراش فلما رأتني عجلت وقامت الي بكوز فيه ماء فتكلمت

عليه ورشني وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورة كلب فصرت فى الحال كلبا فطردتنى من البيت فخرجت من الباب ولم ازل سائرا حتى وصلت الى دكان جزار فتقدمت وصرت آكل من العظام فلما رآني صاحب الدكان اخذنى ودخل بى بيته فلما رأتنى بنت الجزار غطت وجهها منى وقالت اتجيء لنا برجل وتدخل علينا به فقال ابوها اين الرجل قالت ان هذا الكلب رجل سحرته امرأة وانا اقدر على تخليصه فلما سمع ابوها كلامها قال بالله عليك يا بنتى خلصيه فاخذت كوزا فيه ماء وتكلمت عليه ورشت على منه قليلا وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فصرت الى صورتى الاولى فقبلت يدها وقلت لها اريد ان تسحرى زوجتى كما سحرتنى فاعطتنى قليلا من الماء وقالت اذا رأيتها نائمة رش هذا الماء عليها فانها تصير كما انت طالب فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء وقلت اخرجى من هذه الصورة الى صورة بغلة فصارت فى الحال بغلة وهى هذه التى تنظرها بعينك ايها السلطان ورئيس ملوك الجان ثم التفت اليها وقال اصحيح هذا فهزت رأسها وقالت بالاشارة نعم هذا صحيح فلما فرغ من حديثه اهتز الجنى من الطرب ووهب له ثلث دمه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها يا اختى ما احلى حديثك واطيبه والذه واعذبه فقالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقانى الملك فقال الملك والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها لانه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح فخرج الملك الى محل حكمه ودخل عليه الوزير والعسكر واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وامر الى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار الى قصره فلما اقبل الليل وقضى حاجته من بنت الوزير قالت لها اختها دنيازاد يا اختى اتممى لنا حديثك فقالت حبا وكرامة بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ الثالث لما قال للجنى حكاية اعجب من الحكايتين تعجب الجنى غاية العجب واهتز من الطرب وقال قد وهبت لك باقى جنايته واطلقته لكم فاقبل التاجر على الشيوخ وشكرهم وهنوه بالسلامة ورجع كل واحد الى بلده وما هذه باعجب من حكاية الصياد فقال لها الملك وما حكاية الصياد قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان رجل صياد وكان طاعنا فى السن وله زوجة وثلاثة اولاد وهو فقير الحال وكان من عادته انه يرمى شبكته كل يوم اربع مرات لا غير ثم انه خرج يوما من الايام فى وقت الظهر الى شاطئ البحر وحط مقطفه وطرح شبكته وصبر الى ان استقرت فى الماء ثم جمع خيطانها فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك فذهب بالطرف الى البر ودق وتدا وربطها فيه ثم تعرى وغطس فى الماء حول الشبكة وما زال يعالج حتى اطلعها ففرح ولبس ثيابه واتى الى الشبكة فوجد فيها حمارا ميتا فلما رأى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال ان هذا الرزق عجيب وانشد يقول

يا خائضا فى ظلام الليل والهلكه ＊ اقصر عنك فليس الرزق بالحركه

ثم ان الصياد لما رأى الحمار الميت خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وبعد ذلك نزل البحر وقال بسم الله وطرحها فيه وصبر عليها حتى استقرت ثم جذبها فثقلت ورسخت اكثر من الاول فظن انه سمك فربط الشبكة وتعرى ونزل وغطس ثم عالج الى ان خلصها واطلعها على البر فوجد فيها زيرا كبيرا وهو ملآن برمل وطين فلما رأى ذلك تأسف وانشد قول الشاعر

يا حرقة الدهر كفى ＊ ان لم تكف فعفى

فلا بحظى اعطى ＊ ولا بصنعة كفى

خرجت اطلب رزقى ＊ وجدت رزقى توفى

كم جاهل فى ظهور * وعالم متخفى

ثم انه رمى الزبل وعصر شبكته ونفضها واستغفر الله وعاد الى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافة وقوارير فانشد قول الشاعر

هو الرزق لا حل لديك ولا ربط * ولا قلم يجدى عليك ولا خط

ثم انه رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك تعلم انى لم ارم شبكتى غير اربع مرات وقد رميت ثلاثا ثم انه سمى الله ورمى الشبكة فى البحر وصبر الى ان استقرت وجذبها فلم يطق جذبها واذا بها اشتبكت فى الارض فقال لا حول ولا قوة الا بالله فتعرى وغطس عليها وصار يعالج فيها الى ان طلعت على البر وفتحها فوجد فيها قمقما من نحاس اصفر ملآنا وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان فلما رآه الصياد فرح وقال هذا ابيعه فى سوق النحاس فانه يساوى عشرة دنانير ذهبا ثم انه حركه فوجده ثقيلا فقال لابد انى افتحه وانظر ما فيه وادخره فى الخرج ثم ابيعه فى سوق النحاس ثم انه اخرج سكينا وعالج فى الرصاص الى ان فكه من القمقم وحطه على الارض وهزه لينكب ما فيه فلم ينزل منه شئ ولكن خرج من ذلك القمقم دخان صعد الى عنان السماء ومشى على وجه الارض فتعجب غاية العجب وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع ثم انتفض فصار عفريتا رأسه فى السحاب ورجلاه فى التراب برأس كالقبة وايد كالمدارى ورجلين كالصوارى وفم كالمغارة واسنان كالحجارة ومناخير كالابريق وعينين كالسراجين اشعث اغبر فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرايصه وتشبكت اسنانه ونشف ريقه وعمى عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا اله الا الله سليمان نبى الله ثم قال العفريت يا نبى الله لا تقتلنى فانى لاعدت اخالف لك قولا ولا اعصى لك امرا فقال له الصياد ايها المارد اتقول سليمان نبى الله وسليمان مات من مدة الف وثمانماية سنة ونحن فى آخر الزمان فما قصتك وما حديثك وما سبب دخولك فى هذا القمقم فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا اله الا الله ابشر يا صياد فقال الصياد بماذا تبشرنى فقال بقتلك فى هذه الساعة اشر القتلات قال الصياد تستحق على هذه البشارة يا قيم العفاريت زوال الستر عنك يا بعيد لاى شئ تقتلنى واى شئ يوجب قتلى وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر وطلعتك الى البر فقال العفريت تمن على اى موتة تموتها واى قتلة تقتلها فقال الصياد ما ذنبى حتى يكون هذا جزائى منك قال العفريت اسمع حكايتى يا صياد قال الصياد قل واوجز فى الكلام فان روحى وصلت الى قدمى قال اعلم انى من الجن المارقين وقد عصيت سليمان بن داود انا وصخر الجنى فارسل لى وزيره آصف بن برخيا فاتى بى مكرها وقادنى اليه وانا ذليل على رغم انفى واوقفنى بين يديه فلما رآنى سليمان استعاذ منى وعرض على الايمان والدخول تحت طاعته فابيت فطلب هذا القمقم وحبسنى فيه وختم على بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وامر الجن فاحتملونى والقونى فى وسط البحر فاقمت ماية عام وقلت فى قلبى كل من خلصنى اغنيته الى الابد فمرت الماية عام ولم يخلصنى احد ودخلت على ماية اخرى فقلت كل من خلصنى فتحت له كنوز الارض فلم يخلصنى احد فمر على اربعماية عام اخرى فقلت كل من خلصنى اقضى له ثلاث حاجات فلم يخلصنى احد فغضبت غضبا شديدا وقلت فى نفسى كل من خلصنى فى هذه الساعة قتلته ومنيته كيف يموت وها انت قد خلصتنى ومنيتك كيف تموت فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يا لله العجب انا ما جئت اخلصك الا فى هذه الايام ثم قال الصياد للعفريت اعف عن قتلى يعفو الله عنك ولا تهلكنى يسلط الله عليك من يهلكك فقال المارد لابد من قتلك فتمنى على اى موتة تموتها فلما تحقق ذلك

منه الصياد راجع العفريت وقال اعف عني اكراما لما اعتقتك فقال العفريت وانا ما اقتلك الا لاجل ما خلصتني فقال له الصياد يا شيخ العفاريت هل اصنع معك مليحا فتقابلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال

فعلنا جميلا قابلونا بضده ✻ وهذا لعمري من فعال الفواجر
ومن يفعل المعروف مع غير اهله ✻ يجازى كما جوزي مجير ام عامر

فلما سمع العفريت كلامه قال له لا تطمع فلابد من موتك فقال الصياد هذا جني وانا انسي وقد اعطاني الله عقلا كاملا وها انا ادبر امرا في هلاكه بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت هل صممت على قتلي قال نعم فقال له بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان اسألك عن شيء وتصدقني فيه قال نعم ثم ان العفريت لما سمع ذكر الاسم الاعظم اضطرب واهتز وقال له اسأل واوجز فقال له كيف كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك فقال له العفريت وهل انت لا تصدق انني كنت فيه فقال الصياد لا اصدقك ابدا حتى انظرك فيه بعيني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصياد لما قال للعفريت لا اصدقك ابدا حتى انظرك بعيني في القمقم انتفض العفريت وصار دخانا صاعدا الى الجو ثم اجتمع ودخل في القمقم قليلا قليلا حتى استكمل الدخان داخل القمقم واذا بالصياد اسرع واخذ السدادة الرصاص المختومة وسد بها فم القمقم ونادى العفريت وقال له تمن علي اي موتة تموتها لارمينك في هذا البحر وابني لي هنا بيتا وكل من اتى هنا امنعه ان يصطاد واقول له هنا عفريت وكل من طلعه يبين له انواع الموت ويخيره بينها فلما سمع العفريت كلام الصياد اراد الخروج فلم يقدر ورأى نفسه محبوسا ورأى عليه طبع خاتم سليمان وعلم ان الصياد سجنه في سجن احقر العفاريت واقذرها واصغرها ثم ان الصياد ذهب بالقمقم الى جهة البحر فقال له العفريت لا لا فقال الصياد لابد لابد فلطف المارد كلامه وخضع وقال ما تريد ان تصنع بي يا صياد قال القيك في البحر ان كنت اقمت فيه الفا وثمانماية عام فانا اجعلك تمكث فيه الى ان تقوم الساعة اما قلت لك ابقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فابيت قولي وما اردت الا غدري فالقاك الله في يدي فغدرت بك فقال العفريت افتح لي حتى احسن اليك فقال له الصياد تكذب يا ملعون انا مثلي ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم رويان فقال العفريت وما شأن وزير الملك يونان والحكيم رويان وما قصتهما فقال الصياد اعلم ايها العفريت انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان في مدينة الفرس وارض رومان ملك يقال له الملك يونان وكان ذا مال وجنود وبأس واعوان من سائر الاجناس وكان في جسده برص قد عجزت فيه الاطباء والحكماء ولم ينفعه منهم شرب ادوية ولا سفوف ولا دهان ولم يقدر احد من الاطباء ان يداويه وكان قد دخل مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن في السن يقال له الحكيم رويان وكان عارفا بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعالما باصول حكمتها وقواعد امورها من منفعتها ومضرتها وعالما بخواص النباتات والحشايش والاعشاب المضرة والنافعة قد عرف علم الفلاسفة وحاز جميع العلوم الطبية وغيرها ثم ان الحكيم لما دخل المدينة واقام بها اياما

فلا ثل سمع خبر الملك وما جرى له فى بدنه من البرص الذى ابتلاه الله به وقد عجزت عن مداواته الاطباء
واهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولا فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وسلمت الشمس
على زين الملاح ابس افخر ثيابه ودخل على الملك يونان وقبل الارض ودعى له بدوام العز والنعم واحسن
ما به تكلم واعلمه بنفسه فقال ايها الملك بلغنى ما اعتراك من هذا الذى فى جسدك وان كثيرا من الاطباء
لم يعرفوا الحيلة فى زواله وها انا اداويك ايها الملك ولا اسقيك دواء ولا ادهنك بدهن فلما سمع الملك يونان
كلامه تعجب وقال له كيف تفعل فوالله ان ابرأتنى اغنيتك لولد الولد وانعم عليك وكل ما تتمناه فهو لك
وتكون نديمى وحبيبى ثم انه خلع عليه واحسن اليه وقال له ابرئنى من هذا المرض بلا دواء ولا دهان
قال نعم ابريك بلا مشقة فى جسدك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له ايها الحكيم الذى ذكرته لى يكون
فى اى الاوقات وفى اى الايام فاسرع به يا ولدى قال له سمعا وطاعة ثم نزل من عند الملك واكترى له بيتا
وحط فيه كتبه وادويته وعقاقيره ثم استخرج الادوية والعقاقير وجعل منها صولجانا وجوفه وعمل له
قصبة وصنع له كرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع الى الملك فى اليوم الثانى ودخل عليه وقبل
الارض بين يديه وامره ان يركب الى الميدان وان يلعب بالكرة والصولجان وكان معه الامراء والحجاب
والوزراء وارباب الدولة فما استقر به الجلوس فى الميدان حتى دخل عليه الحكيم رويان وناوله الصولجان
وقال له خذ هذا الصولجان واقبض عليه مثل هذه القبضة وامش فى الميدان واضرب به الكرة بقوتك
حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسرى فى سائر جسدك فاذا فرغت واثر الدواء فيك
فارجع الى قصرك وادخل بعد ذلك الحمام واغتسل ونم فقد برئت والسلام فعند ذلك اخذ الملك يونان ذلك
الصولجان من الحكيم وامسكه بيده وركب الجواد ورميت الكرة بين يديه وساق خلفها حتى لحقها
وضربها بقوة وهو قابض بكفه على قصبة الصولجان وما زال يضرب به الكرة حتى عرق كفه وسائر بدنه
وسرى له الدواء من القبضة وعرف الحكيم رويان ان الدواء سرى فى جسده فامره بالرجوع الى قصره
وان يدخل الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته وامر ان يخلوا له الحمام فاخلوه له وتسارعت
الفراشون وتسابقت المماليك واعدوا للملك قماشه ودخل الحمام واغتسل غسلا جيدا ولبس ثيابه داخل
الحمام ثم خرج منه وركب الى قصره ونام فيه هذا ما كان من امر الملك يونان واما ما كان من امر الحكيم
رويان فانه رجع الى داره وبات فلما اصبح الصباح طلع الى الملك واستأذن عليه فاذن له فى الدخول فدخل
وقبل الارض بين يديه واشار الى الملك بهذه الابيات

زهت الفصاحة اذ دعيت لها ابا * واذا دعت يوما سواك لها ابا
يا صاحب الوجه الذى انواره * تمحو من الخطب الكريه غياهبا
ما زال وجهك مشرقا متهللا * كى لا ترى وجه الزمان مقطبا
اوليتنى من فضلك المنن التى * فعلت بنا فعل السحاب مع الربا
وصرفت جل المال فى طلب العلا * حتى بلغت من الزمان مآربا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائما على قدميه وعانقه واجلسه بجنبه وخلع عليه الخلع السنية ولما خرج
الملك من الحمام نظر الى جسده فلم يجد فيه شيأ من البرص وصار جسده نقيا مثل الفضة البيضا ففرح
بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما اصبح الصباح دخل الديوان وجلس على سرير ملكه
ودخلت عليه الحجاب واكابر الدولة ودخل عليه الحكيم رويان فلما رآه قام اليه مسرعا واجلسه بجانبه

واذا بموائد الطعام قد مدت فأكل صحبته ومازال عنده ينادمه طول نهاره فلما اقبل الليل اعطى الحكيم الفي دينار غير الخلع والهدايا واركبه جواده وانصرف الى داره والملك يونان يتعجب من صنعه ويقول هذا داواني من ظاهر جسدي ولم يدهني بدهان فوالله ماهذه الاحكمة بالغة فيجب علي لهذا الرجل الانعام والاكرام وان اتخذه جليسا وانيسا مدى الزمان وبات الملك يونان مسرورا فرحانا بصحة جسمه وخلاصه من مرضه فلما اصبح خرج الملك وجلس على كرسيه ووقفت ارباب دولته بين يديه وجلست الامراء والوزراء على يمينه ويساره ثم طلب الحكيم رويان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقام له الملك واجلسه بجانبه واكل معه وحياه وخلع عليه واعطاه ولم يزل يتحدث معه الى ان اقبل الليل فرسم له بخمس خلع والف دينار ثم انصرف الحكيم الى داره وهو شاكر للملك فلما اصبح الصباح خرج الملك الى الديوان وقد احدقت به الامراء والوزراء والحجاب وكان له وزير من وزرائه بشع المنظر نحس الطالع لئيم بخيل حسود مجبول على الحسد والمقت فلما رأى ذلك الوزير ان الملك قرب الحكيم رويان واعطاه هذا الانعام حسده عليه واضمر له الشر كما قيل في المعنى ما خلا جسد من حسد وقيل في المعنى الظلم كمين في النفس القوة تظهره والعجز يخفيه ثم ان الوزير تقدم الى الملك يونان وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك العصر والاوان انت الذي شمل الناس احسانك ولك عندي نصيحة عظيمة فان اخفيتها عنك اكون ولد زنا فان امرتني ان ابديها ابديتها فقال الملك وقد ازعجه كلام الوزير وما نصيحتك فقال ايها الملك الجليل قد قالت القدماء من لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب وقد رأيت الملك على غير صواب حيث انعم على عدوه وعلى من يطلب زوال ملكه وقد احسن اليه واكرمه غاية الاكرام وقربه غاية القرب وانا اخشى على الملك من ذلك فانزعج الملك وتغير لونه وقال له من الذي تزعم انه عدوي واحسن اليه فقال له ايها الملك ان كنت نائما فاستيقظ فانا اشير الى الحكيم رويان فقال له الملك ان هذا صديقي وهو اعز الناس عندي لانه داواني بشئ قبضته بيدي وابراني من مرضي الذي عجزت فيه الاطباء وهو لا يوجد مثله في هذا الزمان في الدنيا غربا وشرقا فكيف انت تقول عليه هذا المقال وانا من هذا اليوم ارتب له الجوامك والجرايات واعمل له في كل شهر الف دينار ولو قاسمته في ملكي لكان قليلا عليه وما اظن انك تقول ذلك الا حسدا كما بلغني عن الملك السندباد ثم قال الملك يونان ذكر والله اعلم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها يا اختي ما احلى حديثك واطيبه والذه واعذبه فقالت لها واين هذا مما احدثكم به الليلة المقبلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها لانه حديث عجيب ثم انهم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح ثم خرج الملك الى محل حكمه واحتبك الديوان فحكم وولى وعزل وامر ونهى الى آخر النهار ثم انفض الديوان فدخل الملك قصره واقبل الليل وقضى حاجته من بنت الوزير شهرزاد

فلما كانت الليلة الخامسة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك يونان قال لوزيره ايها الوزير انت دخلك الحسد من اجل هذا الحكيم فتريد ان اقتله وبعد ذلك اندم كما ندم الملك السندباد على قتل البازفقال الوزير وكيف كان ذلك فقال الملك ذكر انه كان ملك من ملوك الفرس يحب الفرجة والتنزه والصيد والقنص وكان له باز رباه ولا يفارقه ليلا ولا نهارا ويبيت طول الليل حامله على يده واذا طلع الى الصيد يأخذه معه وهو عامل له طاسة من الذهب معلقة في رقبته يسقيه منها فبينما الملك جالس واذا بالوكيل على طير الصيد يقول يا ملك الزمان هذا اوان

الخروج الى الصيد فاستعد الملك للخروج واخذ البازى على يده وساروا الى ان وصلوا الى وادونصبوا شبكة الصيد واذا بغزالة وقعت فى تلك الشبكة فقال الملك كل من فاتت الغزالة من جهته قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد واذا بالغزالة اقبلت على الملك وشبت على رجليها وحطت يديها على صدرها كانها تقبل الارض للملك فطأطأ الملك للغزالة ففرت من فوق دماغه وراحت الى البر فالتفت الملك الى العسكر فرآهم يتغامزون عليه فقال يا وزير ماذا يقول العساكر فقال يقولون انك قلت كل من فاتت الغزالة من جهته يقتل فقال الملك وحياة رأسى لاتبعها حتى اجيء بها ثم طلع الملك فى اثر الغزالة ولم يزل وراءها وصار البازى يلطشها على عينيها الى ان اعماها ودوخها فسحب الملك دبوسا وضربها فقلبها ونزل ذبحها وسلخها وعلقها فى قربوص السرج وكانت ساعة حر وكان المكان قفرا لم يوجد فيه ماء فعطش الملك وعطش الحصان فالتفت الملك فرأى شجرة ينزل منها ماء مثل السمن وكان الملك لابسا فى كفه جلدا فاخذ الطاسة من رقبة البازى وملأها من ذلك الماء ووضع الماء قدامه واذا بالبازى لطش الطاسة فقلبها فاخذ الملك الطاسة ثانيا وملأها وظن ان البازى عطشان فوضعها قدامه فلطشها ثانيا وقلبها فغضب الملك من البازى واخذ الطاسة ثالثا وقدمها للحصان فقلبها البازى بجناحه فقال الملك الله يخيبك يا اشأم الطيور احرمتنى من الشرب واحرمت نفسك واحرمت الحصان ثم ضرب البازى بالسيف فرمى اجنحته فصار البازى يقيم رأسه ويقول بالاشارة انظر الذى فوق الشجرة فرفع الملك عينه فرأى فوق الشجرة حية والذى يسيل سمها فندم الملك على قص اجنحة البازى ثم قام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة حتى وصل الى مكانه الاول فالقى الغزالة الى الطباخ وقال له خذها واطبخها ثم جلس الملك على الكرسى والبازى على يده فشهق البازى ومات فصاح الملك حزنا واسفا على قتل البازى حيث خلصه من الهلاك وهذا ما كان من حديث الملك السندباد فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال له ايها الملك العظيم الشان وما الذى فعلته من الضرورة ورأيت منه سوأ انما افعل معك هذا شفقة عليك وستعلم صحة ذلك فان قبلت منى نجوت والا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك كان لذلك الملك ولد مولع بالصيد والقنص وكان له وزير فامر الملك ذلك الوزير ان يكون مع ابنه اينما توجه فخرج يوما من الايام الى الصيد والقنص وخرج معه وزير ابيه فسارا جميعا فنظر الى وحش كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحش فاطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحش فى البرية وتحير ابن الملك فلم يعرف اين يذهب واذا بجارية على رأس الطريق وهى تبكى فقال لها ابن الملك من انت قالت بنت ملك من ملوك الهند وكنت فى البرية فادركنى النعاس فوقعت من فوق الدابة ولم اعلم بنفسى فصرت منقطعة حائرة فلما سمع ابن الملك كلامها رق لحالها وحملها على ظهر دابته واردفها وسار حتى مر بجزيرة فقالت له الجارية يا سيدى اريد ان ازيل ضرورة فانزلها الى الجزيرة ثم تعوقت فاستبطأها فدخل خلفها وهى لا تعلم به فاذا هى غولة وهى تقول لاولادها يا اولادى قد اتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها ائتينا به يا امنا نأكله فى بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم ايقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشى على نفسه ورجع فخرجت الغولة فرأته كالخائف الوجل وهو يرتعد فقالت له ما بالك خائفا فقال لها ان لى عدوا وانا خائف منه فقالت الغولة انك تقول انا ابن الملك قال لها نعم قالت له ما لك لا تعطى عدوك شيأ من المال فترضيه به فقال لها انه لا يرضى بمال ولا يرضى الا بالروح وانا خائف منه وانا رجل مظلوم فقالت له ان كنت مظلوما كما تزعم فاستعن بالله عليه فانه يكفيك شره وشر جميع ما تخافه فرفع ابن الملك رأسه الى

السماء وقال يا من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء انصرني على عدوي واصرفه عني انك على ما تشاء قدير فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه وانصرف ابن الملك الى ابيه وحدثه بحديث الوزير وانت ايها الملك متى امنت لهذا الحكيم قتلك اقبح القتلات وان كنت احسنت اليه وقربته منك فانه يدبر في هلاكك اما ترى انه ابراك من المرض من ظاهر الجسد بشيء امسكته بيدك فلا تأمن ان يهلكك بشيء تمسكه ايضا فقال الملك يونان صدقت فقد يكون كما ذكرت ايها الوزير الناصح فلعل هذا الحكيم اتى جاسوسا في طلب هلاكي واذا كان ابراني بشيء امسكته بيدي فانه يقدر ان يهلكني بشيء اشمه ثم ان الملك يونان قال لوزيره ايها الوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير ارسل اليه في هذا الوقت واطلبه فان حضر فاضرب عنقه فتكفي شره وتستريح منه واغدر به قبل ان يغدر بك فقال الملك يونان صدقت ايها الوزير ثم ان الملك ارسل الى الحكيم فحضر وهو فرحان ولا يعلم ما قدره الرحمن كما قال بعضهم في المعنى

يا خائفا من دهره كن آمنا ❊ وكل الامور الى الذي بسط الثرى
ان المقدر كائن لا ينمحي ❊ ولك الامان من الذي ما قدرا

وانشد الحكيم مخاطبا للملك قول الشاعر

اذا لم اقم يوما لحقك بالشكر ❊ فقل لي لمن اعددت نظمي مع النثر
لقد جدت لي قبل السؤال بانعم ❊ اتتني بلا مطل لديك ولا عذر
فمالي لا اعطي ثناءك حقه ❊ واثني على علياك في السر والجهر
ساشكر ما اوليتني من صنائع ❊ يخف لها فمي وان اثقلت ظهري

وايضا في المعنى

كن عن همومك معرضا ❊ وكل الامور الى القضا
وابشر بخير عاجل ❊ تنسى به ما قد مضى
فلرب امر مسخط ❊ لك في عواقبه رضى
الله يفعل ما يشاء ❊ فلا تكن متعرضا

وايضا في المعنى

سلم امورك للحكيم العالم ❊ وارح فؤادك من جميع العالم
واعلم بان الامر ليس كما تشا ❊ بل ما يشاء الله احكم حاكم

وايضا في المعنى

لا تبتئس وانس الهموم جميعها ❊ ان الهموم تزيل لب الحازم
لا ينفع التدبير عبدا عاجزا ❊ فاتركه تسلم في نعيم دائم

فلما حضر الحكيم رويان قال له الملك اتعلم لماذا احضرتك فقال الحكيم لا يعلم الغيب الا الله تعالى فقال له الملك احضرتك لاقتلك واعدمك روحك فتعجب الحكيم رويان من تلك المقالة غاية العجب وقال ايها الملك لماذا تقتلني واي ذنب بدا مني فقال له الملك قد قيل لي انك جاسوس وقد اتيت لتقتلني وها انا اقتلك قبل ان تقتلني ثم ان الملك صاح على السياف وقال له اضرب رقبة هذا الغدار وارحنا من شره فقال الحكيم ابقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله ثم انه كرر عليه القول مثل ما قلت لك ايها العفريت وانت لا تدعني بل تريد قتلي فقال الملك يونان للحكيم رويان اني لا آمن الا ان قتلتك فانك ابرأتني بشيء امسكته بيدي فلا آمن

ان تقتلني بشئ اشمه او غير ذلك فقال الحكيم ايها الملك اهذا جزائي منك تقابل المليح بالقبيح فقال الملك لابد من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم ان الملك قاتله ولا محالة بكى وتأسف على ما صنع من الجميل مع غير اهله كما قيل في المعنى

ان ميمونة من سمات العقل عارية * لكن ابوها من الالباب قد خلق
لم يمش في يابس يوما ولا وحل * الا بنور هداه يتقي الزلق

وبعد ذلك تقدم السياف وغمى عينيه وشهر سيفه وقال أئذن والحكيم يبكي ويقول للملك ابقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله وانشد قول الشاعر

نصحت فلم افلح وغشوا فافلحوا * فاوقعني نصحي بدار هوان
فان عشت لم انصح وان مت فانع لي * ذوي النصح من بعدي بكل لسان

ثم ان الحكيم قال للملك ايكون هذا جزائي منك فتجازيني مجازاة التمساح قال الملك وما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكنني ان اقولها وانا في هذا الحال فبالله عليك ابقني يبقك الله ثم ان الحكيم بكى بكاء شديدا فقام بعض خواص الملك وقال ايها الملك هب لي دم هذا الحكيم لاننا ما رأيناه فعل معك ذنبا وما رأيناه الا ابرأك من مرضك الذي اعيى الاطباء والحكماء فقال لهم الملك لم تعرفوا سبب قتلي لهذا الحكيم وذلك لاني ان ابقيته فانا هالك لا محالة ومن ابرأني من المرض الذي كان بي بشئ امسكته بيدي فيمكن ان يقتلني بشئ اشمه فانا اخاف ان يقتلني ويأخذ علي جعالة لانه ربما كان جاسوسا وما جاء الا ليقتلني فلا بد من قتله وبعد ذلك أمن على نفسي فقال الحكيم ابقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فلما تحقق الحكيم ايها العفريت ان الملك قاتله لا محالة قال له ايها الملك ان كان لابد من قتلي فامهلني حتى انزل الى داري فاخلص نفسي واوصي اهلي وجيراني ان يدفنوني واهب كتب الطب وعندي كتاب خاص الخاص اهبه لك هدية تدخره في خزانتك فقال الملك للحكيم وما هذا الكتاب قال فيه شئ لا يحصى واقل ما فيه من الاسرار انك اذا قطعت رأسي وفتحته وعددت ثلاث ورقات ثم تقرأ ثلاثة اسطر من الصحيفة التي على يسارك فان الرأس تكلمك وتجاوبك عن جميع ما سألتها عنه فتعجب الملك غاية العجب واهتز من الطرب وقال له ايها الحكيم وهل اذا قطعت راسك تكلمت فقال نعم ايها الملك وهذا امر عجيب ثم ان الملك ارسله مع المحافظة عليه فنزل الحكيم الى داره وقضى اشغاله في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني ثم طلع الحكيم الى الديوان وطلعت الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة جميعا وصار الديوان كزهر البستان واذا بالحكيم دخل الديوان ووقف قدام الملك ومعه كتاب عتيق ومكحلة فيها ذرور وجلس وقال ائتوني بطبق فاتوه بطبق وكب فيه الذرور وفرشه وقال ايها الملك خذ هذا الكتاب ولا تعمل به حتى تقطع راسي فاذا قطعتها فاجعلها في ذلك الطبق وامر بكبسها على ذلك الذرور فاذا فعلت ذلك فان دمها ينقطع ثم افتح الكتاب ففتحه الملك فوجده ملصوقا فحط اصبعه في فمه وبله بريقه وفتح اول ورقة والثانية والثالثة والورق ما ينفتح الا بجهد ففتح الملك ست ورقات ونظر فيها فلم يجد فيها كتابة فقال الملك ايها الحكيم ما فيه شئ مكتوب فقال الحكيم قلب زيادة على ذلك فقلب فيه زيادة فلم يكن الا قليل من الزمان حتى سرى فيه السم لوقته وساعته فان الكتاب كان مسموما فعند ذلك تزحزح الملك وصاح وقال قد سرى في السم فانشد الحكيم رويان يقول

تحكموا فاستطالوا في حكومتهم * وعن قليل كأن الحكم لم يكن
لو انصفوا انصفوا لكن بغوا فبغى * عليهم الدهر بالافات والمحن

واصبحوا ولسان الحال ينشدهم ✻ هذا بذاك ولا عتب على الزمن

فلما فرغ رويان الحكيم من كلامه سقط الملك ميتا من وقته فاعلم ايها العفريت ان الملك يونان لو ابقى الحكيم رويان لابقاه الله ولكن ابى وطلب قتله فقتله الله وانت ايها العفريت لو ابقيتنى لابقاك الله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها دنيازاد ما احلى حديثك فقالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقانى الملك وباتوا تلك الليلة فى نعيم وسرور الى الصباح ثم طلع الملك الى الديوان ولما انفض الديوان دخل قصره واجتمع باهله

فلما كانت الليلة السادسة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصياد لما قال للعفريت لو ابقيتنى كنت ابقيتك لكن ما اردت الا قتلى فانا اقتلك محبوسا فى هذا القمقم والقيك فى هذا البحر صرخ المارد وقال بالله عليك ايها الصياد لا تفعل وابقنى كرما ولا تؤاخذنى بعملى فاذا كنت انا مسيئا كن انت محسنا وفى الامثال السائرة يا محسنا لمن اساء كفى المسئ فعله ولا تعمل كما عمل امامة مع عاتكة قال الصياد وما شأنهما فقال العفريت ما هذا وقت حديث وانا فى السجن حتى تطلعنى منه وانا احدثك بشأنهما فقال الصياد لا بد من القائك فى البحر ولا سبيل الى اخراجك منه فانى كنت استعطفك واتضرع اليك وانت لا تريد الا قتلى من غير ذنب استوجبته منك ولا فعلت معك سوءا قط ولم افعل معك الا خيرا لكونى اخرجتك من السجن فلما فعلت معى ذلك علمت انك ردئ الاصل واعلم انى ما رميتك فى هذا البحر الا لاجل ان كل من طلعك اخبره بخبرك واحذره منك فيرميك فيه ثانيا فتقيم فى هذا البحر الى آخر الزمان حتى ترى انواع العذاب قال له العفريت اطلقنى فهذا وقت المروآت وانا اعاهدك انى لم اسوءك ابدا بل انفعك بشئ يغنيك دائما فاخذ الصياد عليه العهد انه اذا اطلقه لا يؤذيه ابدا بل يعمل معه الجميل فلما استوثق منه بالايمان والعهود وحلفه باسم الله الاعظم فتح له الصياد فتصاعد الدخان حتى خرج وتكامل فصار عفريتا مشوه الخلقة ورفص القمقم فرماه فى البحر فلما رأى الصياد رمى القمقم فى البحر ايقن بالهلاك وبال فى ثيابه وقال هذه ليست علامة خير ثم انه قوى قلبه وقال ايها العفريت قال الله تعالى واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وانت قد عاهدتنى وحلفت انك لا تغدر بى فان غدرت بى يجزيك الله فانه غيور يمهل ولا يهمل وانا قلت لك مثل ما قال الحكيم رويان للملك يونان ابقنى يبقك الله فضحك العفريت ومشى قدامه وقال ايها الصياد اتبعنى فمشى الصياد وراءه وهو لم يصدق بالنجاة الى ان خرجوا من ظاهر المدينة وطلعوا على جبل ونزلوا الى برية متسعة واذا فى وسطها بركة ماء فوقف العفريت عليها وامر الصياد ان يطرح الشبكة ويصطاد فنظر الصياد الى البركة وفيها السمك الوانا الابيض والاحمر والازرق والاصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم انه طرح شبكته وجذبها فوجد فيها اربع سمكات كل سمكة بلون فلما رآها الصياد فرح فقال له العفريت ادخل بها الى السلطان وقدمها اليه فانه يعطيك ما يغنيك وبالله اقبل عذرى فاننى فى هذا الوقت لم اعرف طريقا وانا فى هذا البحر مدة الف وثمان ماية عام ما رأيت ظاهر الدنيا الا فى هذه الساعة ولا تصطد منها كل يوم الا مرة واحدة واستودعتك الله ثم دق الارض بقدميه فانشقت وابتلعته ومضى الصياد الى المدينة وهو متعجب مما جرى له مع هذا العفريت ثم اخذ السمك ودخل به منزله واتى بماجور ثم ملأه ماء وحط فيه السمك فاختبط السمك من داخل الماجور فى الماء ثم حمل الماجور فوق رأسه وقصد به

قصر الملك كما امره العفريت فلما طلع الصياد الى الملك وقدم له السمك تعجب الملك غاية العجب من ذلك السمك الذى قدمه اليه الصياد لانه لم يرفى عمره مثله صفة ولا شكلا فقال القوا هذا السمك للجارية الطباخة وكانت هذه الجارية قد اهداها له ملك الروم منذ ثلاثة ايام وهو لم يجربها فى طبيخ فامرها الوزير ان تقليه وقال لها ياجارية ان الملك يقول لك ماادخرت دمعتى الا لشدتى ففرجينا اليوم على طهيك وحسن طبيخك فان السلطان جاء اليه واحد بهدية ثم رجع الوزير بعدما اوصاها فامره الملك ان يعطى الصياد اربعمائة دينار فاعطاه الوزير اياها فاخذها فى حجره وتوجه الى منزله لزوجته وهو فرحان مسرور ثم اشترى لعياله مايحتاجون اليه هذا ما كان من امر الصياد واما ما كان من امر الجارية فانها اخذت السمك ونظفته ورصته فى الطاجن ثم انها تركت السمك حتى استوى وجهه وقلبته على الوجه الثانى واذا بحائط المطبخ قد انشقت وخرجت منها صبية رشيقة القد اسيلة الخد كاملة الوصف كحيلة الطرف بوجه مليح وقد رجيج لابسة كوفية بخز ازرق وفى اذنيها حلق وفى معاصمها اساور وفى اصابعها خواتم بالفصوص الثمينة وفى يدها قضيب من الخيزران فغرزت القضيب فى الطاجن وقالت ياسمك هل انت على العهد مقيم فلما رأت الجارية هذا غشى عليها وقد اعادت الصبية القول ثانيا وثالثا فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم ثم قال جميعه هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

فعند ذلك قلبت الصبية الطاجن وخرجت من الموضع الذى دخلت منه والتحمت حائط المطبخ ثم افاقت الجارية فرأت الاربع سمكات محروقة مثل الفحم الاسود فقالت تلك الجارية من اول غزوته حصل كسر عصيته فبينما هى تعاتب نفسها واذا بالوزير واقف على رأسها وقال لها هاتى السمك للسلطان فبكت الجارية واعلمت الوزير بالحال وبالذى جرى فتعجب الوزير من ذلك وقال ما هذا الا امر عجيب ثم انه ارسل الى الصياد فاتوا به اليه فقال له ايها الصياد لابد ان تجئ لنا باربع سمكات مثل التى جئت بها اولا فخرج الصياد الى البركة وطرح شبكته ثم جذبها واذا باربع سمكات فاخذها وجاء بها الى الوزير فدخل بها الوزير الى الجارية وقال لها قومى اقليها قدامى حتى ارى هذه القضية فقامت الجارية اصلحت السمك ووضعته فى الطاجن على النار فما استقر الا قليلا واذا بالحائط قد انشقت والصبية قد ظهرت وهى لابسة ملبسها وفى يدها القضيب فغرزته فى الطاجن وقالت ياسمك ياسمك هل انت على العهد القديم مقيم فرفعت السمكات رؤسها وانشدت هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه لما تكلم السمك قلبت الصبية الطاجن بالقضيب وخرجت من الموضع الذى جاءت منه والتحم الحائط فعند ذلك قام الوزير وقال هذا امر لا يمكن اخفاؤه عن الملك ثم انه تقدم الى الملك واخبره بما جرى قدامه فقال لابد ان انظر بعينى فارسل الى الصياد وامره ان ياتى باربع سمكات مثل الاولى وامهله ثلاثة ايام فذهب الصياد الى البركة واتاه بالسمك فى الحال فامر الملك ان يعطوه اربعمائة دينار ثم التفت الملك الى الوزير وقال له سو انت السمك هاهنا قدامى فقال الوزير سمعا وطاعة فاحضر الطاجن

ورمى فيه السمك بعد ان نظفه ثم قلبه واذا بالحائط قد انشق وخرج منها عبد اسود كأنه ثور من الثيران او من قوم عاد وفي يده فرع من شجرة خضراء وقال بكلام فصيح مزعج يا سمك يا سمك هل انت على العهد القديم مقيم فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم وانشد هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

ثم اقبل العبد على الطاجن وقلبه بالفرع الى ان صار فحما اسود ثم ذهب العبد من حيث اتى فلما غاب العبد عن اعينهم قال الملك هذا امر لا يمكن السكوت عنه ولابد ان هذا السمك له شأن غريب فامر باحضار الصياد فلما حضر قال له من اين هذا السمك فقال له من بركة بين اربع جبال وراء هذا الجبل الذى بظاهر مدينتك فالتفت الملك الى الصياد وقال له مسيرة كم يوم قال له يا مولانا السلطان مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان وامر بخروج العسكر من وقته مع الصياد فصار الصياد يلعن العفريت وساروا الى ان طلعوا الجبل ونزلوا منه الى برية متسعة لم يروها مدة اعمارهم والسلطان وجميع العسكر يتعجبون من تلك البرية التى نظروها بين اربع جبال والسمك فيها على اربعة الوان احمر وابيض واصفر وازرق فوقف الملك متعجبا وقال للعسكر ولمن حضر هل احد منكم رأى هذه البركة فى هذا المكان فقالوا كلهم لا فقال الملك والله لا ادخل مدينتى ولا اجلس على تخت ملكى حتى اعرف حقيقة هذه البركة وسمكها ثم امر الناس بالنزول حول هذه الجبال فنزلوا ثم دعا بالوزير وكان وزيرا خبيرا عاقلا لبيبا عالما بالامور فلما حضر بين يديه قال له انى اردت ان اعمل شيأ فاخبرك به وذلك انه خطر ببالى ان انفرد بنفسى فى هذه الليلة وابحث عن خبر هذه البركة وسمكها فاجلس على باب خيمتى وقل للامراء والوزراء والحجاب ان السلطان متشوش وامرنى ان لا اذن لاحد فى الدخول عليه ولا تعلم احدا بقصدى فلم يقدر الوزير على مخالفته ثم ان الملك غير حالته وتقلد سيفه وانسل من بينهم ومشى بقية ليله الى الصباح فلم يزل سائرا حتى اشتد عليه الحر فاستراح ثم مشى بقية يومه وليلته الثانية الى الصباح فلاح له سواد من بعد ففرح وقال لعلى اجد من يخبرنى بقضية البركة وسمكها فلما قرب من السواد وجده قصرا مبنيا بالحجارة السود مصفحا بالحديد واحد شقيه مفتوح والاخر مغلوق ففرح الملك ووقف على الباب ودق دقا لطيفا فلم يسمع جوابا فدق ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فدق رابعا دقا مزعجا فلم يجبه احد فقال لاشك انه خال فشجع نفسه ودخل من باب القصر الى دهليزه ثم صرخ وقال يا اهل القصر انى رجل غريب وعابر سبيل هل عندكم شئ من الزاد واعاد القول ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فقوى قلبه وثبت نفسه ودخل من الدهليز الى وسط القصر فلم يجد فيه احدا غير انه مفروش وفى وسطه فسقية عليها اربعة سباع من الذهب الاحمر تلقى الماء من افواهها كالدرر والجواهر وفى دائره طيور وعلى ذلك القصر شبكة تمنعها من الطلوع فتعجب من ذلك وتأسف حيث لم ير فيه احدا يستخبر منه عن تلك البركة والسمك والجبال والقصر ثم جلس بين الابواب يتفكر واذا هو بأنين من كبد حزين فسمعه يترنم بهذا الشعر

لما خفيت ضنى ووجدى قد ظهر * والنوم من عينى تبدل بالسهر
ناديت وجدا قد تزايد بالفكر * يا وجد لا تبق على ولا تذر
ها مهجتى بين المشقة والخطر

فلما سمع السلطان ذلك الانين نهض قائما وقصد جهته فوجد سترا مسبولا على باب مجلس فرفعه فرأى خلف الستر شابا جالسا على سرير مرتفع عن الارض مقدار ذراع وهو شاب مليح بقد رجيح ولسان

فصيح

فصيح وجبين ازهر وخد احمر وشامة على كرسى خده كترس من عنبر كما قال الشاعر

ومهفهف من شعره وجبينه ❊ مشت الورى فى ظلمة وضياء
ما ابصرت عيناك احسن منظرا ❊ فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقلة السوداء

ففرح به الملك وسلم عليه والصبى جالس وعليه قباء حرير بطراز من ذهب لكن عليه اثر الحزن فرد السلام على الملك وقال له ياسيدى اعذرنى فى عدم القيام فقال الملك ايها الشاب اخبرنى عن هذه البركة وعن سمكها الملون وعن هذا القصر وسبب وحدتك فيه وما سبب بكائك فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خده وبكا بكاء شديدا فتعجب الملك وقال له ما يبكيك ايها الشاب فقال كيف لا ابكى وهذه حالتى ومد يده الى اذياله فرفعها فاذا نصفه التحتانى الى قدميه حجر ومن سرته الى شعر رأسه بشر ثم قال الشاب اعلم ايها الملك ان لهذا السمك امرا عجيبا لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وذلك ياسيدى انه كان والدى ملك هذه المدينة وكان اسمه محمود اصاحب الجزائر السود وصاحب هذه الجبال الاربعة فاقام فى الملك سبعين عاما ثم توفى والدى وتسلطنت بعده وتزوجت بابنة عمى وكانت تحبنى محبة عظيمة بحيث اذا غبت عنها لا تاكل ولا تشرب حتى ترانى فمكثت فى عصمتى خمس سنين الى ان ذهبت يوما من الايام الى الحمام فامرت الطباخ ان يجهز لنا طعاما لاجل العشاء ثم دخلت هذا القصر ونمت فى الموضع الذى انام فيه وامرت جاريتين ان يروحا على وجهى فجلست واحدة عند رأسى والاخرى عند رجلى وقد قلقت لغيابها ولم ياخذنى نوم غير ان عينى مغمضة ونفسى يقظانة فسمعت التى عند رأسى تقول للتى عند رجلى يا مسعودة ان سيدنا مسكين شبابه ويا خسارته مع سيدتنا الخبيثة الخاطئة فقالت الاخرى لعن الله النساء الزانيات ولكن مثل سيدنا واخلاقه لا يصلح لهذه الزانية التى كل ليلة تبيت فى غير فراشه فقالت التى عند رأسى ان سيدنا مغفل حيث لم يسأل عنها فقالت الاخرى ويلك وهل عند سيدنا علم بحالها او هى تخليه باختياره بل تعمل له عملا فى قدح الشراب الذى يشربه كل ليلة قبل المنام فتضع فيه البنج فينام ولم يشعر بما يجرى ولم يعلم اين تذهب ولا بما تصنع لانها بعدما تسقيه الشراب تلبس ثيابها وتخرج من عنده فتغيب الى الفجر وتاتى اليه وتبخره عند انفه بشئ فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجوارى صار الضياء فى وجهى ظلاما وما صدقت ان الليل اقبل وجاءت بنت عمى من الحمام فمدينا السماط واكلنا وجلسنا ساعة زمانية نتنادم كالعادة ثم دعوت بالشراب الذى اشربه عند المنام فناولتنى الكاس فتراوغت عنه وجعلت انى اشربه مثل عادتى ودلقته فى عبى ورقدت فى الوقت والساعة واذا بها قالت نم ليتك لم تقم والله كرهتك وكرهت صورتك وملت نفسى من عشرتك ثم قامت ولبست افخر ثيابها وتبخرت وتقلدت سيفا وفتحت باب القصر وخرجت فقمت وتبعتها حتى خرجت من القصر وشقت فى اسواق المدينة الى ان انتهت الى ابواب المدينة فتكلمت بكلام لا افهمه فتساقطت الاقفال وانفتحت الابواب وخرجت وانا خلفها وهى لا تشعر حتى انتهت الى ما بين الكيمان واتت حصنا فيه قبة مبنية بطين لها باب فدخلته هى وصعدت انا على سطح القبة واشرفت عليها واذا بها قد دخلت على عبد اسود احدى شفتيه غطاء وشفته الثانية وطاء وشفاهه تلقط الرمل من الحصى وهو مبتل وراقد على قليل من قش القصب فقبلت الارض بين يديه فرفع ذلك العبد رأسه اليها وقال لها ويلك ما سبب قعودك الى هذه الساعة كان عندنا السودان وشربوا الشراب وصار كل واحد بعشيقته وانا ما رضيت ان

اشرب من شانك فقالت ياسيدى وحبيب قلبي اما تعلم انى متزوجة بابن عمى وانا اكره الخلق فى صورته وابغض نفسى فى صحبته ولولا انى اخشى على خاطرك لكنت جعلت المدينة خرابا يصيح فيها البوم والغراب وانقل حجارتها الى خلف جبل قاف فقال العبد تكذبين يا عاهرة وانا احلف وحق فتوة السودان والا تكون مروتنا مروة البيضان ان بقيتى تقعدى الى هذا الوقت من هذا اليوم لا اصاحبك ولا اضع جسدى على جسدك يا خائنة اتنقلين علىّ من اجل شهوتك يا منتنة يا اخس البيضان قال الملك فلما سمعت كلامهما وانا انظر بعينى ما جرى بينهما صارت الدنيا فى وجهى ظلاما ولم اعرف روحى فى اى موضع وصارت بنت عمى واقفة تبكى عليه وتتذلل بين يديه وتقول له يا حبيبى وثمرة فؤادى ما احد غيرك بقى لى فان طردتنى ياويلى يا حبيبى يا نور عينى ومازالت تبكى وتتضرع له حتى رضى عليها ففرحت وقامت قلعت ثيابها ولباسها وقالت له ياسيدى هل عندك ما تأكله جاريتك فقال لها اكشفى اللقان فان تحتها عظام فيران مطبوخة فكليها ومرمشيها وقومى لهذه القوارة تجدى فيها بوظة فاشربيها فقامت واكلت وشربت وغسلت يديها وجاءت رقدت مع العبد على قش القصب وتعرت ودخلت معه تحت الهدمة والشراميط فلما نظرت الى هذه الفعال التى قد فعلتها بنت عمى غبت عن الوجود فنزلت من فوق اعلى القبة ودخلت واخذت السيف من بنت عمى وهممت ان اقتل الاثنين فضربت العبد اولا على رقبته فظننت انه قد قضى عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فلما اصبح الصباح دخل الملك الى محل الحكم واحتبك الديوان الى اخر النهار ثم طلع الملك قصره فقالت لها اختها دنيازاد اتمى لنا حديثك قالت حبا وكرامة

فلما كانت الليلة الثامنة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب المسحور قال للملك لما ضربت العبد لاقطع رأسه قطعت الحلقوم والجلد واللحم فظننت انى قتلته فشخر شخيرا عاليا فتحركت بنت عمى وقامت بعد ذهابى فاخذت السيف وردته الى موضعه واتت المدينة ودخلت القصر ورقدت فى فراشى الى الصباح ورأيت بنت عمى فى ذلك اليوم قد قطعت شعرها ولبست ثياب الحزن وقالت يا ابن عمى لا تلمنى فيما افعله فانه بلغنى ان والدتى توفيت وان والدى قتل فى الجهاد وان اخوىّ احدهما مات ملسوعا والاخر رديما فيحق لى ان ابكى واحزن فلما سمعت كلامها سكت عنها وقلت لها افعلى ما بدا لك فانى لم اخالفك فكنت فى حزن وبكاء وعديد سنة كاملة من الحول الى الحول وبعد السنة قالت لى اريد ان ابنى لى فى قصرك مدفنا مثل القبة وانفرد فيه بالاحزان واسميه بيت الاحزان فقلت لها افعلى ما بدا لك فبنت لها بيتا للعزن وبنت فى وسطه قبة ومدفنا مثل الضريح ثم نقلت العبد وانزلته فيه وهو ضعيف جدا لا ينفعها بنافعة لكنه يشرب الشراب ومن اليوم الذى جرحته فيه ما تكلم الا انه حى لان اجله لم يفرغ فصارت كل يوم تدخل عليه القبة بكرة وعشيا وتبكى عنده وتعدد عليه وتسقيه الشراب والمساليق ولم تزل على هذه الحال صباحا ومساء الى ثانى سنة وانا اطول بالى عليها الى ان دخلت عليها يوما من الايام على غفلة فوجدتها تبكى وتلطم وجهها وتقول هذه الابيات

عدمت وجودى فى الورى بعد بعدكم ❊ فان فؤادى لا يحب سواكم
خذوا كرما جسمى الى اين ترتموا ❊ واين حللتم فادفنونى حذاكم

وان تذكروا اسمى عند قبرى يجيبكم ✻ انين عظامى عند صوت نداكم

فلما فرغت من شعرها قلت لها وسيفى مسلول فى يدى هذا كلام الخائنات اللاتى يكفرن العشرة ولا يحفظن الصحبة واردت ان اضربها فرفعت يدى فى الهوا فقامت وقد علمت انى انا الذى جرحت العبد ثم وقفت على قدميها وتكلمت بكلام لا افهمه وقالت جعل الله بسحرى نصفك حجرا ونصفك الاخر بشرا فصرت كما ترى وبقيت لا اقوم ولا اقعد ولا انا ميت ولا انا حى فلما صرت هكذا سحرت المدينة وما فيها من الاسواق والغيطان وكانت مدينتنا اربعة اصناف مسلمين ونصارى و يهودا ومجوسا فسحرتهم سمكا فالابيض مسلمون والاحمر مجوس والازرق نصارى والاصفر يهود وسحرت الجزائر الاربع اربعة جبال واحاطتها بالبركة ثم انها كل يوم تعذبنى وتضربنى بسوط من الجلد مائة ضربة حتى يسيل الدم ثم تلبسنى من تحت هذه الثياب ثوبا من الشعر على نصفى الفوقانى ثم ان الشاب بكى وانشد هذا الشعر

صبرا لحكمك يا الهى والقضا ✻ انا صابر ان كان فيه لك الرضا

قد ضقت بالامر الذى قد نابنى ✻ فوسيلتى آل النبى المرتضى

فعند ذلك التفت الملك الى الشاب وقال له ايها الشاب زدتنى هما على همى ثم قال له واين تلك المرأة قال فى المدفن الذى فيه العبد راقد فى القبة وهى تجى له كل يوم مرة وعند مجيئها تجى الى وتجردنى من ثيابى وتضربنى بالسوط مائة ضربة وانا ابكى واصيح ولم يكن فى حركة حتى ادفعها عن نفسى ثم بعد ان تعاقبنى تذهب الى العبد بالشراب والمسلوقة بكرة النهار قال الملك والله يا فتى لافعلن معك معروفا اذكر به وجميلا يؤرخونه سيرا من بعدى ثم جلس الملك يتحدث معه الى ان اقبل الليل ثم قام الملك وصبر الى ان جاء وقت السحر فتجرد من ثيابه وتقلد سيفه ونهض الى المحل الذى فيه العبد فنظر الى الشمع والقناديل ورأى البخور والادهان ثم قصد العبد وضربه فقتله ثم حمله على ظهره ورماه فى بئر كانت فى القصر ثم نزل ولبس ثياب العبد وهو داخل فى القبة والسيف معه مسلول فى طوله فبعد ساعة اتت العاهرة الساحرة وعند دخولها جردت ابن عمها من ثيابه واخذت سوطا وضربته فقال آه يكفينى ما انا فيه فارحمينى فقالت هل كنت انت رحمتنى وابقيت لى معشوقى ثم البسته اللباس الشعر والقماش من فوقه ثم نزلت الى العبد ومعها قدح الشراب وطاسة المسلوقة ودخلت عليه القبة وبكت وولولت وقالت يا سيدى كلمنى يا سيدى حدثنى وانشدت تقول

فالى متى هذا التجنب والجفا ✻ ان الذى فعل الغرام لقد كفا

كم قد تطيل الهجر لى متعمدا ✻ ان كان قصدك حاسدى فقد اشتفى

ثم انها بكت وقالت يا سيدى كلمنى وحدثنى فخفض صوته وعوج لسانه وتكلم بكلام السودان وقال آه آه لا حول ولا قوة الا بالله فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح وغشى عليها ثم انها استفاقت وقالت لعل سيدى صحيح فخفض الملك صوته بضعف وقال يا عاهرة انت لا تستحقى ان اكلمك قالت ما سبب ذلك قال سببه انك طول النهار تعاقبين زوجك وهو يصرخ ويستغيث حتى احرمتينى النوم من العشاء الى الصباح ولم يزل زوجك يتضرع ويدعو عليك حتى اقلقنى صوته ولولا هذا لكنت تعافيت فهذا الذى منعنى عن جوابك فقالت عن اذنك اخلصه مما هو فيه فقال لها الملك خلصيه واريحينا فقالت سمعا وطاعة ثم قامت وخرجت من القبة الى القصر واخذت طاسة وملأتها ماء ثم تكلمت عليها فصار الماء

يغلي كما يغلي القدر ثم رشته منها وقالت بحق ما اتلوه ان تخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فانتفض الشاب وقام على قدميه وفرح بخلاصه وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت له اخرج ولا ترجع الى هنا والا قتلتك وصرخت في وجهه فخرج من بين يديها وعادت الى القبة ونزلت وقالت يا سيدي اخرج الي حتى انظرك فقال لها بكلام ضعيف اي شيء فعلتيه ارحتيني من الفرع ولم تريحيني من الاصل فقالت يا حبيبي وما هو الاصل قال اهل هذه المدينة والاربع جزائر كل ليلة اذا انتصف الليل يرفع السمك رأسه ويدعو علي وعليك فهو سبب منع العافية عن جسمي فخلصيهم وتعالي خذي بيدي واقيميني فقد توجهت الي العافية فلما سمعت كلام الملك وهي تظنه العبد قالت له وهي فرحانة يا سيدي على رأسي وعيني بسم الله ثم نهضت وقامت وهي مسرورة تجري وخرجت الى البركة اخذت من مائها قليلا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية الساحرة لما اخذت شيئا من ماء البركة وتكلمت عليه بكلام لا يفهم تحرك السمك ورفع رأسه وصار آدميين في الحال وانفك السحر عن اهل المدينة وصارت المدينة عامرة والاسواق منصوبة وصار كل واحد في صناعته وانقلبت الجبال جزائر كما كانت ثم ان الصبية الساحرة رجعت الى الملك في الحال وهي تظن انه العبد وقالت له يا حبيبي ناولني يدك الكريمة اقبلها فقال الملك بكلام خفي تقربي مني فدنت منه وقد اخذ صارمه وطعنها به في صدرها حتى خرج من ظهرها ثم ضربها فشقها نصفين وخرج فوجد الشاب المسحور واقفا في انتظاره فهناه بالسلامة وقبل الشاب يده وشكره فقال له الملك اتقعد في مدينتك ام تجيء معي الى مدينتي فقال الشاب يا ملك الزمان اتدري ما بينك وبين مدينتك فقال الملك يومان ونصف فعند ذلك قال له الشاب ايها الملك ان كنت نائما فاستيقظ ان بينك وبين مدينتك سنة للمجد وما اتيت في يومين ونصف الا لان المدينة كانت مسحورة وانا ايها الملك لا افارقك لحظة عين ففرح الملك بقوله ثم قال الحمد لله الذي من علي بك فانت ولدي لاني طول عمري لم ارزق ولدا ثم تعانقا وفرحا فرحا شديدا ثم مشيا حتى وصلا الى القصر واخبر الملك الذي كان مسحورا ارباب دولته انه مسافر الى الحج الشريف فهيؤا له جميع ما يحتاج اليه ثم توجه هو والسلطان وقلب السلطان ملتهب على مدينته حيث غاب عنها سنة ثم سافر ومعه خمسون مملوكا ومعه الهدايا ولم يزالا مسافرين ليلا ونهارا سنة كاملة حتى اقبلا على مدينة السلطان فخرج الوزير والعساكر لمقابلته بعد ما قطعوا الرجاء منه واقبلت العساكر وقبلت الارض بين يديه وهنوه بالسلامة فدخل وجلس على الكرسي ثم اقبل على الوزير واعلمه بكل ما جرى على الشاب فلما سمع الوزير ما جرى على الشاب هناه بالسلامة ولما استقر الحال انعم السلطان على ناس كثيرة ثم قال للوزير علي بالصياد الذي اتى بالسمك فارسل الى ذلك الصياد الذي كان سببا لخلاص اهل المدينة فاحضره وخلع عليه وسأله عن حاله وهل له اولاد فاخبره ان له ابنا وبنتين فتزوج الملك باحدى بنتيه وتزوج الشاب بالاخرى واخذ الملك الابن عنده وجعله خازندارا ثم ارسل الوزير الى مدينة الشاب التي هي الجزائر السود وقلده سلطنتها وارسل معه الخمسين مملوكا الذين جاوا معه وارسل معه كثيرا من الخلع لسائر الامراء فقبل الوزير يديه وخرج مسافرا واستقر السلطان والشاب واما الصياد فانه قد صار اغنى اهل زمانه وبناته زوجات الملوك الى ان اتاهم الممات وما هذا باعجب مما جرى

للحمال

للحمال فانه كان انسان من مدينة بغداد وكان اعزب وكان حمالا فبينما هو في السوق يوما من الايام متكئا على قفصه اذ وقفت عليه امرأة ملتفة بازار موصلي من حرير مزركش بالذهب وحاشيتاه من قصب فرفعت قناعها فبان من تحته عيون سود باهداب واجفان وهي ناعمة الاطراف كاملة الاوصاف وبعد ذلك قالت بحلاوة لفظها هات قفصك واتبعني فما صدق الحمال بذلك واخذ القفص وتبعها الى ان وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل لها رجل نصراني فاعطته دينارا واخذت منه مقدارا من الزيتون ووضعته في القفص وقالت له احمله واتبعني فقال الحمال هذا والله نهار مبارك ثم حمل القفص وتبعها فوقفت على دكان فكهاني واشترت منه تفاحا شاميا وسفرجلا عثمانيا وخوخا عمانيا وياسمينا حلبيا وبنوفرا دمشقيا وخيارا نيليا وليمونا مصريا واترجا سلطانيا ومرسينا وريحانيا وتمرحنا واقحوانا وشقائق النعمان وبنفسجا وجلنار ونسرينا ووضعت الجميع في قفص الحمال وقالت احمل فحمل وتبعها حتى وقفت على جزار وقالت له اقطع عشرة ارطال لحمة فقطع لها ولفت اللحم في ورق موز ووضعته في القفص وقالت احمل يا حمال فحمل وتبعها ثم وقفت على النقلي واخذت من سائر النقل وقالت للحمال احمل واتبعني فحمل القفص وتبعها الى ان وقفت على دكان الحلواني واشترت طبقا وملأته من جميع ما عنده من مشبك وقطائف بالمسك محشية وصابونية واقراص ليمونية وميمونية وامشاط واصابع ولقيمات القاضي ووضعت جميع انواع الحلاوة في الطبق ووضعته في القفص فقال الحمال لو اعلمتيني لجئت معي ببغل تحملي عليه هذه الامور فتبسمت ثم وقفت على العطار واشترت منه عشرة مياه ماء ورد وماء زهر وماء خلاف وغير ذلك واخذت قدرا من السكر واخذت مرش ماء ورد ممسك وحصى لبان ذكر وعودا وعنبرا ومسكا واخذت شمعا اسكندرانيا ووضعت الجميع في القفص وقالت احمل قفصك واتبعني فحمل القفص وتبعها به الى ان اتت دارا مليحة وقدامها رحبة فسيحة وهي عالية البنيان مشيدة الاركان بابها بشقتين من الابنوس مصفح بصفائح الذهب الاحمر فوقفت الصبية على الباب ودقت دقا لطيفا واذا بالباب انفتح بشقتيه فنظر الحمال الى من فتح لها الباب فوجدها صبية رشيقة القد قاعدة النهد ذات حسن وجمال وقد واعتدال وجبين كغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان وحواجب كهلال رمضان وخدود مثل شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان ووجه كالبدر في الاشراق ونهدين كرمانتين باتفاق وبطن مطوي تحت الثياب كطي السجل للكتاب فلما نظر الحمال اليها سلبت عقله وكاد القفص ان يقع من فوق رأسه ثم قال ما رأيت عمري ابرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة للدلالة والحمال مرحبا وهي من داخل الباب ومشوا حتى انتهوا الى قاعة فسيحة مزركشة مليحة ذات تراكيب وشاذروانات ومصاطب وسدلات وخزاين عليها الستور مرخيات وفي وسط القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر منصوب عليه ناموسية من الاطلس الاحمر ومن داخله صبية بعيون بابلية وقامة الفية ووجه يخجل الشمس المضيئة فكانها بعض الكواكب الدرية او عقيلة عربية كما قال فيها الشاعر

من قاس قدك بالغصن الرطيب فقد * اضحى القياس به زورا وبهتانا

الغصن احسن ما نلقاه مكتسيا * وانت احسن ما نلقاك عريانا

فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت قليلا الى ان صارت في وسط القاعة عند اختيها وقالت ما وقوفكم حطوا عن رأس هذا الحمال المسكين فجاءت الدلالة من قدامه والبوابة من خلفه وساعدتهما الثالثة وحططن عن الحمال وفرغن ما في القفص وصفوا كل شيء في محله واعطين الحمال دينارين وقلن له

توجه بالحمال فنظر الى البنات وما هن فيه من الحسن والطبايع الحسان فلم ير احسن منهن ولكن ليس عندهن رجال ونظر ما عندهن من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية العجب ووقف عن الخروج فقالت له الصبية ما لك لا تروح هل انت استقليت الاجرة والتفتت الى اختها وقالت لها اعطيه دينارا آخر فقال الحمال والله يا سيداتي ان اجرتي نصفان وما استقليت الاجرة وانما اشتغل قلبي وسري بكن وكيف حالكن وانتن وحدكن وما عندكم رجال ولا احد يوانسكن وانتن تعرفن ان المنارة لا تثبت الا على اربعة وليس لكن رابع وما يكمل حظ النساء الا بالرجال كما قال الشاعر

انظر الى اربع عندي قد اجتمعت * جنك وعود وقانون ومزمار

وانتن ثلاثة فتفتقرن الى رابع يكون رجلا عاقلا لبيبا حاذقا وللاسرار كاتما فقلن له نحن بنات ونخاف ان نودع السر عند من لا يحفظه وقد قرأنا في الاخبار شعرا

صن عن سواك السر لا تودعه * من اودع السر فقد ضيعه

فلما سمع الحمال كلامهن قال وحياتكن اني رجل عاقل امين قرأت الكتب وطالعت التواريخ اظهر الجميل واخفي القبيح واعمل بقول الشاعر

لا يكتم السر الا كل ذي ثقة * والسر عند خيار الناس مكتوم

السر عندي في بيت له غلق * ضاعت مفاتحه والباب مختوم

فلما سمع البنات الشعر والنظام وما ابداه من الكلام قلن له انت تعلم اننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شيء تجازينا به فنحن لا ندعك تجلس عندنا حتى تغرم مبلغا من المال لان خاطرك ان تجلس عندنا وتصير نديمنا وتطلع على وجوهنا الصباح الملاح فقالت صاحبة الدار اذا كانت بغير المال محبة فلا تساوي وزن حبة وقالت البوابة ان لم يكن معك شيء رح بلا شيء فقالت الدلالة يا اختي نكف عنه فوالله ما قصر اليوم معنا ولو كان غيره ما طول روحه علينا ومهما جاء عليه اغرمه عنه ففرح الحمال وقال والله ما استفتحت بالدراهم الا منك فقلن له اجلس على الرأس والعين وقامت الدلالة وشدت وسطها وصفت القناني وروقت المدام وعملت الخضرة على جانب البحر واحضرت ما يحتاجون اليه ثم قدمت المدام وجلست هي واختاها وجلس الحمال بينهن وهو يظن انه في المنام ثم قدمت باطية المدام وملأت اول قدح وشربته والثاني والثالث ثم ملأت وناولت اختها والاخرى ثم ملأت وناولت الحمال فاخذ الحمال منها الكاس وانشد هذا الشعر

اشرب الراح فانها بالعوافي * ان هذا الشراب للداء شافي

وقال ايضا هذا البيت

لا يشرب الراح الا من به طرب * يكون بالسكر في افراحه راق

وبعد هذا الشعر قبل ايديهن وشرب معهن ثم نزل عند صاحبة المحل وقال يا سيدتي انا عبدك ومملوكك وخدامك وانشد يقول

على الباب عبد من عبيدك واقف * بجودك والاحسان والشكر عارف

فقالت اشرب هنيأ وعافية في مجاري الصحة فاخذ الكاس وقبل يدها وترنم بقول الشاعر

ناولتها شبه خديها مشعشعة * حمراء يحكي سناها ضوء مقباس

فقبلتها وقالت وهي ضاحكة * فكيف تسقي خدود الناس للناس

قلت اشرب فهي من دمعي وحمرتها ❊ دمي ومازجها في الكاس انفاس

فاخذت الصبية القدح وشربته ونزلت عند اختها ولازلن والحمال بينهن في رقص وغناء ومشمومات ولم يزل الحمال معهن في عناق وتقبيل وهذه تكلمه وهذه تجذبه وهذه بالمشموم تضربه وهو معهن حتى لعبت الخمرة بعقولهم فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة وتجردت من ثيابها وصارت عريانة ثم رمت نفسها في تلك البحرة ولعبت في الماء واخذت الماء في فمها وبخت الحمال ثم غسلت اعضائها وما بين فخذيها ثم طلعت من الماء ورمت نفسها في حجر الحمال وقالت له يا حبيبي ما اسم هذا واشارت الى فرجها فقال الحمال رحمك الله فقالت يوه يوه اما تستحي ومسكته من رقبته وصارت تصكه فقال فرجك فقالت غيره فقال كسك فقالت غيره فقال زنبورك فلم تزل تصكه حتى ذاب قفاه ورقبته من الصك ثم قال لها وما اسمه فقالت له حبق الجسور فقال الحمال الحمد لله على السلامة يا حبق الجسور ثم انهم اداروا الكاس والطاس فقامت الثانية وخلعت ثيابها ورمت نفسها في تلك البحرة وعملت مثل الاولى وطلعت ورمت نفسها في حجر الحمال واشارت الى فرجها وقالت يا نور عيني ما اسم هذا قال فرجك قالت اما يقبح عليك هذا الكلام وصكته كفا طن له سائر ما في القاعة فقال حبق الجسور فقالت لا والضرب والصك على قفاه فقال لها وما اسمه فقالت له السمسم المقشور ثم قامت الثالثة وخلعت ثيابها ونزلت تلك البحرة وفعلت مثل من قبلها ثم لبست ثيابها والقت نفسها في حجر الحمال وقالت له ايضا ما اسم هذا واشارت الى فرجها فصار يقول لها كذا وكذا الى ان قال لها وهي تضربه وما اسمه فقالت خان ابي منصور فقال الحمد لله على السلامة يا خان ابي منصور ثم بعد ساعة قام الحمال ونزع ثيابه ونزل في البحرة وذكره يسبح في الماء وغسل مثل ما غسلن ثم طلع ورمى نفسه في حجر سيدتهن ورمى ذراعيه في حجر البوابة ورمى رجليه في حجر الدلالة ثم اشار الى ايره وقال يا سيدتي ما اسم هذا فضحك الكل على كلامه حتى انقلبن على ظهورهن وقلن زبك قال لا واخذ من كل واحدة عضة قلن ايرك قال لا واخذ من كل واحدة حضنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة

قالت لها اختها دنيازاد يا اختي اتممي لنا حديثك قالت حبا وكرامة قد بلغني ايها الملك السعيد انهن لم يزلن يقلن زبك ايرك وهو يقبل ويعض ويعانق وهن يتضاحكن الى ان قلن له وما اسمه قال اسمه البغل الجسور الذي يرعى حبق الجسور ويعلق بالسمسم المقشور ويبيت في خان ابي منصور فضحكن حتى استلقين على ظهورهن ثم عادوا الى منادمتهم ولم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل عليهم فقلن للحمال توجه وارنا عرض اكتافك فقال الحمال والله خروج الروح اهون من الخروج من عندكن دعونا نصل الليل بالنهار وكل منا يروح الى حال سبيله فقالت الدلالة بحياتي عندكن تدعنه ينام عندنا فنضحك عليه فانه خليع ظريف فقلن له تبيت عندنا بشرط ان تدخل تحت الحكم ومهما رأيته لا تسأل عنه ولا عن سببه فقال نعم فقلن قم واقرأ ما على الباب مكتوبا فقام الى الباب فوجد مكتوبا عليه بماء الذهب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال الحمال اشهدوا اني لا اتكلم فيما لا يعنيني ثم قامت الدلالة جهزت لهم ماكولا فاكلوا ثم اوقدوا الشمع والعود وقعدوا في اكل وشرب واذا هم سمعوا دق الباب فلم يختل نظامهم فقامت واحدة منهم الى الباب ثم عادت وقالت قد كمل صفانا في هذه الليلة

لانی وجدت بالباب ثلاثة اعجام ذقونهم محلوقة وهم الثلاثة عور بالعين الشمال وهذا من اعجب الاتفاق
وهم ناس غرباء قد حضروا من ارض الروم ولكل واحد منهم شكل وصورة مضحكة فان دخلوا نضحك
عليهم ولم تزل تتلطف بصاحبتيها حتى قالتا لها ادعيهم يدخلون واشرطي عليهم ان لا يتكلموا فيما
لا يعنيهم فيسمعوا ما لا يرضيهم ففرحت وراحت ثم عادت ومعها الثلاثة العور ذقونهم محلوقة وشواربهم
مبرومة ممشوقة وهم صعاليك فسلموا وتأخروا فقام لهم البنات واقعدوهم فنظر الثلاثة رجال الى الحمال
فوجدوه سكران فلما عاينوه ظنوا انه منهم وقالوا هو صعلوك مثلنا يؤانسنا فلما سمع الحمال هذا الكلام
قام وقلب عينيه وقال لهم اقعدوا بلا فضول اما قرأتم ما على الباب فضحك البنات وقلن لبعضهن
اننا نضحك بين الصعاليك والحمال ثم وضعن الاكل للصعاليك فاكلوا ثم جلسوا يتنادمون والبوابة
تسقيهم ولما دار الكاس بينهم قال الحمال للصعاليك يا اخوتنا هل معكم حكاية او نادرة تسلونا بها فدبت
فيهم الحرارة وطلبوا الات اللهو فاحضرت لهم البوابة دفا موصليا وعودا عراقيا وجنكا عجميا فقام
الصعاليك واقفين واخذ واحد منهم الدف واخذ واحد العود واخذ واحد الجنك وضربوا بها وغنت البنات
وصار لهم صوت عال فبينما هم كذلك واذا بطارق يطرق الباب فقامت البوابة لتنظر من بالباب وكان
السبب في دق الباب ان في تلك الليلة نزل الخليفة هارون الرشيد لينظر ويسمع ما يتجدد من الاخبار هو
وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته وكان من عادته ان يتنكر في صفة التجار فلما نزل تلك الليلة ومشى
في المدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا آلات الملاهي فقال الخليفة لجعفر اني اريد ان ندخل هذه
الدار ونشاهد صاحب هذه الاصوات فقال جعفر هؤلاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى ان يصيبنا
منهم شر فقال لا بد من دخولنا واريد ان تحتال حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعا وطاعة ثم تقدم جعفر
وطرق الباب فخرجت البوابة وفتحت الباب فقال لها يا سيدتي نحن تجار من طبرية ولنا في بغداد عشرة
ايام ومعنا تجارة ونحن نازلون في خان التجار وعزم علينا تاجر في هذه الليلة فدخلنا عنده وقدم لنا طعاما
فاكلنا ثم تنادمنا عنده ساعة ثم اذن لنا بالانصراف فخرجنا بالليل ونحن غرباء فتهنا عن الخان الذي
نحن فيه فرجوا من مكارمكم ان تدخلونا هذه الليلة نبيت عندكم ولكم الثواب فنظرت البوابة اليهم
فوجدتهم بهيئة التجار وعليهم الوقار فدخلت لصاحبتيها وشاورتهما فقالتا لها ادخليهم فرجعت
وفتحت لهم الباب فقالوا لها ندخل باذنك قالت ادخلوا فدخل الخليفة وجعفر ومسرور فلما رأتهم البنات
قمن لهم وخدمنهم وقلن مرحبا واهلا وسهلا باضيافنا ولنا عليكم شرط ان لا تتكلموا فيما لا يعنيكم
فتسمعوا ما لا يرضيكم قالوا نعم وبعد ذلك جلسوا للشراب والمنادمة فنظر الخليفة الى الثلاثة الصعاليك
فوجدهم عورا بالعين الشمال فتعجب منهم ونظر الى البنات وما هم فيه من الحسن والجمال فتحير وتعجب
واستمروا في المنادمة والحديث واتين الخليفة بشراب فقال انا حاج وانعزل عنهم فقامت البوابة وقدمت
له صفرة مزركشة ووضعت عليها باطية من الصيني وسكبت فيها ماء الخلاف وارخت فيه قطعة من الثلج
ومزجته بسكر فشكرها الخليفة وقال في نفسه لا بد ان اجازيها في غد على فعلها من صنيع الخير
ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت صاحبة البيت وخدمتهم ثم اخذت بيد الدلالة وقالت
يا اختي قومي لنقضي ديننا فقالت لها نعم فعند ذلك قامت البوابة واطلعت الصعاليك خلف الابواب
قدامهن وذلك بعد ان اخلت وسط القاعة ونادين الحمال وقلن له ما اقل مودتك ما انت غريب بل انت من
اهل الدار فقام الحمال وشد وسطه وقال ما تريدن فقالت قف مكانك ثم قامت الدلالة وقالت للحمال

ساعدفي فرأى كلبتين من الكلاب السود في رقبتيهما جنازير فاخذهما الحمال ودخل بهما الى وسط القاعة فقامت صاحبة المنزل وشمرت عن معصمها واخذت سوطا وقالت للحمال قدم كلبة منهما فجرها في الجنزير وقدمها والكلبة تبكي وتحرك رأسها الى الصبية فنزلت الصبية عليها بالضرب على رأسها والكلبة تصرخ ولازالت تضربها حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها ثم ضمت الكلبة الى صدرها ومسحت دموعها وقبلت رأسها ثم قالت للحمال ردها وهات الثانية فجاء بها وفعلت بها مثل مافعلت بالاولى فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة وضاق صدره وغمز جعفر ان يسألها فقال له بالاشارة اسكت ثم التفتت صاحبة البيت للبوابة وقالت لها قومي لقضاء ما عليك قالت نعم ثم ان صاحبة البيت صعدت على سرير من المرمر مصفح بالذهب والفضة وقالت للبوابة والدلالة ائتيا بما عندكما فاما البوابة فانها صعدت على سرير بجانبها واما الدلالة فانها دخلت مخدعا واخرجت منه كيسا من الاطلس بأهداب خضر ووقفت قدام الصبية صاحبة المنزل ونفضت الكيس واخرجت منه عودا واصلحت اوتاره وانشدت هذه الابيات

ردوا على جفني النوم الذي سلبا ✻ وخبروني بعقلي اية ذهبا
علمت لما رضيت الحب منزلة ✻ ان المنام على جفني قد غضبا
قالوا عهدناك من اهل الرشاد فما ✻ اغواك قلت اطلبوا من لحظه السببا
اني له عن دمي المسفوك معتذر ✻ اقول حملته في سفكه تعبا
القى بمرآة فكري شمس صورته ✻ فعكسها شب في احشائي اللهبا
من صاغه الله من ماء الحياة وقد ✻ اجرى بقيته في ثغره شنبا
ماذا ترى في محب ماذكرت له ✻ الاشكا او بكى او حن او طربا
يرى خيالك في الماء الزلال اذا ✻ رام الشراب فيروى وهو ماشربا

وانشدت ايضا

سكرت من لحظه لامن مدامته ✻ ومال بالنوم عن عيني تمايله
فما السلاف سلتني بل سوالفه ✻ وما الشمول شلتني بل شمائله
لوى بعزمي اصداغ لوين له ✻ وغال عقلي بما تحوى غلائله

فلما سمعت الصبية ذلك قالت طيبك الله ثم شقت ثيابها ووقعت على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها رأى الخليفة عليه اثر ضرب المقارع والسياط فتعجب من ذلك غاية العجب فقامت البوابة ورشت الماء على وجهها واتت اليها بحلة والبستها اياها فقال الخليفة لجعفر اما تنظر الى هذه المرأة وما عليها من اثر الضرب فانا لا اقدر ان اسكت على هذا ولا استريح الا ان وقفت على حقيقة خبر هذه الصبية وحقيقة خبر هاتين الكلبتين فقال جعفر يامولانا قد شرطوا علينا شرطا وهو ان لانتكلم الافيما يعنينا فنسمع مالايرضينا ثم قامت الدلالة فاخذت العود واسندته الى نهدها وغمزته بانامله وانشدت تقول

ان شكونا الهوى فماذا تقول ✻ او تلفنا شوقا فماذا السبيل
او بعثنا رسولنا يترجم عنا ✻ مايؤدي شكوى المحب رسول
او صبرنا فمالنا من بقاء ✻ بعد فقد الاحباب الاقليل

ليس الا تأسفا ثم حزنا * ودموعا على الخدود تسيل
ايها الغائبون عن لمح عينى * وهم فى الفؤاد منى حلول
هل حفظتم فى الهوى عهد صب * ليس عنه مدى الزمان يحول
ام نسيتم على التباعد صبا * شفه فيكم الضنى والنحول
واذا الحشر ضمنا اتمنى * من لدن ربنا حسابا يطول

فلما سمعت المرأة الثانية شعر الدلالة شقت ثيابها كما فعلت الاولى وصرخت ثم القت نفسها على الارض مغشيا عليها فقامت الدلالة والبستها حلة ثانية بعد ان رشت الماء على وجهها ثم قامت المرأة الثالثة وجلست على سرير وقالت للدلالة غنى لى لاوفى دينى فما بقى غير هذا الصوت فاصلحت الدلالة العود وانشدت هذه الابيات

فالى متى هذا الصدود وذا الجفا * فلقد جرى من ادمعى ما قد كفى
كم قد اطلت الهجر لى متعمدا * ان كان قصدك حاسدى فقد اشتفى
لو انصف الدهر الخؤون لعاشق * ما كان يوما للعواذل منصفا
فلمن ابوح بصبوتى يا قاتلى * يا خيبة الشاكى اذا فقد الوفا
ويزيد وجدى فى هواك تلهفا * فمتى وعدت ولا رأيتك مخلفا
يا مسلمون خذوا بثار متيم * الف السهاد لديه طرفا ما غفا
ايحل فى شرع الغرام تذللى * ويكون غيرى بالوصال مشرفا
ولقد كلفت بحبكم متلذذا * وغدا عذولى فى الهوى متكلفا

فلما سمعت المرأة الثالثة قصيدتها صرخت وشقت ثيابها والقت نفسها على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها ظهر فيه اثر ضرب المقارع مثل من قبلها فقال الصعاليك ليتنا ما دخلنا هذه الدار وكنا بتنا على الكيمان فقد تكدر مبيتنا هنا بشئ يقطع الصلب فالتفت الخليفة اليهم وقال لهم لم ذلك قالوا قد اشتغل سرنا بهذا الامر فقال الخليفة اما انتم من هذا البيت قالوا لا ولا ظننا هذا الموضع الا للرجل الذى عندكم فقال الحمال والله ما رايت هذا الموضع الا هذه الليلة وليتنى بت على الكيمان ولم ابت فيه فقال الجميع نحن سبعة رجال وهن ثلاث نسوة وليس لهن رابعة فنسألهن عن حالهن فان لم يجبننا طوعا اجبننا كرها واتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ما هذا رأى سديد دعوهن فنحن ضيوف عندهن وقد شرطن علينا شرطا فنوفى به ولم يبق من الليل الا القليل وكل منا يمضى الى حال سبيله ثم انه غمز الخليفة وقال ما بقى غير ساعة وفى غد نحضرهن بين يديك فتسألهن عن قصتهن فابى الخليفة وقال لم يبق لى صبر عن خبرهن وقد كثر بينهن القيل والقال ثم قالوا من يسألهن فقال بعضهم الحمال ثم قال لهم النساء يا جماعة فى اى شئ تتكلمون فقام الحمال لصاحبة البيت وقال لها يا سيدتى سألتك بالله واقسم عليك به ان تخبرينا عن حال الكلبتين واى سبب تعاقبينهما ثم تعودين تبكين وتقبلينهما وان تخبرينا عن سبب ضرب اختك بالمقارع وهذا سؤالنا والسلام فقالت صاحبة المكان للجماعة اصحيح ما يقوله عنكم فقال الجميع نعم الا جعفر فانه سكت فلما سمعت الصبية كلامهم قالت والله لقد آذيتمونا يا ضيوفنا الاذية البالغة وتقدم لنا اننا شرطنا عليكم ان من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه اما كفى اننا ادخلناكم منزلنا واطعمناكم زادنا ولكن لا ذنب لكم وانما الذنب لمن اوصلكم الينا ثم شمرت

عن

عن معصمها وضربت الارض ثلاث ضربات وقالت عجلوا واذا بباب خزانة قد فتح وخرج منه سبعة عبيد وبايديهم سيوف مسلولة فقالت كتفوا هؤلاء الكثير كلامهم واربطوا بعضهم ببعض ففعلوا وقالوا ايتها المخدرة أتأذني لنا في ضرب رقابهم فقالت امهلوهم ساعة حتى اسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم فقال الحمال بالله ياسيدتي لا تقتليني بذنب الغير فان الجميع اخطؤا ودخلوا في الذنب الا انا والله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هؤلاء الصعاليك الذين لو دخلوا مدينة عامرة لاخربوها ثم انشد يقول

ما احسن العفو عن قادر * لا سيما عن غير ذي ناصر
بحرمة الود الذي بيننا * لا تقتل الاول بالآخر

فلما فرغ الحمال من كلامه ضحكت الصبية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصبية لما ضحكت بعد غيظها اقبلت على الجماعة وقالت اخبروني بخبركم فما بقي من عمركم الا ساعة ولولا انتم اعزاء او اكابرة ومكم او حكام لعجلت جزاءكم فقال الخليفة ويلك يا جعفر عرفها بنا والا تقتلنا فقال جعفر من بعض ما نستحق فقال له الخليفة لا ينبغي الهزل في وقت الجد كل منهما له وقت ثم ان الصبية اقبلت على الصعاليك وقالت لهم هل انتم اخوة فقالوا لها لا والله ما نحن الا فقراء الحجام فقالت لواحد منهم هل انت ولدت اعور فقال لا والله وانما قد جرى لي امر عجيب حين تلفت عيني ولهذا الامر حكاية لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فسألت الثاني والثالث فقالا لها مثل الاول ثم قالوا ان كل واحد منا من بلد وان حديثنا عجيب وامرنا غريب فالتفتت الصبية لهم وقالت كل واحد منكم يحكي حكايته وما سبب مجيئه الى مكاننا ثم يملس على رأسه ويروح الى حال سبيله فاول من تقدم الحمال فقال ياسيدتي انا رجل حمال حملتني هذه الدلالة واتت بي هنا وجرى لي معكن ما جرى وهذا حديثي والسلام فقالت له ملس على رأسك وروح فقال والله ما اروح حتى اسمع حديث رفقائي فتقدم الصعلوك الاول وقال لها ياسيدتي اعلمي ان سبب حلق ذقني وتلف عيني ان والدي كان ملكا وله اخ وكان اخوه ملكا في مدينة اخرى واتفق ان امي ولدتني في اليوم الذي ولد فيه ابن عمي ثم مضت سنون واعوام وايام حتى كبرنا وكنت ازور عمي في بعض السنين واقعد عنده اشهرا عديدة فزرته مرة فاكرمني ابن عمي غاية الاكرام وذبح لي الاغنام وروق لي المدام وجلسنا للشراب فلما تحكم الشراب فينا قال لي ابن عمي يا ابن عمي ان لي عندك حاجة مهمة واريد ان لا تخالفني فيما اريد ان افعله فقلت له حبا وكرامة فاستوثق مني بالايمان العظام ونهض من وقته وساعته وغاب قليلا ثم عاد وخلفه امرأة مزينة مطيبة وعليها من الحلل ما يساوي مبلغا عظيما فالتفت الي والمرأة خلفه وقال خذ هذه المرأة واسبقني على الجبانة الفلانية ووصفها لي فعرفتها وقال لي ادخل بها التربة وانتظرني هناك فلم يمكنني المخالفة ولم اقدر على رد سؤاله لاجل اليمين الذي حلفته فاخذت المرأة وسرت الى ان دخلت التربة انا واياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمي ومعه طاسة فيها ماء وكيس فيه جبس وقادوم ثم انه اخذ القادوم وجاء الى قبر في وسط التربة ففكه ونقض احجاره الى ناحية التربة ثم حفر بالقادوم في الارض حتى كشف عن طابق قدر الباب الصغير فبان من تحت الطابق سلم معقود ثم التفت الى المرأة بالاشارة وقال لها دونك وما تختاري فنزلت المرأة على ذلك السلم ثم التفت الي وقال يا ابن عمي تمم المعروف اذا نزلت انا في ذلك الموضع فرد الطابق ورد

عليه التراب كما كان وهذا تمام المعروف وهذا الجبس الذى فى الكيس وهذا الماء الذى فى الطاسة اعجن منه الجبس وجبس القبر فى دائر الاحجار كما كان اولا حتى لايعرفها احد ولا يقول هذا فتح جديد وبطنه عتيق لان لى سنة كاملة وانا اعمل فيه ومايعلم به الا الله وهذه حاجتى عندك ثم قال لى لا اوحش الله منك يا ابن عمى ثم نزل على السلم فلما غاب عن عينى قمت ورددت الطابق وفعلت ما امرنى به حتى صار القبر كما كان ثم رجعت الى قصر عمى وكان عمى فى الصيد والقنص فنمت تلك الليلة فلما اصبح الصباح تذكرت الليلة الماضية وماجرى فيها بينى وبين ابن عمى وندمت على مافعلت معه حيث لا ينفع الندم ثم خرجت الى المقابر وفتشت على التربة فلم اعرفها ولم ازل افتش حتى اقبل الليل ولم اهتد اليها فرجعت الى القصر ولم آكل ولم اشرب وقد اشتغل خاطرى بابن عمى من حيث لا اعلم له حالا فاغتممت غما شديدا وبت ليلتى مغموما الى الصباح فجئت ثانيا الى الجبانة وانا افكر فيما فعله ابن عمى وندمت على سماعى منه وقد فتشت فى الترب جميعا فلم اعرف تلك التربة ولازمت التفتيش سبعة ايام فلم اعرف له طريقا فزاد بى الوسواس حتى كدت ان اجن فلم اجد فرجا دون ان سافرت ورجعت الى ابى فساعة وصولى الى مدينة ابى نهض الى جماعة على باب المدينة وكتفونى فتعجبت كل العجب لانى ابن سلطان المدينة وهم خدم ابى وغلمانى ولحقنى منهم خوف زائد فقلت فى نفسى ياترى ماجرى على والدى وصرت اسأل الذين كتفونى عن سبب ذلك فلم يردوا على جوابا ثم بعد حين قال لى بعضهم وكان خادما عندى ان اباك قد غدر به الزمان وخانته العساكر وقتله الوزير ونحن نترقب وقوعك فاخذونى وانا غائب عن الدنيا بسبب هذه الاخبار التى سمعتها عن ابى فلما تمثلت بين يدى الوزير الذى قتل ابى وكان بينى وبينه عداوة قديمة وسبب تلك العداوة انى كنت مولعا بضرب البندق فاتفق انى كنت واقفا يوما من الايام على سطح قصرى واذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفا هناك فاردت ان اضرب الطير واذا بالبندقة اخطات الطير واصابت عين الوزير فاتلفتها بالقضاء والقدر كما قال الشاعر

دع الاقدار تفعل ماتشاء * وطب نفسا بما فعل القضاء
ولا تفرح ولا تحزن بشئ * فان الشئ ليس له بقاء

وكما قال الآخر

مشيناها خطى كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كانت منيته بارض * فليس يموت فى ارض سواها

ثم قال ذلك الصعلوك فلما اتلفت عين الوزير لم يقدر ان يتكلم لان والدى كان ملك المدينة فهذا سبب العداوة بينى وبينه فلما وقفت قدامه وانا مكتف امر بضرب عنقى فقلت له اتقتلنى بغير ذنب فقال اى ذنب اعظم من هذا واشار الى عينه المتلفة فقلت له فعلت ذلك خطأ فقال ان كنت فعلته خطأ فانا افعله بك عمدا ثم قال قدموه بين يدى فقدمونى بين يديه فدا اصبعه فى عينى الشمال فاتلفها فصرت من ذلك الوقت اعور كما ترونى ثم كتفنى ووضعنى فى صندوق وقال للسياف تسلم هذا واشهر حسامك وخذه واذهب به الى خارج المدينة واقتله ودعه للوحوش تاكله فذهب بى السياف وسار حتى خرج من المدينة واخرجنى من الصندوق وانا مكتوف اليدين مقيد الرجلين واراد ان يغمى عينى ويقتلنى فبكيت وانشدت هذه الابيات

جعلتكم درعا حصينا لتمنعوا * سهام العدا عنى فكنتم نصالها
وكنت ارجى عند كل ملمة * تخص يمينى ان تكون شمالها

دعوا

دعوا قصة العذال عنى بمعزل * وخلوا العدى ترمى الى نبالها
اذا لم تقوا نفسى مكايدة العدى * فكونوا سكوتا لا عليها ولا لها

وانشدت ايضا هذه الابيات

واخوان تخذتهموا دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهموا سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى * لقد صدقوا ولكن فى فسادى

فلما سمع السياف شعرى وكان سياف ابى ولى عليه الاحسان قال يا سيدى كيف افعل وانا عبد مأمور ثم قال لى فز بعمرك ولا تعد الى هذه الارض فتهلك وتهلكنى معك كما قال الشاعر

ونفسك فز بها ان خفت ضيما * وخل الدار تنعى من بناها
فانك واجد ارضا بارض * ونفسك لم تجد نفسا سواها
عجبت لمن يعيش بدار ذل * وارض الله واسعة فلاها
ومن كانت منيته بارض * فليس يموت فى ارض سواها
وما غلظت رقاب الاسد حتى * بانفسها تولت ما عناها

فلما قال لى ذلك قبلت يديه وما صدقت بالنجاة حتى فررت وهان على تلف عينى بنجاتى من القتل وسافرت حتى وصلت الى مدينة عمى فدخلت عليه واعلمته بما جرى لوالدى وبما جرى لى من تلف عينى فبكا بكاء شديدا وقال لقد زدتنى هما على همى وغما على غمى فان ابن عمك قد فقد منذ ايام ولم اعلم ما جرى له ولم يخبرنى احد بخبره وبكى حتى اغمى عليه فلما استفاق قال يا ولدى قد حزنت على ابن عمك حزنا شديدا وانت زدتنى بما حصل لك ولابيك غما على غمى ولكن يا ولدى بعينك ولا بروحك ثم انى لم يمكننى السكوت عن ابن عمى الذى هو ولده فاعلمته بالذى جرى له كله ففرح عمى بما قلته له فرحا شديدا عند سماع خبر ابنه وقال ارنى التربة فقلت والله يا عمى لم اعرف مكانها لانى رحت بعد ذلك مرات لافتش عليها فلم اعرف مكانها ثم ذهبت انا وعمى الى الجبانة ونظرت يمينا وشمالا فعرفتها ففرحت انا وعمى فرحا شديدا ودخلت انا واياه التربة وازحنا التراب ورفعنا الطابق ونزلت انا وعمى مقدار خمسين درجة فلما وصلنا الى آخر السلم واذا بدخان طلع علينا فغشى ابصارنا فقال عمى الكلمة التى لا يخاف قائلها وهى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم مشينا واذا نحن بقاعة ممتلئة دقيقا وحبوبا ومأكولا وغير ذلك ورأينا فى وسط القاعة ستارة مسبولة على سرير فنظر عمى الى السرير فوجد ابنه هو والمرأة التى قد نزلت معه صارا فحما اسود وهما متعانقان كانهما القيا فى جب نار فلما نظر عمى ذلك بصق فى وجهه وقال تستحق يا خبيث فهذا عذاب الدنيا وبقى عذاب الآخرة وهو اشد وابقى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصعلوك قال للصبية والجماعة والخليفة وجعفر يسمعون الكلام ثم ان عمى ضرب ولده بالنعال وهو راقد كالفحم الاسود فتعجبت من ضربه وحزنت على ابن عمى حيث صار هو والصبية فحما اسود ثم قلت بالله يا عمى خفف الهم عن قلبك فقد اشتغل سرى وخاطرى

بما قد جرى لولدك وكيف صار هو والصبية فحما اسود اما يكفيك ما هو فيه حتى تضربه بالنعال فقال يا ابن اخى ان ولدى هذا كان من صغره مولعا بحب اخته وكنت انهاه عنها واقول فى نفسى انهما صغيران فلما كبرا وقع بينهما القبيح وسمعت بذلك ولم اصدق ولكنى زجرته زجرا بليغا وقلت له احذر من هذه الفعال القبيحة التى لم يفعلها احد قبلك ولا يفعلها احد بعدك والا تبقى بين الملوك بالعار والنقصان الى الممات وتشيع اخبارنا مع الركبان واياك ان تصدر منك هذه الفعال فانى اسخط عليك واقتلك ثم حجبته عنها وحجبتها عنه وكانت الخبيثة تحبه محبة عظيمة وقد تمكن الشيطان منهما فلما رآنى حجبته فعل هذا المكان الذى تحت الارض خفية ونقل فيه المأكول كما تراه واستغفلنى لما خرجت الى الصيد واتى هذا المكان فغار عليه وعليها الحق سبحانه وتعالى واحرقهما ولعذاب الآخرة اشد وابقى ثم بكى وبكيت معه وقال لى انت ولدى عوضا عنه ثم انى تفكرت ساعة فى الدنيا وحوادثها من قتل الوزير والدى واخذه مكانه وتلف عينى وما جرى لابن عمى من الحوادث الغريبة فبكيت ثم اننا صعدنا ورددنا الطابق والتراب وعملنا القبر كما كان ثم رجعنا الى منزلنا فلم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورمحت الابطال وامتلأت الدنيا بالعجاج والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسأل الملك عن الخبر فقيل ان وزير اخيك قتله وجميع العسكر والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة فى غفلة واهل المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا اليه فقلت فى نفسى متى وقعت انا فى يده قتلنى وتراكمت على الاحزان وتذكرت الحوادث التى حدثت لابى وامى ولم اعرف كيف العمل فان ظهرت عرفنى اهل المدينة وعسكر ابى فيسعون فى قتلى وهلاكى فلم اجد شيأ انجو به الا حلق ذقنى فحلقتها وغيرت ثيابى وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة والسلام لعل احدا يوصلنى الى امير المؤمنين وخليفة رب العالمين حتى احكى له قصتى وما جرى لى فوصلت الى هذه المدينة فى هذه الليلة فوقفت حائرا ولم ادر اين امضى واذا بهذا الصعلوك واقف فسلمت عليه وقلت له انا غريب فقال وانا غريب ايضا فبينما نحن كذلك واذا برفيقنا هذا الثالث جاءنا وسلم علينا وقال انا غريب فقلنا له ونحن غريبان فمشينا وقد هجم علينا الظلام فساقنا القدر اليكم وهذا سبب حلق ذقنى وتلف عينى فقالت الصبية ملس على رأسك وروح فقال لها لا اروح حتى اسمع خبر غيرى فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر والله انا ما رأيت مثل الذى جرى لهذا الصعلوك ثم تقدم الصعلوك الثانى وقبل الارض وقال يا سيدتى انا ما ولدت اعور وانما لى حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فانا ملك ابن ملك وقرأت القرآن على سبع روايات وقرأت الكتب على اربابها من مشايخ العلم وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء واجتهدت فى سائر العلوم حتى فقت اهل زمانى فعظم حظى عند سائر الكتبة وشاع ذكرى فى سائر الاقاليم والبلدان وشاع خبرى عند سائر الملوك فسمع بى ملك الهند فارسل يطلبنى من ابى وارسل اليه هدايا وتحفا تصلح للملوك فجهزنى ابى فى ست مراكب وسرنا فى البحر مدة شهر كامل حتى وصلنا الى البر واخرجنا خيلا كانت معنا فى المركب وحملنا عشرة جمال هدايا ومشينا قليلا واذا بغبار قد علا وثار حتى سد الاقطار واستمر ساعة من النهار ثم انكشف فبان من تحته ستون فارسا وهم ليوث عبوس فتأملناهم واذا هم عرب قطاع طريق فلما راونا ونحن نفر قليل ومعنا عشرة احمال هدايا لملك الهند رمحوا علينا واشرعوا الرماح بين ايديهم نحونا فاشرنا اليهم بالاصابع وقلنا لهم نحن رسل الى ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن لسنا فى ارضه ولا تحت حكمه ثم انهم قتلوا بعض الغلمان وهرب الباقون وهربت انا بعد ان جرحت جرحا بليغا واشتغلت عنا العرب بالمال والهدايا التى كانت معنا فسرت لا ادرى اين اذهب وكنت عزيزا

فصرت ذليلا وسرت الى ان اتيت رأس الجبل فدخلت مغارة حتى طلع النهار ثم سرت منها حتى وصلت الى مدينة عامرة بالخير قدولى عنها الشتاء ببرده واقبل عليها الربيع بورده ففرحت بوصولى اليها وقد تعبت من المشى وعلانى الهم والاصفرار فتغيرت حالتى ولا ادرى اين اسلك فملت الى خياط فى دكان وسلمت عليه فرد على السلام ورحب بى وباسطنى وسئلنى عن سبب غربتى فاخبرته بما جرى لى من اوله الى آخره فاغتم لاجلى وقال يا فتى لا تظهر ما عندك فانى اخاف عليك من ملك هذه المدينة لانه اكبر اعداء ابيك وله عنده ثار ثم احضر لى ماكولا ومشروبا فاكلت واكل معى وتحادثت معه فى الليل واخلالى محلا فى جانب حانوته واتانى بما احتاج اليه من فراش وغطاء فاقمت عنده ثلاثة ايام ثم قال لى اما تعرف صنعة تكتسب بها فقلت له انى فقيه طالب علم كاتب حاسب فقال ان صنعتك كاسدة فى بلادنا وليس فى مدينتنا من يعرف علما ولا كتابة غير المال فقلت والله لا ادرى شيئا غير الذى ذكرته لك فقال شد وسطك وخذ فاسا وحبلا واحتطب من البرية حطبا تتقوت به الى ان يفرج الله عليك ولا تعرف احدا بنفسك فيقتلوك ثم اشترى لى فاسا وحبلا وارسلنى مع بعض الحطابين واوصاهم على فخرجت معهم واحتطبت فاتيت بحمل على رأسى فبعته بنصف دينار فاكلت ببعضه وابقيت بعضه ودمت على هذا الحال مدة سنة ثم بعد السنة ذهبت يوما على عادتى الى البرية لاحتطب منها ودخلتها فوجدت فيها خميلة اشجار فيها حطب كثير فدخلت الخميلة واتيت شجرة وحفرت حولها وازلت التراب عن جدارها فاصطكت الفاس فى حلقة نحاس فنظفت التراب واذا هى فى طابق من خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت الى اسفل السلم فرأيت بابا فدخلته فرأيت قصرا محكم البنيان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفى عن القلب كل هم وغم وبلية فلما نظرت اليها سجدت لخالقها لما ابدع فيها من الحسن والجمال فنظرت الى وقالت لى انت انسى ام جنى فقلت لها انسى فقالت ومن اوصلك الى هذا المكان الذى لى فيه خمسة وعشرون سنة ما رأيت فيه انسيا ابدا فلما سمعت كلامها وجدت له عذوبة وقلت لها ياسيدتى اوصلنى الله الى منزلك ولعله يزيل همى وغمى وحكيت لها ما جرى لى من الاول الى الآخر فصعب عليها حالى وبكت وقالت انا الاخرى اعلمك بقصتى فاعلم انى بنت ملك اقصى الهند صاحب جزيرة الابنوس وكان قد زوجنى بابن عمى فاختطفنى ليلة زفافى عفريت اسمه جرجريس ابن رجموس ابن ابليس فطار بى ونزل فى هذا المكان ونقل فيه كل ما احتاج اليه من الحلى والحلل والقماش والمتاع والطعام والشراب وفى كل عشرة ايام يجيئنى مرة فيبيت هنا ليلة وعاهدنى اذا عرضت لى حاجة ليلا او نهارا ان المس بيدى هذين السطرين المكتوبين على القبة فما ارفع يدى حتى اراه عندى ومنذ كان عندى له اليوم اربعة ايام وبقى له ستة ايام حتى يأتى فهل لك ان تقيم عندى خمسة ايام ثم تنصرف قبل مجيئه بيوم فقلت نعم ففرحت ثم نهضت على اقدامها واخذت بيدى وادخلتنى من باب مقنطر وانتهت بى الى حمام لطيف ظريف فلما رأيته خلعت ثيابى وخلعت ثيابها ودخلت فجلست على مرتبة واجلستنى معها واتت بسكر ممسك وسقتنى ثم قدمت لى ماكولا فاكلنا وتحادثنا ثم قالت لى نم واسترح فانك تعبان فنمت ياسيدتى وقد نسيت ما جرى لى وشكرتها فلما انتبهت وجدتها تكبس رجلى فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة ثم قالت والله انى كنت ضيقة الصدر وانا تحت الارض وحدى ولم اجد من يحدثنى خمسة وعشرين سنة فالحمد لله الذى ارسلك الى ثم انشدت

لو علمنا مجيئكم لفرشنا * مهجة القلب او سواد العيون

وفرشنا خدودنا والتقينا * ليكون المسير فوق الجفون

فلما سمعت شعرها شكرتها وقد تمكنت محبتها في قلبي وذهب عني همي وغمي ثم جلسنا في منادمة الى الليل فبت معها ليلة ما رأيت مثلها في عمري واصبحنا مسرورين فقلت لها هل اطلعك من تحت الارض واريحك من هذا الجني فضحكت وقالت اقنع واسكت ففي كل عشرة ايام يوم للعفريت وتسعة لك فقلت وقد غلب علي الغرام فانا في هذه الساعة اكسر هذه القبة التي عليها النقش المكتوب لعل العفريت يجيء حتى اقتله فاني موعود بقتل العفاريت فلما سمعت كلامي انشدت تقول

يا طالبا للفراق مهلا * بحيلة قد كفى اشتياق

اصبر فطبع الزمان غدر * وآخر الصحبة الفراق

فلما سمعت شعرها لم التفت لكلامها بل رفصت القبة رفصا قويا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الصعلوك الثاني قال للصبية يا سيدتي لما رفصت القبة رفصا قويا قالت لي المرأة ان العفريت قد وصل الينا اما حذرتك من هذا والله لقد آذيتني ولكن انج بنفسك واطلع من المكان الذي جئت منه فمن شدة خوفي نسيت نعلي وفاسي فلما طلعت درجتين التفت لانظرهما فرأيت الارض قد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر بشع وقال ما هذه الزعجة التي ارعشتيني بها فما مصيبتك فقالت ما اصابني شيء غير ان صدري ضاق فاردت ان اشرب شرابا يشرح صدري فنهضت لاقضي اشغالي فوقعت على القبة فقال لها العفريت تكذبين يا فاجرة ونظر في القصر يمينا وشمالا فرأى النعل والفاس فقال لها ما هذا الا متاع الانس من جاء اليك فقالت ما نظرتهما الا في هذه الساعة ولعلهما تعلقا معك فقال العفريت هذا كلام محال لا ينطلي علي يا عاهرة ثم انه اعراها وصلبها بين اربعة اوتاد وجعل يعاقبها ويقررها بما كان فلم يهن علي ان اسمع بكاءها فطلعت من السلم مذعورا من الخوف فلما وصلت الى اعلى الموضع رددت الطابق كما كان وسترته بالتراب وندمت على ما فعلت غاية الندم وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون وهي لها معه خمسة وعشرون سنة وما عاقبها الا بسببي وتذكرت ابي ومملكته وكيف صرت حطابا فقلت هذه الابيات

اذا ما اتاك الدهر يوما بنكبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

ثم مشيت الى ان اتيت رفيقي الخياط فلقيته من اجلي على مقالي النار وهو لي في الانتظار فقال لي بت البارحة وقلبي عندك وخفت عليك من وحش او غيره فالحمد لله على سلامتك فشكرته على شفقته علي ودخلت خلوتي وجعلت اتفكر فيما جرى لي والوم نفسي على رفصي هذه القبة واذا بصديقي الخياط دخل علي وقال لي في الدكان شخص اعجمي يطلبك ومعه فاسك ونعلك قد جاء بهما الى الخياطين وقال لهم اني خرجت وقت اذان المؤذن لاجل صلاة الفجر فعثرت بهما ولم اعلم لمن هما فدلوني على صاحبهما فدله الخياطون عليك وها هو قاعد في دكاني فاخرج اليه واشكره وخذ فاسك ونعلك فلما سمعت هذا الكلام اصفر لوني وتغير حالي فبينما انا كذلك واذا بارض محلي قد انشقت وطلع منها الاعجمي واذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشيء فاخذ الفاس والنعل وقال لها

ان كنت جرجريس من ذرية ابليس فانا اجيء بصاحب هذه الفاس والنعال ثم جاء بهذه الحيلة الى الخياطين ودخل على ولم يمهلنى بل اختطفنى وطار وعلا بى ونزل بى وغاص فى الارض وانا لا اعلم بنفسى ثم طلع بى القصر الذى كنت فيه فرأيت الصبية عريانة والدم يسيل من جوانبها فقطرت عيناى بالدموع فاخذها العفريت وقال لها يا عاهرة هذا عشيقك فنظرت الى وقالت له لا اعرفه ولا رأيته الا فى هذه الساعة فقال لها العفريت اهذه العقوبة ولم تقرى فقالت ما رأيته عمرى وما يحل من الله ان اكذب عليه فقال لها العفريت ان كنت لا تعرفينه فخذى هذا السيف واضربى عنقه فاخذت السيف وجاءتنى ووقفت على رأسى فاشرت لها بحاجبى ودمعى يجرى على وجنتى ففهمت وغمزتنى وقالت انت الذى فعلت بنا هذا كله فاشرت لها ان هذا وقت العفو ولسان حالى يقول

يترجم طرفى عن لسانى لتعلموا * ويبدو لكم ما كان صدرى يكتم
ولما التقينا والدموع سواجم * خرست وطرفى بالهوى يتكلم
تشير لنا عما تقول بطرفها * واومى اليها بالبنان فتفهم
حواجبنا تقضى الحوائج بيننا * فنحن سكوت والهوى يتكلم

فلما فهمت الصبية اشارتى رمت السيف من يدها يا سيدتى فناولنى العفريت السيف وقال لى اضرب عنقها وانا اطلقك ولا انكد عليك فقلت نعم واخذت السيف وتقدمت بنشاط ورفعت يدى فقالت لى بحاجبها انا ما قصرت فى حقك فهملت عيناى بالدموع ورميت السيف من يدى وقلت ايها العفريت الشديد والبطل الصنديد اذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين لم تستحل ضرب عنقى فكيف يحل لى ان اضرب عنقها ولم ارها عمرى فلا افعل ذلك ابدا ولو سقيت من الموت كأس الردى فقال العفريت انتما بينكما مودة ثم اخذ السيف وضرب يد الصبية فقطعها ثم ضرب الثانية فقطعها ثم قطع رجلها اليمين ثم قطع رجلها اليسار حتى قطع اربعها باربع ضربات وانا انظر بعينى فايقنت بالموت ثم اشارت الى بعينها فرآها العفريت فقال لها قد زنيت بعينك ثم ضربها فقطع رأسها والتفت الى وقال يا انسى نحن فى شرعنا اذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها وهذه الصبية اختطفتها ليلة عرسها وهى بنت اثنى عشر سنة ولم تعرف احدا غيرى وكنت اجيئها فى كل عشرة ايام ليلة واحدة فى زى رجل اعجمى فلما تحققت انها خانتنى قتلتها واما انت فلم اتحقق انك خنتنى فيها ولكن لابد انى ما اخليك فى عافية فتمن على اى ضرر ففرحت يا سيدتى غاية الفرح وطمعت فى العفو وقلت له وما اتمناه عليك قال تمن على اى صورة اسحرك فيها اما صورة كلب واما صورة حمار واما صورة قرد فقلت له وقد طمعت انه يعفو عنى والله ان عفوت عنى يعف الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يؤذك وتضرعت اليه غاية التضرع وبقيت بين يديه وقلت له انا مظلوم فقال لا تطل على الكلام اما القتل فلا تخف منه واما العفو عنك فلا تطمع فيه واما سحرك فلا بد منه ثم شق الارض وطار بى الى الجو حتى نظرت الى الدنيا كأنها قصعة ماء ثم حطنى على جبل واخذ قليلا من التراب وهمهم عليه وتكلم ورشنى وقال اخرج من هذه الصورة الى صورة قرد فمن ذلك الوقت صرت قردا ابن ماية سنة فلما رأيت نفسى فى هذه الصورة القبيحة بكيت على روحى وصبرت على جور الزمان وعلمت ان الزمان ليس لاحد وقد انحدرت من اعلى الجبل الى اسفل وقد سافرت مدة شهر ثم ذهبت الى شاطئ البحر المالح فوقفت ساعة واذا انا بمركب فى وسط البحر قد طاب ريحها وهى قاصدة البر فاختفيت خلف صخرة على جانب البحر وسرت الى ان اتيت وسط المركب فقال واحد منهم اخرجوا هذا المشؤوم من المركب

وقال واحد منهم نقتله وقال آخر اقتله بهذا السيف فامسكت طرف السيف وبكيت وسالت دموعي فحن علي الريس وقال لهم يا تجار ان هذا القرد استجار بي وقد اجرته وهو في جواري فلا احد يتعرض له ولا يشوش عليه ثم ان الريس صار يحسن الي ومهما تكلم به افهمه واقضي حوائجه كلها واخدمه في المركب وقد طاب لها الريح مدة خمسين يوما فرسينا على مدينة عظيمة وفيها عالم كثير لا يحصي عددهم الا الله تعالى فساعة وصولنا اوقفنا مركبنا فجاءتنا مماليك من طرف ملك المدينة فنزلوا المركب وهنوا التجار بالسلامة وقالوا ان ملكنا يهنيكم بالسلامة وقد ارسل اليكم هذا الدرج الورق وقال كل واحد منكم يكتب فيه سطرا فقمت وانا في صورة القرد وخطفت الدرج من ايديهم فخافوا اني اقطعه وارميه في الماء فنهروني وارادوا قتلي فاشرت لهم اني اكتب فقال لهم الريس دعوه يكتب فان لخبط الكتابة طردناه عنا وان احسنها اتخذته ولدا فاني ما رأيت قردا افهم منه ثم اخذت القلم واستمديت الحبر وكتبت سطرا بقلم الرقاع ورقمت هذا الشعر

لقد كتب الدهر فضل الكرام * وفضلك للآن لا يحسب
فلا ايتم الله منك الورى * لانك للفضل نعم الاب

وكتبت بالقلم الريحاني هذا الشعر

له قلم عم الاقاليم نفعه * وعم جميع العالمين منافع
وخمسة انهار انامله التي * تسيل على الاقطار خمس اصابع

وكتبت بقلم الثلث هذين البيتين

وما من كاتب الا سيفنى * ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء * يسرك في القيامة ان تراه

وكتبت تحته بقلم المشق هذين البيتين

اذا فتحت دواة العز والنعم * فاجعل مدادك من جود ومن كرم
واكتب بخير اذا ما كنت مقتدرا * بذاك شرفت فضلا نسبة القلم

ثم ناولتهم ذلك الدرج الورق فطلعوا به الى الملك فلما تأمل الملك ما في ذلك الدرج لم يعجبه خط احد الا خطي فقال لاصحابه توجهوا الى صاحب هذا الخط والبسوه هذه الحلة واركبوه بغلة وهاتوه بالنوبة واحضروه بين يدي فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب منهم ثم قال كيف امركم بامر فتضحكوا علي فقالوا ايها الملك ما نضحك على كلامك بل الذي كتب هذا الخط قرد وليس هو آدميا وهو مع ريس المركب فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب وقال اريد ان اشتري هذا القرد ثم بعث رسلا الى المركب ومعهم البغلة والحلة وقال لا بد ان تلبسوه هذه الحلة وتركبوه البغلة وتأتوا به فساروا الى المركب واخذوني من الريس والبسوني الحلة فاندهش الخلائق وصاروا يتفرجون علي فلما طلعوا بي الى الملك ورأيته قبلت الارض بين يديه ثلاث مرات فامرني بالجلوس فجلست على ركبتي فتعجب الحاضرون من ادبي وكان الملك اكثرهم تعجبا ثم ان الملك امر الخلق بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا الملك والطواشي ومملوك صغير وانا ثم امر الملك بطعام فقدموا سفرة طعام فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فاشار الي الملك ان كل فقمت وقبلت الارض بين يديه سبع مرات وجلست آكل معه وقد ارتفعت السفرة وذهبت فغسلت يدي واخذت الدواة والقلم والقرطاس وكتبت هذين البيتين

انا

اناجر الضأن ترياق من العلل * واصحن الحلو فيها منتهى املى
يا لهف قلبى على مد السماط اذا * ماجت كنافته بالسمن والعسل

وكتبت ايضا هذين البيتين

اليك اشتياقى يا كنافة زائد * وليس غنى لى عنك كلا ولا صبر
فلازلت اكلى كل يوم وليلة * ولازال منهلا بجرعاتك القطر

ثم قمت وجلست بعيدا فنظر الملك الى ما كتبته وقرأه فتعجب وقال هل يكون عند قرد هذه الفصاحة وهذا الخط والله ان هذا من عجب العجب ثم قدم للملك شطرنج فقال الملك اتلعب قلت برأسى نعم فتقدمت وصففت الشطرنج ولعبت معه مرتين فغلبته فحار عقل الملك وقال لو كان هذا آدميا لفاق اهل زمانه ثم قال لخادمه اذهب الى سيدتك وقل لها كلمى الملك حتى تجئ فتتفرج على هذا القرد العجيب فذهب الطواشى وعاد ومعه سيدته بنت الملك فلما نظرتنى غطت وجهها وقالت يا ابى كيف طاب على خاطرك ان ترسل الىّ فيرانى الرجال الاجانب فقال يا بنتى ما عندى سوى المملوك الصغير والطواشى الذى رباك وهذا القرد وانا ابوك فممن تغطين وجهك فقالت ان هذا القرد ابن ملك واسم ابيه ايمار صاحب جزائر الابنوس الداخلة وهو مسحور سحره العفريت جرجريس الذى هو من ذرية ابليس وقد قتل زوجته بنت ملك اقناموس وهذا الذى تزعم انه قرد انما هو رجل عالم عاقل فتعجب الملك من ابنته ونظر الىّ وقال احق ما تقول عنك فقلت برأسى نعم وبكيت فقال الملك لبنته من اين عرفت انه مسحور فقالت يا ابت كان عندى وانا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة علمتنى صناعة السحر وقد حفظته واتقنته وعرفت مأية وسبعين بابا من ابوابه اقل باب منها انقل به حجارة مدينتك خلف جبل قاف واجعلها لجة بحر واجعل اهلها سمكا فى وسطه فقال ابوها بحق اسم الله عليك ان تخلصى لنا هذا الشاب حتى اجعله وزيرى وهل فيك هذه الفضيلة ولم اعلم خلصيه حتى اجعله وزيرى لانه شاب ظريف لبيب فقالت له حبا وكرامة ثم اخذت بيدها سكينا وعملت دائرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصعلوك قال للصبية يا سيدتى ثم ان بنت الملك اخذت بيدها سكينا مكتوبا عليها اسماء عبرانية وخطت بها دائرة فى وسط القصر وكتبت فيها اسماء وطلاسم وعزمت بكلام وقرأت كلاما لا يفهم فبعد ساعة اظلمت علينا جهات القصر حتى ظننا ان الدنيا قد انطبقت علينا واذا بالعفريت قد تدلى علينا فى اقبح صفة بايد كالمدارى ورجلين كالصوارى وعينين كمشعلين يوقدان نارا ففزعنا منه فقالت بنت الملك لا اهلا بك ولا سهلا فقال العفريت وهو فى صورة اسد يا خائنة كيف خنت اليمين اما تحالفنا على انه لا يتعرض احد للآخر فقالت له يا لعين ومن اين لك يمين فقال العفريت خذى ما جاءك ثم انقلب اسدا وفتح فاه وهجم على الصبية فاسرعت واخذت شعرة من شعرها بيدها وهمهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفا ماضيا وضربت ذلك الاسد فصار نصفين فصارت رأسه عقربا وانقلبت الصبية حية عظيمة وهجمت على هذا اللعين وهو فى صفة عقرب فتقاتلا قتالا شديدا ثم انقلب العقرب عقابا فانقلبت الحية نسرا وصارت وراء العقاب واستمرت ساعة زمانية ثم انقلب العقاب قطا اسود فانقلبت الصبية ذئبا فتشاحنا فى القصر ساعة زمانية وتقاتلا قتالا شديدا فرأى القط نفسه

مغلوبا فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة ووقعت تلك الرمانة فى بركة فقصدها الذئب فارتفعت
فى الهواء ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وانتثر الحب كل حبة وحدها وامتلأت ارض القصر حبا
فانقلب ذلك الذئب ديكا لاجل ان يلتقط ذلك الحب حتى لم يترك منه حبة فبالامر المقدر تدارت حبة
فى جانب الفسقية فصار الديك يصيح ويرفرف باجنحته ويشير الينا بمنقاره ونحن لانفهم ما يقول ثم صرخ
علينا صرخة تخيل لنا منها ان القصر قد انقلب علينا ودار فى ارض القصر كلها حتى رأى الحبة الذى تدارت
فى جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها واذا بالحبة سقطت فى وسط الماء الذى فى البركة فصارت سمكة
وقد غاصت فى الماء فانقلب الديك حوتا كبيرا ونزل خلفها وغاب ساعة واذا بنا قد سمعنا صراخا عاليا
فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت وهو شعلة نار فالقى من فمه نارا ومن عينيه ومنخريه نارا ودخانا وانقلبت
الصبية لجة نار فاردنا ان نغطس فى ذلك الماء خوفا على انفسنا من الحريق والهلاك فما نشعر الا والعفريت
قد صرخ من تحت النيران وصار عندنا فى الليوان ونفخ فى وجوهنا بالنار فلحقته الصبية ونفخت
فى وجهه بالنار ايضا فاصابنا الشرر منها ومنه فاما شررها فلم يؤذنا واما شرره فلحقنى منه شرارة فى عينى
فاتلفتها وانا فى صورة القرد ولحق الملك شرارة منه فى وجهه فاحرقت نصفه التحتانى بذقنه وحنكه ووقعت
اسنانه التحتانية ووقعت شرارة فى صدر الطواشى فاحترق ومات من وقته وساعته فايقنا بالهلاك وقطعنا
رجاءنا من الحياة فبينما نحن كذلك واذا بقائل يقول الله اكبر الله اكبر قد فتح ونصر وخذل من كفر بدين
محمد سيد البشر واذا بالقائل بنت الملك قد احرقت العفريت فنظرنا اليه فرأيناه قد صار كوم رماد ثم جاءت
الصبية الينا وقالت الحقونى بطاسة ماء فجاؤا بها اليها فتكلمت عليها بكلام لانفهمه ثم رشتنى بالماء وقالت
اخلص بحق الحق وبحق اسم الله الاعظم الى صورتك الاولى فصرت بشرا كما كنت اولا ولكن تلفت عينى
فقالت الصبية النار النار يا والدى انا ما بقيت اعيش لانى موعودة بالقتل ولو كان من الانس لقتلته من
اول الامر وما تعبت الا وقت فرط الرمانة حين لقط حبها ونسيت الحبة التى فيها روح الجنى فلو لقطها لمات
من ساعته ولكن ما رأيتها بالقضاء والقدر ولم اشعر الا وهو قد اتى وجرى لى معه حرب شديد تحت الارض
وفى الهواء والماء وكلما فتح على بابا فتحت عليه بابا اعظم منه الى ان فتح على باب النار وقل من فتح عليه
باب النار ونجا منه وانما ساعدنى عليه القدر حتى احرقته قبلى وكنت اعهد منه التدين بدين
الاسلام وها انا ميتة والله خليفتى عليكم ثم انها لم تزل تستغيث من النار واذا بشرر اسود قد طلع
الى صدرها وطلع الى وجهها فلما وصل الى وجهها بكت وقالت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله ثم نظرنا اليها فرأيناها كوم رماد بجانب كوم العفريت فحزنا عليها وتمنيت لو كنت مكانها
ولا ارى ذلك الوجه المليح الذى عمل فى هذا المعروف يصير رمادا لكن حكم الله لا يرد فلما رأى الملك ابنته
صارت كوم رماد نتف بقية لحيته ولطم على وجهه وشق ثيابه وفعلت كما فعل وبكينا عليها ثم جاء
الحجاب وارباب الدولة فوجدوا السلطان فى حالة العدم وعنده كومان رمادا فتعجبوا وداروا حول الملك
ساعة فلما افاق اخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت فعظمت مصيبتهم وصرخ النساء والجوارى وعملوا
العزاء سبعة ايام ثم ان الملك امر ان يبنى على رماد ابنته قبة عظيمة واوقدوا فيها الشموع والقناديل
واما رماد العفريت فانهم اذروه فى الهواء الى لعنة الله ثم مرض السلطان مرضا اشرف منه على الموت
واستمر مرضه شهرا وعادت اليه العافية فطلبنى وقال لى يا فتى قد قضينا زماننا فى اهنى عيش آمنين من
نوائب الزمان حتى جئتنا فاقبلت علينا الاكدار فليتنا ما رأيناك ولا رأينا طلعتك القبيحة التى بسببها

صيرنا

صرنا في حالة العدم فاولا عدمت ابنتي التي كانت تساوي مأية رجل وثانيا جرى لي من الحريق ما جرى وعدمت اضراسي ومات خادمي ولكن ما بيدك حيلة بل جرى قضاء الله علينا وعليك والحمد لله حيث خلصتك ابنتي واهلكت نفسها فاخرج يا ولدي من بلدي وكفى ما جرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا وعليك فاخرج بسلام فخرجت يا سيدتي من عنده وما صدقت بالنجاة ولا ادري اين اتوجه وخطر على قلبي ما جرى لي وكيف خلوني في الطريق سالما منهم ومشيت شهرا وتذكرت دخولي في المدينة غريبا واجتماعي بالخياط واجتماعي بالصبية تحت الارض وخلاصي من العفريت بعد ان كان عازما على قتلي وتذكرت ما حصل لي من المبتدا الى المنتهى فحمدت الله وقلت بعيني ولا بروحي ودخلت الحمام قبل ان اخرج من المدينة وحلقت ذقني وجئت يا سيدتي وفي كل يوم ابكي واتفكر المصائب التي عاقبتها اتلف عيني وكلما اتذكر ما جرى لي ابكي وانشد هذه الابيات

تحيرت والرحمن لاشك في امري ✻ وحلت بي الاحزان من حيث لا ادري
سأصبر حتى يعلم الناس انني ✻ صبرت على شئ امر من الصبر
وما احسن الصبر الجميل مع التقى ✻ وما قدر المولى على خلقه يجري
سرائر سري ترجمان سريرتي ✻ اذا كان سر السر سرك في سري
ولو ان ما بي بالجبال لهدمت ✻ وبالنار اطفاها وبالريح لم يسري
ومن قال ان الدهر فيه حلاوة ✻ فلا بد من يوم امر من المر

ثم سافرت الاقطار ووردت الامصار وقصدت دار السلام بغداد لعلي اتوصل الى امير المؤمنين واخبره بما جرى لي فوصلت الى بغداد هذه الليلة فوجدت اخي هذا الاول واقفا متحيرا فقلت السلام عليك وتحدثت معه واذا باخينا الثالث قد اقبل علينا وقال السلام عليكم انا رجل غريب فقلنا له ونحن غريبان وقد وصلنا هذه الليلة المباركة فمشينا نحن الثلاثة وما فينا احد يعرف حكاية احد فساقتنا المقادير الى هذا الباب ودخلنا عليكم وهذا سبب حلق ذقني وتلف عيني فقالت له ان حكايتك غريبة فملس على راسك واخرج الى حال سبيلك فقال لا اخرج حتى اسمع حديث رفيقي فتقدم الصعلوك الثالث وقال ايتها السيدة الجليلة ما قصتي مثل قصتهما بل قصتي اعجب وذلك ان هذان جاءهما القضاء والقدر واما انا فسبب حلق ذقني وتلف عيني انني جلبت القضاء لنفسي والهم لقلبي وذلك اني كنت ملكا ابن ملك ومات والدي واخذت الملك من بعده وحكمت وعدلت واحسنت للرعية وكان لي محبة في السفر في البحر وكانت مدينتي على البحر والبحر متسع وحولنا جزائر معدة للقتال فاردت ان اتفرج على الجزائر فنزلت في عشرة مراكب واخذت معي مؤنة شهر كامل وسافرت عشرين يوما ففي ليلة من الليالي هبت علينا رياح مختلفة الى ان لاح الفجر فهدأ الريح وسكن البحر حتى اشرقت الشمس ثم اننا اشرفنا على جزيرة وطلعنا على البر وطبخنا شيأ نأكله فاكلنا ثم اقمنا يومين وسافرنا عشرين يوما فاختلفت علينا المياه وعلى الريس واستغرب الريس البحر فقلنا للناظور انظر البحر بتأمل فطلع الصاري ثم نزل ذلك الناظور وقال الريس يا ريس رأيت عن يميني سمكا على وجه الماء ونظرت الى وسط البحر فرأيت سوادا من بعيد يلوح تارة اسود وتارة ابيض فلما سمع الريس كلام الناظور ضرب الارض بعمامته ونتف لحيته وقال للناس ابشروا بهلاكنا جميعا ولم يسلم منا احد وشرع يبكي وكذلك نحن الجميع نبكي على انفسنا فقلت ايها الريس اخبرنا بما رأى الناظور فقال يا سيدي اعلم اننا تهنا يوم جاءت علينا الرياح المختلفة ولم يهدأ الريح

الابكرة النهار ثم اقمنا يومين فتهنا فى البحر ولم نزل تايهين احد عشر يوما من تلك الليلة وليس لنا ريح يرجعنا الى ما نحن قاصدون آخر النهار وفى غد نصل الى جبل من حجر اسود يسمى حجر المغناطيس وتجرّنا المياه غصبا الى جهته فتتمزق المراكب ويروح كل مسمار فى المركب الى الجبل ويلتصق به لان الله وضع فى حجر المغناطيس سرا وهو ان جميع الحديد يذهب اليه وفى ذلك الجبل حديد كثير لا يعلمه الا الله تعالى حتى انه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة بسبب ذلك الجبل ويلى ذلك البحر قبة من النحاس الاصفر معقودة على عشرة اعمدة وفوق القبة فارس على فرس من نحاس وفى يد ذلك الفارس رمح من نحاس ومعلق فى صدر الفارس لوح من رصاص منقوش عليه اسماء وطلاسم فهيا ايها الملك ما دام هذا الفارس راكبا على هذه الفرس تتكسر المراكب التى تفوت من تحته ويهلك ركابها جميعا ويلتصق جميع الحديد الذى فى المركب بالجبل وما الخلاص الا اذا وقع هذا الفارس من فوق تلك الفرس ثم ان الريس يا سيدتى بكى بكاء شديدا فتحققنا اننا هالكون لا محالة وكل منا ودع صاحبه فلما جاء الصباح قربنا من ذلك الجبل وساقتنا المياه اليه غصبا فلما صارت المراكب تحته انفتحت وفرت المسامير منها وكل حديد فيها نحو حجر المغناطيس ونحن دائرون حوله فى آخر النهار وتمزقت المراكب فمنا من غرق ومنا من سلم ولكن اكثرنا غرق والذين سلموا لم يعلموا ببعضهم لان تلك الامواج واختلاف الرياح ادهشتهم واما انا يا سيدتى فنجانى الله تعالى لما اراده من مشقتى وعذابى وبلوتى فطلعت على لوح من الالواح فالقاه الريح والامواج الى جبل فاصبت طريقا متطرقا الى اعلاه على هيئة السلالم منقورة فى الجبل فسميت الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصعلوك الثالث قال للصبية والجماعة مكتفون والعبيد واقفون بالسيوف على رؤسهم ثم انى سميت الله ودعوته وابتهلت اليه وحاولت الطلوع على الجبل وصرت اتمسك بالنقر التى فيه حتى اسكن الله الريح فى تلك الساعة واعاننى على الطلوع فطلعت سالما على الجبل وفرحت بسلامتى غاية الفرح ولم يكن لى دأب الا القبة فدخلتها وصليت فيها ركعتين شكرا لله على سلامتى ثم انى نمت تحت القبة فسمعت قائلا يقول يا ابن خصيب اذا انتبهت من منامك فاحفر تحت رجليك تجد قوسا من نحاس وثلاث نشابات من رصاص منقوشا عليها طلاسم فخذ القوس والنشاب وارم الفارس الذى على القبة وارح الناس من هذا البلاء العظيم فاذا رميت الفارس يقع فى البحر ويقع القوس فخذ القوس من يدك وادفنه فى موضعه فاذا فعلت ذلك يطفو البحر ويعلو حتى يساوى الجبل ويطلع عليه زورق فيه شخص غير الذى رميته فيجيء اليك وفى يده مجداف فاركب معه ولا تسم الله تعالى فانه يحملك ويسافر بك مدة عشرة ايام الى ان يوصلك الى بحر السلامة فاذا وصلت هناك تجد من يوصلك الى بلدك وهذا انما يتم لك اذا لم تسم الله ثم استيقظت من نومى وقمت بنشاط وقصدت الماء كما قال الهاتف وضربت الفارس رميته فوقع فى البحر ووقع القوس من يدى فاخذت القوس ودفنته فهاج البحر وعلا حتى ساوى الجبل الذى انا عليه فلم البث غير ساعة حتى رأيت زورقا فى وسط البحر يقصدنى فحمدت الله تعالى فلما وصل الى الزورق وجدت فيه شخصا من النحاس فى صدره لوح من الرصاص منقوش باسماء وطلاسم فنزلت فى الزورق وانا ساكت لا اتكلم فحملنى الشخص اول يوم والثانى والثالث الى

تمام عشرة ايام حتى رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحا عظيما ومن شدة فرحى ذكرت الله وسميت وهللت
وكبرت فلما فعلت ذلك قذفنى من الزورق فى البحر ثم رجع فى البحر وكنت اعرف العوم فعمت ذلك اليوم
الى الليل حتى كلت سواعدى وتعبت اكتافى وصرت فى الهلكات ثم تشهدت وايقنت بالموت وهاج
البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة العظيمة فحملتنى وقذفتنى قذفة صرت بها فوق البر لما يريد
الله فطلعت البر وعصرت ثيابى ونشفتها على الارض وبت فلما اصبحت لبست ثيابى وقمت انظر اين امشى
فوجدت غوطة فجئتها ودرت حولها فوجدت الموضع الذى انا فيه جزيرة صغيرة والبحر محيط بها
فقلت فى نفسى كلما اخلص من بلية اقع فى اعظم منها فبينما انا اتفكر فى امرى واتمنى الموت اذ نظرت
مركبا فيها ناس فقمت وطلعت على شجرة واذا بالمركب التصقت بالبر وطلع منها عشرة عبيد معهم مساحى
فمشوا حتى وصلوا الى وسط الجزيرة وحفروا فى الارض وكشفوا عن طابق فرفعوا الطابق وفتحوا بابه
ثم عادوا الى المركب ونقلوا منها خبزا ودقيقا وسمنا وعسلا واغناما وجميع ما يحتاج اليه الساكن وصار
العبيد مترددين بين المركب وباب الطابق وهم يحولون من المركب وينزلون فى الطابق الى ان نقلوا جميع
ما فى المركب ثم بعد ذلك طلع العبيد ومعهم شاب احسن ما يكون وفى وسطهم شيخ كبير هرم قد عمر زمنا
طويلا واضعفه الدهر حتى صار فانيا وبيد ذلك الشيخ يد صبى قد افرغ فى قالب الجمال والبس من الحسن
حلة الكمال حتى انه يضرب بحسنه الامثال وهو كالقضيب الرطب يسحر كل قلب بجماله ويسلب
كل لب بكماله فلم يزالوا يا سيدتى سائرين حتى اتوا الى الطابق ونزلوا فيه وغابوا عن عينى فلما توجهوا قمت
ونزلت من فوق الشجرة ومشيت الى موضع الردم ونبشت التراب ونقلته وصبرت نفسى حتى ازلت جميع
التراب فانكشف الطابق فاذا هو خشب مقدار حجر الطاحون فرفعته فبان من تحته سلم معقود من حجر
فتعجبت من ذلك ونزلت فى السلم حتى انتهيت الى آخره فوجدت شيأ نظيفا ووجدت بستانا وثانيا وثالثا
الى تمام تسعة وثلاثين وكل بستان ارى فيه ما يكل عنه الوصف من اشجار وانهار واثمار وذخائر ورأيت بابا
فقلت فى نفسى ما الذى فى هذا المكان فلا بد ان افتحه وانظر ما فيه ثم فتحته فوجدت فيه فرسا مسرجا
ملجما مربوطا ففككته وركبته فطار بى الى ان حطنى على سطح وانزلنى وضربنى بذيله فاتلف عينى وفر منى
فنزلت من فوق السطح فوجدت عشرة شباب عور فلما رأونى قالوا لا مرحبا بك فقلت لهم اتقبلونى اجلس
عندكم فقالوا والله لا تجلس عندنا فخرجت من عندهم حزين القلب باكى العين وكتب الله لى السلامة
حتى وصلت الى بغداد فحلقت ذقنى وصرت صعلوكا فوجدت هذين الاثنين الاعورين فسلمت عليهما
وقلت لهما انا غريب فقالا ونحن غريبان فهذا سبب تلف عينى وحلق ذقنى فقالت له ملس على رأسك
ورح فقال والله لا اروح حتى اسمع قصة هؤلاء ثم ان الصبية التفتت الى الخليفة وجعفر ومسرور وقالت
لهم اخبرونى بخبركم فتقدم جعفر وحكى لها الحكاية التى قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت
كلامه قالت وهبت بعضكم لبعض فخرجوا الى ان صاروا فى الزقاق فقال الخليفة للصعاليك يا جماعة
الى اين تذهبون فقالوا وما ندرى اين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا وباتوا عندنا وقال لجعفر خذهم
واحضرهم لى غدا حتى ننظر ما يكون فامتثل جعفر ما امره به الخليفة ثم ان الخليفة طلع الى قصره
ولم يجئه نوم فى تلك الليلة فلما اصبح جلس على كرسى المملكة ودخلت عليه ارباب الدولة فالتفت الى جعفر
بعد ان طلعت ارباب الدولة وقال ائتنى بالثلاث صبايا والكلبتين والصعاليك فنهض جعفر واحضرهم
بين يديه فادخل الصبايا تحت الاستار والتفت لهن جعفر وقال لهن قد عفونا عنكن لما اسلفتن من

الاحسان الينا ولم تعرفين فيها انا اعرف فكن واتتن بين يدى الخامس من بنى العباس هارون الرشيد فلا تخبرينه الا حقا فلما سمع الصبايا كلام جعفر عن لسان امير المؤمنين تقدمت الكبيرة وقالت يا امير المؤمنين ان لى حديثا لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان كبيرة الصبايا لما تقدمت بين يدى امير المؤمنين قالت ان لى حديثا عجيبا وهو ان هاتين الصبيتين اختاى من ابى من غير امى فمات والدنا وخلف خمسة الاف دينار وكنت انا اصغرهن سنا فجهزت اختاى وتزوجت كل واحدة برجل ومكثتا مدة ثم ان كل واحد من ازواجهما هيأ متجرا واخذ من زوجته الف دينار وسافروا مع بعضهم وتركونى فغابوا اربع سنين وضيع زوجاهما المال وخسرا وتركاهما فى بلاد الناس فجاءتانى فى هيئة الشحاتين فلما رأيتهما ذهلت عنهما ولم اعرفهما ثم انى لما عرفتهما قلت لهما ما هذا الحال فقالتا يا اختنا ان الكلام لم يفد الآن وقد جرى القلم بما حكم الله فارسلتهما الى الحمام والبست كل واحدة حلة وقلت لهما يا اختاى انتما الكبيرتان وانا الصغيرة وانتما عوض عن ابى وامى والارث الذى نابنى معكما قد جعل الله فيه البركة فكلا من زكاته واحوالى جليلة وانا وانتما سواء واحسنت اليهما غاية الاحسان فمكثتا عندى مدة سنة كاملة وصار لهما مال من مالى فقالتا ان الزواج خير لنا وليس لنا صبر عنه فقلت لهما يا اختاى لم تريا فى الزواج خيرا فان الرجل الجيد قليل فى هذا الزمان وقد جربتما الزواج فلم يقبلا كلامى وتزوجا بغير رضاى فزوجتهما من مالى وسترتهما ومضتا مع زوجيهما فاقاموا مدة يسيرة ولعب عليهما زوجاهما واخذا ما كان معهما وسافرا وتركاهما فجاءتا عندى وهما عريانتان واعتذرا وقالتا لا تؤاخذينا فانت اصغر منا سنا واكمل عقلا وما بقينا نذكر الزواج ابدا فقلت مرحبا بكم يا اختاى ما عندى اعز منكما وقبلتهما وزدتهما اكراما ولم نزل على هذه الحالة سنة كاملة فاردت ان اجهز لى مركبا الى البصرة فجهزت مركبا كبيرة وحملت فيها البضائع والمتاجر وما احتاج اليه فى المركب وقلت يا اختاى هل لكما ان تقعدا فى المنزل حتى اسافر وارجع او تسافرا معى فقالتا نسافر معك فانا لا نطيق فراقك فاخذتهما وسافرنا وكنت قسمت مالى نصفين فاخذت النصف وخبأت النصف الثانى وقلت ربما يصيب المركب شئ ويكون فى العمر مدة فاذا رجعنا نجد شيئا ينفعنا ولم نزل مسافرين اياما وليالى فتاهت بنا المركب وغفل الريس عن الطريق ودخلت المركب بحرا غير البحر الذى نريده ولم نعلم بذلك مدة وطاب لنا الريح عشرة ايام فلاحت لنا مدينة على بعد فقلنا للريس ما اسم هذه المدينة التى اشرفنا عليها فقال والله لا اعلم ولا رأيتها قط ولا سلكت عمرى هذا البحر ولكن جاء الامر بسلامة فما بقى الا ان تدخلوا هذه المدينة وتخرجوا بضائعكم فان حصل لكم بيع بيعوا وتصرفوا فيها وان لم يحصل لكم بيع نرتاح يومين ونتزود ونسافر فدخلنا المدينة وطلع الريس اليها وغاب ساعة ثم جاءنا وقال قوموا اطلعوا الى المدينة وتعجبوا من صنع الله فى خلقه واستعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فوجدنا كل من فيها ممسوخا حجارة سودا فاندهشنا من ذلك ومشينا فى الاسواق فوجدنا البضائع باقية والذهب والفضة باقيين على حالهما ففرحنا وقلنا لعل هذا يكون له امر عجيب وتفرقنا فى شوارع المدينة وكل واحد اشتغل عن رفيقه بما فيها من المال والقماش واما انا فطلعت الى القلعة فوجدتها محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت جميع الاوانى من

من الذهب والفضة ثم رأيت الملك جالسا وعنده حجابه ونوابه ووزراؤه وعليه من الملابس شيء يتحير فيه الفكر فلما قربت من الملك وجدته جالسا على كرسي مرصع بالدر والجوهر فيه كل درة تضيء كالنجمة وعليه حلة مزركشة بالذهب وواقفا حوله خمسون مملوكا لابسين انواع الحرير وفي ايديهم السيوف مجردة فلما نظرت لذلك دهش عقلي ثم مشيت ودخلت قاعة الحريم فوجدت في حيطانها ستائر من الحرير ووجدت الملكة عليها حلة مزركشة باللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج مكلل بانواع الجواهر وفي عنقها قلائد وعقود وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ باق على حاله وهي ممسوخة حجرا اسود ووجدت بابا مفتوحا فدخلته ووجدت فيه سلما بسبع درج فصعدته فرأيت مكانا مرخما مفروشا بالبسط المذهبة ووجدت فيه سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر ونظرت نورا لامعا في جهة فقصدتها فوجدت فيها جوهرة مضيئة قدر بيضة النعامة على كرسي صغير وهو يضيء كالشمعة ونورها ساطع ومفروش على ذلك السرير من انواع الحرير ما يحير الناظر فلما نظرت الى ذلك تعجبت ورأيت في ذلك المكان شموعا موقدة فقلت في نفسي لابد ان احدا اوقد هذه الشموع ثم اني مشيت حتى دخلت موضعا غيره وصرت افتش في الاماكن ونسيت نفسي مما ادهشني من التعجب من تلك الاحوال واستغرق فكري الى ان دخل الليل فاردت الخروج فلم اعرف الباب وتهت عنه فعدت الى الجهة التي فيها الشموع الموقدة وجلست على السرير وتغطيت بلحاف بعد ان قرأت شيأ من القرأن واردت النوم فلم استطع ولحقني القلق فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرأن بصوت حسن رقيق فالتفت الى مخدع فرأيت بابه مفتوحا فدخلت الباب ونظرت المكان فاذا هو معبد وفيه قناديل معلقة موقدة وفيه سجادة مفروشة جالس عليها شاب حسن المنظر فتعجبت كيف هو سالم دون اهل المدينة فدخلت وسلمت عليه فرفع بصره ورد علي السلام فقلت له اسألك بحق ما تتلوه من كتاب الله ان تجيبني عن سؤالي فتبسم وقال اخبريني انت عن سبب دخولك هذا المكان وانا اخبرك بجواب ما تسأليني عنه فاخبرته بخبري فتعجب من ذلك ثم انني سألته عن خبر هذه المدينة فقال امهليني ثم طبق المصحف وادخله في كيس من الاطلس واجلسني بجنبه فنظرت اليه فاذا هو كالبدر حسن الاوصاف لين الاعطاف بهي المنظر رشيق القد اسيل الخد زهي الوجنات كأنه المقصود من هذه الابيات

رصد المنجم ليله فبدا له ‎*‎ قد المليح يميس في برديه
وامده زحل سواد ذوائب ‎*‎ والمسك هادى الخال في خديه
وغدت من المريخ حمرة خده ‎*‎ والقوس يرمي النبل من جفنيه
وعطارد اعطاه فرط ذكائه ‎*‎ وابى السها نظر الوشاة اليه
فغدا المنجم حائرا مما رأى ‎*‎ والبدر باس الارض بين يديه

فنظرت له نظرة اعقبتني الف حسرة واوقدت بقلبي كل جمرة فقلت له يا مولاي اخبرني عما سألتك فقال سمعا وطاعة اعلمي ان هذه المدينة مدينة والدي وجميع اهله وقومه وهو الملك الذي رأيتيه على الكرسي ممسوخا حجرا واما الملكة التي رأيتيها فهي امي وقد كانوا مجوسا يعبدون النار دون الملك الجبار وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك الذي يدور وكان ابي ليس له ولد فرزق بي في اخر عمره فرباني حتى نشأت وقد سبقت لي السعادة وكان عندنا عجوز طاعنة في السن مسلمة تؤمن بالله ورسوله في الباطن وتوافق اهلي في الظاهر وكان ابي يعتقد فيها بما يرى عليها من الامانة والعفة وكان يكرمها ويزيد

فى اكرامها وكان يعتقد انها على دينه فلما كبرت سلمنى ابى اليها وقال خذيه وربيه وعلميه احوال ديننا واحسنى تربيته وقومى بخدمته فاخذتنى العجوز وعلمتنى دين الاسلام من الطهارة وفرائض الوضوء والصلاة وحفظتنى القرآن فلما تممت ذلك قالت لى ياولدى اكتم هذا الامر عن ابيك ولا تعلمه به لئلا يقتلك فكتمته عنه ولم ازل على هذا الحال مدة ايام قلائل وقد ماتت العجوز وزادت اهل المدينة فى كفرهم وعتوهم وضلالهم فبينماهم على ماهم فيه اذ سمعوا مناديا ينادى باعلى صوت مثل الرعد القاصف سمعه القريب والبعيد يقول يا اهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النار واعبدوا الملك الجبار فحصل عند اهل المدينة فزع واجتمعوا عند ابى وهو ملك المدينة وقالوا له ما هذا الصوت المزعج الذى سمعناه فاندهشنا من شدة هوله فقال لهم لا يهولنكم الصوت ولا يفزعكم ولا يردكم عن دينكم فمالت قلوبهم الى قول ابى ولم يزالوا مكبين على عبادة النار واستمروا على طغيانهم مدة سنة حتى جاء ميعاد ما سمعوا الصوت الاول فظهر لهم ثانيا فسمعوه ثلاث مرات على ثلاث سنين فى كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ماهم عليه حتى نزل عليهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر فمسخوا حجارة سودا وكذلك دوابهم وانعامهم ولم يسلم من اهل هذه المدينة غيرى ومن يوم جرت هذه الحادثة وانا على هذه الحالة فى صلاة وصيام وتلاوة قرآن وقد سئمت من الوحدة وما عندى من يؤانسنى فعند ذلك قلت له يا ايها الشاب هل لك ان تروح معى الى مدينة بغداد وتنظر الى العلماء والى الفقهاء فتزداد علما وفقها واكون انا جاريتك مع انى سيدة قومى وحاكمة على رجال وخدم وغلمان وعندى مركب مشحونة بالمتجر وقد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان ذلك سببا فى اطلاعنا على هذه الامور وكان النصيب فى اجتماعنا ولم ازل ارغبه فى التوجه حتى اجابنى اليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية ما زالت تحسن للشاب التوجه معها حتى غلب عليها النوم فنامت تلك الليلة تحت رجليه وهى لا تصدق بما هى فيه من الفرح ثم قالت فلما اصبح الصباح قمنا ودخلنا الى الخزائن واخذنا ما خف حمله وغلا ثمنه ونزلنا من القلعة الى المدينة فقابلنا العبيد والريس وهم يفتشون على فلما رأونى فرحوا بى وسألونى عن سبب غيابى فاخبرتهم بما رأيت وحكيت لهم قصة الشاب وسبب مسخ اهل هذه المدينة وما جرى لهم فتعجبوا من ذلك فلما رأتنى اختاى ومعى ذلك الشاب حسدتانى عليه وصارتا فى غيظ واضمرتا المكر لى ثم نزلنا المركب وانا بغاية الفرح واكثر فرحى بصحبة هذا الشاب واقمنا ننتظر الريح حتى طاب لنا الريح فنشرنا القلوع وسافرنا فقعد اختاى عندنا وصارتا يتحدثان فقالتا لى يا اختنا ما تصنعين بهذا الشاب الحسن فقلت لهما قصدى ان اتخذه بعلا ثم التفت اليه واقبلت عليه وقلت يا سيدى قصدى ان اقول لك شيأ فلا تخالفنى فيه فقال سمعا وطاعة ثم التفت الى اختاى وقلت لهما يكفينى هذا الشاب وجميع هذه الاموال لكما فقالتا نعم ما فعلت ولكنهما اضمرتا لى الشر ولم نزل سائرين مع اعتدال الريح حتى خرجنا من بحر الخوف ودخلنا بحر الامان وسافرنا اياما قلائل الى ان قربنا من مدينة البصرة ولاحت لنا ابنيتها فادركنا المسا فلما اخذنا النوم قامت اختاى وحملتانى انا والغلام بفرشنا ورمتانا فى البحر فاما الشاب فانه كان لا يحسن العوم فغرق وكتبه الله من الشهداء واما انا فكتبت من السالمين فلما سقطت فى البحر رزقنى الله بقطعة خشب فركبتها وضربتنى الامواج الى ان رمتنى على ساحل

جزيرة فلم ازل امشى فى الجزيرة باقى ليلتى فلما اصبح الصباح رأيت طريقا فيه اثر مشى على قدر قدم ابن آدم وتلك الطريق متصلة من الجزيرة الى البر وقد طلعت الشمس فنشفت ثيابى فيها وسرت فى الطريق ولم ازل سائرة الى ان قربت من البر الذى فيه المدينة واذا انا بحية تقصد فى وخلفها ثعبان يريد هلاكها وقد تدلى لسانها من شدة التعب فاخذتنى الشفقة عليها فعمدت الى حجر والقيته على رأس الثعبان فمات من وقته فنشرت الحية جناحين وطارت فى الجو فتعجبت من ذلك وقد تعبت فنمت فى موضعى ساعة فلما افقت وجدت تحت رجلى جارية وهى تكبس رجلى فجلست واستحييت منها وقلت لها من انت وما شأنك فقالت ما اسرع ما نسيتينى انت التى فعلت معى الجميل وقتلت عدوى فانا الحية التى خلصتينى من الثعبان فانى جنية وهذا الثعبان جنى وهو عدوى وما نجانى منه الا انت فلما نجيتينى منه طرت فى الريح وذهبت الى المركب التى رماك منها اختاك ونقلت جميع ما فيها الى بيتك واغرقتها واما اختاك فانى سحرتهما كلبتين من الكلاب السود فانى عرفت جميع ما جرى لك معهما واما الشاب فانه غرق ثم حملتنى انا والكلبتين والقتهما فوق سطح دارى فرأيت جميع ما كان فى المركب من الاموال فى وسط بيتى ولم يضع منه شئ ثم ان الحية قالت لى وحق النقش الذى على خاتم سليمان اذا لم تضربى كل واحدة منهما فى كل يوم ثلاثمائة سوط لآتين واجعلنك مثلهما فقلت سمعا وطاعة فلم ازل يا امير المؤمنين اضربهما ذلك الضرب واشفق عليهما فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال للصبية الثانية وانت ما سبب الضرب الذى على جسدك فقالت يا امير المؤمنين انى كان لى والد فمات وخلف مالا كثيرا فاقمت بعده مدة يسيرة وتزوجت برجل اسعد اهل زمانه فاقمت معه سنة كاملة ومات فورثت منه ثمانين الف دينار بمقتضى ما خصنى بالفريضة الشرعية فعملت عشر بدلات كل بدلة بالف دينار فبينما انا جالسة فى يوم من الايام اذ دخلت على عجوز بوجه مسعوط وحاجب ممعوط وعيونها مفجرة واسنانها مكسرة ومخاطها سائل وعنقها مائل كما قال فيها الشاعر

عجوز النحس ابليس يراها ✻ تعلمه الخديعة من سكوت
تقود من السياسة الف بغل ✻ اذا انفردوا بخيط العنكبوت

وكما قال الاخر

وعجوز لها الكهانة طبع ✻ حللت فى الحرام ما لا يجوز
بعبصت طفلة ولبطت فتاة ✻ وزنت كهلة وقادت عجوز

فلما دخلت العجوز سلمت على وقالت ان عندى بنتا يتيمة والليلة عملت عرسها وانا قصدى لك الاجر والثواب فاحضرى عرسها فانها مكسورة الخاطر ليس لها الا الله تعالى ثم بكت وقبلت رجلى فاخذتنى الرحمة والرأفة فقلت سمعا وطاعة فقالت جهزى نفسك فانى وقت العشاء اجئ واخذك ثم قبلت يدى وذهبت فقمت وهيئت نفسى وجهزت حالى واذا بالعجوز قد اقبلت وقالت يا سيدتى ان سيدات البلد قد حضرن واخبرتهن بحضورك ففرحن وهن فى انتظارك فقمت تهيئت واخذت جوارى معى وسرت حتى اتينا الى زقاق هب فيه النسيم وراق فرأينا بوابة مقنطرة بقبة من الرخام مشيدة البنيان وفى داخلها قصر قد قام من التراب وتعلق بالسحاب فلما وصلنا الى الباب طرقته العجوز ففتح لنا ودخلنا فوجدنا دهليزا مفروشا بالبسط معلقا فيه قناديل موقدة وشموع مضيئة وفيه الجواهر والمعادن معلقة فمشينا فى الدهليز الى ان دخلنا قاعة لا يوجد لها نظير مفروشة بالفراش الحرير معلقا فيها القناديل المرقدة

والشموع المضيئة وفى صدر القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وعليه ناموسية من الاطلس واذا بصبية خرجت من الناموسية مثل القمر فقالت لى مرحبا واهلا وسهلا يا اختى آنستنى وجبرت خاطرى وانشدت تقول

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت ✻ واستبشرت ثم باست موضع القدم
واعلنت بلسان الحال قائلة ✻ اهلا وسهلا باهل الجود والكرم

ثم جلست وقالت لى يا اختى ان لى اخا وقد رآك فى بعض الافراح وهو شاب احسن منى وقد احبك قلبه حبا شديدا واعطى هذه العجوز دراهم حتى اتتك وعملت هذه الحيلة لاجل اجتماعى بك ويريد اخى ان يتزوجك بسنة الله ورسوله وما فى الحلال من عيب فلما سمعت كلامها ورأيت نفسى قد انحزت فى الدار قلت للصبية سمعا وطاعة ففرحت وصفقت بيديها وفتحت بابا فخرج منه شاب مثل القمر كما قال الشاعر

قد زاد حسنا تبارك الله ✻ جل الذى صاغه وسواه
قد حاز كل الجمال منفردا ✻ كل الورى فى جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته ✻ اشهد ان لا مليح الا هو

فلما نظرت اليه مال قلبى له ثم جاء وجلس واذا بالقاضى قد دخل ومعه اربعة شهود فسلموا وجلسوا ثم انهم كتبوا كتابى على ذلك الشاب وانصرفوا فالتفت الشاب الى وقال ليلتنا مباركة ثم قال يا سيدتى انى اشرط عليك شرطا فقلت يا سيدى وما الشرط فقام واحضر لى مصحفا وقال احلفى لى انك لا تختارى احدا غيرى ولا تميلى اليه فحلفت له على ذلك ففرح فرحا شديدا وعانقنى فاخذت محبته بمجامع قلبى وقدموا لنا السماط فاكلنا وشربنا حتى اكتفينا ودخل علينا الليل فاخذنى ونام معى على الفراش وبتنا فى عناق الى الصباح ولم نزل على هذه الحالة مدة شهر ونحن فى هناء وسرور وبعد الشهر استأذنته فى انى اسير الى السوق واشترى بعض قماش فاذن لى فى الرواح فلبست ثيابى واخذت العجوز معى ونزلت فى السوق فجلست على دكان شاب تاجر تعرفه العجوز وقالت لى هذا ولد صغير مات ابوه وخلف له مالا كثيرا ثم قالت له هات اعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال سمعا وطاعة فصارت العجوز تثنى عليه فقلت ما لنا حاجة بثنائك عليه لان مرادنا ان نأخذ حاجتنا منه ونعود الى منزلنا فاخرج لنا ما طلبناه واعطيناه الدراهم فابى ان يأخذ شيأ وقال هذه ضيافتكم اليوم عندى فقالت العجوز ان لم يأخذ الدراهم اعطيه قماشه فقال والله لا آخذ منك شيأ والجميع هدية من عندى فى قبلة واحدة فانها عندى احسن من جميع ما فى دكانى فقالت العجوز ما الذى يفيدك من القبلة ثم قالت يا بنتى قد سمعت ما قال هذا الشاب وما يصيبك شئ اذا اخذ منك قبلة وتأخذين ما تطلبينه فقلت لها اما تعرفين انى حالفة فقالت خليه يقبلك وانت ساكتة ولا عليك شئ وتأخذين هذه الدراهم ولا زالت تحسن لى الامر حتى ادخلت رأسى فى الجراب ورضيت بذلك ثم انى غطيت عينى ودارت بطرف ازارى من الناس وحط فمه تحت ازارى على خدى فلما قبلنى عضنى عضة قوية حتى قطع اللحم من خدى فغشى على ثم اخذتنى العجوز فى حضنها فلما افقت وجدت الدكان مقفولة والعجوز تظهر لى الحزن وتقول ما دفع الله كان اعظم ثم قالت لى قومى بنا الى البيت واعملى نفسك ضعيفة وانا اجيء اليك بدواء تداوين به هذه العضة فتبرئى سريعا فبعد ساعة قمت من مكانى وانا فى غاية الفكر واشتد بى الخوف ومشيت حتى وصلت الى البيت واظهرت حالة المرض واذا بزوجى

داخل

داخل وقال ما الذى اصابك ياسيدتى فى هذا الخروج فقلت له ما انا طيبة فنظر الى وقال لى ماهذا الجرح الذى بخدك وهو فى المكان الناعم فقلت انى لما استأذنتك وخرجت فى هذا النهار لاشترى القماش زاحمنى جمل حامل حطبا فشرمط نقابى وجرح خدى كما ترى فان الطريق ضيق فى هذه المدينة فقال غدا اروح للحاكم واشكوله فيشنق كل حطاب فى المدينة فقلت بالله عليك لا تحمل خطيئة احد فانى ركبت حمارا فنفر بى فوقعت على الارض فصادفنى عود فخدش خدى وجرحنى فقال غدا اطلع لجعفر البرمكى واحكى له الحكاية فيقتل كل حمار فى هذه المدينة فقلت هل انت تقتل الناس كلهم بسببى وهذا الذى جرى لى بقضاء الله وقدره فقال لابد من ذلك وشدد على ونهض قائما وصاح صيحة عظيمة فانفتح الباب وطلع منه سبعة عبيد سود فسحبونى من فرشى ورمونى فى وسط الدار ثم امر عبدا منهم ان يمسكنى من اكتافى ويجلس على رأسى وامر الثانى ان يجلس على ركبتى ويمسك رجلى وجاء الثالث وفى يده سيف فقال ياسيدى أاضربها بالسيف فاقسمها نصفين وكل واحد يأخذ قطعة يرميها فى بحر الدجلة فيأكلها السمك وهذا جزاء من يخون الايمان والمودة وانشد هذا الشعر

ان كان لى فيمن احب مشاركا * منعت الهوى روحى ليتلفنى وجدى
وقلت لها يانفس موتى كريمة * فلا خير فى حب يكون مع الضد

ثم قال للعبد اضربها ياسعد فجرد السيف وقال اذكرى الشهادة وتذكرى ما كان لك من الحوايج واوصى فان هذا آخر حياتك فقلت له ياعبد الخير تمهل على قليلا حتى اتشهد واوصى ثم رفعت رأسى ونظرت الى حالى وكيف صرت فى الذل بعد العز فجرت عبرتى وبكيت وانشدت هذه الابيات

اقمتم فراقى فى الهوى وقعدتم * واسهرتم جفنى القريح ونمتم
ومنزلكم بين الفؤاد وناظرى * فلا القلب يسلاكم ولا الدمع يكتم
وعاهدتمونى ان تقيموا على الوفا * فلما تملكتم فؤادى غدرتم
ولم ترحموا وجدى بكم وتلهفى * أأنتم صدوف الحادثات امنتم
سألتكم بالله ان مت فاكتبوا * على لوح قبرى ان هذا متيم
لعل شجيا عارفا لوعة الهوى * يمر على قبر المحب فيرحم

فلما فرغت من شعرى بكيت فلما سمع الشعر ونظر الى بكاى ازداد غيظا على غيظه وانشد هذين البيتين

تركت حبيب القلب لاعن ملالة * ولكن جنى ذنبا يؤدى الى الترك
اراد شريكا فى المحبة بيننا * وايمان قلبى لا يميل الى الشرك

فلما فرغ من شعره بكيت واستعطفته وقلت فى نفسى اتواضع له والين له الكلام لعله يعفو عنى من القتل ولو كان يأخذ جميع ما املك ثم شكوت اليه ما اجده وانشدته هذه الابيات

وحقك لو انصفتنى ما قتلتنى * ولكن حكم البين مافيه منصف
وحملتنى ثقل الغرام وانى * لاعجز عن حمل القميص واضعف
وما عجبى اتلاف روحى وانما * عجبت لجسمى بعدكم كيف يصرف

فلما فرغت من شعرى بكيت فنظرنى ونهرنى وشتمنى وانشد هذه الابيات

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * واظهرتم الهجران ماهكذا كنا
سنترككم لما تركتم مرامنا * ونصبر عنكم مثل صبركم عنا

ونهوى سواكم مذ جفيتم لغيرنا ❊ ونجعل قطع الوصل منكم ولا منا

فلما فرغ من شعره صرخ على العبد وقال له اشطرها نصفين فليس لنا فيها فائدة فلما تقدم العبد الى ايقنت بالموت ويئست من الحياة وسلمت امرى لله تعالى واذا بالعجوز دخلت ورمت نفسها على اقدام الشاب وقبلتهما وقالت يا ولدى بحق تربيتى لك تعفو عن هذه الصبية فانها ما فعلت ذنبا يوجب ذلك وانت شاب صغير فاخاف عليك من دعائها ثم بكت العجوز ولم تزل تلح عليه حتى قال قد عفوت عنها ولكن لابد ان اعمل فيها اثرا يظهر عليها بقية عمرها ثم امر العبيد فجذبونى من ثيابى واحضر قضيبا من سفرجل ونزل به على جسدى بالضرب ولم يزل يضربنى ذلك الشاب على ظهرى وجنبى حتى غبت عن الدنيا من شدة الضرب وقد يئست من حياتى ثم امر العبيد انه اذا دخل الليل يحملونى ويأخذون العجوز معهم ويرمونى فى بيتى الذى كنت فيه سابقا ففعلوا ما امرهم به سيدهم ورمونى فى بيتى فتعهدت نفسى وداويت جسمى فلما شفيت بقيت اضلاعى كانها مضروبة بالمقارع كما ترى فاستمريت فى مداواة نفسى اربعة اشهر حتى شفيت ثم جئت الى الدار التى جرى لى فيها ذلك الامر فوجدتها خربة ووجدت الزقاق مهدوما من اوله الى اخره ووجدت فى موضع الدار كيمانا ولم اعلم سبب ذلك فجئت الى اختى هذه التى من ابى فوجدت عندها هاتين الكلبتين فسلمت عليها واخبرتها بخبرى وبجميع ما جرى لى فقالت لى من ذا الذى من نكبات الزمان سليم الحمد لله الذى جعل الامر بسلامة ثم اخبرتنى بخبرها وبجميع ما جرى لها مع اختيها وقعدت انا وهى لا نذكر خبر الزواج على السنتنا ثم صاحبتنا هذه الصبية الدلالة وفى كل يوم تخرج فتشترى لنا ما نحتاج اليه من المصالح واستمرينا على هذه الحالة الى هذه الليلة التى مضت فخرجت اختنا تشترى لنا ما نحتاج اليه من المصالح على جرى عادتها فوقع لنا ما وقع من مجئ الحمال والصعاليك ومن مجيئكم فى صفة تجار فلما صرنا فى هذا اليوم لم نشعر الا ونحن بين يديك وهذه حكايتنا فتعجب الخليفة من هذه الحكاية وجعلها تاريخا مثبتا فى خزانته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة امر ان تكتب هذه القصة فى الدواوين ويجعلوها فى خزانة الملك ثم انه قال للصبية الاولى هل عندكم خبر بالعفريتة التى سحرت اختيك قالت يا امير المؤمنين انها اعطتنى شيأ من شعرها وقالت متى اردت حضورى فاحرقى من هذا الشعر شيأ فاحضر اليك عاجلا ولو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة احضرى لى الشعر فاحضرته الصبية فاخذه الخليفة واحرق منه شيأ فلما فاحت رائحته اهتز القصر وسمعوا دويا وصلصلة واذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك يا خليفة الله فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالت اعلم ان هذه الصبية زرعت معى جميلا ولا اقدر ان اكافئها عليه فهى انقذتنى من الموت وقتلت عدوى ورأيت ما فعله معها اختاها فما رأيت الا انى انتقم منهما فسحرتهما كلبتين بعد ان اردت قتلهما فخشيت ان يصعب عليها وان اردت خلاصهما يا امير المؤمنين اخلصهما اكرامة لك ولها فانى من المسلمين فقال لها خلصيهما وبعد ذلك نشرع فى امر الصبية المضروبة ونفحص عن حالها فاذا ظهر لى صدقها اخذت ثارها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا امير المؤمنين انا ادلك على من فعل بهذه الصبية هذا الفعل وظلمها واخذ مالها وهو اقرب الناس اليك ثم ان العفريتة اخذت طاسة من الماء وعزمت عليها ورشت وجه الكلبتين

وقالت لهما عودا الى صورتكما الاولى البشرية فعادتا صبيتين سبحان خالقهما ثم قالت يا امير المؤمنين ان الذى ضرب الصبية ولدك الامين فانه كان يسمع بحسنها وجمالها وحكت له العفريتة جميع ماجرى للصبيه فتعجب وقال الحمد لله على خلاص هاتين الكلبتين على يدى ثم ان الخليفة احضر ولده الامين بين يديه وسأله عن قصة الصبية الاولى فاخبره على وجه الحق فاحضر الخليفة القضاة والشهود والصعاليك الثلاثة واحضر الصبية الاولى واختيها اللتان كانتا مسحورتين فى صورة كلبتين وزوج الثلاثة للثلاثة الصعاليك الذين اخبروه انهم كانوا ملوكا وعملهم حجابا عنده واعطاهم ما يحتاجون اليه وانزلهم فى قصر بغداد ورد الصبية المضروبة لولده الامين واعطاها مالا كثيرا وامر ان تبنى الدار احسن ما كانت ثم ان الخليفة تزوج بالدلالة ورقد فى تلك الليلة معها فلما اصبح افرد لها بيتا وجوارى يخدمنها ورتب لها راتبا وشيد لها قصرا ثم قال لجعفر ليلة من الليالى انى اريد ان تنزل فى هذه الليلة الى المدينة ونسأل عن احوال الحكام المتولين وكل من شكا منه احد عزلناه فقال جعفر سمعا وطاعة فلما نزل الخليفة وجعفر ومسرور وساروا فى المدينة ومشوا فى الاسواق مروا برقاق فرأوا شيخا كبيرا على رأسه شبكة وقفة وفى يده عصى وهو ماش على مهله وينشد هذه الابيات

يقولون لى انت بين الورى * بعلمك كالليلة المقمره
فقلت دعونى من قولكم * فلا علم الا مع المقدره
فلو رهنونى وعلمى معى * وكل الدفاتر والمحبره
على قوت يوم لما ادركوا * قبول الرهان الى الآخره
فاما الفقير وحال الفقير * وعيش الفقير فما اكدره
وفى الصيف يعجز عن قوته * وفى البرد يدفى على المجمره
تليه الكلاب اذا ما مشى * واى لئيم ولن ينهره
اذا ما شكا حاله لامرئ * ويبن عذرا فلن يعذره
اذا كان هذا حياة الفقير * فاصلح ما كان فى المقبره

فلما سمع الخليفة انشاده قال لجعفر انظر هذا الرجل الفقير وانظر هذا الشعر فانه يدل على احتياجه ثم ان الخليفة تقدم اليه وقال له يا شيخ ما حرفتك قال يا سيدى صياد وعندى عائلة وخرجت من بيتى من نصف النهار الى هذا الوقت ولم يقسم الله لى شيأ اقوت به عيالى وقد كرهت نفسى وتمنيت الموت فقال له الخليفة هل لك ان ترجع معنا الى البحر وتقف على شاطئ الدجلة وترمى شبكتك على بختى وكل ما طلع اشتريه منك بمائة دينار ففرح الرجل لما سمع هذا الكلام وقال على رأسى ارجع معكم ثم ان الصياد رجع الى البحر ورمى شبكته وصبر عليها ثم انه جذب الخيط وجر الشبكة اليه فطلع فى الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة جسه فوجده ثقيلا فاعطى الصياد مائة دينار وانصرف وحمل الصندوق مسرور هو وجعفر وطلعا به مع الخليفة الى القصر واوقدوا الشموع والصندوق بين يدى الخليفة فتقدم جعفر ومسرور وكسروا الصندوق فوجدوا فيه قفة خوص مخيطة بصوف احمر فقطعوا الخياطة فرأوا فيها قطعة بساط فرفعوها فوجدوا تحتها ازارا فرفعوا الازار فوجدوا تحته صبية كأنها سبيكة فضة مقتولة ومقطعة فلما نظرها الخليفة جرت دموعه على خده والتفت الى جعفر وقال يا كلب الوزرا اتقتل القتلى فى زمنى ويرمون فى البحر ويصيرون متعلقين بذمتى والله لابد ان اقتص لهذه الصبية ممن

قتلها واقتله وقال لجعفر وحق اتصال نسبي بالخلفاء من بني العباس ان لم تأتني بالذي قتل هذه
لاضفها منه لاصلبنك على باب قصري انت واربعين من بني عمك واغتاظ الخليفة فقال جعفر امهلني
ثلاثة ايام قال امهلتك ثم خرج جعفر من بين يديه ومشى في المدينة وهو حزين وقال في نفسه من اين
اعرف من قتل هذه الصبية حتى احضره للخليفة وان احضرت له غيره يصير معلقا بذمتي ولا ادري
ما اصنع ثم ان جعفر جلس في بيته ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ارسل اليه الخليفة يطلبه فلما تمثل بين يديه
قال له اين قاتل الصبية قال جعفر يا امير المؤمنين هل انا اعلم الغيب حتى اعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة
وامر بصلبه على باب قصره وامر مناديا ان ينادي في شوارع بغداد من اراد الفرجة على صلب جعفر
البرمكي وزير الخليفة وصلب اولاد عمه على باب قصر الخليفة فليخرج ليتفرج فخرجت الناس من جميع
الحارات ليتفرجوا على صلب جعفر وصلب اولاد عمه ولم يعلموا سبب ذلك ثم امر بنصب الخشب
فنصبوه واوقفوهم تحته لاجل الصلب وصاروا ينتظرون الاذن من الخليفة وصار الخلق يتباكون
على جعفر وعلى اولاد عمه فبينما هم كذلك واذا بشاب حسن نقي الاثواب يمشي بين الناس مسرعا الى ان
وقف بين يدي الوزير وقال له سلامتك من هذه الوقفة يا سيد الامراء وكهف الفقراء انا الذي قتلت القتيلة
التي وجدتموها في الصندوق فاقتلني فيها واقتص لها مني فلما سمع جعفر كلام الشاب وما ابداه من
الخطاب فرح بخلاص نفسه وحزن على الشاب فبينما هم في الكلام واذا بشيخ كبير يفسح الناس ويمشي
بينهم بسرعة الى ان وصل الى جعفر والشاب فسلم عليهما ثم قال ايها الوزير لا تصدق كلام هذا الشاب
فانه ما قتل هذه الصبية الا انا فاقتص لها مني فقال الشاب ايها الوزير ان هذا شيخ كبير خرفان لا يدري
ما يقول وانا الذي قتلتها فاقتص لها مني فقال الشيخ يا ولدي انت صغير تشتهي الدنيا وانا كبير شبعت
من الدنيا وانا افديك وافدي الوزير وبني عمه وما قتل الصبية الا انا فبالله عليك ان تعجل بالاقتصاص مني
فلما نظر الى ذلك الامر تعجب منه واخذ الشاب والشيخ وطلع بهما عند الخليفة وقال يا امير المؤمنين قد
حضر قاتل الصبية فقال الخليفة اين هو فقال ان هذا الشاب يقول انا القاتل وهذا الشيخ يكذبه ويقول
لا بل انا القاتل فنظر الخليفة الى الشيخ والشاب وقال من منكما قتل هذه الصبية فقال الشاب ما قتلها
الا انا وقال الشيخ ما قتلها الا انا فقال الخليفة لجعفر خذ الاثنين واصلبهما فقال جعفر اذا كان القاتل
واحدا فقتل الثاني ظلم فقال الشاب وحق من رفع السماء وبسط الارض اني انا الذي قتلت الصبية
وهذه امارة قتلها ووصف ما وجده الخليفة فتحقق عند الخليفة ان الشاب هو الذي قتل الصبية فتعجب
الخليفة وقال ما سبب قتلك هذه الصبية بغير حق وما سبب اقرارك بالقتل من غير ضرب وقولك اقتصوا
لها مني فقال الشاب اعلم يا امير المؤمنين ان هذه الصبية زوجتي وبنت عمي وهذا الشيخ ابوها وهو عمي
وتزوجت بها وهي بكر فرزقني الله منها ثلاثة اولاد ذكور وكانت تحبني وتخدمني ولم ارَ عليها شيئا فلما
كان اول هذا الشهر مرضت مرضا شديدا فاحضرت لها الاطباء حتى حصلت لها العافية فاردت ان
ادخلها الحمام فقالت اني اريد شيئا قبل دخول الحمام لاني اشتهيه فقلت لها وما هو فقالت اني اشتهي
تفاحة اشمها واعض منها عضة فطلعت من ساعتي الى المدينة وفتشت على التفاح ولو كانت الواحدة
بدينار فلم اجده فبت تلك الليلة وانا متفكر فلما اصبح الصباح خرجت من بيتي ودرت على البساتين واحدا
واحدا فلم اجده فيها فصادفني خولي كبير فسألته عن التفاح فقال يا ولدي هذا شيء قل ان يوجد لانه
معدوم ولا يوجد الا في بستان امير المؤمنين الذي في البصرة وهو عند الخولي يدخره للخليفة فجئت الى

زوجتي

زوجتي وقد حملتني محبتي اياها على ان هيئت نفسي وسافرت خمسة عشر يوما ليلا ونهارا في الذهاب والاياب وجئت لها بثلاث تفاحات اشتريتها من خولي البصرة بثلاثة دنانير ثم اني دخلت وناولتها اياها فلم تفرح بها بل تركتها في جانبها وكان مرض الحمى قد اشتد بها ولم تزل في ضعفها الى ان مضى لها عشرة ايام وبعد ذلك عوفيت فخرجت من البيت وذهبت الى دكاني وجلست في بيعي وشرائي فبينما انا جالس في وسط النهار واذا بعبد اسود مر علي وفي يده تفاحة يلعب بها فقلت له من اين اخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك وقال اخذتها من حبيبتي وانا كنت غائبا وجئت فوجدتها ضعيفة وعندها ثلاث تفاحات فقالت ان زوجي الديوث سافر من شأنها الى البصرة فاشتراها بثلاثة دنانير فاخذت منها هذه التفاحة فلما سمعت كلام العبد يا امير المؤمنين اسودت الدنيا في وجهي وقفلت دكاني وجئت الى البيت وانا فاقد العقل من شدة الغيظ فلم اجد التفاحة الثالثة فقلت لها اين الثالثة فقالت لا ادري ولا اعرف اين ذهبت فتحققت قول العبد وقمت اخذت سكينا وركبت على صدرها ونحرتها بالسكين وقطعت رأسها واعضائها وحطيتها في القفة بسرعة وغطيتها بالازار وحطيت عليها شقة بساط وانزلتها في الصندوق وقفلته وحملتها على بغلتي ورميتها في الدجلة بيدي فبالله عليك يا امير المؤمنين ان تعجل بقتلي قصاصا لها فاني خائف من مطالبتها يوم القيامة فاني لما رميتها في بحر الدجلة ولم يعلم بها احد رجعت الى البيت فوجدت ولدي الكبير يبكي ولم يكن له علم بما فعلت في امه فقلت له ما يبكيك فقال اني اخذت تفاحة من التفاح الذي عند امي ونزلت بها الى الزقاق العب مع اخواتي واذا بعبد اسود طويل خطفها مني وقال لي من اين جاءتك هذه فقلت له هذه سافر ابي وجاء بها من البصرة من اجل امي وهي ضعيفة واشترى ثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فاخذها مني وضربني وراح بها فخفت من امي ان تضربني من شأن التفاحة فلما سمعت كلام الولد علمت ان العبد هو الذي افترى الكلام الكذب على بنت عمي وتحققت انها قتلت ظلما ثم اني بكيت بكاء شديدا واذا بهذا الشيخ وهو عمي والدها قد اقبل فاخبرته بما كان فجلس بجانبي وبكى ولم نزل نبكي الى نصف الليل واقمنا العزا خمسة ايام ولم نزل الى هذا اليوم ونحن نتأسف على قتلها فبحرمة اجدادك ان تعجل بقتلي وتقتص لها مني فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب وقال والله لا اقتل الا العبد الخبيث وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة اقسم انه لا يقتل الا العبد لان الشاب معذور ثم ان الخليفة التفت الى جعفر وقال له احضر لي هذا العبد الخبيث الذي كان سببا في هذه القضية وان لم تحضره فانت تقتل عوضا عنه فنزل يبكي ويقول من اين احضره ولا كل مرة تسلم الجرة وليس لي في هذا الامر حيلة والذي سلمني في الاول يسلمني في الثاني والله ما بقيت اخرج من بيتي ثلاثة ايام والحق سبحانه يفعل ما يشاء ثم اقام في بيته ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع احضر القاضي واوصى وودع اولاده وبكى واذا برسول الخليفة اتى اليه وقال له ان امير المؤمنين في اشد ما يكون من الغضب وارسلني اليك وحلف انه لا يمر هذا النهار الا وانت مقتول ان لم تحضر له العبد فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى وبكت اولاده فلما فرغ من التوديع تقدم الى بنته الصغيرة ليودعها وكان يحبها اكثر من اولاده جميعا فضمها الى صدره وبكى على فراقها فوجد في جيبها شيأ مكببا فقال لها ما الذي في جيبك فقالت له يا ابت تفاحة جاء بها عبدنا ريحان ولها

معى اربعة ايام وما اعطاها لى حتى اخذ منى دينارين فلما سمع جعفر بذلك العبد والتفاحة فرح وقال يا قريب الفرج ثم انه امر باحضار العبد فحضر فقال له من اين هذه التفاحة فقال يا سيدى من مدة خمسة ايام كنت ماشيا فدخلت فى بعض ازقة المدينة فنظرت صغارا يلعبون ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه وضربته فبكى وقال هذه لامى وهى مريضة واشتهت على ابى تفاحا فسافر الى البصرة وجاء لها بثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فاخذت هذه العب بها ثم بكى فلم التفت اليه واخذتها وجئت بها هنا فاخذتها سيدتى الصغيرة بدينارين فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون الفتنة وقتل الصبية من عبده وامر بسجن العبد وفرح بخلاص نفسه ثم انشد هذين البيتين

ومن كانت رزيته بعبد ❊ فال النفس تجعله فداها
فانك واجد خدما كثيرا ❊ ونفسك لم تجد نفسا سواها

ثم انه قبض على العبد وطلع به الى الخليفة فامر ان تورخ هذه الحكاية وتجعل سيرا بين الناس فقال له جعفر لا تعجب يا امير المؤمنين من هذه القصة فما هى باعجب من حديث الوزير نور الدين مع شمس الدين اخيه فقال الخليفة واى حكاية اعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا امير المؤمنين لا احدثك الا بشرط ان تعتق عبدى من القتل فقال قد وهبت لك دمه فقال جعفر اعلم يا امير المؤمنين انه كان فى مصر سلطان صاحب عدل واحسان وله وزير عاقل خبير له علم بالامور والتدبير وكان شيخا كبيرا وله ولدان كانهما قمران وكان اسم الكبير شمس الدين واسم الصغير نور الدين وكان الصغير اميز من الكبير فى الحسن والجمال وليس فى زمانه احسن منه حتى انه شاع ذكره فى البلاد فكان بعض اهلها يسافر من بلاده الى بلده لاجل رؤية جماله فاتفق ان والدهما مات فحزن عليه السلطان واقبل على الولدين وقربهما وخلع عليهما وقال لهما انتما فى مرتبة ابيكما ففرحا وقبلا الارض بين يديه وعملا العزا لابيهما شهرا كاملا ودخلا فى الوزارة وكل منهما يتولاها جمعة واذا اراد السلطان السفر يسافر مع واحد منهما فاتفق فى ليلة من الليالى ان السلطان كان عازما على السفر فى الصباح وكانت النوبة للكبير فبينما الاخوان يتحدثان فى تلك الليلة اذ قال الكبير يا اخى قصدى ان اتزوج انا وانت فى ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا اخى ما تريد فانى موافقك على ما تقول واتفقا على ذلك ثم ان الكبير قال لاخيه ان قدر الله وخطبنا بنتين ودخلنا فى ليلة واحدة ووضعتا فى يوم واحد واراد الله وجاءت زوجتك بغلام وجاءت زوجتى ببنت نزوجهما لبعضهما لانهما اولاد عم فقال نور الدين يا اخى ما تأخذ من ولدى فى مهر بنتك قال اخذ من ولدك فى مهر بنتى ثلاثة آلاف دينار وثلاثة بساتين وثلاث ضياع فان عقد الشاب عقده بغير هذا لا يصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر الذى شرطته على ولدى اما تعلم اننا اخوان ونحن الاثنان وزيران فى مقام واحد وكان الواجب عليك ان تقدم ابنتك لولدى هدية من غير مهر فانك تعلم ان الذكر افضل من الانثى وولدى ذكر ويذكر به بخلاف ابنتك فقال وما لها قال لا تذكر بها بين الامراء ولكن انت تريد ان تفعل معى على رأى الذى قال ان اردت ان تطرده فاجعل الثمن غاليا وقيل ان بعض الناس قدم على اصحابه فقصده فى حاجة فغلى عليه الثمن فقال له شمس الدين اراك قد قصرت لانك تعمل ابنك افضل من بنتى ولا شك انك ناقص عقل وليس لك اخلاق حيث تذكر شركة الوزارة وانا ما ادخلتك معى فى الوزارة الا شفقة عليك ولاجل ان تساعدنى وتكون لى معينا ولكن قل ما شئت وحيث صدر منك هذا القول والله لا ازوج بنتى لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبا فلما سمع نور الدين كلام اخيه اغتاظ وقال وانا لا ازوج ابنى ابنتك فقال شمس الدين

انا

انا لا ارضاها لها بعلا ولولا انى اريد السفر لكنت عملت معك العبر ولكن لما ارجع من السفر يفعل الله ما يريد فلما سمع نور الدين من اخيه ذلك الكلام امتلأ غيظا وغاب عن الدنيا وكتم ما به وبات كل واحد فى ناحية فلما اصبح الصباح برز السلطان للسفر وعدى الى الجزيرة وقصد الاهرام وصحبته الوزير شمس الدين واما اخوه نور الدين فبات فى تلك الليلة فى اشد ما يكون من الغيظ فلما اصبح الصباح قام وصلى الصبح وعمد الى خزانته واخذ منها خرجا صغيرا وملأه ذهبا وتذكر قول اخيه واحتقاره اياه وافتخاره عليه فانشد هذه الابيات

سافر تجد عوضا عمن تفارقه * وانصب فان لذيذ العيش فى النصب
ما فى المقام لذى لب وذى ادب * معزة فاترك الاوطان واغترب
انى رأيت وقوف الماء يفسده * فان جرى طاب اولم يجر لم يطب
والبدر لولا افول منه ما نظرت * اليه فى كل حين عين مرتقب
والاسد لولا فراق الغاب ما قنصت * والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والتبر كالترب ملقى فى اماكنه * والعود فى ارضه نوع من الحطب
فان تغرب هذا عز مطلبه * وان اقام فلا يعلو الى رتب

فلما فرغ من شعره امر بعض غلمانه ان يشد له بغلة زرزورية عالية سريعة المشى فشدها ووضع عليها سرجا مذهبا بركابات هندية وعباآت من القطيفة الاصبهانية فصارت كانها عروس مجلية وامر ان يجعل عليها بساط حرير وسجادة وان يضع الخرج من تحت السجادة ثم قال للغلام والعبيد قصدى ان اتفرج خارج المدينة واروح نواحى القليوبية وابيت ثلاث ليال فلا يتبعنى منكم احد فان عندى ضيق صدر ثم اسرع وركب البغلة واخذ معه شيأ قليلا من الزاد وخرج من مصر واستقبل البر فما جاء عليه الظهر حتى دخل مدينة بلبيس فنزل عن بغلته واستراح واراح البغلة واكل شيأ واخذ من بلبيس ما يحتاج اليه وما يعلق به على بغلته ثم استقبل البر فما جاء عليه الظهر بعد يومين حتى دخل مدينة القدس فنزل عن بغلته واستراح واراح بغلته واخرج شيأ اكله ثم حط الخرج تحت رأسه وفرش البساط ونام فى مكان والغيظ غالب عليه ثم انه بات فى ذلك المكان فلما اصبح الصباح ركب وسار يسوق البغلة الى ان وصل الى مدينة حلب فنزل فى بعض الخانات واقام ثلاثة ايام حتى استراح واراح البغلة وشم الهواء ثم عزم على السفر وركب بغلته وخرج مسافرا ولا يدرى اين يذهب فلم يزل سائرا الى ان وصل الى مدينة البصرة ليلا ولم يشعر بذلك حتى نزل فى الخان ونزل الخرج عن البغلة وفرش السجادة واودع البغلة بعدتها عند البواب وامره ان يسيرها فاخذها وسيرها فاتفق ان وزير البصرة جالس فى شباك قصره فنظر البغلة ونظر ما عليها من العدة الثمينة فظنها بغلة وزير من الوزراء او ملك من الملوك فتأمل فى ذلك وحار عقله وقال لبعض غلمانه ائتنى بهذا البواب فذهب الغلام الى البواب واتى به الى الوزير فتقدم البواب وقبل الارض بين يديه وكان الوزير شيخا كبيرا فقال للبواب من صاحب هذه البغلة وما صفاته فقال البواب يا سيدى ان صاحب هذه البغلة شاب صغير ظريف الشمائل من اولاد التجار عليه هيبة ووقار فلما سمع الوزير كلام البواب قام على قدميه وركب وسار الى الخان ودخل على الشاب فلما رأى نور الدين الوزير قادما عليه قام على قدميه ولاقاه واحتضنه ونزل الوزير من فوق جواده وسلم عليه فرحب به واجلسه عنده وقال له يا ولدى من اين اقبلت وماذا تريد فقال نور الدين يا مولاى انى قدمت من مدينة مصر وكان ابى وزيرا فيها

وقد انتقل الى رحمة الله واخبره بما جرى له من المبتدا الى المنتهى ثم قال وقد عزمت فى نفسى انى لا اعود ابدا حتى انظر جميع المدن والبلدان فلما سمع الوزير كلامه قال له يا ولدى لا تطاوع النفس فترميك فى الهلاك فان البلاد خراب وانا اخاف عليك من عواقب الزمان ثم انه امر بوضع الخرج على البغلة والبساط والسجادة واخذ نور الدين معه الى بيته وانزله فى مكان ظريف واكرمه واحسن اليه واحبه حبا شديدا وقال له يا ولدى انا بقيت رجلا كبيرا ولم يكن لى ولد ذكر وقد رزقنى الله بنتا تقاربك فى الحسن ومنعت عنها خطابا كثيرة وقد وقع حبك فى قلبى فهل لك ان تأخذ ابنتى جارية لخدمتك وتكون لها بعلا فان كنت تقبل ذلك اطلع الى سلطان البصرة واقول له انه ولد اخى واوصلك اليه حتى اجعلك وزيرا مكانى والزم انا بيتى فانى بقيت رجلا كبيرا فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة اطرق برأسه ثم قال سمعا وطاعة ففرح الوزير بذلك وامر غلمانه ان يصنعوا له طعاما وان يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة المعدة لحضور اكابر الامراء ثم جمع اصحابه ودعا اكابر الدولة وتجار البصرة فحضروا بين يديه وقال لهم انه كان لى اخ وزير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين وانا كما تعلمون رزقنى الله بنتا وكان اخى اوصانى انى ازوج بنتى لاحد اولاده فاجبته الى ذلك فلما استحقت الزواج ارسل الى احد اولاده وهو هذا الشاب الحاضر فلما جاءنى احببت ان اكتب كتابه على بنتى ويدخل بها عندى فقالوا نعم ما فعلت ثم شربوا السكر ورشوا ماء الورد وانصرفوا واما الوزير فانه امر غلمانه ان يأخذوا نور الدين ويدخلوا به الحمام واعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه وارسل اليه الفوط والطاسات ومجامر البخور وما يحتاج اليه فلما خرج من الحمام لبس البدلة فصار كالبدر ليلة تمامه ثم ركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر الوزير فنزل عن البغلة ودخل على الوزير فقبل يده ورحب به الوزير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير قام له ورحب به وقال له قم ادخل هذه الليلة على زوجتك وفى غد اطلع بك الى السلطان وارجو لك من الله كل خير فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا ما كان من امر نور الدين واما ما كان من امر اخيه فانه غاب عند السلطان مدة فى السفر ثم رجع فلم يجد اخاه فسأل عنه الخدام فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال انا متوجه الى جهة القليوبية فاغيب يوما او يومين فان صدرى ضاق ولا يتبعنى منكم احد ومن يوم خروجه الى هذا اليوم لم نسمع له خبرا فتشوش خاطر شمس الدين على فراق اخيه واغتم غما شديدا لفقده وقال فى نفسه ما سبب ذلك الا انى اغلظت عليه فى الحديث ليلة سفرى مع السلطان فلعله تغير خاطره وخرج مسافرا فلا بد ان ارسل خلفه ثم طلع واعلم السلطان بذلك فكتب بطاقات وارسل بها الى نوابه فى جميع البلاد ونور الدين قطع بلادا بعيدة فى مدة غياب اخيه مع السلطان فذهبت الرسل بالمكاتيب ثم عادوا ولم يقفوا له على خبر ويئس شمس الدين من اخيه وقال لقد اغظت اخى بكلامى له من جهة زواج الاولاد فليت ذلك لم يكن وما حصل ذلك الا من قلة عقلى وعدم تدبيرى ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه عليها ودخل بها وقد اتفق ان ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول نور الدين على زوجته بنت وزير البصرة وذلك بارادة الله تعالى حتى ينفذ حكمه فى خلقه وكان الامر كما قالاه فاتفق ان الزوجتين حملتا منهما وقد وضعت زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا لا يرى فى مصر احسن منها ووضعت زوجة نور الدين

ولدا

ولا اذكر لا يرى فى زمانه احسن منه كما قال الشاعر

ومهفهف يغني النديم بريقه * عن كأسه الملآى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * فى مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقال اخر

ان جاءه الحسن كى يقاس به * ينكس الحسن رأسه خجلا
او قيل يا حسن هل رأيت كذا * يقول اما نظير ذا فلا

فسموه حسنا وفى سابع ولادته صنعوا الولائم وعملوا اسمطة تصلح لاولاد الملوك ثم ان وزير البصرة اخذ معه نور الدين وطلع به الى السلطان فلما صار قدامه قبل الارض بين يديه وكان نور الدين فصيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن واحسان فانشد قول الشاعر

هذا الذى عم الانام بعدله * وسطا فمهد سائر الافاق
اشكر صنائعه فلسن صنائعا * لكنهن قلائد الاعناق
والثم انامله فلسن اناملا * لكنهن مفاتح الارزاق

فاكرمهما السلطان وشكر نور الدين على ما قال وقال لوزيره من هذا الشاب فحكى له الوزير قصته من اولها الى اخرها وقال له هذا ابن اخى فقال له وكيف يكون ابن اخيك ولم نسمع به فقال يا مولانا السلطان انه كان لى اخ وزير بالديار المصرية وقد مات وخلف ولدين فالكبير جلس فى مرتبة والده وزيرا وهذا ولده الصغير جاء عندى وحلفت انى لا ازوج بنتى الا له فلما جاء زوجته بها وهو شاب وانا صرت شيخا كبيرا وقل سمعى وعجز تدبيرى والقصد من مولانا السلطان ان يجعله فى مرتبتى فانه ابن اخى وزوج ابنتى وهو اهل للوزارة لانه صاحب رأى وتدبير فنظر السلطان اليه فاعجبه واستحسن رأى الوزير بما اشار عليه من تقديمه فى رتبة الوزارة فانعم عليه بها وامر له بخلعة عظيمة وبغلة من خاص مركوبه وعين له الرواتب والجوامك فقبل نور الدين يد السلطان ونزل هو وصهره الى منزلهما وهما فى غاية الفرح وقالا ان قدم هذا المولود مبارك ثم ان نور الدين توجه ثانى يوم الى الملك وقبل الارض وانشد هذين البيتين

سعادات تجدد كل يوم * واقبال وقد رغم الحسود
ولا زالت لك الايام بيضا * وايام الذى عاداك سود

فامره السلطان بالجلوس فى مرتبة الوزارة فجلس وتعاطى امور خدمته ونظر بين الناس فى امورهم ومحاكماتهم كما جرت به عادة الوزراء وصار السلطان ينظر اليه ويتعجب من امره وذكاء عقله وحسن تدبيره وتبصره فى احواله فحبه وقربه اليه ولما انفض الديوان نزل نور الدين الى بيته وحكى لصهره ما وقع ففرح ولم يزل الوزير يربى المولود المسمى حسنا الى ان مضت عليه ايام ولم يزل نور الدين فى الوزارة حتى انه لا يفارق السلطان فى ليل ولا فى نهار وزاد له الجوامك والجرايات الى ان اتسع عليه الحال وصار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وغيرها وعمر املاكا كثيرة ودواليب وبساتين الى ان بلغ عمر ولده حسن اربع سنين فتوفى الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فاخرجه خرجة عظيمة وواراه فى التراب ثم اشتغل بعد ذلك بتربية ولده فلما بلغ اشده احضر له فقيها يقرئه فى بيته واوصاه بتعليمه وحسن تربيته فقرأه وعلمه فوائد فى العلم بعد ان حفظ القرأن فى مدة سنوات وما زال حسن يزداد جمالا وحسنا واعتدالا كما قال الشاعر

قمر تكامل فى المحاسن وانتهى * فالشمس تشرق من شقائق خده

ملك الجمال بأسره فكانما * حسن البرية كلها من عنده

وقد رباه الفقيه في قصر ابيه ومن حين نشأته لم يخرج من قصر الوزارة الى ان اخذه والده الوزير نور الدين يوماً من الايام والبسه بدلة من افخر ملبوسه واركبه بغلة من خيار بغاله وطلع به الى السلطان ودخل به عليه فنظر الملك حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين فانبهر من حسنه واما اهل المملكة فانه لما مر عليهم اول مرة وهو طالع مع ابيه الى الملك قد تحيروا من فرط حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله وتحققوا فيه معنى قول الشاعر

رصد المنجم ليله فبدا له * قد المليح يميس في برديه
وتأمل الجوزاء اذ نثرت به * حب الجمان يلوح في عطفيه
وامده زحل سواد ذوائب * والمسك هادي الخال في خديه
وغدت من المريخ حمرة خده * والقوس يرمي النبل من جفنيه
وعطارد اعطاه فرط ذكائه * وابى السها نظر الوشاة اليه
فغدا المنجم حائراً مما رأى * والبدر باس الارض بين يديه

فلما رآه السلطان احبه وانعم عليه وقال لابيه يا وزير لا بد انك تحضره معك في كل يوم فقال سمعاً وطاعة ثم عاد الوزير بولده الى منزله وما زال يطلع به الى السلطان في كل يوم الى ان بلغ الولد من العمر خمسة عشر عاماً ثم ضعف والده الوزير نور الدين فاحضره وقال يا ولدي اعلم ان الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء واريد ان اوصيك وصايا فافهم ما اقول لك واصغ قلبك اليه وصار يوصيه بحسن عشرة الناس وحسن التدبير ثم ان نور الدين تذكر اخاه واوطانه وبلاده وبكى على فرقة الاحباب وسحت دموعه وقال يا ولدي اسمع قولي فان لي اخاً يسمى شمس الدين وهو عمك ولكنه وزير بمصر قد فارقته وخرجت على غير رضاه والقصد انك تأخذ درجاً من الورق وتكتب ما امليه عليك فاحضر قرطاساً وصار يكتب فيه كل ما قاله ابوه فاملى عليه جميع ما جرى له من اوله الى آخره وكتب له تاريخ زواجه ودخوله على بنت الوزير وتاريخ وصوله الى البصرة واجتماعه بوزيرها وكتب وصية موثقة ثم قال لولده احفظ هذه الوصية فان ورقتها فيها اصلك وحسبك ونسبك فان اصابك شيء من الامور فاقصد مصر واستدل على عمك وسلم عليه واعلمه اني مت غريباً مشتاقاً اليه فاخذ حسن بدر الدين الرقعة وطواها ولف عليها خرقة مشمعة وخيطها بين البطانة والظهارة وصار يبكي على ابيه من اجل فراقه وهو صغير وما زال نور الدين يوصي ولده حسن بدر الدين حتى طلعت روحه فاقام الحزن في بيته وحزن عليه السلطان وجميع الامراء ودفنوه ولم يزل في حزن مدة شهرين وولده لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان واقام مكانه بعض الحجاب وولى السلطان وزيراً جديداً مكانه وامره ان يختم على اماكن نور الدين وعلى ماله وعلى عماراته وعلى املاكه فنزل الوزير الجديد واخذ الحجاب وتوجهوا الى بيت الوزير نور الدين يختمون عليه ويقبضون على ولده حسن بدر الدين ويطلعون به الى السلطان ليعمل فيه ما يقتضي رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير نور الدين المتوفى فلم يهن عليه ولد سيده فذهب ذلك المملوك الى حسن بدر الدين فوجده منكس الرأس حزين القلب على فراق والده فاعلمه بما جرى فقال له هل في الامر مهلة حتى ادخل بيتي فآخذ معي شيئاً من الدنيا لاستعين به على الغربة فقال له المملوك انج بنفسك فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج ماشياً الى ان صار خارج المدينة فسمع الناس يقولون ان السلطان ارسل الوزير الجديد الى بيت وزيره المتوفى ليختم على ماله

واما كنه ويقبض على ولده حسن بدر الدين ويطلع به اليه فيقتله وصارت الناس تتأسف على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج الى غير قصد ولم يعلم اين يذهب فلم يزل سائرا الى ان ساقته المقادير الى تربة والده فدخل المقبرة ومشى بين القبور الى ان جلس عند قبر ابيه وازال ذيله من فوق رأسه فبينما هو جالس عند تربة ابيه اذ قدم عليه يهودى من البصرة وقال له يا سيدى مالى اراك متغيرا فقال له انى كنت نائما فى هذه الساعة فرأيت ابى يعاتبنى على عدم زيارتى قبره فقمت وانا مرعوب وخفت ان يفوت النهار ولم ازره فيصعب على الامر فقال له اليهودى يا سيدى ان اباك كان ارسل مراكب تجارة وقدم منها البعض ومرادى ان اشترى منك وسق كل مركب قدمت بالف دينار ثم اخرج اليهودى كيسا ممتلئا من الذهب وعد منه الف دينار ودفعه الى حسن ابن الوزير ثم قال له اليهودى اكتب لى ورقة واختمها فاخذ حسن ابن الوزير ورقة وكتب فيها كاتب هذه الورقة حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين قد باع لليهودى فلان جميع وسق كل مركب وردت من مراكب ابيه المسافرين بالف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فاخذ اليهودى الورقة وصار حسن يبكى ويتذكر ما كان فيه من العز والاقبال ثم دخل عليه الليل وادركه النوم فنام عند قبر ابيه ولم يزل نائما حتى طلع القمر فتدحرجت رأسه عن القبر ونام على ظهره وصار وجهه يلمع فى القمر وكانت المقابر عامرة بالجن المؤمنين فخرجت جنية فنظرت وجه حسن وهو نائم فلما رأته تعجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان الله ما هذا الشاب الا كأنه من الحور العين ثم طارت الى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتا طائرا فسلمت عليه وسلم عليها فقالت له من اين اقبلت قال من مصر فقالت له هل لك ان تروح معى حتى تنظر الى حسن الشاب النائم فى المقبرة فقال لها نعم فسارا حتى نزلا فى المقبرة فقالت له هل رأيت فى عمرك مثل هذا فنظر العفريت اليه وقال سبحان من لا شبيه له ولكن يا اختى ان اردت حدثتك بما رأيت فقالت له حدثنى فقال لها انى رأيت مثل هذا الشاب فى اقليم مصر وهى بنت الوزير وقد علم بها الملك فخطبها من ابيها الوزير شمس الدين فقال له يا مولانا السلطان اقبل عذرى وارحم عبرتى فانك تعرف ان اخى نور الدين خرج من عندنا ولا نعلم اين هو وكان شريكى فى الوزارة وسبب خروجه انى جلست اتحدث معه فى شأن الزواج فغضب منى وخرج مغضبا وحكى للملك جميع ما جرى بينهما ثم قال للملك فكان ذلك سببا لغيظه وانا حالف ان لا ازوج بنتى الا لابن اخى من يوم ولدتها امها وذلك نحو ثمانية عشر سنة ومن مدة قريبة سمعت ان اخى تزوج بنت وزير البصرة وجاء منها بولد وانا لا ازوج بنتى الا له كرامة لاخى ثم انى ارخت وقت زواجى وحمل زوجتى وولادة هذه البنت وهى باسم ابن عمها والبنات كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضبا شديدا وقال كيف يخطب مثلى من مثلك بنتا فتمنعها منه وتحتج بحجة باردة وحياة رأسى لا ازوجها الا باقل منى برغم انفك وكان عند الملك سايس احدب بحدبة من قدام وحدبة من وراء فامر السلطان باحضاره وكتب كتابه على بنت الوزير بالقهر وامر ان يدخل عليها فى هذه الليلة ويعمل له زفافا وقد تركته وهو بين مماليك السلطان وهم حوله فى ايديهم الشموع موقدة يضحكون عليه ويسخرون به على باب الحمام واما بنت الوزير فانها جالسة تبكى بين المنقشات والمواشط وهى اشبه الناس بهذا الشاب وقد حجروا على ابيها ومنعوه ان يحضرها وما رأيت يا اختى اقبح من هذا الاحدب واما الصبية فهى احسن من هذا الشاب

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجني لما حكى للجنية حكاية بنت وزير مصر وان الملك كتب كتابها على السايس الاحدب وهي في غاية الحزن وانه لا احد يشبهها في الجمال الا هذا الشاب قالت له الجنية تكذب فان هذا الشاب احسن اهل زمانه فرد عليها العفريت وقال والله يا اختي ان الصبية احسن من هذا ولكن لا يصلح لها الا هو فانهما مثل بعضهما ولعلهما اخوان او ولدا عم فيا خسارتها مع هذا الاحدب فقالت له يا اخي دعنا ندخل تحته ونحمله ونروح به الى الصبية التي تقول عليها وننظر ايهما احسن فقال العفريت سمعا وطاعة هذا كلام صواب وليس هناك احسن من هذا الرأي الذي اخترتيه فانا احمله ثم انه حمله وطار به الى الجو وصارت العفريتة في ركابه تحاذيه الى ان نزل به في مدينة مصر وحطه على مصطبة ونبهه فاستيقظ من النوم فلم يجد نفسه على قبر ابيه في ارض البصرة والتفت يمينا وشمالا فلم يجد نفسه الا في مدينة غير مدينة البصرة فاراد ان يصيح فغمزه العفريت وقاد له شمعة وقال له اعلم اني جئت بك وانا اريد ان اعمل معك شيأ لله فخذ هذه الشمعة وامش بها الى ذلك الحمام واختلط بالناس ولا تزل ماشيا معهم حتى تصل الى قاعة العروسة فاسبق وادخل القاعة ولا تخشى احدا واذا دخلت فقف على يمين العريس الاحدب وكل ما جاءك المواشط والمغنيات والمنقشات فحط يدك في جيبك تجده ممتلئا ذهبا فاكبش وارم لهم ولا تتوهم انك تدخل يدك ولا تجده ممتلئا بالذهب فاعط كل من جاءك بالحفنة ولا تخش من شيء وتوكل على الذي خلقك فما هذا بحولك وقوتك بل بحول الله وقوته فلما سمع حسن بدر الدين من العفريت هذا الكلام قال يا ترى اي شيء هذه القضية وما وجه الاحسان ثم مشى واوقد الشمعة وتوجه الى الحمام فوجد الاحدب راكب الفرس فدخل حسن بدر الدين بين الناس وهو على تلك الحالة مع الصورة الحسنة وكان عليه الطربوش والعمامة والفرجية المنسوجة بالذهب وما زال ماشيا في الزينة وكلما وقفت المغنيات للناس تنقطهن يضع يده في جيبه فيلقاه ممتلئا بالذهب فيكبش ويرمي في الطار للمغنيات والمواشط فيملأ الطار دنانير فاندهش عقول المغنيات وتعجب الناس من حسنه وجماله ولم يزل على هذا الحال حتى وصلوا الى بيت الوزير فردت الحجاب الناس ومنعوهم فقالت المغنيات والمواشط والله لا ندخل الا ان دخل هذا الشاب معنا لانه غمرنا باحسانه ولا نجلي العروسة الا وهو حاضر فعند ذلك دخلوا به الى قاعة الفرح واجلسوه برغم انف العريس الاحدب واصطفت جميع نساء الامراء والوزراء والحجاب صفين وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقدة مضيئة وكلهن ملثمات وصرن صفوفا يمينا وشمالا من تحت المنصة الى صدر الليوان الذي عند المجلس الذي تخرج منه العروسة فلما نظر النساء حسن بدر الدين وما هو فيه من الحسن والجمال ووجهه يضيء كأنه هلال مالت جميع النساء اليه فقالت المغنيات للنساء الحاضرات اعلموا ان هذا المليح ما نقطنا الا بالذهب الاحمر فلا تقصرن في خدمته واطعنه فيما يقول فازدحم النساء عليه بالشمع ونظرن الى جماله فانبهرت عقولهن من حسنه وصارت كل واحدة منهن تود ان تكون في حضنه سنة او شهرا او ساعة ورفعن ما كان على وجوههن من النقاب وتحيرت منهن الالباب وقلن هنيئا لمن كان هذا الشاب له او عليه ثم دعون على ذلك السايس الاحدب ومن كان سببا في زواجه هذه المليحة وكلما دعونا لحسن بدر الدين دعون على ذلك الاحدب ثم ان المغنيات ضربن بالدفوف واقبلت المواشط وبنت الوزير بينهن وقد طيبنها وعطرنها والبسنها وحسن شعرها ونحرها بالحلي والحلل

من لباس الملوك الاكاسرة ومن جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الاحمر وفيه صور الوحوش والطيور
وهو مسبول عليها من فوق حوايجها وفى عنقها عقد يساوى الالوف قد حوى كل فص من الجوهر
ما حاز مثله تبع ولا قيصر وصارت العروسة كانها البدر اذا اقمر فى ليلة اربعة عشر ولما اقبلت كانت كانها
حورية فسبحان من خلقها بهية واحدق بها النساء فصارت كالنجوم وهى بينهن كالقمر اذا انجلى عنه
الغيم وكان حسن بدر الدين البصرى جالسا والناس ينظرون اليه فخطرت العروسة واقبلت وتمايلت
فقام اليها السايس الاحدب ليقبلها فاعرضت عنه وانقلبت حتى صارت قدام حسن ابن عمها فضحكت
الناس فلما رأوها مالت الى نحو حسن بدر الدين وحط يده فى جيبه و كبش الذهب ورمى فى طارة
المغنيات ففرحوا وقالوا كنا نشتهى ان تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا كله والسايس الاحدب
وحده كأنه قرد وكلما قادوا له الشمعة طفئت فبهت وصار قاعدا فى الظلام يمقت فى نفسه وهؤلاء
الناس محدقون به وتلك الشموع الموقدة بهجتها من عجب العجاب يتحير من شعاعها اولوا الالباب
واما العروسة فانها رفعت كفيها الى السماء وقالت اللهم اجعل هذا بعلى وارحنى من هذا السايس الاحدب
وصارت المواشط تجلى العروسة الى اخر السبع خلع على حسن بدر الدين البصرى والسايس الاحدب
وحده فلما فرغوا من ذلك اذنوا للناس بالانصراف فخرج جميع من كان فى الفرح من النساء والاولاد
ولم يبق الا حسن بدر الدين والسايس الاحدب ثم ان المواشط ادخلن العروسة ليكشفن ما عليها من الحلى
والحلل ويهيئنها للعريس فعند ذلك تقدم السايس الاحدب الى حسن بدر الدين وقال يا سيدى آنستنا
فى هذه الليلة وغمرتنا باحسانك فلم لا تقوم تروح بيتك بلا مطرود فقال له بسم الله ثم قام وخرج من الباب
فلقيه العفريت فقال له قف يا بدر الدين فاذا خرج الاحدب الى بيت الراحة فادخل انت واجلس
فى المخدع فاذا اقبلت العروسة فقل لها انا زوجك والملك ما عمل تلك الحيلة الا لانه يخاف عليك من
العين وهذا الذى رأيته سايس من سياسنا ثم اقبل عليها واكشف وجهها ولا تخش بأسا من احد
فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت واذا بالسايس دخل بيت الراحة وقعد على الكرسى فطلع له
العفريت من الحوض الذى فيه الماء فى صورة فار وقال زيق فقال الاحدب ما جابك هنا فكبر الفار
وصار كالقط ثم كبر حتى صار كلبا وقال عوه عوه فلما نظر السايس ذلك فزع وقال اخسأ يا مشؤم
فكبر الكلب وانتفخ حتى صار جحشا ونهق وصرخ فى وجهه هاق هاق فانزعج السايس وقال الحقونى
يا اهل البيت واذا بالجحش قد كبر وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان وتكلم بكلام ابن آدم وقال ويلك
يا احدب يا انتن السياس فلحق السايس البطن وقعد على الملاقى بأثوابه واشتبكت اسنانه بعضها فقال
له العفريت هل ضاقت عليك الارض فلا تتزوج الا بمعشوقتى فسكت السايس فقال له رد الجواب
والا اسكنتك التراب فقال والله مالى ذنب الا انهم غصبونى وما عرفت ان لها عشاقا من الجواميس ولكن
انا تائب الى الله ثم اليك فقال له العفريت اقسم بالله ان خرجت فى هذا الوقت من هذا الموضع او تكلمت
قبل ان تطلع الشمس لاقتلنك فاذا طلعت الشمس فاخرج الى حال سبيلك ولا تعد الى هذا البيت ابدا ثم
ان العفريت قبض على السايس الاحدب وقلب رأسه فى الملاقى وجعلها الى اسفل وجعل رجليه الى فوق
وقال له استمر هنا وانا احرسك الى طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الاحدب واما ما كان من
قصة حسن بدر الدين البصرى فانه خلى الاحدب والعفريت يتخاصمان ودخل البيت وجلس فى داخل
المخدع واذا بالعروسة اقبلت ومعها عجوز فوقفت العجوز فى باب المخدع وقالت يا ابا شهاب قم وخذ

عروستك وقد استودعتك الله ثم ولت العجوز ودخلت العروسة فى صدر المخدع وكان اسمها ست الحسن
وقلبها مكسور وقالت فى قلبها والله ما امكنه من نفسى ولو طلعت روحى فلما دخلت الى صدر المخدع نظرت
بدر الدين فقالت حبيبي والى هذا الوقت انت قاعد لقد قلت فى نفسى لعلك انت والسايس الاحدب
مشتركان فىّ فقال حسن بدر الدين واى شئ اوصل السايس اليك ومن اين له ان يكون شريكى فيك
فقالت ومن زوجى أأنت ام هو فقال بدر الدين ياسيدتى نحن ما عملنا هذا الا مضربة به فنضحك عليه فلما
نظرت المواشط والمغنيات واهلك حسنك البديع خافوا علينا من العين فاكتراه ابوك بعشرة دنانير
حتى يصرف عنا العين وقد راح فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك الكلام فرحت وتبسمت
وضحكت ضحكا لطيفا وقالت والله لقد اطفئت نارى فبالله خذنى عندك وضمنى الى حضنك
وكانت بلا لباس فكشفت ثوبها الى نحرها فبان قدامها وورائها فلما نظر بدر الدين صفاء جسمها
تحركت فيه الشهوة فقام وحل لباسه ثم حل الكيس الذهب الذى كان اخذه من اليهودى ووضع
فيه الف دينار ولفه فى سرواله وحطه تحت ذيل الطراحة وقلع عمامته ووضعها على الكرسى وبقى
بالقميص الرفيع وكان القميص مطرزا بالذهب فعند ذلك قامت اليه ست الحسن وجذبته اليها
وجذبها بدر الدين اليه وعانقها واخذ رجليها فى وسطه ثم ركب المدفع وحرره على القلعة واطلقه فهدم
البرج فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فازال بكارتها وتملى بشبابها ولم يزل يركب المدفع
ويرد الى غاية خمس عشرة مرة فعلقت منه فلما فرغ بدر الدين وضع يده تحت راسها وكذلك الاخرى وضعت
يدها تحت رأسه ثم انهما تعانقا وناما متعانقين وشرحا بعناقهما مضمون هذه الابيات

زر من تحب ودع كلام الحاسد ❋ ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن احسن منظرا ❋ من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضى ❋ متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تآلفت القلوب مع الهوى ❋ فالناس تضرب فى حديد بارد
واذا صفى لك من زمانك واحد ❋ فهو المراد وعش بذاك الواحد

هذا ما كان من امر حسن بدر الدين وست الحسن بنت عمه واما ما كان من امر العفريت فانه قال للعفريتة
قومى وادخلى تحت الشاب ودعينا نوديه مكانه لئلا يدركنا الصبح فان الوقت قريب فعند ذلك تقدمت
العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم واخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس ومازالت
العفريتة طائرة به والعفريت يحاذيها فاذن الله ملائكة ان ترمى العفريت بشهاب من نار فاحترق وسلمت
العفريتة فنزلت بدر الدين فى موضع ما احرق الشهاب العفريت ولم تتجاوزه به خوفا عليه وكان بالامر
المقدر ذلك الموضع فى دمشق الشام فوضعته العفريتة على باب من ابوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت
ابواب المدينة خرج الناس فنظروا شابا مليحا بالقميص والطاقية بلا عمامة ولا لباس وهو مما قاسى من
السهر غرقان فى النوم فلما رآه الناس قالوا يابخت من كان هذا عنده فى هذه الليلة ياليته صبر حتى لبس
حوائجه وقال الآخر مساكين اولاد الناس لعل هذا يكون فى هذه الساعة خرج من المسكر لبعض
شغله فقوى عليه السكر فتاه عن المكان الذى كان قصده حتى وصل الى باب المدينة فوجده مغلقا فنام
هاهنا وقد خاض الناس فيه بالكلام واذا بالهوى هب على بدر الدين فرفع ذيله من فوق بطنه فبان
من تحته بطن وسرة محققة وسيقان وافخاذ مثل البلور فصار الناس يتعجبون فانتبه بدر الدين فوجد

روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب وقال اين انا يا جماعة الخير وما سبب اجتماعكم على وما حكايتى معكم فقالوا نحن رأيناك عند اذان الصبح ملقى على هذا الباب نائما ولا نعلم من امرك غير هذا فاين كنت نائما هذه الليلة فقال حسن بدر الدين والله يا جماعة انى كنت نائما هذه الليلة فى مصر فقال واحد هل انت تأكل حشيشا وقال بعضهم أأنت مجنون كيف تكون بائتا فى مصر وتصبح نائما فى مدينة دمشق فقال لهم والله يا جماعة الخير لم اكذب عليكم ابدا وانا كنت البارحة بالليل فى ديار مصر وقبل البارحة كنت بالبصرة فقال واحد هذا شئ عجيب وقال الآخر هذا الشاب مجنون وصفقوا عليه بالكفوف وتحدث الناس مع بعضهم وقالوا يا خسارة شبابه والله ما فى جنونه خلاف ثم انهم قالوا له ارجع لعقلك فقال حسن بدر الدين كنت البارحة عريسا فى ديار مصر فقالوا لعلك حلمت ورأيت هذا الذى تقول فى المنام فتحير حسن فى نفسه وقال لهم والله ما هذا منام واين السايس الاحدب الذى كان قاعدا عندنا والكيس الذهب الذى كان معى واين ثيابى ولباسى ثم قام ودخل المدينة ومشى فى شوارعها واسواقها فازدحمت عليه الناس وزفوه فدخل دكان طباخ وكان ذلك الطباخ رجلا مسرفا فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان اهل دمشق كلهم يخافون منه بسبب شدة بأسه فلما نظر الناس الى الشاب وقد دخل دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه فلما نظر الطباخ الى حسن بدر الدين وشاهد حسنه وجماله وقعت فى قلبه محبته فقال له من اين انت يا فتى فاحك لى حكايتك فانك صرت عندى اعز من روحى فحكى له ما جرى من المبتدا الى المنتهى فقال له الطباخ يا سيدى بدر الدين اعلم ان هذا امر عجيب وحديث غريب ولكن يا ولدى اكتم ما معك حتى يفرج الله ما بك واقعد عندى فى هذا المكان وانا ما لى ولد فاتخذك ولدى فقال له بدر الدين الامر كما تريد يا عم فعند ذلك نزل الطباخ الى السوق واشترى لبدر الدين اقمشة مفتخرة والبسه اياها وتوجه به الى القاضى واشهد على نفسه انه ولده وقد اشتهر حسن بدر الدين فى مدينة دمشق انه ولد الطباخ وقعد عنده فى الدكان يقبض الدراهم وقد استقر امره عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من امر حسن بدر الدين واما ما كان من امر ست الحسن بنت عمه فانه لما طلع الفجر وانتبهت من النوم لم تجد حسن بدر الدين قاعدا عندها فاعتقدت انه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة واذا بابيها قد دخل عليها وهو مهموم مما جرى له من السلطان وكيف غصبه وزوج ابنته غصبا لاحد غلمانه الذى هو السايس الاحدب وقال فى نفسه اقتل هذه البنت ان كانت مكنت هذا الخبيث من نفسها فمشى الى ان وصل الى المخدع ووقف على بابه وقال يا ست الحسن فقالت له نعم يا سيدى ثم انها خرجت وهى تتمايل من الفرح وقبلت الارض بين يديه وازداد وجهها نورا وجمالا لعناقها لذلك الغزال فلما نظرها ابوها وهى بتلك الحالة قال لها يا خبيثة هل انت فرحانة بهذا السايس فلما سمعت ست الحسن كلام والدها تبسمت وقالت بالله يكفى ما جرى منك والناس يضحكون على ويعايرونى بهذا السايس الذى ما يجى فى اصبعى قلامة ظفر ان زوجى والله ما بت طول عمرى ليلة احسن من ليلة البارحة التى بتها معه فلا تهزأ بى وتذكر لى ذلك الاحدب فلما سمع والدها كلامها امتزج بالغضب وازرقت عيناه وقال لها ويلك اى شئ هذا الكلام الذى تقولينه ان السايس الاحدب قد بات عندك فقالت بالله عليك لا تذكره لى قبحه الله وقبح اباه فلا تكثر المزاح بذكره فما كان السايس الا مكترى بعشرة دنانير واخذ اجرته وراح وجئت انا ودخلت المخدع فنظرت زوجى قاعدا بعدما جلتنى عليه المغنيات ونقط بالذهب الاحمر حتى اغنى الفقراء الحاضرين وقد بت فى حضن زوجى الخفيف الروح صاحب العيون السود والحواجب

المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما وقال لها يا فاجرة ما هذا الذى تقولينه اين عقلك فقالت له يا ابت لقد فتتت كبدى لاى شئ تتغافل فهذا زوجى الذى اخذ وجهى قد دخل بيت الراحة وانى قد علقت منه فقام والدها وهو متعجب ودخل بيت الخلا فوجد السايس الاحدب رأسه مغروزة فى المراق ورجلاه مرتفعة الى فوق فبهت فيه الوزير وقال اما هذا هو الاحدب فخاطبه فلم يرد عليه وظن الاحدب انه العفريت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السايس الاحدب لما كلمه الوزير ظن انه العفريت فلم يرد عليه لانه ظن انه لا يكلمه الا العفريت فصرخ عليه الوزير وقال له تكلم والا اقطع رأسك بهذا السيف فعند ذلك قال الاحدب والله يا شيخ العفاريت من حين جعلتنى فى هذا الموضع ما رفعت رأسى فبالله عليك ان ترفق بى فلما سمع الوزير كلام الاحدب قال له ما تقول فانى ابو العروسة ما انا عفريت فقال ليس عمرى فى يدك ولا تقدر ان تأخذ روحى فرح الى حال سبيلك قبل ان يأتيك الذى فعل بى هذه الفعال فانتم لا زوجتمونى الا بمعشوقة الجواميس ومعشوقة العفاريت فلعن الله من زوجنى بها ولعن من كان السبب فى ذلك ثم ان السايس الاحدب صار يحدث الوزير والد العروسة ويقول لعن الله من كان السبب فى ذلك فقال له الوزير قم واخرج من هذا المكان فقال له هل انا مجنون حتى اروح معك بغير اذن العفريت فانه قال لى اذا طلعت الشمس فاخرج ورح الى حال سبيلك فهل طلعت الشمس اولا فانى لا اقدر ان اطلع من موضعى الا ان طلعت الشمس فعند ذلك قال له الوزير من اتى بك الى هذا المكان فقال انى جئت البارحة الى هنا لاقضى حاجتى وازيل ضرورتى واذا بغار طلع من وسط الماء وصاح وصار يكبر حتى بقى قدر الجاموسة وقال لى كلاما دخل فى اذنى فخلنى ورح لعن الله العروسة ومن زوجنى بها فتقدم اليه الوزير واخرجه من المرحاض فخرج وهو يجرى وما صدق ان الشمس طلعت وطلع الى السلطان واخبره بما اتفق له مع العفريت واما الوزير ابو العروسة فانه دخل البيت وهو حائر العقل فى امر ابنته فقال يا بنتى اكشفى لى عن خبرك فقالت ان الظريف الذى كنت انجلى عليه بات عندى البارحة وازال بكارتى وعلقت منه وان كنت لم تصدقنى فهذه عمامته بلفتها على الكرسى ولباسه تحت الفرش وفيه شئ ملفوف لم اعرف ما هو فلما سمع والدها هذا الكلام دخل المخدع فوجد عمامة حسن بدر الدين ابن اخيه ففى الحال اخذها فى يده وقلبها وقال هذه عمامة وزراء الا انها موصلية ثم نظر الى حرز مخيط فى طربوشه فاخذه وفتقه واخذ اللباس فوجد الكيس الذى فيه الالف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودى واسم حسن بدر الدين بن نور الدين المصرى ووجد الالف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشيا عليه فلما افاق وعلم مضمون القصة تعجب وقال لا اله الا الله القادر على كل شئ وقال يا بنتى هل تعرفين من الذى اخذ وجهك قالت لا قال انه ابن اخى وهو ابن عمك وهذه الالف دينار مهرك فسبحان الله فليت شعرى كيف اتفقت هذه القضية ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوبا فيها بخط اخيه نور الدين المصرى ابى حسن بدر الدين فلما نظر خط اخيه انشد هذين البيتين

ارا آثارهم فاذوب شوقا ❊ واسكب فى مواطنهم دموعى
واسئل من بفرقتهم رمانى ❊ يمن علىّ يوما بالرجوع

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة وتاريخ دخوله بها وتاريخ عمره الى حين وفاته وتاريخ ولادة ولده حسن بدر الدين فتعجب واهتز من الطرب وقابل ماجرى لاخيه على ماجرى له فوجده سواء بسواء وزواجه وزواج الآخر متوافقين تاريخا ودخولهما بزوجتيهما متوافقا وولادة بدر الدين ابن اخيه وولادة بنته ست الحسن متوافقين فاخذ الورقتين وطلع بهما الى السلطان واعلمه بما جرى من اول الامر الى آخره فتعجب الملك وامر ان يؤرخ هذا الامر فى الحال ثم اقام الوزير ينتظر ابن اخيه فما وقع له على خبر فقال والله لاعملن عملا ما سبقنى اليه احد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير قال والله لاعملن عملا ما سبقنى اليه احد ثم اخذ دواة وقلما وكتب فيه امتعة البيت وان الشخشانة فى موضع كذا والستارة الفلانية فى موضع كذا وكتب جميع ما فى البيت ثم طوى الكتاب وامر بخزن جميع الامتعة واخذ العمامة والطربوش واخذ معه الفرجية والكيس وحفظها عنده واما بنت الوزير فانها لما كملت اشهرها ولدت ولدا مثل القمر يشبه والده فى الحسن والكمال والبهاء والجمال فقطعوا سرته وكحلوا مقلته وسلموه الى المرضعات وسموه عجيبا فصار يومه بشهر وشهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين اعطاه جده لفقيه ووصاه ان يربيه ويحسن تربيته فاقام فى المكتب اربع سنوات فصار يقاتل اهل المكتب ويسبهم ويقول لهم من فيكم مثلى انا ابن وزير مصر فقامت الاولاد واجتمعوا يشكون الى العريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف انا اعلمكم شيأ تقولون له لما يجيئ فيتوب عن المجيئ للمكتب وذلك انه اذا جاء غدا فاقعدوا حوله وقولوا لبعضكم والله ما يلعب معنا هذه اللعبة الا من يقول لنا على اسم امه واسم ابيه ومن لم يعرف اسم امه واسم ابيه فهو ابن حرام فلا يلعب معنا فلما اصبح الصباح اتوا الى المكتب وحضر عجيب فاحتاطت به الاولاد وقالوا نحن نلعب لعبة ولكن ما يلعب معنا الا من يقول لنا على اسم امه واسم ابيه واتفقوا على ذلك فقال واحد منهم اسمى ماجد وامى علوى وابى عز الدين وقال الآخر مثل قوله وقال الآخر كذلك الى ان جاء الدور الى عجيب فقال انا اسمى عجيب وامى ست الحسن وابى شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له والله ان الوزير ما هو ابوك فقال لهم عجيب الوزير ابى حقيقة فعند ذلك ضحكت عليه الاولاد وصفقوا عليه وقالوا انت ما تعرف لك ابا فقم من عندنا فلا يلعب معنا الا من يعرف اسم ابيه وفى الحال تفرق الاولاد من حوله وتضاحكوا عليه فضاق صدره وانخنق بالبكاء فقال له العريف هل تعتقد ان اباك جدك الوزير ابو امك ست الحسن ان اباك ما تعرفه انت ولا نحن لان السلطان كان زوجها للسايس الاحدب وجاءت الجن فناموا عندها فان لم تعرف لك ابا يجعلوك بينهم ولد زنا الا ترى ان ابن البايع يعرف اباه فوزير مصر انما هو جدك واما ابوك فلا نعرفه نحن ولا انت فارجع لعقلك فلما سمع ذلك الكلام قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وصار يشكى لها وهو يبكى ومنعه البكاء من الكلام فلما سمعت امه كلامه وبكاءه التهب قلبها عليه وقالت له يا ولدى ما الذى ابكاك فاحك لى قصتك فحكى لها ما سمعه من الاولاد ومن العريف وقال لها يا والدتى من هو ابى قالت له ابوك وزير مصر فقال لها ليس هو ابى فلا تكذبى على فان الوزير ابوك انت لا ابى انا فمن هو ابى فان لم تخبرينى بالصحيح قتلت روحى بهذا الخنجر فلما سمعت والدته ذكر ابيه بكت لذكر ولد عمها وتذكرت محاسن حسن بدر

الدين البصري وما جرى لها معه وانشدت هذه الابيات

اهاجوا الحب في قلبي وساروا * وقد شطت بهم تلك الديار
وبان العقل مني حيث بانوا * وفارقني هجوع واصطبار
وقد ساروا ففارقني سروري * وقد عدم القرار فلا قرار
واجروا بالفراق دموع عيني * فادمعها تجاري بها البحار
اذا اشتقت يوما ان اراهم * وزاد بهم حنيني وانتظار
يمثل شخصهم في وسط قلبي * غرام واشتياق واذكار
ايا من ذكرهم اضحى دثاري * وما لي غير حبهم شعار
احبتنا الى كم ذا التمادي * وكم هذا التباعد والنفار

ثم بكت وصرخت وكذلك ولدها واذا بالوزير دخل فلما نظر الى بكائهما احترق قلبه وقال ما يبكيكما فاخبرته بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى الاخر ثم تذكر اخاه وما اتفق له معه وما اتفق لابنته ولم يعلم بما في باطن الامر ثم قام الوزير في الحال ومشى حتى طلع الى الديوان ودخل على الملك واخبره بالقصة وطلب منه الاذن بالسفر الى الشرق ليقصد مدينة البصرة ويسال عن ابن اخيه وطلب من السلطان ان يكتب له مراسيم لسائر البلاد اذا وجد ابن اخيه في اي موضع يأخذه ثم بكى بين يدي السلطان فرق له قلبه وكتب له مراسيم لسائر الاقاليم والبلاد ففرح بذلك ودعا السلطان وودعه ونزل في الحال وتجهز للسفر واخذ ما يحتاج اليه واخذ ابنته وولدها عجيبا وسافر اول يوم وثاني يوم وثالث يوم حتى وصل الى مدينة دمشق فوجدها ذات اشجار وانهار كما قال فيها الشاعر

من بعد يومي في دمشق وليلتي * حلف الزمان بمثلها لا يغلط
بتنا وجنح الليل في غفلاته * ومن الصباح عليه فرع اشمط
والطل في تلك الغصون كانه * در يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقط

فنزل الوزير في ميدان الحصبا ونصب خيامه وقال لغلمانه نأخذ الراحة هنا يومين فدخل الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع وهذا يشتري وهذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بني امية الذي ما في الدنيا مثله ودخل المدينة عجيب هو وخادمه يتفرجان والخادم يمشي خلف عجيب وفي يده سوط لو ضرب به جملا لسقط لم يقم فلما نظر اهل دمشق الى عجيب وقده واعتداله وبهائه وكماله بديع الجمال رخيم الدلال الطف من نسيم الشمال واحلى للظمآن من الماء الزلال والذ من العافية لصاحب الاعتلال فلما رآه اهل دمشق تبعوه وصارت الخلق تجري وراءه وتتبعه وتقعد في الطريق حتى يجيء عليهم وينظرونه الى ان وقف العبد بالامر المقدر على دكان ابيه حسن بدر الدين الذي اجلسه فيه الطباخ الذي اعترف عند القضاة والشهود انه ولده فلما وقف عليه العبد في ذلك اليوم وقف معه الخدام فنظر حسن بدر الدين الى ولده فاعجبه حين وجده في غاية الحسن فحن اليه فؤاده وتعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلى واشتدت به المحبة الالهية فنادى من الوجد وقال يا سيدي يا من ملك قلبي وفؤادي وحن اليه كبدي هل لك ان تدخل عندي وتجبر قلبي وتاكل من طعامي ثم فاضت عيناه بالدموع من غير اختياره وتذكر ما كان فيه فيما مضى وما هو فيه في تلك الساعة فلما سمع عجيب كلام ابيه حن اليه قلبه والتفت الى الخادم وقال له

ان هذا

ان هذا الطباخ حن قلبي اليه وكانه قد فارق ولدا له فادخل بنا عنده لنجبر قلبه ونأ كل ضيافته لعل الله يجمع شملنا باهلنا بجبرنا خاطره فلما سمع الخادم كلام سيده عجيب قال والله ياسيدي لاينبغي كيف نكون اولاد الوزراء نأ كل في دكان الطباخ ولكن انا احجب الناس عنك بهذه العصي خوفا ان ينظروا اليك والا فلا يمكنك ان تدخل الدكان ابدا فلما سمع حسن بدر الدين كلام الخادم تعجب والتفت الى الخادم وقد سالت دموعه على خدوده وقال له ان قلبي حبه فقال له الخادم دعنا من هذا الكلام ولا تدخل فعند ذلك التفت ابو عجيب للخادم وقال له يا كبير لاى شئ لا تجبر خاطري وتدخل عندي يامن كانه قصطل اسود وقلبه ابيض يامن قال فيه بعض واصفيه كذا وكذا من المدح حتى ضحك الخادم وقال اى شئ تقول فبالله قل واوجز فانشد في الحال هذين البيتين

لولا تأدبه وحسن ثقاته * ما كان في دار الملوك محكما

وعلى الحريم فياله من خادم * من حسنه خدمته املاك السما

فتعجب الخادم من هذا الكلام واخذ عجيبا ودخل دكان الطباخ فغرف حسن بدر الدين زبدية من حب الرمان وكانت بلوز وسكر فاكلوا سواء فقال لهم حسن بدر الدين آنستونا كلوا هنيئا مريئا ثم ان عجيبا قال لوالده اقعد كل معنا لعل الله يجمعنا بمن تريد فقال حسن بدر الدين ياولدي هل بليت على صغر سنك بفرقة الاحباب فقال عجيب نعم ياعم احرق قلبي بفراق الاحباب والحبيب الذي فارقني هو والدي وقد خرجت انا وجدي نطوف عليه البلاد فوا حسرتاه على جمع شملي به وبكا بكاء شديدا فبكى والده لبكائه وتذكر فرقة الاحباب وبعده عن والده ووالدته فحن له الخادم واكلوا جميعا الى ان اكتفوا ثم بعد ذلك قاما وخرجا من دكان حسن بدر الدين فحس ان روحه فارقت جسده وراحت معهم فما قدر ان يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان وتبعهم وهو لا يعلم انه ولده واسرع في مشيه حتى لحقهم قبل ان يخرجوا من الباب الكبير فالتفت الطواشي وقال له مالك ياطباخ فقال حسن بدر الدين لما رحتم من عندي كأن روحي خرجت من جسمي ولي حاجة في المدينة خارج الباب فاردت ان ارافقكم حتى اقضي حاجتي وارجع فغضب الطواشي وقال لعجيب ان هذه اكلة مشؤمة وصارت علينا مكرمة وها هو تابعنا من موضع الى موضع فالتفت عجيب فرأى الطباخ فاغتاظ واحمر وجهه ثم قال للخادم دعه يمشي في طريق المسلمين فاذا خرجنا الى خيامنا وخرج معنا وعرفنا انه يتبعنا نطرده فاطرق رأسه ومشى والخادم وراءه فتبعهم حسن بدر الدين الى ميدان الحصباء وقد قربوا من الخيام فالتفتوا ورأوه خلفهم فغضب عجيب وخاف من الطواشي ان يخبر جده فامتزج بالغضب مخافة ان يقولوا انه دخل دكان الطباخ وان الطباخ تبعه فالتفت حتى صارت عيناه في عيني ابيه وقد بقي جسدا بلا روح ورأى عجيب عينه كانها عين خائن وربما كان ولد زنا فازداد غضبا فاخذ حجرا وضرب به والده فوقع الحجر في جبينه فبطحه فوقع حسن بدر الدين مغشيا عليه وسال الدم على وجهه وسار عجيب هو والخادم الى الخيام واما حسن بدر الدين فانه لما افاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته وعصب بها رأسه ولام نفسه وقال انا ظلمت الصبي حيث غلقت دكاني وتبعته حتى ظن اني خائن ثم رجع الى الدكان واشتغل ببيع طعامه وصار مشتاقا الى والدته التي في البصرة ويبكي عليها وانشد هذين البيتين

لا تسأل الدهر انصافا فتظلمه * ولا تلمه فلم يخلق لانصاف

خذ ما تيسر وازو الهم ناحية * لابد من كدر فيه وانصاف

ثم ان بدر الدين استمر مشتغلا يبيع في طعامه واما الوزير عمه فانه اقام في دمشق ثلاثة ايام ثم رحل متوجها الى حمص فدخلها ثم رحل عنها وصار يفتش في طريقه اينما حل وجهه في سيره الى ان وصل الى ماردين والموصل وديار بكر ولم يزل سائرا الى مدينة البصرة فدخلها فلما استقر به المنزل دخل الى سلطانها واجتمع به فاحترمه واكرم منزله وساله عن سبب مجيئه فاخبره بقصته وان اخاه الوزير علي نور الدين فترحم عليه السلطان وقال له ايها الصاحب انه كان وزيري وكنت احبه كثيرا وقد مات من مدة خمسة عشر عاما وخلف ولدا وقد فقدناه ولم نطلع له على خبر غير ان امه عندنا لانها بنت وزيري الكبير فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك ان ام ابن اخيه طيبة فرح وقال يا ملك اني اريد ان اجتمع بها فاذن له في الحال ان ينزل عندها في دار اخيه فنزل نور الدين ودخل عندها في دار اخيه وجال بطرفه في نواحيها وقبل اعتابها وتذكر اخاه نور الدين علي وكيف مات غريبا وهو مشتاق اليه فبكى وانشد هذه الابيات

امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدار
فما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديار

ثم دخل من الباب الى قاعة عظيمة فوجد بابا مقوصرا معقودا بالحجر الصوان مجزعا بانواع الرخام من سائر الالوان فمشى في نواحي الدار ونظرها وجال بطرفه فيها فوجد اسم اخيه نور الدين مكتوبا بالذهب على جدرانها فاتى الى الاسم وقبله وبكى واحرقه فراقه فانشد هذه الابيات

استخبر الشمس عنكم كلما طلعت * واسال البرق عنكم كلما لمعا
ابيت والشوق يطويني وينشرني * في راحتيه ولا اشكو له وجعا
احبابنا ان يكن طال المدا فلكم * قد قطع القلب مني بعدكم قطعا
فلو مننتم على طرفي برؤيتكم * لكان احسن شيء بيننا وقعا
لا تحسبوا انني بالغير مشتغل * ان الفؤاد لحب الغير ما وسعا

ثم انه صار يمشي الى ان وصل الى قاعة زوجة اخيه ام حسن بدر الدين البصري وكانت في مدة غيبة ولدها قد لزمت البكا والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها المدة عملت لولدها قبرا من الرخام في وسط القاعة وصارت تبكي عليه ليلا ونهارا ولا تنام الا عند ذلك القبر فلما وصل الى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد على القبر هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنه * وهل تغير ذاك المنظر النضر
يا قبر لا انت بستان ولا فلك * فكيف يجمع فيك الغصن والقمر

فبينما هي كذلك واذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم عليها واعلمها انه اخو زوجها ثم اخبرها بما جرى وكشف لها عن القصة وان ابنها حسن بدر الدين بات عند ابنته ليلة كاملة ثم فقد عند الصباح وقال لها ان ابنتي حملت من ولدك وولدت ولدا وهو معي وانه ولدك وولد ولدك من ابنتي فلما سمعت خبر ولدها وانه حي ورأت اخا زوجها قامت اليه ووقعت على قدميه وقبلتهما وانشدته هذين البيتين

لله در مبشري بقدومهم * فلقد اتى باطايب المسموع
لو كان يقنع بالخليع وهبته * قلبا تقطع ساعة التوديع

ثم ان الوزير ارسل الى عجيب ليحضره فلما حضر قامت له جدته واعتنقته وبكت فقال لها شمس الدين

ماهذا وقت بكا بل هذا وقت تجهيزك للسفر معنا الى ديار مصر عسى الله ان يجمع شملنا وشملك بولدك ابن اخى فقالت سمعا وطاعة ثم قامت من وقتها وجمعت جميع امتعتها وذخائرها وجواريها وتجهزت فى الحال ثم طلع الوزير شمس الدين الى سلطان البصرة وودعه فبعث معه هدايا وتحفا الى سلطان مصر وسافر من وقته هو وزوجة اخيه ولم يزل سائرا حتى وصل الى مدينة دمشق فنزل على القانون وضرب الخيام وقال لمن معه انا نقيم بدمشق جمعة الى ان نشترى للسلطان هدايا وتحفا ثم قال عجيب للطواشى يا غلام انى اشتقت الى الفرجة فقم بنا ننزل الى سوق دمشق ونعتبر احوالها وننظر ماجرى لذلك الطباخ الذى قد كنا اكلنا طعامه وشججنا رأسه مع انه قد كان احسن الينا ونحن اسأناه فقال الطواشى سمعا وطاعة ثم ان عجيبا خرج من الخيام هو والطواشى وحركته القرابة الى التوجه لوالده ودخلا مدينة دمشق ومازالا سائرين الى ان وصلا الى دكان الطباخ فوجداه واقفا فى الدكان وكان ذلك قبل العصر وقد وافق الامر انه طبخ حب رمان فلما قربا منه ونظره عجيب حن اليه قلبه ونظر الى اثر الضربة بالحجر فى جبينه فقال السلام عليك يا هذا اعلم ان خاطرى عندك فلما نظر اليه بدر الدين تعلقت احشاؤه به وخفق فؤاده اليه واطرق برأسه الى الارض واراد ان يدير لسانه فى فمه فما قدر على ذلك ثم رفع رأسه الى ولده خاضعا متذللا اليه وانشد هذه الابيات

تمنيت من اهوى فلما رأيته * ذهلت فلم املك لسانا ولا طرفا
واطرقت اجلالا له ومهابة * وحاولت اخفاء الذى بى فلم يخف
وكنت معدا للعتاب صحائفا * فلما اجتمعنا ما وجدت ولا حرفا

ثم قال لهما اجبرا قلبى وكلا من طعامى فوالله مانظرت اليك ايها الغلام الا حن قلبى اليك وما كنت اتبعتك الا وانا بغير عقل فقال عجيب والله انك محب لنا ونحن اكلنا عندك لقمة فلازمتنا عقبها واردت ان تهتكنا ونحن لانأكل لك اكلا الا بشرط ان تحلف انك لاتخرج وراءنا ولا تتبعنا والا لانعود اليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون فى هذه المدينة جمعة حتى يأخذ جدى هدايا للملك فقال بدر الدين لكم على ذلك فدخل عجيب هو والخادم فى الدكان فقدم لهما زبدية ممتلئة حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح بدر الدين واكل معهم وهو لم يغض طرفه عن النظر فى وجهه وقد تعلق به قلبه وصارت كل جوارحه معه فقال له عجيب الم تعلم انى قلت لك انك عاشق ثقيل فحسبك لاتطل النظر الى والى وجهى فلما سمع بدر الدين كلامه انشد هذه الابيات

لك فى القلوب سريرة لاتظهر * مطوية وحديثها لاينشر
يا فاضح القمر المنير بحسنه * وبوجهه افتضح الصباح المسفر
لى فى سنائك امارة لاتنقضى * ومعاهد ابدا تزيد وتكثر
فاذوب من حرقى ووجهك جنتى * واموت من ظمئى وريقك كوثر

فصار بدر الدين يلقم عجيبا ساعة ويلقم الطواشى ساعة وكب على ايديهما الماء حتى غسلا وحل فوطة حرير من وسطه فمسح ايديهما بها ورش عليهما ماء الورد من قمقم كان عنده وخرج من الدكان ثم عاد بقلتين من شربات ممزوجة بماء الورد الممسك وقدمهما بين ايديهما وقال تمما احسانكما فاخذ عجيب وشرب وناول الخادم ولم يزالا يشربان حتى امتلأت بطونهما وشبعا شبعا على خلاف عادتهما ثم انصرفا واسرعا فى مشيهما حتى وصلا الى خيامهما ودخل عجيب على جدته ام والده حسن بدر الدين

فقبلته وتذكرت ولدها بدر الدين فتنهدت وبكت ثم انها انشدت هذين البيتين

لولم ارجى بان الشمل يجتمع ✻ ما كان لى فى حياتى بعدكم طمع
اقسمت ما فى فؤادى غير حبكم ✻ والله ربى على الاسرار مطلع

ثم قالت لعجيب يا ولدى اين كنت قال فى مدينة دمشق فعند ذلك قامت وقدمت له زبدية طعام من حب الرمان وكان قليل الحلاوة وقالت للخادم اقعد مع سيدك فقال الخادم فى نفسه والله ما لنا شهية فى الاكل ثم جلس الخادم واما عجيب فانه لما جلس كان بطنه ممتلئا بما اكل وشرب فاخذ لقمة وغمسها فى حب الرمان واكلها فوجده قليل الحلاوة لانه كان شبعانا فتضجر وقال اى شئ هذا الطعام الوحش فقالت جدته يا ولدى اتعيب طبيخى وانا طبخته ولا احد يحسن الطبيخ مثلى الا والدك حسن بدر الدين فقال عجيب والله يا سيدتى ان طبيخك هذا غير متقن نحن فى هذه الساعة رأينا فى المدينة طباخا طبخ حب الرمان ولكن رايحته ينفتح لها القلب واما طعامه فانه يشهى نفس المتخوم ان تأكل واما طعامك بالنسبة اليه فانه لا يساوى كثيرا ولا قليلا فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظا شديدا ونظرت الى الخادم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت ونظرت الى الخادم وقالت له ويلك هل انت افسدت ولدى لانك دخلت به الى دكاكين الطباخين فخاف الطواشى وانكر وقال ما دخلنا الدكان ولكن جزنا جوازا فقال عجيب والله الا دخلنا واكلنا وهو احسن من طعامك فقامت جدته واخبرت اخا زوجها واغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لم دخلت بولدى دكان الطباخ فخاف الخادم وقال ما دخلنا فقال عجيب بل دخلنا واكلنا من حب الرمان حتى شبعنا واسقانا الطباخ شرابا بثلج وسكر فازداد غضب الوزير على الخادم وسأله فانكر فقال له الوزير ان كان كلامك صحيحا فاقعد وكل قدامنا فعند ذلك تقدم الخادم واراد ان يأكل فلم يقدر ورمى اللقمة وقال يا سيدى انى شبعان من البارحة فعرف الوزير انه اكل عند الطباخ فامر الجوارى ان يطرحنه فطرحنه ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث وقال يا سيدى انى شبعان من البارحة ثم منع عنه الضرب وقال له انطق بالحق فقال اعلم اننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فغرف لنا منه والله ما اكلت عمرى مثله ولا اقبح من هذا الذى قدامنا فغضبت ام حسن بدر الدين وقالت لا بد ان تذهب الى هذا الطباخ وتجيئ لنا بزبدية حب رمان من الذى عنده وتريه لسيدك حتى يقول ايهما احسن واطيب فقال الخادم نعم ففى الحال اعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل الى الدكان وقال للطباخ نحن تراهنا على طعامك فى بيت سيدنا لان هناك حب رمان طبخه اهل البيت فهات لنا بهذا النصف دينار وادر بالك فى طبخه واتقنه فقد اكلنا الضرب الموجع على طبيخك فضحك حسن بدر الدين وقال والله ان هذا الطعام لا يحسنه احد الا انا ووالدتى وهى الان فى بلاد بعيدة ثم انه غرف الزبدية واخذها وختمها بالمسك وماء الورد فاخذها الخادم واسرع بها حتى وصل اليهم فاخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها وجودته فعرفت طباخها فصرخت ثم وقعت مغشيا عليها فبهت الوزير من ذلك ثم رشوا عليها ماء الورد وبعد ساعة افاقت وقالت ان كان ولدى فى الدنيا فما طبخ حب الرمان هذا الا هو وهو ولدى

حسن بدر الدين لاشك فيه ولا محالة لان هذا الطعام وما احد يطبخه غيره الا انا لانى علمته طبخه فلما سمع
الوزير كلامها فرح فرحا شديدا وقال واشوقاه الى رؤية ابن اخى اترى يجمع الايام شملنا به وما نطلب
الاجتماع به الا من الله تعالى ثم ان الوزير قام من وقته وساعته وصاح على الرجال الذين معه وقال يمضى
منكم عشرون رجلا الى دكان الطباخ ويهدمونها ويكتفونه بعمامته ويجرونه غصبا الى مكانى من غير
ايذاء يحصل له فقالوا نعم ثم ان الوزير ركب من وقته الى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق واطلعه على
الكتب التى معه من السلطان فوضعهما على رأسه بعد تقبيلهما وقال ومن هو غريمك قال رجل
طباخ ففى الحال امر حجابه ان يذهبوا الى دكانه فذهبوا فرأوها مهدومة وكل شئ فيها مكسور
لانه لما توجه الى دار السعادة فعلت جماعته ما امرهم به وصاروا منتظرين مجئ الوزير من دار السعادة
وحسن بدر الدين يقول فى نفسه يا ترى اى شئ رأوا فى حب الرمان حتى صار لى هذا الامر فلما حضر الوزير
من عند نائب دمشق وقد اذن له فى اخذ غريمه وسفره به فلما دخل الخيام طلب الطباخ فاحضروه
مكتفا بعمامته فلما نظر حسن بدر الدين الى عمه بكى بكاء شديدا وقال يا مولاى ما ذنبى عندكم فقال له انت
الذى طبخت حب الرمان قال نعم فهل وجدتم فيه شيأ يوجب ضرب الرقبة فقال له الوزير هذا اقل
جزائك فقال له يا سيدى اما توقفنى على ذنبى فقال له الوزير نعم فى هذه الساعة ثم ان الوزير صرخ على
الغلمان وقال هاتوا الجمال واخذوا حسن بدر الدين معهم وادخلوه فى صندوق وقفلوا عليه وساروا ولم يزالوا
سائرين الى ان اقبل الليل فحطوا واكلوا شيأ من الطعام واخرجوا بدر الدين فاطعموه واعادوه الى
الصندوق ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى مكان فاخرجوا حسن بدر الدين من الصندوق وقال له هل
انت الذى طبخت حب الرمان قال نعم يا سيدى فقال الوزير قيدوه فقيدوه واعادوه الى الصندوق وساروا
الى ان وصلوا الى مصر وقد نزلوا فى الزيدانية فامر باخراج حسن بدر الدين من الصندوق وامر باحضار
نجار وقال اصنع لهذا لعبة خشب فقال حسن بدر الدين وما تصنع بها فقال اصلبك عليها واسمرك فيها
ثم ادور بك المدينة كلها فقال على اى شئ تفعل بى ذلك فقال الوزير على عدم اتقان طبيخك حب الرمان
كيف طبخته وهو ناقص فلفلا فقال له وهل لكونه ناقص فلفلا تصنع معى هذا كله اما كفاك
حبسى وكل يوم تطعمونى اكلة واحدة فقال له الوزير من اجل كونه ناقص فلفلا ما جزاؤك الا القتل فتعجب
بدر الدين وحزن على روحه وصار يتفكر فى نفسه فقال له الوزير فى اى شئ تتفكر فقال له فى العقول السخيفة
التى مثل عقلك فانه لو كان عندك عقل ما كنت فعلت معى هذه الفعال لاجل نقص الفلفل فقال له الوزير
يجب علينا ان نؤدبك حتى لا تعود لمثله فقال حسن بدر الدين ان الذى فعلته معى اقل شئ فيه اذيتى
فقال له لا بد من صلبك وكل هذا والنجار يصلح الخشب وهو ينظر اليه ولم يزالوا كذلك الى ان اقبل الليل
فاخذه عمه ووضعه فى الصندوق وقال فى غد يكون صلبك ثم صبر عليه حتى عرف انه نام فقام وركب
واخذ الصندوق قدامه ودخل المدينة وسار الى ان دخل بيته ثم قال لابنته ست الحسن الحمد لله
الذى جمع شملك بابن عمك قومى وافرشى البيت مثل فرشة ليلة الجلاء فامرت الجوارى بذلك فقمن واوقدن
الشمع وقد اخرج الوزير الورقة التى كتب فيها امتعة البيت ثم قرأها وامر ان يضعوا كل شئ فى مكانه
حتى ان الرائى اذا رأى ذلك لا يشك فى انها ليلة الجلاء بعينها ثم ان الوزير امر ان يحط عمامة بدر الدين
فى مكانها الذى حطها فيه بيده وكذلك السروال والكيس الذى تحت الطراحة ثم ان الوزير امر ابنته
ان تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء وتدخل المخدع وقال لها اذا دخل عليك ابن عمك فقولى له قد ابطأت

على فى دخولك بيت الخلاء ودعيه يبيت عندك وتحدثى معه الى النهار وكتب هذا التاريخ ثم ان الوزير
اخرج بدر الدين من الصندوق بعد ان فك القيد من رجليه وقلع ما عليه من الثياب وصار بقميص النوم
وهو رفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعلم بذلك ثم انتبه بدر الدين من النوم فوجد نفسه فى دهليز
نير فقال فى نفسه هل انا فى اضغاث الاحلام او فى اليقظة ثم قام بدر الدين فمشى قليلا الى باب ثان ونظر
واذا هو فى البيت الذى انجلت فيه العروسة ورأى المخدع والسرير ورأى عمامته وحوائجه فلما نظر ذلك
بهت وصار يقدم رجلا ويؤخر رجلا وقال فى نفسه هل هذا فى المنام او فى اليقظة وصار يمسح جبينه
ويقول وهو متعجب والله ان هذا مكان العروسة التى انجلت فيه على فانى انا قد كنت فى صندوق فبينما
هو يخاطب نفسه واذا بست الحسن رفعت طرف الناموسية وقالت له يا سيدى اما تدخل فانك ابطأت
عنى فى بيت الخلاء فلما سمع كلامها ونظر الى وجهها ضحك وقال ان هذا اضغاث احلام ثم دخل وتنهد
وتفكر فيما جرى له وتحير فى امره واشكلت عليه قضيته ولما رأى عمامته وسرواله والكيس الذى فيه الالف
دينار فقال الله اعلم انى فى اضغاث احلام وصار من فرط التعجب متحيرا فعند ذلك قالت له ست الحسن
مالى اراك متعجبا متحيرا ما كنت هكذا فى اول الليل فضحك وقال كم عام لى غائبا عنك فقالت له سلامتك اسم
الله حواليك انت انما خرجت الى الكنيف لتقضى حاجة وترجع فاى شئ جرى فى عقلك فلما سمع بدر الدين
ذلك ضحك وقال لها صدقت ولكننى لما خرجت من عندك غلبنى النوم فى بيت الراحة فحلمت انى كنت
طباخا فى دمشق واقمت بها عشر سنين وكأنه جانى صغير من اولاد الاكابر ومعه خادم وحصل من
امره كذا وكذا ثم ان حسن بدر الدين مسح بيده على جبينه فرأى اثر الضرب عليه فقال والله يا سيدتى
كأنه حق لانه ضربنى على جبينى فشجه فكأنه فى اليقظة ثم قال لعل هذا المنام حصل حين تعانقت انا
وانت ونمنا فرأيت فى المنام كانى سافرت الى دمشق بلا طربوش ولا عمامة ولا سروال وعملت طباخا
ثم بهت ساعة وقال والله كانى رأيت انى طبخت حب رمان وفلفله قليل والله ما كانى الا نمت فى بيت
الراحة فرأيت هذا كله فى المنام فقالت له ست الحسن بالله عليك اى شئ رأيته زيادة على ذلك فحكى لها
جميع ما رآه ثم قال والله لولا انى انتبهت لكانوا اصلبونى على لعبة خشب فقالت له على اى شئ فقال على قلة
الفلفل فى حب الرمان ورأيت كأنهم اخربوا دكانى وكسروا مواعينى وحطونى فى صندوق وجاؤا بالنجار
ليصنع لى لعبة من خشب لانهم ارادوا صلبى عليها فالحمد لله الذى جعل لى ذلك كله فى المنام ولم يجعله
فى اليقظة فضحكت ست الحسن وضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم تذكر وقال والله ما كأنه
الا فى اليقظة فانا ما عرفت اى شئ الخبر ولا حقيقة الحال ثم انه نام وهو متحير فى امره فتارة يقول رأيته
فى المنام وتارة يقول رأيته فى اليقظة ولم يزل كذلك الى الصباح ثم دخل عليه عمه الوزير شمس الدين فسلم
عليه فنظر له حسن بدر الدين وقال بالله عليك اما انت الذى امرت بتكتيفى وتسمير دكانى من شأن الحب
الرمان لكونه قليل الفلفل فعند ذلك قال له الوزير اعلم يا ولدى انه ظهر الحق وبان ما كان مختفيا انت ابن
اخى وما فعلت ذلك حتى تحققت انك الذى دخلت على بنتى تلك الليلة وما تحققت ذلك حتى رأيتك عرفت
البيت وعرفت عمامتك وسروالك وذهبك والورقتين التى كتبتهما بخطك والتى كتبها والدك اخى فانى
ما رأيتك قبل ذلك وما كنت اعرفك واما امك فانى جئت بها معى من البصرة ثم رمى نفسه عليه وبكى فلما
سمع حسن بدر الدين كلام عمه تعجب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير يا ولدى
ان سبب ذلك كله ما جرى بينى وبين والدك وحكى له جميع ما جرى بينه وبين اخيه واخبره بسبب سفر والده

الى البصرة ثم ان الوزير ارسل الى عجيب فلما رآه والده قال هذا هو الذى ضربنى بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمى نفسه عليه وانشد هذه الابيات

ولقد بكيت على تفرق شملنا * زمنا وفاض الدمع من اجفانى
ونذرت ان جمع المهيمن شملنا * ما عدت اذكر فرقة بلسانى
هجم السرور على حتى انه * من فرط ما قد سرنى ابكانى

فلما فرغ من شعره التفتت اليه والدته والقت روحها عليه وانشدت هذين البيتين

الدهر اقسم لا يزال مكدرى * حنثت يمينك يا زمان فكفرى
السعد وافى والحبيب مساعدى * فانهض الى داعى السرور وشمرى

ثم ان والدته حكت له جميع ما وقع لها بعده وحكى لها جميع ما قاساه فشكروا الله على جمع شملهم ببعضهم ثم ان الوزير طلع الى السلطان واخبره بما جرى له فتعجب وامر ان يؤرخ ذلك فى السجلات ليكون حكاية على ممر الاوقات ثم ان الوزير اقام مع ابن اخيه وبنته وابنها وزوجة اخيه فى اهنأ عيش الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وهذا يا امير المؤمنين ما جرى للوزير شمس الدين واخيه نور الدين فقال الخليفة هارون الرشيد والله ان هذا الشئ عجاب ووهب للشاب سرية من عنده ورتب له ما يعيش به وصار ممن ينادمه ثم ان البنت قالت وما هذا باعجب من حكاية الخياط والاحدب واليهودى والمباشر والنصرانى فيما وقع لهم قال الملك وما حكايتهم قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان وسالف الدهر والاوان فى مدينة الصين رجل خياط مبسوط الرزق يحب اللهو والطرب وكان يخرج هو وزوجته فى بعض الاحيان يتفرجان على غرائب المنتزهات فخرجا يوما من اول النهار ورجعا آخره الى منزلهما عند المساء فوجدا فى طريقهما رجلا احدب رؤيته تضحك الغضبان وتزيل الهم والاحزان فعند ذلك تقدم الخياط هو وزوجته يتفرجان عليه ثم انهما عزما عليه ان يروح معهما الى بيتهما لينادمهما تلك الليلة فاجابهما الى ذلك ومشى معهما الى البيت فخرج الخياط الى السوق وكان الليل قد اقبل فاشترى سمكا مقليا وخبزا وليمونا وحلاوة يتحلون بها ثم رجع وحط السمك قدام الاحدب وجلسوا يأكلون فاخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة ولقمتها للاحدب وسدت فمه بكفها وقالت والله ما تأكلها الا دفعة واحدة فى نفس واحد ولا امهلك حتى تمضغها فابتلعها وكان فيها شوكة قوية فتصلبت فى حلقه لاجل انقضاء اجله فمات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان امرأة الخياط لما القمت الاحدب الجزلة السمك مات لانقضاء اجله فى وقته فقال الخياط لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا المسكين ما كان موته الا هكذا على ايدينا فقالت المرأة وما هذا التوانى اما سمعت قول الشاعر

ما لى اعلل نفسى بالمحال على * امر يكون به هم واحزان
ماذا القعود على نار وما خمدت * ان القعود على النيران خسران

فقال لها زوجها وما افعل قالت له قم واحمله فى حضنك وانشر عليه فوطة حرير واخرج انا قدامك وانت ورائى فى هذه الليلة وقل هذا ولدى وهذه امه ومرادنا ان نوديه الى الطبيب ليداويه فلما سمع الخياط هذا

الكلام قام وحمل الاحدب فى حضنه وزوجته تقول ياولدى سلامتك اين محل وجعك وهذا الجدرى
كان لك فى اى مكان فكل من رآهما يقول معهما طفل مصاب بالجدرى ولم يزالا سائرين وهما يسألان
عن منزل الطبيب حتى دلوهما على بيت طبيب يهودى فقرعا الباب فنزلت لهما جارية سوداء وفتحت
الباب ونظرت واذا بانسان حامل صغيرا وامه معه فقالت الجارية ما خبركم فقالت امرأة الخياط معنا
صغير مرادنا ان ينظره الطبيب فخذى هذا الربع دينار واعطيه لسيدك ودعيه ينزل ليرى ولدى فقد
لحقه ضعف فطلعت الجارية ودخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها دع الاحدب هنا
ونفوز بانفسنا فاوقفه الخياط واسنده الى الحائط وخرج هو وزوجته واما الجارية فانها دخلت على
اليهودى وقالت له فى اسفل البيت ضعيف مع امرأة ورجل وقد اعطيانى ربع دينار لك وتصف لهما
ما يوافقه فلما رأى اليهودى الربع دينار فرح وقام عاجلا ونزل فى الظلام فاول ما نزل عثرت رجله
فى الاحدب وهو ميت فقال يا للعزير يا للمولى والعشر كلمات يا لهارون ويوشع بن نون كانى عثرت فى هذا
المريض فوقع الى اسفل فمات فكيف اخرج بقتيل من بيتى فحمله وطلع به من حوش البيت الى زوجته
واعلمها بذلك فقالت له وما قعودك ههنا فان قعدت هنا الى طلوع النهار راحت ارواحنا فانا وانت
نطلع به السطح ونرميه فى بيت جارنا المسلم فانه رجل مباشر على مطبخ السلطان وكثيرا ما تأتى القطط
فى بيته وتأكل مما فيه من الاطعمة والفيران وان استمر فيه ليلة تنزل عليه الكلاب من السطوح وتأكله
جميعه فطلع اليهودى وزوجته وهما حاملان الاحدب وانزلاه بيديه ورجليه الى الارض وجعلاه ملاصقا
للحائط ثم نزلا وانصرفا ولم يستقر نزول الاحدب الا والمباشر قد جاء الى البيت وفتحه وطلع البيت ومعه
شمعة مضيئة فوجد ابن ادم واقفا فى الزاوية فى جانب المطبخ فقال ذلك المباشر ما هذا والله ان الذى
يسرق حوايجنا ما هو الا ابن ادم فيأخذ ما وجده من لحم او دهن ولو خبأته من القطط والكلاب وان قتلت
قطط الحارة وكلابها جميعا لا يفيد لانه ينزل من السطوح ثم اخذ مطرقة عظيمة ووكزه بها فصار عنده ثم
ضربه بها على صدره فوقع فوجده ميتا فحزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله وخاف على نفسه وقال لعن الله
الدهن واللحم وهذه الليلة كيف فرغت منية ذلك الرجل على يدى ثم نظر اليه فاذا هو احدب فقال
اما يكفى انك احدب حتى تكون حراميا وتسرق اللحم والدهن يا ستار استرنى بسترك الجميل ثم حمله على
اكتافه ونزل به من بيته فى اخر الليل وما زال سائرا به الى اول السوق فاوقفه بجانب دكان فى رأس عطفة
وتركه وانصرف واذا بنصرانى وهو سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له سكره ان المسيح
قريب فما زال يمشى ويتمايل حتى قرب من الاحدب وجعل يريق الماء قباله فلاحت منه التفاتة فوجد
واحدا واقفا وكان النصرانى قد خطفوا عمامته فى اول الليل فلما رأى الاحدب واقفا اعتقد انه يريد
خطف عمامته فطبق كفه ولكم الاحدب على رقبته فوقع فى الارض وصاح النصرانى على حارس السوق
ثم نزل على الاحدب من شدة سكره ضربا وصار يخنقه خنقا فجاء الحارس فوجد النصرانى باركا على
المسلم وهو يضربه فقال الحارس قم عنه فقام فتقدم اليه الحارس فوجده ميتا فقال كيف يقتل النصرانى
مسلما ثم قبض على النصرانى وكتفه وجاء به الى بيت الوالى والنصرانى يقول فى نفسه يا مسيح يا عذراء كيف
قتلت هذا وما اسرع ما مات فى لكمة قد راحت السكرة وجاءت الفكرة ثم ان الاحدب والنصرانى باتا فى بيت
الوالى وامر الوالى السياف ان ينادى عليه ونصب للنصرانى خشبة واوقفه تحتها وجاء السياف ورمى
فى رقبة النصرانى الحبل واراد ان يعلقه واذا بالمباشر قد شق فرأى النصرانى وهو واقف تحت المشنقة

ففسخ

فصمح الناس وقال للسياف لا تفعل انا الذى قتلته فقال له الوالى لاى شئ قتلته قال انى دخلت الليلة بيتى
فرأيته نزل من السطح وسرق مصالحى فضربته بمطرقة على صدره فمات فحملته وجئت به الى السوق
واوقفته فى موضع كذا فى عطفة كذا ثم قال المباشر ما كفانى انى قتلت مسلما حتى يقتل بسببى نصرانى
فلا تشنق غيرى فلما سمع الوالى كلام المباشر اطلق النصرانى السمسار وقال للسياف اشنق هذا باعترافه
فاخذ الحبل من رقبة النصرانى ووضعه فى رقبة المباشر واوقفه تحت الخشبة واراد ان يعلقه واذا
باليهودى الطبيب قد شق الناس وصاح على السياف وقال له لا تفعل فما قتله الا انا وذلك انه جاءنى
فى بيتى ليتداوى فنزلت اليه فعثرت فيه برجلى فمات فلا تقتل المباشر واقتلنى فامر الوالى بقتل
اليهودى الطبيب فاخذ السياف الحبل من رقبة المباشر ووضعه فى رقبة اليهودى الطبيب واذا بالخياط
جاء وشق الناس وقال للسياف لا تفعل فما قتله الا انا وذلك انى كنت بالنهار اتفرج وجئت وقت العشاء
فلقيت هذا الاحدب سكران ومعه دف وهو يغنى بفرحة فوقفت اتفرج عليه وجئت به الى بيتى
واشتريت سمكا وقعدنا ناكل فاخذت زوجتى قطعة سمك واقمة ودستهما فى فمه فزور فمات لوقته
فاخذته انا وزوجتى وجئنا به لبيت اليهودى فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب فقلت لها قولى لسيدك ان
بالباب امرأة ورجلا ومعهما ضعيف تعال انظره وصف له دواء واعطيتها ربع دينار فطلعت لسيدها
واسندت الاحدب الى جهة السلم ومضيت انا وزوجتى فنزل اليهودى فعثر فيه فظن انه قتله ثم قال الخياط
لليهودى اصحيح هذا قال نعم والتفت الخياط للوالى وقال له اطلق اليهودى واشنقنى فلما سمع الوالى كلامه
تعجب من امر الاحدب وقال ان هذا الامر يؤرخ فى الكتب ثم قال للسياف اطلق اليهودى واشنق الخياط
باعترافه فقدمه السياف وقال هل تقدم هذا او نؤخر هذا ولا نشنق واحدا ثم وضع الحبل فى رقبة الخياط
فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الاحدب فقيل انه كان مسخرة للسلطان وكان السلطان
لا يقدر ان يفارقه فلما سكر الاحدب غاب عنه تلك الليلة وثانى يوم الى نصف النهار فسأل عنه بعض
الحاضرين فقالوا له يا مولانا طلع به الوالى وهو ميت وامر بشنق قاتله فنزل الوالى ليشنق القاتل فحضر له
ثان وثالث وكل يقول ما قتله الا انا وكل واحد يذكر للوالى سبب قتله له فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على
الحاجب وقال له انزل الى الوالى وائتنى بهم جميعا فنزل الحاجب فوجد السياف كاد ان يقتل الخياط
فصرخ عليه الحاجب وقال لا تفعل واعلم الوالى ان القضية بلغت الملك ثم اخذه واخذ الاحدب معه محمولا
والخياط واليهودى والنصرانى والمباشر وطلع بالجميع الى الملك فلما تمثل الوالى بين يديه قبل الارض
وحكى له جميع ما جرى من الجميع وليس فى الاعادة افادة فلما سمع الملك هذه الحكاية تعجب واخذه الطرب
وامر ان يكتب ذلك بماء الذهب وقال للحاضرين هل سمعتم مثل قصة هذا الاحدب فعند ذلك تقدم
النصرانى وقال يا ملك الزمان ان اذنت لى حدثتك بشئ جرى لى وهو اعجب واغرب واطرب من قصة
الاحدب فقال الملك حدثنا بما عندك فقال النصرانى اعلم يا ملك الزمان انى لما دخلت تلك الديار اتيت
بمتجر واوقفنى المقدور عندكم وكان مولدى بمصر وانا من قبطها وتربيت بها وكان والدى سمسارا فلما بلغت
مبلغ الرجال توفى والدى فعملت سمسارا مكانه فبينما انا قاعد يوما من الايام واذا بشاب احسن ما يكون
وعليه افخر ملبوس وهو راكب حمارا فلما رآنى سلم على فقمت اليه تعظيما له فاخرج منديلا وفيه قدر من
السمسم وقال كم يساوى الاردب من هذا فقلت له مائة درهم فقال لى خذ التراسين والكيالين واعمد الى خان
الجوالى فى باب النصر تجدنى فيه وتركنى ومضى واعطانى السمسم بمنديله الذى فيه العينة فدرت على

المشترين فبلغ ثمن كل اردب مائة وعشرين درهما فاخذت معى اربعة تراسين ومضيت اليه فوجدته فى انتظارى فلما رآنى قام الى المخزن وفتحه فكيلناه فجاء جميع ما فيه خمسين اردبا فقال الشاب لك فى كل اردب عشرة دراهم سمسرة واقبض الثمن واحفظه عندك وقدر الثمن خمسة آلاف لك منها خمسمائة وبقى لى اربعة آلاف وخمسمائة فاذا فرغ بيع حواصلى جئت اليك واخذتها فقلت له الامر كما تريد ثم قبلت يديه ومضيت من عنده فحصل لى فى ذلك اليوم الف درهم وغاب عنى شهرا ثم جاء وقال لى اين الدراهم فقلت ها هى حاضرة فقال احفظها حتى اجئ اليك فآخذها فقعدت انتظره فغاب عنى شهرا ثم جاء وقال لى اين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك ان تأكل عندنا شيأ فأبى وقال لى احفظ الدراهم حتى امضى واجئ فآخذها منك ثم ولى فقمت واحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عنى شهرا ثم جاء وقال بعد هذا اليوم آخذها منك ثم ولى فقمت واحضرت له الدراهم وقعدت انتظره فغاب عنى شهرا فقلت فى نفسى ان هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء وعليه ثياب فاخرة وهو كالقمر ليلة البدر وكأنه قد خرج من الحمام ووجهه كالقمر وهو بخد احمر وجبين ازهر وشامة كأنها قرص عنبر وفى مثل ذلك قال الشاعر

البدر والشمس فى برج قد اجتمعا ※ فى غاية الحسن والاقبال قد طلعا
وزاد حسنهما للناظرين هوى ※ فياله عند ما داعى السرور دعا
فى الحسن والظرف قد زادا وقد كملا ※ اليهما الروح راحت والفؤاد سعى
تبارك الله مخلوق فانه عجب ※ ما شاء رب العلا فى خلقه صنعا

فلما رأيته قبلت يديه ودعوت له وقلت له يا سيدى اما تقبض دراهمك فقال مهلا على حتى افرغ من قضاء مصالحى وآخذها منك ثم ولى فقلت فى نفسى والله اذا جاء لاضيفنه لكونى انتفعت بدراهمه وحصل لى منها مال كثير فلما كان آخر السنة جاء وعليه بدلة افخر من الاولى فحلفت عليه ان ينزل عندى ويضيفنى فقال لى بشرط ان ما تنفقه من مالى الذى عندك قلت نعم واجلسته ونزلت هيأت ما ينبغى من الاطعمة والاشربة وغير ذلك واحضرته بين يديه وقلت له بسم الله فتقدم الى المائدة ومد يده الشمال واكل معى فتعجبت منه فلما فرغنا غسل يده وناولته ما يمسحها به وجلسنا للحديث فقلت يا سيدى فرج عنى كربة لاى شئ اكلت بيدك الشمال لعل فى يدك شيأ يؤلمك فلما سمع كلامى انشد هذين البيتين

خليلى لا تسأل على ما بمهجتى ※ من اللوعة الحرا فتظهر اسقام
وما عن رضى فارقت سلمى معوضا ※ بديلا ولكن للضرورة احكام

ثم اخرج يده من كمه واذا هى مقطوعة زندا بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لى لا تعجب ولا تقل فى خاطرك انى اكلت معك بيدى الشمال عجبا ولكن اقطع يدى اليمين سبب من العجب فقلت له وما سبب ذلك فقال اعلم انى من بغداد ووالدى من اكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون بالديار المصرية فبقى ذلك فى خاطرى حتى مات والدى فاخذت اموالا كثيرة وهيأت متجرا من قماش بغدادى وموصلى ونحو ذلك من البضائع النفيسة وحزمت ذلك وسافرت من بغداد وكتب الله السلامة لى حتى دخلت مدينتكم هذه ثم بكى وانشد هذه الابيات

قد يسلم الاكمه من حفرة ※ يقع فيها الباصر الناظر
ويسلم الجاهل من لفظة ※ يهلك فيها العالم الماهر

ويعسر المؤمن في رزقه * ويرزق الكافر الفاجر
ما حيلة المرء ما فعله * هو الذي قدره القادر

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصر ونزلت القماش في خان سرور وفككت احمالي وادخلتها واعطيت الخادم دراهم ليشتري لنا بها شيأ نأكله ونمت قليلا فلما قمت ذهبت بين القصرين ثم رجعت وبت ليلتي فلما اصبحت فتحت رزمة من القماش وقلت في نفسي اقوم لاشق في بعض الاسواق وانظر الحال واخذت بعض القماش وحملته لبعض غلماني وسرت حتى وصلت قيسرية جرجس فاستقبلني السماسرة وكانوا علموا بمجيئي فاخذوا مني القماش ونادوا عليه فلم يبلغ ثمنه رأس ماله فقال لي شيخ الدلالين يا سيدي انا اعرف لك شيأ تستفيد به وهو ان تعمل مثل ما يعمل التجار فتبيع متجرك الى مدة معلومة بكاتب وشاهد وصيرفي وتأخذ ما تحصل من ذلك في كل يوم خميس واثنين قدرا فتكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك وتتفرج على مصر ونيلها فقلت هذا رأي سديد فاخذت معي الدلالين وذهبت الى الخان فاخذوا القماش الى القيسرية فبعته الى التجار وكتبت عليهم وثيقة ودفعت الوثيقة الى الصيرفي واخذت عليه وثيقة بذلك ورجعت الى الخان واقمت اياما كل يوم افطر على قدح من الشراب واحضر اللحم الضاني والحلويات حتى دخل الشهر الذي استحققت فيه الجباية فبقيت كل يوم خميس واثنين اقعد على دكاكين التجار ويمضي الصيرفي والكاتب فيجيئان بالدراهم من التجار ويأتياني بها الى ان دخلت الحمام يوما من الايام وخرجت الى الخان ودخلت موضعي وافطرت على قدح من الشراب ثم نمت وانتبهت فاكلت دجاجة وتعطرت وذهبت الى دكان رجل تاجر يقال له بدر الدين البستاني فلما رآني رحب بي وتحدث معي ساعة في دكانه فبينما نحن كذلك واذا بامرأة اقبلت وقعدت جانبي وعليها عصابة مائلة وتفوح منها روائح الطيب فسلبت عقلي بحسنها وجمالها ورفعت الازار فنظرت الى احداق سود ثم سلمت على بدر الدين فرد عليها السلام ووقف وتحدث معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبي فقالت لبدر الدين هل عندك تفصيلة من القماش المنسوج من خالص الذهب فاخرج لها تفصيلة فقالت للتاجر هل آخذها واذهب ثم ارسل اليك ثمنها فقال انها التاجر لا يمكن يا سيدتي لان هذا صاحب القماش وله علي قسط فقالت ويلك ان عادتي ان آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم واربحك فيها فوق ما تريد ثم ارسل اليك ثمنها فقال نعم ولكني مضطر الى الثمن في هذا اليوم فاخذت التفصيلة ورمته بها في صدره وقالت ان طائفتكم لا تعرف لاحد قدرا ثم قامت مولية فظننت ان روحي راحت معها فقمت ووقفت وقلت لها يا سيدتي تصدقي علي بالالتفات وارجعي بخطواتك الكريمة فرجعت وتبسمت وقالت لاجلك رجعت وقعدت قصادي على الدكان فقلت لبدر الدين هذه التفصيلة كم ثمنها عليك قال الف ومائة درهم فقلت له ولك مائة درهم فائدة فهات ورقة فاكتب لك فيها ثمنها فاخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطي واعطيتها التفصيلة وقلت لها خذي انت وروحي وان شئت هاتي ثمنها الي في السوق وان شئت هي ضيافتك مني فقالت جزاك الله خيرا ورزقك مالي وجعلك بعلي فتقبل الله الدعوة وقلت لها يا سيدتي اجعلي هذه التفصيلة لك ولك ايضا مثلها ودعيني انظر وجهك فكشفت القناع عن وجهها فلما نظرت وجهها نظرة اعقبتني الف حسرة وتعلق قلبي بمحبتها فصرت لا املك عقلي ثم ارخت القناع واخذت التفصيلة وقالت يا سيدي لا توحشني وقد ولت وقعدت في السوق الى بعد العصر وانا غائب العقل وقد تحكم الحب عندي فمن شدة ما حصل لي من الحب سألت التاجر عنها حين اردت القيام فقال لي ان هذه صاحبة مال وهي

بنت امبرمات والدها وخاف اهلها الاكثير فودعته وانصرفت وجئت الى الخان فقدم الى العشاء فتذكرتها فلم آكل شيأ ونمت فلم يأتني نوم فسهرت الى الصباح ثم قمت فلبست بدلة غير التى كانت على وشربت قدحا من الشراب وافطرت على شئ قليل وجئت الى دكان التاجر فسلمت عليه وجلست عنده فجاءت الصبية وعليها بدلة افخر من الاولى ومعها جارية فجلست وسلمت على دون بدر الدين وقالت لى بلسان فصيح ما سمعت اعذب ولا احلى منه ارسل معى من يقبض الالف والمائتين درهما ثمن التفصيلة فقلت لها ولاى شئ العجلة فقالت لاعدمناك ونا ولتنى الثمن وقعدت اتحدث معها فاومأت اليها بالاشارة ففهمت انى اريد وصالها فقامت على عجل منها واستوحشت منى وقلبى متعلق بها وخرجت انا خارج السوق فى اثرها واذا بجارية تتبعنى وقالت ياسيدى كلم سيدتى فتعجبت وقلت مايعرفنى هنا احد فقالت الجارية ما اسرع ما نسيتها سيدتى التى كانت اليوم على دكان التاجر فلان فمشيت معها الى الصيارف فلما رأتنى ازوتنى لجانبها وقالت ياحبيبى وقعت بخاطرى وتمكن حبك من قلبى ومن ساعة رأيتك لم يطب لى نوم ولا اكل ولا شرب فقلت لها عندى اضعاف ذلك والحال يغنى عن الشكوى فقالت ياحبيبى اجئ عندك او تجئ عندى فقلت لها انا رجل غريب ومالى مكان يأوينى الا الخان فان تصدقت على بان اكون عندك يكمل الحظ قالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة ما فيها شئ الا ان كان فى غد بعد الصلاة فصل واركب حمارك واسأل عن الحبانية فان وصلت فاسأل عن قاعة بركات النقيب المعروف بابى شامة فانى ساكنة هناك ولا تبطئ فانى فى انتظارك ففرحت فرحا زائدا ثم افترقنا وجئت للخان الذى انا فيه وبت طول الليل سهرانا فما صدقت ان الفجر لاح حتى قمت وغيرت ملبوسى وتعطرت وتطيبت واخذت معى خمسين دينارا فى منديل ومشيت من خان مسرور الى باب زويلة فركبت حمارا وقلت لصاحبه امض بى الى الحبانية فمضى فى اقل من لحظة فما اسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقرى فقلت له ادخل الدرب واسأل عن قاعة النقيب فغاب قليلا وقال انزل فقلت امشى قدامى الى القاعة فمشى حتى اوصلنى الى المنزل فقلت له فى غد تجيئنى هنا وتودينى فقال الحمار بسم الله فناولته ربع دينار ذهبا فاخذه وانصرف فطرقت الباب فخرج لى بنتان صغيرتان بكران منهدتان كانهما قمران فقالتا ادخل ان سيدتنا فى انتظارك لم تنم الليلة لولعها بك فدخلت قاعة معلقة بسبعة ابواب وفى دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه جميع الالوان وبه انهار دافقة وطيور ناطقة وهى مبيضة بياضا سلطانيا يرى الانسان وجهه فيها وسقفها مقرنص بذهب وفى دائرها طرازات مكتوبة باللازورد قد حوت اوصافا حسنة واضاءت للناظرين وارضها مفروشة بالرخام المجزع وفى وسطها فسقية وفى اركان تلك الفسقية الدر والجوهر مفروشة بالبسط الحرير الملونة والمراتب فلما دخلت جلست وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب التاجر قال للنصرانى فلما دخلت وجلست لم اشعر الا والصبية قد اقبلت وعليها تاج مكلل بالدر والجوهر وهى منقشة مكتبة فلما رأتنى تبسمت فى وجهى وحضنتنى ووضعتنى على صدرها وجعلت فمها على فمى وجعلت تمص لسانى وانا كذلك وقالت اصحيح اتيت عندى ام هذا منام فقلت لها انا عبدك فقالت اهلا ومرحبا والله من يوم رأيتك ما لذ لى نوم ولا طاب لى طعام فقلت وانا كذلك ثم جلسنا نتحدث وانا مطرق برأسى الى الارض حياء ولم امكث الا قليلا حتى قدمت لى سفرة

من افخر الالوان من محمر ومرقق ودجاج محشى فاكلت معها حتى اكتفينا ثم قدموا الى الطشت والابريق فغسلت يدى ثم تطيبنا بماء الورد الممسك وجلسنا نتحدث فانشدت هذين البيتين

لو علمنا قدومكم لفرشنا * مهجة القلب مع سواد العيون
ووضعنا خدودنا للقاكم * وجعلنا المسير فوق الجفون

وهى تشكو الى ما لاقت وانا اشكو اليها ما لاقيت وتمكن حبها عندى وهان على جميع المال ثم اخذنا نلعب ونتهارش مع العناق والتقبيل الى ان اقبل الليل فقدمت لنا الجوارى الطعام والمدام فاذا هى حضرة كاملة فشربنا الى نصف الليل ثم اضطجعنا ونمنا فنمت معها الى الصباح فما رأيت عمرى مثل هذه الليلة فلما اصبح الصباح قمت ورميت لها تحت الفراش المنديل الذى فيه الدنانير وودعتها وخرجت فبكت وقالت ياسيدى متى ارى هذا الوجه المليح فقلت لها اكون عندك وقت العشاء فلما خرجت اصبت الحمار الذى جاء بى بالامس على الباب ينتظرنى فركبت معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت واعطيت الحمار نصف دينار وقلت له تعالى فى وقت الغروب قال على الرأس فدخلت الخان وافطرت ثم خرجت اطالب بثمن القماش ثم رجعت وقد عملت لها خروفا مشويا واخذت حلاوة ثم دعيت الحمال ووصفت له المحل واعطيته اجرته ورجعت فى اشغالى الى الغروب فجاءنى الحمار فاخذت خمسين دينارا وجعلتها فى منديل ودخلت فوجدتهم مسحوا الرخام وجلوا النحاس وعمروا القناديل واوقدوا الشموع وغرفوا الطعام وروقوا الشراب فلما رأتنى رمت يديها على رقبتى وقالت اوحشتنى ثم قدمت الموائد فاكلنا حتى اكتفينا ورفعت الجوارى المائدة وقدمت المدام فلم نزل فى شراب ونقل وحظ الى نصف الليل فنمنا الى الصباح ثم قمت وناولتها الخمسين دينارا على العادة وخرجت من عندها فوجدت الحمار فركبت الى الخان فنمت ساعة ثم قمت جهزت العشاء فعملت جوزا ولوزا وتحتهم ارز مفلفل وعملت قلقاسا مقليا ونحو ذلك واخذت فاكهة ونقلا ومشموما وارسلتها وسرت الى البيت واخذت خمسين دينارا فى منديل وخرجت ركبت مع الحمار على العادة الى القاعة فدخلت ثم اكلنا وشربنا ونمنا الى الصباح ولما قمت رميت لها المنديل وركبت الى الخان على العادة ولم ازل على تلك الحالة مدة الى ان بت واصبحت لا املك درهما ولا دينارا فقلت فى نفسى هذا من فعل الشيطان وانشدت هذه الابيات

فقر الفتى يذهب انواره * كاصفرار الشمس عند المغيب
ان غاب لا يذكر بين الورى * وان اتى فما له من نصيب
يمر فى الاسواق مستخفيا * وفى الفلا يبكى بدمع صبيب
والله ما الانسان فى اهله * اذا ابتلى بالفقر الا غريب

ثم تمشيت الى ان وصلت بين القصرين ولازلت امشى حتى وصلت الى باب زويلة فوجدت الخلق فى ازدحام والباب منسدا من كثرة الخلق فرأيت بالامر المقدر جنديا فزاحمته بغير اختيارى فجاءت يدى على جيبه فجسيته فوجدت فيه صرة من داخل الجيب الذى يدى عليه فعمدت الى تلك الصرة فاخذتها من جيبه فحس الجندى بان جيبه خف فحط يده فى جيبه فلم يجد شيأ والتفت نحوى ورفع يده بالدبوس وضربنى على رأسى فوقعت الى الارض فاحتاط بنا الناس وامسكوا لجام فرس الجندى وقالوا امن اجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندى وقال هذا حرامى سارق فعند ذلك انتقفت ورأيت الناس يقولون هذا شاب مليح لم يأخذ شيأ فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب

وكثر القيل والقال وجذبنى الناس وارادوا خلاصى منه فبالامر المقدر جاء الوالى هو وبعض الحكام فى هذا الوقت ودخلوا من الباب فوجدوا الخلق مجتمعين على وعلى الجندى فقال الوالى ما الخبر فقال الجندى والله يا امير ان هذا حرامى وكان فى جيبى كيس ازرق فيه عشرون دينارا فاخذه وانا فى الزحام فقال الوالى للجندى هل كان معك احد فقال الجندى لا فصرخ الوالى على المقدم وقال امسكه وفتشه فامسكنى وقد زال الستر عنى فقال له الوالى اعره من جميع ما عليه فلما اعرانى وجدوا الكيس فى ثيابى فلما وجدوا الكيس اخذه الوالى وفتحه وعده فرأى فيه عشرين دينارا كما قال الجندى فغضب الوالى وصاح على اتباعه وقال قدموه فقدمونى بين يديه فقال لى يا صبى قل الحق هل انت سرقت هذا الكيس فاطرقت برأسى الى الارض وقلت فى نفسى ان قلت ما سرقته فقد اخرجه من ثيابى وان قلت سرقته وقعت فى العناء ثم رفعت رأسى وقلت نعم اخذته فلما سمع منى الوالى هذا الكلام تعجب ودعا الشهود فحضروا وشهدوا على منطق هذا كله فى باب زويلة فامر الوالى السياف بقطع يدى فقطع يدى اليمين فرق قلب الجندى وشفع فى عدم قتلى وتركنى الوالى ومضى وصارت الناس حولى وسقونى قدح شراب واما الجندى فانه اعطانى الكيس وقال انت شاب مليح ولا ينبغى ان تكون لصا فاخذته منه وانشدت هذه الابيات

والله ما كنت لصا يا اخا ثقة ❋ ولم اكن سارقا يا احسن الناس

لكن رمتنى صروف الدهر عن عجل ❋ فزاد همى ووسواسى وافلاسى

وما رميت ولكن الاله رمى ❋ سهما فطير تاج الملك عن راسى

فتركنى الجندى وانصرف بعد ان اعطانى الكيس وانصرفت انا ولففت يدى فى خرقة وادخلتها عبى وقد تغيرت حالتى واصفر لونى مما جرى لى فتمشيت الى القاعة وانا على غير استواء ورميت روحى على الفراش فنظرتنى الصبية متغير اللون فقالت لى ما وجعك ومالى ارى حالتك تغيرت فقلت لها رأسى توجعنى وما انا طيب فعند ذلك اغتاظت وتشوشت لاجلى وقالت لا تحرق قلبى يا سيدى اقعد وارفع رأسك وحدثنى بما حصل لك اليوم فقد بان لى فى وجهك كلام فقلت دعينى من الكلام فبكت وقالت كانك قد فرغ غرضك منا فانى اراك على خلاف العادة فبكت وصارت تحدثنى وانا لا اجيبها حتى اقبل الليل فقدمت لى الطعام فامتنعت وخشيت ان ترانى اكل بيدى الشمال فقلت لا اشتهى ان آكل فى هذه الساعة فقالت حدثنى بما جرى لك فى هذا اليوم ولاى شىء اراك مهموما مكسور الخاطر والقلب فقلت فى هذه الساعة احدثك على مهلى فقدمت لى الشراب وقالت دونك فانه يزيل همك فلا بد ان تشرب وتحدثنى بخبرك فقلت لها ان كان ولا بد فاسقينى بيدك فملأت القدح وشربته وملأته وناولتنى اياه فتناولته منها بيدى الشمال وفرت الدمعة من جفنى فانشدت هذه الابيات

اذا اراد الله امرا لامرئ ❋ وكان ذا عقل وسمع وبصر

اصم اذنيه واعمى قلبه ❋ وسل منه عقله سل الشعر

حتى اذا انفذ فيه حكمه ❋ رد اليه عقله ليعتبر

فلما فرغت من شعرى تناولت القدح بيدى الشمال وبكيت فلما رأتنى ابكى صرخت صرخة قوية وقالت ما سبب بكائك قد احرقت قلبى ومالك تناولت القدح بيدك الشمال فقلت لها ان بيدى حبة فقالت اخرجها حتى افقعها لك فقلت ما هو وقت فقعها فلا تطيلى على فما اخرجها فى تلك الساعة ثم شربت القدح ولم تزل تسقينى حتى غلب السكر على فنمت مكانى فابصرت يدى بلا كف ففتشتنى فرأت معى الكيس الذى فيه

الذهب

الذهب فدخل عليها من الحزن ما لا يدخل على احد ولا زالت تتألم بسببي الى الصباح فلما افقت من النوم وجدتها هيأت لى مسلوقة وقدمتها فاذا هى اربعة طيور من الدجاج واسقتنى قدح شراب فاكلت وشربت وحطيت الكيس واردت الخروج فقالت اين تروح فقلت الى مكان كذا لازيح بعض الهم عن قلبي فقالت لا تروح بل اجلس فجلست فقالت لى وهل بلغت محبتك اياى الى ان صرفت جميع مالك على وعدمت كفك فاشهدك على واشهد الله انى لا افارقك وسترى صحة قولى ولعل الله استجاب دعوتى بزواجك وارسلت خلف الشهود فحضروا فقالت لهم اكتبوا كتابى على هذا الشاب واشهدوا انى قبضت المهر فكتبوا كتابى عليها ثم قالت اشهدوا ان جميع مالى الذى فى هذا الصندوق وجميع ما عندى من المماليك والجوارى لهذا الشاب فشهدوا عليها وقبلت انا التمليك وانصرفوا بعد ما اخذوا الاجرة ثم اخذتنى من يدى واوقفتنى على خزانة وفتحت صندوقا كبيرا وقالت لى انظر هذا الذى فى الصندوق فنظرت فاذا هو ملآن مناديل فقالت هذا مالك الذى اخذته منك فكلما اعطيتنى منديلا فيه خمسون دينارا الفه وارميه فى هذا الصندوق فخذ مالك فقد رده الله عليك وانت اليوم عزيز فقد جرى عليك القضاء بسببي حتى عدمت يمينك وانا لا اقدر على مكافأتك ولو بذلت روحى لكان ذلك قليلا ولك الفضل ثم قالت لى تسلم مالك فتسلمته ثم نقلت ما فى صندوقها الى صندوقى وضممت مالها الى مالى الذى كنت اعطيتها اياه وفرح قلبي وزال همي فقمت قبلتها وشكرتها فقالت لقد بذلت جميع مالك ويدك فى محبتي فكيف اقدر على مكافأتك والله لو بذلت روحى فى محبتك لكان ذلك قليلا وما اقوم بواجب حقك على ثم انها كتبت لى جميع ما تملكه من ثياب بدنها وصيغتها واملاكها بحجة وما نامت تلك الليلة الا مهمومة من اجلى حين حكيت لها ما وقع لى وبت معها ثم اقمنا على ذلك اقل من شهر وقوى بها الضعف وزاد بها المرض وما مكثت غير خمسين يوما ثم صارت من اهل الآخرة فجهزتها وواريتها فى التراب وعملت لها ختمات وتصدقت عليها بجملة من المال ثم نزلت من التربة فرأيت لها مالا جزيلا واملاكا وعقارات ومن جملة ذلك تلك المخازن السمسم التى بعت لك منها ذلك المخزن وما كان اشتغالى عنك هذه المدة الا انى بعت بقية الحواصل والى الآن لم افرغ من قبض الثمن فارجو منك الا تخالفنى فيما اقوله لك لانى اكلت زادك فقد وهبتك ثمن السمسم الذى عندك فهذا سبب اكلى بيدى الشمال فقلت له لقد احسنت لى وتفضلت على فقال لى لابد ان تسافر معى الى بلادى فانى اشتريت متجرا مصريا واسكندرانيا فهل لك مصاحبتى فقلت نعم وواعدته على رأس الشهر ثم بعت جميع ما املك واشتريت به متجرا وسافرت انا وذلك الشاب الى هذه البلاد التى هى بلادكم فباع الشاب متجره واشترى متجرا عوضه من بلادكم ومضى الى الديار المصرية فكان نصيبي فى قعودى هذه الليلة حتى حصل ما حصل فى غربتى فهذا يا ملك الزمان ما هو اعجب من حديث الاحدب فقال الملك لابد من شنقكم كلكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ملك الصين لما قال لابد من شنقكم فعند ذلك تقدم المباشر الى ملك الصين وقال ان اذنت لى حكيت لك حكاية اتفقت لى فى تلك المدة قبل ان اجد هذا الاحدب وان كانت اعجب من حديثه تهب لنا ارواحنا فقال الملك هات ما عندك فقال اعلم انى كنت الليلة الماضية عند جماعة

عملوا ختمة وجمعوا الفقهاء فلما قرأ المقريون وفرغوا مدوا السماط فمن جملة ما قدموا زرباجة فتقدمنا لنأكل من الزرباجة فتأخر واحد منا وامتنع من الاكل منها فحلفنا عليه فاقسم انه لا يأكل منها فشددنا عليه فقال لا تشددوا على فكفانى ما جرى من اكلها ثم انشد هذا البيت

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعيني فى فراقه الحيل

فلما فرغنا قلنا له بالله ما سبب امتناعك من الاكل من هذه الزرباجة فقال لانى لا آكل منها الا ان غسلت يدى اربعين مرة بالاشنان واربعين مرة بالسعد واربعين مرة بالصابون فجملتها مائة وعشرون مرة فعند ذلك امر صاحب الدعوة غلمانه فاتوا بالماء وبالذى طلبه فغسل يديه كما ذكر ثم تقدم وهو منكره وجلس ومد يده وهو مثل الخائف ووضع يده فى الزرباجة وصار يأكل وهو متغصب ونحن نتعجب منه غاية التعجب ويده ترتعد فنصب ابهام يده فاذا هو مقطوع وهو يأكل باربعة اصابع فقلنا له بالله عليك ما لابهامك هكذا هو خلقة الله ام اصابه حادث فقال يا اخوانى ما هو هذا الابهام وحده ولكن ابهام الاخرى وكذلك رجلاى الاثنان ولكن انظروا ثم كشف ابهام يده الاخرى فوجدناها مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا ابهامين فلما رأيناه كذلك ازددنا عجبا وقلنا له ما بقى لنا صبر على حديثك والاخبار بسبب قطع ابهامى يديك وابهامى رجليك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال اعلموا ان والدى كان تاجرا من التجار الكبار وكان اكبر تجار مدينة بغداد فى ايام الخليفة هارون الرشيد وكان مولعا بشرب الخمر وسماع العود فلما مات لم يترك شيأ فجهزته وقد عملت له ختمات وحزنت عليه اياما وليالى ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف الايسرا ووجدت عليه ديونا كثيرة فصبرت اصحاب الديون وطيبت خواطرهم وصرت ابيع واشترى من الجمعة الى الجمعة واعطى اصحاب الديون ولا زلت على هذه الحالة مدة الى ان وفيت الديون وزدت على رأس مالى فبينما انا جالس يوما من الايام اذ رأيت صبية لم تر عينى احسن منها عليها حلى وحلل فاخرة وهى راكبة بغلة وقدامها عبد ووراها عبد فاوقفت البغلة على رأس السوق ودخلت ودخل خلفها خادم وقال يا سيدتى اخرجى ولا تعلمى احدا فتطلق فينا النار ثم حجبها الخادم فلما نظرت الى دكاكين التجار لم تجد افخر من دكانى فلما وصلت الى جهتى والخادم خلفها جلست على دكانى وسلمت على فما سمعت احسن من حديثها ولا اعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فنظرتها نظرة اعقبتنى حسرة وتعلق قلبى بمحبتها وجعلت اكرر النظر الى وجهها وانشدت هذين البيتين

قل للمليحة فى الخمار الفاختى * الموت حقا من عذابك راحتى

جودى الى بزورة احيى بها * ها قد مددت الى نوالك راحتى

فلما سمعت انشادهما اجابتنى بهذه الابيات

عدمت فؤادى فى الهوى ان سلاكم * فان فؤادى لا يحب سواكم

وان نظرت عينى الى غير حسنكم * فلا سرها بعد البعاد لقاكم

حلفت يمينا لست اسلى هواكم * وقلبى حزين مغرم بهواكم

سقانى الهوى كاسا من الحب صافيا * فياليته لما سقانى سقاكم

خذوا رمقى حيث استقرت بكم نوى * واين حللتم فادفنونى حذاكم

وان تذكروا اسمى عند قبرى يجيبكم * انين عظامى عند رفع نداكم

فلو قيل لي ماذا على الله تشتهي ❊ لقلت رضى الرحمن ثم رضاكم

فلما فرغت من شعرها قالت يافتى اعندك تفاصيل ملاح فقلت ياسيدتي مملوكك فقير ولكن اصبري حتى تفتح التجار دكاكينهم واجيء لك بما تريدينه ثم تحدثت انا واياها وانا غارق في بحر محبتها تائه في عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت واخذت لها جميع ما طلبته وكان ثمن ذلك خمسة آلاف درهم وناولت الخادم جميع ذلك فاخذه الخادم وذهبا الى خارج السوق فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكر لي من اين هي واستحييت اني اذكرها ذلك والتزمت الثمن للتجار وتكلفت غرامة خمسة آلاف درهم وجئت البيت وانا سكران من محبتها فقدموا الي العشاء فاكلت لقمة وتذكرت حسنها وجمالها فاشغلني عن الاكل واردت ان انام فلم يجئني نوم ولم ازل على هذه الحالة اسبوعا وطالبني التجار باموالهم فصبرتهم اسبوعا آخر فبعد الاسبوع اقبلت وهي راكبة البغلة ومعها خادم وعبدان فسلمت علي وقالت ياسيدي ابطأنا عليك بثمن القماش فهات الصيرفي واقبض الثمن فجاء الصيرفي واخرج له الطواشي الثمن فقبضته وصرت اتحدث انا واياها الى ان عمر السوق وفتحت التجار فقالت خذ لي كذا وكذا فاخذت لها من التجار ما ارادت واخذته ومضت ولم تخاطبني في ثمن فلما مضت ندمت على ذلك وكنت اخذت الذي طلبته بالف دينار فلما غابت عن عيني قلت في نفسي اي شيء هذه المحبة اعطتني خمسة آلاف درهم واخذت شيأ بالف دينار فخفت الافلاس وضياع مال الناس وقلت ان التجار لم يعرفوا الا انا فما كانت هذه المرأة الا محتالة خدعتني بحسنها وجمالها ورأتني صغيرا فضحكت علي ولم اسألها عن منزلها ولم ازل في وسواس وطالت غيبتها اكثر من شهر فطالبني التجار وشددوا علي فعرضت عقاري للبيع واشرفت على الهلاك ثم قعدت وانا متفكر فلم اشعر الا وهي نازلة على باب السوق ودخلت علي فلما رأيتها زالت الفكرة ونسيت ما كنت فيه واقبلت تحدثني بحديثها الحسن ثم قالت هات الميزان وزن مالك فاعطتني ثمن ما اخذته بزيادة ثم انبسطت معي في الكلام فكدت ان اموت فرحا وسرورا حتى قالت لي هل انت لك زوجة فقلت لا اني لا اعرف امرأة ثم بكيت فقالت لي مالك تبكي فقلت من شيء خطر ببالي ثم اني اخذت بعض دنانير واعطيتها للخادم وسألته ان يتوسط في الامر فضحك وقال هي عاشقة لك اكثر منك ومالها بالقماش حاجة وانما هو لاجل محبتها لك فخاطبها بما تريد فانها لا تخالفك فيما تقول فرأتني وانا اعطي الخادم الدنانير فرجعت وجلست ثم قلت لها تصدقي على مملوكك واسمحي له فيما يقول ثم حدثتها بما في خاطري فاعجبها ذلك واجابتني وقالت هذا الخادم يأتي برسالتي واعمل انت بما يقوله لك الخادم ثم قامت ومضت وقمت سلمت التجار اموالهم وحصل لهم الربح الا انا فانها حين ذهبت حصل لي الندم من انقطاع خبرها عني ولم انم طول ليلي فما كان الا ايام قلائل وجاءني خادمها فاكرمته وسألته عنها فقال انها مريضة فقلت للخادم اشرح لي امرها قال ان هذه الصبية ربتها السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد وهي من جواريها وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول فاذنت لها في ذلك فصارت تخرج وتدخل حتى صارت قهرمانة ثم انها حدثت بك سيدتها وسألتها ان تزوجها بك فقالت سيدتها لا افعل حتى انظر هذا الشاب فان كان يشبهك زوجتك به ونحن نريد في هذه الساعة ان تدخل بك الدار فان دخلت الدار ولم يشعر بك احد وصلت الى تزويجك اياها وان انكشف امرك ضربت رقبتك فماذا تقول قلت نعم اروح معك واصبر على الامر الذي حدثتني به فقال له الخادم اذا كانت هذه الليلة فامض الى المسجد الذي بنته السيدة زبيدة على

الدجلة فصل فيه وبت هناك فقلت حبا وكرامة فلما جاء وقت العشاء مضيت الى المسجد وصليت
فيه وبت هناك فلما كان وقت السحر رأيت الخادمين قد اقبلا فى زورق ومعهما صناديق فارغة فادخلوها
فى المسجد وانصرفوا وتأخر واحد منهما فتأملته واذا هو الذى كان واسطة بينى وبينها فبعد ساعة صعدت
الينا الجارية صاحبتى فلما اقبلت قمت اليها وعانقتها فقبلتنى وبكت وتحدثنا ساعة فاخذتنى
ووضعتنى فى صندوق واغلقته على ولم اشعر الا وانا فى دار الخليفة وجاءوا الى بشئ كثير من الامتعة بحيث
يساوى خمسين الف درهم ثم رأيت عشرين جارية اخرى وهن نهد ابكار وبينهن الست زبيدة وهى لم تقدر
على المشى مما عليها من الحلى والحلل فلما اقبلت تفرقت الجوارى من حواليها فاتيت اليها وقبلت الارض
بين يديها فاشارت لى بالجلوس فجلست بين يديها ثم شرعت تسألنى عن حالى وعن نسبى فاجبتها عن كل
ما سألتنى عنه ففرحت وقالت والله ما خابت تربيتنا فى هذه الجارية ثم قالت لى اعلم ان هذه الجارية
عندنا بمنزلة ولد الصلب وهى وديعة الله عندك فقبلت الارض قدامها ورضيت بزواجى اياها ثم امرتنى ان
اقيم عندهم عشرة ايام فاقمت عندهم هذه المدة وانا لا ادرى من هى الجارية الا ان بعض الوصائف تأتينى
بالغداء والعشاء لاجل الخدمة وبعد هذه المدة استأذنت السيدة زبيدة زوجها امير المؤمنين فى زواج
جاريتها فاذن لها وامر لها بعشرة الاف دينار فارسلت السيدة زبيدة الى القاضى والشهود وكتبوا
كتابى عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والاطعمة الفاخرة وفرقوا على سائر البيوت ومكثوا على هذا
الحال عشرة ايام اخر وبعد العشرين يوما ادخلوا الجارية الحمام لاجل الدخول بها ثم انهم قدموا سفرة
فيها طعام ومن جملته خافقية زرباجة محشية بالسكر وعليها ماء ورد ممسك وفيها اصناف الدجاج
المحمرة وغيره من سائر الالوان مما يدهش العقول فوالله حين حضرت المائدة ما امهلت نفسى حتى نزلت
على الزرباجة واكلت منها بحسب الكفاية ومسحت يدى ونسيت ان اغسلها ومكثت جالسا الى ان دخل
الظلام واوقدت الشموع واقبلت المغنيات بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة وينقطون بالذهب حتى
طافت القصر كله وبعد ذلك اقبلوا بها على ونزعوا ما عليها من الملبوس فلما خلوت بها فى الفراش
وعانقتها وانا لم اصدق بوصالها شمت فى يدى رائحة الزرباجة فلما شمت الرائحة صرخت صرخة فنزل
لها الجوارى من كل جانب فارتجفت ولم اعلم ما الخبر فقالت الجوارى ما لك يا اختنا فقالت لهم اخرجوا
عنى هذا المجنون فانا احسب انه عاقل فقلت لها وما الذى ظهر لك من جنونى فقالت يا مجنون لاى شئ
اكلت من الزرباجة ولم تغسل يدك فوالله لاقابلك على عدم عقلك وسوء فعلك ثم تناولت من جانبها
سوطا ونزلت به على ظهرى ثم على مقاعدى حتى غبت عن الوجود من كثرة الضرب ثم انها قالت للجوارى
خذوه وامضوا به الى متولى المدينة ليقطع يده التى اكل بها الزرباجة ولم يغسلها فلما سمعت ذلك قلت
لا حول ولا قوة الا بالله اتقطع يدى من اجل اكل الزرباجة وعدم غسلى اياها فدخلت عليها الجوار وقلن
لها يا اختنا لا تؤاخذيه بفعله هذه المرة فقالت والله لا بد ان اقطع شيأ من اطرافه ثم راحت وغابت عنى
عشرة ايام ولم ارها وبعد العشرة ايام اقبلت على وقالت لى يا اسود الوجه انا لا اصلح لك فكيف تأكل
الزرباجة ولم تغسل يدك ثم صاحت على الجوارى فكتفونى واخذت موسى ماضيا وقطعت ابهامى يدى
وابهامى رجلى كما ترون يا جماعة فغشى على ثم ذرت على بالذرور فانقطع الدم وقلت فى نفسى لا اكل
الزرباجة ما بقيت حتى اغسل يدى اربعين مرة بالاشنان واربعين مرة بالسعد واربعين مرة بالصابون
فاخذت على ميثاقا انى لا اكل الزرباجة حتى اغسل يدى كما ذكرت لكم فلما جئتم بهذه الزرباجة تغيرلونى

وقلت

وقلت فى نفسى هذه سبب قطع ابهامى يدى ورجلى فلما غصبتنى على قلت لابد ان اوفى بما حلفت فقلت له
والجماعة حاضرون ما حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها ونمت واياها واقمنا مدة على
هذا الحال وبعد تلك المدة قالت ان اهل دار الخلافة لم يعلموا بما حصل بينى وبينك فيها وما دخلها اجنبى
غيرك وما دخلت فيها الا بعناية السيدة زبيدة ثم اعطتنى خمسين الف دينار وقالت خذ هذه الدنانير
واخرج واشترلنا بها دارا فسيحة فخرجت واشتريت دارا مليحة فسيحة ونقلت جميع ما عندها من النعم
وما ادخرته من الاموال والقماش والتحف الى هذه الدار التى اشتريتها فهذا سبب قطع ابهامى فاكلنا
وانصرفنا وبعد ذلك جرى لى مع الاحدب ما جرى وهذا جميع حديثى والسلام فقال الملك ما هذا باعذب
من حديث الاحدب بل حديث الاحدب اعذب من ذلك ولابد من صلبكم جميعا ثم ان اليهودى تقدم
وقبل الارض وقال يا ملك الزمان انا احدثك بحديث اعجب من حديث الاحدب فقال ملك الصين
هات ما عندك فقال اعجب ما جرى لى فى زمن شبابى انى كنت فى دمشق الشام وتعلمت صنعة فعملت
فيها فبينما انا اعمل فى صنعتى يوما من الايام اذا اتانى مملوك من بيت الصاحب بدمشق فخرجت له وتوجهت
معه الى منزل الصاحب فدخلت فرأيت فى صدر الايوان سريرا من المرمر بصفائح الذهب وعليه
آدمى مريض راقد وهو شاب لم ير احسن منه فى زمانه فقعدت عند رأسه ودعوت له بالشفاء فاشار
الى بعينه فقلت له يا سيدى ناولنى يدك فاخرج لى يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت فى نفسى يا الله العجب
ان هذا الشاب مليح ومن بيت كبير وليس عنده ادب ان هذا هو العجب ثم جسست مفاصله وكتبت له
ورقة ومكثت اتردد عليه مدة عشرة ايام حتى تعافى ودخل الحمام واغتسل وخرج فخلع على الصاحب
خلعة مليحة وجعلنى مباشرا عنده فى المارستان الذى بدمشق فلما دخلت معه الحمام وقد اخلوه لنا
من جميع الناس ودخل الخادم بالثياب واخذ ثيابه التى كانت عليه من داخل الحمام بعد ان تعرى
رأيت يده اليمين مقطوعة فلما رأيته اخذنى العجب وحزنت عليه ونظرت الى جسده فوجدت عليه
آثار ضرب مقارع فصرت اتعجب من اجل ذلك فنظر الى الشاب وقال لى يا حكيم الزمان لا تتعجب من
امرى فسوف احدثك بحديثى حتى نخرج من الحمام فلما خرجنا من الحمام ووصلنا الى الدار واكلنا
الطعام واسترحنا قال الشاب هل لك ان تتفرج فى الغرفة فقلت نعم فامر العبيد ان يطلعوا الفرش الى
فوق وامرهم ان يشووا خاروفا وان يأتوا الينا بفاكهة ففعل العبيد ما امرهم به واتوا بالفاكهة
فاكلنا واكل هو بيده الشمال فقلت له حدثنى بحديثك فقال لى يا حكيم الزمان اسمع حكاية ما جرى لى
اعلم انى من اولاد الموصل وكان لى والد قد توفى ابوه وخلف عشرة اولاد ذكور من جملتهم والدى وكان
اكبرهم فكبروا كلهم وتزوجوا ورزق والدى بى واما اخوته التسعة فلم يرزقوا باولاد فكبرت انا وصرت بين
اعمامى وهم فرحون بى فرحا شديدا فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال كنت ذات يوم مع والدى فى جامع
الموصل وكان اليوم يوم جمعة فصلينا الجمعة وخرج الناس جميعا واما والدى واعمامى فانهم قعدوا يتحدثون
فى عجائب البلاد وغرائب المدن الى ان ذكروا مصر فقال بعض اعمامى ان المسافرين يقولون ما على
وجه الارض احسن من مصر ونيلها ولقد احسن من قال فيها وفى نيلها هذين البيتين

بالله قل للنيل عنى اننى ✻ لم اشف من ماء الفرات غليلا
يا قلب كم خلفت ثم بثينة ✻ واظن صبرك ان يكون جميلا

ثم انهم اخذوا يصفون مصر ونيلها فلما فرغوا من كلامهم وسمعت انا هذه الاوصاف التى فى مصر صار

خاطرى مشغولا بها ثم انصرفوا وتوجه كل واحد منهم الى منزله فبت تلك الليلة لم يأتنى نوم من شغفى بها ولم يطب لى اكل ولا شرب فلما كان بعد ايام قلائل تجهز اعمامى الى مصر فبكيت على والدى لاجل الذهاب معهم حتى جهز لى متجرا ومضيت معهم وقال لهم لا تدعوه يدخل مصر بل اتركوه فى دمشق ليبيع متجره فيها ثم سافرنا وودعت والدى وخرجنا من الموصل ومازلنا مسافرين حتى وصلنا الى حلب فاقمنا بها اياما ثم سافرنا الى ان وصلنا دمشق فرأيناها مدينة ذات اشجار وانهار واثمار واطيار كانها جنة فيها من كل فاكهة فنزلنا فى بعض الخانات واستمر بها اعمامى حتى باعوا واشتروا وباعوا بضاعتى فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح ثم تركنى اعمامى وتوجهوا الى مصر فمكثت بعدهم وسكنت فى قاعة مليحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان اجرتها كل شهر ديناران وصرت اتلذذ بالمأكل والمشارب حتى صرفت المال الذى كان معى فبينما انا قاعد على باب القاعة يوما من الايام واذا بصبية اقبلت على وهى لابسة افخر الملابس ما رأت عينى افخر منها فغمزت عليها فما قصرت بل صارت داخل الباب فلما دخلت ظفرت بها وفرحت بدخولها فرددت الباب على وعليها وكشفت عن وجهها وقلعت ازارها فوجدتها بديعة الجمال فتمكن حبها من قلبى فقمت وجئت بسفرة من اطيب المأكول والفاكهة وما يحتاج اليه المقام واكلنا ولعبنا وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا ثم نمت معها فى اطيب ليلة الى الصباح وبعد ذلك اعطيتها عشرة دنانير فحلفت انها لا تأخذ الدنانير منى ثم قالت يا حبيبى انتظرنى بعد ثلاثة ايام وقت المغرب اكون عندك وهيئ لنا بهذه الدنانير مثل هذا واعطتنى هى عشرة دنانير وودعتنى وانصرفت فاخذت عقلى معها فلما مضت الايام الثلاثة اتت وعليها من المزركش والحلى والحلل اعظم مما كان عليها اولا وكنت هيئت لها ما يليق بالمقام قبل ان تحضر ثم اكلنا وشربنا ونمنا مثل العادة الى الصباح ثم اعطتنى عشرة دنانير وواعدتنى بعد ثلاثة ايام انها تحضر عندى فهيئت لها ما يليق بالمقام وبعد ثلاثة ايام حضرت فى قماش اعظم من الاول والثانى ثم قالت لى يا سيدى هل انا مليحة فقلت اى والله فقالت هل تأذن لى ان اجئ معى بصبية احسن منى واصغر سنا منى حتى تلعب معنا ونضحك واياها فانها سألتنى ان تخرج معى وتبيت معنا لنضحك واياها ثم اعطتنى عشرين دينارا وقالت لى زد لنا المقام لاجل الصبية التى تأتى معى ثم انها ودعتنى وانصرفت فلما كان اليوم الرابع جهزت لها ما يليق بالمقام على العادة فلما كان بعد المغرب واذا بها قد اتت ومعها واحدة ملفوفة بازار فدخلتا وجلستا ففرحت واوقدت الشموع واستقبلتهما بالفرح والسرور فقامتا ونزعتا ما عليهما من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرأيتها كالبدر فى تمامه فلم ار احسن منها فقمت وقدمت لهما الاكل والشرب فاكلنا وشربنا وصرت اقبل الصبية الجديدة واملأ لها القدح واشرب معها فغارت الصبية الاولى فى الباطن ثم قالت بالله ان هذه الصبية مليحة اما هى اظرف منى قلت اى والله قالت خاطرى ان تنام معها قلت على رأسى وعينى ثم قامت وفرشت لنا فقمت ونمت مع الصبية الجديدة الى وقت الصبح فلما اصبحت وجدت يدى ملوثة بدم ففتحت عينى فوجدت الشمس قد طلعت فنبهت الصبية فتدحرجت رأسها عن بدنها فظننت انها فعلت ذلك من غيرتها منها ففكرت ساعة ثم قمت قلعت ثيابى وحفرت فى القاعة ووضعت الصبية ورددت عليها التراب واعدت الرخام كما كان ثم لبست واخذت بقية مالى وخرجت وجئت الى صاحب القاعة ودفعت له اجرة سنة وقلت له انا مسافر الى اعمامى بمصر ثم سافرت الى مصر واجتمعت باعمامى ففرحوا بى ووجدتهم قد فرغوا من بيع متجرهم ثم قالوا لى

ماسبب مجيئك فقلت لهم اشتقت اليكم وخفت ان لا يبقى معى شئ من مالى فاقمت عندهم سنة وانا اتفرج على مصر ونيلها ووضعت يدى فى بقية مالى وصرت اصرف منه واكل واشرب حتى قرب سفر اعمامى فهربت منهم فقالوا لعله سبقنا ورجع الى دمشق فسافروا وخرجت انا فاقمت بمصر ثلاث سنين وصرت اصرف حتى لم يبق معى من المال شئ وانا فى كل سنة ارسل الى صاحب القاعة اجرتها وبعد الثلاث سنين ضاق صدرى ولم يبق معى الا اجرة السنة فقط فسافرت حتى وصلت الى دمشق ونزلت فى القاعة ففرح بى صاحبها فدخلت القاعة ومسحتها من دم الصبية المذبوحة ورفعت المخدة فوجدت تحتها العقد الذى كان فى عنق تلك الصبية فاخذته وتأملته وبكيت ساعة ثم اقمت يومين وفى اليوم الثالث دخلت الحمام وغيرت اثوابى وانا ما معى شئ من الدراهم فجئت يوما الى السوق فوسوس لى الشيطان لاجل انفاذ القدر فاخذت العقد الجوهر وتوجهت به الى السوق وناولته للدلال فقام لى واجلسنى بجانبه وصبر حتى عمر السوق واخذ ذلك الدلال ونادى عليه خفية وانا لا اعلم واذا بالعقد ممن بلغ ثمنه الفى دينار فجاءنى الدلال وقال لى ان هذا العقد نحاس مصنوع بصنعة الافرنج وقد وصل ثمنه الى الف درهم فقلت له نعم هذا كنا صنعناه لواحدة نضحك عليها به وورثتها زوجتى فاردنا بيعه فرح واقبض الالف درهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب لما قال للدلال اقبض الالف درهم وسمع الدلال ذلك عرف ان قضيته مشكلة فتوجه بالعقد الى كبير السوق واعطاه اياه فاخذه وتوجه به الى الوالى وقال له ان هذا العقد سرق من عندى ووجدنا الحرامى لابسا لباس اولاد التجار فلم اشعر الا والظلمة قد احاطوا بى واخذونى وذهبوا بى الى الوالى فسألنى الوالى عن ذلك العقد فقلت له ما قلته للدلال فضحك الوالى وقال ما هذا كلام الحق فلم ادر الا وحواشيه جردونى من ثيابى وضربونى بالمقارع على جميع بدنى فاحرقنى الضرب فقلت انا سرقته وقلت فى نفسى ان الاحسن انى اقول انا سرقته ولا اقول ان صاحبته مقتولة عندى فيقتلونى فيها فلما قلت انى سرقته قطعوا يدى وقلوها فى الزيت فغشى على فسقونى الشراب حتى افقت فاخذت يدى وجئت الى القاعة فقال صاحب القاعة حيث ما جرى لك هذا فاخل القاعة وانظر لك موضعا آخر لانك متهم بالحرام فقلت له يا سيدى اصبر على يومين او ثلاثة حتى انظر لى موضعا قال نعم ومضى وتركنى فبقيت قاعد ابكى واقول كيف ارجع الى اهلى وانا مقطوع اليد والذى قطع يدى لم يعلم انى برئ فلعل الله يحدث بعد ذلك امرا وصرت ابكى بكاء شديدا فلما مضى صاحب القاعة عنى لحقنى غم شديد فتشوشت يومين وفى اليوم الثالث ما ادرى الا وصاحب القاعة جاءنى ومعه بعض الظلمة وكبير السوق وادعى على انى سرقت العقد فخرجت لهم وقلت لهم ما الخبر فلم يمهلونى بل كتفونى ووضعوا فى رقبتى جنزيرا وقالوا لى ان العقد الذى كان معك طلع لصاحب دمشق ووزيرها وحاكمها وقالوا ان هذا العقد قد ضاع من بيت الصاحب من مدة ثلاث سنين ومعه ابنته فلما سمعت هذا الكلام منهم ارتعدت مفاصلى وقلت فى نفسى هم يقتلونى ولا محالة والله لابد انى احكى للصاحب حكايتى فان شاء قتلنى وان شاء عفا عنى فلما وصلنا الى الصاحب اوقفنى بين يديه فلما رآنى قال اهذا الذى سرق العقد ونزل به ليبيعه انكم قطعتم يده ظلما فامر بسجن كبير السوق وقال له اعط هذا دية يده والا اشنقك واخذ جميع

مالك ثم صاح على اتباعه فاخذوه وجروه وبقيت انا والصاحب وحدنا بعد ان فكوا الغل من عنقي باذنه
وحلوا وثاقي ثم نظر الى الصاحب وقال لي ياولدي حدثني واصدقني كيف وصل اليك هذا العقد فقلت
يامولاي انى اقول لك الحق ثم حدثته بجميع ماجرى لي مع الصبية الاولى وكيف جاءتني بالثانية وكيف
ذبحتها من الغيرة وذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامي هز رأسه وحط منديله على وجهه وبكى
ساعة ثم اقبل علي وقال لي اعلم ياولدي ان الصبية الكبيرة بنتي وكنت احجر عليها فلما بلغت ارسلتها الى ولد
عمها بمصر فمات فجاءتني وقد تعلمت العهر من اولاد مصر وجاءتك اربع مرات ثم جاءتك باختها الصغيرة
والاثنتان شقيقتان وكانتا محبتان لبعضهما فلما جرى للكبيرة ماجرى اخرجت سرها على اختها
فطلبت مني الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسألتها عنها فوجدتها تبكي عليها وقالت لا اعلم
لها خبرا ثم قالت لامها سرا جميع ماجرى من ذبحها اختها فاخبرتني امها سرا ولم تزل تبكي وتقول
والله لاازال ابكي عليها حتى اموت وكلامك ياولدي صحيح فاني اعلم بذلك قبل ان تخبرني به فانظر ياولدي
ماجرى وانا اشتهي منك ان لاتخالفني فيما اقول لك وهو اني اريد ان ازوجك ابنتي الصغيرة فانها ليست
شقيقة لهما وهي بكر ولم آخذ منك مهرا واجعل لكما راتبا من عندي وتبقى عندي بمنزلة ولدي فقلت
له الامر كما تريد ياسيدي ومن اين لي ان اصل الى ذلك فارسل الصاحب في الحال من عنده بريدا واتاني
بمالي الذي خلفه والدي وانا اليوم في ارغد عيش فتعجبت منه واقمت عنده ثلاثة ايام واعطاني مالا
كثيرا وسافرت من عنده فوصلت الى بلدكم هذه فطابت لي فيها المعيشة وجرى لي مع الاحدب
ماجرى فقال ملك الصين ماهذا باعجب من حديث الاحدب ولابد لي من شنقكم جميعا وخصوصا
الخياط الذي هو رأس كل خطيئة ثم قال ياخياط ان حدثتني بشيء اعجب من حديث الاحدب وهبت
لكم ذنوبكم فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم ياملك الزمان ان الذي جرى لي اعجب مما جرى للجميع
لاني كنت قبل ان اجتمع بالاحدب اول النهار في وليمة لبعض اصحابي ارباب الصنائع من خياطين
وبزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت الشمس حضر الطعام لنأكل واذا بصاحب الدار قد دخل
علينا ومعه شاب غريب مليح من اهل بغداد وعلى ذلك الشاب احسن مايكون من الثياب وهو
في احسن مايكون من الجمال غير انه اعرج فدخل علينا وسلم فقمنا له فلما اراد الجلوس رأى فينا
انسانا مزينا فامتنع من الجلوس واراد ان يخرج من عندنا فمنعناه نحن وصاحب المنزل وشددنا عليه
وحلف عليه صاحب المنزل وقال له ماسبب دخولك وخروجك فقال بالله يامولاي لاتتعرض لي بشيء
فان سبب خروجي هذا المزين الذي هو قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب
وقال كيف يكون هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم التفتنا اليه وقلنا له احك
لنا ماسبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب ياجماعة انه جرى لي مع هذا المزين امر عجيب في بغداد
بلدي وكان هو سبب عرجي وكسر رجلي وحلفت اني مابقيت اقاعده في مكان ولا اسكن في بلد هو ساكن
بها وقد سافرت من بغداد ورحلت منها وسكنت في هذه المدينة وانا الليلة لاابيت الا مسافرا
فقلنا له بالله عليك ان تحكي لنا حكايتك معه فاصفر لون المزين حين سألنا الشاب ثم قال الشاب
اعلموا ياجماعة الخير ان والدي من اكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله تعالى بولد غيري فلما كبرت وبلغت
مبلغ الرجال توفي والدي الى رحمة الله تعالى وخلف لي مالا وخدما وحشما فصرت البس احسن
الملابس وآكل احسن المآكل وكان الله سبحانه بغضني في النساء الى ان كنت ماشيا يوما من الايام في ازقة

بغداد واذا بجماعة تعرضوا لى فى الطريق فهربت ودخلت زقاقا لا ينفذ وارتكنت فى آخره على مصطبة
فلم اقعد غير ساعة واذا بطاقة قصاد المكان الذى انا فيه فتحت وطلت منها صبية كالبدر فى تمامه
لم ارى فى عمرى مثلها ولها زرع تسقيه وذلك الزرع تحت الطاقة فالتفتت يمينا وشمالا ثم قفلت الطاقة
وغابت عنى فانطلقت فى قلبى النار واشتغل خاطرى بها وانقلب بغضى للنساء محبة فلازلت جالسا
فى هذا المكان الى المغرب وانا غائب عن الدنيا من شدة الغرام واذا بقاضى المدينة راكب وقدامه
عبيد ووراءه خدام فنزل ودخل البيت الذى طلت منه تلك الصبية فعرفت انه ابوها ثم انى جئت منزلى
وانا مكروب ووقعت على الفراش مهموما فدخلت علىّ جوارى وقعدن حولى ولم يعرفن ما بى وانا لم ابد
لهن امرا ولم ارد لخطابهن جوابا وعظم مرضى فصارت الناس تعودنى فدخلت علىّ عجوز فلما رأتنى
لم يخف عليها حالى فقعدت عند رأسى ولاطفتنى وقالت يا ولدى قل لى خبرك فحكيت لها حكايتى فقالت
يا ولدى ان هذه بنت قاضى بغداد وعليها الحجر والموضع الذى رأيتها فيه هو طبقتها وابوها له قاعة كبيرة
اسفل وهى وحدها وانا كثيرا ما ادخل عندهم ولا تعرف وصالها الا منى فشد حيلك فتجلدت وقويت
نفسى حين سمعت حديثها وفرح اهلى فى ذلك اليوم واصبحت متماسك الاعضاء مترجيا تمام الصحة ثم
مضت العجوز ورجعت ووجهها متغير فقالت يا ولدى لا تسأل عن ما جرى منها لما قلت لها ذلك فانها
قالت لى ان لم تسكتى يا عجوز النحس عن هذا الكلام لافعلن بك ما تستحقينه ولا بد ان ارجع اليها ثانى مرة
فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضى فلما كان بعد ايام اتت العجوز وقالت يا ولدى اريد منك
البشارة فلما سمعت ذلك منها ردت روحى الى جسمى وقلت لها لك عندى كل خير فقالت انى ذهبت بالامس
الى تلك الصبية فلما نظرتنى وانا منكسرة الخاطر باكية العين قالت يا خالتى مالى اراك ضيقة الصدر فلما
قالت لى ذلك بكيت وقلت لها يا بنتى وسيدتى انى اتيتك بالامس من عند فتى يهواك وهو مشرف على
الموت من اجلك فقالت وقد رق قلبها ومن اين يكون هذا الفتى الذى تذكرينه قلت هو ولدى وثمرة فؤادى
ورآك فى الطاقة من ايام مضت وانت تسقين زرعك ورأى وجهك فهام بك عشقا وانا اول مرة اعلمته بما
جرى لى معك فزاد مرضه ولزم الوساد وما هو الا ميت ولا محالة فقالت وقد اصفر لونها هل هذا كله من
اجلى قلت اى والله فاذا تأمرين قالت امضى اليه واقريه منى السلام واخبريه ان عندى اضعاف ما عنده
فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجىء الى الدار وانا اقول افتحوا له الباب واطلعه عندى واجتمع واياه ساعة
ويرجع قبل مجىء ابى من الصلاة فلما سمعت كلام العجوز زال ما كنت اجده من الالم واستراح قلبى ودفعت
اليها ما كان علىّ من الثياب وانصرفت وقالت لى طيب قلبك فقلت لها لم يبق فىّ شىء من الالم وتباشر اهل
بيتى واصحابى بعافيتى ولم ازل كذلك الى يوم الجمعة واذا بالعجوز دخلت علىّ وسألتنى عن حالى فاخبرتها انى
بخير وعافية ثم لبست ثيابى وتعطرت ومكثت انتظر الناس يذهبون الى الصلاة حتى امضى اليها فقالت
العجوز ان معك فى الوقت اتساعا زائدا فلو مضيت الى الحمام وازلت شعرك لا سيما من اثر المرض لكان
فى ذلك صلاحك فقلت لها ان هذا هو الرأى الصواب لكن احلق رأسى اولا ثم ادخل الحمام فارسلت
خلف المزين ليحلق لى رأسى وقلت للغلام امض الى السوق وائتنى بمزين يكون عاقلا قليل الفضول
لا يصدع رأسى بكثرة كلامه فمضى الغلام واتى بهذا الشيخ فلما دخل سلم علىّ فرددت عليه السلام فقال
اذهب الله غمك وهمك والبؤس والاحزان فقلت تقبل الله منك فقال ابشر يا سيدى فقد جاءتك العافية
اتريد تقصير شعرك او اخراج دم فانه ورد عن ابن عباس انه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه

سبعين داء وروى عنه ايضا انه قال من احتجم يوم الجمعة لا يامن ذهاب البصر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الهذيان وقم في هذه الساعة احلق لي رأسي فاني رجل ضعيف فقام ومد يده واخرج منديلا وفتحه واذا فيه اصطرلاب وهو سبع صفائح فاخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر مليا وقال لي اعلم انه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة وهو عاشر صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وطالعه بمقتضى ما اوجبه علم الحساب المريخ سبع درج وستة دقائق واتفق انه قارنه عطارد وذلك يدل على ان حلق الشعر جيد جدا ودل عندي على انك تريد الاقبال على شخص وهو مسعود لكن بعده كلام يقع وشيء لا اذكره لك فقلت له والله لقد اضجرتني وازهقت روحي وفولت علي وانا ما طلبتك الا لتحلق رأسي فقم واحلق رأسي ولا تطل علي الكلام فقال والله لو علمت حقيقة الامر لطلبت مني زيادة البيان وانا اشور عليك انك تعمل اليوم بالذي آمرك به بمقتضى حساب الكواكب وكان سبيلك ان تحمد الله ولا تخالفني فاني ناصح لك وشفيق عليك واود اني اكون في خدمتك سنة كاملة وتقوم بحقي ولا اريد منك اجرة على ذلك فلما سمعت ذلك منه قلت له انك قاتلي في هذا اليوم ولا محالة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال له انك قاتلي في هذا اليوم فقال يا سيدي انا الذي تسميني الناس الصامت لقلة كلامي دون اخوتي لان اخي الكبير اسمه البقبوق والثاني الهدار والثالث بقبق والرابع اسمه الكوز الاصواني والخامس اسمه العشار والسادس اسمه شقالق والسابع اسمه الصامت وهو انا فلما زاد علي هذا المزين بالكلام رأيت ان مرارتي انفطرت وقلت للغلام اعطه ربع دينار وخله ينصرف عني لوجه الله فلا حاجة لي في حلاقة رأسي فقال هذا المزين حين سمع كلامي مع الغلام اي شيء هذا المقال يا مولاي والله لا آخذ منك اجرة حتى اخدمك ولا بد من خدمتك فانه واجب علي خدمتك وقضاء حاجتك ولا ابالي اذا لم آخذ منك دراهم فان كنت لا تعرف قدري فانا اعرف قدرك وكان والدك رحمه الله تعالى له علينا الاحسان لانه كان كريما والله لقد ارسل والدك خلفي يوما مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من اصحابه فقال لي اخرج لي دما فاخذت الاصطرلاب واخذت له الارتفاع فوجدت طالع الساعة نحسا واخراج الدم فيها صعبا فاعلمته بذلك فامتثل وصبر الى ان اتت الساعة الجيدة واخرجت له فيها الدم ولم يخالفني بل شكرني وكذلك شكرني الجماعة الحاضرون واعطاني والدك مائة دينار في نظير اخراج الدم فقلت له لا رحم الله ابي الذي عرف مثلك فضحك هذا المزين وقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان من يغير ولا يتغير ما كنت اظنك الا عاقلا لكنك خرفت من المرض وقال الله في كتابه العزيز والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وانت معذور على كل حال وما ادري سبب عجلتك وانت تعلم ان والدك ما كان يفعل شيأ الا بمشورتي وقد قيل ان المستشار مؤتمن وما تجد احدا اعرف مني بالامور فانا واقف على اقدامي اخدمك وما ضجرت منك فكيف ضجرت انت مني وانا اصبر عليك لاجل ما لابيك علي من الفضل فقلت له والله لقد اطلت علي الخطاب وزدت علي في المقال وانا قصدي ان تحلق رأسي وتنصرف عني واظهرت الغضب واردت ان اقوم وان كان قد بل رأسي فقال قد علمت انه قد غلب عليك الضجر مني لكن لا اؤاخذك لان عقلك ضعيف وانت صبي ومن زمن قريب كنت

احملك على كتفي وامضي بك الى المكتب فقلت له يا اخي بحق الله عليك انصرف عني حتى اقضي شغلي وقم الى حال سبيلك ثم مزقت اثوابي فلما رأني فعلت ذلك اخذ الموسى وسنه ولا زال يسنه حتى كادت روحي ان تفارق جسمي ثم تقدم الى رأسي وحلق منها بعضا ثم رفع يده وقال يا مولاي العجلة من الشيطان ثم انه انشد هذين البيتين

تان ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

ثم قال يا مولاي ما اظنك تعرف بمنزلتي فان يدي تقع على رأس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفي مثلي قال الشاعر

جميع الصنائع مثل العقود * وهذا المزين در السلوك
فيعلو على كل ذي حكمة * وتحت يديه رؤس الملوك

فقلت له دع ما لا يعنيك فقد ضيقت صدري واشغلت خاطري فقال اظنك مستعجلا فقلت له نعم نعم نعم فقال تمهل على نفسك فان العجلة من الشيطان وهي تورث الندامة والحرمان وقد قال عليه الصلاة والسلام خير الامور ما كان فيه تأن وانا والله رابني امرك فاشتهي ان تعرفني ما الذي انت مستعجل من اجله ولعله خير فاني اخشى ان يكون شيأ غير ذلك وقد بقي من الوقت ثلاث ساعات ثم غضب ورمى الموسى من يده واخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس ووقف حصة مديدة وعاد وقال قد بقي لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله عليك اسكت عني فقد فتت كبدي فاخذ الموسى وسنه كما فعل اولا وحلق بعض رأسي وقال انا مهموم من عجلتك فلو اطلعتني على سببها لكان خيرا لك لانك تعلم ان والدك ما كان يفعل شيأ الا بمشورتي فلما علمت ان ما لي منه خلاص قلت في نفسي قد جاء وقت الصلاة واريد ان امضي قبل ان تخرج الناس من الصلاة فان تأخرت ساعة لا ادري اين السبيل الى الدخول اليها فقلت اوجز ودع عنك هذا الكلام والفضول فاني اريد ان امضي الى دعوة عند اصحابي فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك علي لقد كنت البارحة حلفت على جماعة من اصدقائي ونسيت ان اجهز لهم شيأ يأكلونه وفي هذه الساعة تذكرت ذلك وافضيحتاه منهم فقلت له لا تهتم بهذا الامر بعد تعريفك انني اليوم في دعوة فكل ما في داري من طعام وشراب لك ان انجزت امري وعجلت حلاقة رأسي فقال جزاك الله خيرا صف لي ما عندك لاضيافي حتى اعرفه فقلت عندي خمسة اوان من الطعام وعشر دجاجات محمرات وخاروف مشوي فقال احضرها لي حتى انظرها فاحضرت اليه جميع ذلك فلما عاينه قال بقي الشراب فقلت له عندي قال احضره فاحضرته له قال لله درك ما اكرم نفسك لكن بقي البخور والطيب فاحضرت له درجا فيه ند وعود وعنبر ومسك يساوي خمسين دينارا وكان الوقت قد ضاق حتى صار مثل صدري فقلت له خذ هذا واحلق لي جميع رأسي بحياة محمد صلى الله عليه وسلم فقال المزين والله ما اخذه حتى ارى جميع ما فيه فامرت الغلام ففتح له الدرج فرمى المزين الاصطرلاب من يده وجلس على الارض يقلب الطيب والبخور والعود الذي في الدرج حتى كادت روحي ان تفارق جسمي ثم تقدم واخذ الموسى وحلق من رأسي شيأ يسيرا وقال والله يا ولدي ما ادري أأشكرك ام اشكر والدك لان دعوتي اليوم كلها من بعض فضلك واحسانك وليس عندي من يستحق ذلك وانما عندي زيتون الحمامي وصليع الفاقي وعوكل الفوال وعكرشة البقال وحميد الزبال وعكارش اللبان ولكل من

هؤلاء رقصة يرقصها وابيات ينشدها واحسن ما فيهم انهم مثل المملوك وعبدك انا الا اعرف كثرة كلام ولا فضول اما الحمامي فانه يقول ان لم اذهب اليها تجئني بيتي واما الزبال فانه ظريف خليع كثيرا ما يرقص ويقول الخبز عند زوجتي ما صار في صندوق وكل واحد من اصحابي له لطائف لا توجد في الاخر وليس الخبر كالعيان فان اخترت ان تحضر عندنا كان ذلك احب اليك والينا واترك رواحك الى اصدقائك الذين قلت لي انك تريد الذهاب اليهم فان عليك اثر المرض وربما تمضي الى اقوام كثيرين الكلام يتكلمون فيما لا يعنيهم وربما يكون فيهم واحد فضولي وانت قلقت روحك من المرض فقلت ان شاء الله يكون ذلك في غير هذا اليوم فقال لي الانسب ان تقدم حضورك عند اصحابي لتغتنم موانستهم وتفوز بعلمهم وتعمل بقول الشاعر

لا تؤخر لذة ان امكنت ❋ ان الزمان كثير العطب

فضحكت عن قلب مشحون بالغيظ وقلت له اقض شغلي واسير انا في امان الله تعالى وتمضي انت الى اصحابك فانهم منتظرون قدومك فقال ما طلبت الا ان اعاشرك بهؤلاء الاقوام فانهم من اولاد الناس الذين ما فيهم فضولي ولو رايتهم مرة واحدة لتركت جميع اصحابك فقلت له نعم الله سرورك بهم ولا بد ان احضرهم عندي يوما فقال اذا اردت ذلك وقدمت دعوت اصحابك في هذا اليوم فاصبر حتى امضي بهذا الاكرام الذي اكرمتني به وادعه عند اصحابي يأكلون ويشربون ولا ينتظرون ثم اعود اليك وامضي معك الى اصدقائك فليس بيني وبين اصدقائك حشمة تمنعني عن تركهم والعود اليك عاجلا وامضي معك اينما توجهت فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم امض انت الى اصدقائك وانشرح معهم ودعني امضي الى اصدقائي واكون معهم في هذا اليوم فانهم ينتظرون قدومي فقال المزين لا ادعك تمضي وحدك فقلت له ان الموضع الذي امضي اليه لا يقدر احد ان يدخل فيه غيري فقال اظنك اليوم في ميعاد واحدة والا كنت تاخذني معك وانا احق من جميع الناس واساعدك على ما تريد فاني اخاف ان تدخل على امرأة اجنبية فتروح روحك فان هذه مدينة بغداد لا يقدر احد ان يعمل فيها شيأ من هذه الاشياء لا سيما في مثل هذا اليوم وهذا والي بغداد صارم عظيم فقلت ويلك يا شيخ الشر اي شيء هذا الكلام الذي تقابلني به فسكت سكوتا طويلا وادركنا وقت الصلاة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ من حلق رأسي فقلت له امض الى اصحابك بهذا الطعام والشراب وانا انتظرك حتى تعود وتمضي معي ولم ازل اخادعه لعله يمضي فقال لي انك تخادعني وتمضي وحدك وترمي نفسك في مصيبة لا خلاص لك منها فالله الله لا تبرح حتى اعود اليك وامضي معك حتى اعلم ما يتم من امرك فقلت له نعم لا تبطئ علي فاخذ ما اعطيته من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندي فسلمه الى الحمال ليوصله الى منزله واخفى نفسه في بعض الازقة ثم قمت من ساعتي وقد اعلنوا على المنارات بسلام الجمعة فلبست ثيابي وخرجت وحدي واتيت الى الزقاق ووقفت على البيت الذي رأيت فيه تلك الصبية واذا بالمزين خلفي ولا اعلم به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت واذا بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلاة ودخل القاعة وغلق الباب فقلت من اين علم هذا الشيطان بي فاتفق في هذه الساعة لامر يريده الله من هتك ستري ان صاحب الدار اذنبت جارية عنده فضربها فصاحت فدخل عنده عبد ليخلصها فضربه فصاح الاخر فاعتقد المزين انه يضربني فصاح ومزق اثوابه وحثى التراب على رأسه وصار يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قتل سيدي في بيت القاضي ثم مضى الى داري وهو يصيح والناس خلفه واعلم اهل بيتي وغلماني فادربت

الاوهم قد اقبلوا يصيحون واسيداه كل هذا والمزين قدامهم وهو ممزق الثياب والناس معهم ولم يزالوا يصرخون وهو فى اوائلهم يصرخ وهم يقولون واقتيلاه وقد اقبلوا نحو الدار التى انا فيها فلما سمع القاضى ذلك عظم عليه الامر وقام وفتح الباب فرأى جمعا عظيما فبهت وقال يا قوم ما القصة فقال له الغلمان انك قتلت سيدنا فقال يا قوم وما الذى فعله سيدكم حتى اقتله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان القاضى قال للغلمان ما الذى فعله سيدكم حتى اقتله ومالى ارى هذا المزين بين ايديكم فقال له المزين انت ضربته فى هذه الساعة بالمقارع وانا اسمع صياحه فقال القاضى وما الذى فعله حتى اقتله ومن ادخله دارى ومن اين جاء والى اين يقصد فقال له المزين لا تكن شيخا نحسا فانا اعلم الحكاية وسبب دخوله دارك وحقيقة الامر كله فبنتك تعشقه وهو يعشقها فعلمت انه قد دخل دارك وامرت غلمانك فضربوه والله ما بيننا وبينك الا الخليفة او تخرج لنا سيدنا ليأخذه اهله ولا تحوجنى الى ان ادخل واخرجه من عندكم وعجل انت باخراجه فالتجم القاضى عن الكلام وصار فى غاية الخجل من الناس وقال للمزين ان كنت صادقا فادخل انت واخرجه فنهض المزين ودخل الدار فلما رأيت المزين دخل اردت ان اهرب فلم اجد لى مهربا غير انى رأيت فى الطبقة التى انا فيها صندوقا كبيرا فدخلت فيه ورددت الغطاء عليه وقطعت النفس فدخل القاعة بسرعة ولم يلتفت الى غير الجهة التى انا فيها بل قصد الموضع الذى انا فيه والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الا الصندوق الذى انا فيه فحمله على رأسه فلما فعل ذلك غاب رشدى ثم مر مسرعا فلما علمت انه ما يتركنى فتحت الصندوق وخرجت منه بسرعة ورميت نفسى على الارض فانكسرت رجلى فلما توجهت الى الباب وجدت خلقا كثيرا لم ار فى عمرى مثل هذا الازدحام الذى حصل فى ذلك اليوم فجعلت انثر الذهب على الناس ليشتغلوا به فاشتغل الناس به وصرت اجرى فى ازقة بغداد وهذا المزين خلفى واى مكان دخلت فيه يدخل خلفى وهو يقول ارادوا ان يفجعونى فى سيدى الحمد لله الذى نصرنى عليهم وخلص سيدى من ايديهم فما زلت يا سيدى مولعا بالعجلة لسوء تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الافعال فلولا من الله عليك بى ما كنت خلصت من هذه المصيبة التى وقعت فيها وربما كانوا يرمونك فى مصيبة لا تخلص منها ابدا فاطلب من الله ان اعيش لك حتى اخلصك والله لقد اهلكتنى بسوء تدبيرك وكنت تريد انك تروح وحدك ولكن ما نؤاخذك على جهلك لانك قليل العقل عجول فقلت له اما كفاك ما جرى منك حتى تجرى ورائى فى الاسواق وصرت اتمنى الموت لاجل خلاصى منه فلا اجد موتا ينقذنى منه فمن شدة الغيظ فررت منه ودخلت دكانا فى وسط السوق واستجرت بصاحبها فمنعه عنى وجلست فى مخزن وقلت فى نفسى ما بقيت اقدر ان افترق من هذا المزين بل يقيم عندى ليلا ونهارا ولم يبق فى قدرة على النظر الى وجهه فارسلت فى الوقت احضرت الشهود وكتبت وصية لاهلى وفرقت مالى وجعلت انسانا ناظرا عليهم وامرته ان يبيع الدار والعقارات واوصيته بالكبار والصغار وخرجت مسافرا من ذلك الوقت حتى اتخلص من هذا القواد ثم جئت الى بلادكم فسكنتها ولى فيها مدة فلما عزمتم على وجئت اليكم رأيت هذا القبيح القواد عندكم فى صدر المكان فكيف يستريح قلبى ويطيب مقامى عندكم مع هذا وقد فعل معى هذه الفعال وانكسرت رجلى

بسببه ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين احقا ما قاله هذا الشاب
عنك فقال والله انا فعلت معه ذلك بمعرفتي ولولا اني فعلت ذلك لهلك وما سبب نجاته الا انا ومن فضل
الله عليه بسببي انه اصيب برجله ولم يصب بروحه ولو كنت كثير الكلام ما فعلت معه ذلك الجميل وها انا
اقول لكم حديثا جرى لي حتى تصدقوا اني قليل الكلام وما عندي فضول من دون اخوتي وذلك اني كنت
ببغداد في ايام خلافة امير المؤمنين المنتصر بالله وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء والصالحين
فاتفق له يوما انه غضب على عشرة اشخاص فامر المتولي ببغداد ان يأتيه بهم في زورق فنظرتهم انا فقلت
ما اجتمع هؤلاء الا لعزومة واظنهم يقطعون يومهم في هذا الزورق في اكل وشرب وما يكون نديمهم
غيري فقمت ونزلت معهم واختلطت بهم فقعدوا في الجانب الآخر فجاءهم اعوان الوالي بالاغلال
ووضعوها في رقابهم ووضعوا في رقبتي غلا من جملتهم فهذا يا جماعة ما هو من مروءتي وقلة كلامي لاني
ما رضيت ان اتكلم فاخذونا جميعا في الاغلال وقدمونا بين يدي المنتصر بالله امير المؤمنين فامر بضرب
رقاب العشرة فضرب السياف رقاب العشرة وقد بقيت انا فالتفت الخليفة فرآني فقال للسياف ما بالك
لا تضرب رقاب جميع العشرة فقال ضربت رقاب العشرة كلهم فقال له الخليفة ما اظنك ضربت رقاب
غير تسعة وهذا الذي بين يدي هو العاشر فقال السياف وحق نعمتك انهم عشرة قال عدوهم فعدوهم
فاذا هم عشرة فنظر الي الخليفة وقال ما حملك على سكوتك في هذا الوقت وكيف صرت مع اصحاب الدم
فلما سمعت خطاب امير المؤمنين قلت له اعلم يا امير المؤمنين اني انا الشيخ الصامت وعندي من الحكمة شيء
كثير واما رزانة عقلي وجودة فهمي وقلة كلامي فانها لا نهاية لها وصنعتي الزيانة فلما كان امس بكرة
النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فاختلطت بهم ونزلت معهم وظننت انهم في عزومة فما كان
غير ساعة واذا هم اصحاب جرائم فحضرت اليهم الاعوان ووضعوا في رقابهم الاغلال ووضعوا في رقبتي
غلا من جملتهم فمن فرط مروءتي سكت ولم اتكلم فعدم كلامي في ذلك الوقت من فرط مروءتي فساروا بنا
حتى اوقفونا بين يديك فامرت بضرب رقاب العشرة وبقيت انا بين يدي السياف ولم اعرفكم بنفسي
اما هذه مروءة عظيمة التي احوجتني الى ان اشارككم في القتل ولكن طول دهري هكذا افعل الجميل
فلما سمع الخليفة كلامي وعلم اني كثير المروءة قليل الكلام ما عندي فضول كما يزعم هذا الشاب الذي
خلصته من الاهوال قال الخليفة واخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة والعلم وقلة الكلام قلت لا عاشوا
ولا بقيوا ان كانوا مثلي ولكن ذممتني يا امير المؤمنين ولا ينبغي لك ان تقرن اخوتي بي لانهم من كثرة كلامهم
وقلة مروءتهم صار كل واحد منهم بعاهة فمنهم واحد اعرج وواحد اعور وواحد افلح وواحد اعمى وواحد
مقطوع الاذنين والانف وواحد مقطوع الشفتين وواحد احول العينين ولا تحسب يا امير المؤمنين
اني كثير الكلام ولا بد ان ابين لك اني اعظم مروءة منهم ولكل واحد حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة
وان شئت ان احكي لك فاعلم يا امير المؤمنين ان الاول وهو الاعرج كان صنعته الخياطة ببغداد
فكان يخيط في دكان استأجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكنا على الدكان وكان
في اسفل دار الرجل طاحون فبينما اخي الاعور جالس في الدكان في بعض الايام يخيط اذ رفع رأسه
فرأى امرأة كالبدر الطالع في روشن الدار وهي تنظر الى الناس فلما رآها اخي تعلق قلبه بحبها وصار
يومه ذلك ينظر اليها وترك اشتغاله بالخياطة الى وقت المساء فلما كان وقت الصباح فتح دكانه وقعد
يخيط وهو كلما غرز غرزة ينظر الى الروشن فمكث على ذلك مدة لم يخيط شيئا يساوي درهما فاتفق

ان

ان صاحب الدار جاء الى اخى يوما من الايام ومعه قماش وقال له فصل لى هذا وخيطه اقمصة فقال
اخى سمعا وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصا الى وقت العشاء وهو لم يذق طعاما ثم قال له
كم اجرة ذلك فلم يتكلم اخى فاشارت اليه الصبية بعينها الا تأخذ منه شيأ وكان محتاجا الى فلس واستمر
ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب الا القليل بسبب اجتهاده فى تلك الخياطة فلما فرغ من الخياطة التى اهم
اتى اليهم بالاقمصة وكانت الصبية قد عرفت زوجها بحال اخى واخى لا يعلم ذلك واتفقت هى وزوجها
على استعمال اخى فى الخياطة بلا اجرة بل يضحكون عليه فلما فرغ اخى من جميع اشغالهما عملا عليه
حيلة وزوجاه بجاريتهما وليلة اراد ان يدخل عليها قالا له بت الليلة فى الطاحون الى غد يكون خيرا
فاعتقد اخى ان لهما قصدا صحيحا فبات فى الطاحون وحده وراح زوج الصبية غمز الطحان عليه حتى
انه يدوره فى الطاحون فدخل عليه الطحان فى نصف الليل وجعل يقول ان هذا الثور بطال مع ان القمح
كثير واصحاب الطحين يطلبونه فانا اعلقه فى الطاحون حتى يخلص طحين القمح فعلقه فى الطاحون
الى قريب الصبح فجاء صاحب الدار فرأى اخى معلقا فى الطاحون والطحان يضربه بالسوط فتركه
ومضى وبعد ذلك جاءته الجارية التى عقد عليها وكان مجيئها فى بكرة النهار فخلته من الطاحون
وقالت قد شق على وعلى سيدتى ما جرى لك وقد حملنا همك فلم يكن له لسان يرد جوابا من شدة الضرب
ثم ان اخى رجع الى منزله واذا بالشيخ الذى كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه وقال له حياك الله زواجك مبارك
انك بت الليلة فى النعيم والدلال والعناق من العشاء الى الصباح فقال له اخى لا سلم الله الكاذب يا الف
قواد والله ما جئت الا لاطحن فى موضع الثور الى الصباح فقال له حدثنى بحديثك فحدثه اخى بما وقع له
فقال له ما وافق نجمك نجمها ولكن اذا شئت ان اغير لك عقد العقد اغيره لك باحسن منه لاجل
ان يوافق نجمك نجمها فقال له انظر ان بقى لك حيلة اخرى ثم ان اخى تركه واتى الى دكانه ينتظر احدا يأتى
اليه بشغل يتقوت من اجرته واذا هو بالجارية قد اتت اليه وكانت اتفقت مع سيدتها على تلك الحيلة
فقالت له ان سيدتى مشتاقة اليك وقد طلعت السطح لترى وجهك من الروشن فلم يشعر اخى الا وهى قد
طلعت له من الروشن وصارت تبكى وتقول لاى شئ قطعت المعاملة بيننا وبينك فلم يرد عليها جوابا
فحلفت له ان جميع ما وقع له فى الطاحون لم يكن باختيارها فلما نظر اخى الى حسنها وجمالها ذهب
عنه ما حصل له وقبل عذرها وفرح برؤيتها ثم سلم عليها وتحدث معها وجلس فى خياطته مدة وبعد
ذلك ذهبت اليه الجارية وقالت له تسلم عليك سيدتى وتقول لك ان زوجها قد عزم على انه يبيت عند
بعض اصدقائه فى هذه الليلة فاذا مضى عندهم تكون انت عندنا وتبيت مع سيدتى فى اطيب عيش الى
الصباح وكان زوجها قد قال لها ما يكون العمل فى مجيئه عندك حتى آخذه واجره الى الوالى فقالت
دعنى احتال عليه بحيلة وافضحه فضيحة يشتهر بها فى هذه المدينة واخى لا يعلم شيأ من كيد النساء
فلما اقبل المساء جاءت الجارية الى اخى واخذته ورجعت به الى سيدتها فقالت له والله يا سيدى
انى مشتاقة اليك كثيرا فقال بالله عجلى بقبلة قبل كل شئ فلم يتم كلامه الا وقد حضر زوج الصبية من
بيت جاره فقبض على اخى وقال له والله لا افارقك الا عند صاحب الشرطة فتضرع اليه اخى فلم يسمعه
بل حمله الى دار الوالى فضربه بالسياط واركبه جملا ودوره فى شوارع المدينة والناس ينادون عليه هذا جزاء
من يهجم على حريم الناس ووقع من فوق الجمل فانكسرت رجله فصار اعرج ثم نفاه الوالى من المدينة فخرج
لا يدرى اين يقصد فاغتظت انا فلحقته واتيت به والتزمت باكله وشربه الى الآن فضحك الخليفة من كلامى

وقال احسنت فقلت لا اقبل هذا التعظيم منك دون ان تصغى الى حتى احكى لك ما وقع لبقية اخوتى ولا تحسب انى كثير الكلام فقال الخليفة حدثنى بما وقع لجميع اخوتك وشنف مسامعى بهذه الرقائق واسلك سبيل الاطناب فى ذكر هذه اللطائف فقلت اعلم يا امير المؤمنين ان اخى الثانى كان اسمه بقبق وقد وقع له انه كان ماشيا يوما من الايام ومتوجها الى حاجة له واذا هو بعجوز قد استقبلته وقالت له ايها الرجل قف قليلا حتى اعرض عليك امرا فان اعجبك فاقضه لى فوقف اخى فقالت له ادلك على شئ وارشدك اليه بشرط ان لا يكون كلامك كثيرا فقال لها اخى هاتى كلامك قالت له ما قولك فى دار حسنة وماؤها يجرى وفاكهة ومدام ووجه مليح تشاهده وخد اسيل تقبله وقد رشيق تعانقه ولم تزل كذلك من العشاء الى الصباح فان فعلت ما اشترط عليك رأيت الخير فلما سمع اخى كلامها قال لها يا سيدتى وكيف قصدتينى بهذا الامر من دون الخلق اجمعين فاى شئ اعجبك منى فقالت لاخى ما قلت لك لا تكن كثير الكلام واسكت وامض معى ثم ولت العجوز وسار اخى تابعا لها طمعا فيما وصفته له حتى دخلا دارا فسيحة وصعدت به من ادنى الى اعلى فرأى قصرا ظريفا فنظر اخى فرأى فيه اربع بنات ما رأى الراؤن احسن منهن وهن يغنين باصوات تطرب الحجر الاصم ثم ان بنتا منهن شربت قدحا فقال لها اخى بالصحة والعافية وقام ليخدمها فمنعته من الخدمة ثم سقته قدحا فشرب وصفعته على رقبته فلما رأى اخى ذلك منها خرج مغضبا ومكثرا الكلام فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها يعنى ارجع فرجع وجلس ولم ينطق فاعادت الصفع على قفاه الى ان اغمى عليه ثم قام اخى لقضاء حاجته فلحقته العجوز وقالت له اصبر قليلا حتى تبلغ ما تريد فقال لها اخى الى كم اصبر قليلا ولا ابلغ ما اريد فقالت له العجوز اذا سكرت بلغت مرادك فرجع اخى الى مكانه وجلس فقامت البنات كلهن وامرتهن العجوز ان يجردنه من ثيابه وان يرششن على وجهه ماء ورد ففعلن ذلك وقالت الصبية البارعة الجمال منهن اعزك الله قد دخلت منزلى فان صبرت على شرطى بلغت مرادك فقال لها اخى يا سيدتى انا عبدك وفى طبقة يدك فقالت له اعلم ان الله اشغفنى بحب الطرب فمن اطاعنى نال ما يريد ثم امرت الجوارى ان يغنين فغنين حتى طرب المجلس ثم قالت الجارية خذى سيدك واقضى حاجته وائتينى به فى الحال فاخذت الجارية اخى وهو لا يدرى ما تصنع به فلحقته العجوز وقالت له اصبر ما بقى الا القليل فاقبل اخى على الصبية والعجوز تقول اصبر فقد بلغت ما تريد وانما بقى شئ واحد وهو ان تحلق ذقنك فقال لها اخى وكيف اعمل فى فضيحتى بين الناس فقالت له العجوز انها ما ارادت ان تفعل بك ذلك الا لاجل ان تصير امرد بلا ذقن ولا يبقى فى وجهك شئ يشكها فانها صار فى قلبها لك محبة عظيمة فاصبر فقد بلغت المنى فصبر اخى وطاوع الجارية وحلق ذقنه وجاءت به الى الصبية واذا هو محلوق الحاجبين والشاربين والذقن محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتى استلقت على قفاها وقالت يا سيدى لقد ملكتنى بهذه الاخلاق الحسنة ثم حلفته بحياتها ان يقوم ويرقص فقام ورقص فلم تدع فى البيت مخدة حتى ضربته بها وكذلك جميع الجوارى صرن يضربنه بمثل نارنجة وليمونة واترجة الى ان سقط مغشيا عليه من الضرب ولم يزل الصفع على قفاه والرجم فى وجهه الى ان قالت له العجوز الان بلغت مرادك واعلم انه ما بقى عليك من الضرب شئ وما بقى الا شئ واحد وذلك ان من عادتها انها اذا سكرت لا تمكن احدا من نفسها حتى تقلع ثيابها وسراويلها وتبقى عريانة من جميع ثيابها وانت الاخر تقلع ثيابك وتجرى وراءها وهى تجرى قدامك كانها هاربة منك ولم تزل تابعها من مكان الى مكان حتى يقوم ايرك فتمكنك من نفسها ثم قالت له قم اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه

جميعا وبقي عريان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اخي المزين لما قالت له العجوز قم اخلع ثيابك قام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه وصار عريانا فقالت الجارية لاخي قم الان واجر ورائي واجري انا قدامك واذا اردت شيأ فاتبعني فجرت قدامه وتبعها ثم جعلت تدخل من محل الى محل وتخرج من محل الى محل آخر واخي وراءها وقد غلب عليه الشبق وايره قائم كانه مجنون ولم تزل تجري قدامه وهو يجري وراءها حتى سمع منها صوتا رقيقا وهي تجري قدامه وهو يجري وراءها فبينما هو كذلك اذ رأى نفسه في وسط الزقاق وذلك الزقاق في سوق الجلادين وهم ينادون على الجلود فرآه الناس على تلك الحالة وهو عريان قائم الاير محلوق الذقن والحواجب والشوارب محمر الوجه فصاحوا عليه وصاروا يضحكون ويقهقهون وصار بعضهم يصفعه بالجلود وهو عريان حتى غشي عليه وحملوه على حمار حتى وصلوه الى الوالي فقال ما هذا قالوا هذا وقع لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فضربه الوالي مائة سوط وخرجت انا خلفه وجئت به وادخلته المدينة سرا ثم رتبت له ما يقتات به فلولا مروءتي ما كنت احتمل مثله واما اخي الثالث فاسمه قفة ساقه القضاء والقدر الى دار كبيرة فدق الباب طمعا ان يكلمه صاحبها فيسأله شيأ فقال صاحب الدار من بالباب فلم يكلمه احد فسمعه اخي يقول بصوت عال من هذا فلم يكلمه اخي وسمع مشيه حتى وصل الى الباب وفتحه فقال له ما تريد قال له اخي شيأ لله تعالى فقال له هل انت ضرير قال له اخي نعم فقال له ناولني يدك فناوله يده فادخله الدار ولم يزل يصعد به من سلم الى سلم حتى وصل الى اعلا السطوح واخي يظن انه يطعمه شيأ او يعطيه شيأ فلما انتهى الى اعلا مكان قال لاخي ما تريد يا ضرير قال اريد شيأ لله تعالى فقال له يفتح الله عليك فقال له اخي يا هذا اما كنت تقول لي ذلك وانا في الاسفل فقال له يا اسفل السفلة لم تسألني شيأ لله حين سمعت كلامي اول مرة وانت تدق الباب فقال اخي وفي هذه الساعة ما تريد ان تصنع بي فقال له ما عندي شيء حتى اعطيك اياه قال له انزل بي الى السلالم فقال له الطريق بين يديك فقام اخي واستقبل السلالم وما زال نازلا حتى بقي بينه وبين الباب عشرون درجة فزلقت رجله فوقع ولم يزل واقعا منحدرا في السلالم حتى انشجت رأسه فخرج وهو لا يدري اين يذهب فلحقه بعض رفقائه العميان فقالوا له اي شيء حصل لك في هذا اليوم فحدثهم بما وقع له ثم قال لهم يا اخواني اريد ان آخذ شيأ من الدراهم التي بقيت معنا وانفق منه على نفسي وكان صاحب الدار مشى خلفه ليعرف حاله فسمع كلامه واخي لا يدري بان الرجل يسعى خلفه الى ان دخل اخي مكانه ودخل الرجل خلفه وهو لا يشعر به وقعد اخي ينتظر رفقائه فلما دخلوا عليه قال لهم اغلقوا الباب وفتشوا البيت كي لا يكون احد غريب تبعنا فلما سمع الرجل كلام اخي قام وتعلق بحبل كان في السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا احدا ثم رجعوا وجلسوا الى جانب اخي واخرجوا الدراهم التي معهم وعدوها فاذا هي عشرة الاف درهم فتركوها في زاوية البيت واخذ كل واحد مما زاد عنها ما يحتاج اليه ودفنوا العشرة الاف درهم في التراب ثم قدموا بين ايديهم شيأ من الاكل وقعدوا يأكلون فاحس اخي بصوت غريب في جهته فقال لاصحابه هل معنا غريب ثم مد يده فتعلقت بيد الرجل صاحب الدار فصاح على رفقائه وقال هذا غريب فوقعوا فيه ضربا فلما طال عليهم ذلك صاحوا يا مسلمون دخل علينا لص يريد ان يأخذ مالنا فاجتمع عليهم خلق كثير فتعامى الرجل الغريب صاحب

الدار الذى ادعوا عليه انه لص وانحمض عينه واظهر انه اعمى مثلهم بحيث لايشك فيه احد وصاح
يامسلمون انا بالله والسلطان انا بالله والوالى انا بالله والامير فان عندى نصيحة للامير فلم يشعروا الاوقد
احتاط بهم جماعة الوالى فاخذوهم واخى معهم واحضروهم بين يديه فقال الوالى ماخبركم فقال
ذلك الرجل اسمع كلامى ايها الوالى لا يظهر لك حقيقة حالنا الا بالعقوبة وان شئت فابدأ بعقوبتى قبل
رفقائى فقال الوالى اطرحوا هذا الرجل واضربوه بالسياط فطرحوه وضربوه فلما اوجعه الضرب
فتح احدى عينيه فلما ازاد عليه الضرب فتح عينه الاخرى فقال له الوالى ما هذه الفعال يا فاجر فقال
اعطنى الامان وانا اخبرك فاعطاه الامان فقال نحن اربعة نعمل اروحنا عميانا ونمر على الناس
وندخل البيوت وننظر النساء ونحتال فى فسادهن واكتساب الاموال من طرفهن وقد حصلنا
من ذلك مكسبا عظيما وهو عشرة الاف درهم فقلت لرفقائى اعطونى حقى الفين وخمسمائة فقاموا
وضربونى واخذوا مالى وانا مستجير بالله وبك وانت احق بحصتى من رفقائى وان شئت ان تعرف
صدق قولى فاضرب كل واحد اكثر مما ضربتنى فانه يفتح عينيه فعند ذلك امر الوالى بعقوبتهم
واول ما بدأ باخى ولازالوا يضربونه حتى كاد ان يموت ثم قال لهم الوالى يا فسقة اتجحدون نعمة الله
وتدعون انكم عميان فقال اخى الله الله الله ما فينا بصير فطرحوه الى الضرب ثانيا ولم يزالوا يضربونه
حتى غشى عليه فقال الوالى دعوه حتى يفيق واعيدوا عليه الضرب ثالث مرة ثم امر بضرب اصحابه
كل واحد اكثر من ثلاثمائة عصى والبصير يقول لهم افتحوا عيونكم والاجددوا عليكم الضرب ثم قال
للوالى ابعث معى من يأتيك بالمال فان هؤلاء ما يفتحون اعينهم ويخافون من فضيحتهم بين الناس فبعث
الوالى معه من اتاه بالمال فاخذه واعطى الرجل منه الفين وخمسمائة درهم على قدر حصته رغما
عنهم ونفى اخى وباقى الثلاثة خارج المدينة فخرجت انا يا امير المؤمنين ولحقت اخى وسألته عن حاله
فاخبرنى بما ذكرته لك فادخلته المدينة سرا ورتبت له ما يأكل وما يشرب طول عمره فضحك الخليفة
من حكايتى وقال صلوه بجائزة ودعوه ينصرف فقلت له والله ما آخذ شيأ حتى ابين لامير المؤمنين ما جرى
لبقية اخوتى واوضح له انى قليل الكلام فقال الخليفة اصدع اذاننا بخرافة خبرك وزدنا من عجرك وبجرك
فقلت واما اخى الرابع يا امير المؤمنين وهو الاعور فانه كان جزارا ببغداد يبيع اللحم ويربى الخرفان
وكانت الكبار واصحاب الاموال يقصدونه ويشترون منه اللحم فاكتسب من ذلك مالا عظيما واقتنى
الدواب والدور ثم اقام على ذلك زمنا طويلا فبينما هو فى دكانه يوما من الايام اذ وقف عليه شيخ كبير
اللحية فدفع له دراهم وقال اعطنى بها لحما فاخذ منه الدراهم واعطاه اللحم وانصرف فتأمل اخى فى فضة
الشيخ فرأى دراهمه بيضا بياضها ساطع فعزلها وحدها فى ناحية واقام الشيخ يتردد عليه
خمسة اشهر واخى يطرح دراهمه فى صندوق وحدها ثم اراد ان يخرجها ويشترى غنما فلما فتح الصندوق
رأى جميع ما فيه ورقا ابيض مقصوصا فلطم وجهه وصاح فاجتمع الناس عليه فحدثهم بحديثه
فتعجبوا منه ثم رجع اخى الى الدكان على عادته فذبح كبشا وعلقه داخل الدكان وقطع لحما وعلقه
خارج الدكان وصار يقول فى نفسه لعل ذلك الشيخ يجىء فاقبض عليه فما كان الا ساعة وقد اقبل الشيخ
ومعه الفضة فقام اخى وتعلق به وصار يصيح يا مسلمون الحقونى واسمعوا قصتى مع هذا الفاجر فلما سمع
الشيخ كلامه قال له اى شىء احب اليك ان تعرض عن فضيحتى او افضحك بين الناس فقال له اخى باى شىء
تفضحنى قال بانك تبيع لحم الناس فى صورة لحم الغنم فقال له اخى كذبت يا ملعون فقال الشيخ ما ملعون

الاالذى

الا الذى عنده رجل معلق فى الدكان فقال له اخى ان كان الامر كما ذكرت فمالى ودمى حلال لك فقال
الشيخ يا معاشر الناس ان هذا الجزار يذبح الادميين ويبيع لحمهم فى صورة لحم الغنم وان اردتم ان تعلموا
صدق قولى فادخلوا دكانه فهجم الناس على دكان اخى فرأوا ذلك الكبش صار انسانا معلقا فلما رأوا
ذلك تعلقوا باخى وصاحوا عليه يا كافر يا فاجر وصار اعز الناس عليه يضربه ولطمه الشيخ على عينه
فقلعها وحمل الناس ذلك المذبوح الى صاحب الشرطة فقال له الشيخ ايها الامير ان هذا الرجل يذبح
الناس ويبيع لحمهم على انه لحم غنم وقد اتيناك به فقم واقض حق الله عز وجل فدافع اخى عن نفسه
فلم يسمع منه صاحب الشرطة بل امر بضربه خمسمائة عصى واخذوا جميع ماله ولولا كثرة ماله لقتلوه
ثم نفوا اخى من المدينة فخرج هائما لا يدرى اين يتوجه حتى دخل مدينة كبيرة واستحسن ان يعمل اسكافيا
ففتح دكانا وقعد يعمل شيأ يتقوت منه فخرج ذات يوم فى حاجة فسمع صهيل خيل فبحث عن سبب ذلك
فقيل له ان الملك خارج الى الصيد والقنص فخرج اخى ليتفرج على الموكب وهو يتعجب من حسن
رأيه حيث انتقل من صنعة الخياطة الى صنعة الاساكفة فالتفت الملك فوقعت عينه على عين اخى فاطرق
الملك رأسه وقال اعوذ بالله من شر هذا اليوم وثنى عنان فرسه وانصرف راجعا فرجع جميع العسكر وامر
الملك غلمانه ان يلحقوا اخى ويضربوه فلحقوه وضربوه ضربا وجيعا حتى كاد ان يموت ولم يدر اخى ما السبب
فرجع الى موضعه وهو فى حالة العدم ثم مضى الى انسان من حاشية الملك وقص عليه ما وقع له فضحك
حتى استلقى على قفاه وقال له يا اخى اعلم ان الملك لا يطيق ان ينظر الى اعور لا سيما ان كان العور شمالا
فانه لا يرجع عن قتله فلما سمع اخى ذلك الكلام عزم على الهروب من تلك المدينة ثم ارتحل منها وتحول
الى مدينة اخرى لم يكن فيها ملك واقام بها زمنا طويلا ثم بعد ذلك تفكر فى امره وخرج يوما ليتفرج فسمع
صهيل خيل خلفه فقال جاء امر الله وفر يطلب موضعا يستتر فيه فلم يجد ثم نظر فرأى بابا منصوبا فدفع
ذلك الباب فوقع فدخل فرأى دهليزا طويلا فاستمر داخلا فيه فلم يشعر الا ورجلان قد تعلقا به وقالا له
الحمد لله الذى امكننا منك يا عدو الله هذه ثلاث ليال ما ارحتنا ولا تركتنا ننام ولا يستقر لنا
مضجع بل اذقتنا طعم الموت فقال اخى يا قوم ما امركم فقالوا انت تراقبنا وتريد ان تفضحنا وتفضح
صاحب البيت اما يكفيك انك افقرته وافقرت اصحابك ولكن اخرج لنا السكين التى تهددنا بها كل ليلة
وفتشوه فوجدوا فى وسطه السكين التى يقطع بها النعال فقال يا قوم اتقوا الله فى امرى واعلموا ان حديثى
عجيب فقالوا وما حديثك فحدثهم بحديثه طمعا ان يطلقوه فلم يسمعوا منه ما قاله ولم يلتفتوا اليه بل
ضربوه ومزقوا اثوابه فلما تمزقت اثوابه وانكشف بدنه وجدوا اثر الضرب بالمقارع على جنبيه
فقالوا له يا ملعون هذا اثر الضرب يشهد على جرمك ثم احضروا اخى بين يدى الوالى فقال فى نفسه قد وقعت
بذنوبى وما يخلصنى الا الله تعالى فلما احضر بين يدى الوالى قال له يا فاجر ما حملك على ان ضربت بالمقارع
الا جرم عظيم ثم ضرب اخى مائة سوط ثم حملوه على جمل ونادوا عليه هذا جزاء من يهجم على بيوت الناس
فلما سمعت به انا خرجت اليه ولا زلت دائرا معه وهم ينادون عليه حتى تركوه فاتيت اليه واخذته وادخلته
المدينة سرا ورتبت له ما يأكل وما يشرب واما اخى الخامس فانه كان مقطوع الاذنين يا امير المؤمنين وكان
رجلا فقيرا يسأل الناس ليلا وينفق ما يحصله بالسؤال نهارا وكان والدنا شيخا كبيرا طاعنا فى السن فخلف
لنا سبعمائة درهم فاخذ كل واحد منا مائة درهم واما اخى الخامس هذا فانه لما اخذ حصته تحير ولم يدر
ما يصنع بها فبينما هو كذلك اذ وقع فى خاطره انه يأخذ بها زجاجا من كل نوع ليتجر فيه ويربح فاشترى

بالمائة درهم زجاجا وجعله فى طبق كبير وقعد فى موضع ليبيع ذلك الزجاج وبجانبه حائط فاسند ظهره اليها وقعد متفكرا فى نفسه وقال ان رأس مالى فى هذا الزجاج مائة درهم وانا ابيعه بمائتى درهم ثم اشترى بالمائتى درهم زجاجا وابيعه باربعمائة درهم ولا ازال ابيع واشترى الى ان يبقى معى مال كثير فاشترى به من جميع المتاجر والعطريات حتى يربح ربحا عظيما وبعد ذلك اشترى دارا حسنة واشترى المماليك والخيل والسروج المذهبة وآكل واشرب ولا اخلى مغنية فى المدينة حتى اجئ بها فى بيتى واسمع مغانيها هذا كله وهو يحسب فى نفسه والقفص الزجاج قدامه ثم قال وابعث جميع الخاطبات فى خطبة بنات الملوك والوزراء واخطب بنت الوزير فقد بلغنى انها كاملة الحسن بديعة الجمال وامهرها بالف دينار فان رضى ابوها حصل المراد وان لم يرض اخذتها قهرا على رغم انفه فان حصلت فى دارى اشترى عشرة خدام صغار ثم اشترى لى كسوة الملوك والسلاطين واصوغ لى سرجا من الذهب مرصعا بالجواهر ثم اركب ومعى المماليك يمشون حولى وقدامى وخلفى حتى اذا رآنى الوزير قام اجلالا لى واقعد فى مكانه ويقعد هو دونى لانه صهرى ويكون معى خادمين بكيسين فى كل كيس الف دينار فاعطيه الف دينار مهر بنته واهدى اليه الالف الثانى انعاما حتى اظهر له مروتى وكرمى وصغر الدنيا فى عينى ثم انصرف الى دارى فاذا جاء احد من جهة امرأتى وهبت له دراهم وخلعت عليه خلعة وان ارسل الى الوزير هدية رددتها عليه ولو كانت نفيسة ولم اقبلها منه حتى يعلموا انى عزيز النفس ولا اخلى نفسى الا فى اعلا مكانة ثم اقدم اليهم فى اصلاح شأنى وتعظيمى فاذا فعلوا ذلك امرتهم بزفافها ثم اصلح دارى اصلاحا بينا فاذا جاء وقت الجلاء لبست افخر ثيابى وقعدت على مرتبة من الديباج لا التفت يمينا ولا شمالا لكبر عقلى ورزانة فهمى وتجئ امرأتى وهى كالبدر فى حليها وحللها وانا انظر اليها عجبا وتيها حتى يقول جميع من حضر يا سيدى امرأتك وجاريتك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر فقد اضربها القيام ثم يقبلون الارض قدامى مرارا فعند ذلك ارفع رأسى وانظر اليها نظرة واحدة ثم اطرق برأسى الى الارض فيمضون بها واقوم انا واغير ثيابى والبس احسن مما كان على فاذا جاؤا بالعروسة المرة الثانية لا انظر اليها حتى يسألونى مرارا فانظر اليها ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اخا المزين الخامس قال ثم اطرق الى الارض ولم ازل كذلك حتى يتم جلاؤها ثم انى آمر بعض الخدام ان يرمى كيسا فيه خمسمائة دينار للمواشط فاذا اخذته المواشط امرهن ان يدخلننى عليها فاذا ادخلننى عليها لا انظر اليها ولا اكلمها احتقارا لها لاجل ان يقال انى عزيز النفس حتى تجئ امها تقبل رأسى ويدى وتقول لى يا سيدى انظر جاريتك فانها تشتهى قربك فاجبر خاطرها بكلمة فلا ارد عليها جوابا ولم تزل كذلك تستعطفنى حتى تقوم وتقبل يدى ورجلى مرارا ثم تقول يا سيدى ان بنتى صبية مليحة ما رأت رجلا فاذا رأت منك هذا الانقباض انكسر خاطرها فمل اليها وكلمها ثم انها تقوم وتحضر لى قدحا فيه شراب ثم ان بنتها تأخذ القدح لتعطينى فاذا جاءتنى تركتها قائمة بين يدى وانا متكئ على مخدة مزركشة بالذهب لا انظر اليها من كبر نفسى وجلالة قدرى حتى تظن فى نفسها انى سلطان عظيم الشان فتقول يا سيدى بحق الله عليك لا ترد القدح من يد

جاريتك

جارمتك فانى جاريتك فلا اكلمها فتلج على وتقول لابد من شربه وتقدمه الى فمى فانفض يدى فى وجهها
وارفصها واعمل هكذا ثم رفص اخى برجله فجاءت فى قفص الزجاج وكان فى مكان مرتفع فنزل على الارض
فتكسر كل ما فيه ثم قال اخى الخياط هذا كله من كبر نفسى ولو كان امره الى يا امير المؤمنين لضربته الف
سوط واشهرته فى البلد ثم بعد ذلك صار اخى يلطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يبكى ويلطم
والناس ينظرون اليه وهم رايحون الى صلاة الجمعة فمنهم من يرمقه ومنهم من لم يفكر فيه وهو على تلك
الحالة وراح منه رأس المال والربح ولم يزل جالسا يبكى واذا بامرأة مقبلة الى صلاة الجمعة وهى بديعة الجمال
تفوح منها رايحة المسك وتحتها بغلة بردعتها من الديباج مزركشة بالذهب ومعها عدد من الخدم
فلما نظرت الى الزجاج وحال اخى وبكائه اخذتها الشفقة عليه ورق قلبها له وسألت عن حاله فقيل لها انه
كان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فاصابه ما تنظرينه فنادت بعض الخدام وقالت
له ادفع الذى معك الى هذا المسكين فدفع له صرة فاخذها فلما فتحها وجد فيها خمسمائة دينار فكاد
ان يموت من شدة الفرح واقبل اخى بالدعاء لها ثم عاد الى منزله غنيا وقعد متفكرا واذا بدق يدق الباب
فقام وفتح واذا بعجوز لا يعرفها فقالت له يا ولدى اعلم ان الصلاة قد قرب زوال وقتها وانا بغير وضوء
واطلب منك ان تدخلنى منزلك حتى اتوضأ فقال لها سمعا وطاعة ثم دخل اخى واذن لها بالدخول
وهو طاير من الفرح بالدنانير فلما فرغت اقبلت الى الموضع الذى هو جالس فيه وصلت هناك ركعتين
ثم دعت لاخى دعاء حسنا فشكرها على ذلك واعطاها دينارين فلما رأت ذلك قالت سبحان الله انى
لاعجب ممن احبك وانت بسمة الصعاليك فخذ مالك عنى وان كنت غير محتاج اليه فارده الى التى اعطتك
اياه لما انكسر الزجاج منك فقال لها اخى يا امى كيف الحيلة فى الوصول اليها قالت يا ولدى انها تميل
اليك لكنها زوجة رجل موسر فخذ جميع مالك معك فاذا اجتمعت بها فلا تترك شيأ من الملاطفة والكلام
الحسن الا وتفعله معها فانك تنال من جمالها ومن مالها جميع ما تريده فاخذ اخى جميع الذهب وقام
ومشى مع العجوز وهو لا يصدق بذلك فلم تزل تمشى واخى يمشى وراءها حتى وصلا الى باب كبير فدقته
فخرجت جارية رومية وفتحت الباب فدخلت العجوز وامرت اخى بالدخول فدخل دارا كبيرة فلما دخلها
رأى فيها مجلسا كبيرا مفروشا وستايرا مسبلة فجلس اخى ووضع الذهب بين يديه ووضع عمامته على
ركبته فلم يشعر الا وجارية اقبلت ما رأت مثلها الراؤن وهى لابسة افخر القماش فقام اخى على قدميه
فلما رأته ضحكت فى وجهه وفرحت به ثم ذهبت الى الباب واغلقته ثم اقبلت على اخى واخذت يده ومضيا
جميعا الى ان اتيا الى حجرة منفردة فدخلاها واذا هى مفروشة بانواع الديباج فجلس اخى وجلست
بجانبه ولاعبته ساعة زمانية ثم قامت وقالت له لا تبرح حتى اجى اليك وغابت عن اخى ساعة فبينما
هو كذلك اذ دخل عليه عبد اسود عظيم الخلقة ومعه سيف مجرد ياخذ لمعانه بالبصر وقال لاخى
يا ويلك من جاء بك الى هذا المكان يا اخس الانس يا ابن الزانية وتربية الخنا فلم يقدر اخى ان يرد عليه جوابا
بل انعقد لسانه فى تلك الساعة فاخذه العبد واعراه ولم يزل يضربه بالسيف صفحا ضربات متعددة
اكثر من ثمانين ضربة الى ان سقط من طوله على الارض فرجع العبد عنه واعتقد انه مات وصاح صيحة
عظيمة بحيث ارتجت الارض من صوته ودوى له المكان وقال اين المليحة فاقبلت اليه جارية فى يدها
طبق مليح فيه ملح ابيض فصارت الجارية تأخذ من ذلك الملح وتحشو الجراحات التى فى جلد اخى حتى
تهورت واخى لا يتحرك خيفة ان يعلموا انه حى فيقتلوه ثم مضت الجارية وصاح العبد صيحة مثل الاولى

فجرت العجوز الى اخي وجرته من رجله الى سرداب طويل مظلم ورمته فيه على جماعة مقتولين فاستقر
في مكانه يومين كاملين وكان الله سبحانه جعل الملح سببا لحياته لانه قطع عروق الدم فلما رأى اخي
في نفسه القوة على الحركة قام من السرداب وفتح طاقة في الحائط وخرج من مكان القتلى واعطاه الله
عز وجل الستر فمشى في الظلام واختفى في ذلك الدهليز الى الصبح فلما كان وقت الصبح خرجت
العجوز في طلب صيد آخر فخرج اخي في اثرها وهي لا تعلم به حتى اتى الى منزله ولم يزل يعالج نفسه حتى برئ
ولم يزل يتعهد العجوز وينظر اليها كل وقت وهي تأخذ الناس واحدا بعد واحد وتوصلهم الى تلك الدار
واخي لا ينطق بشيء ثم لما رجعت اليه صحته وكملت قوته عمد الى خرقة وعمل منها كيسا وملأه زجاجا
وشده في وسطه وتنكر حتى لا يعرفه احد ولبس ثياب العجم واخذ سيفا وجعله تحت ثيابه فلما رأى
العجوز قال لها بكلام العجم يا عجوز هل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار فقالت العجوز لي ولد صغير
صيرفي عنده سائر الموازين فامض معي اليه قبل ان يخرج من مكانه حتى يزن لك ذهبك فقال اخي امشي
قدامي فسارت وسار اخي خلفها حتى اتت الباب فدقته فخرجت الجارية وضحكت في وجهه فقالت
العجوز اتيتكم بلحمة سمينة فاخذت الجارية بيد اخي وادخلته الدار التي دخلها سابقا وقعدت عنده
ساعة وقامت وقالت لاخي لا تبرح حتى ارجع اليك وراحت فلم يستقر اخي الا والعبد اقبل ومعه السيف
المجرد فقال لاخي قم يا مشؤم فقام اخي وتقدم العبد امامه واخي وراءه ومد يده الى سيفه التي تحت ثيابه
وضرب به العبد فرمى رأسه وسحبه من رجله الى السرداب ونادى ابن المليحة فجاءت الجارية وبيدها
الطبق الذي فيه الملح فلما رأت اخي والسيف بيده ولت هاربة فتبعها اخي وضربها فرمى رأسها ثم نادى
ابن العجوز فجاءت فقال لها اتعرفينني يا عجوز النحس فقالت لا يا مولاي فقال لها انا صاحب الدنانير
الذي جئت وتوضأت عندي وصليت ثم تحيلت علي حتى اوقعتني هنا فقالت اتق الله في امري فالتفت
اليها وضربها بالسيف فصيرها قطعتين ثم خرج في طلب الجارية فلما رأته طار عقلها وطلبت منه الامان
فامنها ثم قال لها ما الذي اوقعك عند هذا الاسود فقالت اني كنت جارية لبعض التجار وكانت هذه
العجوز تتردد علي فقالت لي يوما من الايام ان عندنا فرحا ما رأى احد مثله فاحب ان تنظري اليه فقلت
لها سمعا وطاعة ثم قمت ولبست احسن ثيابي واخذت معي صرة فيها مائة دينار ومضيت معها
حتى ادخلتني هذه الدار فلما دخلت ما شعرت الا وهذا الاسود اخذني ولم ازل عنده على هذا الحال
ثلاث سنين بحيلة العجوز الكاهنة فقال لها اخي هل له في الدار شيء فقالت عنده شيء كثير فان كنت تقدر
على نقله فانقله فقام اخي ومشى معها ففتحت له صناديق فيها اكياس فبقي اخي متحيرا فقالت له الجارية
امض الان ودعني هنا وهات من ينقل المال فخرج واكترى عشرة رجال وجاء فلما وصل الى الباب وجده
مفتوحا ولم ير الجارية ولا الاكياس وانما رأى شيئا يسيرا من المال ورأى القماش فعلم انها خدعته
فعند ذلك اخذ المال الذي بقي وفتح الخزائن واخذ جميع ما فيها من القماش ولم يترك في الدار شيئا وبات تلك
الليلة مسرورا فلما اصبح الصباح وجد بالباب عشرين جنديا فلما خرج اليهم تعلقوا به وقالوا له ان الوالي
يطلبك فاخذوه وراحوا الى الوالي فلما رأى اخي قال له من اين لك هذا القماش فقال اخي اعطني الامان
فاعطاه منديل الامان فحدثه بجميع ما وقع له مع العجوز من الاول الى الآخر ومن هروب الجارية
ثم قال للوالي والذي اخذته خذ منه ما شئت ودع لي ما اتقوت به فطلب الوالي جميع المال والقماش
وخاف ان يعلم به السلطان فاخذ البعض واعطى اخي البعض وقال له اخرج من هذه المدينة والا اشنقك

فقال السمع والطاعة فخرج الى بعض البلدان فخرجت عليه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا اذنيه
فسمعت بخبره فخرجت اليه واخذت اليه ثيابا وجئت به الى المدينة مسرورا ورتبت له ما يأكله وما
يشربه واما اخى السادس يا امير المؤمنين وهو مقطوع الشفتين فانه كان فقيرا جدا لا يملك شيأ من حطام
الدنيا الفانية فخرج يوما من الايام يطلب شيأ يسد به رمقه فبينما هو فى بعض الطرق اذ رأى دارا حسنة
ولها دهليز واسع مرتفع وعلى الباب خدم وامر ونهى فسأل بعض الواقفين هناك فقال هى لانسان
من اولاد الملوك فتقدم اخى الى البوابين وسألهم شيأ فقالوا ادخل باب الدار تجد ما تحب من صاحبها
فدخل الدهليز ومشى فيه ساعة حتى وصل الى دار فى غاية ما يكون من الملاحة والظرف وفى وسطها
بستان ما رأى الراؤن احسن منه وارضها مفروشة بالرخام وستورها مسبولة فصار اخى لا يعرف اين
يقصد فمضى نحو صدر المكان فرأى انسانا حسن الوجه واللحية فلما رأى اخى قام اليه ورحب به وسأله
عن حاله فاخبره انه محتاج فلما سمع كلام اخى اظهر غما شديدا ومد يده الى ثياب نفسه ومزقها وقال
هل اكون انا ببلد وانت بها جائع لا صبر لى على ذلك ووعده بكل خير ثم قال لا بد ان تمالحنى فقال يا سيدى
ليس لى صبر وانى شديد الجوع فصاح يا غلام هات الطشت والابريق ثم قال له يا ضيفى تقدم واغسل يدك
ثم اومى كانه يغسل يده ثم صاح على اتباعه ان قدموا المائدة فجعلت اتباعه تغدو وتروح كانها تهيئ السفرة
ثم اخذ اخى وجلس معه على تلك السفرة الموهومة وصار صاحب المنزل يومى ويحرك شفتيه كانه يأكل
ويقول لاخى كل ولا تستح فانك جائع وانا اعلم ما انت فيه من شدة الجوع فجعل اخى يومى كانه يأكل وهو
يقول لاخى كل وانظر هذا الخبز وبياضه واخى لا يبدى شيأ ثم ان اخى قال فى نفسه ان هذا رجل يحب
ان يهزء بالناس فقال له يا سيدى عمرى ما رأيت احسن من بياض هذا الخبز ولا الذ من طعمه فقال هذا
خبزته جارية لى كنت اشتريتها بخمسمائة دينار ثم صاح صاحب الدار يا غلام قدم لنا السكباج
الذى لا يوجد مثله فى طعام الملوك ثم قال لاخى كل يا ضيفى فانك جائع شديد الجوع ومحتاج الى الاكل
فصار اخى يدور حنكه ويمضغ كانه يأكل واقبل الرجل يستدعى لونا بعد لون من الطعام ولا يحضر شيأ
الا ويأمر اخى بالاكل ثم صاح يا غلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق فكل ما لم تأكل مثله قط فقال
يا سيدى ان هذا الاكل لا نظير له فى اللذة واقبل يومى بيده الى فم اخى حتى كانه يلقمه بيده وكان
يعدد هذه الالوان ويصفها لاخى بهذه الاوصاف وهو جائع فاشتد جوعه وصار بشهوة رغيف من
شعير ثم قال له صاحب الدار هل رأيت اطيب من ابازير هذه الاطعمة فقال له اخى لا يا سيدى فقال
اكثر الاكل ولا تستح فقال قد اكتفيت من الطعام فصاح الرجل على اتباعه ان قدموا الحلويات
فحركوا ايديهم فى الهواء كانهم قدموا الحلويات ثم قال صاحب المنزل لاخى كل من هذا النوع فانه
جيد وكل من هذه القطائف بحياتى وخذ هذه القطيفة قبل ان ينزل منها الجلاب فقال له اخى لا عدمتك
يا سيدى واقبل اخى يسأله عن كثرة المسك الذى فى القطائف فقال له ان هذه عادتى فى بيتى فدائما يضعون
لى فى كل قطيفة مثقالا من المسك ونصف مثقال من العنبر هذا كله واخى يحرك رأسه وفمه ويلعب بين
شدقيه كانه يتلذذ باكل الحلويات ثم صاح صاحب الدار على اتباعه ان احضروا النقل فحركوا
ايديهم فى الهواء كانهم احضروا النقل وقال لاخى كل من هذا اللوز ومن هذا الجوز ومن هذا الزبيب
ونحو ذلك وصار يعدد له انواع النقل ويقول له كل ولا تستح فقال له اخى يا سيدى قد اكتفيت ولم يبق
لى قدرة على اكل شئ فقال يا ضيفى ان اردت ان تأكل وتتفرج على غرائب المأكولات فالله الله لا تكن

جائعا ثم فكر اخى فى نفسه وفى استهزاء ذلك الرجل به وقال والله لاعملن فيه عملا يتوب بسببه الى الله
عن هذه الفعال ثم قال الرجل لاتباعه قدموا لنا الشراب فحركوا ايديهم فى الهواء حتى كانهم قدموا
الشراب ثم اومى صاحب المنزل كانه ناول اخى قدحا وقال خذ هذا القدح فانه اعجبك فقال له ياسيدى
هذا من احسانك واوما اخى بيده كانه يشربه فقال له هل اعجبك فقال له ياسيدى ما رأيت الذ من
هذا الشراب فقال له اشرب هنيئا وصحة ثم ان صاحب البيت اوما وشرب ثم ناول اخى قدحا ثانيا فخيل انه
شربه واظهر انه سكران ثم ان اخى غافله ورفع يده حتى بان بياض ابطه وصفعه على رقبته صفعة رن لها
المكان ثم ثنى عليه بصفعة ثانية فقال له الرجل ما هذا يا اسفل العالمين فقال ياسيدى انا عبدك الذى
انعمت عليه وادخلته منزلك واطعمته الزاد واسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليك ومقامك اعلى
من ان تؤاخذه بجهله فلما سمع صاحب المنزل كلام اخى ضحك ضحكا عاليا ثم قال له ان لى زمانا طويلا امضر
بالناس واهزء بجميع اصحاب المزاح والمجون ما رأيت منهم من له طاقة على ان افعل به هذه السخرية ولا من
له فطنة يدخل بها فى جميع امورى غيرك والان عفوت عنك فكن نديمى على الحقيقة ولا تفارقنى ثم امر
باخراج عدة من انواع الطعام المذكورة اولا فاكل هو واخى حتى اكتفيا ثم انتقلا الى مجلس
الشراب فاذا فيه جوار كانهن الاقمار فغنين بجميع الالحان واشتغلن بجميع الملاهى ثم شربا حتى غلب
عليهما السكر وانس الرجل باخى حتى كانه اخوه واحبه محبة عظيمة وخلع عليه خلعة سنية فلما اصبح
الصباح عادا لما كانا عليه من الاكل والشرب ولم يزالا كذلك مدة عشرين سنة ثم ان الرجل مات وقبض
السلطان على ماله واحتوى عليه فخرج اخى من البلد هاربا فلما وصل الى نصف الطريق خرج عليه العرب
فاسروه وصار الذى اسره يعذبه ويقول له اشتر روحك منى بالاموال والا اقتلك فجعل اخى يبكى ويقول انا
والله لا املك شيأ ياشيخ العرب ولا اعرف طريق شئ من المال وانا اسيرك وصرت فى يدك فافعل بى ما شئت
فاخرج البدوى الجبار من حزامه سكينا عريضة لو نزلت على رقبة جمل لقطعتها من الوريد الى الوريد
واخذها فى يده اليمين وتقدم الى اخى المسكين وقطع بها شفتيه وشدد عليه بالمطالبة وكان للبدوى زوجة
حسنة وكانت اذا خرج البدوى تتعرض لاخى وتراوده عن نفسه وهو يمتنع حياء من الله تعالى فاتفق ان
راودت اخى يوما من الايام فقام ولاعبها واجلسها فى حجره فبينما هما كذلك واذا بزوجها داخل عليهما فلما
نظر الى اخى قال له ياويلك ياخبيث اتريد الان ان تفسد على زوجتى واخرج سكينا وقطع بها ذكره وحمله على
جمل وطرحه فوق جبل وتركه وسار الى حال سبيله فجاز عليه المسافرون فعرفوه فاطعموه وسقوه واعلمونى
بخبره فذهبت اليه وحملته ودخلت به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها انا جئت عندك يا امير المؤمنين وخفت
ان ارجع الى بيتى قبل اخبارك فيكون ذلك غلطا وورائى ستة اخوة وانا اقوم بهم فلما سمع امير المؤمنين
قصتى وما اخبرته به عن اخوتى ضحك وقال صدقت ياصامت انت قليل الكلام ما عندك فضول ولكن
الان اخرج من هذه المدينة واسكن غيرها ثم نفانى من بغداد فلم ازل سائرا فى البلاد حتى طفت الاقاليم
الى ان سمعت بموته وخلافة غيره فرجعت الى المدينة فوجدته مات ووقعت عند هذا الشاب وفعلت معه
احسن الفعال ولولا انا لقتل وقد اتهمنى بشئ ما هو فى وجميع ما نقله عنى من الفضول وكثرة الكلام
وكثافة الطبع وعدم الذوق باطل ياجماعة ثم قال الخياط لملك الصين فلما سمعنا قصة المزين وتحققنا
فضوله وكثرة كلامه وان الشاب مظلوم معه اخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا حوله آمنين
ثم اكلنا وشربنا وتمت الوليمة على احسن حالة ولم نزل جالسين الى ان اذن العصر فخرجت وجئت منزلى

وخشيت

وغشيت زوجتي فقالت انت طول النهار في حظك وانا قاعدة في البيت حزينة فان لم تخرج بي وتفرجني بقية النهار كان ذلك سبب فراقي منك فاخذتها وخرجت بها وتفرجنا الى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الاحدب والسكر طافح منه وهو ينشد هذين البيتين

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح * وكانما قدح ولا خمر

فعزمت عليه فاجابني وخرجت لاشتري سمكا مقليا فاشتريت ورجعت ثم جلسنا نأكل فاخذت زوجتي لقمة وقطعة سمك وادخلتهما فمه وسدته فمات فحملته وتحايلت حتى رميته في بيت هذا الطبيب وتحايل الطبيب حتى رماه في بيت المباشر وتحايل المباشر حتى رماه في طريق السمسار وهذه قصة مالقيته البارحة اما هي اعجب من قصة الاحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة امر بعض حجابه ان يمضوا مع الخياط ويحضروا المزين وقال لهم لابد من حضوره لاسمع كلامه ويكون ذلك سببا في خلاصكم جميعا وندفن هذا الاحدب ونواريه في التراب فانه ميت من امس ثم نعمل له ضريحا لانه كان سببا في اطلاعنا على هذه الاخبار العجيبة فما كان الا ساعة حتى جاء الحجاب هم والخياط بعد ان مضوا الى الحبس واخرجوا منه المزين وساروا به الى ان اوقفوه بين يدي هذا الملك فلما رآه تامله فاذا هو شيخ كبير جاوز التسعين اسود الوجه ابيض اللحية والحواجب مقرطم الاذنين طويل الانف في نفسه كبر فضحك الملك من رؤيته وقال يا صامت اريد ان تحكي لي شيأ من حكاياتك فقال المزين ياملك الزمان ماشأن هذا النصراني وهذا اليهودي وهذا المسلم وهذا الاحدب بينكم ميت وما سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين وما سؤالك عن هذا فقال سؤالي عنهم حتى يعلم الملك اني غير فضولي ولا اشتغل بما لا يعنيني واني بريء مما اتهموني به من كثرة الكلام وان لي نصيبا من اسمي حيث لقبوني بالصامت كما قال الشاعر

وقلما ابصرت عيناك ذا لقب * الا ومعناه ان فتشت في لقبه

فقال الملك اشرحوا للمزين حال هذا الاحدب وما جرى له في وقت العشاء واشرحوا له ما حكى النصراني وما حكى اليهودي وما حكى المباشر وما حكى الخياط فحكوا له حكايات الجميع وليس في الاعادة افادة فحرك المزين رأسه وقال والله ان هذا الشيء عجاب اكشفوا لي عن هذا الاحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسه واخذ رأسه على حجره ونظر في وجهه وضحك ضحكا عاليا حتى انقلب على قفاه من شدة الضحك وقال لكل موتة سبب من الاسباب وموتة هذا الاحدب من عجب العجاب يجب ان تؤرخ في السجلات ليعتبر بما مضى من هو آت فتعجب الملك من كلامه وقال يا صامت احك لنا سبب كلامك هذا فقال ياملك وحق نعمتك ان الاحدب فيه الروح ثم ان المزين اخرج من وسطه مكحلة فيها دهن ودهن رقبة الاحدب وغطاها حتى عرقت ثم اخرج كلبتين من حديد ونزل بهما في حلقه فالتقطت القطعة السمك بعظمها فلما اخرجها رآها الناس بعيونهم ثم نهض الاحدب واقفا على قدميه وعطس عطسة واستفاق في نفسه وملس بيديه على وجهه وقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجب الحاضرون من الذي رأوه وعاينوه فضحك ملك الصين حتى غشي عليه وكذلك الحاضرون وقال السلطان والله ان هذه قصة عجيبة ما رأيت اغرب منها ثم ان السلطان قال يامسلمون ياجماعة العسكر هل رأيتم في عمركم احدا يموت ثم يحيى بعد ذلك ولولا رزقه الله بهذا المزين لكان اليوم من اهل الآخرة فانه كان سببا لحياته فقالوا والله ان هذا من عجب العجاب ثم ان ملك الصين امر ان تسطر هذه القصة فسطروها ثم جعلوها في خزانة

الملك ثم خلع على اليهودي والنصراني والمباشر وخلع على كل واحد خلعة سنية وجعل الخياط خياطه ورتب له الرواتب واصلح بينه وبين الاحدب وخلع على الاحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وانعم على المزين وخلع عليه خلعة سنية ورتب له الرواتب وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه ولم يزالوا في الذ عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا باعجب من قصة الوزيرين التي فيها ذكر انيس الجليس قال الملك وما حكاية الوزيرين قالت بلغني ايها الملك السعيد انه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويرفق بالرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعض واصفيه

جعل القنا اقلامه وطروسه ✻ مهج العدى ورأى المداد دمائها
واظن ان الاقدمين لذا رأوا ✻ ان يجعلوا خطية اسمائها

وكان يقال لهذا الملك محمد بن سليمان الزيني وكان له وزيران احدهما يقال له المعين بن ساوي والثاني يقال له الفضل بن خاقان وكان الفضل بن خاقان اكرم اهل زمانه حسن السيرة اجمعت القلوب على محبته واتفقت العقلاء على مشورته وكل الناس يدعون له بطول مدته لانه محضر خير مزيل للشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوي يكره الناس ولا يحب الخير وكان محضر سوء كما قال فيه بعض واصفيه

تجمعت من نطف ذاته ✻ فركبت من عنصر فاسد
ليس على الله بمستنكر ✻ ان يجمع العالم في واحد

فلكل من هذين الوزيرين نصيب من قول الشاعر

لذ بالكرام بني الكرام فانما ✻ تلد الكرام بنو الكرام كراما
ودع اللئام بني اللئام فانما ✻ تلد اللئام بنو اللئام لئاما

وكان الناس على قدر محبتهم لفضل الدين ابن خاقان يبغضون المعين بن ساوي بقدرة القادر ثم ان الملك محمد بن سليمان الزيني كان قاعدا يوما من الايام على كرسي مملكته وحوله ارباب دولته اذ نادى وزيره الفضل ابن خاقان وقال له اني اريد جارية لا يكون في زمانها احسن منها بحيث تكون كاملة في الجمال فائقة في الاعتدال حميدة الخصال فقال ارباب الدولة هذه لا توجد الا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك صاح السلطان على الخازندار وقال احمل عشرة الاف دينار الى دار الفضل بن خاقان فامتثل الخازندار امر السلطان ونزل الوزير بعدما امره السلطان ان يعمد الى السوق في كل يوم ويوصي السماسره على ما ذكره وانه لا تباع جارية ثمنها فوق الالف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضوها عليه فامتثل الوزير امره واستمر على هذا الحال مدة من الزمان ولم تعجبه جارية فاتفق يوما من الايام ان بعض السماسرة اقبل على دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكبا متوجها الى قصر الملك فقبض على ركابه وانشد هذين البيتين

يا من اعاد رميم الملك منشورا ✻ انت الوزير الذي لا زال منصورا
احييت ما مات بين الناس من كرم ✻ لا زال سعيك عند الله مشكورا

ثم قال يا سيدي ان الجارية التي صدر بطلبها المرسوم الكريم قد حضرت فقال له الوزير علي بها فغاب ساعة ثم حضر ومعه جارية رشيقة القد قاعدة النهد بطرف كحيل وخد اسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وعليها احسن ما يكون من الثياب ورضابها احلى من الجلاب وقامتها تفضح غصون البان

وكلامها ارق من النسيم اذا مر على زهر البستان كما قال فيها بعض واصفيها هذه الابيات

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لا هراء ولا نذر
وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ما تفعل الخمر
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر
ذوائبها ليل ولكن جبينها * اذا اسفرت يوما يلوح به الفجر

فلما رآها الوزير اعجبته غاية الاعجاب فالتفت الى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف سعرها على عشرة آلاف دينار وحلف صاحبها ان العشرة آلاف دينار لم تجئ ثمن الفراريج التى اكلتها ولا ثمن الخلع التى خلعتها على معلميها فانها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير واصول الفقه والدين والطب والتقويم والضرب بالآلات المطربة فقال الوزير على بسيدها فاحضره السمسار فى الوقت والساعة فاذا هو رجل اعجمى عاش زمنا طويلا حتى صيره الدهر عظما فى جلد كما قال الشاعر

ارعشنى الدهر اى رعش * والدهر ذو قوة وبطش
قد كنت امشى ولست اعيى * واليوم اعيى ولست امشى

فقال له الوزير ارضيت ان تأخذ فى هذه الجارية عشرة آلاف دينار من السلطان محمد ابن سليمان الزينى فقال العجمى حيث كانت للسلطان فالواجب على ان اقدمها اليه هدية بلا ثمن فعند ذلك امر الوزير باحضار الاموال فلما حضرت وزن الدنانير للعجمى ثم اقبل النخاس على الوزير وقال عن اذن مولانا الوزير اتكلم فقال الوزير هات ما عندك فقال عندى من الرأى ان لا تطلع بهذه الجارية الى السلطان فى هذا اليوم فانها قادمة من السفر واختلف عليها الهوى واتعبها السفر ولكن خلها عندك فى القصر عشرة ايام حتى تستريح فيزداد جمالها ثم ادخلها الحمام والبسها احسن الثياب واطلع بها الى السلطان فيكون لك فى ذلك الحظ الاوفر فتأمل الوزير كلام النخاس فوجده صوابا فاتى بها الى قصره واخلى لها مقصورة ورتب لها كل يوم ما تحتاج اليه من طعام وشراب وغيره فمكثت مدة على تلك الرفاهية وكان للوزير الفضل بن خاقان ولد كأنه البدر اذا اشرق بوجه اقمر وخد احمر عليه خال كنقطة عنبر وفيه عذار اخضر كما قال الشاعر فى مثله هذه الابيات

ورد الخدود ودونه شوك القنا * فمن المحدث نفسه ان يجتنى
لا تمدد الايدى اليه فطالما * شنوا الحروب لان مددنا الاعين
يا قلبه القاسى ورقة خصره * هلا نقلت الى هنا من هاهنا
لو كان رقة خصره فى قلبه * ما جار قط على المحب ولا جنى
يا عاذلى فى حبه كن عاذرى * من لى بجسم قد تملكه الضنى
ما الذنب الا للفؤاد وناظرى * لولاهما ما كنت فى هذا العنا

وكان الصبى لم يعرف قضية هذه الجارية وكان والده اوصاها وقال لها يا بنتى اعلمى انى ما اشتريتك الا سرية للملك محمد بن سليمان الزينى وان لى ولدا ما خلا بصبية فى الحارة الا فعل بها فاحفظى نفسك منه واحذرى ان تريه وجهك او تسمعيه كلامك فقالت الجارية السمع والطاعة ثم تركها وانصرف واتفق بالامر المقدر ان الجارية دخلت يوما من الايام الحمام الذى فى المنزل وقد حماها بعض الجوارى ولبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها ودخلت على زوجة الوزير فقبلت يدها فقالت لها نعيما يا انيس

الجليس كيف حالك فى هذا الحمام فقالت ياسيدتى ما كنت محتاجة الا حضورك فيه فعند ذلك قالت سيدة البيت للجوارى قوموا بنا ندخل الحمام فامتثلن امرها ومضين وسيدتهن بينهن وقد وكلت بباب المقصورة التى فيها انيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لهما لا تمكنا احدا من الدخول على الجارية فقالتا السمع والطاعة فبينما انيس الجليس قاعدة فى المقصورة واذا بابن الوزير الذى اسمه على نور الدين قد دخل وسأل عن امه وعن العائلة فقال له الجاريتان دخلوا الحمام وقد سمعت الجارية انيس الجليس كلام على نور الدين بن الوزير وهى من داخل المقصورة فقالت فى نفسها يا ترى ما شأن هذا الصبى الذى قال لى الوزير عنه انه ما خلا بصبية فى الحارة الا واقعها والله انى اشتهى ان انظره ثم انها نهضت على قدميها وهى من اثر الحمام وتقدمت جهة باب المقصورة ونظرت الى على نور الدين فاذا هو صبى كالبدر فى تمامه فاورثتها النظرة الف حسرة ولاحت من الصبى التفاتة اليها فنظرها نظرة اورثته الف حسرة ووقع كل منهما فى شرك هوى الآخر فتقدم الصبى الى الجاريتين وصاح عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من بعيد ينظرانه وينظران ما يفعل واذا به تقدم الى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال لها انت التى اشتراك ابى فقالت له نعم فعند ذلك تقدم الصبى اليها وكان فى حال السكر واخذ رجليها وجعلهما فى وسطه وهى شبكت يديها فى عنقه واستقبلته بتقبيل وشهيق وغنج ومص لسانها ومصت لسانه فازال بكارتها فلما رأى الجاريتان سيدهما الصغير دخل على الجارية انيس الجليس صرختا وكان قد قضى الصبى حاجته وخرج هاربا والتجأ طالبا للفرار من الخوف عقب الفعل الذى فعله فلما سمعت سيدة البيت صراخ الجاريتين مضت وخرجت من الحمام والعرق يقطر منها وقالت ما سبب هذا الصراخ الذى فى الدار فلما قربت من الجاريتين اللتين اقعدتهما على باب المقصورة قالت لهما ويلكما ما الخبر فلما رأتاها قالتا ان سيدى على نور الدين جاء الينا وضربنا فهربنا منه فدخل على انيس الجليس وعانقها وما ندرى اى شئ عمل بعد ذلك فلما صحنا لك هرب فعند ذلك تقدمت سيدة البيت الى انيس الجليس وقالت لها ما الخبر فقالت ياسيدتى انا قاعدة واذا بصبى جميل الصورة دخل على وقال لى انت التى اشتراك ابى لى فقلت نعم والله ياسيدتى اعتقدت ان كلامه صحيح فعند ذلك اتى الى وعانقنى فقالت لها هل فعل بك شيأ غير ذلك قالت نعم واخذ منى ثلاث قبلات فقالت ما تركك من غير افتضاض ثم بكت ولطمت وجهها هى والجوارى خوفا على نور الدين ان يذبحه ابوه فبينما هم كذلك واذا بالوزير دخل وسأل عن الخبر فقالت له زوجته احلف ان ما قلته لك تسمعه قال نعم فاخبرته بما فعله ولده فحزن ومزق ثيابه ولطم على وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك انا اعطيك من مالى عشرة الاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه اليها وقال لها ويلك انا مالى حاجة بثمنها ولكن خوفى ان تروح روحى ومالى فقالت له ياسيدى ما سبب ذلك قال لها اما تعلمين ان ورانا هذا العدو الذى يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير قال لزوجته اما تعلمين ان ورانا عدوا يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له ان وزيرك الذى تزعم انه يحبك اخذ منك عشرة الف دينار

واشترى بها جارية ما رأى احد مثلها فلما اعجبته قال لابنه خذها انت احق بها من السلطان فاخذها وازال بكارتها وها هى الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول الملك عن اذنك اهجم عليه وآتيك بها فيأذن له فى ذلك فيهجم على الدار ويأخذ الجارية ويحضرها بين يدى السلطان ثم يسألها فما تقدر ان تنكر فيقول له يا سيدى انت تعلم انى ناصح لك ولكن ما لى عندكم حظ فيمثل بى السلطان والناس كلهم يتفرجون على وتروح روحى فقالت له زوجته لا تعلم احدا وهذا الامر حصل خفية وسلم امرك الى الله فى هذه القضية فعند ذلك سكن قلب الوزير وطاب خاطره هذا ما كان من امر الوزير واما ما كان من امر على نور الدين فانه خاف عاقبة الامر فكان يقضى نهاره فى البساتين ولا يأتى الا فى آخر الليل لامه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ولا يراه احد ولم يزل كذلك شهرا وهو لم ير وجه ابيه فقالت امه لابيه يا سيدى هل تعدم الجارية وتعدم الولد فان طال هذا الامر على الولد هج قال لها وكيف العمل قالت له اسهر هذه الليلة فاذا جاء امسكه واصطلح انت واياه واعطه الجارية فانها تحبه وهو يحبها واعطيك ثمنها فسهر الوزير طول الليل فلما اتى ولده امسكه واراد نحره فادركته امه وقالت له اى شئ تريدان تفعل معه فقال لها اريد ان اذبحه فقال الولد لابيه هل اهون عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له يا ولدى كيف هان عليك ذهاب مالى وروحى فقال الصبى اسمع يا والدى ما قال الشاعر

هبنى جنيت فلم تزل اهل النهى * يهبون للجانى سماحا شاملا
ماذا عسى يرجو عدوك وهو فى * درك الحضيض وانت اعلى منزلا

فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده وشفق عليه وقام الصبى وقبل يد والده فقال يا ولدى لو علمت انك تنصف انيس الجليس كنت وهبتها لك فقال يا والدى كيف لا انصفها قال له اوصيك يا ولدى انك لا تتزوج عليها ولا تضاررها ولا تبيعها قال له يا والدى انا احلف لك انى لا اتزوج عليها ولا ابيعها ثم حلف له ايمانا على ما ذكر ودخل على الجارية فاقام معها سنة وانسى الله تعالى الملك قصة الجارية واما المعين ابن ساوى فانه بلغه الخبر ولكنه لم يقدر ان يتكلم لعظم منزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السنة دخل الوزير فضل الدين بن خاقان الحمام وخرج وهو عرقان فاصابه الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل به الضعف فعند ذلك نادى ولده عليا نور الدين فلما حضر بين يديه قال له يا ولدى ان الرزق مقسوم والاجل محتوم ولا بد لكل نسمة من شرب كاس المنون وانشد هذه الابيات

من فاته الموت يوما لم يفته غدا * والكل منا على حوض الردى وردا
سوى العظيم بمن قد كان محتقرا * ولم يدع هيبة بين الورى احدا
لم يبق من ملك كلا ولا ملك * ولا نبى يعيش دائم ابدا

ثم قال يا ولدى ما لى عندك وصية الا تقوى الله والنظر فى العواقب وان تستوصى بالجارية انيس الجليس فقال له يا ابت ومن مثلك وقد كنت معروفا بفعل الخير ودعاء الخطباء لك على المنابر فقال له يا ولدى ارجو من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين وشهق شهقة فكتب من اهل السعادة فعند ذلك امتلأ القصر بالصراخ ووصل الخبر الى السلطان وسمعت اهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكت عليه الصبيان فى مكاتبها ونهض ولده على نور الدين وجهزه وحضرت الامراء والوزراء وارباب الدولة واهل المدينة مشهده وكان ممن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوى وانشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار هذه الابيات

قد قلت للرجل المولى غسله * هلا اطاع وكنت من نصحائه

جنبه ماءلئم غسله بما * ازرت عيون المجد عند بكائه

وازل مجاميع الحنوط وتحها * عنه وحنطه بطيب ثنائه

ومر الملائكة الكرام بحمله * شرفا الست تراهمو بازائه

لاتوه اعناق الرجال بحمله * يكفى الذى حملوه من نعمائه

ثم مكث على نور الدين شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو جالس يوما من الايام فى بيت والده اذ طرق الباب طارق فنهض على نور الدين وفتح الباب واذا برجل من ندماء والده واصحابه فقبل يد نور الدين وقال ياسيدى من خلف مثلك مامات وهذا مصير سيد الاولين والاخرين ياسيدى طب نفسا ودع الحزن فعند ذلك نهض على نور الدين الى قاعة الجلوس ونقل اليها ما يحتاج اليه واجتمع عليه اصحابه واخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من اولاد التجار ثم انه اكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاما بعد مقام وصار يعطى ويتكرم فعند ذلك دخل عليه وكيله وقال له ياسيدى نور الدين اما سمعت قول بعضهم من ينفق ولم يحسب افتقر ولقد احسن من قال هذه الابيات

اصون دراهمى واذب عنها * لعلمى انها سيفى وترسى

ابذلها الى اعدى الاعادى * وابدل فى الورى سعدى بنحسى

فيأكلها ويشربها هنيئا * ولايسخو الى احد بفلس

واحفظ دراهمى عن كل شخص * لئيم الطبع لايصفو لانسى

احب الى من قولى لنذل * انلنى درهما لغد بخمس

فيعرض وجهه ويصد عنى * فتبقى مثل نفس الكلب نفسى

فياذل الرجال بغير مال * ولو كانت فضائلهم كشمس

ثم قال ياسيدى هذه النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفنى المال فلما سمع على نور الدين من وكيله هذا الكلام نظر اليه وقال له جميع ما قلته لااسمع منه كلمة فما احسن قول الشاعر

اذا ماملكت المال يوما ولم اجد * فلا بسطت كفى ولانهضت رجلى

فهاتوا بخيلا نال مجدا ببخله * وهاتوا ارونى باذلا مات من بذل

ثم قال اعلم ايها الوكيل انى اريد اذا فضل عندك مايكفينى لغدائى ان لاتحملنى هم عشائى فانصرف الوكيل من عنده الى حال سبيله واقبل على نور الدين على ماهو فيه من مكارم الاخلاق وكل من يقول له من ندمائه ان هذا الشئ مليح يقول هو لك هبة اويقول ياسيدى ان الدار الفلانية مليحة يقول هى لك هبة ولم يزل على نور الدين يعقد لندمائه واصحابه فى اول النهار مجلسا وفى آخره مجلسا الى ان مكث على هذا الحال سنة كاملة وبعد السنة فبينما هو جالس واذا بالجارية تنشد هذين البيتين

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

فلما فرغت من شعرها واذا بطارق يطرق الباب فقام نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غير ان يعلم به فلما فتح الباب رآه وكيله فقال له على نور الدين ما الخبر فقال له ياسيدى الذى كنت اخاف عليك منه قد وقع لك قال وكيف ذلك قال اعلم انه ما بقى لك تحت يدى شئ يساوى درهما ولا اقل من درهم وهذه دفاتر المصروف الذى صرفته ودفاتر اصل مالك فلما سمع على نور الدين هذا الكلام اطرق برأسه الى

الارض وقال لاحول ولاقوة الا بالله فلما سمع الرجل الذى تبعه خفية خرج ليتسلل عليه ما قاله له الوكيل رجع الى اصحابه وقال لهم انظروا اى شئ تعملون فان عليا نور الدين قد افلس فلما رجع اليهم على نور الدين ظهر لهم الغم فى وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر الى على نور الدين وقال له ياسيدى انى اريد ان تأذن لى بالانصراف فقال على نور الدين لماذا الانصراف فى هذا اليوم فقال ان زوجتى تلد فى هذه الليلة ولا يمكننى ان اتخلف عنها واريد ان اذهب اليها وانظرها فاذن له ونهض اخر وقال له ياسيدى نور الدين اريد اليوم ان احضر عند اخى فانه يطاهر ولده وكل واحد يستأذنه بحيلة ويذهب الى حال سبيله حتى انصرفوا كلهم وبقى على نور الدين وحده فعند ذلك دعا جاريته وقال لها يا انيس الجليس اما تنظرين ما حل بى وحكى لها ما قاله الوكيل فقالت ياسيدى من منذ ليال هممت ان اقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد هذين البيتين

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها * على الناس طرا قبل ان تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هى اقبلت * ولا الشح يبقيها اذا هى ولت

فلما سمعتك تنشدهما سكت ولم ابد لك خطابا فقال لها على نور الدين يا انيس الجليس انت تعرفين انى ما صرفت مالى الا على اصحابى واظنهم لا يتركونى من غير مواساة فقالت انيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال نور الدين فانا فى هذه الساعة اقوم واروح اليهم واطرق ابوابهم لعلى انال منهم شيأ فاجعله فى يدى رأس مال واتجر فيه واترك اللهو واللعب ثم انه نهض من وقته وساعته ولازال سائرا حتى اقبل على الزقاق الذى فيه اصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين فى ذلك الزقاق فتقدم الى اول باب وطرقه فخرجت له جارية وقالت له من انت فقال لها قولى لسيدك على نور الدين واقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل اياديك ومنتظر فضلك فدخلت الجارية واعلمت سيدها فصاح عليها وقال لها ارجعى وقولى له ما هو هنا فرجعت الجارية الى نور الدين وقالت له ياسيدى ان سيدى ما هو هنا فتوجه نور الدين وقال فى نفسه ان كان هذا ولد زنا وانكر نفسه فغيره ما هو ولد زنا ثم تقدم الى الباب الثانى وقال كما قال اولا فانكر الاخر نفسه فعند ذلك انشد هذا البيت

ذهب الذين اذا وقفت ببابهم * منوا عليك بما تريد من الندى

فلما فرغ من شعره قال والله لابد ان امتحنهم كلهم عسى ان يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع فدار على العشرة فلم يجد احدا منهم فتح الباب ولا اراه نفسه ولا امر له برغيف فانشد هذه الابيات

المرء فى زمن الاقبال كالشجره * فالناس من حولها ما دامت الثمره
حتى اذا اسقطت كل ما حملت * تفرقوا وارادوا غيرها شجره
تبا لابناء هذا الدهر كلهم * فلم اجد واحدا يصفو من العشره

ثم انه رجع الى جاريته وقد تزايد همه فقالت له ياسيدى اما قلت لك انهم لا ينفعونك بنافعة فقال والله ما فيهم من ارانى وجهه فقالت له ياسيدى بع من اساس البيت شيأ فشيأ وانفق فباع الى ان باع جميع ما فى البيت ولم يبق عنده شئ فعند ذلك نظر الى انيس الجليس وقال لها ما نفعل الآن فقالت له ياسيدى عندى من الرأى ان تقوم فى هذه الساعة وتنزل بى السوق فتبيعنى وانت تعلم ان والدك كان اشترانى بعشرة الاف دينار فلعل الله يفتح عليك ببعض هذا الثمن واذا قدر الله باجتماعنا نجتمع فقال لها يا انيس الجليس ما يهون على فراقك ساعة واحدة فقالت له ولا انا لكن للضرورة احكام

كما قال الشاعر

تلجى الضرورات فى الامور الى * سلوك ما لا يليق بالادب
ما حامل نفسه على سبب * الا لامر يليق بالسبب

فعند ذلك اخذ انيس الجليس ودموعه تسيل على خده ثم انشد هذين البيتين

قفوا زودونى نظرة قبل بيعكم * اعلل قلبا كاد بالبين يتلف
فان كان تزويدى بذلك كلفة * دعونى فى وجدى ولا تتكلفوا

ثم مضى وسلمها الى الدلال وقال له اعرف مقدار ما تنادى عليه فقال الدلال يا سيدى نور الدين الاصول محفوظة ثم قال له اما هى انيس الجليس الذى كان اشتراها والدك منى بعشرة الاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال الى التجار فوجدهم لم يجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار وامتلأ السوق بسائر اجناس الجوارى من تركية ورومية وشركسية وجرجية وحبشية فلما نظر الدلال الى ازدحام السوق نهض قائما وقال يا تجار يا ارباب الاموال ما كل مدورة جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة ولا كل صهباء خمرة ولا كل سمراء تمرة يا تجار هذه الدرة اليتيمة التى لا تفى الاموال لها بقيمة بكم تفتحون باب الثمن فقال واحد من التجار باربعة الاف دينار وخمسمائة واذا بالوزير المعين بن ساوى فى السوق فنظر على نور الدين واقفا فى السوق فقال فى نفسه ما باله واقفا فانه ما بقى عنده شئ يشترى به جوارى ثم نظر بعينه فسمع المنادى وهو واقف ينادى فى السوق والتجار حوله فقال الوزير فى نفسه ما اظنه الا افلس ونزل بالجارية ليبيعها ثم قال فى نفسه ان صح ذلك فما ابرده على قلبى ثم دعا المنادى فاقبل عليه وقبل الارض بين يديه فقال انى اريد هذه الجارية التى تنادى عليها فلم يمكنه المخالفة فجاء بالجارية وقدمها بين يديه فلما نظر اليها وتأمل محاسنها من قامتها الرشيقة والفاظها الرقيقة اعجبته فقال له الى كم وصل ثمنها فقال له اربعة الاف وخمسمائة دينار فلما سمع ذلك التجار ما قدر واحد منهم ان يزود درهما ولا دينارا بل تأخروا جميعا لما يعلمون من ظلم ذلك الوزير ثم نظر المعين بن ساوى الى الدلال وقال له ما سبب وقوفك رح والجارية على باربعة الاف دينار ولك خمسمائة دينار فراح الدلال الى على نور الدين وقال له يا سيدى راحت الجارية عليك بلا ثمن فقال له وما سبب ذلك قال له نحن فتحنا باب سعرها باربعة الاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى ودخل السوق فلما نظر الى الجارية اعجبته وقال لى شاور على اربعة الاف دينار ولك خمسمائة وما اظنه الا عرف ان الجارية لك فان كان يعطيك ثمنها فى هذه الساعة يكون ذلك من فضل الله لكن انا اعرف من ظلمه انه يكتب لك ورقة حوالة على بعض عملائه ثم يرسل اليهم ويقول لهم لا تعطوه شيأ فكلما ذهبت اليهم لتطالبهم يقولون فى غد نعطيك ولا يزالون يعدونك ويخلفون يوما بعد يوم وانت عزيز النفس وبعد ان يضجوا من مطالبتك اياهم يقولون اعطنا ورقة الحوالة فاذا اخذوا الورقة منك قطعوها وراح عليك ثمن الجارية فلما سمع على نور الدين من الدلال هذا الكلام نظر اليه وقال له كيف يكون العمل فقال له انا اشور عليك بمشورة فان قبلتها منى كان لك الحظ الاوفر قال وما هى قال تجئ فى هذه الساعة عندى وانا واقف فى وسط السوق وتأخذ الجارية من يدى وتلكمها وتقول لها ويلك قد فديت يمينى التى حلفتها ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك انه لا بد من اخراجك الى السوق ومناداة الدلال عليك فان فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون انك ما نزلت بها الا لاجل ابرار اليمين فقال هذا هو الرأى الصواب

ثم ان الدلال فارقه وجاء الى وسط السوق ومسك يد الجارية واشار الى الوزير المعين بن ساوى وقال يا مولاى هذا ما الكها قد اقبل ثم جاء على نور الدين الى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها وقال لها ويلك قد نزلت بك الى السوق لاجل ابرار يمينى روحى الى البيت وبعد ذلك لا تخالفينى فلست محتاجا الى ثمنك حتى ابيعك انا لو بعت اثاث البيت وامثاله مرات عديدة ما بلغ قدر ثمنك فلما نظر المعين ابن ساوى الى نور الدين قال له ويلك وهل بقى عندك شئ يباع او يشترى ثم ان المعين بن ساوى اراد ان يبطش به فعند ذلك نظر التجار الى نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها انا بين ايديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا انتم لقتلته ثم رمزوا كلهم لبعضهم بعين الاشارة وقالوا ما احد منا يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم على نور الدين الى الوزير بن ساوى وكان نور الدين شجاعا فجذب الوزير من فوق سرجه فرماه على الارض وكان هناك معجنة طين فوقع الوزير فى وسطها وجعل على نور الدين يلكمه فجاءت لكمة على اسنانه فاختضبت لحيته بدمه وكان مع الوزير عشرة مماليك فلما راوا نور الدين فعل بسيدهم هذه الافعال وضعوا ايديهم على مقابض سيوفهم وارادوا ان يهجموا على نور الدين ويقطعوه واذا بالناس قالوا للمماليك هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا مع بعضهما وتكونون مبغوضين عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعا اقبح الموتات ومن الرأى ان لا تدخلوا بينهما فلما فرغ على نور الدين من ضرب الوزير اخذ جاريته ومضى الى داره واما الوزير ابن ساوى فانه قام من ساعته وكان قماش ثيابه ابيض فصار ملونا بثلاثة الوان لون الطين ولون الدم ولون الرماد فلما رأى نفسه على هذه الحالة اخذ برشا وجعله فى رقبته واخذ فى يده حزمتين من حلفة وسار الى ان وقف تحت القصر الذى فيه السلطان وصاح يا ملك الزمان مظلوم فاحضروه بين يديه فتأمله فرآه وزيره المعين بن ساوى فقال له من فعل بك هذه الفعال فبكى وانتحب وانشد هذين البيتين

ايظلمنى الزمان وانت فيه ✱ وتأكلنى الكلاب وانت ليث
ويروى من حياضك كل صاد ✱ واعطش فى حماك وانت غيث

ثم قال يا سيدى اهكذا كل من كان يحبك ويخدمك تجرى له هذه المشاق قال له ومن فعل بك هذه الفعال فقال الوزير اعلم انى خرجت اليوم الى سوق الجوارى لعلى اشترى جارية طباخة فرأيت فى السوق جارية ما رأيت فى طول عمرى مثلها فقال الدلال انها لعلى بن خاقان وكان مولانا السلطان اعطى اباه سابقا عشرة الاف دينار ليشترى له بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فاعجبته فاعطى ولده اياها فلما مات ابوه سلك طريق الاسراف حتى باع جميع ما عنده من الاملاك والبساتين والاوانى فلما افلس ولم يبق عنده شئ نزل بالجارية الى السوق على ان يبيعها ثم سلمها الى الدلال فنادى عليها وتزايدت فيها التجار حتى بلغ ثمنها اربعة الاف دينار فقلت لعلى اشترى هذه لمولانا السلطان فان اصل ثمنها كان من عنده فقلت يا ولدى خذ ثمنها اربعة الاف دينار فلما سمع كلامى نظر الى وقال يا شيخ النحس ابيعها لليهود والنصارى ولا ابيعها لك فقلت انا ما اشتريها لنفسى وانما اشتريها لمولانا السلطان الذى هو ولى نعمتنا فلما سمع منى هذا الكلام اغتاظ وجذبنى ورمانى عن الجواد وانا شيخ كبير وضربنى ولم يزل يضربنى حتى تركنى كما ترانى وانا ما اوقعنى فى هذا كله الا اننى جئت لاشترى هذه الجارية لسعادتك ثم ان الوزير رمى نفسه على الارض وجعل يبكى ويرتعد فلما نظر السلطان حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت الى من بحضرته من ارباب الدولة واذا باربعين ضارب سيف

وقفوا بين يديه فقال لهم السلطان انزلوا فى هذه الساعة الى دار على ابن خاقان وانهبوها واهدموها وائتونى به وبالجارية مكتفين واسحبوهما على وجوههما وأتوا بهما بين يدى فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم نزلوا وقصدوا المسير الى على نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان اولا من مماليك الفضل ابن خاقان والد على نور الدين فلما سمع امر السلطان ورأى الاعداء تهيئوا الى قتل ابن سيده لم يهن عليه ذلك فركب جواده وسار الى ان اتى بيت على نور الدين فطرق الباب فخرج له نور الدين فلما رآه عرفه واراد ان يسلم عليه فقال ياسيدى ما هذا وقت سلام ولا كلام واسمع ما قال الشاعر

ونفسك فز بها ان خفت ضيما ✻ وخل الدار تنعى من بناها
فانك واجد ارضا بارض ✻ ونفسك لم تجد نفسا سواها

فقال نور الدين ياعلم الدين ما الخبر فقال له انهض وفز بنفسك انت والجارية فان المعين بن ساوى نصب لكما شركا ومتى وقعتما فى يده قتلكما وقد ارسل اليكما السلطان اربعين ضاربا بالسيف والرأى عندى ان تهربا قبل ان يحل الضرر بكما ثم ان سنجر مد يده الى نور الدين بدنانير فعدها فوجدها اربعين دينارا وقال له ياسيدى خذ هذه ولو كان معى اكثر من ذلك لاعطيتك اياه لكن ما هذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل نور الدين على الجارية واعلمها بذلك فتخبلت ثم خرج الاثنان فى الوقت الى ظاهر المدينة واسبل الله عليهما ستره ومشيا الى ساحل البحر فوجدا مركبا تجهزت للسفر والريس واقف فى وسط المركب يقول من بقى له حاجة من وداع اوزوادة اونسى حاجة فليأت بها فانا متوجهون فقالوا كلهم لم يبق لنا حاجة ياريس فعند ذلك قال الريس لجماعته هيا حلوا الطرف واقلعوا الاوتاد فقال على نور الدين الى اين ياريس فقال الى دار السلام بغداد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الريس لما قال لعلى نور الدين الى دار السلام مدينة بغداد طلع على نور الدين وطلعت معه الجارية وعوموا ونشروا القلوع فاندفعت المركب كانها طير بجناحيه كما قال فيها بعضهم هذين البيتين

انظر الى مركب يسبيك منظره ✻ تسابق الريح فى سير بسراء
كانه طائر قد مد اجنحة ✻ اتى من الجو منقضا على الماء

فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ما جرى لهؤلاء واما ما جرى للاربعين الذين ارسلهم السلطان فانهم جاؤا الى بيت على نور الدين فكسروا الابواب ودخلوا وطافوا جميع الاماكن فلم يقعوا لهما على خبر فهدموا الدار ورجعوا واعلموا السلطان فقال اطلبوهما من اى مكان كانا فيه فقالوا السمع والطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوى الى بيته بعد ان خلع عليه السلطان خلعة وقال له لا يأخذ بثارك الا انا فدعا له بطول البقاء واطمان قلبه ثم ان السلطان امر ان ينادى فى المدينة يامعاشر الناس كافة قد امر مولانا السلطان ان من عثر بعلى نور الدين ابن خاقان وجاء به الى السلطان خلع عليه خلعة واعطاه الف دينار ومن اخفاه او عرف مكانه ولم يخبر به فانه يستحق ما يجرى له من النكال فصار جميع الناس فى التفتيش على نور الدين فلم يعرفوا له اثرا هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر على نور

الدين وجاريته فانهما وصلا بالسلامة الى بغداد فقال الريس هذه بغداد وهي مدينة امينة قد ولى عنها الشتاء ببرده واقبل عليها فصل الربيع بورده وازهرت اشجارها وجرت انهارها فعند ذلك طلع على نور الدين هو وجاريته من المركب واعطى الريس خمسة دنانير ثم سارا قليلا فرمتهما المقادير بين البساتين فجاآ الى مكان فوجداه مكنوسا مرشوشا بمساطب مستطيلة وقواديس معلقة ملآنة بالماء وفوقه مكعب من القصب بطول الزقاق وفي صدر الزقاق باب بستان الا انه مغلوق فقال نور الدين للجارية والله ان هذا المحل مليح فقالت يا سيدي اقعد بنا ساعة على هذه المساطب فطلعا وجلسا على المساطب ثم غسلا وجوههما وايديهما واستلذا بمرور النسيم فناما وجل من لا ينام وكان هذا البستان يسمى بستان النزهة وهناك قصر يقال له قصر الفرجة وهو للخليفة هارون الرشيد وكان الخليفة اذا ضاق صدره يأتي الى هذا البستان ويدخل ذلك القصر فيقعد فيه وكان القصر له ثمانون شباكا ومعلق فيه ثمانون قنديلا وفي وسطه شمعدان كبير من الذهب فاذا دخله الخليفة امر الجواري ان تفتح الشبابيك وامر اسحاق النديم والجواري ان يغنوا فينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولي شيخ كبير يقال له الشيخ ابراهيم واتفق انه خرج ليقضي حاجة من اشغاله فوجد المتفرجين معهم النساء اهل الريبة فغضب غضبا شديدا فصبر الشيخ ابراهيم حتى جاء عنده الخليفة في بعض الايام فاعلمه بذلك فقال الخليفة كل من وجدته على باب البستان فافعل به ما اردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ ابراهيم الخولي لقضاء حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين على باب البستان مغطيين بازار واحد فقال اما عرفا ان الخليفة اعطاني اذنا ان كل من لقيته هنا اقتله ولكن انا اضرب هذين ضربا خفيفا حتى لا يتقرب احد من باب البستان ثم قطع جريدة خضراء وخرج اليهما ورفع يده فبان بياض ابطه واراد ضربهما فتفكر في نفسه وقال يا ابراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين او من ابناء السبيل ورمتهما المقادير هنا فانا اكشف وجوههما وانظر اليهما فرفع الازار عن وجوههما وقال هذان حسنان لا ينبغي ان اضربهما ثم غطى وجوههما وتقدم الى رجل نور الدين وجعل يكبسها ففتح عينه فوجده شيخا كبيرا فاستحى على نور الدين ولم رجليه واستوى قاعدا واخذ يد الشيخ ابراهيم وقبلها فقال له يا ولدي من اين انتم فقال له يا سيدي نحن غرباء وفرت الدمعة من عينه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدي اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى باكرام الغريب ثم قال له يا ولدي اما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك فقال له نور الدين يا سيدي هذا البستان لمن قال يا ولدي هذا البستان ورثته من اهلي وما كان قصد الشيخ ابراهيم بهذا الكلام الا ان يطمئنا ويدخلا البستان فلما سمع نور الدين كلامه شكره وقام هو وجاريته والشيخ ابراهيم قدامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان بابه مقنطر عليه كروم واعنابه مختلفة الالوان الاحمر كانه ياقوت والاسود كانه ابنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الاثمار صنوانا وغير صنوان والاطيار تغرد بالالحان على الاغصان والهزار يترنم والقمري ملأ بصوته المكان والشحرور كانه في تغريده انسان والفاختة كانه شارب نشوان والاشجار قد اينعت اثمارها من كل مأكول ومن كل فاكهة زوجان والمشمش ما بين كافوري ولوزي ومشمش خراسان والبرقوق كانه لون الحسان والقراصية تذهل عقل كل انسان والتين ما بين احمر وابيض واخضر من احسن الالوان والزهر كانه اللؤلؤ والمرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كانه كبريت دنا من النيران والآس والمنثور والخزامة مع شقائق النعمان وتكللت تلك الاوراق بمدامع الغمام وضحك ثغر الاقحوان وصار

النرجس ناظر الى الورد بعيون السودان والاترج كأنه اكواب والليمون كبنادق من ذهب وفرشت الارض بالزهر من سائر الالوان واقبل الربيع فاشرق ببهجته المكان والنهر فى خرير والطير فى هدير والريح فى صفير والزمان فى اعتدال والنسيم فى اعتلال ثم دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلقة فابتهجوا بحسن تلك القاعة وما فيها من اللطائف الغريبة وجلسوا فى بعض الشبابيك فتذكر نور الدين المقامات التى مضت له فقال والله ان هذا المكان فى غاية الحسن لقد اذكرنى بما مضى واطفأ من كربى جمر الغضا ثم ان الشيخ ابراهيم قدم لهما الاكل فاكلا كفايتهما ثم غسلا ايديهما وجلس نور الدين فى شباك من تلك الشبابيك وصاح على جاريته فاتت اليه فصارا ينظران الى الاشجار وقد حملت سائر الاثمار ثم التفت على نور الدين الى الشيخ ابراهيم وقال له يا شيخ ابراهيم اما عندك شئ من الشراب لان الناس يشربون بعد ان يأكلوا فجاءه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد فقال له نور الدين ما هذا الشراب الذى اريده فقال له اتريد الخمر فقال نور الدين نعم فقال اعوذ بالله منها ان لى ثلاثة عشر عاما ما فعلت ذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم لعن شاربه وعاصره وحامله فقال له نور الدين اسمع منى كلمتين قال قل ما شئت قال اذا لم تكن عاصر الخمر ولا شاربه ولا حامله هل يصيبك من لعنهم شئ قال لا قال خذ هذا الدينار وهذين الدرهمين واركب هذا الحمار وقف بعيدا واى انسان وجدته يشترى فصح عليه وقل له خذ هذين الدرهمين واشترى بهذين الدينارين خمرا واحمله على الحمار وحينئذ لا تكون حاملا ولا عاصرا ولا مشتريا ولا يصيبك شئ مما اصاب الجميع فقال الشيخ ابراهيم وقد ضحك من كلامه والله ما رأيت اظرف منك ولا احلى من كلامك فقال له نور الدين نحن صرنا محسوبين عليك وما عليك الا الموافقة فات لنا بجميع ما نحتاج اليه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدى هذا كرارى قدامك وهو الحاصل المعد لامير المؤمنين فادخله وخذ منه ما شئت فان فيه فوق ما تريد فدخل على نور الدين الحاصل فرأى فيه اوانى من الذهب والفضة والبلور مرصعة باصناف الجواهر فاخرج منها ما اراد وسكب الخمر فى البواطى والقنانى وصار هو وجاريته يتعاطيان واندهشا من حسن ما رأيا ثم ان الشيخ ابراهيم جاءلهما بالمشموم وقعد بعيدا عنهما فلم يزالا يشربان وهما فى غاية الفرح حتى تحكم معهما الشراب واحمرت خدودهما وتغازلت عيونهما واسترخت شعورهما فقال الشيخ ابراهيم مالى قاعد بعيدا عنهما كيف لا اقعد عندهما واى وقت اجتمع فى حضرة مثل هذين الاثنين اللذين كانهما قمران ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد فى طرف الايوان فقال له على نور الدين يا سيدى بحياتى عليك ان تتقدم عندنا فتقدم الشيخ ابراهيم عندهما فملأ نور الدين قدحا ونظر الى الشيخ ابراهيم وقال له اشرب حتى تعرف ما لذة طعمه فقال الشيخ ابراهيم اعوذ بالله ان لى ثلاث عشرة سنة ما فعلت شيأ من ذلك فتغافل عنه نور الدين وشرب القدح ورمى نفسه فى الارض واظهر انه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت اليه انيس الجليس وقالت له يا شيخ ابراهيم انظر هذا كيف عمل معى قال لها يا سيدتى ما له قالت دائما يعمل معى هكذا فيشرب ساعة وينام وابقى انا وحدى لا اجد لى نديما ينادمنى على قدحى فاذا شربت فمن يعاطينى واذا غنيت فمن يسمعنى فقال لها الشيخ ابراهيم وقد حنت اعضاؤه ومالت نفسه اليها من كلامها وقال لا ينبغى من النديم ان يكون هكذا ثم ان الجارية ملأت قدحا ونظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت له بحياتى ان تاخذه وتشربه ولا ترده فاقبله واجبر خاطرى فمد الشيخ ابراهيم يده واخذ القدح وشربه وملأت له ثانيا ومدت اليه يدها به وقالت له يا سيدى بقى لك هذا فقال اما والله لا اقدر ان اشربه فقد كفانى الذى شربته فقالت له والله لا بد منه فاخذ القدح

وشربه ثم اعطته الثالث فاخذه واراد ان يشربه واذا بنور الدين هم قاعدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عليا نور الدين هم قاعدا فقال له يا شيخ ابراهيم اى شئ هذا اما حلفت عليك من ساعة فابيت وقلت ان لى ثلاثة عشر عاما ما فعلته فقال الشيخ ابراهيم وقد استحى والله مالى ذنب وانما هى شددت على فضحك نور الدين وقعدوا للمنادمة فالتفتت الجارية وقالت لسيدها سرا يا سيدى اشرب ولا تحلف على الشيخ ابراهيم حتى افرجك عليه فجعلت الجارية تملا وتسقى سيدها وسيدها يملا ويسقيها ولم يزالا كذلك مرة بعد مرة فنظر لهما الشيخ ابراهيم وقال لهما اى شئ هذا وما هذه المنادمة لم لا تسقيانى وقد صرت نديمكما فضحكا من كلامه الى ان اغمى عليهما ثم شربا وسقياه ولا زالوا فى المنادمة الى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية يا شيخ ابراهيم عن اذنك هل اقوم واوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومى ولا توقدى الا شمعة واحدة فنهضت على قدميها وابتدأت من اول الشمع الى ان اوقدت ثمانين شمعة ثم قعدت وبعد ذلك قال نور الدين يا شيخ ابراهيم وانا اى شئ حظى عندك اما تخلينى اوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ ابراهيم قم واوقد قنديلا واحدا ولا تتثاقل انت الاخر فقام وابتدأ من اولها الى ان اوقد ثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ ابراهيم وقد غلب عليه السكر انتما اخرع منى ثم انه نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعا وجلس معهما يتنادمون ويتناشدون الاشعار وابتهج بهم المكان فقدر الله السميع العليم الذى جعل لكل شئ سببا ان الخليفة كان فى تلك الساعة جالسا فى الشبابيك المطلة على ناحية الدجلة فى ضوء القمر فنظر الى تلك الجهة فرأى ضوء القناديل والشموع فى البحر ساطعا فلاحت من الخليفة التفاتة الى القصر الذى فى البستان فرآه يرهج من تلك الشموع والقناديل فقال على بجعفر البرمكى فما كان الا لحظة وقد حضر جعفر بين يدى امير المؤمنين فقال له يا كلب الوزراء اتخدمنى ولم تعلمنى بما يحصل فى مدينة بغداد فقال له جعفر وما سبب هذا الكلام فقال له لولا ان مدينة بغداد اخذت منى ما كان قصر الفرجة مبتهجا بضوء القناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذى يكون له قدرة على هذه الفعال الا اذا كانت الخلافة اخذت منى فقال جعفر وقد ارتعدت فرائصه ومن اخبرك بان قصر الفرجة اوقدت فيه القناديل والشموع وفتحت شبابيكه فقال له تقدم عندى وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر كانه شعلة نار نورها غلب على نور القمر فاراد جعفر ان يعتذر عن الشيخ ابراهيم الخولى ربما يكون هذا الامر باذنه لما رأى فيه من المصلحة فقال يا امير المؤمنين كان الشيخ ابراهيم فى الجمعة التى مضت قال لى يا سيدى جعفر انى اريد ان افرح اولادى فى حياتك وحياة امير المؤمنين فقلت وما مرادك بهذا الكلام فقال لى مرادى ان تأخذ لى اذنا من الخليفة بانى اطاهر اولادى فى البصرة فقلت له افعل ما شئت من فرح اولادك وان شاء الله اجتمع بالخليفة واعلمه بذلك فراح من عندى على هذا الحال ونسيت ان اعلمك فقال الخليفة يا جعفر كان لك عندى ذنب واحد فصار لك عندى ذنبان لانك اخطأت من وجهين الوجه الاول انك ما اعلمتنى بذلك الوجه الثانى انك ما بلغت الشيخ ابراهيم مقصوده فانه ما جاء اليك وقال لك هذا الكلام الا تعريضا بطلب شئ من المال

يستعين به على مقصوده فلم تعطه شيأ ولم تعلمنى حتى اعطيه فقال جعفر يا امير المؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق آبائى واجدادى ما اتم ليلتى الا عنده فانه رجل صالح يتردد الى المشايخ ويحتفل بالفقراء ويواسى المساكين واظن ان الجميع عنده فى هذه الليلة فلابد من الذهاب اليه لعل واحدا منهم يدعو لنا دعوة يحصل لنا بها خير فى الدنيا والآخرة وربما يحصل له نفع فى هذا الامر بحضورى ويفرح بذلك هو واحبابه فقال جعفر يا امير المؤمنين ان معظم الليل قد مضى وهم فى هذه الساعة على وجه الانفضاض فقال الخليفة لابد من الرواح عندهم فسكت جعفر وتحير فى نفسه وصار لا يدرى ما يفعل فنهض الخليفة على قدميه وقام جعفر بين يديه ومعهم مسرور الخادم ومشوا الثلاثة متفكرين ونزلوا من القصر وجعلوا يشقون فى الازقة وهم فى زى التجار الى ان وصلوا الى باب البستان المذكور فتقدم الخليفة فرأى البستان مفتوحا فتعجب وقال انظر يا جعفر الشيخ ابراهيم كيف خلى الباب مفتوحا الى هذا الوقت وما هى عادته ثم انهم دخلوا الى ان انتهوا الى آخر البستان ووقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفر اريد ان اتسلل عليهم قبل ان اطلع عندهم حتى انظر ما عليه المشايخ من النفحات وواردات الكرامات فان لهم شؤنا فى الخلوات والجلوات لانا الآن لم نسمع لهم صوتا ولم نر لهم اثرا ثم ان الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال يا جعفر اريد ان اطلع على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك وانظر اليهم ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع حتى وصل الى الفرع الذى يقابل الشباك وقعد فوقه ونظر من شباك القصر فرأى صبية وصبيا كأنهما قمران سبحان من خلقهما ورأى الشيخ ابراهيم قاعدا وفى يده قدح وهو يقول يا سيدة الملاح الشرب بلا طرب غير فلاح ألم تسمع قول الشاعر

ادرها بالكبير وبالصغير * وخذها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل وقال يا جعفر انا ما رأيت شيأ من كرامات الصالحين مثل ما رأيت فى هذه الليلة فاطلع انت الآخر على هذه الشجرة وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام امير المؤمنين صار متحيرا فى امره وصعد الى اعلا الشجرة واذا به نظر فرأى نور الدين والشيخ ابراهيم والجارية وكان الشيخ ابراهيم فى يده القدح فلما عاين جعفر تلك الحالة ايقن بالهلاك ثم نزل فوقف بين يدى امير المؤمنين فقال الخليفة يا جعفر الحمد لله الذى جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة وكفانا شر تلبيسات الطريقة المزورة فلم يقدر جعفر ان يتكلم من شدة الخجل ثم نظر الخليفة الى جعفر وقال يا ترى من اوصل هؤلاء الى هذا المكان ومن ادخلهم قصرى ولكن مثل هذا الصبى وهذه الصبية ما رأت عينى حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فقال جعفر وقد استرجى رضاء الخليفة صدقت يا امير المؤمنين فقال يا جعفر اطلع بنا على هذا الفرع الذى هو مقابلهم لنتفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة ونظراهما فسمعا الشيخ ابراهيم يقول يا سادتى قد تركت الوقار بشرب العقار ولا يلذ ذلك الا بنغمات الاوتار فقالت له انيس الجليس يا شيخ ابراهيم والله لو كان عندنا شئ من آلات الطرب لكان سرورنا كاملا فلما سمع الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائما على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا ترى ماذا يريد ان يعمل فقال جعفر لا ادرى فغاب الشيخ ابراهيم وعاد ومعه عود فتأمله الخليفة فاذا هو عود اسحاق النديم فقال الخليفة والله ان غنت هذه الجارية ولم تحسن الغناء صلبتكم

كلكم

كلكم وان غنت واحسنت الغناء فانى اعفو عنهم واصلبك انت فقال جعفر اللهم اجعلها لا تحسن الغناء فقال الخليفة لاى شئ فقال لاجل ان تصلبنا كلنا فيؤانس بعضنا بعضا فضحك الخليفة واذا بالجارية اخذت العود واصلحت اوتاره وضربت ضربا يذيب الحديد ويفطن البليد وجعلت تنشد هذه الابيات

اضحى التنائى بديلا من تدانينا * ومذ دنى طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت ماقينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر آمينا
والله ما الخوف ان تقتلونا فى منازلكم * وانما خوفنا ان تأثموا فينا

فقال الخليفة والله يا جعفر عمرى ما سمعت صوتا مطربا مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من على الشجرة هو وجعفر ثم التفت الى جعفر وقال اريد ان اطلع واجلس عندهم واسمع الصبية تغنى قدامى فقال يا امير المؤمنين اذا اطلعت عليهم ربما تكدروا واما الشيخ ابراهيم فانه يموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لابد ان تعرفنى حيلة احتال بها على معرفة حقيقة هذا الامر من غير ان يشعروا باطلاعنا عليهم ثم ان الخليفة وجعفر هو وذهبا الى ناحية الدجلة وهما متفكران فى هذا الامر واذا بصياد واقف يصطاد وكان الصياد تحت شبابيك القصر فرمى شبكته ليصطاد ما يقتات به وكان الخليفة سابقا صاح على الشيخ ابراهيم وقال له ما هذا الصوت الذى سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ ابراهيم صوت الصيادين الذين يصطادون السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنعت الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد يسمى كريما ورأى باب البستان مفتوحا فقال فى نفسه هذا وقت غفلة لعلى استغنم فى هذا الوقت صيدا ثم اخذ شبكته وطرحها فى البحر وصار ينشد هذه الابيات

يا راكب البحر فى الاهوال والهلكه * اقصر عناك فليس الرزق بالحركه
اما ترى البحر والصياد منتصب * فى ليله ونجوم الليل محتبكه
قد مد اطنابه والموج يلطمه * وعينه لم تزل فى كلكل الشبكه
حتى اذا بات مسرورا بها فرحا * والحوت قد حط فى فخ الردى حنكه
وصاحب القصر امسى فيه ليلته * منعم البال فى خير من البركه
وصار مستيقظا من بعد رقدته * اكن فى ملكه ظبى وقد ملكه
سبحان ربى يعطى ذا ويمنع ذا * بعض يصيد وبعض يأكل السمكه

فلما فرغ من شعره واذا بالخليفة وحده واقف على رأسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت اليه لما سمعه سماه باسمه فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال والله يا امير المؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملانى على ما ترى فقال الخليفة اصطد على بختى فتقدم الصياد وقد فرح فرحا شديدا وطرح الشبكة وصبر الى ان اخذت حدها وثبتت فى القرار ثم جذبها اليه فطلع فيها من انواع السمك ما لا يحصى ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل الذى له اذناب ومن البراغيث ما يكاد ان يسير بها على وجه الارض وقلع عمامته من فوق رأسه وكان له ثلاث سنين ما حلها وانما كان اذا رأى خرقة لفها

عليها فلما قلع الجبة والعمامة خلع الخليفة من فوق جسمه ثوبين من الحرير الاسكندرانى والبعلبكى
وملوطة وفرجية ثم قال للصياد خذ هذه والبسها ثم لبس الخليفة جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه
لثاما ثم قال للصياد رح انت الى شغلك فقبل رجل الخليفة وشكره وانشد هذين البيتين

اوليتنى مالا اقوم بشكره * وكفيتنى كل الامور باسرها
فلاشكرنك ماحييت وان امت * شكرتك منى اعظمى فى قبرها

ثم ما فرغ الصياد من شعره حتى جال القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على
رقبته ويرمى ثم قال يا صياد ويلك ما هذا القمل الكثير فى هذه الجبة فقال يا سيدى انه فى هذه الساعة
يؤلمك فاذا مضت عليك جمعة فانك لا تحس به ولا تفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك كيف اخلى هذه
الجبة على جسدى فقال الصياد انى اشتهى ان اقول لك كلاما ولكنى استحى من هيبة الخليفة فقال له قل
ما عندك فقال له قد خطر ببالى يا امير المؤمنين انك اردت ان تتعلم الصيد لاجل ان تكون فى يدك صنعة
تنفعك فان اردت ذلك يا امير المؤمنين فان هذه الجبة تناسبك فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى
الصياد الى حال سبيله واخذ الخليفة مقطف السمك ووضع فوقه قليلا من الحشيش واتى به الى جعفر
ووقف بين يديه فاعتقد جعفر انه كريم الصياد فخاف عليه وقال يا كريم ما جاء بك هنا انج بنفسك فان الخليفة
هنا فى هذه الليلة فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك حتى استلقى على قفاه فقال له جعفر لعلك
مولانا امير المؤمنين فقال الخليفة نعم يا جعفر وانت وزيرى وجئت انا واياك هنا وما عرفتنى فكيف يعرفنى
الشيخ ابراهيم وهو سكران فكن مكانك حتى ارجع اليك فقال جعفر سمعا وطاعة ثم ان الخليفة تقدم
الى باب القصر ودقه فقام الشيخ ابراهيم وقال من بالباب فقال له انا يا شيخ ابراهيم قال له من انت قال
انا كريم الصياد وسمعت ان عندك اضيافا فجئت اليك بشئ من السمك فانه مليح وكان نور الدين هو
والجارية يحبان السمك فلما سمعا ذكر السمك فرحا به فرحا شديدا وقالا يا سيدى افتح له ودعه يدخل لنا
بالسمك الذى معه ففتح الشيخ ابراهيم الباب فدخل الخليفة وهو فى صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال
له الشيخ ابراهيم اهلا باللص السارق المقامر تعال ارنا السمك الذى معك فاراهم اياه فلما نظروه فاذا هو حى
يتحرك فقالت الجارية والله يا سيدى ان هذا السمك مليح ياليته مقلى فقال الشيخ ابراهيم والله صدقت
ثم قال للخليفة يا صياد ليتك جئت بهذا السمك مقليا قم فاقله لنا وهاته فقال الخليفة على الرأس
اقليه واجئ به فقالوا له عجل بقليه والاتيان به فقام الخليفة يجرى حتى وصل الى جعفر وقال يا جعفر
طلبوا السمك مقليا فقال يا امير المؤمنين هاته وانا اقليه فقال الخليفة وتربة ابائى واجدادى ما يقليه
الا انا بيدى ثم ان الخليفة ذهب الى خص الخولى وفتش فيه فوجد فيه كل شئ يحتاج اليه من آلة
القلى حتى الملح والزعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قليا مليحا فلما استوى جعله على
ورق الموز واخذ من البستان ليمونا وطلع بالسمك ووضعه بين ايديهم فتقدم الصبى والصبية والشيخ
ابراهيم واكلوا فلما فرغوا غسلوا ايديهم فقال نور الدين والله يا صياد انك صنعت معنا معروفا فى هذه
الليلة ثم وضع يده فى جيبه واخرج له ثلاثة دنانير من الدنانير التى اعطاه اياها سنجر وقت خروجه للسفر
وقال يا صياد اعذرنى فوالله لو عرفتك قبل الذى حصل لى سابقا لكنت نزعت مرارة الفقر من قلبك
لكن خذ هذا بحسب الحال ثم رمى الدنانير للخليفة فاخذها الخليفة وقبلها ووضعها فى جيبه وما كان
مراد الخليفة بذلك الا السماع من الجارية وهى تغنى فقال له الخليفة احسنت وتفضلت لكن مرادى

من

من تصدقك العجمية ان هذه الجارية تغنى لنا صوتا حتى اسمعها فقال على نور الدين يا انيس الجليس قالت نعم قال لها وحياتى ان تغنى لنا شيأ من شأن خاطر هذا الصياد لانه يريد ان يسمعك فلما سمعت كلام سيدها اخذت العود وغمزته بعد ان عركت اذنه وانشدت هذين البيتين

وغادة لعبت بالعود انملها * فعادت النفس عند الجس تختلس
قد اسمعت بالاغانى من به صمم * وقال احسنت مغنى من به خرس

ثم انها ضربت ضربا غريبا الى ان اذهلت العقول وانشدت تقول هذين البيتين

ولقد شرفنا اذ نزلتم ارضنا * ومحاسنا كم ظلمة الديجور
فيحق لى انى اخلق منزلى * بالمسك والماورد والكافور

فعند ذلك اضطرب الخليفة وغلب عليه الوجد فلم يملك نفسه من شدة الطرب وصار يقول طيبك الله طيبك الله طيبك الله فقال نور الدين يا صياد هل اعجبتك الجارية وتحريكها الاوتار فقال الخليفة اى والله فقال نور الدين هى هبة منى اليك هبة كريم لا يرجع فى عطائه ثم ان نور الدين نهض قائما على قدميه واخذ ملوطة ورماها على الخليفة وهو فى صورة الصياد وامره ان يخرج ويروح بالجارية فنظرت الجارية اليه وقالت يا سيدى هل انت رائح بلا وداع ان كان ولا بد فقف حتى اودعك وانشدت هذين البيتين

لئن غبتم عنى فان محلكم * لفى مهجتى بين الجوانح والحشا
وارجو من الرحمن جمعا لشملنا * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

فلما فرغت من شعرها اجابها نور الدين وهو يقول

ودعتنى يوم الفراق وقالت * وهى تبكى من لوعة وفراق
ما الذى انت صانع بعد بعدى * قلت قولى هذا لمن هو باق

ثم ان الخليفة لما سمع ذلك صعب عليه التفريق بينهما والتفت الى الصبى وقال له يا سيدى هل انت خائف من جناية او لاحد عليك دين فقال نور الدين والله يا صياد انه جرى لى ولهذه الجارية حديث عجيب وامر غريب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الخليفة اما تحدثنا بحديثك وتعرفنا بخبرك عسى ان يكون لك فيه فرج فان فرج الله قريب فقال نور الدين يا صياد هل تسمع حديثنا نظما او نثرا فقال الخليفة النثر كلام والشعر نظام فعند ذلك اطرق نور الدين رأسه الى الارض وانشأ يقول هذه الابيات

يا خليلى انى هجرت رقادى * وهمومى نمت لبعد بلادى
كان لى والد على شفوقا * غاب عنى مجاور الالحاد
وجرت لى من بعد ذا امور * صرت منها مفتت الاكباد
اشترى لى من الحسان فتاة * مثل غصن بقدها الميادى
فصرفت الذى ورثت عليها * وتخيرتها على الاجواد
سمتها البيع اذ تزايد همى * وجوى البين لم يكن بمرادى
واذا ما دعا اليها مناد * زاد فيها شيخ كثير الفساد
فلهذا اغتظت غيظا شديدا * وللمكى جذبتها باياد
فتردى ذاك اللئيم بقبح * ثم قادت فيه لظى الاحقاد

من غرامي لكمته بيميني ✻ وشمالي حتى شفيت فؤادي
ومن الخوف قد اتيت لداري ✻ وتيقنت سطوة الاضداد
فهدى مالك البلاد لحبسي ✻ فاتى الحاجب الرشيد السداد
رامز الى انى اسير بعيدا ✻ عن ذراهم مكمدا حسادي
فطلعنا من دارنا جنح ليل ✻ طالبين المقام فى بغداد
ليس شئ من الذخائر عندي ✻ دونها منحة الى الصياد
غير انى اعطيك محبوب قلبي ✻ فتيقن انى وهبت فؤادي

فلما فرغ من شعره قال الخليفة ياسيدى نور الدين اشرح لى امرك فاخبره نور الدين بحاله من اوله الى آخره فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له اين تقصد فى هذه الساعة قال له بلاد الله فسيحة فقال له الخليفة انا اكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشئ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة لما قال لعلي نور الدين انا اكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزيني فاذا قرأها لا يضرك بشئ فقال له علي نور الدين وهل فى الدنيا صياد يكاتب الملوك ان هذا شئ لا يكون ابدا فقال له الخليفة صدقت ولكن انا اخبرك بالسبب اعلم انى قرأت انا واياه فى مكتب واحد عند فقيه وكنت انا عريفه ثم ادركته السعادة وصار سلطانا وجعلنى الله صيادا ولكنى لم ارسل اليه فى حاجة الا قضاها ولو ارسلت اليه فى كل يوم من شأن الف حاجة لقضاها فلما سمع نور الدين كلامه قال له اكتب حتى انظر فاخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة اما بعد فان هذا الكتاب من هارون الرشيد ابن المهدى الى حضرة محمد بن سليمان الزيني المشمول بنعمتى الذى جعلته نائبا عنى فى بعض مملكتى واعرفك ان الواصل اليك هذا الكتاب صحبة نور الدين بن خاقان الوزير فساعة وصوله عندكم تنزع نفسك من الملك وتجلسه مكانك فانى قد وليته على ما كنت وليتك عليه سابقا فلا تخالف امرى والسلام ثم اعطى على نور الدين بن خاقان الكتاب فاخذه نور الدين وقبله وحطه فى عمامته ونزل فى الوقت مسافرا هذا ما كان من امره واما ما كان من امر الخليفة فان الشيخ ابراهيم نظر اليه وهو فى صورة الصياد وقال له يا احقر الصيادين قد جئت لنا بسمكتين تساويان عشرين نصفا فاخذت ثلاثة دنانير وتريد ان تأخذ الجارية ايضا فلما سمع كلامه صاح عليه واومأ الى مسرور فاشهر نفسه وهجم عليه وكان جعفر قد ارسل رجلا من صبيان البستان الى بواب القصر يطلب منه بدلة لامير المؤمنين فذهب الرجل وطلع بالبدلة وقبل الارض بين يدى الخليفة فخلع عليه الخليفة ما كان عليه ولبس تلك البدلة وكان الشيخ ابراهيم جالسا على كرسى والخليفة واقف ينظر ما يجرى فعند ذلك بهت الشيخ ابراهيم وصار يعض فى انامله من الخجل ويقول ياترى هل انا نائم ام يقظان فنظر اليه الخليفة وقال ياشيخ ابراهيم ما هذا الحال الذى انت فيه فعند ذلك افاق من سكره ورمى نفسه على الارض وانشد هذين البيتين

هب لى جناية مازلت به القدم ✻ فان للعبد من ساداته كرم
فعلت ما يقتضيه الذنب معترفا ✻ فاين ما يقتضيه العفو والكرم

فرفعا عنه الخليفة وامر بالجارية ان تحمل الى القصر فلما وصلت الى القصر افرد لها الخليفة منزلا وحدها ووكل بها من يخدمها وقال لها اعلمى انى ارسلت سيدك سلطانا على البصرة فان شاء الله نرسل اليه خلعة ونرسلك اليه صحبتها هذا ما جرى لهؤلاء واما ما جرى لنور الدين على بن خاقان فانه لا زال مسافرا حتى دخل البصرة وطلع قصر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه قبل الارض قدامه ثم اخرج الورقة واعطاه اياها فلما رأى عنوان الكتاب بخط امير المؤمنين قام واقفا على قدميه وقبلها ثلاث مرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولامير المؤمنين ثم احضر القضاة الاربعة والامراء واراد ان يخلع نفسه من الملك واذا بالوزير المعين ابن ساوى قد حضر فاعطاه السلطان ورقة امير المؤمنين فلما قرأها قطعها عن اخرها واخذها فى فمه ومضغها ورماها فقال له السلطان وقد غضب ويلك ما الذى حملك على هذه الفعال قال له هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره وانما هو علق شيطان مكار وقع بورقة فيها خط الخليفة فزورها وكتب فيها ما اراد فلاى شئ تعزل نفسك من السلطنة مع ان الخليفة لم يرسل اليك رسولا بخط شريف ولو كان هذا الامر صحيحا لارسل معه حاجبا او وزيرا لكنه جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له ارسل معى هذا الشاب وانا اخذه واتسلمه منك وارسله صحبة حاجب الى مدينة بغداد فان كان كلامه صحيحا ياتينا بخط شريف وتقليد وان كان غير صحيح يرسلوه الينا مع الحاجب وانا اخذ حقى من غريمى فلما سمع السلطان كلام الوزير ودخل عقله صاح على الغلمان فطرحوه وضربوه الى ان اغمى عليه ثم امر ان يضعوا فى رجليه قيدا وصاح على السجان فلما حضر قبل الارض بين يديه وكان هذا السجان يقال له قطيط فقال له يا قطيط اريد ان تأخذ هذا وترميه فى مطمورة من المطامير التى عندك فى السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقال السجان سمعا وطاعة ثم ان السجان ادخل نور الدين فى السجن وقفل عليه الباب ثم امر بكنس مصطبة وراء الباب وفرشها بسجادة ومخدة واقعد نور الدين عليها وفك قيده واحسن اليه وكان كل يوم يرسل الى السجان ويأمره بضربه والسجان يظهر انه يعاقبه وهو يلاطفه ولم يزل كذلك مدة اربعين يوما فلما كان اليوم الحادى والاربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رآها السلطان اعجبته فشاور الوزراء فى امرها فقال بعض لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين بن ساوى انما كان المناسب قتله وقت قدومه فقال السلطان والله لقد ذكرتنى به انزل هاته واضرب عنقه فقال الوزير سمعا وطاعة فقام وقال له ان قصدى ان انادى فى المدينة من اراد ان يتفرج على ضرب رقبة نور الدين على بن خاقان فليأت الى القصر فيأتى جميع الناس ليتفرجوا عليه لاشفى فؤادى واكمد حسادى فقال له السلطان افعل ما تريد فنزل الوزير وهو فرحان مسرور واقبل على الوالى وامره ان ينادى بما ذكرناه فلما سمع الناس المنادى حزنوا وبكوا جميعا حتى الصغار فى المكاتب والسوقة فى دكاكينهم وتسابق الناس ياخذون لهم اماكن ليتفرجوا فيها وذهب بعض الناس الى السجن حتى يأتى معه ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك الى السجن فقال قطيط السجان ما تطلب يا مولانا الوزير فقال احضر لى هذا العلق فقال السجان انه فى اقبح حال من كثرة ما ضربته ثم دخل السجان فوجده ينشد هذه الابيات

من لى يساعدنى على بلواتى * فقد اعتلى دائى وعز دوائى
والهجر اضنى مهجتى وحشاشتى * والدهر رد احبتى اعدائى
يا قوم هل فيكم رفيق مشفق * يرثى لحالى او يجيب ندائى

فالموت هان على مع سكراته * وقطعت من طيب الحياة رجائى
يارب بالهادى البشير المصطفى * بحر المكارم سيد الشفعاء
ادعوك تنقذنى وتغفر زلتى * وتزيل عنى شقوتى وعنائى

فعند ذلك نزع عنه السجان ثيابه النظاف والبسه ثوبين وسخين ونزل به الى الوزير فنظر نور الدين فرآه عدوه الذى لا زال يطلب قتله فلما رآه بكى وقال له هل امنت الدهر اما سمعت قول الشاعر

تحكموا فاستطالوا فى تحكمهم * وعن قريب كان الحكم لم يكن

ثم قال يا وزير اعلم ان الله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد فقال له يا على اتخوفنى بهذا الكلام فانا فى هذا اليوم اضرب رقبتك على رغم انف اهل البصرة ولا التفت الى نصحك وانما التفت الى قول الشاعر

دع الايام تفعل ما تشاء * وطب نفسا بما فعل القضاء

وما احسن قول الاخر

من عاش بعد عدوه * يوما فقد بلغ المنى

ثم ان الوزير امر غلمانه ان يحملوه على ظهر بغل فقال الغلمان لعلى نور الدين وقد صعب عليهم دعنا نرجمه ونقطعه ولو تروح ارواحنا فقال لهم على نور الدين لا تفعلوا ذلك ابدا اما سمعتم قول الشاعر

لابد لى من مدة محتومة * فاذا انقضت ايامها مت
لو ادخلتنى الاسد فى غاباتها * لم تفنها ما دام لى وقت

ثم انهم نادوا على نور الدين هذا اقل جزاء من يزور مكتوبا على الخليفة الى السلطان ولا زالوا يطوفون به فى البصرة الى ان اوقفوه تحت شباك القصر وجعلوه فى منقع الدم وتقدم اليه السياف وقال له انا عبد مأمور فان كان لك حاجة فاخبرنى بها حتى اقضيها لك فانه ما بقى من عمرك الا قدر ما يخرج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يمينا وشمالا وانشد هذه الابيات

فهل فيكم خل شفوق يعيننى * سألتكم بالله رد جوابى
مضى الوقت من عمرى وحانت منيتى * فهل راحم لى كى ينال ثوابى
وينظر فى حالى ويكشف كربتى * بشربة ماء كى يهون عذابى

فتباكت الناس عليه وقام السياف واخذ شربة ماء يناوله اياها فنهض الوزير من مكانه وضرب قلة الماء بيده فكسرها وصاح على السياف وامره بضرب عنقه فعند ذلك عصب عينى على نور الدين فصاح الناس على الوزير واقاموا عليه الصراخ وكثر بينهم القيل والقال فبينما هم كذلك واذا بغبار قد علا وعجاج ملأ الجو والخلا فلما نظر اليه السلطان وهو قاعد فى القصر قال لهم انظروا ما الخبر فقال الوزير حتى تضرب عنق هذا قبل فقال له السلطان اصبر انت حتى ننظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر وزير الخليفة ومن معه وكان السبب فى مجيئهم ان الخليفة مكث ثلاثين يوما لم يتذكر قصة على ابن خاقان ولم يذكرها له احد الى ان جاء ليلة من الليالى الى مقصورة انيس الجليس فسمع بكائها وهى تنشد بصوت رقيق قول الشاعر

خيالك فى التباعد والتدانى * وذكرك لا يفارقه لسانى

وتزايد بكائها واذا بالخليفة قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى انيس الجليس وهى تبكى فلما رأت الخليفة وقعت على قدميه وقبلتهما ثلاث مرات ثم انها انشدت هذين البيتين

الا من زكى اصلا وطاب ولادة * واثمر غصنا يانعا وزكى جنسا
اذكرك الوعد الذى سمحت به * محاسنك الحسنى وحاشاك ان تنسى

فقال الخليفة من انت قالت انا هدية على ابن خاقان اليك واريد انجاز الوعد الذى وعدتنى به من انك ترسلنى اليه مع التشريف والآن لى هنا ثلاثون يوما لم اذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفر البرمكى وقال من منذ ثلاثين يوما لم اسمع بخبر على بن خاقان وما اظن الا ان السلطان قتله ولكن وحياة رأسى وتربة ابائى واجدادى ان كان جرى له امر مكروه لاهلكن من كان سببا فيه ولو كان اعز الناس عندى واريد ان تسافر انت فى هذه الساعة الى البصرة وتأتى باخبار الملك محمد بن سليمان الزينى مع على بن خاقان فامتثل امره وسافر فلما اقبل جعفر نظر ذلك الهرج والمرج والازدحام فقال الوزير جعفر ما هذا الازدحام فذكروا له ما هم فيه من امر على نور الدين بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم اسرع بالطلوع الى السلطان وسلم عليه واعلمه بما جاء فيه وانه اذا كان وقع لعلى نور الدين امر مكروه فان السلطان يهلك من كان السبب فى ذلك ثم انه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوى وامر باطلاق على نور الدين بن خاقان واجلسه سلطانا فى مكان السلطان محمد بن سليمان الزينى وقعد ثلاثة ايام فى البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت على بن خاقان الى جعفر وقال له انى اشتقت الى رؤية امير المؤمنين فقال جعفر للملك محمد بن سليمان تجهز للسفر فاننا نصلى الصبح ونتوجه الى بغداد فقال السمع والطاعة ثم انهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوى وصار يتندم على ما فعله واما على نور الدين بن خاقان فانه ركب بجانب جعفر وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نور الدين فعند ذلك اقبل الخليفة على على بن خاقان وقال له خذ هذا السيف واضرب به رقبة عدوك فاخذه وتقدم الى المعين بن ساوى فنظر اليه وقال له انا عملت بمقتضى طبيعتى فاعمل انت بمقتضى طبيعتك فرمى السيف من يده ونظر الى الخليفة وقال يا امير المؤمنين انه خدعنى وانشد قول الشاعر

فخدعته بخديعة لما اتى * والحر يخدعه الكلام الطيب

فقال له الخليفة اتركه انت ثم قال لمسرور يا مسرور قم انت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلى بن خاقان تمن على فقال يا سيدى انا ما لى حاجة بملك البصرة وما اريد الا مشاهدة وجه خدمتك فقال الخليفة حبا وكرامة ثم ان الخليفة دعا بالجارية فحضرت بين يديه فانعم عليهما واعطاهما قصرا من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه وما زال مقيما عنده الى ان ادركه الممات وليس هذا باعجب من حكاية التاجر واولاده قال الملك وكيف ذلك قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من التجار له مال وله ولد كانه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمى غانم بن ايوب المتيم المسلوب وله اخت اسمها فتنة من فرط حسنها وجمالها فتوفى والدهما وخلف لهما مالا جزيلا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ومن جملة ذلك مائة حمل من القز

والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الاحمال هذا بقصد بغداد وكان مراده ان يسافر الى بغداد
فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة اخذ ولده هذه الاحمال وسافر بها الى بغداد وكان ذلك فى زمن هارون
الرشيد وودع امه واقاربه واهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلا على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى
وصل الى بغداد وكان مسافرا صحبة جماعة من التجار فاستأجر له دارا حسنة وفرشها بالبسط والوسائد
وارخى عليها الستور ونزل فيها تلك الاحمال والبغال والجمال وجلس حتى استراح وسلم عليه تجار بغداد
واكابرها ثم اخذ بقجة فيها عشر تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها اثمانها ونزل بها الى
سوق التجار فلاقوه وسلموا عليه واكرموه وتلقوه بالترحيب وانزلوه على دكان شيخ السوق وباع التفاصيل
فربح فى كل دينار دينارين ففرح غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل شيأ فشيأ ولم يزل كذلك سنة كاملة
وفى اول السنة الثانية جاء الى ذلك السوق فرأى بابه مقفولا فسأل عن سبب ذلك فقيل له انه توفى واحد
من التجار وذهب التجار كلهم يمشون فى جنازته فهل لك ان تكسب اجرا وتمشى معهم قال نعم ثم سأل
عن محل الجنازة فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى ان وصلوا الى المصلى وصلوا على الميت ثم مشى
التجار جميعهم قدام الجنازة الى المقبرة فتبعهم غانم الى ان وصلوا بالجنازة الى المقبرة خارج المدينة ومشوا
بين المقابر حتى وصلوا الى المدفن فوجدوا اهل الميت نصبوا على القبر خيمة واحضروا الشموع والقناديل
ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرون القرأن على ذلك القبر فجلس التجار ومعهم غانم ابن ايوب وهو غالب
عليه الحياء فقال فى نفسه انا لم اقدر ان افارقهم حتى انصرف معهم ثم انهم جلسوا يسمعون القرأن الى
وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلوى فاكلوا حتى اكتفوا وغسلوا ايديهم ثم جلسوا امكانهم
فاشتغل خاطر غانم ببضاعته وخاف من اللصوص فقال فى نفسه انا رجل غريب ومتهم بالمال فان بت
الليلة بعيدا عن منزلى سرق اللصوص ما فيه من المال والاحمال وخاف على متاعه فقام وخرج من بين
الجماعة واستأذنهم على انه يقضى حاجة فصار يمشى ويتبع اثار الطريق حتى جاء الى باب المدينة وكان ذلك
الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلوقا ولم ير احدا غاديا ولا رايحا ولم يسمع صوتا سوى نبيح الكلاب
وعوى الذئاب فقال لا حول ولا قوة الا بالله كنت خائفا على مالى وجئت من اجله فوجدت الباب مغلوقا
فصرت الان خائفا على روحى ثم رجع ينظر له محلا ينام فيه الى الصباح فوجد تربة محوطة باربع حيطان
وفيها نخلة ولها باب من الصوان مفتوح فدخلها واراد ان ينام فلم يجئه نوم واخذته رجفة ووحشة
وهو بين القبور فقام واقفا على قدميه وفتح باب المكان ونظر فرأى نورا يلوح على بعد فى ناحية باب
المدينة فتمشى قليلا فراى النور مقبلا فى الطريق التى توصل الى التربة التى هو فيها فخاف غانم على نفسه
واسرع برد الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى فى قلبها فصار النور يتقرب من التربة شيأ فشيأ
حتى قرب من التربة فتأمل النور فرأى ثلاثة عبيد اثنان حاملان صندوقا وواحد فى يده فاس وفانوس
فلما قربوا من التربة قال احد العبدين الحاملين للصندوق ما لك يا صواب فقال العبد الاخر منهما ما لك
يا كافور فقال اما كنا هنا وقت العشاء وخلينا الباب مفتوحا فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال ها هو مغلوق
متربس فقال لهما الثالث وهو حامل الفاس والنور وكان اسمه بخيتا ما اقل عقلكما اما تعرفان ان اصحاب
الغيطان يخرجون من بغداد ويترددون هنا فيمسى عليهم المسا فيدخلون هنا ويغلقون عليهم الباب
خوفا من السودان الذين هم مثلنا ان يأخذوهم ويشووهم وياكلوهم فقالوا له صدقت وما فينا اقل عقلا
منك فقال لهم انكم لم تصدقونى حتى ندخل التربة ونجد فيها احدا واظن انه اذا كان فيها احد ورأى النور

هرب فوق النخلة فلما سمع غانم كلام العبد قال فى نفسه ما امكر هذا العبد فقبح الله السودان لما فيهم من الخبث واللؤم ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما الذى يخلصنى من هذه الورطة ثم ان الاثنان الحاملان للصندوق قالا للذى معه الفاس تعلق على الحائط وافتح لنا الباب يا صواب لاننا تعبنا من حمل الصندوق على رقابنا فاذا فتحت لنا الباب لك علينا واحد من الذين نمسكهم ونقليه لك قليا جيدا بحيث لا يضيع من دهنه نقطة فقال صواب انا خائف من شئ تذكرته من قلة عقلى وهو اننا نرمى الصندوق وراء الباب لانه ذخيرتنا فقالا له ان رميناه ينكسر فقال انا خائف ان يكون فى داخل التربة الحرامية الذين يقتلون الناس ويسرقون الاشياء لانهم اذا امسى عليهم الوقت يدخلون فى هذه الاماكن ويقسمون ما يكون معهم فقال له الاثنان الحاملان للصندوق يا قليل العقل هل يقدرون ان يدخلوا هنا ثم حملا الصندوق وتعلقا على الحيط ونزلا وفتحا الباب والعبد الثالث الذى هو بخيت واقف لهما بالنور والمقطف الذى فيه بعض من الجبس ثم انهم جلسوا وقفلوا الباب فقال واحد منهم يا اخوتى نحن تعبنا من المشى والشيل والحط وفتح الباب وقفله وهذا الوقت نصف الليل ولم يبق فينا قوة لفتح التربة ودفن الصندوق ولكننا نجلس هنا ثلاث ساعات لنستريح ثم نقوم ونقضى حاجتنا ولكن كل واحد منا يحكى لنا سبب تطويشه وجميع ما وقع له من المبتدا الى المنتهى لاجل فوات هذه الليلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العبيد الثلاثة لما قالوا لبعضهم كل واحد يحكى جميع ما وقع له قال الاول وهو الذى كان حامل النور انا احكى لكم حكايتى فقالوا له تكلم قال لهم اعلموا يا اخوتى انى لما كنت صغيرا جاء بى الجلاب من بلدى وعمرى خمس سنين فباعنى لواحد جاويش وكان له بنت عمرها ثلاث سنين فتربيت معها وكانوا يضحكون على وانا الاعب البنت وارقص لها واغنى لها الى ان صار عمرى اثنى عشر سنة وهى بنت عشر سنين ولا يمنعوننى عنها الى ان دخلت عليها يوما من الايام وهى جالسة فى محل خلوة وكانها خرجت من الحمام الذى فى البيت لانها كانت معطرة مبخرة ووجهها مثل القمر فى ليلة اربعة عشر فلاعبتنى ولاعبتها فنفر احليلى حتى صار مثل المفتاح الكبير فدفعتنى على الارض فوقعت على ظهرى وركبت فوق صدرى وصارت تتمرغ على فانكشف احليلى فلما رأته وهو نافر اخذته بيدها وصارت تحك به على شفائر فرجها من فوق لباسها فهاجت الحرارة عندى وحضنتها فشبكت يديها فى عنقى وقرطت على بجهدها فما شعرت الا واحليلى فتق لباسها ودخل فرجها فازال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت عند بعض اصحابى فدخلت عليها امها فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ثم تداركت امرها واخفت حالها عن ابيها وكتمته وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادوننى ويلاطفوننى حتى اخذونى من المكان الذى كنت فيه ولم يذكروا شيأ من هذا الامر لابيها لانهم كانوا يحبوننى كثيرا ثم ان امها خطبت لها شابا مزينا كان يزين اباها وامهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وابوها لا يعلم بحالها وصاروا يجتهدون فى تحصيل جهازها ثم انهم امسكونى على غفلة وخصونى ولما زفوها للعريس جعلونى طواشيا لها امشى قدامها اينما راحت سواء كان رواحها الى الحمام او الى بيت ابيها وقد ستروا امرها وليلة الدخلة ذبحوا على قميصها

حمامة ومكثت عندها مدة طويلة وانا اتملى بحسنها وجمالها على قدر ما امكننى من تقبيل وعناق الى ان ماتت هى وزوجها وامها وابوها ثم اخذنى بيت المال وصرت فى هذا المكان وقد ارتفقت بكم وهذا سبب قطع احليلى والسلام فقال العبد الثانى اعلموا يا اخوتى انى كنت فى ابتداء امرى ابن ثمان سنين ولكن كنت اكذب على الجلابة فى كل سنة كذبة حتى يقعوا فى بعضهم فقلق منى الجلاب وانزلنى فى يد الدلال وامره ان ينادى من يشترى هذا العبد على عيبه فقيل له وما عيبه قال يكذب فى كل سنة كذبة واحدة فتقدم رجل تاجر الى الدلال وقال له كم اعطوا فى هذا العبد من الثمن على عيبه قال اعطوا ستمائة درهم قال ولك عشرون فجمع بينه وبين الجلاب وقبض منه الدراهم واوصلنى الدلال الى منزل ذلك التاجر واخذ دلالته فكسانى التاجر ما يناسبنى ومكثت عنده باقى سنتى الى ان هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يعملون العزومات وكل يوم على واحد منهم الى ان جاءت العزومة على سيدى فى بستان داخل البلد فراح هو والتجار واخذ لهم ما يحتاجون اليه من اكل وغيره فجلسوا يأكلون ويشربون ويتنادمون الى وقت الظهر فاحتاج سيدى الى مصلحة من البيت فقال يا عبد اركب البغلة ورح الى المنزل وهات من سيدتك الحاجة الفلانية وارجع سريعا فامتثلت امره ورحت الى المنزل فلما قربت من المنزل صرخت وارخيت الدموع فاجتمع اهل الحارة كبارا وصغارا وسمعت صوتى زوجة سيدى وبناته ففتحوا الباب وسألونى عن الخبر فقلت لهم ان سيدى كان جالسا تحت حائط قديمة هو واصحابه فوقعت عليهم فلما رأيت ما جرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعا لاخبركم فلما سمع اولاده وزوجته ذلك الكلام صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم فاتت اليهم الجيران واما زوجة سيدى فانها قلبت متاع البيت بعضه على بعض وخلعت رفوفه وكسرت طيقانه وشبابيكه وسخمت حيطانه بطين ونيلة وقالت ويلك يا كافور تعال ساعدنى واخرب هذه الدواليب وكسر هذه الاوانى والصينى فجئت اليها واخربت معها رفوف البيت واتلفت ما عليها ودواليبه واتلفت ما فيها ودرت على السقوف وعلى كل محل حتى اخربت الجميع وانا اصيح واسيداه ثم خرجت سيدتى مكشوفة الوجه بغطاء رأسها لا غير وخرج معها البنات والاولاد وقالوا يا كافور امش قدامنا وارنا مكان سيدك الذى هو ميت فيه تحت الحائط حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله فى تابوت ونجيء به الى البيت فنخرجه خرجة مليحة فمشيت قدامهم وانا اصيح واسيداه وهم خلفى مكشوفون الوجوه والرؤس يصيحون وامصيبتاه وانكبتاه فلم يبق احد من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا صبية ولا عجوز الا جاء معنا وصاروا كلهم يلطمون وهم فى شدة البكاء فمشيت بهم فى المدينة فسأل الناس عن الخبر فاخبروهم بما سمعوا منى فقال الناس لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اننا نمضى للوالى ونخبره فلما وصلوا الى الوالى اخبروه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انهم لما وصلوا الى الوالى واخبروه قام الوالى وركب واخذ معه الفعلة بالمساحى والقفف ومشوا تابعين اثرى ومعهم كثير من الناس وانا قدامهم ابكى واصيح واحثوا التراب على رأسى والطم على وجهى فلما دخلت عليهم ورآنى سيدى وانا الطم واقول واسيدتاه من يحن على بعد سيدتى يا ليتنى كنت فداها فلما رآنى سيدى بهت واصفر لونه وقال ما لك يا كافور ما هذا الحال وما الخبر

فقلت له انك لما ارسلتنى الى البيت لاجئ لك بالذى طلبته فرحت البيت ودخلته فرأيت الحائط التى
فى القاعة وقعت فانهدمت القاعة كلها على سيدتى واولادها فقال لى وهل سيدتك لم تسلم فقلت له
لا ما سلم منهم احد واول من مات منهم سيدتى الكبيرة فقال وهل سلمت بنتى الصغيرة فقلت له لا فقال لى
وما حال البغلة التى اركبها هل هى سالمة فقلت له لا يا سيدى فان حيطان البيت وحيطان الاصطبل
انطبقت على جميع ما فى البيت حتى على الغنم والاوز والدجاج وصاروا كلهم كوم لحم وصاروا
تحت الردم ولم يبق منهم احد فقال لى ولا سيدك الكبير فقلت له لا فلم يسلم منهم احد وفى هذه الساعة لم يبق
دار ولا سكان ولم يبق من ذلك كله اثر واما الغنم والاوز والدجاج فان الجميع اكلها القطط والكلاب
فلما سمع سيدى كلامى صار الضياء فى وجهه ظلاما ولم يقدر ان يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدر ان يقف
على قدميه بل جاءه الكساح وانكسر ظهره ومزق اثوابه ونتف لحيته ولطم على وجهه ورمى عمامته من
فوق رأسه ولازال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم وصار يصيح آه وااولاداه آه وازوجتاه آه
وامصيبتاه من جرى له مثل ما جرى لى فصاحت التجار رفقاؤه لصياحه وبكوا معه ورثوا لحاله
وشقوا اثوابهم وخرج سيدى من ذلك البستان وهو يلطم من شدة ما جرى له واكثر اللطم على وجهه
وصار كانه سكران فبينما الجماعة خارجون من باب البستان واذا هم نظروا غبرة عظيمة وصياحا
باصوات مزعجة فنظروا الى تلك الجهة فرأوا الجماعة المقبلين وهم الوالى وجماعته والخلق والعالم الذين
يتفرجون واهل التاجر وراءهم يصرخون ويصيحون وهم فى بكاء شديد وحزن زائد فاول من لاقى سيدى
زوجته واولاده فلما رآهم بهت وضحك وقال لهم ما حالكم انتم وما حصل لكم فى الدار وما جرى لكم فلما
رأوه قالوا الحمد لله على سلامتك انت ورموا انفسهم عليه وتعلقت اولاده به وصاحوا واابتاه الحمد لله
على سلامتك يا ابانا وقالت له زوجته الحمد لله الذى ارانا وجهك بسلامة وقد اندهشت وطار عقلها لما رأته
وقالت له كيف كانت سلامتك انت واصحابك فقال لها وكيف كان حالكم فى الدار فقالوا نحن طيبون
بخير وعافية وما اصاب دارنا شئ من الشر غير ان عبدك كافورا جاءنا مكشوف الرأس ممزق الاثواب
وهو يصيح واسيداه واسيداه فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال ان سيدى جلس تحت حائط فى البستان
ليقضى حاجة فوقعت عليه فمات فقال لهم سيدى والله انه اتانى فى هذه الساعة وهو يصيح واسيدتاه
واولاد سيدتاه وقال ان سيدتى واولادها ماتوا جميعا ثم نظر الى جانبه فرآنى وعمامتى ساقطة فى رأسى
وانا اصيح وابكى بكاء شديدا واحثو التراب على رأسى فصرخ على فاقبلت عليه فقال لى ويلك يا عبد النحس
يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ما هذه الوقائع التى عملتها ولكن والله لاسلخن جلدك عن لحمك واقطعن لحمك
عن عظمك فقلت له والله ما تقدر ان تعمل معى شيئا لانك قد اشتريتنى على عيبى بهذا الشرط والشهود
يشهدون عليك حين اشتريتنى على عيبى وانت عالم به وهو انى اكذب فى كل سنة كذبة واحدة وهذه
نصف كذبة فاذا كملت السنة كذبت نصفها الآخر فتبقى كذبة كاملة فصاح على يا العن العبيد هل هذا
كله نصف كذبة وانما هو داهية كبيرة اذهب عنى فانت حر فقلت والله ان اعتقتنى انت ما اعتقك انا
حتى تكمل السنة واكذب نصف الكذبة الباقى وبعد ان اتمها فانزل بى السوق وبعنى بما اشتريتنى به
على عيبى ولا تعتقنى فاننى ما لى صنعة اقتات منها وهذه المسألة التى ذكرتها الشرعية ذكرها الفقهاء
فى باب العتق فبينما نحن فى الكلام واذا بالخلائق والناس واهل الحارة نساء ورجالا قد جاؤا يعملون
العزاء وجاء الوالى وجماعته فراح سيدى والتجار الى الوالى واعلموه بالقضية وان هذه نصف كذبة فلما

سمع الحاضرون ذلك منه استعظموا تلك الكذبة وتعجبوا غاية العجب فلعنونى وشتمونى فبقيت واقفا اضحك
واقول كيف يقتلنى سيدى وقد اشترانى على هذا العيب فلما مضى سيدى الى البيت وجده خرابا وانا الذى
اخربت معظمه وكسرت فيه شيأ يساوى جملة من المال فقالت له زوجته ان كافورا هو الذى كسر
الاوانى والصينى فازداد غيظه وقال والله عمرى ما رأيت ولد زنا مثل هذا العبد ويقول انها نصف كذبة
فكيف لو كانت كذبة كاملة فحينئذ كان اخرب مدينة او مدينتين ثم ذهب من شدة غيظه الى الوالى
فضربنى علقة شديدة حتى غبت عن الدنيا وغشى على فاتانى بالمزين فى حال غشيتى فخصانى وكوانى
فلما استفقت وجدت نفسى خصيا وقال لى سيدى مثل ما احرقت قلبى على اعز الشئ عندى احرقت قلبك
على اعز الشئ عندك ثم اخذنى فباعنى باغلا ثمن لانى صرت طواشيا ومازلت القى الفتن فى الاماكن
التى اباع فيها وانتقل من امير الى امير ومن كبير الى كبير بالبيع والشراء حتى دخلت قصر امير المؤمنين وقد
انكسرت نفسى وضعفت قوتى وعدمت خصاى فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له انك خبيث
ابن خبيث قد كذبت كذبا شنيعا ثم قالوا للعبد الثالث احك لنا حكايتك قال لهم يا اولاد عمى كلما حكاه هذا
بطال فانا احكى لكم سبب قطع خصاى وقد كنت استحق اكثر من ذلك لانى كنت نكت سيدتى وابن سيدى
والحكاية معى طويلة وما هذا وقت حكايتها لان الصباح يا اولاد عمى قريب وربما يطلع علينا الصباح
ومعنا هذا الصندوق فنفتضح بين الناس وتروح ارواحنا فدونكم فتح الباب فاذا فتحناه ودخلنا
محلنا قلت لكم على سبب قطع خصاى ثم تعلق ونزل من الحيط وفتح الباب فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا
حفرة على قدر الصندوق بين اربعة قبور وصار كافور يحفر وصواب ينقل التراب بالقفف الى ان حفروا
نصف قامة ثم حطوا الصندوق فى الحفرة وردوا عليه التراب وخرجوا من التربة وردوا الباب وغابوا عن
عين غانم بن ايوب فلما خلا لغانم المكان وعلم انه وحده اشتغل سره بما فى الصندوق وقال فى نفسه يا ترى
اى شئ فى الصندوق ثم صبر حتى برق الفجر ولاح وبان ضياؤه فنزل من فوق النخلة وازال التراب بيده حتى
كشف الصندوق وخلصه ثم اخذ حجرا وضرب به القفل فكسره وكشف الغطاء ونظر فيه فرأى صبية
نائمة مبنجة ونفسها طالع نازل الا انها ذات حسن وجمال وعليها حلى ومصاغ من الذهب وقلائد
من الجواهر تساوى ملك السلطان ما يفى بثمنها مال فلما رآها غانم بن ايوب عرف انهم تغامزوا عليها
فلما تحقق ذلك الامر عالج فيها حتى اخرجها من الصندوق ورقدها على قفاها فلما استنشقت الارياح
ودخل الهواء فى مناخرها ومنافسها عطست ثم شرقت وسعلت فوقع من حلقها قرص بنج لو شمه
الفيل لرقد من الليل الى الليل ففتحت عينيها وادارت طرفها وقالت بكلام فصيح ويلك يا ريح ما فيك رى
للعطشان ولا انس للريان اين زهر البستان فلم يجاوبها احد فالتفتت وقالت صبيحة شجرة الدر نور الهدى
نجمة الصبح انت فى شهر نزهة حلوة ظريفة تكلموا فلم يجبها احد فجالت بطرفها وقالت ويلى عند
انزالى فى القبور يا من يعلم ما فى الصدور ويجازى يوم البعث والنشور من جابنى من بين الستور والخدور
ووضعنى بين اربعة قبور هذا كله وغانم واقف على قدميه فقال لها يا سيدتى لا خدور ولا قصور ولا قبور
ما هذا الا عبدك غانم بن ايوب ساقه الملك علام الغيوب حتى ينجيك من هذه الكروب ويحصل لك غاية
المطلوب وسكت فلما تحققت الامر قالت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله والتفتت الى غانم
وقد وضعت يديها على صدرها وقالت له بكلام عذب ايها الشاب المبارك من جابنى الى هذا المكان
فها انا قد افقت فقال يا سيدتى ثلاثة عبيد خصيون اتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع

ماجرى وكيف امسى عليه المساء حتى كان سبب سلامتها والا كانت ماتت بغصتها ثم سألها عن حكايتها وخبرها فقالت له ايها الشاب الحمد لله الذى رمانى عند مثلك فقم الآن وحطنى فى الصندوق واخرج الى الطريق فاذا وجدت مكاريا او بغالا فاكتره لحمل هذا الصندوق ووصلنى الى بيتك فاذا صرت فى دارك يكون خيرا واحكى لك حكايتى واخبرك بقصتى ويحصل لك الخير من جهتى ففرح وخرج الى البرية وقد شعشع النهار وطلعت الشمس بالانوار وخرجت الناس ومشوا فاكترى رجلا ببغل واتى به الى التربة فحمل الصندوق بعدما حط فيه الصبية ووقعت محبتها فى قلبه وسار بها وهو فرحان لانها جارية تساوى عشرة الاف دينار وعليها حلى وحلل تساوى مالا جزيلا وما صدق ان يصل الى داره ونزل الصندوق وفتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان غانما ابن ايوب وصل الى داره بالصندوق وفتحه واخرج الصبية منه ونظرت فرأت هذا المكان محلا مليحا مفروشا بالبسط الملونة والالوان المفرحة وغير ذلك ورأت قماشا محزوما واحمالا وغير ذلك فعلمت انه تاجر كبير صاحب اموال ثم انها كشفت وجهها ونظرت اليه فاذا هو شاب مليح فلما رأته احبته وقالت له هات لنا شيأ نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثم نزل السوق واشترى خاروفا مشويا وصحن حلاوة واخذ معه نقلا وشمعا واخذ معه نبيذا وما يحتاج اليه الامر من آلة المشموم واتى الى البيت ودخل بالحوايج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته واعتنقته وصارت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم اكلا وشربا الى ان اقبل الليل وقد حب بعضهم بعضا لانهما كانا فى سن واحد وحسن واحد فلما اقبل الليل قام المتيم المسلوب غانم بن ايوب واوقد الشموع والقناديل فاضاء المكان واحضر آلة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو واياها وكان يملأ ويسقيها وهى تملأ وتسقيه وهما يلعبان ويضحكان وينشدان الاشعار وزاد بهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك الى قرب الصبح فغلب عليهم النوم فنام كل منهما فى موضعه الى ان اصبح الصباح فقام غانم بن ايوب وخرج الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من خضرة ولحم وخمر وغيره واتى به الى الدار وجلس هو واياها يأكلان فاكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك احضر الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما حتى احمرت وجناتهما واسودت اعينهما واشتاقت نفس غانم بن ايوب الى تقبيل الجارية والنوم معها فقال لها يا سيدتى ائذنى لى بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبى فقالت يا غانم اصبر حتى اسكر واغيب واسمح لك سرا بحيث لم اشعر انك قبلتنى ثم انها قامت على قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت فى قميص رفيع وكوفية فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال يا سيدتى اما تسمحين لى بما طلبته منك فقالت والله لا يصح لك ذلك لانه مكتوب على دكة لباسى قول صعب فانكسر خاطر غانم بن ايوب وزاد عنده الغرام لما عز المطلوب فانشد هذه الابيات

سألته من امرضنى ※ فى قبلة تشفى السقم
فقال لا لا ابدا ※ قلت له نعم نعم
فقال خذها بالرضى ※ من الحلال وابتسم
فقلت غصبا قال لا ※ الا على رأس علم

فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم
فقلن ما شئت بنا * فالحب يحلو بالتهم
ولا ابالى بعد ذا * ان باح يوما او كتم

ثم زادت محبته وانطلقت النيران فى مهجته هذا وهى تمتنع منه وتقول ما لك وصول ولم يزالا فى عشقهما ومنادمتهما وغانم ابن ايوب غريق فى بحر الهيام واما هى فانها قد ازدادت قسوة وامتناعا الى ان دخل الليل بالظلام وارخى عليهما ذيل المنام فقام غانم واشعل القناديل واوقد الشموع وزاد بهجة المقام واخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطرى فمرغ وجهه عليهما وقال يا سيدتى ارحمى اسير هواك ومن قتلت عيناك كنت سليم القلب لولاك ثم بكى قليلا فقالت له يا سيدى ونور عينى انا والله لك عاشقة وبك واثقة ولكن انا اعرف انك لا تصل الى فقال لها وما المانع فقالت له سأحكى لك فى هذه الليلة قصتى حتى تقبل عذرى ثم انها ترامت عليه وطوقت على رقبته بيدها وصارت تقبله وتلاطفه ثم وعدته بالوصال ولم يزالا يلعبان ويضحكان حتى تمكن حب بعضهما من بعض ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى كل ليلة ينامان على فرش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز عنه مدة شهر كامل وتمكن حب كل واحد منهما من قلب الآخر ولم يبق لهما صبر عن بعضهما الى ان كانت ليلة من الليالى وهو راقد معها والاثنان سكرانان فمد يده على جسدها وملس ثم مر بيده على بطنها ونزل الى سرتها فانتبهت وقعدت وتعهدت اللباس فوجدته مربوطا فنامت ثانيا فلمس عليها بيده ونزل بها الى سروالها وتكتها وجذبها فانتبهت وقعدت وقعد غانم الى جانبها فقالت له ما الذى تريد قال اريد ان انام معك واتصافى انا وانت فعند ذلك قالت له انا الآن اوضح لك امرى حتى تعرف قدرى وينكشف لك سرى ويظهر لك عذرى قال نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدت يدها الى تكة لباسها وقالت له يا سيدى اقرأ الذى على هذا الطرف فاخذ طرف التكة فى يده ونظره فوجده مرقوما عليه بالذهب انا لك وانت لى يا ابن عم النبى فلما قرأه نتر يده وقال لها اكشفى لى عن خبرك قالت نعم اعلم اننى محظية امير المؤمنين واسمى قوت القلوب وان امير المؤمنين لما ربانى فى قصره وكبرت نظر الى صفاتى وما اعطانى ربى من الحسن والجمال فاحبنى محبة زائدة واخذنى واسكننى فى مقصورة وامر لى بعشر جوارى يخدموننى ثم انه اعطانى ذلك المصاغ الذى تراه معى ثم ان الخليفة سافر يوما من الايام الى بعض البلاد فجاءت السيدة زبيدة الى بعض الجوارى التى فى خدمتى وقالت اذا نامت سيدتك قوت القلوب فحطى هذه القطعة البنج فى انفها او فى شرابها ولك على من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حبا وكرامة ثم ان الجارية اخذت البنج منها وهى فرحانة لاجل المال ولكونها كانت فى الاصل جاريتها فجاءت الى ووضعت البنج فى جوفى فوقعت على الارض وصارت رأسى عند رجلى ورأيت نفسى فى دنيا اخرى ولما تمت حيلتها حطتنى فى ذلك الصندوق واحضرت العبيد سرا وانعمت عليهم وعلى البوابين وارسلتنى مع العبيد فى الليلة التى كنت نائما فيها فوق النخلة وفعلوا معى ما رأيت وكانت نجاتى على يديك وانت اتيت بى الى هذا المكان واحسنت الى غاية الاحسان وهذه قصتى وما اعرف الذى جرى للخليفة فى غيبتى فاعرف قدرى ولا تشهر امرى فلما سمع غانم ابن ايوب كلام قوت القلوب وتحقق انها محظية الخليفة تأخر الى ورائه خيفة من هيبة الخليفة وجلس وحده فى ناحية من المكان يعاتب نفسه ويتفكر فى امره وصار متحيرا فى عشق التى ليس له اليها وصول فبكى من شدة الغرام ولوعة الوجد والهيام وصار يشكو الزمان وما له من العدوان فسبحان

من اشغل قلوب الكرام بالمحبة ولم يعط الانذال منها وزن حبة وانشد هذين البيتين

قلب المحب على الاحباب متعوب * وعقله مع بديع الحسن منهوب
وقائل قال لى ما الحب قلت له * الحب عذب ولكن فيه تعذيب

فعند ذلك قامت اليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه فى قلبها وباحت له بسرها وما عندها من المحبة وطوقت على رقبته بيديها وقبلته وهو يمتنع عنها خوفا من الخليفة ثم تحدثا ساعة من الزمان وهما غريقان فى بحر محبة بعضهما الى ان طلع النهار فقام غانم ولبس اثوابه وخرج الى السوق على عادته واخذ ما يحتاج اليه الامر وجاء الى البيت فوجد قوت القلوب تبكى فلما رأته سكتت عن البكاء وتبسمت وقالت له اوحشتنى يا محبوب قلبى والله ان هذه الساعة التى غبتها عنى كسنة فانى لا اقدر على فراقك وها انا قد بينت لك حالى من شدة ولعى بك فقم الآن ودع ما كان واقض اربك منى قال اعوذ بالله ان هذا شىء لا يكون كيف يجلس الكلب فى موضع السبع والذى لمولاى يحرم على ان اقربه ثم جذب نفسه منها وجلس فى ناحية وزادت هى محبة بامتناعه عنها ثم جلست الى جانبه ونادمته ولاعبته فسكرا وهامت بالافتضاح به فغنت منشدة هذه الابيات

قلب المتيم كاد ان يتفتتا * فالى متى هذا الصدود الى متى
يا معرضا عنى بغير جناية * فعوائد الغزلان ان تتلفتا
صد وهجر زائد وصبابة * ما كل هذا الامر يحمله الفتى

فبكى غانم بن ايوب وبكت هى لبكائه ولم يزالا يشربان الى الليل ثم قام غانم وفرش فرشين كل فرش فى مكان وحده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثانى فقال لها هذا لى والآخر لك ومن الليلة لا ننام الا على هذا النمط وكل شىء للسيد حرام على العبد فقالت يا سيدى دعنا من هذا وكل شىء يجرى بقضاء وقدر فابى فانطلقت النار فى قلبها وزاد غرامها فيه وقالت والله ما ننام الا سوا فقال معاذ الله وغلب عليها ونام وحده الى الصباح فزاد بها العشق والغرام واشتد بها الوجد والهيام واقاما على ذلك ثلاثة اشهر طوال وهى كلما تقرب منه يمتنع عنها ويقول كل ما هو مخصوص بالسيد حرام على العبد فلما طال بها المطال مع غانم بن ايوب المتيم المسلوب وزادت بها الشجون والكروب انشدت هذه الابيات

بديع الحسن كم هذا التجنى * ومن اغراك بالاعراض عنى
حويت من الرشاقة كل معنى * وحزت من الملاحة كل فن
واجريت الغرام لكل قلب * ووكلت السهاد بكل جفن
واعرف قبلك الاغصان تجنى * فيا غصن الاراك اراك تجنى
وعهدى بالظبى صيدا فمالى * اراك تصيد ارباب المجن
واعجب ما احدث عنك انى * فتنت وانت لم تعلم بانى
فلا تسمح بوصلك لى فانى * اغار عليك منك فكيف منى
ولست بقائل مادمت حيا * بديع الحسن كم هذا التجنى

واقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانما عنها فهذا ما كان من امر المتيم المسلوب غانم ابن ايوب واما ما كان من امر زبيدة فانها فى غيبة الخليفة فعلت بقوت القلوب ذلك الامر ثم صارت متحيرة تقول فى نفسها ماذا اقول للخليفة اذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابى له فدعت بعجوز كانت عندها واطلعتها

على سرها وقالت لها كيف افعل وقوت القلوب قد فرط فيها القرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمى ياسيدتى انه قرب مجئ الخليفة ولكن ارسلى الى نجار وامريه ان يعمل صورة ميت من خشب ويحفروا له قبرا وتوقد حوله الشموع والقناديل وامرى كل من فى القصران يلبسوا الاسود وامرى جواريك والخدام اذا علموا ان الخليفة اتى من سفره ان يشيعوا الحزن فى الدهاليز فاذا دخل وسأل عن الخبر يقولون له ان قوت القلوب ماتت ويعظم الله اجرك فيها ومن معزتها عند سيدتنا دفنتها فى قصرها فاذا سمع ذلك يبكى ويعز عليه ثم يسهر القراء على قبرها القراءة الختمات فان قال فى نفسه ان بنت عمى زبيدة من غيرتها سعت فى هلاك قوت القلوب او غلب عليه الهيام فامر باخراجها من القبر فلا تفزعى من ذلك ولو حفروا على تلك الصورة التى على هيئة ابن آدم واخرجوها وهى مكفنة بالاكفان الفاخرة فان اراد الخليفة ازالة الاكفان عنها لينظرها فامنعيه انت من ذلك والاخرى تمنعه وتقول له رؤية عورتها حرام فيصدق حينئذ انها ماتت ويردها الى مكانها ويشكرك على فعلك وتخلصين ان شاء الله من هذه الورطة فلما سمعت السيدة زبيدة كلامها رأته صوابا فخلعت عليها خلعة وامرتها ان تفعل ذلك بعدما اعطتها جملة من المال فشرعت العجوز فى ذلك الامر حالا وامرت النجار ان يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها الى السيدة زبيدة فكفنتها واوقدت الشموع والقناديل وفرشت البسط حول القبر ولبست السواد وامرت الجوارى ان يلبسن السواد واشتهر الامر فى القصران قوت القلوب ماتت ثم بعد مدة اقبل الخليفة من غيبته وطلع الى قصره ولكن ماله شغل الا قوت القلوب فرأى الغلمان والخدام والجوارى كلهم لابسين السواد فارتجف فؤاده فلما دخل القصر على السيدة زبيدة رآها لابسة الاسود فسأل عن ذلك فاخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشيا عليه فلما افاق سأل عن قبرها فقالت له السيدة زبيدة اعلم يا امير المؤمنين اننى من معزتها عندى دفنتها فى قصرى فدخل الخليفة بثياب السفر الى القصر ليزور قوت القلوب فوجد البسط مفروشة والشموع والقناديل موقدة فلما رأى ذلك شكرها على فعلها ثم انه صار حائرا فى امره ولم يزل ما بين مصدق ومكذب فلما غلب عليه الوسواس امر بحفر القبر واخراجها منه فلما رأى الكفن واراد ان يزيله عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجوز ردوها الى مكانها ثم ان الخليفة امر فى الحال باحضار الفقهاء والمقرئين وقرؤا الختمات على قبرها وجلس بجانب القبر يبكى الى ان غشى عليه ولم يزل قاعدا على قبرها شهرا كاملا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة لم يزل يتردد على قبرها مدة شهر فاتفق ان الخليفة دخل الحريم بعد انفضاض الامراء والوزراء من بين يديه الى بيوتهم ونام ساعة فجلست عند رأسه جارية وعند رجليه جارية وبعد ان غلب عليه النوم تنبه وفتح عينيه فسمع الجارية التى عند رأسه تقول للتى عند رجليه ويلك يا خيزران قالت لها لاى شئ يا قضيب قالت لها ان سيدنا ليس عنده علم بما جرى حتى انه يسهر على قبر لم يكن فيه الا خشبة منجورة صنعة النجار فقالت لها الاخرى وقوت القلوب اى شئ اصابها فقالت اعلمى ان السيدة زبيدة ارسلت مع جارية بنجا وبنجتها فلما تحكم البنج منها وضعتها فى صندوق وارسلتها مع صواب وكافور وامرتهما ان يرمياها فى التربة فقالت خيزران ويلك يا قضيب هل السيدة قوت القلوب لم

تمت فقالت سلامة نشا بها من الموت ولكن انا سمعت السيدة زبيدة تقول ان قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه غانم الدمشقي وان لها عنده بهذا اليوم اربعة اشهر وسيدنا هذا يبكي ويسهر الليالي على قبر لم يكن فيه ميت وصارتا يتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان من الحديث وعرف القضية وان هذا القبر زور وان قوت القلوب عند غانم بن ايوب مدة اربعة اشهر غضب غضبا شديدا وقام واحضر امراء دولته فعند ذلك اقبل الوزير جعفر البرمكي وقبل الارض بين يديه فقال له الخليفة بغيظ انزل يا جعفر بجماعة واسأل عن بيت غانم بن ايوب واهجموا على داره واتوني بجاريتي قوت القلوب ولابد لي ان اعذبه فاجابه جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر هو واتباعه والوالي صحبته ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى دار غانم وكان غانم خرج في ذلك الوقت وجاء بقدرة لحم واراد ان يمد يده ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منها التفاتة فوجدت البلاء احاط بالدار والوزير والوالي والظلمة والمماليك بسيوف مجردة وداروا به كما يدور بالعين السواد فعند ذلك عرفت ان خبرها وصل الى الخليفة سيدها فايقنت بالهلاك واصفر لونها وتغيرت محاسنها ثم انها نظرت الى غانم وقالت له يا حبيبي فز بنفسك فقال لها كيف اعمل واين اذهب ومالي ورزقي في هذه الدار فقالت له لا تمكث لئلا تهلك ويذهب مالك فقال لها يا حبيبتي ونور عيني كيف اصنع في الخروج وقد احاطوا بالدار فقالت له لا تخف ثم انها نزعت ما عليه من الثياب والبسته خلقانا بالية واخذت القدرة التي كان فيها اللحم ووضعتها فوق رأسه وحطت فيها بعض خبز وزبدية طعام وقالت له اخرج بهذه الحيلة ولا عليك مني فانا اعرف اي شئ في يدي من الخليفة فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما اشارت به عليه خرج من بينهم وهو حامل القدرة وستر عليه الستار ونجا من المكائد والاضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر الى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر الى قوت القلوب وقد تزينت وتبهرجت وملأت صندوقا من ذهب ومصاغ وجواهر وتحف مما خف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها جعفر قامت على قدميها وقبلت الارض بين يديه وقالت له يا سيدي جرى القلم بما حكم الله فلما رأى ذلك جعفر قال لها والله يا سيدتي انه ما اوصاني الا بقبض غانم بن ايوب فقالت اعلم انه حزم تجارات وذهب بها الى دمشق ولا علم لي بغير ذلك واريد ان تحفظ لي هذا الصندوق وتحمله الى قصر امير المؤمنين فقال جعفر السمع والطاعة ثم اخذ الصندوق وامر بحمله وقوت القلوب معهم الى دار الخلافة وهي مكرمة معززة وكان هذا بعد ان نهبوا دار غانم ثم توجهوا الى الخليفة فحكى له جعفر جميع ما جرى فامر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم واسكنها فيه والزم بها عجوزا لقضاء حاجتها لانه ظن ان غانما فحش بها ثم كتب مكتوبا للامير محمد بن سليمان الزيني وكان نائبا في دمشق ومضمونه ساعة وصول المكتوب الى يديك تقبض على غانم بن ايوب وترسله الي فلما وصل المرسوم اليه قبله ووضعه على رأسه ونادى في الاسواق من اراد ان ينهب فعليه بدار غانم بن ايوب فجاؤا الى الدار فوجدوا ام غانم واخته قد صنعتا لهما قبرا وقعدتا عنده يبكيان فقبضوا عليهما ونهبوا الدار ولم يعلما ما الخبر فلما احضروهما عند السلطان سألهما عن غانم بن ايوب فقالتا له من مدة سنة ما وقفنا له على خبر فردوهما الى مكانهما هذا ما كان من امرهما واما ما كان من امر غانم بن ايوب المتيم المسلوب فانه لما سلبت نعمته تحير في امره وصار يبكي على نفسه حتى انفطر قلبه وسار ولم يزل سائرا الى اخر النهار وقد ازداد به الجوع واضر به المشي حتى وصل الى بلد فدخل في المسجد وجلس على برش واسند ظهره الى حائط المسجد وارتمى وهو في غاية الجوع والتعب ولم يزل مقيما هناك الى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب جلده

القمل وصارت رايحته منتنة وتغيرت احواله فاتى اهل تلك البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحا ضعيفا من الجوع وعليه اثار النعمة لايحة فلما اقبلوا عليه وجدوه بردانا جايعا فالبسوه ثوبا عتيقا قد بليت اكمامه وقالوا له من اين انت ياغريب وما سبب ضعفك ففتح عينيه ونظر اليهم وبكى ولم يرد عليهم جوابا ثم ان بعضهم عرف شدة جوعه فذهب وجاء له بسكرجة عسل ورغيفين فاكل وقعدوا عنده حتى طلعت الشمس ثم انصرفوا الى اشغالهم ولم يزل على هذه الحالة شهرا وهو عندهم وقد تزايد عليه الضعف والمرض فتعطفوا عليه وتشاوروا مع بعضهم في امره ثم اتفقوا على ان يوصلوه الى المارستان الذى ببغداد فبينما هم كذلك واذا بامرأتين سائلتين قد دخلتا عليه وهما امه واخته فلما رآهما اعطاهما الخبز الذى عند رأسه ونامتا عنده تلك الليلة ولم يعرفهما فلما كان ثاني يوم اتاه اهل القرية واحضروا جملا وقالوا لصاحبه احمل هذا الضعيف فوق الجمل فاذا وصلت الى بغداد فانزله على باب المارستان لعله يتعافى فيحصل لك الاجر فقال لهم السمع والطاعة ثم انهم اخرجوا غانما بن ايوب من المسجد وحملوه بالبرش الذى هو نايم عليه فوق الجمل وجاءت امه واخته يتفرجان عليه من جملة الناس ولم يعلما به ثم نظرتا اليه وتأملتاه وقالتا انه يشبه غانما ابننا فياترى هل هو هذا الضعيف اولا واما غانم فانه لم يفق الا وهو محمول فوق الجمل فصار يبكي وينوح واهل القرية ينظرون وامه واخته يبكيان عليه ولم يعرفاه ثم سافرت امه واخته الى ان وصلتا الى بغداد واما الجمال فانه لم يزل سائرا به حتى انزله على باب المارستان واخذ جمله ورجع فمكث غانم راقدا هناك الى الصباح فلما درجت الناس في الطريق نظروا اليه وقد صار رق الخلال ولم يزل الناس يتفرجون عليه حتى جاء شيخ السوق ومنع الناس عنه وقال انا اكسب الجنة بهذا المسكين لانهم متى ادخلوه المارستان قتلوه في يوم واحد ثم امر صبيانه بحمله فحملوه الى بيته وفرش له فرشا جديدا ووضع له مخدة جديدة وقال لزوجته اخدميه بنصح فقالت على الرأس ثم تشمرت وسخنت له ماء وغسلت يديه ورجليه وبدنه والبسته ثوبا من لبس جواريها واسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فافاق وتذكر محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب هذا ما كان من امره واما ما كان من امر قوت القلوب فانه لما غضب عليها الخليفة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قوت القلوب لما غضب عليها الخليفة واسكنها في مكان مظلم استمرت فيه على هذا الحال ثمانين يوما فاتفق ان الخليفة مر يوما من الايام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الاشعار فلما فرغت من انشادها قالت يا حبيبي ياغانم ما احسنك وما اعف نفسك قد احسنت لمن اساءك وحفظت حرمة من انتهك حرمتك وسترت حريمه وهو سباك وسبى اهلك ولابد ان تقف انت وامير المؤمنين بين يدى حاكم عادل وتنتصف عليه في يوم يكون القاضي هو الله والشهود هم الملائكة فلما سمع الخليفة كلامها وفهم شكواها علم انها مظلومة فدخل قصره وارسل الخادم لها فلما حضرت بين يديه اطرقت وهي باكية العين حزينة القلب فقال ياقوت القلوب اراك تتظلمين مني وتنسبيني الى الظلم وتزعمين اني اسأت من احسن الي فمن هو الذى حفظ حرمتي وانتهكت حرمته وستر حريمي وسبيت حريمه فقالت له غانم بن ايوب فانه لم يقربني بفاحشة وحق نعمتك يا امير المؤمنين فقال الخليفة لاحول ولا قوة الا بالله ياقوت القلوب تمني علي فانا ابلغك مرادك فقالت تمنيت عليك محبوبي غانما ابن

ايوب

ايوب فلما سمع كلامها قال احضره ان شاء الله مكرما فقالت يا امير المؤمنين ان احضرته تهيئ له فقال ان احضرته وهبتك له هبة كريم لا يرد في عطائه فقالت يا امير المؤمنين ائذن لي ان ادور عليه لعل الله يجمعني به فقال لها افعلي ما بدا لك ففرحت وخرجت ومعها الف دينار فزارت المشايخ وتصدقت عنه وطلعت ثاني يوم الى سوق التجار واعطت عريف السوق دراهم وقالت له تصدق بها على الغربا ثم طلعت ثاني جمعة ومعها الف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجوهرية فطلبت عريف السوق فحضر فدفعت له الف دينار وقالت له تصدق بها على الغرباء فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها هل لك ان تذهبي الى داري وتنظري الى هذا الشاب الغريب ما اظرفه وما اكمله وكان هو غانم بن ايوب المتيم المسلوب ولكن العريف ليس له به معرفة وكان يظن انه رجل مسكين مديون سلبت نعمته او عاشق فارق احبته فلما سمعت كلامه خفق قلبها وتعلقت به احشاؤها فقالت له ارسل معي من يوصلني الى دارك فارسل معها صبيا صغيرا فاوصلها الى الدار التي فيها الغريب فشكرته على ذلك فلما دخلت تلك الدار وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة العريف وقبلت الارض بين يديها لانها عرفتها فقالت لها قوت القلوب ابن الضعيف الذي عندكم فبكت وقالت ها هو يا سيدتي الا انه ابن ناس وعليه اثر النعمة فالتفتت الى الفرش الذي هو راقد عليه وتأملته فرأته كانه هو بذاته ولكنه قد تغير حاله وزاد نحوله ورق الى ان صار كالخلال وانبهم عليها امره فلم تحقق انه هو ولكن اخذتها الشفقة عليه فصارت تبكي وتقول ان الغرباء مساكين وان كانوا امراء في بلادهم ورتبت له الشراب والادوية ثم جلست عند رأسه ساعة وركبت وطلعت الى قصرها وصارت تطلع في كل سوق لاجل التفتيش على غانم ثم ان العريف قد اتى بامه واخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال يا سيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امرأة وبنت وهما من وجوه الناس وعليهما اثر النعمة لائح لكنهما لابستان ثيابا من الشعر وكل واحدة منهما معلقة في رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها انا اتيت بهما اليك لتأويهما وتصونيهما عن ذل السؤال لانهما ليستا اهلا لسؤال اللئام وان شاء الله ندخل بسببهما الجنة فقالت والله يا سيدي لقد شوقتني اليهما واين هما فامرهما بالدخول فعند ذلك دخلت فتنة وامها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذاتا جمال بكت عليهما وقالت والله انهما اولاد نعمة ويلوح عليهما اثر الغنى فقال العريف يا سيدتي انا نحب الفقراء والمساكين لاجل الثواب وهؤلاء ربما جار عليهم الظلمة وسلبوا نعمتهم واخربوا ديارهم ثم ان المرأتان بكتا بكاء شديدا وتفكرتا غانما ابن ايوب المتيم المسلوب فزاد نحيبهما فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما ثم ان امه قالت نسأل الله ان يجمعنا بمن نريده وهو ولدي غانم بن ايوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت ان هذه المرأة ام معشوقها وان الاخرى اخته فبكت حتى غشي عليها فلما افاقت اقبلت عليهما وقالت لهما لا باس عليكما فهذا اليوم اول سعادتكما واخر شقاوتكما فلا تحزنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قوت القلوب قالت لهما لا تحزنا ثم امرت العريف ان يأخذهما الى بيته ويخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابا حسنة وتتوصى بهما وتكرمهما غاية الاكرام واعطته جملة من المال وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف ودخلت عند زوجته

فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت ام غانم واخته وقد ادخلتهما زوجة العريف الحمام ونزعت ما عليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذى عندها فقالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه ونعوده فقامت هى وزوجة العريف وام غانم واخته ودخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن ايوب المتيم المسلوب يذكرن قوت القلوب وكان قد انتحل جسمه ورق عظمه ردت له روحه ورفع رأسه من فوق المخدة ونادى يا قوت القلوب فنظرت اليه وتحققته فعرفته وصاحت بقولها نعم يا حبيبى فقال لها اقربى منى فقالت له لعلك غانم بن ايوب المتيم المسلوب فقال لها نعم انا اياه فعند ذلك وقعت مغشيا عليها فلما سمعت اخته وامه كلامهما صاحتا بقولهما وافرحتاه ووقعتا مغشيا عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذى جمع شملنا بك وبامك واختك وتقدمت اليه وحكت له جميع ما جرى لها مع الخليفة وقالت انى قلت له قد اظهرت لك الحق يا امير المؤمنين فصدق كلامى ورضى عنك وهو اليوم يتمنى ان يراك ثم قالت لغانم ان الخليفة وهبنى لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لا تبرحوا حتى احضر ثم انها قامت من وقتها وساعتها وانطلقت الى قصرها وحملت الصندوق الذى اخذته من داره واخرجت منه دنانير واعطت العريف اياها وقالت له خذ هذه الدنانير واشتر لكل شخص منهم اربع بدلات كوامل من احسن القماش وعشرين منديلا وغير ذلك مما يحتاجون اليه ثم انها دخلت بهما وبغانم الحمام وامرت بغسلهم وعملت لهم المساليق وماء الخولنجان وماء التفاح بعد ان خرجوا من الحمام ولبسوا الثياب واقامت عندهم ثلاثة ايام وهى تطعمهم لحم الدجاج والمساليق وتسقيهم السكر المكرر وبعد الثلاثة ايام ردت لهم ارواحهم وادخلتهم الحمام ثانيا وخرجوا وغيرت عليهم الثياب وخلتهم فى بيت العريف وذهبت الى الخليفة وقبلت الارض بين يديه واعلمته بالقصة وانه قد حضر سيدها غانم بن ايوب المتيم المسلوب وان امه واخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام على بغانم فنزل جعفر اليه وكانت قوت القلوب قد سبقته ودخلت على غانم وقالت له ان الخليفة قد ارسل اليك ليحضرك بين يديه فعليك بفصاحة اللسان وثبات الجنان وعذوبة الكلام والبسته حلة فاخرة واعطته دنانير بكثرة وقالت له اكثر البذل الى حاشية الخليفة وانت داخل عليه واذا بجعفر اقبل عليه وهو على بغلته فقام غانم وقابله وحياه وقبل الارض بين يديه وقد ظهر كوكب سعده وارتفع طالع مجده فاخذه جعفر ولم يزالا سائرين حتى دخلا على امير المؤمنين فلما حضر بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجاب والنواب وارباب الدولة واصحاب الصولة وكان غانم فصيح اللسان ثابت الجنان رقيق العبارة انيق الاشارة فاطرق برأسه الى الارض ثم نظر الى الخليفة وانشد هذه الابيات

افديك من ملك عظيم الشان * متتابع الحسنات والاحسان
متوقد العزمات فياض الندى * حدث عن الطوفان والنيران
لا يلهجون بغيره من قيصر * فى ذا المقام وصاحب الايوان
تضع الملوك على ثرى اعتابه * عند السلام جواهر التيجان
حتى اذا شخصت له ابصارهم * خروا لهيبته على الاذقان
ويفيدهم ذاك المقام مع الرضى * رتب العلا وجلالة السلطان
ضاقت بعسكرك الفيافى والفلا * فاضرب خيامك فى ذرى كيوان

وارى الكواكب بالمواكب محسنا ✻ لشريف ذاك العالم الروحانى
وملكت شامخة الصياصى عنوة ✻ من حسن تدبير وثبت جنان
ونشرت عدلك فى البسيطة كلها ✻ حتى استوى القاصى بها والدانى

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة من محاسن رونقه واعجبته فصاحة لسانه وعذوبة منطقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان غانم ابن ايوب لما اعجب الخليفة فصاحته ونظمه وعذوبة منطقه قال له ادن منى فدنى منه ثم قال له اشرح لى قصتك واطلعنى على حقيقة خبرك فقعد وحدث الخليفة بما جرى له من المبتدا الى المنتهى وليس فى الاعادة افادة فلما علم الخليفة انه صادق خلع عليه وقربه اليه وقال له ابرئ ذمتى فابرأ ذمته وقال له يا امير المؤمنين ان العبد وما ملكت يداه لسيده ففرح الخليفة بذلك ثم امر ان يفرد له قصر ورتب له من الجوامك والجرايات شيأ كثيرا فنقل امه واخته اليه وسمع الخليفة بان اخته فتنة فى الحسن فتنة فخطبها منه فقال له غانم انها جاريتك وانا مملوكك فشكره واعطاه مائة الف دينار واتى بالقاضى والشهود وكتبوا الكتاب ودخل هو وغانم فى نهار واحد فدخل الخليفة على فتنة وغانم ابن ايوب على قوت القلوب فلما اصبح الصباح امر الخليفة ان يؤرخ جميع ما جرى لغانم من اوله الى اخره وان يدون فى السجلات لاجل ان يطلع عليه من يأتى بعده فيتعجب من تصرفات الاقدار ويفوض الامر الى خالق الليل والنهار وليس هذا باعجب من حكاية الملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وما جرى لهم من العجائب والغرائب قال الملك وما حكايتهم قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان بمدينة دمشق قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر النعمان وكان من الجبابرة الكبار قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى له بنار ولا يجاريه احد فى مضمار واذا غضب يخرج من منخريه لهيب النار وكان قد ملك جميع الاقطار ونفذ حكمه فى سائر القرى والامصار واطاع الله له جميع العباد ووصلت عساكره الى اقصى البلاد ودخل فى حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين واليمن والحجاز والحبشة والسودان والشام والروم وديار بكر وجزائر البحار وما فى الارض من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وارسل رسله الى اقصى العمار ليأتوه بحقيقة الاخبار فرجعوا واخبروه بان سائر الناس اذعنت لطاعته وجميع الجبابرة خضعت لهيبته وقد عمهم بالفضل والامتنان واشاع بينهم العدل والامان لانه كان عظيم الشان وحملت اليه الهدايا من كل مكان وجبى اليه خراج الارض فى طولها والعرض وكان له ولد قد سماه شركان لانه نشأ آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان واباد الاقران فاحبه والده حبا شديدا ما عليه من مزيد واوصى له بالملك من بعده ثم ان شركان هذا حين بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرين سنة اطاع الله له جميع العباد لما به من شدة البأس والعناد وكان والده عمر النعمان له اربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن بغير شركان وهو من احداهن والباقى عواقر لم يرزق من واحدة منهن بولد ومع ذلك كان له ثلاثمائة وستون سرية على عدد ايام السنة القبطية وتلك السرارى من سائر الاجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن مقصورة وكانت المقاصير من داخل القصر فانه بنى اثنى عشر قصرا على عدد شهور السنة وجعل فى كل قصر ثلاثين مقصورة فكانت

جملة المقاصير ثلاثمائة وستين مقصورة واسكن تلك الجوارى فى هذه المقاصير وفرض لكل جارية منهن ليلة تبيت عندها وما يأتيها الا بعد سنة كاملة فاقام على ذلك مدة من الزمان ثم ان ولده شركان اشتهر فى سائر الافاق ففرح به والده وازداد قوة فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد واتفق بالامر المقدر ان جارية من جوارى عمر النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحا شديدا وقال لعل ذريتى ونسلى تكون كلها ذكورا فارخ يوم حملها وصار يحسن اليها فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم عليه الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شركان لما علم ان جارية ابيه قد حملت اغتم وعظم عليه ذلك وقال قد جاءنى من ينازعنى فى المملكة فاضمر فى نفسه ان هذه الجارية ان ولدت ولدا ذكرا قتلته وكتم ذلك فى نفسه هذا ما كان من امر شركان واما ما كان من امر الجارية فانها كانت رومية وكان قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية وارسل معها تحفا كثيرة وكان اسمها صفية وكانت احسن الجوارى واجلهن وجها واصونهن عرضا وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها وتقول له ايها الملك كنت اشتهى من اله السماء ان يرزقك منى ولدا ذكرا حتى احسن تربيته لك وابالغ فى ادبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فلا زالت كذلك حتى كملت اشهرها فجلست على كرسى الطلق وكانت على صلاح تحسن العبادة فتصلى وتدعو الله ان يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادما يخبره بما تضعه هل هو ذكر او انثى وكذلك ولده شركان ارسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود تاملته القوابل فوجدنه بنتا بوجه ابهى من القمر فاعلمن الحاضرين بذلك فرجع رسول الملك واخبره بذلك وكذلك رسول شركان اخبره بذلك ففرح فرحا شديدا فلما انصرف الخدام قالت صفية للقوابل امهلوا على ساعة فانى احس بان احشائى فيها شئ آخر ثم تأوهت وجاءها الطلق ثانيا وسهل الله عليها فوضعت مولودا ثانيا فنظرت اليه القوابل فوجدنه ولدا ذكرا يشبه البدر بجبين ازهر وخد احمر مورد ففرحت به الجارية والخدم والحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد اطلقوا الزغاريت فى القصر فسمع بقية الجوارى بذلك فحسدنها وبلغ عمر النعمان الخبر ففرح واستبشر وقام ودخل عليها وقبل رأسها ونظر الى المولود ثم انحنى اليه وقبله وضربت الجوارى بالدفوف ولعبت بالالات وامر الملك ان يسموا المولود ضوء المكان واخته نزهة الزمان فامتثلوا امره واجابوا بالسمع والطاعة وافرد لهم الملك من يخدمهم من المراضع والخدام والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والاشربة والادهان وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان وسمعت اهل دمشق بما رزق الله الملك من الاولاد فزينت المدينة واظهرت الفرح والسرور واقبلت الامراء والوزراء وارباب الدولة وهنوا الملك عمر النعمان بولده ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد فى اكرامهم من الانعام واحسن الى الحاضرين من الخاص والعام وما زال على تلك الحالة الى ان مضى اربعة اعوام وهو بعد كل قليل من الايام يسأل عن صفية واولادها وبعد الاربعة اعوام امر ان ينقل اليها من المصاغ والحلى والحلل والاموال شئ كثير واوصاها بتربيتهما وحسن ادبهما كل هذا وابن الملك شركان لا يعلم ان والده عمر النعمان رزق ولدا

ذكرا ولم يعلم انه رزق سوى نزهة الزمان واخفوا عليه خبر ضوء المكان الى ان مضت ايام واعوام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما عمر النعمان جالس يوما من الايام اذ دخلت عليه الحجاب وقبلوا الارض بين يديه وقالوا ايها الملك قد وصلت الينا رسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فان اذن لهم الملك بذلك ندخلهم والا فلا مرد لامره فعند ذلك اذن لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال اليهم واقبل عليهم وسألهم عن حالهم وما سبب اقبالهم فقبلوا الارض بين يديه وقالوا ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اعلم ان الذى ارسلنا اليك الملك افريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك انه اليوم فى حرب شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارية والسبب فى ذلك ان بعض ملوك العرب اتفق انه وجد فى بعض الفتوحات كنزا من قديم الزمان من عهد اسكندر فنقل منه اموالا لا تحصى ومن جملة ما وجد فيه ثلاث خرزات مدورات على قدر بيض النعام وتلك الخرزات من اعلى الجوهر الابيض الخالص الذى لا يوجد له نظير وكل خرزة منقوش عليها بالقلم اليونانى امور من الاسرار ولهن منافع وخواص كثيرة ومن خواصهن ان كل مولود علقت عليه خرزة منهن لم يصبه الم ما دامت الخرزة معلقة عليه ولا يحم ولا يسخن فلما وضع يده عليها ووقع بها وعرف ما فيها من الاسرار ارسل الى الملك افريدون هدايا من التحف والمال ومن جملتها الثلاث خرزات وجهز مركبين واحدة فيها مال والاخرى فيها رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها فى البحر وكان يعرف من نفسه انه لا احد يقدر ان يتعدى على مراكبه لكونه ملك العرب لا سيما وطريق المراكب التى فيها الهدايا فى البحر الذى فى مملكة ملك القسطنطينية وهى متوجهة اليه وليس فى سواحل ذلك البحر الا رعاياه فلما جهز المركبين سافرا الى ان قربا من بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الارض وفيهم عساكر من عند صاحب قيسارية فاخذوا جميع ما فى المركبين من التحف والمال والذخائر والثلاث خرزات وقتلوا الرجال فبلغ ذلك ملكنا فارسل اليهم عسكرا فهزموه فارسل لهم عسكرا اقوى من الاول فهزموه ايضا فعند ذلك اغتاظ الملك واقسم انه لا يخرج اليهم الا بنفسه فى جميع عسكره وانه لا يرجع عنهم حتى يخرب قيسارية ويترك ارضها وجميع البلاد التى يحكم عليها ملكها خرابا والمراد من صاحب القوة والسلطان الملك عمر النعمان ان يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر وقد ارسل اليك ملكنا معنا شيأ من انواع الهدايا ويرجو من انعامك قبولها والتفضل عليه بالاسعاف ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يدى الملك عمر النعمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان رسل ملك القسطنطينية قبلوا الارض بين يدى الملك عمر النعمان بعد ان حكوا له ثم اعلموه بالهدية وكانت الهدية خمسين جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكا عليهم اقبية من الديباج بمناطق من الذهب والفضة وكل مملوك فى اذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تساوى الف مثقال من الذهب والجوارى كذلك وعليهم من القماش ما يساوى مالا جزيلا فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم وامر باكرام الرسل واقبل على وزرائه يشاورهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخا كبيرا يقال له دندان فقبل الارض بين يدى الملك عمر النعمان وقال ايها الملك ما فى الامر احسن من انك تجهز

عسكرا جرارا او يجعل قائدهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأى احسن لوجهين الاول ان ملك الروم قد استجار بك وارسل اليك هدية فقبلتها والوجه الثانى ان العدو لا يجسر على بلادنا فاذا منع عسكرك عن ملك الروم وهزم عدوه ينسب هذا الامر اليك ويشيع ذلك فى سائر الاقطار والبلاد ولا سيما اذا وصل الخبر الى جزائر البحر وسمع بذلك اهل المغرب فانهم يحملون اليك الهدايا والتحف والاموال فلما سمع الملك هذا الكلام من وزيره دندان اعجبه واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغى ان تكون انت فى مقدم العسكر وولدى شركان فى ساقة العسكر ثم ان الملك امر باحضار ولده فلما حضر قص عليه القصة واخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان واوصاه باخذ الاهبة والتجهيز للسفر وانه لا يخالف الوزير دندان فيما يشور به عليه وامره ان ينتخب من عسكره عشرة الاف فارس كاملين العدة صابرين على الشدة فامتثل شركان ما قاله والده عمر النعمان وقام فى الوقت واختار من عسكره عشرة الاف فارس ثم دخل قصره واخرج مالا عظيما وانفق عليهم المال وقال لهم قد امهلتكم ثلاثة ايام فقبلوا الارض بين يديه مطيعين لامره ثم خرجوا من عنده واخذوا فى الاهبة واصلاح الشأن ثم ان شركان دخل خزائن السلاح واخذ ما يحتاج اليه من العدد والسلاح ثم دخل الاصطبل واختار منه الخيل المسومة واخذ غير ذلك وبعد ذلك اقاموا ثلاثة ايام ثم خرجت العساكر الى ظاهر المدينة وخرج عمر النعمان لوداع ولده شركان فقبل الارض بين يديه واهدى له سبع خزائن من المال واقبل على الوزير دندان واوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الارض بين يديه واجابه بالسمع والطاعة واقبل الملك على ولده شركان واوصاه بمشاورة الوزير دندان فى سائر الامور فقبل ذلك ورجع والده الى ان دخل المدينة ثم ان شركان امر كبار العسكر بعرضهم عليه وكانت عدتهم عشرة الاف فارس غير ما يتبعهم ثم ان القوم حملوا ودقت الطبول وصاح النفير وانتشرت الاعلام والرايات وركب ابن الملك شركان والى جانبه وزيره دندان والاعلام تخفق على رؤسهم ولم يزالوا سائرين والرسل تقدمهم الى ان ولى النهار واقبل الليل فنزلوا واستراحوا وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا سائرين والرسل يدلونهم على الطريق مدة عشرين يوما ثم اشرفوا فى اليوم الحادى والعشرين على واد واسع الجهات كثير الاشجار والنبات وكان وصولهم الى ذلك الوادى ليلا فامرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلاثة ايام فنزل العساكر وضربوا الخيام وافترق العسكر يمينا وشمالا ونزل الوزير دندان وصحبته رسل افريدون صاحب القسطنطينية فى وسط ذلك الوادى واما الملك شركان فانه كان فى وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا فى جوانب الوادى ثم انه ارخى عنان جواده واراد ان يكشف ذلك الوادى ويتولى الحرس بنفسه لاجل وصية والده اياه فانهم فى اول بلاد الروم وارض العدو فسار وحده بعد ان امر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان ثم انه لم يزل سائرا على ظهر جواده فى جوانب الوادى الى ان مضى من الليل ربعه فتعب وغلب عليه النوم فصار لا يقدر ان يركض الجواد وكان له عادة انه ينام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم نام ولم يزل الجواد سائرا به الى نصف الليل فدخل به فى بعض الغابات وكانت تلك الغابة كثيرة الاشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره فى الارض فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار وقد طلع عليه القمر واضاء فى الخافقين فاندهش شركان لما رأى نفسه فى ذلك المكان وقال كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة الا بالله فبينما هو كذلك خائف من الوحش متحير لا يدرى اين يتوجه فلما راى القمر اشرف على مرج كانه من مروج الجنة فسمع

كلاما مليحا وصوتا عاليا وضحكا يسبي عقول الرجال فنزل الملك شركان عن جواده فى الاشجار ومشى حتى اشرف على نهر فرأى فيه الماء يجرى وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربى وهى تقول وحق المسيح ان هذا منكن غير مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشى الى جهة الصوت حتى انتهى الى طرف المكان ثم نظر فاذا هو بنهر يسيح وطيور تمرح وغزلان تسرح ووحوش ترتع والطيور بلغاتها المعانى الحظ تشرح وذلك المكان مزركش بانواع النبات كما قيل فى اوصاف مثله هذان البيتان

ما تحسن الارض الا عند زهرتها * والماء من فوقها يجرى بارسال
صنع الاله العظيم الشان مقتدرا * معطى العطايا ومعط كل مفضال

فنظر شركان الى ذلك المكان فرأى فيه ديرا ومن داخل الدير قلعة شاهقة فى الهواء فى ضوء القمر وفى وسطها نهر يجرى الماء منه الى تلك الرياض وهناك امرأة بين يديها عشر جوار كانهن الاقمار وعليهن من انواع الحلى والحلل ما يدهش الابصار وكلهن ابكار بديعات كما قيل فيهن هذه الابيات

يشرق المرج بما فيه * من البيض العوالى
زاد حسنا وجمالا * من بديعات الخلال
كل هيفاء قواما * ذات غنج ودلال
راخيات لشعور * كعناقيد الدوالى
فاتنات بعيون * راميات بالنبال
مائسات قاتلات * لصناديد الرجال

فنظر شركان الى هؤلاء العشر جوار فوجد بينهن جارية كانها البدر عند تمامه بحاجب مزجج وجبين ابلج وطرف اهدب وصدغ معقرب كاملة فى الذات والصفات كما قال الشاعر فى مثلها هذه الابيات

تزهو على بالحاظ بديعات * وقدها مخجل للسمهريات
تبدو الينا وخداها موردة * فيها من الظرف انواع الملاحات
كأن طرتها فى نور طلعتها * ليل يلوح على صبح المسرات

فسمعها شركان وهى تقول للجوارى تقدموا حتى اصارعكم قبل ان يغيب القمر ويأتى الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم اليها فتصرعها فى الحال وتكتفها بزنارها فلم تزل تصارعهن وتصرعهن حتى صرعت الجميع ثم التفتت الى جارية عجوز كانت بين يديها وقالت لها وهى كالمغضبة عليها يا فاجرة اتفرحين بصرعك للجوارى فها انا عجوز وقد صرعتهن اربعين مرة فكيف تعجبين بنفسك ولكن ان كان لك قوة على مصارعتى فصارعينى فان اردت ذلك وقمت لمصارعتى اقوم لك واجعل رأسك بين رجليك فتبسمت الجارية ظاهرا وقد امتلأت غيظا منها باطنا وقامت اليها وقالت لها يا سيدتى ذات الدواهى بحق المسيح اتصارعينى حقيقة او تمزحين معى قالت لها بل اصارعك حقيقة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت لذات الدواهى بحق المسيح أتصارعينى حقيقة قالت لها

اصارعك حقيقة قالت لها اقومى للصراع ان كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها ذلك اغتاظت غيظا شديدا
وقام شعر بدنها كانه شعر قنفذ وقامت لها الجارية فقالت لها العجوز وحق المسيح لم اصارعك الا وانا عريانة
يا فاجرة ثم ان العجوز اخذت منديلا حريرا بعد ان فكت لباسها وادخلت يديها تحت ثيابها ونزعتها من فوق
جسدها ولمت المنديل وشدته فى وسطها فصارت كانها عفريتة معطاء او حية رقطاء ثم انحنت على الجارية
وقالت لها افعلى كفعلى كل هذا وشركان ينظر اليهما ثم ان شركان صار يتأمل فى تشويه صورة العجوز
ويضحك ثم ان العجوز لما فعلت ذلك قامت الجارية على مهل واخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت
سراويلها فبان لها ساقان من المرمر وفوقهما كثيب من البلور ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من
اعكانه كانه مصفح بشقائق النعمان وصدر فيه نهدان كفحلى رمان ثم انحنت عليها العجوز وتماسكا ببعضهما
فرفع شركان رأسه الى السماء ودعا الله ان الجارية تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها
الشمال فى شقتها ويدها اليمين فى رقبتها مع حلقها ورفعتها على يديها فانفلتت العجوز من يديها واردت
الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاها الى فوق فبانت شعرتها فى القمر ثم ضرطت ضرطتين
عفرت احداهما فى الارض ودخنت الاخرى فى السماء فضحك شركان منهما حتى وقع على الارض ثم قام
وسل حسامه والتفت يمينا وشمالا فلم ير احدا غير العجوز مرمية على ظهرها فقال فى نفسه ما كذب
من سماك ذات الدواهى ثم تقرب منهما ليسمع ما يجرى بينهما فاقبلت الجارية ورمت على العجوز ملاءة
من حرير رفيعة والبستها ثيابها واعتذرت اليها وقالت لها يا سيدتى ذات الدواهى ما اردت الا صرعك
لا جميع ما حصل لك ولكن انت انفلت من بين يدى فالحمد لله على السلامة فلم ترد عليها جوابا وقامت تمشى
من خجلها ولم تزل ماشية الى ان غابت عن البصر وصار الجوارى مكتفات مرميات والجارية واقفة
وحدها فقال شركان فى نفسه لكل رزق سبب ما غلب على النوم وسار بى الجواد الى هذا المكان الا
لبختى فلعل هذه الجارية وما معها تكون غنيمة لى ثم ركب جواده ولكزه ففر به كالسهم اذا فر من القوس
وبيده حسامه مجرد من غلافه ثم صاح الله اكبر فلما رأته الجارية نهضت قائمة وحطت قدميها
على جانب النهر وكان عرضه ستة اذرع ووثبت فصارت على جانبه الاخر ثم قامت على رجليها ونادت
برفيع صوتها من انت يا هذا لانك قطعت سرورنا وحين جردت حسامك صرت كانك قد حملت
فى عساكر من اين انت والى اين تذهب فاصدق فى مقالك فان الصدق انفع لك ولا تكذب فان الكذب
من اخلاق اللئام ولاشك انك تهت فى هذه الليلة عن الطريق حتى جئت الى هذا المكان الذى
خلاصك فيه اكبر الغنيمات واعلم انك فى مرج لو صرخنا فيه صرخة واحدة لجاء الينا اربعة الاف بطريق
فقل لنا ما الذى تريد فان اردت ان نرشدك الى الطريق ارشدناك وان اردت الرفد رفدناك فلما سمع شركان
كلامها قال لها انا رجل غريب من المسلمين وقد سرت فى هذه الليلة منفردا بنفسى اطلب غنيمة اغتنمها
فلم اجد غنيمة احسن من هؤلاء الجوارى العشرة فى هذه الليلة المقمرة فاخذهم وارجع بهم الى اصحابى
فقالت له الجارية اعلم ان الغنيمة ما وصلت اليها والجوارى والله ما هن غنيمتك اما قلت لك ان الكذب شين
فقال لها ان السعيد الذى يكتفى بالله عن غيره فقالت له وحق المسيح لولا انى اخاف ان يكون هلاكك على
يدى لكنت صحت صيحة ملأت عليك الارض خيلا ورجالا ولكن انا اشفق على الغرباء وان اردت الغنيمة
فانا اطلب منك ان تنزل عن جوادك وتحلف لى بدينك انك لا تتقرب الى بشئ من السلاح وانصارع انا
وانت فان صرعتنى فضعنى على جوادك وخذنا كلنا غنيمة وان صرعتك انحكم فيك فاحلف لى

فانى اخاف من غدرك وقد ورد فى الاخبار اذا كان الغدر طباعا فان الثقة بكل احد عجز فان حلفت لى
عديت اليك واتيتك وجئت عندك فطمع شركان فى اخذها وقال فى نفسه انها لم تعرف انى بطل من
الابطال ثم ناداها وقال لها حلفينى بما تثقين به انى لا اقربك بشئ حتى تأخذى اهبتك وتقولى ادن منى
لاصارعك فحينئذ اتقرب منك فان صرعتينى فان لى من المال ما اشترى به نفسى وان صرعتك انا فهى
الغنيمة الكبرى فقالت الجارية انا رضيت بذلك فتحير شركان فى ذلك وقال وحق النبى صلى الله
عليه وسلم رضيت ان الاخر فقالت له احلف الآن بمن ركب الارواح فى الاجساد وشرع لنا الشرائع فحلف
لها بما وثقت به من الايمان فرضيت بذلك ثم انها وثبت فصارت فى الجانب الاخر من جانبى النهر وقالت
لشركان وهى تضحك يعز على فراقك يا مولاى اذهب الى اصحابك قبل الصباح لئلا تأتيك البطارقة
فيأخذوك على اسنة الرماح وانت ما فيك قوة لدفع النسوان فكيف تدفع الرجال الفرسان فتحير شركان
فى نفسه وقال لها وقد ولت عنه معرضة تقصد الدير يا سيدتى أتذهبين وتتركين المتيم الغريب المسكين
الكسير القلب فالتفتت اليه وهى تضحك ثم قالت له ما حاجتك فانى اجيب دعوتك فقال كيف اطؤ
ارضك واتحلى بحلاوة لطفك وارجع بلا اكل من طعامك وقد صرت من بعض خدمك فقالت
لا يأبى الكرامة الا لئيم تفضل بسم الله على الرأس والعين واركب جوادك وسر على جانب النهر مقابلى
فانت فى ضيافتى ففرح شركان وبادر الى جواده وركب ولا زال ماشيا مقابلها وهى سائرة قباله الى
ان وصل الى جسر معمول باخشاب من الجوز وفيه بكر بسلاسل من البولاد وعليها اقفال فى كلاليب
فنظر شركان الى ذلك الجسر واذا بالجوارى اللاتى كن معها فى المصارعة قائمات ينظرن اليها فلما اقبلت
عليهن كلمت جارية منهن بلسان الرومية وقالت لها قومى اليه وامسكى عنان جواده ثم سيرى به
الى الدير فسار شركان وهى قدامه الى ان عدى الجسر وقد اندهش عقله مما رأى وقال فى نفسه
ياليت الوزير دندان كان معى فى هذا المكان وتنظر عيناه الى تلك الجوارى الحسان ثم التفت الى تلك
الجارية وقال لها يا بديعة الجمال قد صار لى عليك الآن حرمتان حرمة الصحبة وحرمة سيرى الى منزلك
وقبول ضيافتك وقد صرت تحت حكمك وفى عهدك فلو انك تنعمين على بالمسير معى الى بلاد الاسلام
وتتفرجين على كل اسد ضرغام وتعرفين من انا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد
كنت عندى ذا عقل ورأى ولكنى اطلعت الان على ما فى قلبك من الفساد وكيف يجوز لك ان تتكلم بكلمة
تنسب فيها الى الخداع كيف اصنع هذا وانا اعلم انى متى حصلت عند ملككم عمر النعمان لا اخلص منه
لانه ما فى صوره مثلى ولو كان صاحب بغداد وخراسان وبنى له اثنى عشر قصرا فى كل قصر ثلثمائة وستون
جارية على عدد ايام السنة والقصور عدد اشهر السنة فان حصلت عنده ما فرغ منى لان اعتقادكم انه يحل
لكم التمتع بمثلى كما فى كتبكم حيث قيل فيها او ما ملكت ايمانكم فكيف تكلمنى بهذا الكلام واما قولك
وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح فانى رأيت عسكركم لما استقبلتم
ارضنا وبلادنا فى هذين اليومين فلما اقبلتم لم ار تربيتكم تربية ملوك وانما رأيتكم طوائف مجتمعة واما قولك
تعرفين من انا فانا لا اصنع معك جميلا لاجل اجلالك وانما افعل ذلك لاجل الفخر ومثلك لا يقول لمثلى
ذلك ولو كنت شركان ابن الملك عمر النعمان الذى ظهر فى هذا الزمان فقال شركان فى نفسه لعلها عرفت
قدوم العساكر وعرفت عدتهم وانهم عشرة الاف فارس وعرفت ان والدى ارسلهم معى لنصرة ملك
القسطنطينية ثم قال شركان يا سيدتى اقسمت عليك بما تعتقدين من دينك ان تحدثينى بسبب ذلك

حتى يظهر لي الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك فقالت له وحق دينك لولا انى خفت ان يشيع خبرى من انى من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسى وبارزت العشرة الاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان وظفرت بفارسهم شركان وما كان على فى ذلك عار ولكننى قرأت الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب ولست اصف لك نفسى بالشجاعة مع انك رأيت منى العلامة والصناعة والقوة فى الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك فى هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لاذعن واعترف بالعجز وانى اسأل المسيح ان يرميه بين يدى فى هذا الدير حتى اخرج له فى صفة الرجال وآسره واجعله فى الاغلال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه اخذته النخوة والحمية وغيرة الابطال واراد ان يظهر لها نفسه ويسطش بها ولكن رده عنها فرط جمالها وبديع حسنها فانشد هذا البيت

وإذا المليح اتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بالف شفيع

ثم صعدت وهو فى اثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى اردافها تتلاطم كالامواج فى البحر الرجراج فانشد هذه الابيات

فى وجهها شافع يمحو اساءتها * من القلوب وجيه حيث ما شفعا
اذا تأملتها ناديت من عجب * البدر فى ليلة الاكمال قد طلعا
لو ان عفريت بلقيس يصارعها * مع وصف قوته فى ساعة صرعا

ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز طويل مقبى على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كاشتعال الشمس فلقيتها الجوارى فى آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص من سائر اصناف الجواهر وسارت وهن امامها وشركان وراءها الى ان وصلوا الى الدير فوجد بدائر ذلك الدير اسرة متقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وارض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزع وفى وسطه بركة ماء عليها اربعة وعشرون قارورة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين ورأى فى الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكى فقالت له الجارية اصعد يا مولاى على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت عنه فسأل عنها بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما امرت ثم انها قدمت اليه من غرائب الالوان فاكل حتى اكتفى ثم بعد ذلك قدمت اليه طشتا وابريقا من الذهب فغسل يديه وخاطره مشغول بعسكره لكونه لا يعلم ما جرى لهم بعده وتذكر ايضا كيف نسى وصية ابيه فصار متحيرا فى امره نادما على ما فعل الى ان طلع الفجر وبان النهار وهو يتحسر على ما فعل وصار مستغرقا فى الفكر وانشد هذه الابيات

لم اعدم الحزم ولاكننى * دهيت فى الامر فما حيلتى
لو كان من يكشف عنى الهوى * برئت من حولى ومن قوتى
وان قلبى فى ضلال الهوى * صب وارجو الله فى شدتى

فلما فرغ من شعره رأى بهجة عظيمة قد اقبلت فنظر فاذا هو باكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهي بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها ديباج ملوكي وفي وسطها زنار مرصع بانواع الجواهر وقد ضم خصرها وابرز ردفها فصارا كانهما كثيب بلور تحت قضيب من فضة ونهداها كفحلي رمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله ان يطير من الفرح ونسي عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأى عليها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بانواع الجواهر والجواري عن يمينها ويسارها يرفعن اذيالها وهي تتمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما على قدميه من هيبة حسنها وجمالها فصاح واحيرتاه من هذا الزنار وانشد هذه الابيات

ثقيلة الارداف مائلة ✽ خرعوبة ناعمة النهد
تكتمت ما عندها من جوى ✽ ولست اكتم الذي عندي
خدامها يمشين من خلفها ✽ كالقيل في حل وفي عقد

ثم ان الجارية جعلت تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى ان تحققته وعرفته فقالت له بعد ان اقبلت عليه قد اشرف بك المكان يا شركان كيف كانت ليلتك يا همام بعدما مضينا وتركناك ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار لاسيما عند اكابر الملوك وانت شركان بن عمر النعمان فلا تنكر نفسك وحسبك ولا تكتم امرك عني ولا تسمعني بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث البغض والعداوة فقد نفذ فيك سهم القضاء فعليك بالتسليم والرضاء فلما سمع كلامها لم يمكنه الانكار فاخبرها بالصدق وقال انا شركان بن عمر النعمان الذي عذبني الزمان واوقعني في هذا المكان فمهما شئت فافعليه الان فاطرقت برأسها الى الارض زمانا طويلا ثم التفتت اليه وقالت له طب نفسا وقر عينا فانك ضيفي وصار بيننا وبينك خبز وملح وحديث ومؤانسة فانت في ذمتي وفي عهدي فكن آمنا وحق المسيح لو اراد اهل الارض ان يؤذوك لما وصلوا اليك الا ان خرجت روحي من اجلك فانت في امان المسيح واماني وجلست الى جانبه فصارت تلاعبه الى ان زال ما عنده من الخوف وعلم انها لو كان لها ارب في قتله لقتلته في الليلة الماضية ثم انها كلمت جارية بلسان الرومية فغابت ساعة ثم رجعت اليها ومعها آلة مدام ومائدة طعام فتوقف شركان عن الاكل وقال في نفسه ربما وضعت شيأ في ذلك الطعام فعرفت ما في ضميره فالتفتت اليه وقالت وحق المسيح ليس الامر كذلك وهذا الطعام ليس فيه شئ من الذي تتوهمه ولو كان خاطري في قتلك لقتلتك في هذا الوقت ثم تقدمت الى المائدة واكلت من كل لون لقمة فعند ذلك اكل شركان ففرحت الجارية واكلت معه الى ان اكتفيا وبعد ان غسلا ايديهما قامت وامرت جارية ان تاتي بالرياحين وآلات الشراب من اواني الذهب والفضة والبلور وان يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والانواع النفيسة فاتتها بجميع ما طلبته ثم ان الجارية ملأت اول قدح وشربته قبله كما فعلت في الطعام ثم ملأت ثانيا واعطته اياه فشرب فقالت له يا مسلم انظر كيف انت في الذ عيش ومسرة ولم تزل تشرب معه الى ان غاب عن رشده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية ما زالت تشرب وتسقي شركان الى ان غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم انها قالت لجارية يا مرجانة هاتي لنا شيأ من آلات الطرب فقالت سمعا

وطاعة ثم غابت لحظة واتت بعود جلق وجنك عجمي وناي تتري وقانون مصري فاخذت الجارية العود واصلحته وشدت اوتاره وغنت عليه بصوت رخيم ارق من النسيم واعذب من ماء التسنيم وانشدت مطربة بهذه الابيات

عفا الله عن عينيك كم سفكت دما * وكم فوقت منك اللواحظ اسهما
اجل حبيبا جائرا في حبيبه * حرام عليه ان يرق ويرحما
هنيئا لطرف بات فيك مسهدا * وطوبى لقلب ظل فيك متيما
تحكمت في قتلي فانك مالكي * بروحي افدى الحاكم المتحكما

ثم قامت كل واحدة من الجواري ومعها آلتها وانشدت عليها ابياتا باللسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن ايضا وقالت يامسلم اما فهمت ما اقول قال لا ولكن ما طربت الا على حسن انامك فضحكت وقالت له ان غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ما كنت اتمالك عقلي فاخذت آلة الطرب وغيرت الضرب وانشدت هذه الابيات

طعم التفرق مر * فهل لذلك صبر
تعرضت لي ثلاث * صدود بين وهجر
اهوى ظريفا سباني * بالحسن والهجر مر

فلما فرغت من شعرها نظرت الى شركان فوجدته قد غاب عن وجوده ولم يزل مطروحا بينهن ممدودا ساعة ثم افاق وتذكر الغناء فمال طربا ثم ان الجارية اقبلت هي وشركان على الشراب ولم يزالا في لعب ولهو الى ان ولى النهار بالرواح ونشر الليل الجناح فقامت الى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له انها مضت الى مرقدها فقال في رعاية الله وحفظه فلما اصبح الصباح اقبلت عليه الجارية وقالت له ان سيدتي تدعوك اليها فقام معها وسار خلفها فلما قرب من مكانها زفته الجواري بالدفوف والمغاني الى ان وصل الى باب كبير من العاج مرصع بالدر والجوهر فلما دخلوا منه وجدوا دارا كبيرة ايضا وفي صدرها ايوان كبير مفروش بانواع الحرير وبدائر ذلك الايوان شبابيك مفتحة مطلة على اشجار وانهار وفي البيت صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك في جوفها آلات فيتخيل للناظر انها تتكلم والجارية جالسة تنظر اليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة اليه واخذت يده واجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان فقالت له اتعرف شيأ مما يتعلق بالعاشقين والمتيمين فقال نعم اعرف شيأ من الاشعار فقالت اسمعني فانشد هذه الابيات

لالا ابوح بحب عزة انها * اخذت علي مواثقا وعهودا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة ركعا وسجودا

فلما سمعته قالت لقد كان كثير باهر الفصاحة بارع البلاغة لانه بالغ في وصفه لعزة حيث قال وانشدت هذين البيتين

لو ان عزة حاكمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى الي بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

ثم قالت وقيل ان عزة كانت في نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يا ابن الملك ان كنت تعرف شيأ من كلام

جميل فانشد نامنه قال انى اعرف به من كل احد ثم انشد من شعره جميل هذا البيت

تريدين قتلى لا تريدين غيره * ولست ارى قصدا سواك اريد

فلما سمعت ذلك قالت له احسنت يا ابن الملك ما الذى اراده عزة بجميل حتى قال هذا الشطر اى تريدين قتلى لا تريدين غيره * فقال لها شركان يا سيدتى لقد ارادت به ما تريدين منى ولا يرضيك فضحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فقامت الجارية وذهبت الى مرقدها ونامت ونام شركان فى مرقده الى ان اصبح الصبح فلما افاق اقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب على العادة وقبلت الارض بين يديه وقلن له تفضل فان سيدتنا تدعوك الى الحضور عندها فقام شركان ومشى والجوارى حوله يضربن بالدفوف والالات الى ان خرج من تلك الدار ودخل دارا غيرها اعظم من الدار الاولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش ما لا يوصف فتعجب شركان مما رأى من صنع ذلك المكان فانشد هذه الابيات

اجنى رقيبى من ثمار قلائد * در النحور منضد بالعسجد

وعيون ماء من سبائك فضة * وخدود ورد فى وجوه زبرجد

فكأنما لون البنفسج قد حكى * زرق العيون وكحلت بالاثمد

فلما رأت الجارية شركان قامت له واخذت يده واجلسته الى جانبها وقالت له انت ابن الملك عمر النعمان فهل تحسن لعب الشطرنج فقال نعم ولكن لا تكونى كما قال الشاعر

اقول والوجد يطوينى وينشرنى * ونهلة من رضاب الحب تروينى

حضرت شطرنج من اهوى فلاعبنى * بالبيض والسود لكن ليس يرضينى

كأنما الشاه عند الرخ موضعه * وقد تفقد دستا بالفرازين

فان نظرت الى معنى لواحظها * فان الحاظها يا قوم ترديني

ثم قدمت له الشطرنج ولعبت معه فصار شركان كلما اراد ان ينظر الى نقلها نظر الى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل ويضع الفيل موضع الفرس فضحكت وقالت ان كان لعبك هكذا فانت لا تعرف شيأ فقال هذا اول دست لا تحسبيه فلما غلبته رجع وصف القطع ولعب معها فغلبته ثانيا وثالثا ورابعا وخامسا ثم التفتت اليه وقالت له انت فى كل شئ مغلوب فقال يا سيدتى مع مثلك يحسن ان اكون مغلوبا ثم امرت باحضار الطعام فاكلا وغسلا ايديهما وامرت باحضار الشراب فشربا وبعد ذلك اخذت القانون وكان لها بضرب القانون معرفة جيدة فانشدت هذه الابيات

الدهر ما بين مطوى ومبسوط * ومثله مثل مجرور ومخروط

فاشرب على حسنه ان كنت مقتدرا * ان لا تفارقنى فى وجه تفريط

ثم انهما لم يزالا على ذلك الى ان دخل الليل فكان ذلك اليوم احسن من اليوم الذى قبله فلما اقبل الليل مضت الجارية الى مرقدها وانصرف شركان الى موضعه فنام الى الصباح ثم اقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب واخذنه على العادة الى ان وصلوا الى الجارية فلما رأته نهضت قائمة وامسكته من يده واجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء ثم اخذت العود وانشدت هذين البيتين

لا تركنن الى الفراق * فانه مر المذاق

الشمس عند غروبها * تصفر من الم الفراق

فبينما هما على هذه الحالة واذا هما بضجة فالتفتا فرأيا رجالا وشبانا مقبلين وغالبهم بطارقة وبايديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا ياشركان فايقن بالهلاك فلما سمع شركان هذا الكلام قال في نفسه لعل هذه الجارية الجميلة خدعتني وامهلتني الى ان جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتني بهم ولكن انا الذي جنيت على نفسي والقيتها في الهلاك ثم التفت الى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالاصفرار ثم وثبت على قدميها وهي تقول لهم من انتم فقال لها البطريق المقدم عليهم ايتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة اما تعرفين الذي عندك من هو قالت له لا اعرفه فمن هو فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان ابن الملك عمر النعمان هذا الذي فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره الى الملك حردوب والدك من العجوز ذات الدواهي وتحقق ذلك والدك ملكنا نقلا عن العجوز وها انت قد نصرت عسكر الروم باخذ هذا الاسد المشئوم فلما سمعت كلام البطريق نظرت اليه وقالت له ما اسمك قال لها اسمي ماسورة ابن عبدك موسورة ابن كاشرده بطريق البطارقة قالت له وكيف دخلت علي بغير اذني فقال لها يا مولاتي اني لما وصلت الى الباب مامنعني حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين ومشوا بين ايدينا كما جرت به العادة انه اذا جاء احد غيرنا يتركونه واقفا على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول وليس هذا وقت اطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا اليه بهذا الملك الذي هو شرارة جمرة عسكر الاسلام لاجل ان يقتله ويرحل عسكره الى الموضع الذي جاؤا منه من غير ان يحصل لنا تعب في قتالهم فلما سمعت الجارية منه هذا الكلام قالت له ان هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبت العجوز ذات الدواهي فانها قد تكلمت بكلام باطل لا تعلم حقيقته وحق المسيح ان الذي عندي ما هو شركان ولا اسرته ولكنه رجل اتى الينا وقدم علينا وطلب الضيافة فاضفناه فان تحققنا انه شركان بعينه وثبت عندنا انه هو من غير شك فلا يليق بمروءتي اني امكنكم منه لانه دخل تحت عهدي وذمتي فلا تخونوني في ضيفي ولا تفضحوني بين الانام بل ارجع انت الى الملك ابي وقبل الارض بين يديه واخبره بان الامر بخلاف ما قالته العجوز ذات الدواهي فقال البطريق ماسورة يا ابريزة انا ما اقدر ان اعود الى الملك الا بغريمه فقالت له وقد اغتاظت ويلك ما يخصك بهذا الكلام ارجع انت اليه بالجواب ولا عليك ملام فقال لها ماسورة لا اعود الا به فتغير لونها وقالت له لا تكن كثير الكلام والهذيان فان هذا الرجل ما دخل الينا الا وهو واثق من نفسه انه يحمل على مائة فارس وحده ولو قلت له انت شركان ابن عمر النعمان يقول نعم ولكن لا يمكنكم ان تتعرضوا له فان تعرضتم له لا يرجع عنكم الا ان قتل جميع من كان في هذا المكان وها هو عندي وها انا احضره بين ايديكم وسيفه وترسه معه فقال لها البطريق ماسورة انا اذا امنت من غضبك لم امن من غضب ابيك واني اذا رأيته اشير الى البطارقة فانهم يأخذونه اسيرا ويمضون به الى الملك حقيرا فلما سمعت هذا الكلام قالت لا كان هذا الامر فانه عنوان السفه لان هذا رجل واحد وانتم مائة بطريق فاذا اردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة ابريزة قالت للبطريق هذا رجل واحد وانتم مائة بطريق فاذا اردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم فقال البطريق

ماسورة وحق المسيح لقد قلت الحق ولكن ما يخرج له او لاغيرى فقالت له الجارية اصبر حتى اذهب اليه واعرفه بحقيقة الامر وانظر ما عنده من الجواب فان اجاب فالامر كذلك وان ابى فلا سبيل لكم اليه واكون انا ومن فى الدير وجوارى فداه ثم اقبلت على شركان واخبرته بما كان فتبسم وعلم انها لم تخبر احدا بامره وانما شاع خبره حتى وصل الى الملك بغير ارادتها فرجع باللوم على نفسه وقال كيف رميت روحى فى بلاد الروم ثم انه لما سمع كلام الجارية قال لها ان بروزهم الى واحدا بعد واحد اجحاف بهم فهلا يبرزون لى عشرة بعد عشرة وبعد ذلك وثب على قدميه وسار الى ان اقبل عليهم وكان معه سيفه وآلة حربه فلما رآه البطريق وثب اليه وحمل عليه فقابله شركان كانه الاسد وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من امعائه فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها وعرفت انها لم تصرعه حين صرعته بقوتها بل بحسنها وجمالها ثم ان الجارية اقبلت على البطارقة وقالت لهم خذوا بثار صاحبكم فخرج له اخو المقتول وكان جبارا عنيدا فحمل على شركان فلم يمهله شركان دون ان ضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من امعائه فعند ذلك نادت الجارية وقالت يا عباد المسيح خذوا بثار صاحبكم فلم يزالوا يبرزون اليه واحدا بعد واحد وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقا والجارية تنظر اليهم وقد قذف الله الرعب فى قلوب من بقى منهم وقد تأخروا عن البراز ولم يجسروا على البروز اليه بل حملوا عليه حملة واحدة باجمعهم وحمل هو عليهم بقلب اقوى من الحجر الى ان طحنهم طحن الدروس وسلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية على جواريها وقالت لهن من بقى فى الدير فقلن لها لم يبق احد الا البوابين ثم ان الملكة لاقته واخذته بالاحضان وطلع شركان معها الى القصر بعد فراغه من الحرب وكان بقى منهم قليل كامن له فى زوايا الدير فلما نظرت الجارية الى ذلك القليل قامت من عند شركان ثم رجعت اليه وعليها زردية ضيقة العيون وبيدها صارم مهند وقالت وحق المسيح لم ابخل بنفسى عن ضيفى ولا اتخلى عنه ولو ابقى بسبب ذلك معيرة فى بلاد الروم ثم انها تأملت البطارقة فوجدته قد قتل منهم ثمانين وانهزم منهم عشرون فلما نظرت الى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فلله درك يا شركان ثم انه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى وينشد هذه الابيات

وكم من فرقة فى الحرب جاءت ＊ تركت كماتهم طعم السباع

سلوا عنى اذا شئتم نزالى ＊ جميع الخلق فى يوم القراع

تركت ليوثهم فى الحرب صرعى ＊ على الرمضا فى تلك البقاع

فلما فرغ من شعره اقبلت عليه الجارية متبسمة وقبلت يده وقلعت الدرع الذى كان عليها فقال لها يا سيدتى لاى شئ لبست الدرع الزرد وشهرت حسامك قالت حرصا عليك من هؤلاء اللئام ثم ان الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم اصحاب الملك يدخلون منزلى بغير اذنى فقالوا لها ايتها الملكة ما جرت العادة انا نحتاج الى استئذان منك على رسل الملك خصوصا البطريق الكبير فقالت لهم اظنكم ما اردتم الا هتكى وقتل ضيفى ثم امرت شركان ان يضرب رقابهم فضرب رقابهم وقالت لباقى خدامها انهم يستحقون اكثر من ذلك ثم التفتت لشركان وقالت له الان ظهر لك ما كان خافيا فها انا اعلمك بقصتى اعلم انى بنت ملك الروم حردوب واسمى ابريزة والعجوز التى تسمى ذات الدواهى جدتى ام ابى وهى التى اعلمت ابى بك ولا بد انها تدبر حيلة فى هلاكى خصوصا وقد قتلت بطارقة ابى وشاع انى قد تحزبت مع المسلمين فالرأى السديد انى اترك الاقامة هنا ما دامت ذات الدواهى خلفى ولكن اريد منك ان تفعل معى مثل ما فعلت

معك من الجميل فان العداوة قد وقعت بيني وبين ابي فلا تتوهم من كلامي شيأ فان هذا كله ما وقع الا من
اجلك فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله لا يصل اليك احد
ما دامت روحي في جسدي ولكن هل لك صبر على فراق والدك واهلك قالت نعم فحلف لها شركان
وتعاهدا على ذلك فقالت الان طاب قلبي ولكن بقي عليك شرط آخر فقال وما هو فقالت له انك ترجع
بعسكرك الى بلادك فقال لها يا سيدتي ان ابي عمر النعمان ارسلني الى قتال والدك بسبب المال الذي
اخذه ومن جملته الثلاث خرزات الكثيرة البركات فقالت له طب نفسا وقر عينا فها انا احدثك
بحديثها واخبرك بسبب معاداتنا الملك القسطنطينية وذلك ان لنا عيدا يقال له عيد الدير كل سنة
تجتمع فيه الملوك من جميع الاقطار وبنات الاكابر والتجار ويقعدون فيه سبعة ايام وانا من جملتهم
فلما وقعت بيننا العداوة منعني ابي من حضور ذلك العيد مدة سبع سنين فاتفق في سنة من السنين ان بنات
الاكابر من سائر الجهات قد جاءت من اماكنها الى الدير في ذلك العيد على العادة ومن جملة من جاء اليه
بنت ملك القسطنطينية وكان يقال لها صفية فاقاموا في الدير ستة ايام وفي اليوم السابع انصرفت الناس
فقالت صفية انا ما ارجع الى القسطنطينية الا في البحر فجهز والها مركبا فنزلت فيها هي وخواصها فلما
حلوا القلوع وساروا فبينما هم سائرون واذا بريح قد خرج عليهم فاخرج المركب عن طريقها وكان هناك
بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيها خمسمائة افرنجي ومعهم العدة والسلاح وكان
لهم مدة في البحر فلما لاح لهم قلع المركب التي فيها صفية ومن معها من البنات انقضوا عليها مسرعين
فما كان غير ساعة حتى وصلوا الى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليب وجروها وحلوا قلوعهم وقصدوا
جزيرتهم فما بعدوا الا غير قليل حتى انعكس عليهم الريح فجذبهم الى شعب بعد ان مزق قلوع مركبهم وقربهم
منا فخرجنا فرأيناهم غنيمة قد انساقت الينا فاخذناهم وقتلناهم واغتنمنا ما معهم من الاموال
والتحف وكان في مركبهم اربعون جارية ومن جملتها صفية بنت الملك فاخذنا الجواري وقدمناها الى ابي
ونحن لا نعرف ان من جملتهن ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية فاختار ابي منهن عشر جواري
وفيهن ابنة الملك وفرق الباقي على حاشيته ثم عزل خمسة فيهن ابنة الملك من العشر جواري وارسل تلك
الخمسة هدية الى والدك عمر النعمان مع شيء من الجوخ ومن قماش الصوف ومن القماش الحرير الرومي
فقبل الهدية ابوك واختار من الخمس جواري صفية بنت الملك افريدون فلما كان اول هذا العام ارسل
ابوها الى والدي مكتوبا فيه كلام لا ينبغي ذكره وصار يهدده في ذلك المكتوب ويوبخه ويقول له انكم
اخذتم مركبنا من مدة سنتين وكانت في يد جماعة لصوص من الافرنج ومن جملة ما فيها بنتي صفية ومعها
من الجواري نحو ستين جارية ولم ترسلوا الى احدا يخبرني بذلك وانا لا اقدر ان اظهر خبرها خوفا
ان يكون في حقي عار عند الملوك من اجل هتك ابنتي فكتمت امري الى هذا العام والذي بين لي ذلك انني
كاتبت هؤلاء اللصوص وسألتهم عن خبر ابنتي واكدت عليهم ان يفتشوا عليها ويخبروني عند اي ملك هي
من ملوك الجزائر فقالوا والله ما خرجنا بها من بلادك ثم قال في المكتوب الذي كتبه لوالدي ان لم
يكن مرادكم معاداتي ولا فضيحتي وهتك ابنتي فساعة وصول كتابي اليكم ترسلوا الى بنتي من عندكم وان
اهملتم كتابي وعصيتم امري فلا بد انا كافئكم على قبيح افعالكم وسوء اعمالكم فلما وصلت هذه المكاتبة
الى ابي وقرأها وفهم ما فيها شق عليه ذلك وندم حيث لم يعرف ان صفية بنت الملك في تلك الجواري
ليردها الى والدها فصار متحيرا في امره ولم يمكنه بعد هذه المدة المستطيلة ان يرسل الى الملك عمر النعمان

ويطلبها

ويطلبها منه ولاسيما وقد سمعنا من مدة يسيرة انه رزق من جاريته التي يقال لها صفية بنت الملك افريدون اولادا فلما تحققنا ذلك علمنا ان هذه الورطة هي المصيبة العظمى ولم يكن لابي حيلة غير انه كتب جوابا للملك افريدون يعتذر اليه فيه ويحلف له بالاقسام انه لم يعلم ان ابنته من جملة الجوارى التي كانت في ذلك المركب ثم اظهره على انه ارسلها الى الملك عمر النعمان وانه رزق منها اولادا فلما وصلت رسالة ابي الى افريدون ملك القسطنطينية قام وقعد وارغى وازبد وقال كيف تكون ابنتي مسبية بصفة الجوار وتتداولها ايدى الملوك ويطؤنها بلا عقد ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح انه لا يمكنني ان اتقاعد عن هذا الامر دون ان آخذ الثار واكشف العار فلابد ان افعل فعلا تتحدث به الناس من بعدى وما زال صابرا الى ان عمل الحيلة ونصب مكائد عظيمة وارسل رسلا الى والدك عمر النعمان وذكر له ما سمعت من الاقوال حتى جهزك والدك بالعساكر التي معك من اجلها وصيرك اليه حتى يقبض عليك انت ومن معك من عسكرك واما الثلاث خرزات التي اخبر والدك بها في مكتوبه فليس لذلك صحة وانما كانت مع صفية ابنته واخذها ابي منها حين استولى عليها هي والجوارى التي معها ثم وهبها لي وهي الآن عندى فاذهب انت الى عسكرك وردهم قبل ان يتوغلوا في بلاد الافرنج والروم فانكم اذا توغلتم في بلادهم يضيقون عليكم الطرق ولم يكن لكم خلاص من ايديهم الى يوم الجزاء والقصاص وانا اعرف ان الجيوش مقيمون في مكانهم لانك امرتهم بالاقامة ثلاثة ايام مع انهم فقدوك في هذه المدة ولم يعلموا ماذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام صار مشغول الفكر بالاوهام ثم انه قبل يد الملكة ابريزة وقال الحمد لله الذى من علي بك وجعلك سببا لسلامتي وسلامة من معي ولكن يعز علي فراقك ولا اعلم ما يجرى عليك بعدى فقالت له اذهب انت الان الى عسكرك وردهم وان كانت الرسل عندهم فاقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر وانتم بالقرب من بلادكم وبعد ثلاثة ايام انا الحقكم وما تدخلون بغداد الا وانا معكم فندخل كلنا سواء فلما اراد الانصراف قالت له لا تنس العهد الذى بيني وبينك ثم انها نهضت قائمة معه لاجل التوديع والعناق واطفاء نار الاشواق وبكت بكاء يذيب الاحجار وارسلت الدموع كالامطار فلما رأى منها ذلك البكاء والدموع اشتد به الوجد والولوع وترنح في الوداع دمع العين وانشد هذين البيتين

ودعتها وبدى اليمين لادمعي ❋ وبدى اليسار لضمة وعناق
قالت اما تخشى الفضيحة قلت لا ❋ يوم الوداع فضيحة العشاق

ثم فارقها شركان ونزل من الدير وقدموا له جواده فركب وخرج متوجها الى الجسر فلما وصل اليه مر من فوقه ودخل بين تلك الاشجار فلما تخلص من الاشجار ومشى في ذلك المرج واذا هو بثلاثة فوارس فاخذ لنفسه الحذر منهم وشهر سيفه وانحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضا عرفوه وعرفهم ووجد احدهم الوزير دندان ومعه اميران وعندما عرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وسأله الوزير دندان عن سبب غيابه فاخبره بجميع ما جرى له مع الملكة ابريزة من اوله الى آخره فحمد الله تعالى على ذلك ثم قال شركان ارحلوا بنا من هذه البلاد لان الرسل الذين جاؤا معنا رحلوا من عندنا ليعلموا ملكهم بقدومنا فربما اسرعوا الينا وقبضوا علينا ثم نادى شركان في عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم ولم يزالوا سائرين مجدين في السير حتى وصلوا الى سطح الوادى وكانت الرسل قد توجهوا الى ملكهم واخبروه بقدوم شركان فجهز اليه عسكرا ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من امر الرسل وملكهم واما ما كان من امر شركان فانه سافر بعسكره مدة خمسة ايام ثم نزلوا في وادكثير الاشجار واستراحوا فيه مدة وبعد ذلك سار وا منه ولم

يزالوا سائرين مدة خمسة وعشرين يوما حتى اشرفوا على اوائل بلادهم فلما وصلوا الى هنالك امنوا على انفسهم ونزلوا لاخذ الراحة فخرج اليهم اهل تلك البلاد بالضيافات وعليق البهائم ثم اقاموا يومين ورحلوا طالبين ديارهم وتاخر شركان بعدهم فى مائة فارس وجعل الوزير دندان اميرا على من معه من الجيش فسار الوزير دندان بمن معه مسيرة يوم ثم بعد ذلك ركب شركان هو والمائة فارس الذين معه وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا الى محل مضيق بين جبلين واذا امامهم غبرة وعجاج فمنعوا خيولهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار فبان من تحته مائة فارس ليوث عوابس وفى الحديد والزرد غواطس فلما ان قربوا من شركان ومن معه صاحوا عليهم وقالوا وحق يوحنا ومريم انا قد بلغنا ما املناه ونحن خلفكم مجدون السير ليلا ونهارا حتى سبقناكم الى هذا المكان فانزلوا عن خيولكم واعطونا اسلحتكم وسلموا الينا انفسكم حتى نجود عليكم بارواحكم فلما سمع شركان ذلك الكلام لاحت عيناه واحمرت وجنتاه وقال لهم يا كلاب النصارى كيف تجاسرتم علينا وجئتم بلادنا ومشيتم فى ارضنا وما كفاكم ذلك حتى تخاطبونا بهذا الخطاب اظننتم انكم تخلصون من ايدينا وتعودون الى بلادكم ثم صاح على المائة فارس الذين معه وقال لهم دونكم وهؤلاء الكلاب فانهم فى عددكم ثم سل سيفه وحمل عليهم وحملت معه المائة فارس فاستقبلتهم الافرنج بقلوب اقوى من الصخر واصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الابطال فى الابطال والتحم القتال واشتد النزال وعظمت الاهوال وقد بطل القيل والقال ولم يزالوا فى الحرب والكفاح والضرب بالصفاح الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا عن بعضهم واجتمع شركان باصحابه فلم يجد احدا منهم مجروحا غير اربعة انفس حصل لهم جراحات سليمة فقال لهم شركان انا عمرى اخوض بحر الحرب العجاج المتلاطم من السيوف بالامواج واقاتل الرجال فوالله ما لقيت اصبر على الجلاد وملاقاة الرجال مثل هؤلاء الابطال فقالوا له اعلم ايها الملك ان فيهم فارسا افرنجيا وهو المقدم عليهم له شجاعة وطعنات نافذات غير ان كل من وقع منا بين يديه يتغافل عنه ولا يقتله فوالله لو اراد قتلنا لقتلنا باجمعنا فتحير شركان لما سمع ذلك المقال وقال فى غد نصطف ونبارزهم فها نحن مائة وهم مائة ونطلب النصر عليهم من رب السماء وباتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق واما الافرنج فانهم اجتمعوا عند مقدمهم وقالوا له انا ما بلغنا اليوم فى هؤلاء اربا فقال لهم فى غد نصطف ونبارزهم واحدا بعد واحد فباتوا على ذلك الاتفاق ايضا فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وسلمت على محمد زين الملاح ركب الملك شركان وركبت معه المائة فارس واتوا الى الميدان كلهم فوجدوا الافرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان لاصحابه ان اعداءنا قد اصطفوا فدونكم والمبادرة اليهم فنادى مناد من الافرنج لا يكون قتالنا فى هذا اليوم الا مناوبة بان يبرز بطل منكم الى بطل منا فعند ذلك برز فارس من اصحاب شركان وساق بين الصفين وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لى اليوم كسلان ولا عاجز فلم يتم كلامه حتى برز اليه فارس من الافرنج غريق فى سلاحه وقماشه من ذهب وهو راكب على جواد اشهب وذلك الافرنجى لا نبات بعارضيه فساق جواده حتى وقف فى وسط الميدان وصادمه فى الضرب والطعان فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الافرنجى بالرمح فنكسه عن جواده واخذه اسيرا وقاده حقيرا ففرح به قومه ومنعوه ان يخرج الى الميدان واخرجوا غيره وقد خرج اليه من المسلمين آخر وهو اخو الاسير ووقف معه فى الميدان وحمل الاثنان على بعضهما ساعة يسيرة ثم كر الافرنجى على المسلم وغالطه وطعنه بعقب الرمح فنكسه عن جواده واخذه اسيرا ولا زال يخرج اليهم من المسلمين منهم واحد بعد واحد والافرنج ياسرونهم

الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد اسروا من المسلمين عشرين فارسا فلما عاين شركان ذلك عظم عليه
الامر فجمع اصحابه وقال لهم ما هذا الامر الذى حل بنا انا اخرج فى غد الى الميدان واطلب براز الافرنجى
المقدم عليهم وانظر ما الذى حمله على ان يدخل بلادنا واحذره من قتالنا فان ابا قاتلناه وان صالحنا صالحناه
وباتوا على هذا الحال الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ثم ركب الطائفتان واصطف الفريقان
فلما خرج شركان الى الميدان رأى الافرنج قد ترجل منهم اكثر من نصفهم قدام فارس منهم ومشوا قدامه
الى ان صاروا فى وسط الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس فرآه الفارس المقدم عليهم وهو لابس قباء
من اطلس ازرق ووجهه فيه كالبدر اذا اشرق ومن فوقه زردية ضيقة العيون وبيده سيف مهند وهو
راكب على جواد ادهم فى وجهه غرة كالدرهم وذلك الافرنجى لا نبات بعارضيه ثم انه لكز جواده حتى
صار فى وسط الميدان واشار الى المسلمين وهو يقول بلسان عربى فصيح يا شركان يا ابن عمر النعمان الذى ملك
الحصون والبلدان دونك والحرب والطعان وابرز الى من قد ناصفك فى الميدان فانت سيد قومك وانا سيد
قومى فمن غلب منا صاحبه اخذه هو وقومه تحت طاعته فما استتم كلامه حتى برز له شركان وقلبه من
الغيظ ملآن وساق جواده حتى دنى من الافرنجى فى الميدان فكر عليه الافرنجى كالاسد الغضبان وصدمه
صدمة الفرسان واخذا فى الطعن والضرب وصارا فى حومة الميدان كانهما جبلان يصطدمان او بحران
يلتطمان ولم يزالا فى قتال وحرب ونزال من اول النهار الى ان اقبل الليل بالاعتكار ثم انفصل كل
منهما من صاحبه وعاد الى قومه فلما اجتمع شركان باصحابه قال لهم ما رأيت مثل هذا الفارس قط
الا انى رأيت منه خصلة لم ارها من احد غيره وهو انه اذا لاح له فى خصمه مضرب قاتل يقلب الرمح
ويضربه بعقبه ولكن ما ادرى ماذا يكون منى ومنه ومرادى ان يكون فى عسكرنا مثله ومثل اصحابه
وبات شركان فلما اصبح الصباح خرج له الافرنجى ونزل فى وسط الميدان واقبل عليه شركان ثم اخذا
فى القتال واوسعا فى الحرب والمجال وامتدت اليهما الاعناق ولم يزالا فى حرب وكفاح وطعن بالرماح
الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ثم افترقا ورجعا الى قومهما وصار كل منهما يحكى لاصحابه
ما لاقاه من صاحبه ثم ان الافرنجى قال لاصحابه فى غد يكون الانفصال وباتوا تلك الليلة الى الصباح
ثم ركب الاثنان وحملا على بعضهما ولم يزالا فى الحرب الى نصف النهار وبعد ذلك عمل الافرنجى حيلة
ولكز الجواد ثم جذبه باللجام فعثر به ورماه فانكب عليه شركان واراد ان يضربه بالسيف خوفا ان يطول به
المطال فصاح به الافرنجى وقال يا شركان ما هكذا تكون الفرسان انما هذا فعل المغلوب بالنسوان
فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكلام رفع طرفه اليه وامعن النظر فيه فوجده الملكة ابريزة التى
وقع له معها ما وقع فى الدير فلما عرفها رمى السيف من يده وقبل الارض بين يديها وقال لها ما حملك
على هذه الفعال فقالت له اردت ان اختبرك فى الميدان وانظر ثباتك فى الحرب والطعان وهؤلاء الذين
معى كلهم جوارى وكلهن بنات ابكار وقد قهرن فرسانك فى حومة الميدان ولولا ان جوادى قد عثر بى
لكنت ترى قوتى وجلادى فتبسم شركان من قولها وقال لها الحمد لله على السلامة وعلى اجتماعى بك
يا ملكة الزمان ثم ان الملكة ابريزة صاحت على جواريها وامرتهن بالرحيل بعد ان يطلقن العشرين
اسيرا الذين كن اسرنهم من قوم شركان فامتثلت الجوارى امرها ثم قبلن الارض بين يديها فقال لهن
مثلكن من يكون عند الملوك مدخرا للشدائد ثم انه اشار الى اصحابه ان يسلموا عليها فترجلوا جميعا
وقبلوا الارض بين يدى الملكة ابريزة ثم ركب المئتا فارس وساروا فى الليل والنهار مدة ستة ايام وبعد ذلك

اقبلوا على الديار فامر شركان الملكة ابريزة وجواريها ان ينزعن ما عليهن من لباس الافرنج وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان امر الملكة ابريزة وجواريها ان ينزعن ما عليهن من الثياب وان يلبسن لباس بنات الروم ففعلن ذلك ثم انه ارسل جماعة من اصحابه الى بغداد ليعلم والده عمر النعمان بقدومه ويخبره ان الملكة ابريزة ابنة ملك الروم جاءت صحبته لاجل ان يرسل موكبا لملاقاتها ثم انهم نزلوا من وقتهم وساعتهم في المكان الذي وصلوا اليه وباتوا فيه الى الصباح فلما اصبح الصباح ركب الملك شركان هو ومن معه وركبت ايضا الملكة ابريزة هي ومن معها واستقبلوا المدينة واذا بالوزير دندان قد اقبل في الف فارس من اجل ملاقاة الملكة ابريزة هي وشركان وكان خروجه باشارة الملك عمر النعمان كما ارسل اليه ولده شركان فلما قربوا منهما توجهوا اليهما وقبلوا الارض بين ايديهما ثم ركبا وركبوا معهما وساروا في خدمتهما حتى وصلا الى المدينة وطلعا قصر الملك ودخل شركان على والده فقام اليه واعتنقه وسأله عن الخبر فاخبره بما قالته الملكة ابريزة وما اتفق له معها وكيف فارقت مملكتها وفارقت اباها وقال له انها اختارت الرحيل معنا والقعود عندنا وان ملك القسطنطينية اراد ان يعمل لنا حيلة من اجل صفية بنته لان ملك الروم قد اخبره بحكايتها وبسبب اهدائها اليك وان ملك الروم ما كان يعرف انها ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ما كان اهداها اليك بل كان ردها الى والدها ثم قال شركان لوالده ولم يخلصنا من هذه الحيل والمكايد الا ابريزة بنت ملك القسطنطينية وما راينا اشجع منها ثم انه شرع يحكي لابيه فيما وقع له معها من اوله الى آخره من امر المصارعة والمبارزة فلما سمع الملك عمر النعمان من ولده شركان ذلك الكلام عظمت ابريزة عنده وصار يتمنى انه يراها ثم انه طلبها لاجل ان يسألها فعند ذلك ذهب شركان اليها وقال لها ان الملك يدعوك فاجابت بالسمع والطاعة فاخذها شركان واتى بها الى والده وكان والده قاعدا على كرسيه واخرج من كان عنده ولم يبق عنده غير الخدم فلما دخلت الجارية ابريزة على الملك عمر النعمان قبلت الارض بين يديه وتكلمت باحسن الكلام فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها على ما فعلت مع ولده شركان وامرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها فلما رآها الملك حيل بينه وبين عقله ثم انه قربها اليه وادناها منه وافرد لها قصرا مختصا بها وبجواريها ورتب لها ولجواريها الرواتب ثم اخذ يسألها على تلك الخرزات الثلاث التي تقدم ذكرها سابقا فقالت له ان تلك الخرزات معي يا ملك الزمان ثم انها قامت ومضت الى محلها وفتحت صندوقا واخرجت منه علبة واخرجت من العلبة حقا من الذهب وفتحته واخرجت منه تلك الخرزات الثلاث ثم قبلتها وناولتها للملك وانصرفت فاخذت قلبه معها وبعد انصرافها ارسل الى ولده شركان فحضر فاعطاه خرزة من الثلاث خرزات فسأله عن الاثنين الاخريين فقال يا ولدي قد اعطيت منهما واحدة لاخيك ضوء المكان والثانية لاختك نزهة الزمان فلما سمع شركان ان له اخا يسمى ضوء المكان وما كان يعرف الا اخته نزهة الزمان التفت الى والده الملك عمر النعمان وقال له يا والدي ألك ولد غيري قال نعم وعمره الآن ست سنين ثم اعلمه ان اسمه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانهما ولدا في بطن واحد فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سره وقال لوالده على بركة الله تعالى ثم رمى الخرزة من يده ونفض اثوابه فقال له الملك ما لي اراك قد تغيرت احوالك لما سمعت

هذا الخبر مع انك صاحب المملكة من بعدى وقد عاهدت امراء الدولة على ذلك وهذه خرزة لك من الثلاث خرزات فاطرق شركان برأسه الى الارض واستحى ان يكافح والده ثم قام وهو لا يعلم كيف يصنع من شدة الغيظ وما زال ماشيا حتى دخل قصر الملكة ابريزة فلما اقبل عليها نهضت اليه قائمة وشكرته على فعاله ودعت له ولوالده وجلست واجلسته فى جانبها فلما استقر به الجلوس رأت فى وجهه الغيظ فسألته عن حاله وما سبب غيظه فاخبرها ان والده الملك عمر النعمان رزق من صفية ولدين ذكرا وانثى وسمى الولد ضوء المكان والانثى نزهة الزمان وقال انها انه اعطاهما خرزتين واعطانى واحدة فتركتها وانا الى الان لم اعلم بذلك الا فى هذا الوقت فخنقنى الغيظ وقد اخبرتك بسبب غيظى ولم اخف عنك شيأ واخشى عليك من ان يتزوجك فانى رأيت منه علامة الطمع فى انه يتزوج بك فما تقولين انت فى ذلك فقالت اعلم يا شركان ان اباك ماله حكم علىّ ولا يقدران يأخذنى بغير رضائى وان كان يأخذنى غصبا قتلت روحى واما الثلاث خرزات فما كان على بالى انه ينعم على احد من اولاده بشئ منها وما ظننت الا انه يجعلها فى خزائنه مع ذخائره ولكن اشتهى من احسانك ان تهب لى الخرزة التى كان اعطاها لك والدك ان قبلتها منه فقال لها سمعا وطاعة ثم قالت له لا تخف وتحدثت معه ساعة وقالت له انى اخاف ان يسمع ابى انى عندكم فيسعى فى طلبى ويتفق هو والملك افريدون من اجل ابنته صفية فيأتيان اليكم بعساكر وتكون ضجة عظيمة فلما سمع شركان ذلك قال لها يا مولاتى اذا كنت راضية بالاقامة عندنا لا تفكرى فيهم فلو اجتمع علينا كل من فى البر والبحر لغلبناهم فقالت ما يكون الا الخير وها انتم ان احسنتم الىّ قعدت عندكم وان اسأتم الىّ رحلت من عندكم ثم انها امرت الجوارى باحضار شئ من الاكل فقدمت المائدة فاكل شركان شيأ يسيرا ومضى الى داره مهموما مغموما هذا ما كان من امر شركان واما ما كان من امر ابيه عمر النعمان فانه بعد انصراف ولده شركان من عنده قام ودخل على جاريته صفية ومعه تلك الخرزات فلما رأته نهضت قائمة على قدميها الى ان جلس فاقبل عليه اولاده ضوء المكان ونزهة الزمان فلما رآهما قبلهما وعلق على كل واحد منهما خرزة ففرحا بالخرزتين وقبلا يديه واقبلا على امهما ففرحت بهما ودعت للملك بطول الدوام فقال لها الملك يا صفية حيث انك ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية لاى شئ لم تعلمينى لاجل ان ازيد فى اكرامك ورفع منزلتك فلما سمعت صفية ذلك قالت ايها الملك وماذا اريد اكثر من هذا زيادة على هذه المنزلة التى انا فيها فها انا مغمورة بانعامك وخيرك وقد رزقنى الله منك بولدين ذكر وانثى فاعجب الملك عمر النعمان كلامها واستظرف عذوبة الفاظها ودقة فهمها وظرف ادبها ومعرفتها ثم انه مضى من عندها وافرد لها ولاولادها قصرا عجيبا ورتب لهم الخدم والحشم والفقهاء والحكماء والفلكية والاطباء والجرائحية واوصاهم بهم وزاد فى رواتبهم واحسن اليهم غاية الاحسان ثم رجع الى قصر المملكة والمحاكمة بين الناس هذا ما كان من امره مع صفية واولادها واما ما كان من امره مع الملكة ابريزة فانه اشتغل بحبها وصار ليلا ونهارا مشغوفا بها وفى كل ليلة يدخل اليها ويتحدث عندها ويلوح لها بالكلام فلم ترد له جوابا بل تقول يا ملك الزمان انا فى هذا الوقت مالى غرض فى الرجال فلما رأى تمنعها منه اشتد به الغرام وزاد عليه الوجد والهيام فلما اعياه ذلك احضر وزيره دندان واطلعه على ما فى قلبه من محبة الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب واخبره انها لا تدخل فى طاعته وقد قتله حبها ولم ينل منها شيأ فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك اذا جن الليل فخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال وادخل عليها واشرب معها شيأ من الخمر فاذا كان وقت الفراغ

من الشرب والمنادمة فاعطها القدح الاخير واجعل فيه ذلك البنج واسقها اياه فانها ما تصل الى مرقدها الا وقد تحكم عليها البنج فتبلغ غرضك منها وهذا ما عندى من الرأى فقال له الملك نعم ما اشرت به على ثم انه عمد الى خزانته واخرج منها قطعة بنج مكرر لو شمه الفيل لرقد من السنة الى السنة ثم انه وضعها فى جيبه وصبر الى ان مضى قليل من الليل ودخل على الملكة ابريزة فى قصرها فلما رأته نهضت اليه قائمة فاذن لها بالجلوس فجلست وجلس عندها وصار يتحدث معها فى امر الشراب فقدمت سفرة الشراب وصفت له الاوانى واوقدت الشموع وامرت باحضار النقل والفاكهة وكل ما يحتاجان اليه وصار يشرب معها وينادمها الى ان دب السكر فى رأس الملكة ابريزة فلما علم الملك النعمان ذلك اخرج القطعة البنج من جيبه وجعلها بين اصابعه وملاء كاسا بيده وشربه وملاءه ثانيا واسقط القطعة البنج فيه وهى لا تشعر بذلك ثم قال لها خذى اشربى هذا فاخذته الملكة ابريزة وشربته فما كان الا دون ساعة حتى تحكم البنج عليها وسلب ادراكها فقام اليها فوجدها ملقاة على ظهرها وقد كانت قلعت السراويل من رجليها ورفع الهوا ذيل قميصها عنها فلما دخل عليها الملك راها على تلك الحالة ووجد عند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة تضىء على ما بين فخذيها حيل بينه وبين عقله ووسوس له الشيطان فما تمالك نفسه حتى قلع سراويله ووقع عليها وازال بكارتها وقام من فوقها ودخل الى جارية من جواريها يقال لها مرجانة وقال لها ادخلى على سيدتك كلميها فدخلت الجارية على سيدتها فوجدت دمها يجرى على سيقانها وهى ملقاة على ظهرها فمدت يدها الى منديل من مناديلها واصلحت به شأن سيدتها ومسحت عنها ذلك الدم فلما اصبح الصباح تقدمت الجارية مرجانة وغسلت وجه سيدتها ويديها ورجليها ثم جاءت بماء الورد وغسلت به وجهها وفمها فعند ذلك عطست الملكة ابريزة وتقايأت ذلك البنج فنزلت القطعة البنج من باطنها كالقرص ثم انها غسلت فمها ويديها وقالت لمرجانة اعلمينى بما كان من امرى فاخبرتها انها رأتها ملقاة على ظهرها ودمها سائل على فخذيها فعرفت ان الملك عمر النعمان قد وقع بها وواصلها وتمت حيلته عليها فاغتمت لذلك غما شديدا وحجبت نفسها وقالت لجواريها امنعوا كل من اراد ان يدخل علىّ وقولوا له انها ضعيفة حتى انظر ماذا يفعل الله بى فعند ذلك وصل الخبر الى الملك عمر النعمان بان الملكة ابريزة ضعيفة فصار يرسل اليها الاشربة والسكر والمعاجين واقامت على ذلك شهورا وهى محجوبة ثم ان الملك قد بردت ناره وانطفأ شوقه اليها وصبر عنها وكانت قد علقت منه فلما مرت عليها الشهر ظهر الحمل وكبرت بطنها ضاقت بها الدنيا فقالت لجاريتها مرجانة اعلمى ان القوم ما ظلمونى وانما انا الجانية على نفسى حيث فارقت ابى وامى ومملكتى وانا قد كرهت الحياة وضعفت همتى ولم يبق عندى من الهمة ولا من القوة شىء وكنت اذا ركبت جوادى اقدر عليه وانا الان لا اقدر على الركوب ومتى ولدت عندهم صرت معيرة عند جوارى وكل من فى القصر يعلم انه ازال بكارتى سفاحا واذا رجعت لابى باى وجه القاه وباى وجه ارجع اليه وما احسن قول الشاعر

بم التعلل لا اهل ولا وطن * ولا نديم ولا كاس ولا سكن

فقالت لها مرجانة الامر امرك وانا فى طوعك فقالت اريد اليوم ان اخرج سرا بحيث لا يعلم بى احد غيرك واسافر الى ابى وامى فان اللحم اذا انتن ماله الا اهله والله يفعل بى ما يريد فقالت لها نعم ما تفعلين ايتها الملكة ثم انها جهزت احوالها وكتمت سرها وصبرت اياما حتى خرج الملك للصيد والقنص وخرج ولده شركان الى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فاقبلت ابريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها اريد

ان اسافر فى هذه الليلة ولكن كيف اصنع فى المقادير وقد قرب اوان الطلق والولادة وان قعدت خمسة ايام او اربعة وضعت هنا ولم اقدر ان اروح بلادى وهذا ما كان مكتوبا على جبينى ومقدرا على فى الغيب ثم تفكرت ساعة وبعد ذلك قالت لمرجانة انظرى لنا رجلا يسافر معنا ويخدمنا فى الطريق فانه ليس لى قوة على حمل السلاح فقالت مرجانة والله ياسيدتى ما اعرف غير عبد اسود اسمه الغضبان وهو من عبيد الملك عمر النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا فان الملك امره ان يخدمنا وقد غمرناه باحساننا فها انا اخرج اليه واكلمه فى شأن هذا الامر واعده بشئ من المال واقول له اذا اردت المقام عندنا ازوجك بمن شئت وكان قد ذكر لى قبل اليوم انه كان يقطع الطريق فان هو وافقنا بلغنا مرادنا ووصلنا الى بلادنا فقالت لها هاتيه عندى حتى احدثه فخرجت لهم مرجانة وقالت له ياغضبان قد اسعدك الله ان قبلت من سيدتك ما تقوله لك من الكلام ثم اخذت بيده واقبلت به على سيدتها فلما رآها اقبل يديها فحين رأته نفر قلبها منه لكنها قالت فى نفسها ان الضرورة لها احكام واقبلت عليه تحدثه وقلبها نافر منه وقالت له ياغضبان هل فيك مساعدة لنا على غدرات الزمان واذا اظهرتك على امرى تكون كاتما له فلما نظر العبد اليها ورأى حسنها ملكت قلبه وعشقها لوقته وقال لها ياسيدتى ان امرتنى بشئ لا اخرج عنه فقالت له اريد منك فى هذه الساعة ان تأخذنى وتأخذ جاريتى هذه وتشد لنا راحلتين وفرسين من خيل الملك وتضع على كل فرس خرجا من المال وشيأ من الزاد وترحل معنا الى بلادنا وان اقمت عندنا زوجناك من تختارها من جوارى وان طلبت الرجوع الى بلادك اعطيناك ما تحب ثم ترجع الى بلادك بعد ان تأخذ ما يكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وقال ياسيدتى انى اخدمكما بعيونى وامضى معكما واشد لكما الخيل ثم مضى وهو فرحان وقال فى نفسه قد بلغت ما اريد منهما وان لم تطاوعانى قتلتهما واخذت ما معهما من المال واضمر ذلك فى سره ثم مضى وعاد ومعه راحلتان وثلاث من الخيل وهو راكب احداهن واقبل على الملكة ابريزة وقدم اليها فرسا فركبته وهى متوجعة من الطلق ولا تملك نفسها من كثرة الوجع وركبت مرجانة فرسا ثم سافر بهما ليلا ونهارا حتى وصلوا بين الجبال وبقى بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فما قدرت ان تمسك نفسها على الفرس فقالت للغضبان انزلنى فقد لحقنى الطلق وقالت لمرجانة انزلى واقعدى تحتى وولدينى فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة ابريزة من فوق فرسها وهى غائبة عن الدنيا من شدة الطلق وحين رآها الغضبان نزلت على الارض وقف الشيطان فى وجهه فشهر حسامه فى وجهها وقال ياسيدتى ارحمينى بوصلك فلما سمعت مقالته التفتت اليه وقالت له ما بقى على الا العبيد السود بعدما كنت لا ارضى بالملوك الصناديد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة ابريزة لما قالت للعبد الذى هو غضبان ما بقى على الا العبيد السود ثم صارت تبكته واظهرت له الغيظ وقالت له ويلك ما هذا الكلام الذى تقوله لى فلا تتكلم بشئ من هذا فى حضرتى واعلم اننى لا ارضى بشئ مما قلته ولو سقيت كاس الردى ولكن اصبر حتى اصلح الجنين واصلح شانى وارمى الخلاص ثم بعد ذلك ان قدرت على فافعل بى ما تريد وان لم تترك فاحش الكلام فى هذا الوقت فانى

اقتل نفسي بيدي وافارق الدنيا وارتاح من هذا كله ثم انشدت هذه الابيات

ايا غضبان دعني قد كفاني * مكابدة الحوادث والزمان
عن الفحشاء ربي قد نهاني * وقال النار مثوى من عصاني
واني لا اميل لفعل سوء * بعين النقص دعني لا تراني
ولو لم تترك الفحشاء عني * وترى حرمتي في من رعاني
لاصرخ طاقتي لرجال قومي * واجلب كل قاصيها ودانى
ولو قطعت بالسيف اليماني * لما خليت فحاشا يراني
من الاحرار والكبراء طرا * فكيف العبد من نسل الزواني

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضبا شديدا واحمرت مقلته واغبرت سحنته وانتفخت مناخره واستدلت مشافره وزادت به النفرات وانشد هذه الابيات

ايا ابريزة لا تتركيني * قتيل هواك باللحظ اليماني
فقلبي قد تقطع من جفاك * وجسمي ناحل والصبر فان
وافتنت قد سبى الالباب سحرا * فعقلي نازح والشوق دان
ولو اجلبت ملاء الارض جيشا * لابلغ مآربي في ذا الزمان

فلما سمعت ابريزة كلامه بكت بكاء شديدا وقالت له ويلك يا غضبان وهل بلغ من قدرك ان تخاطبني بهذا الخطاب يا ولد الزنا وتربية الخنا اتحسب ان الناس كلهم سواء فلما سمع ذلك العبد النحس هذا الكلام غضب منها غضبا شديدا وتقدم اليها وضربها بالسيف فقتلها وساق جوادها قدامه بعد ان اخذ المال وفر بنفسه الى شقاف الجبال هذا ما كان من امر الغضبان واما ما كان من امر الملكة ابريزة فانها صارت طريحة على الارض وكان الولد الذي ولدته ذكرا فحملته مرجانة في حجرها وصرخت صرخة عظيمة وشقت اثوابها وصارت تحثو التراب على راسها وتلطم على خدها حتى طلع الدم من وجهها وقالت واخيبتاه كيف قتل سيدتي عبد اسود لا قيمة له بعد فروسيتها فبينما هي تبكي واذا بغبار قد طار حتى سد الاقطار ولما انكشف ذلك الغبار بان من تحته عسكر جرار وكانت تلك العساكر عساكر ملك الروم والد الملكة ابريزة وسبب ذلك انه لما سمع ان ابنته هربت هي وجواريها الى بغداد وانها عند الملك عمر النعمان خرج بمن معه يتشمم الاخبار من بعض المسافرين ان كانوا راوها عند الملك عمر النعمان فخرج بمن معه ليسأل المسافرين من اين اقبلوا لعله يعلم بخبر بنته وكان راى على بعد هؤلاء الثلاثة ابنته والعبد الغضبان وجاريتها مرجانة فقصدهم ليسألهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه فقتلها ونجا بنفسه فلما اقبلوا عليها رآها ابوها مرمية على الارض وجاريتها تبكي عليها فرمى نفسه من فوق جواده ووقع في الارض مغشيا عليه فترجل كل من كان معه من الفرسان والامراء والوزراء وضربوا الخيام في الجبال ونصبوا قبة للملك حردوب ووقف ارباب الدولة خارج تلك القبة فلما رأت مرجانة سيدها عرفته وزادت في البكاء والنحيب فلما افاق الملك من غشيته سألها عن الخبر فاخبرته بالقصة وقالت له ان الذي قتل ابنتك عبد اسود من عبيد الملك عمر النعمان واخبرته بما فعله الملك عمر النعمان بابنته فلما سمع الملك حردوب ذلك الكلام اسودت الدنيا في وجهه وبكى بكاء شديدا ثم امر باحضار محفة وحمل ابنته فيها ومضى الى قيسارية وادخلوها القصر ثم ان الملك حردوب دخل على امه ذات الدواهي وقال لها اهكذا تفعل المسلمون ببنتي فان الملك عمر

النعمان ازال بكارتها قهرا وبعد ذلك قتلها عبد اسود من عبيده فوحق المسيح لابد من اخذ ثاري منه وكشف العار عن عرضي والا قتلت نفسي بيدي ثم بكى بكاء شديدا فقالت له امه ذات الدواهي ما قتل ابنتك الا مرجانة لانها كانت تكرهها في الباطن ثم قالت لولدها لا تحزن من جهة اخذ ثارها فوحق المسيح لا ارجع عن الملك عمر النعمان حتى اقتله واقتل اولاده ولاعملن معه عملا تعجز عنه الدهاة والابطال ويتحدث به المحدثون في جميع الاقطار ولكن ينبغي لك ان تمتثل امري في كل ما اقوله وانت تبلغ ما تريد فقال لها وحق المسيح لا اخالفك ابدا فيما تقولينه قالت له ائتني بجوار نهد ابكار وائتني بحكماء الزمان واجزل لهم العطايا وامرهم ان يعلموا الجواري الحكمة والادب وخطاب الملوك ومنادمتهم والاشعار وان يتكلموا بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين لاجل ان يعلموهن اخبار العرب وتواريخ الخلفاء واخبار من سلف من ملوك الاسلام ولو انا على ذلك عشرة اعوام وطول روحك واصبر فان بعض الاعراب يقول ان اخذ الثار بعد اربعين عاما مدته قليلة ونحن اذا علمنا تلك الجواري بلغنا من عدونا ما نختار لانه مفتتن بحب الجواري وعنده ثلثمائة جارية وستة وستون جارية وازددن مائة جارية من خواص جواريك التي كن مع المرحومة فاذا تعلم الجواري ما اخبرتك به من العلوم فاني آخذهم بعد ذلك واسافر بهم فلما سمع الملك حردوب كلام امه ذات الدواهي فرح فرحا شديدا وقبل رأسها ثم ارسل من وقته وساعته المسافرين والقصاد الى اطراف البلاد ليأتوا اليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا امره وسافروا الى بلاد بعيدة واتوه بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين يديه اكرمهم غاية الاكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل اذا فعلوا ما امرهم به ثم احضر لهم الجواري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العلماء والحكماء لما حضروا عند الملك حردوب اكرمهم اكراما زائدا واحضر الجواري بين ايديهم واوصاهم ان يعلموهن الحكمة والادب فامتثلوا امره هذا ما كان من امر الملك حردوب واما ما كان من امر الملك عمر النعمان فانه لما عاد من الصيد والقنص وطلع القصر طلب الملكة ابريزة فلم يجدها ولم يخبره احد عنها فعظم عليه ذلك وقال كيف تخرج هذه الجارية من القصر ولم يعلم بها احد فان كانت مملكتي على هذا الامر فانها ضايعة المصلحة ولا ضابط لها فلا بقيت اخرج الى الصيد والقنص حتى ارسل الى الابواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة ابريزة فبينما هو كذلك واذا بولده شركان قد اتى من سفره فاعلمه والده بذلك واخبره انها هربت وهو في الصيد والقنص فاغتم شركان لذلك غما شديدا ثم ان الملك صار يتفقد اولاده كل يوم ويكرمهم وكان قد احضر العلماء والحكماء ليعلموهم العلم ورتب لهم الرواتب فلما رأى شركان ذلك الامر غضب غضبا شديدا وحسد اخوته على ذلك الى ان ظهر اثر الغيظ في وجهه ولم يزل متمرضا بسبب هذا الامر فقال له والده يوما من الايام ما لي اراك تزداد ضعفا في جسمك واصفرارا في لونك فقال له شركان يا والدي كلما رأيتك تقرب اخوتي وتحسن اليهم يحصل عندي حسد واخاف ان يزيد بي الحسد فاقتلهم وتقتلني انت بسببهم اذا انا قتلتهم فمرض جسمي وتغير لوني بسبب ذلك ولكن انا اشتهي من احسانك ان تعطيني قلعة من القلاع حتى اقيم بها بقية عمري فان صاحب المثل يقول بعدي عن حبيبي اجمل لي واحسن عين لا تنظر وقلب لا يحزن ثم طرق برأسه

الى الارض فلما سمع الملك عمر النعمان كلامه عرف سبب ماهو فيه من التقصير فاخذ بخاطره وقال له يا ولدى انى اجيبك الى ماتريد وليس فى ملكى اكبر من قلعة دمشق فقد ملكتها من هذا الوقت ثم احضر للموقعين فى الوقت والساعة وامرهم بكتابة تقليد ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه واخذ الوزير دندان معه واوصاه بالمملكة والسياسة وقلده اموره ثم ودعه والده وودعته الامراء واكابر الدولة وسار بالعسكر حتى وصل الى دمشق فلما وصل اليها دق له اهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات وزينوا المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه اهل الميمنة ميمنة واهل الميسرة ميسرة هذا ما كان من امر شركان واما ما كان من امر والده عمر النعمان فانه بعد سفر ولده شركان اقبل عليه الحكماء وقالوا له يا مولانا ان اولادك تعلموا العلم والحكمة والادب فعند ذلك فرح الملك عمر النعمان فرحا شديدا وانعم على جميع الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار له من العمر اربعة عشر سنة وطلع مشتغلا بالدين والعبادة محبا للفقراء واهل العلم والقرآن وصار اهل بغداد يحبونه نساء ورجالا الى ان طاف ببغداد محمل العراق من اجل الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق الى الحج فدخل على والده وقال له انى اتيت اليك لاستأذنك فى ان احج فمنعه من ذلك وقال له اصبر الى العام القابل وانا اتوجه الى الحج واخذك معى فلما رأى الامر يطول عليه دخل على اخته نزهة الزمان فوجدها قائمة تصلى فلما قضت الصلاة قال لها انى قد قتلنى الشوق الى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام واستأذنت والدى فمنعنى من ذلك فالمقصود ان اخذ شيأ من المال واخرج الى الحج سرا ولا اعلم ابى بذلك فقالت له اخته بالله عليك ان تأخذنى معك ولا تحرمنى من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا جن الظلام فاخرجى من هذا المكان ولا تعلمى احدا بذلك فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان واخذت شيأ من المال ولبست لباس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ومشت متوجهة الى باب القصر فوجدت اخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب واركبها وسارا ليلا واختلطا بالحجيج ومشيا الى ان صارا فى وسط الحج العراقى وما زالا سائرين وكتب الله لهما السلامة حتى دخلا مكة المشرفة ووقفا بعرفات وقضيا مناسك الحج ثم توجها الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فزاراه وبعد ذلك ارادا الرجوع مع الحجاج الى بلادهم فقال ضوء المكان لاخته يا اختى اريد ان ازور بيت المقدس والخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت له وانا كذلك واتفقا على ذلك ثم خرج واكترى له ولها مع المقادسة وجهز احوالهما وتوجها مع الركب فحصل لاخته فى تلك الليلة حمى باردة فتشوشت ثم شوفيت وتشوش الآخر فصارت تلاطفه فى ضعفه ولم يزالا سائرين الى ان دخلا بيت المقدس واشتد المرض على ضوء المكان ثم انهما نزلا فى خان هناك واكتريا لهما فيه حجرة واستقرا فيها ولم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى انحله وغاب عن الدنيا فاغتمت لذلك اخته نزهة الزمان وقالت لا حول ولا قوة الا بالله هذا حكم الله ثم انها قعدت هى واخوها فى ذلك المكان وقد زاد به الضعف وهى تخدمه وتنفق عليه وعلى نفسها حتى فرغ ما معهما من المال وافتقرت ولم يبق معها ولا درهم فارسلت صبى الخان الى السوق بشئ من قماشها فباعه وانفقته على اخيها ثم باعت شيأ آخر ولم تزل تبيع من امتعتها شيأ فشيأ حتى لم يبق لها غير حصير مقطعة فبكت وقالت لله الامر من قبل ومن بعد ثم قال لها اخوها يا اختى انى قد احسست بالعافية وفى خاطرى شئ من اللحم المشوى فقالت له اخته والله يا اخى انى مالى وجه للسؤال ولكن غدا ادخل بيت احد من الاكابر واخدم واعمل بشئ نقتات به انا وانت ثم تفكرت

ساعة

ساعة وقالت له انى لا يهون على فراقك وانت فى هذه الحالة ولكن لابد من طلب المعاش فهو راعى فقال لها اخوها ابعد العز تصبحين ذليلة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم بكى وبكت وقالت له يا اخى نحن غرباء وقد اقمنا هنا سنة كاملة ما دق علينا الباب احد فهل نموت من الجوع فليس عندى من الرأى الا انى اخرج واخدم واتيك بشئ تقتات به الى ان تبرأ من مرضك ثم نسافر الى بلادنا ومكثت تبكى ساعة ثم بعد ذلك قامت نزهة الزمان وغطت راسها بقطعة عباءة من ثياب الجمالين كان صاحبها انسيها عندهما وقبلت رأس اخيها واعتنقته وخرجت من عنده وهى تبكى ولم تعلم اين تمضى وما زال اخوها ينتظرها الى ان قرب وقت العشاء ولم تأت فمكث بعد ذلك وهو ينتظرها الى ان طلع النهار فلم تعد اليه ولم يزل على هذه الحالة يومين فعظم ذلك عنده وارتجف قلبه عليها واشتد به الجوع فخرج من الحجرة وصاح على صبى الخان وقال له اريد ان تحملنى الى السوق فحمله والقاه فى السوق فاجتمع عليه اهل القدس وبكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة فاشار اليهم يطلب شيئا يأكله فجاؤا له من بعض التجار الذين فى السوق ببعض دراهم واشتروا له شيأ واطعموه اياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له قطعة برش ووضعوا عند رأسه ابريقا فلما اقبل الليل انصرف عنه كل الناس وهم حاملون همه فلما كان نصف الليل تذكر اخته فازداد به الضعف وامتنع من الاكل والشرب وغاب عن الوجود فقام اهل السوق واخذوا له من التجار ثلاثين درهما واكتروا له جملا وقالوا للجمال احمل هذا واوصله الى دمشق وادخله المارستان لعله ان يبرأ فقال لهم على الرأس ثم قال فى نفسه كيف امضى بهذا المريض وهو مشرف على الموت ثم خرج به الى مكان واختفى به الى الليل ثم القاه على مزبلة مستوقد حمام ثم مضى الى حال سبيله فلما اصبح الصباح طلع وقاد الحمام الى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال فى نفسه لاى شئ ما يرمون هذا الميت الا هنا ورفصه برجله فتحرك فقال الوقاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمى نفسه فى اى موضع كان ثم نظر وجهه فرآه لا نبات بعارضيه وهو ذو بهاء وجمال فاخذته الرأفة عليه وعرف انه مريض وغريب فقال لا حول ولا قوة الا بالله انى دخلت فى خطيئة هذا الصبى وقد اوصى النبى صلى الله عليه وسلم باكرام الغريب لا سيما اذا كان الغريب مريضا ثم حمله واتى به الى منزله ودخل به على زوجته وامرها ان تخدمه وتفرش له بساطا ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة وسخنت له ماء وغسلت له به يديه ورجليه ووجهه وخرج الوقاد الى السوق واتى له بشئ من ماء الورد والسكر ورش ماء الورد على وجهه وسقاه السكر واخرج له قميصا نظيفا والبسه اياه فشم نسيم الصحة وتوجهت اليه العافية واتكى على المخدة ففرح الوقاد بذلك وقال الحمد لله على عافية هذا الصبى اللهم انى اسألك بسرك المكنون ان تجعل سلامة هذا الشاب على يدى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوقاد قال اللهم انى اسألك بسرك المكنون ان تجعل سلامة هذا الصبى على يدى وما زال الوقاد يتعهده ثلاثة ايام وهو يسقيه السكر وماء الخلاف وماء الورد ويتعطف عليه ويتلطف به حتى سرت الصحة فى جسمه وفتح عينيه فاتفق ان الوقاد دخل عليه فرآه جالسا وعليه آثار النشاط فقال له ما حالك يا ولدى فى هذا الوقت فقال ضوء المكان بخير وعافية فحمد الوقاد ربه وشكره ثم نهض الى السوق واشترى له عشر دجاجات واتى زوجته وقال لها اذبحى له فى كل يوم اثنتين واحدة فى اول النهار

وواحدة فى آخر النهار فقامت وذبحت له دجاجة وسلقتها واتت بها اليه واطعمته اياها واسقته مرقتها فلما فرغ من الاكل قدمت له ماء مسخنا فغسل يديه واتكى على الوسادة وغطته بملاءة فنام الى العصر ثم قامت وسلقت دجاجة اخرى واتته بها وفسختها وقالت له كل ياولدى فبينما هو يأكل واذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه فجلس عند رأسه وقال له ما حالك ياولدى فى هذا الوقت فقال الحمد لله على العافية جزاك الله عنى خيرا ففرح الوقاد بذلك ثم انه خرج واتى بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه وكان ذلك الوقاد يعمل فى الحمام كل يوم بخمسة دراهم فيشترى له كل يوم بدرهم سكرا وماء الورد وشراب البنفسج ويشترى له بدرهم فراريج ومازال يلاطفه الى ان مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنه آثار المرض وتوجهت اليه العافية ففرح الوقاد هو وزوجته بعافية ضوء المكان وقال له الوقاد ياولدى هل لك ان تدخل معى الحمام قال نعم فمضى الى السوق واتى له بمكارى واركبه حمارا وجعل يسنده الى ان وصل الى الحمام ثم دخل معه الحمام واجلسه فى داخله ومضى الى السوق واشترى له سدرا ودقاقا وقال لضوء المكان ياسيدى بسم الله اغسل لك جسدك واخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه وشرع يغسل له جسده بالسدر والدقاق واذا بلان قد ارسله معلم الحمام الى ضوء المكان فوجد الوقاد يحك رجليه فتقدم اليه البلان وقال له هذا نقص فى حق المعلم فقال الوقاد والله ان المعلم غمرنا باحسانه فشرع البلان يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك رجع به الوقاد الى منزله والبسه قميصا رفيعا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة واعطاه حزاما وكانت زوجة الوقاد قد ذبحت دجاجتين وطبختهما فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقاد واذاب له السكر فى ماء الورد وسقاه ثم قدم له السفرة وصار الوقاد يفسخ له من تلك الدجاج ويطعمه ويسقيه من المسلوقة الى ان اكتفى وغسل يديه وحمد الله تعالى على العافية ثم قال للوقاد انت الذى من الله على بك وجعل سلامتى على يديك فقال له الوقاد دع عنك هذا الكلام وقل لنا ما سبب مجيئك الى هذه المدينة ومن اين انت فانى ارى على وجهك آثار النعمة فقال له ضوء المكان قل لى انت كيف وقعت بى حتى اخبرك بحديثى فقال له الوقاد اما انا فانى وجدتك مرميا على القمامة فى المستوقد حين لاح الفجر لما توجهت الى اشغالى ولم اعرف من رماك فاخذتك عندى وهذه حكايتى فقال ضوء المكان سبحان من يحيى العظام وهى رميم انك يا اخى ما فعلت الجميل الا مع اهله وسوف تجنى ثمرة ذلك ثم قال للوقاد وانا الآن فى اى البلاد فقال له الوقاد انت فى مدينة القدس فعند ذلك تذكر ضوء المكان غربته وفراق اخته وبكى حيث باح بسره الى الوقاد وحكى له حكايته ثم انشد هذه الابيات

لقد حملونى فى الهوى غير طاقتى ❊ ومن اجلهم قامت على قيامتى
الا فارفقوا ياهاجرون بمهجتى ❊ فقد رق لى من بعدكم كل شامت
ولا تمنعوا ان تسمحوا لى بنظرة ❊ تخفف احوالى وفرط صبابتى
سالت فؤادى الصبر عنكم فقال لى ❊ اليك فان الصبر من غير عادتى

ثم زاد فى بكائه فقال له الوقاد لا تبك واحمد الله على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين دمشق فقال ستة ايام فقال ضوء المكان هل لك ان ترسلنى اليها فقال له الوقاد ياسيدى كيف ادعك تروح وحدك وانت شاب صغير فان شئت السفر الى دمشق فانا الذى اروح معك وان اطاعتنى زوجتى وسافرت معى اقمت هناك فانه لا يهون على فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك ان تسافرى معى الى

دمشق الشام او تكوني مقيمة هنا حتى اوصل سيدي هذا الى دمشق الشام واعود اليك فانه يطلب السفر اليها فاني والله لا يهون على فراقه واخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته اسافر معكما فقال الوقاد الحمد لله على الموافقة ثم ان الوقاد قام وباع امتعته وامتعة زوجته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوقاد اتفق هو وزوجته على السفر مع ضوء المكان وعلى انهما يمضيان معه الى دمشق ثم ان الوقاد باع امتعته وامتعة زوجته ثم اكترى حمارا واركب ضوء المكان اياه وسافروا ولم يزالوا مسافرين ستة ايام الى ان دخلوا دمشق فنزلوا هنالك في آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيأ من الاكل والشرب على العادة وما زالوا على ذلك الحال خمسة ايام وبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد اياما قلائل وانتقلت الى رحمة الله تعالى فعظم ذلك على ضوء المكان لانه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه وحزن عليها الوقاد حزنا شديدا فالتفت ضوء المكان الى الوقاد فوجده حزينا فقال له لا تحزن فاننا كلنا داخلون في هذا الباب فالتفت الوقاد الى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيرا يا ولدي فالله تعالى يعوض علينا بفضله ويزيل عنا الحزن فهل لك يا ولدي ان تخرج بنا ونتفرج في دمشق لينشرح خاطرك فقال له ضوء المكان الرأي رأيك فقام الوقاد ووضع يده في يد ضوء المكان وسارا الى ان اتيا تحت اصطبل والى دمشق فوجدا جمالا محملة صناديق وفرشا وقماشا من الديباج وغيره وجنائب مسرجة وبخاتي وعبيدا ومماليك والناس في هرج ومرج فقال ضوء المكان يا ترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمال والامتعة وسأل بعض الخدم عن ذلك فقال له المسؤل هذه هدية من امير دمشق يريد ارسالها الى الملك عمر النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وانشد يقول

ان شكونا البعاد ماذا نقول * او تلفنا شوقا فكيف السبيل
او رأينا رسلا تترجم عنا * ما يؤدي شكوى المحب رسول
او صبرنا فما من الصبر عندي * بعد فقد الاحباب الا القليل

وقال ايضا

رحلوا غائبين عن جفن عيني * وهم في الفؤاد مني حلول
غاب عني جمالهم فخيالي * ليس يخلو ولا اشتياقي يحول
ان قضى الله باجتماعي عليكم * اذكر الوجد في حديث يطول

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد يا ولدي نحن ما صدقنا انك جاءتك العافية فطب نفسا ولا تبك فاني اخاف عليك من النكسة وما زال يلاطفه ويمازحه وضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لاخته ومملكته ويرسل العبرات ثم انشد هذه الابيات

تزود من الدنيا فانك راحل * وايقن بان الموت لا شك نازل
نعيمك في الدنيا غرور وحسرة * وعيشك في الدنيا محال وباطل
الا انما الدنيا كمنزل راكب * اناخ عشيا وهو في الصبح راحل

ثم ان ضوء المكان جعل يبكي وينتحب على غربته وكذلك الوقاد صار يبكي على فراق زوجته ولكنه ما زال

يتلطف بضوء المكان الى ان اصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كانك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم ولا استطيع ان اقيم هنا واستودعك الله فانى مسافر مع هؤلاء القوم وامشى معهم قليلا قليلا حتى اصل الى بلادى فقال له الوقاد وانا معك فانى لا اقدر ان افارقك فانى عملت معك حسنة واريد ان اتممها بخدمتى لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عنى خيرا وفرح ضوء المكان بسفر الوقاد معه ثم ان الوقاد خرج من ساعته واشترى له حمارا وهيأ زادا ثم قال لضوء المكان اركب هذا الحمار فى السفر فاذا تعبت من الركوب فانزل وامش فقال ضوء المكان بارك الله فيك واعاننى على مكافئتك فانك فعلت معى من الخير ما لا يفعله احد مع اخيه ثم صبر الى ان جن الظلام فحملا زادهما وامتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من امر ضوء المكان والوقاد واما ما كان من امر اخته نزهة الزمان فانها لما فارقت اخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذى كانا فيه فى القدس بعد ان التفت بالعباءة لاجل ان تخدم احدا وتشترى لاخيها ما اشتهاه من اللحم المشوى وصارت تبكى فى الطريق وهى لا تعرف اين تتوجه وصار خاطرها مشغولا باخيها وقلبها متفكرا فى الاهل والاوطان فصارت تتضرع الى الله تعالى فى دفع هذه البليات وانشدت هذه الابيات

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم * والشوق حرك ما عندى من الالم
ولوعة البين فى الاحشا قد سكنت * والوجد صيرنى فى حالة العدم
والحزن اقلقنى والشوق احرقنى * والدمع باح بحب اى مكتتم
وليس لى حيلة فى الوصل اعرفها * حتى تزحزح ما عندى من الغمم
فنار قلبى بالاشواق موقدة * ومن لظاها يظل الصب فى نقم
يا من يلوم على ما حل بى وجرى * انى صبرت على ما خط بالقلم
اقسمت بالحب مالى سلوة ابدا * يمين اهل الهوى مبرورة القسم
يا ليل بلغ رواة الحب عن خبرى * واشهد بعلمك انى فيك لم انم

ثم ان نزهة الزمان اخت ضوء المكان صارت تمشى وتلتفت يمينا ويسارا واذا بشيخ مسافر من البدو ومعه خمسة نفر من العرب قد التفت الى نزهة الزمان فرآها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال فى نفسه ان هذه جميلة ولكنها ذات قشف فان كانت من اهل هذه المدينة او كانت غريبة فلا بد لى منها ثم انه تبعها قليلا قليلا حتى تعرض لها فى الطريق فى مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لها يا بنية هل انت حرة او مملوكة فلما سمعت كلامه نظرت اليه وقالت له بحياتك لا تجدد على الاحزان فقال لها انى رزقت ست بنات مات لى منهن خمسة وبقيت واحدة وهى اصغرهن واتيت اليك لاسألك هل انت من اهل هذه المدينة او غريبة لاجل ان اخذك واجعلك عندها لتؤانسها فتشتغل بك عن الحزن على اخواتها فان لم يكن لك احد جعلتك مثل واحدة منهن وتصيرين مثل اولادى فلما سمعت نزهة الزمان كلامه قالت فى سرها عسى ان آمن على نفسى عند هذا الشيخ ثم اطرقت برأسها من الحياء وقالت يا عم انا بنت غريبة ولى اخ ضعيف فانا امضى معك الى بيتك بشرط ان اكون عندها بالنهار وبالليل امضى الى اخى فان قبلت هذا الشرط مضيت معك لانى غريبة وكنت عزيزة فاصبحت ذليلة حقيرة وجئت انا واخى من بلاد الحجاز واخاف ان اخى لا يعرف لى مكانا فلما سمع البدوى كلامها قال فى نفسه والله انى فزت بمطلوبى ثم قال لها ما اريدك الا لتؤانسى بنتى نهارا وتمضى الى اخيك

لبلاد وان شئت فانقليه الى مكان تشاء ولم يزل البدوى يطيب قلبها ويلين لها الكلام الى ان وافقته على الخدمة ومشى قدامها وتبعته ولم يزل سائرا الى جماعته وكانوا قد هيؤا الجمال ووضعوا عليها الاحمال ووضعوا فوقها الماء والزاد وكان البدوى قاطع الطريق وخائن الرفيق وصاحب مكر وحيل ولم يكن عنده بنت ولا ولد وانما قال ذلك الكلام حيلة على هذه البنت المسكينة لامر قدره الله ثم ان البدوى صار يحدثها فى الطريق الى ان خرج من مدينة القدس واجتمع برفقته فوجدهم قد ارحلوا الجمال فركب البدوى جملا واردفها خلفه وساروا معظم الليل فعرفت نزهة الزمان ان كلام البدوى كان حيلة عليها وانه مكر بها فصارت تبكى وتصرخ وهم فى الطريق قاصدين الجبال خوفا ان يراهم احد فلما صاروا قريب الفجر نزلوا عن الجمال وتقدم البدوى الى نزهة الزمان وقال لها يا مدنية ما هذا البكاء والله ان لم تتركى البكاء ضربتك الى ان تهلكى يا قطعة حضرية فلما سمعت نزهة الزمان كلامه كرهت الحياة وتمنت الموت فالتفتت اليه وقالت له يا شيخ السوء يا شيبة جهنم كيف استأمنتك وانت تخوننى وتمكر بى فلما سمع البدوى كلامها قال لها يا قطعة حضرية ألك لسان تجاوبينى به وقام اليها ومعه سوط فضربها وقال ان لم تسكتى قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت اخاها وما هو فيه من الامراض فبكت سرا وفى ثانى يوم التفتت الى البدوى وقالت له كيف تعمل على هذه الحيلة حتى اتيت بى الى هذه الجبال القفرة وما قصدك منى فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال لها يا قطعة حضرية ألك لسان تجاوبينى به واخذ السوط ونزل به على ظهرها الى ان غشى عليها فانكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحق طرطورى ان سمعتك تبكين قطعت لسانك ودسسته فى كسك يا قطعة حضرية فعند ذلك سكتت ولم ترد جوابا وآلمها الضرب فقعدت على قرافيصها وجعلت رأسها فى طوقها وصارت تتفكر فى حالها وفى حال اخيها وفى ذلها بعد العز وفى مرض اخيها ووحدته واغترابهما وارسلت دموعها على الوجنات وانشدت هذه الابيات

من عادة الدهر ادبار واقبال * فما يدوم له بين الورى حال
وكل شئ من الدنيا له اجل * وتنقضى لجميع الناس آجال
كم احمل الضيم والاهوال يا اسفى * من عيشة كلها ضيم واهوال
لا اسعد الله اياما عززت بها * دهرا وفى طى ذاك العز اذلال
قد خاب قصدى وآمالى بها انصرمت * وقد تقطع بالتغريب اوصال
يا من يمر على دار بها سكنى * بلغه عنى ان الدمع هطال

فلما سمع البدوى شعرها عطف عليها ورق لها ورحمها وقام اليها ومسح دموعها واعطاها قرصا من شعير وقال لها انا لا احب من يجاوبنى فى وقت الغيظ وانت بعد ذلك لا تجاوبينى بشئ من هذا الكلام الفاحش وانا ابيعك لرجل جيد مثلى يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم انها لما طال عليها الليل واحرقها الجوع اكلت من ذلك القرص الشعير شيئا يسيرا فلما انتصف الليل امر البدوى جماعته ان يسافروا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان البدوى لما اعطى نزهة الزمان القرص الشعير ووعدها انه يبيعها لرجل

جيد مثله قالت له نعم ما تفعل فلما انتصف الليل واحرقها الجوع اكلت من القرص الشعير شيأ يسيرا ثم ان
البدوى امر جماعته ان يسافروا وحملوا الجمال وركب البدوى جملا وارادف نزهة الزمان خلفه وساروا
وما زالوا سائرين مدة ثلاثة ايام ثم دخلوا مدينة دمشق ونزلوا فى خان السلطان بجانب باب الملك وقد
تغير لون نزهة الزمان من الحزن وتعب السفر فصارت تبكى من اجل ذلك فاقبل عليها البدوى وقال لها
يا حضرية وحق طرطورى ان لم تتركى هذا البكاء لا ابيعك الا لليهودى ثم انه قام واخذ بيدها وادخلها
فى مكان وتمشى الى السوق ومر على التجار الذين يتجرون فى الجوارى وصار يكلمهم ثم قال انهم عندى
جارية اتيت بها معى واخوها ضعيف فارسلته الى اهلى فى مدينة القدس لاجل ان يداووه حتى يبرئ
وقصدى ان ابيعها ومن يوم ضعف اخوها وهى تبكى وصعب عليها فراقه واريد ان الذى يشتريها منى
يلين لها الكلام ويقول لها ان اخاك عندى فى القدس ضعيف وانا ارخص له ثمنها فنهض له رجل من
التجار وقال له كم عمرها فقال هى بكر بالغة ذات عقل وادب وفطنة وحسن وجمال ومن حين ارسلت
اخاها الى القدس اشتغل قلبها به وتغيرت محاسنها وانهزل سمنها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوى
وقال له اعلم يا شيخ العرب انى اروح معك واشترى منك الجارية التى تمدحها وتشكر عقلها وادبها وحسنها
وجمالها واعطيك ثمنها واشرط عليك شروطا ان قبلتها نقدت لك ثمنها وان لم تقبلها رددتها عليك
فقال له البدوى ان شئت فاطلع بها الى السلطان واشرط على ما شئت من الشروط فانك اذا اوصلتها الى
الملك شركان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخرسان ربما تليق بعقله فيعطيك ثمنها ويكثر لك
الربح فيها فقال له التاجر وانا لى عند السلطان حاجة وهو ان يكتب الى والده عمر النعمان بالوصية
على فان قبل الجارية منى وزنت لك ثمنها فى الحال فقال له البدوى قبلت منك هذا الشرط ثم مشيا
الاثنان الى ان اقبلا على المكان الذى فيه نزهة الزمان ووقف البدوى على باب الحجرة وناداها يا ناجية
وكان سماها بهذا الاسم فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوى الى التاجر وقال له ها هى قاعدة دونك
فاقبل عليها وانظرها ولاطفها مثل ما اوصيتك فتقدم التاجر اليها فرآها بديعة فى الحسن والجمال
لاسيما وكانت تعرف بلسان العرب فقال التاجر ان كانت كما وصفت لى فانى ابلغ بها عند السلطان
ما اريد ثم ان التاجر قال لها السلام عليك يا بنية كيف حالك فالتفتت اليه وقالت كان ذلك فى الكتاب
مسطورا ونظرت اليه فاذا هو رجل ذو وقار ووجهه حسن فقالت فى نفسها اظن ان هذا جاء يشترينى
ثم قالت ان امتنعت منه صرت عند هذا الظالم فيهلكنى من الضرب فعلى كل حال هذا رجل وجهه حسن
وهو ارجى للخير من هذا البدوى الجلف ولعله ما جاء الا ليسمع منطقى فانا اجاوبه جوابا حسنا كل ذلك وعينها
فى الارض ثم رفعت بصرها اليه وقالت له بكلام عذب وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا سيدى بهذا امر
النبى صلى الله عليه وسلم واما سؤالك عن حالى فان شئت ان تعرفه فلا تتمناه الا لاعدائك ثم سكتت فلما سمع
التاجر كلامها طار عقله فرحا بها والتفت الى البدوى وقال له كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوى وقال له
افسدت على الجارية بهذا الكلام لاى شئ تقول انها جليلة مع انها من رعاع الناس فانا لا ابيعها لك
فلما سمع التاجر كلامه عرف انه قليل العقل فقال له طب نفسا وقر عينا فانا اشتريها على هذا العيب
الذى ذكرته فقال البدوى وكم تدفع لى فيها فقال له التاجر ما يسمى الولد الا ابوه فاطلب فيها مقصودك
فقال له البدوى ما يتكلم الا انت فقال التاجر فى نفسه ان هذا البدوى جلف يابس الرأس وانا لا اعرف لها
قيمة الا انها ملكت قلبى بفصاحتها وحسن منظرها وان كانت تكتب وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها

وعلى من يشتريها لكن هذا البدوى لا يعرف لها قيمة ثم التفت الى البدوى وقال له يا شيخ العرب ادفع لك فيها مائتى دينار سالمة ليدك غير الضمان وقانون السلطان فلما سمع ذلك البدوى اغتاظ غيظا شديدا وصرخ على التاجر وقال له قم الى حال سبيلك لو اعطيتنى مائتى دينار فى هذه القطعة العباءة التى عليها ما بعتها لك فانا لا ابيعها بل اخليها عندى ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالى يا منتنة انا لا ابيعك ثم التفت الى التاجر وقال له كنت احسبك اهل معرفة وحق طرطورى ان لم تذهب عنى لا اسمعنك ما لا يرضيك فقال التاجر فى نفسه ان هذا البدوى مجنون ولا يعرف قيمتها ولا اقول له شيأ فى ثمنها فى هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل ما قال وحق طرطورى والله انها تساوى خزنة من الجواهر وانا ما معى ثمنها ولكن ان طلب منى ما يريد اعطيته اياه ولو اخذ جميع مالى ثم التفت الى البدوى وقال له يا شيخ العرب طول بالك وقل لى ما لها من القماش عندك فقال البدوى وما تعمل قطاعة الجوارى هذه بالقماش والله ان هذه العباءة التى هى ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك اكشف عن وجهها واقلبها كما يقلب الناس الجوارى لاجل الاشتراء فقال له البدوى دونك وما تريد الله يحفظ شبابك فقلبها ظاهرا وباطنا وان شئت فعرها الثياب ثم انظرها وهى عريانة فقال التاجر معاذ الله انا ما انظر الا وجهها ثم ان التاجر تقدم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان التاجر تقدم الى نزهة الزمان وهو خجلان من حسنها وجلس الى جانبها وقال لها يا سيدتى ما اسمك فقالت له اتسألنى عن اسمى فى هذا الزمان او عن اسمى القديم فقال لها هل لك اسم جديد واسم قديم قالت نعم اسمى القديم نزهة الزمان واسمى الجديد غصة الزمان فلما سمع التاجر منها هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك اخ ضعيف فقالت اى والله يا سيدى ولكن فرق الزمان بينى وبينه وهو مريض فى بيت المقدس فتحير عقل التاجر من عذوبة منطقها وقال فى نفسه لقد صدق البدوى فى مقالته ثم ان نزهة الزمان تذكرت اخاها ومرضه وغربته وفراقها منه وهو ضعيف ولا تعلم ما وقع له وتذكرت ما جرى لها من هذا الامر مع البدوى ومن بعدها عن امها وابيها ومملكتها فجرت دموعها على خدها وارسلت العبرات وانشدت هذه الابيات

حيثما كنت قد وقاك الهى * ايها الراحل المقيم بقلبى
ولك الله حيث امسيت جار * حافظ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لقربك عينى * واستهلت مدامعى اى سكب
ليت شعرى باى ربع وارض * انت مستوطن بدار وشعب
ان يكن شارب المياه حياة * خضر الورد فالمدامع شربى
او شهدت الرقاد يوما بجمر * من سهادى بين الفراش وجنبى
كل شئ الا فراقك سهل * عند قلبى وغيره غير صعب

فلما سمع التاجر ما قالته من الشعر بكى ومد يده ليمسح دموعها عن خدها فغطت وجهها وقالت له حاشاك يا سيدى ثم ان البدوى قعد ينظر اليها وهى تغطى وجهها من التاجر حيث اراد ان يمسح

دمعها عن خدها فاعتقدانها تمنعه من التقليب فقام اليها بجرى وكان معه مقود جمل فرفعه فى يده وضربها به على اكتافها فجاءت الضربة بقوة فانكبت بوجهها على الارض فجاءت حصاة من الارض فى حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشى عليها وبكت وبكى التاجر معها فقال التاجر لابد ان اشترى هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا واريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوى وهى فى غشيتها فلما افاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها الى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وانشدت هذين البيتين

وارحمتا لعزيزة ❊ بالضيم قد صارت ذليله

تبكى بدمع هاطل ❊ وتقول ما فى الوعد حيله

فلما فرغت من شعرها التفتت الى التاجر وقالت له بصوت خفى بالله لا تدعنى عند هذا الظالم الذى لا يعرف الله تعالى فان بت هذه الليلة عنده قتلت نفسى بيدى فخلصنى منه يخلصك الله مما تخاف فى الدنيا والآخرة فقام التاجر وقال للبدوى يا شيخ العرب هذه ليست غرضك بعنى اياها بما تريد فقال البدوى خذها وادفع ثمنها والا اروح بها الى النجع واتركها هناك تلم البعر وترعى الجمال فقال التاجر اعطيك خمسين الف دينار فقال البدوى يفتح الله فقال التاجر سبعون الف دينار فقال البدوى يفتح الله هذا ما هو رأس مالها لانها اكلت عندى اقراصا من الشعير بتسعين الف دينار فقال له التاجر انت واهلك وقبيلتك فى طول عمركم ما اكلتم بالف دينار شعيرا ولكن اقول لك كلمة واحدة فان لم ترض بها غمزت عليك والى دمشق فيأخذها منك قهرا فقال البدوى تكلم فقال بمائة الف دينار فقال البدوى بعتك اياها بهذا الثمن واقدر انى اشتريت بها ملحا فلما سمعه التاجر ضحك ومضى الى منزله واتى له بالمال واقبضه اياه فاخذه البدوى وقال فى نفسه لابد ان اذهب الى القدس لعلى اجد اخاها فاجىء به وابيعه ثم ركب وسافر حتى وصل الى بيت المقدس فذهب الى الخان وسأل عن اخيها فلم يجده هذا ما كان من امره واما ما كان من امر التاجر ونزهة الزمان فانه لما اخذها القى عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان التاجر لما تسلم الجارية من البدوى وضع عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله والبسها الفخر الملبوس ثم اخذها ونزل بها الى السوق واخذلها مصاغا ووضعه فى بقجة من الاطلس ووضعها بين يديها وقال لها هذا كله من اجلك ولا اريد منك الا اذا اطلعت بك الى السلطان والى دمشق ان تعلميه بالثمن الذى اشتريتك به وان كان قليلا فى ظفرك واذا اشتراك منى فاذكرى له ما فعلت معك واطلبى لى منه مرقوما سلطانيا بالوصية على لاذهب به الى والده صاحب بغداد الملك عمر النعمان لاجل ان يمنع من يأخذ منى مكسا على القماش او غيره من جميع ما اتجر فيه فلما سمعت كلامه بكت وانتحبت فقال لها التاجر يا سيدتى انى اراك كلما ذكرت بغداد تدمع عيناك الك فيها احد تحبينه فان كان تاجرا او غيره فاخبرينى فانى اعرف جميع من فيها من التجار وغيرهم وان اردت رسالة انا اوصلها اليه فقالت والله مالى معرفة بتاجر ولا غيره وانما لى معرفة بالملك عمر النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامها ضحك وفرح فرحا شديدا وقال فى نفسه والله انى وصلت الى ما اريد ثم قال لها هل عرضت عليه

سابقا فقالت لا بل تربيت انا وبنته فكنت عزيزة عنده ولى عنده حرمة كبيرة فان كان غرضك ان الملك عمر النعمان يكتب لك ما تريد فأتنى بدواة وقرطاس فانى اكتب لك كتابا فاذا دخلت مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك الى يد الملك عمر النعمان وقل له ان جاريتك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالى والايام حتى بيعت من مكان الى مكان وهى تقرؤك السلام واذا سألك عنى فاخبره انى عند نائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما اظن الا ان الرجال لعبوا بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم واعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة وشرح فصول بقراط لجالينوس الحكيم وشرحته ايضا وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات ابن البيطار وتكلمت على القانون لابن سينا وحليت الرموز ووضعت الاشكال وتحدثت فى الهندسة واتقنت حكمة الابدان وقرأت كتب الشافعية وقرأت الحديث والنحو وناظرت العلماء وتكلمت فى سائر العلوم والفت فى علم المنطق والبيان والحساب والجدل واعرف الروحانى والميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت ائتنى بدواة وقرطاس حتى اكتب لك كتابا يسليك فى الاسفار ويغنيك عن مجلدات الاسفار فلما سمع التاجر منها هذا الكلام صاح بخ بخ فيا سعد من تكونين فى قصره ثم اتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضر التاجر ذلك بين يديها قبل الارض تعظيما لها فاخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت فى الدرج هذه الابيات

مابال نومى من عينى قد نفرا * اانت علمت طرفى بعدك السهرا
ومالذكرك يذكى النار فى كبدى * اهكذا كل صب للهوى ذكر
سقيا لايامنا ما كان اطيبها * مضت ولم اقض من لذاتها وطرا
استعطف الريح ان الريح حاملة * الى المتيم من اكنافكم خبرا
يشكو اليك محب قل ناصره * وللفراق خطوب تصدع الحجرا

ثم انها لما فرغت من كتابة هذا الشعر كتبت بعد ذلك هذا الكلام وهى تقول من استولى عليها الفكر وانحلها السهر فظلمتها لا تجد لها من انوار ولا تعلم الليل من النهار وتتقلب على مراقد البين وتكتحل بمراود الارق ولم تزل للنجوم رقيبة وللظلام نقيبة قد اذابها الفكر والنحول وشرح حالها يطول لا مساعد لها غير العبرات وانشدت هذه الابيات

ما غردت سحرا ورقاء فى فنن * الا تحرك عندى قاتل الشجن
ولا تأوه مشتاق به طرب * الى الاحبة الا ازددت فى حزنى
اشكو الغرام الى من ليس يرحمنى * كم فرق الوجد بين الروح والبدن

ثم افاضت دموع العين وكتبت ايضا هذين البيتين

ابلى الهوى اسفا يوم النوى بدنى * وفرق الهجر بين الجفن والوسن
كفى بجسمى نحولا اننى دنف * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وبعد ذلك كتبت فى اسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الاهل والاوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم طوت الدرج وناولته للتاجر فاخذه وقبله وعرف ما فيه ففرح وقال سبحان من صورك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان كتبت الكتاب وناولته للتاجر فاخذه وقرأه وعلم ما فيه فقال سبحان من صورك وزاد في اكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما اقبل الليل خرج الى السوق واتى بشيء فاطعمها اياه ثم ادخلها الحمام واتى لها ببلانة وقال لها اذا فرغت من غسل رأسها فالبسيها ثيابها ثم ارسلي اعلميني بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم احضر لها طعاما وفاكهة وشمعا وجعل ذلك على مسطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها البستها ثيابها ولما خرجت من الحمام وجلست على مسطبته وجدت المائدة حاضرة فاكلت هي والبلانة من الطعام والفاكهة وتركا الباقي لحارسة الحمام ثم باتت الى الصباح وبات التاجر منعزلا عنها في مكان آخر فلما استيقظ من نومه ايقظ نزهة الزمان واحضر لها قميصا رفيعا وكوفية بالف دينار وبدلة لباس تركية مزركشة بالذهب وخفا مزركشا بالذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر وجعل في اذنيها حلقا من اللؤلؤ بالف دينار ووضع في رقبتها طوقا من الذهب وقلادة من العنبر تضرب تحت نهديها فوق سرتها وتلك القلادة فيها عشرة اكر وتسعة اهلة كل هلال في وسطه فص من الياقوت وكل اكرة فيها فص من البلخش وثمن تلك القلادة ثلاثة آلاف دينار فصارت الكسوة التي كساها اياها بجملة بليغة من المال ثم امرها التاجر ان تتزين فتزينت باحسن الزينة ومشت ومشى التاجر قدامها فلما عاينها الناس بهتوا في حسنها وقالوا تبارك الله احسن الخالقين هنيئا لمن كانت هذه عنده ومازال التاجر يمشي وهي تمشي خلفه حتى دخل على الملك شركان فلما دخل على الملك قبل الارض بين يديه وقال ايها الملك السعيد اتيت لك بهدية غريبة الاوصاف عديمة النظير في هذا الزمان قد جمعت بين الحسن والاحسان فقال له الملك قصدي ان اراها عيانا فخرج التاجر واتى بها حتى اوقفها قدامه فلما رآها الملك شركان حن الدم الى الدم وكانت قد فارقته وهي صغيرة ولم ينظرها لانه بعد مضي مدة من ولادتها سمع ان له اختا تسمى نزهة الزمان واخا يسمى ضوء المكان فاغتاظ من ابيه غيظا شديدا غيرة على المملكة كما تقدم ولما قدمها اليه التاجر قال له يا ملك الزمان انها مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها في عصرها تعرف جميع العلوم الدينية والدنيوية والسياسية والرياضية فقال له الملك خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها وتوجه الى حال سبيلك فقال له التاجر سمعا وطاعة ولكن اكتب لي مرقوما اني لا ادفع عشرا ابدا على تجارتي فقال الملك اني افعل لك ذلك ولكن اخبرني كم وزنت ثمنها فقال وزنت ثمنها مائة الف دينار وكسوتها بمائة الف دينار فلما سمع ذلك الملك قال انا اعطيك في ثمنها اكثر من ذلك ثم دعا بخازن داره وقال له اعط هذا التاجر ثلثمائة الف دينار وعشرين الف دينار ثم ان شركان احضر القضاة الاربعة وقال لهم اشهدكم اني اعتقت جاريتي هذه واريد ان اتزوجها فكتب القضاة حجة باعتاقها ثم كتبوا كتابه عليها ونثر الملك على رؤوس الحاضرين ذهبا كثيرا وصار الغلمان والخدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من الذهب ثم ان الملك امر بكتابة منشور الى التاجر على طبق مراده من انه لا يدفع على تجارته عشرا ولا يتعرض له احد بسوء في سائر مملكته وبعد ذلك امر له بخلعة سنية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين

قالت

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك امر بكتابة منشور للتاجر على طبق مراده من انه لا يدفع على
تجارته عشرا ابدا ولا يتعرض له احد بسوء فى تجارته وبعد ذلك امر له بخلعة سنية ثم صرف جميع من عنده
ولم يبق عنده غير القضاة والتاجر وقال للقضاة اريد ان تسمعوا من الفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وادبها
من كل ما ادعاه التاجر لنحقق صدق كلامه فقالوا لا باس بذلك فامر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه
وبين الجارية ومن معها وصار جميع النساء التى مع الجارية خلف الستارة يقبلن يديها ورجليها لما علمن
انها صارت زوجة الملك ثم درن حولها وقمن بخدمتها وخففن ما عليها من الثياب وصرن ينظرن حسنها
وجمالها وسمعت نساء الامراء والوزراء ان الملك شركان اشترى جارية لا مثل لها فى الجمال والعلم والادب
وانها حوت جميع العلوم وقد وزن ثمنها ثلثمائة الف دينار وعشرين الف دينار واعتقها وكتب
كتابه عليها واحضر القضاة الاربعة لاجل امتحانها حتى ينظر كيف تجاوبهم عن اسئلتهم فطلب النساء
الاذن من ازواجهن ومضين الى القصر الذى فيه نزهة الزمان فلما دخلن عليها وجدن الخدم وقوفا بين
يديها وحين رأت نساء الامراء والوزراء داخلة عليها قامت اليهن وقابلتهن وقامت الجوارى خلفها وتلقت
النساء بالترحيب وصارت تتبسم فى وجوههن فاخذت قلوبهن وانزلتهن فى مراتبهن كانها تربت معهن
فتعجبن من حسنها وجمالها وعقلها وادبها وقلن لبعضهن ما هذه جارية بل هى ملكة بنت ملك وصرن
يعظمن قدرها وقلن لها يا سيدتنا اضاءت بك بلدتنا وشرفت بلادنا ومملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر
قصرك وكلنا جواريك فبالله لا تخلينا من احسانك والنظر الى حسنك فشكرتهن على ذلك هذا كله
والستارة مرخاة بين نزهة الزمان ومن عندها من النساء وبين الملك شركان هو والقضاة الاربعة والتاجر
ثم بعد ذلك ناداها الملك شركان وقال لها ايتها الجارية العزيزة فى زمانها ان هذا التاجر قد وصفك بالعلم
والادب وادعى انك تعرفين فى جميع العلوم حتى علم النجوم فاسمعينا من كل باب طرفا يسيرا فلما سمعت كلامه
قالت سمعا وطاعة ايها الملك الباب الاول فى السياسات والاداب الملكية وما ينبغى لولاة الامور الشرعية
وما يلزمهم من قبل الاخلاق المرضية اعلم ايها الملك ان مقاصد الخلق منتهية الى الدين والدنيا لانه
لا يتوصل احد الى الدين الا بالدنيا فان الدنيا نعم الطريق الى الاخرة وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال اهلها
واعمال الناس تنقسم على اربعة اقسام الامارة والتجارة والزراعة والصناعة فالامارة ينبغى لها
السياسة التامة والفراسة الصادقة لان الامارة مدار عمار الدنيا التى هى طريق الى الاخرة لان الله
تعالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر الى تحصيل المراد فينبغى لكل انسان ان يتناول منها بقدر ما يوصله
الى الله ولا يتبع فى ذلك نفسه وهواه ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت الخصومات ولكنهم يتناولونها
بالجور ومتابعة الهوى فتسببت عن انهماكهم عليها الخصومات فاحتاجوا الى سلطان لاجل ان
ينصف بينهم ويضبط امورهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم على ضعيفهم وقد قال
ازدشير ان الدين والملك توءمان فالدين كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول على انه يجب على
الناس ان يتخذوا سلطانا يدفع الظالم عن المظلوم وينصف الضعيف من القوى ويكف باس العاتى والباغى
واعلم ايها الملك انه على قدر حسن اخلاق السلطان يكون الزمان فانه قد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيئان فى الناس ان صلحا صلح الناس وان فسدا فسد الناس العلماء والامراء وقد قال بعض الحكماء
الملوك ثلاثة ملك دين وملك محافظة على الحرمات وملك هوى فاما ملك الدين فانه يلزم رعيته
باتباع دينهم وينبغى ان يكون ادينهم لانه هو الذى يقتدى به فى امور الدين ويلزم الناس طاعته فيما

امر به موافقا للاحكام الشرعية ولكنه ينزل الساخط منزلة الراضى بسبب التسليم الى الاقدار واما الملك المحافظة على الحرمات فانه يقوم بامور الدين والدنيا ويلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروءة ويكون جامعا بين القلم والسيف فمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوم اعوجاجه بحد الحسام وينشر العدل فى جميع الانام واما الملك الهوى فلا دين له الا اتباع هواه ولم يخش سطوة مولاه الذى ولاه فمآل ملكه الى الدمار ونهاية عتوه الى دار البوار وقالت الحكماء الملك يحتاج الى كثير من الناس وهم محتاجون الى واحد ولاجل ذلك وجب ان يكون عارفا باخلاقهم ليرد اختلافهم الى وفاقهم ويعمهم بعدله ويغمرهم بفضله واعلم ايها الملك ان ازدشير وهو الثالث من ملوك الفرس قد ملك الاقاليم جميعها وقسمها على اربعة اقسام وجعل له من اجل ذلك اربع خواتم لكل قسم خاتم الاول خاتم البحر والشرطة والمحاماة وكتب عليه النيابات الثانى خاتم الخراج وجباية الاموال وكتب عليه العمارة الثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء الرابع خاتم المظالم وكتب عليه العدل واستمرت هذه الرسوم فى الفرس الى ان ظهر الاسلام وكتب كسرى لابنه وهو فى جيشه لا توسعن على جيشك فيستغنوا عنك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان كسرى كتب لابنه وهو فى جيشه لا توسعن على جيشك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك واعطهم عطاء مقتصدا وامنحهم منحا جميلا ووسع عليهم فى الرخاء ولا تضيق عليهم فى الشدة وروى ان اعرابيا جاء الى المنصور وقال له اجع كلبك يتبعك فغضب المنصور من الاعرابى لما سمع منه هذا الكلام فقال ابو العباس الطوسى اخشى ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويتركك فسكن غيظ المنصور وعلم انها كلمة لا تخطئ وامر للاعرابى بعطية واعلم ايها الملك انه كتب عبد الملك بن مروان لاخيه عبد العزيز بن مروان حين وجهه الى مصر تفقد كاتبك وحاجبك فان الثابت يخبرك عنه كاتبك والتوسيم تعرفك به حاجبك والخارج من عندك يعرفك بجيشك وكان عمر بن الخطاب اذا استخدم خادما شرط عليه اربعة شروط ان لا يركب البراذين وان لا يلبس الثياب النفيسة وان لا يأكل من الفئ وان لا يؤخر الصلاة عن وقتها وقيل لا مال اجود من العقل ولا عقل كالتدبير والحزم ولا حزم كالتقوى ولا قربة كحسن الخلق ولا ميزان كالادب ولا فائدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كثواب الله ولا ورع كالوقوف عند حدود السنة ولا علم كالتفكر ولا عبادة كالفرائض ولا ايمان كالحياء ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم فاحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكر الموت والبلاء وقال على اتقوا شرار النساء وكونوا منهن على حذر ولا تشاوروهن فى امر ولا تضيقوا عليهن فى معروف حتى لا يطمعن فى المكر وقال من ترك الاقتصاد حار عقله وقال عمر رضى الله عنه النساء ثلاثة امرأة مسلمة تقية ودود ولود تعين بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها واخرى تراد للولد لا تزيد على ذلك واخرى يجعلها الله غلا فى عنق من يشاء والرجال ايضا ثلاثة رجل عاقل اذا اقبل على رأيه وآخر اعقل منه وهو من اذا نزل به امر لا يعرف عاقبته فيأتى ذوى الرأى فينزل عند آرائهم وآخر حائر لا يعلم رشدا ولا يطيع مرشدا والعدل لابد منه فى كل الاشياء حتى ان الجوارى يحتجن الى العدل وضربوا لذلك مثلا فى قطاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فانهم لو لم يتناصفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقسمونه لاختل نظامهم

وبالجملة

وبالجملة فسيد مكارم الاخلاق الكرم وحسن الخلق وما احسن قول الشاعر

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى * وكونك اياه عليك يسير

وقال الاخر

ففي الحلم اتقان وفي العفو هيبة * وفي الصدق منجاة لمن كان صادقا

ومن يلتمس حسن الثناء بماله * يكن بالندى في حلبة المجد سابقا

ثم ان نزهة الزمان تكلمت في سياسة الملوك حتى قال الحاضرون ما رأينا احدا تكلم في باب السياسة مثل هذه الجارية فلعلها تسمعنا شيأ من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمته فقالت واما باب الادب فانه واسع المجال لانه مجمع الكمال فقد اتفق ان بني تميم وفدوا على معاوية ومعهم الاحنف بن قيس فدخل حاجب معاوية عليه ليستأذنه لهم في الدخول فقال يا امير المؤمنين ان اهل العراق يريدون الدخول عليك ليتحدثوا واسمعت فاسمع حديثهم فقال معاوية انظروا من بالباب فقالوا بنو تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الاحنف بن قيس فقال له معاوية اقرب مني يا ابا بحر بحيث اسمع كلامك ثم قال يا ابا بحر كيف رأيك لي قال يا امير المؤمنين افرق الشعر وقص الشارب وقلم الاظافر وانتف الابط واحلق العانة وادم السواك فان فيه اثنين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاحنف بن قيس قال لمعاوية لما سأله وادم السواك فان فيه اثنين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معاوية كيف رأيك لنفسك قال اوطئ قدمي على الارض وانقلها على تمهل واراعيها بعيني قال كيف رأيك اذا دخلت على نفر من قومك دون الامراء قال اطرق حياء وابدأ بالسلام وادع ما لا يعنيني واقل الكلام قال كيف رأيك اذا دخلت على نظرائك قال استمع لهم اذا قالوا ولا اجول عليهم اذا جالوا قال كيف رأيك اذا دخلت على امرائك قال اسلم من غير اشارة وانتظر الاجابة فان قربوني قربت وان ابعدوني بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال اعفني من هذا يا امير المؤمنين قال اقسمت عليك ان تخبرني قال احسن الخلق واظهر العشرة واوسع النفقة فان المرأة خلقت من ضلع اعوج قال فما رأيك اذا اردت ان تجامعها قال اكلمها حتى تطيب نفسها والثمها حتى تطرب فان كان الذي تعلم طرحتها على ظهرها وان استقرت النطفة في قرارها قلت اللهم اجعلها مباركة ولا تجعلها شقية وصورها احسن تصوير ثم اقوم عنها الى الوضوء فافيض الماء على يدي ثم اصبه على جسدي ثم احمد الله على ما اعطاني من النعم فقال معاوية احسنت في الجواب فقل حاجتك فقال حاجتي ان تتق الله في الرعية وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائما من مجلس معاوية فلما ولى قال معاوية لو لم يكن بالعراق الا هذا لكفى ثم ان نزهة الزمان قالت وهذه النبذة من جملة باب الادب واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال في خلافة عمر بن الخطاب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت واعلم ايها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال

فى خلافة عمر بن الخطاب فاتفق انه رأى ابن عمر يوما فاعطاه درهما من بيت المال قال معيقب وبعد ان اعطيته الدرهم انصرفت الى بيتى فبينما انا جالس واذا برسول عمر جاءنى فرهبت منه وتوجهت اليه فاذا الدرهم فى يده وقال لى ويحك يا معيقب انى قد وجدت فى نفسك شيأ قلت وما ذلك يا امير المؤمنين قال انك تخاصم امة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الدرهم يوم القيامة وكتب عمر الى ابى موسى الاشعرى كتابا مضمونه اذا جاءك كتابى هذا فاعط الناس الذى لهم واحمل الىّ ما بقى ففعل فلما ولى عثمان الخلافة كتب الى ابى موسى مثل ذلك ففعل وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدى عثمان جاء ولد له فاخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان ما يبكيك قال اتيت عمر بن الخطاب بمثل ذلك فاخذ ابنه درهما فامر بنزعه من يده وابنك اخذ فلم ارى احدا ينزعه منه او يقول له شيأ فقال عثمان واين تلقى مثل عمر وروى زيد بن اسلم عن ابيه انه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى اشرفنا على نار تضرم فقال يا اسلم انى احسب هؤلاء ركبا اضربهم البرد فانطلق بنا اليهم فخرجنا حتى اتينا اليهم فاذا امرأة توقد نارا تحت قدر ومعها صبيان يتضرعون فقال عمر السلام عليكم اصحاب الضوء وكره ان يقول اصحاب النار ما بالكم قالت اضربنا البرد والليل قال فما بال هؤلاء القوم يتضرعون قالت من الجوع قال فما هذه القدر قالت ما اسكتهم به وان عمر بن الخطاب ليسأله الله عنهم يوم القيامة قال وما يدرى عمر بحالهم قالت كيف يتولى امور الناس ويغفل عنهم قال اسلم فاقبل عمر علىّ وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى اتينا دار الصرف فاخرج عدلا فيه دقيق واناء فيه شحم ثم قال حملنى هذا فقلت انا احمله عنك يا امير المؤمنين فقال اتحمل عنى وزرى يوم القيامة فحملته اياه وخرجنا نهرول حتى القينا ذلك العدل عندها ثم اخرج من الدقيق شيأ وجعل يقول للمرأة ذرّى الىّ وكان ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ واخذ مقدارا من الشحم فرماه فيه ثم قال اطعميهم وانا ابرد لهم ولم يزالوا حتى اكلوا وشبعوا وترك الباقى عندها ثم اقبل علىّ وقال يا اسلم انى رأيت الجوع ابكاهم فاحببت ان لا انصرف حتى يتبين لى سبب الضوء الذى رأيته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت قيل ان عمر مرّ براع مملوك فاستباعه شاة فقال له انها ليست لى فقال انت القصد فاشتراه ثم اعتقه وقال اللهم كما رزقتنى العتق الاصغر فارزقنى العتق الاكبر وقيل ان عمر بن الخطاب كان يطعم الحليب للخدم ويأكل الغليظ ويكسوهم اللين ويلبس الخشن ويعطى الناس حقوقهم ويزيد فى عطائهم واعطى رجلا اربعة الاف درهم وزاده الفا فقيل له اما تزيد ابنك كما زدت هذا قال هذا ثبت والده يوم احد وقال الحسن اتى عمر بمال كثير فاتته حفصة وقالت له يا امير المؤمنين حق قرابتك فقال يا حفصة انما اوصى الله بحق قرابتى واما مال المسلمين فلا يا حفصة قد ارضيت قومك واغضبت اباك فقامت تجر ذيلها وقال ابن عمر تضرعت الى ربى سنة من السنين ان يرينى ابى حتى رأيته يمسح العرق عن جبينه فقلت له ما حالك يا والدى فقال لولا رحمة ربى لهلك ابوك ثم قالت نزهة الزمان اسمع ايها الملك السعيد الفصل الثانى من الباب الثانى وهو باب الادب والفضائل وما ذكر فيه من اخبار التابعين والصالحين قال الحسن البصرى لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا وهو يتأسف على ثلاثة اشياء عدم تمتعه بما جمع وعدم ادراكه لما امل وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو

قادم عليه وقيل لسفيان هل يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم اذا كان متى ابتلى صبر ومتى اعطى شكر وقيل لما حضرت عبد الله ابن شداد الوفاة احضر ولده محمدا فاوصاه وقال له يا بنى انى لارى داعى الموت قد دعانى فاتق ربك فى السر والعلانية واشكر الله على ما انعم واصدق فى الحديث فالشكر يؤذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد فى المعاد كما قال بعضهم

ولست ارى السعادة جمع مال * ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد حقا * وعند الله تلقى ما تريد

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثانى من الباب الاول قيل لها وما هى قالت لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء لاهل بيته فاخذ ما بايديهم ووضعه فى بيت المال ففزعت بنو امية الى عمته فاطمة بنت مروان فارسلت اليه قائلة انه لا بد من لقائك ثم اتته ليلا فانزلها عن دابتها فلما اخذت مجلسها قال لها يا عمة انت اولى بالكلام لان الحاجة لك فاخبرينى عن مرادك فقالت يا امير المؤمنين انت اولى بالكلام ورأيك يستشف ما يخفى عن الافهام فقال عمر بن عبد العزيز ان الله تعالى بعث محمدا رحمة للعالمين وعذابا لقوم آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وعذابا لقوم آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وترك للناس نهرا يروى عطاشهم ثم قام ابو بكر خليفة بعده فابرى النهر مجراه وعمل ما يرضى الله ثم قام عمر بعد ابى بكر فعمل خير اعمال الابرار واجتهد اجتهادا ما يقدر احد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهرا ثم ولى معاوية فاشتق منه الانهار ثم لم يزل كذلك يشتق منه يزيد وبنو امروان كعبد الملك والوليد وسليمان حتى آل الامر الى فاحببت ان ارد النهر الى ما كان عليه فقالت قد اردت كلامك ومذاكرتك فقط فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيأ ورجعت الى بنى امية فقالت لهم ذوقوا عاقبة امركم بتزويجكم الى عمر بن الخطاب وقيل لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع اولاده حوله فقال له مسلمة بن عبد الملك يا امير المؤمنين كيف تترك اولادك فقراء وانت راعيهم فما يمنعك احد فى حياتك من ان تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم وهذا اولى من ان ترجعه الى الوالى بعدك فنظر الى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة منعتهم ايام حياتى فكيف اشقى بهم بعد مماتى ان اولادى ما بين رجلين اما مطيع لله تعالى فالله يصلح شأنه واما عاص فما كنت لاعينه على معصية يا مسلمة انى حضرت واياك حين دفن بعض بنى مروان فحملتنى عينى فرأيته فى المنام افضى الى امر من امور الله عز وجل فهالنى وراعنى فعاهدت الله ان لا اعمل عمله ان وليت وقد اجتهدت فى ذلك مدة حياتى وارجو ان افضى الى عفو ربى قال مسلمة بقى رجل حضرت دفنه فلما فرغت من دفنه حملتنى عينى فرأيته فيما يرى النائم فى روضة فيها انهار جارية وعليه ثياب بيض فاقبل على وقال يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون ونحو هذا كثير وقال بعض الثقاة كنت احلب الغنم فى خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براع فرأيت مع غنمه ذئبا او ذئابا فظننت انها كلاب ولم اكن رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقال انها ليست كلابا بل هى ذئاب فقلت هل ذئاب فى غنم لم تضرها

فقال اذا صلح الرأس صلح الجسد وخطب عمر بن عبد العزيز على منبر من طين فحمد الله واثنى عليه ثم تكلم بثلاث كلمات فقال ايها الناس اصلحوا اسراركم لتصلح علانيتكم لاخوانكم وتكفوا امر دنياكم واعلموا ان الرجل ليس بينه وبين آدم رجل حي فى الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا امير المؤمنين لو عملنا لك متكئا لتعتمد عليه قليلا فقال اخاف ان يكون فى عنقى منه اثم يوم القيامة ثم شهق شهقة فخر مغشيا عليه فقالت فاطمة يا مريم يا مزاحم يا فلان انظر واهذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكى حتى افاق من غشيته فرآها تبكى فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا امير المؤمنين رأيت مصرعك بين ايدينا فتذكرت مصرعك بين يدى الله عز وجل للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذاك الذى ابكانا فقال حسبك يا فاطمة فلقد ابلغت ثم اراد القيام فنهض فسقط فضمته فاطمة اليها وقالت بابى انت وامى يا امير المؤمنين ما نستطيع ان نكلمك كلنا ثم ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وللقضاة الاربعة تتمة الفصل الثانى من الباب الاول وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لاخيها شركان وهى لم تعرفه بحضور القضاة الاربعة والتاجر تتمة الفصل الثانى من الباب الاول اتفق انه كتب عمر بن عبد العزيز الى اهل الموسم اما بعد فانى اشهد الله فى الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الاكبر انى برئ من ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم ان اكون امرت بذلك او تعمدته او يكون امر من اموره بلغنى او احاط به علمى وارجو ان يكون لذلك موضعا من الغفران الا انه لا اذن منى بظلم احد فانى مسؤل عن كل مظلوم الا واى عامل من عمالى زاغ عن الحق وعمل بلا كتاب ولا سنة فلا طاعة له عليكم حتى يرجع الى الحق وقال رضى الله عنه ما احب ان يخفف عنى الموت لانه آخر ما يؤجر عليه المؤمن وقال بعض الثقاة قدمت على امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فرأيت بين يديه اثنى عشر درهما فامر بوضعها فى بيت المال قلت يا امير المؤمنين انك افقرت اولادك وجعلتهم عيالا لا شئ لهم فلو اوصيت اليهم بشئ والى من هو فقير من اهل بيتك فقال ادن منى فدنوت منه فقال اما قولك افقرت اولادك فاوص اليهم او الى من هو فقير من اهل بيتك فغير سديد لان الله خليفتى على اولادى وعلى من هو فقير من اهل بيتى وهو وكيل عليهم وهم ما بين رجلين اما رجل يتق الله فسيجعل الله له مخرجا واما رجل معتكف على المعاصى فانى لم اكن لاقويه على معصية الله ثم بعث اليهم واحضرهم بين يديه وكانوا اثنى عشر ذكرا فلما نظر اليهم ذرفت عيناه بالدموع ثم قال ان اباكم ما بين امرين اما ان تستغنوا فيدخل ابوكم النار واما ان تفتقروا فيدخل ابوكم الجنة ودخول ابيكم الجنة احب اليه من ان تستغنوا قوموا قد وكلت امركم الى الله وقال خالد بن صفوان صحبنى يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك فلما قدمت عليه وقد خرج بقرابته وخدمه فنزل فى ارض وضرب له خياما فلما اخذت الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت اليه فلما صارت عينى فى عينه قلت له تمم الله نعمته عليك يا امير المؤمنين وجعل ما قلدك من هذه الامور رشدا ولا خالط سرورك اذى يا امير المؤمنين انى لم اجد لك نصيحة ابلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فاستوى جالسا وكان متكئا وقال هات ما عندك يا ابن صفوان فقال يا امير المؤمنين ان ملكا من الملوك

خرج قبلك فى عام قبل عامك هذا الى هذه الارض فقال لجلسائه هل رأيتم مثل ما انا فيه وهل اعطى احد مثل ما اعطيته وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين فى منهاجه فقال ايها الملك انك سألت عن امر عظيم اتأذن لى فى الجواب عنه قال نعم قال ارأيت الذى انت فيه شيأ لم يزل ام شيأ زائلا فقال هو شئ زائل قال فمالى اراك قد اعجبت بشئ تكون فيه قليلا وتسأل عنه طويلا وتكون عند حسابه مرتهنا قال فاين المهرب واين المطلب قال ان تقيم فى ملكك فتعمل بطاعة الله تعالى او تلبس اطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك اجلك فاذا كان السحر فانى قادم عليك قال خالد بن صفوان ثم ان الرجل قرع عليه بابه عند السحر فرآه قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيرا حتى بل لحيته وامر بنزع ما عليه ولزم قصره فاتت الموالى والخدم الى خالد بن صفوان وقالوا اهكذا فعلت بامير المؤمنين افسدت لذته ونغصت حياته ثم ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم فى هذا الباب من النصائح انى لا اعجز عن الاتيان بجميع ما فى هذا الباب فى مجلس واحد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم فى هذا الباب من النصائح انى لا اعجز عن الاتيان لك بجميع ما فى هذا الباب فى مجلس واحد ولكن على طول الايام يا ملك الزمان يكون خير فقالت القضاة ايها الملك ان هذه الجارية اعجوبة الزمان ويتيمة العصر والاوان فاننا ما رأينا ولا سمعنا بمثلها فى زمن من الازمان ثم انهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان الى خدامه وقال لهم اشرعوا فى عمل العرس وهيؤا الطعام من جميع الالوان فامتثلوا امره فى الحال وهيؤا جميع الاطعمة وامر نساء الامراء والوزراء وارباب الدولة ان لا ينصرفوا حتى يحضروا الجلاء والعرس فاجاء وقت العصر حتى مدوا السفرة بما تشتهى الانفس وتلذ الاعين واكل جميع الناس حتى اكتفوا وامر الملك ان تحضر كل مغنية فى دمشق فحضرن وكذلك جوارى الملك اللاتى يعرفن الغناء وطلع جميعهن الى القصر فلما اتى المساء واظلم الظلام اوقدوا الشموع من باب القلعة الى باب القصر يمينا وشمالا ومشى الامراء والوزراء والكبراء بين يدى الملك شركان واخذت المواشط الصبية لتزينها وتلبسها فرأتها لا تحتاج الى زينة وكان الملك شركان قد دخل الحمام فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس ثم خففوا عنها ثيابها واوصوها بما توصى به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان واخذ وجهها وعلقت منه فى تلك الليلة واعلمته بذلك ففرح فرحا شديدا وامر الحكماء ان يكتبوا تاريخ الحمل فلما اصبح جلس على الكرسى وطلع له ارباب دولته وهنوه واحضر كاتب سره وامره ان يكتب كتابا لوالده عمر النعمان بانه اشترى جارية ذات علم وادب قد حوت فنون الحكمة وانه لا بد من ارسالها الى بغداد لتزور اخاه ضوء المكان واخته نزهة الزمان وانه اعتقها وكتب كتابه عليها ودخل بها وحملت منه ثم ختم الكتاب وارسله الى ابيه صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهرا كاملا ثم رجع اليه بالجواب وناوله اياه فاخذه وقرأه فاذا فيه بعد البسملة هذا من عند الحائر الولهان الذى فقد الولدان وهجر الاوطان الملك عمر النعمان الى ولده شركان اعلم انه بعد مسيرك من عندى ضاق على المكان حتى لا استطيع صبرا ولا اقدر ان اكتم سرا وسبب ذلك انى ذهبت الى الصيد والقنص وكان ضوء المكان قد طلب منى الذهاب الى الحجاز فخفت عليه نوائب الزمان ومنعته من السفر الى العام الثانى

او الثالث فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عمر النعمان قال في مكتوبه فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا فلما اتيت وجدت اخاك واختك اخذا شيأ من المال وسافرا مع الحجاج خفية فلما علمت بذلك ضاق بي الفضاء وقد انتظرت مجيء الحجاج لعلهما يجيئان معهم فلما جاء الحجاج سألت عنهما فلم يخبرني احد بخبرهما فلبست لاجلهما ثياب الحزن وانا مرهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين ثم انشد هذين البيتين

خيالهما عندي وليس بغائب * جعلت له في القلب اشرف موضع
ولولا رجاء العود ما عشت ساعة * ولولا خيال الطيف لم اتهجع

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك اعرفك انك لا تتهاون في كشف الاخبار فان هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على ابيه وفرح لفقد اخته واخيه واخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم انها اخته وهي لا تعلم انه اخوها مع انه يتردد عليها ليلا ونهارا الى ان كملت اشهرها وجلست على كرسي الطلق فسهل الله عليها الولادة فولدت بنتا فارسلت تطلب شركان فلما رآته قالت له هذه بنتك فسمها ما تريد فقال عادة الناس ان يسموا اولادهم في سابع يوم ولادتهم ثم انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد في عنقها خرزة معلقة من الثلاث خرزات التي جاءت بها الملكة ابريزة من بلاد الروم فلما عاين الخرزة معلقة في عنق ابنته غاب عقله واشتد به الغيظ وحملق عينيه في الخرزة حتى عرفها حق المعرفة ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها من اين جاءتك هذه الخرزة يا جارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له انا سيدتك وسيدة كل من في قصرك اما تستحي وانت تقول يا جارية وانا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر الامر وبان انا نزهة الزمان بنت الملك عمر النعمان فلما سمع منها هذا الكلام لحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان لما سمع هذا الكلام ارتجف قلبه واصفر لونه ولحقه الارتعاش واطرق برأسه الى الارض وعرف انها اخته من ابيه فغاب عن الدنيا فلما افاق صار يتعجب ولكنه لم يعرّفها بنفسه وقال لها يا سيدتي هل انت بنت الملك عمر النعمان قالت نعم فقال لها وما سبب فراقك لابيك وبيعك فحكت له جميع ما وقع من الاول الى الآخر واخبرته انها تركت اخاها مريضا في بيت المقدس واخبرته باختطاف البدوي لها وبيعه اياها للتاجر فلما سمع شركان ذلك الكلام تحقق انها اخته من ابيه وقال في نفسه كيف اتزوج باختي لكن انا ازوجها لواحد من حجابي واذا ظهر امر ادعي انني طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يا نزهة الزمان انت اختي حقيقة واستغفر الله من هذا الذنب الذي وقعنا فيه فانني انا شركان بن الملك عمر النعمان فنظرت اليه وتأملته فعرفته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت وجهها وقالت قد وقعنا في ذنب عظيم ماذا يكون العمل وما اقول لابي وامي اذا قالا لي من اين جاءتك هذه البنت فقال شركان الرأي

ان

ان ازوجك بالحاجب وادعك تربى بنتى فى بيته بحيث لا يعلم احد اباك اخى وهذا الذى قدره الله علينا لامر اراده فما يسترنا الا زواجك بهذا الحاجب قبل ان يدرى احد ثم صار يأخذ بخاطرها ويقبل رأسها فقالت له وما تسمى البنت قال اسميها قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها الى بيته هى وبنتها فربوها على اكتاف الجوارى وواظبوا عليها بالاشربة وانواع السفوف هذا كله واخوها ضوء المكان مع الوقاد بدمشق فاتفق انه اقبل بريد يوما من الايام من عند الملك عمر النعمان الى الملك شركان ومعه كتاب فاخذه وقرأه فرأى فيه بعد البسملة اعلم ايها الملك العزيز انى حزين حزنا شديدا على فراق الاولاد وعدمت الرقاد ولازمنى السهاد وقد ارسلت هذا الكتاب اليك فحال حصوله بين يديك ترسل الينا الخراج وترسل صحبته الجارية التى اشتريتها وتزوجت بها فانى احببت ان اراها واسمع كلامها لانه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس جوار نهد ابكار وقد حازوا من العلم والادب وفنون الحكمة ما يجب على الانسان معرفته ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فانهن حزن انواع العلم والفضيلة والحكمة فلما رأيتهن احببتهن وقد اشتهيت ان يكن فى قصرى وفى ملك يدى لانه لا يوجد لهن نظير عند سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا ابيعهن الا بخراج دمشق وانا والله ارى خراج دمشق قليلا فى ثمنهن فان الواحدة منهن تساوى اكثر من هذا المبلغ فاجبتها الى ذلك ودخلت بهن قصرى وبقين فى حوزى فعجل لنا بالخراج لاجل ان تسافر المرأة الى بلادها وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك عمر النعمان قال فى مكتوبه وارسل الينا الجارية لاجل ان تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن ارسلتها اليك وصحبتها خراج بغداد فلما علم ذلك شركان اقبل على صهره وقال له هات الجارية التى زوجتك اياها فلما حضرت اوقفها على الكتاب وقال لها يا اختى ما عندك من الرأى فى رد الجواب قالت له الرأى رأيك ثم قالت له وقد اشتاقت الى اهلها ووطنها ارسلنى صحبة زوجى الحاجب لاجل ان احكى لابى حكايتى واخبره بما وقع لى مع البدوى الذى باعنى للتاجر واخبره بان التاجر باعنى لك وزوجتنى للحاجب بعد عتقى فقال لها شركان وهو كذلك ثم اخذ ابنته قضى فكان وسلمها للمراضع والخدم وشرع فى تجهيز الخراج وامر الحاجب ان يأخذ الخراج والجارية صحبته ويتوجه الى بغداد فاجابه الحاجب بالسمع والطاعة فامر له بمحفة يجلس فيها والجارية بمحفة ايضا ثم كتب كتابا وسلمه للحاجب وودع نزهة الزمان وكان قد اخذ منها الخرزة وجعلها فى عنق ابنته فى سلسلة من خالص الذهب ثم سافر الحاجب فى تلك الليلة فاتفق انه خرج ضوء المكان هو والوقاد فى تلك الليلة يتفرجان فرأيا جمالا وبغالا ومحملة ومشاعل وفوانيس مضيئة فسأل ضوء المكان عن هذه الاحمال وعن صاحبها فقال هذا خراج دمشق مسافر الى الملك عمر النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن رئيس هذه المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذى تزوج الجارية التى تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك بكى بكاء شديدا وتذكر امه واباه واخته ووطنه وقال للوقاد ما بقى لى قعود هنا بل اسافر مع هذه القافلة وامشى قليلا قليلا حتى اصل الى بلادى فقال له الوقاد انا ما امنت عليك من القدس الى دمشق فكيف آمن عليك الى بغداد فانا اكون معك

حتى تصل الى مقصدك فقال ضوء المكان حبا وكرامة فشرع الوقاد فى تجهيز حاله ثم شد الحمار وجعل خرجه عليه ووضع فيه شيأ من الزاد وشد وسطه ومازال على اهبة حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد اركب معى فقال لا اركب ولكن اكون فى خدمتك فقال ضوء المكان لابد ان تركب ساعة فقال له اذا تعبت فاركب ساعة ثم ان ضوء المكان قال للوقاد يا اخى سوف تنظر ما افعل بك اذا وصلت الى اهلى ومازالوا مسافرين الى ان طلعت الشمس فلما اشتد عليهم الحر امرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا وسقوا جمالهم ثم امرهم بالمسير وبعد خمسة ايام وصلوا الى مدينة حماه ونزلوا واقاموا بها ثلاثة ايام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انهم اقاموا فى مدينة حماه ثلاثة ايام ثم سافروا ومازالوا مسافرين حتى وصلوا مدينة اخرى فاقاموا بها ثلاثة ايام ثم سافروا حتى وصلوا الى ديار بكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان اخته نزهة الزمان واباه وامه ووطنه وكيف يرجع الى ابيه بغير اخته فبكى وان واشتكى واشتدت به الحسرات فانشد هذه الابيات

خليلى كم هذا التأنى واصبر * ولم يأتنى منكم رسول يخبر
الا ان ايام الوصال قصيرة * فياليت ايام التفرق تقصر
خذوا بيدى ثم ارحموا الصبابة * ضنت جسدى لكننى اتصبر
فان تطلبوا منى سلوا اقل لكم * فوالله ما اسلوا الى حين احشر

فقال له الوقاد اترك هذا البكاء والانين فاننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابد من انشادى شيأ من الشعر لعل نار قلبى تطفى فقال له الوقاد بالله عليك ان تترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ما شئت وانا معك حيث ما كنت فقال ضوء المكان والله لا افتر عن ذلك ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيأ وكانت نزهة الزمان لم تنم تلك الليلة لانها تذكرت اخاها ضوء المكان فقلقت وصارت تبكى فبينما هى تبكى اذ سمعت اخاها ضوء المكان يبكى وينشد هذه الابيات

لمع البرق اليمانى * فشجانى ما شجانى
من حبيب كان عندى * ساقيا كاس التهانى
يا وميض البرق هل * ترجع ايام التدانى
يا عذولى لا تلمنى ان ربى قد بلانى
بحبيب غاب عنى * وزمان قد دهانى
قد نأت نزهة قلبى * عند ما ولى زمانى
وحوى لى الهم صرفا * وبكاس قد سقانى
واراني يا خليلى * مت من قبل التدانى
يا زمانا للتصابى * عد قريبا بالتهانى

في سرور مع امان * من سهم هم قد رماني
من لمسكين غريب * بات مرعوب الجنان
صار في الحزن فريدا * بعد نزهات الزمان
حكمت فينا برغم * كف اولاد الزواني

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشيا عليه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر نزهة فانها كانت ساهرة في تلك الليلة لانها تذكرت اخاها في ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليل ارتاح فؤادها وقامت وتنضضت ودعت الخادم فقال لها ما حاجتك فقالت له قم وائتني بالذي ينشد هذه الاشعار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت من اخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له اذهب وائتني بمن ينشد هذه الاشعار فقال لها اني لم اسمعه ولم اعرفه والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظا فهو الذي ينشد الاشعار ففتش فلم ير مستيقظا سوى الرجل الوقاد واما ضوء المكان فانه كان في غشيته فلما رأى الوقاد الخادم واقفا على رأسه خاف منه فقال له الخادم هل انت الذي كنت تنشد الشعر وقد سمعتك سيدتنا فاعتقد الوقاد ان السيدة اغتاظت من الانشاد فخاف وقال له والله ما هو انا فقال له الخادم ومن الذي كان ينشد الشعر فدلني عليه فانك تعرفه لانك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال في نفسه ربما يضره الخادم بشيء فقال لم اعرفه فقال له الخادم والله انك تكذب فانه ما هنا قاعد الا انت فانت تعرفه فقال الوقاد انا اقول لك الحق ان الذي كان ينشد الاشعار رجل عابر طريق وهو الذي ازعجني واقلقني فالله يجازيه فقال له الخادم اذا كنت تعرفه فدلني عليه وانا امسكه وآخذه الى باب المحفة التي فيها سيدتنا او امسكه انت بيدك فقال له اذهب انت حتى آتيك به فتركه الخادم وانصرف ودخل واعلم سيدته بذلك وقال ما احد يعرفه لانه عابر سبيل فسكتت ثم ان ضوء المكان لما افاق من غشيته رأى القمر وصل الى وسط السماء وهب عليه نسيم الاسحار فهيج في قلبه البلابل والاشجان فحسن صوته واراد ان ينشد فقال له الوقاد ماذا تريد ان تصنع فقال له اريد ان انشد شيأ من الشعر لاطفئ به نار قلبي قال له انت ما علمت بما جرى لي وما سلمت من القتل الا باخذ خاطر الخادم فقال له ضوء المكان وماذا جرى فاخبرني بما وقع فقال يا سيدي قد اتاني الخادم وانت مغشي عليك ومعه عصى طويلة من اللوز وجعل يتطلع في وجوه الناس وهم نائمون ويسأل على من كان ينشد الاشعار فلم يجد من هو مستيقظ غيري فسألني فقلت له انه عابر سبيل فانصرف وسلمني الله منه والا كان قتلني فقال لي اذا سمعته ثانيا فأت به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى وقال من يمنعني من الانشاد فانا انشد ويجري علي ما يجري فاني قربت من بلادي وما ابالي باحد فقال له الوقاد انت ما مرادك الا هلاك نفسك فقال له ضوء المكان لا بد من انشادي فقال له الوقاد قد وقع الفراق بيني وبينك من هنا وكان مرادي ان لا افارقك حتى تدخل مدينتك وتجتمع بابيك وامك وقد مضى لك عندي سنة ونصف ما حصل لك مني ما يضرك فما سبب انشادك الشعر ونحن في غاية التعب من المشي والسهر والناس قد هجعوا ليستريحوا من التعب ومحتاجون الى النوم فقال ضوء المكان لا ارجع عما انا فيه ثم هزته الاشجان

فصاح بالكتمان وجعل ينشد هذه الابيات

قف بالديار وحي الاربع الدرسا * ونادها فعساها ان تجيب عسى
فان اجنك ليل من توحشها * اوقد من الشوق في ظلماتها قبسا
ان صل صل عذاريه فلا عجب * ان يجني لسعا واني اجتني لعسا
يا جنة فارقتها النفس مكرهة * لولا التأسي بدار الخلد مت اسى

وانشد ايضا هذين البيتين

كنا وكانت لنا الايام خادمة * والشمل مجتمع في ابهج الوطن
من لي بدار احبائي وكان بها * ضوء المكان وفيها نزهة الزمن

فلما فرغ من شعره صاح ثلاث صيحات ثم وقع مغشيا عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت نزهة الزمان ما انشده من الاشعار المتضمنة لذكر اسمها واسم اخيها ومعاهدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت له ويلك ان الذي انشد اولا انشد ثانيا وسمعته قريبا مني والله ان لم تأتني به لانبهن عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه المائة دينار واعطه اياها وائتني به برفق ولا تضره فان ابى فادفع له هذا الكيس الذي فيه الف دينار فان ابى فاتركه واعرف مكانه وصنعته ومن اى البلاد هو وارجع الي بسرعة ولا تغب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان ارسلت الخادم يفتش عليه وقالت له اذا وجدته فلاطفه وأتني به برفق ولا تغب فخرج الخادم يتأمل في الناس ويدوس بينهم وهم نائمون فلم يجد احدا مستيقظا فجاء الى الوقاد فوجده قاعدا مكشوف الرأس فدنا منه وقبض على يده وقال له انت الذي كنت تنشد الشعر فخاف على نفسه وقال لا والله يا مقدم القوم ماهو انا فقال له الخادم لا اتركك حتى تدلني على من كان ينشد الشعر لاني لا اقدر على الرجوع الى سيدتي من غيره فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان وبكى بكاء شديدا وقال للخادم والله ماهو انا وانما سمعت انسانا عابر سبيل ينشد فلا تدخل في خطيئتي فاني غريب وجئت من بلاد القدس والخليل معكم فقال الخادم للوقاد قم انت معي الى سيدتي واخبرها بفمك فاني ما رأيت احدا مستيقظا غيرك فقال له الوقاد اما جئت ورأيتني في الموضع الذي انا قاعد فيه وعرفت مكاني وما احد يقدر ان ينقل عن موضعه الا امسكته الحرس فامض انت الى مكانك فان بقيت تسمع احدا من هذه الساعة ينشد شيأ من الشعر سواء كان بعيدا او قريبا لا تعرفه الا مني ثم باس رأس الخادم واخذ بخاطره فتركه الخادم ودار دورة وخاف ان يرجع الى سيدته بلا فائدة فاستتر في مكان قريب من الوقاد فقام الوقاد الى ضوء المكان ونبهه وقال له قم اقعد حتى احكي لك ما جرى وحكى له ما وقع فقال له دعني فاني لا ابالي باحد فان بلادي قريبة فقال الوقاد لضوء المكان لاي شئ انت مطاوع نفسك وهواك ولا تخاف من احد وانا خائف على روحي وروحك فبالله عليك انك لا تتكلم بشئ من الشعر حتى تدخل بلدك وانا ما كنت اظنك على هذه الحالة اما علمت ان زوجة الحاجب تريد زجرك لانك اقلقتها وكانها ضعيفة او تعبانة من السفر وكم مرة وهي ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء المكان الى كلام الوقاد بل صاح ثالثا وانشد هذه الابيات

تركت كل لائم * ملامه اقلقني
يعذلني ومادرى * بأنه حرضني
قال الوشاة قدسلا * قلت لحب الوطن
قالوا فما احسنه * قلت فما اعشقني
قالوا فما اعزه * قلت فما اذلني
هيهات ان اتركه * لو جرعت كاس الشجن
وما اطعت لائما * في الهوى يعذلني

وكان الخادم يسمعه وهو مستخف فما فرغ من شعره الا والخادم على رأسه فلما رآه الوقاد فز ووقف بعيدا ينظر ما يقع بينهما فقال الخادم السلام عليكم ياسيدى فقال ضوء المكان وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقال الخادم ياسيدى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادم قال لضوء المكان ياسيدى انى اتيت اليك فى هذه الليلة ثلاث مرات لان سيدتى تطلبك عندها قال ومن اين هذه الكلبة حتى تطلبني مقتها الله ومقت زوجها معها ونزل فى الخادم شتما فما قدر الخادم ان يرد عليه جوابا لان سيدته اوصته انه لا يأتى به الا برضاه وان لم يأت معه يعطه المائة دينار فجعل الخادم يلين له الكلام ويقول له ياولدى نحن ما اخطأنا معك ولا جرنا عليك فالقصد ان تصل بخطواتك الكريمة الى سيدتنا وترجع فى خير وسلامة ولك عندنا بشارة فلما سمع ذلك الكلام قام ومشى بين الناس والوقاد ماش خلفه وناظر اليه ويقول فى نفسه ياخسارة شبابه فى غد يشنقونه ومازال الوقاد ماشيا حتى قرب من مكانهم وقال ما اخسهم ان كان يقول على هو الذى قال لى انشد الاشعار هذا ما كان من امر الوقاد واما ما كان من امر ضوء المكان فانه مازال ماشيا مع الخادم حتى وصل الى المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها قد جئت بما تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليه اثر النعمة فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت له امره ان ينشد شيأ من الشعر حتى اسمعه من قرب وبعد ذلك فاسأله عن اسمه ومن اى البلاد هو فخرج الخادم اليه وقال له انشد شيأ من الشعر حتى تسمعه سيدتى فانها حاضرة بالقرب منك واخبرنى عن اسمك وبلدك وحالك فقال حبا وكرامة ولكن حيث سألتنى عن اسمى فانه محى ورسمى فنى وجسمى بلى ولى حكاية تكتب بالابر على اماق البصر وها انا فى منزلة السكران الذى اكثر من الشراب وحلت به الاوصاب فتاه عن نفسه واحتار فى امره وغرق فى بحر الافكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت فى البكاء والانين وقالت للخادم قل له هل فارقت احدا ممن تحب مثل امك وابيك فسأله الخادم كما امرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع واعزهم عندى اختى التى فرق الدهر بينى وبينها فلما سمعت نزهة الزمان منه هذا الكلام قالت الله يجمع شمله بمن يحب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت الله يجمع شمله بمن يحب ثم قالت للخادم قل له اسمعنا شيأ من الاشعار المتضمنة لشكوى الفراق فقال له الخادم كما امرته سيدته

فصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

ليت شعرى لو دروا * اى قلب ملكوا
وفؤادى لو درى * اى شعب سلكوا
اتراهم سلموا * ام تراهم هلكوا
حار ارباب الهوى * فى الهوى وارتبكوا

وانشد ايضا هذه الابيات

اضحى التنائى بديلا من تدانينا * وعند ما عن لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت ماقينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا * بان نغص فقال الدهر امينا
ان الزمان الذى مازال يضحكنا * انسا بقربكم قد عاد يبكينا
يا جنة الخلد بدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا

ثم سكب العبرات وانشد هذه الابيات

لله نذر ان ازر مكانى * وفيه اختى نزهة الزمانى
لاقضين بالصفا زمانى * مابين غيد خرد حسان
وصوت عود مطرب الالحان * مع ارتضاع كاس بنت الحان
ورشف المى فاتر الاجفان * بشط نهر سال فى بستان

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت ذيل الستارة عن المحفة ونظرت اليه فلما وقع بصرها على وجهه عرفته غاية المعرفة فصاحت قائلة يا اخى يا ضوء المكان فرفع بصره اليها فعرفها وصاح قائلا يا اختى يا نزهة الزمان فالقت نفسها عليه فتلقاها فى حضنه ووقع الاثنان مغشيا عليهما فلما رآهما الخادم على تلك الحالة تعجب فى امرهما والقى عليهما شيأ سترهما به وصبر عليهما حتى افاقا فلما افاقا من غشيتهما فرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنها الهم والترح وتوالت عليها المسرات وانشدت هذه الابيات

الدهر اقسم لا يزال مكدرى * حنثت يمينك يا زمان فكفرى
السعد وافى والحبيب مساعدى * فانهض الى داعى السرور وشمرى
ما كنت اعتقد السوالف جنة * حتى ظفرت من اللمى بالكوثرى

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضم اخته الى صدره وفاضت لفرط سروره من اجفانه العبرات وانشد هذه الابيات

ولقد ندمت على تفرق شملنا * ندما افاض الدمع من اجفانى
ونذرت ان عاد الزمان يلمنا * لاعدت اذكر فرقة بلسانى
هجم السرور على حتى انه * من فرط ما قد سرنى ابكانى
يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين من فرح ومن احزانى

وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم داخل المحفة واحك لى ما وقع لك وانا احكى لك ما وقع لى فقال ضوء المكان احكى لى انت اولا فحكت له جميع ما وقع لها منذ فارقته من الخان وما وقع لها من البدوى

والتاجر وكيف اشتراها منه وكيف اخذها التاجر الى اخيها شركان وباعها له وان شركان اعتقها
من حين اشتراها وكتب كتابه عليها ودخل بها وان الملك ابوها سمع بخبرها فارسل الى شركان يطلبها
منه ثم قالت له الحمد لله الذى من على بك ومثل ما خرجنا من عند والدنا سواء نرجع اليه سواء ثم قالت له
ان اخى شركان زوجنى بهذا الحاجب لاجل ان يوصلنى الى والدى وهذا ما وقع لى من الاول الى الاخر فاحك
لى انت ما وقع لك بعد ذهابى من عندك فحكى لها جميع ما وقع له من الاول الى الاخر وكيف من الله عليه
بالوقاد وكيف سافر معه وانفق عليه ماله وانه كان يخدمه فى الليل والنهار فشكرته على ذلك ثم قال لها
يا اختى ان هذا الوقاد فعل معى من الاحسان فعلا لا يفعله احد فى احد من احبابه ولا الوالد مع ولده حتى
كان يجوع ويطعمنى ويمشى ويركبنى وكانت حياتى على يديه فقالت له نزهة الزمان ان شاء الله تعالى نكافئه
بما نقدر عليه ثم ان نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر وقبل يد ضوء المكان وقالت له نزهة الزمان
خذ بشارتك يا وجه الخير لانه كان جمع شملى باخى على يديك فالكيس الذى معك وما فيه لك فاذهب وائتنى
بسيدك عاجلا ففرح الخادم وتوجه الى الحاجب ودخل عليه ودعاه الى سيدته فاتى به ودخل على زوجته
نزهة الزمان فوجد عندها اخاها فسأل عنه فحكت له ما وقع لهما من اوله الى اخره ثم قالت اعلم ايها
الحاجب انك ما اخذت جارية وانما اخذت بنت الملك عمر النعمان فانا نزهة الزمان وهذا اخى ضوء المكان فلما
سمع الحاجب القصة منها تحقق ما قالته وبان له الحق الصريح وتيقن انه صار صهر الملك عمر النعمان فقال
فى نفسه مصيرى ان اخذ نيابة على قطر من الاقطار ثم اقبل على ضوء المكان وهناه بسلامته وجمع
شمله باخته ثم امر خدمه فى الحال ان يهيؤا لضوء المكان خيمة ومركوبا من احسن الخيل فقالت له اخته
انا قد قربنا من بلادنا فانا اختلى باخى ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل ان نصل الى بلادنا فان لنا
زمنا طويلا ونحن مفترقان فقال الحاجب الامر كما تريدان ثم ارسل اليهما الشموع وانواع الحلاوة وخرج
من عندهما وارسل الى ضوء المكان ثلاث بدلات من افخر الثياب وتمشى الى ان جاء الى المحفة وعرف مقدار
نفسه فقالت له نزهة الزمان ارسل الى الخادم وامره ان يأتى بالوقاد ويهيئ له حصانا يركبه ويرتب له
سفرة طعام فى الغداة والعشى ويأمره انه لا يفارقنا فعند ذلك ارسل الحاجب الى الخادم وامره ان يفعل ذلك
فقال سمعا وطاعة ثم ان الخادم اخذ غلمانه وذهب يفتش على الوقاد الى ان وجده فى اخر الركب وهو يشد
حماره ويريد ان يهرب ودموعه تجرى على خده من الخوف على نفسه ومن حزنه على فراق ضوء المكان
وصار يقول قد نصحته فى سبيل الله فلم يسمع منى يا ترى كيف حاله فلم يتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه
ودارت حوله الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا فوق رأسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه وخاف
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوقاد لما اراد ان يشد حماره ويهرب وصار يكلم نفسه ويقول يا ترى كيف
حاله فما تم كلامه الا والخادم واقف على رأسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا على
رأسه فارتعدت فرائصه وخاف وقال وقد رفع صوته بالكلام انه ما عرف مقدار ما عملته معه من المعروف
فاظن انه غمز الخادم وهؤلاء الغلمان على وانه اشركنى معه فى الذنب واذا بالخادم صاح عليه وقال له
من الذى كان ينشد الاشعار يا كذاب كيف تقول لى انا ما انشدت الاشعار ولا اعرف من انشدها وهو

رفيقك فانا لا افارقك من هنا الى بغداد والذى يجرى على رفيقك يجرى عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال فى نفسه ما خفت منه وقعت فيه ثم انشد هذا البيت

كان الذى خفت ان يكون ✻ انا الى الله راجعون

ثم ان الخادم صاح على الغلمان وقال لهم انزلوه عن الحمار فانزلوا الوقاد عن حماره واتوا له بحصان فركبه ومشى صحبة الركب والغلمان حوله محدقون به وقال لهم الخادم ان عدم منه شعرة كانت بواحد منكم ولكن اكرموه ولا تهينوه فلما رأى الوقاد الغلمان حوله يئس من الحياة والتفت الى الخادم وقال له يا مقدم انا مالى اخوة ولا قرايب وهذا الشاب لا يقرب لى ولا انا اقرب له وانما انا رجل وقاد فى حمام ووجدته ملقيا على المزبلة مريضا وسار الوقاد يبكى ويحسب فى نفسه الف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرفه بشئ بل يقول له قد اقلقت سيدتنا بانشادك الشعر انت وهذا الصبى ولا تخاف على نفسك وصار الخادم يضحك عليه سرا واذا نزلوا اتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد فى آنية واحدة فاذا اكلوا امر الخادم الغلمان ان يأتوا بقلة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب لكنه لم تنشف له دمعة من الخوف على نفسه والحزن على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع لهما فى غربتهما وهما سائران والحاجب تارة يكون على باب المحفة لاجل خدمة ضوء المكان بن الملك عمر النعمان ونزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد وسارت نزهة الزمان واخوها ضوء المكان فى حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولم يبق بينهم وبين البلاد الا ثلاثة ايام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين الى ان لاح الفجر فاستيقظوا وارادوا ان يحملوا واذا بغبار عظيم قد لاح لهم واظلم الجو منه حتى صار كالليل الداجى فصاح الحاجب قائلا امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه وساروا نحو ذلك الغبار فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جرار كالبحر الزخار وفيه رايات واعلام وطبول وفرسان وابطال فتعجب الحاجب من امرهم فلما رآهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة فارس واتوا الى الحاجب هو ومن معه واحاطوا بهم واحاطت كل خمسة من العسكر بمملوك من مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب اى شئ الخبر ومن اين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه الافعال فقالوا له من انت ومن اين اتيت والى اين تتوجه فقال لهم انا حاجب امير دمشق الملك شركان بن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وارض خراسان اتيت من عنده بالخراج والهدية متوجها الى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه ارخوا مناديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له ان عمر النعمان قد مات وما مات الا مسموما فتوجه وما عليك بأس حتى تجتمع بوزيره الاكبر الوزير دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال يا خيبتنا فى هذه السفرة وسار يبكى هو ومن معه الى ان اختلطوا بالعسكر فاستأذنوا له الوزير دندان فاذن له وامر الوزير بضرب خيامه وجلس على سرير فى وسط الخيمة وامر الحاجب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره فاعلمه انه حاجب امير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند ذكر الملك عمر النعمان ثم قال له الوزير دندان ان الملك عمر النعمان قد مات مسموما وبسبب موته اختلف الناس فيمن يولونه بعده حتى اوقعوا القتل فى بعضهم ولكن منعهم عن بعضهم الاكابر والاشراف والقضاة الاربعة واتفق جميع الناس على ان ما اشار به القضاة الاربعة لا يخالفهم فيه احد فوقع الاتفاق على اننا نسير الى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتى به ونسلطنه على مملكة ابيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثانى وقالوا انه يسمى ضوء المكان وله اخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها الى ارض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما احد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم

ان

ان القضية التي وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت السلطان غما عظيما ولكنه فرح فرحا شديدا وخصوصا بمجيء ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد في مكان ابيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حاجب شركان لما سمع من الوزير دندان ما ذكر من خبر الملك عمر النعمان تأسف ولكنه فرح لزوجته واخيها ضوء المكان لانه يصير سلطانا ببغداد مكان ابيه ثم التفت الحاجب الى الوزير دندان وقال ان قصتكم من اعجب العجائب اعلم ايها الوزير الكبير انكم حيث صادفتموني في الان اراحكم الله من التعب وقد جاءكم الامر كما تشتهون على اهون سبب لان الله رد اليكم ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وانصلح الامر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحا شديدا ثم قال له ايها الحاجب اخبرني بقصتهما وبما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وانها صارت زوجته واخبره بحديث ضوء المكان من اوله الى آخره فلما فرغ الحاجب من حديثه ارسل الوزير دندان الى الامراء والوزراء واكابر الدولة واطلعهم على القصة ففرحوا بذلك فرحا شديدا وتعجبوا من هذا الاتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاؤا عند الحاجب ووقفوا في خدمته وقبلوا الارض بين يديه واقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب ووقف بين يديه ثم ان الحاجب عمل في ذلك اليوم ديوانا عظيما وجلس هو والوزير دندان على تخت وبين ايديهما جميع الامراء والكبراء وارباب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر في ماء الورد وشربوا ثم قعد الامراء للمشورة واعطوا بقية الجيش اذنا في ان يركبوا مع بعضهم ويتقدموا قليلا قليلا حتى يتموا المشورة ويلحقوهم فقبلوا الارض بين يدي الحاجب وركبوا وقدامهم رايات الحرب فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم اقبل الحاجب على الوزير دندان وقال له الرأي عندي ان اتقدم واسبقكم لاجل ان اهيء للسلطان مكانا يناسبه واعلمه بقدومكم وانكم اخترتموه على اخيه شركان سلطانا عليكم فقال الوزير نعم الرأي الذي رأيته ثم نهض ونهض الوزير دندان تعظيما له وقدم له التقادم واقسم عليه ان يقبلها وكذلك الامراء الكبار وارباب المناصب قدموا له التقادم ودعوا له وقالوا له لعلك تحدث السلطان ضوء المكان في امرنا ليبقينا مستمرين في مناصبنا فاجابهم لما سألوه ثم امر غلمانه بالسير فارسل الوزير دندان الخيام مع الحاجب وامر الفراشين ان ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا امره وركب الحاجب وهو في غاية الفرح وقال في نفسه ما ابرك هذه السفرة وعظمت زوجته في عينه وكذلك ضوء المكان ثم جد في السفر الى ان وصل الى مكان بينه وبين المدينة مسافة يوم ثم امر بالنزول فيه لاجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان ضوء المكان بن الملك عمر النعمان ثم نزل من بعيد هو ومماليكه وامر الخدام ان يستأذنوا السيدة نزهة الزمان في ان يدخل عليها فاستأذنوها في شان ذلك فاذنت له فدخل عليها واجتمع بها وباخيها واخبرهما بموت ابيهما وان ضوء المكان جعله الرؤساء ملكا عليهم عوضا عن ابيه عمر النعمان وهناهما بالملك فبكيا على فقد ابيهما وسألا عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان وفي غد يكون هو والجيش كله في هذا المكان وما بقي في الامر ايها الملك الا ان تفعل ما اشاروا به لانهم كلهم اختاروك سلطانا وان لم تفعل سلطنوا غيرك وانت لا تأمن على نفسك من الذي يتسلطن غيرك فربما يقتلك او يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من ايديكما فاطرق

برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت هذا الامر لانه لا يمكن التخلى عنه وتحقق ان الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب يا عم وكيف اعمل مع اخى شركان فقال يا ولدى اخوك يكون سلطان دمشق وانت سلطان بغداد فشد عزمك وجهز امرك فقبل منه ضوء المكان ذلك ثم ان الحاجب قدم اليه البدلة التى كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة وخرج من عنده وامر الفراشين ان يختاروا موضعا عاليا وينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها اذا قدم عليه الامراء ثم امر الطباخين ان يطبخوا طعاما فاخرا ويحضروه وامر السقايين ان ينصبوا حياض الماء وبعد ساعة طار الغبار حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الحاجب لما امر الفراشين ان ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة الملوك فلما فرغوا من اشغالهم واذا بغبار قد طار ثم محق الهوى ذلك الغبار وبان من تحته عسكر جرار وتبين ان ذلك العسكر عسكر بغداد وخرسان ومقدمه الوزير دندان وكلهم فرحوا بسلطنة ضوء المكان وكان ضوء المكان لابسا خلعة الملك متقلدا بسيف الموكب فقدم له الحاجب الفرس فركب وصار هو ومماليكه وجميع من فى الخيام مشى فى خدمته حتى دخل القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب فى خدمته بين يديه ووقفت مماليكه فى دهليز الخيمة وشهروا فى ايديهم السيوف ثم اقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الاذن فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فامر ان يدخلوا عليه عشرة عشرة فاعلمهم الحاجب بذلك فاجابوا بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة منهم فشق بهم الحاجب فى الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلما رأوه هابوه فتلقاهم احسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنوه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الايمان الصادقة انهم لا يخالفون له امرا ثم قبلوا الارض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة اخرى ففعل بهم مثل ما فعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبل الارض بين يديه فقام اليه ضوء المكان واقبل عليه وقال له مرحبا بالوزير والوالد الكبير ان فعلك فعل المشير العزيز والتدبير بيد اللطيف الخبير ثم ان الحاجب خرج فى تلك الساعة وامر بمد السماط وامر باحضار العسكر جميعا فحضروا واكلوا وشربوا ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان أمر العسكر بالاقامة عشرة ايام حتى اختلى بك وتخبرنى بسبب قتل ابى فامتثل الوزير قول السلطان وقال لابد من ذلك ثم خرج الى وسط الخيام وامر العسكر بالاقامة عشرة ايام فامتثلوا امره ثم ان الوزير اعطاهم اذنا انهم يتفرجون ولا يدخل احد من ارباب الخدمة عند الملك مدة ثلاثة ايام فتضرع جميع الناس ودعوا لضوء المكان بدوام العز ثم اقبل عليه الوزير واعلمه بالذى كان فصبر الى الليل ودخل على اخته نزهة الزمان وقال لها اهل علمت بسبب قتل ابى ولم تعلمى بسببه كيف كان فقالت له لم اعلم سبب قتله ثم انها ضربت لها ستارة من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وامر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه فقال له اريد ان تخبرنى تفصيلا بسبب قتل ابى الملك عمر النعمان فقال الوزير دندان اعلم ايها الملك ان الملك عمر النعمان لما اتى من سفره الى الصيد والقنص وجاء الى المدينة سأل

عنكما فلم يجدكما فعلم انكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك فازداد به الغيظ وضاق صدره واقام نصف سنة وهو يستخبر عنكما كل شارد ووارد فلم يخبره احد عنكما فبينما نحن بين اياديه يوما من الايام بعد ما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما واذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها خمس جوار نهد ابكار كانهن الاقمار وقد حوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان ومع كمال حسنهن يقرأن القرآن ويعرفن الحكمة واخبار المتقدمين فاستأذنت تلك العجوز في الدخول على الملك فاذن لها فدخلت عليه وقبلت الارض بين يديه وكنت انا جالسا بجانب الملك فلما دخلت عليه قربها اليه لما رأى عليها من آثار الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز عنده اقبلت عليه وقالت له اعلم ايها الملك ان معي خمس جوار ما ملك احد من الملوك مثلهن لانهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرآن بالروايات ويعرفن العلوم واخبار الامم السالفة وهن بين يديك واقفات في خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء او يهان فنظر المرحوم والدك الى الجوارى فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأ مما تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فنظر المرحوم والدك الى الجوارى فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأ مما تعرفه من اخبار الناس الماضين والامم السابقين فتقدمت واحدة منهن وقبلت الارض بين يديه وقالت اعلم ايها الملك انه ينبغي لذى الادب ان يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وان يؤدى الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم ذلك ملازمة من لو افرد عنه لهلك واساس الادب مكارم الاخلاق واعلم ان معظم اسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة الله فينبغي ان تحسن خلقك مع الناس وان لا تعدل عن تلك السنة فان اعظم الناس خطرا احوجهم الى التدبير والملوك احوج اليه من السوقة لان السوقة قد تفيض في الامور من غير نظر في العاقبة وان تبذل في سبيل الله نفسك ومالك واعلم ان العدو خصم تخصمه بالحجة وتحترز منه واما الصديق فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلق فاختر صديقك لنفسك بعد اختباره فان كان من اخوان الآخرة فليكن محافظا على اتباع ظاهر الشرع عارفا بباطنه على حسب الامكان وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرا صادقا ليس بجاهل ولا شرير فان الجاهل اهل لان يهرب منه ابواه والكاذب لا يكون صديقا لان الصديق مأخوذ من الصدق الذى يكون ناشئا عن صميم القلب فكيف به اذا ظهر الكذب على اللسان واعلم ان اتباع الشرع ينفع صاحبه فاحبب اخاك اذا كان بهذه الصفة ولا تقطعه وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالزجاج اذا انصدع لا ينجبر ولله در القائل

احرص على فرط القلوب من الاذى ❋ فرجوعها بعد التنافر يعسر

ان القلوب اذا تنافر ودها ❋ مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

قالت الجارية في آخر كلامها وهي تشير الينا ان اصحاب العقول قالوا خير الاخوان اشدهم في النصيحة وخير الاعمال اجملها عاقبة وخير الثناء ما كان على افواه الرجال وقد قيل لا ينبغي للعبد ان يغفل عن

شكر الله خصوصا على نعمتين العافية والعقل وقيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ومن عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها ومن اطاع الهوى ضيع الحقوق ومن اطاع الواشى ضيع الصديق ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه بك ومن بالغ فى الخصومة اثم ومن لم يحذر الحيف لم يأمن السيف وها انا اذكر لك شيأ من اداب القضاة اعلم ايها الملك انه لا ينفع حكم بحق الا بعد التثبت وينبغى للقاضى ان يجعل الناس فى منزلة واحدة حتى لا يطمع شريف فى الجور ولا ييأس ضعيف من العدل وينبغى ايضا ان يجعل البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا احل حراما او حرم حلالا وما شككت فيه اليوم فراجع فيه عقلك وتبين به رشدك لترجع فيه الى الحق فالحق فرض والرجوع الى الحق خير من التمادى على الباطل ثم اعرف الامثال وافقه المقال وسو بين الاخصام فى الوقوف وليكن نظرك على الحق موقوفا وفوض امرك الى الله عز وجل واجعل البينة على من ادعى فان حضرت بينته اخذت له بحقه والا حلف المدعى عليه وهذا حكم الله واقبل شهادة عدول المسلمين بعضهم على بعض فان الله تعالى امر الحكام ان تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر ويجب على القاضى ان يجتنب القضاء عند شدة الالم والجوع وان يقصد بقضائه بين الناس وجه الله تعالى فان من خلصت نيته واصلح ما بينه وبين نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس وقال الزهرى ثلاث اذا كن فى قاض كان منعزلا اذا اكرم اللئام واحب المحامد وكره العزل وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضيا فقال له لم عزلتنى فقال عمر قد بلغنى عنك ان مقالك اكبر من مقامك وحكى ان الاسكندر قال لقاضيه انى وليتك منزلة واستودعتك فيها روحى وعرضى ومروءتى فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك وقال لطباخه انك مسلط على جسمى فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبه انك متصرف فى عقلى فاحفظنى فيما تكتبه عنى ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تأخرت الجارية الاولى وتقدمت الثانية وقبلت الارض بين يدى الملك والدك سبع مرات ثم قالت قال لقمان لابنه ثلاثة لا تعرف الا فى ثلاثة مواطن لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخوك الا عند حاجتك اليه وقيل ان الظالم نادم وان مدحه الناس والمظلوم سليم وان ذمه الناس وقال الله تعالى ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم وقال عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى واعلم ايها الملك ان اعجب ما فى الانسان قلبه لان به زمام امره فان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه الاسى قتله الاسف وان عظم عنده الغضب اشتد به العطب وان سعد بالرضا امن من السخط وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابته مصيبة ضمنه الجزع وان استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وان غصته فاقة اشغله الهم وان اجهده الجزع اقعده الضعف فعلى كل حالة لا صلاح له الا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من اشر الناس حالا قال من غلبت شهوته مروءته وبعدت فى المعالى همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما احسن ما قاله قيس

وانى لاغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضلالا وما هو مهتدى
وما المال والاخلاق الا معارة * فكل بما يخفيه فى الصدر مرتدى
اذا ما اتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتدى

ثم ان الجارية قالت واما اخبار الزاهد فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ما حقيقة الزهد فقال لى قد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الزاهد من لم ينس القبر والبلاء وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه فى الموتى وقيل ان اباذر كان يقول الفقر احب الىّ من الغنى والسقم احب الى من الصحة فقال بعض السامعين رحم الله اباذر اما انا فاقول من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضى بالحالة التى اختارها الله له وقال بعض الثقاة صلى بنا ابن ابى اوفى صلاة الصبح فقرأ يا ايها المدثر حتى بلغ قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور خر ميتا ويروى ان ثابتا البنانى بكى حتى كادت ان تذهب عيناه فجاؤا برجل يعالجه قال اعالجه بشرط ان يطاوعنى قال ثابت فى اى شئ قال الطبيب فى ان لا تبكى قال ثابت فما افضل عيناى ان لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد الله اوصنى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر النعمان وقال رجل لمحمد ابن عبد الله اوصنى فقال اوصيك ان تكون فى الدنيا مالكا زاهدا وفى الاخرة مملوكا طامعا قال وكيف ذلك قال الزاهد فى الدنيا يملك الدنيا والاخرة وقال غوث بن عبد الله كان اخوان فى بنى اسرائيل قال احدهما للاخر ما اخوف عمل عملته قال له انى مررت ببيت فراخ فاخذت منه واحدة ورميتها فى ذلك البيت ولكن بين الفراخ التى لم آخذها منها فهذا اخوف عمل عملته فما اخوف ما عملته انت فقال اما انا فاخوف عمل اعمله انى اذا قمت الى الصلاة اخاف ان اكون لا اعمل ذلك الا للجزاء وكان ابوهما يسمع كلامهما فقال اللهم ان كانا صادقين فاقبضهما اليك فقال بعض العقلاء ان هذين من افضل الاولاد وقال عبد بن جبير صحبت فضالة ابن عبيد فقلت له اوصنى فقال احفظ عنى هذين الخصلتين ان لا تشرك بالله شيأ وان لا تؤذى من خلق الله احدا وانشد هذين البيتين

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وانف الهموم فما فى الامر من باس
الا اثنتين فلا تقربهما ابدا * الشرك بالله والاضرار للناس

وما احسن قول الشاعر

اذا انت لم يصحبك زاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله * وانك لم ترصد كما كان ارصدا

ثم تقدمت الجارية الثالثة بعد ان تأخرت الثانية وقالت ان باب الزهد واسع جدا ولكن اذكر بعض ما يحضرنى فيه عن السلف الصالح قال بعض العارفين انا استبشر بالموت ولا اتيقن فيه راحة غير انى علمت ان الموت يحول بين المرء وبين الاعمال فارجو مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السئ وكان عطاء السلمى اذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديدا فقيل له لم ذلك فقال انى اريد ان اقبل على امر عظيم وهو الانتصاب بين يدى الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان على زين

العابدين ابن الحسين يرتعد اذا قام للصلاة فسئل عن ذلك فقال اتدرون لمن اقوم ولمن اخاطب وقيل كان بجانب سفيان الثورى رجل ضرير فاذا كان شهر رمضان يخرج ويصلى بالناس فيسكت ويبطئ وقال سفيان اذا كان يوم القيامة اتى باهل القرآن فيميزون بعلامة مزيد الكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو ان النفس استقرت فى القلب كما ينبغى لطارت فرحا وشوقا الى الجنة وحزنا وخوفا من النار وعن سفيان الثورى انه قال النظر الى وجه الظالم خطيئة ثم تأخرت الجارية الثالثة وتقدمت الجارية الرابعة وقالت وها انا اتكلم ببعض ما يحضرنى من اخبار الصالحين روى ان بشرا الحافى قال سمعت خالدا يقول اياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال ان يصلى احدكم فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث وقال بعض العارفين فعل الحسنات يكفر السيئات وقال بعض العارفين التمست من بشر بن الحافى شيأ من اسرار الحقايق فقال يا بنى هذا العلم لا ينبغى ان نعلمه كل احد فمن كل مائة خمسة مثل زكاة الدرهم قال ابراهيم بن ادهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما انا اصلى واذا ببشر يصلى فقمت وراءه اركع الى ان يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال يا قوم احذروا الصدق الضار ولا باس بالكذب النافع وليس مع الاضطرار اختيار ولا ينفع الكلام عند العدم كما لا يضر السكوت عند وجود الجود وقال ابراهيم رأيت بشرا اسقط منه دانق فقمت اليه واعطيته درهما فقال لا اخذه فقلت انه من خالص الحلال فقال لى انا لست استبدل نعم الدنيا بنعم الاخرة وروى ان اخت بشر الحافى قصدت احمد بن حنبل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان الجارية قالت لوالدك ان اخت بشر الحافى قصدت احمد بن حنبل فقالت له يا امام الدين انا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا فى النهار وربما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل فى ضوئها افهل يحرم علينا ذلك قال لها من انت قالت اخت بشر الحافى فقال يا اهل بشر لا ازال استنشق الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين اذا اراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وكان مالك ابن دينار اذا مر فى السوق ورأى ما يشتهيه يقول يا نفس اصبرى فلا اوافقك على ما تريدين وقال رضى الله عنه سلامة النفس فى مخالفتها وبلاؤها فى متابعتها وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل ويقول الهى وعزتك وجلالك ما اردت بمعصيتى مخالفتك وما انا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها على فى قديم ازلك فاغفر لى ما فرط منى فانى قد عصيتك بجهلى فلما فرغ من دعائه تلى هذه الاية يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعت سقطة لم اعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتها فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مر بنا البارحة وولدى قائم يصلى فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتا ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت الجارية الخامسة وقالت وها انا اذكر بعض ما يحضرنى من اخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر واذا عزم العبد على ترك الاثام اتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب الى الله فهى بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الاخرة وكثيرها ينسيك قليلها وسئل ابو حازم من ايسر الناس فقال رجل اذهب

عمره فى طاعة الله قال فمن احمق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروى ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رب انى لما انزلت الى من خير فقير فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقى لهما ولم تصدر الرعاء فلما رجعتا اخبرتا اباهما شعيبا فقال لهما لعله جائع ثم قال لاحداهما ارجعى اليه وادعيه فلما اتته غطت وجهها وقالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فكره موسى ذلك واراد ان لا يتبعها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كونى خلفى فمشت خلفه حتى دخل على شعيب والعشاء مهيأ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى عليه السلام على شعيب والعشاء مهيأ فقال شعيب لموسى يا موسى انى اريد ان اعطيك اجرة ما سقيت لهما فقال موسى انا من اهل بيت لا نبيع شيأ من عمل الآخرة بما على الارض من ذهب وفضة فقال شعيب يا شاب ولكن انت ضيفى واكرام الضيف عادتى وعادة آبائى باطعام الطعام فجلس موسى فأكل ثم ان شعيبا استأجر موسى ثمانى حجج اى سنين وجعل اجرته على ذلك تزويجه احدى بنتيه وكان عمل موسى لشعيب صداقا لها كما قال تعالى حكاية عنه انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك وقال رجل لبعض اصحابه وكان له مدة لم يره انك اوحشتنى لانى ما رأيتك من مدة زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب اتعرفه قال نعم هو جارى من منذ ثلاثين سنة الا انى لم اكلمه قال له انك نسيت الله فنسيت جارك ولو احببت الله لاحببت جارك اما علمت ان للجار على الجار حقا كحق القرابة وقال حذيفة دخلنا مكة مع ابراهيم بن ادهم وكان شقيق البلخى قد حج فى تلك السنة فاجتمعنا فى الطواف فقال ابراهيم لشقيق ما شأنكم فى بلادكم فقال شقيق اننا اذا رزقنا اكلنا واذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا اذا رزقنا آثرنا واذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدى ابراهيم وقال له انت استاذى وقال محمد بن عمران سأل رجل حاتما الاصم فقال ما امرك فى التوكل على الله تعالى قال على خصلتين علمت ان رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت نفسى به وعلمت انى لم اخلق من غير علم الله فاستحييت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الارض بين يدى والدك تسع مرات وقالت قد سمعت ايها الملك ما تكلم به الجميع فى باب الزهد وانا تابعة لهن فاذكر بعض ما بلغنى عن اكابر المتقدمين قيل كان الامام الشافعى يقسم الليل ثلاثة اقسام الثلث الاول للعلم والثانى للنوم والثالث للتهجد وكان الامام ابو حنيفة يحيى نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشى وقال لآخر ان هذا يحيى الليل كله فلما سمع ذلك قال انى استحيى من الله ان اوصف بما ليس فى فصار بعد ذلك يحيى الليل كله وقال الربيع كان الشافعى يختم القرآن فى شهر رمضان سبعين مرة كل ذلك فى الصلاة وقال الشافعى رضى الله عنه ما شبعت من خبز الشعير عشر سنين لان الشبع يقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن القيام وروى عن عبد الله بن محمد السكرى انه قال كنت انا وعمر نتحدث فقال لى ما رأيت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعى واتفق انى خرجت انا والحارث بن لبيب الصفار وكان الحارث تلميذ المزنى وكان صوته حسنا فقرأ قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن

لهم فيعتذرون فرأيت الامام الشافعي تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق قال اعوذ بالله من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب لى غفران ذنوبى من جودك وجملنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ثم قمت وانصرفت وقال بعض الثقاة فلما دخلت بغداد كان الشافعي بها فجلست على الشاطئ لا توضأ للصلاة اذ مر بى انسان فقال لى يا غلام احسن وضوءك يحسن الله اليك فى الدنيا والاخرة فالتفت واذا برجل يتبعه جماعة فاسرعت فى وضوئى وجعلت اقفو اثره فالتفت الى وقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله تعالى فقال اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه غدا افلا ازيدك قلت بلى قال كن فى الدنيا زاهدا وفى الاخرة راغبا واصدق فى جميع امورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقيل لى هذا الامام الشافعي وكان الامام الشافعي يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على ان لا ينسب الى منه شئ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان قالت العجوز لولدك كان الامام الشافعي يقول وددت ان الناس ينتفعون بهذا العلم على ان لا ينسب الى منه شئ وقال ما ناظرت احدا الا احببت ان يوفقه الله تعالى للحق ويعينه على اظهاره وما ناظرت احدا قط الا لاجل اظهار الحق وما ابالى ان بين الله الحق على لسانى او على لسانه وقال رضى الله عنه اذا خفت على عملك العجب فاذكر رضى من تطلب وفى اى نعيم ترغب ومن اى عقاب ترهب وقيل لابى حنيفة ان امير المؤمنين ابا جعفر المنصور قد جعلك قاضيا ورسم لك بعشرة الاف درهم فما رضى فلما كان اليوم الذى توقع ان يؤتى اليه فيه بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاء رسول امير المؤمنين بالمال فلما دخل عليه وخاطبه فلم يكلمه فقال له رسول الخليفة ان هذا المال حلال فقال اعلم انه حلال لى ولكنى اكره ان يقع فى قلبى مودة الجبابرة فقال له لو دخلت اليهم وتحفظت من ودهم قال هل آمن ان الج البحر ولا تبتل ثيابى ومن كلام الشافعي رضى الله تعالى عنه

الا يا نفس ان ترضى بقوتى * فانت عزيزة ابدا غنيه
دعى عنك المطامع والامانى * فكم امنية جلبت منيه

ومن كلام سفيان الثورى فيما اوصى به على ابن الحسن السلمى عليك بالصدق واياك والكذب والخيانة والرياء والعجب فان العمل الصالح يحبطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا تأخذ دينك الا عن من هو مشفق على دينه وليكن جليسك من يزهدك فى الدنيا واكثر ذكر الموت واكثر الاستغفار واسأل الله السلامة فيما بقى من عمرك وانصح كل مؤمن اذا سألك عن امر دينه واياك ان تخون مؤمنا فان من خان مؤمنا فقد خان الله ورسوله واياك والجدال والخصام ودع ما يريبك الى ما لا يريبك تكن سليما وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكن حبيب الله واحسن سريرتك يحسن الله علانيتك واقبل المعذرة ممن اعتذر اليك ولا تبغض احدا من المسلمين وصل من قطعك واعف عمن ظلمك تكن رفيق الانبياء وليكن امرك مفوضا الى الله فى السر والعلانية واخش الله خشية من قد علم انه ميت ومبعوث وصائر الى الحشر والوقوف بين يدى الجبار واذكر مصيرك الى احدى الدارين اما جنة عالية واما نار حاميه

ثم ان العجوز جلست الى جانب الجوارى فلما سمع والدك المرحوم كلامهن علم انهن افضل اهل زمانهن ورأى
حسنهن وجمالهن وزيادة ادبهن فاواهن اليه واقبل على العجوز فاكرمها واخلى لها هى وجواريها القصر
الذى كانت فيه الملكة ابريزة بنت ملك الروم ونقل اليهن ما يحتجن اليه من الخيرات فاقامت عنده عشرة ايام
وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلاتها وقيامها فى ليلها وصيامها فى نهارها فوقع فى قلبه محبتها
وقال لى يا وزير ان هذه العجوز من الصالحات وقد عظمت فى قلبى مهابتها فلما كان اليوم الحادى عشر
اجتمع بها من جهة دفع ثمن الجوارى اليها فقالت له ايها الملك اعلم ان ثمن هذه الجوارى فوق ما تتعامل به
الناس فانى لا اطلب فيهن ذهبا ولا فضة ولا جواهر قليلا كان ذلك او كثيرا فلما سمع والدك كلامها
تعجب وقال ايتها السيدة وما ثمنهن قالت ما ابيعهن لك الا بصيام شهر كامل تصوم نهاره وتقوم ليله لوجه
الله تعالى فان فعلت ذلك فهن ملك لك فى قصرك تصنع بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها
وزهدها وورعها وعظمت فى عينه وقال نفعنا الله بهذه المرأة الصالحة ثم اتفق معها على انه يصوم الشهر
كما اشترطته عليه فقالت له وانا اعينك بدعوات ادعو بهن لك فائتنى بكوز ماء فاتاها بكوز ماء فاخذته
وقرأت عليه وهمهمت وقعدت ساعة تتكلم بكلام لا نفهمه ولا نعرف منه شيأ ثم غطته بخرقة وختمته
وناولته لوالدك وقالت له اذا صمت العشرة الاولى فافطر فى الليلة الحادية عشر على ما فى هذا الكوز فانه
ينزع حب الدنيا من قلبك ويملاؤه نورا وايمانا وفى غد اخرج الى اخوانى وهم رجال الغيب فانى اشتقت
اليهم ثم اجىء اليك اذا مضت العشرة الاولى فاخذ والدك الكوز ثم نهض وافرد له خلوة فى القصر
ووضع الكوز فيها واخذ مفتاح الخلوة فى جيبه فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال
سبيلها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهار صام السلطان وخرجت
العجوز الى حال سبيلها واتم الملك صوم العشرة ايام وفى اليوم الحادى عشر فتح الكوز وشربه فوجد له
فى فؤاده فعلا جميلا وفى العشرة ايام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعها حلاوة فى ورق اخضر لا يشبه
ورق الشجر فدخلت على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبا بالسيدة الصالحة فقالت له
ايها الملك ان رجال الغيب يسلمون عليك لانى اخبرتهم عنك ففرحوا بك وارسلوا معى هذه الحلاوة وهى
من حلاوة الآخرة فافطر عليها فى آخر النهار ففرح والدك فرحا زائدا وقال الحمد لله الذى جعل لى اخوانا
من رجال الغيب ثم شكر العجوز وقبل يديها واكرمها واكرم الجوارى غاية الاكرام ثم مضت مدة عشرين
يوما وابوك صائم وعند رأس العشرين يوما اقبلت عليه العجوز وقالت له ايها الملك اعلم انى اخبرت رجال
الغيب بما بينى وبينك من المحبة واعلمتهم بانى تركت الجوارى عندك ففرحوا حيث كانت الجوارى عند
ملك مثلك لانهم كانوا اذا رأوهن يبالغون لهن فى الدعاء المستجاب فاريد ان اذهب بهن الى رجال الغيب
لتصل نفحاتهم لهن وربما انهن لا يرجعن اليك الا ومعهن كنز من كنوز الارض حتى انك بعد تمام
صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذى يأتينك به على اغراضك فلما سمع والدك كلامها شكرها على
ذلك وقال لها لولا انى اخشى مخالفتك ما رضيت بالكنز ولا غيره ولكن متى تخرجين بهن فقالت له
فى الليلة السابعة والعشرين وارجع بهن اليك فى رأس الشهر وتكون انت قد اوفيت الصوم وحصل

استبرأوهن وصرن لك وتحت امرك والله ان كل جارية منهن ثمنها اعظم من ملكك مرات فقال لها وانا اعرف ذلك ايتها السيدة الصالحة فقالت له بعد ذلك ولابد ان ترسل معهن من يعز عليك من قصرك حتى يجد الانس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال لها عندي جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين فخذيها معهن لاجل ان تحصل لها البركة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان اباك قال للعجوز لما طلبت منه الجواري ان عندي جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين انثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين فخذيها معك لاجل ان تحصل لها البركة ولعل رجال الغيب ان يدعوا الله لها بان يرد عليها ولديها ويجمع شملها بهما فقالت العجوز نعم ما قلت وكان ذلك اعظم غرضها ثم ان والدك اخذ في تمام صيامه فقالت له ياولدي اني متوجهة الى رجال الغيب فاحضر لي صفية فدعا بها فحضرت في ساعتها فسلمها الى العجوز فخلطتها بالجواري ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان بكاس مختوم وناولته له وقالت اذا كان يوم الثلاثين فادخل الحمام ثم اخرج منه وادخل خلوة من الخلاوي التي في قصرك واشرب هذا الكاس ونم فقدنلت ما تطلب والسلام مني عليك فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يدها فقالت له استودعتك الله فقال لها ومتى اراك ايتها السيدة الصالحة فاني اود ان لا افارقك فدعت له وتوجهت ومعها الجواري والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلاثة ايام ثم هل الشهر فقام الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام ودخل الخلوة التي في القصر وامر ان لا يدخل عليه احد ورد الباب عليه ثم شرب الكاس ونام ونحن قاعدون في انتظاره الى آخر النهار فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعله تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرناه ثاني يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة واعلنا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه ذلك فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك واخذنا الكاس فوجدنا في غطائه قطعة ورق مكتوبا فيها من اساء لا يستوحش منه وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن والذي نعلم به كل من وقف على هذه الورقة ان شركان لما جاء بلادنا قد افسد علينا الملكة ابريزة وما كفاه ذلك حتى اخذها من عندنا وجاء بها اليكم ثم ارسلها مع عبد اسود فقتلها ووجدناها مقتولة في الخلاء مطروحة على الارض فهذا ما هو فعل الملوك وما جزاء من يفعل هذا الفعل الا ما حل به وانتم لا تتهموا احدا بقتله فما قتله الا العاهرة الشاطرة التي اسمها ذات الدواهي وها انا اخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها الى والدها افريدون ملك القسطنطينية ولابد ان نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون عن آخركم ولا يبقى منكم ديار ولا من ينفخ النار الا من يعبد الصليب والزنار فلما قرأنا هذه الورقة علمنا ان العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكاء شيأ واختلفت العساكر فيمن يجعلونه سلطانا عليهم فمنهم من يريدك ومنهم من يريد اخاك شركان ولم نزل في هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا واردنا ان نمضي الى اخيك شركان فسافرنا الى ان وجدناك وهذا سبب موت السلطان عمر النعمان فلما فرغ الوزير من كلامه بكى ضوء المكان هو واخته نزهة الزمان وبكى الحاجب ايضا

ثم قال

ثم قال الحاجب لضوء المكان ايها الملك ان البكاء لا يفيدك شيأ ولا يفيدك الا انك تشد قلبك وتقوى عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك ما مات فعند ذلك سكت عن بكائه وامر بنصب السرير خارج الدهليز ثم امر ان يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه والسلحدارية من ورائه ووقف الوزير دندان قدامه ووقف كل واحد من الامراء وارباب الدولة في مرتبته ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان اخبرني بخزائن ابي فقال سمعا وطاعة واخبره بخزائن الاموال وبما فيها من الذخائر والجواهر وعرض عليه ما في خزنته من الاموال فانفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال له انت في مكانك فقبل الارض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الامراء ثم انه قال للحاجب اعرض علي الذي معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فاخذها وفرقها على العساكر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ضوء المكان امر الحاجب ان يعرض عليه ما اتى به من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فاخذها وفرقها على العساكر ولم يبق منها شيأ ابدا فقبل الامراء الارض بين يديه ودعوا له بطول البقاء وقالوا ما رأينا ملكا يعطي مثل هذه العطايا ثم انهم مضوا الى خيامهم فلما اصبحوا امرهم بالسفر فسافروا ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع اشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت وطلع السلطان ضوء المكان قصر ابيه وجلس على السرير ووقف امراء العسكر والوزير دندان وحاجب دمشق بين يديه فعند ذلك امر كاتب السر ان يكتب كتابا الى اخيه شركان ويذكر فيه ما جرى من الاول الى الاخر ويذكر في آخره وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهز امرك وتحضر بعسكرك حتى نتوجه الى غزو الكفار ونأخذ منهم الثار ونكشف العار ثم طوى الكتاب وختمه وقال للوزير دندان ما يتوجه بهذا الكتاب الا انت ولكن ينبغي ان تتلطف به في الكلام وتقول له ان اردت ملك ابيك فهو لك واخوك يكون نائبا عنك في دمشق كما اخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسفر ثم ان ضوء المكان امر ان يجعلوا للوقاد مكانا فاخرا ويفرشوه باحسن الفرش وذلك الوقاد له حديث طويل ثم ان ضوء المكان خرج يوما الى الصيد والقنص وعاد الى بغداد فقدم له بعض الامراء من الخيول الجياد ومن الجواري الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان فاعجبته جارية منهن فاستخلى بها ودخل عليها في تلك الليلة فعلقت منه من ساعتها وبعد مدة رجع الوزير دندان من سفره واخبره بخبر اخيه شركان وانه قادم عليه وقال له ينبغي ان تخرج وتلاقيه فقال له ضوء المكان سمعا وطاعة فخرج اليه مع خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار اخيه وعند الصباح اقبل الملك شركان في عساكر الشام ما بين فارس مقدام واسد ضرغام وبطل مصدام فلما اشرفت الكتائب وقدمت السحائب واقبلت العصائب وخفقت اعلام المواكب توجه شركان هو ومن معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان اخاه اراد ان يترجل اليه فاقسم عليه شركان ان لا يفعل ذلك وترجل شركان ومشى خطوات فلما صار بين يدي ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاء شديدا وعزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان وساروا وسار العسكر معهما الى ان اشرفوا على بغداد ونزلوا ثم طلع ضوء المكان هو واخوه شركان الى قصر الملك وباتا تلك الليلة وعند

الصباح خرج ضوء المكان وامر ان يجمعوا العساكر من كل جانب وينادوا بالغزو والجهاد ثم اقاموا ينتظرون مجيء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه ويعدونه بالجميل الى ان مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم يأتون افواجا متتابعة ثم قال شركان لاخيه يا اخي اعلمني بقضيتك فاعلمه بجميع ما وقع له من الاول الى الآخر وبما صنعه معه الوقاد من المعروف فقال له شركان اما كافأته على معروفه فقال له يا اخي ما كافأته الى الآن ولكن اكافئه ان شاء الله تعالى لما ارجع من الغزوة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان قال لاخيه ضوء المكان اما كافأت الوقاد على معروفه فقال له يا اخي ما كافأته الى الآن ولكن اكافئه ان شاء الله تعالى لما ارجع من الغزوة وانفرغ له فعند ذلك عرف شركان ان اخته الملكة نزهة الزمان صادقة في جميع ما اخبرته به ثم كتم امره وامرها وارسل اليها السلام مع الحاجب زوجها فبعثت له ايضا معه السلام ودعت له وسألت عن ابنتها قضى فكان فاخبرها انها في عافية وانها في غاية ما يكون من الصحة والسلامة فحمدت الله تعالى وشكرته ورجع شركان الى اخيه يشاوره في امر الرحيل فقال له يا اخي لما تتكامل العساكر وتأتي العربان من كل مكان ثم امر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان الى زوجته وكان مضى لها خمسة اشهر وجعل ارباب الاقلام واهل الحساب تحت طاعتها ورتب لهم الجرايات والجوامك وسافر في ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد ان قدمت العربان وجميع العساكر من كل مكان وسارت الجيوش والعساكر وتتابعت الجحافل وكان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم رئيس عسكر الترك بهرمان وصار ضوء المكان في وسط الجيوش وعن يمينه اخوه شركان وعن يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون في مكان يستريحون فيه ثلاثة ايام لان الخلق كثير ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلوا الى بلاد الروم فنفرت اهل القرى والضياع والصعاليك وفروا الى القسطنطينية فلما سمع افريدون ملكهم بخبرهم قام وتوجه الى ذات الدواهي فانها هي التي دبرت الحيل وسافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر النعمان ثم اخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع الى بلادها فلما رجعت الى ولدها ملك الروم وامنت على نفسها قالت لابنها قر عينا فقد اخذت لك بثار ابنتك ابريزة وقتلت الملك عمر النعمان وجئت بصفية فقم الآن وارحل الى ملك القسطنطينية ورد عليه صفية واعلمه بما جرى حتى نكون جميعا على حذر وتجهز باهبة واسافر انا معك الى الملك افريدون ملك القسطنطينية واظن ان المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال لها امهلي الى ان يقربوا من بلادنا حتى نجهز احوالنا ثم اخذوا في جمع رجالهم وتجهيز احوالهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا حالهم وجمعوا الجيوش وسارت في اوائلهم ذات الدواهي فلما وصلوا الى القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكها افريدون بقدوم حردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع افريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فاخبره بما عملته امه ذات الدواهي من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين واخذت من عنده الملكة صفية وقالت ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاؤا ونريد ان نكون جميعنا يدا واحدة ونلقاهم ففرح الملك افريدون بقدوم ابنته وقتل عمر النعمان وارسل الى سائر الاقاليم يطلب منهم النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر النعمان فهرعت اليه جيوش النصارى فما مر ثلاثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم

ثم قبلت

ثم اقبلت الافرنج من سائر اطرافها كالفرنسيس والنمسه ودوبره وجورنه وبندق وجنويز وسائر عساكر بنى الاصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الارض من كثرتهم امرهم الملك الاكبر افريدون ان يرحلوا عن القسطنطينية فرحلوا واستمرت تتابع عساكرهم فى الرحيل عشرة ايام وساروا حتى نزلوا بواد واسع الاطراف وكان ذلك الوادى قريبا من البحر المالح فاقاموا ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع ارادوا ان يرحلوا فاتتهم الاخبار بقدوم عساكر الاسلام وحماة ملة خير الانام فاقاموا فيه ثلاثة ايام اخرى وفى اليوم الرابع رأوا غبارا طار حتى سد الاقطار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلا ذلك الغبار وتمزق الى الجو وطار ومحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح وبرق بيض الصفاح وبان من تحته رايات اسلامية واعلام محمدية واقبلت الفرسان كاندفاع البحار فى دروع تحسبها سحابا مزردة على اقمار فعند ذلك تقابل الجيشان والتطم البحران ووقعت العين فى العين فاول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلاثين الف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام فى عشرين الف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرد الحديد وقد صاروا فيه كالبدور السافرة فى الليالى العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون عيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله بتدبير العجوز ذات الدواهى لان الملك اقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب فى هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطير انى اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان هذا كله كان بتدبير العجوز لان الملك كان اقبل عليها قبل خروجها وقال لها كيف العمل والتدبير وانت السبب فى هذا الامر العسير فقالت اعلم ايها الملك الكبير والكاهن الخطير انى اشير عليك بامر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وهو انك ترسل خمسين الفا من الرجال ينزلون فى المراكب ويتوجهون فى البحر الى ان يصلوا الى جبل الدخان ويقيمون هنالك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم اعلام الاسلام فدونكم واياهم ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجو منهم احد وقد زال عنا العناء ودام لنا الهناء فاستصوب الملك افريدون كلام العجوز وقال نعم الرأى رأيك ياسيدة العجائز الماكرة ومرجع الكهان فى الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الاسلام فى ذلك الوادى لم يشعروا الا والنار تلتهب فى الخيام والسيوف تعمل فى الاجسام ثم اقبلت جيوش بغداد وخرسان وهم فى مائة وعشرين الف فارس وفى اوائلهم ضوء المكان فلما رآهم عسكر الكفار الذين كانوا فى البحر طلعوا اليهم من البحر وتبعوا اثرهم فلما رآهم ضوء المكان قال ارجعوا الى الكفار ياحزب النبى المختار وقاتلوا اهل الكفر والعدوان فى طاعة الرحيم الرحمن واقبل شركان بطائفة اخرى من عساكر المسلمين نحو مائة الف وعشرين الفا وكانت عساكر الكفار نحو الف الف وستمائة الف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين ان الله وعدنا بالنصر واوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف والسنان واخترق شركان الصفوف وهاج فى الالوف وقاتل قتالا تشيب منه الاطفال ولم يزل يجول فى الكفار ويعمل فيهم الصارم البتار وينادى الله اكبر حتى رد

القوم الى ساحل البحر وكانت منهم الاجسام ونصر الله دين الاسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من القوم فى ذلك الوقت خمسة واربعون الفا وقتل من المسلمين ثلاثة الاف وخمسمائة ثم ان اسد الدين الملك شركان لم ينم فى تلك الليلة لا هو ولا اخوه ضوء المكان بل كانا يبشران الناس ويتفقدان الجرحى ويهنئانهم بالنصر والسلامة والثواب فى القيامة هذا ما كان من امر المسلمين واما ما كان من امر الملك افريدون ملك القسطنطينية وملك الروم وامه العجوز ذات الدواهى فانهم جمعوا امراء العسكر وقالوا لبعضهم انا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد ولكن اعجابنا بكثرتنا هو الذى خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهى انه لا ينفعكم الا انكم تتقربوا للمسيح وتتمسكوا بالاعتقاد الصحيح فوحق المسيح ما قوى عسكر المسلمين الا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك افريدون انى قد عولت فى غد على ان اصف لهم الصفوف واخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فانه اذا برز الى الملك شركان قتله وقتل غيره من الابطال حتى لم يبق منهم احد وقد عولت فى هذه الليلة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الارض وكان البخور الذى اراده خرء البطريق الكبير ذى الانكار والنكير فانهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساويه حتى كانت اكابر بطارقة الروم يبعثونه الى سائر اقاليم بلادهم فى خرق من الحرير ويمزجونه بالمسك والعنبر فاذا وصل خبره الى الملوك يأخذون منه كل درهم بالف دينار حتى كان الملوك يرسلون فى طلبه من اجل بخور العرايس وكانت البطارقة يخلطونه بخرئهم فان خرء البطريق الكبير لا يكفى عشرة اقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه فى كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه لما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح دعا الملك افريدون بخواص بطارقته وارباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب فى وجوههم وبخرهم بالبخور المتقدم ذكره الذى هو خرء البطريق الاكبر والكاهن الامكر فلما بخرهم دعا بحضور لوقا ابن شملوط الذى يسمونه سيف المسيح وبخره بالرجيع وحنكه به بعد التبخير ونشقه ولطخ له عوارضه ومسح بالفضلة شواربه وكان ذلك الملعون لوقا ما فى بلاد الروم اعظم منه ولا ارمى بالنبال ولا اضرب بالسيف ولا اطعن بالرمح يوم النزال وكان بشع المنظر كان وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعة الرقيب وقربه اصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الابخر نكهته ومن القوس قامته ومن الكفر سمته وبعد ذلك اقبل على الملك افريدون وقبل قدميه ثم وقف بين يديه فقال له الملك افريدون انى اريد ان تبرز الى شركان ملك دمشق ابن عمر النعمان وقد انجلى عنا هذا الشر والهوان فقال سمعا وطاعة ثم ان الملك نقش فى وجهه الصليب وزعم ان النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك افريدون وركب الملعون لوقا جوادا اشقر وعليه ثوب احمر وزردية من الذهب المرصع بالجوهر وحمل رمحا له ثلاث حراب كانه ابليس اللعين يوم الاحزاب وتوجه هو وحزبه الكفار كانهم يساقون الى النار وبينهم مناد ينادى بالعربى ويقول يا امة محمد صلى الله عليه وسلم لا يخرج منكم الا فارسكم سيف الاسلام شركان صاحب دمشق الشام فما استتم كلامه الا وضجة فى الفلا سمع صوتها جميع الملا وركضات فرقت الصفين واذكرت يوم حنين

فتزع الشام منها والتفتوا الاعناق نحوها واذا هو الملك شركان ابن الملك عمر النعمان وكان اخوه
ضوء المكان لما رأى ذلك الملعون فى الميدان وسمع المنادى التفت لاخيه شركان وقال له انهم يريدونك
فقال ان كان الامر كذلك فهو احب الى فلما تحققوا الامر وسمعوا هذا المنادى وهو يقول فى الميدان لا يبرز
لى الا شركان علموا ان هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف ان يخلى الارض من المسلمين والا فهو
من اخسر الخاسرين لانه هو الذى حرق الاكباد وفزعت من شره الاجناد من الترك والديلم والاكراد فعند
ذلك برز اليه شركان كانه اسد غضبان وكان راكبا على ظهر جواد يشبه شارد الغزلان فساقه نحو لوقا حتى
صار عنده وهز الرمح فى يده كانه افعى من الحيات وانشد هذه الابيات

لى اشقر سمح العنان مغاير * يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومثقف لدن السنان كانما * ام المنايا ركبت فى عوده
ومهند عضب اذا جردته * خلت البروق تموج فى تجريده

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولا حماس هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيما للصليب المنقوش عليه
ثم قبلها واشرع الرمح نحو شركان وكر عليه ثم طوح الحربة باحدى يديه حتى خفيت عن اعين
الناظرين وتلقاها باليد الاخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت من يده كانها شهاب
ثاقب فضجت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة من شركان اختطفها من الهوى فتحيرت
عقول الورى ثم ان شركان هزها بيده التى اخذها بها من النصرانى حتى كاد ان يقصفها ورماها فى الجو
حتى خفيت عن النظر وتلقاها بيده الثانية فى اقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه
وقال وحق من خلق السبع الطباق لاجعلن هذا اللعين شهرة فى الآفاق ثم رماه بالحربة فاراد لوقا ان يفعل
بالحربة كما فعل شركان ومد يده الى الحربة ليختطفها من الهوى فعاجله شركان بحربة ثانية وضربه بها
فوقعت فى وسط الصليب الذى فى وجهه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأى الكفار
لوقا ابن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الكفار لما رأوا لوقا ابن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم ونادوا
بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور وقالوا اين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعا عليه واعملوا
الصوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت
وقع الحوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكان الخيل قد خلقت بلا قوائم
ولا زال منادى الحرب ينادى الى ان كلت الايادى وذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان
وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان وقد امتلأت الارض بالقتلى وعظمت
الجراحات ولا يعرف الجريح ممن مات ثم ان شركان اجتمع باخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان
فقال شركان لاخيه ضوء المكان والحاجب ان الله قد فتح بابا لهلاك الكافرين والحمد لله رب العالمين
فقال ضوء المكان لاخيه لم نزل نحمد الله لكشف الكرب عن العرب والعجم وسوف تتحدث الناس جيلا
بعد جيل بما صنعت باللعين لوقا محرف الانجيل واخذك الحربة من الهوى وضربك لعدو الله بين

الورى ويبقى حديثك الى آخر الزمان ثم قال شركان ايها الحاجب الكبير والمقدام الخطير فاجابه بالتلبية فقال له خذ معك الوزير دندان وعشرين الف فارس وسر بهم الى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ واسرعوا فى السير حتى تكونوا قريبا من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا فى وهدات الارض حتى تسمعوا ضجة الكفار اذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فاذا رأيتم عسكرنا تقهقروا الى وراء كانهم منهزمون وجاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل والخيام فكونوا لهم بالمرصاد واذا رأيت انت علما عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فارفع العلم الاخضر وصح قائلا الله اكبر واحمل عليهم من ورائهم واجتهد فى ان لا يحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر فقال السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الامر فى تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد اخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين الفا كما امر الملك شركان فلما اصبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومعتقلون الرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق فى الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤس ورفعت الصلبان على قلوع المراكب وقصدوا الساحل من كل جانب وانزلوا الخيل فى البر وعزموا على الكر والفر ولمعت السيوف وتوجهت الجموع وبرقت شهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على الرجال والفرسان وطارت الرؤس عن الابدان وخرست الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل فى الدماء وتقابضوا فى اللحى وصاحت عساكر الاسلام بالصلاة والسلام على سيد الانام وبالثناء على الرحمن بما اولى من الاحسان وصاحت عساكر الكفر بالثناء على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والشعانين والمطران وتأخر ضوء المكان هو وشركان الى ورائهما وتقهقرت الجيوش واظهروا الانهزام للاعداء وزحفت عليهم عساكر الكفر لوهم الهزيمة وتهيئوا للطعن والضرب فاستهل اهل الاسلام بقراءة اول سورة البقرة وصارت القتلى تحت ارجل الخيل مندثرة وصار منادى الروم يقول يا عبدة المسيح وذوى الدين الصحيح يا خدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق ان عساكر الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا عنهم الادبار فكل من ولى عنهم السيوف من اقفيتهم ولا ترجعوا من ورائهم والا برئتم من المسيح ابن مريم الذى فى المهد تكلم وظن افريدون ملك القسطنطينية ان عساكر الكفار منصورة ولم يعلم ان ذلك من حسن تدبير المسلمين صورة فارسل الى ملك الروم يبشره بالظفر ويقول له ما نفعنا الا غائط البطريق الاكبر لما فاحت رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر وغائب واقسم بالمعجزات ابريزة النصرانية المريمية والمياه المعمودية انى لا اترك على الارض مجاهدا بالكلية وانى مصر على سوء هذه النية وتوجه الرسول بهذا الخطاب ثم صاح الكفار على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الكفار صاحوا على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وصار ملك الروم ينادى بالاخذ بثار ابريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء المكان وقال يا عباد الملك الديان اضربوا اهل الكفر والطغيان ببيض الصفاح وسمر الرماح فرجع المسلمون على الكفار واعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادى منادى المسلمين ويقول عليكم باعداء الدين يا محب النبى المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار يا راجى

النصاف في اليوم المخوف ان الجنة تحت ظلال السيوف واذا بشركان قد حمل هو ومن معه على الكفار وقطعوا عليهم طريق الفرار وجال بين الصفوف وطاف واذا بفارس مليح الانعطاف قد فتح في عسكر الكفار ميدانا وجال في الكفرة حربا وطعانا وملأ الارض رؤسا وابدانا وقد خافت الكفار من حربه ومالت اعناقهم لطعنه وضربه قد تقلد بسيفين لحظ وحسام واعتقل رمحين قناة وقوام بوفرة تغنى عن وافر عدد العساكر كما قال فيه الشاعر

لا تحسن الوفرة الا وهى * منشورة الفرعين يوم النزال
على فتى معتقل صعدة * يعلها من كل وافى السبال

وبقول الاخر

اقول له لما تقلد سيفه * كفتك سيوف اللحظ عن ذلك العضب
فقال لحاظى سيفها لذوى الهوى * وسيفى لمن لم يدر ما لذة الحب

فلما رآه شركان قال اعيذك بالقرآن وآيات الرحمن من انت ايها الفارس من الفرسان فلقد ارضيت بفعلك الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن حيث هزمت اهل الكفر والطغيان فناداه الفارس قائلا انت الذى بالامس عاهدتنى فما اسرع ما نسيتنى ثم كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ما خفى من حسنه فاذا هو ضوء المكان ففرح به شركان الا انه خاف عليه من ازدحام الاقران وانطباق الشجعان وذلك لامرين احدهما صغر سنه وصيانته عن العين والثانى ان بقاءه للمملكة اعظم الجناحين فقال له يا ملك انك لقد خاطرت بنفسك فالصق جوادك بجوادى فانى لا امن عليك من الاعداء والمصلحة فى ان لا تخرج من تلك العصائب لاجل ان ترمى الاعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان انى اردت ان اساويك فى النزال ولا ابخل بنفسى بين يديك فى القتال ثم انطبقت عساكر الاسلام على الكفار واحاطوا بهم من جميع الاقطار وجاهدوهم حق الجهاد وكسروا شوكة الكفر والعناد والفساد فتأسف الملك افريدون لما رأى ما حل بالروم من الامر المذموم وقد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب واذا بالعساكر قد خرجت عليهم من ساحل البحر وفى اولهم الوزير دندان مجندل الشجعان وضرب فيهم بالسيف والسنان وكذا الامير بهرام صاحب دوائر الشام وهو فى عشرين الف ضرغام واحاطت بهم عساكر الاسلام من خلف ومن امام ومالت فرقة من المسلمين على من كان فى المراكب واوقعوا فيهم المعاطب فرموا انفسهم فى البحر وقتلوا منهم جمعا عظيما يزيد عن مائة الف خنزير ولم ينج من ابطالهم صغير ولا كبير واخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال والذخائر والاثقال الا عشرين مركبا وغنم المسلمون فى ذلك اليوم غنيمة ما غنم احد مثلها فى سالف الزمان ولا سمعت اذن بمثل هذا الحرب والطعان ومن جملة ما غنموه خمسون الف من الخيل غير الذخائر والاسلاب بما لا يحيط به حصر ولا حساب وفرحوا فرحا ما عليه مزيد بما من الله عليهم من النصر والتأييد هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر المنهزمين فانهم وصلوا الى القسطنطينية وكان الخبر قد وصل الى اهلها اولا بان الملك افريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت العجوز ذات الدواهى انا اعلم ان ولدى ملك الروم لا يكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش الاسلامية ويرد اهل الارض الى ملة النصرانية ثم ان العجوز كانت امرت الملك الاكبر افريدون ان يزين البلد فاظهروا السرور وشربوا الخمور وما علموا بالمقدور فبينما هم فى وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح واقبلت عليهم العشرون مركبا الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم افريدون ملك القسطنطينية على الساحل

واخبروه بما جرى لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير واخبروه ان لوقا بن شملوط حلت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك افريدون القيامة وعلم ان اعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المأتم وانحلت منهم العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكى من كل جانب ولما دخل ملك الروم على الملك افريدون واخبره بحقيقة الحال وان هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له لا تنتظران يصل من العسكر الامن وصل اليك فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك افريدون لما سمع ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار انفه تحت قدميه فلما افاق من غشيته نفض الخوف جراب معدته فشكا الى العجوز ذات الدواهى وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان ومتقنة للسحر والبهتان عاهرة مكارة فاجرة غدارة ولها فم ابخر وجفن احمر وخد اصفر ووجه اغبش وطرف اعمش وجسم اجرب وشعر اشهب وظهر احدب ولون حائل ومخاط سائل لكنها قرأت كتب الاسلام وسافرت الى بيت الله الحرام كل ذلك لتطلع على الاديان وتعرف ايات القرآن ومكثت فى بيت المقدس سنتين لتحوز مكر الثقلين فهى آفة من الافات وبلية من البليات فاسدة الاعتقاد ليست لدين تنقاد وكان اكثر اقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم لاجل الجوارى الابكار لانها كانت تحب السحاق وان تأخر عنها تكون فى انمحاق وكل جارية اعجبتها تعلمها الحكمة وتسحق عليها الزعفران فيغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمان فمن طاوعتها احسنت اليها ورغبت ولدها فيها ومن لم تطاوعها تحيل على هلاكها وبسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة واترجة جوارى ابريزة وكانت الملكة ابريزة تكره العجوز وتكره ان ترقد معها لان صنانها يخرج من تحت ابطيها ورايحة فساها انتن من الجيفة وجسدها اخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزة تتبرأ منها الى الحكيم العليم ولله در القائل

يا من تسفل للغنى مذلة ❊ وعلى الفقير لقد علا تيهاها
ويزين شنعته بجمع دراهم ❊ عطر القبيحة لا يفى بفساها

ولنرجع الى حديث مكرها ودواهى امرها ثم انها سارت وسار معها عظماء النصارى وعساكرهم وتوجهوا الى عسكر الاسلام وبعدها دخل الملك افريدون على ملك الروم وقال له ايها الملك ما لنا حاجة بامر البطريق الكبير ولا بدعائه بل نعمل برأى امى ذات الدواهى وننظر ما تعمل بخداعها غير المتناهى مع عسكر المسلمين فانهم بقوتهم واصلون الينا وعن قريب يكونون لدينا ويحيطون بنا فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام عظم فى قلبه الرعب فكتب من وقته وساعته الى سائر اقاليم النصارى يقول لهم ينبغى انه لا يتخلف احد من اهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية خصوصا اهل الحصون والقلاع بل يأتون الينا جميعا رجالا وركبانا ونساء وصبيانا فان عسكر المسلمين قد وطئوا ارضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهى فانها طلعت خارج البلد مع اصحابها والبستهم زى تجار المسلمين وكانت قد اخذت معها مائة بغل محملة من القماش الانطاكى

ما بين اطلس معدنى وديباج ملكى وغير ذلك واخذت من الملك افريدون كتابا مضمونه ان هؤلاء التجار من ارض الشام وكانوا فى ديارنا فلا ينبغى ان يتعرض لهم احد بسوء ولا يأخذ منهم عشرا حتى يصلوا الى بلادهم ومحل امنهم لان التجار بهم عمار البلاد وليسوا من اهل الحرب والفساد ثم ان الملعونة ذات الدواهى قالت لمن معها انى اريدان ادبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا لها ايتها الملكة مرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا احبط المسيح عملك فلبست ثيابا من الصوف الابيض الناعم وحكت جبينها حتى صار له وسم ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء عظيم وكانت الملعونة نحيلة الجسم غائرة العينين فقيدت رجليها من فوق قدميها وسارت حتى وصلت الى عسكر المسلمين ثم حلت القيد من رجليها وقد اثر القيد فى ساقيها ثم دهنتهما بدم الاخوين وامرت من معها ان يضربوها ضربا عنيفا وان يضعوها فى صندوق فقالوا لها كيف نضربك وانت سيدتنا ذات الدواهى ام الملك المباهى فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتى الكنيف ولاجل الضرورات تباح المحظورات وبعد ان تضعونى فى الصندوق خذوه فى جملة الاموال واحملوه على البغال ومروا بذلك بين عسكر الاسلام ولا تخشوا شيأ من الملام وان تعرض لكم احد من المسلمين فسلموا له البغال وما عليها من الاموال وانصرفوا الى ملكهم ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا نحن كنا فى بلاد الكفرة ولم يأخذوا منا شيأ بل كتبوا لنا توقيعا انه لا يتعرض لنا احد فكيف تأخذون انتم اموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذى مضمونه ان لا يتعرض لنا احد بمكروه فاذا قال وما الذى ربحتموه من بلاد الروم فى تجارتكم فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان فى سرداب تحت الارض له فيه نحو خمسة عشر عاما وهو يستغيث فلا يغاث بل يعذبه الكفار ليلا ونهارا ولم يكن عندنا علم بذلك مع اننا اقمنا فى القسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا حالنا وعزمنا على الرحيل الى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث فى امر السفر فلما اصبحنا رأينا صورة مصورة فى الحائط فلما قربنا منها تأملناها فاذا هى تحركت وقالت يا مسلمون هل فيكم من يعامل رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة ان الله انطقنى لكم ليقوى يقينكم ويلهمكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عسكر المسلمين فان فيهم سيف الرحمن وبطل الزمان الملك شركان وهو الذى يفتح القسطنطينية ويهلك اهل الملة النصرانية فاذا قطعتم سفر ثلاثة ايام تجدوا ديرا يعرف بدير مطروحنا وفيه صومعة فاقصدوها بصدق نيتكم وتحيلوا على الوصول اليها بقوة عزمتكم لان فيها رجلا عابدا من بيت المقدس اسمه عبد الله وهو من ادين الناس وله كرامات تزيح الشك والالباس قد خدعه بعض الرهبان وسجنه فى سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفى انقاذه ارضاء رب العباد لان فكاكه من افضل الجهاد ثم ان العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا القى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجوز ذات الدواهى لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا القى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا ان ذلك العابد من اكابر الصالحين وعباد الله المخلصين فسافرنا مدة ثلاثة ايام ثم رأينا ذلك الدير فعرجنا عليه وملنا اليه واقمنا

هنالك يوما في البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار قصدنا تلك الصومعة التي فيها السرداب فسمعناه بعد تلاوة الايات ينشد هذه الابيات

كمدا اكابده وصدري ضيق * وجوى بقلبي بحرهم مغرق
ان لم يكن فرج قريب عاجل * ان الحمام من الرزايا ارفق
يا برق ان جئت الديار واهلها * وعلا عليك من البشائر رونق
كيف السبيل الى اللقاء وبيننا * تلك الحروب وباب رهن مغلق
بلغ احبتنا السلام وقل لهم * اني بدير الروم قاص موثق

ثم قالت اذا وصلتم بي الى عسكر المسلمين وصرت عندهم اعرف كيف ادبر حيلة في خديعتهم وقتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا يديها ووضعوها في الصندوق بعد ان ضربوها اشد الضربات الموجعات تعظيما لها لانهم يرون طاعتها من الواجبات ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا هذا ما كان من امر هذه اللعينة ذات الدواهي ومن معها واما ما كان من امر عسكر المسلمين فانهم لما نصرهم الله على اعدائهم وغنموا ما كان في المراكب من الاموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضوء المكان لاخيه ان الله نصرنا بسبب عدلنا وانقيادنا لبعضنا فكن يا شركان ممتثلا امري في طاعة الله عز وجل فقال شركان حبا وكرامة ومد يده الى اخيه وقال ان جاءك ولد اعطيته ابنتي قضي فكان ففرح بذلك وصار يهني بعضهم بعضا بالنصر على الاعداء وهنا الوزير دندان شركان واخاه وقال لهما اعلما ايها الملكان ان الله نصرنا حيث وهبنا انفسنا لله عز وجل وهجرنا الاهل والاوطان والرأي عندي ان نرحل وراءهم ونحاصرهم ونقاتلهم لعل الله ان يبلغنا مرادنا ونستأصل اعداءنا وان شئتم فانزلوا في هذه المراكب وسيروا في البحر ونحن نسير في البر ونصبر على القتال والطعن في النزال ثم ان الوزير دندان ما زال يحرضهم على القتال وانشد قول من قال

اطيب الطيبات قتل الاعادي * واحتمالي على ظهور الجياد
ورسول يأتي بوعد حبيب * وحبيب يأتي بلا ميعاد

وقول الاخر

وان عمرت جعلت الحرب والدة * والمشرفي اخا والسمهري ابا
بكل اشعث يلقى الموت مبتسما * حتى كان له في قتله اربا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من ايدنا بنصره العزيز وظفرنا بغنيمة الفضة والابريز ثم امر ضوء المكان العسكر بالرحيل فسافروا طالبين القسطنطينية وجدوا في سيرهم حتى اشرفوا على مرج فسيح وفيه كل شيء مليح ما بين وحوش تمرح وغزلان تسرح وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء ستة ايام فلما اشرفوا على ذلك المرج نظروا تلك العيون النابعة والاثمار اليانعة وتلك الارض كأنها جنة اخذت زخرفها وازينت وسكرت اغصانها من رحيق الطل فتمايلت وجمعت بين عذوبة التسنيم واعتلال النسيم فتدهش العقل والناظر كما قال الشاعر

انظر الى الروض النضير كأنما * نشرت عليه ملاءة خضراء
ان ما نظرت بلحظ عينك لا ترى * الا غديرا جال فيه الماء
وترى بنفسك عزة في دوحه * اذ فوق رأسك حيث سرت لواء

وكا

وكما قال الآخر

النهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء في سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

فلما نظر ضوء المكان الى ذلك المرج الذى التفت اشجاره وزهت ازهاره وترنمت اطياره نادى اخاه شركان وقال له يا اخى ان دمشق ما فيها مثل هذا المكان فلا نرحل منه الا بعد ثلاثة ايام حتى نأخذ لنا راحة لاجل ان تنشط عساكر الاسلام وتقوى نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام فاقاموا فيه فبينما هم كذلك اذ سمعوا اصواتا من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل له انها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين فى هذا المكان للراحة لعل العساكر صادفوهم وربما اخذوا شيأ من بضائعهم التى معهم حيث كانوا فى بلاد الكفار وبعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك فلما رأى ضوء المكان ذلك امر باحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا ايها الملك انا كنا فى بلاد الكفار ولم ينهبوا منا شيأ فكيف تنهب اموالنا اخواننا المسلمون ونحن فى بلادهم فاننا لما رأينا عساكركم اقبلنا عليهم فاخذوا ما كان معنا وقد اخبرناك بما حصل لنا ثم اخرجوا له كتاب ملك القسطنطينية فاخذه شركان وقرأه ثم قال لهم سوف نرد عليكم ما اخذ منكم ولكن كان الواجب ان لا تحملوا تجارة الى بلاد الكفار فقالوا يا مولانا ان الله سيرنا الى بلادهم لنظفر بما لم يظفر به احد من الغزاة ولا انتم فى غزوتكم فقال لهم شركان وما الذى ظفرتم به فقالوا ما نذكر ذلك الا فى خلوة لان هذا الامر اذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه احد فيكون ذلك سببا لهلاكنا وهلاك كل من يتوجه الى بلاد الروم من المسلمين وكانوا قد خبؤا الصندوق الذى فيه اللعينة ذات الدواهى فاخذهم ضوء المكان واخوه واختليا بهم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى ابكوهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان النصارى الذين فى هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكان واخوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى ابكوهما واخبروهما كما علمتهم الكاهنة ذات الدواهى فرق قلب شركان للزاهد واخذته الرأفة عليه وقامت به الحمية لله تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد ام هو فى الدير الى الآن فقالوا بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على انفسنا ثم اسرعنا فى الهرب خوفا من العطب وقد اخبرنا بعض الثقات ان فى هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعد ذلك اتوا بالصندوق واخرجوا منه تلك الملعونة كأنها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول وهى مكبلة بتلك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون ظنوا انه رجل من خيار العباد ومن افضل الزهاد خصوصا وجبينها يضئ من الدهان الذى دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان واخوه بكاء شديدا ثم قاما اليها وقبلا يديها ورجليها وصارا ينتحبان فاشارت اليهما وقالت كفا عن هذا البكاء واسمعا كلامى فتركا البكاء امتثالا لامرها فقالت اعلما انى قد رضيت بما صنعه بى مولاى لانى ارى ان البلاء الذى نزل بى امتحان منه عز وجل ومن لم يصبر على البلاء والمحن فليس له وصول الى جنات النعيم وكنت اتمنى انى اعود الى بلادى لا جزعا من البلاء الذى حل بى بل لاجل ان اموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين هم بعد القتل احياء غير اموات ثم انشدت هذه الابيات

الحصن طور ونار الحرب موقدة * وانت موسى وهذا الوقت ميقات
الق العصى تتلقف كل ماصنعوا * ولاتخف ماحبال القوم حيات
فاقرأ سطور العدى يوم الوغى سورا * فان سيفك فى الاعناق آيات

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام اليها شركان وقبل يدها واحضر لها الطعام فامتنعت وقالت انى لم افطر من مدة خمسة عشر عاما فكيف افطر فى هذه الساعة وقد جاد على المولى بالخلاص من اسر الكفار ودفع عنى ماهو اشق من عذاب النار فانا اصبر الى الغروب فلما جاء وقت العشاء اقبل شركان هو وضوء المكان وقدما اليها الاكل وقالا لها كل ايها الزاهد فقالت ماهذا وقت الاكل وانما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت فى المحراب تصلى الى ان ذهب الليل ولم تزل على هذه الحالة ثلاثة ايام بلياليها وهى لم تقعد الا وقت التحية فلما رآها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبه حسن الاعتقاد فيها وقال لشركان اضرب خيمة من الاديم لذلك العابد ووكل فراشا بخدمته وفى اليوم الرابع دعت بالطعام فقدموا لها من الالوان ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين فلم تأكل من ذلك كله الا رغيفا واحدا بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت الى الصلاة فقال شركان لضوء المكان اما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد ولولا هذا الجهاد لكنت لازمته واعبد الله بخدمته حتى القاه وقد اشتهيت ان ادخل معه الخيمة واتحدث معه ساعة فقال له ضوء المكان وانا كذلك ولكن نحن فى غد ذاهبون الى غزو القسطنطينية ولم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير دندان وانا الآخر اشتهى ان ارى هذا الزاهد لعله يدعو لى بقضاء نحبى فى الجهاد ولقاء ربى فانى زهدت الدنيا فلما جن عليهم الليل دخلوا على تلك الكاهنة ذات الدواهى فى خيمتها فرأوها قائمة تصلى فدنوا منها وصاروا يبكون رحمة لها وهى لاتلتفت اليهم الى ان انتصف الليل فسلمت من صلاتها ثم اقبلت عليهم وحيتهم وقالت لهم لماذا جئتم فقالوا لها ايها العابد اما سمعت بكاءنا حولك فقالت ان الذى يقف بين يدى الله لايكون له وجود فى الكون حتى يسمع صوت احد اويراه ثم انهم قالوا انا نشتهى ان تحدثنا بسبب اسرك وتدعو لنا فى هذه الليلة فانها خير لنا من ملك القسطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت والله لولا انكم امراء المسلمين ما احدثكم بشىء من ذلك ابدا فانى لا اشكو الا الى الله وها انا اخبركم بسبب اسرى اعلموا انى كنت فى القدس مع بعض الابدال وارباب الاحوال وكنت لا اتكبر عليهم لان الله سبحانه وتعالى انعم على بالتواضع والزهد فاتفق انى توجهت الى البحر ليلة ومشيت على الماء فداخلنى العجب من حيث لا ادرى وقلت فى نفسى من مثلى يمشى على الماء فقسا قلبى من ذلك الوقت وابتلانى الله بحب السفر فسافرت الى بلاد الروم وجلت فى اقطارها سنة كاملة حتى لم اترك موضعا الا عبدت الله فيه فلما وصلت الى هذا المكان صعدت الى هذا الجبل وفيه دير راهب يقال له مطروحنا فلما رآنى خرج الى وقبل يدى ورجلى وقال انى رأيتك منذ دخلت بلاد الروم وقد شوقتنى الى بلاد الاسلام ثم انه اخذ بيدى وادخلنى ذلك الدير ثم دخل بى الى بيت مظلم فلما دخلت فيه غافلنى واغلق على الباب وتركنى فيه اربعين يوما من غير طعام ولا شراب وكان قصده بذلك قتلى صبرا فاتفق فى بعض الايام انه دخل ذلك الدير بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان ومعه ابنة يقال لها تماثيل ولكنها فى الحسن ليس لها مثيل فلما دخلوا الدير اخبرهم الراهب مطروحنا بخبرى فقال البطريق اخرجوه لانه لم يبق من لحمه ما يأكله الطير ففتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدونى منتصبا فى المحراب اصلى واقرأ واسبح واتضرع الى الله تعالى فلما رأونى على تلك الحالة قال مطروحنا ان هذا

ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعا ودخلوا على باتيل على دقيانوس هو وجماعته وضربوني ضربا عنيفا فعند ذلك تمنيت الموت ولمت نفسي وقلت هذا جزاء من تكبر وعجب بما انعم عليه ربه مما ليس في طاقته وانت يا نفسي قد داخلك العجب والكبر اما علمت ان الكبر يغضب الرب ويقسي القلب ويدخل الانسان النار ثم بعد ذلك قيدوني وردوني الى مكاني وكان سردابا في ذلك البيت تحت الارض وكل ثلاثة ايام يرمون الي قرصة من الشعير وشربة ماء وكل شهر او شهرين يأتي البطريق ويدخل ذلك الدير وقد كبرت ابنته تماثيل لانها كانت بنت تسع سنين حين رأيتها ومضى لي في الاسر خمس عشرة سنة فجملة عمرها اربعة وعشرون عاما وليس في بلادنا ولا في بلاد الروم احسن منها وكان ابوها يخاف عليها من الملك ان يأخذها منه لانها وهبت نفسها للمسيح غير انها تركب مع ابيها في زي الرجال الفرسان وليس لها مثيل في الحسن ولم يعلم من رآها انها جارية وقد خزن ابوها امواله في هذا الدير لان كل من كان عنده شيء من نفائس الذخائر يضعه في ذلك الدير وقد رأيت فيه من انواع الذهب والفضة والجواهر وسائر الاواني والتحف ما لا يحصى عدده الا الله تعالى فانتم اولى به من هؤلاء الكفرة فخذوا ما في هذا الدير وانفقوه على المسلمين وخصوصا المجاهدين ولما وصل هؤلاء التجار الى القسطنطينية وباعوا بضاعتهم كلمتهم تلك الصورة التي في الحائط كرامة اكرمني الله بها فجاؤا الى ذلك الدير وقتلوا البطريق مطروحنا بعد ان عاقبوه اشد العقاب وجروه من لحيته فدلهم على موضعي فاخذوني ولم يكن لهم سبيل الا الهرب خوفا من العطب وفي ليلة غد تأتي تماثيل الى ذلك الدير على عادتها ويلحقها ابوها مع غلمانه لانه يخاف عليها فان شئتم ان تشاهدوا هذا الامر فخذوني بين ايديكم وانا اسلم اليكم الاموال وخزانة البطريق دقيانوس التي في ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون اواني الذهب والفضة يشربون فيها ورأيت عندهم جارية تغني لهم بالعربي فواحسرتاه لو كان ذلك الصوت الحسن في قراءة القرآن وان شئتم فادخلوا ذلك الدير واكمنوا فيه الى ان يصل دقيانوس ومعه ابنته فخذوها فانها لا تصلح الا لملك الزمان شركان او للملك ضوء المكان ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها الا الوزير دندان فانه ما دخل كلامها في عقله وانما كان يتحدث معها لاجل خاطر الملك وصار باهتا من كلامها ويلوح على وجهه علامة الانكار عليها فقالت العجوز ذات الدواهي اني اخاف ان يقبل البطريق وينظر هذه العساكر في المرج فما يجسر ان يدخل الدير فامر السلطان العسكر ان يرحلوا صوب القسطنطينية وقال ضوء المكان ان قصدي ان نأخذ معنا مائة فارس وبغالا كثيرة ونتوجه الى ذلك الجبل لاجل ان نحملهم المال الذي في الدير ثم ارسل من وقته وساعته الى الحاجب الكبير فاحضره بين يديه واحضر المقدمين والاتراك والديلم وقال اذا كان وقت الصباح فارحلوا الى القسطنطينية وانت ايها الحاجب تكون عوضا عني في الرأي والتدبير وانت يا رستم تكون نائبا عن اخي في القتال ولا تعلموا احدا انا لسنا معكم وبعد ثلاثة ايام نلحقكم ثم انتخب مائة فارس من الابطال وانحاز هو واخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس واخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان واخاه ضوء المكان والوزير دندان ساروا هم والمائة خيال الى الدير الذي وصفته لهم اللعينة ذات الدواهي واخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال فلما اصبح

الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلوا وهم يظنون ان شركان وضوء المكان والوزير دندان معهم ولم يعلموا انهم ذهبوا الى الدير هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر شركان واخيه ضوء المكان والوزير دندان فانهم اقاموا الى آخر النهار وكانت الكفار اصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد ان دخلوا عليها وقبلوا يديها ورجليها واستأذنوها في الرحيل فاذنت لهم وامرتهم بما شاءت من المكر فلما جن الظلام قامت العجوز وقالت لضوء المكان هو واصحابه قوموا معي الى الجبل وخذوا معكم قليلا من العسكر فاطاعوها وتركوا في سفح الجبل خمسة فوارس بين يدى ذات الدواهي وصار عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذى ما رأينا مثله وكانت الكاهنة قد ارسلت كتابا على اجنحة الطير الى ملك القسطنطينية تخبره فيه بما جرى وقالت في آخر الكتاب اريد ان تنفذ لى عشرة الاف فارس من شجعان الروم ويكون سيرهم في سفح الجبل خفية لئلا يراهم عسكر الاسلام ويأتون الى الدير ويكمنون فيه حتى احضر اليهم ومعى ملك المسلمين واخوه فانى خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لاغير وسوف اسلم اليهم الصلبان التى في الدير وقد عزمت على قتل الراهب مطروحنا لان الحيلة لاتتم الا بقتله فاذا تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين الى بلادهم لاديار ولا من ينفخ نارا ويكون مطروحنا فداء لاهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية والشكر للمسيح اولا وآخرا فلما وصل الكتاب الى القسطنطينية جاء براج الحمام الى الملك افريدون بالورقة فلما قرأها انفذ الجيش من وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وامرهم ان يصلوا الى ذلك الدير هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الملك ضوء المكان واخيه شركان والوزير دندان والعسكر فانهم لما وصلوا الى الدير دخلوه فرأوا الراهب مطروحنا قد اقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا اللعين فضربوه بالسيف واسقوه كاس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة الى موضع النذور فاخرجوا منه من التحف والذخائر اكثر مما وصفته لهم وبعد ان جمعوا ذلك وضعوه في الصناديق وحملوه على البغال واما تماثيل فانها لم تحضر لاهي ولا ابوها خوفا من المسلمين فاقام ضوء المكان في انتظارها ذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم فقال شركان والله ان قلبي مشغول بعسكر الاسلام ولا ادرى ما حالهم فقال اخوه انا قد اخذنا هذا المال العظيم وما اظن ان تماثيل ولا غيرها يأتي الى هذا الدير بعد ان جرى لعسكر الروم ما جرى فينبغى اننا نقنع بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم نزلوا من الجبل فما امكن ذات الدواهي ان تتعرض لهم خوفا من التفطن لخداعها ثم انهم ساروا الى ان وصلوا الى باب الشعب واذا بالعجوز قد اكمنت لهم عشرة الاف فارس فلما رأوهم احتاطوا بهم من كل جانب واشرعوا نحوهم الرماح وجردوا عليهم بيض الصفاح ونادى الكفار بكلمة كفرهم وفوقوا سهام شرهم فنظر ضوء المكان واخوه شركان والوزير دندان الى هذا الجيش فرأوه جيشا عظيما وقالوا من اعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا اخى ما هذا وقت كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمى بالسهام فشدوا عزمكم وقووا نفوسكم لان هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد العرب والعجم لولا ان هذا المكان ضيق لكنت افنيتهم ولو كانوا مائة الف فارس فقال ضوء المكان لو علمنا ذلك لاخذنا معنا خمسة الاف فارس فقال الوزير دندان لو كان معنا عشرة الاف فارس في هذا المكان الضيق لا تفيدنا شيأ ولكن الله يعيننا عليهم وانا اعرف هذا الشعب وضيقه واعرف ان فيه مغاور كثيرة لانى قد غزوت فيه مع الملك عمر النعمان حيث حاصرنا القسطنطينية وكنا نقيم فيه وفيه ماء ابرد من الثلج فانهضوا بنا نخرج من هذا الشعب

قبل ان يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا الى رأس الجبل فيرموا علينا الحجارة ولم تملك فيهم اربا فاخذوا في الاسراع بالخروج من ذلك الشعب فنظر اليهم الزاهد وقال لهم ما هذا الخوف وانتم قد بعتم انفسكم لله تعالى في سبيله والله اني مكثت مسجونا تحت الارض خمسة عشر عاما ولم اعترض على الله فيما فعل بي فقاتلوا في سبيل الله فمن قتل منكم فالجنة مأواه ومن قتل فالى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان ولعبت في اعناقهم السيوف ودارت بينهم كاس الحتوف وقاتل المسلمون في طاعة الله اشد القتال واعملوا في اعدائه الاسنة والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الابطال ويرمي رؤسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة حتى افنى منهم عددا لا يحصى ورجالا لا تستقصى فبينما هو كذلك اذ نظر الملعونة وهي تشير بالسيف اليهم وتقويهم وكل من خاف يهرب اليها وصارت تومي اليهم بقتل شركان فيميلون الى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة حملت عليه يحمل عليها ويهزمها وتأتي بعدها فرقة اخرى حاملة عليه فيردها بالسيف على اعقابها فظن ان نصره عليهم ببركة العابد وقال في نفسه ان هذا العابد قد نظر الله اليه بعين عنايته وقوى عزمي على الكفار بخالص نيته فاراهم يخافونني ولا يستطيعون الاقدام علي بل كلما حملوا علي يولون الادبار ويركنون الى الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم الى آخر النهار ولما اقبل الليل نزلوا في مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمي الحجارة وقتل منهم في ذلك اليوم خمسة واربعون رجلا ولما اجتمعوا مع بعضهم فتشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له اثرا فعظم عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان انا رأيته يقوي الفرسان بالاشارات الربانية ويعيذهم الايات الرحمانية فبينما هم في الكلام واذا بالملعونة ذات الدواهي قد اقبلت وفي يدها رأس البطريق الكبير الرئيس على العشرين الفا وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وقد قتله رجل من الاتراك بسهم فعجل الله بروحه الى النار فلما رأى الكفار ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم مالوا بكليتهم عليه واوصلوا الاذية اليه وقطعوه بالسيوف فعجل الله به الى الجنة ثم ان الملعونة قطعت رأس ذلك البطريق واتت بها والقتها بين يدي شركان والملك ضوء المكان والوزير دندان فلما رآها شركان وثب قائما على قدميه وقال الحمد لله على رؤيتك ايها العابد المجاهد الزاهد فقال يا ولدي اني قد طلبت الشهادة في هذا اليوم فصرت ارمي روحي بين عسكر الكفار وهم يهابونني فلما انفصلتم اخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير رئيسهم وكان يعد بالف فارس فضربته حتى اطحت رأسه عن بدنه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو مني واتيت برأسه اليكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اللعينة ذات الدواهي لما اخذت رأس البطريق رئيس العشرين الف كافر اتت بها والقتها بين يدي الملك ضوء المكان واخيه شركان والوزير دندان وقالت لهم لما رأيت حالكم اخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير وضربته بالسيف فاطحت رأسه ولم يقدر احد من الكفار ان يدنو مني واتيت برأسه اليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد واريد ان اشغلكم في الجهاد واذهب الى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين الف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف تمضي اليهم ايها الزاهد

والوادي مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يسترني عن اعينهم فلا يروني ومن رآني لا يجسر ان يقبل علي فاني في ذلك الوقت اكون فانية في الله وهو يقاتل عني عداه فقال شركان صدقت ايها الزاهد لاني شاهدت ذلك واذا كنت تقدر ان تمضي اول الليل يكون ذلك اجود لنا فقال انا امضي في هذه الساعة وان كنت تريد ان تجي معي ولا يراك احد فقم وان كان اخوك يذهب معنا اخذناه دون غيره فان ظل الولي لا يستر غير اثنين فقال شركان اما انا فلا اترك اصحابي ولكن اذا كان اخي يرضى بذلك فلا بأس حيث ذهب معك وخلص من هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وان شاء فليأخذ معه الوزير دندان او من يختار ثم يرسل الينا عشرة الاف فارس اعانة على هؤلاء اللئام واتفقوا على هذا الحال ثم ان العجوز قالت امهلوني حتى اذهب قبلكم وانظر حال الكفرة هل هم نيام او يقظانون فقالوا ما نخرج الا معك ونسلم امرنا لله فقالت اذا طاوعتكم لا تلوموني ولوموا انفسكم فالرأي عندي ان تمهلوني حتى اكشف خبرهم فقال شركان امض اليهم ولا تبطئ علينا لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهي وكان شركان حدث اخاه بعد خروجها وقال لولا ان الزاهد صاحب كرامات ما كان قتل هذا البطريق الجبار وفي هذا القدر كفاية في كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا فبينما هم يتحدثون في كرامات الزاهد واذا باللعينة ذات الدواهي قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا ان هذا حيلة وخداع ثم قالت اللعينة اين ملك الزمان ضوء المكان فاجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفي حتى نذهب الى القسطنطينية وكانت ذات الدواهي قد اعلمت الكفار بالحيلة التي عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا الا قتل ملكهم في نظير قتل البطريق لانه لم يكن عندنا افرس منه وقالوا للعجوز النحس ذات الدواهي حين اخبرتهم بانها تذهب اليهم بملك المسلمين اذا اتيت به نأخذه الى الملك افريدون ثم ان العجوز ذات الدواهي توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهي سابقة عليهما وتقول لهما سيرا على بركة الله تعالى فاجاباها الى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون اليهم ولا يتعرضون لهم بسوء لان الملعونة اوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان الى عساكر الكفار وعرفوا ان الكفار عاينوهم ولم يتعرضوا لهم قال الوزير دندان والله ان هذه كرامة من الزاهد ولا شك انه من الخواص فقال ضوء المكان والله ما اظن الكفار الا عميانا لاننا نراهم وهم لا يروننا فبينما هما في الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده وعباداته واذا بالكفار قد هجموا عليهما واحتاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما احد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الاخر الذي بين ايدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا لم نر احدا غيركما فقال ضوء المكان والله ان الذي حل بنا عقوبة لنا من الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الكفار لما قبضوا على الملك ضوء المكان والوزير دندان قالوا لهما هل معكما غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان اما ترون هذا الرجل الاخر الذي معنا قالوا وحق المسيح والرهبان

والجاثليق والمطران انتما ماترى احدا غير كاتم ان الكفار قد وضعوا القيود فى ارجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما فى المبيت فصارا يتأسفان ويقولان لبعضهما ان الاعتراض على الصالحين يؤدى الى اكثر من ذلك وجزانا ما حل بنا من الضيق الذى نحن فيه هذا ما كان من امر ضوء المكان والوزير دندان واما ما كان من امر الملك شركان فانه بات تلك الليلة فلما اصبح الصباح قام وصلى صلاة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتأهبوا الى قتال الكفار وقوى قلبهم شركان ووعدهم بكل خير ثم ساروا الى ان وصلوا الى الكفار فلما رآهم الكفار من بعيد قالوا لهم يا مسلمون انا اسرنا سلطانكم ووزيره الذى به انتظام امركم وان لم ترجعوا عن قتالنا قتلنا كم عن آخركم واذا سلمتم لنا انفسكم فاننا نروح بكم الى ملكنا فيصالحكم على ان لا تخرجوا من بلادنا ولا تذهبوا الى بلادكم ولا تضرونا بشئ ولا نضركم بشئ فان طاب خاطركم كان الحظ لكم وان ابيتم فما يكون الا قتلكم وقد عرفناكم وهذا آخر كلامنا معكم فلما سمع شركان كلامهم وتحقق اسر اخيه والوزير دندان عظم عليه ذلك وبكى وضعفت قوته وايقن بالهلاك فقال فى نفسه يا ترى ما سبب اسرهما هل حصل منهما اساءة ادب فى حق الزاهد او اعترضا عليه او ما شأنهما ثم نهضوا الى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقا كثيرا وتبين فى ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشراب من كل مكان وما زال شركان ومن معه يقاتلون قتال من لا يخاف الموت ولا يعتريه فى طلب الفرصة فوت حتى سال الوادى بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى فلما اقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك المغارة ولم يبق منهم الا القليل لم يكن منهم الا على الله والسيف تعويل وقد قتل منهم فى هذا النهار خمسة وثلاثون فارسا من الامراء الاعيان وان قتل بسيفهم من الكفار الاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الامر وقال لاصحابه كيف العمل فقال له اصحابه لا يكون الا ما يريده الله تعالى فلما كان ثانى يوم قال شركان لبقية العسكر ان خرجتم للقتال ما بقى منكم احد لانه لم يبق عندنا الا قليل من الماء والزاد والرأى الذى عندى فيه الرشاد ان تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لاجل ان تدفعوا عن انفسكم كل من يدخل عليكم فلعل الزاهد ان يكون وصل الى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة الاف فارس فيعينونا على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه هو ومن معه فقال له اصحابه ان هذا الرأى هو الصواب وما فى سداده ارتياب ثم ان العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا فى طرفيه وكل من اراد ان يدخل عليهم من الكفار يقتلونه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وصبروا على قتال الكفار الى ان ذهب النهار واقبل الليل بالاعتكار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عسكر المسلمين ملكوا باب المغارة ووقفوا فى طرفيه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وكل من اراد ان يهجم عليهم قتلوه وصبروا على قتال الكفار الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ولم يبق عند الملك شركان الا خمسة وعشرون رجلا لا غير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضى هذه الايام فاننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم قوموا نهجم عليهم فانه لم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فان انقادوا واسلموا انفسهم الينا اخذناهم اسارى وان

ابوابركاهم حطبا للنار حتى يصيروا عبرة لاولى الابصار فلا رحم المسيح اباهم ولا جعل مستقر النصارى مثواهم ثم انهم حملوا الحطب الى باب المغارة واضرموا فيه النار فايقن شركان ومن معه بالبوار فبينما هم كذلك واذا بالبطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير بقتلهم وقال له لا يكون قتلهم الا عند الملك افريدون لاجل ان يشفي غليله فينبغي ان نبقيهم عندنا اسارى وفي غد نسافر بهم الى القسطنطينية ونسلمهم الى الملك افريدون فيفعل بهم ما يريد فقالوا هذا هو الرأى الصواب ثم امر بتكتيفهم وجعلوا عليهم حراسا فلما جن الظلام اشتغل الكفار باللهو والطعام ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان واخوه ضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الابطال فعند ذلك نظر شركان الى اخيه وقال له يا اخي كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا ادري وقد صرنا كالطير في الاقفاص فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام الى رئيس الحراس واخذ مفاتيح القيود من جيبه وفك ضوء المكان وفك الوزير دندان وفك بقية العسكر ثم التفت الى اخيه ضوء المكان والوزير دندان وقال اني اريد ان اقتل من الحراس ثلاثة ونأخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلاثة حتى نصير في زي الروم ونسير بينهم حتى لا يعرفوا احدا منا ثم نتوجه الى عسكرنا فقال ضوء المكان ان هذا الرأى غير صواب لانا اذا قتلناهم نخاف ان يسمع احد شخيرهم فتنتبه الينا الكفار فيقتلونا والرأى السديد ان نسير الى خارج الشعب فاجابوه الى ذلك فلما صاروا بعيدا عن الشعب بقليل رأوا خيلا مربوطة واصحابها نائمون فقال شركان لاخيه ينبغي ان يأخذ كل واحد منا جوادا من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلا فاخذوا خمسة وعشرين جوادا وقد القى الله النوم على الكفار لحكمة يعلمها ثم ان شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفى ثم ركبوا الخيل التي اخذوها وساروا وكان في ظن الكفار انه لا يقدر احد على فكاك ضوء المكان واخيه ومن معهما من العساكر وانهم لا يقدرون على الهروب فلما خلصوا جميعا من الاسر وصاروا في امن من الكفار التفت اليهم شركان وقال لهم لا تخافوا حيث سترنا الله ولكن عندي رأى ولعله صواب فقالوا وما هو قال اريد ان تطلعوا فوق الجبل وتكبروا كلكم تكبيرة واحدة وتقولوا لقد جاءتكم العساكر الاسلامية ونصيح كلنا صيحة واحدة بقول الله اكبر فيفترق الجمع من ذلك ولا يجدون لهم في هذا الوقت حيلة فانهم سكارى ويظنون ان عسكر المسلمين احاطوا بهم من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضربا بالسيوف في بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السيف فيهم الى الصباح فقال ضوء المكان ان هذا الرأى غير صواب والصواب اننا نسير الى عسكرنا ولا ننطق بكلمة لاننا ان كبرنا انتبهوا لنا ولحقونا فلم يسلم منا احد فقال شركان والله لو انتبهوا لنا ما علينا بأس واشتهي ان توافقوني على هذا الرأى وهو لا يكون الا خيرا فاجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله فسمع الكفار ذلك التكبير فصاح الكفار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان قال اشتهي ان توافقوني على هذا الرأى وهو لا يكون الا خيرا فاجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من

خشية الله فسمعه الكفار فصاحوا الكفار على بعضهم ولبسوا السلاح وقالوا قد هجمت علينا الاعداء وحق
المسيح ثم قتلوا من بعضهم ما لا يعلم عدده الا الله تعالى فلما كان الصباح فتشوا على الاسارى فلم يجدوا لهم
اثرا فقال رؤساؤهم ان الذى فعل بكم هذه الفعال هم الاسارى الذين كانوا عندنا فدونكم والسعى خلفهم
حتى تلحقوهم فتسقوهم كاس الوبال ولا يحصل لكم خوف ولا انذهال ثم انهم ركبوا خيولهم وسعوا
خلفهم فما كان الا لحظة حتى لحقوهم واحاطوا بهم فلما رأى ضوء المكان ذلك ازداد به الفزع وقال لاخيه
ان الذى خفت من حصوله قد حصل وما بقى لنا حيلة الا الجهاد فلازم شركان السكوت عن المقال ثم انحدر
ضوء المكان من اعلا الجبل وكبر وكبرت معه الرجال وعولوا على الجهاد وبيع انفسهم فى طاعة رب العباد
فبينما هم كذلك واذا باصوات يصيحون بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فالتفتوا الى
جهة الصوت فرأوا جيوش المسلمين وعساكر الموحدين مقبلين فلما رأوهم قويت قلوبهم وحمل شركان
على الكافرين وهلل وكبر هو ومن معه من الموحدين فارتجت الارض كالزلازل وتفرقت عساكر الكفار
فى عرض الجبال فتبعتهم المسلمون بالضرب والطعان وازاحوا منهم الرؤس عن الابدان ولم يزل ضوء
المكان هو ومن معه من المسلمين يضربون فى اعناق الكافرين الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار ثم
انحاز المسلمون الى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح رأوا بهرام
مقدم الديلم ورستم مقدم الاتراك ومعهما عشرون الف فارس مقبلين عليهم كالليوث العوابس فلما رآهم ضوء
المكان ترجل الفرسان وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ضوء المكان ابشروا بنصر المسلمين
وهلاك القوم الكافرين ثم هنوا بعضهم بالسلامة وعظيم الاجر فى القيامة وكان السبب فى مجيئهم الى هذا
المكان ان الامير بهرام والامير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين والرايات على رؤسهم
منشورة حتى وصلوا الى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على الاسوار وملكوا الابراج والقلاع
واستعدوا فى كل حصن مناع حين علموا بقدوم العساكر الاسلامية والاعلام المحمدية وقد سمعوا قعقعة
السلاح وضجة الصياح ونظروا فرأوا المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فاذا هم كالجراد
المنتشر والسحاب المنهمر وسمعوا اصوات المسلمين بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وكان السبب فى اعلام
الكفار بذلك ما دبرته العجوز ذات الدواهى من زورها وعهرها وبهتانها ومكرها حتى قربت العساكر
كالبحر الزاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال امير الترك لامير الديلم يا امير انا بقينا على
خطر من الاعداء الذين فوق الاسوار فانظر الى تلك الابراج والى هذا العالم الذى كالبحر العجاج المتلاطم
بالامواج ان هؤلاء الكفار قدرنا مائة مرة ولا نأمن من جاسوس شر فيخبرهم انا على خطر من الاعداء
الذين لا يحصى عددهم ولا ينقطع مددهم خصوصا مع غيبة الملك ضوء المكان واخيه والوزير الاجل
دندان فعند ذلك يطمعون فينا لغيبتهم عنا فيسحقونا بالسيف عن آخرنا ولا ينجو منا ناج ومن الرأى
ان تأخذ انت عشرة الاف فارس من المواصلة والاتراك وتذهب بهم الى دير مطروحنا ومرج ملوخنا
فى طلب اخواننا واصحابنا فان اطعتمونى كنتم سببا فى الفرج عنهم ان كان الكفار قد ضيقوا عليهم وان
لم تطيعونى فلا لوم على واذا توجهتم ينبغى ان ترجعوا الينا مسرعين فان من الحزم سوء الظن فعندها
قبل الامير المذكور كلامه وانتخبا عشرين الف فارس وساروا يقطعون الطرقات طالبين المرج المذكور
والدير المشهور هذا ما كان من امر سبب مجيئهم واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهى فانها لما اوقعت
السلطان ضوء المكان واخاه شركان والوزير دندان فى ايدى الكفار اخذت تلك العاهرة جوادا وركبته

وقالت للكفار انى اريدان الحق عسكر المسلمين واتحيل على هلاككم لانهم فى القسطنطينية فاعلمهم ان اصحابهم هلكوا فاذا سمعوا ذلك منى تشتت شملهم وانصرم حبلهم وتفرق جمعهم ثم ادخل انا الى الملك افريدون ملك القسطنطينية وولدى الملك حردوب ملك الروم واخبرهما بهذا الخبر فيخرجان بعساكرهما الى المسلمين ويهلكونهم ولا يتركون احدا منهم ثم انها سارت تقطع الارض على ذلك الجواد طول الليل فلما اصبح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات واخفت جوادها هناك ثم خرجت وتمشت قليلا وهى تقول فى نفسها لعل عساكر المسلمين قد رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم نظرت اليهم وتحققت اعلامهم فرأتها غير منكسة فعلمت انهم اتوا غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم واصحابهم فلما عاينت ذلك اسرعت نحوهم بالجرى الشديد مثل الشيطان المريد الى ان وصلت اليهم وقالت لهم العجل العجل يا جند الرحمن الى جهاد حزب الشيطان فلما رآها بهرام اقبل عليها وترجل وقبل الارض بين يديها وقال لها يا ولى الله ما وراءك فقال لا تسأل عن سوء الحال وشديد الاهوال فان اصحابنا لما اخذوا المال من دير مطروحنا ارادوا ان يتوجهوا الى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرار ذو بأس من الكفار ثم ان الملعونة اعادت عليهم الحديث ارجافا ووجلا وقالت ان اكثرهم هلك ولم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فقال بهرام ايها الزاهد متى فارقتهم فقال فى ليلتى هذه فقال بهرام سبحان الذى طوى لك الارض البعيدة وانت ماشى على قدميك متكئا على جريدة لكنك من الاولياء الطيارة الملهمين وحى الاشارة ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش حيران بما سمعه من ذات الافك والبهتان وقال لا حول ولا قوة الا بالله لقد ضاع تعبنا وضاقت صدورنا واسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرضا ليلا ونهارا فلما كان وقت السحر اقبلوا على رأس الشعب فرأوا ضوء المكان واخاه شركان ينا ديان بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فحمل هو واصحابه واحاطوا بالكفار احاطة السيل بالقفار وصاحوا عليهم صياحا ضجت منه الابطال وتصدعت به الجبال فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح فاح لهم من ضوء المكان طيبه ونشره وتعارفوا بعضهم كما تقدم ذكره فقبلوا الارض بين يدى ضوء المكان واخيه شركان واخبرهم شركان بما جرى لهم فى المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قالوا لبعضهم اسرعوا بنا الى القسطنطينية لاننا تركنا اصحابنا هناك وقلوبنا عندهم فعند ذلك اسرعوا فى المسير وتوكلوا على اللطيف الخبير وكان ضوء المكان يقوى المسلمين على الثبات وينشد هذه الابيات

لك الحمد يا مستوجب الحمد والشكر * فما زلت لى بالعون يا رب فى امرى
ربيت غريبا فى البلاد وكنت لى * كفيلا وقد قدرت لى نصرى
واعطيتنى مالا وملكا ونعمة * وقلدتنى سيف الشجاعة والنصر
وخولتنى ظل المليك معمرا * وقد جدت لى من فيض جودك بالغمر
وسلمتنى من كل خطب حذرته * بمشورة الصدر الوزير فتى الدهرى
بفضلك قد صلنا على الروم صولة * وقد رجعوا بالضرب فى حلل حمر
واظهرت انى قد هزمت هزيمة * وعدت عليهم عودة الضيغم الغمر
تركتهم فى القاع صرعى كانهم * نشاوى بكاس الموت لا قهوة الخمر
وصارت بايدينا المراكب كلها * وصار لنا السلطان فى البر والبحر

وجاء

وباء الينا الزاهد العابد الذى * كرامته شاعت لذى البدو والحضر
اتينا لاخذ الثار من كل كافر * وقد شاع عند الناس ما كان من امرى
وقد قتلوا منا رجالا فاصبحوا * لهم غرف فى الخلد تعلو على نهر

فلما فرغ ضوء المكان من شعره هناه اخوه شركان بالسلامة وشكره على افعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شركان هناه اخوه ضوء المكان بالسلامة وشكره على افعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهى فانها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة واخذت جوادها وركبته واسرعت فى سيرها حتى اشرفت على عسكر المسلمين المحاصرين للقسطنطينية ثم انها نزلت واخذت جوادها واتت به الى السرادق الذى فيه الحاجب فلما رآها نهض لها قائما واشار اليها بالايماء وقال مرحبا بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فاخبرته بخبرها المرجف وبهتانها المتلف وقالت انى اخاف على الامير رستم والامير بهرام لانى قد لاقيتهما مع عسكرهما فى الطريق وارسلتهما الى الملك ومن معه وكانا فى عشرين الف فارس والكفار اكثر منهم وانى اردت فى هذه الساعة ان ترسل جملة من عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخرهم وقالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب والمسلمون منها ذلك الكلام انحلت عزائمهم وبكوا فقالت لهم ذات الدواهى استعينوا بالله واصبروا على هذه الرزية فلكم اسوة بمن سلف من الامة المحمدية فالجنة ذات القصور اعدها الله لمن يموت شهيدا ولابد من الموت لكل احد ولكنه فى الجهاد احمد فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهى دعا باخى الامير بهرام وكان فارسا يقال له تركاش وانتخب له عشرة الاف فارس ابطال عوابس وامره بالسير فسار فى ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما اصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال ان هذه عساكر مقبلة علينا فاما ان يكونوا من عسكر المسلمين فهذا هو النصر المبين واما ان يكونوا من عسكر الكفار فلا اعتراض على الاقدار ثم انه اتى الى اخيه ضوء المكان وقال له لا تخف ابدا فانى افديك بروحى من الردى فان كان هؤلاء من عسكر الاسلام فهذا من مزيد الانعام وان كان هؤلاء اعداءنا فلابد من قتالهم لكن اشتهى ان اقابل العابد قبل موتى لاسأله ان يدعو لى ان لا اموت الا شهيدا فبينما هم كذلك واذا بالرايات قد لاحت مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة وما اتينا الا خوفا عليكم ثم ترجل رئيس العسكر عن جواده وقبل الارض بين يديه وقال يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم واخى بهرام اماهم الجميع سالمون فقال بخير ثم قال له ومن الذى اخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر انه لقى اخى بهرام ورستم وارسلهما اليكم وقال لنا ان الكفار قد احاطوا بهم وهم كثيرون وما ارى الامر الا بخلاف ذلك وانتم منصورون فقالوا له وكيف وصول الزاهد اليكم فقالوا له كان سائرا على قدميه وقطع فى يوم وليلة مسيرة عشرة ايام للفارس المجد فقال شركان لا شك انه ولى الله واين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا اهل الايمان يحرضهم على قتال اهل الكفر والطغيان ففرح شركان بذلك وحمدوا الله على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على من قتل منهم وقالوا كان ذلك فى الكتاب

مسطور ثم ساروا مجدين في سيرهم فبينما هم كذلك واذا بغبار قد طار حتى سد الاقطار واظلم منه النهار فنظر اليه شركان وقال اني اخاف ان يكون الكفار قد كسروا عسكر الاسلام لان هذا الغبار سد المشرقين وملأ الخافقين ثم لاح من تحت ذلك الغبار عمود من الظلام اشد سوادا من حالك الايام ولا زالت تقرب منهم تلك الدعامة وهي اشد من هول يوم القيامة فتسارعت اليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال فرأوه الزاهد المشار اليه فازدحموا على تقبيل يديه وهو ينادي يا امة خير الانام ومصباح الظلام ان الكفار غدروا بالمسلمين فادركوا عساكر الموحدين وانقذوهم من ايدي الكفرة اللئام فانهم هجموا عليهم في الخيام ونزل بهم العذاب المهين وكانوا في مكانهم آمنين فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبه من شدة الخفقان وترجل عن جواده وهو حيران ثم قبل يد الزاهد ورجليه وكذلك اخوه ضوء المكان وبقية العسكر من الرجال والركبان الا الوزير دندان فانه لم يترجل عن جواده وقال والله ان قلبي نافر من هذا الزاهد لاني ما عرفت للمتنطعين في الدين غير المفاسد فاتركوه وادركوا اصحابكم المسلمين فان هذا من المطرودين عن باب رحمة رب العالمين فكم غزوت مع الملك عمر النعمان ودست اراضي هذا المكان فقال له شركان دع هذا الظن الفاسد اما نظرت الى هذا العابد وهو يحرض المؤمنين على القتال ولا يبالي بالسيوف والنبال فلا تغتبه لان الغيبة مذمومة ولحوم الصالحين مسمومة وانظر الى تحريضه لنا على قتال اعدائنا ولولا ان الله تعالى يحبه ما طوى له البعيد بعد ان اوقعه سابقا في العذاب الشديد ثم ان شركان امر ان يقدموا بغلة نوبية الى الزاهد ليركبها وقال له اركب ايها الزاهد الناسك العابد فلم يقبل ذلك وامتنع من الركوب واظهر الزهد لينال المطلوب وما دروا ان هذا الزاهد العاهر هو الذي قال في مثله الشاعر

صلى وصام لامر كان يطلبه * لما قضى الامر لا صلى ولا صاما

ثم ان ذلك الزاهد ما زال ماشيا بين الخيل والرجال كأنه الثعلب المحتال للاغتيال وصار رافعا صوته بتلاوة القرآن وتسبيح الرحمن وما زالوا سائرين حتى اشرفوا على عسكر الاسلام فوجدهم شركان في حالة الانكسار والحاجب قد اشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شركان لما ادرك المسلمين وهم في حالة الانكسار والحاجب قد اشرف على الهزيمة والفرار والسيف يعمل بين الابرار والفجار وكان السبب في خذل المسلمين ان اللعينة ذات الدواهي عدوة الدين لما رأت بهرام ورستم قد سار ابعسكرهما نحو شركان واخيه ضوء المكان سارت هي نحو عسكر المسلمين وانفذت الامير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك ان تفرق بين عسكر المسلمين لاجل ان يضعفوا ثم تركتهم وقصدت القسطنطينية ونادت بطارقة الروم باعلى صوتها وقالت ادلوا لي حبلا لاربط فيه هذا الكتاب واوصلوه الى ملككم افريدون ليقرأه هو وولدي ملك الروم ويعملا بما فيه من امره ونواهيه فادلوا لها حبلا فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى والطامة الكبرى ذات الدواهي الى الملك افريدون اما بعد فاني دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنين وقد اسرتهم واسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجهت الى عسكرهم واخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم وضعفت

فوتهم وقد خدعت العسكر المحاصرين القسطنطينية حتى ارسلت منهم اثنى عشر الف فارس مع الامير
تركاش خلاف المأسورين ومابقى منهم الا القليل فالمراد منكم انكم تخرجون اليهم بجميع عسكركم فى بقية
هذا النهار وتهجمون عليهم فى خيامهم ولكنكم لاتخرجون الاسواء واقتلوهم عن آخرهم فان المسيح قد
نظر اليكم والعذراء تعطفت عليكم وارجوا من المسيح ان لا ينسى فعلى الذى قد فعلته فلما وصل كتابها
الى الملك افريدون فرح فرحا شديدا وارسل فى الحال الى ملك الروم ابن ذات الدواهى واحضره وقرأ
الكتاب عليه ففرح وقال انظر مكر امى فانه يغنى عن السيوف وطلعتها تنوب عن هول اليوم المخوف
فقال الملك افريدون لاعدم المسيح طلعة امك ولا اخلاك من مكرك ولؤمك ثم انه امر البطارقة ان ينادوا
بالرحيل الى خارج المدينة وشاع الخبر فى القسطنطينية وخرجت العساكر النصرانية والعصابة الصليبية
وجردوا السيوف الحداد واعلنوا بكلمة الكفر والالحاد وكفروا برب العباد فلما نظر الحاجب الى ذلك
قال ان الروم قد وصلوا الينا وقد علموا ان سلطاننا غائب فربما هجموا علينا واكثر عسكرنا قد توجه الى
الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب ونادى يا عسكر المسلمين وحماة الدين المتين ان هربتم هلكتم وان
صبرتم نصرتم فاعلموا ان الشجاعة صبر ساعة وما ضاق امر الا اوجد الله اتساعه بارك الله فيكم
ونظر اليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبرت المسلمون وصاحت الموحدون ودارت رحاة الحرب بالطعن
والضرب وعملت الصوارم والرماح وملاء الدم الاودية والبطاح وقسست القسوس والرهبان وشدوا
الزنانير ورفعوا الصلبان واعلن المسلمون بتكبير الملك الديان وصاحوا بتلاوة القرآن واصطدم حزب
الرحمن بحزب الشيطان وطارت الرؤس عن الابدان وطافت الملائكة الاخيار على امة النبى المختار ولم يزل
السيف يعمل الى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد احاطت الكفار بالمسلمين وحسبوا ان ينجوا
من العذاب المهين وطمع المشركون فى اهل الايمان الى ان طلع الفجر وبان فركب الحاجب هو وعسكره
ورجا ان الله ينصره واختلطت الامم بالامم وقامت الحرب على قدم وطارت القمم وثبت الشجاع وتقدم
وولى الجبان وانهزم وقضى قاضى الموت وحكم حتى تطاوحت الابطال عن السروج وامتلأت بالاموات
المروج وتأخرت المسلمون عن اماكنها وملكت الروم بعض خيامها ومساكنها وعزم المسلمون على
الانكسار والهزيمة والفرار فبينما هم كذلك واذا بقدوم شركان بعساكر المسلمين ورايات الموحدين
فلما اقبل عليهم شركان حمل على الكفار وتبعه ضوء المكان وحمل بعدهما الوزير دندان وكذلك امير الديلم
بهرام ورستم واخوه تركاش فانهم لما رأوا ذلك طارت عقولهم وغاب معقولهم وثار الغبار حتى ملاء الاقطار
واجتمعت المسلمون الاخيار باصحابهم الابرار واجتمع شركان بالحاجب فشكره على صبره وهنأه بتأييده
ونصره وفرحت المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا على اعدائهم واخلصوا لله فى جهادهم فلما نظر الكفار
الى الرايات المحمدية وعليها كلمة الاخلاص الاسلامية صاحوا بالويل والثبور واستغاثوا ببطارقة الديور
ونادوا يحنى ومريم والصليب المسخم وانقبضت ايديهم عن القتال وقد اقبل الملك افريدون على ملك الروم
وصار احدهما فى الميمنة والاخر فى الميسرة وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف وسطا واصطفوا
للنزال وان كانوا فى فزع وزلزال ثم صفت المسلمون عساكرهم فعند ذلك اقبل شركان على اخيه ضوء
المكان وقال له يا ملك الزمان لاشك انهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن احب ان اقدم من العسكر
من له عزم ثابت فان التدبير نصف المعيشة فقال السلطان ماذا تريد يا صاحب الرأى السديد فقال
شركان اريد انا اكون فى قلب عسكر الكفار وان يكون الوزير دندان فى الميسرة وانت فى الميمنة والامير

بهرام في الجناح الايمن والامير رستم في الجناح الايسر وانت ايها الملك العظيم تكون تحت الاعلام والرايات لانك عمادنا وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلنا نفديك من كل امر يؤذيك فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح وجردت الصفاح فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم فلما قرب رأوه راكبا على بغلة قطوف تفر بصاحبها من وقع السيوف وبرذعتها من ابيض الحرير وعليها سجادة من شغل كشمير وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف الابيض ولم يزل يسرع بها وينهض حتى قرب من عسكر المسلمين وقال اني رسول اليكم اجمعين وما على الرسول الا البلاغ فاعطوني الامان والاقالة حتى ابلغكم الرسالة فقال له شركان لك الامان فلا تخش حرب سيف ولا طعن سنان فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع الصليب من عنقه بين يدي السلطان وخضع له خضوع راجي الاحسان فقال له المسلمون ما معك من الاخبار فقال اني رسول من عند الملك افريدون فاني نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الانسانية والهياكل الرحمانية وبينت له ان الصواب حقن الدماء والاقتصار على فارسين في الهيجاء فاجابني الى ذلك وهو يقول لكم اني فديت عسكري بروحي فليفعل ملك المسلمين مثلي ويفدي عسكره بروحه فان قتلني فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وان قتلته فلا يبقى لعسكر الاسلام ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال يا راهب انا اجبناه الى ذلك فان هذا هو الانصاف فلا يكن منه خلاف وها انا ابرز اليه واحمل عليه فاني فارس المسلمين وهو فارس الكافرين فان قتلني فاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفر فارجع اليه ايها الراهب وقل له ان البراز يكون في غد لاننا اتينا من سفرنا على تعب في هذا اليوم وبعد الراحة لا عتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل الى الملك افريدون وملك الروم واخبرهما بذلك ففرح الملك افريدون غاية الفرح وزال عنه الهم والترح وقال في نفسه لا شك ان شركان هذا هو اضربهم بالسيف واطعنهم بالسنان فاذا قتلته انكسرت همتهم وضعفت قوتهم وقد كانت ذات الدواهي كاتبت الملك افريدون بذلك وقالت له ان شركان هو فارس الشجعان وشجاع الفرسان وحذرت افريدون من شركان وكان افريدون فارسا عظيما لانه كان يقاتل انواع القتال ويرمي بالحجارة والنبال ويضرب بالعامود الحديد ولا يخشى من البأس الشديد فلما سمع قول الراهب من ان شركان اجاب الى البراز كاد ان يطير من شدة الفرح لانه واثق بنفسه ويعلم انه لا طاقة لاحد به ثم بات الكفار تلك الليلة في فرح وسرور وشرب خمور فلما كان الصباح اقبلت الفوارس بسمر الرماح وبيض الصفاح واذا هم بفارس قد برز في الميدان وهو راكب على جواد من الخيل الجياد معد للحرب والجلاد وله قوائم شداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد معد للبأس الشديد وفي صدره مرآة من الجوهر وفي يده صارم ابتر وقنطارية خولنج من غريب عمل الافرنج ثم ان الفارس كشف عن وجهه وقال من عرفني فقد اكتفاني ومن لم يعرفني فسوف يراني انا افريدون المغمور ببركة شواهي ذات الدواهي فما تم كلامه حتى خرج في وجهه فارس المسلمين شركان وهو راكب على جواد اشقر يساوي الفا من الذهب الاحمر وعليه عدة مزركشة بالدر والجوهر وهو متقلد بسيف هندي مجوهر يقد الرقاب ويهون الامور الصعاب ثم ساق جواده بين الصفين والفرسان تنظره بالعين ثم نادى افريدون وقال له ويلك يا ملعون اتظنني كمن لاقيت من الفرسان ولا يثبت معك في حومة الميدان ثم حمل كل منهما على صاحبه فصار الاثنان كانهما جبلان يصطدمان او بحران يلتطمان ثم تقاربا وتباعدا والتصقا وافترقا ولم يزالا في كر وفر وهزل وجد وضرب وطعن والجيشان ينظران اليهما وبعضهم يقول ان شركان غالب والبعض

يقول ان افريدون غالب ولم يزل الفارسان على هذا الحال حتى بطل القيل والقال وعلا الغبار وولى النهار ومالت الشمس الى الاصفرار وصاح الملك افريدون على شركان وقال له وحق دين المسيح والاعتقاد الصحيح ما انت الا فارس كرار وبطل مغوار غير انك غدار وطبعك ما هو طبع الاخيار لاني ارى فعالك غير حميدة وقتالك قتال الصناديد وقومك ينسبونك الى العبيد وها هم اخرجوا لك غير جوادك وتعود الى القتال واني وحق ديني قد اعيانى قتالك واتعبني ضربك وطعانك فان كنت تريد قتالي في هذه الليلة فلا تغير شيأ من عدتك ولا جوادك حتى يظهر للفرسان كرمك وقتالك فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول اصحابه في حقه حيث ينسبونه الى العبيد فالتفت اليهم شركان واراد ان يشير اليهم ويأمرهم ان لا يغيروا له جوادا ولا عدة واذا بافريدون هز حربته وارسلها الى شركان فالتفت وراءه فلم يجد احدا فعلم انها حيلة من الملعون فرد وجهه بسرعة واذا بالحربة قد ادركته فمال عنها حتى ساوى برأسه قربوص سرجه فجرت الحربة على صدره وكان شركان عالي الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة واحدة وغاب عن الدنيا ففرح الملعون افريدون بذلك وعرف انه قد قتله فصاح على الكفار ونادى بالفرح فهاجت اهل الطغيان وبكت اهل الايمان فلما رأى ضوء المكان اخاه مائلا على الجواد حتى كاد ان يقع ارسل نحوه الفرسان فتسابقت اليه الابطال واتوا به اليه وحملت الكفار على المسلمين والتقى الجيشان واختلط الصفان وعمل اليماني وكان اسبق الناس الى شركان الوزير دندان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما رأى اللعين قد ضرب اخاه شركان بالحربة ظن انه مات فارسل اليه الفرسان وكان اسبق الناس اليه الوزير دندان وامير الترك بهرام وامير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فاسندوه ورجعوا به الى اخيه ضوء المكان ثم اوصوا به الغلمان وعادوا الى الحرب والطعان واشتد النزال وتقصفت النصال وبطل القيل والقال فلا يرى الا دم سائل وعنق مائل ولم يزل السيف يعمل في الاعناق واشتد الشقاق الى ان ذهب اكثر الليل وكلت الطائفتان عن القتال فنادوا بالانفصال ورجعت كل طائفة الى خيامها وتوجه جميع الكفار الى ملكهم افريدون وقبلوا الارض بين يديه وهنته القسوس والرهبان بظفره بشركان ثم ان الملك افريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسي مملكته واقبل عليه ملك الكفار وقال له قوى المسيح ساعدك ولا زال مساعدك واستجاب من الام الصالحة ذات الدواهي ما تدعو به لك واعلم ان المسلمين ما بقي لهم اقامة بعد شركان فقال افريدون في غد يكون الانفصال اذا خرجت الى النزال وطلبت ضوء المكان وقتلته فان عسكرهم يولون الادبار ويركنون الى الفرار هذا ما كان من امر الكفار واما ما كان من امر عسكر الاسلام فان ضوء المكان لما رجع الى الخيام لم يكن له شغل الا باخيه فلما دخل عليه وجده في اسوأ الاحوال واشد الاهوال فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه اقتضى رأيهم احضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده تلك الليلة وفي آخر الليل اقبل عليهم الزاهد وهو يبكي فلما رآه ضوء المكان قام اليه فلمس بيده على اخيه وتلى شيأ من القرآن وعوذه بآيات الرحمن وما زال ساهرا عنده الى الصباح فعند ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وادار لسانه في فمه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان

وقال قد حصلت له بركة الزاهد فقال شركان الحمد لله على العافية فانى بخير فى هذه الساعة وقد عمل على هذا الملعون حيلة ولولا انى زغت اسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدرى فالحمد لله الذى نجانى وكيف حال المسلمين فقال له ضوء المكان هم فى بكاء من اجلك فقال انى بخير وعافية واين الزاهد وهو عند رأسه قاعد فقال له عند رأسك فالتفت اليه وقبل يديه فقال الزاهد يا ولدى عليك بجميل الصبر يعظم الله لك الاجر فان الاجر على قدر المشقة فقال شركان ادع لى فدعا له فلما اصبح الصباح وبان الفجر ولاح برزت المسلمون الى ميدان الحرب وتهيأ الكفار للطعن والضرب وتقدمت عساكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح وجردوا السلاح واراد الملك ضوء المكان وافريدون ان يحملا على بعضهما واذا بضوء المكان خرج الى الميدان وخرج معه الوزير دندان والحاجب وبهرام وقالوا لضوء المكان نحن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لا اقعد عن الخروج الى هؤلاء العلوج فلما صار فى الميدان لعب بالسيف والسنان حتى اذهل الفرسان وتعجب الفريقان وحمل فى الميمنة فقتل منها بطريقين وفى الميسرة فقتل منها بطريقين ووقف فى وسط الميدان وقال اين افريدون حتى اذيقه عذاب الهون فاراد الملعون ان يولى وهو مغبون فاقسم عليه ضوء المكان ان لا يبرح من الميدان وقال له يا ملك بالامس كان قتال اخى واليوم قتالى وانا بشجاعتك لا ابالى ثم خرج وفى يده صارم وتحته حصان كانه عنتر فى حومة الميدان وذلك الحصان ادهم مغاير كما قال فيه الشاعر

قد سابق الطرف بطرف سابق * كانه يريد ادراك القدر
دهمته تبدى سوادا حالكا * كانها ليل اذا الليل عكر
صهيله يطرب من يسمعه * كانه الرعد اذا الرعد زجر
لو سابق الريح جرى من قبلها * والبرق لا يسبقه اذا ظهر

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من مضاربه واظهر ما فى بطنه من عجائبه واخذا فى الكر والفر حتى ضاقت الصدور وقل الصبر للمقدور وصاح ضوء المكان وهجم على ملك القسطنطينية افريدون وضربه ضربة اطاح بها رأسه وقطع انفاسه فلما نظرت الكفار الى ذلك حملوا جميعا عليه وتوجهوا بكليتهم اليه فقابلهم فى حومة الميدان واستمر الضرب والطعان حتى سال الدم بالجريان وضج المسلمون بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وقاتلوا قتالا شديدا وانزل الله النصر على المؤمنين والخزى على الكافرين وصاح الوزير دندان خذوا بثار الملك عمر النعمان وثار ولده شركان وكشف رأسه وصاح للاتراك وكان بجانبه اكثر من عشرين الف فارس فحملوا معه حملة واحدة فلم يجد الكفار لانفسهم غير الفرار وتولى الادبار وعمل فيهم الصارم البتار فقتلوا منهم نحو خمسين الف فارس واسروا ما يزيد على ذلك وقتل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام ثم غلقوا الباب وطلعوا فوق الاسوار خوف العذاب وعادت طوائف المسلمين مؤيدين منصورين واتوا خيامهم ودخل الملك ضوء المكان على اخيه فوجده فى اسر الاحوال فسجد شكرا للكريم المتعال ثم اقبل عليه وهناه بالسلامة فقال له شركان اننا كلنا فى بركة هذا الزاهد الاواب وما انتصرتم الا بدعائه المستجاب فانه لم يزل اليوم قاعدا يدعو للمسلمين بالنصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما دخل على اخيه شركان وجده جالسا والعابد عنده ففرح واقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال شركان انا كنا في بركة هذا الزاهد وما انتصرتم الا بدعائه لكم فانه مابرح اليوم وهو يدعو للمسلمين وكنت وجدت في نفسي قوة حين سمعت تكبيركم فعلمت انكم منصورون على اعدائكم فاحك لي يا اخي ما وقع لك فحكى له جميع ما وقع له مع الملعون افريدون واخبره انه قتله وراح الى لعنة الله فاثنى عليه وشكر مسعاه فلما سمعت ذات الدواهي وهي في صفة الزاهد بقتل ولدها الملك افريدون انقلب لونها بالاصفرار وتغرغرت عيناها بالدموع الغزار ولكنها اخفت ذلك واظهرت للمسلمين انها فرحت وانها تبكي من شدة الفرح ثم انها قالت في نفسها وحق المسيح ما بقي في حياتي فائدة ان لم احرق قلبه على اخيه شركان كما احرق قلبي على عماد الملة النصرانية والعصابة الصليبية الملك افريدون ولكنها كتمت ما بها ثم ان الوزير دندان والملك شركان والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللزق والادهان واعطوه الدواء فتوجهت اليه العافية وفرحوا بذلك فرحا شديدا واعلموا به العساكر فتباشر المسلمون وقالوا في غد يركب معنا ويباشر الحصار ثم ان شركان قال لهم انكم قاتلتم اليوم وتعبتم من القتال فينبغي ان تتوجهوا الى اماكنكم وتناموا ولا تسهروا فاجابوه الى ذلك وتوجه كل منهم الى سرادقه وما بقي عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهي فتحدثت معه قليلا من الليل ثم اضطجع لينام وكذلك الغلمان ثم غلب عليهم النوم فصاروا مثل الاموات هذا ما كان من شركان وغلمانه واما ما كان من امر العجوز ذات الدواهي فانها بعد نومهم صارت يقظانة وحدها في الخيمة ونظرت الى شركان فوجدته مستغرقا في النوم فوثبت على قدميها كانها دبة معطاء او آفة نقطاء واخرجت من وسطها خنجرا مسموما لو وضع على صخرة لاذابها ثم جردته من غمده واتت عند رأس شركان وجرته على رقبته فذبحته وازالت رأسه عن جسده ثم وثبت على قدميها واتت الى الغلمان النيام وقطعت رؤسهم لئلا ينتبهوا ثم خرجت من الخيمة واتت الى خيام السلطان فوجدت الحراس غير نائمين فمالت الى خيمة الوزير دندان فوجدته يقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحبا بالزاهد العابد فلما سمعت ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له ان سبب مجيئي الى هنا في هذا الوقت اني سمعت صوت ولي من اولياء الله وانا ذاهب اليه ثم ولت فقال الوزير دندان في نفسه والله لاتبع هذا الزاهد في هذه الليلة فقام ومشى خلفها فلما احست الملعونة بمشيه عرفت انه وراءها فخشيت ان تفتضح وقالت في نفسها ان لم اخدعه بحيلة فاني افتضح معه فاقبلت اليه من بعيد وقالت ايها الوزير اني سائر خلف هذا الولي لاعرفه وبعد ان اعرفه استأذنه في مجيئك اليه واقبل عليك واخبرك لاني اخاف ان تذهب معي بغير استئذان الولي فيحصل له نفرة مني اذا رآك معي فلما سمع الوزير كلامها استحى ان يرد عليها جوابا فتركها ورجع الى خيمته واراد ان ينام فما طاب له منام وكادت الدنيا ان تنطبق عليه فقام وخرج من خيمته وقال في نفسه انا امضي الى شركان واتحدث معه الى الصباح فسار الى ان دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلا كالقناة ونظر الغلمان مذبوحين فصاح صيحة ازعجت من كان نائما فتسارعت الخلق اليه فرأوا الدم سائلا فضجوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك استيقظ السلطان ضوء المكان وسأل عن الخبر فقيل له ان شركان اخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعا الى ان دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح ووجد جثة اخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا وصاحت كل العساكر وبكوا وداروا حول ضوء المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر الى شركان وبكى بكاء شديدا وفعل مثله الوزير ورستم وبهرام واما الحاجب فانه صاح

واكثر من النواح ثم طلب الارتحال لما به من الاوجال فقال الملك اما علمتم بالذى فعل باخى هذه الفعال ومالى لا ارى الزاهد الذى عن متاع الدنيا متباعد فقال الوزير ومن جلب هذه الاحزان الا هذا الزاهد الشيطان فوالله ان قلبى نفر منه فى الاول والاخر لاننى اعرف ان كل متنطع فى الدين خبيث ماكر ثم ان الناس ضجوا بالبكاء والنحيب وتضرعوا الى القريب المجيب ان يوقع بين ايديهم ذلك الزاهد الذى هو لآيات الله جاحد ثم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انهم جهزوا شركان ودفنوه فى الجبل المذكور وحزنوا على فضله المشهور ثم ان الملعونة لما فرغت من الداهية التى عملتها والمخازى التى لنفسها ابدتها اخذت دواة وقرطاسا وكتبت فيه من عند شواهى ذات الدواهى الى حضرت المسلمين اعلموا انى دخلت بلادكم وغششت بلؤمى كرامكم وقتلت سابقا ملككم عمر النعمان فى وسط قصره وقتلت ايضا فى وقعة الشعب والمغارة رجالا كثيرا وآخر من قتلته بمكرى ودهائى وغدرى شركان وغلمانه ولو ساعدنى الزمان وطاوعنى الشيطان كنت قتلت السلطان والوزير دندان وانا الذى اتيت اليكم فى زى الزاهد وانطلت عليكم منى الحيل والمكائد فان شئتم سلامتكم بعد ذلك فارحلوا وان شئتم هلاك انفسكم فعن الاقامة لا تعدلوا فلو اقمتم سنين واعواما فلا تبلغون منا مراما وبعد ان كتبت الكتاب اقامت فى حزنها على الملك افريدون ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع دعت بطريقا وامرته ان يأخذ الورقة ويضعها فى سهم ويرميها الى المسلمين ثم دخلت الكنيسة وصارت تندب وتبكى على فقد افريدون وقالت لمن تسلطن بعده لا بد ان اقتل ضوء المكان وجميع امراء الاسلام هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر المسلمين فانهم اقاموا ثلاثة ايام فى هم واغتمام وفى اليوم الرابع نظروا الى ناحية السور واذا ببطريق معه سهم نشاب وفى طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه اليهم فامر السلطان الوزير دندان ان يقرأه فلما قرأه وسمع ما فيه وعرف معناه هملت بالدموع عيناه وصاح وتضجر من مكرها وقال الوزير والله لقد كان قلبى نافرا منها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرتين ولكن والله لا احول من هنا حتى املاء فرجها بمسبوك الرصاص واحبسها حبس الطير فى الاقفاص وبعد ذلك اصلبها من شعرها على باب القسطنطينية ثم تذكر اخاه فبكى بكاء شديدا ثم ان الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهى واخبرتهم بما حصل فرحوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهى ثم ان المسلمين رجعوا على باب القسطنطينية ووعدهم السلطان انه ان فتح المدينة فرق اموالها عليهم بالسوية هذا والسلطان لم تنشف دموعه حزنا على اخيه وعرى جسمه الهزال حتى صار كالخلال فدخل عليه الوزير دندان وقال له طب نفسا وقر عينا فان اخاك مامات الا باجله وليس فى هذا الحزن فائدة وما احسن قول الشاعر

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ❋ ابدا وما هو كائن فيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته ❋ واخو الجهالة دائما مغبون

فدع البكاء والنواح وقو قلبك لحمل السلاح فقال يا وزير ان قلبى مهموم من اجل موت ابى واخى ومن اجل غيابنا عن بلادنا فان خاطرى مشغول برعيتى فبكى الوزير هو والحاضرون وما زالوا مقيمين على حصار

القسطنطينية مدة من الزمان فبينما هم كذلك واذا بالاخبار وردت عليهم من بغداد صحبة امير من امرائه مضمونه ان زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولدا وسمته نزهة الزمان اخت الملك كان ما كان ولكن هذا الغلام سيكون له شأن بسبب ما رأوه له من العجائب والغرائب وقد امرت العلماء والخطباء ان يدعوا لكم على المنابر ودبر كل صلاة وانا طيبون بخير والامطار كثيرة وان صاحبك الوقاد في غاية النعمة الجزيلة وعنده الخدم والغلمان ولكنه الى الان لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال ضوء المكان الان اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما اتاه الخبر بان زوجته ولدت ولدا ذكرا فرح فرحا شديدا وقال الان اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان ثم قال للوزير دندان اني اريد ان اترك هذا الحزن واعمل لاخي ختمات وامورا من الخيرات فقال الوزير نعم ما اردت ثم امر بنصب الخيام على قبر اخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن فصار بعضهم يقرأ وبعضهم يذكر الله الى الصباح ثم تقدم السلطان ضوء المكان الى قبر اخيه شركان وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

خرجوا به ولكل باك خلفه * صعقات موسى يوم دك الطور
حتى اتوا جدثا كأن ضريحه * في قلب كل موحد محفور
ما كنت آمل قبل نعشك ان ارى * رضوى على ايدي الرجال تسير
كلا ولا من قبل دفنك في الثرى * أن الكواكب في التراب تغور
اتجاور الدياس رهن قرارة * فيها الضياء بوجهه والنور
كفل الثناء له برد حياته * لما انطوى فكأنه منشور

فلما فرغ ضوء المكان من شعره بكى وبكى معه جميع الناس ثم اتى الى القبر ورمى نفسه عليه وهو حائر وانشد قول الشاعر

تركت الذي يفنى ونلت الذي يبقى * ومثلك اقوام فقد سبقوا اسبقا
وفارقت هذي الدار من غير رغبة * فعن هذه الدنيا تسرح مطلقا
وكنت من الاعداء تبدي وقاية * اذا ما سهام الحرب حاولت الرشقا
ارى هذه الدنيا غرورا وباطلا * وجل مراد الخلق ان يطلبوا الحقا
حباك الاه العرش فوزا بجنة * واسكنك الهادي بها مقعدا صدقا
واني قد امسيت فيك بحسرة * ارى الغرب محزونا بفقدك والشرقا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره بكى بكاء شديدا ونثرت عيونه الدموع در انضيدا ثم تقدم رجل كان من ندماء شركان وبكى حتى حكت دموعه الخلجان وذكر ما لشركان من المكرمات وانشد هذه الابيات

اين العطاء وكف جودك في الثرى * والجسم بعدك بالسقام قد انبرى
يا حادي الاضعان سرك ما ترى * كتبت دموعي فوق خدي اسطرا
تعني بها وتلذ منها منظرا

والله ماحدثت عنك ضمائرى ✻ كلا ولا خطرت علاك بخاطرى
الا وقد جرح الدموع محاجرى ✻ واذا صرفت الى سواك نواظرى
جذب الغرام عنان طرفى فى الكرى

فلما فرغ الرجل من شعره بكى ضوء المكان هو والوزير دندان وضج جميع العسكر بالبكاء ثم انهم انصرفوا الى الخيام واقبل السلطان على الوزير دندان واخذا يتشاوران فى امر القتال واستمرا على ذلك اياما وليالى وضوء المكان يتضجر من الهم والاحزان ثم قال انى اشتهى سماع اخبار الناس واحاديث الملوك وحكايات المتيمين لعل الله يفرج ما بقلبى من الهم الشديد ويذهب عنى البكاء والعديد فقال الوزير ان كان ما يفرج همك الا سماع قصص الملوك من نوادر الاخبار وحكايات المتقدمين من المتيمين وغيرهم فان هذا امر سهل لانى لم يكن لى شغل فى حياة المرحوم والدك الا بالحكايات والاشعار وفى هذه الليلة احدثك بخبر العاشق والمعشوق لاجل ان ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال الا بانتظار مجيء الليل لاجل ان يسمع ما يحكيه الوزير دندان من اخبار المتقدمين من الملوك والمتيمين فما صدق ان الليل اقبل حتى امر بايقاد الشموع والقناديل واحضار ما يحتاجون اليه من الاكل والشرب والات البخور فاحضروا له جميع ذلك ثم ارسل الى الوزير دندان فحضر وارسل الى بهرام ورستم وتركاش والحاجب الكبير فحضروا فلما حضر جميعهم بين يديه التفت الى الوزير دندان وقال له اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل جلابيبه علينا واسبل ونريد ان تحكى لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك ضوء المكان لما حضر الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت الى الوزير دندان وقال اعلم ايها الوزير ان الليل قد اقبل وسدل جلابيبه علينا واسبل ونريدان تحكى لنا ما وعدتنا به من الحكايات فقال الوزير حبا وكرامة اعلم ايها الملك السعيد انه بلغنى من حكاية العاشق والمعشوق والمتكلم بينهما وما جرى لهم من العجائب والغرائب ما يزيل الهم عن القلوب ويسلى عن مثل حزن يعقوب وهو انه كان فى سالف الزمان مدينة وراء جبال اصبهان يقال لها المدينة الخضراء وكان بها ملك يقال له الملك سليمان وكان صاحب جود واحسان وعدل وامان وفضل وامتنان وسارت اليه الركبان من كل مكان وشاع ذكره فى سائر الاقطار والبلدان واقام فى المملكة مدة مديدة من الزمان وهو فى عز وامان الا انه كان خاليا من الاولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه فى الصفات من الجود والهبات فاتفق انه ارسل الى وزيره يوما من الايام واحضره بين يديه وقال له ياوزيرى انه قد ضاق صدرى وعيل صبرى وضعف منى الجلد لكونى بلا زوجة ولا ولد وما هذا سبيل الملوك الحكام على كل امير وصعلوك فانهم يفرحون بخلفه الاولاد وتتضاعف لهم بهم العدد والاعداد وقال النبى صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا تكثروا فانى مباه بكم الامم يوم القيامة فما عندك من الرأى ياوزير فاشر على بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع من عينه بالانسجام وقال له هيهات ياملك الزمان ان اتكلم فيما هو من خصائص الرحمن اتريد ان ادخل النار بسخط الملك الجبار فقال له الملك اعلم ايها الوزير ان الملك اذا اشترى جارية لا يعلم حسبها ولا يعرف نسبها

فهو لا يدرى خساسة اصلها حتى يجتنبها ولا شرف عنصرها حتى يتسرى بها فاذا افضى اليها ربما حملت منه فيجيء الولد منافقا ظالما سافكا للدماء ويكون مثلها مثل الارض السبخة اذا زرع فيها زرع فانه يخبث نباته ولا يحسن نباته ويكون ذلك الولد قد متعرضا لسخط مولاه ولا يفعل ما امره به ولا يجتنب ما عنه نهاه فانا لا اتسبب فى هذا بشراء جارية ابدا وانما مرادى ان تخطب لى بنتا من بنات الملوك يكون نسبها معروفا وجمالها موصوفا فان دللتنى على ذات النسب والدين من بنات ملوك المسلمين فانى اخطبها واتزوج بها على رؤس الاشهاد ليحصل لى بذلك رضاء رب العباد فقال له الوزير ان الله قضى حاجتك وبلغك امنيتك فقال له وكيف ذلك فقال له اعلم ايها الملك انه بلغنى ان الملك زهر شاه صاحب الارض البيضاء له بنت بادعة الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال ولم يوجد لها فى هذا الزمان مثيل لانها فى غاية الكمال قويمة الاعتدال ذات طرف كحيل وشعر طويل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت فتنت وان ادبرت قتلت تأخذ القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

هيفاء تخجل غصن البان قامتها * لم يحك طلعتها شمس ولا قمر
كانما ريقها شهد وقد مزجت * به المدامة لكن ثغرها درر
ممشوقة القد من حور الجنان لها * وجه جميل وفى الحاظها حور
وكم لها من قتيل مات من كمد * وفى طريق هواها الخوف والخطر
ان عشت فهى المنى ما شئت اذكرها * او مت من دونها لم يجد فى العمر

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأى عندى ايها الملك ان ترسل الى ابيها رسولا فطنا خبيرا بالامور مجربا لتصاريف الدهور ليتلطف فى خطبتها لك من ابيها فانها لا نظير لها فى قاصى الارض ودانيها وتحظى منها بالوجه الجميل ويرضى عليك الرب الجليل فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا رهبانية فى الاسلام فعند ذلك توجه الى الملك كمال الفرح واتسع صدره وانشرح وزال عنه الهم والغم ثم اقبل على الوزير وقال له اعلم ايها الوزير انه لا يتوجه الى هذا الامر الا انت لكمال عقلك وادبك فقم الى منزلك واقض اشغالك وتجهز فى غد واخطب لى هذه البنت التى اشغلت بها خاطرى ولا تعد الى الا بها فقال سمعا وطاعة ثم ان الوزير توجه الى منزله واستدعى بالهدايا التى تصلح للملوك من ثمين الجواهر ونفيس الذخائر وغير ذلك مما هو خفيف فى الحمل ثقيل فى الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداودية وصناديق المال التى يعجز عن وصفها المقال ثم حملوها على البغال والجمال وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة عبد ومائة جارية وانتشرت على رأسه الرايات والاعلام واوصاه الملك ان يأتى اليه فى مدة قليلة من الايام وبعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالى النار مشغول بحبها فى الليل والنهار وسار الوزير ليلا ونهارا يطوى برارى وقفارا حتى بقى بينه وبين المدينة التى هو متوجه اليها يوم واحد ثم نزل على شاطئ نهر واحضر بعض خواصه وامره ان يتوجه الى الملك زهر شاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعا وطاعة ثم توجه بسرعة الى تلك المدينة فلما قدم عليها اتفق قدومه ان الملك زهر شاه كان جالسا فى بعض المنتزهات قدام باب المدينة فرآه وهو داخل وعرف انه غريب فامر باحضاره بين يديه فلما حضر الرسول اخبره بقدوم وزير الملك الاعظم سليمان شاه صاحب الارض الخضراء وجبال اصفهان ففرح الملك زهر شاه ورحب بالرسول واخذه وتوجه الى قصره وقال اين فارقت الوزير فقال فارقته فى اول النهار على شاطئ النهر الفلانى وفى غد يكون واصلا اليك وقادما عليك ادام الله نعمته

عليك ورحم والديك فامر زهرشاه بعض وزرائه ان يأخذ معظم خواصه وحجابه ونوابه وارباب دولته ويخرج بهم الى مقابلته تعظيما للملك سليمان شاه لان حكمه نافذ فى الارض هذا ما كان من امر الملك زهرشاه واما ما كان من امر الوزير فانه استقر فى مكانه الى نصف الليل ثم رحل متوجها الى المدينة فلما لاح الصباح واشرقت الشمس على الروابى والبطاح لم يشعر الا ووزير الملك زهرشاه وحجابه وارباب دولته وخواص مملكته قدموا عليه واجتمعوا به على فراسخ من المدينة فايقن الوزير بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا الى قصر الملك ودخلوا بين يديه فى باب القصر الى سابع دهليز وهو المكان الذى لا يدخله الراكب لانه قريب من الملك فترجل الوزير وسعى على قدميه حتى وصل الى ايوان عال وفى صدر ذلك الايوان سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وله اربعة قوائم من انياب الفيل وعلى ذلك السرير مرتبة من الاطلس الاخضر مطرزة بالذهب الاحمر ومن فوقها سرادق مرصع بالدر والجوهر والملك زهرشاه جالس على ذلك السرير وارباب دولته واقفون فى خدمته فلما دخل الوزير عليه وصار بين يديه ثبت جنانه واطلق لسانه وابدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهرشاه ثبت جنانه واطلق لسانه وابدى فصاحة الوزراء وتكلم بكلام البلغاء واشار الى الملك بلطف التفات وانشد هذه الابيات

وافى واقبل فى الغلائل لينثنى * يولى الندى للمجتنى والمجتنى
ورقى فما تغنى التمائم والرقا * والسحر من لحظات تلك الاعين
قل للعواذل لا تلوموا اننى * طول المدى عن حبه لا انثنى
حتى فؤادى خاننى وورى له * وكذا الرقاد صبا اليه وملنى
يا قلب ما امسيت وحدك رأفة * فامكث لديه وان تكن اوحشتنى
لا شئ يطرب مسمعى بسماعه * الا الثناء لزهر شاه اجتنى
ملك اذا انفقت عمرك كله * فى نظرة من وجهه انت الغنى
واذا انتخبت له دعاء صالحا * لم تلتق غير مشارك ومؤمن
يا اهل ذا الملك الذى من فاته * ورجا سواه فلم يكن بمؤمن

فلما فرغ الوزير من هذا النظام قربه الملك زهرشاه واكرمه غاية الاكرام واجلسه بجانبه وتبسم فى وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالوا على ذلك الى وقت الصباح ثم قدموا السماط فى ذلك الايوان فاكلوا جميعا حتى اكتفوا ثم رفعوا السماط وخرج كل من فى المجلس ولم يبق الا الخواص فلما رأى الوزير خلو المكان نهض قائما على قدميه واثنى على الملك وقبل الارض بين يديه ثم قال ايها الملك الكبير والسيد الخطير انى سعيت اليك وقدمت عليك فى امر لك فيه الصلاح والخير والفلاح وهو انى قد اتيتك رسولا خاطبا وفى بنتك الحسيبة النسيبة راغبا من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والامان والفضل والاحسان ملك الارض الخضراء وجبال اصفهان وقد ارسل اليك الهدايا الكثيرة والتحف العزيزة وهو فى مصاهرتك راغب فهل انت له كذلك طالب ثم انه سكت ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهرشاه

ذلك الكلام نهض قائما على الاقدام ولثم الارض باحتشام فتعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول واندهشت منهم العقول ثم ان الملك اثنى على ذى الجلال والاكرام وقال وهو فى حالة القيام ايها الوزير المعظم والسيد المكرم اسمع ما اقول اننا للملك سليمان شاه من جملة رعاياه وتتشرف بنسبه وتنافس فيه وابنتى جارية من جملة جواريه وهذا اجل مرادى ليكون ذخرى واعتمادى ثم انه احضر القضاة والشهود وشهدوا ان الملك سليمان شاه وكل وزيره فى الزواج وتولى الملك زهرشاه عقد بنته بابتهاج ثم ان القضاة احكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز والنجاح فعند ذلك قام الوزير واحضر ما جاء به من الهدايا ونفائس التحف والعطايا وقدم الجميع للملك زهرشاه ثم ان الملك اخذ فى تجهيز ابنته واكرام الوزير وعم بولائمه العظيم والحقير واستمر فى اقامة الفرح مدة شهرين ولم يترك فيه شيأ مما يسر القلب والعين ولما تم ما تحتاج اليه العروسة امر الملك باخراج الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش فى الصناديق وهيئوا الجوارى الروميات والوصائف التركيات واصحب العروسة بنفيس الذخائر وثمين الجواهر ثم صنع لها محفة من الذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر وافرد لها عشر بغال للمسير وصارت تلك المحفة كأنها مقصورة من المقاصير وصاحبتها كأنها حورية من الحور الحسان وخدرها كقصر من قصور الجنان ثم رزموا الذخائر والاموال وحملوها على البغال والجمال وتوجه الملك زهرشاه معهم قدر ثلاثة فراسخ ثم ودع ابنته وودع الوزير ومن معه ورجع الى الاوطان فى فرح وامان وتوجه الوزير بابنت الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير توجه بابنة الملك وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ويجد السير فى الليل والنهار حتى بقى بينه وبين بلاده ثلاثة ايام ثم ارسل الى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فاسرع الرسول بالسير حتى وصل الى الملك واخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول وامر عساكره ان يخرجوا فى موكب عظيم الى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم وان يكونوا فى احسن الهيئات وان ينشروا على رؤسهم الرايات فامتثلوا امره ونادى مناد فى المدينة انه لا تبقى بنت مخدرة ولا حرة موقرة ولا عجوز مكسرة الا وتخرج الى لقاء العروسة فخرجوا جميعا الى لقائها وسعت كبراؤهم فى خدمتها واتفقوا على ان يتوجهوا بها فى الليل الى قصر الملك واتفق ارباب الدولة على ان يزينوا الطريق وان يقفوا حتى تمر بهم العروسة والخدام قدامها والجوار بين يديها وعليها الخلعة التى اعطاها لها ابوها فلما اقبلت احاط بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم تزل المحفة سائرة بها الى ان قربت من القصر ولم يبق احد الا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة وروائح الطيب فائحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا الى باب القصر وتقدمت الغلمان بالمحفة الى باب السر فاضاء المكان ببهجتها واشرقت جهاته بحلى زينتها فلما اقبل الليل فتح الخدام ابواب السرادق ووقفوا وهم محتاطون بالباب ثم جاءت العروسة وهى بين الجوارى كالقمر بين النجوم او الدرة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت المقصورة وقد نصبوا لها سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر فجلست عليه ودخل عليها الملك واوقع الله محبتها فى قلبه فازال بكارتها وزال ما كان عنده من القلق والقهر واقام عندها نحو شهر فعلقت منه فى اول ليلة وبعد تمام الشهر خرج

وجلس على سرير مملكته وعدل فى رعيته الى ان وفت اشهرها وفى آخر ليلة من الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر فجلست على كرسى الطلق وهون الله عليها الولادة فوضعت غلاما ذكرا تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحا جليلا واعطى المبشر مالا جزيلا ومن فرحته توجه الى الغلام وقبله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر

الله خوّل منه آجام العلا * اسدا وآفاق الرآسة كوكبا

هشت لمطلعه الاسنة والاسره والمحافل والجحافل والقلى

لاتركبوه على النهود فانه * ليرى ظهور الخيل اوطأ مركبا

ولتفطموه عن الرضاع فانه * ليرى دم الاعداء احلى مشربا

ثم ان الدايات اخذن ذلك المولود وقطعن سرته وكحلن مقلته ثم سموه تاج الملوك خاران وارتضع ثدى الدلال وتربى فى حجر الاقبال ولازالت الايام تجرى والاعوام تمضى حتى صار له من العمر سبع سنين فعند ذلك احضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وامرهم ان يعلموا ولده الخط والحكمة والادب فمكثوا على ذلك مدة سنين حتى تعلم مايحتاج اليه الامر فلما عرف جميع ماطلبه الملك احضره من عند الفقهاء والمعلمين واحضر له استاذا يعلمه الفروسية فلم يزل يعلمه حتى صار له من العمر اربعة عشر سنة وكان اذا خرج الى بعض اشغاله يفتتن به كل من رآه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان تاج الملوك خاران ابن الملك سليمان شاه لما مهر فى الفروسية وفاق اهل زمانه صار من فرط جماله اذا خرج الى بعض اشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا فيه الاشعار وتهتكت فى محبته الاحرار لما حوى من الجمال الباهر كما قال فيه الشاعر

عانقته فسكرت من طيب الشذى * غصنا رطيبا بالنسيم قد اغتذى

سكران ماشرب المدام وانما * امسى بخمر رضابه متنبذا

اضحى الجمال باسره فى اسره * فلاجل ذا على القلوب استحوذا

والله ماخطر السلو بخاطرى * مادمت فى قيد الحياة ولا اذا

ان عشت عشت على هواه وان امت * وجدا به وصبابة ياحبذا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما دب عذاره الاخضر على شامة خده الاحمر وزانهما خال كنقطة عنبر وصار يسبى العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر

اضحى ليوسف فى الجمال خليفة * تخشاه كل العاشقين اذا بدا

عرج معى وانظر اليه لكى ترى * فى خده علم الخلافة اسودا

وكما قال الآخر

ماابصرت عيناك احسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء

كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقلة السوداء

وكما قال الآخر

عجبت لخال يعبد النار دائما * بخدك لم يحرق بها وهو كافر

واعجب من ذا ان باللحظ مرسلا * يصدق بالايات وهو ساحر
وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

وكما قال الاخر

انى لاعجب من سؤال الناس عن * ماء الحياة باى ارض منهمر
ولقد اراه بثغر ظبى اغيد * حلو اللمى وعليه شاربه الخضر
ومن العجائب ان موسى يلتقى * معه هنالك سائلا لم يصطبر

فلما صار بتلك الحالة وبلغ مبلغ الرجال زاد به الجمال ثم صار لتاج الملوك خاران اصحاب واحباب وكل من تقرب اليه يرجو انه يصير سلطانا بعد موت ابيه وانه يكون عنده اميرا ثم انه تعلق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك مخافة عليه من آفات البر والوحوش فلم يقبل منه ذلك فاتفق انه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة ايام فامتثلوا ما امرهم به فلما خرج باتباعه للصيد والقنص ساروا فى البر ولم يزالوا سائرين اربعة ايام حتى اشرفوا على ارض خضراء فرأوا فيها وحوشا راتعة واشجارا يانعة وعيونا نابعة فقال تاج الملوك لاتباعه انصبوا الحبائل هنا واوسعوا دائرة حلقتها ويكون اجتماعنا عند رأس الحلقة فى المكان الفلانى فامتثلوا امره ونصبوا الحبائل واوسعوا دائرة حلقتها فاجتمع فيها شئ كثير من اصناف الوحوش والغزلان الى ان ضجت منهم الوحوش وتنافرت فى وجوه الخيل فاغرى عليها الكلاب والفهود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فاصابوا مقاتل الوحوش وما وصلوا الى آخر الحلقة الا وقد اخذوا من الوحوش شيأ كثيرا وهرب الباقى وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء واحضر الصيد وقسمه وافرد لابيه سليمان شاه خاص الوحوش وارسله اليه وفرق البعض على ارباب دولته وبات تلك الليلة فى ذلك المكان فلما اصبح الصباح اقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجار فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض اصحابه ائتنى بخبر هؤلاء واسألهم لاى شئ نزلوا فى هذا المكان فلما توجه اليهم الرسول قال لهم اخبرونا من انتم واسرعوا فى رد الجواب فقالوا له نحن تجار نزلنا هنا لاجل الراحة لان المنزل بعيد علينا وقد نزلنا فى هذا المكان لاننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده ونعلم ان كل من نزل عنده صار فى امان واطمئنان ومعنا قماش نفيس جئنا به من اجل ولده تاج الملوك فرجع الرسول الى ابن الملك واعلمه بحقيقة الحال واخبره بما سمعه من التجار فقال ابن الملك اذا كان معهم شئ جاؤا به من اجلى فما ادخل المدينة ولا ارحل من هذا المكان حتى استعرضه ثم ركب جواده وسار وسارت مماليكه خلفه الى ان اشرف على القافلة فقام له التجار ودعوا له بالنصر والاقبال ودوام العز والافضال وقد ضربت له خيمة من الاطلس الاحمر مزركشة بالدر والجوهر وفرشوا له مقعدا سلطانيا فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرد فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك فى خدمته وارسل الى التجار وامرهم ان يحضروا بجميع ما معهم فاقبلت عليه التجار ببضائعهم فاستعرض جميع بضاعتهم واخذ منها ما يصلح له ووفاهم بالثمن ثم ركب واراد ان يسير فلاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعانى بجبين ازهر ووجه اقمر الا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان تاج الملوك لاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعاني الا ان ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وزاد به الانين والانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الابيات

طال الفراق ودام الهم والوجل * والدمع من مقلتي يا صاح منهمل
والقلب ودعته يوم الفراق وقد * بقيت فردا فلا قلب ولا امل
يا صاحبي قف معي حتى اودع من * من نطقها تشتفي الامراض والعلل

ثم ان الشاب بعدما فرغ من الشعر بكى ساعة وغشي عليه وتاج الملوك ناظر اليه وهو يتعجب من امره فلما افاق رنا بفاتك المقلات وانشد هذه الابيات

خذوا حذركم من طرفها فهو ساحر * وليس بناج من رمته المحاجر
فان العيون السود وهي نواعس * تقد السيوف البيض وهي بواتر
ولا تخدعوا من رقة في كلامها * فان الحميا للعقول تخامر
منعمة الاطراف لومس جسمها * حرير لادماه وها انت ناظر
بعيدة ما بين الخلخل والطلا * واين الشذا من طيبها وهو عاطر

ثم شهق شهقة فغشي عليه فلما رآه تاج الملوك على هذه الحالة تحير في امره ومشى اليه فلما افاق من غشيته نظر ابن الملك واقفا على رأسه فنهض قائما على قدميه وقبل الارض بين يديه فقال له تاج الملوك لاي شئ لم تعرض بضاعتك علينا فقال يا مولاي ان بضاعتي ليس فيها شئ يصلح لسعادتك فقال لابد ان تعرض علي ما معك وتخبرني بحالك فاني اراك باكي العين حزين القلب فان كنت مظلوما ازلنا ظلامتك وان كنت مديونا قضينا دينك فان قلبي قد احترق من اجلك حين رأيتك ثم ان تاج الملوك امر بنصب كرسيين فنصبوا له كرسيا من العاج والابنوس مشبكا بالذهب والحرير وبسطوا له بساطا من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسي وامر الشاب ان يجلس على البساط وقال له اعرض علي بضاعتك فقال له الشاب يا مولاي لاتذكر لي ذلك فان بضاعتي ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملوك لابد من ذلك ثم امر بعض غلمانه باحضارها فاحضروها قهرا عنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وان واشتكى وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

بما بجفنك من غنج ومن كحل * وما بقدك من لين ومن ميل
وما بثغرك من خمر ومن شهد * وما بطبعك من لطف ومن ملل
عندي زيارة طيف منك يا أملي * احلى من الامن عند الخائف الوجل

ثم ان الشاب فتح بضاعته وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة وتفصيلة تفصيلة واخرج من جملتها ثوبا من الاطلس منسوجا بالذهب يساوي الفي دينار فلما فتح الثوب وقعت من وسطه خرقة فاخذها الشاب بسرعة ووضعها تحت وركه وقد ذهل عن المعقول وانشد يقول

متى يشتفي منك الفؤاد المعذب * ونجم الثريا من وصالك اقرب
بعاد وهجر واشتياق ولوعة * ومطل وتسويف به العمر يذهب

فلا الوصل يحييني ولا الهجر قاتلي * ولا البعد يدنيني ولا انت تقرب
وما منك انصاف ولا لك رحمة * ولا منك اسعاف ولا عنك مهرب
وفي حبكم ضاقت جميع مذاهبي * علي فلا ادري الى اين اذهب

فتعجب تاج الملوك من انشاده غاية العجب ولم يعلم لذلك من سبب ولما اخذ الخرقة ووضعها تحت وركه قال له تاج الملوك ما هذه الخرقة فقال يا مولاي ليس لك بهذه الخرقة حاجة فقال له ابن الملك ارني اياها فقال له يا مولاي انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا اقدر على انك تنظر اليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك انا ما امتنعت من عرض بضاعتي عليك الا لاجلها فاني لا اقدر على انك تنظر اليها فقال له تاج الملوك لا بد من كوني انظر اليها والح عليه واغتاظ فاخرجها من تحت ركبته وبكى وان واشتكى واكثر من الانات وانشد هذه الابيات

لا تعذليه فان العذل يوجعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
استودع الله في البطحاء لي قمرا * بالحي من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودي لو يودعني * صفو الحياة واني لا اودعه
وكم تشفع بي يوم الفراق ضحى * وادمعي مستهلات وادمعه
لا اكذب الله ثوب العذر منخرق * عني بفرقته لكن ارقعه
لا يستقر لجنبي مضجع وكذا * لا يستقر له مذ بنت مضجعه
وقد سعى الدهر فيما بيننا بيد * عسراء تمنعني حظي وتمنعه
وصبت الهم صرفا عندما ملأت * كاسا تجرع منها ما اجرعه

فلما فرغ من شعره قال له تاج الملوك اري احوالك غير مستقيمة فاخبرني ما سبب بكائك عند نظرك الى هذه الخرقة فلما سمع الشاب ذكر الخرقة تنهد وقال يا مولاي ان حديثي عجيب وامري غريب مع هذه الخرقة وصاحبتها وصاحبة هذه الصور والتماثيل ثم نشر الخرقة واذا فيها صورة غزال مرقومة بالحرير مزركشة بالذهب الاحمر وقبالها صورة غزال اخر وهي مرقومة بالفضة وفي رقبته طوق من الذهب الاحمر وثلاث قصبات من الزبرجد فلما نظر تاج الملوك اليه والى حسن صنعته قال سبحان الله الذي علم الانسان ما لم يعلم وتعلق قلب تاج الملوك بحديث هذا الشاب فقال له احك لي قصتك مع صاحبة هذا الغزال فقال الشاب اعلم يا مولاي ان ابي كان من التجار الكبار ولم يرزق ولدا غيري وكان لي بنت عم تربيت انا واياها في بيت ابي لان اباها مات وكان قبل موته تعاهد هو وابي على ان يزوجاني بها فلما بلغت مبلغ الرجال وبلغت هي مبلغ النساء لم يحجبوها عني ولم يحجبوني عنها ثم تحدث والدي مع امي وقال لها في هذه السنة نكتب كتاب عزيز على عزيزة واتفق مع امي على هذا الامر ثم شرع ابي في تجهيز مؤن الولائم هذا كله وانا وبنت عمي ننام مع بعضنا في فراش واحد ولم ندر كيف الحال وكانت هي اشعر مني واعرف وادرى فلما جهز ابي ادوات الفرح ولم يبق غير كتب الكتاب والدخول على بنت عمي اراد ابي ان يكتب الكتاب بعد صلاة الجمعة ثم توجه الى اصحابه من التجار وغيرهم واعلمهم بذلك ومضت امي وعزمت اصحابها من النساء ودعت اقاربها فلما جاء

يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدة للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا فى دارنا البسط ووضعوا فيها ما يحتاج اليه الامر بعد ان زوقوا حيطانها بالقماش المقصب واتفق الناس على ان يجيؤا بيتنا بعد صلاة الجمعة ثم مضى ابى وعمل الحلويات واطباق السكر وما بقى غير كتب الكتاب وقد ارسلتنى امى الى الحمام وارسلت خلفى بدلة جديدة من افخر الثياب فلما خرجت من الحمام لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة فلما لبستها فاحت منها رائحة زكية عبقت فى الطريق ثم اردت ان اذهب الى الجامع فتذكرت صاحبا لى فرجعت افتش عليه ليحضر كتب الكتاب وقلت فى نفسى اشتغل بهذا الامر الى ان يقرب وقت الصلاة ثم انى دخلت زقاقا مادخلته قط وكنت عرقانا من اثر الحمام والقماش الجديد الذى على جسدى فساح عرقى وفاحت روائحى فقعدت فى رأس الزقاق لارتاح على مسطبة وفرشت تحتى منديلا مطرزا كان معى فاشتد على الحر فعرق جبينى وصار العرق ينحدر على وجهى ولم يمكننى مسح العرق عن وجهى بالمنديل لانه مفروش تحتى فاردت ان اخذ ذيل فرجيتى وامسح به وجنتى فما ادرى الا ومنديل ابيض وقع على من فوق وكان ذلك المنديل ارق من النسيم ورؤيته الطف من شفاء السقيم فمسكته بيدى ورفعت رأسى الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فرفعت رأسى الى فوق لانظر من اين سقط هذا المنديل فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال واذا بها مطلة من طاقة فى شباك من نحاس لم تر عينى اجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لسانى فلما رأتنى نظرت اليها وضعت اصبعها فى فمها ثم اخذت اصبعها الوسطانى والصقتها باصبعها الشاهد ووضعتهما على صدرها بين نهديها ثم ادخلت رأسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فانطلقت فى قلبى النار وزاد بى الاستعار واعقبتنى النظرة الف حسرة وتحيرت فلم اسمع ما قالت ولم افهم ما به اشارت فنظرت الى الطاقة ثانيا فوجدتها مطبوقة فصبرت الى مغيب الشمس فلم اسمع حسا ولم ار شخصا فلما يئست من رؤيتها قمت من مكانى واخذت المنديل معى ثم فتحته ففاحت منه رائحة المسك فحصل لى من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كأنى فى الجنة ثم نشرته بين يدى فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمخة بالروائح الزكيات ومكتوب فيها هذه الابيات

بعثت اليه اشكو من الم الجوى * بخط رقيق والخطوط فنون
فقال خليلى مالخطك هكذا * رقيقا دقيقا لا يكاد يبين
فقلت لانى فى نحول ودقة * كذا خطوط العاشقين تكون

ثم بعد ان قرأت الابيات اطلقت فى بهجة المنديل نظر العين فرأيت فى احدى حاشيتيه تسطير هذين البيتين

كتب العذار وياله من كاتب * سطرين فى خديه بالريحان
واحيرة القمرين منه اذا بدا * واذا انثنى واخجلة الاغصان

وسطر فى الحاشية الاخرى هذان البيتان

كتب العذار بعنبر فى لؤلؤ * سطرين من سبج على تفاح
القتل فى الحدق المراض اذا رنت * والسكر فى الوجنات لا فى الراح

فلما رأيت ما على المنديل من الاشعار انطلق فى فؤادى لهيب النار وزادت بى الاشواق والافكار واخذت المنديل والورقة واتيت بهما الى البيت وانا لا ادرى لى حيلة فى الوصال ولا استطيع فى العشق تفصيل الاجمال فاوصلت الى البيت الا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمى جالسة تبكى فلما رأتنى مسحت دموعها واقبلت علىّ وقلعتنى الثياب وسألتنى عن سبب غيابى واخبرتنى ان جميع الناس من امراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا فى بيتنا وحضر القاضى والشهود واكلوا الطعام واستمروا مدة جالسين ينتظرون حضورى من اجل كتب الكتاب فلما يئسوا من حضورى تفرقوا وذهبوا الى حال سبيلهم وقالت لى ان اباك اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا وحلف انه لا يكتب كتابنا الا فى السنة القابلة لانه غرم فى هذا الفرح مالا كثيرا ثم قالت لى ما الذى جرى لك فى هذا اليوم حتى تأخرت الى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها جرى لى كذا وكذا وذكرت لها المنديل واخبرتها بالخبر من اوله الى اخره فاخذت الورقة والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وانشدت هذه الابيات

من قال اول الهوى اختيار * فقل كذبت كله اضطرار
وليس بعد الاضطرار عار * دلت على صحته اخبار
ما زيفت على صحيح النقد
فان تشا فقل عذاب يعذب * او ضربان فى الحشى او ضرب
او نعمة او نقمة او ارب * تأنس النفس به او تعطب
قد حرت بين عكسه والطرد
ومع ذا ايامه مواسم * وثغرها على الدوام باسم
ونفحات طيبها مواسم * وهو لكل ما يشين حاسم
ما حل قط قلب نذل وغد

ثم انها قالت لى فما قالت لك وما اشارت به اليك فقلت لها ما نطقت بشئ غير انها وضعت اصبعها فى فمها ثم قرنتها بالاصبع الوسطى وجعلت الاصبعين على صدرها واشارت الى الارض ثم ادخلت رأسها واغلقت الطاقة ولم ارها بعد ذلك فاخذت قلبى معها فقعدت الى غياب الشمس انتظر انها تطل من الطاقة ثانيا فلم تفعل فلما يئست منها قمت من ذلك المكان وهذه قصتى واشتهى منك ان تعينينى على ما بليت به فرفعت رأسها الى وقالت يا ابن عمى لو طلبت عينى لاخرجتها لك من جفونى ولا بد ان اساعدك على حاجتك واساعدها على حاجتها فانها مغرمة بك كما انك مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما اشارت به قالت اما وضع اصبعها فى فمها فانه اشارة الى انك عندها بمنزلة روحها من جسدها وانها تعض على وصالك بالنواجذ واما المنديل فانه اشارة الى سلام المحبين على المحبوبين واما الورقة فانها اشارة الى ان روحها متعلقة بك واما وضع اصبعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره انها تقول لك بعد يومين تعال هنا ليزول عنى بطلعتك العنا واعلم يا ابن عمى انها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندى من التفسير لاشاراتها ولو كنت ادخل واخرج لجمعت بينك وبينها فى اسرع وقت واستركما بذيلى قال الغلام فلما سمعت ذلك منها شكرتها على قولها وقلت فى نفسى انا اصبر يومين ثم قعدت فى البيت يومين لا ادخل ولا اخرج ولا آكل

ولا الشرب ووضعت رأسي في حجر ابنة عمي وهي تسليني وتقول لي قوّ عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لي ابنة عمي طب نفسا وقرّ عينا وقوّ عزمك والبس ثيابك وتوجه اليها على الميعاد ثم انها قامت وغيرت اثوابي وبخرتني ثم شددت حيلي وقويت قلبي وخرجت وتمشيت الى ان دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة واذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعيني اليها فلما رأيتها وقعت مغشيا علي ثم افقت فشددت عزمي وقويت قلبي ونظرت اليها ثانيا فغبت عن الوجود ثم استفقت فرأيت معها مرآة ومنديلا احمر وحين رأتني شمرت عن ساعديها وفتحت اصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس اصابع ثم رفعت يديها وابرزت المرآة من الطاقة واخذت المنديل الاحمر ودخلت به وعادت وادلته من الطاقة الى صوب الزقاق ثلاث مرات وهي تدليه وترفعه ثم عصرته ولفته بيدها وطأطأت رأسها ثم جذبتها من الطاقة واغلقت الطاقة وانصرفت ولم تكلمني كلمة واحدة بل تركتني حيران لا اعلم ما اشارت به واستمريت جالسا الى وقت العشاء ثم جئت الى البيت قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمي واضعة يدها على خدها واجفانها تسكب العبرات وهي تنشد هذه الابيات

ما لي وللاحي عليك يعنف ✻ كيف السلو وانت غصن اهيف
يا طلعة سلبت فؤادي وانثنت ✻ ما للهوى العذري عنها مصرف
تركية الالحاظ تفعل بالحشى ✻ ما ليس يفعله الصقيل المرهف
حملتني ثقل الغرام وليس لي ✻ جلد على حمل القميص واضعف
ولقد بكيت دما لقول عواذلي ✻ من جفن من تهوى يروعك مرهف
ياليت قلبي مثل قلبك انما ✻ جسمي كخصرك بالنحافة متلف
لك يا اميري في الملاحة ناظر ✻ صعب علي وحاجب لا ينصف
كذب الذي قال الملاحة كلها ✻ في يوسف كم في جمالك يوسف
اتكلف الاعراض عنك مخافة ✻ من اعين الرقباء كم اتكلف

فلما سمعت شعرها زاد ما بي من الهموم وتكاثرت علي الغموم ووقعت في زوايا البيت فنهضت الي وحملتني وقلعتني اثوابي ومسحت وجهي بكمها ثم سألتني عن ما جرى لي فحكيت لها جميع ما حصل منها فقالت يا ابن عمي اما اشارتها بالكف والخمسة اصابع فان تفسيره تعال بعد خمسة ايام واما اشارتها بالمرآة وابرازرأسها من الطاقة فان تفسيره اقعد على دكان الصباغ حتى يأتيك رسولي فلما سمعت كلامها اشتعلت النار في قلبي وقلت بالله يا بنت عمي انك تصدقيني في هذا التفسير لاني رأيت في الزقاق صباغا يهوديا ثم بكيت فقالت ابنة عمي قوّ عزمك وثبت قلبك فان غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين ويتجلد على حر الغرام وانت لك جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم اخذت تسليني بالكلام واتت لي بالطعام فاخذت لقمة واردت ان آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام واصفر لوني وتغيرت محاسني لاني ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق الا في هذه المرة فضعفت وضعفت بنت عمي من

اجلى وصارت تذكر لى احوال العشاق والمحبين على سبيل التسلى فى كل ليلة الى ان انام وكنت استيقظ فاجدها ساهرة من اجلى ودمعها يجرى على خدها ولم ازل كذلك الى ان مضت الخمسة ايام فقامت ابنة عمى وسخنت لى ماء وحمتنى به والبستنى ثيابى وقالت لى توجه اليها قضى الله حاجتك وبلغك مقصودك من محبوبتك فمضيت ولم ازل ماشيا الى ان اتيت الى رأس الزقاق وكان ذلك فى يوم السبت فرأيت دكان الصباغ مقفولة فجلست عليها حتى اذن العصر واصفرت الشمس واذن المغرب ودخل الليل وانا لا ارى لها اثرا ولا اسمع حسا ولا خبرا فخشيت على نفسى وانا جالس وحدى فقمت وتمشيت وانا كالسكران الى ان دخلت البيت فلما دخلت رأيت ابنة عمى عزيزة واحدى يديها قابضة على وتد مدقوق فى الحائط ويدها الاخرى على صدرها وهى تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

وما وجد اعرابية بان اهلها * فحنت الى بان الحجاز ورنده

اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده

باعظم من وجدى بحبى وانما * يرى اننى اذنبت ذنبا بوده

فلما فرغت من شعرها التفتت الى فرأتنى فمسحت دموعها ودموعى بكمها وتبسمت فى وجهى وقالت لى يا ابن عمى هنأك الله بما اعطاك فلاى شئ لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها اربك فلما سمعت كلامها رفصتها برجلى فى صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على طرف الايوان وكان هناك وتد فجاء فى جبهتها فتأملتها فرأيت جبينها قد انفتح وسال دمها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما رفصت ابنة عمى فى صدرها انقلبت على طرف الايوان فجاء الوتد فى جبهتها فانفتح جبينها وسال دمها فسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم انها قامت فى الحال واحرقت حراقا وحشت به ذلك الجرح وتعصبت بعصابة ومسحت الدم الذى سال على البساط وكان ذلك شئ ما كان ثم انها اتتنى وتبسمت فى وجهى وقالت لى بلين الكلام والله يا ابن عمى ما قلت هذا الكلام استهزاء بك ولا بها وقد كنت مشغولة بوجع رأسى ومسح الدم وفى هذه الساعة قد خفت رأسى وخفت جبهتى فاخبرنى بما كان من امرك فى هذا اليوم فحكيت لها جميع ما وقع لى منها فى ذلك اليوم وبعد كلامى بكيت فقالت لى يا ابن عمى ابشر بنجاح قصدك وبلوغ املك ان هذه علامة القبول وذلك انها غابت عنك لانها تريد ان تختبرك وتعرف هل انت صابر اولا وهل انت صادق فى محبتها اولا وفى غد توجه اليها فى مكانك الاول وانظر ماذا تشير به اليك فقد قربت افراحك وزالت احزانك وصارت تسلينى على ما بى وانا لم ازل متزايد الهموم والغموم ثم قدمت لى الطعام فرفصته برجلى فانكبت كل زبدية فى ناحية وقلت كل من كان عاشقا فهو مجنون لا يميل الى طعام ولا يلتذ بمنام فقالت لى ابنة عمى عزيزة والله يا ابن عمى ان هذه علامات المحبة وسالت دموعها ولمت شقافة الزبادى ومسحت الطعام وجلست تسايرنى وانا ادعو الله ان يصبح الصباح فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح توجهت اليها ودخلت ذلك الزقاق بسرعة وجلست على تلك المسطبة واذا بالطاقة قد انفتحت وابرزت رأسها منها وهى تضحك ثم غابت ورجعت ومعها مرآة وكيس وقصرية ممتلئة بزرع اخضر وفى يدها قنديل فاول ما فعلت اخذت المرآة

فى يدها وادخلتها فى الكيس ثم ربطته ورمته فى البيت ثم ارخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على رأس الزرع لحظة ثم اخذت جميع ذلك وانصرفت به واغلقت الطاقة فانفطر قلبى من هذا الحال ومن اشاراتها الخفية ورموزها المخفية وهى لم تكلمنى بكلمة قط فاشتدلذلك غرامى وزاد وجدى وهيامى ثم انى رجعت على عقبى وانا باكى العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرأيت ابنت عمى قاعدة ووجهها الى الحائط وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة ولكن محبتها منعتها ان تخبرنى بشئ مما عندها من الغرام لما رأت ما انا فيه من كثرة الوجد والهيام ثم نظرت اليها فرأيت على رأسها عصابتين احداهما من الوقعة على جبهتها والاخرى على عينها بسبب وجع اصابها من شدة بكائها وهى فى اسوء الحالات تبكى وتنشد هذه الابيات

ايما كنت انت لم تزل بامان * ايها الراحل المقيم بقلبى
ولك الله حيث امسيت جار * منقذ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لبعدك عينى * واستهلت مدامعى اى سكب
ليت شعرى باى ارض ومغنى * انت مستوطن بدار وشعب
ان يكن شربك القراح زلالا * فدموعى من المحاجر شربى
كل شئ سوى فراقك عذب * كالتجافى بين الرقاد وجنبى

فلما فرغت من شعرها نظرت الى فرأتنى وهى تبكى فمسحت دموعها ونهضت الى ولم تقدران تتكلم مما هى فيه من الوجد ولم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يا ابن عمى اخبرنى بما حصل لك منها فى هذه المرة فاخبرتها بجميع ما حصل لى فقالت لى اصبر فقد آن اوان وصالك وظفرت ببلوغ امالك اما اشارتها لك بالمرآة وكونها ادخلتها فى الكيس فانها تقول لك اصبر الى ان تغطس الشمس واما ارخاؤها شعرها على وجهها فانها تقول لك اذا اقبل الليل وانسدل سواد الظلام وعلى نور النهار فتعال واما اشارتها لك بالقصرية التى فيها الزرع فانها تقول لك اذا جئت فادخل البستان الذى وراء الزقاق واما اشارتها لك بالقنديل فانها تقول لك اذا دخلت البستان فامش فيه واى موضع وجدت فيه القنديل مضيئا فتوجه اليه واجلس تحته وانتظرنى فان هواك قاتلى فلما سمعت كلام ابنة عمى صحت من فرط الغرام وقلت كم تعدينى واتوجه اليها ولا احصل مقصودى ولا اجد لتفسيرك معنى صحيحا فعند ذلك ضحكت بنت عمى وقالت لى بقى عليك من الصبر ان تصبر بقية هذا اليوم الى ان يولى النهار ويقبل الليل بالاعتكار فتحظى بالوصال وبلوغ الامال وهذا الكلام صدق بغير مين ثم انشدت هذين البيتين

درج الايام تندرج * وبيوت الهم لا تلج
رب امر عز مطلبه * قربته ساعة الفرج

ثم انها اقبلت على وصارت تسليني بلين الكلام ولم تجسران تأتينى بشئ من الطعام مخافة من غضبى عليها ورجاء ميلى اليها ولم يكن لها قصد الا انها اتت الى وقلعتنى ثيابى ثم قالت يا ابن عمى اقعد معى حتى احدثك بما يسليك الى آخر النهار وان شاء الله تعالى ما يأتى الليل الا وانت عند محبوبتك فلم التفت اليها وصرت انتظر مجيء الليل واقول يارب عجل بمجيء الليل فلما اتى الليل بكت ابنة عمى بكاء شديدا واعطتنى حبة مسك خالص وقالت لى يا ابن عمى اجعل هذه الحبة فى فمك فاذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمعت

لك بما تمنيت فانشدها هذا البيت

الا ايها العشاق بالله خبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

ثم انها قبلتني وحلفتني اني لا انشدها ذلك البيت الشعر الا بعد خروجي من عندها فقلت لها سمعا وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم ازل ماشيا حتى وصلت الى البستان فوجدت بابه مفتوحا فدخلته فرأيت نورا على بعد فقصدته فلما وصلت اليه وجدت مقعدا عظيما معقودا عليه قبة من العاج والابنوس والقنديل معلق في وسط تلك القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة في شمعدان من الذهب تحت القنديل وفي وسط المقعد فسقية فيها انواع التصاوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة بفوطة من الحرير والى جانبها باطية كبيرة من الصيني مملوءة خمرا وفيها قدح من بلور مزركش بالذهب والى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطى فكشفته فرأيت فيه من سائر الفواكه ما بين تين ورمان وعنب ونارنج واترج وكباد وبينها انواع الرياحين من ورد وياسمين وآس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عني الهم والترح لكني ما وجدت في هذه الدار احدا من خلق الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح لكني ما وجدت فيه احدا من خلق الله تعالى ولم ار عبدا ولا جارية ولا من يعاني هذه الامور فجلست في ذلك المقعد انتظر مجيء محبوبة قلبي الى ان مضى اول ساعة من الليل وثاني ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتد بي الم الجوع لان لي مدة من الزمان ما اكلت طعاما لشدة وجدي فلما رأيت ذلك المكان وظهر لي صدق بنت عمي في فهم اشارة معشوقتي استرحت ووجدت الم الجوع وقد شوقتني روائح الطعام الذي في السفرة لما وصلت الى ذلك المكان واطمأنت نفسي بالوصال فاشتهت نفسي الاكل فتقدمت الى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت في وسطها طبقا من الصيني وفيه اربع دجاجات محمرة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق اربع زبادي واحدة حلوى والاخرى حب الرمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادي ما بين حلو وحامض فاكلت من القطائف وقطعة لحم وعمدت الى البقلاوة واكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوى واكلت ملعقة او اثنتين او ثلاثا او اربعا واكلت بعض دجاجة واكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطني وارتخت مفاصلي وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسي على وسادة بعد ان غسلت يدي فغلبني النوم ولم اعلم بما جرى لي بعد ذلك فما استيقظت حتى احرقني حر الشمس لان لي اياما ما ذقت مناما فلما استيقظت وجدت على بطني ملحا وفحما فانتصبت قائما ونفضت ثيابي وقد تلفت يمينا وشمالا فلم اجد احدا ووجدتني كنت نائما على الرخام من غير فرش فتحيرت في عقلي وحزنت حزنا عظيما وجرت دموعي على خدي وتأسفت على نفسي فقمت وقصدت البيت فلما وصلت اليه وجدت ابنة عمي تدق بيدها على صدرها وتبكي بدمع يباري السحب الماطرات وتنشد هذه الابيات

هب ريح من الحمى ونسيم * فاهاج الهوى بنشر هبوبه

يا نسيم الصبا هلم الينا * كل صب بحظه ونصيبه

لو قدرنا من الغرام اعتنقنا * كاعتناق المحب صدر حبيبه
حرم الله بعد وجه ابن عمي * كل عيش من الزمان وطيبه
ليت شعري هل قلبه مثل قلبي * ذائب من حر الهوى واهيبه

فلما رأتني قامت مسرعة ومسحت دموعها واقبلت على بلين كلامها وقالت لي يا ابن عمي انت في عشقك قد لطف الله بك حيث احبك من تحب وانا في بكائي وحزني على فراقك من يطلبني ولكن لا اخذلك الله من جهتي ثم انها تبسمت في وجهي تبسم الغيظ ولاطفتني وقلعتني اثوابي ونشرتها وقالت والله ما هذه روائح من حظي بمحبوبه فاخبرني بما جرى لك يا ابن عمي فاخبرتها بجميع ما جرى لي فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت ان قلبي ملآن موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك تعززا قويا والله يا ابن عمي اني خائفة عليك منها واعلم يا ابن عمي ان تفسير الملح هو انك مستغرق في النوم فكانك داعم الطعم بحيث تعافك النفوس فينبغي لك ان تتملح حتى لا تمجك الطباع لانك تدعي انك من العشاق الكرام والنوم على العشاق حرام فدعواك المحبة كاذبة وكذلك هي محبتها لك كاذبة لانها لما رأتك نائما لم تنبهك ولو كانت محبتها لك صادقة لنبهتك واما الفحم فان تفسير اشارته سود الله وجهك حيث ادعيت المحبة كذبا وانما انت صغير ولم يكن لك همة الا الاكل والشرب والنوم وهذا تفسير اشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلما سمعت كلامها ضربت بيدي على صدري وقلت والله ان هذا هو الصحيح لاني نمت والعشاق لا ينامون فانا الظالم لنفسي وما كان اضر علي من الاكل والنوم فكيف يكون الامر ثم اني زدت في البكاء وقلت لابنة عمي دليني على شيء افعله وارحميني يرحمك الله والا اموت وكانت بنت عمي تحبني محبة عظيمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فقلت لابنة عمي دليني على شيء افعله وارحميني يرحمك الله وكانت تحبني محبة عظيمة فقالت على رأسي وعيني ولكن يا ابن عمي قد قلت لك مرارا لو كنت ادخل واخرج لكنت اجمع بينك وبينها في اقرب زمن واغطيكما بذيلي ولا افعل معك هذا الا اقصد رضاك وان شاء الله تعالى ابذل غاية الجهد في الجمع بينكما ولكن اسمع قولي واطع امري واذهب الى نفس ذلك المكان واقعد هناك فاذا كان وقت العشاء فاجلس في الموضع الذي كنت فيه واحذر ان تأكل شيأ لان الاكل يجلب النوم واياك ان تنام فانها لا تأتي لك حتى يمضي من الليل ربعه كفاك الله شرها فلما سمعت كلامها فرحت وصرت ادعو الله ان يأتي الليل فلما اتى الليل اردت الانصراف فقالت لي ابنة عمي اذا اجتمعت بها فاذكر لها البيت المتقدم وقت انصرافك فقلت لها على الرأس والعين فلما خرجت وذهبت الى البستان وجدت المكان مهيأ على الحالة التي رأيتها اولا وفيه ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والنقل والمشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسي اليه فمنعتها مرارا فلم اقدر على منعها فقمت واتيت الى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله اربع زبادي من الطعام فيها اربعة الوان فاكلت من كل لون لقمة واكلت ما تيسر من الحلوى واكلت قطعة لحم وشربت من الزردة واعجبتني فاكثرت الشرب منها بالملعقة حتى شبعت وامتلأت بطني وبعد ذلك انطبقت اجفاني فاخذت وسادة ووضعتها تحت رأسي وقلت لعلي اتكئ عليها ولا انام فاغمضت عيني ونمت

ورما

وما انتبهت حتى طلعت الشمس فوجدت على بطنى كعب عظم وفردة طاب ونواية بلح وبزرة خروب وليس في المكان شئ من فرش ولا غيره وكانه لم يكن فيه شئ بالامس فقمت ونفضت الجميع عنى وخرجت وانا مغتاظ الى ان وصلت الى البيت فوجدت ابنة عمى تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

جسد ناحل وقلب جريح * ودموع على الخدود تسيح
وحبيب صعب التجنى ولكن * كلما يفعل المليح مليح
يا ابن عمى ملأت بالوجد قلبى * ان طرفى من الدموع قريح

فنهرت ابنة عمى وشتمتها فبكت ثم مسحت دموعها واقبلت على وقبلتنى واخذت تضمنى الى صدرها وانا اتباعد عنها واعاتب نفسى فقالت لى يا ابن عمى كانك نمت فى هذه الليلة فقلت لها نعم ولكننى لما انتبهت وجدت كعب عظم على بطنى وفردة طاب ونواية بلح وبزرة خروب وما ادرى لاى شئ فعلت هكذا ثم بكيت واقبلت عليها وقلت لها فسرى لى اشارة فعلها هذا وقولى لى ماذا افعل وساعدينى على الذى انا فيه فقالت على الرأس والعين اما فردة الطاب التى وضعتها على بطنك فانها تشير لك بها الى انك حضرت وقلبك غائب وكانها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين واما نواية البلح فانها تشير لك بها الى انك لو كنت عاشقا لكان قلبك محترقا بالغرام ولم تذق لذيذ المنام فان لذة الحب كتمرة الهبت فى الفؤاد جمرة واما بزرة الخروب فانها تشير لك بها الى ان قلب المحب متعوب وتقول لك اصبر على فراقنا صبر ايوب فلما سمعت هذا التفسير انطلقت فى فؤادى النيران وزادت بقلبى الاحزان فصحت وقلت قدر الله على النوم اقلة بختى ثم قلت لها يا ابنة عمى بحياتى عندك ان تدبرى لى حيلة اتوصل بها اليها فبكت وقالت يا عزيز يا ابن عمى ان قلبى ملآن بالفكر ولا اقدر ان اتكلم ولكن رح الليلة الى ذلك المكان واحذر ان تنام فانك تبلغ المرام هذا هو الرأى والسلام فقلت لها ان شاء الله لا انام وانما افعل ما تأمرينى به فقامت بنت عمى واتت لى بالطعام وقالت لى كل الان ما يكفيك حتى لا يبقى فى خاطرك شئ فاكلت كفايتى ولما اتى الليل قامت بنت عمى واتتنى ببدلة عظيمة والبستنى اياها وحلفتنى ان اذكر لها البيت المذكور وحذرتنى من النوم ثم خرجت من عند بنت عمى وتوجهت الى البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت افتح عينى باصابعى واهز رأسى حين جن الليل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فدخلت البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت افتح عينى باصابعى واهز رأسى حين جن الليل فجعت من السهر وهبت على روائح الطعام فازداد جوعى وتوجهت الى السفرة وكشفت غطاءها واكلت من كل لون لقمة واكلت قطعة لحم واتيت الى باطية الخمر وقلت فى نفسى اشرب قدحا فشربته ثم شربت الثانى والثالث الى غاية عشرة وقد ضربنى الهوى فوقعت على الارض كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرأيت نفسى خارج البستان وعلى بطنى شفرة ماضية ودرهم حديد فارتجفت واخذتهما واتيت بهما الى البيت فوجدت ابنة عمى تقول انى فى هذا البيت مسكينة حزينة ليس لى معين الا البكاء فلما دخلت وقعت من طولى ورميت السكين والدرهم من يدى وغشى على فلما افقت من غشيتى عرفتها بما حصل لى وقلت لها انى لم

انك اربي فاشتد حزنها على لما رأت بكائى ووجدى وقالت لى انى عجزت وانا انصحك عن النوم فلم تسمع نصحى فكلامى لا يفيدك شيأ فقلت لها اسألك بالله ان تفسرى لى اشارة السكين والدرهم الحديد فقالت اما الدرهم الحديد فانها تشير به الى عينها اليمين وانها تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعينى اليمين ان رجعت ثانى مرة ونمت لاذبحنك بهذه السكين وانا خائفة عليك يا ابن عمى من مكرها وقلبى ملآن بالحزن عليك فما اقدر ان اتكلم فان كنت تعرف من نفسك انك ان رجعت اليها لا تنام فارجع اليها واحذر النوم فانك تفوز بحاجتك وان عرفت انك ان رجعت اليها تنام على عادتك ثم رجعت اليها ونمت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون العمل يا بنت عمى اسالك بالله ان تساعدينى فى هذه البلية فقالت على عينى ورأسى ولكن ان سمعت كلامى واطعت امرى قضيت حاجتك فقلت لها انى اسمع كلامك واطيع امرك فقالت اذا كان وقت الرواح اقول لك ثم ضمتنى الى حضنها ووضعتنى على الفراش ولا زالت تكبسنى حتى غلبنى النعاس واستغرقت فى النوم فاخذت مروحة وجلست عند رأسى تروح على وجهى الى آخر النهار ثم نبهتنى فلما انتبهت وجدتها عند رأسى وفى يدها المروحة وهى تبكى ودموعها قد بلت ثيابها فلما رأتنى استيقظت مسحت دموعها وجاءت بشئ من الاكل فامتنعت منه فقالت لى اما قلت لك اسمع منى وكل فاكلت ولم اخالفها وصارت تضع الاكل فى فمى وانا امضغ حتى امتلأت ثم اسقتنى نقيع عناب بالسكر ثم غسلت يدى ونشفتها بمحرمة ورشت على ماء الورد وجلست معها وانا فى عافية فلما اظلم الليل البستنى ثيابى وقالت يا ابن عمى اسهر جميع الليل ولا تنم فانها ما تأتيك فى هذه الليلة الا فى آخر الليل وان شاء الله تجتمع بها فى هذه الليلة ولكن لا تنس وصيتى ثم بكت فاوجعنى قلبى عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التى وعدتنى بها فقالت لى اذا انصرفت من عندها فانشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجت من عندها وانا فرحان ومضيت الى البستان وطلعت المقعد وانا شبعان فجلست وسهرت الى ربع الليل ثم طال الليل على حتى كانه سنة فكنت ساهرا حتى مضى ثلاثة ارباع الليل وصاحت الديوك فاشتد عندى الجوع من السهر فقمت الى السفرة واكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسى واردت ان انام واذا بضجة على بعد فنهضت وغسلت يدى وفمى ونبهت نفسى فما كان الا قليل واذا بها اتت ومعها عشر جوار وهى بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها حلة من الاطلس الاخضر مزركشة بالذهب الاحمر وهى كما قال الشاعر

تتيه على العشاق فى حلل خضر * مفككة الازرار محلولة الشعر

فقلت لها ما الاسم قالت انا التى * كويت قلوب العاشقين على الجمر

شكوت اليها ما اقاسى من الهوى * فقالت الى صخر شكوت ولم تدر

فقلت لها ان كان قلبك صخرة * فقد انبع الله الزلال من الصخر

فلما رأتنى ضحكت وقالت كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمت انك عاشق لان من شيم العشاق سهر الليل فى مكابدة الاشواق ثم اقبلت على الجوارى وغمزتهن فانصرفن عنها واقبلت على وضمتنى الى صدرها وقبلتنى وقبلتها ومصت شفتى التحتانية ومصصت شفتها الفوقانية ثم مددت يدى الى خصرها وغمزته وما نزلنا فى الارض الاسواء وحلت سراويلها فنزلت فى خلاخل رجليها واخذنا فى الهراش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعض وحل السيقان والطواف بالبيت والاركان الى ان ارتخت مفاصيلها وغشى عليها ودخلت فى الغيبوبة وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر كما قال فيها الشاعر

اهنى ليالى الدهر عندى ليلة * لم اخل فيها الكاس من اعمال
فرقت فيها بين جفنى والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

فلما اصبح الصباح اردت الانصراف واذا بها امسكتنى وقالت لى قف حتى اخبرك بشئ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فلما اصبح الصباح اردت الانصراف واذا بها امسكتنى وقالت قف حتى اخبرك بشئ واوصيك وصية فوقفت فحلت منديلا واخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامى فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجبت منها غاية العجب فاخذته وتواعدت انا واياها انى اسعى اليها كل ليلة فى ذلك البستان ثم انصرفت من عندها وانا فرحان ومن فرحى نسيت الشعر الذى اوصتنى به بنت عمى وحين اعطتنى الخرقة التى فيها صورة الغزال قالت لى هذا عمل اختى فقلت لها وما اسم اختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهذه الخرقة ثم ودعتها وانصرفت وانا فرحان ومشيت الى ان دخلت على ابنة عمى فوجدتها راقدة فلما رأتنى قامت ودموعها تتساقط ثم اقبلت على وقبلت صدرى وقالت هل فعلت ما اوصيتك به من انشاد البيت الشعر فقلت لها انى نسيته وما اشغلنى عنه الا صورة هذا الغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولم تطق الصبر وافاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

يا طالبا للفراق مهلا * ولا يغرنك العناق
مهلا فطبع الزمان غدر * وآخر الصحبة الفراق

فلما فرغت من شعرها قالت يا ابن عمى هب لى هذه الخرقة فوهبتها لها فاخذتها ونشرتها ورأت ما فيها فلما جاء وقت ذهابى قالت ابنة عمى اذهب مصحوبا بالسلامة ولكن اذا انصرفت من عندها فانشدها البيت الشعر الذى اخبرتك به اولا ونسيته فقلت لها اعيديه لى فاعادته ثم مضيت الى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية فى انتظارى فلما رأتنى قامت وقبلتنى واجلستنى فى حجرها ثم اكلنا وشربنا وقضينا غراضنا كما تقدم ولا حاجة الى الاعادة فلما اصبح الصباح انشدتها البيت الشعر وهو

الا ايها العشاق بالله خبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فلما سمعته هملت عيناها بالدموع وانشدت تقول

يدارى هواه ثم يكتم سره * ويصبر فى كل الامور ويخضع

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمى ثم خرجت واتيت الى ابنة عمى فوجدتها راقدة وامى عند رأسها تبكى على حالها فلما دخلت عليها قالت لى امى تبا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولا تسأل عن مرضها فلما رأتنى ابنة عمى رفعت رأسها وقعدت وقالت لى يا عزيز هل انشدتها البيت الذى اخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وانشدتنى بيتا آخر وحفظته فقالت بنت عمى اسمعنى اياه فلما اسمعتها اياه بكت بكاء شديدا وانشدت هذا البيت

لقد حاول الصبر الجميل ولم يجد * له غير قلب فى الصبابة يجزع

ثم قالت لى ابنة عمى اذا ذهبت اليها على عادتك فانشدها هذا البيت الذى سمعته فقلت لها سمعا وطاعة

ثم ذهبت اليها فى البستان على العادة وكان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلما اردت الانصراف انشدتها ذلك البيت وهو لقد حاول الى آخره فلما سمعته سالت مدامعها من المحاجر وانشدت قول الشاعر

فان لم يجد صبرا لكتمان سره ❊ فليس له عندى سوى الموت انفع

فحفظته وتوجهت الى البيت فلما دخلت على ابنة عمى وجدتها ملقاة مغشيا عليها وامى جالسة عند رأسها فلما سمعت كلامى فتحت عيناها وقالت يا عزيز هل انشدتها البيت الشعر قلت لها نعم ولما سمعته بكت وانشدتنى هذا البيت فان لم يجد الى آخره فلما سمعته بنت عمى غشى عليها ثانيا فلما افاقت انشدت هذا البيت وهو

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا ❊ سلامى على من كان للوصل يمنع

ثم لما اقبل الليل مضيت الى البستان على مجرى عادتى فوجدت الصبية فى انتظارى فجلسنا واكلنا وشربنا وعملنا حظنا ثم نمنا الى الصباح فلما اردت الانصراف انشدتها ما قالته ابنة عمى فلما سمعت ذلك صرخت صرخة عظيمة وتضجرت وقالت والله ان قائلة هذا الشعر قد ماتت ثم بكت وقالت ويلك ما تقرب لك قائلة هذا الشعر قلت لها انها ابنة عمى قالت كذبت والله لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ما عندها لك فانت الذى قتلتها قتلك الله كما قتلتها والله لو اخبرتنى ان لك ابنة عم ما قربتك منى فقلت لها انها ابنة عمى وكانت تفسر لى الاشارات التى كنت تشيرين بها الى وهى التى علمتنى ما افعل معك وما وصلت اليك الا بحسن تدبيرها فقالت وهل عرفت بنا قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها ثم قالت لى رح انظرها فذهبت وخاطرى متشوش وما زلت ماشيا حتى وصلت الى زقاقنا فسمعت عياطا فسألت عنه فقيل لى ان عزيزة وجدناها خلف الباب ميتة ثم دخلت الدار فلما رأتنى امى قالت ان خطيئتها فى عنقك فلا سامحك الله من دمها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك ثم دخلت الدار فلما رأتنى امى قالت ان خطيئتها فى عنقك فلا سامحك الله من دمها تبا لك من ابن عم ثم ان ابى جاء وجهزناها وشيعنا جنازتها ودفناها وعملنا على قبرها الختمات ومكثنا على القبر ثلاثة ايام ثم رجعت الى البيت وانا حزين عليها فاقبلت على امى وقالت لى ان قصدى ان اعرف ما كنت تفعله معها حتى فقعت مرارتها وانى يا ولدى كنت اسألها فى كل الاوقات عن سبب مرضها فلم تخبرنى به ولم تطلعنى عليه فبالله عليك ان تخبرنى بالذى كنت تصنعه معها حتى ماتت فقلت ما عملت شيأ فقالت الله يقتص لها منك فانها ما ذكرت لى شيأ بل كتمت امرها حتى ماتت وهى راضية عنك ولما ماتت كنت عندها ففتحت عينيها وقالت لى يا امرأة عمى جعل الله ولدك فى حل من دمى ولا آخذه بما فعل معى وانما نقلنى الله من الدنيا الفانية الى الآخرة الباقية فقلت يا بنتى سلامتك وسلامة شبابك وصرت اسألها عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت وقالت يا امرأة عمى اذا اراد ابنك ان يذهب الى الموضع الذى عادته الذهاب اليه فقولى له ان يقول هذين الكلمتين عند انصرافه منه الوفاء مليح والغدر قبيح وهذه شفقة منى عليه لاكون شفوقة عليه فى حياتى وبعد مماتى ثم اعطتنى لك حاجة وحلفتنى

انى لا اعطيها لك حتى اراك تبكى عليها وتنوح والحاجة عندى فاذا رأيتك على الصفة التى ذكرتها
اعطيتك اياها فقلت لها ارنى اياها فما رضيت ثم انى اشتغلت بلذاتى ولم اتذكر فى موت ابنة عمى لانى كنت
طايش العقل وكنت اود فى نفسى ان اكون طول ليلى ونهارى عند محبوبتى وما صدقت ان الليل اقبل حتى
مضيت الى البستان فوجدت الصبية جالسة على مقالى النار من كثرة الانتظار فما صدقت انها رأتنى
وبادرت الى وتعلقت برقبتى وسألتنى عن بنت عمى فقلت لها انها ماتت وعملنا لها الذكر والختمات ومضى
لها اربع ليال وهذه الخامسة فلما سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت اما قلت لك انك قتلتها ولو اعلمتنى بها
قبل موتها لكنت كافئتها على ما فعلت معى من المعروف فانها خدمتنى واوصلتك الى ولولاها ما اجتمعت
بك وانا خائفة عليك ان تقع فى مصيبة بسبب رزيتها فقلت لها انها قد جعلتنى فى حل قبل موتها ثم ذكرت
لها ما اخبرتنى به امى فقالت بالله عليك اذا ذهبت الى امك فاعرف الحاجة التى عندها فقلت لها ان امى
قالت لى ان ابنة عمك قبل ان تموت اوصتنى وقالت لى اذا اراد ابنك ان يذهب الى الموضع الذى عادته الذهاب
اليه فقولى له هاتين الكلمتين الوفا مليح والغدر قبيح فلما سمعت الصبية ذلك قالت رحمة الله تعالى
عليها فانها خلصتك منى وقد كنت اضمرت على ضررك فانا لا اضرك ولا اشوش عليك فتعجبت من ذلك
وقلت لها وما كنت تريدين قبل ذلك ان تفعليه معى وقد صار بينى وبينك مودة فقالت انت مولع بى ولكنك
صغير السن وقلبك خال عن الخداع فانت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانت فى قيد الحياة لكانت
معينة لك فانها سبب سلامتك حيث انجتك من الهلكة والان اوصيك ان لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب
واحدة من امثالنا لا صغيرة ولا كبيرة فاياك ثم اياك لانك غير عارف بخداع النساء ولا مكرهن والتى كانت
تفسر لك الاشارات قد ماتت وانى اخاف عليك ان تقع فى رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك ثم ان الصبية قالت لى انى اخاف عليك ان تقع
فى رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك فوا حسرتاه على بنت عمك وليتنى علمت بها قبل
موتها حتى اكافئها على ما فعلت معى من المعروف رحمة الله تعالى عليها فانها كتمت سرها ولم تبح
بما عندها ولولاها ما كنت تصل الى ابدا وانى اشتهى عليك امرا فقلت ما هو قالت ان توصلنى الى قبرها
حتى ازورها فى القبر الذى هى فيه واكتب عليه ابياتا فقلت لها فى غد ان شاء الله تعالى ثم انى نمت
معها تلك الليلة وهى بعد كل ساعة تقول لى ليتك اخبرتنى بابنة عمك قبل موتها فقلت لها ما معنى
هذين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفا مليح والغدر قبيح فلم تجبنى فلما اصبح الصباح قامت واخذت كيسا
فيه دنانير وقالت لى قم وارنى قبرها حتى ازوره واكتب عليه ابياتا واعمل عليه قبة واترحم عليها
واصرف هذه الدنانير صدقة عن روحها فقلت لها سمعا وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفى وصارت
تتصدق وهى ماشية فى الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة عن روح عزيزة التى كتمت سرها
حتى شربت كاس منياها ولم تبح بسر هواها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول عن روح عزيزة حتى
وصلنا الى القبر ونفد ما فى الكيس فلما عاينت القبر رمت روحها عليه وبكت بكاء شديدا ثم انها اخرجت
بيكارا من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطت بالبيكار على الحجر الذى على رأس القبر خطا لطيفا ورسمت

هذه الابيات

مررت بقبر دارس وسط روضة * عليه من النعمان سبع شقايق
فقلت لمن ذا القبر جاوبنى الثرى * تأدب فهذا القبر برزخ عاشق
فقلت رعاك الله ياميت الهوى * واسكنك الفردوس اعلى الشواهق
مساكين اهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين الخلائق
فان استطع زرعا زرعتك روضة * واسقيتها من دمعى المتدافق

ثم بكت بكاء شديدا وقامت وقمت معها وتوجهنا الى البستان فقالت لى سألتك بالله انك لاتقطع عنى ابدا فقلت سمعا وطاعة ثم انى صرت اتردد عليها وكلما بت عندها تحسن الى وتكرمنى وتسألنى عن الكلمتين اللتين قالتهما ابنة عمى عزيزة لامى فاعيدهما لها ومازلت على ذلك الحال من اكل وشرب وضم وعناق وتغيير ثياب من الملابس الرقاق حتى غلظت وسمنت ولم يكن بى هم ولاغم ولاحزن ونسيت ابنة عمى ومكثت مستغرقا فى تلك اللذات سنة كاملة وعند رأس السنة دخلت الحمام واصلحت شأنى ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من الحمام شربت قدحا من الشراب وشممت روايح قماشى المضمخ بانواع الطيب وانا خالى القلب من غدرات الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسى الذهاب اليها وانا سكران لاادرى اين اتوجه فذهبت اليها فمال بى السكر الى زقاق يقال له زقاق النقيب فبينما انا ماش فى ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفى احدى يديها شمعة مضيئة وفى يدها الاخرى كتاب ملفوف
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب الذى اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذى يقال له زقاق النقيب مشيت فيه فبينما انا ماش فى ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفى احدى يديها شمعة مضيئة وفى يدها الاخرى كتاب ملفوف فتقدمت اليها وهى باكية العين وتنشد هذين البيتين

لله در مبشرى بقدومكم * فلقد اتى بلطائف المسموع
لو كان يقنع بالخليع وهبته * قلبا تمزق ساعة التوديع

فلما رأتنى قالت لى ياولدى هل تعرف ان تقرأ فقلت لها نعم ياخالتى العجوز فقالت لى خذ هذا الكتاب واقرأه لى وناولتنى الكتاب فاخذته منها وفتحته وقرأته عليها مضمونه انه كتاب من عند الغياب بالسلام على الاحباب فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لى وقالت لى فرج الله همك كما فرجت همى ثم اخذت الكتاب ومشت خطوتين وغلبنى حصر البول فقعدت فى مكان لاريق الماء ثم انى قمت وتجمرت وارخيت اثوابى واردت ان امشى واذا بالعجوز قد اقبلت على وقبلت يدى وقالت يامولاى الله تعالى يهنيك بشبابك ولايفضحك ارجاك ان تمشى معى خطوات الى ذلك الباب فانى اخبرتهم بما اسمعتنى اياه فى قراءة الكتاب فلم يصدقونى فامش معى خطوتين واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب واقبل دعائى لك فقلت لها وما قصة هذا الكتاب فقالت لى ياولدى هذا الكتاب جاء من عند ولدى وهو غائب عنى مدة عشر سنين فانه سافر بمتجر ومكث فى الغربة تلك المدة فقطعنا الرجاء وظننا انه مات ثم وصل الينا منه هذا الكتاب وله اخت تبكى

عليه فى مدة غيابه آناء الليل واطراف النهار فقلت لها انه طيب بخير فلم تصدقنى وقالت لى لا بد ان تأتينى بمن يقرأ هذا الكتاب فيخبرنى حتى يطمئن قلبى ويطيب خاطرى وانت تعلم يا ولدى ان المحب مولع بسوء الظن فانعم على بقراءة هذا الكتاب وانت واقف خلف الستارة واختها تسمع من داخل الباب لاجل ان يحصل لك ثواب من قضى لمسلم حاجة ونفس عنه كربة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مكروب كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة وفى حديث آخر من نفس عن اخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه اثنين وسبعين كربة من كرب يوم القيامة وانا قصدتك فلا تخيبنى فقلت لها سمعا وطاعة تقدمى قدامى فمشت قدامى ومشيت خلفها قليلا حتى وصلت الى باب دار عظيمة وذلك الباب مصفح بالنحاس الاحمر فوقفت خلف الباب وصاحت العجوز بالعجمية فما شعرت الا وصبية قد اقبلت بخفة ونشاط وهى مشمرة اللباس الى ركبتيها فرأيت لها ساقين يحيران الفكر والناظر وهى كما قال فى وصفها الشاعر

يا من يشمر عن ساق ليعرضه * على المحبين حتى يفهم الباقى
وطاف يسعى بكأس نحو عاشقه * ما افتن الناس غير الكاس والساقى

وزان ساقيها اللتين كانهما عمودان من مرمر خلاخل الذهب المرصعة بالجوهر وكانت تلك الصبية مشمرة ثيابها الى تحت ابطيها ومشمرة عن ذراعيها فنظرت معاصمها البيض وفى يديها زوجان من الاساور وفى اذنيها قرطان من اللؤلؤ وفى عنقها عقد من ثمين الجواهر وعلى رأسها كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص الثمينة وقد رشقت اطراف قميصها من داخل دكة اللباس وهى كانها كانت تعمل شغلا فلما رأتنى قالت بلسان فصيح عذب ما سمعت احلى منه يا امى اهذا الذى جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمدت يدها الى بالكتاب وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة فمددت يدى لاتناول منها الكتاب وادخلت رأسى واكتافى من الباب لاقرب منها فما ادرى الا والعجوز قد وضعت رأسها فى ظهرى ودفعتنى ويدى ماسكة الكتاب فالتفت فرأيت نفسى فى وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز اسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل الا قفل الباب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك فالتفت فرأيت نفسى فى وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز اسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل الا قفل الباب ثم ان الصبية لما رأتنى من داخل الدهليز اقبلت على وضمتنى الى صدرها ورمتنى على الارض وركبت فوق صدرى وعصرت بطنى بيدها فغبت عن الوجود ثم اخذتنى بيدها ولم اقدر ان اتخلص منها من شدة ما حضنتنى ثم دخلت بى ودخلت العجوز قدامها والشمعة مضيئة معها حتى قطعت سبع دهاليز وبعد ذلك دخلت بى قاعة كبيرة باربعة لواوين يلعب فيها الخيال بالاكر ثم اجلستنى وقالت لى افتح عينك ففتحت عينى وانا دائخ من شدة ما ضمتنى وعصرتنى فرأيت جميع بناء القاعة من ابهج المرمر وجميع فرشها من الديباج وكذلك المخدات والمراتب وهناك دكتان من النحاس الاصفر وسرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر لا يصلح الا لملك مثلك ثم قالت لى يا عزيز اى الحالتين احب اليك الموت ام الحياة فقلت لها الحياة فقالت اذا كانت الحياة احب اليك فتزوج بى فقلت انا اكره ان اتزوج بمثلك فقالت لى ان تزوجت بى تسلم من بنت الدليلة

المحتالة فقلت لها ما رمن الدليلة المحتالة فضحكت وقالت كيف لا تعرفها وانت لك فى صحبتها اليوم سنة واربعة شهور اهلكها الله تعالى والله ما يوجد امكر منها وكم قتلت شخصا قبلك وكم عملت عملة وكيف سلمت منها ولم تقتلك او تشوش عليك ولك فى صحبتها هذه المدة فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها يا سيدتى ومن عرفك بها فقالت انا اعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه لكن قصدى ان تحكى لى جميع ما وقع لك منها حتى اعرف ما سبب سلامتك منها فحكيت لها جميع ما جرى لى معها ومع ابنة عمى عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يدا على يد لما سمعت بموت ابنة عمى عزيزة وقالت عوضك الله فيها خيرا يا عزيز فانها هى سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ولولا هى لكنت هلكت وانا خائفة عليك من مكرها وشرها ولكن ما اقدر ان اتكلم فقلت لها والله ان ذلك كله قد حصل فهزت رأسها وقالت لا يوجد اليوم مثل عزيزة فقلت وعند موتها اوصتنى ان اقول هاتين الكلمتين لا غيرهما الوفا مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك منى قالت لى يا عزيز والله ان هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها وبسببهما ما قتلتك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة والله انى كنت اتمنى الاجتماع بك ولو يوما واحدا فلم اقدر على ذلك الا فى هذا الوقت حتى تحيلت عليك بهذه الحيلة وقد تمت وانت الان صغير لا تعرف مكر النساء ولا دواهى العجائز فقلت لا والله فقالت لى طب نفسا وقر عينا فان الميت مرحوم والحى ملطوف به وانت شاب مليح وانا ما اريدك الا بسنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهما اردت من مال وقماش يحضر لك سريعا وما اكلفك بشئ ابدا وايضا عندى دائما الخبز مخبوز والماء فى الكوز وما اريد منك الا ان تعمل معى كما يعمل الديك فقلت لها وما الذى يعمله الديك فضحكت وصفقت بيدها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم انها قعدت وقالت لى اما تعرف صنعة الديك فقلت لا والله ما اعرف صنعة الديك قالت صنعة الديك ان تأكل وتشرب وتنيك فخجلت انا من كلامها ثم انى قلت اهذه صنعة الديك فقالت نعم وما اريد الان الا ان تشد وسطك وتقوى عزمك وتنيك جهدك ثم انها صفقت بيدها وقالت يا امى احضرى من عندك واذا بالعجوز قد اقبلت باربعة شهود عدول ثم انها اوقدت اربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا على وجلسوا فقامت الصبية وارخت عليها الازار ووكلت بعضهم فى ولاية عقدها وقد كتبوا الكتاب واشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وان فى ذمتها الى عشرة الاف درهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال لتاج الملوك واشهدت على نفسها انها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وان فى ذمتها الى عشرة الاف درهم ثم انها اعطت الشهود اجرتهم وانصرفوا من حيث اتوا فعند ذلك قامت الصبية وقلعت اثوابها واتت فى قميص رفيع مطرز بطراز من الذهب وقلعت لباسها واخذت بيدى وطلعت بى فوق السرير وقالت لى ما فى الحلال من عيب ووقعت على السرير وانسطحت على ظهرها ورمتنى على صدرها ثم شهقت شهقة واتبعت الشهقة بغنجة ثم كشفت الثوب حتى جعلته فوق نهودها فلما رأيتها على تلك الحالة لم اتمالك نفسى دون ان اولجته فيها بعد ان مصصت شفتها وهى تتأوه وتظهر الخشوع والخضوع والبكاء بالدموع واذكرتنى فى هذا الحال قول من قال

ولما كشفت الثوب عن سطح كسها ❊ وجدت به ضيقا كخلقى وارزاقى

فاولجت فيه انصفه فتنهدت * فقلت لما هذا فقالت على الباقي

ثم قالت يا حبيبي اعمل خلاصك فانا جاريتك خذه هاته كله بجميلي عندك هاته حتى ادخله بيدي واريح به فؤادي ولم نزل نسمعني الغنج والشهيق في خلال البوس والتعنيق حتى صار صياحنا في الطريق وحظينا بالسعادة والتوفيق ثم نمنا الى الصباح واردت ان اخرج واذا هي اقبلت علي ضاحكة وقالت هل تحسب ان دخول الحمام مثل خروجه وما اظن الا انك تحسبني مثل بنت الدليلة المحتالة اياك وهذا الظن فانت الا زوجي بالكتاب والسنة وان كنت سكران فافق لعقلك ان هذه الدار التي انت فيها ما تفتح الا في كل سنة يوما قم الى الباب الكبير وانظره فقمت الى الباب الكبير فوجدته مغلقا مسمرا فعدت واعلمتها بانه مغلق مسمر فقالت لي يا عزيز ان عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا اعواما عديدة ولا يفتح بابنا من هذه الليلة الا بعد سنة وانا اعلم انك ما بقيت ترى روحك خارجا عن هذه الدار الا بعد سنة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله فقالت واي شيء يضرك وانت تعرف صنعة الديك التي اخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت انا وطاوعتها فيما قالت ومكثت عندها وانا اعمل صنعة الديك اكل واشرب وانيك حتى مر علينا عام اثنا عشر شهرا فلما كملت السنة حملت مني ورزقت منها ولدا وعند رأس السنة سمعت فتح الباب واذا بالرجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر فاردت ان اخرج فقالت اصبر الى وقت العشاء ومثل ما دخلت فاخرج فصبرت الى وقت العشاء واردت ان اخرج وانا خائف مرجوف واذا هي قالت والله ما ادعك تخرج حتى احلفك انك تعود في هذه الليلة قبل ان يغلق الباب فاجبتها الى ذلك وحلفتني الايمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق اني اعود اليها ثم خرجت من عندها ومضيت الى البستان فوجدته مفتوحا كعادته فاغتظت وقلت في نفسي اني غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئت على غفلة فوجدته مفتوحا كعادته يا ترى هل الصبية باقية على حالها اولا فلا بد ان ادخل وانظر قبل ان اروح الى امي وانا في وقت العشاء ثم دخلت البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عزيز قال لتاج الملوك ثم دخلت البستان ومشيت حتى اتيت الى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة جالسة ورأسها على ركبتها ويدها على خدها وقد تغير لونها وغارت عيناها فلما رأتني قالت الحمد لله على السلامة وهمت ان تقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطأطأت رأسي ثم تقدمت اليها وقبلتها وقلت لها كيف عرفت اني اجيء اليك في هذه الساعة قالت لا علم لي بذلك والله ان لي سنة لم اذق فيها نوما بل اسهر كل ليلة في انتظارك وانا على هذه الحالة من يوم خرجت من عندي واعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتني انك تجيء الي وقد انتظرتك فما اتيت لا اول ليلة ولا ثاني ليلة ولا ثالث ليلة فاستمريت منتظرة لمجيئك والعاشق هكذا يكون واريد ان تحكي لي ما سبب غيابك عني هذه السنة فحكيت لها فلما علمت اني تزوجت اصفر لونها ثم قلت لها اني اتيتك هذه الليلة واروح قبل الصباح فقالت اما كفاها انها تزوجت بك وعملت عليك الحيلة وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بالطلاق ان تعود اليها قبل الصباح ولم تسمح لك بان تنفسح عند امك ولا عندي ولم يهن عليها ان تبيت عند احد ليلة واحدة فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وقد عرفتك قبلها ولكن رحم الله عزيزة فانه جرى لها ما لم يجر لاحد وصبرت على شيء لم يصبر عليه مثلها وماتت مقهورة

منك وهي التي حمتك مني وكنت اظنك تجيء فاطلقت سبيلك مع اني كنت اقدر على حبسك وعلى هلاكك ثم بكت واغتاظت ونظرت الى بعين الغضب فلما رأيتها على تلك الحالة ارتعدت فرائصي وخفت منها وصرت مثل الفولة على النار ثم قالت لي مابقي فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد فانت لا تصلح لعشرتي لانه لا ينفعني الا الاعزب واما الرجل المتزوج فانه لا ينفعني وقد بعتني بتلك العاهرة والله لاحسرنها عليك وتصير لا لي ولا لها ثم صاحت فما دري الا وعشر جوار اتين ورمينني على الارض فلما وقعت تحت ايديهن قامت هي واخذت سكينا وقالت لاذبحنك ذبح التيوس ويكون هذا اقل جزائك على ما فعلت مع ابنة عمك فلما نظرت الى روحي وانا تحت جواريها وتعفر خدي بالتراب ورأيت السكين في يدها تحققت الموت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيز قال لتاج الملوك فلما رأيت روحي تحت جواريها وتعفر خدي بالتراب ورأيت السكين في يدها تحققت الموت فاستغثت بها فلم تزدد الا قسوة وامرتهن ان يكتفنني فكتفنني ورمينني على ظهري وجلسن على بطني ومسكن رأسي وقامت جاريتان فمسكتا اصابع رجلي وجاريتان جلستا على اقصاب رجلي وبعد ذلك قامت هي ومعها جاريتان فامرتهما ان يضرباني فضرباني حتى اغمى علي وخفي صوتي فلما استفقت قلت في نفسي ان موتي مذبوحا اهون علي من هذا الضرب وتذكرت كلام ابنة عمي حيث قالت كفاك الله شرها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتي ثم سنت السكين وقالت للجواري اكشفن عنه فالهمني الله ان اقول الكلمتين اللتين اوصتني بهما ابنة عمي وهما الوفا مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك صاحت وقالت يرحمك الله يا عزيزة سلامة شبابك نفعتك ابنة عمك في حياتك وبعد موتك ثم قالت لي والله انك خلصت من يدي بواسطة هاتين الكلمتين لكن لابد ان اعمل فيك اثرا لاجل نكاية تلك العاهرة التي حجبتك عني ثم صاحت على الجواري وقالت لهن اركبن عليه وامرتهن ان يربطن رجلي بالحبال ففعلن ذلك ثم قامت من عندي وركبت طاجنا من نحاس على النار وصبت فيه شيرجا وقلت فيه جبنا وانا غائب عن الدنيا ثم جاءت عندي وحلت لباسي وربطت محاشمي بحبل وناولته لجاريتين وقالت لهما جرا الحبل فجرتاه فصرت من شدة الالم في دنيا غير هذه الدنيا ثم رفعت يدها وقطعت ذكري بموسى وبقيت مثل المرأة ثم كوت موضع القطع وكبسته بذرور وانا مغمى علي فلما افقت كان الدم قد انقطع فاسقتني قدحا من الشراب ثم قالت لي رح الان لمن تزوجت بها وبخلت علي بليلة واحدة رحم الله ابنة عمك التي هي سبب نجاتك ولولا انك سمعتني كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب في هذه الساعة لمن تشتهي وانا ما كان لي عندك سوى ما قطعته والان ما بقي لي فيك رغبة ولا حاجة لي بك فقم وملس على رأسك وترحم على ابنة عمك ثم رفصتني برجلها فقمت وما قدرت ان امشي فتمشيت قليلا قليلا حتى وصلت الى الباب فوجدته مفتوحا فرميت نفسي فيه وانا غائب عن الوجود واذا بزوجتي خرجت وحملتني وادخلتني القاعة فوجدتني مثل المرأة فنمت واستغرقت في النوم فلما صحوت وجدت نفسي مرميا على باب البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائة

قالت

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما انصحوت وجدت نفسي مرميا على باب البستان فقمت وانا انفجر وتمشيت حتى اتيت الى منزلي فدخلت فيه فوجدت امي تبكي علي وتقول ياهل ترى ياولدي انت في اي ارض فدنوت منها ورميت نفسي عليها فلما نظرت الي ورأتني وجدتني على غير استواء وصار على وجهي الاصفرار والسواد وتذكرت ابنة عمي وما فعلت معي من المعروف وتحققت انها كانت تحبني فبكيت عليها وبكت امي ثم قالت لي ياولدي ان والدك قد مات فازددت غيظا وبكيت حتى اغمي علي فلما افقت نظرت الى موضع ابنة عمي التي كانت تقعد فيه فبكيت ثانيا حتى اغمي علي من شدة البكاء ومازلت في بكاء ونحيب الى نصف الليل فقالت لي امي ان لوالدك عشرة ايام وهو ميت فقلت لها انا لا افكر في احد ابدا غير ابنة عمي لاني استحق ما حصل لي حيث اهملتها وهي تحبني فقالت وما حصل لك فحكيت لها ما حصل لي فبكت ساعة ثم قامت واحضرت لي شيأ من المأكول فاكلت قليلا وشربت واعدت لها قصتي واخبرتها بجميع ما وقع لي فقالت الحمد لله حيث جرى لك هذا وما ذبحتك ثم انها عالجتني وداوتني حتى برئت وتكاملت عافيتي فقالت لي ياولدي الان اخرج لك الوداعة التي وضعتها ابنة عمك عندي فانها لك وقد حلفتني اني لا اخرجها لك حتى اراك تتذكرها وتحزن عليها وتقطع علاقتك من غيرها والان رجوت فيك هذه الخصال ثم قامت وفتحت صندوقا واخرجت منه هذه الخرقة التي فيها صورة هذا الغزال وهي التي وهبتها لها اولا فلما اخذتها وجدت مكتوبا فيها هذه الابيات

اقمتم فؤادي في الهوى وقعدتمو * واسهرتمو جفني القريح ونمتمو

وقد حلتمو بين المنام وناظري * فلا القلب يسلاكم ولو ذاب منكمو

وعاهدتموني انكم كاتمو الهوى * فاغراكم الواشي وقال وقلتمو

فبالله اخواني اذا مت فاكتبوا * على لوح قبري ان هذا متيم

فلما قرأت هذه الابيات بكيت بكاء شديدا واطمت وجهي وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة اخرى ففتحتها فاذا مكتوب فيها اعلم يا ابن عمي اني جعلتك في حل من دمي وارجو الله ان يوفق بينك وبين من تحب لكن اذا اصابك شيء من الدليلة المحتالة فلا ترجع اليها ولا لغيرها وبعد ذلك فاصبر على بليتك ولولا اجلك المحتوم لهلكت من الزمان الماضي ولكن الحمد لله الذي جعل يومي قبل يومك وسلامي عليك واحتفظ على هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها فان تلك الصورة كانت تؤانسني اذا غبت عني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك ان ابنة عمي قالت لي واحتفظ على هذه الخرقة التي فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها ابدا فان تلك الصورة كانت تؤانسني اذا غبت عني وبالله عليك ان قدرت على من صورت هذه الصورة ينبغي انك تتباعد عنها ولا تخليها تقرب منك ولا تتزوج بها وان لم تقدر عليها ولا تجد لك اليها سبيلا فلا تقرب واحدة من النساء بعدها واعلم ان التي صورت هذه الصورة تصور في كل سنة صورا مثلها وترسلها الى اقصى البلاد لاجل ان يشيع خبرها وحسن صنعتها التي يعجز عنها اهل الارض واما محبوبتك الدليلة المحتالة فانها لما وصلت اليها هذه

الخرقة التي فيها صورة الغزال صارت تريها للناس وتقول لهم ان لي اختا تصنع هذا مع انها كاذبة في قولها هتك الله سترها وما اوصيتك بهذه الوصية الا لاني اعلم ان الدنيا قد تضيق عليك بعد موتي وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف في البلاد وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك الى معرفتها واعلم ان الصبية التي صورت هذه الصورة بنت ملك جزائر الكافور فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها بكيت وبكت امي لبكائي ولازلت انظر اليها وابكي الى ان اقبل الليل ولم ازل على تلك الحالة مدة سنة وبعد السنة تجهز تجار من مدينتي الى السفر وهم هؤلاء الذين انا معهم في القافلة فاشارت علي امي ان اتجهز واسافر معهم وقالت لي لعل السفر يذهب ما بك من هذا الحزن وتغيب سنة او سنتين او ثلاثا حتى تعود القافلة فلعل صدرك ينشرح ولازالت تلاطفني بالكلام حتى جهزت متجرا وسافرت معهم وانا لم تنشف لي دمعة مدة سفري وفي كل منزلة ننزل بها انشر هذه الخرقة قدامي وانظر الى هذه الصورة فاتذكر ابنة عمي وابكي عليها كما تراني فانها كانت تحبني محبة زائدة وقد ماتت مقهورة مني وما فعلت معها الا الضرر مع انها لم تفعل معي الا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم ارجع معهم وتكمل مدة غيابي سنة وانا في حزن زائد وما زاد همي وحزني الا اني جزت على جزائر الكافور وقلعة البلور وهي سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان وله بنت يقال لها دنيا فقيل لي انها هي التي تصور صورة الغزلان وهذه الصورة التي معك من جملة تصويرها فلما علمت ذلك زادت بي الاشواق وغرقت في بحر الفكر والاحتراق فبكيت على روحي لاني بقيت مثل المرأة ولم يبق لي آلة مثل الرجال ولا حيلة لي ومن يوم فراقي لجزائر الكافور وانا باكي العين حزين القلب ولي مدة على هذا الحال وما ادري هل يمكنني ان ارجع الى بلدي واموت عند والدتي اولا وقد شبعت من الدنيا ثم بكي وان واشتكي ونظر الى صورة الغزال وجرى دمعه على خده وسال وانشد هذين البيتين

وقائل قال لي لابد من فرج * فقلت للغيظ كم لابد من فرج

وقال لي بعد حين قلت يا عجبي * من يضمن العمر لي يا بارد الحجج

وهذه حكايتي ايها الملك فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت في فؤاده النيران حين سمع بجمال السيدة دنيا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت في فؤاده النيران لما سمع بجمال السيدة دنيا وعرف انها هي التي صورت صورة الغزال وزاد به الوجد والبلبال فقال للشاب والله لقد جرى لك شيء ما جرى لاحد غيرك مثله ولكن هذا تقدير ربك وقصدي ان اسألك عن شيء فقال عزيز وما هو فقال تصف لي كيف رأيت تلك الصبية التي صورت صورة الغزال فقال يا مولاي اني توصلت اليها بحيلة وهو اني لما دخلت مع القافلة الى بلادها كنت اخرج وادور في البساتين وهي كثيرة الاشجار وحارس البساتين شيخ طاعن في السن فقلت له يا شيخ لمن هذا البستان فقال لي لابنة الملك السيدة دنيا ونحن تحت قصرها فاذا اردت ان تتفرج فافتح باب السر وتفرج في البستان فتشم رائحة الازهار فقلت له انعم علي بأن اقعد في هذا البستان حتى تمر علي ان احظى منها بنظرة فقال الشيخ لا بأس بذلك فلما قال ذلك اعطيته بعض دراهم وقلت له اشتر لنا شيئا نأكله ففرح باخذ الدراهم وفتح الباب وادخلني معه وسرنا وما زلنا سائرين الى ان وصلنا الى مكان لطيف

واحضر

واحضر لي شيأ من الفواكه اللطيفة وقال لي اجلس هنا حتى اذهب واعود اليك وتركني ومضى فغاب ساعة ثم رجع ومعه خروف مشوى فاكلنا حتى اكتفينا وقلبي مشتاق الى رؤية الصبية فبينما نحن بالبستان واذا بالباب قد انفتح فقال لي قم اختف فقمت واختفيت واذا بطواشي اسود اخرج رأسه من الباب وقال يا شيخ هل عندك احد فقال لا فقال له اغلق الباب فاغلق الشيخ باب البستان واذا بالسيدة دنيا اطلعت من الباب فلما رأيتها ظننت ان القمر نزل في الارض فاندهش عقلي وصرت مشتاقا اليها كاشتياق الظمآن الى الماء وبعد ساعة اغلقت الباب ومضت فعند ذلك خرجت انا من البستان وقصدت منزلي وعرفت اني لا اصل اليها ولا انا من رجالها خصوصا وقد صرت مثل المرأة فقلت في نفسي ان هذه ابنة ملك وانا رجل تاجر فمن اين لي ان اصل اليها فلما تجهز اصحابي للرحيل تجهزت انا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه المدينة فلما وصلنا الى هذه الطريق اجتمعنا بك وهذه حكايتي وما جرى لي والسلام فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام اشتغل قلبه بحب السيدة دنيا ثم ركب جواده واخذ معه عزيزا وتوجه به الى مدينة ابيه وافرد له دارا ووضع له فيها كل ما يحتاج اليه ثم تركه ومضى الى قصره ودموعه جارية على خدوده لان السماع يحل محل النظر والاجتماع ومازال تاج الملوك على تلك الحالة حتى دخل عليه ابوه فوجده متغير اللون فعلم انه مهموم ومغموم فقال له يا ولدي اخبرني عن حالك وما جرى لك حتى تغير لونك فاخبره بجميع ما جرى له من قصة دنيا من اولها الى اخرها وكيف عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال يا ولدي ان اباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل قصر امك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان والد تاج الملوك قال له يا ولدي ان اباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك هذا وادخل قصر امك فان فيه خمسمائة جارية كالاقمار فمن اعجبتك منهن فخذها وان لم تعجبك جارية منهن نخطب لك بنتا من بنات الملوك تكون احسن من السيدة دنيا فقال له يا والدي لا اريد غيرها وهي التي صورت صورة الغزال التي رأيتها فلا بد لي منها والا اهج في البراري واقتل روحي بسببها فقال له ابوه يا ولدي امهل علي حتى ارسل الى ابيها واخطبها منه وابلغك المرام مثل ما فعلت لنفسي مع امك وان لم يرض زلزلت عليه مملكته وجردت عليه جيشا يكون آخره عندي واوله عنده ثم دعا بالشاب عزيز وقال له يا ولدي هل انت تعرف الطريق قال نعم قال له اشتهي منك ان تسافر مع وزيري فقال له عزيز سمعا وطاعة يا ملك الزمان ثم احضر وزيره وقال له دبر لي امر ولدي كما تعرف واذهب الى جزائر الكافور واخطب بنت ملكها فاجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم عاد تاج الملوك الى منزله وقد زادت به الامراض والحسرات وحين جن عليه الليل انشد هذه الابيات

جن الظلام ودمعي زائد المدد ❋ والوجد من شدة النيران في كبدي
سلوا الليالي عني وهي تخبركم ❋ ان كان يرق لقلبي في الهوى كمدي
ابيت ارعى نجوم الليل في سهر ❋ والدمع منهمل في الخد كالبرد
وقد بقيت وحيدا ليس لي احد ❋ كمثل صب بلا اهل ولا ولد

فلما فرغ من شعره وقع مغشيا عليه ولم يفق الا وقت الصباح فلما اصبح الصباح جاء اليه ابوه فرآه قد

تغير لونه وزاد اصفراره فصبره ووعده بجمع شمله ثم جهز عزيزا مع وزيره واعطاهم الهدايا فسافروا اياما وليالى الى ان اشرفوا على جزائر الكافور فاقاموا على شاطئ نهر وانفذ الوزير رسولا من عنده الى الملك ليخبره بقدومهم وبعد ذهاب الرسول بنصف يوم لم يشعروا الا وحجاب الملك وامراؤه قد اقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا فى خدمتهم الى ان دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا واقاموا عنده اربعة ايام وفى اليوم الخامس قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدثه بحديثه واخبره بسبب مجيئه فصار الملك متحيرا فى رد الجواب لان ابنته لا تحب الزواج واطرق رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى بعض الخدام وقال له اذهب الى سيدتك دنيا واخبرها بما سمعت وبما جاء به هذا الوزير فقام الخادم وغاب ساعة ثم عاد الى الملك وقال له يا ملك الزمان انى لما دخلت على السيدة دنيا اخبرتها بما سمعت فغضبت غضبا شديدا ونهضت على بمسوقة وارادت كسر رأسى ففررت منها هاربا وقالت لى ان كان ابى يغصبنى على الزواج فالذى اتزوج به اقتله فقال ابوها للوزير وعزيز سلما على الملك واخبراه بذلك وان ابنتى لا تحب الزواج وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال للوزير وعزيز سلما على الملك واخبراه بما سمعتماه من ان ابنتى لا تحب الزواج فرجع الوزير ومن معه من غير فائدة وما زالوا سافرين الى ان دخلوا على الملك واخبروه بما جرى فعند ذلك امر النقباء ان ينبهوا العسكر الى السفر من اجل الحرب والجهاد فقال له الوزير لا تفعل ذلك فان الملك لا ذنب له وانما الامتناع من ابنته فانها حين علمت بذلك ارسلت تقول ان غصبنى ابى على الزواج اقتل من اتزوج به واقتل نفسى بعده فلما سمع الملك كلام الوزير خاف على ولده تاج الملوك وقال ان حاربت اباها وظفرت بابنته قتلت نفسها ثم ان الملك اعلم ابنه تاج الملوك بحقيقة الامر فلما علم بذلك قال لابيه يا والدى انا لا اطيق الصبر عنها فانا اروح اليها واتسبب فى اتصالى بها ولو اموت ولا افعل غير هذا فقال له ابوه وكيف تروح اليها فقال اروح فى صفة تاجر فقال الملك ان كان ولا بد فخذ معك الوزير وعزيزا ثم انه اخرج له شيأ من خزائنه وهيأ له متجرا بمائة الف دينار واتفقا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز الى منزل عزيز وباتا هنالك تلك الليلة وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ولم يطب له اكل ولا رقاد بل هجمت عليه الافكار وغرق منها فى بحار وهزه الشوق الى محبوبته فافاض دمع العين وانشد هذين البيتين

ترى هل لنا بعد البعاد وصول * فاشكو اليكم صبوتى واقول
تذكرتكم والليل ناه صباحه * واسهرتمونى والانام غفول

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وبكى معه عزيز وتذكر ابنة عمه ولا زالا يبكيان الى ان اصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس اهبة السفر فسألته عن حاله فاخبرها بحقيقة الامر فاعطته خمسين الف دينار ثم ودعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالاحباب ثم دخل على والده واستأذنه ان يرحل فاذن له واعطاه خمسين الف دينار وامر ان تضرب له خيمة فى خارج المدينة فضربت له خيمة عظيمة واقاموا فيها يومين ثم سافروا واستأنس تاج الملوك بعزيز وقال له يا اخى انا ما بقيت اطيق ان افارقك فقال عزيز وانا الآخر كذلك واحب ان اموت تحت رجليك ولكن يا اخى قلبى اشتغل بوالدتى فقال له

تاج الملوك لما نبلغ المرام لا يكون الا خيرا وكان الوزير قد وصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز ينشد له
الاشعار ويحدثه بالتواريخ والاخبار ولم يزالوا سائرين بالليل والنهار مدة شهرين فطالت الطريق
على تاج الملوك واشتد عليه الغرام وزاد به الوجد والهيام فلما قربوا من المدينة فرح تاج الملوك غاية الفرح
وزال عنه الهم والترح ثم دخلوها وهم في هيئة التجار وابن الملك في زي تاجر ثم اتوا الى مكان يعرف
بمنزل التجار وهو خان عظيم فقال تاج الملوك لعزيز اهذا منزل التجار قال عزيز لكنه غير الخان الذي كنت
نزلت فيه انا والقافلة التي كنت معها الا انه احسن منه فاناخوا فيه مطيهم وحطوا رحالهم وخزنوا
امتعتهم في المخازن واقاموا للراحة اربعة ايام ثم ان الوزير اشار عليهم ان يكتروا لهم دارا كبيرة فاجابوه
واكتروا لهم دارا متسعة معدة للافراح فنزلوا فيها واقام الوزير وعزيز يدبران في حيلة من اجل تاج الملوك
وصار تاج الملوك متحيرا لا يدري ماذا يفعل ولم يجد له حيلة غير انه يفتح له دكانا للتجارة في سوق البز ثم ان
الوزير اقبل على تاج الملوك وعزيز وقال لهما اعلما انه ان كان مقامنا على هذه الحالة فانا لا نبلغ مرادنا
ولا نحصل مطلوبنا وقد خطر ببالي شيء ارى له فيه الصلاح ان شاء الله فقال له تاج الملوك وعزيز افعل ما بدا
لك فان المشايخ فيهم البركة لا سيما وانت قد مارست الامور فشر علينا بما خطر ببالك فقال لتاج الملوك
الرأي اننا نكتري لك دكانا في سوق البز وتقعد فيها للبيع والشراء لان كل واحد من الخاص والعام يحتاج
الى البز واذا قعدت في تلك الدكان ينصلح امرك ان شاء الله تعالى خصوصا وصورتك جميلة ولكن اجعل
عزيزا امينا عندك واجلسه في داخل الدكان ليناولك الاقمشة فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال ان
هذا رأي سديد فعند ذلك اخرج تاج الملوك بدلة تجارية ولبسها وقام يمشي وغلمانه خلفه واعطى
لاحدهم الف دينار معه ليقضي بها مصالح الدكان وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى سوق البز فلما رأت
التجار تاج الملوك وشاهدوا حسنه وجماله تحيرت عقولهم وصاروا يقولون هل رضوان فتح ابواب الجنان
وسهى عنها فخرج هذا الشاب البديع الحسن وبعضهم يقول لعل هذا من الملائكة فلما دخلوا عند
التجار سألوا عن دكان شيخ السوق فدلوهم عليه فتوجهوا اليه فلما قربوا منه قام اليهم هو ومن عنده من
التجار وعظموهم خصوصا الوزير الاجل فانهم رأوه رجلا كبيرا مهابا ومعه تاج الملوك وعزيز فقال
التجار لبعضهم لا شك ان هذا الشيخ والد هذين الغلامين فقال لهم الوزير من شيخ السوق فيكم فقالوا
ها هو فنظر اليه الوزير وتأمله فرآه رجلا كبيرا صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان ثم ان شيخ السوق
حياهم تحية الاحباب وبالغ في اكرامهم واجلسهم جنبه وقال لهم هل لكم حاجة نفوز بقضائها
فقال الوزير نعم اني رجل كبير طاعن في السن ومعي هذان الغلامان وسافرت بهما سائر الاقاليم والبلاد
وما دخلت بلدة الا اقمت بها سنة كاملة حتى يتفرجا عليها ويعرفا اهلها واني قد اتيت بلدكم هذه
واخترت المقام فيها واشتهي منك دكانا تكون من احسن المواضع حتى اجلسهما فيها يتاجرا ويتفرجا
على هذه المدينة ويتخلقا باخلاق اهلها ويتعلما البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال شيخ السوق
لا بأس بذلك ثم نظر الى الولدين وفرح بهما واحبهما حبا زائدا وكان شيخ السوق مغرما بفاتك اللحظات
ويغلب حب البنين على البنات ويميل الى الحموضة فقال في نفسه سبحان خالقهما ومصورهما
من ماء مهين ثم قام واقفا في خدمتهما كالغلام بين ايديهما وبعد ذلك سعى وهيأ لهما الدكان وكانت
في وسط السوق ولم يكن اكبر منها ولا اوجه منها عندهم لانها كانت متسعة مزخرفة فيها رفوف
من عاج وابنوس ثم سلم المفاتيح للوزير وهو في صفة تاجر وقال جعلها الله مباركة على ولديك فلما

اخذ الوزير مفاتيح الدكان توجه اليها هو والغلمان ووضعوا فيها امتعتهم وامر واغلمانهم ان ينقلوا اليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير لما اخذ مفاتيح الدكان توجه اليها هو والغلمان ووضعوا فيها امتعتهم وامر واغلمانهم ان ينقلوا اليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش والتحف وكان ذلك شيأ يساوى خزائن مال فنقلوا جميع ذلك الى الدكان وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الصباح اخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فلما دخلوا الحمام تنظفوا واخذوا غاية حظهم وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر فصار فى الحمام على حد قول الشاعر

بشرى لقيمه اذا لامست يده ✻ جسما تولد بين الماء والنور
مازال يظهر لطفا من صناعته ✻ حتى جنى المسك من تمثال كافور

ثم خرجا من الحمام وكان شيخ السوق لما سمع بدخولهما الحمام قعد فى انتظارهما واذا بهما قد اقبلا وهما كالغزالين وقد احمرت خدودهما واسودت عيونهما ولمعت ابدانهما فكانهما غصنان مثمران اوقمران زاهيان فقال لهما يا اولادى حمامكم نعيم دائم فقال تاج الملوك يا اعذب كلام ليتك كنت معنا ثم ان الاثنين قبلا يديه ومشيا قدامه حتى وصلا الى الدكان تعظيما له لانه كبير السوق وقد احسن اليهما باعطائهما الدكان فلما رأى اردافهما فى ارتجاج زاد به الوجد وهاج وشخر ونخر ولم يبق له مصطبر فاحدق بهما العينين وانشد هذين البيتين

يطالع القلب باب الاختصاص به ✻ وليس يقرأ فيه مبحث الشركه
لا غرو فى كونه يرتج من ثقل ✻ فكم لذا الفلك الدوار من حركه

فلما سمعا منه هذا الشعر اقسما عليه ان يدخل معهما الحمام ثانيا وكانا قد تركا الوزير داخل الحمام فلما دخل معهما شيخ السوق الحمام ثانى مرة سمع الوزير بدخوله فخرج اليه من الخلوة واجتمع به فى وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فمسك فى احدى يديه تاج الملوك وفى يده الاخرى عزيز ودخلا به خلوة اخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث فحلف تاج الملوك ان لا يحميه غيره وحلف عزيز ان لا يصب عليه الماء غيره فقال له الوزير انهما اولادك فقال شيخ السوق ابقاهما الله لك لقد حلت فى مدينتنا البركة والسعود بقدومكم وقدوم اتباعكم ثم انشد هذين البيتين

اقبلت فاخضرت لدينا الربى ✻ وقد زهت بالزهر للمجتلى
ونادت الارض ومن فوقها ✻ اهلا وسهلا بك من مقبل

فشكروه على ذلك ومازال تاج الملوك يحميه وعزيز يصب عليه الماء وهو يظن ان روحه فى الجنة حتى اتما خدمته فدعا لهما وجلس جنب الوزير على انه يتحدث معه ولكن معظم قصده النظر الى تاج الملوك وعزيز ثم بعد ذلك جاءت لهم الغلمان بالمناشف فتنشفوا ولبسوا حوائجهم ثم خرجوا من الحمام فاقبل الوزير على شيخ السوق وقال له ياسيدى ان الحمام نعيم الدنيا فقال شيخ السوق جعله الله لك ولاولادك عافية وكفاهما الله شر العين فهل تحفظون شيأ مما قالته البلغاء فى الحمام فقال تاج الملوك انا انشد لك بيتين وهما

ان عيش الحمام اطيب عيش * غير ان المقام فيه قليل
جنة تكره الاقامة فيها * وجحيم يطيب فيها الدخول

فلما فرغ تاج الملوك من شعره قال عزيز وانا احفظ فى الحمام شيأ فقال شيخ السوق اسمعنى اياه فانشد هذين البيتين

وبيت له من جلمد الصخر ازهار * انيق اذا ما اضرمت حوله النار
تراه جحيما وهو فى الحق جنة * واكثر ما فيها شموس واقمار

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب شيخ السوق من صباحتهما وفصاحتهما وقال لهما والله لقد حزتما الفصاحة والملاحة فاسمعا انتما منى ثم اطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

يا حسن نار والنعيم عذابها * تحيى به الارواح والابدان
فاعجب لبيت لا يزال نعيمه * غضا وتوقد تحته نيران
عيش السرور لمن الم به وقد * سفحت عليه دموعها الغدران

ثم سرح فى رياض حسنهما ناظر العين وانشد هذين البيتين

وافيت منزله فلم ار حاجبا * الا ويلقانى بوجه ضاحك
ودخلت جنته وزرت جحيمه * فشكرت رضوانا ورافة مالك

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الابيات ثم ان شيخ السوق عزم عليهم فامتنعوا ومضوا الى منزلهم ليستريحوا من تعب الحمام ثم اكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة فى منزلهم على اتم ما يكون من الحظ والسرور فلما اصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضؤا وصلوا فرضهم واصطبحوا ولما طلع النهار وفتحت الدكاكين والاسواق خرجوا من المنزل وتوجهوا الى السوق وفتحوا الدكان وكان الغلمان قد هيئوها احسن هيئة وفرشوها بالبسط الحرير ووضعوا فيها مرتبتين كل واحدة منهما تساوى مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة نطعا ملوكيا دائره من الذهب فجلس تاج الملوك على مرتبة وجلس عزيز على الاخرى وجلس الوزير فى وسط الدكان ووقف الغلمان بين ايديهم وتسامعت بهم الناس فازدحموا عليهم وباعوا بعض اقمشتهم وشاع ذكر تاج الملوك فى المدينة واشتهر فيها خبر حسنه وجماله ثم اقاموا على ذلك اياما وفى كل يوم تهرع الناس اليهم فاقبل الوزير على تاج الملوك واوصاه بكتمان امره واوصى عليه عزيزا ومضى الى الدار ليدبر امرا يعود نفعه عليهم وصار تاج الملوك وعزيز يتحادثان وصار تاج الملوك يقول عسى ان يجىء احد من عند السيدة دنيا وما زال تاج الملوك على ذلك اياما وليالى وهو لا ينام وقد تمكن منه الغرام وزاد به النحول والاسقام حتى حرم لذيذ المنام وامتنع من الشراب والطعام وكان كالبدر فى تمامه فبينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز اقبلت عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فبينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز اقبلت عليه وتقدمت اليه وخلفها جاريتان وما زالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده واعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت فى سراويلها ثم قالت سبحان من خلقك من ماء مهين سبحان من جعلك فتنة للعالمين ولم تزل تتأمل فيه وتقول ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ثم دنت

منه وسلمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفا على الاقدام وتبسم فى وجهها هذا كله باشارة
عزيز ثم اجلسها الى جانبه وصار يروح عليها الى ان استراحت ثم ان العجوز قالت لتاج الملوك يا ولدى
يا كامل الاوصاف والمعانى هل انت من هذه الديار فقال تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله يا سيدتى
عمرى ما دخلت هذه الديار الا هذه المرة ولا اقمت فيها الا على سبيل الفرجة فقالت لك الاكرام من قادم
على الرحب والسعة ما الذى جئت به معك من القماش فارنى شيئا مليحا فان المليح لا يحمل الا المليح فلما سمع
تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم يفهم معنى كلامها فغمزه عزيز بالاشارة فقال لها تاج الملوك عندى
كل ما تشتهين من الشئ الذى لا يصلح الا للملوك وبنات الملوك فلمن تريدين حتى اقلب عليك ما يصلح لاربابه
واراد بذلك الكلام ان يفهم معنى كلامها فقالت له اريد قماشا يصلح للسيدة دنيا بنت الملك شهرمان
فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته فرح فرحا شديدا وقال لعزيز ائتنى بافخر ما عندك من البضاعة فاتاه عزيز
ببقجة وحلها بين يديه فقال لها تاج الملوك اختارى ما يصلح لها فان هذا شئ لا يوجد عند غيرى فاختارت
العجوز شيئا يساوى الف دينار وقالت بكم هذا وصارت تحدثه وتحك بين افخاذها بكلوة يدها فقال لها
وهل اساوم مثلك فى هذا الشئ الحقير الحمد لله الذى عرفنى بك فقالت له العجوز اعوذ وجهك المليح برب الفلق
ان وجهك مليح وفعلك مليح هنيئا لمن تنام فى حضنك وتضم قوامك الرجيح وتحظى بوجهك الصبيح
وخصوصا اذا كانت صاحبة حسن مثلك فضحك تاج الملوك حتى استلقى على قفاه ثم قال يا قاضى الحاجات
على ايدى العجائز الفاجرات فقالت له يا ولدى ما الاسم قال اسمى تاج الملوك فقالت ان هذا الاسم من اسماء
الملوك ولكنك فى زى التجار فقال لها عزيز من محبته عند اهله ومعزته عليهم سموه بهذا الاسم فقالت
العجوز صدقت كفاكم الله شر الحساد ولو فتت بمحاسنكم الاكباد ثم اخذت القماش ومضت وهى
باهتة فى حسنه وجماله وقده واعتداله ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا وقالت لها يا سيدتى
جئتك بقماش مليح فقالت لها ارنى اياه فقالت يا سيدتى ها هو فقلبيه وانظريه فلما رأته السيدة دنيا
قالت لها يا دادتى ان هذا القماش مليح ما رأيته فى مدينتنا فقالت العجوز يا سيدتى ان بائعه احسن
منه كان رضوانا فتح ابواب الجنان وسهى فخرج منها التاجر الذى يبيع هذا القماش وانا اشتهى فى هذه
الليلة ان يكون عندك وينام بين نهودك فانه فتنة لمن يراه وقد جاء مدينتنا بهذه الاقمشة لاجل الفرجة
فضحكت السيدة دنيا من كلام العجوز وقالت اخزاك الله يا عجوز النحس انك خرفت ولم يبق لك عقل ثم قالت
هات القماش حتى ابصره بصرا جيدا فناولتها اياه فنظرته ثانيا فرأته شيئا قليلا وثمنه كثير وتعجبت من
حسن ذلك القماش لانها ما رأت فى عمرها مثله فقالت لها العجوز يا سيدتى فلو رأيت صاحبه لعرفت
انه احسن من يكون على وجه الارض فقالت لها السيدة دنيا هل سألته ان كان له حاجة يعلمنا بها
فنقضيها له فقالت العجوز وقد هزت رأسها حفظ الله فراستك والله ان له حاجة وهل احد يخلو من حاجة
فقالت لها السيدة دنيا اذهبى اليه وسلمى عليه وقولى له شرفت بقدومك مدينتنا ومهما كان لك من
الحوائج قضيناه لك على الرأس والعين فرجعت العجوز الى تاج الملوك فى الوقت فلما رآها طار قلبه من
الفرح ونهض لها قائما على قدميه واخذ بيدها واجلسها الى جانبه فلما جلست واستراحت اخبرته
بما قالته السيدة دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال فى نفسه قد قضيت حاجتى
ثم قال للعجوز لعلك توصلين اليها كتابا من عندى وتأتينى بالجواب فقالت سمعا وطاعة فلما سمع ذلك
منها قال لعزيز ائتنى بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما اتاه بتلك الادوات كتب هذه الابيات

كتب

كتبت اليك باسؤلي كتابا * بما القاه من الم الفراق
فاول ما اسطر نار قلبي * وثانيه غرامي واشتياق
وثالثه مضى عمري وصبري * ورابعه جميع الوجد باق
وخامسه متى عيني تراكم * وسادسه متى يوم التلاق

ثم كتب في امضاه ان هذا الكتاب من اسير الاشواق المسجون في سجن الاشتياق الذي ليس له اطلاق الا بالوصال ولو بطيف الخيال لانه يقاسي اليم العذاب من فرقة الاحباب ثم افاض دمع العين وكتب هذين البيتين

كتبت اليك والعبرات تجري * ودمع العين ليس له انقطاع
ولست بيائس من فضل ربي * عسى يوم يكون به اجتماع

ثم طوى الكتاب وختمه واعطاه للعجوز وقال اوصليه الى السيدة دنيا فقالت سمعا وطاعة ثم اعطاها الف دينار وقال اقبلي هذه مني هدية فاخذتها وانصرفت داعية له ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا فلما رأتها قالت لها يا دادتي اي شيء طلب من الحوائج حتى نقضيها له فقالت لها يا سيدتي قد ارسل معي كتابا ولا اعلم بما فيه ثم ناولتها الكتاب فاخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من اين الى اين حتى يراسلني هذا التاجر ويكاتبني ثم لطمت وجهها وقالت لولا خوفي من الله تعالى لصلبته على دكانه فقالت العجوز واي شيء في هذا الكتاب حتى ازعج قلبك هل فيه شكاية مظلمة او فيه طلب ثمن القماش فقالت لها ويلك ما فيه ذلك وما فيه الا عشق ومحبة وهذا كله منك والا من اين يتوصل هذا الشيطان الى هذا الكلام فقالت لها العجوز يا سيدتي انت قاعدة في قصرك العالي وما يصل اليك احد ولا الطير الطائر سلامتك من اللوم والعتاب وما عليك من نبح الكلاب فلا تؤاخذيني حيث اتيتك بهذا الكتاب ولا اعلم ما فيه ولكن الرأي ان تردي اليه جوابا وتهدديه فيه بالقتل وتنهيه عن هذا الهذيان فانه ينتهي ولا يعود فقالت السيدة دنيا اخاف ان اكاتبه فيطمع فقالت العجوز انه اذا سمع التهديد والوعيد رجع عما هو فيه فقالت علي بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما احضروا لها تلك الادوات كتبت هذه الابيات

يا مدعي الحب والبلوى مع السهر * وما يلاقيه من وجد ومن فكر
اتطلب الوصل يا مغرور من قمر * وهل ينال المنى شخص من القمر
اني نصحتك عن ما انت طالبه * فاقصر فانك في هذا على خطر
وان رجعت الى هذا الكلام فقد * اتاك مني عذاب زائد الضرر
وحق من خلق الانسان من علق * ومن انار ضياء الشمس والقمر
لئن رجعت الى ما انت ذاكره * لاصلبنك في جذع من الشجر

ثم طوت الكتاب واعطته للعجوز وقالت لها اعطيه له وقولي له كف عن هذا الكلام فقالت لها سمعا وطاعة ثم اخذت الكتاب وهي فرحانة ومضت الى منزلها وباتت في بيتها فلما اصبح الصباح توجهت الى دكان تاج الملوك فوجدته في انتظارها فلما رآها كاد ان يطير من الفرح فلما قربت منه نهض اليها قائما واقعدها بجانبه فاخرجت له الورقة وناولته اياها وقالت له اقرأ ما فيها ثم قالت له ان السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكنني لاطفتها ومازحتها حتى اضحكتها ورقت لك وردت لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وامر عزيزا ان يعطيها الف دينار ثم انه قرأ الكتاب وفهمه

وبكى بكاء شديدا فرق له قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له ياولدى واى شئ فى هذه الورقة حتى ابكاك فقال لها انها تهددنى بالقتل والصلب وتنهانى عن مراسلتها وان لم اراسلها يكون موتى خيرا من حياتى فخذى جواب كتابها ودعيها تفعل ما تريد فقالت له العجوز وحياة شبابك لابد انى اخاطر معك بروحى وابلغك مرادك واوصلك الى ما فى خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ما تفعلينه اجازيك عليه ويكون فى ميزانك فانك خبيرة بالسياسة وعارفة بابواب الدناسة وكل عسير عليك يسير والله على كل شئ قدير ثم اخذ ورقة وكتب فيها هذه الابيات

امست تهددنى بالقتل واحربى * والقتل لى راحة والموت مقدور
والموت اغنى لصب ان تطول به * حياته وهو ممنوع ومقهور
بالله زوروا محبا قل ناصره * فاننى عبدكم والعبد مأسور
ياسادتى فارحمونى فى محبتكم * فكل من يعشق الاحرار معذور

ثم انه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز وبعد ذلك اخذت الورقة منه وقالت له طب نفسا وقر عينا فلابد ان ابلغك مقصودك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان تاج الملوك لما بكى قالت له العجوز طب نفسا وقر عينا فلابد ان ابلغك مقصودك ثم قامت وتركته على النار وتوجهت الى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها الكتاب فازدادت غيظا وقالت للعجوز اما قلت لك انه يطمع فينا فقالت لها واى شئ هذا الكلب حتى يطمع فيك فقالت لها السيدة دنيا اذهبى اليه وقولى له ان راسلتها بعد ذلك ضربت عنقك فقالت لها العجوز اكتبى له هذا الكلام فى مكتوب وانا اخذ المكتوب معى لاجل ان يزداد خوفه فاخذت ورقة وكتبت فيها هذه الابيات

ايا غافلا عن حادثات الطوارق * وليس الى نيل الوصال بسابق
اتزعم يا مغرور ان تدرك السها * وما انت للبدر المنير بلاحق
فكيف تؤملنا وترجو وصالنا * لتحظى بضم للقدود الرواشق
فدع عنك هذا القصد خيفة سطوتى * بيوم عبوس فيه شيب المفارق

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فاخذته وانطلقت به الى تاج الملوك فلما رآها قام على قدميه وقال لا اعدمنى الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فاخذ الورقة وقرأها وبكى بكاء شديدا وقال انى اشتهى من يقتلنى الان فان القتل اهون على من هذا الامر الذى انا فيه ثم اخذ دواة وقلما وقرطاسا وكتب مكتوبا ورقم فيه هذين البيتين

فيامنيتى لا تبتغى الهجر والجفا * وزورى محبا فى المحبة غارق
ولا تحسبينى فى الحياة مع الجفا * فروحى من بعد الاحبة طالق

ثم طوى الكتاب واعطاه للعجوز وقال لها قد اتعبتك بدون فائدة وامر عزيزا ان يدفع لها الف دينار وقال لها ياامى ان هذه الورقة لابد ان يعقبها كمال الاتصال او كمال الانفصال فقالت له ياولدى والله ما اشتهى لك الا الخير ومرادى ان تكون عندك فانك انت القمر صاحب الانوار الساطعة وهى الشمس الطالعة وان لم اجمع

بينكما فليس فى حياتى فائدة وانا قد قطعت عمرى فى المكر والخداع حتى بلغت التسعين من الاعوام فكيف اعجز عن الجمع بين اثنين فى الحرام ثم ودعته وطيبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشى حتى دخلت على السيدة دنيا وقد اخفت الورقة فى شعرها فلما جلست عندها حكت رأسها وقالت يا سيدتى عساك ان تفلى شوشتى فان لى زمانا ما دخلت الحمام فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلت شعر العجوز وصارت تفلى شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ما هذه الورقة فقالت كانى قعدت على دكان التاجر فتعلقت معى هذه الورقة هاتيها حتى اوديها له ففتحتها السيدة دنيا وقرأتها وفهمت ما فيها وقالت للعجوز هذه حيلة منك ولولا انك ربيتنى لبطشت بك فى هذا الوقت وقد بلانى الله بهذا التاجر وكل ما جرى لى منه من تحت رأسك وما ادرى من اى ارض جاءنا هذا ولم يقدر احد من الناس ان يتجاسر على غيره وانا اخاف ان ينكشف امرى وخصوصا فى رجل ما هو من جنسى ولا من اقرانى فاقبلت العجوز عليها وقالت لا يقدر احد ان يتكلم بهذا الكلام خوفا من سطوتك وهيبة ابيك ولا بأس ان تردى له الجواب فقالت يا دادتى ان هذا شيطان كيف تجاسر على هذا الكلام ولم يخف من سطوة السلطان وقد تحيرت فى امره فان امرت بقتله فليس بصواب وان تركته ازداد فى تجاسره فقالت لها العجوز اكتبى له كتابا لعله ينزجر فطلبت ورقة ودواة وقلما وكتبت له هذه الابيات

طال العتاب وفرط الجهل اغراكا * فكم بخط يدى فى الشعر انهاكا
وانت تزداد عند النهى فى طمع * ولست الا بكتم السر ارضاكا
اكتم هواك ولا تجهر به ابدا * وان نطقت فانى لست ارعاكا
وان رجعت الى ما انت تذكره * فقد اتاك غراب البين ينعاكا
وعن قليل يكون الموت مندفعا * عليك والدفن تحت الارض مثواكا
وتترك الاهل يا مغرور فى ندم * ومن سيوف الهوى قد شط مضناكا

ثم طوت الورقة ودفعتها للعجوز فاخذتها وتوجهت الى تاج الملوك فاعطتها له فلما قرأها علم انها قاسية القلب وانه لا يصل اليها فشكا امره الى الوزير وطلب منه حسن التدبير فقال له الوزير اعلم انه ما بقى شئ يفيد فيها غير انك تكتب لها كتابا وتدعو عليها فيه فقال يا اخى يا عزيز اكتب لها عن لسانى مثل ما تعرف فاخذ عزيز ورقة وكتب هذه الابيات

يا رب بالخمسة الاشياخ تنقذنى * ومن بليت به فاجعله فى شجنى
فانت تعلم انى فى جوى لهب * وقد جفانى حبيب ليس يرحمنى
فكم ارق لها فيما بليت به * وكم تجور على ضعفى وتظلمنى
اهيم فى غمرات لا انقضاء لها * ولا ارى مسعفا يا رب يسعفنى
وكم اروم سلوا فى محبتها * وكيف اسلو وصبرى فى الغرام فنى
يا مانعى فى الهوى طيب الوصال فهل * امنت من نائبات الدهر والمحن
الست فى عيشة مسرورة وانا * مغرب فيك عن اهلى وعن وطنى

ثم ان عزيزا طوى الكتاب وناوله لتاج الملوك فلما قرأه اعجبه فختمه ثم ناوله للعجوز فاخذته العجوز وتوجهت به الى ان دخلت على السيدة دنيا فناولتها اياه فلما قرأته وفهمت مضمونه اغتاظت غيظا شديدا وقالت كل الذى جرى لى من تحت رأس هذه العجوز النحس فصاحت على الجوارى والخدم وقالت امسكوا

هذه العجوز الماكرة واضربوها بنعال الكم فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشى عليها فلما افاقت قالت لها
والله يا عجوز السوء لولا خوفى من الله تعالى لقتلتك ثم قالت لهم اعيدوا عليها الضرب فضربوها حتى
غشى عليها ثم امرتهم ان يجروها ويرموها خارج الباب فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب
فلما افاقت قامت تمشى وتقعد حتى وصلت الى منزلها وصبرت الى الصباح ثم قامت ومشت حتى اتت الى تاج
الملوك واخبرته بجميع ما جرى لها فصعب عليه ذلك وقال لها يعز علينا يا امى ما جرى لك ولكن كل
شئ بقضاء وقدر فقالت له طب نفسا وقر عينا فانى لا ازال اسعى حتى اجمع بينك وبينها واوصلك
الى هذه العاهرة التى احرقتنى بالضرب فقال لها تاج الملوك اخبرينى ما سبب بغضها للرجال فقالت
لانها رأت مناما اوجب ذلك فقال لها وما ذلك المنام فقالت انها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيادا
نصب شركا فى الارض وبذر حوله قمحا ثم جلس قريبا منه فلم يبق شئ من الطيور الا وقد اتى الى ذلك
الشرك ورأت فى الطيور حمامتين ذكرا وانثى فبينما هى تنظر الى الشرك واذا برجل الذكر تعلقت فى الشرك
وصار يختبط فنفرت عنه جميع الطيور وفرت فرجعت اليه امرأته وحامت عليه ثم تقدمت الى الشرك
والصياد غافل فصارت تنقر العين التى فيها رجل الذكر وصارت تجذبه بمنقارها حتى خلصت رجله من
الشرك وطارت هى واياه فجاء بعد ذلك الصياد واصلح الشرك وقعد بعيدا عنه فلم يمض غير ساعة حتى
نزلت الطيور وعلق الشرك فى الانثى فنفرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ولم يعد لانثاه فجاء
الصياد واخذ الطيرة الانثى وذبحها فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا ما فيه خير
والرجال جميعهم ما عندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها التاج الملوك قال لها يا امى اريد ان انظر
اليها نظرة واحدة ولو كان فى ذلك مماتى فتحيلى لى بحيلة حتى انظر اليها فقالت اعلم ان لها بستانا تحت
قصرها وهو برسم فرجتها وانها تخرج اليه فى كل شهر مرة من باب السر وتقعد فيه عشرة ايام وقد جاء
اوان خروجها الى الفرجة فاذا ارادت الخروج اجئ اليك واعلمك حتى تخرج وتصادفها واحرص على
انك لا تفارق البستان فلعلها اذا رأت حسنك وجمالك يتعلق قلبها بمحبتك فان المحبة اعظم اسباب
الاجتماع فقال سمعا وطاعة ثم قام من الدكان هو وعزيز واخذا معهما العجوز ومضيا الى منزلهما
وعرفاها له ثم ان تاج الملوك قال لعزيز يا اخى ليس لى حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتى منها ووهبتها
لك بجميع ما فيها لانك تغربت معى وفارقت بلادك فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان وصار تاج
الملوك يسأله عن غرائب احواله وما جرى له وصار هو يخبره بما حصل له وبعد ذلك اقبلا على الوزير واعلماه
بما عزم عليه تاج الملوك وقالا له كيف العمل فقال قوموا بنا الى البستان فلبس كل واحد منهم افخر
ما عنده وخرجوا وخلفهم ثلاثة مماليك وتوجهوا الى البستان فرأوه كثير الاشجار غزير الانهار ورأوا
الخولى جالسا على الباب فسلموا عليه فرد عليهم السلام فناوله الوزير مائة دينار وقال اشتهى ان تأخذ
هذه النفقة وتشترى لنا شيأ نأكله فانا غرباء ومعى هؤلاء الاولاد واردت ان افرجهم فاخذ البستانى
الدنانير وقال لهم ادخلوا وتفرجوا وجميعه ملككم واجلسوا حتى احضر لكم بما تأكلون ثم توجه الى
السوق ودخل الوزير وتاج الملوك وعزيز داخل البستان بعد ان ذهب البستانى الى السوق ثم بعد ساعة
اتى ومعه خاروف مشوى ووضعه بين ايديهم فاكلوا وغسلوا ايديهم وجلسوا يتحدثون فقال الوزير اخبرنى
عن هذا البستان هل هو لك ام انت مستأجره فقال الشيخ ما هو لى وانما هو لبنت الملك السيدة دنيا
فقال الوزير كم لك فى كل شهر من الاجرة فقال دينار واحد لا غير فتأمل الوزير فى البستان فرأى هنالك

قصرا عاليا الا انه عتيق فقال الوزير ياشيخ اريد ان اعمل هنا خيرا تذكرني به فقال وما تريد ان تفعل من الخير فقال خذ هذه الثلثمائة دينار فلما سمع الخولي بذكر الذهب قال ياسيدي مهما شئت فافعل ثم اخذ الدنانير فقال له ان شاء الله تعالى تفعل في هذا المحل خيرا ثم خرجوا من عنده وتوجهوا الى منزلهم وباتوا تلك الليلة فلما كان من الغد احضر الوزير مبيضا ونقاشا وصائغا جيدا واحضر لهم جميع ما يحتاجون اليه من الالات ودخل بهم البستان وامرهم ببياض ذلك القصر وزخرفته بانواع النقش ثم امر باحضار الذهب واللازورد وقال للنقاش اعمل في صدر هذا الايوان صورة ادمي صياد كانه نصب شركه وقد وقعت فيه حمامة واشتبكت بمنقارها في الشرك فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه قال له الوزير افعل في الجانب الاخر مثل الاول وصور صورة الحمامة في الشرك وان الصياد اخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل في الجانب الاخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وانشب فيه مخالبه ففعل ذلك فلما فرغ من هذه الاشياء التي ذكرها الوزير ودعوا البستاني ثم توجهوا الى منزلهم وجلسوا يتحدثون فقال تاج الملوك لعزيز يا اخي انشدني بعض الاشعار لعل صدري ينشرح وتزول عني هذه الافكار ويبرد ما بقلبي من لهيب النار فعند ذلك اطرب عزيز بالنغمات وانشد هذه الابيات

جميع ما قالت العشاق من كمد * حويته مفردا حتى وهى جلدى
وان ترد موردا من ادمعي اتسعت * للواردين بحار الدمع في مدد
وان ترد تنظر العشاق ما صنعت * ايدي الغرام بهم فانظر الى جسدي

ثم افاض العبرات وانشد هذه الابيات

من كان لا يعشق الاجياد والحدق * ثم ادعى لذة الدنيا فما صدق
فان في العشق معنى ليس يدركه * من البرية الا كل من عشق
لاخفف الله عن قلبي صبابته * بمن هويت ولا عن جفني الارق

ثم اطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

زعم ابن سينا في اصول كلامه * ان المحب دواؤه الالحان
ووصال مثل حبيبه من جنسه * والنقل والمشروب والبستان
فصحبت غيرك للتداوي مرة * واعانني المقدور والامكان
فعلمت ان الحب داء قاتل * فيه ابن سينا طبه هذيان

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب تاج الملوك من فصاحته وحسن روايته وقال له قد ازلت عني بعض ما بي ثم قال له ان كان يحضرك شئ من جنس هذا فاسمعني ما حضرك من هذا الشعر الرقيق وطول الحديث فاطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

قد كنت احسب ان وصلك يشترى * بكرائم الاموال والاشباح
وظننت جهلا ان حبك هين * تفنى عليه نفائس الارواح
حتى رأيتك تجتبي وتخص من * احببته بلطائف الامناح
فعلمت انك لا تنال بحيلة * ولويت رأسي تحت طي جناحي
وجعلت في عش الغرام اقامتي * فيه غدوي دائما ورواحي

هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر العجوز فانها انقطعت في بيتها واشتاقت بنت الملك الى

الفرجة فى البستان وهى لاتخرج الا بالعجوز فارسلت اليها وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت انى اريد
ان اخرج الى البستان لاتفرج على اشجاره واثماره وينشرح صدرى بازهاره فقالت لها العجوز سمعا
وطاعة ولكن اريد ان اذهب الى بيتى والبس ثوابى واحضر عندك فقالت لها اذهبى الى بيتك
ولاتتأخرى عنى فخرجت العجوز من عندها وتوجهت الى تاج الملوك وقالت له تجهز والبس افخر ثوابك
واذهب الى البستان وادخل على البستانى وسلم عليه ثم اختف فى البستان فقال سمعا وطاعة وجعلت
بينها وبينه اشارة ثم توجهت الى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير وعزيز والبسا تاج الملوك بدلة من افخر
ملابس الملوك تساوى خمسة الاف دينار وشدا فى وسطه حياصة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن
ثم توجهوا الى البستان فلما وصلوا الى باب البستان وجدوا الخولى جالسا هناك فلما رآه البستانى نهض له
على الاقدام وقابله بالتعظيم والاكرام وفتح له الباب وقال له ادخل وتفرج فى البستان ولم يعلم البستانى
ان بنت الملك تدخل البستان فى هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث الا مقدار ساعة وسمع ضجة
فلم يشعر الا والخدم والجوارى خرجوا من باب السر فلما رآهم الخولى ذهب الى تاج الملوك واعلمه بمجيئها
وقال له يامولاى كيف يكون العمل وقد اتت ابنة الملك السيدة دنيا فقال لاباس عليك فانى اختفى
فى بعض مواضع البستان فاوصاه البستانى بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هى
وجواريها والعجوز فى البستان قالت العجوز فى نفسها متى كان الخدم معنا فاننا لانال مقصودنا
ثم قالت لابنة الملك ياسيدتى انى اقول لك على شئ فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيا قولى ما عندك
فقالت العجوز ياسيدتى ان هؤلاء الخدم لاحاجة لك بهم فى هذا الوقت ولا ينشرح صدرك ماداموا معنا
فاصرفيهم عنا فقالت السيدة دنيا صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر اليها
والى حسنها وجمالها وهى لاتشعر بذلك وكلما نظر اليها يغشى عليه مما رأى من بارع حسنها وصارت
العجوز تسارقها فى الحديث الى ان اوصلتها الى القصر الذى امر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك القصر
وتفرجت على نقشه وابصرت الطيور والصياد والحمام فقالت سبحان الله ان هذه صفة ما رأيته فى المنام
وصارت تنظر الى صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت يادادتى انى كنت الوم الرجال وابغضهم
ولكن انظرى الصياد كيف ذبح الطيرة الانثى وتخلص الذكر واراد ان يجىء الى الانثى ويخلصها فقابله
الجارح وافترسه وصارت العجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث الى ان قربا من المكان المختفى
فيه تاج الملوك فاشارت اليه العجوز ان يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك اذ
لاحت منها التفاتة فرأته وتأملت جماله وقده واعتداله ثم قالت يادادتى من اين هذا الشاب المليح
فقالت لا اعلم به غير انى اظن انه ولد ملك عظيم فانه بلغ من الحسن النهاية ومن الجمال الغاية فهامت به
السيدة دنيا وانحلت عرى عزائمها وانبهر عقلها من حسنه وجماله وقده واعتداله وتحركت عليها
الشهوة فقالت للعجوز يادادتى ان هذا الشاب مليح فقالت لها العجوز صدقت ياسيدتى ثم ان العجوز اشارت
الى ابن الملك ان يذهب الى بيته وقد التهبت به نار الغرام وزاد به الوجد والهيام فسار وودع الخولى وانصرف
الى منزله الا انه لم يخالف العجوز واخبر الوزير وعزيزا بان العجوز اشارت اليه بالانصراف فصارا يصبرانه
ويقولان له لولا ان العجوز تعلم ان فى رجوعك مصلحة ما اشارت عليك بهذا هذا ما كان من امر تاج الملوك
والوزير وعزيز واما ما كان من امر بنت الملك السيدة دنيا فانها غلب عليها الغرام وزاد بها الوجد
والهيام وقالت للعجوز انا ما اعرف اجتماعى بهذا الشاب الا منك فقالت لها العجوز اعوذ بالله من الشيطان

الرجيم

الرجيم انت لا تريدين الرجال وكيف حلت بك من عشقه الاوجال ولكن والله ما يصلح لشبابك الا هو فقالت السيدة دنيا يا دادتي اسعفيني باجتماعي عليه ولك عندي الف دينار وخلعة بالف دينار وان لم تسعفيني بوصاله فاني ميتة لا محالة فقالت العجوز امضي انت الى قصرك وانا اتسبب في اجتماعكما وابذل روحي في مرضاتكما ثم ان السيدة دنيا توجهت الى قصرها وتوجهت العجوز الى تاج الملوك فلما رآها نهض اليها على الاقدام وقابلها باعزاز واكرام واجلسها الى جانبه فقالت له ان الحيلة قد تمت وحكت له ما جرى لها مع السيدة دنيا فقال لها متى يكون الاجتماع قالت في غد فاعطاها الف دينار وحلة بالف دينار فاخذتهما وانصرفت ولا زالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يا دادتي ما عندك من خبر الحبيب فقالت لها قد عرفت مكانه وفي غد اكون به عندك ففرحت السيدة دنيا بذلك واعطتها الف دينار وحلة بالف دينار فاخذتهما وانصرفت الى منزلها وباتت فيه الى الصباح ثم خرجت وتوجهت الى تاج الملوك والبسته لبس النساء وقالت له امش خلفي وتمايل في خطواتك ولا تستعجل في مشيك ولا تلتفت الى من يكلمك وبعد ان اوصت تاج الملوك بهذه الوصية خرجت وخرج خلفها وهو في زي النسوان وصارت تعلمه في الطريق حتى لا يفزع ولم تزل ماشية وهو خلفها حتى وصلا الى باب القصر فدخلت وهو وراءها وصارت تخترق الابواب والدهاليز الى ان جاوزت به سبعة ابواب ولما وصلت الى الباب السابع قالت لتاج الملوك قو قلبك واذا زعقت عليك وقلت لك يا جارية اعبري فلا تتوان في مشيك وهرول فاذا دخلت الدهليز فانظر الى شمالك ترى ايوانا فيه ابواب فعد خمسة ابواب وادخل الباب السادس فان مرادك فيه فقال تاج الملوك واين تروحين انت فقالت له ما اروح موضعا غير اني ربما اتأخر عنك واتحدث مع الخادم الكبير ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت الى الباب الذي فيه الخادم الكبير فرأى معها تاج الملوك في صورة جارية فقال لها ما شأن هذه الجارية التي معك فقالت له هذه جارية قد سمعت السيدة دنيا بانها تعرف الاشغال وتريد ان تشتريها فقال لها الخادم انا لا اعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل احد حتى افتشه كما امرني الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب قال للعجوز انا لا اعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل احد حتى افتشه كما امرني الملك فقالت له العجوز وقد اظهرت الغضب انا اعرف انك عاقل ومؤدب فان كان حالك قد تغير فاني اعلمها بذلك واخبرها انك تعرضت لجاريتها ثم زعقت على تاج الملوك وقالت له اعبري يا جارية فعند ذلك عبر الى داخل الدهليز كما امرته وسكت الخادم ولم يتكلم ثم ان تاج الملوك عد خمسة ابواب ودخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة في انتظاره فلما رأته عرفته فضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم دخلت العجوز عليهما وتحيلت على صرف الجواري ثم قالت السيدة دنيا للعجوز كوني انت بوابة ثم اختلت هي وتاج الملوك ولم يزالا في ضم وعناق والتفاف ساق على ساق الى وقت السحر ولما اصبح الصباح اغلقت عليهما الباب ودخلت مقصورة اخرى وجلست على جري عادتها واتت اليها الجواري وقضت حوائجهن وصارت تحدثهن ثم قالت للجواري اخرجن الان من عندي فاني اريد ان انشرح وحدي فخرج الجواري من عندها ثم انها اتت اليهما ومعها شيء من الاكل فاكلوا واخذوا في الهراش الى

وقت السحر فاغلقت عليهما الباب مثل اليوم الاول ولم يزالوا على ذلك مدة شهر كامل هذا ما كان من امر
تاج الملوك والسيدة دنيا واما ما كان من امر الوزير وعزيز فانهما لما توجه تاج الملوك الى قصر بنت الملك
ومكث تلك المدة علما انه لا يخرج منه ابدا وانه هالك لا محالة فقال عزيز للوزير يا والدي ماذا نصنع
فقال الوزير يا ولدي ان هذا الامر مشكل وان لم نرجع الى ابيه ونعلمه فانه يلومنا على ذلك ثم تجهزا
في الوقت والساعة وتوجها الى الارض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وسارا يقطعان
الاودية في الليل والنهار الى ان دخلا على الملك سليمان شاه واخبراه بما جرى لولده وانه من حين دخل
قصر بنت الملك لم يعلموا له خبرا فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتدت به الندامة وامر ان ينادى في مملكته
بالجهاد ثم برز العساكر الى خارج مدينته ونصب لهم الخيام وجلس في سرادقه حتى اجتمعت الجيوش
من سائر الاقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله واحسانه ثم سار في عسكر سد الافق متوجها في طلب
ولده تاج الملوك هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر تاج الملوك والسيدة دنيا فانهما اقاما على
حالهما نصف سنة وهما كل يوم يزدادان محبتا في بعضهما وزاد على تاج الملوك العشق والهيام والوجد
والغرام حتى افصح لها عن الضمير وقال لها اعلمي يا حبيبة القلب والفؤاد انني كلما اقمت عندك ازددت
هياما ووجدا وغراما لاني ما بلغت المرام بالكلية فقالت له وما تريد يا نور عيني وثمرة فؤادي ان شئت غير
الضم والعناق والتفاف الساق على الساق فافعل الذي يرضيك وليس لله فينا شريك فقال ليس
مرادي هكذا وانما مرادي ان اخبرك بحقيقتي فاعلمي اني لست بتاجر بل انا ملك ابن ملك واسم ابي
الملك الاعظم سليمان شاه الذي انفذ الوزير رسولا الى ابيك ليخطبك لي فلما بلغك الخبر ما رضيت ثم انه قص
عليها قصته من الاول الى الآخر وليس في الاعادة افادة واريد الآن ان اتوجه الى ابي ليرسل رسولا الى ابيك
ويخطبك منه ونستريح فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحا شديدا لانه وافق غرضها ثم باتا على هذا الاتفاق
واتفق بالامر المقدور ان النوم غلب عليهما في تلك الليلة من دون الليالي واستمر الى ان طلعت الشمس
وفي ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالسا في دست مملكته وبين يديه امراء دولته اذ دخل عليه عريف
الصياغ وبيده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدي الملك واخرج منه علبة لطيفة تساوي مائة الف دينار
لما فيه من الجواهر واليواقيت والزمرد مما لا يقدر عليه احد من ملوك الاقطار فلما رآها الملك تعجب
من حسنها والتفت الى الخادم الكبير الذي جرى له مع العجوز ما جرى وقال له يا كافور خذ هذه العلبة
وامض بها الى السيدة دنيا فاخذها الخادم ومضى حتى وصل الى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقا
والعجوز نائمة على عتبته فقال الخادم الى هذه الساعة وانتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم
انتبهت من منامها وخافت منه وقالت اصبر حتى آتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا
ما كان من امرها واما ما كان من امر الخادم فانه عرف انها مرتابة فقلع الباب ودخل المقصورة
فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك وهما نائمان فلما رأى ذلك تحير في امره وهم ان يعود الى الملك فانتبهت
السيدة دنيا فوجدته فتغيرت واصفر لونها وقالت له يا كافور استر ما ستره الله فقال انا لا اقدر ان اخفي شيأ
عن الملك ثم قفل الباب عليهما ورجع الى الملك فقال له الملك هل اعطيت العلبة لسيدتك فقال له الخادم
خذ العلبة ها هي وانا لا اقدر ان اخفي عنك شيأ اعلم اني رأيت عند السيدة دنيا شابا جميلا نائما
معها في فرش واحد وهما متعانقان فامر الملك باحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما
ما هذه الفعال واشتد به الغيظ فاخذ نمشة وهم ان يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها

عليه وقالت لابيها اقتلني قبله فقهرها الملك وامرهم ان يمضوا بها الى حجرتها ثم التفت الى تاج الملوك وقال له ويلك من اين انت ومن ابوك وما جسرك على ابنتي فقال تاج الملوك اعلم ايها الملك انك ان قتلتني هلكت وندمت انت ومن في مملكتك فقال له الملك ولم ذلك فقال اعلم اني ابن الملك سليمان شاه وما تدرى الا وقد اقبل عليك بخيله ورجله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام اراد ان يؤخر قتله ويضعه في السجن حتى ينظر صحة قوله فقال له وزيره يا ملك الزمان الرأى عندى ان تعجل قتل هذا العلق فانه تجاسر على بنات الملوك فقال للسياف اضرب عنقه فانه خائن فاخذه السياف وشد وثاقه ورفع يده وشاور الامراء اولا وثانيا وقصد بذلك ان يكون في الامر توان فزعق عليه الملك وقال له الى متى تشاور ان شاورت مرة اخرى ضربت عنقك فرفع السياف يده حتى بان شعر ابطه واراد ان يضرب عنقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السياف رفع يده حتى بان شعر ابطه واراد ان يضرب عنقه واذا بزعقات عالية والناس اغلقوا الدكاكين فقال الملك للسياف لا تعجل ثم ارسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد اليه وقال له رأيت عسكرا كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج وخيلهم في ركض وقد ارتجت لهم الارض وما ادرى خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه ان ينزع منه ثم التفت الى وزيره وقال له اما خرج احد من عسكرنا الى هذا العسكر فما تم كلامه الا وحجابه قد دخلوا عليه ومعهم رسل الملك القادم ومن جملتهم الوزير فابتدأ بالسلام فنهض لهم قائما وقربهم وسألهم عن شأن قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدم اليه وقال له اعلم ان الذى نزل بارضك ملك ليس كالملوك المتقدمين ولا مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو صاحب العدل والامان الذى شاعت بعلو همته الركبان السلطان سليمان شاه صاحب الارض الخضراء والعمودين وجبال اصفهان وهو يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاعتساف ويقول لك ان ابنه عندك وفي مدينتك وهو حشاشة قلبه وثمرة فؤاده فان وجده سالما فهو المقصود وانت المشكور والمحمود وان كان فقد من بلادك او اصابه شئ فابشر بالدمار وخراب الديار لانه يصير بلدك قفراء ينعق فيها الغراب وها انا قد بلغتك الرسالة والسلام فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول انزعج فؤاده وخاف على مملكته وزعق على ارباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم انزلوا وفتشوا على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع ثم ان الرسول لاحت منه التفاتة فوجد ابن ملكه على نطع الدم فعرفه وقام ورمى روحه عليه وكذلك بقية الرسل ثم تقدموا وحلوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينيه فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيزا فوقع مغشيا عليه من شدة فرحته بهما ثم ان الملك شهرمان صار متحيرا في امره وخاف خوفا شديدا لما تحقق ان مجئ هذا العسكر بسبب هذا الغلام فقام وتمشى الى تاج الملوك وقبل رأسه ودمعت عيناه وقال له يا ولدى لا تؤاخذنى ولا تؤاخذ المسيء بفعله فارحم شيبتى ولا تخرب مملكتى فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لا بأس عليك وانت عندى بمنزلة والدى ولكن الحذر ان يصيب محبوبتى السيدة دنيا شيء فقال يا سيدى لا تخف عليها انما يحصل لها الا السرور وصار الملك يعتذر اليه ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ووعده بالمال الجزيل على ان يخفى من الملك ما رآه ثم بعد ذلك امر كبراء دولته

ان يأخذوا تاج الملوك ويذهبوا به الى الحمام ويلبسوه بدلة من خيار ملابس الملوك ويأتوا به بسرعة ففعلوا
ذلك وادخلوه الحمام والبسوه البدلة التى افردها له الملك شهرمان ثم اتوا به الى المجلس فلما دخل على الملك
شهرمان وقف له هو وجميع ارباب دولته وقام الجميع فى خدمته ثم ان تاج الملوك جلس يحدث وزير والده
وعزيزا بما وقع له فقال له الوزير وعزيز ونحن فى تلك المدة مضينا الى والدك فاخبرناه بانك دخلت سراية
بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا امرك فحين سمع بذلك جهز العساكر ثم قدمنا هذه الديار وكان
فى قدومنا الفرج والسرور فقال لهما لا زال الخير يجرى على ايديكما اولا وآخرا وكان الملك فى ذلك الوقت
قد دخل على ابنته السيدة دنيا فوجدها تبكى على تاج الملوك واخذت سيفا وركزت قبضته الى الارض
وجعلت ذبابته على رأس قلبها بين نهديها وانحنت على السيف وصارت تقول لابد ان اقتل نفسى
ولا اعيش بعد حبيبى فلما دخل عليها ابوها ورآها فى هذه الحالة صاح عليها وقال لها يا سيدة بنات الملوك
لا تفعلى وارحمى اباك واهل بلدك ثم تقدم اليها وقال لها حاشاك ان يصيب والدك بسببك سوء ثم اعلمها
بالقصة وان محبوبها ابن الملك سليمان شاه يريد زواجها وقال لها ان امر الخطبة والزواج مفوض الى رأيك
فتبسمت وقالت له اما قلت لك انه ابن سلطان فانا اخليه يصلبك على خشبة تساوى درهمين فقال لها
بالله عليك ان ترحمى اباك فقالت له رح اليه وائتنى به فقال لها على الرأس والعين ثم رجع من عندها
سريعا ودخل على تاج الملوك وساره بهذا الكلام ثم قام معه وتوجه اليها فلما رأت تاج الملوك عانقته قدام
ابيها وتعلقت به وقالت له اوحشتنى ثم التفتت الى ابيها وقالت هل احد يفرط فى مثل هذا الشاب المليح وهو
ملك ابن ملك فعند ذلك خرج الملك شهرمان ورد الباب عليهما ومضى الى وزير ابى تاج الملوك ورسله وامرهم
ان يعلموا السلطان سليمان شاه بان ولده بخير وعافية وهو فى ألذ عيش ثم ان السلطان شهرمان امر باخراج
الضيافات والعلوفات الى عساكر السلطان سليمان شاه والد تاج الملوك فلما اخرجوا جميع ما امر به اخرج
مائة جواد من الخيل ومائة هجين ومائة مملوك ومائة سرية ومائة عبد ومائة جارية وارسل الجميع اليه هدية
ثم بعد ذلك توجه اليه هو وارباب دولته وخواصه حتى صاروا فى ظاهر المدينة فلما علم بذلك السلطان سليمان
شاه تمشى خطوات الى لقائه وكان الوزير وعزيز اعلماه بالخبر ففرح وقال الحمد لله الذى بلغ ولدى مناه
ثم ان الملك سليمان شاه اخذ الملك شهرمان بالحضن واجلسه بجانبه على السرير وصار يتحدث هو واياه
ثم قدموا لهم الطعام فاكلوا حتى اكتفوا ثم قدموا لهم الحلويات ولم يمض الا قليل حتى جاء تاج الملوك
وقدم عليه بلباسه وزينته فلما رآه والده قام له وقبله وقام له جميع من حضر وجلس بينهم ساعة يتحدثون
فقال الملك سليمان شاه انى اريد ان اكتب كتاب ولدى على ابنتك على رؤس الاشهاد فقال له سمعا وطاعة
ثم ارسل الملك شهرمان الى القاضى والشهود فحضروا وكتبوا الكتاب وفرح العساكر بذلك وشرع
الملك شهرمان فى تجهيز ابنته ثم قال تاج الملوك لوالده ان عزيزا رجل من الكرام وقد خدمنى خدمة عظيمة
وتعب وسافر معى واوصلنى الى بغيتى ولم يزل يصبرنى حتى قضيت حاجتى ومضى له معنا سنتان وهو
منقطع عن بلاده فالمقصود اننا نهيئ له تجارة لان بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت ثم هيئوا له مائة
حمل من اغلى القماش واقبل عليه تاج الملوك وودعه وقال له يا اخى اقبل هذه على سبيل الهدية فقبلها
منه وقبل الارض قدامه وقدام والده الملك سليمان شاه ثم ركب تاج الملوك وسار مع عزيز قدر
ثلاثة اميال وبعدها اقسم عليه عزيز ان يرجع وقال لولا والدتى ما صبرت على فراقك فبالله عليك
لا تقطع اخبارك عنى ثم ودعه ومضى الى مدينته فوجد والدته بنت له قبرا فى وسط الدار وصارت

تزوره ولما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر وهي تفيض دمع العين وتنشد هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنه * ام قد تغير ذاك المنظر النضر
يا قبر ما انت بستان ولا فلك * فكيف يجمع فيك البدر والزهر

ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

مالى مررت على القبور مسلما * قبر الحبيب فلم يرد جوابى
قال الحبيب وكيف رد جوابكم * وانا رهين جنادل وتراب
اكل التراب محاسنى فنسيتكم * وحجبت عن اهلى وعن احبابى

فما تمت شعرها الا وعزيز داخل عليها فلما رأته قامت اليه واحتضنته وسألته عن سبب غيابه فحدثها بما وقع له من اوله الى آخره وان تاج الملوك اعطاه من المال والاقمشة مائة حمل ففرحت بذلك واقام عزيز عند والدته متحيرا فيما وقع له من الدليلة المحتالة التي خصته هذا ما كان من امر عزيز واما ما كان من امر تاج الملوك فانه دخل بمحبوبته السيدة دنيا وازال بكارتها ثم ان الملك شهرمان شرع في تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وابيها فاحضر لهم الزاد والهدايا والتحف ثم حملوا وساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلاثة ايام لاجل الوداع فاقسم عليه الملك سليمان شاه بالرجوع فرجع وما زال تاج الملوك ووالده وزوجته سائرين في الليل والنهار حتى اشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك سليمان شاه سار هو وولده وزوجة ولده حتى اشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة ثم دخلوا المدينة وجلس الملك سليمان شاه على سرير مملكته وولده تاج الملوك في جانبه ثم اعطى ووهب واطلق من كان في الحبوس ثم عمل لولده عرسا ثانيا واستمرت به المغاني والملاهي شهرا كاملا وازدحمت المواشط على السيدة دنيا وهي لا تمل من الجلاء ولا يملن من النظر اليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد ان اجتمع على ابيه وامه وما زالوا في ارغد عيش واهناه فعند ذلك قال ضوء المكان للوزير دندان مثلك من نادم الملوك وسلك في تدبيرهم احسن السلوك هذا كله وهم محاصرون للقسطنطينية حتى مضى عليهم اربع سنين ثم اشتاقوا الى اوطانهم وضجرت العساكر من الحصار وادامة الحرب في الليل والنهار فامر الملك ضوء المكان باحضار بهرام ورستم وتركاش فلما حضروا قال لهم اعلموا انا اقمنا هذه السنين وما بلغنا مراما فازددنا غما وهما وقد اتينا لنخلص ثار الملك عمر النعمان فقتل اخي شركان فصارت الحسرة حسرتين والمصيبة مصيبتين وسبب هذا كله العجوز ذات الدواهي فانها قتلت السلطان في مملكته واخذت زوجته الملكة صفية وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وذبحت اخي وقد حلفت الايمان العظيمة انه لابد من اخذ الثار فما تقولون انتم فافهموا هذا الخطاب وردوا على الجواب فاطرقوا رؤسهم واحالوا الامر على الوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان الى الملك ضوء المكان وقال له اعلم يا ملك الزمان انه ما بقي في اقامتنا فائدة والرأي اننا نرحل الى الاوطان ونقيم هناك برهة من الزمان ثم نعود ونغزو عبدة الاصنام فقال الملك نعم هذا الرأي لان الناس اشتاقوا الى رؤية عيالهم

وانا ايضا اقلقنى الشوق الى ولدى كان ما كان والى ابنة اخى قضى فكان لانها فى دمشق ولا اعلم ما كان
من امرها فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا ودعوا للوزير دندان ثم ان الملك ضوء المكان امر المنادى
ان ينادى بالرحيل بعد ثلاثة ايام فابتدؤا فى تجهيز احوالهم وفى اليوم الرابع دقت الكاسات ونشرت
الرايات وتقدم الوزير دندان فى مقدم العسكر وسار الملك فى وسط العساكر وبجانبه الحاجب الكبير
وسارت الجيوش ومازالوا مجدين السير بالليل والنهار حتى وصلوا الى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم
الناس وزال عنهم الهم والباس ثم ذهب كل امير الى داره وطلع الملك الى قصره ودخل على ولده كان ما كان
وقد بلغ من العمر سبع سنين وصار ينزل ويركب ولما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو وولده كان
ما كان ثم رجع وجلس على كرسى مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه وطلعت الامراء وخواص الدولة
ووقفوا فى خدمته فعند ذلك امر الملك ضوء المكان باحضار صاحبه الوقاد الذى احسن اليه
فى غربته فحضر بين يديه فلما رآه الملك ضوء المكان قادما عليه نهض له قائما واجلسه الى جانبه وكان الملك
ضوء المكان قد اخبر الوزير بما فعل معه صاحبه الوقاد من المعروف فعظم فى عينه وفى اعين الامراء
وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الاكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل ووجهه كبطن الدرفيل وصار
طائش العقل لانه كان لا يخرج من المكان الذى هو فيه فلم يعرف الملك بسيماه فاقبل عليه الملك وابش
فى وجهه وحياه اعظم التحيات وقال له ما اسرع ما نسيتنى فامعن فيه النظر فلما تحققه وعرفه قام له على
الاقدام وقال له يا حبيبى من عملك سلطانا فضحك عليه فاقبل عليه الوزير بالكلام وشرح له القصة وقال له
انه كان اخاك وصاحبك والان صار ملك الارض ولا بد ان يصل اليك منه خير كثير وها انا اوصيك اذا
قال لك تمن على فلا تتمن الا شيأ عظيما لانك عنده عزيز فقال الوقاد اخاف ان اتمنى عليه شيأ فلا يسمح لى به
او لا يقدر عليه فقال له الوزير كلما تمنيته يعطيك اياه فقال له والله لا بد ان اتمنى عليه الشئ الذى فى خاطرى
وكل يوم ارجو منه ان يسمح لى به فقال له الوزير طيب قلبك والله لو طلبت ولاية دمشق موضع اخيه
لولاك عليها فعند ذلك قام الوقاد على قدميه فاشار له ضوء المكان ان اجلس فابى وقال معاذ الله قد
انقضت ايام قعودى فى حضرتك فقال له السلطان لا بل هى باقية الى الان فانك كنت سببا لحياتى والله
لو طلبت منى مهما اردت لاعطيتك اياه فتمن على الله فقال له يا سيدى انى اخاف ان اتمنى شيأ فلا تسمح لى به
او لا تقدر عليه فضحك السلطان وقال له لو تمنيت نصف مملكتى لشاركتك فيها فتمن ما تريد قال الوقاد
اخاف ان اتمنى شيأ لا تقدر عليه فغضب السلطان وقال له تمن ما اردت فقال له تمنيت عليك ان تكتب لى
مرسوما بعرافة جميع الوقادين الذين فى مدينة القدس فضحك السلطان وجميع من حضر وقال له تمن غير
هذا فقال الوقاد انا ما قلت لك انى اخاف ان اتمنى شيأ لا تسمح لى به او ما تقدر عليه فغمزه الوزير ثانيا وثالثا
وفى كل مرة يقول اتمنى عليك ان تجعلنى رئيس الزبالين فى مدينة القدس او فى مدينة دمشق فانقلب
الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفت الوقاد الى الوزير وقال له ما تكون حتى
تضربنى ومالى ذنب فانك انت الذى قلت لى تمن شيأ عظيما ثم قال دعونى اسير الى بلادى فعرف السلطان
انه يلعب فصبر قليلا ثم اقبل عليه وقال له يا اخى تمن على امرا عظيما لائقا بمقامى فقال له اتمنى سلطنة
دمشق موضع اخيك فكتب له التواقيع بذلك وقال للوزير دندان ما يروح معه غيرك واذا اردت العود
فاحضر معك بنت اخى قضى فكان فقال الوزير سمعا وطاعة ثم اخذ الوقاد ونزل به وتجهز للسفر وامر
السلطان ضوء المكان ان يخرجوا للوقاد تختا جديدا وطقم سلطنة وقال للامراء من كان يحبنى فليقدم

اليه

اليه هدية عظيمة ثم سماه السلطان الزبلكان ولقبه بالمجاهد وبعد شهر كملت حوائجه وطلع الزبلكان
وفى خدمته الوزير دندان ثم دخل على ضوء المكان ليودعه فقام له وعانقه واوصاه بالعدل بين الرعية
وامره ان يأخذ الاهبة للجهاد بعد سنتين ثم ودعه وانصرف وسار الملك المجاهد المسمى بالزبلكان بعد
ان اوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرا وقدمت له الامراء المماليك فبلغوا خمسة الاف مملوك وركبوا
خلفه وركب الحاجب الكبير وامير الديلم بهرام وامير الترك رستم وامير العرب تركاش وساروا فى توديعه
وما زالوا سائرين معه ثلاثة ايام ثم عادوا الى بغداد وسار السلطان الزبلكان هو والوزير دندان وما زالوا
سائرين حتى وصلوا الى دمشق وكانت الاخبار قد وصلت اليهم على اجنحة الطيور بان الملك ضوء المكان
سلطن على دمشق ملكا يقال له الزبلكان ولقبه بالمجاهد فلما وصل اليهم الخبر زينوا له المدينة وخرج
الى ملاقاته كل من فى دمشق ثم دخل دمشق وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير
دندان فى خدمته يعرفه منازل الامراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبلون يديه ويدعون له واقبل
عليهم الملك الزبلكان وخلع واعطى ووهب ثم فتح خزائن الاموال وانفقها على جميع العساكر كبيرا
وصغيرا وحكم وعدل وشرع الزبلكان فى تجهيز بنت السلطان شركان السيدة قضى فكان
وجعل لها محفة من الابريسم وجهز الوزير وقدم له شيأ من المال فابى الوزير دندان وقال له انت قريب
عهد بالملك وربما تحتاج الى الاموال او نرسل اليك نطلب منك مالا للجهاد او غير ذلك ولما تهيأ الوزير
دندان للسفر ركب السلطان المجاهد الى وداعه واحضر قضى فكان واركبها فى المحفة وارسل معها عشر
جوار برسم الخدمة وبعد ان سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد الى مملكته ليدبرها واهتم بآلة السلاح
وصار ينتظر الوقت الذى يرسل اليه فيه الملك ضوء المكان هذا ما كان من امر السلطان الزبلكان
واما ما كان من امر الوزير دندان فانه لم يزل يقطع المراحل بقضى فكان حتى وصل الى الرحبة بعد شهر
ثم سار حتى اشرف على بغداد وارسل اعلم ضوء المكان بقدومه فركب وخرج الى لقائه فاراد الوزير دندان
ان يترجل فاقسم عليه الملك ضوء المكان ان لا يفعل فسار راكبا حتى جاء الى جانبه وسأله عن المجاهد
فاعلمه انه بخير واعلمه بقدوم قضى فكان بنت اخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر
ثلاثة ايام ثم بعد ذلك تعال عندى فقال حبا وكرامة ثم دخل بيته وطلع الملك الى قصره ودخل على
ابنة اخيه قضى فكان وهى ابنة ثمان سنين فلما رآها فرح بها وحزن على ابيها واعطاها حليا ومصاغا
عظيما وامر ان يجعلوها مع ابن عمها كان ما كان فى مكان واحد وكانت احسن اهل زمانها واشجعهم
لانها كانت صاحبة تدبير وعقل ومعرفة بعواقب الامور واما كان ما كان فانه كان مولعا بمكارم
الاخلاق ولكنه لا يفكر فى عاقبة شىء ثم بلغ عمر كل واحد من الاثنين عشر سنين وصارت قضى
فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها فى البر ويتعلمان الضرب بالسيف والطعن بالرمح حتى بلغ عمر
كل منهما اثنتى عشرة سنة ثم ان الملك انتهت اشغاله للجهاد واكمل الاهبة والاستعداد فاحضر
الوزير دندان وقال له اعلم انى عزمت على شىء واريد اطلاعك عليه فاسرع فى رد الجواب فقال الوزير دندان
ما هو يا ملك الزمان قال عزمت على ان اسلطن ولدى كان ما كان وافرح به فى حياتى واقاتل قدامه الى
ان يدركنى الممات فما عندك من الرأى فقبل الوزير دندان الارض بين يدى الملك ضوء المكان وقال له اعلم
ايها الملك السعيد صاحب الرأى السديد ان ما خطر ببالك مليح غير انه لا يناسب فى هذا الوقت لخصلتين
الاولى ان ولدك كان ما كان صغير السن والثانية ما جرت به العادة من ان من سلطن ولده فى حياته

لا يعيش الا قليلا وهذا ما عندى من الجواب فقال اعلم ايها الوزير انما اوصى عليه الحاجب الكبير فانه صار منا والينا وقد تزوج اختى فهو فى منزلة اخى فقال له الوزير افعل ما بدا لك فنحن ممتثلون امرك فارسل الملك الى الحاجب الكبير فاحضره وكذلك اكابر مملكته وقال لهم ان هذا ولدى كان ما كان قد علمتم انه فارس الزمان وليس له نظير فى الحرب والطعان وقد جعلته سلطانا عليكم والحاجب الكبير وصى عليه فقال الحاجب يا ملك الزمان انما انا غريس نعمتك فقال ضوء المكان ايها الحاجب ان ولدى كان ما كان وابنة اخى قضى فكان اولاد عم وقد زوجتها به واشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لولده من المال ما يعجز عنه اللسان وبعد ذلك دخل على اخته نزهة الزمان واعلمها بذلك ففرحت وقالت ان الاثنين ولداى والله تعالى يبقيك لهما مدى الزمان فقال يا اختى انى قضيت من الدنيا غرضى وامنت على ولدى ولكن ينبغى ان تلاحظيه بعينك وتلاحظى امه ثم صار يوصى الحاجب ونزهة الزمان على ولده وعلى زوجته ليالى واياما وقد ايقن بكاس الحمام ولزم الوساد وصار الحاجب يتعاطى احكام العباد وبعد سنة احضر ولده كان ما كان والوزير دندان وقال يا ولدى ان هذا الوزير والدك من بعدى واعلم انى راحل من الدار الفانية الى الدار الباقية وقد قضيت غرضى من الدنيا ولكن بقى فى قلبى حسرة يزيلها الله على يديك فقال ولده وما تلك الحسرة يا والدى فقال يا ولدى أن اموت ولم تأخذ بثار جدك الملك النعمان وعمك الملك شركان من عجوز يقال لها ذات الدواهى فان اعطاك الله النصر لا تغفل عن اخذ الثار وكشف العار من الكفار واياك من مكر العجوز واقبل ما يقوله لك الوزير دندان لانه عماد ملكنا من قديم الزمان فقال له ولده سمعا وطاعة ثم هملت عيناه بالدموع وبعد ذلك ازداد المرض بضوء المكان وصار امر المملكة للحاجب فصار يحكم ويأمر وينهى واستمر على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه ومازالت به الامراض مدة اربع سنين والحاجب الكبير قائم بامر الملك وارتضى به اهل المملكة ودعت له جميع البلاد هذا ما كان من امر ضوء المكان والحاجب واما ما كان من امر كان ما كان فانه لم يكن له شغل الا ركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالنشاب وكذلك ابنة عمه قضى فكان وكانت تخرج هى واياه من اول النهار الى الليل فتدخل الى امها ويدخل هو الى امه فيجدها جالسة عند رأس ابيه تبكى فيخدمه بالليل واذا اصبح الصباح يخرج هو وبنت عمه على عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات فبكى وانشد هذه الابيات

تفانت قوتى ومضى زمانى ❊ وها انا قد بقيت كما ترانى
فيوم العز كنت اعز قومى ❊ واسبقهم الى نيل الامانى
وقد فارقت ملكى بعد عزى ❊ الى ذل تخلل بالهوان
ترى قبل الممات ارى غلامى ❊ يكون على الورى ملكا مكانى
ويفتك بالعداة لاخذ ثار ❊ بضرب السيف او طعن السنان
انا المغبون فى هزل وجد ❊ اذا مولاى لا يشفى جنانى

فلما فرغ من شعره وضع رأسه على الوسادة ونام فرأى فى منامه قائلا يقول له ابشر فان ولدك يملك البلاد وتطيعه العباد فانتبه من منامه مسرورا ثم بعد ايام قلائل طرقه الممات فاصاب اهل بغداد لذلك مصاب عظيم وبكى عليه الرضيع والعظيم ومضى عليه الزمان كأنه ما كان وتغير حال كان ما كان وعزله اهل بغداد وجعلوه هو وعياله فى بيت على حدتهم فلما رأت ام كان ما كان ذلك صارت فى اذل

الاحوال ثم قالت لابد لي من قصد الحاجب الكبير وارجو الرأفة من اللطيف الخبير فقامت من منزلها الى ان اتت الى بيت الحاجب الذي صار سلطانا فوجدته جالساً على فراشه فدخلت عند زوجته نزهة الزمان وقالت ان الميت ماله صاحب فلا احوجكم الله مدى الدهور والاعوام ولازلتم تحكمون بالعدل بين الخاص والعام قد سمعت اذناك ورأت عيناك ما كنا فيه من الملك والعز والجاه والمال وحسن المعيشة والحال والان انقلب علينا الزمان وقصدنا الدهر بالعدوان واتيت اليك قاصدة احسانك بعد اسداق للاحسان لان الرجل اذا مات ذلت بعده النساء والبنات ثم انشدت هذه الابيات

كفاك بان الموت بادي العجائب * وماغائب الاعمار عنا بغائب
وماهذه الايام الامراحل * مواردها ممزوجة بالمصائب
وماضر قلبي مثل فقد اكارم * احاطت بهم مستعظمات النوائب

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت اخاها ضوء المكان وابنه كان ما كان فقربتها واقبلت عليها وقالت انا الان غنية وانت فقيرة فوالله ماتركنا افتقادك الا خوفا من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك ان ما نهديه اليك صدقة مع ان جميع ما نحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ولك مالنا وعليك ما علينا ثم خلعت عليها ثيابا فاخرة وافردت لها مكانا في القصر ملاصقا للقصور تهاواقامت عندهم في عيشة طيبة هي وولدها كان ما كان وخلعت عليه ثياب الملوك وافردت لهما جوارا برسم خدمتهما ثم ان نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة اخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال ان شئت ان تنظري الدنيا بعدك فانظري بها بعد غيرك فاكرمي مثواها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوج نزهة الزمان قال لها ان شئت ان تنظري الدنيا بعدك فانظري بها بعد غيرك فاكرمي مثواها واغني فقرها هذا ما كان من امر نزهة الزمان وزوجها وام ضوء المكان واما ما كان من امر كان ما كان وابنة عمه قضى فكان فانهما كبرا وترعرعا حتى صارا كانهما غصنان مثمران او قمران ازهران وبلغا من العمر خمسة عشر عاما وكانت قضى فكان من احسن البنات المخدرات بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل وريق كالسلسبيل وقد رشيق وثغر الذمن الرحيق كما قال فيها بعض واصفيها هذين البيتين

كأن سلاف الخمر من ريقها بدت * وعنقودها من ثغرها الدري يقطف
واعنابها مالت اذا ماثنيتها * فسبحان خلاق لها لايكيف

وقد جمع الله كل المحاسن فيها فقدها يخجل الاغصان والورد يطلب من خدها الامان واما الريق فانه يهزء بالرحيق تسر القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

مليحة الوصف قد تمت محاسنها * اجفانها تفضح التكحيل بالكحل
كان الحاظها في قلب عاشقها * سيف بكف امير المؤمنين علي

واما كان ما كان فانه كان بديع الجمال فائق الكمال عز في الحسن عن مثال الشجاعة تلوح بين عينيه والشجاعة تشهد له لا عليه وتميل كل القلوب اليه وحين اخضر منه العذار كثرت فيه الاشعار

كقول بعضهم

ما بان عذري فيه حتى عذرا * ومشى الدجى في خده فتحيرا
رشأ اذا رنت العيون لحسنه * سلت لواحظه عليها خنجرا

وقول الآخر

نفذت نفوس العاشقين بخده * فتلاوثت بها الصبيغ الاحمر
فاعجب لهم شهداء ومسكنهم لظى * ولباسهم فيها الحرير الاخضر

واتفق في بعض الاعياد ان قضى فكان خرجت تعيد على بعض اقاربها من الدولة والجواري حواليها والحسن قد عمها وورد الخد يحسد خالها والاقحوان يتبسم عن بارق ثغرها فجعل كان ما كان يدور حولها ويطلق النظر اليها وهي كالقمر الزاهر فقوي جنانه واطلق بالشعر لسانه وانشد هذين البيتين

متى يشتفي قلب الدنو من البعد * ويضحك ثغر الوصل من زائل الصد
فيا ليت شعري هل ابيتن ليلة * بوصل حبيب عنده بعض ما عندي

فلما سمعت قضى فكان هذا الشعر اظهرت له الملامة والعتاب وتوعدته باليم العقاب فاغتاظ كان ما كان وعاد الى بغداد وهو غضبان ثم طلعت قضى فكان الى قصرها وشكت ابن عمها الى امها فقالت لها يا بنتي لعله ما اراد لك بسوء وهل هو الا يتيم ومع هذا لم يذكر شيأ يعيبك فاياك ان تعلمي بذلك احدا فانه ربما بلغ الخبر الى السلطان فيقصر عمره ويخمد ذكره ويجعل اثره كامس الدابر والميت القابر وشاع في بغداد حب كان ما كان لقضى فكان وتحدثت به النسوان ثم ان كان ما كان ضاق صدره وقل صبره واشتغل باله ولم يخف على الناس حاله واشتهى ان يبوح بما في قلبه من لوعة البين فخاف من غضبها وانشد هذين البيتين

اذا خفت يوما عتاب التي * تغير اخلاقها الصافيه
صبرت عليها كصبر الفتى * على الكي في طلب العافيه

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب الكبير لما صار سلطانا سموه الملك ساسان ثم انه بلغه حب كان ما كان لقضى فكان فندم على جعلهما معا في محل واحد ثم دخل على زوجته نزهة الزمان وقال ان الجمع بين الحلفة والنار لمن اعظم الاخطار وليست الرجال على النساء بمؤتمنين ما دامت العيون في دعج والمعاطف في لين وان ابن اخيك كان ما كان قد بلغ مبلغ الرجال فيجب منعه عن الدخول على ربات الحجال ومنع بنتك عن الرجال اوجب لان مثلها ينبغي ان يحجب فقالت صدقت ايها الملك العاقل والهمام الكامل فلما اصبح الصباح جاء كان ما كان ودخل على عمته نزهة الزمان على جري عادته وسلم عليها فردت عليه السلام وقالت له عندي لك كلام ما كنت احب ان اقوله ولكن اخبرك به رغما عني فقال لها وما ذاك الكلام قالت ان الملك سمع بحبك لقضى فكان فامر بحجبها عنك واذا كان لك حاجة فانا ارسلها اليك من خلف الباب ولا تنظر قضى فكان فلما سمع كلامها رجع ولم ينطق بحرف واحد واعلم والدته بما قالت عمته فقالت له انما نشأ هذا من كثرة كلامك وقد علمت ان حديث حبك لقضى فكان

شاع واشتهر فى كل مكان وكيف نأكل زادهم ونعد ذلك نعشق بنتهم فقال انى اريد الزواج بها لانها بنت عمى وانا احق بها فقالت له امه اسكت لئلا يصل الخبر الى الملك ساسان فيكون ذلك سبب الغرق فى بحر الاحزان ولم يبعثوا لنا فى هذه الليلة عشاء ولو كنا فى بلد غير هذه لمتنا من الم الجوع او ذل السؤال فلما سمع كان ما كان كلام امه زادت بقلبه الحسرات وانشد هذه الابيات

اقلى من اللوم الذى لا يفارق ✱ فقلبى الى من تيمتنى مفارق
ولا تطلبى عندى من الصبر ذرة ✱ فصبرى وبيت الله منى طالق
اذا سامنى اللوام نهيا عصيتهم ✱ وها انا فى دعوى المحبة صادق
وقد منعونى عنوة ان ازورها ✱ وانى والرحمن ما انا فاسق
وان عظامى حين تسمع ذكرها ✱ تشابه طيرا خلفهن بواشق
الا قل لمن قد لام فى الحب اننى ✱ وحق الهوى بنت عمى لعاشق

ولما فرغ من شعره قال لامه ما بقى لى عند عمى ولا عند هؤلاء القوم مقام بل اخرج من القصر واسكن فى اطراف المدينة بجوار قوم صعاليك ثم خرج وفعل كما قال وصارت امه تتردد الى بيت الملك ساسان وتأخذ منه ما تقتات به هى واياه ثم ان قضى فكان اختلت بام كان ما كان وقالت لها يا امرأة عمى كيف حال ولدك فقالت انه باكى العين حزين القلب ليس له من اسر الغرام فكاك ومقتنص من هواك فى اشراك فبكت قضى فكان وقالت والله ما هجرته بغضا له ولكن خوفا عليه من الاعداء وعندى من الشوق اضعاف ما عنده ولولا عثرات لسانه وخفقان جنانه ما قطع ابى عنه احسانه واولاه منعه وحرمانه ولكن ايام الورى دول والصبر فى كل الامور اجمل ولعل من قضى بالفراق ان يمن علينا بالتلاق ثم افاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

فعندى يا ابن عمى من غرامى ✱ كامثال الذى قد حل عندك
ولكنى كتمت الناس وجدى ✱ فهلا كنت انت كتمت وجدك

فشكرتها ام كان ما كان وخرجت من عندها واعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد شوقه اليها وقال ما ابدلها من الحور بالفين وانشد هذين البيتين

فوالله لا اصغى الى قول لائم ✱ ولا بحت بالسر الذى كنت كاتما
وقد غاب عنى من ارجى وصاله ✱ وقد سهرت عينى وقد بات نائما

ثم مضت الايام والليالى وهو يتقلب على جمر المقالى حتى مضى له من العمر سبعة عشر عاما وقد كمل حسنه ففى بعض الليالى اخذه السهر وقال فى نفسه مالى ارى جسمى يذوب والى متى لا اقدر على نيل المطلوب ومالى عيب سوى عدم الجاه والمال ولكن عند الله بلوغ الامال فينبغى ان اشرد نفسى عن بلادها حتى تموت او تحظى بمرادها ثم اضمر على هذه العزمات وانشد هذه الابيات

دع مهجتى تزداد فى خفقانها ✱ ليس التذلل فى الورى من شأنها
واعذر فان حشاشتى كصحيفة ✱ لاشك ان الدمع من عنوانها
ها بنت عمى قد بدت حورية ✱ نزلت الينا عن رضى رضوانها
من رام الحاظ العيون معارضا ✱ فتكاتها لم ينج من عدوانها
ساسير فى الارض الوسيعة منقذا ✱ نفسى وامضها سوى حرمانها

واعود مسرور الفؤاد بمطلبي ✻ واقاتل الابطال فى ميدانها
ولسوف استاق الغنائم عائدا ✻ واصول مقتدرا على اقرانها

ثم ان كان ما كان خرج من القصر ماشيا حافيا فى قميص قصير الاكمام وعلى رأسه لبدة لها سبعة اعوام وصحبته رغيف له ثلاثة ايام ثم سار فى حندس الظلام حتى وصل الى باب بغداد فوقف هناك ولما فتحوا باب المدينة كان هو اول خارج منه ثم صار يقطع الاودية والقفار فى ذلك النهار ولما اتى الليل طلبته امه فلم تجده فضاقت عليها الدنيا باتساعها ولم تلتذ بشىء من متاعها ومكثت تنتظره اول يوم وثانى يوم وثالث يوم الى ان مضى عشرة ايام فلم ترله خبرا فضاق صدرها وبكت ونادت قائلة يامؤنسى قد هيجت احزانى حيث فارقتنى وتركت اوطانى ياولدى من اى الجهات اناديك وياهل ترى اى بلد تأويك ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

علمنا بانا بعد غيبتكم نبلا ✻ ومدت قسى للفراق لنا نبلا
وقد خلفونى بعد شد رحالهم ✻ اعالج كرب الموت اذ قطعوا الرملا
لقد هتفت بى جنح ليل حمامة ✻ مطوقة ناحت فقلت لها مهلا
لعمرك لو كانت كمثلى حزينة ✻ لما لبست طوقا ولا خضبت رجلا
وفارقنى الفى فالفيت بعده ✻ دواعى هم لا تفارقنى اصلا

ثم انها امتنعت من الطعام والشراب وزادت فى البكاء والانتحاب وصار بكاؤها على رؤس الاشهاد واشتهر حزنها بين العباد والبلاد وصار الناس يقولون اين عينك ياضوء المكان وياهل ترى ماجرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وخرج من المكان وكان ابوه يشبع الجيعان ويأمر بالعدل والامان ووصل خبر كان ماكان الى الملك ساسان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك ساسان وصل اليه خبر كان ما كان من الامراء الكبار وقالوا له انه ولد ملك ومن ذرية الملك عمر النعمان وقد بلغنا انه تغرب عن الاوطان فلما سمع الملك ساسان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وتذكر احسان ابيه اليه وانه اوصاه عليه فحزن على كان ما كان وقال لابد من التفتيش عليه فى سائر البلاد ثم بعث فى طلبه الامير تركاش فى مائة فارس فغاب عشرة ايام ثم رجع وقال ما اطلعت له على خبر ولا وقفت له على اثر فحزن عليه الملك ساسان حزنا شديدا واما امه فانها صارت لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار وقد مضى له عشرون يوما هذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر كان ما كان فانه لما خرج من بغداد صار متحيرا فى امره ولم يدر الى اين يتوجه ثم انه سافر فى البر ثلاثة ايام وحده ولم ير راجلا ولا فارسا فطار رقاده وزاد سهاده وتفكر اهله وبلاده وصار يقتوت من نبات الارض ويشرب من انهارها ويقيل وقت الحر تحت اشجارها ثم خرج من تلك الطريق الى طريق اخرى وسار فيها ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع اشرف على ارض معشبة الفلوات مليحة النبات وهذه الارض قد شربت من كؤس الغمام على اصوات القمرى والحمام فاخضرت رباها وطاب فلاها فتذكر كان ما كان بلاد ابيه فانشد من فرط ما هو فيه

خرجت وفى املى عودة * ولكننى لست ادرى متى
وشردنى انى لم اجد * سبيلا الى دفع ما قد داقنى

فلما فرغ من شعره اكل من ذلك النبات وتوضأ وصلى ما كان عليه من الفريضة وجلس يستريح ومكث طول ذلك اليوم فى ذلك المكان فلما جاء الليل نام واستمر نائما الى نصف الليل ثم انتبه فسمع صوت انسان ينشد هذه الابيات

ما العيش الا ان يرى لك بارق * من ثغر من تهوى ووجه رائق
والموت اسهل من صدود حبيبة * لم يغشنى منها خيال طارق
يا فرحة الندماء حيث تجمعوا * واقام معشوق هناك وعاشق
لا سيما وقت الربيع وزهره * طاب الزمان بما اليه تسابق
يا شارب الصهباء دونك ما ترى * ارض مزخرفة وماء دافق

فلما سمع كان ما كان هذه الابيات هاجت به الاشجان وجرت دموعه على خده كالغدران وانطلقت فى قلبه النيران فقام ينظر قائل هذا الكلام فلم ير احدا فى جنح الظلام فاخذه القلق ونزل من مكانه الى اسفل الوادى ومشى على شاطئ النهر فسمع صاحب الصوت يصعد الزفرات وينشد هذه الابيات

ان كنت تضمر ما فى الحب اشفاقا * فاطلق الدمع يوم البين اطلاقا
بينى وبين احبائى عهود هوى * لذا اليهم اطل الدهر مشتاقا
يرتاح قلبى الى تيم ويطربنى * نسيم تيم اذا ما هب اشواقا
يا سعد هل ربة الخلخال تذكرنى * بعد البعاد لنا عهدا وميثاقا
وهل تعود ليالى الوصل تجمعنا * يوما ويشرح كل بعض ما لاقى
قالت فتنت بنا وجدا فقلت لها * كم قد فتنت رعاك الله عشاقا
لا متع الله طرفى فى محاسنها * ان كان من بعدها طيب الكرى ذاقا
يا لسعة فى فؤادى ما رأيت لها * سوى الوصال ورشف الثغر ترياقا

فلما سمع كان ما كان هذه الاشعار من صاحب ذلك الصوت ثانى مرة ولم ير شخصه عرف ان القائل مثله عاشق منع عن الوصول الى من يحبه فقال فى نفسه لعلى اجتمع بهذا فيشكو كل واحد منا لصاحبه واجعله انيسى فى غربتى ثم تنحنح ونادى قائلا ايها السائر فى الليل العاكر تقرب منى وقص قصتك على لعلك تجدنى معينا لك على بليتك فلما سمع صاحب الصوت هذا الكلام اجابه قائلا ايها المنادى السامع لا تشادى من تكون من الفرسان وهل انت من الانس او من الجان فعجل على بكلامك قبل دنو حمامك فان لى عشرين يوما وانا سائر فى هذه البرية فلم ار شخصا ولم اسمع صوتا غير صوتك فلما سمع كان ما كان هذا الكلام قال فى نفسه ان هذه القصة كقصتى فان لى ايضا عشرين يوما وانا سائر ولم اسمع صوتا فقال له صاحب الصوت ان كنت من الجان فاذهب بسلام وان كنت انسيا فالبث مليا حتى يطلع النهار ويذهب الليل بالاعتكار فلما اصبح الصباح نظر اليه كان ما كان فوجده رجلا من عرب البادية فتقدم اليه وسلم عليه فرد البدوى عليه السلام وقابله بالتحية والاكرام الا انه احتقره لما رأى صغر سنه وهيئته حالة فقير وقال له يا فتى من اى القوم انت والى من تنسب من العربان وما قصتك وانت سائر بالليل فان هذا فعل الابطال وقد كلمتنى فى الليل كلاما لا يتكلم به الا كل فارس همام وبطل مصدام وقد صرت الان

في قبضتي الا انى ارحمك لصغر سنك فاجعلك رفيقي وتكون عندى برسم خدمتي فلما سمع كان ما كان فظاعة كلامه بعد ما ابداه من حسن نظامه عرف انه احتقره وطمع فيه فقال له بلين الكلام يا وجه العرب دعنا من صغر سني وكونى اخدمك واخبرني عن سبب سيرك بالليل فى القفار وانشادك الاشعار وما حملك على هذا فقال له اسمع يا غلام انى صباح ابن رماح بن همام وقومى من عرب الشام ولى بنت عم اسمها نجمه كل من رآها اتته النعمة ومات والدى وتربيت عند عمى ابى نجمه فلما كبرت وكبرت حجبها عنى لما رآنى فقير الحال قليل المال فسقت عليه العرب الكبار وسادات القبائل فاستحى منهم واجابنى الى زواجها الا انه اشترط على خمسين رأسا من الخيل وخمسين ناقة وعشرة عبيد وعشر جوار وخمسين حملا قمحا ومثلها شعيرا وحملنى ما لا اطيق واكثر على الصداق وها انا مسافر من الشام الى العراق ولى عشرون يوما ما نظرت احدا سواك وقصدى ان ادخل ارض بغداد وانظر من يخرج منها من التجار المياسير الكبار فاخرج فى اثرهم واسلب اموالهم واقتل رجالهم واسوق جمالهم واحمالهم فمن تكون انت من الناس قال كان ما كان ان قصتى كقصتك غير ان مرضى اخطر من مرضك لان ابنة عمى ابنة ملك واهلها لا يكفيهم ما ذكرت ولا يرضيهم شئ مثل هذا فقال صباح لعلك مهبول او من كثرة العشق مخبول كيف تكون بنت عمك بنت ملك وانت ما عليك سمة الملوك وما انت الا صعلوك فقال يا واحد العرب لا تستغرب هذا الحال على تصرفات الزمان وان شئت منى البيان فانا كان ما كان ابن السلطان ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وارض خرسان وقد جار على الزمان وتسلطن الملك سلسان وخرجت من بغداد خفية لئلا يرانى انسان وسافرت فى هذه الارض عشرين يوما ما رأيت احدا غيرك فقصتك كقصتى وطلبتك نظير طلبتى فلما سمع صباح ذلك الكلام صاح وافرحتى قد بلغت منيتى وليس لى اليوم كسب غيرك لانك من ذرية الملوك وان كنت فى زى صعلوك فلا بد ان اهلك لا يتركونك واذا علموا مكانك باموالهم يفدونك فادر كتافك يا غلامى وامشى قدامى فقال كان ما كان لا تفعل يا اخا العرب لان اهلى لا يشترونى بفضة ولا ذهب وانا رجل فقير وما معى قليل ولا كثير فدع عنك هذه الاخلاق واتخذنى من الرفاق واخرج بنا من ارض العراق لنجول فى الآفاق لعلنا نفوز بالمهر والصداق ونحظى من بنتى عمنا بالبوس والعناق فلما سمع صباح ذلك غضب وزاد به الالتهاب وقال له ويلك اتراددنى فى الجواب يا اخس الكلاب ادر كتافك والا انزلت عليك العذاب فتبسم كان ما كان وقال كيف ادير اكتافى اما عندك انصاف اما تخشى معايرة العربان حيث تأسر غلاما بالذل والهوان وما اختبرته فى حومة الميدان وما علمت اهو فارس او جبان فضحك صباح وقال يا لله العجب انك فى سن الغلام ولكنك كبير الكلام لان هذا القول لا يصدر الا عن البطل المصدام فقال كان ما كان الانصاف انك اذا شئت اخذى اسيرا خادما لك ان ترمى سلاحك وتخفف لباسك وتصارعنى وكل من صرع صاحبه بلغ منه مرامه وجعله غلامه فضحك صباح وقال ما اظن كثرة كلامك الا دنو حمامك ثم رمى سلاحه وشمر اذياله ودنا من كان ما كان وتجاذبا فوجده البدوى يرجح عليه كما يرجح القنطار على الدينار ونظر الى ثبات رجليه فى الارض فوجدهما كالمأذنتين المؤسستين او الجبلين الراسخين فعرف من نفسه قصر باعه وندم على الدنو من صراعه وقال فى نفسه ليتنى قاتلته بسلاحى ثم ان كان ما كان قبضه وتمكن منه وهزه فحس ان امعاءه تقطعت فى بطنه فصاح امسك يدك يا غلام فلم يلتفت الى ما ابداه من الكلام بل حمله من الارض وقصد به النهر فناداه صباح قائلا يا ايها البطل ما تريد ان تفعل بى قال اريد ان ارميك فى هذا النهر فانه يوصلك

الى الدجلة والدجلة توصلك الى نهر عيسى ونهر عيسى يوصلك الى الفرات والفرات يلقيك الى بلادك فترى قومك فيعرفونك ويعرفون مروتك وصدق محبتك فصاح صباح ونادى يافارس البطاح لا تفعل فعل القباح اطلقنى بحياة بنت عمك سيدة الملاح فحطه كان ما كان فى الارض فلما رأى نفسه خلاصا ذهب الى ترسه وسيفه واخذهما وصار يشاور نفسه على الهجوم عليه فعرف كان ما كان ما يشاور نفسه عليه فقال له قد عرفت ما فى قلبك حين اخذت سيفك وترسك فانه قد خطر ببالك انك ليس لك يد فى الصراع تطول ولو كنت على فرس تجول لكنت بسيفك على تصول وها انا ابلغك ما تختار حتى لا يبقى فى قلبك انكار فاعطنى الترس واهجم على بسيفك فاما ان تقتلنى واما ان اقتلك فرمى له الترس وجرد سيفه وهجم به على كان ما كان فتناول الترس بيمينه وصار يلاقى به عن نفسه وصار صباح يضربه ويقول له ما بقى الا هذه الضربة الفاصلة فيتلقاها كان ما كان وتروح ضائعة ولم يكن مع كان ما كان شيء يضرب به ولم يزل صباح يضرب به بالسيف حتى كلت يده وعرف كان ما كان ضعف قوته واضلال عزيمته فهجم عليه وهزه والقاه فى الارض وكتفه بحمائل سيفه وجره من رجليه الى جهة النهر فقال صباح وما تريد ان تصنع بى يافارس الزمان وبطل الميدان قال الم اقل لك انى ارسلك الى قومك فى النهر حتى لا يشتغل خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس بنت عمك فتضجر صباح وبكى وصاح وقال لا تفعل يافارس الزمان واجعلنى لك من بعض الغلمان ثم افاض دمع العين وانشد هذين البيتين

تغربت عن اهلى فيا طول غربتى ❋ ويا ليت شعرى هل اموت غريبا

اموت واهلى ليس تعرف مقتلى ❋ واودى غريبا لا ازور حبيبا

فرحمه كان ما كان واطلقه بعد ان اخذ عليه العهود والمواثيق انه يصحبه فى الطريق ويكون له نعم الرفيق ثم ان صباحا اراد ان يقبل يد كان ما كان فمنعه من تقبيلها ثم قام البدوى الى جرابه وفتحه واخذ منه ثلاث قرصات شعير وحطها قدام كان ما كان وجلس معه على شاطئ النهر واكلا مع بعضهما ثم توضأ وصليا وجلسا يتحدثان فيما لقياه من صروف الزمان فقال كان ما كان للبدوى اين تقصد فقال صباح اقصد بغداد بلدك واقيم بها حتى يرزقنى الله بالصداق فقال له دونك والطريق ثم ودعه البدوى وتوجه فى طريق بغداد وقام كان ما كان وقال فى نفسه يا نفسى اى وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فوالله لا ارجع خائبا ولا بد لى من الفرج ان شاء الله ثم تقدم الى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد ووضع جبهته على التراب نادى ربه قائلا اللهم منزل القطر ورازق الدود فى الصخر اسألك ان ترزقنى بقدرتك ولطيف رحمتك ثم سلم من صلاته وضاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يمينا وشمالا واذا بفارس اقبل على جواد وقد انتعد ظهره وارخى عنانه فاستوى كان ما كان جالسا وبعد ساعة وصل اليه الفارس وهو فى اخر نفس لانه كان به جرح بالغ فلما وصل اليه جرى دمعه على خده مثل افواه القرب وقال لكان ما كان يا وجه العرب اتخذ فى ما عشت لك صديقا فانك لا تجد مثلى واسقنى قليلا من الماء وان كان شرب الماء لا يصلح للمجروح سيما وقت خروج الروح وان عشت اعطيتك ما يدفع فقرك وان مت فانت المسعود بحسن نيتك وكان تحت الفارس حصان يتحير فى حسنه الانسان ويكل عن وصفه اللسان وله قوائم مثل اعمدة الرخام معد ليوم الحرب والزحام فلما نظر كان ما كان الى ذلك الحصان اخذه الهيام وقال فى نفسه ان مثل هذا الحصان لا يكون فى هذا الزمان ثم انه انزل الفارس ورفق به وجرعه يسيرا من الماء ثم صبر عليه حتى اخذ الراحة واقبل عليه وقال له من الذى فعل بك هذه الفعال فقال الفارس

انا اخبرك بحقيقة الحال انى رجل سلال غيار طول دهرى اسل الخيل واختلسها فى الليل والنهار واسمى غسان آفة كل فرس وحصان وقد سمعت بهذا الحصان فى بلاد الروم عند الملك افريدون وقد سماه بالقاتول ولقبه بالمجنون وقد سافرت الى القسطنطينية من اجله وصرت اراقبه فبينما انا كذلك اذ خرجت عجوز معظمة عند الروم وامرها عندهم فى الخداع متناهى تسمى شواهى ذات الدواهى ومعها هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيد لا غير برسم خدمة ذلك الحصان وهى تقصد بغداد وتريد الدخول على الملك ساسان لتطلب منه الصلح والامان فخرجت فى اثرهم طمعا فى الحصان ومازلت تابعهم ولا اتمكن من الوصول اليه لان العبيد شداد الحرص عليه الى ان وصلوا الى تلك البلاد وخفت ان يدخلوا مدينة بغداد فبينما انا اشاور نفسى فى سرقة الحصان اذ طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار عن خمسين فارسا مجتمعين لقطع الطريق على التجار ورئيسهم يقال له كهرداش ولكنه فى الحرب كاسد يجعل الابطال كالفراش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الفارس المجروح قال لضوء المكان فخرج على العجوز ومن معها كرداش ثم احاط بهم وهاش وناش فلم تمض ساعة حتى ربط العشرة عبيد والعجوز وتسلم الحصان وسار بهم وهو فرحان فقلت فى نفسى قد ضاع تعبى وما بلغت اربى ثم صبرت حتى انظر ما يؤول اليه الامر فلما رأت العجوز روحها فى الاسر بكت وقالت لكهرداش ايها الفارس الهمام والبطل الضرغام ماذا تصنع بالعجوز والعبيد وقد بلغت من الحصان ما تريد وخادعته بلين الكلام وحلفت انها تسوق له الخيل والانعام فاطلقها هى والعبيد ثم سار هو واصحابه وتبعتهم حتى وصلت الى هذه الديار وانا الاحظه فلما وجدت اليه سبيلا سرقته وركبته واخرجت من مخلاتى سوطا فضربته فلما احسوا بى لحقونى واحاطوا بى من كل مكان ورمونى بالسهام والسنان وانا ثابت عليه وهو يقاتل عنى بيديه ورجليه الى ان خرج بى من بينهم مثل النجم الطارق والسهم الراشق ولكن لما اشتد الكفاح اصابنى بعض الجراح وقد مضى لى على ظهره ثلاثة ايام لم استطعم بطعام وقد ضعفت منى القوى وهانت على الدنيا وانت احسنت الى وشفقت على وارك عارى الجسد ظاهر الكمد ويلوح عليك اثر النعمة فما يقال لك فقال انا يقال لى كان ما كان ابن الملك ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان قد مات والدى وربيت يتيما وتولى بعده رجل لئيم وصار ملكا على الحقير والعظيم ثم حدثه بحديثه من اوله الى اخره فقال الرجل السلال وقد رق له انك ذو حسب عظيم وشرف جسيم وليكن لك شأن وتصير افرس هذا الزمان فان قدرت ان تحملنى وتركب وراى وتوديني الى بلادى يكن لك الشرف فى الدنيا والاجر فى يوم التنادى فانه لم يبق لى قوة امسك بها نفسى وان مت فى الطريق فزت بهذا الحصان وانت اولى به من كل انسان فقال له كان ما كان والله لو قدرت ان احملك على اكتافى لفعلت ولو كان عمرى بيدى لاعطيتك نصفه من غير هذا الجواد لانى من اهل المعروف واغاثة الملهوف وفعل الخير لوجه الله تعالى يسد سبعين بابا من البلاء وعزم على ان يحمله على الحصان ويسير متوكلا على اللطيف الخبير فقال له اصبر على قليلا ثم غمض عينيه وفتح يديه وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وتهيأ للممات وانشد هذه الابيات

ظلمت العباد وطفت البلاد ✻ وامضيت عمرى بشرب الخمور

وخضت السيول لسل الخيول * وهدم الطلول بفعل النكور
وامرى عظيم وجرمى جسيم * وقاتول منى تمام الامور
وامـلت انى انال المنى * بذاك الحصان فاعيى مسيرى
وطول الحياة اسل الخيول * فكانت وفاتى عند القدير
واخر امرى انى تعبت * لرزق الغريب اليتيم الفقير

فلما فرغ من شعره اغمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فحفر له كان ما كان حفرة وواراه في التراب ثم مسح وجه الحصان ورآه لا يوجد في حوزة الملك ساسان ثم اتته الاخبار من التجار بجميع ما جرى في غيبته بين الملك ساسان والوزير دندان وان الوزير دندان خرج عن طاعة الملك ساسان هو ونصف العسكر وحلفوا انهم مالهم سلطان الا كان ما كان واستوثق منهم بالايمان ودخل بهم الى جزائر الهند والبربر وبلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم اول من آخر وعزم على ان يرجع بجميع الجيوش الى البلاد ويقتل من خالفه من العباد واقسم على انه لا يرد سيف الحرب الى غمده حتى يملك كان ما كان فلما بلغته هذه الاخبار غرق في بحر الافكار ثم ان الملك ساسان علم ان الدولة انحرفت عليه الكبار والصغار فغرق في بحر الهموم والاكدار وفتح الخزائن وفرق على ارباب الدولة الاموال والنعم وتمنى ان يقدم عليه كان ما كان ويجذب قلبه اليه بالملاطفة والاحسان ويجعله اميرا على العساكر الذين لم يزالوا تحت طاعته لتقوى به شرارة جمرته ثم ان كان ما كان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسرعا الى بغداد على ظهر ذلك الجواد فبينما الملك ساسان في ربكته حيران اذ سمع بقدوم كان ما كان فاخرج جميع العساكر ووجهاء بغداد لملاقاته فخرج كل من في بغداد ولاقوه ومشوا قدامه الى القصر ودخلت الطواشية بالاخبار الى امه فجاءت اليه وقبلته بين عينيه فقال يا اماه دعيني امضي الى عمي السلطان ساسان الذي غمرني بالنعمة والاحسان ثم ان ارباب الدولة تحيروا في وصف ذلك الحصان وفي وصف صاحبه سيد الفرسان وقالوا للملك ساسان ايها الملك ما رأينا مثل هذا الانسان ثم ذهب الملك ساسان اليه وسلم عليه فلما رآه كان ما كان مقبلا عليه قام اليه وقبل يديه ورجليه وقدم اليه الحصان هدية فرحب به وقال اهلا وسهلا بولدي كان ما كان والله لقد ضاقت بي الارض لاجل غيبتك والحمد لله على سلامتك ثم نظر السلطان الى هذا الحصان المسمى بالقاتول فعرف انه الحصان الذي كان رآه سنة كذا وكذا في حصار عبدة الصلبان مع ابيه ضوء المكان حين قتل عمه شركان وقال له لو قدر عليه ابوك لاشتراه بالف جواد ولكن الان عاد العز الى اهله وقد قبلناه ومنا لك وهبناه وانت احق به من كل انسان لانك سيد الفرسان ثم امر ان يحضروا لكان ما كان خلعة سنية وجملة من الخيل وافرد له في القصر اكبر الدور واقبل عليه العز والسرور واعطاه مالا جزيلا واكرمه غاية الاكرام لانه كان يخشى عاقبة امر الوزير دندان ففرح بذلك كان ما كان وذهب عنه الذل والهوان ودخل بيته واقبل على امه وقال يا امي ما حال ابنة عمي فقالت والله يا ولدي انه كان عندي من غيبتك ما اشغلني عن محبوبتك فقال يا امي اذهبي اليها واقبلي عليها لعلها تجود علي بنظرة فقالت له ان المطامع تذل اعناق الرجال فدع عنك هذا المقال لئلا يفضي بك الى الوبال فانا لا اذهب اليها ولا ادخل بهذا الكلام عليها فلما سمع من امه ذلك اخبرها بما قاله السلال من ان العجوز ذات الدواهي طرقت البلاد وعزمت على ان تدخل بغداد وقال هي التي قتلت عمي وجدي ولابد ان اكشف العار وآخذ الثار ثم نزل

امه واقبل على عجوز عاهرة محتالة ماكرة فاعلمها بما عنده وشكى اليها حاله وما يجده من حب قضى فكان وسألها ان تتوجه اليها وتستعطفها عليه فقالت له العجوز سمعا وطاعة ثم فارقته ومضت الى قصر قضى فكان واستعطفت قلبها عليه ثم رجعت اليه واعلمته بان قضى فكان تسلم عليه ووعدته انها في نصف الليل تجيء اليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز رجعت الى كان ماكان واعلمته بان قضى فكان تسلم عليه ووعدته انها في نصف الليل تجيء اليه فلما بلغه ذلك الخبر فرح لوعد ابنة عمه قضى فكان فلما جاء نصف الليل اتته بملاءة سوداء من الحرير ودخلت عليه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعي انك تحبني وانت خلي البال نائم على احسن الحال فانتبه وقال والله يا منية القلب اني ما نمت الا طمعا في ان يزورني منك طيف الخيال فعند ذلك عاتبته بلطيف الكلمات وانشدت هذه الابيات

لو كنت تصدق في المحبة ما جنحت الى المنام
يا مدعي طرق المحبة في المودة والغرام
والله يا ابن العم ما * رقدت عيون المستهام

فاستحى منها كان ما كان وتعانقا وتشاكيا الم الفراق وعظيم الوجد والاشتياق ولم يزالا كذلك الى ان بدت غرة الصباح وطلع الفجر ولاح فبكى كان ما كان بكاء شديدا وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

فيا زائري من بعد فرط صدوده * وفي الثغر منه الدر في نظم عقده
فقبلته الفا وعانقت قده * وبت وخدي لاصق تحت خده
الى ان بدا نور الصباح فراعنا * كحد حسام لاح من جوف غمده

فلما فرغ من شعره ودعته قضى فكان ورجعت الى خدرها واظهرت بعض الجواري على سرها فذهبت جارية منهن الى الملك ساسان واعلمته بالخبر فتوجه الى قضى فكان وجرد عليها الحسام واراد ان يضرب عنقها فدخلت عليه امها نزهة الزمان وقالت له بالله لا تفعل بها ضررا فانك ان فعلت بها ضررا يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان ان كان ما كان صاحب عرض ومروءة ولا يفعل امرا يعاب عليه فاصبر ولا تعجل فان اهل القصر وجميع اهل بغداد قد شاع عندهم ان الوزير دندان قاد العساكر من جميع البلدان وجاء بهم ليملكوا كان ما كان فقال لها لابد ان ارميه في بلية بحيث لا ارض تقله ولا سماء تظله واني ما طيبت خاطره ولا انعمت عليه الا لاجل اهل مملكتي لئلا يميلوا اليه وسوف ترين ما يكون ثم تركها وخرج يدبر امر مملكته هذا ما كان من امر الملك ساسان واما ما كان من امر كان ما كان فانه اقبل على امه في ثاني يوم وقال لها يا امي اني عزمت على شن الغارات وقطع الطرقات وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك واذا كثر مالي وحسن حالي خطبت قضى فكان من عمي ساسان فقالت يا ولدي ان اموال الناس غير سائبة لان دونها ضرب الصفاح وطعن الرماح ورجال تقتنص الاسود وتصيد الفهود فقال لها كان ما كان هيهات ان ارجع عن عزمي الا اذا بلغت منيتي ثم ارسل العجوز الى قضى فكان ليعلمها انه يريد السفر حتى يحصل لها مهرا يصلح لها وقال للعجوز لابد ان تأتيني منها بجواب فقالت له سمعا

وطاعة ثم ذهبت اليها ورجعت له بالجواب وقالت له انها في نصف الليل تكون عندك فاقام مهران الى نصف الليل من قلقه ولم يشعر الا وهي داخلة عليه وتقول له روحي فداك من السهر ثم ضمها قائما وقال يا منية القلب روحي فداك من جميع الاسواء ثم اعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لا تبكي يا بنت العم فانا اسأل الذي حكم علينا بالفراق ان يمن علينا بالتلاق والوفاق ثم انه كان ما كان اخذ في السفر ودخل على امه وودعها ونزل من القصر وتقلد بسيفه وتعمم وتلثم وركب جواده القاقول ومشى في شوارع المدينة وهو كالبدر حتى وصل الى باب بغداد واذا برفيقه صباح بن رباح خارج من المدينة فلما رآه جرى في ركابه وحياه فرد عليه السلام فقال صباح يا اخي كيف صار لك هذا الجواد وهذا المال وانا الان لا املك غير سبق فقال له كان ما كان ما يرجع الصياد الا بصيد على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لي السعادة وهل لك ان تأتي معي وتخلص النية في صحبتي ونسافر في تلك البرية فقال ورب الكعبة ما بقيت ادعوك الا مولاي ثم جرى قدام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه ولم يزالا سائرين في البراري مدة ايام وهما يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون وفي اليوم الخامس اشرفا على تل عال تحته مراتع فيها ابل وغنم وبقر وخيل قد ملأت الروابي والبطاح واولادها الصغار تلعب حول المراح فلما رأى ذلك كان ما كان زادت به الافراح وامتلأ صدره بالانشراح وعول على القتال واخذ النياق والجمال فقال له صباح انزل بنا على هذا المال الذي عن اهله وحيد ونقاتل دونه القريب والبعيد حتى يكون لنا في اخذه نصيب فقال صباح يا مولاي ان اصحابه خلق كثير وجم غفير وفيهم ابطال من فرسان ورجال وان رمينا ارواحنا في هذا الخطب الجسيم فانتا نكون من هوله على خطر عظيم فضحك كان ما كان وعلم انه جبان فتركه وانحدر من الرابية عازما على شن الغارات وترنم بانشاد هذه الابيات

والنعمان نحن ذو الهمم * والسادة الضاربون في القمم

قوم اذا ما الهياج قام لهم * قاموا بأسواقه على قدم

تنام عيني الفقير بينهم * ولا يرى قبح صورة العدم

واني ارتجي معاونة * من مالك الملك بارئ النسم

ثم حمل على ذلك المال مثل الجمل الهائج وساق جميع الابل والبقر والغنم والخيل قدامه فتبادرت اليه العبيد بالسيوف الصقال والرماح الطوال وفي اوائلهم فارس تركي الا انه شديد الحرب والكفاح عارف باعمال سمر القنا وبيض الصفاح فحمل على كان ما كان وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال ما فعلت هذه الفعال اعلم ان هذه الاموال للعصابة الرومية والفرقة الجركسية الذين ما فيهم الا كل بطل عابس وهم مائة فارس قد خرجوا عن طاعة كل سلطان وقد سرق منهم حصان وحلفوا ان لا يرجعوا من هنا الا به فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صاح قائلا هذا هو الحصان الذي تعنون وانتم له طالبون وفي قتالي بسببه راغبون فبارزوني كلكم اجمعون وشأنكم وما تريدون ثم صرخ بين اذني القاقول فخرج عليهم مثل الغول وعطف على الفارس وطعنه فاخرج كلاه ومال على ثان وثالث ورابع اعدمهم الحياة فعند ذلك هابته العبيد فقال لهم يا بني الزواني سوقوا المال والخيول والا خضبت من دماكم سناني فساقوا المال واخذوا في الانطلاق وانحدر اليه صباح واعلن بالصياح وزادت به الافراح واذ بغبار علا وطار حتى سد الاقطار وبان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس فلما رآهم صباح فر الى الرابية وترك

البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما انا فارس الا في اللعب والمزاح ثم ان المائة فارس داروا حول كان ما كان واحاطوا به من كل مكان فتقدم اليه فارس منهم وقال له اين تذهب بهذا المال فقال له كان ما كان دونك والقتال واعلم ان من دونه اسد اروع وبطل سميدع وسيف ايما مال قطع فلما سمع الفارس ذلك الكلام التفت اليه فرأه فارسا كالاسد الضرغام الا ان وجهه كبدر التمام وكان ذلك الفارس رئيس المائة فارس واسمه كهرداش فلما رأى كان ما كان مع كمال فروسيته بديع المحاسن يشبه حسنه حسن معشوقة له يقال لها فاتن وكانت من احسن النساء وجها قد اعطاها الله من الحسن والجمال وكرم الخصال ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب كل انسان وكانت فرسان القوم تخشى سطوتها وابطال ذلك القطر تخاف من هيبتها وحلفت انها لا تتزوج الا من يقهرها وكان كهرداش من جملة خطابها فقالت لابيها ما يقربني الا من يقهرني في الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش هذا القول اختشى ان يقاتل جارية وخاف من العار فقال له بعض خواصه انت كامل الخصال في الحسن والجمال فلو قاتلتها وكانت اقوى منك فانك تغلبها لانها اذا رأت حسنك وجمالك تنهزم قدامك حتى تملكها لان النساء لهن غرض في الرجال ولا يخفى عنك هذا الحال فابى كهرداش وامتنع من قتالها واستمر على امتناعه من القتال الى ان جرت له مع كان ما كان هذه الافعال فظن انه محبوبته فاتن وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم الى كان ما كان وقال ويلك يا فاتن قد اتيت لتريني شجاعتك فانزلي عن جوادك حتى اتحدث معك فاني قد سقت هذه الاموال وقطعت الطريق على الفرسان والابطال كل هذا لحسنك وجمالك الذي ماله مثيل وتزوجيني حتى تخدمك بنات الملوك وتصيري ملكة هذه الاقطار فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صارت نار غيظه في اضطرام وقال ويلك يا كلب الاعجام دع فاتن وما به ترتاب وتقدم الى الطعن والضراب فعن قليل تبقى على التراب ثم جال وصال وطلب الحرب والنزال فلما نظر كهرداش اليه علم انه فارس همام وبطل مصدام وتبين له خطأه حيث لاح له عذار اخضر فوق خده كأس نبت خلال ورد احمر وقال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار والرمح الخطار واعلموا ان قتال الجماعة للواحد عار ولو كان في سنان رمحه شعلة نار فعند ذلك حمل عليه فارس تحته جواد ادهم بتحجيل وغرة كالدرهم يحير العقل والناظر كما قال فيه الشاعر

قد جاءك المهر الذي نزل الوغى ✱ عجلان يخلط ارضه بسمائه
وكانما لطم الصباح جبينه ✱ واقتص منه فخاض في احشائه

ثم ان ذلك الفارس حمل على كان ما كان وتجاولا في الحرب برهة من الزمان وتضاربا ضربا يحير الافكار ويعشي الابصار فسبقه كان ما كان بضربة بطل شجاع قطعت منه العمامة والمغفر فمال عن الجواد كانه البعير اذا انحدر وحمل عليه الثاني والثالث والرابع والخامس ففعل بهم كالاول ثم حملت عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق وزادت الحرق فما كان الا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فنظر كهرداش الى هذا الحال فخاف من الارتحال وعرف من نفسه ان عنده ثبات الجنان واعتقد انه اوحد الابطال والفرسان فقال لكان ما كان قد وهبت لك دمك ودم اصحابي فخذ من المال ما شئت واذهب الى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن شبابك والحياة اولى بك فقال له كان ما كان لا عدمت مروءة الكرام ولكن اترك عنك هذا الكلام وفز بنفسك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك في رد الغنيمة واسلك النجاة

تمسك طريقة مستقيمة فعند ذلك اشتد بكهرداش الغضب وحصل عنده ما يوجب العطب فقال الكان
ما كان ويلك لو عرفت من انا ما نطقت بهذا الكلام فى حومة الزحام فاسأل عنى فانا الاسد البطاش
المعروف بكهرداش الذى نهب الملوك الكبار وقطع الطريق على جميع السفار واخذ اموال التجار
وهذا الحصان الذى تحتك طلبتى واريد ان تعرفنى كيف وصلت اليه حتى استوليت عليه فقال اعلم ان
هذا الجواد كان سائرا الى عمى الملك ساسان تحت عجوز كبيرة ولنا عندها ثار من جهة جدى الملك عمر
النعمان وعمى الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن ابوك لا ام لك فقال اعلم انى كان ما كان ابن
ضوء المكان ابن عمر النعمان فلما سمع كهرداش هذا الخطاب قال لا يستنكر عليك الكمال والجمع بين
الفروسية والجمال ثم قال له توجه بامان فان اباك كان صاحب فضل واحسان فقال له كان ما كان
انا والله ما اوقرك يا مهان فاغتاظ البدوى ثم حمل كل منهما على صاحبه فسدت لهما الخيل
اذانها ورفعت اذنابها ولم يزالا يصطدمان حتى ظن كل منهما ان السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا
كبكاش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كر عليه
وطعنه فى صدره فاطلع السنان من ظهره وجمع الخيل والاسلاب وصاح فى العبيد دونكم والسوق
الشديد فنزل عند ذلك صباح وجاء الى كان ما كان وقال له احسنت يا فارس الزمان انى دعوت لك وقد
استجاب ربى دعائى ثم ان صباحا قطع رأس كهرداش فضحك كان ما كان وقال له ويلك يا صباح كنت اظن
انك فارس الحرب والكفاح فقال له لا تنس عبدك من هذه الغنيمة لعلى اصل بسببها الى زواج بنت عمى
نجمة فقال له لابد لك فيها من نصيب ولكن كن محافظا على الغنيمة والعبيد ثم ان كان ما كان سار
متوجها الى الديار ولم يزل سائرا بالليل والنهار حتى اشرف على مدينة بغداد وعلمت به جميع الاجناد
وروا ما معه من الغنيمة والاموال ورأس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار رأس كهرداش ففرحوا
وقالوا لقد اراح الله الخلق منه لانه كان قاطع الطريق وتعجبوا من قتله ودعوا لقاتله واتت اهل
بغداد الى كان ما كان بما جرى من الاخبار فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والابطال وساق
ما معه الى ان اوصله تحت القصر وركز الرمح الذى عليه رأس كهرداش الى باب القصر ووهب للناس
واعطاهم الخيل والجمال فاحبه اهل بغداد ومالت اليه القلوب ثم اقبل على صباح وانزله فى بعض الاماكن
الفساح ثم دخل على امه واخبرها بما جرى له فى سفره وقد وصل الى الملك خبره فقام من مجلسه واختلى
بخواصه وقال لهم اعلموا انى اريد ان ابوح لكم بسرى وابدى لكم مكنون امرى اعلموا ان كان ما كان هو
الذى يكون سببا لانقلاعنا من هذه الاوطان لانه قتل كهرداش مع ان له قبائل من الاكراد والاتراك
وامرنا معه آيل الى الهلاك واكثر خوفنا من اقاربه وقد علمتم بما فعل الوزير دندان فانه جحد معروفى بعد
الاحسان وخاننى فى الايمان وبلغنى انه جمع عساكر البلدان وقصد ان يسلطن كان ما كان لان السلطنة
كانت لابيه وجده ولا شك انه قاتلى بلا محالة فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا له ايها
الملك انه اقل من ذلك ولولا اننا علمنا بانه تربيتك لم يقبل عليه منا احد واعلم اننا بين يديك ان شئت قتله قتلناه
وان شئت بعده ابعدناه فلما سمع كلامهم قال ان قتله هو الصواب ولكن لابد من اخذ الميثاق فحلفوا على
انهم لابد ان يقتلوا كان ما كان فاذا اتى الوزير دندان وسمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما اعطوه
العهد والميثاق على ذلك اكرمهم غاية الاكرام ثم دخل بيته وقد تفرق عنه الرؤساء وامتنعت العساكر
من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لانهم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان ثم ان ذلك الخبر وصل

الى قدنى فكان يحصل عندها غم زائد وارسلت الى العجوز التى عادتها ان تأتيها من عند ابن عمها بالاخبار فلما حضرت عندها امرتها ان تذهب اليه وتخبره بالخبر فلما وصلت اليه العجوز سلمت عليه ففرح بها واخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال لها بلغى بنت عمى سلامى وقولى لها ان الارض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما احسن قول القائل

الملك لله من يظفر بنيل منى * يردده قهرا ويضمن عنده الدركا
لو كان لى اولغيرى قدر انملة * من التراب لكان الامر مشتركا

فرجعت العجوز الى بنت عمه واخبرتها بما قاله واعلمتها بان كان ما كان اقام فى المدينة ثم ان الملك ساسان صار ينتظر خروجه من بغداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق انه خرج الى الصيد والقنص وخرج صباح معه لانه كان لا يفارقه ليلا ولا نهارا فاصطاد عشر غزلات وفيهن غزالة كحلاء العيون صارت تتلفت يمينا وشمالا فاطلقها فقال له صباح لاى شىء اطلقت هذه الغزالة فضحك كان ما كان واطلق الباقى وقال له ان من المروءة اطلاق الغزالات التى لها اولاد وما تتلفت تلك الغزالة الا لان لها اولادا فاطلقتها واطلقت الباقى فى كرامتها فقال له صباح اطلقنى حتى اروح الى اهلى فضحك وضربه بعقب الرمح على قلبه فوقع على الارض يلتوى كالثعبان فبينما هما كذلك واذا بغبرة ثائرة وخيل تركض وبان من تحتها فرسان وشجعان وسبب ذلك ان الملك ساسان اخبره جماعة ان كان ما كان خرج الى الصيد والقنص فارسل اميرا من الديلم يقال له جامع ومعه عشرون فارسا ودفع لهم المال ثم امرهم ان يقتلوا كان ما كان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم واذا بالملك ساسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع واذا باهل البلد قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم ان كان ما كان توجه بعد ذلك من ذلك المكان وتوجه معه صباح البدوى فبينما هو سائر اذ رأى فى طريقه شابا على باب دار فالقى كان ما كان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه قصعتان احداهما فيها لبن والثانية فيها ثريد والسمن فى جوانبها يموج ووضع القصعتين قدام كان ما كان وقال له تفضل علينا بالاكل من زادنا فامتنع كان ما كان من الاكل فقال له الشاب مالك ايها الانسان لا تأكل فقال له كان ما كان انه على نذر فقال له الشاب وما سبب نذرك فقال له كان ما كان اعلم ان الملك ساسان غصب ملكى ظلما وعدوانا مع ان ذلك الملك كان لابى وجدى من قبلى فاستولى عليه قهرا بعد موت ابى ولم يعتبرنى لصغر سنى فنذرت انى لا اكل لاحد زادا حتى اشفى فؤادى من غريمى فقال له الشاب ابشر فقد وفى الله نذرك واعلم انه مسجون فى مكان واظنه ان يموت قريبا فقال له كان ما كان فى اى بيت هو معتقل فقال له فى تلك القبة العالية فنظر كان ما كان الى قبة عالية ورأى الناس فى تلك القبة يدخلون وعلى ساسان يلطمون وهو يتجرع غصص المنون فقام كان ما كان ومشى حتى وصل الى تلك القبة وعاين ما فيها ثم عاد الى موضعه وقعد على الاكل واكل ما تيسر ووضع ما بقى من اللحم فى مزوده ثم جلس فى مكانه ولم يزل جالسا الى ان اظلم الليل ونام الشاب الذى ضيفه ثم ذهب كان ما كان الى القبة التى فيها ساسان وكان حولها كلاب يحرسونها فوثب له كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذى فى مزوده ومازال يرمى للكلاب لحما حتى وصل الى القبة وتوصل الى ان صار عند الملك ساسان ووضع يده على رأسه فقال له بصوت عال من انت فقال انا كان ما كان الذى سعيت فى قتله فاوقعك الله فى سوء تدبيرك اما يكفيك اخذ ملكى وملك ابى وجدى حتى تسعى فى قتلى فحلف ساسان الايمان الباطلة انه لم يسع فى قتله

وان هذا الكلام غير صحيح فصفح عنه كان ما كان وقال له اسمعي فقال لا اقدر ان اخطو خطوة واحدة لضعف قوتي فقال كان ما كان اذا كان الامر كذلك فأخذ لنا فرسين نركب انا وانت ونطلب البر ثم فعل كما قال وركب هو وساسان وسارا الى الصباح ثم صلوا الصبح وساروا ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى بستان فجلسوا فيه يتحدثون ثم قام كان ما كان الى ساسان وقال له هل بقي في قلبك مني امر تكرهه قال ساسان لا والله ثم اتفقوا على انهم يرجعون الى بغداد فقال صباح البدوي انا اسبقكم لابشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت اليه الناس بالدفوف والمزامير وبرزت قضى فكان وهي مثل البدر بهي الانوار في دياجي الاعتكار فقابلها كان ما كان وحنت الارواح للارواح واشتاقت الاشباح للاشباح ولم يبق لاهل العصر حديث الا في كان ما كان وشهد له الفرسان انه اشجع اهل الزمان وقالوا لا يصلح ان يكون سلطانا علينا الا كان ما كان ويعود اليه ملك جده كما كان واما ساسان فانه دخل على نزهة الزمان فقالت له اني ارى الناس ليس لهم حديث الا في كان ما كان ويصفونه باوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها ليس الخبر كالعيان فاني رأيته ولم ار فيه صفة من صفات الكمال وما كل ما يسمع يقال ولكن الناس يقلد بعضهم بعضا في مدحه ومحبته واجرى الله على السنة الناس مدحه حتى مالت اليه قلوب اهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوان وقد جمع له عساكر من سائر البلدان ومن الذي يكون صاحب الاقطار ويرضى ان يكون تحت يد حاكم يتيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ماذا عولت فقال لها عولت على قتله ويرجع الوزير دندان خائبا في قصده ويدخل تحت امري وطاعتي ولا يبقى له الا خدمتي فقالت له نزهة الزمان ان الغدر قبيح بالاجانب فكيف بالاقارب والصواب ان تزوجه ابنتك قضى فكان وتسمع ما قيل فيما مضى من الزمان

اذا رفع الزمان عليك شخصا * وكنت احق منه ولو تصاعد
اله حق رتبته تجده * ينيلك ان دنوت وان تباعد
ولا تقل الذي تدريه فيه * تكن ممن عن الحسنى تقاعد
فكم في الخدر ابهى من عروس * ولكن للعروس الدهر ساعد

فلما سمع ساسان منها هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قام مغضبا من عندها وقال لولا اني اعرف انك تمزحين لعلوت بالسيف رأسك واخمدت انفاسك فقالت حيث غضبت مني فانا امزح معك ثم وثبت اليه وقبلت رأسه ويديه وقالت له الصواب ما تراه وسوف اتدبر انا وانت في حيلة نقتله بها فلما سمع منها هذا الكلام فرح وقال لها عجلي بالحيلة وفرجي كربتي فلقد ضاق علي باب الحيل فقالت له سوف اتحيل لك على اتلاف مهجته فقال لها باي شيء فقالت له بجاريتنا التي اسمها باكون فانها في المكر ذات فنون وكانت هذه الجارية من اخبث العجائز وعدم الخبث في مذهبها غير جائز وكانت قد ربت كان ما كان وقضى فكان غير ان كان ما كان يميل اليها كثيرا ومن فرط ميله اليها كان ينام تحت رجليها فلما سمع الملك ساسان من زوجته هذا الكلام قال ان هذا الرأي هو الصواب ثم احضر الجارية باكون وحدثها بما جرى وامرها ان تسعى في قتله ووعدها بكل جميل فقالت له امرك مطاع ولكن اريد يا مولاي ان تعطيني خنجرا قد سقي بماء الهلاك لاعجل لك باتلافه فقال لها ساسان مرحبا بك ثم احضر لها خنجرا يكاد ان يسبق القضاء وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات والاشعار وحفظت النوادر والاخبار فاخذت الخنجر وخرجت من الديار مفكرة فيما يكون به الدمار واتت الى كان ما كان وهو قاعد ينتظر

وعبد السعيد فقضى فكان وكان فى تلك الليلة قد تذكر بنت عمه قضى فكان فالتهبت من حبها فى قلبه النيران فبينما هو كذلك واذا بالجارية ياكون داخلة عليه وهى تقول آن اوان الوصال ومضت ايام الانفصال فلما سمع ذلك قال لها كيف حال قضى فكان فقالت له يا كون اعلم انها مشغولة بحب لك فعند ذلك قام كان ما كان اليها وخلع اثوابه عليها ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم انى انام عندك الليلة واحدثك بما سمعت من الكلام واسليك بحديث كل متيم امرضه الغرام فقال لها كان ما كان حدثينى بحديث يفرح به قلبى ويزول به كربى فقالت له يا كون حبا وكرامة ثم جلست الى جانبه وذلك الخصر من داخل اثوابها فقالت له اعلم ان اعذب ما سمعت اذنى ان رجلا كان يعشق الملاح وصرف عليهن ماله حتى افتقر وصار لا يملك شيأ فضاقت عليه الدنيا فصار يمشى فى الاسواق ويفتش على شئ يقتات به فبينما هو ماش واذا بقطعة مسمار شككته فى اصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب اصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه الى ان تعب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه جلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه الى ان تعب فخرج الى الحوض البارد فلم يجد احدا فاختلى بنفسه وطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت فى مخه فانقلب على الرخام وخيل له الحشيش ان مهتارا كبيرا يكبسه وعبدين واقفان على رأسه واحد معه الطاسة والاخر معه الة الحمام وما يحتاج اليه البلان فلما رأى ذلك قال فى نفسه كان هؤلاء غلطوا فى اومن طائفتنا الحشاشين ثم انه مد رجليه فتخيل له ان البلان قال له يا سيدى قد ازف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فضحك وقال فى نفسه ما شاء الله يا حشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان واخذ بيده وادار على وسطه مئزرا من الحرير الاسود ومشى العبدان وراءه بالطاسات والحوائج ولم يزالوا به حتى ادخلوه الخلوة واطلقوا فيها البخور فوجدها ملآنة من سائر الفواكه والمشموم وشقوا له بطيخة واجلسوه على كرسى من الابنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكا جيدا وقالوا له يا مولانا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا وردوا عليه الباب فلما تخيل ذلك قام ورفع المئزر من وسطه وصار يضحك الى ان غشى عليه واستمر ساعة يضحك ثم قال فى نفسه ما بالهم يخاطبونى خطاب الوزير ويقولون يا مولانا الصاحب ولعل الامر التبس عليهم فى هذه الساعة وبعد ذلك يعرفونى ويقولون هذا زليط ويشبعون صكا فى رقبتى ثم انه استحى وفتح الباب فتخيل ان مملوكا صغيرا وطواشيا قد دخلا عليه فالمملوك معه بقجة ففتحها واخرج منها ثلاث فوط من الحرير فرمى الاولى على رأسه والاخرى على اكتافه وحزمه بالثالثة وقدم له الطواشى قبقابا فلبسه واقبلت عليه مماليك وطواشية وصاروا يسندونه وكل ذلك حصل وهو يضحك الى ان خرج وطلع الليوان فوجد فرشا عظيما لا يصلح الا للملوك وتبادرت اليه الغلمان واجلسوه على المرتبة وصاروا يكبسونه حتى غلب عليه النوم فلما نام رأى فى حضنه صبية فباسها ووضعها بين فخذيه وجلس منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وسحبها عنده وعصرها تحته واذا بواحد يقول له انتبه يا زليط قد جاء الظهر وانت نائم ففتح عينيه فوجد روحه على الحوض البارد وحوله جماعة يضحكون عليه وايره

قائم والفوطة انحلت من وسطه وتبين له ان كل هذا اضغاث احلام وتخيلات حشيش فاغتم ونظر الى الذى نبهه وقال كنت اصبر حتى احطه فقال له الناس اما تستحى يا حشاش وانت نائم وذكرك قائم وضحكوا حتى احمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة وهو فى المنام فلما سمع كان ما كان من الجارية هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لباكون يا دادتى ان هذا حديث عجيب فانى ما سمعت مثل هذه الحكاية فهل عندك غيرها فقالت له نعم ثم ان الجارية باكون لم تزل تحدث كان ما كان بمخارق حكايات ونوادر مضحكات حتى غلب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية جالسة عند رأسه حتى مضى غالب الليل فقالت فى نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت وسلت الخنجر ووثبت على كان ما كان وارادت ذبحه واذا بام كان ما كان دخلت عليهما فلما رأتها باكون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف فصارت تنتفض كأنما اخذتها الحمى فلما رأتها ام كان ما كان تعجبت ونبهت ولدها من النوم فلما استيقظ وجد امه جالسة فوق رأسه وكان السبب فى حياته مجيئها وسبب مجيء امه اليه ان قضى فكان سمعت الحديث والاتفاق على قتله فقالت لامه يا زوجة عمى الحق ولدك قبل ان تقتله العاهرة باكون واخبرتها بما جرى من اوله الى آخره فخرجت وهى لا تعقل شيأ حتى دخلت فى الساعة التى نام فيها وهمت باكون عليه تريد ذبحه فلما استيقظ قال لامه لقد جئت يا امى فى وقت طيب ودادتى باكون حاضرة عندى فى تلك الليلة ثم انه التفت الى باكون وقال لها بحياتى عليك هل تعرفين حكاية احسن من الحكايات التى حدثتنى بها فقالت له الجارية واين ما حدثتك به سابقا مما احدثك به الآن فانه اعذب واغرب ولكن احكيه لك فى غير هذا الوقت ثم قامت باكون وهى لا تصدق بالنجاة فقال لها مع السلامة وفطنت بمكرها ان امه عندها خبر بما حصل فذهبت الى حالها فعند ذلك قالت له والدته يا ولدى هذه ليلة مباركة حيث نجاك الله تعالى من هذه الملعونة فقال لها وكيف ذلك فاخبرته بالامر من اوله الى آخره فقال لها يا والدتى ان الحى ماله قاتل وان قتل لا يموت ولكن الاحوط لنا اننا نرحل من عند هؤلاء الاعداء والله يفعل ما يريد فلما اصبح الصباح خرج كان ما كان من المدينة واجتمع بالوزير دندان وبعد خروجه حصلت امور بين الملك ساسان ونزهة الزمان اوجبت خروج نزهة الزمان ايضا من المدينة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع ارباب دولة الملك ساسان الذين يميلون اليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فاجمع رأيهم على غزو ملك الروم واخذ الثار ثم توجهوا الى غزو الروم ووقعوا فى اسر الملك رومزان ملك الروم بعد امور يطول شرحها كما يظهر من السياق فلما اصبح الصباح امر الملك رومزان ان يحضر كان ما كان والوزير دندان وجماعتهما فحضروا بين يديه واجلسهم بجانبه وامر باحضار الموائد فاحضرت فاكلوا وشربوا واطمأنوا بعد ان ايقنوا بالموت لما امر باحضارهم وقالوا لبعضهم انه ما ارسل الينا الا لانه يريد قتلنا وبعد ان اطمأنوا قال لهم الملك انى رأيت مناما وقصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك الا الوزير دندان فقال له الوزير خيرا رأيت يا ملك الزمان فقال له ايها الوزير رأيت انى فى حفرة على صفة بئر اسود وكأن اقواما يعذبوننى فاردت القيام فلما نهضت وقعت على اقدامى وما قدرت على الخروج من تلك الحفرة ثم التفت فرأيت فيها منطقة من ذهب فمددت يدى لآخذها فلما رفعتها من الارض رأيتها منطقتين فشددت وسطى بهما فاذا هما قد صارتا منطقة واحدة وهذا ايها الوزير منامى والذى رأيته فى لذيذ احلامى فقال له الوزير دندان اعلم يا مولانا السلطان ان رؤياك تدل على ان لك اخا او ابن اخ او ابن عم او احدا يكون من اهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو من العصب فلما سمع الملك هذا

الكلام نظر الى كان ما كان ونزهة الزمان وقضى فكان والوزير دندان ومن معهم من الاسارى وقال
فى نفسه اذا رميت رقاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك اصحابهم ورجعت الى بلادى عن قريب
لئلا يخرج الملك من يدى ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف وامره ان يضرب رقبة كان ما كان
من وقته وساعته واذا بدابة الملك قد اقبلت فى تلك الساعة فقالت له ايها الملك السعيد على ماذا عولت
فقال لها عولت على قتل هؤلاء الاسارى الذين فى قبضتى وبعد ذلك ارمى رؤسهم الى اصحابهم ثم احمل
انا واصحابى عليهم حملة واحدة فنقتل الذى نقتله ونهزم الباقى وتكون هذه وقعة الانفصال وارجع الى
بلادى عن قريب قبل ان يحدث بعد الامور امور فى مملكتى فعندما سمعت منه دايته هذا الكلام اقبلت
عليه وقالت له بلسان الافرنج كيف يطيب عليك ان تقتل ابن اختك واختك وابنة اختك فلما سمع الملك من
دايته هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال لها يا ملعونة الم تعلمى ان امى قد قتلت وان ابى قد مات مسموما
واعطيتنى خرزة وقلت لى ان هذه الخرزة كانت لابيك فلم لا تصدقينى فى الحديث فقالت له كل
ما اخبرتك به صدق ولكن شأنى وشأنك عجيب وامرى وامرك غريب فاننى انا اسمى مرجانة واسم امك
ابريزة وكانت ذات حسن وجمال وشجاعتها تضرب بها الامثال واشتهرت بالشجاعة بين الابطال
واما ابوك فانه الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان من غير شك ولا ريب ولا رجم غيب وكان قد
ارسل ولده شركان الى بعض غزواته صحبة هذا الوزير دندان وكان منهم الذى قد كان وكان اخوك الملك
شركان تقدم على الجيوش وانفرد وحده عن عسكره فوقع عند امك الملكة ابريزة فى قصرها ونزلنا
واياها فى خلوة للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة فتصارع مع امك وغلبته لباهر حسنها
وشجاعتها ثم استضافته امك مدة خمسة ايام فى قصرها فبلغ اباها ذلك الخبر من العجوز شواهى
الملقبة بذات الدواهى وكانت امك قد اسلمت على يد شركان اخيك فاخذها وتوجه بها الى مدينة بغداد
سرا وكنت انا وريحانة وعشرون جارية معها وكنا قد اسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلما دخلنا على
ابيك الملك عمر النعمان ورأى امك الملكة ابريزة وقع فى قلبه محبتها فدخل عليها ليلة واختلى بها
فحملت بك وكان مع امك ثلاث خرزات فاعطتهم لابيك فاعطى خرزة لابنته نزهة الزمان واعطى الثانية
لاخيك ضوء المكان واعطى الثالثة لاخيك الملك شركان فاخذتها منه الملكة ابريزة وحفظتها لك
فلما قربت ولادتها اشتاقت امك الى اهلها واطلعتنى على سرها فاجتمعت بعبد اسود يقال له الغضبان
واخبرته بالخبر سرا ورغبته فى ان يسافر معنا فاخذنا العبد وطلع بنا من المدينة وهرب بنا وكانت امك
قد قربت ولادتها فلما دخلنا على اوائل بلادنا فى مكان منقطع اخذ امك الطلق بولادتك فحدث
العبد نفسه بالخنا فاتى امك فلما قرب منها راودها عن الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة
وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالا وكان فى تلك الساعة قد طلع علينا فى البر من ناحية
بلادنا غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار فخشى العبد على نفسه الهلاك فضرب الملكة ابريزة بسيفه
فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه الى حال سبيله وبعد ما راح العبد انكشف الغبار عن
جدك الملك حردوب ملك الروم فرأى امك ابنته وهى فى ذلك المكان قتيلة وعلى الارض جديلة فصعب
ذلك عليه وكبر لديه وسألنى عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد ابيها فحكيت له جميع ذلك
من الاول الى الآخر وهذا هو سبب العداوة بين اهل بلاد الروم وبين اهل بلاد بغداد فعند ذلك احتملنا امك
وهى قتيلة ودفناها فى قصرها وقد احتملتك انا وربيتك وعلقت لك الخرزة التى كانت مع امك الملكة

ابريزة ولما كبرت وبلغت مبلغ الرجال لم يمكنى ان اخبرك بحقيقة الامر لانى لو اخبرتك بذلك لثارت بينكم
الحروب وقد امرنى جدك بالكتمان ولا قدرة لى على مخالفة امر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا
سبب كتمان الخبر عنك وعدم اعلامك بان اباك الملك عمر النعمان فلما استقليت بالمملكة اخبرتك
وما امكننى ان اعلمك الا فى هذا الوقت يا ملك الزمان وقد كشفت لك السر والبرهان وهذا ما عندى من الخبر
وانت برأيك اخبر وكان الاسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت
نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة عظيمة وقالت هذا الملك رومزان اخى من ابى عمر النعمان وامه
الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وانا اعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك
رومزان هذا الكلام اخذته الحدة وصار متحيرا فى امره واحضر من وقته وساعته نزهة الزمان بين
يديه فلما رآها حن الدم للدم واستخبرها عن قصته فحكت له القصة فوافق كلامها كلام دايته مرجانة
فصح عند الملك انه من اهل العراق من غير شك ولا ارتياب وان اباه الملك عمر النعمان فقام من تلك
الساعة وحل كتاف اخته نزهة الزمان فتقدمت اليه وقبلت يديه ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائها
واخذته حنية الاخوة ومال قلبه الى ابن اخته السلطان كان ما كان وقام ناهضا على قدميه واخذ
السيف من يد السياف فايقن الاسارى بالهلاك لما رأوا منه ذلك فامر باحضارهم بين يديه وفك وثاقهم
وقال لدايته مرجانة اشرحى حديثك الذى شرحته لى لهؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم ايها
الملك ان هذا الشيخ هو الوزير دندان وهو لى اكبر شاهد لانه يعرف حقيقة الامر ثم انها اقبلت عليهم
من وقتها وساعتها وعلى من حضرهم من ملوك الروم وملوك الافرنج وحدثتهم بذلك الحديث والملكة
نزهة الزمان والوزير دندان ومن معهما من الاسارى يصدقونها على ذلك وفى آخر الحديث لاحت من
الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتا مع الملكة ابريزة
فى رقبة السلطان كان ما كان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك يا ولدى
اعلم انه قد زاد فى تلك الساعة صدق يقينى لان هذه الخرزة التى فى رقبة هذا الاسير نظير الخرزة التى وضعتها
فى عنقك وهى رفيقتها وهذا الاسير هو ابن اخيك وهو كان ما كان ثم ان الجارية مرجانة التفتت الى
كان ما كان وقالت له ارنى هذه الخرزة يا ملك الزمان فنزعها من عنقه وناولها لتلك الجارية داية الملك
رومزان فاخذتها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة الثالثة فاعطتها اليها فلما صارا الخرزتان
فى يد الجارية ناولتهما للملك رومزان فظهر له الحق والبرهان وتحقق انه عم السلطان كان ما كان وان اباه
الملك عمر النعمان فقام من وقته وساعته الى الوزير دندان وعانقه ثم عانق الملك كان ما كان وعلا الصياح
بكثرة الافراح وفى تلك الساعة انتشرت البشائر ودقت الكاسات والطبول وزمرت الزمور وزادت
الافراح وسمع عساكر العراق والشام ضجيج الروم بالافراح فركبوا عن آخرهم وركب الملك الزبلكان
وقال فى نفسه يا ترى ما سبب هذا الصياح والسرور الذى فى عسكر الافرنج والروم واما عسكر العراق
فانهم قد اقبلوا وعلى القتال عولوا وصاروا فى الميدان ومقام الحرب والطعان فالتفت الملك رومزان
فرأى العساكر مقبلين وللحرب متهيئين فسأل عن سبب ذلك فاخبروه بالخبر فامر قضى فكان ابنة
اخيه شركان ان تسير من وقتها وساعتها الى عسكر الشام والعراق وتعلمهم بحصول الاتفاق وان
الملك رومزان ظهر انه عم السلطان كان ما كان فسارت قضى فكان بنفسها ونفت عنها الشرور
والاحزان حتى وصلت الى الملك الزبلكان وسلمت عليه واعلمته بما جرى من الاتفاق وان الملك رومزان

ظهر انه عمها وعم كان ما كان وحين اقبلت عليه وجدته باكي العين حانقا على الامراء والاعيان فشرحت له القصة من اولها الى اخرها فازدادت افراحهم وزالت اتراحهم وركب الملك الزبلكان هو وجميع الاكابر والاعيان وسارت قدامهم الملكة نضى فكان حتى اوصلتهم الى سرادق الملك رومزان فلما دخلوا عليه وجدوه جالسا مع ابن اخيه السلطان كان ما كان وقد استشاره هو والوزير دندان في امر الملك الزبلكان فاتفقوا على انهم يسلمون اليه مدينة دمشق الشام ويتركونه ملكا عليها كما كان مثل العادة وهم يدخلون الى العراق فجعلوا الملك الزبلكان عاملا على دمشق الشام ثم امروه بالتوجه اليها فتوجه بعساكره اليها ومشوا معه ساعة لاجل الوداع وبعد ذلك رجعوا الى مكانهم ثم نادوا في العسكر بالرحيل الى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم ان الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنا تستريح ولا يشفى غيظنا الا باخذ الثار وكشف العار بالانتقام من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي فعند ذلك سار الملك رومزان مع خواصه وارباب دولته وفرح السلطان كان ما كان بعمه الملك رومزان ودعا للجارية مرجانة حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى ارضهم فسمع بهم الحاجب الكبير ساسان فطلع وقبل يد الملك رومزان فخلع عليه ثم ان الملك رومزان جلس واجلس ابن اخيه السلطان كان ما كان الى جانبه فقال كان ما كان الى عمه الملك رومزان يا عم ما يصلح هذا الملك الا لك فقال له معاذ الله ان اعارضك في ملكك فعند ذلك اشار عليهما الوزير دندان ان يكون الاثنان في الملك سواء وكل واحد يحكم يوما فارتضيا بذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهما اتفقا على ان كل واحد يحكم يوما ثم اولموا الولائم وذبحوا الذبائح وزادت بهم الافراح واقاموا على ذلك مدة من الزمان كل ذلك والسلطان كان ما كان يقطع ليله مع بنت عمه قضى فكان وبعد تلك المدة بينما هم قاعدون فرحانون بهذا الامر وانصلاح الشأن اذ ظهر لهم غبار قد علا وطار حتى سد الاقطار وقد اتى اليهم من التجار صارخ يستغيث وهو يصيح ويقول يا ملوك الزمان كيف اسلم في بلاد الكفر وانهب في بلادكم وهي بلاد العدل والامان فاقبل عليه الملك رومزان وسأله عن حاله فقال له انا تاجر من التجار ولي غائب عن الاوطان مدة مديدة من الزمان واستغرقت في البلاد نحو عشرين سنة من الاعوام وان معي كتابا من مدينة دمشق كان قد كتبه لي المرحوم الملك شركان وسبب ذلك انى كنت قد اهديت اليه جارية فلما قربت من تلك البلاد وكان معي مائة حمل من تحف الهند واتيت بها الى بغداد التي هي حرمكم ومحل امنكم وعدلكم فخرجت علينا عربان ومعهم اكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالي ونهبوا اموالي وهذا شرح حالي ثم ان التاجر بكى بين يدي الملك رومزان وحوقل واشتكى فرحمه الملك ورق اليه وكذلك رحمه ابن اخيه الملك كان ما كان وحلفوا انهم يخرجون اليهم فخرجوا اليهم في مائة فارس كل فارس منهم يعد بين الرجال بالوف وذلك التاجر سار امامهم يدلهم على الطريق ولم يزالوا سائرين ذلك النهار وطول الليل الى السحر حتى اشرفوا على واد غزير الانهار كثير الاشجار فوجدوا القوم قد تفرقوا في ذلك الوادي وقسموا بينهم احمال ذلك التاجر وبقي البعض فاطبق عليهم المائة فارس واحاطوا بهم من كل مكان وصاح عليهم الملك رومزان هو وابن اخيه كان ما كان فما كان غير ساعة حتى اسروا الجميع وكانوا نحو ثلاثمائة فارس مجتمعين من اوباش العربان فلما اسروهم اخذوا

ما معهم

ما معهم من مال التاجر وشدوا وثاقهم وطلعوا بهم الى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك رومزان هو
وابن اخيه الملك كان ما كان على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجميع بين ايديهما وسألاهم عن حالهم
وعن كبارهم فقالوا ما لنا كبار غير ثلاثة اشخاص وهم الذين جمعونا من سائر النواحي والاقطار فقالا لهم
ميزوهم لنا باعيانهم فميزوهم لهما فأمرا بالقبض عليهم واطلاق بقية اصحابهم بعد اخذ جميع ما معهم
من الاموال وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر قماشه وماله فوجده قد هلك ربعه فوعدوه انهم يعوضون له جميع
ما ضاع منه فعند ذلك اخرج التاجر كتابين احدهما بخط شركان والآخر بخط نزهة الزمان وقد كان
التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوي وهي بكر وقدمها لاخيها شركان وجرى بينها وبين اخيها ما جرى
ثم ان الملك كان ما كان وقف على الكتابين وعرف خط عمه شركان وسمع حكاية عمته نزهة الزمان
فدخل عليها بذلك الكتاب الثاني الذي كانت كتبته للتاجر الذي ضاع منه المال واخبرها كان ما كان
بقصة التاجر من اولها الى آخرها فعرفته نزهة الزمان وعرفت خطها واخرجت للتاجر الضيافات
ووصت عليه اخاها الملك رومزان وابن اخيها الملك كان ما كان فأمرا له باموال وعبيد وغلمان من اجل
خدمته وارسلت اليه نزهة الزمان مائة الف درهم من المال وخمسين حملا من البضائع وقد اتحفته
بهدايا وارسلت اليه تطلبه فلما حضر طلعت له وسلمت عليه واعلمته انها بنت الملك عمر النعمان وان اخاها
الملك رومزان وان ابن اخيها الملك كان ما كان ففرح التاجر بذلك فرحا شديدا وهناها بسلامتها واجتماعها
باخيها وابن اخيها وقبل يد[...]ا وشكرها على فعلها وقال لها والله ما ضاع الجميل معك ثم دخلت الى
خدرها واقام التاجر عندهم ثلاثة ايام ثم ودعهم ورحل الى بلاد الشام وبعد ذلك احضر الملوك
الثلاثة اشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق وسألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم
وقال اعلموا اني رجل بدوي اقف في الطريق لاخطف الصغار والبنات الابكار وابيعهم للتجار ودمت
على ذلك مدة من الزمان الى هذه الايام واغراني الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيين على جمع الاوباش
من الاعراب والبلدان لاجل نهب الاموال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احك لنا على اعجب ما رأيت
في خطفك الصغار والبنات فقال لهم اعجب ما جرى لي يا ملوك الزمان اني من مدة اثنتين وعشرين سنة
خطفت بنتا من بنات بيت المقدس ذات يوم من الايام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير انها
كانت خدامة وعليها اثواب خلقة وعلى رأسها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها
بحيلة في تلك الساعة وحملتها على جمل وسبقت بها وكان في املي انني اذهب بها الى اهلي في البرية واجعلها
عندي ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادي فبكت بكاء شديدا فدنوت منها وضربتها ضربا وجيعا
واخذتها وسرت بها الى مدينة دمشق فرآها معي تاجر فصبر عقله لما رآها واعجبته فصاحتها واراد
اشتراءها مني ولم يزل يزيدني في ثمنها حتى بعتها له بمائة الف درهم فعندما اعطيتها له رأيت منها
فصاحة عظيمة وبلغني ان التاجر كساها كسوة مليحة وقدمها الى الملك صاحب دمشق فاعطاه
قدر المبلغ الذي دفعه الى مرتين وهذا يا ملوك الزمان اعجب ما جرى لي ولعمري ان ذلك الثمن قليل في تلك
البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت نزهة الزمان من البدوي ما حكاه صار الضياء
في وجهها ظلاما وصاحت وقالت لاخيها رومزان ان هذا البدوي الذي كان خطفني من بيت المقدس
بعينه من غير شك ثم ان نزهة الزمان حكت لهم جميع ما جرى لها معه في غربتها من الشدائد والضرب
والجوع والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حل لي قتله ثم جذبت السيف وقامت الى البدوي لتقتله

واذا هو صاح وقال يا ملوك الزمان لا تدعوها تقتلني حتى احكي لكم ما جرى لي من العجائب فقال لها ابن اخيها كان ما كان يا عمتي دعيه يحكي لنا حكاية وبعد ذلك فافعلي ما تريدين فرجعت عنه فقال له الملوك الآن احك لنا حكاية فقال يا ملوك الزمان ان حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عني قالوا نعم فابتدأ البدوي يحدثهم بأعجب ما وقع له وقال اعلموا اني من مدة يسيرة ارقت ليلة ارقا شديدا وما صدقت ان الصباح يصبح فلما اصبح الصباح قمت من وقتي وساعتي وتقلدت بسيفي وركبت جوادي واعتقلت رمحي وخرجت اريد الصيد والقنص فواجهني جماعة في الطريق فسألوني عن قصدي فاخبرتهم به فقالوا ونحن رفقاؤك فنزلنا كلنا مع بعضنا فبينما نحن سائرون واذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها ففرت من بين ايدينا وهي فاتحة اجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها الى الظهر حتى رمتنا في برية لا نبات فيها ولا ماء ولم نسمع فيها غير صفير الحيات وزعيق الجان وصريخ الغيلان فلما وصلنا الى ذلك المكان غابت عنا فلم ندر أفي السماء طارت ام في الارض غارت فرددنا رؤوس الخيل واردنا الرواح ثم رأينا ان الرجوع في هذا الوقت الشديد الحر لا خير فيه ولا اصلاح وقد اشتد علينا الحر وعطشنا عطشا شديدا ووقفت خيولنا فايقنا بالموت فبينما نحن كذلك اذ نظرنا من بعيد مرجا افيح فيه غزلان تمرح وهناك خيمة مضروبة وفي جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد اليأس ورددنا رؤوس خيلنا نحو تلك الخيمة نطلب ذلك المرج والماء وتوجه اليه جميع اصحابي وانا في اولهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى ذلك المرج فوقفنا على عين وشربنا وسقينا خيلنا فاخذتني حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيه شابا لا نبات بعارضيه وهو كأنه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كأنها قضيب بان فلما نظرت اليها وقعت محبتها في قلبي فسلمت على ذلك الشاب فرد علي السلام فقلت يا اخا العرب اخبرني من انت وما تكون لك تلك الجارية التي عندك فاطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال اخبرني من انت وما الخيل التي معك فقلت انا حماد بن الفزاري الفارس الموصوف الذي اعد بين العرب بخمسمائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فادركنا العطش فقصدت انا باب تلك الخيمة لعلي اجد عندكم شربة ماء فلما سمع مني ذلك الكلام التفت الى الجارية المليحة وقال ائتي الى هذا الرجل بالماء وما حصل من الطعام فقامت الجارية تسحب اذيالها والحجول الذهب تشخشخ في رجليها وهي تتعثر في شعرها وغابت قليلا ثم اقبلت وفي يدها اليمين اناء من فضة مملوء ماء باردا وفي يدها اليسرى قدح ملآن تمرا ولبنا وما حضر من لحم الوحوش فما استطعت ان آخذ من الجارية طعاما ولا شرابا من شدة محبتي لها فتمثلت بهذين البيتين وقلت

كأن الخضاب على كفها * غراب على ثلجة واقفة
ترى الشمس والبدر من وجهها * قريبين خاف وذا خائف

ثم قلت للشاب بعد ان اكلت وشربت يا وجه العرب اعلم اني اوقعتك على حقيقة خبري واريد ان تخبرني بحالك وتوقفني على حقيقة خبرك فقال الشاب اما هذه الجارية فهي اختي فقلت اريد ان تزوجني بها طوعا والا اقتلك وآخذها غصبا فعند ذلك اطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع بصره الي وقال لي لقد صدقت في دعواك انك فارس معروف وبطل موصوف وانك اسد البيداء ولكن ان هجمتم علي غدرا وقتلتموني قهرا واخذتم اختي فان هذا يكون عارا عليكم وان كنتم على ما ذكرتم من انكم فرسان تعدون

من الابطال ولا تبالون بالحرب والنزال فامهلونى قليلا حتى البس آلة حربى واتقلد بسيفى واعتقل رمحى واركب فرسى واصير اناواياكم فى ميدان الحرب فان ظفرت بكم اقتلكم عن آخركم وان ظفرتم بى وقتلتمونى فهذه الجارية اختى لكم فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له ان هذا هو الانصاف وما عندنا خلاف ثم رددت رأس جوادى الى خلفى وقد زادبى الجنون فى محبة تلك الجارية ورجعت الى اصحابى ووصفت لهم حسنها وجمالها وحسن الشاب الذى عندها وشجاعته وقوة جنانه وكيف يذكر انه يصادم الف فارس ثم اعلمت اصحابى بجميع ما فى الخباء من الاموال والتحف وقلت لهم اعلموا ان هذا الشاب ما هو منقطع فى تلك الارض الا لكونه ذا شجاعة عظيمة وانا اوصيكم ان كل من قتل هذا الغلام يأخذ اخته فقالوا رضينا بذلك ثم ان اصحابى لبسوا آلة حربهم وركبوا خيلهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثبت اليه اخته وتعلقت بركابه وبلت برقعها بدموعها وهى تنادى بالويل والثبور من خوفها على اخيها وتنشد هذه الابيات

الى الله اشكو محنة وكآبة * لعل اله العرش يرهقهم رعبا
يريدون قتلك يااخى تعمدا * ولا شئ من قبل القتال ولا ذنبا
وقد عرفت ذا الخيل انك فارس * واشجع من حل المشارق والغربا
تحامى عن الاخت التى قل عزمها * فانت اخوها وهى تدعو لك الربا
فلا تترك الاعداء تملك مهجتى * وتأخذنى قهرا وتأسرنى غصبا
ولست وحق الله ابقى ببلدة * اذا لم تكن فيها وان ملئت خصبا
واقتل نفسى فى هواك محبة * واسكن لحدا فيه افترش التربا

فلما سمع اخوها شعرها بكى بكاء شديدا ورد رأس جواده الى اخته واجابها على شعرها بقوله

قفى وانظرى منى وقوع عجائب * اذا ما التقينا حين اثخنهم ضربا
وان برز الليث المقدم فيهم * واشجعهم قلبا واثبتهم لبا
سأسقيه منى ضربة ثعلبية * واترك فيه الرمح يستغرق الكعبا
وان لم اقاتل عنك اختى فليتنى * قتيل وليت الطير تنهبنى نهبا
اقاتل عنك ما استطعت تكرما * وهذا حديث بعدنا يملأ الكتبا

فلما فرغ من شعره قال يا اختى اسمعى ما اقوله لك وما اوصيك به فقالت له سمعا وطاعة فقال لها ان هلكت فلا تمكنى احدا من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ الله يا اخى ان اراك صريعا وامكن الاعداء منى فعند ذلك مد الغلام يده اليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تحت الغمام فقبلها بين عينيها وودعها وبعد ذلك التفت الينا وقال لنا يا فرسان هل انتم ضيفان او تريدون الضرب والطعان فان كنتم ضيفا نا فابشروا بالقرى وان كنتم تريدون القمر الزاهر فليبرز لى منكم فارس بعد فارس فى هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز اليه فارس شجاع فقال له الشاب ما اسمك وما اسم ابيك فانى حالف انى ما اقتل من اسمه موافق لاسمى واسم ابيه موافق لاسم ابى فان كنت بهذا الوصف فقد سلمت اليك الجارية فقال له الفارس اسمى بلال فاجابه الشاب بقوله

كذبت فى قولك من بلال * وجئت بالزور وبالمحال

ان كنت شهما فاستمع مقالى * انا مجندل الابطال فى المجال
بصارم ماض كالهلال * فاصبر لطعن مرجف الجبال

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب فى صدره فخرج السنان من ظهره ثم برز اليه واحد فقال الشاب

يا ايها الكلب وخيم الرجس * فاين غال سعره من بخس
وانما الليث الكريم الجنس * من لم يبال فى الوغى بنفس

ثم لم يمهله الشاب دون ان تركه غريقا فى دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز اليه واحد فانطلق على الشاب وجعل يقول

اليك اقبلت وفى قلبى لهب * منه انادى عند صحبى بالحرب
لما قتلت اليوم سادات العرب * فاليوم لا تلقى فكاكا من طلب

فلما سمع الشاب كلامه اجابه بقوله

كذبت بئس انت من شيطان * قد جئت بالزور وبالبهتان
اليوم تلقى فاتك السنان * فى موقف الحرب وفى الطعان

ثم طعنه فى صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج اليه الرابع وسأله الشاب عن اسمه فقال له الفارس اسمى هلال فانشد يقول

اخطأت اذ أردت خوض بحرى * وجئت بالزور وكل الامر
انا الذى تسمع منى شعرى * اختلس النفس ولست تدرى

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هى السابقة الى الفارس فقتله وصار كل من نزل اليه يقتله فلما نظرت اصحابى قد قتلوا قلت فى نفسى ان نزلت اليه فى الحرب لم اطقه وان هربت ابقى معيرة بين العرب فلم يمهلنى الشاب دون ان انقض على وجذبنى بيده فاطاحنى من سرجى فوقعت مغشيا على ورفع سيفه واراد ان يضرب عنقى فتعلقت باذياله فحملنى بكفه فصرت معه كالعصفور فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل اخيها واقبلت عليه وقبلته بين عينيه ثم انه سلمنى الى اخته وقال لها دونك واياه واحسنى مثواه لانه دخل فى زمامنا فقبضت الجارية على اطواق درعى وصارت تقودنى كما تقود الكلب وفكت عن اخيها لامة الحرب والبسته بدلة ونصبت له كرسيا من العاج فجلس عليه وقالت له بيض الله عرضك وجعلك عدة للنائبات فاجابها بهذه الابيات

تقول وقد رأت فى الحرب اخى * لوامع غرتى مثل الشعاع
الا لله درك من شجاع * تذل لحربه اسد البقاع
فقلت لها سلى الابطال عنى * اذا ما فر ارباب القراع
انا المعروف فى سعدى وجدى * وعزمى قد علا اى ارتفاع
ايا حماد قد نازلت ليثا * يريك الموت يسعى كالافاعى

فلما سمعت شعره حرت فى امرى ونظرت الى حالتى وما صرت اليه من الاسر وتصاغرت الى نفسى ثم نظرت الى الجارية اخت الشاب والى حسنها فقلت فى نفسى هذه سبب الفتنة وصرت اتعجب من جمالها واجريت العبرات وانشدت هذه الابيات

خليلى كف عن لومى وعذلى * فانى للملامة غير واع

كلفت بغادة لم تبد الا * دعتنى فى محبتها الدواعى
اخوها فى الهوى امسى رقيبى * وصاحب همة وطويل باع

ثم ان الجارية احضرت لاخيها الطعام فدعانى الى الاكل معه ففرحت وامنت على نفسى من القتل ولما فرغ اخوها من الاكل احضرت له آنية المدام ثم ان الشاب اقبل على المدام وشرب حتى شعشع الشراب فى رأسه واحمر وجهه فالتفت الى وقال لى ويلك يا حماد انا عباد بن تميم بن ثعلبة ان الله وهب لك نفسك وابقى عليك عرسك ثم حيانى بقدح شربته وحيانى بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمنى وحلفنى انى لا اخونه فحلفت له الفا وخمسمائة يمين انى لا اخونه قط بل اكون له معينا فعند ذلك امر اخته ان تأتينى بعشر خلع من الحرير وهذه بدلة منها على جسدى وامرها ان تأتينى بناقة من احسن النياق فاتتنى بناقة محملة من التحف والزاد وامرها ايضا ان تحضر لى الحصان الاشقر فاحضرته لى ثم وهب لى جميع ذلك واقمت عندهم ثلاثة ايام فى اكل وشرب والذى قد اعطاه لى موجود عندى الى الان وبعد الثلاثة ايام قال لى يا اخى يا حماد اريد ان انام قليلا لاريح نفسى وقد استأمنتك على نفسى فان رأيت خيلا ثائرة فلا تفزع منها واعلم انهم من بنى ثعلبة يطلبون حربى ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق فى النوم وسوس الى ابليس بقتله فقمت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة اطاحت رأسه عن جثته فعلمت بى اخته فوثبت من جانب الخباء ورمت نفسها على اخيها وشقت ما عليها من الثياب وانشدت هذه الابيات

الى الاهل بلغ ان ذا اشأم الخبر * وما لامرئ عما الحكيم قضى مفر
وانت صريع يا اخى متجندل * ووجهك يحكى حسنه دورة القمر
لقد كان يوم الشؤم يوم لقيتهم * ورمحك من بعد اطراد قد انكسر
وبعدك لا يرتاح للخيل راكب * ولا تلد الانثى نظيرك من ذكر
واصبح حماد لك اليوم قاتلا * وقد خان ايمانا وبالعهد قد غدر
يريد بهذا ان ينال مراده * لقد كذب الشيطان فى كل ما امر

فلما فرغت من شعرها قالت له يا ملعون الجدين لماذا قتلت اخى وخنته وكان مراده ان يردك الى بلادك بالزاد والهدايا وكان مراده ايضا ان يزوجنى لك فى اول الشهر ثم جذبت سيفا كان عندها وجعلت قائمه فى الارض وطرفه فى صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرت على الارض ميتة فحزنت عليها وندمت حيث لا ينفعنى الندم وبكيت ثم قمت مسرعا الى الخباء واخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسرت الى حال سبيلى ومن خوفى وعجلتى لم التفت الى احد من اصحابى ولا دفنت الصبية ولا الشاب وهذه الحكاية اعجب من حكايتى الاولى مع البنت الخادمة التى خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهة الزمان من البدوى هذا الكلام تبدل النور فى عينها بالظلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نزهة الزمان لما سمعت من البدوى هذا الكلام تبدل الضياء فى عينها بالظلام وقامت وجردت السيف وضربت به البدوى حمادا على عاتقه فاطلعته من علائقه فقال لها

الحاضرون لاى شئ استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذى فسح فى اجلى حتى اخذت ثارى بيدى ثم انها امرت العبيد ان يجروه من رجليه ويرموه للكلاب وبعد ذلك اقبلوا على الاثنين الباقيين من الثلاثة وكان احدهما عبدا اسود فقالوا له ما اسمك انت فاصدقنا فى حديثك قال انا اسمى الغضبان واخبرهم بما وقع له مع الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمى الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذى احيانى واخذت ثار امى بيدى واخبرهم ان دايته مرجانة حكت له عن هذا العبد الذى اسمه الغضبان وبعد ذلك اقبلوا على الثالث وكان هو الجمال الذى اكتروه اهل بيت المقدس الى حمل ضوء المكان وتوصيله الى المارستان الذى فى دمشق الشام فذهب به والقاه فى المستوقد وذهب الى حال سبيله ثم قالوا له اخبرنا انت بخبرك واصدق فى حديثك فحكى لهم جميع ما وقع له مع السلطان ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس وهو ضعيف على ان يوصله الى الشام ويرميه فى المارستان وكيف جاء له اهل بيت المقدس بالدراهم فاخذها وهرب بعد ان رماه فى مستوقد الحمام فلما تم كلامه اخذ السلطان كان ما كان السيف وضربه فرمى عنقه وقال الحمد لله الذى احيانى حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع ابى فاننى قد سمعت هذه الحكاية بعينها من والدى السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم ما بقى علينا الا العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى فانها سبب هذه البلايا حيث اوقعتنا فى الرزايا ومن لنا بها حتى نأخذ منها الثار ونكشف العار فقال له الملك رومزان عم الملك كان ما كان لابد من حضورها ثم ان الملك رومزان كتب كتابا من وقته وساعته وارسله الى جدته العجوز شواهى الملقبة بذات الدواهى وذكر لها فيه انه غلب على مملكة دمشق والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين واسر ملوكهم وقال اريد ان تحضرى عندى من كل بد انت والملكة صفية بنت الملك افريدون ملك القسطنطينية ومن شئتم من اكابر النصارى من غير عسكر فان البلاد امان لانها صارت تحت ايدينا فلما وصل الكتاب اليها وقرأته وعرفت خط الملك رومزان فرحت فرحا شديدا وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هى والملكة صفية ام نزهة الزمان ومن صحبهم ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى بغداد فتقدم الرسول واخبرهم بحضورها فقال رومزان ان المصلحة تقتضى ان نلبس اللبس الافرنجى ونقابل العجوز حتى نامن من خداعها وحيلها فقالوا سمعا وطاعة ثم انهم لبسوا لباس الافرنج فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا انى اعرفكم لقلت انكم افرنج ثم ان رومزان تقدم امامهم وخرجوا يقابلون العجوز فى الف فارس فلما وقعت العين فى العين ترجل رومزان عن جواده وسعى اليها فلما رأته وعرفته ترجلت اليه وعانقته فقرط بيده على اضلاعها حتى كاد ان يقصفها فقالت ما هذا فلم تتم كلامها حتى نزل اليهما كان ما كان والوزير دندان وزعقت الفرسان على من معها من الجوارى والغلمان واخذوهم جميعهم ورجعوا الى بغداد وامرهم رومزان ان يزينوا بغداد فزينوها ثلاثة ايام ثم اخرجوا شواهى الملقبة بذات الدواهى وعلى رأسها طرطور احمر مكلل بروث الحمير وقدامها مناد ينادى هذا جزاء من يتجارى على الملوك وعلى اولاد الملوك ثم صلبوها على باب بغداد ولما رأى اصحابها ما جرى لها اسلموا كلهم جميعا ثم ان كان ما كان وعمه رومزان ونزهة الزمان والوزير دندان تعجبوا لهذه السيرة العجيبة وامروا الكتاب ان يؤرخوها فى الكتب حتى تقرأ من بعدهم واقاموا بقية الزمان فى الذ عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ما انتهى الينا من تصاريف الزمان بالملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان

وولد ولده كان ما كان ونزهة الزمان وقضى فكان ثم ان الملك قال لشهرزاد اشتهى ان تحكى لى شيأ من حكاية الطيور فقالت حبا وكرامة فقالت لها اختها لم ار الملك فى طول هذه المدة انشرح صدره غير هذه الليلة وارجوان تكون عاقبتك معه محمودة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان طاووس يأوى الى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من سائر الوحوش غير انه كثير الاشجار والانهار وذلك الطاووس هو وزوجته يأويان الى شجرة من تلك الاشجار ليلا من خوفهما من الوحوش ويغدوان فى طلب الرزق نهارا ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعا غير موضعهما يأويان اليه فبينما هما يفتشان على موضع اذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الاشجار والانهار فنزلا فى تلك الجزيرة واكلا من اثمارها وشربا من انهارها فبينما هما كذلك واذا ببطة اقبلت عليهما وهى فى شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى اتت الى الشجرة التى عليها الطاووس هو وزوجته فاطمأنت فلم يشك الطاووس فى ان تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها وعن سبب خوفها فقالت انى مريضة من الحزن وخوفى من ابن آدم فالحذر ثم الحذر من بنى آدم فقال لها الطاووس لا تخافى حيث وصلت الينا فقالت البطة الحمد لله الذى فرج عنى همى وغمى بقربكما وقد اتيت راغبة فى مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت اليها زوجة الطاووس وقالت لها اهلا وسهلا ومرحبا لا بأس عليك ومن اين يصل الينا ابن آدم ونحن فى تلك الجزيرة التى فى وسط البحر فمن البر لا يقدر ان يصل الينا ومن البحر لا يمكن ان يطلع علينا فابشرى وحدثينا بالذى نزل بك واعتراك من ابن آدم فقالت البطة اعلمى ايتها الطاووسة انى فى هذه الجزيرة طول عمرى آمنة لا ارى مكروها فنمت ليلة من الليالى فرأيت فى منامى صورة ابن آدم وهو يخاطبنى واخاطبه وسمعت قائلا يقول لى ايتها البطة احذرى من ابن آدم ولا تغترى بكلامه ولا بما يدخل عليك فانه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فانه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر

يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كما يروغ الثعلب

واعلمى ان ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار ويرمى الطير ببندقة من طين ويوقع الفيل بمكره وابن آدم لا يسلم احد من شره ولا ينجو منه طير ولا وحش وقد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم فاستيقظت من منامى خائفة مرعوبة وانا الى الان لا ينشرح صدرى خوفا على نفسى من ابن آدم لئلا يدهمنى بحيلته ويصيدنى بحبائله ولم يات على آخر النهار الا وقد ضعفت قوتى وبطلت همتى ثم انى اشتقت الى الاكل والشرب فخرجت اتمشى وخاطرى مكدر وقلبى مقبوض فلما وصلت الى ذلك الجبل وجدت على باب مغارة شبلا اصفر اللون فلما رأنى ذلك الشبل فرح بى فرحا شديدا واعجبه لونى وكونى لطيفة الذات فصاح على وقال لى اقربى منى فلما قربت منه قال لى ما اسمك وما جنسك فقلت له اسمى بطة وانا من جنس الطيور ثم قلت له ما سبب قعودك الى هذا الوقت فى هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك ان والدى الاسد له ايام وهو يحذرنى من ابن آدم فاتفق انى رأيت فى هذه الليلة فى منامى صورة ابن آدم

ثم ان الشبل حكى لي نظير ما حكيته لك فلما سمعت كلامه قلت له يا سيدي اني قد لجأت اليك في ان تقتل ابن
آدم وتعزم رأيك في قتله فاني اخاف على نفسي منه خوفا شديدا وازددت خوفا على خوفي من خوفك من
ابن آدم مع انك سلطان الوحوش ومازلت يا اختي احذر الشبل من ابن آدم واوصيه بقتله حتى قام من
وقته وساعته من المكان الذي كان فيه وتمشى وتمشيت وراءه فقرقع بذنبه على ظهره ولم يزل يتمشى وانا
امشي وراءه الى مفرق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد
عريان وهو تارة يقمص ويجري وتارة يتمرغ فلما رآه الاسد صاح عليه فاتى اليه خاضعا فقال له
ايها الحيوان الخريف العقل ما جنسك وما سبب قدومك الى هذا المكان فقال له يا ابن السلطان
انا جنسي حمار وسبب قدومي الى هذا المكان هروبي من ابن آدم فقال له الشبل وهل انت خائف من ابن
آدم ان يقتلك فقال له الحمار لا يا ابن السلطان وانما خوفي ان يعمل حيلة علي ويركبني لان عنده شيأ
يسميه البردعة فيجعلها على ظهري وشيأ يسميه الحزام فيشده على بطني وشيأ يسميه الطفر فيجعله تحت
ذنبي وشيأ يسميه اللجام فيجعله في فمي ويعمل لي منخاسا ينخسني به ويكلفني ما لا اطيق من الجري
واذا عثرت لعنني وان نهقت شتمني وبعد ذلك اذا كبرت ولم اقدر على الجري يجعل لي رحلا من الخشب
ويسلمني الى السقايين فيحملون الماء على ظهري من البحر في القرب ونحوها كالجرار ولا ازال في ذل
وهوان وتعب حتى اموت فيرموني فوق التلال للكلاب فاي شيء اكبر من هذا الهم واي مصيبة اكبر من
هذه المصائب فلما سمعت ايها الطاووسة كلام الحمار اقشعر جسدي من ابن آدم وقلت للشبل يا سيدي
ان الحمار معذور وقد زادني كلامه رعبا على رعبي فقال الشبل للحمار الى اين انت سائر فقال له الحمار اني
نظرت ابن آدم قبل اشراق الشمس من بعيد ففررت هربا منه وها انا اريد ان انطلق ولم ازل اجري من شدة
خوفي منه فعسى اجد لي موضعا يأويني من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل في ذلك
الكلام وهو يريد ان يودعنا ويروح اذ ظهرت لنا غبرة فنهق الحمار وصاح ونظر بعينه الى ناحية الغبرة
وضرط ضراطا عاليا وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس ادهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس
ظريف الغرة مليح التحجيل حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجري حتى وقف بين يدي الشبل ابن الاسد فلما
رآه الشبل استعظمه وقال له ما جنسك ايها الوحش الجليل وما سبب شرودك في هذا البر العريض الطويل
فقال له يا سيد الوحوش انا فرس من جنس الخيل وسبب شرودي هروبي من ابن آدم فتعجب الشبل من
كلام الفرس وقال لا تقل هذا الكلام فانه عيب عليك وانت طويل غليظ وكيف تخاف من ابن آدم مع
عظم جثتك وسرعة جريك وانا مع صغر جسمي قد عزمت على ان التقي مع ابن آدم فابطش به وآكل لحمه
واسكن روع هذه البطة المسكينة واقرها في وطنها وها انت لما اتيت في هذه الساعة قطعت قلبي بكلامك
وارجعتني عما اردت ان افعله فاذا كنت انت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك وعرضك
مع انك لو رفسته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كأس الردى فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل
وقال هيهات هيهات ان اغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولي ولا عرضي ولا ضخامتي مع ابن آدم لانه من
شدة حيله ومكره يصنع لي شيأ يقال له الشكال ويضع في اربعة قوائمي شكالين من حبال الليف الملفوفة
باللباد ويصلبني من رأسي في وتد عال وابقى واقفا وانا مصلوب لا اقدر اقعد ولا انام واذا اراد ان يركبني
يعمل لي شيأ في رجليه من الحديد اسمه الركاب ويضع على ظهري شيأ يسميه السرج ويشده بحزامين
من تحت ابطي ويضع في فمي شيأ من الحديد يسميه اللجام ويضع فيه شيأ من الجلد يسميه الصرع فاذا

ركب فوق ظهري على السرج يمسك الصرع بيده ويقودني به ويهمزني بالركاب في خواصري حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عن ما اقاسيه من ابن آدم فاذا كبرت وانتحل ظهري ولم اقدر على سرعة الجري يبيعني للطحان ليدورني في الطاحون فلا ازال دائرا فيها ليلا ونهارا الى ان اهرم فيبيعني للجزار فيذبحني ويسلخ جلدي وينتف ذنبي ويبيعهما للغرابلي والمناخلي ويسلي شحمي فلما سمع الشبل كلام الفرس ازداد غيظا وغما وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو في اثري فبينما الشبل يتحدث مع الفرس في هذا الكلام واذا بغبرة ثارت وبعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل هائج وهو يمعع ويخبط برجليه في الارض ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل الينا فلما رآه الشبل كبيرا غليظا ظن انه ابن آدم فاراد الوثوب عليه فقلت له يا ابن السلطان ان هذا ما هو ابن آدم وانما هذا جمل وكأنه هارب من ابن آدم فبينما انا يا اختي مع الشبل في هذا الكلام واذا بالجمل تقدم بين ايادي الشبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما سبب مجيئك الى هذا المكان قال جئت هاربا من ابن آدم فقال له الشبل وانت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفصته برجلك رفصة لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم ان ابن آدم له دواهي لا تطاق وما يغلبه الا الموت لانه يضع في انفي خيطا ويسميه خزاما ويجعل في رأسي مقودا ويسلمني الى اصغر اولاده فيجرني الولد الصغير بالخيط مع كبري وعظمي ويحملوني اثقل الاحمال ويسافرون بي الاسفار الطوال ويستعملوني في الاشغال الشاقة اناء الليل والنهار واذا كبرت وشخت او انكسرت فلم يحفظ صحبتي بل يبيعني للجزار فيذبحني ويبيع جلدي للدباغين ولحمي للطباخين ولا تسأل عن ما اقاسي من ابن آدم فقال له الشبل اي وقت فارقت ابن آدم فقال فارقته وقت الغروب واظنه يأتي عند انصرافي فلم يجدني فيسعى في طلبي فدعني يا ابن السلطان حتى اهيج في البراري والقفار فقال الشبل تمهل قليلا يا جمل حتى تنظر كيف افترسه واطعمك من لحمه واهشم عظمه واشرب من دمه فقال له الجمل يا ابن السلطان انا اخاف عليك من ابن آدم فانه مخادع ماكر ثم انشد قول الشاعر

اذا حل الثقيل بارض قوم ❊ فما للساكنين سوى الرحيل

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل في هذا الكلام واذا بغبرة طلعت وبعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية الواح وبيده اطفال صغار وهو يهرول في مشيه وما زال يمشي حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا اختي وقعت من شدة الخوف واما الشبل فانه قام وتمشى اليه ولاقاه فلما وصل اليه ضحك النجار في وجهه وقال له بلسان فصيح ايها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اسعد الله مساءك ومسعاك وزاد في شجاعتك وقواك اجرني مما دهاني وبشره رماني لاني ما وجدت لي نصيرا غيرك ثم ان النجار وقف بين يدي الاسد وبكى وان واشتكى فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له اجرتك مما تخشاه فمن الذي قد ظلمك وما انت تكون ايها الوحش الذي ما رأيت عمري مثلك ولا احسن صورة ولا افصح لسانا منك فما شأنك فقال له النجار يا سيد الوحوش اما انا فنجار واما الذي ظلمني فانه ابن آدم وفي صباح هذه الليلة يكون عندك في هذا المكان فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل الضياء في وجهه بالظلام ونخر وشخر وارمت عيناه بالشرر وصاح وقال والله لاسهرن في هذه الليلة الى الصباح ولا ارجع الى والدي حتى ابلغ مقصدي ثم ان الشبل التفت الى النجار وقال له اني ارى خطواتك قصيرة ولا اقدر ان اكسر بخاطرك لاني ذو مروءة واظن انك لا تقدر ان تماشي الوحوش فاخبرني

الى اين تذهب فقال له النجار اعلم انى رايح الى وزير والملك الفهد لانه لما بلغه ان ابن آدم داس هذه الارض خاف على نفسه خوفا عظيما وارسل الى رسولا من الوحوش لاصنع له بيتا يسكن فيه ويأوى اليه ويمنع عنه عدوه حتى لا يصل اليه احد من بنى آدم فلما جاءنى الرسول اخذت هذه الالواح وتوجهت اليه فلما سمع الشبل كلام النجار اخذه الحسد للفهد فقال له بحياتى لا بد ان تصنع لى هذه الالواح بيتا قبل ان تصنع للفهد بيته واذا فرغت من شغلى فامض الى الفهد واصنع له ما يريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له يا سيد الوحوش ما اقدر ان اصنع لك شيأ الا اذا صنعت للفهد ما يريد ثم اجىء الى خدمتك واصنع لك بيتا يحصنك من عدوك فقال له الشبل والله ما اخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لى هذه الالواح بيتا ثم ان الشبل هم على النجار ووثب عليه واراد ان يمزح معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشيا عليه فضحك الشبل عليه وقال ويلك يا نجار انك ضعيف وما لك قوة فانت معذور اذا خفت من ابن آدم فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظا شديدا ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه ثم قعد النجار وضحك فى وجه الشبل وقال له ها انا اصنع لك البيت ثم ان النجار تناول الالواح التى كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب على قياس الشبل وخلى بابه مفتوحا لانه جعله على صورة صندوق وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء وثقب فيه ثقبا كثيرة واخرج منها مسامير مطرفة وقال للشبل ادخل فى هذا البيت من هذه الطاقة لما اقيسه عليك ففرح الشبل بذلك واتى تلك الطاقة فرآها ضيقة فقال له النجار ادخل وابرك على يديك ورجليك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقى ذنبه خارجا ثم اراد الشبل ان يتأخر الى ورائه ويخرج فقال له النجار امهل حتى انظر هل يسع ذنبك معك فامتثل الشبل امره ثم ان النجار لف ذنب الشبل وحشاه فى الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعا وسمره فصاح الشبل قائلا يا نجار ما هذا البيت الضيق الذى صنعته لى دعنى اخرج منه فقال له النجار هيهات هيهات لا ينفع الندم على ما فات انك لا تخرج من هذا المكان ثم ضحك النجار وقال للشبل انك وقعت فى القفص وكنت اخبث الوحوش فقال يا اخى ما هذا الخطاب الذى تخاطبنى به فقال له النجار اعلم يا كلب البر انك وقعت فيما كنت تخاف منه وقد رماك القدر ولم ينفعك الحذر فلما سمع الشبل كلامه يا اختى علم انه ابن آدم الذى حذره منه ابوه فى اليقظة والهاتف فى المنام وتحققت انه هو بلا شك ولا ريب فخفت منه على نفسى خوفا عظيما وبعدت عنه قليلا وصرت انتظر ماذا يفعل بالشبل فرأيت يا اختى ابن آدم حفر حفرة فى ذلك المكان بالقرب من الصندوق الذى فيه الشبل ورماه فى تلك الحفرة والقى عليه الحطب واحرقه بالنار فكبر يا اختى خوفى ولى يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاووسة من البطة هذا الكلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الطاووسة لما سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجب وقالت يا اختى انك امنت من ابن آدم لانك فى جزيرة من جزائر البحر ليس لابن آدم فيها مسلك فاختارى المقام عندنا الى ان يسهل الله امرك وامرنا قالت اخاف ان يطرقنى طارق والقضاء لا ينفك عنه آبق فقالت اقعدى عندنا وانت مثلنا ولا زالت بها حتى قعدت وقالت يا اختى انت تعلمين قلة صبرى ولولا انى رأيتك هنا ما كنت قعدت فقالت الطاووسة ان كان على جبيننا شئ نستوفاه وان كان اجلنا دنا فمن يخلصنا وان

تموت نفس حتى تستوفى رزقها واجلها فبينما هما فى هذا الكلام اذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وان لم يكن مفر من القدر وكانت الغبرة عظيمة فلما انكشفت الغبرة ظهر من تحتها ظبى فاطمأنت البطة والطاووسة ثم قالت البطة يا اختى ان الذى تفزعين منه ظبى وها هو قد اقبل نحونا فليس علينا منه بأس لان الظبى انما يأكل الحشايش من نبات الارض وكما انت من جنس الطير هو الاخر من جنس الوحوش فاطمئنى ولا تهتمى فان الهم ينحل البدن فلم تتم الطاووسة كلامها حتى وصل الظبى اليهما يستظل تحت الشجرة فلما رأى الطاووسة والبطة سلم عليهما وقال لهما انى دخلت هذه الجزيرة اليوم فلم ار اكثر منها خصبا ولا احسن منها مسكنا ثم دعاهما لمرافقته ومصافاته فلما رأت البطة والطاووسة تودده اليهما اقبلتا عليه ورغبتا فى عشرته وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحدا ومأكلهم سواء ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تايهة فى البحر فارست قريبا منهم فطلع الناس وتفرقوا فى الجزيرة فرأوا الظبى والطاووسة والبطة مجتمعين فاقبلوا عليهم فشرد الظبى فى البرية وطارت الطاووسة فى الجو فبقيت البطة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعنى الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بها الى سفينتهم فلما رأت الطاووسة ما جرى للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت لا ارى الافات الا مراصدة لكل احد ولولا هذه السفينة ما حصل بينى وبين هذه البطة افتراق ولقد كانت من خيار الاصدقاء ثم طارت الطاووسة واجتمعت بالظبى فسلم عليها وهناها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد اخذها العدو وكرهت المقام فى تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة وانشدت تقول

ان يوم الفراق قطع قلبى * قطع الله قلب يوم الفراق

وانشدت ايضا

تمنيت الوصال يعود يوما * لاخبره بما صنع الفراق

فاغتم الظبى غما شديدا ثم رد عزم الطاووسة عن الرحيل فاقام معها فى تلك الجزيرة آمنين آكلين شاربين غير انهما لم يزالا حزينين على فراق البطة فقال الظبى للطاووسة يا اختى قد علمت ان الناس الذين طلعوا لنا من المركب كانوا سببا لفراقنا ولهلاك البطة فاحذريهم واحترسى منهم ومن مكر ابن آدم وخداعه فقالت قد علمت يقينا ان ما قتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها انى اخاف عليك من ترك التسبيح لان كل ما خلقه الله يسبحه فان غفل عن التسبيح عوقب بهلاكه فلما سمع الظبى كلام الطاووسة قال احسن الله صورتك واقبل على التسبيح لا يفتر عنه ساعة وقد قيل ان الظبى يقول فى تسبيحه سبحان الديان ذى الجبروت والسلطان وورد ان بعض العباد كان يتعبد فى بعض الجبال وكان يأوى الى ذلك الجبل زوج من الحمام وكان ذلك العابد قسم قوته نصفين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العابد قد قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوى الى غير الجبل الذى فيه العابد وكان السبب فى اجتماع الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل ان الحمام يقول فى تسبيحه سبحان خالق الخلق

وقاسم الرزق وباني السموات وباسط الارضين ولم يزل ذلك الزوج الحمام في ارغد عيش هو ونسله حتى مات العابد فتشتت شمل الحمام وتفرق في المدن والقرى والجبال وقيل انه كان في بعض الجبال رجل من الرعاة صاحب دين وعقل وعفة وكان له غنم يرعاها وينتفع بالبانها واصوافها وكان ذلك الجبل الذى يأوى اليه الراعى كثير الاشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش قدرة على الراعى ولا على غنمه ولم يزل مقيما في الجبل مطمئنا لا يهمه شيء من امر الدنيا لسعادته واقباله على عبادته فاتفق له انه مرض مرضا شديدا فدخل كهفا في الجبل وصارت الغنم تخرج بالنهار الى مرعاها وتأوى بالليل الى الكهف فاراد الله ان يمتحن ذلك الراعى ويختبره في طاعته وصبره فبعث اليه ملكا فدخل عليه الملك في صورة امرأة حسناء وجلس بين يديه فلما رأى الراعى تلك المرأة جالسة عنده اقشعر بدنه منها فقال لها ايتها المرأة ما الذى دعاك الى المجيء هنا وليس لك حاجة معى ولا بينى وبينك ما يوجب دخولك عندى فقالت له ايها الانسان اما ترى حسنى وجمالى وطيب رائحتى اما تعلم حاجة الرجال الى النساء فما الذى يمنعك منى وقد اخترت قربك واحببت وصالك وقد جئتك طائعة وعليك غير ممتنعة وليس عندنا احد نخشاه واريد ان اقيم معك طول مقامك في هذه الجبال واكون انيسة لك وقد عرضت نفسى عليك لانك تحتاج لخدمة النساء وانت ان باشرتنى زال عنك مرضك وعادت اليك صحتك وندمت على ما فاتك من قرب النساء في سالف عمرك وقد نصحتك فاقبل نصيحتى وادن منى فقال الراعى اخرجى عنى ايتها المرأة الخداعة الغدارة فلا اركن اليك ولا ادنو منك ولا حاجة لى بقربك ولا بوصالك لان من رغب فيك زهد في الاخرة ومن رغب في الاخرة زهد فيك لانك فتنت الاولين والاخرين والله تعالى لعباده بالمرصاد والويل لمن ابتلى بصحبتك فقالت له ايها التائه عن السداد والضال عن طريق الرشاد اقبل بوجهك الى وانظر الى محاسنى واغتنم قربى كما فعل من كان قبلك من الحكماء فقد كانوا اكثر منك تجربة واصوب منك رأيا ومع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بالنساء بل رغبوا فيما زهدت فيه من مباشرة النساء وقربهن فما ساءهم ذلك في دينهم ولا دنياهم فارجع عن رأيك تحمد عاقبة امرك فقال الراعى ان الذى تقولينه كرهته وجميع ما تبدينه زهدته لانك خداعة غدارة لا عهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك اخفيته وكم من صالح فتنته وكانت عاقبته الى الندامة والحزن فارجعى عنى ايتها المصلحة نفسها لفساد غيرها ثم القى عباءته على وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج وعرج الى السماء وكان قريبا من الراعى قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى في منامه كان قائلا يقول له بالقرب منك في مكان كذا رجل صالح فاذهب اليه وكن تحت طاعة امره فلما اصبح الصباح توجه نحوه سائرا فلما اشتد عليه الحر انتهى الى شجرة عندها عين جارية فجلس في ظل تلك الشجرة ليستريح فبينما هو جالس واذا بوحوش وطيور اتوا الى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالسا نفروا ورجعوا شاردين فقال العابد في نفسه انا ما استرحت هنا الا لتعب هذه الوحوش والطيور ثم قام وقال معاتبا لنفسه لقد اضر بهذه الحيوانات في هذا اليوم جلوسى في هذا المكان فما عذرى عند خالقى وخالق هذه الطيور والوحوش فانى كنت سببا لشرودهم عن مائهم ومرعاهم فوا خجلتى من ربى يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم افاض من جفنه العبرات وانشد هذه الابيات

اما والله لو علم الانام * لما خلقوا لما غفلوا وناموا
فموت ثم بعث ثم حشر * وتوبيخ واهوال عظام

وبحن

ونحن اذا انتهينا اوامرنا ٭ كاهل الكهف اكثرنا نيام

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولى هائما على وجهه حتى اتى الى الراعى فدخل عنده وسلم عليه فرد عليه السلام وعانقه وبكى ثم قال له الراعى ما الذى اقدمك الى هذا المكان الذى لم يدخله احد من الناس على فقال العابد انى رأيت فى منامى من يصف لى مكانك ويامرنى بالسير اليك والسلام عليك وقد اتيتك ممتثلا لما امرت به فقبله الراعى وطابت نفسه بصحبته وجلس معه فى الجبل يعبدان الله فى ذلك الغار وحسنت عبادتهما ولم يزالا فى ذلك المكان يعبدان ربهما ويتقوتان من لحوم الغنم والبانها متجردين عن المال والبنين الى ان اتاهما اليقين وهذا آخر حديثهما قال الملك لقد زهدتنى يا شهرزاد فى ملكى وندمتنى على ما فرط منى فى قتل النساء والبنات فهل عندك شئ من حديث الطيور قالت نعم زعموا ايها الملك ان طيرا طار وعلا الى الجو ثم انقض على صخرة فى وسط الماء وكان الماء جاريا فبينما الطائر واقف على الصخرة واذا برمة انسان جرها الماء حتى اسندها الى الصخرة ووقفت تلك الجيفة فى جانب الصخرة وارتفعت لانتفاخها فدنا منها طير الماء وتأملها فرآها رمة ابن آدم وظهر له فيها ضرب السيف وطعن الرماح فقال فى نفسه ان هذا المقتول كان شريرا فاجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن شره ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمة حتى رأى نسورا وعقبانا احاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما رأى ذلك طير الماء جزع جزعا شديدا وقال لا صبر لى على الاقامة فى هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يأويه الى حين نفاد تلك الجيفة وزوال سباع الطير عنها ولم يزل طائرا حتى وجد نهرا فى وسطه شجرة فنزل عليها كئيبا حزينا على بعده عن وطنه وقال فى نفسه لم تزل الاحزان تتبعنى وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحا شديدا وقلت هذا رزق ساقه الله الى فصار فرحى غما وسرورى حزنا وهما وافترستها سباع الطير منى وحالوا بينها وبينى فكيف ارجو ان اكون سالما فى هذه الدنيا واطمئن اليها وقد قيل فى المثل الدنيا دار من لا دار له يغتر بها من لا عقل له ويطمئن اليها بماله وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكنا اليها يختال فوق الارض حتى يصير تحتها ويحثى عليه التراب اعز الناس عليه واقربهم اليه وما للفتى خير من الصبر على مكارهها وقد فارقت مكانى ووطنى وكنت كارها الفرقة اخوانى واصحابى فبينما هو فى فكرته واذا بذكر من السلاحف اقبل منحدرا فى الماء ودنا من طير الماء وسلم عليه وقال يا سيدى ما الذى ابعدك عن موضعك قال حلول الاعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه وما احسن قول بعض الشعراء

اذا حل الثقيل بارض قوم ٭ فما للساكنين سوى الرحيل

فقال له السلحف اذا كان الامر كما وصفته والحال مثل ما ذكرته فانا لا ازال بين يديك ولا افارقك لاقضى حاجتك واقى بخدمتك فانه يقال لا وحشة اشد من وحشة الغريب المنقطع عن اهله ووطنه وقد قيل ان فرقة الصالحين لا يعدلها شئ من المصائب ومما يسلى به العاقل نفسه الاستئناس فى الغربة والصبر على الرزية والكربة وارجو ان تحمد صحبتى لك واكون لك خادما ومعينا فلما سمع طير الماء مقالة السلحف قال له لقد صدقت فى قولك ولعمرى انى وجدت للفراق الما وغما مدة بعدى عن مكانى وفراق لاخوانى وخلانى لان فى الفراق عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر واذا لم يجد الفتى من يسليه من الاصحاب ينقطع عنه الخير ابدا ويثبت الشر سرمدا وليس للعاقل الا التسلى بالاخوان عن الهموم فى جميع الاحوال وملازمة

الصبر والتجلد فانهما خصلتان محمودتان يعينان على نوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع في كل امر فقال له السلحف اياك والجزع فانه يفسد عليك عيشك ويذهب مروءتك ومازالا يتحدثان مع بعضهما الى ان قال طير الماء للسلحف انا لم ازل اخشى نوائب الزمان وطوارق الحدثان فلما سمع السلحف مقالة طير الماء اقبل عليه وقبله بين عينيه وقال له لم تزل جماعة الطير تعرف في مشورتك الخير فكيف تحمل الهم والضير ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن ثم ان طير الماء طار الى مكان الجيفة فلما وصل اليه لم ير من سباع الطير شيأ ولا من تلك الجيفة الا عظاما فرجع يخبر السلحف بزوال العدو من مكانه فلما وصل الى السلحف اخبره بما رأى وقال له انى احب الرجوع مكانى والتملى بخلانى فانه لا صبر للعاقل عن وطنه فذهب معه الى ذلك المكان فلم يجدا شيأ مما يخافانه فصار طير الماء قرير العين وانشد هذين البيتين

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ✽ ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ✽ فرجت وكنت اظنها لا تفرج

ثم سكنا فى تلك الجزيرة فبينما طير الماء فى امن وسرور وفرح وحبور اذ ساق القضاء اليه بازا جائعا فضربه بمخلبه ضربة فقتله ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الاجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح قيل انه كان يقول فى تسبيحه سبحان ربنا فيما قدر ودبر سبحان ربنا فيما اغنى واقفر هذا ما كان من حديث الطير فقال الملك يا شهرزاد لقد زدتنى بحكاياتك مواعظ واعتبارا فهل عندك شئ من حكايات الوحوش فقالت اعلم ايها الملك ان ثعلبا وذئبا الفا وكرا فكانا يأويان اليه مع بعضهما فلبثا على ذلك مدة من الزمان وكان الذئب للثعلب قاهرا فاتفق ان الثعلب اشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال له ان دمت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم فانه ذو حيل ومكر وخداع يصيد الطير من الجو والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها وكل ذلك من حيله فعليك بالانصاف وترك الشر والاعتساف فانه اهنا لطعامك فلم يقبل الذئب قوله واغلظ له الرد وقال له لا علاقة لك بالكلام فى عظيم الامور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة فخر منها مغشيا عليه فلما افاق تبسم فى وجه الذئب واعتذر اليه من الكلام الشين وانشد هذين البيتين

ان كنت قد اذنبت ذنبا سالفا ✽ فى حبكم واتيت شيأ منكرا
انا تائب عما جنيت وعفوكم ✽ يسع المسيء اذا اتى مستغفرا

فقبل الذئب اعتذاره وكف عنه اشراره وقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال له الثعلب سمعا وطاعة فانا بمعزل عن ما لا يرضيك فقد قال الحكيم لا تخبر عن ما لا تسأل عنه ولا تجب ما لا تدعى اليه وذر الذى لا يعنيك الى ما يعنيك ولا تبذل النصيحة للاشرار فانهم يجزونك عليها شرا فلما سمع الذئب كلام الثعلب تبسم فى وجهه ولكنه اضمر له مكرا وقال لابد ان اسعى فى هلاك هذا الثعلب واما الثعلب فانه صبر على اذى الذئب وقال فى نفسه ان البطر والافتراء يجلبان الهلاك ويوقعان فى الارتباك

فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والانصاف من شيم الاشراف والاداب اشرف الاكتساب ومن الراى مداراة هذا الباغى ولابد له من مصرع ثم ان الثعلب قال للذئب ان الرب يعفو ويتوب على عبده ان اقترف الذنوب وانا عبد ضعيف وقد ارتكبت فى نصحك التعسيف ولو علمت بما حصل لى من الم لطمتك لعلمت ان الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ولكنى لا اشتكى من الم هذه اللطمة بسبب ما حصل لى بها من السرور فانها وان كانت قد بلغت منى مبلغا عظيما عاقبتها سرور وقد قال الحكيم ضرب المؤدب اوله صعب شديد وآخره احلى من العسل المصفى فقال الذئب غفرت ذنبك واقلت عثرتك فكن من قوتى على حذر واعترف لى بالعبودية فقد علمت قهرى لمن عادانى فسجد له الثعلب وقال له اطال الله عمرك ولا زلت قاهرا لمن عاداك ولم يزل الثعلب خائفا من الذئب مصانعا له ثم ان الثعلب ذهب الى كرم يوما فرأى فى حائطه ثلمة فانكرها وقال فى نفسه ان هذه الثلمة لابد لها من سبب وقد قيل من رأى خرقا فى الارض فلم يجتنبه ويتوقى عن الاقدام عليه كان بنفسه مغرا وللهلاك متعرضا وقد اشتهر ان بعض الناس يعمل صورة الثعلب فى الكرم حتى يقدم اليه العنب فى الاطباق لاجل ان يرى ذلك ثعلب فيقدم اليه فيقع فى الهلاك وانى ارى هذه الثلمة مكيدة وقد قيل ان الحذر نصف الشطارة ومن الحذر ان ابحث عن هذه الثلمة وانظر لعلى اجد عندها امرا يؤدى الى التلف ولا يحملنى الطمع على ان القى نفسى فى الهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر فرآها فاذا هى حفيرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذى يفسد الكرم ورأى عليها غطاء رقيقا فتأخر عنها وقال الحمد لله حيث حذرتها وارجو ان يقع فيها عدوى الذئب الذى نغص عيشى فأستقل بالكرم وحدى واعيش فيه آمنا ثم هز رأسه وضحك ضحكا عاليا واطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

ليتنى ابصرت هذا الوقت * فى ذى البئر ذئبا
طال ما قد ساء قلبى * وسقانى المر غصبا
ليتنى من بعد هذا * ابقى ويقضى الذئب نحبا
ثم يخلو الكرم منه * وارى لى فيه نهبا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعا حتى وصل الذئب وقال ان الله سهل لك الامور الى الكرم بلا تعب وهذا من سعادتك فهنيئا لك بما فتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع بلا مشقة فقال الذئب للثعلب وما الدليل على ما وصفت قال انى انتهيت الى الكرم فوجدت صاحبه قد مات ودخلت البستان فرأيت الاثمار زاهية على الاشجار فلم يشك الذئب فى قول الثعلب وادركه الشره فقام حتى انتهى الى الثلمة وقد غره الطمع ووقف الثعلب متهافتا كالميت وتمثل بهذا البيت

انطمع من ليلى بوصل وانما * تضرب اعناق الرجال المطامع

فلما انتهى الذئب الى الثلمة قال له الثعلب ادخل الى الكرم فقد كفيت مؤنة هدم حائط البستان وعلى الله تمام الاحسان فاقبل الذئب ماشيا يريد الدخول الى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة وقع فيها فاضطرب الثعلب اضطرابا شديدا من السرور والفرح وزال عنه الهم والترح واطرب بالنغمات وانشد هذه الابيات

رق الزمان لحالتى * ورثى لطول تحرقى
وانالنى ما اشتهى * وازال عما اتقى

فلا اصفعن عما جنا * ممن الذنوب السبق
حتى جنايته بما * فعل المشيب بمفرق
فالذئب ليس له خلا * ص من هلاك موبق
والكرم لى وحدى وما * لى من شريك احمق

ثم انه تطلع فى الحفرة فرأى الذئب يبكى ندما وحزنا على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه الى الثعلب وقال له امن رحمتك لى بكيت يا ابا الحصين قال لا والذى قذفك فى هذه الحفرة انما بكيت لطول عمرك الماضى واسفا على كونك لم تقع فى هذه الحفرة قبل اليوم ولو وقعت فيها قبل اجتماعى بك لكنت ارحت واسترحت ولكن ابقيت الى اجلك المحتوم ووقتك المعلوم فقال له الذئب رح ايها المسىء فى فعله لوالدتى واخبرها بما حصل لى لعلها تحتال على خلاصى فقال له الثعلب لقد اوقعك فى الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت فى حفرة لست منها بسالم الم تعلم ايها الذئب الجاهل ان صاحب المثل يقول من لم يفكر فى العواقب لم يامن المعاطب فقال الذئب للثعلب يا ابا الحصين انما كنت تظهر محبتى وترغب فى مودتى وتخاف من شدة قوتى فلا تحقد على بما فعلت معك فمن قدر وعفى كان اجره على الله وقد قال الشاعر

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه * ما خاب قط جميل اينما زرع
ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذى زرع

فقال له الثعلب يا اجهل السباع واحمق الوحوش فى البقاع هل نسيت تجبرك وعتوك وتكبرك وانت لم ترع حق المعاشرة ولم تنتصح بقول الشاعر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * ان الظلوم على حد من النقم
تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

فقال له الذئب يا ابا الحصين لا تؤاخذنى بسابق الذنوب فالعفو من الكرام مطلوب وصنع المعروف من احسن الذخائر وما احسن قول الشاعر

بادر بخير اذا ما كنت مقتدرا * فليس فى كل حين انت مقتدرا

وما زال الذئب يتذلل للثعلب ويقول له لعلك تقدر على شىء تخلصنى به من الهلاك فقال له الثعلب ايها الذئب الماكر المخادع الغادر لا تطمع فى الخلاص فان هذا جزاء القبيح فعلك وقصاص ثم ضحك بالشدقين وانشد هذين البيتين

لا تكثرن خداعى * فلن تنال منالا
ما رمت منى محال * زرعت فاحصد وبالا

فقال الذئب ثعلب يا حليم السباع انت عندى اوثق من ان تتركنى فى هذه الحفرة ثم افاض دمع العين وانشد هذين البيتين

يا من اياديه عندى غير واحدة * ومن مواهبه تنمو عن العدد
ما نابنى من زمانى قط نائبة * الا وجدتك فيها آخذا بيدى

فقال الثعلب ايها العدو الاحمق كيف صرت الى التضرع والخشوع والذلة والخضوع بعد الانفة والتكبر والظلم والتجبر لقد صحبتك خائفا من عدوانك وتملقت لك لا رغبة فى احسانك والان نزلت بك الرجفة

وحلت

وحلت بك النقمة وانشد هذين البيتين

يا ايها الملتمس الخديعة * وقعت في نيتك الشنيعة
فذق وبال المحنة الفظيعة * وكن مع الذئاب في قطيعة

فقال له الذئب ايها الحليم لا تكن بلسان العداوة ناطقا وبعهد ما بيننا محققا وكن وافيا بعهد ائتلافي قبل ان يفوت وقت التلاف في وقم وتسبب لي في حبل تشد طرفه في شجرة وتدلي طرفه الاخر الي حتى اتعلق به لعلي انجو مما انا فيه وادفع لك جميع ما حوته يدي من الذخائر فقال له الثعلب لقد اكثرت من المحاورة فيما ليس فيه خلاصك فلا ترجو مني نجاة نفسك واذكر ما سلف من سوء فعالك وما اضمرته لي من الغدر والمكر وانك انت من الرجم بالحجارة واعلم بان ذاتك للدنيا مفارقة ومنها زائلة وعنها راحلة ثم تصير الى الدمار وسوء الدار فقال له الذئب يا ابا الحصين كن قريب الرجوع الى الوداد ولا تصر على ضغائن الاحقاد واعلم ان من خلص نفسا من الهلاك فقد احياها ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا ولا تتبع الفساد فان الحكماء تكرهه ولا فساد اظهر من كوني في تلك الحفرة اتجرع غصص الموت وانظر الى الهلاك وانت قادر على خلاصي من الارتباك فقال له الثعلب ايها الفظ الغليظ اني اشبهك في حسن علانيتك وقبح نيتك بالبازي مع الحجل قال الذئب وما حديث البازي والحجل قال الثعلب دخلت يوما كرما لا كل من عنبه فبينما انا فيه اذ رأيت بازا انقض على حجل فلما اقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وكره واختفى فيه فتبعه البازي وناداه ايها الجاهل اني رأيتك في البرية جائعا فرحمتك والتقطت لك حبا وامسكتك لتأكل فهربت مني ولم اعرف لهروبك وجها الا الحرمان فاظهر وخذ ما اتيتك به من الحب فكله هنيئا مريئا فلما سمع الحجل قول البازي صدقه وخرج اليه فانشب مخالبه فيه ومكنها منه فقال له الحجل اهذا الذي ذكرت انك اتيتني به من البرية وقلت لي كله هنيئا مريئا فكذبت علي جعل الله ما تاكله من لحمي في جوفك سما قاتلا فلما اكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته ثم قال له الثعلب اعلم ايها الذئب ان من حفر لاخيه قليبا وقع فيه قريبا وانت غدرت بي اولا فقال الذئب للثعلب دعني من هذا المقال وضرب الامثال ولا تذكر لي ما سلف مني من قبيح الفعال يكفيني ما انا فيه من سوء الحال حيث وقعت في ورطة يرثي لي منها العدو فضلا عن الصديق وانظر لي حيلة اتخلص بها وكن فيها غياثي وان كان عليك في ذلك مشقة فقد يحتمل الصديق لصديقه اشد النصب ويقاسي فيما فيه نجاته العطب وقد قيل ان الصديق الشفيق خير من الاخ الشقيق وان تسببت في نجاتي لاجمعن لك من الالة ما يكون لك عدة ثم لاعلمنك من الحيل الغريبة ما تفتح به الكروم المخصبة وتجني الاشجار المثمرة فطب نفسا وقر عينا فقال له الثعلب وهو يضحك ما احسن ما قالته العلماء في كثير الجهل مثلك قال الذئب وما قالت العلماء قال الثعلب ذكر العلماء ان الغليظ الجثة الغليظ الطبع يكون بعيدا من العقل قريبا من الجهل لان قولك ايها الماكر الاحمق قد يتحمل الصديق المشقة في تخليص صديقه صحيح كما ذكرت ولكن عرفني بجهلك وقلة عقلك كيف اصادقك مع خيانتك احسبتني لك صديقا وانا لك عدو شامت وهذا الكلام اشد من رشق السهام ان كنت تعقل واما قولك انك تعطيني من الالات ما يكون عدة لي وتعلمني من الحيل ما اصل به الى الكروم المخصبة واجتني به الاشجار المثمرة فما لك ايها المخادع الغادر لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك فما ابعدك من المنفعة لنفسك وما ابعدني من القبول لنصيحتك فان كان عندك حيل فحيل لنفسك في الخلاص من هذا الامر الذي اسال الله ان يبعد خلاصك منه فانظر ايها الجاهل ان كان عندك حيلة تخلص

نفسك بها من القتل قبل ان تبذل التعليم لغيرك وانما انت مثل انسان حصل له مرض فاتاه رجل مريض بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك ان اداويك من مرضك فقال له الرجل هل لا بدأت بنفسك بالمداواة فتركه وانصرف وانت ايها الذئب كذلك فالزم مكانك واصبر على ما اصابك فلما سمع الذئب كلام الثعلب علم انه لا خير له عنده فبكى على نفسه وقال قد كنت فى غفلة من امرى فان خلصنى الله من هذا الكرب لاتوبن من تجبرى على من هو اضعف منى ولالبسن الصوف ولاصعدن الجبل ذاكرا لله تعالى خائفا من عقابه واعتزل سائر الوحوش ولاطعمن المجاهدين والفقراء ثم بكى وانتحب فرق له قلب الثعلب وكانه لما سمع تضرعه والكلام الذى يدل على توبته من العتو والتكبر اخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفيرة ثم جلس على رجليه وادلى ذنبه فى الحفيرة فعند ذلك قام الذئب ومد يده الى ذنب الثعلب وجذبه اليه فصار فى الحفيرة معه ثم قال له الذئب ايها الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت بى وقد كنت صاحبى وتحت قهرى وقد وقعت معى فى الحفيرة وتعجلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير احدكم اخاه برضاع كلبة لارتضعها وما احسن قول الشاعر

اذا ما الدهر جر على اناس ✻ كلاكله اناخ باخرين
فقل للشامتين بنا افيقوا ✻ سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم قال الذئب للثعلب فلا بد ان اعجل قتلك قبل ان ترى قتلى فقال الثعلب فى نفسه انى وقعت مع هذا الجبار وهذا الحال يحتاج الى المكر والخدايع وقد قيل ان المرأة تصوغ حليها ليوم الزينة وفى المثل ما ادخرتك يا دمعتى الا لشدتى وان لم اتحيل فى امر هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة وما احسن قول الشاعر

عش بالخداع فانت فى ✻ زمن بنوه كاسد بيشه
وادر قناة المكر حتى تستدير رحى المعيشه
واجن الثمار فان تفتك فرض نفسك بالحشيشه

ثم ان الثعلب قال للذئب لا تعجل على بالقتل فتندم ايها الوحش الصنديد صاحب القوة والبأس الشديد وان تمهلت وامعنت النظر فيما احكيه لك عرفت قصدى الذى قصدته وان عجلت بقتلى فلا فائدة لك فيه ونموت جميعا ههنا فقال له الذئب ايها الخادع الماكر وما الذى ترجوه من سلامتى وسلامتك حتى تسألنى التمهل عليك فاخبرنى بقصدك الذى قصدته فقال له الثعلب اما قصدى الذى قصدته فما ينبغى ان تحسن عليه مجازاتى لانى سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك بما سلف منك وتلهفك على ما فاتك من التوبة وفعل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك من كف الاذى عن الاصحاب وغيرهم وتركك اكل العنب وسائر الفواكه ولزومك الخشوع وتقليم اظفارك وتكسير انيابك وان تلبس الصوف وتقرب القربان لله تعالى ان نجاك مما انت فيه اخذتنى الشفقة عليك مع انى كنت على هلاكك حريصا فلما سمعت منك توبتك وما نذرته على نفسك ان نجاك الله لزمنى خلاصك مما انت فيه فادليت اليك ذنبى لكيما تتعلق به وتنجو فلم تترك الحالة التى انت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتنى جذبة ظننت منها ان روحى قد خرجت فصرت انا وانت فى منزلة الهلاك والموت وما ينجينى انا وانت الا شئ ان قبلته منى خلصت انا وانت وبعد ذلك يجب عليك ان تفى بما نذرته واكون رفيقك فقال له الذئب وما الذى اقبله منك قال له الثعلب تنهض قائما ثم اعلو انا فوق رأسك حتى اكون قريبا

من

من ظاهر الارض فانى حين اصير فوقها اخرج وآتيك بما تتعلق به وتخلص انت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقا لان الحكماء قالوا من استعمل الثقة فى موضع الحقد كان مخطئا وقيل من وثق بغير ثقة كان مغرورا ومن جرب المجرب حلت به الندامة ومن لم يفرق بين الحالات فيعطى كل حالة حظها بل حمل الاشياء كلها على حالة واحدة قل حظه وكثرت مصائبه وما احسن قول الشاعر

لا يكن ظنك الا سيأ ❊ ان سوء الظن من اقوى الفطن
ما رمى الانسان فى مهلكة ❊ مثل فعل الخير والظن الحسن

وقول الآخر

الزم بقينك سوء الظن تنج به ❊ من عاش مستيقظا قلت مصائبه
والق العدو بوجه باسم طلق ❊ وانصب له فى الحشى جيشا يحاربه

وقول الآخر

اعدى عدوك ادنى من وثقت به ❊ فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وحسن ظنك بالايام معجزة ❊ فظن شرا وكن منها على وجل

فقال له الثعلب ان سوء الظن ليس محمودا فى كل حال وحسن الظن من شيم الكمال وعاقبته النجاة من الاهوال وينبغى لك ايها الذئب ان تحتال على النجاة مما انت فيه ونسلم جميعا خير من موتنا فارجع عن سوء الظن والحقد لانك ان احسنت الظن بى لا اخلو من احد امرين اما ان آتيك بما تتعلق به وتنجو مما انت فيه واما ان اغدر بك فاخلص وادعك وهذا مما لا يمكن فانى لا آمن ان ابتلى بشىء مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل فى الامثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغى ان تثق بى فانى لم اكن جاهلا بحوادث الدهر فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالامر اضيق من ان نطيل فيه الكلام فقال الذئب ان مع قلة ثقتى بوفائك قد عرفت ما فى خاطرك من انك اردت خلاصى لما عرفت توبتى فقلت فى نفسى ان كان محقا فيما زعم فانه استدرك ما افسد وان كان مبطلا فجزاؤه على ربه وها انا اقبل منك ما اشرت به على فان غدرت بى كان الغدر سببا لهلاكك ثم ان الذئب انتصب قائما فى الحفرة واخذ الثعلب على اكتافه حتى ساوى به ظاهر الارض فوثب الثعلب عن اكتاف الذئب حتى صار على وجه الارض ووقع مغشيا عليه فقال له الذئب يا خليلى لا تغفل عن امرى ولا تؤخر خلاصى فضحك الثعلب وقهقه وقال ايها المغرور لم يوقعنى فى يدك الا المزح معك والسخرية بك وذلك انى لما سمعت توبتك استخفنى الفرح فطربت ورقصت فتدلى ذنبى فى الحفرة فجذبتنى فوقعت عندك ثم انقذنى الله تعالى من يدك فالى لا اكون عونا على هلاكك وانت من حزب الشيطان واعلم انى رأيت البارحة فى منامى انى ارقص فى عرسك فقصصت الرؤيا على معبر فقال لى انك تقع فى ورطة وتنجو منها فعلمت ان وقوعى فى يدك ونجاتى هو تأويل رؤياى وانت تعلم ايها المغرور الجاهل انى عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك فى انقاذى اياك مع ما سمعت من غلظ كلامى وكيف اسعى فى نجاتك وقد قالت العلماء ان فى موت الفاجر راحة للناس وتطهير الارض ولولا مخافة ان احتمل من الالم فى الوفاء لك ما هو اعظم من الم الغدر لتدبرت فى خلاصك فلما سمع الذئب كلام الثعلب عض على كفه ندما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كفه ندما ثم لين له الكلام ولم يجد بدا من ذلك وقال له بلسان خافت انكم معاشر الثعالب من احلى القوم لسانا والطفهم مزاحا وهذا منك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح فقال الثعلب ايها الجاهل ان للمزاح حدا لا يجاوزه صاحبه فلا تحسب ان الله يمكنك مني بعد ان انقذني من يديك فقال له الذئب انك لجدير ان ترغب في خلاصي لما بيننا من سابق المواخاة والصحبة وان خلصتني لا بد ان احسن مكافاتك فقال الثعلب قد قالت الحكماء لا تواخ الجاهل الفاجر فانه يشينك ولا يزينك ولا تواخ الكذاب فانه ان بدا منك خير اخفاه وان بدا منك شر افشاه وقالت الحكماء لكل شيء حيلة الا الموت وقد يصلح كل شيء الا فساد الجوهر وقد يدفع كل شيء الا القدر واما من جهة المكافاة التي زعمت اني استحقها منك فاني شبهتك في مكافاتك بالحية الهاربة من الحاوي اذ رآها رجل وهي مرعوبة فقال لها ما شانك ايتها الحية قالت هربت من الحاوي فانه يطلبني ولئن انجيتني منه واخفيتني عندك لاحسن مكافاتك واصنع معك كل جميل فاخذها اغتناما للاجر وطمعا في المكافاة وادخلها في جيبه فلما فات الحاوي ومضى الى حال سبيله وزال عنها ما كانت تخافه قال لها الرجل اين المكافاة فقد انجيتك مما تخافين وتحذرين فقالت له الحية اخبرني في اي عضو انهشك وقد علمت انا لا نتجاوز هذه المكافاة ثم نهشته نهشة مات منها وانت ايها الاحمق شبهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل اما سمعت قول الشاعر

لا تامنن فتى اسكنت مهجته * غيظا وتحسب ان الغيظ قد زالا
ان الافاعي وان لانت ملامسها * تبدى العطاف وتخفي السم قتالا

فقال له الذئب ايها الفصيح صاحب الوجه المليح لا تجهل حالي وخوف الناس مني وقد علمت اني اهجم على الحصون واقلع الكروم فافعل ما امرتك به وقم بي قيام العبد بسيده فقال له الثعلب ايها الاحمق الجاهل المحاول بالباطل اني تعجبت من حماقتك وصلابة وجهك فيما تامرني به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كاني عبدك ولكن سوف ترى ما يحل بك من شدخ راسك بالحجارة وكسر انيابك الغدارة ثم وقف الثعلب على تل يشرف على الكرم ولم يزل يصيح لاهل الكرم حتى بصروا به واقبلوا عليه مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفرة التي فيها الذئب ثم ولى الثعلب هاربا فنظر اصحاب الكرم في الحفرة فلما راوا فيها الذئب وقعوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه باسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب الى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرآه ميتا فحرك راسه من شدة الفرحات وانشد هذه الابيات

اودى الزمان بنفس الذئب فاختطفت * بعدا وسحقا لها من مهجة تلفت
فكم سعيت ابا سرحان في تلفي * فاليوم حلت بك الآفات والتهب
وقعت في حفرة ما حلها احد * الا وفيها رياح الموت قد عصفت

ثم ان الثعلب اقام بالكرم وحده مطمئنا لا يخاف ضررا وهذا ما كان من حديث الذئب والثعلب ومما يحكى ان فارة وبنت عرس كانا ينزلان منزلا لبعض الناس وكان ذلك الرجل فقيرا وقد مرض بعض اصدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فاعطى قدرا من السمسم لذلك الرجل الفقير ليقشره له فاعطاه ذلك الرجل لزوجته وامرها باصلاحه فقشرته تلك المرأة واصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم اتت اليه ولم تزل تنقل من ذلك السمسم الى جحرها طول يومها حتى نقلت اكثره وجاءت

المرأة فرأت نقصان السمسم واضمحلاله فجلست ترصد من يأتي اليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المرأة جالسة فعلمت انها ترصدها فقالت في نفسها ان لهذا الفعل عواقب ذميمة واني اخشى من تلك المرأة ان تكون لي بالمرصاد ومن لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب ولابد لي ان اعمل عملا حسنا اظهر به براءتي من جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذي في جحرها فرأتها المرأة وهي تفعل ذلك فقالت في نفسها ما هذه سبب نقصه لانها تأتي به من جحر الذي اختلسه وتضمه على بعضه وقد احسنت الينا في رد السمسم وما جزاء من احسن الا ان يحسن اليه وليست هذه آفة في السمسم ولكن لا ازال ارصده حتى يقع واعلم من هو فعلمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت الى الفارة فقالت لها يا اختي انه لا خير فيمن لا يراعي المجاورة ولا يثبت على المودة فقالت الفارة نعم يا خليلتي وانعم بك وبجوارك فما سبب هذا الكلام قالت بنت عرس ان رب البيت اتى بسمسم فاكل منه هو وعياله وشبعوا واستغنوا عنه وتركوه وقد اخذ منه كل ذي روح فلو اخذت انت الاخرى كنت احق به ممن يأخذ منه فاعجب الفارة ذلك ورقصت ولعبت بذنبها وغرها الطمع في السمسم فقامت من وقتها وخرجت من بيتها فرأت السمسم مقشورا يلمع من البياض والمرأة جالسة ترصده فلم تفكر الفارة في عاقبة الامر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تتمالك الفارة نفسها حتى دخلت في السمسم وعاثت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المرأة بتلك الهراوة فشجت رأسها وكان الطمع سبب هلاكها وغفلتها عن عواقب الامور فقال الملك يا شهرزاد والله ان هذه حكاية مليحة فهل عندك حديث في حسن الصداقة والمحافظة عليها عند الشدة في التخلص من الهلكة قالت نعم بلغني ان غرابا وسنورا كانا متآخيين فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة اذ رأيا نمرا مقبلا على تلك الشجرة التي كانا تحتها ولم يعلما به حتى صار قريبا من الشجرة فطار الغراب الى اعلى الشجرة وبقي السنور متحيرا فقال للغراب يا خليلي هل عندك حيلة في خلاصي كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب انما تلتمس الاخوة عند الحاجة اليهم في الحيلة عند نزول المكروه بهم وما احسن قول الشاعر

ان صديق الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك نفسه ليجمعك

وكان قريبا من الشجرة رعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه الارض ونعق وصاح ثم تقدم اليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلا وتبعته الكلاب وصارت في اثره ورفع الراعي رأسه فرأى طائرا يطير قريبا من الارض ويقع فتبعه وصار الغراب لا يطير الا بقدر التخلص من الكلاب ويطمعها في ان تفترسه ثم ارتفع قليلا وتبعته الكلاب حتى انتهى الى الشجرة التي تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هاربا وكان يظن انه يأكل السنور فنجى منه ذلك السنور بحيلة الغراب صاحبه وقد اخبرتك بهذا ايها الملك لتعلم ان مودة اخوان الصفاء تنجي من الهلكات وحكي ان ثعلبا سكن في بيت في الجبل وكان كلما ولد ولدا واشتد ولده اكله من الجوع وان لم يأكل ولده اضر به الجوع وكان يأوي الى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب في نفسه اريد ان اعقد بيني وبين هذا الغراب مودة واجعله لي مؤنسا على الوحدة معاونا على طلب الرزق لانه يقدر من ذلك على ما لا اقدر عليه فدنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له يا جاري ان للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الاسلام واعلم بانك جاري ولك علي حق يجب قضاؤه وخصوصا مع طول المجاورة على

ان فى صدرى وديعة من محبتك دعتنى الى ملاطفتك وبعثتنى على التماس خوفك فما عندك من الجواب فقال الغراب للثعلب اعلم ان خير القول اصدقه وربما تحدث بلسانك ماليس فى قلبك واخشى ان تكون اخوتك باللسان ظاهرا وعداوتك فى القلب لانك اكل وانا ماكول فوجب لنا التباين فى المحبة ولا يمكن مواصلتنا فما الذى دعاك الى طلب مالا تدركه وارادة مالا يكون وانت من جنس الوحش وانا من جنس الطير وهذه الاخوة لاتصح فقال له الثعلب ان من علم موضع الاجلاء فاحسن الاختيار فيما يختار منها ربما يصل الى منافع الاخوان وقد احببت قربك واخترت الانس بك ليكون بعضنا عونا لبعض على اغراضنا وتعقب مودتنا نجاحا وعندى حكايات فى حسن الصداقة ان اردت ان احكيها حكيتها لك فقال الغراب اذنت لك فى ان تبثها فحدثنى بها حتى اعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلى يحكى عن برغوث وفارة ما يستدل به على ما ذكرته لك فقال الغراب وكيف كان ذلك فقال الثعلب زعموا ان فارة كانت فى بيت رجل من التجار كثير المال فأوى البرغوث ليلة الى فراش ذلك التاجر فرأى بدنا ناعما وكان البرغوث عطشانا فشرب من دمه ووجد التاجر من البرغوث الما فاستيقظ من النوم واستوى قاعدا ونادى بعض اتباعه فاسرعوا اليه وشمروا عن ايديهم يطوفون على البرغوث فلما احس البرغوث بالطلب ولى هاربا فصادف جحر الفارة فدخله فلما رأته الفارة قالت له ما الذى ادخلك على ولست من جوهرى ولا من جنسى ولست بامن من الغلظة عليك ولا مضاررتك فقال لها البرغوث انى هربت فى منزلك وفزت بنفسى من القتل واتيتك مستجيرا بك ولا طمع لى فى بيتك ولا يلحقك منى شر يدعوك الى الخروج من منزلك وانى ارجو ان اكافيك على احسانك الى بكل جميل وسوف تحمدين عاقبة ما اقول لك فلما سمعت الفارة كلام البرغوث وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الفارة لما سمعت كلام البرغوث قالت اذا كان الكلام على ما اخبرت فاطمئن هنا وما عليك باس ولا تجد الا ما يسرك ولا يصيبك الا ما يصيبنى وقد بذلت لك مودتى ولا تندم على ما فاتك من دم التاجر ولا تأسف على قوتك منه وارض بما تيسر لك من العيش فان ذلك اسلم لك وقد سمعت ايها البرغوث بعض الوعاظ ينشد هذه الابيات

سلكت القناعة والانفراد ❋ وقضيت دهرى بما اذا اتفق
بكسرة خبز وشربة ماء ❋ وملح جريش وثوب خلق
فان يسر الله فى عيشتى ❋ والا قنعت بما قد رزق

فلما سمع البرغوث كلام الفارة قال يا اختى قد سمعت وصيتك وانقدت الى طاعتك ولا قوة لى على مخالفتك الى ان ينقضى العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفارة كفى بصدق المودة فى صلاح النية ثم انعقد الود بينهما وكان البرغوث بعد ذلك يأوى الى فراش التاجر ولا يتجاوز بلغته ويأوى بالنهار مع الفارة فى مسكنها فاتفق ان التاجر جاء ليلة الى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما سمعت الفارة صوت الدنانير اطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظر اليها حتى وضعها التاجر تحت وسادة ونام فقالت الفارة للبرغوث اما ترى الفرصة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا الى بلوغ الغرض من تلك الدنانير فقال

البرغوث

البرغوث انه لا يحسن لمن طلب الغرض الا ان يكون قادرا عليه فان كان ضعيفا عنه وقع فيما يحذره ولم يدرك مراده مع الضعف وان استحكمت قوة المحتال كالعصفور الذي يلتقط الحب فيقع في الشبكة فيقتنصه صايده وليس لك قوة على اخذ الدنانير ولا على اخراجها من البيت وانا لا طاقة لي على ذلك بل ولا على حمل دينار واحد منها فشأنك والدنانير فقالت له الفارة اني اعددت في مجرى هذا سبعين منفذا اخرج منها متى اردت الخروج واعددت للذخاير موضعا حريزا وان تحيلت انت على اخراجه من البيت فلست اشك في الظفر ان ساعدني القدر فقال لها البرغوث قد التزمت لك باخراجه من البيت ثم انطلق البرغوث الى فراش التاجر ولدغه لدغة قوية لم يكن للتاجر جرى مثلها ثم تنحى البرغوث الى موضع يامن فيه على نفسه من التاجر وانتبه التاجر يفتش على البرغوث فلم يجد شيأ فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة اشد من الاولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج الى مصطبة على باب داره فنام هناك ولم ينتبه الى الصباح ثم ان الفارة اقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيأ فلما اصبح الصباح صار التاجر يتهم الناس ويظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم اني لم اقل لك هذا الكلام ايها الغراب البصير العاقل الخبير الا ليصل اليك جزاء احسانك الي كما وصل للفارة جزاء احسانها الى البرغوث فانظر كيف جازاها احسن المجازاة وكافاها احسن المكافاة فقال الغراب ان شاء المحسن يحسن او لا يحسن وليس الاحسان واجبا لمن التمس صلة بقطيعة وان احسنت اليك مع كونك عدوي اكون قد تسببت في قطيعة نفسي وانت ايها الثعلب ذو مكر وخداع ومن شيمته المكر والخديعة لا يؤمن على عهد ومن لا يؤمن على عهد لا امان له وقد بلغني من قريب انك غدرت بصاحبك الذيب ومكرت به حتى اهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الامور مع انه من جنسك وقد صحبته مدة مديدة فما ابقيت عليه فكيف اثق منك بنصيحة واذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذي من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوك الذي من غير جنسك وما مثالك معي الا مثال الصقر مع ضواري الطير فقال الثعلب وما حكاية الصقر مع ضواري الطير فقال الغراب زعموا ان صقرا كان جبارا عنيدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغراب قال زعموا ان صقرا كان جبارا عنيدا ايام شبيبته وكانت سباع البر وسباع الطير تفزع منه ولا يسلم من شره احد وله حكايات كثيرة في ظلمه وتجبره وكان داب هذا الصقر الاذى لسائر الطيور فلما مرت عليه السنون ضعف وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فاجمع رأيه على ان يأتي مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها فعند ذلك صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة وانت كذلك ايها الثعلب ان عدمت قوتك ما عدمت خداعك ولست اشك في ان ما تطلبه من صحبتي حيلة على قوتك فلا كنت ممن يضع يده في يدك لان الله اعطاني قوة في جناحي وحذرا في نفسي وبصرا في عيني واعلم ان من تشبه باقوى منه تعب وربما هلك وانا اخاف عليك ان تشبهت بمن هو اقوى منك ان يجري لك ما جرى للعصفور فقال الثعلب وما جرى للعصفور فبالله عليك ان تخبرني به فقال الغراب بلغني ان عصفورا كان طائرا على مراح غنم فنظر الى المراح واذا بعقاب كبير انقض على رميس من صغار اولاد الغنم فاختطفه بمخالبه وطار فلما رآه العصفور نشر جناحه وقال انا افعل مثل ما فعل هذا واعجبته نفسه وتشبه بمن هو

اكبر منه فطار لوقته وانقض على كبش سمين له صوف كثير وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه فصار صوفه مثل البزاق فلما انقض على ظهره وصفق بجناحيه فاشتبكت رجلاه فى الصوف فاراد ان يطير فلم يستطع الطيران وقد حصل كل هذا والراعى ينظر ما جرى لهما فرجع اليه الصقر غضبانا فقبضه ونتف اجنحته وربط فى رجليه خيطا واتى به الى اولاده ورماه لهم فقال بعض الاولاد ما هذا فقال هذا تشبه بمن هو اعلى منه فهلك وانت كذلك ايها الثعلب احذرك ان تتشبه بمن هو اقوى منك فتهلك هذا ما عندى من الكلام واذهب عنى بسلام فلما يئس الثعلب من مصادقة الغراب رجع من حزنه يئن وقرع للندامة سنا على سن فلما سمع الغراب بكاءه وانينه ورأى كآبته وحزنه قال ايها الثعلب ما نابك حتى قرعت نابك قال له الثعلب انما قرعت سنى لانى رأيتك اخدع منى ثم انه ولى هاربا ورجع الى جحره طالبا وهذا ما كان من حديثهما ايها الملك فقال الملك يا شهرزاد ما احسن هذه الحكايات هل عندك شئ مثلها من الطرافات قالت ويحكى ان قنفذا اتخذ مسكنا بجانب نخلة وكان الورشان هو وزوجته قد اتخذا عشا فى تلك النخلة وعاشا فوقها عيشا رغدا فقال القنفذ فى نفسه ان الورشان يأكل من ثمر النخلة وانا لا اجد الى ذلك سبيلا ولكن لابد من استعمال الحيلة ثم حفر فى اسفل النخلة بيتا واتخذه مسكنا له ولزوجته واتخذ جانبه مسجدا وانفرد فيه واظهر النسك والعبادة وترك الدنيا وكان الورشان يراه متعبدا مصليا فرق له من شدة زهده وقال له كم سنة وانت هكذا قال مدة ثلاثين سنة قال ما طعامك قال ما يسقط من النخلة قال ما لباسك قال شوك انتفع بخشونته فقال وكيف اخترت مكانك هذا على غيره قال اخترته على غير طريق لاجل ان ارشد الضال واعلم الجاهل فقال له الورشان كنت اظن انك على غير هذه الحالة ولكنى الان رغبت فيما عندك فقال القنفذ انى اخشى ان يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزراع الذى لما جاء وقت الزرع قصر فى بذره وقال انى اخشى ان يكون اوان الزرع قد فات فاكون قد اضعت المال بسرعة البذر فلما جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على ما فاته من تقصيره من تخلفه ومات اسفا وحزنا فقال الورشان للقنفذ وماذا اصنع حتى اتخلص من علائق الدنيا وانقطع الى عبادة ربى قال له القنفذ خذ فى الاستعداد للمعاد والقناعة بالكفاف من الزاد فقال الورشان كيف لى بذلك وانا طائر لا استطيع ان اتجاوز النخلة التى فيها قوتى ولو استطعت ذلك ما عرفت موضعا استقر فيه فقال القنفذ يمكنك ان تنثر من ثمر النخلة ما يكفيك مؤنة عام انت وزوجتك وتسكن فى وكر تحت النخلة لالتماس حسن ارشادك ثم مل الى ما نثرته من التمر فانقله جميعه وادخره قوتا للعدم واذا فرغت الثمار وطال عليك المطال صر الى كفاف من العيش فقال الورشان جزاك الله خيرا حيث ذكرتنى بالمعاد وهديتنى الى الرشاد ثم تعب الورشان هو وزوجته فى طرح التمر حتى لم يبق فى النخلة شئ فوجد القنفذ ما يأكل وفرح به وملأ مسكنه من التمر وادخره لقوته وقال فى نفسه ان الورشان هو وزوجته اذا احتاجا الى مؤنتهما طلباها منى وطمعا فيما عندى وركنا الى تزهدى وورعى فاذا سمعا نصحى ووعظى دنيا منى فاقتنصهما واكلهما ويخلو لى هذا المكان وكلما تساقط من ثمر النخلة يكفينى ثم ان الورشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة بعد ان نثرا ما عليها من التمر فوجدا القنفذ قد نقل جميع ذلك الى جحره فقال له الورشان ايها القنفذ الصالح والواعظ الناصح انا لم نجد للتمر اثرا ولا نعرف لنا قوتا غيره ثمرا فقال لعله طارت به الرياح والاعراض عن الرزق الى الرازق عين الفلاح فالذى شق الاشداق لا يتركها بلا ارزاق ومازال يعظهما بتلك المواعظ ويظهر لهما الورع بزخرف الملافظ حتى ركنا اليه واقبلا عليه ودخلا

باب وكره وامنا من مكره فوثب الى الباب وقرع الانياب فلما رأى الورشان منه الخديعة لا يحة قال له
اين الليلة من البارحة اما تعلم ان للمظلومين ناصرا فاياك والمكر والخديعة لئلا يصيبك ما اصاب الخداعين
الذين مكروا بالتاجر فقال القنفذ وكيف ذلك قال بلغني ان تاجرا من مدينة يقال لها سنده كان ذا مال
واسع فشد احمالا وجهز متاعا وخرج به الى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة وحملا شيأ
من مال ومتاع واظهرا للتجار انهما من التجار وسارا معه فلما نزلا اول منزل اتفقا على المكر به واخذ ما معه
ثم ان كل واحد منهما اضمر المكر لصاحبه وقال فى نفسه لو مكرت بصاحبى بعد مكرنا بالتاجر لصفالى
الوقت واخذت جميع المال ثم اضمر البعض بهما على نية فاسدة واخذ كل منهما طعاما وجعل فيه
سما وقربه لصاحبه فقتلا بعضهما وكان يجلسان مع التاجر ويحدثانه فلما ابطأ عليه فتش عليهما
ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم انهما كان محتالين واراد المكر به فعاد عليهما مكرهما وسلم التاجر
واخذ ما كان معهما فقال الملك نبهتنى يا شهرزاد على شئ كنت غافلا عنه افلا تزيدينى من هذه الامثال
قالت بلغنى ايها الملك ان رجلا كان عنده قرد وكان ذلك الرجل سارقا لا يدخل سوقا من اسواق المدينة
التى هو فيها الا ويرجع بكسب عظيم فاتفق ان رجلا حمل اثوابا مقطوعة ليبيعها فذهب بها الى السوق
وصار ينادى عليها فلا يسومها احد وكان لا يعرضها على احد الا امتنع من شرائها فاتفق ان السارق الذى
معه القرد رأى الشخص الذى معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها فى بقجة وجلس يستريح من التعب
فلعب القرد قدامه حتى اشتغل بالفرجة عليه واختلس منه تلك البقجة ثم اخذ القرد وذهب الى مكان خال
وفتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها فى بقجة نفيسة وذهب بها الى سوق آخر وعرض البقجة
للبيع بما فيها واشترط ان لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة الثمن فرآها رجل واعجبه نفاستها فاشتراها
بهذا الشرط وذهب بها الى زوجته فلما رأت ذلك امرأته قالت ما هذا قال متاع نفيس اشتريته بدون
القيمة لابيعه واخذ فائدته فقالت ايها المغبون ايباع هذا المتاع باقل من قيمته الا اذا كان مسروقا اما تعلم
ان من اشترى شيأ ولم يعاينه كان مخطئا وكان مثله مثل الحايك فقال لها وكيف كان ذلك فقالت بلغنى ان
حايكا كان فى بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت الا بجهد فاتفق ان رجلا من الاغنياء كان ساكنا
قريبا منه قد اولم وليمة ودعا الناس اليها فحضر الحايك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم
الاطعمة الفاخرة وصاحب المنزل يعظمهم لما يرى من حسن زيهم فقال فى نفسه لو بدلت تلك الصنعة
بصنعة اخف مؤنة منها واكثر اجرة لجمعت مالا كثيرا واشتريت ثيابا فاخرة لارتفع شأنى وعظمت فى اعين
الناس ثم نظر الى بعض اهل الملاعب الحاضرين فى الوليمة وقد صعد سورا شاهقا ثم رمى بنفسه الى الارض
ونهض قائما فقال فى نفسه لابد ان اعمل مثل ما عمل هذا ولا اعجز عنه ثم صعد الى السور ورمى نفسه فلما وصل
الى الارض اندقت رقبته فمات وانما اخبرتك بذلك لئلا يمكن منك الشره فترغب فيما ليس من شأنك فقال
لها زوجها ما كل عالم يسلم بعلمه ولا كل جاهل يعطب بجهله وقد رأيت الحاوى الخبير بالافاعى العالم بها ربما
نهشته الحية فتقتله وقد يظفر بها الذى لا معرفة له بها ولا علم عنده باحوالها ثم خالف زوجته واشترى المتاع
واخذ فى تلك العادة فصار يشترى من السارقين بدون القيمة الى ان وقع فى تهمة فهلك فيها وكان فى زمنه
عصفور يأتى كل يوم الى ملك من ملوك الطيور ولم يزل غاديا ورايحا عنده بحيث كان اول داخل عليه وآخر
خارج من عنده فاتفق ان جماعة من الطير اجتمعوا فى جبل عال من الجبال فقال بعضهم لبعض انا قد
كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولا بد لنا من ملك ينظر فى امورنا فتجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا فمر بهم ذلك

العصفور فاشار عليهم بتمليك الطاووس وهو الملك الذى يتردد اليه فاختاروا الطاووس وجعلوه عليهم ملكا فاحسن اليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر فى الامور ثم ان العصفور غاب يوما عن الطاووس فقلق قلقا عظيما فبينما هو كذلك اذ دخل عليه العصفور فقال له ما الذى اخرك وانت اقرب اتباعى الى فقال العصفور رأيت امرا اشتبه على فخوفت منه فقال له الطاووس ما الذى رأيت قال العصفور رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكرى وثبت اوتادها وبذر فى وسطها حبا وقعد بعيدا عنها فجلست انظر ما يفعل فبينما انا كذلك واذا بكركى هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا فى وسط الشبكة فصارا يصرخان فقام الصياد واخذهما فازعجنى ذلك وهذا سبب غيابى عنك يا ملك الزمان وما بقيت اسكن هذا الوكر حذرا من الشبكة فقال له الطاووس لا ترحل من مكانك لانه لا ينفع الحذر من القدر فامتثل امره وقال سأصبر ولا ارحل طاعة للملك ولم يزل العصفور حذرا على نفسه واخذ الطعام الى الطاووس فاكل حتى اكتفى وتناول على الطعام ماء ثم ذهب العصفور فبينما هو فى بعض الايام شاخص واذا بعصفورين يقتتلان فى الارض فقال فى نفسه كيف اكون وزير الملك وارى العصافير تقتتل فى جوارى والله لاصلحن بينهما ثم ذهب اليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور فى وسطها فقام اليه الصياد واخذه ودفعه الى صاحبه وقال له استوثق به فانه سمين ولم ار احسن منه فقال العصفور فى نفسه قد وقعت فيما كنت اخافه وما كان آمنا الا الطاووس ولم ينفعنى الحذر من نزول القدر فلا مفر من القضاء للمحاذر وما احسن قول الشاعر

مالا يكون فلا يكون بحيلة ❋ ابدا وما هو كائن فيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته ❋ واخو الجهالة دائما مغبون

فقال الملك يا شهرزاد زيدينى من هذا الحديث فقالت الليلة القابلة ان ابقانى الملك اعزه الله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان فى خلافة هارون الرشيد رجل تاجر له ولد يسمى ابا الحسن عليا بن طاهر وكان كثير المال والنوال حسن الصورة محبوبا عند كل من يراه وكان يدخل دار الخلافة من غير اذن ويحبه جميع سرارى الخليفة وجواريه وكان ينادم الملك وينشد عنده الاشعار ويحدثه بنوادر الاخبار الا انه كان يبيع ويشترى فى سوق التجار وكان يجلس على دكانه شاب من اولاد ملوك العجم يقال له على بن بكار وكان ذلك الشاب مليح القامة ظريف الشكل كامل الصورة مورد الخدين مقرون الحاجبين عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق انهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان واذا بعشر جوار كانهن الاقمار وكل منهن ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبينهن صبية راكبة على بغلة بسرج مزركش له ركاب من الذهب وعليها ازار رفيع وفى وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب كما قال فيها الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق ❋ رخيم الحواشى لا هراء ولا نذر
وعينان قال الله كونا فكانتا ❋ فعولان بالالباب ما تفعل الخمر

فيا حبها

فيا حبها زد في جوى كل ليلة ✲ ويا سلوة الاحباب موعدك الحشر

ولما وصلوا الى دكان ابي الحسن نزلت عن البغلة وجلست على دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رآها علي بن بكار سلبت عقله واراد القيام فقالت له اجلس مكانك كيف تذهب اذا حضرنا هذا ما هو انصاف فقال والله يا سيدتي اني هارب مما رأيت وما احسن قول الشاعر

هي الشمس مسكنها في السما ✲ فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصعود ✲ ولن تستطيع اليك النزولا

فلما سمعت ذلك الكلام تبسمت وقالت لابي الحسن ما اسم هذا الفتى ومن اين هو فقال لها هذا غريب اسمه علي بن بكار بن ملك العجم والغريب يجب اكرامه فقالت له اذا جاءتك جاريتي تأتي به عندي فقال ابو الحسن على الرأس ثم قامت وتوجهت الى حال سبيلها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر علي ابن بكار فانه صار لا يعرف ما يقول وبعد ساعة جاءت الجارية الى ابي الحسن وقالت له ان سيدتي تطلبك انت ورفيقك فنهض ابو الحسن واخذ معه عليا بن بكار وتوجها الى دار هارون الرشيد فادخلتهما في مقصورة واجلستهما واذا بالموائد وضعت قدامهما فاكلا وغسلا ايديهما ثم احضرت لهما الشراب فسكرا ثم امرتهما بالقيام فقاما معها وادخلتهما مقصورة اخرى مركبة على اربعة اعمدة وهي مفروشة بانواع الفرش مزينة باحسن الزينة كأنها من قصور الجنان فاندهشا مما عاينا من التحف فبينما هما يتفرجان على هذه الغرائب واذا بعشر جوار اقبلن يتمايلن عجبا كأنهن الاقمار يدهشن الابصار ويحيرن الافكار واصطففن كأنهن من حور الجنان وجاء بعدهن عشر جوار اخرى وبايديهن العيدان وآلات اللهو والطرب فسلمن عليهما وجعلن يضربن العيدان وينشدن الاشعار وكل واحدة منهن فتنة للعباد واقبل بعدهن عشر جوار مثلهن كواعب اتراب بعيون سود وخدود حمر مقرونات الحواجب ناعسات الاطراف فتنة للعابدين ونزهة للناظرين وعليهن من انواع الحرير الملون ما يحير العقول ثم وقفن بالباب وجاء من بعدهن عشر جوار احسن منهن وعليهن الملبوس الفاخر فوقفن بالباب ايضا ثم خرج من الباب عشرون جارية وبينهن جارية اسمها شمس النهار كأنها القمر بين النجوم وهي متوشحة بفاضل شعرها وعليها لباس ازرق وازار من الحرير بطرازات من الذهب وفي وسطها حياصة مرصعة بانواع الجواهر ولم تزل تتبختر حتى جلست على السرير فلما رآها علي بن بكار انشد هذه الاشعار

ان هذي هي ابتداء سقامي ✲ وتمادي وجدي وطول غرامي

عندها قد رأيت نفسي ذابت ✲ من ولوعي بها وبري عظامي

فلما فرغ من شعره قال لابي الحسن لو عملت معي خيرا كنت اخبرتني بهذه الامور قبل الدخول هنا لاجل ان اوطن نفسي واصبرها على ما اصابها ثم بكى وان واشتكى فقال له ابو الحسن يا اخي انا ما اردت لك الا الخير ولكن خشيت ان اعلمك بذلك فيلحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبين وصالها فطب نفسا وقر عينا فهي بسعدك مقبلة وللقائك متوصلة فقال علي بن بكار ما اسم هذه الصبية فقال له ابو الحسن تسمى شمس النهار وهي من محاظي امير المؤمنين هارون الرشيد وهذا المكان قصر الخلافة ثم ان شمس النهار جلست وتأملت محاسن علي بن بكار وتأمل هو حسنها واشتغلا بحب بعضهما وقد امرت الجواري ان تجلس كل واحدة منهن في مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال

طاقة وامرتهن بالغناء فتسلمت واحدة منهن العود وانشدت تقول

اعد الرسالة ثانيه * وخذ الجواب علانيه
واليك يا ملك الملا * ح وقفت اشكو حاليه
مولاى يا قلبي العزيز ويا حياتي الغاليه
انعم على بقبلة * هبة والا عاريه
واردها لك لا عدمت بعينها وكما هيه
واذا اردت زيادة * خذها وتفسك راضيه
ياملبسى ثوب الضنى * يهنيك ثوب العافيه

فطرب على بن بكار وقال لها زيدينى من مثل هذا الشعر فحركت الاوتار وانشدت هذه الاشعار

من كثرة البعد ياحبيبى * علمت طول البكا جفونى
ياحظ عينى ويامناها * ومنتهى غايتى ودينى
ارث لمن طرفه غريق * فى عبرة الواله الحزين

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها انشدى فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

سكرت من لحظه لامن مدامته * ومال بالنوم عن عينى تمايله
فما السلاف سلتنى بل سوالفه * وما الشمول شلتنى بل شمائله
لوى بعزمى اصداغ لوين له * وغال عقلى بما تحوى غلائله

فلما سمعت شمس النهار انشاد الجارية تنهدت واعجبها الشعر ثم امرت جارية اخرى ان تغنى فانشدت هذه الابيات

وجه لمصباح السما مباه * يبدو الشباب عليه رشح مياه
رقم العذار غلائله باحرف * معنى الهوى فى طيها منناه
نادى عليه الحسن حين لقيته * هذا المنمنم فى طراز الله

فلما فرغت من شعرها قال على بن بكار لجارية قريبة منه انشدى انت ايتها الجارية فاخذت العود وانشدت هذه الابيات

زمن الوصال يضيق عن * هذا التمادى والدلال
كم من صدود متلف * ما هكذا اهل الجمال
فاستغنموا وقت السعو * د بطيب ساعات الوصال

فلما فرغت من شعرها تنهد على بن بكار وارسل دموعه الغزار فلما رأته شمس النهار قد بكى وان واشتكى احرقها الوجد والغرام واتلفها الوله والهيام فقامت من فوق السرير وجاءت الى باب القبة فقام على بن بكار وتلقاها وتعانقا ووقعا مغشيا عليهما فى باب القبة فقام الجوارى اليهما وحملتهما وادخلتهما القبة ورششن عليهما ماء الورد فلما افاقا لم يجدا ابا الحسن وكان قد اختفى فى جانب سرير فقالت الصبية اين ابو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت اسأل الله ان يقدرنى على مكافاتك ياصاحب المعروف ثم اقبلت على على بن بكار وقالت له ياسيدى ما بلغ بك الهوى الى غاية الا وعندى امثالها وليس لنا

الا الصبر على ما اصابنا فقال على بن بكار والله ياسيدتى ليس يجمع شملى بك بطيب ولا يطفى اليك ما عندى من اللهيب ولا يذهب ما تمكن من حبك فى قلبى الا بذهاب روحى ثم بكى فنزلت دموعه على خده كأنها المطر فلما رأته شمس النهار يبكى بكت لبكائه فقال ابو الحسن والله انى عجبت من امركما واحترت فى شأنكما فان حالكما عجيب وامركما غريب هذا البكاء وانتما مجتمعان فكيف يكون الحال بعد انفصالكما ثم قال هذا ليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت سرور وانشراح فاشارت شمس النهار الى جارية فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة صحافها من الفضة وفيها انواع الطعام ثم وضعت المائدة قدامهم وصارت شمس النهار تأكل وتلقم عليا بن بكار حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا ايديهم وجاءتهم المباخر بانواع العود وجاءت القماقم بماء الورد فتبخروا وتطيبوا وقدمت لهم اطباق من الذهب المنقوش فيها من انواع الشراب والفواكه والنقل ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم جاءت اليهم بطشت من العقيق ملآن من المدام فاختارت شمس النهار عشرة وصائف اوقفتهم عندهم وعشر جوار من المغنيات وصرفت باقى الجوارى الى اماكنهن وامرت بعض الحاضرين من الجوارى ان يضربن بالعود ففعلن ما امرت به وانشدت واحدة منهن

بنفسى من رد التحية ضاحكا ✱ فجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى
لقد ابرزت ايدى الغرام سرايرى ✱ واظهرن للعذال ما بين اضلعى
وحالت دموع العين بينى وبينه ✱ كأن دموع العين تعشقه معى

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكاس وشربته ثم ملأته واعطته لعلى بن بكار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شمس النهار ملأت الكاس واعطته لعلى بن بكار ثم امرت جارية ان تغنى فانشدت هذين البيتين

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى ✱ فمن مثل ما فى الكاس عينى تسكب
فوالله ما ادرى ابالخمر اسبلت ✱ جفونى ام من ادمعى كنت اشرب

فلما فرغت من شعرها شرب على بن بكار كاسه ورده الى شمس النهار فملأته وناولته لابى الحسن فشربه ثم اخذت العود وقالت لا يغنى على قدحى غيرى ثم شدت الاوتار وانشدت هذه الاشعار

غرائب الدمع فى خديه تطرب ✱ وجد اونار الهوى فى صدره تتقد
يبكى مع القرب خوفا من تباعدهم ✱ فالدمع ان قربوا جار وان بعدوا

وقول الشاعر

تفديك ساقيا قد كسالك الحسن من فرقك المضى لساقك
تشرق الشمس من يديك ومن فيك الثريا والبدر من اطواقك
ان اقداحك التى تركتنى ✱ غير صاح تدار من احداقك
اوليس العجيب كونك بدرا ✱ كاملا والمحاق فى عشاقك
الله انت اذ تميت وتحيى ✱ بتلاقيك من تشا وفراقك

خلق الله من خليقتك الحسن وطيب النسيم من اخلاقك
ما انت من هذه البرية بل انت مليك ارسلت من خلاقك

فلما سمع على بن بكار وابو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا ان يطيروا من الطرب ولعبوا وضحكوا فبينما هم على هذا الحال واذا بجارية اقبلت وهى ترتعد من الخوف وقالت ياسيدتى قد وصل امير المؤمنين وها هو بالباب ومعه عفيف ومسرور وغيرهما فلما سمعوا كلام الجارية كادوا ان يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لا تخافوا ثم قالت للجارية ردى عليهم الجواب بقدر ما نتحول من هذا المكان ثم انها امرت بغلق باب القبة وارخاء الستور على ابوابها وهم فيها واغلقت باب القاعة ثم خرجت الى البستان وجلست على سريرها وامرت جارية ان تكبس رجليها وامرت بقية الجوارى ان يمضين الى اماكنهن وامرت الجارية ان تدع الباب مفتوحا ليدخل الخليفة فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبايديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لاى شئ جئتم فقالوا ان امير المؤمنين يسلم عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك انه كان عنده اليوم سرور وحظ زائد واحب ان يكون ختام السرور بوجودك فى هذه الساعة فهل تأتين عنده او يأتى عندك فقامت وقبلت الارض وقالت سمعا وطاعة لامر امير المؤمنين ثم امرت باحضار القهرمانات والجوارى فحضرن واظهرت لهن انها مقبلة على ما امر به الخليفة وكان المكان كاملا فى جميع اموره ثم قالت للخدام امضوا الى امير المؤمنين واخبروه انى فى انتظاره بعد قليل الى ان اهيئ له مكانا بالفرش والامتعة فمضى الخدام مسرعين الى امير المؤمنين ثم ان شمس النهار قلعت ودخلت الى معشوقها على بن بكار وضمته الى صدرها وودعته فبكى بكاء شديدا وقال ياسيدتى هذا الوداع فتعيني به لعله يكون عونا على تلف نفسى وهلاك روحى فى هواك ولكن اسأل الله ان يرزقنى الصبر على ما بلانى به من محبتى فقالت له شمس النهار والله ما يصير فى التلف الا انا فانك قد تخرج الى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكون مصونا وغرامك مكنونا واما انا فسوف اقع فى البلاء خصوصا وقد وعدت الخليفة بميعاد فربما يلحقنى من ذلك عظيم الخطر بسبب شوقى اليك وحبى لك وتعشقى فيك وتأسفى على مفارقتك فبأى لسان اغنى وبأى قلب احضر عند الخليفة وبأى كلام انادم امير المؤمنين وبأى نظر انظر الى مكان ما انت فيه وكيف اكون فى حضرة لم تكن بها وبأى ذوق اشرب مداما ما انت حاضره فقال لها ابو الحسن لا تحيرى واصبرى ولا تغفلى عن منادمة امير المؤمنين هذه الليلة ولا تريه تهاونا فبينما هم فى الكلام واذا بجارية قدمت وقالت ياسيدتى جاء غلمان امير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذى ابا الحسن ورفيقه واقصدى بهما اعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك الى الظلام ثم تحيلى فى خروجهما فاخذتهما الجارية واطلعتهما فى الروشن واغلقت الباب عليهما ومضت الى حال سبيلها وصارا ينظران الى البستان واذا بالخليفة قدم وقدامه نحو المائة خادم بايديهم السيوف وحواليه عشرون جارية كأنهن الاقمار وعليهن افخر ما يكون من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر واليواقيت وفى يد كل واحدة شمعة موقودة والخليفة يمشى بينهن وهن محيطات به من كل ناحية ومسرور وعفيف ووصيف قدامه وهو يتمايل بينهم فقامت له شمس النهار وجميع من عندها من الجوارى ولاقينه من باب البستان وقبلن الارض بين يديه ولم يزلن سائرات امامه الى ان جلس على السرير والذين فى البستان من الجوارى والخدم وقفوا حوله والشموع موقودة والالات تضرب الى ان امرهم بالانصراف والجلوس على الاسرة فجلست شمس النهار على سرير بجانب سرير الخليفة وصارت تحدثه كل ذلك وابو الحسن وعلى

ابن بكار ينظران ويسمعان والخليفة لم يرهما ثم ان الخليفة صار يلعب مع شمس النهار وامر بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها واوقدوا الشموع حتى صار المكان وقت الظلام كالنهار ثم ان الخدم صاروا ينقلون الات المشروب فقال ابو الحسن ان هذه الالات والمشروب والتحف ما رأيت مثلها وهذا شئ من اصناف الجواهر ما سمعت بمثله وقد خيل لى انى فى المنام وقد اندهش عقلى وخفق قلبى واما على بن بكار فانه لما فارقته شمس النهار لم يزل مطروحا على الارض من شدة العشق فلما افاق صار ينظر الى هذه الفعال التى لا يوجد مثلها فقال لابى الحسن يا اخى اخشى ان ينظرنا الخليفة او يعلم حالنا واكثر خوفى عليك واما انا فانى اعلم ان نفسى من الهالكين وما سبب موتى الا العشق والغرام وفرط الوجد والهيام ونرجو من الله الخلاص مما ابلينا به ولم يزل على بن بكار وابو الحسن ينظران من الروشن الى الخليفة وما هو فيه حتى تكاملت الحضرة بين يدى الخليفة ثم ان الخليفة التفت الى جارية من الجوارى وقال هاتى ما عندك يا غرام من السماع المطرب فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

وما وجد اعرابية بان اهلها * فحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
باعظم من وجدى بحبى وانما * يرى انني اذنبت ذنبا بوده

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر وقعت مغشيا عليها من فوق الكرسى الذى كانت عليه وغابت عن الوجود فقام الجوارى واحتملنها فلما نظر اليها على بن بكار من الروشن وقع مغشيا عليه فقال ابو الحسن ان القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدثان واذا بالجارية التى اطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا ابا الحسن انهض انت ورفيقك وانزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وانا خائفة ان يظهر امرنا فقوما فى هذه الساعة والا متنا فقال ابو الحسن فكيف ينهض هذا الغلام معى ولا قدرة له على النهوض فصارت الجارية ترش ماء الورد على وجهه حتى افاق فحمله ابو الحسن هو والجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قليلا ثم فتحت الجارية بابا صغيرا من حديد واخرجت ابا الحسن هو وعلى بن بكار على مصطبة ثم صفقت بيديها فجاء زورق فيه انسان يقدف فاطلعتهما الجارية فى الزورق وقالت للذى فى الزورق اطلعهما فى ذلك البر فلما نزلا فى الزورق وفارقا البستان نظر على بن بكار الى القبة والبستان وودعهما بهذين البيتين

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * واخرى على الرمضاء تحت فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد بيننا * ولا كان هذا الزاد آخر زادى

ثم ان الجارية قالت للملاح اسرع بهما فصار يقدف لاجل السرعة والجارية معهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملاح صار يقدف لاجل السرعة والجارية معهم الى ان قطعوا ذلك الجانب وعدوا الى البر الثانى ثم انصرفت الجارية وودعتهما وطلعا فى البر وقالت لهما كان قصدى ان لا افارقكما لكننى لا اقدر ان اسير الى مكان غير هذا الموضع ثم ان الجارية عادت وصار على بن بكار مطروحا بين يدى ابى الحسن لا يستطيع النهوض فقال له ابو الحسن ان هذا المكان غير امين ونخشى على انفسنا

من التلف فى هذا المكان بسبب اللصوص واولاد الحرام فقام على بن بكار يمشى قليلا وهو لا يستطيع المشى وكان ابو الحسن له فى ذلك الجانب اصدقاء فقصد من يثق به ويركن اليه منهم فدق بابه فخرج اليه مسرعا فلما رآهما رحب بهما وادخلهما الى منزله واجلسهما وتحدث معهما وسألهما اين كانا فقال ابو الحسن قد خرجنا فى هذا الوقت واحوجنا الى هذا الامر انسان عاملته فى دراهم وبلغنى انه يريد السفر بها فخرجت فى هذه الليلة وقصدته واستأنست برفيق هذا على بن بكار وجئنا لعلنا ننظره فتوارى منا ولم نره وعدنا بلا شئ وشق علينا العود فى هذا الليل ولم نر لنا محلا غير محلك فجئنا اليك على عوايدك الجميلة فرحب بهما واجتهد فى اكرامهما واقاما عنده بقية ليلتهما فلما اصبح الصباح خرجا من عنده ولم يزالا يمشيان حتى وصلا الى المدينة ودخلاها وجازا على بيت ابى الحسن فحلف على صاحبه على بن بكار وادخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلا ثم افاقا فامر ابو الحسن غلمانه ان يفرشوا البيت فرشا فاخرا ففعلوا ثم ان ابا الحسن قال فى نفسه لابد ان اؤانس هذا الغلام واسليه عما هو فيه فانى ادرى بامره ثم ان عليا بن بكار لما افاق استدعى بماء فحضروا له بالماء فقام وتوضأ وصلى مافاته من الفروض فى يومه وليلته وصار يسلى نفسه بالكلام فلما رأى منه ذلك ابو الحسن تقدم اليه وقال ياسيدى على الاليق بما انت فيه ان تقيم عندى هذه الليلة لينشرح صدرك وتنفرج ما بك من كرب الشوق وتتلاهى معنا فقال على بن بكار افعل يا اخى ما بدا لك فانى على كل حال غير ناج مما اصابنى فاصنع ما انت صانع فقام ابو الحسن واستدعى غلمانه واحضر اصحابه وارسل الى ارباب المغانى والالات فحضروا واقاموا على اكل وشرب وانشراح باقى اليوم الى المساء ثم اوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤس المنادمة وطاب لهم الوقت فاخذت المغنية العود وجعلت تقول

رميت من الزمان بسهم لحظ * فاصمانى وفارقت الحبايب
وعاندنى الزمان وقل صبرى * وانى قبل هذا كنت حاسب

فلما سمع على بن بكار كلام المغنية خر مغشيا عليه ولم يزل فى غشيته الى ان طلع الفجر ويئس منه ابو الحسن ولما طلع النهار افاق وطلب الذهاب الى بيته فلم يمنعه ابو الحسن خوفا من عاقبة امره فاتاه غلمانه ببغلة واركبوه وسار معه ابو الحسن الى ان ادخله منزله فلما اطمأن فى بيته حمد الله ابو الحسن على خلاصه من هذه الورطة وصار يسليه وهو لا يتمالك نفسه من شدة الغرام ثم ان ابا الحسن ودعه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ودعه فقال له على بن بكار يا اخى لا تقطع عنى الاخبار فقال سمعا وطاعة ثم ان ابا الحسن قام من عنده واتى دكانه وفتحها وصار يترقب خبرا من الصبية فلم يأته احد بخبر فبات ثلاث ليال فى داره فلما اصبح الصباح قام الى ان اتى دار على بن بكار ودخل عليه فوجده ملقى على فراشه واصحابه حوله والحكماء عنده وكل واحد يصف له شيأ ويجسون يده فلما دخل ابو الحسن ورآه تبسم ثم ان ابا الحسن سلم عليه وسأله عن حاله وجلس عنده حتى خرج الناس فقال له ماهذا الحال فقال على بن بكار قد شاع خبرى انى مريض وتسامع بذلك اصحابى وليس لى قوة استعين بها على القيام والمشى حتى اكذب من جعلنى ضعيفا ولم ازل ملقى مكانى كما ترانى وقد اتت اصحابى

الى زيارتى لكن يا اخى هل رأيت الجارية او سمعت بخبر من عندها فقال ما جاءتنى من يوم فارقتنا على شاطئ الدجلة ثم قال له ابو الحسن يا اخى احذر الفضيحة وتجنب هذا البكاء فقال على بن بكار يا اخى لا املك نفسى ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

نالت على يدها ما لم تنله يدى * نقش على معصم اوهت به جلدى
خافت على يدها من نبل مقلتها * فالبست يدها درعا من الزرد
جس الطبيب يدى جهلا فقلت له * ان التألم فى قلبى فخل يدى
قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظماء * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
فاستمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

فلما فرغ من شعره قال قد بليت بمصيبة كنت فى امن منها وليس لى اعظم راحة من الموت فقال له ابو الحسن اصبر لعل الله يشفيك ثم نزل ابو الحسن من عنده وتوجه الى دكانه وفتحها فما جلس غير قليل حتى اقبلت عليه الجارية وسلمت فرد عليها السلام ونظر اليها فوجدها خافقة القلب يظهر عليها اثر الكآبة فقال لها اهلا وسهلا كيف حال شمس النهار فقالت سوف اخبرك بحالها كيف حال على ابن بكار فاخبرها ابو الحسن بجميع ما كان من امره فتأسفت وتأوهت وتعجبت من ذلك الامر ثم قالت ان حال سيدتى اعجب من ذلك فانكم لما توجهتم رجعت وقلبى يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعت وجدت سيدتى مطروحة فى القبة لا تتكلم ولا ترد على احد وامير المؤمنين جالس عند رأسها لا يجد من يخبره بخبرها ولم يعلم ما بها ولم تزل فى غشيتها الى نصف الليل ثم افاقت فقال لها امير المؤمنين ما الذى اصابك يا شمس النهار وما الذى اعتراك فى هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت اقدامه وقالت له يا امير المؤمنين جعلنى الله فداك انه خامرنى خلط فاضرم النار فى جسدى فوقعت مغشيا على من شدة ما بى ولا اعلم كيف كان حالى فقال لها الخليفة ما الذى استعملته فى نهارك قالت افطرت على شئ لم آكله قط ثم اظهرت القوة واستدعت بشئ من الشراب فشربته وسألت امير المؤمنين ان يعود الى انشراحه فعاد الى الجلوس فى القبة فلما جئت اليها سألتنى عن احوالكما فاخبرتها بما فعلت معكما واخبرتها بما انشده على بن بكار فسكتت ثم ان امير المؤمنين جلس وامر الجارية بالغناء فانشدت هذين البيتين

ولم يصف لى شئ من العيش بعدكم * فياليت شعرى كيف حالكم بعدى
يحق لدمعى ان يكون من الدما * اذا كنتم تبكون دمعا على بعدى

فلما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لابى الحسن ان سيدتى لما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها فامسكت يدها ورششت ماء الورد على وجهها فافاقت فقلت لها يا سيدتى لا تهتكى نفسك ومن يحويه قصرك بحياة محبوبك ان تصبرى فقالت هل فى الامر اكثر من الموت فانا اطلبه لان فيه راحتى فبينما نحن فى هذا القول اذ غنت جارية بقول الشاعر

وقالوا لعل الصبر يعقب راحة * فقلت واين الصبر بعد فراقه
وقد اكد الميثاق بيني وبينه * بقطع حبال الصبر عند عناقه

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشيا عليها فنظرها الخليفة فاتى مسرعا اليها وامر برفع الشراب وان تعود كل جارية الى مقصورتها واقام عندها باقي ليلته الى ان اصبح الصباح فاستدعى الاطباء وامرهم بمعالجتها ولم يعلم بما هي فيه من العشق والغرام واقمت عندها حتى ظننت انه قد انصلح حالها وهذا الذي عاقني عن المجيء اليكما وقد خلفت عندها جماعة من خواصها لما امرتني بالمسير اليكما لآخذ خبر علي بن بكار واعود اليها فلما سمع ابو الحسن كلامها تعجب وقال لها والله اني اخبرتك بجميع ما كان من امره فعودي الى سيدتك وسلمي عليها وحثيها على الصبر وقولي لها اكتمي السر واخبريها اني عرفت امرها وهو امر صعب يحتاج الى التدبير فشكرته الجارية ثم ودعته وانصرفت الى سيدتها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر ابي الحسن فانه لم يزل في دكانه الى اخر النهار فلما مضى النهار قام وقفل دكانه واتى الى دار علي بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وادخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا ابا الحسن اوحشتني لتخلفك عني في هذا اليوم وروحي متعلقة بك باقي عمري فقال له ابو الحسن دع هذا الكلام فلو امكن فداك كنت افديك بروحي وفي هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار واخبرتني انه ما عاقها عن المجيء الا جلوس الخليفة عند سيدتها واخبرتني بما كان من امر سيدتها وحكى له جميع ما سمعه من الجارية فتأسف علي بن بكار غاية التأسف وبكى ثم التفت الى ابي الحسن وقال له بالله ان تساعدني على ما بليت به واخبرني ماذا تكون الحيلة واسألك من فضلك المبيت عندي هذه الليلة لاستأنس بك فامتثل ابو الحسن امره واجابه الى المبيت عنده وباتا يتحدثان في تلك الليلة ثم ان علي بن بكار بكى وارسل العبرات وانشد هذه الابيات

خفرت بسيف اللحظ ذمة مغفري * وفرت برمح القد درع تصبري
وجلت لنا من تحت مسكة خالها * كافور فجر شق ليل العنبر
فزعت فعضت العقيق بلؤلؤ * سكنت فرائده غدير السكر
وتنهدت بجزعا فاشار كفها * في صدرها فنظرت ما لم انظر
اقلام مرجان كتبن بعنبر * بصحيفة البلور خمسة اسطر
يا حامل السيف الصحيح اذا رنت * اياك ضربة جفنها المتكسر
وتوق يارب القناة الطعن ان * حملت عليك من القوام باسمر

فلما فرغ علي بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فظن ابو الحسن ان روحه خرجت من جسده ولم يزل في غشيته حتى طلع النهار فافاق وتحدث مع ابي الحسن ولم يزل ابو الحسن جالسا عند علي بن بكار الى ضحوة النهار ثم انصرف من عنده وجاء الى دكانه وفتحها واذا بالجارية جاءته ووقفت عنده فلما نظر اليها اومأت اليه بالسلام فرد عليها السلام وبلغته سلام سيدتها وقالت له كيف حال علي بن بكار فقال لها يا جارية لا تسألي عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام فانه لا ينام الليل ولا يستريح بالنهار وقد انحله السهر وغلب عليه الضجر وصار في حال لا يسر حبيبا فقالت له ان سيدتي تسلم عليك وعليه وقد كتبت له ورقة وهي في حال اعظم من حاله وقد سلمتني الورقة وقالت لا تأتيني الا بجوابها وافعلي ما امرتك به وها هي الورقة معي فهل لك ان تسير معي الى علي بن بكار ونأخذ منه الجواب فقال لها

ابو الحسن

ابو الحسن سمعا وطاعة ثم قفل الدكان واخذ معه الجارية وذهب بها من مكان غير الذى جا منه ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى دار على بن بكار ثم اوقف الجارية على الباب ودخل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ذهب بالجارية الى دار على بن بكار واوقفها على الباب ودخل البيت فلما رآه على بن بكار فرح به فقال له ابو الحسن سبب مجيئ ان فلانا ارسل اليك جاريته برقعة تتضمن سلامه عليك وذكر فيها ان سبب تأخره عنك عذر حصل له والجارية واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال على ادخلوها واشار له ابو الحسن انها جارية شمس النهار ففهم الاشارة فلما رآها تحرك وفرح وقال لها بالاشارة كيف حال السيد شفاه الله وعافاه فقالت بخير ثم اخرجت الورقة ودفعتها له فاخذها وقبلها وقرأها وناولها الابى الحسن فوجد مكتوبا فيها هذه الابيات

ينبيك هذا الرسول عن خبرى * فاستغن فى ذكره عن النظر
خلفت صبا بحبكم دنفا * وطرفه لايزال بالسهر
اكابد الصبر فى البلاء فما * يدفع خلق مواقع القدر
وقر عينا وليس تغفل عن * قلبي ولا يوم غبت عن بصرى
وانظر الى جسمك النحيل وما * قد حله واستدل بالاثر

وبعد فقد كتبت لك كتابا بغير بنان ونطقت لك بغير لسان وجملة شرح حالى ان لى عينا لا يفارقها السهر وقلبا لا تبرح عنه الفكر فكانى قط ما عرفت صحة ولا فرحة ولا رأيت منظرا بهيا ولا قطعت عيشا هنيا وكانى خلقت من الصبابة ومن الم الوجد والكآبة فعلى السقام مترادف والغرام متضاعف والشوق متكاثر وصرت كما قال الشاعر

القلب منقبض والفكر منبسط * والعين ساهرة والجسم متعوب
والصبر منفصل والهجر متصل * والعقل مختبل والقلب مسلوب

واعلم ان الشكوى لا تطفئ نار البلوى لكنها تعلل من اعلّه الاشتياق واتلفه الفراق واتسلى بذكر لفظ الوصال وما احسن قول من قال

اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى * فاين حلاوة الرسائل والكتب

قال ابو الحسن فلما قرأتها هيجت الفاظها بلابلى واصابت معانيها مقاتلى ثم دفعتها الى الجارية فلما اخذتها قال لها على بن بكار ابلغى سيدتك سلامى وعرفيها بوجدى وغرامى وامتزاج المحبة بلحمى وعظامى واخبريها انى محتاج الى من ينقذنى من بحر الهلاك وينجينى من هذا الارتباك ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودعته وخرجت من عنده وخرج ابو الحسن معها ثم ودعها ومضى الى دكانه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ودع الجارية ورجع الى دكانه فلما جلس فيه وجد قلبه انقبض وضاق صدره وتحير فى امره ولم يزل فى فكر بقية يومه وليلته وفى اليوم الثانى ذهب الى على

ابن بكار وجلس عنده حتى ذهبت الناس وسأله عن حاله فاخذ فى شكوى الغرام وما به من الوجد والهيام وانشد قول الشاعر

شكى الم الغرام الناس قبلى * وروع بالنوى حى وميت
واما مثل ما ضمت ضلوعى * فانى لا سمعت ولا رأيت

وقول الشاعر

واقيت من حبيك مالم يلقه * فى حب لبنى قيسها المجنون
لكننى لم اتبع وحش الفلا * كفعال قيس والجنون فنون

فقال له ابو الحسن انا ما رأيت ولا سمعت بمثلك فى محبتك كيف يكون هذا الوجد وضعف الحركة وقد تعلقت بحبيب موافق فكيف اذا تعلقت بحبيب مخالف مخادع فكان امرك ينكشف قال ابو الحسن فركن على بن بكار الى كلامى وشكرنى على ذلك وكان لى صاحب يطلع على امرى وامر على بن بكار ويعلم انهما متوافقان ولا يعلم احد ما بيننا غيره وكان يأتينى فيسألنى عن حال على بن بكار وبعد قليل سألنى عن الجارية فقلت له قد دعته اليها وكان بينه وبينها ما لا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من امرهما ولكنى دبرت لنفسى امرا اريد اعراضه عليك فقال له صاحبه ما هو قال ابو الحسن اعلم انى رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء واخشى ان ينكشف امرهما فيكون ذلك سببا لهلاكى واخذ مالى وهتك عيالى وقد اقتضى رأيى ان اجمع مالى واجهز حالى واتوجه الى مدينة البصرة واقيم بها حتى انظر ما يكون من احوالهما بحيث لا يشعر بى احد فان المحبة قد تمكنت منهما ودارت المراسلة بينهما والحال ان الماشى بينهما جارية وهى كاتمة لاسرارهما واخشى ان يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لاحد فيشيع خبرهما ويؤدى ذلك الى هلاكى ويكون سببا لتلفى وليس لى عذر عند الناس فقال له صاحبه قد اخبرتنى بخبر خطير يخاف من مثله العاقل الخبير كفاك الله شر ما تخافه وتخشاه ونجاك مما تخاف عقباه وهذا الرأى هو الصواب فانصرف ابو الحسن الى منزله وصار يقضى مصالحه ويتجهز للسفر الى مدينة البصرة فما مضى ثلاثة ايام حتى قضى مصالحه وسافر الى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلاثة ايام ليزوره فلم يجده فسأل عنه جيرانه فقالوا له انه توجه من مدة ثلاثة ايام الى البصرة لان له معاملة عند تجارها فذهب يطالب ارباب الديون وعن قريب يأتى فاحتار الرجل فى امره وصار لا يدرى اين يذهب وقال ياليتنى لم افارق ابا الحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها الى على بن بكار فقصد داره وقال لبعض غلمانه استأذن لى سيدك لادخل اسلم عليه فدخل الغلام واخبر سيده به ثم عاد اليه واذن له فى الدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ثم ان ذلك الرجل اعتذر اليه فى تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له ياسيدى ان بينى وبين ابى الحسن صداقة وانى كنت اودعه اسرارى ولا انقطع عنه ساعة فغبت فى بعض المصالح مع جماعة من اصحابى مدة ثلاثة ايام ثم جئت اليه فوجدت دكانه مقفولة فسألت عنه الجيران فقالوا انه توجه الى البصرة ولم اعلم له صديقا اوفى منك فبالله ان تخبرنى بخبره فلما سمع على بن بكار كلامه تغير لونه واضطرب وقال لم اسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وان كان الامر كما ذكرت فقد حصل لى التعب ثم افاض دمع العين وانشد هذين البيتين

قد كنت ابكى على ما فات من فرح * واهل ودى جميعا غير اشتات
واليوم فرق ما بينى وبينهم * دهرى فابكى على اهل المودات

ثم ان علي ابن بكار اطرق رأسه الى الارض يتفكر وبعد ساعة رفع رأسه الى خادم له وقال له امض الى دار ابي الحسن واسأل عنه هل هو مقيم او مسافر فان قالوا سافر فاسأل الى اى ناحية توجه فمضى الغلام وغاب ساعة ثم اقبل الى سيده وقال انى لما سألت عن ابي الحسن اخبرني اتباعه انه سافر الى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتني عرفتني ولم اعرفها وقالت لي هل انت غلام علي بن بكار فقلت لها نعم فقالت ان معي رسالة اليه من عند اعز الناس عليه فجاءت معي وهي واقفة على الباب فقال علي ابن بكار ادخلها فطلع الغلام اليها وادخلها فنظر الرجل الذي عند ابن بكار الى الجارية فوجدها ظريفة ثم ان الجارية تقدمت عند ابن بكار وسلمت عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما دخلت على علي بن بكار تقدمت عنده وسلمت عليه وتحدثت معه سرا وصار يقسم في اثناء الكلام ويحلف انه لم يتكلم بذلك ثم ودعته وانصرفت وكان الرجل صاحب ابي الحسن جوهريا فلما انصرفت الجارية وجد للكلام محلا فقال لعلي بن بكار لاشك ولاريب ان لدار الخلافة عليك مطالبة او بينك وبينها معاملة فقال ومن اعلمك بذلك فقال معرفتي بهذه الجارية لانها جارية شمس النهار وكانت جاءتني من مدة برقعة مكتوب فيها انها تشتهي عقد جوهر فارسلت اليها عقدا ثمينا فلما سمع علي بن بكار كلامه اضطرب حتى خشي عليه التلف ثم راجع نفسه وقال يا اخي اسألك بالله من اين تعرفها فقال له الجوهري دع الالحاح في السؤال فقال له علي بن بكار لا ارجع عنك الا اذا اخبرتني بالصحيح فقال له الجوهري انا اخبرك بحيث لا يدخلك مني وهم ولا يعتريك من كلامي انقباض ولا اخفي عنك سرا وابين لك حقيقة الامر ولكن بشرط ان تخبرني بحقيقة حالك وسبب مرضك فاخبره بخبره ثم قال والله يا اخي ما حملني على كتمان امري عن غيرك الا مخافة ان الناس تكشف استار بعضها فقال الجوهري لعلي بن بكار وانا ما اردت اجتماعي بك الا لشدة محبتي لك وغيرتي عليك وشفقتي على قلبك من الم الفراق عسى اكون لك مؤنسا نيابة عن صديقي ابي الحسن مدة غيبته فطب نفسا وقر عينا فشكره علي بن بكار على ذلك وانشد هذين البيتين

ولو قلت اني صابر بعد بعده * لكذبني دمعي وفرط نحيبي
وكيف اداري مدمعا جريانه * على صحن خدي من فراق حبيبي

ثم ان علي ابن بكار سكت ساعة من الزمان وبعد ذلك قال للجوهري اتدري ما سارتني به الجارية فقال له لا والله يا سيدي فقال انها زعمت اني اشرت على ابي الحسن بالمسير الى مدينة البصرة واني دبرت بذلك حيلة لاجل عدم المراسلة والمواصلة فحلفت لها ان ذلك لم يكن فلم تصدقني ومضت الى سيدتها وهي على ما هي عليه من سوء الظن لانها كانت تصغي الى ابي الحسن فقال الجوهري يا اخي اني فهمت من حال هذه الجارية هذا الامر ولكن ان شاء الله تعالى اكون عونا لك على مرادك فقال له علي بن بكار وكيف تعمل معها وهي تنفر كوحش الفلاة فقال له لابد ان ابذل جهدي في مساعدتك واحتيالي في التوصل اليها من غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذن في الانصراف فقال له علي بن بكار يا اخي عليك بكتمان السر ثم نظر اليه وبكى فودعه وانصرف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجوهري ودعه وانصرف وهو لا يدري كيف يعمل في اسعاف علي بن بكار وما زال ماشيا وهو متفكر في امره اذ رأى ورقة مطروحة في الطريق فاخذها ونظر عنوانها وقرأه فاذا هو من المحب الاصغر الى الحبيب الاكبر ففتح الورقة فرأى مكتوبا فيها هذان البيتان

جاء الرسول بوصل منك يطمعني * وكان اكبر ظني انه وهما
فما فرحت ولكن زادني حزنا * علمي بان رسولي لم يكن فهما

وبعد فاعلم يا سيدي انني لم ادر سبب قطع المراسلة بيني وبينك فان يكن صدر منك الجفاء فانا اقابله بالوفاء وان يكن ذهب منك الوداد فانا احفظ الود على البعاد فانا معك كما قال الشاعر

ته احتمل واستطل اصبر وعز أهن * وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

فلما قرأها واذا بالجارية اقبلت وهي تتلفت يمينا وشمالا فرأت الورقة في يده فقالت له يا سيدي ان هذه الورقة وقعت مني فلم يرد عليها جوابا ومشى ومشت الجارية خلفه الى ان اقبل على داره ودخل والجارية خلفه فقالت له يا سيدي رد لي هذه الورقة فانها سقطت مني فالتفت اليها وقال يا جارية لا تخافي ولا تحزني ولكن اخبريني بالخبر على وجه الصدق فاني كتوم الاسرار واحلفك يمينا انك لا تخفي عني شيأ من امر سيدتك فعسى الله ان يعينني على قضاء اغراضها ويسهل الامور الصعاب على يدي فلما سمعت الجارية كلامه قالت يا سيدي ما ضاع سر انت حافظه ولا خاب امر انت تسعى في قضائه اعلم ان قلبي مال اليك فانا اخبرك بحقيقة الامر واعطني الورقة ثم اخبرته بالخبر كله وقالت الله على ما اقول شهيد فقال لها صدقت فان عندي علما باصل الخبر ثم حدثها بحديث علي بن بكار وكيف اخذ ضميره واخبرها بالخبر من اوله الى اخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على انها تأخذ الورقة وتعطيها لعلي بن بكار وجميع ما يحصل ترجع اليه وتخبره به فاعطاها الورقة فاخذتها وختمتها كما كانت وقالت ان سيدتي شمس النهار اعطتها لي مختومة فاذا قرأها ورد لي جوابها اتيتك به ثم ان الجارية ودعته وتوجهت الى علي بن بكار فوجدته في الانتظار فاعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة رد الجواب واعطاها لها فاخذتها ورجعت بها الى الجوهري بحكم الاتفاق ففض ختمها وقرأها فرأى مكتوبا فيها

ان الرسول الذي كانت رسائلنا * مكتومة عنده ضاعت وقد غضبا
فاستخلصوا لي رسولا منكم ثقة * يستحسن الصدق لا يستحسن الكذبا

وبعد فاني لم يصدر مني جفاء ولا تركت وفاء ولا نقضت عهدا ولا قطعت ودا ولا فارقت اسفا ولا لقيت بعد الفراق الا تلفا ولا علمت اصلا بما ذكرتم ولا احب غير ما احببتم وحق عالم السر والنجوى ما قصدي غير الاجتماع بمن اهوى وشأني كتمان الغرام وان امرضني السقام وهذا شرح حالي والسلام فلما قرأ الجوهري هذه الورقة وعرف ما فيها بكى بكاء شديدا ثم ان الجارية قالت له لا تخرج من هذا المكان حتى اعود اليك لانه قد اتهمني بامر من الامور وهو معذور وانا اريد ان اجمع بينك وبين سيدتي شمس النهار باي حيلة فاني تركتها مطروحة وهي تنتظر مني رد الجواب ثم ان الجارية مضت الى سيدتها وبات الجوهري مشوش الخاطر فلما اصبح الصباح صلى الصبح وقعد ينتظر قدومها واذا بها اقبلت وهي فرحانة الى ان دخلت عليه فقال لها ما الخبر يا جارية فقالت مضيت من عندك الى سيدتي ودفعت لها الورقة التي كتبها علي ابن بكار فلما قرأتها وفهمت معناها تحيرت فكرها فقلت لها يا سيدتي لا تخشي من فساد الامر بينكما بسبب غياب ابي الحسن فاني وجدت من يقوم مقامه وهو احسن منه واعلا مقدارا واهلا لكتمان الاسرار

وقد حدثتها بما بينك وبين ابى الحسن وكيف توصلت اليه والى على بن بكار وكيف سقطت تلك الرقعة منى ووقعت انت عليها واخبرتها بما استقر عليه الامر بينى وبينك فتعجب الجوهرى غاية العجب ثم قالت له انها تشتهى ان تسمع كلامك لاجل ان تؤكد عليه فيما بينك وبينه من العهود فاعزم فى هذا الوقت على المسير معى اليها فلما سمع الجوهرى كلام الجارية رأى ان الدخول عليها امر عظيم وخطر جسيم لا يمكن الدخول فيه ولا التهجم عليه فقال الجوهرى للجارية يا اختى انى من اولاد العوام ولم اكن كابى الحسن لان ابا الحسن كان رفيع المقدار معروفا بالاشتهار مترددا على دار الخلافة لاحتياجهم الى بضاعته واما انا فان ابا الحسن كان يحدثنى وانا ارتعد بين يديه واذا كانت سيدتك رغبت فى حديثى اياها فينبغى ان يكون ذلك فى غير دار الخلافة بعيدا عن محل امير المؤمنين لان جنانى لا يطاوعنى على ما تقولين ثم انه امتنع من المسير معها وصارت تتضمن له السلامة وتقول له لا تخش ولا تخف فبينما هما فى هذا الكلام اذ لعبت رجلاه وارتعشت يداه فقالت له الجارية ان كان يصعب عليك الرواح الى دار الخلافة ولا يمكنك المسير معى فانا اجعلها تسير اليك فلا تبرح من مكانك حتى ارجع اليك بها ثم ان الجارية مضت ولم تغب الا قليلا وعادت الى الجوهرى وقالت له احذر ان يكون عندك جارية او غلام فقال ما عندى غير جارية سوداء كبيرة السن تخدمنى فقامت الجارية واغلقت الابواب بين جارية الجوهرى وبينه وصرفت غلمانه الى خارج الدار ثم خرجت الجارية وعادت ومعها جارية خلفها ودخلت دار الجوهرى فاعبقت الدار من الطيب فلما رآها الجوهرى نهض قائما ووضع لها مخدة وجلس بين يديها فمكثت ساعة لم تتكلم حتى استراحت ثم كشفت وجهها فخيل للجوهرى ان الشمس اشرقت فى منزله ثم قالت لجاريتها أهذا الرجل الذى قلت لى عليه فقالت الجارية نعم فالتفتت الى الجوهرى وقالت له كيف حالك قال بخير ودعا لها فقالت انك حملتنا المسير اليك وان نطلعك على ما يكون من سرنا ثم سألته عن اهله وعياله فاخبرها بجميع احواله وقال انها ان لى دارا غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالاصحاب والاخوان وليس لى فيها الا ما ذكرته لجاريتك ثم سألته عن كيفية اطلاعه على اصل القصة فاخبرها بما سألته عنه من اول الامر الى آخره فتاوهت على فراق ابى الحسن وقالت يا فلان اعلم ان ارواح الناس متلائمة فى الشهوات والناس بالناس لا يتم عمل الا بقول ولا يتم غرض الا بسعى ولا تحصل راحة الا بعد تعب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شمس النهار قالت للجوهرى لا تحصل راحة الا بعد تعب ولا يظهر نجاح الا من ذوى مروءة وقد اطلعتك الان على امرنا وصار بيدك هتكنا وسترنا ولا زيادة لما انت عليه من المروءة فانت قد علمت ان جاريتى هذه كاتمة لسرى وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندى وقد اختصصتها لمهمات امورى فلا يكن عندك اعز منها واطلعها على امرك وطب نفسا فانت آمن مما تخافه من جهتنا وما يسد عليك موضع الا وتفتحه لك وهى تأتيك من عندى باخبار على بن بكار وتكون انت الواسطة فى التبليغ بينى وبينه ثم ان شمس النهار قامت وهى لا تستطيع القيام ومشت فمشى بين يديها الجوهرى حتى وصلت الى باب الدار ثم رجع وقعد فى موضعه بعد ان نظر من حسنها ما بهره وسمع من كلامها ما حير عقله وشاهد من ظرفها وادبها ما ادهشه ثم استمر يتفكر فى شمائلها حتى سكنت نفسه

وطلب الطعام فأكل ما يمسك رمقه ثم غير ثيابه وخرج من داره وتوجه الى على بن بكار فلاقاه غلمانه ومشوا بين يديه الى ان اوصلوه الى سيدهم فوجده ملقى على فراشه فلما رأى الجوهرى قال له ابطأت على فزدتنى هما على همى ثم صرف غلمانه وامر بغلق ابوابه وقال له والله ما غمضت عينى من يوم فارقتنى فان الجارية جاءتنى بالامس ومعها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار وحكى له ابن بكار على جميع ما وقع له معها ثم قال لقد تحيرت فى امرى وقل صبرى وكان لى ابو الحسن انيسا لانه يعرف الجارية فلما سمع الجوهرى كلام ابن بكار ضحك فقال له ابن بكار كيف تضحك من كلامى وقد استبشرت بك واتخذتك عدة للنائبات ثم بكى وانشد هذه الابيات

وضاحك من بكائى حين ابصرنى ❋ لو كان قاسى الذى قاسيت ابكاه
لم يرث للمبتلى مما يكابده ❋ الا شجٍ مثله قد طال بلواه
وجدى حنينى انينى فكرتى ولهى ❋ الى حبيب زوايا القلب مأواه
حل الفؤاد مقيما لا يفارقه ❋ وقتا ولكنه قد عز لقياه
مالى سواه خليل ارتضى بدلا ❋ وما اصطفيت حبيبا قط الاه

فلما سمع الجوهرى منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام بكى لبكائه واخبره بما جرى له مع الجارية من حين فارقه فصار ابن بكار يصغى الى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغير لون وجهه من صفرة الى احمرار ويقوى جسمه مرة ويضعف اخرى فلما انتهى الى آخر الكلام بكى ابن بكار وقال له يا اخى انا على كل حال هالك فليت اجلى قريب واسألك من فضلك ان تكون ملاطفى فى جميع امورى الى ان يريد الله بما يريد وانا لا اخالف لك قولا فقال له الجوهرى لا يطفئ عنك هذه النار الا الاجتماع بمن شغفت بها ولكن فى غير هذا المكان الخطر وانما يكون ذلك عندى فى بيت جنب بيتى جاءتنى فيه الجارية هى وسيدتها وهو الموضع الذى اختارته لنفسها والمقصود اجتماعكما بعضكما وفيه تشكوان لبعضكما ما قاسيتما فقال على بن بكار افعل ما تريد والذى تراه هو الصواب قال الجوهرى فاقمت عنده تلك الليلة اسامره الى ان اصبح الصباح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجوهرى قال فاقمت تلك الليلة عند على بن بكار اسامره الى ان اصبح الصباح ثم صليت الصبح وخرجت من عنده وذهبت الى منزلى فما استقريت الا قليلا حتى جاءت الجارية وسلمت على فرددت عليها السلام وحدثتها بما كان بينى وبين على بن بكار فقالت الجارية اعلم ان الخليفة توجه من عندنا وان مجلسنا لا احد فيه وهو استر لنا واحسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلى هذا فانه استر لنا واليق بنا فقالت الجارية ان الرأى ما تراه انت وانا ذاهبة الى سيدتى لاخبرها بما ذكرت واعرض عليها ما قلت ثم ان الجارية توجهت الى سيدتها وعرضت عليها الكلام وعادت الى منزلى وقالت لى ان سيدتى رضيت بما قلته ثم ان الجارية اخرجت من جيبها كيسا فيه دنانير وقالت لى ان سيدتى تسلم عليك وتقول لك خذ هذا واقض لنا به ما نحتاج اليه فاقسمت انى لا اصرف شيأ منه فاخذته الجارية وعادت الى سيدتها وقالت لها انه ما قبل الدراهم بل دفعها الى وبعد رواح الجارية ذهبت الى دارى الثانية وحولت اليها من الالات والفرش ما يحتاج اليه الحال ونقلت اليها اوانى الفضة والصينى

وهيأت جميع ما نحتاج اليه من المأكل والمشرب فلما حضرت الجارية ونظرت ما فعلته اعجبها
وامرتنى باحضار على بن بكار فقلت ما يحضر به الا انت فذهبت اليه واحضرته على اتم حال وقد راقت
محاسنه فلما جاء قابلته ورحبت به ثم اجلسته على مرتبة تصلح له ووضعت بين يديه شيأ من المشموم فى بعض
الاوانى الصينى والبلور وصرت اتحدث معه نحو ساعة من الزمان ثم ان الجارية مضت وغابت الى بعد
صلاة المغرب ثم عادت ومعها شمس النهار ووصيفتان لا غير فلما رأت عليا بن بكار ورآها سقطا على الارض
مغشيا عليهما واستمرا ساعة زمانية ولما افاقا اقبلا على بعضهما ثم جلسا يتحدثان بكلام رقيق وبعد
ذلك استعملا شيأ من الطيب ثم انهما صارا يشكران صنيعى معهما فقلت لهما هل لكما فى شئ من الطعام
فقالا نعم فاحضرت شيأ من الطعام فاكلا حتى اكتفيا ثم غسلا ايديهما ثم نقلتهما الى مجلس
آخر واحضرت لهما الشراب فشربا وسكرا ومالا على بعضهما ثم ان شمس النهار قالت لى يا سيدى كمل
جميلك واحضر لنا عودا او شيأ من آلات الملاهى حتى انا نكمل حظنا فى هذه الساعة فقلت على رأسى
وعينى ثم انى قمت واحضرت عودا فاخذته واصلحته ثم انها وضعته فى حجرها وضربت عليه ضربا بليغا
ثم انشدت هذين البيتين

ارقت حتى كانى اعشق الارقا ＊ وذبت حتى تراءى السقم لى خلقا

وفاض دمعى على خدى فاحرقه ＊ ياليت شعرى هل بعد الفراق لقا

ثم انها اخذت فى غناء الاشعار حتى حيرت الافكار باصوات مختلفات واشارات رايقات وكاد
المجلس ان يطير من شدة الطرب بما اتت فيه من مغانيها بالعجب ثم قال الجوهرى ولما استقر بنا الجلوس
ودارت بيننا الكؤس اطربت الجارية بالنغمات وانشدت هذه الابيات

وعد الحبيب بوصله ووفى لى ＊ فى ليلة ساعدها بليالى

ياليلة سمح الزمان لنا بها ＊ فى غفلة الواشين والعذال

بات الحبيب يضمنى بيمينه ＊ من فرحتى فضممته بشمال

عانقته ورشفت خمرة ريقه ＊ وحظيت بالمعسول والعسال

ثم ان الجوهرى تركهما فى تلك الدار وانصرف الى دار سكناه وبات فيها الى الصباح ولما اصبح الصبح صلى
فرضه وشرب القهوة وجلس يفكر فى المسير اليهما فى داره الثانية فبينما هو جالس اذ دخل عليه جاره وهو
مرعوب وقال يا اخى ما هان على الذى جرى لك الليلة فى دارك الثانية فقلت له يا اخى واى شئ جرى
فاخبرنى بما حصل فى دارى فقال له ان اللصوص الذين جاؤا الى جيراننا بالامس وقتلوا فلانا واخذوا ماله
قد رأوك بالامس وانت تنقل حوايجك الى دارك الثانية فجاؤا اليها ليلا واخذوا ما عندك وقتلوا ضيوفك
قال الجوهرى فقمت انا وجارى وتوجهنا الى تلك الدار فوجدناها خالية ولم يبق فيها شئ فتحيرت
فى امرى وقلت اما الامتعة فلا ابالى بضياعها وان كنت استعرت بعض امتعة من اصحابى وضاعت فلا
بأس بذلك لانهم عرفوا عذرى بذهاب مالى ونهب دارى واما على بن بكار ومحظية امير المؤمنين فاخشى
ان يشتهر الامر بينهما فيكون ذلك سبب رواح روحى ثم ان الجوهرى التفت الى جاره وقال له انت
اخى وجارى وتستر عورتى فما الذى تشير به على من الامور فقال الرجل للجوهرى الذى اشير به عليك ان
تتربص فان الذين دخلوا دارك واخذوا متاعك قد قتلوا احسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة
من دار صاحب الشرطة واعوان الدولة يدورون عليهم فى جميع الطرق فلعلهم يجدونهم فيحصل مرادك

بغيرسعى منك فلما سمع الجوهرى هذا الكلام رجع الى داره التى هو ساكن بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجوهرى لما سمع هذا الكلام رجع الى داره التى هو ساكن بها وقال فى نفسه ان الذى حصل لى هو الذى خاف منه ابو الحسن وذهب الى البصرة وقد وقعت فيه ثم ان نهب داره اشتهر عند الناس فاقبلوا اليه من كل جانب ومكان فمنهم من هو شامت به ومنهم من هو حامل همه فصار يشكو لهم ولم يأكل طعاما ولم يشرب شرابا فبينما هو جالس متندم واذا بغلام من غلمانه دخل عليه وقال له ان شخصا بالباب يدعوك لم اعرفه فخرج اليه الجوهرى وسلم عليه فوجده انسانا لم يعرفه فقال له الرجل ان لى حديثا بينى وبينك فادخله الدار وقال له ما عندك من الحديث فقال الرجل امض معى الى دارك الثانية فقال الجوهرى وهل تعرف دارى الثانية فقال ان جميع خبرك عندى وعندى ايضا ما يفرج الله به همك فقلت فى نفسى انا امضى معه حيث اراد ثم توجهت الى ان اتينا الدار فلما رأى الرجل الدار قال انها بغير بواب ولا يمكن القعود فيها فامض معى الى غيرها فلم يزل الرجل يدور بى من مكان الى مكان وانا معه حتى دخل علينا الليل ولم اسأله عن امر من الامور ثم انه لم يزل يمشى وانا امشى معه حتى خرجنا الى الفضاء وهو يقول اتبعنى وصار يهرول فى مشيه وانا اهرول وراءه حتى وصلنا الى البحر فطلع بنا فى زورق وقذف بنا الملاح حتى عدانا الى البر الثانى فنزل من ذلك الزورق ونزلت خلفه ثم انه اخذ بيدى ونزل بى فى درب لم ادخله طول عمرى ولم اعلم هو فى اى ناحية ثم ان الرجل وقف على باب دار وفتحها ودخل وادخلنى معه واغلق بابها بقفل من حديد ثم مشى بى فى دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كانهم رجل واحد وهم اخوة فلما دخلنا عليهم سلم عليهم ذلك الرجل فردوا عليه السلام ثم امرونى بالجلوس فجلست وكنت ضعفت من شدة التعب فجاؤا الى بماء ورد ورشوه على وجهى وسقونى شرابا وقدموا الى طعاما فقلت لو كان فى الطعام شئ مضر ما اكلوا معى فلما غسلنا ايدينا عاد كل منا الى مكانه وقالوا هل تعرفنا فقلت لا ولا عمرى عرفت موضعكم بل ولا اعرف من جاء بى اليكم فقالوا اطلعنا على خبرك ولا تكذب فى شئ فقلت لهم اعلموا ان حالى عجيب وامرى غريب فهل عندكم شئ من خبرى قالوا نعم نحن الذين اخذنا امتعتك فى الليلة الماضية واخذنا صديقك والتى كانت تغنى فقلت لهم اسبل الله عليكم ستره اين صديقى هو والتى كانت تغنى فاشاروا الى بايديهم الى ناحية وقالوا هاهنا ولكن والله يا اخى ما ظهر على سرهما احد منا ومن حيث اتينا بهما لم نجتمع بهما ولم نسألهما عن حالهما لما رأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هو الذى منعنا عن قتلهما فاخبرنا عن حقيقة امرهما وانت فى امان على نفسك وعليهما قال الجوهرى فلما سمعت هذا الكلام كدت ان اهلك من الخوف والفزع وقلت لهم اعلموا ان المروءة اذا ضاعت لم توجد الا عندكم واذا كان عندى سر اخاف افشاءه فلا يخفيه الا صدوركم وصرت ابالغ فى هذا المعنى ثم انى وجدت المبادرة لهم بالحديث انفع من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لى حتى انتهيت الى آخر الحديث فلما سمعوا حكايتى قالوا وهل هذا الفتى على بن بكار وهذه شمس النهار واعتذروا لهما ثم قالوا لى ان الذى اخذناه من دارك ذهب بعضه وهذا ما بقى منه ثم ردوا الى اكثر الامتعة والتزموا انهم يعيدونها الى محلها فى دارى ويردون لى الباقى ولكنهم انقسموا نصفين فصار قسم منهم معى وقسم منهم على ثم خرجنا

من تلك الدار هذا ما كان من امرى واما ما كان من امر على بن بكار وشمس النهار فانهما قد اشرفا على الهلاك من الخوف ثم تقدمت الى على بن بكار وشمس النهار وسلمت عليهما وقلت لهما ياترى كيف جرى بالجارية والوصيفتين واين ذهبن فقالا لا علم لنا بهن ولم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المكان الذى فيه الزورق فاطلعونا فيه واذا هو الزورق الذى عدينا فيه بالامس فقذف بنا الملاح حتى اوصلنا الى البر الثانى فانزلونا فاستقر بنا الجلوس على جانب البر حتى جاءت خيالة واحاطوا بنا من كل جانب فوثب الذين معنا عاجلا كالعقاب فرجع لهم الزورق فنزلوا فيه وصار بهم فى البحر وبقيت انا وعلى بن بكار وشمس النهار على شاطئ البحر لا نستطيع حركة ولا سكونا فقال لنا الخيالة من اين انتم فتحيرنا فى الجواب قال الجوهرى فقلت لهم ان الذين رأيتموهم معنا لا نعرفهم واما نحن فرأيناهم هنا واما نحن فمغنون وارادوا اخذنا لنغنى لهم فما تخلصنا منهم الا بالحيلة ولين الكلام فافرجوا عنا فى هذه الساعة وقد كان منهم ما رأيتم من امرهم فنظر الخيالة الى شمس النهار والى على بن بكار ثم قالوا لى لست صادقا فى كلامك فان كنت صادقا فاخبرنا من انتم ومن اين انتم وما موضعكم وفى اى الحارات انتم ساكنون قال الجوهرى فلم ادر ما اقول فوثبت شمس النهار وتقدمت الى مقدم الخيالة وتحدثت معه سرا فنزل من فوق جواده واركبها عليه واخذ بزمامها وصار يقودها وكذلك فعل بعلى بن بكار وفعل بى ايضا ثم ان مقدم الخيالة لم يزل سائرا بنا الى موضع على جانب البحر وصاح بالرطانة فاقبل له جماعة من البرية فطلعنا المقدم فى زورق وطلع اصحابه فى زورق آخر وقذفوا بنا الى ان انتهينا الى دار الخلافة ونحن نكابد الموت من شدة الخوف ولم نزل سائرين الى ان انتهينا الى المحل الذى نتوصل منه الى موضعنا فنزلنا على البر ومشينا ومعنا جماعة من الخيالة يؤانسونا الى ان دخلنا الدار وحين دخلناها ودعنا من كان معنا من الخيالة ومضوا الى حال سبيلهم واما نحن فقد دخلنا مكاننا ونحن لا نقدر ان نتحرك من مكاننا ولا ندرى الصباح من المساء ولم نزل على هذه الحالة الى ان اصبح الصباح فلما جاء آخر النهار سقط على بن بكار مغشيا عليه وبكى عليه النساء والرجال وهو مطروح لم يتحرك فجاءنى بعض اهله وقالوا احدثنا بما جرى لولدنا واخبرنا بسبب الحال الذى هو فيه فقلت لهم يا قوم اسمعوا كلامى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجوهرى قال لهم يا قوم اسمعوا كلامى ولا تتعرضوا لى بمكروه واصبروا وهو يفيق ويخبركم بقصته بنفسه ثم شددت عليهم وخوفتهم من الفضيحة بينى وبينهم فبينما نحن كذلك واذا بعلى بن بكار تحرك فى فراشه ففرح اهله وانصرف الناس عنه ومنعنى اهله من الخروج من عنده ثم رشوا ماء الورد على وجهه فلما افاق وشم الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم ولسانه لا يرد جوابا بسرعة ثم اشار اليهم ان يطلقونى لاذهب الى منزلى فاطلقونى فخرجت وانا لا اصدق بالخلاص واتيت الى دارى وانا بين رجلين حتى وصلت الى اهلى فلما رأونى على تلك الحالة لطموا على وجوههم فاومأت اليهم بيدى ان اسكتوا فسكتوا وانصرف الرجلان الى حال سبيلهما وانقلبت على فراشى بقية ليلتى ولم افق الى وقت الضحى فوجدت اهلى مجتمعين حولى يقولون ما الذى دهاك وبشر رماك فقلت ائتونى بشئ من الشراب فجاؤا لى بشراب شربت منه حتى استكفيت ثم قلت لهم قد كان ما كان فانصرفوا الى حال

سبيلهم ثم اعتذرت الى اصحابى وسألتهم عن الذى ذهب من دارى هل عاد شئ منه فقالوا عاد البعض وسببه انه جاء انسان ورماه فى باب الدار ولم تنظره فسليت نفسى واقمت فى مكانى يومين وانا لا اقدر على القيام من محلى ثم قويت نفسى ومشيت حتى دخلت الحمام وانا قلبى مشغول من جهة ابن بكار وشمس النهار ولم اسمع لهما خبرا فى تلك المدة ولم استطع الوصول الى دار على بن بكار ولم يستقر لى قرار فى مكانى خوفا على نفسى ثم تبت الى الله تعالى عن ما صدر منى وحمدته على سلامتى وبعد مدة حدثتنى نفسى ان اقصد تلك الناحية وارجع فى ساعة فلما اردت المسير رأيت امرأة واقفة فتأملتها واذا هى جارية شمس النهار فلما عرفتها سرت وهرولت فى سيرى فتبعتنى فداخلنى منها الفزع وصرت كلما انظرها يأخذنى الرعب منها وهى تقول لى قف حتى احدثك بشئ وانا لم التفت اليها ولم ازل سائرا الى مسجد فى موضع خال من الناس فقالت لى ادخل هذا المسجد لاقول لك كلمة ولا تخف من شئ وحلفتنى فدخلت المسجد ودخلت خلفى فصليت ركعتين ثم تقدمت اليها وانا اتأوه وقلت لها ما بالك فسألتنى عن حالى فحدثتها بما وقع لى واخبرتها بما جرى لعلى بن بكار وقلت لها ما خبرك فقالت اعلم انى لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا خفت منهم وخشيت ان يكونوا من عند الخليفة فيأخذونى انا وسيدتى فتهلك من وقتنا فهربت من السطوح انا والوصيفتان ورمينا انفسنا من مكان عال ودخلنا على قوم فهربنا عندهم حتى وصلنا الى قصر الخلافة ونحن على اقبح صفة ثم اخفينا امرنا وصرنا نتقلب على الجمر الى ان جن الليل ففتحت باب البحر واستدعيت بالملاح الذى اخرجنا تلك الليلة وقلت له ان سيدتى لم نعلم لها خبرا فاحملنى فى الزورق حتى افتش عليها فى البحر لعلى اقع على خبرها فحملنى فى الزورق وسار بى ولم ازل سائرة فى البحر حتى انتصف الليل فرأيت زورقا اقبل الى جهة الباب وفيه رجل يقذف ومعه رجل آخر وامرأة مطروحة بينهما ولا زال يقذف حتى وصل الى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فاذا هى شمس النهار فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعد ما قطعت الرجاء منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهرى فنزلت اليها وقد اندهشت من الفرح بعد ان قطعت الرجاء منها فلما تقدمت بين يديها امرتنى ان ادفع الى الرجل الذى جاء بها الف دينار ثم حملتها انا والوصيفتان الى ان القيناها على فراشها فاقامت تلك الليلة على حالة مكدرة فلما اصبح الصباح منعت الجوارى والخدم من الدخول عليها والوصول اليها ذلك اليوم وفى ثانى يوم افاقت مما كان بها فوجدتها كانما قد خرجت من مقبرة فرششت على وجهها ماء الورد وغيرت ثيابها وغسلت يديها ورجليها ولم ازل الاطفها حتى اطعمتها شيأ من الطعام واسقيتها شيأ من الاشربة وهى ليس لها قابلية فى شئ من ذلك فلما شمت الهواء وتوجهت اليها العافية قلت لها يا سيدتى ارفقى بنفسك فقد حصل لك من المشقة ما فيه الكفاية فانك قد اشرفت على الهلاك فقالت والله يا جارية الخير ان الموت عندى اهون مما جرى لى فانى كنت مقتولة لا محالة لان اللصوص لما خرجوا بنا من دار الجوهرى سألونى وقالوا من انت وما شأنك فقلت انا جارية من المغنيات فصدقونى ثم سألوا عليا بن بكار عن نفسه وقالوا له من انت وما شأنك فقال انا من عوام الناس فاخذونا وسرنا معهم الى ان انتهوا بنا الى موضعهم ونحن نسرع فى السير معهم من شدة

الخوف فلما استقروا بنا في اماكنهم تأملوني ونظروا ما علي من الملبوس والعقود والجواهر فانكروا امري وقالوا ان هذه العقود لم تكن لواحدة من المغنيات ثم قالوا لي اصدقينا وقولي لنا الحق ما قضيتك فلم ارد عليهم جوابا بشيء وقلت في نفسي الان يقتلونني لاجل ما علي من الحلي والحلل فلم انطق بكلمة ثم التفتوا الى علي ابن بكار وقالوا له ومن اين انت فان رؤيتك غير رؤية العوام فسكت وصرنا نكتم امرنا ونبكي فحنن الله علينا قلوب اللصوص فقالوا لنا من صاحب الدار التي كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلان الجوهري فقال واحد منهم انا اعرفه حق المعرفة واعرف انه ساكن في داره الثانية وعلي ان آتيكم به في هذه الساعة واتفقوا على ان يجعلوني في موضع وحدي وعليا بن بكار في موضع وحده وقالوا لنا استريحا ولا تخافا ان ينكشف خبركما وانتم في امان منا ثم ان صاحبهم مضى الى الجوهري واتى به وكشف امرنا لهم واجتمعنا عليه ثم ان رجلا منهم احضر لنا زورقا واطلعونا فيه وعدوا بنا الى الجانب الثاني ورمونا الى البر وذهبوا فاتت خيالة من اصحاب العسس وقالوا من تكونوا فتكلمت مع مقدم العسس وقلت له انا شمس النهار محظية الخليفة فاني سكرت وخرجت لبعض معارفي من نساء الوزراء فجاء في اللصوص فاخذوني واوصلوني الى هذا المكان فلما رأوكم فروا هاربين وانا قادرة على مكافاتك فلما سمع كلامي مقدم الخيالة عرفني ونزل عن مركوبه واركبني وفعل كذلك مع علي بن بكار والجوهري وفي كبدي الان من اجلهما لهيب النار لاسيما الجوهري رفيق ابن بكار فامضي اليه وسلمي عليه واستخبريه عن علي بن بكار فلمتها على ما وقع منها وحذرتها وقلت لها يا سيدتي خافي على نفسك فصاحت علي وغضبت من كلامي ثم قمت من عندها وجئت اليك فلم اجدك وخشيت من الرواح الى ابن بكار فصرت واقفة ارتقبك حتى اسألك عنه واعلم ما هو فيه فاسألك من فضلك ان تأخذ مني شيأ من المال فانك ربما استعرت امتعة من اصحابك وضاعت عليك فيحتاج ان تعوض على الناس ما ذهب لهم من الامتعة عندك قال الجوهري فقلت سمعا وطاعة ثم مشيت معها الى ان اتينا الى قرب محلي فقالت لي قف هنا حتى اعود اليك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهري قف هنا حتى اعود اليك ومضت ثم عادت وهي حاملة المال فاعطته للجوهري وقالت له يا سيدي فمتى نجتمع بك في اي محل قال الجوهري فقلت لها اتوجه الى داري في هذه الساعة واتحمل الصعوبة لاجل خاطرك واتدبر فيما يوصلك اليه فانه يتعذر الوصول اليه في هذا الوقت ثم ودعتني ومضت فحملت المال واتيت به الى منزلي وعددت المال فوجدته خمسة الاف دينار فاعطيت اهلي منه شيأ ومن كان له عندي شيء اعطيته عوضا عنه ثم اني اخذت غلماني وذهبت الى الدار التي ضاعت منها الامتعة وجئت بالنجارين والبنائين فاعادوها الى ما كانت عليه وجعلت جاريتي فيها ونسيت ما جرى لي ثم تمشيت واتيت الى دار علي بن بكار فلما وصلت اليها اقبل غلمانه علي وقال لي واحد منهم ان غلمان سيدي في طلبك ليلا ونهارا ووعدهم ان كل من اتاه بك يعتقه فهم يفتشون عليك ولم يعرفوا لك موضعا وقد رجعت الى سيدي عافيته وهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرك ويقول لابد ان تحضروه لي لحظة ويعود الى حال سبيله قال الجوهري فذهبت مع الغلام الى سيده فوجدته لا يستطيع الكلام فلما رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيه فلما رآني بكى وقال لي

اهلا ومرحبا ثم سند ته واجلسته وضممته الى صدرى فقال لى اعلم يا اخى انى من حين رقدت ما جلست الا فى هذه الساعة فالحمد لله على مشاهدتك قال الجوهرى فلم ازل اسنده حتى اوقفته على رجليه ومشيته خطوات وغيرت اثوابه وشرب شرابا فلما رأيت عليه علامة العافية حدثته بما كان من الجارية ولم يسمعنى احد ثم قلت له شد حيلك فانا اعرف ما بك فتبسم فقلت له انك لا تجد الا ما يسرك ويداويك ثم ان عليا بن بكار امر باحضار الطعام فاحضروه واشار الى غلمانه فتفرقوا ثم قال لى يا اخى هل رأيت ما اصابنا واعتذر لى وسألنى عن حالى فى هذه المدة فاخبرته بجميع ما جرى لى من الاول الى الآخر فتعجب ثم قال للخدم ائتونى بكذا وكذا فاتوه بفرش نفيس وغير ذلك من تعاليق الذهب والفضة اكثر من الذى ضاع لى واعطانى جميع ذلك فارسلته الى منزلى واقمت عنده ليلتى فلما اسفر الصبح قال لى اعلم ان لكل شئ نهاية ونهاية الهوى الموت او الوصال وانا الى الموت اقرب فياليتنى مت قبل الذى جرى ولولا ان الله لطف بنا لافتضحنا ولا ادرى ما الذى يوصلنى الى الخلاص مما انا فيه ولولا خوفى من الله لعجلت على نفسى بالهلاك واعلم يا اخى انى كالطير فى القفص وان نفسى هالكة من الغصص ولكن لها وقت معلوم واجل مختوم ثم افاض دمع العين وانشد هذين البيتين

شكا الم الفراق الناس قبلى * وروع بالنوى حى وميت
واما مثل ما ضمت ضلوعى * فانى ما سمعت ولا رأيت

فلما فرغ من شعره قال له الجوهرى يا سيدى اعلم انى عزمت على الذهاب الى دارى فلعل الجارية ترجع الى بخبر فقال على بن بكار لا بأس بذلك ولكن اسرع بالعود عندنا لاجل ان تخبرنى قال الجوهرى فودعته وانصرفت الى دارى فلم يستقر بى الجلوس حتى رأيت الجارية اقبلت وهى فى بكاء ونحيب فقلت لها ما سبب ذلك فقالت يا سيدى اعلم انه حل بنا ما حل من امر نخافه فانى لما مضيت من عندك بالامس وجدت سيدتى مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين اللتين كانتا معنا تلك الليلة وامرت بضربها فخافت من سيدتها وهربت فلاقاها بعض الموكلين بالباب فاخذها واراد ردها الى سيدتها فلوحت له بالكلام فلاطفها واستنطقها عن حالها فاخبرته بما كنا فيه فبلغ الخبر الى الخليفة فامر بنقل سيدتى شمس النهار وجميع مالها الى دار الخلافة ووكل بها عشرين خادما ولم اجتمع بها الى الآن ولم اعلمها بالسبب وتوهمت انه بسبب ذلك فخشيت على نفسى واحترت يا سيدى ولم ادر كيف احتال فى امرى وامرها ولم يكن عندها احفظ لكتمان السر منى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت للجوهرى ان سيدتى لم يكن عندها احفظ لكتمان السر منى فتوجه يا سيدى الى على بن بكار سريعا واخبره بذلك لاجل ان يكون على اهبة فاذا انكشف الامر تدبر فى شئ نفعله لنجاة انفسنا قال الجوهرى فاخذنى من ذلك هم عظيم وصار الكون فى وجهى ظلاما من كلام الجارية وهمت الجارية بالانصراف فقلت لها وما الرأى فقالت لى الرأى ان تبادر الى على بن بكار ان كان صديقك وتريد له النجاة وانت عليك تبليغ هذا الخبر له بسرعة وانا على ان اتقيد باستنشاق الاخبار ثم ودعتنى وخرجت فلما خرجت الجارية قمت وخرجت فى اثرها وتوجهت الى على بن بكار فوجدته يحدث نفسه بالوصال ويعللها بالمحال فلما رآنى رجعت اليه عاجلا قال لى انى ارالك رجعت الى فى الحال

فقلت له اقصر من التعلق المطال ودع ما انت فيه من الاشتغال فقد حدث حادث يفضي الى تلف نفسك وما لك فلما سمع هذا الكلام تغير حاله وانزعج وقال للجوهري يا اخي اخبرني بما وقع فقال له الجوهري يا سيدي اعلم انه قد جرى ما هو كذا وكذا وانك ان اقمت في دارك هذه الى آخر النهار تالف ولا محالة فبهت على ابن بكار وكادت روحه ان تفارق جسده ثم استرجع بعد ذلك وقال له ماذا افعل يا اخي وما عندك من الرأي قال الجوهري فقلت له الرأي ان تأخذ معك من مالك ما تقدر عليه ومن غلمانك ما تثق به وان تمضي بنا الى ديار غير هذه قبل ان ينقضي هذا النهار فقال لي سمعا وطاعة ثم وثب وهو متحير في امره فتارة يمشي وتارة يقع واخذ ما قدر عليه واعتذر الى اهله واوصاهم بمقصوده واخذ معه ثلاثة جمال محملة وركب دابته وقد فعلت انا كما فعل ثم خرجنا خفية وسرنا ولم نزل سائرين باقي يومنا وليلتنا فلما كان آخر الليل حططنا حمولنا وعقلنا جمالنا ونمنا فحل علينا التعب وغفلنا عن انفسنا واذا باللصوص احاطوا بنا واخذوا جميع ما كان معنا وقتلوا الغلمان لما ارادوا ان يمنعوا عنا ثم تركونا مكاننا ونحن في اقبح حال بعد ان اخذوا المال وساروا فلما افقنا مشينا الى ان اصبح الصباح فوصلنا الى بلدة فدخلناها وقصدنا مسجدها ونحن عرايا وجلسنا في جنب المسجد باقي يومنا فلما جاء الليل بتنا في المسجد تلك الليلة ونحن من غير اكل ولا شرب فلما اصبح الصباح صلينا الصبح وجلسنا واذا برجل داخل فسلم علينا وصلى ركعتين ثم التفت الينا وقال يا جماعة هل انتم غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرونا ودخلنا هذه البلد ولم نعرف فيها احدا نأوي عنده فقال لنا الرجل هل لكم ان تقوموا معي الى داري قال الجوهري فقلت لعلي ابن بكار قم بنا معه فنتخلص من امرين الاول اننا نخشى ان يدخل علينا احد يعرفنا في هذا المسجد فنفتضح والثاني اننا ناس غرباء وليس لنا مكان نأوي اليه فقال علي بن بكار افعل ما تريد ثم ان الرجل قال لنا ثاني مرة يا فقراء اطيعوني وسيروا معي الى مكاني قال الجوهري فقلت له سمعا وطاعة ثم ان الرجل خلع لنا شيأ من ثيابه والبسنا ولاطفنا فقمنا معه الى داره فطرق الباب فخرج الينا خادم صغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم ان الرجل امر باحضار بقجة فيها اثواب وشاشات فالبسنا حلتين واعطانا شاشين فتعممنا وجلسنا واذا بجارية اقبلت الينا بمائدة ووضعتها بين ايدينا فاكلنا شيأ يسيرا ورفعت المائدة ثم اقمنا عنده الى ان دخل الليل فتأوه علي بن بكار وقال للجوهري يا اخي اعلم اني هالك لا محالة واريد ان اوصيك وصية وهو انك اذا رأيتني مت تذهب الى والدتي وتخبرها ان تأتي الى هذا المكان لاجل ان تأخذ عزائي وتحضر غسلي واوصها ان تكون صابرة على فراقي ثم وقع مغشيا عليه فلما افاق سمع جارية تغني من بعيد وتنشد الاشعار فصار يصغي اليها ويسمع صوتها وهو تارة يسكر وتارة يصحو وتارة يبكي شجنا وحزنا مما اصابه فسمع الجارية تطرب بالنغمات وتنشد هذه الابيات

عجل البين بيننا بالفراق * بعد الف وجيرة واتفاق
فرقت بيننا صروف الليالي * ليت شعري متى يكون التلاقي
ما امر الفراق بعد اجتماع * ليته ما اضر بالعشاق
غصة الموت ساعة ثم تقضي * وفراق الحبيب في القلب باق
لو وجدنا الى الفراق سبيلا * لاذقنا الفراق طعم الفراق

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة ففارقت روحه جسده قال الجوهري فلما رأيته مات

اوصيت عليه صاحب الدار وقلت له اعلم انى متوجه الى بغداد لاخبر والدته واقاربه حتى يأتوا ليجهزوه ثم انى توجهت الى بغداد ودخلت دارى وغيرت ثيابى وبعد ذلك ذهبت الى دار على بن بكار فلما رآنى غلمانه اتوا الى وسألونى عنه وسألتهم ان يستأذنوا لى والدته فى الدخول عليها فاذنت لى بالدخول فدخلت وسلمت عليها وقلت ان الله اذا قضى امرا لا مفر من قضائه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا فتوهمت ام على بن بكار من هذا الكلام ان ابنها قد مات فبكت بكاء شديدا ثم قالت بالله عليك ان تخبرنى هل توفى ولدى فلم اقدر ان ارد عليها جوابا من كثرة الجزع فلما رأتنى على تلك الحالة تخنقت بالبكاء ثم وقعت على الارض مغشيا عليها فلما افاقت من غشيتها قالت ما كان من امر ولدى فقلت لها اعظم الله اجرك فيه ثم انى حدثتها بما كان من امره من المبتدا الى المنتهى قالت هل اوصاك بشىء فقلت لها نعم واخبرتها بما اوصانى به وقلت لها اسرعى فى تجهيزه فلما سمعت ام على بن بكار كلامى سقطت مغشيا عليها فلما افاقت عزمت على ما اوصيتها به ثم انى رجعت الى دارى وصرت فى الطريق اتفكر فى حسن شبابه فبينما انا كذلك واذا بامرأة قد قبضت على يدى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجوهرى قال واذا بامرأة قد قبضت على يدى فتأملتها فرأيتها الجارية التى كانت تأتى من عند شمس النهار وقد علاها الانكسار فلما تعارفنا بكينا جميعا حتى اتينا الى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر على بن بكار فقالت لا والله فاخبرتها بخبره وما كان من امره ثم انى قلت لها فكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل فيها امير المؤمنين قول احد لشدة محبته لها وقد حمل جميع امورها على المحامل الحسنة وقال لها يا شمس النهار انت عندى عزيزة وانا اتحملك على رغم اعدائك ثم امر لها بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحة وصارت عنده من ذلك فى قبول عظيم فاتفق انه جلس يوما من الايام على جرى عادته للشراب وحضرت المحاظى بين يديه فاجلسهن فى مراتبهن واجلسها بجانبه وقد عدمت صبرها وزاد امرها فعند ذلك امر جارية من الجوارى ان تغنى فاخذت العود وضربت به وجعلت تقول

وداع دعانى للهوى فاجبته ❊ ودمعى يخط الوجد خطا على خدى
كأن دموع العين تخبر حالنا ❊ فتبدى الذى اخفى وتخفى الذى ابدى
فكيف اروم السر او اكتم الهوى ❊ وفرط غرامى فيك يظهر ما عندى
وقد طاب موتى عند فقد احبتى ❊ فياليت شعرى ما يطيب لهم بعدى

فلما سمعت شمس النهار انشاد تلك الجارية لم تستطع الجلوس ثم سقطت مغشيا عليها فرمى الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وضجت الجوارى وقلبها امير المؤمنين فوجدها ميتة فحزن امير المؤمنين لموتها وامر ان يكسر جميع ما كان فى الحضرة من الالات والقوانين وحملها فى حجرة بعد موتها ومكث عندها باقى ليلته فلما طلع النهار جهزها وامر بغسلها وتكفينها ودفنها وحزن عليها حزنا كثيرا ولم يسأل عن حالها ولا عن الامر الذى كانت فيه ثم قالت الجارية للجوهرى سألتك بالله ان تعلمنى بوقت خروج جنازة على بن بكار وان تحضر فى دفنه فقال لها اما انا ففى اى محل شئت تجدينى واما انت فمن يستطيع

الوصول اليك فى المحل الذى انت فيه فقالت له ان امير المؤمنين لما مات شمس النهار اعتق جواريها من يوم موتها وانا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها فى المحل الفلانى فقمت معها واتيت الى المقبرة وزرت شمس النهار ثم مضيت الى حالى ولم ازل انتظر جنازة على بن بكار الى ان جاءت فخرجت له اهل بغداد وخرجت معهم فوجدت الجارية بين النساء وهى اشدهن حزنا ولم ار جنازة ببغداد اعظم من هذه الجنازة ومازلنا فى ازدحام عظيم الى ان انتهينا الى قبره ودفناه وصرت لا انقطع عن زيارته ولا عن زيارة شمس النهار هذا ما كان من حديثهما وليس هذا باعجب من حديث الملك شهرمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان ملك يسمى شهرمان صاحب عسكر وخدم واعوان الا انه كبر سنه ورق عظمه ولم يرزق بولد فتفكر فى نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال انى اخاف اذا مت ضاع الملك لانه ليس لى ولد يتولاه بعدى فقال له ذلك الوزير لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فتوكل على الله ايها الملك وتوضأ وصل ركعتين ثم جامع زوجتك لعلك تبلغ مطلوبك فجامع زوجته فحملت فى تلك الساعة ولما كملت اشهرها وضعت ولدا ذكرا كانه البدر السافر فى الليل العاكر فسماه قمر الزمان وفرح به غاية الفرح وزينوا المدينة سبعة ايام ودقت الطبول واقبلت البشائر وحملته المراضع والدايات وتربى فى العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة وكان فائقا فى الحسن والجمال والقد والاعتدال وكان ابوه يحبه ولا يقدر ان يفارقه ليلا ولا نهارا فشكى الملك شهرمان لاحد وزرائه فرط محبته لولده وقال ايها الوزير انى خائف على ولدى قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان واريد ان ازوجه فى حياتى فقال له الوزير اعلم ايها الملك ان الزواج من مكارم الاخلاق ولا بأس ان تزوج ولدك فى حياتك فعند ذلك قال الملك شهرمان على بولدى قمر الزمان فحضر واطرق رأسه الى الارض حياء من ابيه فقال له ابوه يا قمر الزمان اعلم انى اريد ان ازوجك وافرح بك فى حياتى فقال له اعلم يا ابى اننى مالى فى الزواج ارب وليست نفسى تميل الى النساء لانى وجدت فى مكرهن كتبا بالروايات وبكيدهن وردت الايات وقال الشاعر

فان تسألونى بالنساء فاننى * خبير باحوال النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء او قل ماله * فليس له من ودهن نصيب

وقال الاخر

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنه * فلن يفوز فتى يعطى النسا رسنه

يعقنه عن كمال فى فضائله * ولو سعى طالبا للعلم الف سنه

ولما فرغ من شعره قال يا ابى ان الزواج شئ لا افعله ابدا ولو سقيت كأس الردى فلما سمع السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واغتم غما شديدا على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما

واغتم على عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له ومن محبته له لم يكرر عليه الكلام في ذلك ولم يغضبه بل اقبل عليه واكرمه ولاطفه بكل ما يجلب المحبة الى القلب كل ذلك وقمر الزمان يزداد كل يوم حسنا وجمالا وظرفا ودلالا فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة حتى صار كامل الفصاحة والملاحة وتهتكت في حسنه الورى وروى لطفه كل نسيم سرى وصار فتنة للعشاق وروضة للمشتاق عذب الكلام يخجل وجهه بدر التمام صاحب قد واعتدال وظرف ودلال كانه غصن بان او قضيب خيزران ينوب خده عن شقائق النعمان وقده عن غصن البان ظريف الشمائل كما قال فيه القائل

بدا فقالوا تبارك الله * جل الذى صاغه وسواه
مليك كل الملاح قاطبة * فكلهم اصبحوا رعاياه
في ريقه شهدة مذوبة * وانعقد الدر في ثناياه
مكملا بالجمال منفردا * كل الورى في جماله تاهو
قد كتب الحسن فوق وجنته * اشهدان لامليح الاهو

فلما تكاملت سنة اخرى لقمر الزمان بن الملك شهرمان دعاه والده اليه وقال له ياولدى اما تسمع مني فوقع قمر الزمان على الارض بين يدى ابيه هيبة واستحى منه وقال له ياابى كيف لا اسمع منك وقد امرنى الله بطاعتك وعدم مخالفتك فقال له الملك شهرمان اعلم ياولدى انى اريدان ازوجك وافرح بك في حياتى واسلطنك في مملكتى قبل مماتى فلما سمع قمر الزمان من ابيه هذا الكلام اطرق رأسه ساعة وبعد ذلك رفع رأسه وقال ياابت هذا شئ لا افعله ابدا ولو سقيت كأس الردى وانا اعلم ان الله فرض على طاعتك فبحق الله عليك لا تكلفنى امر الزواج ولا تظن انى اتزوج طول عمرى لاننى قرأت في كتب المتقدمين والمتأخرين وعرفت جميع ماجرى لهم من المصائب والافات بسبب فتن النساء ومكرهن غير المتناهى وما يحدث عنهن من الدواهى وما احسن قول الشاعر

من كاد العاهرات * فلا يرى من خلاص
ولو بنى الف حصن * مشيدة بالرصاص
فليس يجدى بناها * ولا تفيد الصياصى
ان النسا خائنات * لكل دان وقاص
مخضبات بنان * مظفرات عقاص
مكحلات جفون * مجرعات غصاص

وما احسن قول الاخر

ان النساء وان ادعين لعفة * رمم تقلبها النسور الحوم
في الليل عندك سرها وحديثها * وغدا لغيرك ساقها والمعصم
كالخان تسكنه وتصبح راحلا * فيحل بعدك فيه من لا تعلم

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام لم يرد عليه جوابا من فرط محبته له وزاده من انعامه واكرامه وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض ذلك المجلس طلب الملك شهرمان وزيره واختلى به وقال له ايها الوزير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

قالت

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان طلب وزيره واختلى به وقال له ايها الوزير قل لى ما الذى افعله فى قضية ولدى قمر الزمان فانى استشرتك فى زواجه قبل ان اسلطنه فاشرت على بذلك واشرت على ايضا ان اذكر له امر الزواج فذكرته له فخالفنى فشر على الان بما تراه حسنا فقال له الوزير الذى اشور به عليك الان ايها الملك ان تصبر عليه سنة اخرى فاذا اردت ان تكلمه بعدها فى امر الزواج فلا تكلمه سرا ولكن حدثه فى يوم حكومة ويكون جميع الامراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفون فاذا اجتمع هولاء فارسل الى ولدك قمر الزمان فى تلك الساعة واحضره فاذا احضر فخاطبه فى امر الزواج بحضرة جميع الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة والعساكر واصحاب الصولة فانه يستحى منهم وما يقدر ان يخالفك بحضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحا شديدا واستصوب رأى الوزير فى ذلك وخلع عليه خلعة سنية وصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة وكلما مضى عليه يوم من الايام يزداد حسنا وجمالا وبهجة وكمالا حتى بلغ من العمر قريبا من عشرين عاما والبسه الله حلل الجمال وتوجه بتاج الكمال وصار طرفه اسحر من هاروت وغنج الحاظه اضل من الطاغوت واشرقت خدوده بالاحمرار وازدرت جفونه بالصارم البتار وبياض غرته حكى القمر الزاهر وسواد شعره كانه الليل العاكر وخصره ارق من خيط هميان وردفه اثقل من الكثبان تهيج البلابل على اعطافه ويشكى خصره من ثقل اردافه ومحاسنه حيرت الورى كما قال فيه بعض الشعراء

قسما بوجنته وباسم ثغره * وباسهم قدراشها من سحره
وبلين عطفيه ومرهف لحظه * وبياض غرته واسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن صبه * وسطا عليه بنهيه وبامره
وعقارب قد ارسلت من صدغه * وسعت لقتل العاشقين بهجره
وبورد خديه وآس عذاره * وعقيق مبسمه ولولو ثغره
وبطيب نكهته وسلسال جرى * فى فيه يزرى بالرحيق وعصره
وبردفه المرتج فى حركاته * وسكونه وبرقة فى خصره
وبجود راحته وصدق لسانه * وبطيب عنصره وعالى قدره
ما المسك الامن فضالة خاله * والطيب يروى ريحه عن نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه * وارى الهلال قلامة من ظفره

ثم ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة اخرى حتى حصل يوم موسم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة اخرى حتى حصل يوم موسم تكامل فيه مجلس الملك بالامراء والوزراء والحجاب وارباب الدولة والعساكر واصحاب الصولة ثم ان الملك ارسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبل الارض بين يديه ثلاث مرات ووقف مكتفا يديه ورا

ظهره قدام ابيه فقال له ابوه اعلم ياولدى انى ما احضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع العساكر حاضرون بين ايدينا الا لاجل ان امرك بامر فلا تخالفنى فيه وذلك ان تتزوج لانى اشتهى ان ازوجك بنت ملك من الملوك وافرح بك قبل موتى فلما سمع قمر الزمان من ابيه هذا الكلام اطرق برأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى ابيه ولحقه فى تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة وقال له اما انا فلا اتزوج ابدا ولو سقيت كؤس الردى واما انت فرجل كبير السن صغير العقل اليس انك سألتنى قبل هذا اليوم مرتين غير هذه المرة فى شأن الزواج وانا لا اجيبك الى ذلك ثم ان قمر الزمان فك كاف يديه وشمر عن ذراعيه قدام ابيه وهو فى غيظه فخجل ابوه واستحى حيث حصل ذلك قدام ارباب دولته والعساكر الحاضرين فى الموسم ثم ان الملك شهرمان لحقته شهامة الملك فصرخ على ولده فارعبه وصرخ على المماليك وامرهم بمسكه فمسكوه وامرهم ان يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدى الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل وتكلل وجهه وجبينه بالعرق واشتد به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه ابوه وسبه وقال له ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا كيف يكون هذا جوابك لى بين عساكرى وجيوشى ولكن انت الى الان ما ادبك احد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان ولكن انت الى الان ما ادبك احد اما تعلم ان هذا الامر الذى صدر منك لو صدر من عامى من العوام لكان ذلك قبيحا منه ثم ان الملك امر المماليك ان يحلوا كتافه ويحبسوه فى برج من ابراج القلعة فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التى فى البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سريرا لقمر الزمان وفرشوا له على السرير طراحة ونطعا ووضعوا له مخدة وفانوسا كبيرا وشمعة لان ذلك المكان كان مظلما فى النهار ثم ان المماليك ادخلوا قمر الزمان فى تلك القاعة وجعلوا على باب القاعة خادما فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ما جرى منه فى حق ابيه حيث لا ينفعه الندم وقال خيب الله الزواج والبنات والنساء الخائنات فياليتنى سمعت من والدى وتزوجت فلو فعلت ذلك كان احسن لى من هذا السجن هذا ما كان من امر قمر الزمان واما ما كان من امر ابيه فانه اقام على كرسى مملكته بقية اليوم الى وقت الغروب ثم خلا بالوزير وقال له اعلم ايها الوزير انك كنت السبب فى هذا الذى جرى بينى وبين ولدى كله حيث اشرت على بما اشرت فما الذى تشور به على الان فقال له الوزير ايها الملك دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يوما ثم احضره بين يديك وامره بالزواج فانه لا يخالفك ابدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير قال للملك شهرمان دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يوما ثم احضره بين يديك وامره بالزواج فانه لا يخالفك ابدا فقبل الملك رأى الوزير فى ذلك ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لانه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لم يجيئه نوم حتى يجعل ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام فبات الملك تلك الليلة وهو

مشوش الخاطر من اجله وصار يتقلب من جنب الى جنب كانه نائم على جمر الغضى ولحقه الوسواس ولم يأخذه نوم فى تلك الليلة بطولها وذرفت عيناه بالدموع وانشد قول الشاعر

لقد طال ليلى والوشاة هجوع ❊ وناهيك قلبا بالفراق مروع
اقول وليلى زاد بالهم طوله ❊ اما لك ياضوء الصباح رجوع

وقول الآخر

لما رأيت النجم ساه طرفه ❊ والقطب قد القى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافرا ❊ ايقنت ان صباحهم قد ماتا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان واما ما كان من امر قمر الزمان فانه لما قدم عليه الليل قدم له الخادم الفانوس واوقد له شمعة وجعلها فى شمعدان وقدم له شيأ من المأكل فاكل قليلا وصار يعاتب نفسه حيث اساء الادب فى حق ابيه الملك شهرمان وقال لنفسه الم تعلم ان ابن آدم رهين لسانه وان لسان الادمى هو الذى يوقعه فى المهالك ولم يزل يعاتب نفسه ويلومها حتى غلبت عليه الدموع واحترق قلبه المصدوع وندم على ما خرج من لسانه فى حق الملك غاية الندم وانشد هذين البيتين

يموت الفتى من عثرة من لسانه ❊ وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه تقضى بحتفه ❊ وعثرته بالرجل تبرى على مهل

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من الاكل طلب ان يغسل يديه فغسل يديه من الطعام وتوضأ وصلى المغرب والعشاء وجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان بن الملك شهرمان صلى المغرب والعشاء وجلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمن وتبارك الملك والمعوذتين وختم بالدعاء واستعاذ بالله ونام على السرير فوق طراحة من الاطلس المعدنى لها وجهان وهى محشوة بريش النعام وحين اراد النوم تجرد من ثيابه وخلع لباسه ونام فى قميص مشمع رفيع وكان على رأسه مقنع مروزى ازرق فصار قمر الزمان فى تلك الليلة كانه البدر فى ليلة اربعة عشر ثم تغطى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقود تحت رجليه والشمعة موقودة فوق رأسه ولم يزل نائما الى ثلث الليل الاول ولم يعلم ما خبى له فى الغيب وما قدره عليه علام الغيوب واتفق ان القاعة والبرج كانا عتيقين مهجورين مدة سنين كثيرة وكان فى تلك القاعة بئر رومانى معمور بجنية ساكنة فيه وهى من ذرية ابليس اللعين واسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهورين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط احد ملوك الجان المشهورين فلما استمر قمر الزمان نائما الى ثلث الليل الاول طلعت تلك العفريتة من البئر الرومانى وقصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت فى اعلى البئر رأت نورا ضيأ فى البرج على خلاف العادة وكانت تلك العفريتة مقيمة فى ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت فى نفسها انا ما عهدت هنا شيأ من ذلك وتعجبت

من هذا الامر غاية العجب وخطر ببالها انه لابد لذلك من سبب ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجا من القاعة فدخلتها ووجدت الخادم نائما على بابها ولما دخلت القاعة وجدت سريرا منصوبا وعليه هيئة انسان نائم وشمعة مضيئة عند رأسه وفانوس مضيء عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت اليه قليلا قليلا وارخت اجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجهه ونظرت اليه واستمرت باهتة فى حسنه وجماله ساعة زمانية فوجدت ضوء وجهه غالبا على نور الشمعة وصار وجهه يتلألأ نورا وقد غازلت عيناه واسودت مقلتاه واحمر خداه وفترجفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكه العاطر كما قال فيه الشاعر

قبلته فاسودت المقل التى ✻ هى فتنتى واحمرت الوجنات
ياقلب ان زعم العواذل انه ✻ فى الحسن يوجد مثله قل هات

فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله احسن الخالقين وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرت ساعة وهى تنظر الى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسنه وجماله وقالت فى نفسها والله انى لا اضره ولا اترك احدا يؤذيه ومن كل سوء افديه فان هذا الوجه المليح لا يستحق الا النظر اليه والتسبيح ولكن كيف هان على اهله حتى نسوه فى هذا المكان الخرب فلو طلع له احد من مردتنا فى هذه الساعة لعطبه ثم ان تلك العفريتة مالت عليه وقبلته بين عينيه وبعد ذلك ارخت الملاءة على وجهه وغطته بها وفتحت اجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة وصعدت ولم تزل صاعدة فى الجو الى ان قربت من سماء الدنيا واذا بها سمعت خفق اجنحة طائرة فى الهواء فقصدت ناحية تلك الاجنحة فلما قربت من صاحبها وجدته عفريتا يقال له دهنش فانقضت عليه انقضاض الباشق فلما احس بها دهنش وعرف انها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه واستجار بها وقال لها اقسم عليك بالاسم الاعظم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان ان ترفقى بى ولا تؤذينى فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حن قلبها عليه وقالت له انك اقسمت على بقسم عظيم ولكن لا اعتقك حتى تخبرنى من اين مجيئك فى هذه الساعة فقال لها ايتها السيدة اعلمى ان مجيئى من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر واخبرك باعجوبة رأيتها فى هذه الليلة فان وجدت كلامى صحيحا فاتركينى اروح الى حال سبيلى واكتبى لى بخطك فى هذه الساعة انى عتيقك حتى لا يعارضنى احد من ارهاط الجن الطيارة العلوية والسفلية والغواصة قالت له ميمونة فما الذى رأيته فى هذه الليلة يادهنش فاخبرنى ولا تكذب على وتريد بكذبك ان تفلت من يدى وانا اقسم بحق النقش المكتوب على فص خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ان لم يكن كلامك صحيحا نتفت ريشك بيدى ومزقت جلدك وكسرت عظمك فقال لها العفريت دهنش ابن شمهورش الطيار ان لم يكن كلامى صحيحا فافعلى بى ما شئت ياسيدتى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان دهنشا قال انى خرجت فى هذه الليلة من الجزائر الداخلة فى بلاد الصين وهى بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك الملك بنتا لم يخلق الله فى زمانها احسن منها ولا اعرف كيف اصفها لك ويعجز لسانى عن وصفها كما ينبغى ولكن اذكر لك شيأ من صفاتها

على

على سبيل التقريب اما شعرها فكليالى الهجر واما نعصان واما وجهها فكايام الوصال وقد احسن في وصفها من قال

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فارت ليالى اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتنى القمرين فى وقت معا

ولها انف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الارجوان ولها خد كشقائق النعمان وشفتاها كالمرجان والعقيق وريقها اشهى من الرحيق يطفى مذاقه عذاب الحريق ولسانها يحركه عقل وافر وجواب حاضر ولها صدر فتنة لمن يراه فسبحان من خلقه وسواه ومتصل بذلك الصدر عضدان مدملجان كما قال فيهما الشاعر الولهان

وزندان لولا امسكا بالساور * لسال من الاكمام سيل الجداول

ولها نهدان كانهما من العاج حقان يستمد من اشراقهما القمران ولها بطن باعكان مطوية كطى القباطى المصرية وينتهى ذلك الى خصر مختصر من وهم الخيالة وفى ردف ككثيب من رمال يقعدها اذا قامت ويوقظها اذا نامت كما قال فيه بعض واصفيه

لها كفل تعلق فى ضعيف * وذاك الردف لى ولها ظلوم
فيوقفنى اذا فكرت فيه * ويقعدها اذا همت تقوم

يحمل ذلك الكفل فخذان كانهما من الدر عمودان وعلى حمل ما اقدرهما الا بركة الشيخ الذى بينهما واما غير ذلك من الاوصاف فلا تحصيه ناعت ولا وصاف ويحمل ذلك كله قدمان لطيفان صنعة المهيمن الديان فعجبت منهما كيف يحملان ما فوقهما واما ما وراء ذلك فانى تركته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العفريت دهنشا بن شمهورش قال للعفريتة ميمونة واما ما وراء ذلك فانى تركته لانه تقصر عنه العبارة ولا تفى به اشارة وابو تلك الصبية ملك جبار فارس كرار يخوض بحار الاقطار فى الليل والنهار لا يهاب الموت ولا يخاف الفوت لانه جائر ظلوم وقاهر غشوم وهو صاحب جيوش وعساكر واقاليم وجزائر ومدن ودور واسمه الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور وكان يحب ابنته هذه التى وصفتها لك حبا شديدا ومن محبته لها جلب اموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص القصر الاول من البلور والقصر الثانى من الرخام والقصر الثالث من الحديد الصينى والقصر الرابع من الجزع والفصوص والقصر الخامس من الفضة والقصر السادس من الذهب والقصر السابع من الجواهر وملأ السبعة قصور من انواع الفرش الفاخر واوانى الذهب والفضة وجميع الالات من كل ما تحتاج اليه الملوك وامر ابنته ان تسكن فى كل قصر مدة من السنة ثم تنتقل منه الى قصر غيره واسمها الملكة بدور فلما اشتهر حسنها وشاع فى البلاد ذكرها ارسل سائر الملوك الى ابيها يخطبونها منه فراودها فى امر الزواج فكرهت ذلك وقالت لابيها يا والدى ليس لى غرض فى الزواج ابدا فانى سيدة وملكة احكم على الناس ولا اريد رجلا يحكم على وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها ثم ان جميع ملوك جزائر الصين الجوانية ارسلوا الى ابيها

الهدايا والتحف وكاتبوه فى امر زواجها فكرر عليها ابوها المشاورة فى امر الزواج مرارا عديدة فخالفته وغضبت منه وقالت له يا ابى ان ذكرت لى الزواج مرة اخرى اخذت السيف ووضعت قائمه فى الارض وذبابته فى بطنى واتكئ عليه حتى يطلع من ظهرى واقتل نفسى فلما سمع ابوها منها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشى ان تقتل نفسها وتحير فى امرها وفى امر الملوك الذين خطبوها منه فقال لها ان كان لابد من عدم زواجك فامتنعى من الدخول والخروج ثم ان اباها ادخلها البيت وحجبها فيه واستحفظ عليها عشر عجائز قهرمانات ومنعها من ان تظهر الى السبع قصور واظهر انه غضبان عليها وارسل كاتب الملوك جميعهم واعلمهم انها اصيبت بجنون فى عقلها ولها الان سنة وهى محجوبة ثم قال العفريت دهنش للعفريتة وانا يا سيدتى اتوجه اليها فى كل ليلة فانظرها واتملى بوجهها واقبلها وهى نائمة بين عينيها ومن محبتى فيها لا اضرها ولا اركبها لان جمالها بارع كل من رآها يغار عليها من نفسه واقسمت عليك يا سيدتى ان ترجعى معى وتنظرى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وبعد هذا ان شئت ان تعاقبينى او تأسرينى فافعلى فان الامر امرك والنهى نهيك ثم ان العفريت دهنشا اطرق رأسه الى الارض وخفض اجنحته الى الارض فقالت له العفريتة ميمونة بعد ان ضحكت من كلامه وبصقت فى وجهه اى شئ هذه البنت التى تقول عنها فما هى الا قوارة بول فكيف لو رأيت معشوقى والله انى حسبت ان معك امرا عجيبا او خبرا غريبا يا ملعون انى رأيت انسانا فى هذه الليلة لو رأيته ولو فى المنام لانفلجت عليه وسالت ريالتك فقال لها دهنش وما حكاية هذا الغلام فقالت له اعلم يا دهنش ان هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى لمعشوقتك التى ذكرتها وامره ابوه بالزواج مرارا عديدة فابى فلما خالف اباه غضب عليه وسجنه فى البرج الذى انا ساكنة فيه فطلعت فى هذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش يا سيدتى اريني هذا الغلام لانظر هل هو احسن من معشوقتى الملكة بدور ام لا لانى ما اظن ان يوجد فى هذا الزمان مثل معشوقتى فقالت له العفريتة تكذب يا ملعون يا انحس المردة واحقر الشياطين فانا اتحقق انه لا يوجد لمعشوقى مثيل فى هذه الديار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العفريتة ميمونة قالت للعفريت دهنش انا اتحقق انه لا يوجد لمعشوقى مثيل فى هذه الديار فهل انت مجنون حتى تقيس معشوقتك بمعشوقى فقال لها بالله عليك يا سيدتى ان تذهبى معى وتنظرى معشوقتى وارجع معك وانظر معشوقك فقالت له ميمونة لابد من ذلك يا ملعون لانك شيطان مكار ولكن لا اجئ معك ولا تجئ معى الا برهن فان طلعت معشوقتك التى انت تحبها وتتغالى فيها احسن من معشوقى الذى انا احبه واتغالى فيه فان ذلك الرهن يكون لك على وان طلع معشوقى احسن فان ذلك الرهن يكون لى عليك فقال لها العفريت دهنش يا سيدتى قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالى معى الى الجزائر فقالت له ميمونة فان موضع معشوقى اقرب من موضع معشوقتك وها هو تحتنا فانزل معى لتنظر معشوقى ونروح بعد ذلك الى معشوقتك فقال لها دهنش سمعا وطاعة ثم انحدرا الى اسفل ونزلا فى دور القاعة التى فى البرج واوقفت ميمونة دهنشا بجنب السرير ومدت يدها ورفعت الملاءة عن وجه قمر الزمان بن الملك شهرمان فسطع وجهه واشرق ولمع وزهى فنظرته ميمونة

والتفتت من وقتها الى دهنش وقالت له انظر يا ملعون ولا تكن اقبح مجنون فنحن بنات وبه مفتونات فعند ذلك التفت اليه دهنش واستمر يتأمل فيه ساعة ثم حرك رأسه وقال لميمونة والله يا سيدتي انك معذورة ولكن بقي شيء آخر وهو ان حال الانثى غير حال الذكر وحق الله ان معشوقتي هذه اشبه الناس بمعشوقك في الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الاثنان كأنهما قد افرغا في قالب الحسن سواء فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قوية كادت ان تقضي عليه من شدتها وقالت له قسما بنور وجه جلاله ان تروح يا ملعون في هذه الساعة وتحمل معشوقتك التي تحبها وتجيء بها بسرعة الى هذا المكان حتى نجمع بين الاثنين وننظرهما وهما نائمان بالقرب من بعضهما فيظهر لنا ايهما املح وان لم تفعل ما امرتك به في هذه الساعة يا ملعون احرقتك بناري ورميتك بشراري ومزقتك قطعا في البراري وجعلتك عبرة للمقيم والساري فقال لها دهنش يا سيدتي لك علي ذلك وانا اعرف ان محبوبتي املح واحلى ثم ان العفريت دهنش طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من اجل المحافظة عليه فغابا ساعة زمانية ثم اقبلا الاثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها قميص بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات ومكتوب على رأس كميه هذه الابيات

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما * حوت معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلي تنزعه ما حيلة العرق

ثم انهما نزلا بتلك الصبية ومددوها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت والعفريتة نزلا بتلك الصبية ومددوها بجانب الغلام وكشفا عن وجوه الاثنين فكانا اشبه الناس ببعضهما فكأنهما توأمان او اخوان منفردان وهما فتنة للمتقين كما قال فيهما الشاعر المبين

يا قلب لا تعشق مليحا واحدا * تختار فيه تدللا وتذللا
واهو الملاح جميعهم تلقاهم * ان صد هذا كان هذا مقبلا

وصار دهنش وميمونة ينظران اليهما فقال دهنش ان معشوقتي احسن فقالت له ميمونة بل معشوقي احسن ويلك يا دهنش هل انت اعمى اما تنظر الى حسنه وجماله وقده واعتداله فاسمع ما اقوله في محبوبي وان كنت محبا صادقا لمن تعشقها فقل فيها مثل ما اقول في محبوبي ثم ان ميمونة قبلت قمر الزمان قبلا عديدة وانشدت هذه القصيدة

مالي وللاحي عليك يعنف * كيف السلو وانت غصن اهيف
لك مقلة كحلاء تنفث سحرها * ما للهوى العذري عنها مصرف
تركية الالحاظ تفعل بالحشى * ما ليس يفعله الصقيل المرهف
حملتني ثقل الغرام وانني * بالعجز عن حمل القميص لاضعف
وجدي عليك كما علمت ولوعتي * طبع وعشقي في سواك تكلف

لوان قلبي مثل قلبك لم ابت * والجسم مني مثل خصرك مضعف
وبلاه من قمر بكل ملاحة * بين الانام وكل حسن يوصف
قال العواذل في الهوى من ذا الذي * انت الكئيب به فقلت لهم صفوا
يا قلبه القاسي تعلم عطفة * من قده فعسى يرق ويعطف
لك يااميري في الملاحة ناظر * يسطو علي وحاجب لا ينصف
كذب الذي ظن الملاحة كلها * في يوسف كم في جمالك يوسف
الجن تخشاني اذا قابلتها * وانا اذا القاك قلبي يرجف
انكلف الاعراض عنك مهابة * واليك اصبو جهد ما انكلف
والشعر اسود والجبين مشعشع * والطرف احور والقوام مهفهف

فلما سمع دهنش شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان دهنش لما سمع شعر ميمونة في معشوقها طرب غاية الطرب وقال انك انشدتين فيمن تعشقينه هذا الشعر الرقيق مع ان بالك مشغول به ولكن انا ابذل الجهد في انشاد الشعر على قدر فكرتي ثم ان دهنش قام الى معشوقته بدور وقبلها بين عينيها ونظر الى العفريتة ميمونة والى معشوقته بدور وجعل ينشد هذه القصيدة وهو بلا شعور

اقوت معاهدهم بشط الوادي * فبقيت مقتولا وشط الوادي
وسكرت من خمر الغرام ورقصت * عين الدموع على غناء الحادي
اسعى لاسعد بالوصال وحق لي * ان السعادة في بدور سعاد
لم ادر من اي الثلاثة اشتكي * ولقد عددت فاصغ للاعداد
من لحظها السياف ام من قدها الرماح ام من صدغها الزراد
قالت وقد فتشت عنها كل من * لاقيته من حاضر او بادي
انا في فؤادك فارم طرفك نحوه * ترني فقلت لها واين فؤادي

فلما فرغ من شعره قالت العفريتة احسنت يادهنش ولكن اي هذين الاثنين احسن فقال لها محبوبتي بدور احسن من محبوبك فقالت له كذبت ياملعون بل معشوقي احسن من معشوقتك ثم انهما لم يزالا يعارضان بعضهما في الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وارادت ان تبطش به فذل لها ورقق كلامه وقال لها لا يصعب عليك الحق فابطلي قولك وقولي فان كلا منا يشهد لمعشوقه انه احسن فنعرض عن كلام كل واحد منا ونطلب من يفصل الحكم بيننا بالانصاف ونعتمد على قوله فقالت له ميمونة وهو كذلك ثم ضربت الارض برجلها فطلع لها من الارض عفريت اعور اجرب وعيناه مشقوقتان في وجهه بالطول وفي رأسه سبعة قرون وله اربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى الارض ويداه مثل يدي القطرب وله اظفار كاظفار الاسد ورجلان كرجلي الفيل وحوافر كحوافر الحمار فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونة قبل الارض بين يديها وتكتف وقال لها ما حاجتك ياسيدتي يابنت الملك فقالت له ياقشقش اني اريد ان تحكم بيني وبين هذا

الملعون دهنش ثم انها اخبرته بالقصة من اولها الى آخرها فعندها نظر العفريت قشقش الى وجه ذلك الصبي ووجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الآخر وهما في الحسن والجمال متشابهان وفي الملاحة متساويان فنظر وتعجب المارد قشقش من حسنهما وجمالهما والتفت الى ميمونة ودهنش بعد ان اطال الى الصبي والصبية الالتفات وانشد هذه الابيات

زر من تحب ودع مقالة حاسد ✻ ليس الحسود على الهوى بمساعد

لم يخلق الرحمن احسن منظرا ✻ من عاشقين على فراش واحد

متعانقين عليهما حلل الرضى ✻ متوسدين بمعصم وبساعد

واذا صفا لك من زمانك واحد ✻ فهو المراد وعش بذاك الواحد

واذا تألفت القلوب على الهوى ✻ فالناس تضرب في حديد بارد

يا من يلوم على الهوى اهل الهوى ✻ هل يستطاع صلاح قلب فاسد

يا رب يا رحمن تحسن ختمنا ✻ قبل الممات ولو بيوم واحد

ثم ان العفريت قشقش التفت الى ميمونة والى دهنش وقال لهما والله ما فيهما احد احسن من الآخر ولا دون الآخر بل هما اشبه الناس ببعضهما في الحسن والجمال والبهجة والكمال ولا يفرق بينهما بالتذكير والتأنيث وعندي حكم آخر وهو اننا ننبه كل واحد منهما من غير علم الآخر وكل من التهب على رفيقه فهو دونه في الحسن والجمال فقالت ميمونة نعم هذا الرأي الذي قلته فانا رضيته وقال دهنش وانا ايضا رضيته فعند ذلك انقلب دهنش في صورة برغوثة ولدغ قمر الزمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان دهنشا انقلب في صورة برغوث ولدغ قمر الزمان في رقبته في موضع ناعم فمد قمر الزمان يده على رقبته وهرش موضع القرصة من شدة ما احرقته فتحرك بجنبه فوجد شيأ نائما بجنبه ونفسه ازكى من المسك وجسمه الين من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب ثم قام من وقته قاعدا ونظر الى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجدها صبية كالدرة السنية او القبة المبنية بقامة الفية خماسية القد بارزة النهد موردة الخد كما قال فيها بعض واصفيها

بدت قمرا ومالت غصن بان ✻ وفاحت عنبرا ورنت غزالا

كأن الحزن مشغوف بقلبي ✻ فساعة هجرها يجد الوصالا

فلما رأى قمر الزمان السيدة بدور بنت الملك الغيور وشاهد حسنها وجمالها وهي نائمة في طوله وجد فوق بدنها قميصا بندقيا وهي بلا سروال وعليها كوفية من ذهب مرصعة بالجواهر وفي عنقها قلادة من الفصوص المثمنة لا يقدر عليها احد من الملوك فصار مدهوش العقل من ذلك ثم انه حين شاهد حسنها تحركت فيه الحرارة الغريزية والقى الله عليه شهوة الجماع وقال في نفسه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم قلبها بيده ثاني مرة وفتح طوق قميصها فبان له بطنها ونظر اليه والى نهودها فازداد فيها محبة ورغبة فصار ينبهها وهي لا تنتبه لان دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزها ويحركها ويقول يا حبيبتي استيقظي وانظري من انا فانا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك

تفكر فى امرها ساعة زمانية وقال فى نفسه ان صدق حذرى فهذه الصبية هى التى يريد والدى زواجى بها ومضى لى ثلاث سنين وانا امتنع من ذلك فان شاء الله اذا جاء الصبح اقول لابى زوجنى بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال فى نفسه ان شاء الله اذا جاء الصبح اقول لابى زوجنى بها ولا اترك نصف النهار يفوت حتى افوز بوصلها واتملى بحسنها وجمالها ثم ان قمر الزمان مال الى بدور ليقبلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت واما العفريت دهنش فانه طار من الفرح ثم ان قمر الزمان لما اراد ان يقبلها فى فمها استحى من الله والتفت وجهه وقال فى نفسه انا اصبر لئلا يكون والدى لما غضب على وحبسنى فى هذا الموضع جاء لى بهذه العروسة وامرها بالنيام جنبى ليمتحننى بها واوصاها انى اذا نبهتها لا تستيقظ وقال لها اى شىء فعل بك قمر الزمان فاعلمينى به وربما يكون والدى واقفا مستخفيا فى مكان بحيث يطلع على وانا لا انظره فينظر جميع ما افعله بهذه الصبية واذا اصبح يوبخنى ويقول لى كيف تقول مالى ارب فى الزواج وانت قبلت تلك الصبية وعانقتها فانا اكف نفسى عنها لئلا ينكشف امرى مع والدى فانا لا المس هذه الصبية من تلك الساعة ولا التفت لها غير انى اخذ لى منها شيأ يكون امارة عندى وتذكرة لها حتى يبقى بينى وبينها اشارة ثم ان قمر الزمان رفع كف الصبية واخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوى جملة من المال لان فصه من نفيس الجواهر ومنقوش فى دائرته هذه الابيات

لا تحسبوا انى نسيت عهودكم ✳ مهما اطلتم فى الزمان صدودكم
يا سادتى جودوا على واعطفوا ✳ فعسى اقبل ثغركم وخدودكم
والله انى لست ابرح عنكم ✳ ولو اعتديتم فى الغرام حدودكم

ثم ان قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه فى خنصره وادار ظهره اليها ونام ففرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش هل رأيتما محبوبى قمر الزمان وما فعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظرا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يمس بيده عليها بل ادار ظهره اليها ونام فقالا لها قد رأينا ما صنع من الكمال فعند ذلك انقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثا ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سرتها مقدار اربعة قراريط ولدغتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة فرأت شابا نائما بجانبها وهو يغطّ فى نومه وله خدود كشقائق النعمان ولواحظ تخجل الحور الحسان وفم كانه خاتم سليمان وريقه حلو المذاق وانفع من الترياق كما قال فيه بعض واصفيه

سلى خاطرى عن زينب ونوار ✳ بوردة خد فوق آس عذار
واصبحت بالظبى المقرطق مغرما ✳ ولا رأى لى فى عشق ذات سوار
انيسى فى النادى وفى خلوتى معا ✳ خلاف انيسى فى قرارة دارى
فيا لائمى فى هجر هند وزينب ✳ وقد لاح عذرى كالصباح لسار
اترضى بان امسى اسير اسيرة ✳ محصنة او من وراء جدار

ثم ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت

عن

عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان اخذها الهيام والوجد والغرام وقالت في نفسها وافضيحتاه ان هذا شاب غريب لا اعرفه ما باله راقدا بجانبى فى فراش واحد ثم نظرت اليه بعيونها وحققت النظر فيه وفى ظرفه ودلاله وحسنه وجماله ثم قالت وحق الله انه شاب مليح مثل القمر الآن كبدى تكاد ان تتمزق وجدا عليه وشغفا بحسنه وجماله فيا فضيحتى منه والله لو علمت ان هذا الشاب هو الذى خطبنى من ابى ما رددته بل كنت اتزوجه واتملى بجماله ثم ان الملكة بدور تطلعت من وقتها وساعتها فى وجه قمر الزمان وقالت له يا سيدى وحبيب قلبى ونور عينى انتبه من منامك وتمتع بحسنى وجمالى ثم حركته بيدها فارخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت على رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فهزته الملكة بدور بيديها وقالت له بحياتى عليك ان تطيعنى فانتبه من منامك وانظر النرجس والخضرة وتمتع ببطنى والسرة وهارشنى ونا غشنى من هذا الوقت الى بكرة قم يا سيدى واتكى على المخدة ولا تنم فلم يجبها قمر الزمان بجواب ولم يرد عليها خطابا بل غط فى النوم فقالت الملكة بدور مالك تائها بحسنك وجمالك وظرفك ودلالك فكما انت مليح انا الاخرى مليحة فما هذا الذى تفعله هل هم علموك الصد عنى او ابى الشيخ النحس منعك من ان تكلمنى فى هذه الليلة ففتح قمر الزمان عينيه فازدادت فيه محبة والقى الله محبته فى قلبها ونظرته نظرة اعقبتها الف حسرة فخفق فؤادها وتقلقلت احشاؤها واضطربت جوارحها وقالت لقمر الزمان يا سيدى كلمنى يا حبيبى حدثنى يا معشوقى رد على الجواب وقل لى ما اسمك فانك سلبت عقلى كل ذلك وقمر الزمان مستغرق فى النوم ولم يرد عليها بكلمة فتأوهت الملكة بدور وقالت مالك معجبا بنفسك ثم هزته وقلبت يده فرأت خاتمها فى اصبعه الخنصر فشهقت شهقة واتبعتها بغنجة وقالت اوه اوه والله انت حبيبى وتحبنى ولكن كانك تعرض عنى دلالا مع انك جئتنى وانا نائمة وما اعرف كيف عملت انت معى ولكن ما انا قالعة خاتمى من خنصرك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه وقبلته وفتشت على شئ تأخذه منه فلم تجد معه شيأ ورأته بغير سروال فدت يدها من تحت ذيل قميصه وجست سيقانه فزلقت يدها من نعومة جسمه وسقطت على ايره فانصدع قلبها وارتجف فؤادها لان شهوة النساء اقوى من شهوة الرجال وخجلت ثم نزعت خاتمه من اصبعه ووضعته فى اصبعها عوضا عن خاتمها وقبلته فى ثغره وقبلت كفيه ولم تترك فيه موضعا الا قبلته وبعد ذلك اخذته فى حضنها وعانقته ووضعت احدى يديها تحت رقبته والاخرى من تحت ابطه ونامت بجانبه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة بدور نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ما جرى فلما رأت ذلك ميمونة فرحت غاية الفرح وقالت لدهنش هل رأيت يا ملعون كيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقى وكيف فعل معشوقى من التيه والدلال فلا شك ان معشوقى احسن من معشوقتك ولكن عفوت عنك ثم كتبت له ورقة بالعتق والتفتت الى قشقش وقالت له ادخل معه واحمل معشوقته وساعده على وصولها الى مكانها لان الليل مضى وفاتنى مطلوبى فتقدم دهنش وقشقش الى الملكة بدور ودخلا

تحتها وحملاها وطاربها واوصلاها الى مكانها واعاداها الى فراشها واختلت ميمونة بالنظر الى قمر الزمان وهو نائم حتى لم يبق من الليل الا القليل ثم توجهت الى حال سبيلها فلما انشق الفجر انتبه قمر الزمان من منامه والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الصبية عنده فقال فى نفسه ما هذا الامر كان ابى يرغبنى فى الزواج بالصبية التى كانت عندى ثم اخذها سرا لاجل ان تزداد رغبتى فى الزواج ثم صرخ على الخادم الذى هو نائم على الباب وقال له ويلك يا ملعون قم فقام الخادم وهو طائش العقل من النوم ثم قدم له الطشت والابريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته وخرج فتوضأ وصلى الصبح وجلس يسبح الله ثم نظر الى الخادم فوجده واقفا فى خدمته بين يديه فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا واخذ الصبية من جنبى وانا نائم فقال له الخادم يا سيدى اى شئ الصبية فقال قمر الزمان الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة فانزعج الخادم من كلام قمر الزمان وقال له لم يكن عندك صبية ولا غيرها ومن اين دخلت الصبية وانا نائم وراء الباب وهو مقفول والله يا سيدى ما دخل عليك ذكر ولا انثى فقال له قمر الزمان تكذب يا عبد النحس وهل وصل من قدرك انت الآخر انك تخادعنى ولا تخبرنى اين راحت الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة ولم تخبرنى بالذى اخذها من عندى فقال الطواشى وقد انزعج منه والله يا سيدى ما رأيت صبية ولا صبيا فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال له انهم علموك الخداع يا ملعون فتعال عندى فتقدم الخادم الى قمر الزمان فاخذ باطواقه وضرب به الارض فضرط ثم برك عليه قمر الزمان ورفصه برجله وخنقه حتى غشى عليه ثم بعد ذلك ربطه فى سلبة البئر وادلاه فيه الى ان وصل الى الماء وارخاه وكانت تلك الايام ايام برد وشتاء قاطع فغطس الخادم فى الماء ثم نشله قمر الزمان وارخاه ولا زال يغطس ذلك الخادم فى الماء وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ ويضج وقمر الزمان يقول له والله يا ملعون ما اطلعك من هذه البئر حتى تخبرنى بخبر هذه الصبية وقصتها ومن الذى اخذها وانا نائم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخادم قال لقمر الزمان انقذنى من البئر يا سيدى وانا اخبرك بالصحيح فجذبه من البئر واطلعه وهو غائب عن الوجود من شدة ما قاساه من الغرق والغطاس والبرد والضرب والعذاب وصار يرتعد مثل القصبة فى الريح العاصف واشتبكت اسنانه فى بعضها وابتلت ثيابه بالماء فلما رأى الخادم نفسه على وجه الارض قال له دعنى يا سيدى اروح واقلع ثيابى واعصرها وانشرها فى الشمس والبس غيرها ثم احضر اليك سريعا واخبرك بامر تلك الصبية واحكى لك حكايتها فقال له قمر الزمان والله يا عبد النحس لولا انك عاينت الموت ما اقررت بالحق فاخرج لقضاء اغراضك وعد الى بسرعة واحك لى حكاية الصبية وقصتها فعند ذلك خرج الخادم وهو لا يصدق بالنجاة ولم يزل يجرى الى ان دخل على الملك شهرمان ابى قمر الزمان فوجد الوزير بجانبه وهما يتحدثان فى امر قمر الزمان فسمع الملك يقول للوزير انى ما نمت فى هذه الليلة من اشتغال قلبى بولدى قمر الزمان واخشى ان يجرى له شئ من هذا البرج العتيق وما كان فى حبسه شئ من المصلحة فقال له الوزير لا تخف عليه والله لا يصيبه شئ دعه مسجونا شهر زمان حتى تلين عريكته فبينما هما فى الكلام واذا بالخادم دخل عليهما وهو فى تلك الحالة وقال له يا مولانا السلطان ان ولدك حصل له جنون وقد فعل بى هذه الفعال وقال لى ان صبية باتت عندى

في

فى هذه الليلة وذهبت بخفية فاخبرنى بخبرها وانا لا اعرف ما شأن هذه الصبية فلما سمع السلطان شهرمان هذا الكلام عن ولده قمر الزمان صرخ قائلا واولداه وغضب على الوزير الذى كان سببا فى هذه الامور غضبا شديدا وقال له قم اكشف لى خبر ولدى قمر الزمان فخرج الوزير وهو يتعثر فى اذياله من خوفه من الملك وراح مع الخادم الى البرج وكانت الشمس قد طلعت فدخل الوزير على قمر الزمان فوجده جالسا على السرير يقرأ القرآن فسلم عليه الوزير وجلس الى جانبه وقال له يا سيدى ان هذا العبد النحس اخبرنا بخبر شوش علينا وازعجنا فاغتاظ الملك من ذلك فقال له قمر الزمان ايها الوزير وما الذى قال لكم عنى حتى شوش على ابى وفى الحقيقة هو ما شوش الا على فقال له الوزير انه جاءنا بحالة منكرة وقال لنا قولا حاشاك منه وكذب علينا بما لا ينبغى ان يذكر فى شأنك فسلامة شبابك وعقلك الرجيح ولسانك الفصيح وحاشا ان يصدر منك شئ قبيح فقال له قمر الزمان ايها الوزير فاى شئ قال هذا العبد النحس فقال له الوزير انه اخبرنا انك جننت وقلت له كان عندى صبية فى الليلة الماضية فهل قلت للخادم هذا الكلام فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال للوزير تبين لى انكم علمتم الخادم الفعل الذى صدر منه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان بن الملك شهرمان قال للوزير تبين لى انكم علمتم الخادم الفعل الذى صدر منه ومنعتموه من ان يخبرنى بامر الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة وانت ايها الوزير اعقل من الخادم فاخبرنى فى هذه الساعة اين ذهبت الصبية المليحة التى كانت نائمة فى حضنى تلك الليلة فانتم الذين ارسلتموها عندى وامرتموها ان تبيت فى حضنى ونمت معها الى الصباح فلما انتبهت ما وجدتها فاين هى الان فقال الوزير يا سيدى قمر الزمان اسم الله حواليك والله ما ارسلنا لك فى هذه الليلة احدا وقد نمت وحدك والباب مقفول عليك والخادم نائم من خلف الباب وما اتى اليك صبية ولا غيرها فارجع الى عقلك يا سيدى ولا تشغل خاطرك فقال له قمر الزمان وقد اغتاظ من كلامه ايها الوزير ان تلك الصبية معشوقتى وهى المليحة صاحبة العيون السود والخدود الحمر التى عانقتها فى هذه الليلة فتعجب الوزير من كلام قمر الزمان وقال له هل رأيت تلك الصبية فى هذه الليلة بعينك فى اليقظة او فى المنام فقال له قمر الزمان يا ايها الشيخ النحس اتظن انى رأيتها باذنى انما رأيتها بعيونى فى اليقظة وقلبتها بيدى وسهرت معها نصف ليلة كاملة وانا اتفرج على حسنها وجمالها وظرفها ودلالها وانما انتم اوصيتموها انها لا تكلمنى فجعلت نفسها نائمة فنمت بجانبها الى الصباح ثم استيقظت من منامى فلم اجدها فقال له الوزير يا سيدى قمر الزمان ربما تكون رأيت هذا الامر فى المنام فيكون اضغاث احلام او تخيلات من اكل مختلف الطعام او وسوسة من الشياطين اللئام فقال له قمر الزمان يا ايها الشيخ النحس كيف تهزأ بى انت الاخر وتقول لى لعل هذا اضغاث احلام مع ان الخادم قد اقر لى بتلك الصبية وقال لى فى هذه الساعة اعود اليك واخبرك بقصتها ثم ان قمر الزمان قام من وقته وتقدم الى الوزير وقبض لحيته فى يده وكانت لحيته طويلة فاخذها قمر الزمان ولفها على يده وجذبه منها فرماه من فوق السرير والقاه على الارض فحس الوزير ان روحه طلعت من شدة نتف لحيته ولا زال قمر الزمان يرفس الوزير برجليه ويصفعه على قفاه بيديه حتى كاد ان يهلكه فقال الوزير فى نفسه اذا كان العبد الخادم خلص نفسه من هذا الصبى المجنون بكذبه

فانا اولى بذلك منه واخلص نفسى انا الاخر بكذبة والا يهلكنى فهيا انا اكذب واخلص روحى منه فانه مجنون لا شك فى جنونه ثم ان الوزير التفت الى قمر الزمان وقال له ياسيدى لا تؤاخذنى فان والدك اوصانى ان اكتم عنك خبر هذه الصبية وانا الان عجزت وكليت من الضرب لانى بقيت رجلا كبيرا وليس لى قوة على تحمل الضرب فتمهل على قليلا حتى احدثك بقصة الصبية فعند ذلك منع عنه الضرب وقال له لاى شئ لم تخبرنى بخبر تلك الصبية الا بعد الضرب والاهانة فقم يا ايها الشيخ النحس واحك لى خبرها فقال له الوزير هل انت تسأل عن تلك الصبية صاحبة الوجه المليح والقد الرجيح فقال له قمر الزمان نعم اخبرنى ايها الوزير من الذى جابها الى وانامها عندى واين هى فى هذه الساعة حتى اروح انا اليها بنفسى فان كان ابى الملك شهرمان فعل معى هذه الفعال وامتحننى بتلك الصبية المليحة من اجل زواجها فانا رضيت ان اتزوج بها فانه ما فعل معى هذا الامر كله وولع خاطرى بتلك الصبية وبعد ذلك حجبها عنى الا من اجل امتناعى من الزواج فها انا رضيت بالزواج ثم رضيت بالزواج فاعلم والدى بذلك ايها الوزير واشر اليه ان يزوجنى بتلك الصبية فانى لا اريد سواها وقلبى لم يعشق الا اياها فقم واسرع الى ابى واشر اليه بتعجيل زواجى ثم عد الى قريبا فى هذه الساعة فما صدق الوزير بالخلاص من قمر الزمان حتى خرج من البرج وهو يجرى الى ان دخل على الملك شهرمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير خرج يجرى من البرج الى ان دخل على الملك شهرمان فلما دخل عليه قال له الملك ايها الوزير مالى اراك فى ارتباك ومن الذى بشره رماك حتى جئت مرعوبا فقال للملك انى قد جئتك ببشارة قال له الملك وما تلك البشارة قال له اعلم ان ولدك قمر الزمان قد حصل له جنون فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضيا فى وجهه ظلاما وقال له ايها الوزير اوضح لى صفة جنون ولدى قال له الوزير سمعا وطاعة ثم اخبره بما صدر من ولده فقال له الملك ابشر ايها الوزير انى اعطيك فى نظير بشارتك اياى بجنون ولدى ضرب رقبتك وزوال النعم عنك يا انحس الوزراء واخبث الامراء لانى اعلم انك سبب جنون ولدى بمشورتك ورأيك التعيس الذى اشرت به على فى الاول والاخر والله ان كان نابنى على ولدى شئ من الضرر او الجنون لاسمرنك على القبة واذيقك النكبة ثم ان الملك نهض قائما على اقدامه واخذ الوزير معه ودخل به البرج الذى فيه قمر الزمان فلما وصلا اليه قام قمر الزمان على قدميه لوالده ونزل مسرعا من فوق السرير الذى هو جالس عليه وقبل يديه ثم تأخر وراءه واطرق رأسه الى الارض وهو مكتف اليدين قدام ابيه ولم يزل كذلك ساعة زمانية وبعد ذلك رفع رأسه الى والده وفرت الدموع من عينيه وسالت على خده وانشد قول الشاعر

ان كنت قد اذنبت ذنبا سالفا ❋ فى حقكم واتيت شيأ منكرا
انا تائب عما جنيت وعفوكم ❋ يسع المسئ اذا اتى مستغفرا

فعند ذلك قام الملك وعانق ولده قمر الزمان وقبله بين عينيه واجلسه الى جانبه فوق السرير ثم التفت الى الوزير بعين الغضب وقال له يا كلب الوزراء كيف تقول على ولدى قمر الزمان ما هو كذا وكذا وترعب قلبى عليه ثم التفت الى ولده وقال له يا ولدى ما اسم هذا اليوم فقال له يا والدى هذا يوم السبت وغدا يوم الاحد

وبعده يوم الاثنين وبعده الثلاثاء وبعده الاربعاء وبعده الخميس وبعده الجمعة فقال له الملك يا ولدى يا قمر الزمان الحمد لله على سلامتك ما اسم هذا الشهر الذى علينا بالعربى فقال اسمه ذو القعدة ويليه ذو الحجة وبعده المحرم وبعده صفر وبعده ربيع الاول وبعده ربيع الثانى وبعده جمادى الاولى وبعده جمادى الثانية وبعده رجب وبعده شعبان وبعده رمضان وبعده شوال ففرح بذلك الملك فرحا شديدا وبصق فى وجه الوزير وقال له يا شيخ السوء كيف تزعم ان ولدى قمر الزمان قد جن والحال انه ما جن الا انت فعند ذلك حرك الوزير رأسه واراد ان يتكلم ثم خطر بباله ان يتمهل قليلا لينظر ماذا يكون ثم ان الملك قال لولده يا ولدى اى شئ هذا الكلام الذى تكلمت به للخادم والوزير حيث قلت لهما انى كنت نائما انا وصبية مليحة فى هذه الليلة فحاشا ان هذه الصبية التى ذكرتها فضحك قمر الزمان من كلام ابيه وقال له يا والدى اعلم انه ما بقى لى قوة تحمل السخرية فلا تزيدوا على شيأ ولا بكلمة واحدة فقد ضاق خلقى مما تفعلونه معى واعلم يا والدى انى رضيت بالزواج ولكن بشرط ان تزوجنى تلك الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة فانى اتحقق انك انت الذى ارسلتها الى وشوقتنى اليها وبعد ذلك ارسلت اليها قبل الصبح واخذتها من عندى فقال الملك اسم الله حواليك يا ولدى سلامة عقلك من الجنون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان اسم الله حواليك يا ولدى سلامة عقلك من الجنون فاى شئ هذه الصبية التى تزعم انى ارسلتها اليك فى هذه الليلة ثم ارسلت اخذها من عندك قبل الصباح فوالله يا ولدى ليس لى علم بهذا الامر فبالله عليك ان تخبرنى هل ذلك اضغاث احلام او تخيلات طعام فانك بت فى هذه الليلة وانت مشغول الخاطر بالزواج ومؤسوس بذكره قبح الله الزواج وساعته وقبح من اشار به ولاشك انك متكدر المزاج من جهة الزواج فرأيت فى المنام ان صبية مليحة تعانقك وانت تعتقد فى بالك انك رأيتها فى اليقظة وهذا كله يا ولدى اضغاث احلام فقال قمر الزمان دع عنك هذا الكلام واحلف لى بالله الخالق العلام قاصم الجبابرة ومبيد الاكاسرة انه لم يكن عندك خبر بالصبية ومحلها فقال له الملك وحق الله العظيم اله موسى وابراهيم انه لم يكن لى علم بذلك ولعله اضغاث احلام رأيته فى المنام فقال قمر الزمان لوالده انا اضرب لك مثلا يبين لك ان هذا كان فى اليقظة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان قال لوالده انا اضرب لك مثلا يبين لك ان هذا كان فى اليقظة وهو انى اسألك هل اتفق لاحد انه رأى نفسه فى المنام يقاتل وقد قاتل قتالا شديدا وبعد ذلك استيقظ من منامه فوجد فى يده سيفا ملوثا بالدم فقال له والده لا والله يا ولدى لم يتفق هذا فقال له قمر الزمان اخبرك بما حصل لى وهو انى رأيت فى هذه الليلة كانى استيقظت من منامى نصف الليل فوجدت بنتا نائمة بجانبى وقدها كقدى وشكلها كشكلى فعانقتها ومسكتها بيدى واخذت خاتمها ووضعته فى اصبعى وقلعت خاتمى ووضعته فى اصبعها وامتنعت عنها حياء منك وظننت انك ارسلتها واستخفيت فى موضع لتنظر ما افعل واستحيت من اجل ذلك ان اقبلها فى فمها حياء منك وخطر ببالى انك تمتحنى بها

حتى ترغبنى فى الزواج وبعد ذلك انتبهت من منامى فى وجه الصبح فلم اجد للصبية اثرا ولا وقفت لها على خبر وجرى لى مع الخادم والوزير ما جرى فكيف يكون هذا الامر كذبا وامر الخاتم صحيح ولولا الخاتم كنت اظن انه منام وهذا خاتمها الذى فى خنصرى فى هذه الساعة فانظر ايها الملك الى الخاتم كم يساوى ثم ان قمر الزمان ناول الخاتم لابيه فاخذه وقلبه ثم التفت الى ولده وقال له ان لهذا الخاتم نبأ عظيما وخبرا جسيما وان الذى اتفق لك فى هذه الليلة مع تلك الصبية امر مشكل ولا اعلم من اين دخل علينا هذا الدخيل وما تسبب فى هذا كله الا الوزير فبالله عليك يا ولدى ان تصبر لعل الله يفرج عنك هذه الكربة ويأتيك بالفرج العظيم كما قال الشاعر

عسى ولعل الدهر يلوى عنانه ✻ ويأتى بخير فالزمان غيور
وتسعد آمالى وتقضى حوايجى ✻ وتحدث من بعد الامور امور

فيا ولدى قد تحققت فى هذه الساعة انه ليس بك جنون ولكن قضيتك ما يجليها عنك الا الله فقال قمر الزمان لوالده بالله يا والدى انك تفحص لى عن هذه الصبية وتعجل بقدومها والا مت كمدا ثم ان قمر الزمان اظهر الوجد والتفت الى ابيه وانشد هذين البيتين

ان كان وعدكم بالوصل تزوير ✻ ففى الكرى واصلوا المشتاق او زوروا
قالوا وكيف يزور الطيف جفن فتى ✻ منامه عنه ممنوع ومحجور

ثم ان قمر الزمان بعد انشاد هذه الاشعار التفت الى ابيه بخضوع وانكسار وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان افاض العبرات وانشد هذه الابيات

خذوا حذركم من طرفها فهو ساحر ✻ وليس بناج من رمته المحاجر
ولا تخدعوا من رقة فى كلامها ✻ فان الحميا للعقول تخامر
منعمة لو لامس الورد خدها ✻ بكت وبدت من مقلتيها البوادر
فلو فى الكرى مر النسيم بارضها ✻ سرى ابدا من ارضها وهو عاطر
قلايدها تشكو رنين وشاحها ✻ وقد خرست من معصميها الاساور
اذا ما اشتهى الخلخال تقبيل قرطها ✻ بدت لعيون الوصل منها الضمائر
ولى عاذل فى حبها غير عاذر ✻ وما تنفع الابصار لولا البصائر
عذولى لحاك الله ما انت منصف ✻ الى مثل هذا الحسن تنثنى النواظر

فلما فرغ من شعره قال الوزير للملك يا ملك الزمان الى متى وانت محجوب عن العسكر عند ولدك قمر الزمان فربما تفسد عليك نظام المملكة بسبب بعدك عن ارباب دولتك والعاقل اذا المت بجسمه امراض مختلفة يجب عليه ان يبدأ بمداواة اعظمها والرأى عندى ان تنقل ولدك من هذا المكان الى القصر الذى فى السراية المطل على البحر وتنقطع عند ولدك فيه وتجعل للموكب والديوان فى كل جمعة يومين الخميس والاثنين فيدخل عليك فيهما الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة وخواص المملكة واصحاب

الصولة وبقية العساكر والرعية ويعرضون عليك احوالهم فتقضى حوائجهم واحكم بينهم وخذ واعط معهم وأمر وانه بينهم وبقية الجمعة تكون عند ولدك قمر الزمان ولم تزل على تلك الحالة حتى يفرج الله عنك وعنه ولا تأمن ايها الملك من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فان العاقل دائما محاذر وما احسن قول الشاعر

حسنت ظنك بالايام اذ حسنت ✻ ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها ✻ وعند صفو الليالى يحدث الكدر
يا معشر الناس من كان الزمان له ✻ مساعدا فليكن من رأيه الحذر

فلما سمع السلطان من الوزير هذا الكلام رآه صوابا ونصيحة فى مصلحته فاثر عنده وخاف ان ينفسد عليه نظام الملك فنهض من وقته وساعته وأمر بتحويل ولده من ذلك المكان الى القصر الذى فى السراية المطل على البحر ويمشون اليه على ممشاة فى وسط البحر عرضها عشرون ذراعا وبدائر القصر شبابيك مطلة على البحر وارض ذلك القصر مفروشة بالرخام الملون وسقفه مدهون بافخر الادهان من سائر الالوان ومنقوش بالذهب واللازورد ففرشوا لقمر الزمان فيه البسط الحرير والبسوا حيطانه الديباج وارخوا عليه الستارات المكللة بالجواهر ودخل فيه قمر الزمان وصار من شدة العشق كثير السهر فاشتغل خاطره واصفر لونه وانتحل جسمه وجلس والده الملك شهرمان عند رأسه وحزن عليه وصار الملك فى كل يوم اثنين ويوم خميس يأذن فى ان يدخل عليه من شاء الدخول من الامراء والوزراء والحجاب والنواب وارباب الدولة وسائر العساكر والرعية فى ذلك القصر فيدخلون عليه ويؤدون وظائف الخدمة ويقيمون عنده الى آخر النهار ثم ينصرفون بعد ذلك الى حال سبيلهم وبعد ذلك يدخل الملك عند ولده قمر الزمان فى ذلك المكان ولا يفارقه ليلا ولا نهارا ولم يزل على تلك الحالة مدة ايام وليال من الزمان هذا ما كان من امر قمر الزمان بن الملك شهرمان واما ما كان من امر الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والسبعة قصور فان الجن لما حملوها ونيموها فى فراشها لم يبق من الليل الا ثلاث ساعات ثم طلع الفجر فاستيقظت من منامها وجلست والتفتت يمينا وشمالا فلم تر معشوقها الذى كان فى حضنها فارتجف فؤادها وزل عقلها وصرخت صرخة عظيمة فاستيقظ جميع جواريها والدايات والقهرمانات ودخلن عليها فتقدمت اليها كبيرتهن وقالت لها يا سيدتى ما الذى اصابك فقالت لها ايتها العجوز النحس اين معشوقى الشاب المليح الذى كان نائما هذه الليلة فى حضنى فاخبرينى اين راح فلما سمعت منها القهرمانة هذا الكلام صار الضياء فى وجهها ظلاما وخافت من باسها خوفا عظيما وقالت يا سيدتى بدور اى شئ هذا الكلام القبيح فقالت السيدة بدور ويلك يا عجوز النحس اين معشوقى الشاب المليح صاحب الوجه الصبيح والعيون السود والحواجب المقرونة الذى كان بائتا عندى من العشاء الى قرب طلوع الفجر فقالت والله ما رأيت شابا ولا غيره فبالله يا سيدتى لا تمزحى هذا المزاح الخارج عن الحد فتروح ارواحنا وربما بلغ ابالك هذا المزاح فمن يخلصنا من يده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان القهرمانة قالت للسيدة بدور بالله عليك لا تمزحى هذا المزاح الخارج

عن الحد فانه ربما بلغ اباك هذا المزاح فيخلصنا من يده فقالت لها الملكة بدور انه كان غلام بائتا عندى في هذه الليلة وهو من احسن الناس وجها فقالت لها القهرمانة سلامة عقلك ما كان احد بائتا عندك في هذه الليلة فعند ذلك نظرت بدور الى يدها فوجدت خاتم قمر الزمان في اصبعها ولم تجد خاتمها فقالت للقهرمانة ويلك يا خائنة اتكذبين على وتقولين ما كان احد بائتا عندك وتحلفين لى بالله باطلا فقالت القهرمانة والله ما كذبت عليك ولا حلفت باطلا فاغتاظت منها السيدة بدور وسحبت سيفا كان عندها وضربت القهرمانة فقتلتها فعند ذلك صاح الخادم والجوارى والسرارى عليها وراحوا الى ابيها واعلموه بحالها فاتى الملك الى ابنته السيدة بدور من وقته وساعته وقال لها يا بنتى ما خبرك فقالت يا ابى اين الشاب الذى كان نائما بجانبى فى هذه الليلة وطار عقلها من رأسها وصارت تلتفت بعينها يمينا وشمالا ثم شقت ثوبها الى ذيلها فلما رأى ابوها تلك الفعال امر الجوارى والخدم ان يمسكوها فقبضوا عليها وقيدوها وجعلوا فى رقبتها سلسلة من حديد وربطوها فى الشباك الذى فى القصر هذا ما كان من امر الملكة بدور واما ما كان من امر ابيها الملك الغيور فانه لما رأى ما جرى على ابنته السيدة بدور ضاقت عليه الدنيا لانه كان يحبها فلم يهن عليه امرها فعند ذلك احضر المنجمين والحكماء واصحاب الاقلام وقال لهم من ابرأ بنتى مما هى فيه زوجته بها واعطيته نصف مملكتى ومن لم يبرئها ضربت عنقه وعلقت رأسه على باب قصرها وصار كل من دخل عليها ولم يبرئها يضرب عنقه ويعلق رأسه على باب القصر ولم يزل يفعل ذلك الى ان قطع من اجلها اربعين رأسا فطلب سائر الحكماء فتوقفت جميع الناس عنها وعجزت جميع الحكماء عن دوائها واشكلت قضيتها على اهل العلوم وارباب الاقلام ثم ان السيدة بدور لما زاد بها الوجد والغرام واضر بها العشق والهيام اجرت العبرات وانشدت هذه الابيات

غرامى فيك يا قمرى غريمى ❋ وذكرك فى دجى ليلى نديمى
ابيت واضلعى فيها لهيب ❋ يحاكى حره نار الجحيم
بليت بفرط وجد واحتراق ❋ عذابى منهما اضحى اليمى

ثم انشدت ايضا

سلامى على الاحباب فى كل منزل ❋ فانى الى نحو الحبيب اريد
سلامى عليكم لا سلام مودع ❋ سلام كثير لا يزال يزيد
وانى لاهواكم واهوى دياركم ❋ ولكننى عما اريد بعيد

فلما فرغت السيدة بدور من انشاد هذه الاشعار بكت حتى مرضت جفونها وتذبلت وجناتها ثم انها استمرت على هذا الحال ثلاث سنين وكان لها اخ من الرضاع يسمى مرزوان وكان سافر الى اقصى البلاد وغاب عنها تلك المدة بطولها وكان يحبها محبة زيادة على محبة الاخوة فلما حضر دخل على والدته وسألها عن اخته السيدة بدور فقالت له يا ولدى ان اختك حصل لها جنون ومضى لها ثلاث سنين وفى رقبتها سلسلة من حديد وعجزت الاطباء عن دوائها فلما سمع مرزوان هذا الكلام قال لابد من دخولى عليها لعلى اعرف ما بها واقدر على دوائها فلما سمعت امه كلامه قالت لابد من دخولك عليها ولكن اصبر الى غد حتى اتحيل فى امرك ثم ان امه ترجلت الى قصر السيدة بدور واجتمعت بالخادم الموكل بالباب واهدت له هدية وقالت ان لى بنتا وقد تربت مع السيدة بدور وقد زوجتها ولما جرى لسيدتك ما جرى صار

قلبها متعلقا بها واقصد فضلك في ان بنتي تأتي عندها ساعة لتنظرها ثم ترجع من حيث جاءت ولا يعلم بها احد فقال انا خادم لا يمكن ذلك الا في الليل فبعد ان يأتي السلطان ينظر ابنته ويخرج ادخلي انت وابنتك فقبلت العجوز يد الخادم وخرجت الى بيتها فلما جاء وقت العشاء في الليلة القابلة قامت من وقتها وساعتها واخذت ولدها مرزوان والبسته بدلة من ثياب النساء وجعلت يده في يدها وادخلته القصر ولا زالت تمشي به حتى اوصلته الى الخادم بعد انصراف السلطان من عند بنته فلما رآها الخادم قام واقفا وقال لها ادخلي ولا تطيلي القعود فلما دخلت العجوز بولدها مرزوان رأى السيدة بدور في تلك الحالة فسلم عليها بعد ان كشفت عنه امه ثياب النساء فاخرج مرزوان الكتب التي معه واوقد شمعة فنظرت اليه السيدة بدور فعرفته وقالت له يا اخي انت كنت سافرت وانقطعت اخبارك عنا فقال لها صحيح ولكن ردني الله بالسلامة واردت السفر ثانيا فارد في عنه الا هذا الخبر الذي سمعته عنك فاحترق فؤادي عليك وجئت اليك لعلي اعرف داءك واقدر على دوائك فقالت له يا اخي هل تحسب ان الذي اعتراني جنون ثم اشارت اليه وانشدت هذين البيتين

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ❋ ما لذة العيش الا للمجانين
نعم جننت فهاتوا من جننت به ❋ ان كان يشفي جنوني لا تلوموني

فعلم مرزوان انها عاشقة فقال لها اخبريني بقصتك وما اتفق لك لعل الله ان يطلعني على ما فيه خلاصك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مرزوان قال للسيدة بدور لعل الله ان يطلعني على ما فيه خلاصك فقالت له السيدة بدور يا اخي اسمع قصتي وذلك اني استيقظت من منامي ليلة في الثلث الاخير من الليل وجلست فنظرت الى جانبي شابا احسن ما يكون من الشباب يكل عن وصفه اللسان كأنه غصن بان او قضيب خيزران فظننت ان ابي هو الذي امره بهذا الامر ليهتني به لانه راودني عن الزواج لما خطبني منه الملوك فأبيت فهذا الظن هو الذي منعني من ان انبهه وخشيت اني اذا عانقته ربما يخبر ابي بذلك فلما اصبحت رأيت بيدي خاتمه عوضا عن خاتمي فهذه حكايتي وانا يا اخي قد تعلق قلبي به من حين رؤيته ومن كثرة عشقي والغرام لم اذق طعم المنام ومالي شغل غير بكائي بالدموع الغزار وانشاد الاشعار بالليل والنهار ثم افاضت العبرات وانشدت هذه الابيات

ابعد الحب لذاتي تطيب ❋ وذاك الظبي مرتعه القلوب
دم العشاق اهون ما عليه ❋ وفيه مهجة المضنى تذوب
اغار عليه من نظري وفكري ❋ فمن بعضي على بعضي رقيب
واجفان له ترمي سهاما ❋ فوائك في القلوب لنا تصيب
فهل لي ان اراه قبل موتي ❋ اذا ما كان في الدنيا نصيب
واكتم سره فينم دمعي ❋ بما عندي ويعلمه الرقيب
قريب وصله مني بعيد ❋ بعيد ذكره مني قريب

ثم ان السيدة بدور قالت لمرزوان انظر يا اخي ما الذي تعمل معي في الذي اعتراني فاطرق مرزوان رأسه الى

الارض ساعة وهو يتعجب ومايدرى مايفعل ثم رفع رأسه وقال لها جميع ماجرى لك صحيح وان حكاية هذا الشاب اعيت فكرى ولكن ادور فى جميع البلاد وافتش على دوائك لعل الله يجعله على يدى فاصبرى ولا تقلقى ثم ان مرزوان ودعها وودعها وعالها بالثبات وخرج من عندها وهى تنشد هذه الابيات

ويخطرلى خيالك فى ضميرى * على بعد المكان خطى مزور
وتدنيك الامانى من فؤادى * واين البرق من لمح البصير
فلا تبعد لانك نور عينى * اذا ماغبت لم تكحل بنور

ثم ان مرزوان تمشى الى بيت والدته فنام تلك الليلة ولما اصبح الصباح تجهز للسفر فسافر ولم يزل مسافرا من مدينة الى مدينة ومن جزيرة الى جزيرة مدة شهر كامل ثم دخل مدينة يقال لها الطيرب واستنشق الاخبار من الناس لعله يجد دواء الملكة بدور وكان كلما يدخل من مدينة او يمر بها يسمع ان الملكة بدور بنت الملك الغيور قد حصل لها جنون ولم يزل يستنشق الاخبار حتى وصل الى مدينة الطيرب فسمع ان قمر الزمان ابن الملك شهرمان مريض وانه اعتراه وسواس وجنون فلما سمع مرزوان بخبره سأل بعض اهل تلك المدينة عن بلاده ومحل تخته فقالوا له جزائر خالدان وبيننا وبينها مسيرة شهر كامل فى البحر واما فى البر فستة اشهر فنزل مرزوان فى مركب الى جزائر خالدان وكانت المركب مجهزة للسفر وطاب لها الريح مدة شهر فبانت لهم المدينة ولما اشرفوا عليها ولم يبق لهم الا الوصول الى الساحل خرج عليهم ريح عاصف فرمى القرية ووقعت القلوع فى البحر وانقلبت المركب بجميع مافيها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المركب انقلبت بجميع مافيها واشتغل كل واحد بنفسه واما مرزوان فانه جذبته قوة التيار جذبة حتى اوصلته تحت قصر الملك الذى فيه قمر الزمان وكان بالامر المقدور قد اجتمع الامراء والوزراء عنده للخدمة والملك شهرمان جالس ورأس ولده قمر الزمان فى حجره وخادم ينش عليه وكان قمر الزمان مضى له يومان وهو لم يأكل ولم يشرب ولم يتكلم وصار الوزير واقفا عند رجليه قريب الشباك المطل على البحر فرفع الوزير بصره فرأى مرزوان قد اشرف على الهلاك من التيار وبقى على اخر نفس فرق قلب الوزير اليه فتقرب الى السلطان ومد رأسه اليه وقال له استأذنك فى ان انزل الى ساحة القصر وافتح بابها لانقذ انسانا قد اشرف على الغرق فى البحر واطلعه من الضيق الى الفرج لعل الله بسبب ذلك يخلص ولدك مما هو فيه فقال السلطان كلما جرى على ولدى بسببك وربما انك اذا اطلعت هذا الغريق يطلع على احوالنا وينظر الى ولدى وهو فى هذه الحالة فيشمت بى ولكن اقسم بالله ان طلع هذا الغريق ونظر الى ولدى وخرج يتحدث مع احد باسرارنا لاضربن رقبتك قبله لانك ايها الوزير سبب ماجرى لنا اولا واخرا فافعل مابدا لك فنهض الوزير وفتح باب الساحة ونزل فى المشاة عشرين خطوة ثم خرج الى البحر فرأى مرزوان مشرفا على الموت فمد الوزير يده اليه ومسكه من شعر رأسه وجذبه منه فخرج من البحر وهو فى حال العدم وقد امتلأ بطنه ماء وبرزت عيناه فصبر الوزير عليه حتى ردت روحه اليه ثم نزع عنه ثيابه والبسه ثيابا غيرها وعممه بعمامة من عمائم غلمانه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير لما فعل مع مرزوان ما فعل قال له اعلم انى كنت سببا لنجاتك من الغرق فلا تكن سببا لموتى وموتك فقال مرزوان وكيف ذلك قال الوزير لانك فى هذه الساعة تطلع وتشق بين امراء ووزراء والكل ساكتون لا يتكلمون من اجل قمر الزمان ابن السلطان فلما سمع مرزوان ذكر قمر الزمان عرفه لانه كان يسمع بحديثه فى البلاد فقال مرزوان ومن قمر الزمان فقال الوزير هو ابن السلطان شهرمان وهو ضعيف ملقى على الفراش لا يقر له قرار ولا يعرف ليلا من نهار وكاد ان يفارق الحياة من نحول جسمه ويصير من الاموات فنهاره فى لهيب وليله فى تعذيب وقد يئسنا من حياته وايقنا بوفاته واياك ان تطيل النظر اليه او تنظر الى غير الموضع الذى تحط فيه رجلك والا تروح روحك وروحى فقال له بالله ان تخبرنى عن هذا الشاب الذى وصفته لى ما سبب هذا الامر الذى هو فيه فقال له الوزير لا اعلم له سببا الا ان والده من منذ ثلاث سنين كان يراوده عن امر الزواج وهو يابى فاصبح يزعم انه كان نائما فرأى بجنبه صبية بارعة الجمال وجمالها يحير العقول ويعجز عنه الوصف وذكر لنا انه نزع خاتمها من اصبعها ولبسه والبسها خاتمه ونحن لا نعرف باطن هذه القضية فبالله يا ولدى اطلع معى القصر ولا تنظر الى ابن الملك ثم بعد ذلك رح الى حال سبيلك فان السلطان قلبه ملان على غيظا فقال مرزوان فى نفسه والله ان هذا هو المطلوب ثم طلع مرزوان خلف الوزير الى ان وصل الى القصر ثم جلس الوزير تحت رجلى قمر الزمان واما مرزوان فانه لم يكن له دأب الا انه مشى حتى وقف قدام قمر الزمان ونظر اليه فمات الوزير فى جلده وصار ينظر الى مرزوان ويغمزه ليروح الى حال سبيله ومرزوان يتغافل وينظر الى قمر الزمان وعلم انه هو المطلوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مرزوان لما نظر الى قمر الزمان وعلم انه هو المطلوب قال سبحان الله الذى جعل قده مثل قدها ولونه مثل لونها وخده مثل خدها ففتح قمر الزمان عينيه وصغى باذنيه فلما رآه مرزوان صاغيا الى ما يلقيه من الكلمات انشد هذه الابيات

اراك طروبا ذا شجى وترنم * تميل الى ذكر المحاسن بالفم
اصابك عشق ام رميت باسهم * فما هذه الا صفة من رمى
الا فاسقنى كاسات خمر وغن لى * بذكر سليمى والرباب وتنعم
اغار على اعطافها من ثيابها * اذا البستها فوق جسم منعم
واحسد كاسات تقبل ثغرها * اذا وضعتها موضع اللثم فى الفم
فلا تحسبوا انى قتلت بصارم * ولكن لحاظ قد رمتنى باسهم
ولما تلاقينا وجدت بنانها * مخضبة تحكى عصارة عندم
فقالت والقت فى الحشى لاعج الجوى * مقالة من للحب لم يتكتم
رويدك ما هذا خضاب خضبته * فلا تك بالبهتان والزور متهمى
ولكننى لما رأيتك نائما * وقد كشفت كفى وزندى ومعصمى

بكيت دما يوم النوى فمسحته * بكفى فاستلت بنانى من دمى
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * لكنت شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيجنى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم
فلا تعذلونى فى هواها لاننى * وحق الهوى فيها كثير التألم
بكيت على من زين الحسن وجهها * وليس لها مثل بعرب واعجم
لها علم لقمان وصورة يوسف * ونغمة داود وعفة مريم
ولى حزن يعقوب وحسرة يونس * وبلوة ايوب وقصة آدم
فلا تقتلوها ان قتلت بها جوى * بلى فاسئلوها كيف حل لها دمى

فلما انشد مرزوان هذا الشعر نزل على قلب قمر الزمان بردا وسلاما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مرزوان لما انشد هذا الشعر نزل على قلب قمر الزمان بردا وسلاما ودار لسانه فى فمه واشار الى السلطان بيده دع هذا الشاب يجلس فى جانبى فلما سمع السلطان من ولده قمر الزمان هذا الكلام فرح فرحا شديدا بعد ان غضب على الشاب واضمر فى نفسه انه يرمى رقبته ثم قام الملك واجلس مرزوان الى جانب ولده واقبل عليه وقال له من اى البلاد انت قال من الجزائر الجوانية من بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فقال له الملك شهرمان عسى ان يكون الفرج على يديك لولدى قمر الزمان ثم ان مرزوان اقبل على قمر الزمان وقال له فى اذنه ثبت قلبك وطب نفسا وقر عينا فان التى صرت من اجلها هكذا لا تسأل عما هى فيه من اجلك ولكنك كتمت امرك فضعفت واما هى فانها اظهرت ما بها فجنت وهى الان مسجونة باسوء حال وفى رقبتها غل من حديد وان شاء الله يكون دواؤكما على يدى فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام ردت روحه اليه واستفاق واشار الى الملك والده ان يجلسه ففرح فرحا زائدا واجلس ولده ثم اخرج جميع الوزراء والامراء واتكى قمر الزمان بين مخدتين وامر الملك ان يطيبوا القصر بالزعفران ثم امر بزينة المدينة وقال لمرزوان والله يا ولدى ان هذه طلعة مباركة ثم اكرمه غاية الاكرام وطلب لمرزوان الطعام فقدموه له واكل واكل معه قمر الزمان وبات عنده تلك الليلة وبات الملك عندهما من فرحته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد المائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السلطان شهرمان بات تلك الليلة عندهما من شدة فرحته بشفاء ولده فلما اصبح الصباح صار مرزوان يحدث قمر الزمان بالقصة وقال له اعلم اننى اعرف التى اجتمعت بها واسمها السيدة بدور بنت الملك الغيور ثم حدثه بما جرى للسيدة بدور من الاول الى الاخر واخبره بفرط محبتها له وقال له جميع ما جرى لك مع والدك جرى لها مع والدها وانت من غير شك حبيبها وهى حبيبتك فثبت قلبك وقو عزمتك فها انا اوصلك اليها واجمع بينك وبينها واعمل معكما كما قال بعض الشعراء

اذا حبيب صد عن صبه * ولم يزل فى فرط اعراض
الفت وصلا بين شخصيهما * كاننى مسمار مقراض

ولم يزل مرزوان يشجع قمر الزمان حتى اكل الطعام وشرب الشراب وردت روحه اليه وتصل مما كان فيه ولم يزل مرزوان يحدثه وينادمه ويسليه وينشده الاشعار حتى دخل الحمام وامر والده بزينة المدينة فرحا بذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما دخل ولده قمر الزمان الحمام امر بزينة المدينة فرحا بذلك وخلع الخلع وتصدق واطلق من فى الحبوس ثم ان مرزوان قال لقمر الزمان اعلم انى ماجئت من عند السيدة بدور الا لهذا الامر وهو سبب سفرى لاجل ان اخلصها مما هى فيه ومابقى لنا الا الحيلة فى رواحنا اليها الان والدك لا يقدر على فراقك ولكن فى غد استأذن والدك فى انك تخرج الى الصيد فى البرية وخذ معك خرجا ملآنا من المال واركب جوادا من الخيل وخذ معك جنيبا وانا الآخر مثلك وقل لوالدك انى اريد ان اتفرج فى البرية واتصيد وانظر الفضاء وابيت هناك ليلة واحدة فلا تشغل قلبك على بشئ ففرح قمر الزمان بما قاله مرزوان ودخل على والده واستأذنه فى الخروج الى الصيد وقال له الكلام الذى اوصاه به مرزوان فاذن له والده فى الخروج الى الصيد وقال له لا تبت غير ليلة واحدة وفى غد تحضر فانك تعلم انه ما يطيب لى عيش الا بك وانى ماصدقت انك خلصت مما كنت فيه ثم ان الملك شهرمان انشد لولده هذين البيتين

ولو انى اصبحت فى كل نعمة * وكانت لى الدنيا وملك الاكاسره
لما وازنت عندى جناح بعوضة * اذا لم تكن عينى لشخصك ناظره

ثم ان الملك جهز ولده قمر الزمان هو ومرزوان وامر ان يهيأ لهما ستة من الخيل وهجينا برسم المال وجملا يحمل الماء والزاد ومنع قمر الزمان ان يخرج معه احد فى خدمته فودعه ابوه وضمه الى صدره وقال له سألتك بالله لا تغب عنى الا ليلة واحدة وحرام على المنام فيها وانشد يقول

وصالك عندى النعيم * وصبرى عنك اضر اليم
فديتك ان كان ذنبى الهوى * اليك فذنبى اجل عظيم
اعندك مثلى نار الجوى * فاصلى بذلك عذاب الجحيم

ثم خرج قمر الزمان ومرزوان وركبا فرسين ومعهما الهجين عليه المال والجمل عليه الماء والزاد واستقبلا البر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان ومرزوان لما استقبلا البر سارا اول يوم الى المساء ثم نزلا واكلا وشربا واطعما دوابهما واستراحا ساعة ثم ركبا وساروا ومازالا سائرين مدة ثلاثة ايام وفى رابع يوم بان لهما مكان متسع فيه غاب فنزلا فيه ثم اخذ مرزوان جملا وفرسا وذبحهما وقطع لحمهما قطعا وكشط عظمهما واخذ من قمر الزمان قميصه ولباسه وقطعهما قطعا ولوثهما بدم الفرس واخذ ملوطة قمر الزمان ومزقها ولوثها بالدم ورماها فى مفرق الطريق ثم اكلا وشربا وسافرا فسأله قمر الزمان عن ما فعله فقال له قمر الزمان اعلم ان والدك الملك شهرمان اذا غبت عنه اليلة ولم تحضر له ثانى ليلة يركب ويسافر فى اثرنا الى ان يصل الى هذا الدم الذى فعلته ويرى قماشك مقطعا وعليه الدم فيظن فى نفسه انه جرى لك شئ

من قطاع الطريق او وحش البر فينقطع رجاؤه منك ويرجع الى المدينة وتبلغ بهذه الحيلة ما تريده فقال قمر الزمان نعم ما فعلت ثم سارا اياما وليالى كل ذلك وقمر الزمان باكى العين الى ان استبشر بقرب الديار فانشد هذه الاشعار

اتجفو محبا ما سلا عنك ساعة * وتزهد فيه بعد ما كنت راغبا
حرمت الرضى ان كنت خنتك فى الهوى * وعوقبت بالهجران ان كنت كاذبا
وما كان لى ذنب فاستوجب الجفا * وان كان لى ذنب فقد جئت تائبا
ومن عجب الايام انك هاجرى * ومازالت الايام تبدى العجائبا

فلما فرغ قمر الزمان من شعره بانت له جزائر الملك الغيور ففرح قمر الزمان فرحا شديدا وشكر مرزوان على فعله وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما بانت له جزائر الملك الغيور فرح فرحا شديدا وشكر مرزوان على فعله ثم دخلا المدينة وانزله مرزوان فى خان واستراحا ثلاثة ايام من السفر وبعد ذلك ادخل بقمر الزمان الحمام والبسه لبس التجار وعمل له تخت رمل من ذهب وعمل له عدة وعمل له اصطرلابا من الذهب ثم قال له مرزوان قم يا مولاى وقف تحت قصر الملك وناد انا الحاسب الكاتب المنجم فاين الطالب فان الملك اذا سمعك يرسل خلفك ويدخل بك على ابنته محبوبتك وهى لما تراك يزول ما بها من الجنون ويفرح ابوها بسلامتها ويزوجها لك ويقاسمك فى ملكه لانه شرط على نفسه هذا الشرط فقبل قمر الزمان ما اشار به مرزوان وخرج من الخان وهو لابس البدلة واخذ معه العدة التى ذكرناها ومشى الى ان وقف تحت قصر الملك الغيور ونادى انا الكاتب الحاسب المنجم اكتب الكتاب واحكم الحجاب واحسب الحساب واخط بالاقلام المطالب فاين الطالب فلما سمع اهل المدينة هذا الكلام وكان لهم مدة من الزمان ما رأوا حاسبا ولا منجما وقفوا حوله وتأملوه فتعجبوا من حسن صورته ورونق شبابه وقالوا له بالله عليك يا مولانا لا تفعل بنفسك هذه الفعال طمعا فى زواج بنت الملك الغيور وانظر بعينك الى هذه الرؤس المعلقة فان اصحابها كلهم قتلوا من اجل هذا الحال فآل بهم الطمع الى الوبال فلم يلتفت قمر الزمان الى كلامهم بل رفع صوته ونادى انا الكاتب الحاسب اقرب المطالب للطالب فتداخل عليه الناس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان نهته الناس فلم يسمع كلامهم بل رفع صوته ونادى انا الكاتب الحاسب اقرب المطالب للطالب فاغتاظوا منه جميعا وقالوا له ما انت الا شاب متكبر احمق ارحم شبابك وصغر سنك وحسنك وجمالك فصاح قمر الزمان وقال انا المنجم والحاسب فهل من طالب فبينما الناس تنهى قمر الزمان عن هذه الحالة اذ سمع الملك الغيور الصياح وضجة الناس فقال للوزير انزل ائتنا بهذا المنجم فنزل الوزير واخذ قمر الزمان فلما دخل قمر الزمان على الملك قبل الارض بين يديه وانشد هذين البيتين

ثمانية فى المجد حزت جميعها * فلا زال خداما بهن لك الدهر

بقينك والتقوى ومجدك والندى * وافضالك والمعنى وعزك والنصر

فلما نظر الملك الغيور اليه اجلسه الى جانبه واقبل عليه وقال له ياولدى بالله لاتجعل نفسك منجما ولاتدخل على شرطى فانى الزمت نفسى ان كل من دخل على بنتى ولم يبرئها مما اصابها اضرب عنقه وكل من ابرأها ازوجته بها فلا يغرنك حسنك وجمالك وقدك واعتدالك والله والله ان لم تبرأها لاضربن عنقك فقال قمر الزمان قبلت منك هذا الشرط فاشهد عليه الملك الغيور القضاة وسلمه الى الخادم وقال له اوصل هذا الى السيدة بدور فاخذه الخادم من يده ومشى به فى الدهليز فصار قمر الزمان سابقه وصار الخادم يقول له ويلك لاتستعجل على هلاك نفسك فوالله مارأيت منجما يستعجل على هلاك نفسه الا انت ولكنك لم تعرف اى شئ قدامك من الدواهى فاعرض قمر الزمان بوجهه عن الخادم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان اعرض بوجهه عن الخادم وانشد هذه الابيات

انا عارف بصفات حسنك جاهل * متحير لم ادر ما انا قائل
ان قلت شمسا كان حسنك لم يغب * عنى وعهدى بالشموس اوافل
كملت محاسنك التى فى وصفها * عجز البليغ وحار فيها القائل

ثم ان الخادم اوقف قمر الزمان خلف الستارة التى على الباب فقال له قمر الزمان اى الحالتين احب اليك كونى اداوى سيدتك وابرؤها من هنا او ادخل اليها فابرؤها من داخل الستارة فتعجب الخادم من كلامه وقال له ان ابرأتها من هنا كان ذلك زيادة فى فضلك فعند ذلك جلس قمر الزمان خلف الستارة واطلع الدواة والقلم وكتب فى ورقة هذه الكلمات من برح به الجفا * فدواؤه الوفا * والبلاء لمن يئس من حياته * وايقن بحلول وفاته * ومالقلبه الحزين * من مسعف ولامعين * ومالطرفه الساهر * على الهم ناصر * فنهاره فى لهيب * وليله فى تعذيب * وقد انبرى جسمه من كثرة النحول * ولم يأته من حبيبه رسول ثم كتب هذه الابيات

كتبت ولى قلب بذكرك مولع * وجفن قريح من دماه يدمع
وجسم كساه لاعج الشوق والاسى * قميص نحول فهو فيه مضعضع
شكوت الهوى لما اضربى الهوى * ولم يبق عندى للتصبر موضع
اليك بجودى وارحمى وتعطفى * فان فؤادى بالهوى يتقطع

ثم كتب تحت الشعر هذه السجعات * شفاء القلوب * لقاء المحبوب * من جفاه حبيبه * فالله طبيبه * من خان منكم ومنا * لانال ما تمنى * ولا اظرف من المحب الوافى * الى الحبيب الجافى * ثم كتب فى الامضا من الهائم الولهان * العاشق الحيران * من اقلقه الشوق والغرام * اسير الوجد والهيام * قمر الزمان ابن شهرمان * الى فريدة الزمان * ونخبة الحور الحسان * السيدة بدور * بنت الملك الغيور * اعلمى انى فى ليلى سهران * وفى نهارى حيران * زائد النحول والاسقام * والعشق والغرام * كثير الزفرات غزير العبرات * اسير الهوى * قتيل الجوى غريم الغرام * نديم السقام * فانا السهران الذى لاتهجع مقلته والمتيم الذى لاترقأ عبرته * فنار قلبى لاتطفى ولهيب شوقى لايخفى ثم كتب فى حاشية الكتاب

هذا البيت المستطاب

سلام من خزائن لطف ربي * على من عندها روحي وقلبي

وكتب ايضا

هبوا الى حديثا من حديثكم عسى * به ترحموني او يقر جناني
ومن شغفي فيكم ووجدي انني * اهون ما القاه وهو هواني
رعى الله قوما شط عني مزارهم * وصنت لهم سرا باي مكان
وها انا قد جاد الزمان بفضله * وفي ترب اعتاب الحبيب رماني
رأيت بدورا في الفراش بجانبي * زها قمري من شمسها بزماني

ثم ان قمر الزمان بعد ان ختم الكتاب كتب في عنوانه هذه الابيات

سل كتابي عما خطه قلمي * فالرسم يخبر عن وجدي وعن المي
يدي تخط ودمع العين منهمل * وقد يشتكي الشوق للقرطاس من سقمي
مازال دمعي على القرطاس منسكبا * ان انقضت ادمعي اتبعتها بدمي

ثم كتب ايضا

ارسلت خاتمك الذي استبدلته * يوم التواصل فارسلي لي خاتمي

وكان قد وضع خاتم السيدة بدور في طي الكتاب ثم ناول الكتاب للخادم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما وضع الخاتم في الورقة ناولها للخادم فاخذها ودخل بها الى السيدة بدور فاخذتها من يد الخادم وفتحتها فوجدت خاتمها بعينه ثم قرأت الورقة فلما عرفت المقصود علمت ان معشوقها قمر الزمان وانه هو الواقف خلف الستارة فطار عقلها من الفرح واتسع صدرها وانشرح ومن فرط المسرات انشدت هذه الابيات

ولقد ندمت على تفرق شملنا * دهرا وفاض الدمع من اجفاني
ونذرت ان عاد الزمان بلمنا * لاعدت اذكر فرقة بلساني
هجم السرور علي حتى انه * من فرط ماقد سرني ابكاني
يا عين صار الدمع منك سجية * تبكين في فرح وفي احزان

فلما فرغت السيدة بدور من شعرها قامت من وقتها وصلبت رجليها في الحائط واتكأت بقوتها على الغل الحديد فقطعته من رقبتها وقطعت السلاسل وخرجت من خلف الستارة ورمت روحها على قمر الزمان وقبلته في فمه مثل زق الحمام وعانقته من شدة مابها من الغرام وقالت له ياسيدي هل هذا يقظة او منام وهل قد من الله علينا بجمع شملنا ثم حمدت الله وشكرته على جمع شملها بعد اليأس فلما رآها الخادم على تلك الحالة ذهب يجري حتى وصل الى الملك الغيور فقبل الارض بين يديه وقال له يامولاي اعلم ان هذا المنجم اعلم المنجمين كلهم فانه داوى ابنتك وهو واقف خلف الستارة ولم يدخل عليها فقال الملك للخادم اصحيح هذا الخبر فقال الخادم ياسيدي قم وانظر اليها كيف قطعت السلاسل الحديد وخرجت

للمنجم تقبله وتعانقه فعند ذلك قام الملك الغيور ودخل على ابنته فلما رأته نهضت قائمة وغطت رأسها وانشدت هذين البيتين

لا احب السواك من اجل انى ✻ ان ذكرت السواك قلت سواكا
واحب الاراك من اجل انى ✻ ان ذكرت الاراك قلت اراكا

ففرح ابوها بسلامتها وقبلها بين عينيها لانه كان يحبها محبة عظيمة واقبل الملك الغيور على قمر الزمان وسأله عن حاله وقال له من اى البلاد انت فاخبره قمر الزمان بشأنه واعلمه ان والده الملك شهرمان ثم ان قمر الزمان قص عليه القصة من اولها الى آخرها واخبره بجميع ما اتفق له مع السيدة بدور وكيف اخذ الخاتم من اصبعها والبسها خاتمه فتعجب الملك الغيور من ذلك وقال ان حكايتكما لابد ان تؤرخ فى الكتب وتقرأ بعدكما جيلا بعد جيل ثم ان الملك الغيور احضر القضاة والشهود من وقته وكتب كتاب السيدة بدور على قمر الزمان وامر بتزيين المدينة سبعة ايام ثم مدوا السماط والاطعمة وتزينت المدينة وجميع العساكر واقبلت البشائر ودخل قمر الزمان على السيدة بدور وفرح بعافيتها وزواجها وحمد والله الذى رماها فى حب شاب مليح من ابناء الملوك ثم جلوها عليه وكانا يشبهان بعضهما فى الحسن والجمال والظرف والدلال ونام قمر الزمان عندها تلك الليلة وبلغ اربه منها وتمتعت هى بحسنه وجماله وتعانقا الى الصباح وفى اليوم الثانى عمل الملك وليمة وجمع جميع اهل الجزائر الجوانية والجزائر البرانية وقدم لهم الاسمطة وامتدت الموائد مدة شهر كامل وبعد ذلك تفكر قمر الزمان اباه ورآه فى المنام يقول له يا ولدى اهكذا تفعل معى هذه الفعال وانشده فى المنام هذين البيتين

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده ✻ ووكل اجفانى برعى كواكبه
فيا كبدى مهلا عساه يعود لى ✻ ويا مهجتى صبرا على ما كوالنه

ثم ان قمر الزمان لما رأى والده فى المنام يعاتبه اصبح حزينا واعلم زوجته بذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما رأى والده فى المنام يعاتبه اصبح حزينا واخبر زوجته السيدة بدور بذلك فدخلت هى واياه على والدها واعلماه واستأذناه فى السفر فاذن له فى السفر فقالت السيدة بدور يا والدى لا اصبر على فراقه فقال لها والدها سافرى معه واذن لها بالاقامة معه سنة كاملة وبعد السنة تجى اتزور والدها فى كل عام مرة فقبلت يد ابيها وكذلك قمر الزمان ثم شرع الملك الغيور فى تجهيز ابنته هى وزوجها وهيأ لهما ادوات السفر واخرج لهما الخيول والهجن واخرج لابنته محفة وحمل لهما البغال والهجن واخرج لهما ما يحتاجان اليه فى السفر وفى يوم المسير ودع الملك الغيور قمر الزمان وخلع عليه خلعة سنية من الذهب مرصعة بالجواهر وقدم له خزنة مال واوصاه على ابنته بدور ثم خرج معهما الى طرف الجزائر وبعد ذلك ودع قمر الزمان ثم دخل على ابنته بدور وهى فى المحفة وصار يعانقها ويبكى وانشد هذين البيتين

يا طالبا للفراق صبرا ✻ فمتعة العاشق العناق
مهلا فطبع الزمان غدر ✻ وآخر العشرة الفراق

ثم خرج من عندابنته واتى الى زوجها قمر الزمان فصار يودعه ويقبله ثم فارقهما وعاد الى جزائره بعسكره بعدان امرهما بالرحيل فسار قمر الزمان هو وزوجته السيدة بدور ومن معهم من الاتباع اول يوم والثانى والثالث والرابع ولم يزالوا مسافرين مدة شهر ثم نزلوا فى مرج واسع كثير الكلاء وضربوا خيامهم فيه واكلوا وشربوا واستراحوا ونامت السيدة بدور فدخل عليها قمر الزمان فوجدها نائمة وفوق بدنها قميص مشمشى من الحرير يبين منه كل شئ وفوق رأسها كوفية من الذهب مرصعة بالجواهر وقد رفع الهواء قميصها فطلع فوق سرتها عند نهودها فبان لها بطن ابيض من الثلج وكل عكنة من عكن طياته تسع اوقية من دهن البان فزاد محبة وهياما وانشد هذين البيتين

لو قيل لى وزفير الحر متقد ✲ والنار فى القلب والاحشاء تضطرم

اهم تريد وتهوى ان تشاهدهم ✲ او شربة من زلال الماء قلت هم

فحط قمر الزمان يده فى دكة لباسها فجذبها وحلها لما اشتهاها خاطره فرأى فصا احمر مثل العندم مربوطا على الدكة وعليه اسماء منقوشة سطرين بكتابة لاتقرء فتعجب قمر الزمان من تلك القصة وقال فى نفسه لولا ان هذا الفص امر عظيم عندها ماربطته هذه الربطة على دكة لباسها وماخبأته فى اعز ما كان عندها حتى لاتفارقه فماذا تصنع بهذا وما السر الذى هو فيه ثم اخذه وخرج من الخيمة ليبصره فى النور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه لما اخذ الفص ليبصره فى النور صار يتأمل فيه واذا بطائر انقض عليه وخطفه من يده وطار به وحط به على الارض فخاف قمر الزمان على الفص وجرى خلف الطائر وصار الطائر يجرى على قدر جرى قمر الزمان وصار قمر الزمان خلفه من واد الى واد ومن تل الى تل الى ان دخل الليل وتغلس الظلام فنام الطائر على شجرة عالية فوقف قمر الزمان تحتها وصار باهتا وقد ضعف من الجوع والتعب وظن انه هالك واراد ان يرجع فما عرف الموضع الذى جاء منه وهجم عليه الظلام فقال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ثم نام تحت الشجرة التى فوقها الطائر الى الصباح ثم انتبه من نومه فوجد الطائر قد انتبه وطار من فوق الشجرة فمشى قمر الزمان خلفه وصار ذلك الطائر يطير قليلا بقدر مشى قمر الزمان فتبسم قمر الزمان وقال بالله العجب ان هذا الطائر كان بالامس يطير بقدر جرى وفى هذا اليوم علم انى اصبحت تعبانا لا اقدر على الجرى فصار يطير على قدر مشى ان هذا لعجيب ولكن لابد ان اتبع هذا الطائر فاما ان يقودنى الى حياتى او الى مماتى فانا اتبعه حيثما توجه لانه على كل حال لايقيم الا فى البلاد العمار ثم ان قمر الزمان جعل يمشى تحت الطائر والطائر يبيت فى كل ليلة على شجرة ولم يزل تابعه مدة عشرة ايام وقمر الزمان يتقوت من نبات الارض ويشرب من الانهار وبعد العشرة ايام اشرف على مدينة عامرة فمرق الطائر فى تلك المدينة مثل لمح البصر وغاب عن قمر الزمان ولم يعرف اين راح فتعجب قمر الزمان وقال الحمد لله الذى سلمنى حتى وصلت الى هذه المدينة ثم جلس عند الماء وغسل يديه ورجليه ووجهه واستراح ساعة وتذكر ما كان فيه من الراحة ونظر الى ما هو فيه من الغربة والجوع والتعب فانشد يقول

اخفيت ما القاه منه وقد ظهر ✲ والنوم من عينى تبدل بالسهر

ناديت لما اوهنت قلبى الفكر ✲ يا دهر لا تبق علىّ ولا تذر

ها مهجتى

هامهجتي بين المشقة والخطر

لو كان سلطان المحبة منصفي * ما كان نومي من عيوني قد نفي

ياسادتي رفقا بصب مدنف * وتعطفوا لعزيز قوم ذل في

شرع الهوى وغنى قوم افتقر

لج العواذل فيك ما طاوعتهم * وسددت كل مسامعي وصممتهم

قالوا عشقت مهفهفا فاجبتهم * اخترته من بينهم وتركتهم

كفوا اذا وقع القضا عمى البصر

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح دخل باب المدينة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فرغ من شعره واستراح دخل باب المدينة وهو لا يعلم اين يتوجه فمشى في المدينة جميعها وقد كان دخل من باب البر ولم يزل يمشي الى ان خرج من باب البحر فلم يقابله احد من اهلها اذ كانت مدينة على جانب البحر ثم انه بعد ان خرج من باب البحر مشى ولم يزل ماشيا حتى وصل الى بساتين المدينة وشق بين الاشجار فاتى الى بستان ووقف على بابه فخرج اليه الخولي ورحب به وقال له الحمد لله الذي اتيت سالما من اهل هذه المدينة فادخل هذا البستان سريعا قبل ان يراك احد من اهلها فعند ذلك دخل قمر الزمان ذلك البستان وهو ذاهل العقل وقال للخولي ما حكاية اهل هذه المدينة وما خبرهم فقال له اعلم ان اهل هذه المدينة كلهم مجوس فبالله عليك ان تخبرني كيف وصلت الى هذا المكان وما سبب دخولك في بلادنا فعند ذلك اخبره قمر الزمان بجميع ما جرى له فتعجب الخولي من ذلك غاية العجب وقال له اعلم يا ولدي ان بلاد الاسلام بعيدة من هنا فبيننا وبينها اربعة اشهر في البحر واما في البر فسنة كاملة وان عندنا مركبا تقلع وتسافر كل سنة ببضائع الى اول بلاد الاسلام وتسير من هنا الى بحر جزائر الابنوس ومنه الى جزائر خالدان وملكها يقال له السلطان شهرمان فعند ذلك تفكر قمر الزمان في نفسه ساعة زمانية وعلم انه لا اوفق له من قعوده في البستان عند الخولي ويعمل عنده مرابعا فقال للخولي هل تقبلني عندك مرابعا في هذا البستان فقال له الخولي سمعا وطاعة ثم علمه تحويل الماء بين الاشجار فصار قمر الزمان يحول الماء ويقطع الحشيش بالفاس والبسه الخولي بشتا قصيرا ازرق يصل الى ركبته وصار يسقي الاشجار ويبكي بالدموع الغزار وينشد الاشعار بالليل والنهار في معشوقته بدور فمن جملة ذلك هذه الابيات

لنا عندكم وعد فهلا وفيتم * وقلتم لنا قولا فهلا فعلتم

سهرنا على حكم الغرام ونمتم * وليس سواء ساهرون ونوم

وكنا عهدنا اننا نكتم الهوى * فاغراكم الواشي وقال وقلتم

فيا ايها الاحباب في السخط والرضى * على كل حال انتم اقصد انتم

ولي عند بعض الناس قلب معذب * فيا ليته يرثي لحالي ويرحم

وما كل عين مثل عيني قريحة * ولا كل قلب مثل قلبي متيم

ظلمتم وقلتم انما الحب ظالم ❊ صدقتم كذا كان الحديث صدقتم
سلوا مغرما لا ينقض الدهر عهده ❊ ولو كان فى احشائه النار تضرم
اذا كان خصمى فى الصبابة حاكمى ❊ لمن اشتكى خصمى لمن اتظلم
ولولا افتقارى فى الهوى وصبابتى ❊ لما كان لى فى العشق قلب متيم

هذا ما كان من امر قمر الزمان بن الملك شهرمان واما ما كان من امر زوجته السيدة بدور بنت الملك الغيور فانها لما استيقظت من نومها طلبت زوجها قمر الزمان فلم تجده ورأت سروالها محلولا فافتقدت العقدة فوجدتها محلولة والفص معدوما فقالت فى نفسها يا لله العجب اين معشوقى كانه اخذ الفص وراح وهو لا يعلم السر الذى هو فيه فيا ترى اين راح ولكن لا بد له من امر عجيب اقتضى رواحه فانه لا يقدر ان يفارقنى ساعة فلعن الله الفص ولعن ساعته ثم ان السيدة بدور تفكرت وقالت فى نفسها ان خرجت الى الحاشية واعلمتهم بفقد زوجى يطمعوا فى ولكن لا بد من الحيلة ثم انها لبست ثياب قمر الزمان ولبست عمامة كعمامته وضربت لها لثاما وحطت فى محفتها جارية وخرجت من خيمتها وصرخت على الغلمان فقدموا لها الجواد فركبت وامرت بشد الاحمال فشدوا الاحمال وسافروا واخفت امرها لانها كانت تشبه قمر الزمان فما شك احد انها قمر الزمان بعينه ومازالت مسافرة هى واتباعها اياما وليالى حتى اشرفت على مدينة مطلة على البحر المالح فنزلت بظاهرها وضربت خيامها فى ذلك المكان لاجل الاستراحة ثم سألت عن هذه المدينة فقيل لها هذه مدينة الابنوس وملكها الملك ارمانوس وله بنت اسمها حياة النفوس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة بدور لما نزلت بظاهر مدينة الابنوس لاجل الاستراحة ارسل الملك ارمانوس رسولا من عنده يكشف له خبر هذا الملك النازل بظاهر المدينة فلما وصل اليهم الرسول سألهم فاخبروه ان هذا ابن ملك تايه عن الطريق وهو قاصد جزائر خالدان والملك شهرمان فعاد الرسول الى الملك ارمانوس واخبره بالخبر فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام نزل هو وارباب دولته الى مقابلته فلما قدم على الخيام ترجلت السيدة بدور وترجل الملك ارمانوس وسلما على بعضهما واخذها ودخل بها الى مدينته وطلع بها الى قصره وامر بمد السماط وموائد الاطعمة وامر بنقل السيدة بدور الى دار الضيافة فاقامت هناك ثلاثة ايام وبعد ذلك اقبل الملك ارمانوس على السيدة بدور وكانت دخلت فى ذلك اليوم الحمام واسفرت عن وجه كانه البدر عند التمام فافتتن بها العالم وتهتكت بها الخلق عند رؤيتها فعند ذلك اقبل الملك ارمانوس عليها وهى لابسة حلة من الحرير مطرزة بالذهب المرصع بالجواهر وقال لها يا ولدى اعلم انى بقيت شيخا هرما وعمرى ما رزقت ولدا غير بنت وهى على شكلك وقدك فى الحسن والجمال وعجزت عن الملك فهل لك يا ولدى ان تقيم بارضى وتسكن بلادى وازوجك ابنتى واعطيك مملكتى فاطرقت السيدة بدور رأسها وعرق جبينها من الحياء وقالت فى نفسها كيف يكون العمل وانا امرأة فان خالفت امره وسرت ربما يرسل خلفى جيشا يقتلنى وان اطعته ربما افتضح وقد فقدت محبوبى قمر الزمان ولم اعرف له خبرا ومالى خلاص الا ان اجيبه الى قصده واقيم عنده حتى يقضى الله امرا كان مفعولا ثم ان السيدة بدور رفعت رأسها واذعنت للملك بالسمع والطاعة ففرح الملك بذلك وامر

المنادى ان ينادى فى جزائر الابنوس بالفرح والزينة وجمع الحجاب والنواب والامراء والوزراء وارباب دولته وقضاة مدينته وعزل نفسه من الملك وسلطن السيدة بدور والبسها بدلة الملك ودخلت الامراء جميعا على السيدة بدور وهم لا يشكون فى انها شاب وصار كل من نظر اليها منهم جميعا يبل سراويله لفرط حسنها وجمالها فلما تسلطنت الملكة بدور ودقت لها البشائر بالسرور شرع الملك ارمانوس فى تجهيز ابنته حياة النفوس وبعد ايام قلائل ادخلوا السيدة بدور على حياة النفوس فكانتا كانهما بدران اجتمعا او شمسان فى وقت طلعا فردوا عليهما الابواب وارخوا الستائر بعد ان اوقدوا لهما الشموع وفرشوا لهما الفرش فعند ذلك جلست السيدة بدور مع السيدة حياة النفوس فتذكرت محبوبها قمر الزمان واشتدت بها الاحزان فسكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

يا راحلين وقلبى زائد القلق * لم يبق بينكم فى الجسم من رمق
قد كان لى مقلة تشكو السهاد وقد * اذابها الدمع ياليت السهاد بقى
لما رحلتم اقام الصب بعدكم * لكن سلوا عنه ماذا فى البعاد لقى
لولا جفونى وقد فاضت مدامعها * لوقدت عرصات الارض من حرق
اشكو الى الله احبابا عدمتهم * لم يرحموا صبوتى فيهم ولا قلقى
لا ذنب لى عندهم الا الغرام بهم * والناس بين سعيد فى الهوى وشقى

ثم ان السيدة بدور لما فرغت من انشادها جلست الى جانب السيدة حياة النفوس وقبلتها فى فمها ونهضت من وقتها وساعتها وتوضأت ولم تزل تصلى حتى نامت السيدة حياة النفوس ثم دخلت السيدة بدور معها فى الفرش وادارت ظهرها اليها الى الصباح فلما طلع النهار دخل الملك هو وزوجته الى ابنتهما وسألاها عن حالها فاخبرتهما بما جرى وما سمعته من الشعر هذا ما كان من امر حياة النفوس وابويها واما ما كان من امر الملكة بدور فانها خرجت وجلست على كرسى المملكة وطلعت اليها الامراء وارباب الدولة وجميع الرؤساء والجيوش وهنوها بالملك وقبلوا الارض بين يديها ودعوا لها فاقبلت عليهم وتبسمت وخلعت عليهم وزادت فى اقطاع الامراء خيمها العسكر والرعية ودعوا لها بدوام الملك وهم يعتقدون انها ذكر ثم انها امرت ونهت وحكمت وعدلت واطلقت من فى الحبوس وابطلت المكوس ولم تزل قاعدة فى مجلس الحكومة الى ان دخل الليل ثم دخلت المكان المعد لها فوجدت السيدة حياة النفوس جالسة فجلست بجانبها وطقطقت على ظهرها ولاطفتها وقبلتها بين عينيها وانشدت هذه الابيات

قد صار سرى بالدموع علانيه * ونحول جسمى فى الغرام علانيه
اخفى الهوى ويذيعه الم النوى * حالى على الواشين ليست خافيه
يا راحلين عن الحمى خلفتم * جسمى بكم مضنى ونفسى باليه
وسكنتم غور الحشى فنواظرى * تجرى مدامعها وعينى داميه
وانا فداء الغائبين بمهجتى * ابدا واشواقى اليهم باديه
لى مقلة مقروحة فى حبهم * جفت الكرى ودموعها متواليه
ظن العدى منى عليه تجلدا * هيهات ما اذنى اليهم واعيه
خابت ظنونهم لدى وانما * قمر الزمان به انال امانيه
جمع الفضائل ما حواها قبله * احد سواه فى العصور الخاليه

اندى الانام بجوده وبعفوه * كرم ابن زائدة وحلم معاويه
لولا الاطالة والقريض مقصر * عن حصر حسنك لم ادع من قافيه

ثم ان الملكة بدور نهضت قائمة على اقدامها ومسحت دموعها وتوضأت وصلت ولم تزل تصلى الى ان غلب النوم على السيدة حياة النفوس فنامت فجاءت الملكة بدور ورقدت بجانبها الى الصباح ثم قامت وصلت الصبح وجلست على كرسى المملكة وامرت ونهت وحكمت وعدلت هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر الملك ارمانوس فانه دخل على ابنته وسألها عن حالها فاخبرته بجميع ما جرى لها وانشدته الشعر الذى قالته الملكة بدور وقالت يا ابى ما رأيت احدا اكثر عقلا وحياء من زوجى غير انه يبكى ويتنهد فقال لها ابوها يا بنتى اصبرى عليه فما بقى غير هذه الليلة الثالثة فان لم يدخل بك ويزيل بكارتك يكن لنا معه رأى وتدبير واخلعه من الملك وانفيه من بلادنا فاتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر على هذا الرأى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك ارمانوس اتفق مع ابنته على هذا الكلام واضمر على هذا الرأى ولما اقبل الليل قامت الملكة بدور من دست المملكة الى القصر ودخلت المكان الذى هو معد لها فرأت الشمع موقودا والسيدة حياة النفوس جالسة فتذكرت زوجها وما جرى بينهما فى تلك المدة اليسيرة فبكت ووالت الزفرات وانشدت هذه الابيات

قسما لقد ملأت احاديثى الفضا * كالشمس مشرقة على ذات الغضا
نطقت اشارته فاشكل فهمها * فلذاك شوقى فى المزيد وما انقضى
ابغضت حسن الصبر مذ احببته * ارأيت صبا فى الصبابة مبغضا
ومرض اللحظات صال بفتكها * واللحظ اقتل ما يكون ممرضا
ارسل ذوائبه وحط لثامه * فرأيت منه الحسن اسود ابيضا
سقمى وبرئى فى يديه وانما * يشفى سقام الحب من قد امرضا
هام الوشاح برقة فى خصره * والردف من حسد ابى ان ينهضا
وكأن طرته وضوء جبينه * ليل دجى فاعتاقه صبح اضا

فلما فرغت من انشادها ارادت ان تقوم الى الصلاة واذا بحياة النفوس تعلقت بذيلها وقالت لها يا سيدى اما تستحى من والدى وما فعل معك من الجميل وانت تتركنى الى هذا الوقت فلما سمعت منها ذلك جلست فى مكانها وقالت لها يا حبيبتى ما الذى تقولينه قالت الذى اقوله انى ما رأيت احدا معجبا بنفسه مثلك فهل كل من كان مليحا يعجب بحسنه هكذا ولكن انا ما قلت هذا الكلام لاجل ان ارغبك فى وانما قلته خيفة عليك من الملك ارمانوس فانه اضمر ان لم تدخل بى فى هذه الليلة وتزيل بكارتى انه ينزعك من المملكة فى غد ويسفرك من بلاده وربما ازداد به الغيظ فيقتلك وانا يا سيدى رحمتك ونصحتك والرأى رأيك فلما سمعت الملكة بدور منها ذلك الكلام اطرقت برأسها الى الارض وتحيرت فى امرها ثم قالت فى نفسها ان خالفته هلكت وان اطعته افتضحت ولكن انا فى هذه الساعة ملكة على جزائر الابنوس كلها وهى تحت حكمى وما اجتمع انا وقمر الزمان الا فى هذا المكان لانه ليس له طريق الى بلاده الا من جزائر

الابنوس وقد فوضت امرى الى الله فهو نعم المدبر ثم ان الملكة بدور قالت لحياة النفوس يا حبيبتى ان تركك وامتناعى عنك بالرغم عنى وحكت لها ما جرى من المبتدا الى المنتهى وارتها نفسها وقالت لها اسألك بالله ان تخفى امرى وتكتمى سرى حتى يجمعنى الله بمحبوبى قمر الزمان وبعد ذلك يكون ما يكون وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة بدور لما اعلمت حياة النفوس بقصتها وامرتها بالكتمان تعجبت من ذلك غاية العجب ورقت لها ودعت لها بجمع شملها على محبوبها قمر الزمان وقالت لها يا اختى لا تخافى ولا تفزعى واصبرى الى ان يقضى الله امرا كان مفعولا ثم ان حياة النفوس انشدت هذين البيتين

السر عندى فى بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم
ما يكتم السر الا كل ذى ثقة * والسر عند خيار الناس مكتوم

فلما فرغت من شعرها قالت يا اختى ان صدور الاحرار قبور الاسرار وانا لا افشى لك سرا ثم لعبتا وتعانقتا ونامتا الى قريب الاذان ثم قامت حياة النفوس واخذت دجاجة وذبحتها وتلطخت بدمها وقلعت سروالها وصرخت فدخل لها اهلها وزغرتت الجوارى ودخلت عليها امها وسألتها عن حالها واقامت عندها الى المساء واما الملكة بدور فانها لما اصبحت قامت وذهبت الى الحمام واغتسلت وصلت الصبح ثم توجهت الى مجلس الحكومة وجلست على كرسى المملكة وحكمت بين الناس فلما سمع الملك ارمانوس الزغاريت سأل عن الخبر فاخبروه بافتضاض بنته ففرح بذلك واتسع صدره وانشرح واولم الولائم ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان هذا ما كان من امرهما واما ما كان من امر الملك شهرمان فانه بعد خروج ولده الى الصيد والقنص هو ومرزوان كما تقدم صبر حتى اقبل عليه الليل فلم يجئ ولده فتحير عقله ولم ينم تلك الليلة وقلق غاية القلق وزاد وجده واحترق وما صدق ان الفجر انشق حتى اصبح ينتظر ولده الى نصف النهار فلم يجئ فحس قلبه بالفراق والتهب على ولده من الاشفاق ثم بكى حتى بل ثيابه بالدموع وانشد من قلب مصدوع

ما زلت معترضا على اهل الهوى * حتى بليت بحلوه وبمره
وشربت كأس مراره متجرعا * وذللت فيه لعبده ولحره
نذر الزمان بان يفرق شملنا * والان قد اوفى الزمان بنذره

فلما فرغ من شعره مسح دموعه ونادى فى عسكره بالرحيل والحث على السفر الطويل فركب الجيش جميعه وخرج السلطان وهو محترق القلب على ولده قمر الزمان وقلبه بالحزن ملآن ثم فرق جيشه يمينا وشمالا واماما وخلفا ست فرق وقال لهم الاجتماع غدا عند مفرق الطريق فتفرقت الجيوش والعسكر كما ذكرنا وسافرت الخيول ولم يزالوا مسافرين بقية النهار الى ان جن الليل فساروا جميع الليل الى نصف النهار حتى وصلوا الى مفرق اربع طرق فلم يعرفوا اى طريق سلكها ثم رأوا اثر قشة مقطعة ورأوا اللحم مقطعا ونظروا اثر الدم باقيا وشاهدوا كل قطعة من الثياب واللحم فى ناحية فلما رأى الملك شهرمان ذلك صرخ صرخة عظيمة من صميم قلبه وقال واولداه ولطم على وجهه ونتف لحيته ومزق ثوابه

وايقن بموت ولده وزاد فى البكاء والنحيب وبكت لبكائه العساكر وكلهم ايقنوا بهلاك قمر الزمان وحثوا على رؤوسهم التراب ودخل عليهم الليل وهم فى بكاء ونحيب حتى اشرفوا على الهلاك واحترق قلب الملك بلهيب الزفرات وانشد هذه الابيات

لاتعذلوا المحزون فى احزانه * فلقد كفاه الوجد من اشجانه
يبكى لفرط تأسف وتوجع * وغرامه ينبيك عن نيرانه
ياسعد من لتيم حلف الضنى * ان لايزيل الدمع من اجفانه
يبدى الغرام لفقد بدر زاهر * بضيائه يزهو على اقرانه
ولقد سقاه الموت كأساً مترعا * يوم الرحيل فشط عن اوطانه
ترك الديار وسار عنا للبلا * لم يحظ بالتوديع من اخوانه
ولقد رمانى بالبعاد وبالجفا * والصد والتبريح من هجرانه
ولقد مضى عنا وفارقنا فضى * لما حباه ربه بجنانه

فلما فرغ من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهرمان لما فرغ من انشاده رجع بجيوشه الى مدينته وايقن بهلاك ولده وعلم انه عدى عليه وافترسه اما وحش واما قاطع طريق ثم نادى فى جزائر خالدان ان يلبسوا السواد من الاحزان على ولده قمر الزمان وعمل له بيتا وسماه بيت الاحزان وصار كل يوم خميس واثنين يحكم فى مملكته بين عسكره ورعيته وبقية الجمعة يدخل بيت الاحزان وينعى ولده ويرثيه بالاشعار فمن ذلك قوله

فيوم الامانى يوم قربكم منى * ويوم المنايا يوم اعراضكم عنى
اذابت مرعوبا اهدد بالردى * فوصلكم عندى الذ من الامن

ومن ذلك قوله

نفسى الفداء لظاعنين رحيلهم * انكى وافسد فى القلوب وعاثا
فاليقض عدته السرور فاننى * طلقت بعدهم النعيم ثلاثا

هذا ما كان من امر الملك شهرمان واما ما كان من امر الملكة بدور بنت الملك الغيور فانها صارت ملكة فى بلاد الابنوس وصار الناس يشيرون اليها بالبنان ويقولون هذا صهر الملك ارمانوس وكل ليلة تنام مع السيدة حياة النفوس وتشتكى وحشة زوجها قمر الزمان وتصف لها حسنه وجماله وتتمنى ولو فى المنام وصاله هذا ما كان من امر الملكة بدور واما ما كان من امر قمر الزمان فانه لم يزل مقيما عند الخولى فى البستان مدة من الزمان وهو يبكى بالليل والنهار ويتحسر وينشد الاشعار على اوقات الهنا والسرور والخولى يقول له فى آخر السنة تسير المركب الى بلاد المسلمين ولم يزل قمر الزمان على تلك الحالة الى ان رأى الناس مجتمعين على بعضهم فتعجب من ذلك فدخل عليه الخولى وقال له ياولدى بطل الشغل فى هذا اليوم ولا تحول الماء الى الاشجار لان هذا اليوم عيد والناس فيه يزور بعضهم بعضا فاسترح واجعل بالك الى الغيط فانى اريد ان ابصر لك مركبا فما بقى الا القليل وارسلك الى بلاد المسلمين ثم ان الخولى

خرج من البستان وبقى قمر الزمان وحده فانكسر خاطره وجرت دموعه ولم يزل يبكى حتى غشى عليه فلما افاق قام يتمشى فى البستان وهو متفكر فيما فعل به الزمان وطول البعد والهجران وعقله والهيمان فعثر ووقع على وجهه فجاءت جبهته على جدر شجرة فجرى دمه واختلط بدموعه فمسح دمه ونشف دموعه وشد جبهته بخرقة وقام يتمشى فى ذلك البستان وهو ذاهل العقل فنظر بعينه الى شجرة فوقها طائران يختصمان فغلب احدهما على الآخر ونقره فى عنقه فخلص رقبته من جثته ثم اخذ رأسه وطار بها ووقع المقتول فى الارض قدام قمر الزمان فبينما هو كذلك واذا بطائرين كبيرين قد انقضا عليه ووقف واحد منهما عند رأسه والآخر عند ذنبه ورخيا اجنحتهما عليه ومدا اعناقهما اليه وبكيا فبكى قمر الزمان على فراق زوجته حين رأى الطائرين يبكيان على صاحبهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان بكى على فراق زوجته فرأى الطائرين يبكيان على صاحبهما ثم ان قمر الزمان رأى الطائرين حفرا حفرة ودفنا الطائر المقتول فيها وطارا الى الجو وغابا ساعة ثم عادا ومعهما الطائر القاتل فنزلا به على قبر المقتول وبركا على القاتل حتى قتلاه وشقا جوفه واخرجا امعاءه واراقا دمه على قبر الطائر المقتول ثم نترا لحمه ومزقا جلده واخرجا ما فى جوفه وفرقاه فى اماكن متفرقة هذا كله يجرى وقمر الزمان ينظر ويتعجب فحانت منه التفاتة الى الموضع الذى قتلا فيه الطائر فوجد شيأ يلمع فدنا منه فوجده حوصلة الطائر فاخذها وفتحها فوجد فيها الفص الذى كان سبب فراقه من زوجته فلما رآه وعرفه وقع على الارض مغشيا عليه من فرحته فلما افاق قال فى نفسه هذا علامة الخير وبشارة الاجتماع بمحبوبتى ثم تأمله ومر به على عينه وربطه على ذراعه واستبشر بالخير وقام يتمشى لينتظر الخولى ولم يزل يفتش عليه الى الليل فلم يأت فبات قمر الزمان فى موضعه الى الصباح ثم قام الى شغله وشد وسطه بحبل من الليف واخذ الفاس والقفة وشق فى البستان فاتى الى شجرة خروب وضرب الفاس فى جدرها فطنت الضربة فكشف التراب عن موضعها فوجد طابقا ففتحه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قمر الزمان لما فتح ذلك الطابق وجد بابا فنزل فيه فلقى قاعة قديمة من عهد ثمود وعاد وتلك القاعة واسعة وهى مملوءة ذهبا احمر فقال فى نفسه لقد ذهب التعب وجاء الفرح والسرور ثم ان قمر الزمان طلع من المكان الى ظاهر البستان ورد الطابق كما كان ورجع الى البستان وتحويل الماء على الاشجار ولم يزل كذلك الى آخر النهار فجاء الخولى وقال يا ولدى ابشر برجوعك الى الاوطان فان التجار تجهزوا للسفر والمركب بعد ثلاثة ايام مسافرة الى مدينة الابنوس وهى اول مدينة من مدائن المسلمين فاذا وصلت اليها تسافر فى البر ستة اشهر حتى تصل الى جزائر خالدان والملك شهرمان ففرح قمر الزمان بذلك ثم قبل يد الخولى وقال له يا والدى كما بشرتنى فانا ابشرك ببشارة واخبره بامر القاعة ففرح الخولى وقال يا ولدى انا لى فى هذا البستان ثمانون عاما ما وقعت على شئ وانت لك عندى دون السنة وقد رأيت هذا الامر فهو رزقك وسبب زوال عكسك ومعين لك على وصولك الى اهلك واجتماع

شملك بمن تحب فقال قمر الزمان لابد من القسمة بيني وبينك ثم اخذ الخولي ودخل به الى تلك القاعة واراه الذهب وكان في عشرين خابية فاخذ عشرة والخولي عشرة فقال له الخولي ياولدي عبي لك امطارا من الزيتون العصافيري الذي في هذا البستان فانه معدوم في غير بلادنا وتحمله التجار الى جميع البلاد واجعل الذهب في الامطار والزيت فوق الذهب ثم سدها وخذها في المركب فقام قمر الزمان من وقته وساعته وعبي خمسين مطرا ووضع الذهب فيها وسد عليه بعد ان جعل الزيتون فوق الذهب وحط الفص معه في مطر وجلس هو والخولي يتحدثان وايقن بجمع شمله وقربه من اهله وقال في نفسه اذا وصلت الى جزيرة الابنوس اسافر منها الى بلاد ابي واسأل عن محبوبتي بدور فياترى هل رجعت الى بلادها او سافرت الى بلاد ابي او حدث لها حادث في الطريق ثم جلس قمر الزمان ينتظر انقضاء الايام وحكى للخولي حكاية الطيور وما وقع بينهما فتعجب الخولي من ذلك ثم ناما الى الصباح فاصبح الخولي ضعيفا واستمر على ضعفه يومين وفي ثالث يوم اشتد به الضعف حتى يئسوا من حياته فحزن قمر الزمان على الخولي فبينما هو كذلك واذا بالريس والبحرية قد اقبلوا وسألوا عن الخولي فاخبرهم بضعفه فقالوا اين الشاب الذي يريد السفر معنا الى جزيرة الابنوس فقال لهم قمر الزمان هو المملوك الذي بين ايديكم ثم امرهم بتحويل الامطار الى المركب فنقلوها الى المركب وقالوا لقمر الزمان اسرع فان الريح قد طاب فقال لهم سمعا وطاعة ثم نقل زوادته الى المركب ورجع الى الخولي يودعه فوجده في النزع فجلس عند رأسه حتى مات وغمضه وجهزه وواراه في التراب ثم توجه الى المركب فوجدها ارخت القلوع وسارت ولم تزل تشق البحر حتى غابت عن عينه فصار قمر الزمان مدهوشا حيران ثم رجع الى البستان وهو مهموم مغموم وحثى التراب على رأسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان رجع الى البستان وهو مهموم مغموم بعد ان سافرت المركب واستأجر البستان من صاحبه واقام تحت يده رجلا يعاونه على سقي الشجر وتوجه الى الطابق ونزل الى القاعة وعبي الذهب الباقي في خمسين مطرا ووضع فوقه الزيتون وسأل عن المركب فقالوا انها لا تسافر الا في كل سنة مرة واحدة فزاد به الوسواس وتحسر على ما جرى له لاسيما فقد الفص الذي للسيدة بدور فصار يبكي بالليل والنهار وينشد الاشعار هذا ما كان من امر قمر الزمان واما ما كان من امر المركب فانه طاب لها الريح ووصلت الى جزيرة الابنوس واتفق بالامر المقدور ان الملكة بدور كانت جالسة في الشباك فنظرت الى المركب وقد رست في الساحل فخفق فؤادها وركبت هي والامراء والحجاب وتوجهت الى الساحل ووقفت على المركب وقد دار النقل في البضائع الى المخازن فاحضرت الريس وسألته عما معه فقال ايها الملك ان معي في هذه المركب من العقاقير والسفوفات والاكحال والمراهم والادهان والاموال والامتعة الفاخرة والبضائع النفيسة ما يعجز عن حمله الجمال والبغال وفيها من اصناف العطر والبهار ومن العود القاقلي والتمر الهندي والزيتون العصافيري ما يندر وجوده في هذه البلاد فاشتهت نفسها الزيتون وقالت لصاحب المركب ما مقدار الذي معك من الزيتون قال معي خمسون مطرا ملآنة ولكن صاحبها ما حضر معنا والملك يأخذ ما اشتهاه منها فقالت اطلعوها في البر لانظر اليها فصاح الريس على البحرية فطلعوا الخمسين مطرا ففتحت واحدا ونظرت الزيتون وقالت انا آخذ هذه

الخمسين مطرا واعطيكم حقهما مهما كان فقال الريس هذا ماله في بلاد ناقية ولكن صاحبها تأخر عنا وهو رجل فقير فقالت وما مقدار ثمنها قال الف درهم قالت انا اخذها بالف درهم ثم امرت بنقلها الى القصر فلما جاء الليل امرت باحضار مطر فكشفته وما في البيت غيرها هي وحياة النفوس ثم حطت بين يديها طبقا ووضعت فيه شيأ من المطر فنزل في الطبق كوم من الذهب الاحمر فقالت للسيدة حياة النفوس ما هذا الا ذهبا ثم اختبرت الجميع فوجدتها كلها ذهبا والزيتون كله ما يملأ مطرا واحدا وفتشت في الذهب فوجدت الفص فيه فاخذته وتأملته فوجدته الفص الذي كان في دكة لباسها واخذه قمر الزمان فلما تحققته صاحت من فرحتها وخرت مغشيا عليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة بدور لما رأت الفص صاحت من فرحتها وخرت مغشيا عليها فلما افاقت قالت في نفسها ان هذا الفص كان سببا في فراق محبوبي قمر الزمان ولكنه بشير الخير ثم اعلمت السيدة حياة النفوس بان وجوده بشارة الاجتماع فلما اصبح الصباح جلست على كرسي المملكة واحضرت ريس المركب فلما حضر قبل الارض بين يديها فقالت اين خليتم صاحب هذا الزيتون قال يا ملك الزمان تركناه في بلاد المجوس وهو خولي بستان فقالت له ان لم تأت به فلا تعلم ما يجري عليك وعلى مركبك من الضرر ثم امرت بالختم على مخازن التجار وقالت لهم ان صاحب هذا الزيتون غريمي ولي عليه دين وان لم يأت لاقتلنكم جميعا وانهب تجارتكم فاقبلوا على الريس ووعدوه باجرة مركبه ويرجع ثاني مرة وقالوا له خلصنا من هذا الغاشم فنزل الريس في المركب وحل قلوعها وكتب الله له السلامة حتى دخل الجزيرة في الليل وطلع الى البستان وكان قمر الزمان قد طال عليه الليل وتذكر محبوبته فقعد يبكي على ما جرى له وهو في البستان ثم ان الريس دق الباب على قمر الزمان ففتح الباب وخرج اليه فحمله البحرية ونزلوا به الى المركب وحلوا القلوع وساروا ولم يزالوا سائرين اياما وليالي وقمر الزمان لا يعلم ما يوجب ذلك فسألهم عن السبب فقالوا له انت غريم الملك صاحب جزائر الابنوس صهر الملك ارمانوس وقد سرقت ماله يا منحوس فقال والله عمري ما دخلت هذه البلاد ولا اعرفها ثم انهم ساروا به حتى اشرفوا على جزائر الابنوس وطلعوا به على السيدة بدور فلما رأته عرفته وقالت دعوه عند الخدام ليدخلوا به الحمام وافرجت عن التجار وخلعت على الريس خلعة تساوي عشرة الاف دينار ودخلت على حياة النفوس واعلمتها بذلك وقالت لها اكتمي الخبر حتى ابلغ مرادي واعمل عملا يؤرخ ويقرأ بعدنا على الملوك والرعايا وحين امرت ان يدخلوا بقمر الزمان الحمام فدخلوا به الحمام والبسوه لبس الملوك ولما طلع قمر الزمان من الحمام صار كأنه غصن بان او كوكب يخجل بطلعته القمران وردت روحه اليه ثم توجه اليها ودخل القصر فلما نظرته صبرت قلبها حتى يتم مرادها وانعمت عليه بمماليك وخدم وجمال وبغال واعطته خزانة مال ولم تزل ترقي قمر الزمان من درجة الى درجة حتى جعلته خازندار وسلمت اليه الاموال واقبلت عليه وقربته منها واعلمت الامراء بمنزلته فاحبوه جميعهم وصارت الملكة بدور كل يوم تزيد له في المرتبات وقمر الزمان لا يعرف ما سبب تعظيمها له ومن كثرة الاموال صار يهب ويتكرم ويخدم الملك ارمانوس حتى احبه وكذلك احبته الامراء والخواص والعوام وصاروا يحلفون بحياته كل ذلك وقمر الزمان يتعجب من تعظيم الملكة

بدوره ويقول فى نفسه والله ان هذه المحبة لابد لها من سبب وربما يكون هذا الملك انما يكرمنى هذا الاكرام الزائد لاجل غرض فاسد فلابد ان استأذنه واسافر من بلاده ثم انه توجه الى الملكة بدور وقال لها ايها الملك انك اكرمتنى اكراما زائدا ومن تمام الاكرام ان تأذن لى فى السفر وتأخذ منى جميع ما انعمت به على فتبسمت الملكة بدور وقالت له ما حملك على طلب الاسفار واقتحام الاخطار وانت فى غاية الاكرام وتزايد الانعام فقال لها قمر الزمان ايها الملك ان هذا الاكرام اذا لم يكن له سبب فانه من اعجب العجب خصوصا وقد اوليتنى من المراتب ما حقه ان يكون للاختيار مع انى من الاطفال الصغار فقالت له الملكة بدور سبب ذلك انى احبك لفرط جمالك الفائق وبديع حسنك الرائق وان مكنتنى مما اريده منك ازدك اكراما وعطاء وانعاما واجعلك وزيرا على صغر سنك كما جعلنى الناس سلطانا عليهم وانا فى هذا السن ولا عجب اليوم فى رآسة الاطفال ولله در من قال

كأن زماننا من قوم لوط * له شغف بتقديم الصغار

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام خجل واحمرت خدوده حتى صارت كالضرام وقال لا حاجة لى بهذا الاكرام المؤدى الى ارتكاب الحرام بل اعيش فقيرا من المال غنيا بالمروءة والكمال فقالت له الملكة بدور انا لا اغتر بورعك الناشئ عن التيه والدلال ولله در من قال

ذاكرته عهد الوصال فقال لى * كم ذا تطيل من الكلام المؤلم
فاريته الدينار انشد قائلا * اين المفر من القضاء المبرم

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام قال ايها الملك انه لا عادة لى بهذه الفعال ولا طاقة لى على حمل هذه الاثقال التى يعجز عن حملها اكبر منى فكيف بى على صغر سنى فلما سمعت كلامه الملكة بدور تبسمت وقالت ان هذا الشئ عجاب كيف يظهر الخطا من خلال الصواب اذا كنت صغيرا فكيف تخشى من الحرام وارتكاب الآثام وانت لم تبلغ حد التكليف ولا مؤاخذة فى ذنب الصغير ولا تعنيف فقد الزمت نفسك الحجة بالجدال وحقت عليك كلمة الوصال فلا تظهر بعد ذلك امتناعا ولا نفورا وكان امر الله قدرا مقدورا فانا احق منك بخشية الوقوع فى الضلال وقد اجاد من قال

ايرى كبير والصغير يقول لى * اطعن به الاحشا وكن صنديدا
فاجبته ذا لا يجوز فقال لى * عندى يجوز فنكته تقليدا

فلما سمع قمر الزمان هذا الكلام تبدل الضياء فى وجهه بالظلام وقال ايها الملك انه يوجد عندك من النساء والجوارى الحسان ما لا يوجد له نظير فى هذا الزمان فهلا استغنيت بذلك عنى فخل الى ما شئت منهن ودعنى فقالت ان كلامك صحيح ولكن لا يشتفى بهن من عشقك الم ولا تبرح واذا فسدت الامزجة والطبيعة فهى لغير النصح سميعة مطيعة فاترك الجدال واسمع قول من قال

اما ترى السوق قد صفت فواكهه * للتين قوم وللجميز اقوام

وقول الآخر

وصامتة الخلخال رن وشاحها * فهذا قد استغنى وذا يشتكى الفقرا
تريد سلوى عنك جهلا بحسنها * وما كنت ارضى بعد ايمانى الكفرا
وحق عذار يزدرى بعقاصها * لما خدعتنى عنك غانية عذرا

وقول الآخر

يا فريد

يافريد الجمال حبك دينى * واختيارى على جميع المذاهب
قد تركت النسا لاجلك حتى * زعم الناس انى اليوم راهب

وقول الاخر

سلا خاطرى عن زينب ونوارى * بوردة خد فوق آس عذار
واصبحت بالظبى المقرطق مغرما * ولا رأى لى فى عشق ذات سوار
انيسى فى النادى وفى خلوتى معا * خلاف انيسى فى قرار دارى
فيا لائمى فى هجر هند وزينب * وقد لاح عذرى كالصباح انار
اترضى بان امسى اسير اسيرة * محصنة او من وراء جدار

وقول الاخر

لا تقس امردا بانثى ولا تصغ لواش يقول ذلك فسق
بين انثى يقبل الوجه رجلا * وغزال يقبل الارض فرق

وقول الاخر

فديتك انما اخترناك عمدا * لانك لا تحيض ولا تبيض
ولو ملنا الى وصل الغوانى * اضاق بنسلنا البلد العريض

وقول الاخر

تقول لى وهى غضبى من تدللها * وقد دعتنى الى شىء فما كانا
ان لم تكن نيك المرء زوجته * فلا تلمنى اذا اصبحت قرنانا
كان ايرك من شمع رخاوته * فكلما عركته راحتى لانا

وقول الاخر

قالت وقد اعرضت عن غشيانها * يا احمقا فى جهله يتناها
لم ترض من قبلى لوجهك قبلة * لنولينك قبلة ترضاها

وقول الاخر

جادت بكس ناعم * فقلت انى لم انك
فانصرفت قائلة * يؤفك عنه من افك
النيك من قدام فى * هذا الزمان قد ترك
ودورت لى فقحة * مثل اللجين المنسبك
احسنت ياسيدتى * احسنت لا فجعت بك
احسنت بالوسع من * فتوح مولانا الملك

وقول الاخر

يستغفر الناس بايديهم * وهن يستغفرن بالارجل
يا له من عمل صالح * يرفعه الله الى اسفل

فلما سمع قمر الزمان منها هذه الاشعار وتحقق انه ليس له مما ارادته فرار قال ياملك الزمان ان كان ولابد فعاهدنى على انك لا تفعل بى هذا الامر غير مرة واحدة وان كان ذلك لا يجدى فى اصلاح الطبيعة

الفاسدة وبعد ذلك لا تسألني فيه على الابد لعل الله يصلح مني ما فسد فقالت عاهدتك على ذلك راجية ان الله علينا يتوب ويمحو بفضله عنا عظيم الذنوب فان نطاق افلاك المغفرة لا يضيق عن ان يحيط بنا ويكفر عنا ما عظم من سيآتنا ويخرجنا الى نور الهدى من ظلام الضلال وقد اجاد واحسن من قال

توهم فينا الناس شيأ وصممت * عليه نفوس منهم وقلوب
تعال نحقق ظنهم لنريحهم * من الاثم فينا مرة ونتوب

ثم اعطته المواثيق والعهود وحلفت له بواجب الوجود انه لا يقع بينها وبينه هذا الفعل الا مرة في الزمان وان الجاها غرامه الى الموت والخسران فقام معها على هذا الشرط الى محل خلوتها لتطفي نيران لوعتها وهو يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذلك تقدير العزيز العليم ثم حل سراويله وهو في غاية الخجل وعيونه تسيل من شدة الوجل فتبسمت واطلعته معها على السرير وقالت له لا ترى بعد هذه الليلة من نكير ومالت عليه بالتقبيل والعناق والتفاف ساق على ساق ثم قالت له مد يدك بين فخذي الى المعهود لعله ينتصب الى القيام من السجود فبكى وقال انا لا احسن شيأ من ذلك فقالت بحياتي ان تفعل ما امرتك به فمد يده وفؤاده في زفير فوجد فخذها الين من الزبد وانعم من الحرير فاستلذ بلمسها وجال بيده في جميع الجهات حتى وصلت الى قبة كثيرة البركات والحركات فقال في نفسه لعل هذا الملك خنثى وليس بذكر ولا انثى ثم قال ايها الملك اني لم اجد لك آلة مثل آلات الرجال فما حملك على هذه الفعال فضحكت الملكة بدور حتى استلقت على قفاها وقالت له يا حبيبي ما اسرع ما نسيت ليالينا باتناها وعرفته بنفسها فعرف انها زوجته الملكة بدور بنت الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور فاحتضنها واحتضنته وقبلها وقبلته ثم اضطجعا على فراش الوصال وتناشدا قول من قال

لما دعته الى وصالي عطفة * من معطف بتعطف متواص
وسقت قساوة قلبه من لينها * فاجاب بعد تمنع وتعاصي
خشي العواذل ان تراه اذا بدا * فاتى بعدة آمن الارهاص
شكت الخصور روادفا قد حملت * اقدامه في المشي حمل قلاص
متقلد الصمصام من الحاظه * ومن الدجى متدرعا بدلاص
وشذاه بشرني بسعد قدومه * ففررت مثل الطير من اقفاص
وفرشت خدي في الطريق لنعله * فشفى باثمد تربها ارماصي
وعقدت الوية الوصال معانقا * وفككت عقدة حظي المتعاصي
واقمت افراحا اجاب نداءها * طرب صفا عن شائب الانغاص
والبدر نقط بالنجوم الثغر من * حبب على وجه الطلى رقاص
وعكفت في محراب لذتها على * ما من تعاطيه يتوب العاصي
قسما بآيات الضحى من وجهه * لم انسى فيه سورة الاخلاص

ثم ان الملكة بدور اخبرت قمر الزمان بجميع ما جرى لها من الاول الى الآخر وكذلك هو اخبرها بجميع ما جرى له وبعد ذلك انتقل معها الى العتاب وقال لها ما حملك على ما فعلته بي في هذه الليلة فقالت لا تؤاخذني فان قصدي بذلك المزاح ومزيد البسط والانشراح فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح ارسلت الملكة بدور الى الملك ارمانوس والد الملكة حياة النفوس واخبرته بحقيقة امرها وانها زوجة قمر الزمان واخبرته بقصتهما

وبسبب

وبسبب افتراقهما من بعضهما واعلمته ان ابنته حياة النفوس بكر على حالها فلما سمع الملك ارمانوس صاحب جزائر الابنوس قصة الملكة بدور بنت الملك الغيور تعجب منهما غاية العجب وامر ان يكتب بماء الذهب ثم التفت الى قمر الزمان وقال له يا ابن الملك هل لك ان تصاهرني وتتزوج بنتي حياة النفوس فقال له حتى اشاور الملكة بدور فان لها علي فضلا غير محصور فلما شاورها قالت له نعم هذا الرأي فتزوجها وانا اكون انا لها جارية لان لها علي معروفا واحسانا وخيرا وامتنانا وخصوصا ونحن في محلها وقد غمرنا احسان ابيها فلما رأى قمر الزمان ان الملكة بدور مائلة الى ذلك ولم يكن عندها غيرة من حياة النفوس اتفق معها على هذا الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان قمر الزمان اتفق مع زوجته الملكة بدور على هذا الامر واخبر الملك ارمانوس بما قالته الملكة بدور من انها تحب ذلك وتكون جارية لحياة النفوس فلما سمع الملك ارمانوس هذا الكلام من قمر الزمان فرح فرحا شديدا ثم خرج وجلس على كرسي مملكته واحضر جميع الوزراء والامراء والحجاب وارباب الدولة واخبرهم بقصة قمر الزمان وزوجته الملكة بدور من الاول الى الآخر وانه يريد ان يزوج ابنته حياة النفوس لقمر الزمان ويجعله سلطانا عليهم عوضا عن زوجته الملكة بدور فقالوا جميعا حيث كان قمر الزمان هو زوج الملكة بدور التي كانت سلطانا علينا قبله ونحن نظن انها صهر ملكنا ارمانوس فكلنا نرضاه سلطانا علينا ونكون له عبيدا لا نخرج عن طاعته ففرح الملك ارمانوس بذلك فرحا شديدا ثم احضر القضاة والشهود ورؤساء الدولة وعقد عقد قمر الزمان على ابنته الملكة حياة النفوس ثم انه اقام الافراح واولم الولائم الفاخرة وخلع الخلع السنية على جميع الامراء ورؤساء العساكر وتصدق على الفقراء والمساكين واطلق جميع المحابيس واستبشر العالم بسلطنة الملك قمر الزمان وصاروا يدعون له بدوام العز والاقبال والسعادة والاجلال ثم ان قمر الزمان لما صار سلطانا عليهم ازال المكوس واطلق من بقي في الحبوس وسار فيهم سيرة حميدة واقام مع زوجته على هناء وسرور ووفاء وحبور يبيت عند كل واحدة منهما ليلة ولم يزل على ذلك مدة من الزمان وقد انجلت عنه الهموم والاحزان ونسي اباه الملك شهرمان وما كان له عنده من عز وسلطان حتى رزقه الله تعالى من زوجتيه بولدين ذكرين مثل القمرين النيرين اكبرهما من الملكة بدور وكان اسمه الملك الامجد واصغرهما من الملكة حياة النفوس واسمه الملك الاسعد وكان الاسعد اجمل من اخيه الامجد ثم انهما تربيا في العز والدلال والادب والكمال وتعلما الخط والعلم والسياسة والفروسية حتى صارا في غاية الكمال ونهاية الحسن والجمال وافتتن بهما النساء والرجال وصار لهما من العمر نحو سبعة عشر عاما وهما متلازمان فيأكلان سواء ويشربان سواء ولا يفترقان عن بعضهما ساعة من الساعات ولا وقتا من الاوقات وجميع الناس تحسدهما على ذلك ولما بلغا مبلغ الرجال واتصفا بالكمال صار ابوهما اذا سافر يجلسهما على التعاقب في مجلس الحكم فيحكم كل واحد منهما يوما بين الناس واتفق بالقدر المبرم والقضاء المحتم ان محبة الاسعد الذي هو ابن حياة النفوس وقعت في قلب الملكة بدور زوجة ابيه وان محبة الامجد الذي هو ابن الملكة بدور وقعت في قلب حياة النفوس زوجة ابيه فصارت كل واحدة من المرأتين تلاعب ابن ضرتها وتقبله وتضمه الى صدرها واذا رأت ذلك امه تظن انه من الشفقة ومحبة الامهات لاولادهن وتمكن العشق من قلوب المرأتين وافتتنتا بالولدين فصارت كل

واحدة منهما اذا دخل عليها ابن ضرتها تضمه الى صدرها وتود انه لا يفارقها ولما طال عليهما المطال ولم يجدا سبيلا الى الوصال امتنعتا من الشراب والطعام وهجرتا لذيذ المنام ثم ان الملك توجه الى الصيد والقنص وامر ولديه ان يجلسا في موضعه الى الحكم كل واحد منهما يوما على عادتهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك توجه الى الصيد والقنص وامر ولديه ان يجلسا في موضعه للحكم كل واحد يوما على عادتهما فجلس للحكم في اليوم الاول الامجد بن الملكة بدور فامر ونهى وولى وعزل واعطى ومنع فكتبت له الملكة حياة النفوس ام الاسعد مكتوبا تستعطفه فيه وتوضح له انها متعلقة به ومتعشقة فيه وتكشف له الغطا وتعلمه انها تريد وصاله فاخذت ورقة وكتبت فيها هذه السجعات من المسكينة العاشقه * الحزينة المفارقه * التي ضاع بحبك شبابها * وطال فيك عذابها * ولو وصفت لك طول الاسف * وما اقاسيه من اللهف * وما بقلبي من الشغف * وما انا فيه من البكا والانين * وتقطع القلب الحزين * وتوالي الغموم * وتتابع الهموم * وما اجده من الفراق * والكآبة والاحتراق * لطال شرحه في الكتاب * وعجزت عن حصره الحساب * وقد ضاقت عليّ الارض والسماء * ولا لي في غيرك امل ولا رجاء * فقد اشرفت على الموت * وكابدت اهوال الفوت * وزاد بي الاحتراق * والم الهجر والفراق * ولو وصفت ما عندي من الاشواق * لضاقت عنه الاوراق * ثم بعد ذلك كتبت هذين البيتين

لو كنت اشرح ما القاه من حرق * ومن سقام ومن وجد ومن قلق

لم يبق في الارض قرطاس ولا قلم * ولا مداد ولا شيء من الورق

ثم ان الملكة حياة النفوس لفت تلك الورقة في رقعة من غالي الحرير مضمخة بالمسك والعبير ووضعت معها جدائل شعرها التي تستغرق الاموال بسعرها ثم لفتها بمنديل واعطتها الخادم وامرته ان يوصلها الى الملك الامجد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انها اعطت ورقة المراسلة للخادم وامرته ان يوصلها الى الملك الامجد فسار ذلك الخادم وهو لا يعلم ما خبي له في الغيب وعلام الغيوب يدبر الامور كيف يشاء فلما دخل الخادم على الملك الامجد قبل الارض بين يديه وناوله المنديل وبلغه الرسالة فتناول الملك الامجد المنديل من الخادم وفضه فرأى الورقة ففضها وقرأها فلما فهم معناها علم ان امرأة ابيه في عينها الخيانة وقد خانت اباه الملك قمر الزمان في نفسها فغضب غضبا شديدا وذم النساء على فعلهن وقال لعن الله النساء الخائنات الناقصات عقلا ودينا ثم انه جرد سيفه وقال للخادم ويلك يا عبد السوء اتحمل المراسلة المشتملة على الخيانة من زوجة سيدك والله انه لا خير فيك يا اسود اللون والصحيفة يا قبيح المنظر والطبيعة السخيفة ثم ضربه بالسيف في عنقه فعزل رأسه عن جثته وطوى المنديل على ما فيه ووضعه في جيبه ثم دخل على امه واعلمها بما جرى وسبها وشتمها وقال كل كن اخس من بعضكن والله العظيم لولا اني اخاف اساءة الادب في حق والدي قمر الزمان واخي الملك الاسعد لادخل عليها واضربن عنقها كما ضربت عنق خادمها ثم انه خرج من عند امه الملكة بدور وهو في غاية الغيظ فلما بلغ الملكة حياة النفوس

زوجة ابيه ما فعل بخادمها ابنته ودعت عليه واضمرت له المكر فبات الملك الامجد فى تلك الليلة ضعيفا من الغيظ والقهر والفكر ولم يلذ له اكل ولا شرب ولا منام فلما اصبح الصباح خرج اخوه الملك الاسعد وجلس فى مجلس ابيه الملك قمر الزمان ليحكم بين الناس وقد اصبحت امه حياة النفوس ضعيفة بسبب ما سمعته عن الملك الامجد من قتله الخادم ثم ان الملك الاسعد لما جلس للحكم فى ذلك اليوم حكم وعدل وولى وعزل وامر ونهى واعطى ووهب ولم يزل جالسا فى مجلس الحكم الى قرب العصر ثم ان الملكة بدور ام الملك الامجد ارسلت الى عجوز من العجائز الماكرات واظهرتها على ما فى قلبها واخذت ورقة لتكتب فيها مراسلة للملك الاسعد بن زوجها وتشكو اليه كثرة محبتها له ووجدها به فكتبت له هذه السجعات من تلفت وجدا وشوقا * الى احسن الناس خلقا وخلقا * المعجب بجماله * التائه بدلاله * المعرض عن طالب وصاله * الزاهد فى القرب ممن خضع وذل * الى من جفا وملّ * الملك الاسعد صاحب الحسن الفائق * والجمال الرائق * والوجه الاقمر * والجبين الازهر * والضياء الابهر * هذا كتابى الى من حبه اذاب جسمى * ومزق جلدى وعظمى * اعلم انى قد عيل صبرى * وتحيرت فى امرى * واقلقنى الشوق والسهاد * وجفانى الصبر والرقاد * ولازمنى الحزن والسهاد * وبرح بى الوجد والغرام * وحلول الضنى والسقام * فالروح تفديك * وان كان قتل الصب يرضيك * والله يبقيك * ومن كل سوء يقيك *
ثم بعد تلك السجعات * كتبت هذه الابيات

حكم الزمان بانى لك عاشق * يا من محاسنه كبدر يشرق
حزت الملاحة والفصاحة كلها * وعليك من دون البرية رونق
ولقد رضيت بان تكون معذبى * فعسى على بنظرة تتصدق
من مات فيك صبابة فله الهنا * لا خير فيمن لا يحب ويعشق

ثم كتبت ايضا هذه الابيات

اليك اسعد اشكو من لهيب جوى * فارحم متيمة بالشوق تلتهب
الى متى وايادى الوجد تلعب بى * والعشق والفكر والتسهيد والنصب
طورا ببحر وطورا اشتكى لهبا * فى مهجتى ان ذا يا منيتى عجب
يا لائمى خل لومى والتمس هربا * من الهوى فدموع العين تنسكب
كم صحت وجدا من الهجران واحربا * فلم يفدنى بذاك الويل والحرب
امرضتنى بصدود لست احمله * انت الطبيب فاسعفنى بما يجب
يا عاذلى كف عن عذلى محاذرة * كيلا يصيبك من داء الهوى عطب

ثم ان الملكة بدور ضمخت ورقة الرسالة بالمسك الاذفر ولفتها فى جدائل شعرها وهى من الحرير العراقى وشراريبها من قضبان الزمرد الاخضر مرصعة بالدر والجوهر ثم سلمتها الى العجوز وامرتها ان تعطيها للملك الاسعد ابن زوجها الملك قمر الزمان فراحت العجوز من اجل خاطرها ودخلت على الملك الاسعد من وقتها وساعتها وكان فى خلوة عند دخولها فناولته الورقة بما فيها وقد وقفت ساعة زمانية تنتظر رد الجواب فعند ذلك قرأ الملك الاسعد الورقة وفهم ما فيها ثم بعد ذلك لف الورقة فى الجدائل ووضعها فى جيبه وغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ولعن النساء الخائنات ثم انه نهض وسحب السيف من غمده وضرب رقبة العجوز فعزل راسها عن جثتها وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على امه

حياة النفوس فوجدها راقدة فى الفرش ضعيفة بسبب ما جرى لها من الملك الامجد فشتمها الملك الاسعد ولعنها ثم خرج من عندها فاجتمع باخيه الملك الامجد وحكى له جميع ما جرى له مع امه الملكة بدور واخبره بانه قتل العجوز التى جاءت له بالرسالة ثم قال له والله يا اخى لولا حيائى منك لكنت دخلت فى هذه الساعة اليها وقطعت راسها من بين كتفيها فقال له اخوه الملك الامجد والله يا اخى انه قد جرى لى بالامس لما جلست على كرسى المملكة مثل ما جرى لك فى هذا اليوم فان امك ارسلت الى رسالة بمثل مضمون هذا الكلام ثم اخبره بجميع ما جرى له مع امه الملكة حياة النفوس وقال له والله يا اخى لولا حيائى منك لدخلت اليها وفعلت بها ما فعلت بالخادم ثم انهما باتا يتحدثان بقية تلك الليلة ويلعنا النساء الخائنات ثم تواصيا بكتمان هذا الامر لئلا يسمع به ابوهما الملك قمر الزمان فيقتل المرأتين ولم يزالا فى غم تلك الليلة الى الصباح فلما اصبح الصباح اقبل الملك بجيشه من الصيد وطلع الى قصره ثم صرف الامراء الى حال سبيلهم وقام ودخل القصر فوجد زوجتيه راقدتين على الفراش وهما فى غاية الضعف وقد عملتا لولديهما مكيدة واتفقتا على تضييع ارواحهما لانهما قد فضحتا انفسهما معهما وقد خشيتا ان يصيرتا تحت ذلتهما فلما رآهما الملك على تلك الحالة قال لهما ما لكما فقامتا اليه وقبلتا يديه وعكستا عليه المسألة وقالتا له اعلم ايها الملك ان ولديك اللذين قد تربيا فى نعمتك قد خاناك فى زوجتيك واركباك العار فلما سمع قمر الزمان من نسائه هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واغتاظ غيظا شديدا حتى طار عقله من شدة الغيظ وقال لنسائه اوضحا لى هذه القضية فقالت له الملكة بدور اعلم يا ملك الزمان ان ولدك الاسعد بن حياة النفوس له مدة من الايام وهو يراسلنى ويكاتبنى ويراودنى على الزنا وانا انهاه عن ذلك ولم ينته فلما سافرت انت هجم على وهو سكران والسيف فى يده فخفت ان يقتلنى اذا مانعته كما قتل خادمى فقضى اربه منى غصبا وان لم تخلص حقى منه ايها الملك قتلت نفسى بيدى وليس لى حاجة بالحياة فى الدنيا بعد هذا الفعل القبيح واخبرته حياة النفوس ايضا بمثل ما اخبرته به ضرتها بدور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة حياة النفوس اخبرت زوجها الملك قمر الزمان بمثل ما اخبرته به الملكة بدور وقالت له انا الاخرى جرى لى مع ولدك الامجد كذلك ثم انها اخذت فى البكاء والنحيب وقالت له ان لم تخلص لى حقى منه اعلمت ابى الملك ارمانوس بذلك ثم ان المرأتين بكتا قدام زوجهما الملك قمر الزمان بكاء شديدا فلما رأى الملك بكاء زوجتيه الاثنتين وسمع كلامهما اعتقد انه حق فغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد فقام واراد ان يهجم على اولاده الاثنين ليقتلهما فلقيه صهره الملك ارمانوس وقد كان داخلا فى تلك الساعة ليسلم عليه لما علم انه قد اتى من الصيد فرآه والسيف مشهور فى يده والدم يقطر من مناخيره من شدة غيظه فسأله عما به فاخبره بجميع ما جرى من ولديه الامجد والاسعد ثم قال له وها انا داخل اليهما لاقتلهما اقبح قتلة وامثل بهما اقبح مثلة فقال له صهره الملك ارمانوس وقد اغتاظ عليهما ايضا ونعم ما تفعل يا ولدى فلا بارك الله فيهما ولا فى اولاد تفعل هذه الفعال فى حق ابيهما ولكن يا ولدى صاحب المثل يقول من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب وهما ولداك على كل حال وينبغى ان لا تقتلهما بيدك فتشرب غصتهما وتندم بعد ذلك على قتلهما حيث لا ينفعك الندم ولكن ارسلهما مع احد من المماليك

ليقتلهما في البرية وهما غائبان عن عينك فلما سمع الملك قمر الزمان من صهره الملك ارمانوس هذا الكلام رأه صوابا فاغمد سيفه ورجع وجلس على سرير مملكته ودعا خازنداره وكان شيخا كبيرا عارفا بالامور وتقلبات الدهور وقال له ادخل الى ولدى الامجد والاسعد وكتفهما كتافا جيدا واجعلهما في صندوقين واحملهما على بغل واركب انت واخرج بهما الى وسط البرية واذبحهما واملأ لى قنانيتين من دمهما وائتني بهما عاجلا فقال له الخازندار سمعا وطاعة ثم نهض من وقته وساعته وتوجه الى الامجد والاسعد فصادفهما في الطريق وهما خارجان من دهليز القصر وقد لبسا قماشهما والخر ثيابهما واراد التوجه الى والدهما الملك قمر الزمان ليسلما عليه ويهنياه بالسلامة عند قدومه من السفر الى الصيد فلما رآهما الخازندار قبض عليهما وقال لهما ياولداى اعلما انى عبد مأمور وان اباكما قد امرنى بامر فهل انتما طائعان لامره قالا نعم فعند ذلك تقدم اليهما الخازندار وكتفهما ووضعهما في صندوقين وحملهما على ظهر بغل وخرج بهما من المدينة ولم يزل سائرا بهما في البرية الى قريب الظهر فانزلهما في مكان قفر موحش ونزل عن فرسه وحط الصندوقين عن ظهر البغل وفتحهما واخرج الامجد والاسعد منهما فلما نظر اليهما بكى بكاء شديدا على حسنهما وجمالهما وبعد ذلك جرد سيفه وقال لهما والله ياسيداى انه يعز على ان افعل بكما فعلا قبيحا ولكن انا معذور في هذه الامور لانى عبد مأمور وقد امرنى والدكما الملك قمر الزمان بضرب رقابكما فقالا له ايها الامير افعل ما امرك به الملك فنحن صابرون على ما قدره الله عز وجل علينا وانت في حل من دمائنا ثم انهما تعانقا وودعا بعضهما وقال الاسعد للخازندار بالله عليك ياعم انك لا تجرعنى غصة اخى ولا تسقنى حسرته بل اقتلنى انا قبله ليكون ذلك اهون على وقال الامجد للخازندار مثل ما قال الاسعد واستعطف الخازندار ان يقتله قبل اخيه وقال له ان اخى اصغر منى فلا تذقنى لوعته ثم بكى كل منهما بكاء شديدا ما عليه من مزيد وبكى الخازندار لبكائهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخازندار بكى لبكائهما ثم ان الاخوين تعانقا وودعا بعضهما وقال احدهما للآخر ان هذا كله من كيد الخائنتين امى وامك وهذا جزاء ما جرى منى في حق امك وجزاء ما جرى منك في حق امى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون ثم ان الاسعد اعتنق اخاه وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

يامن اليه المشتكى والمفزع ❊ انت المعد لكل ما يتوقع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة ❊ ولئن رددت فاى باب اقرع
يامن خزائن فضله في قول كن ❊ امنن فان الخير عندك اجمع

فلما سمع الامجد بكاء اخيه بكى وضمه الى صدره وانشد هذين البيتين

يامن اياديه عندى غير واحدة ❊ ومن مواهبه تنمو عن العدد
ما نابنى من زمانى قط نائبة ❊ الا وجدتك فيها آخذا بيدى

ثم قال الامجد للخازندار سألتك بالواحد القهار الملك الستار ان تقتلنى قبل اخى الاسعد لعل نار قلبى تخمد ولا تدعها تتوقد فبكى الاسعد وقال ما يقتل قبل الا انا فقال الامجد الرأى ان تعتنقنى واعتنقك

حتى ينزل السيف علينا فيقتلنا دفعة واحدة فلما اعتنق الاثنان وجها الوجه والترما بعضهما شدهما الخازندار وربطهما بالحبال وهو يبكى ثم جرد سيفه وقال والله يا سيدى انه يعز على قتلكما فهل لكما من حاجة فاقضيها او وصية فانفذها او رسالة فابلغها فقال الامجد مالنا حاجة واما من جهة الوصية فانى اوصيك ان تجعل اخى الاسعد من تحت وانا من فوق لاجل ان تقع على الضربة اولا فاذا فرغت من قتلنا ووصلت الى الملك وقال لك ما سمعت منهما قبل موتهما فقل له ان ولديك يقرآنك السلام ويقولان لك انك لا تعلم هل هما بريئان او مذنبان وقد قتلتهما وما تحققت ذنبهما وما نظرت فى حالهما ثم انشده هذين البيتين

ان النساء شياطين خلقن لنا * اعوذ بالله من كيد الشياطين
فهن اصل البليات التى ظهرت * بين البرية فى الدنيا وفى الدين

ثم قال الامجد ما نريد منك الا ان تبلغه هذين البيتين اللذين سمعتهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الامجد قال للخازندار ما نريد منك الا ان تبلغه هذين البيتين اللذين سمعتهما واسألك بالله ان تطول بالك علينا حتى انشد لاخى هذين البيتين الاخرين ثم بكى بكاء شديدا وجعل يقول

فى الذاهبين الاولين من الملوك لنا بصائر
كم قد مضى فى ذا الطريق من الاكابر والاصاغر

فلما سمع الخازندار من الامجد هذا الكلام بكى بكاء شديدا حتى بل لحيته واما الاسعد فانه قد تغرغرت عيناه بالعبرات وانشد هذه الابيات

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الاشباح والصور
ماللليالى اقال الله عثرتنا * من الليالى وخانتها يد الغير
قد اضرمت كيدها لابن الزبير وما * رعت ايادنه بالبيت والحجر
وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

ثم خضب خده بدمعه المدرار وانشد هذه الاشعار

ان الليالى والايام قد طبعت * على الخداع وفيها المكر والحيل
سراب كل يباب عندها شنب * وهول كل ظلام عندها كحل
ذنبى الى الدهر فليكره سجيته * ذنب الحسام اذا ما احجم البطل

ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

يا طالب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار
دار متى ما اضحكت فى يومها * ابكت غدا تبا لها من دار
غاراتها لا تنقضى واسيرها * لا يفتدى بجلائل الاخطار
كم مزده بغرورها حتى بدا * متمردا متجاوز المقدار

قلبت له ظهر المجن وازلفت * فيه المدى وترت لاخذ الثار
واعلم بان خطوبها تفجا ولو * طال المدى ووفت بسرى الاقدار
فاربأ بعمرك ان يمر مضيعا * فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها * تلق الهدى ورفاهة الاسرار

فلما فرغ الاسعد من شعره اعتنق مع اخيه الامجد حتى صارا كانهما شخص واحد وسل الخازندار سيفه واراد ان يضربهما واذا بفرسه جفل فى البر وكان يساوى الف دينار وعليه سرج عظيم يساوى جملة من المال فالقى السيف من يده وذهب وراء فرسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخازندار لما ذهب وراء فرسه وقد التهب فؤاده ومازال يجرى خلفه ليمسكه حتى دخل فى غابة فدخل وراءه فى تلك الغابة فشق الجواد فى وسط الغابة ودق الارض برجليه فعلا الغبار وارتفع وثار واما الفرس فانه شخر ونخر وصهل وازمهر وكان فى تلك الغابة اسد عظيم الخطر قبيح المنظر عيونه ترمى بالشرر له وجه عبوس وشكل يهول النفوس فالتفت الخازندار فرأى ذلك الاسد قاصدا اليه فلم يجد له مهربا من بين يديه ولم يكن معه سيف فقال فى نفسه لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما حصل لى هذا الضيق الا بذنب الامجد والاسعد وان هذه السفرة مشؤمة من اولها ثم ان الامجد والاسعد قد حمى عليهما الحر فعطشا عطشا شديدا حتى نزلت السنتهما واستغاثا من العطش فلم يغثهما احد فقالا يا ليتنا كنا قتلنا واسترحنا من هذا ولكن ما ندرى اين جفل الحصان حتى ذهب الخازندار وراءه وخلانا مكتفين فلو جاءنا وقتلنا كان اريح لنا من مقاساة هذا العذاب فقال الاسعد يا اخى اصبر فسوف يأتينا فرج الله سبحانه وتعالى فان الحصان ما جفل الا لاجل لطف الله بنا وما ضرنا غير هذا العطش ثم هز نفسه وتحرك يمينا وشمالا فانحل كتافه فقام وحل كتاف اخيه ثم اخذ سيف الامير وقال لاخيه والله لا نروح من ههنا حتى نكشف خبره ونعرف ما جرى له وشرعا يقتصان الاثر فدلهما على الغابة فقالا لبعضهما ان الحصان والخازندار ما تجاوزا هذه الغابة فقال الاسعد لاخيه قف هنا حتى ادخل الغابة وانظرها فقال له الامجد ما اخليك تدخل فيها وحدك وما ندخل الا جميعا فان سلمنا سلمنا سواء وان عطبنا عطبنا سواء فدخل الاثنان فوجدا الاسد قد هجم على الخازندار وهو تحته كأنه عصفور ولكنه صار يبتهل الى الله ويشير الى نحو السماء فلما رآه الامجد اخذ السيف وهجم على الاسد وضربه بالسيف بين عينيه فقتله ووقع الاسد مطروحا على الارض فنهض الامير وهو متعجب من هذا الامر فرأى الامجد والاسعد ولدى سيده واقفين فترامى على اقدامهما وقال لهما والله يا سيدى ما يصلح ان افرط فيكما بقتلكما فلا كان من يقتلكما فبروحى افديكما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخازندار قال للامجد والاسعد بروحى افديكما ثم نهض من وقته وساعته واعتنقهما وسألهما عن سبب فك وثاقهما وقدومهما فاخبراه انهما عطشا وانحل الوثاق من احدهما ففك الاخر بسبب خلوص نيتهما ثم انهما اقتصا الاثر حتى وصلا اليه فلما سمع كلامهما شكرهما على

فعلمهما وخرج معهما الى ظاهر الغابة فلما صاروا فى ظاهر الغابة قالا له ياعم افعل ما امرك به ابونا فقال حاشى لله ان اقربكما بضرر ولكن اعلما انى اريد ان انزع ثيابكما والبسكما ثيابى واملأ قنانيتين من دم الاسد ثم اروح الى الملك واقول له انى قتلتهما واما انتما فسيحا فى البلاد وارض الله واسعة واعلما ياسيداى ان فراقكما يعز على ثم بكى كل من الخازندار والغلامين وقد قلعا ثيابهما والبسهما ثيابه وراح الى الملك وقد اخذ ذلك وربط قماش كل واحد منهما فى بقجة معه وملأ القنانيتين من دم الاسد وجعل البقجتين قدامه على ظهر الجواد ثم ودعهما وسار متوجها الى المدينة ولم يزل سائرا حتى دخل على الملك وقبل الارض بين يديه فرآه الملك متغير الوجه وذلك مما جرى له من الاسد فظن ان ذلك من قتل اولاده ففرح وقال له هل قضيت الشغل قال نعم يامولانا ثم ناوله البقجتين اللتين فيهما الثياب والقنانيتين الممتلئتين بالدم فقال له الملك ماذا رأيت منهما وهل اوصياك بشئ قال وجدتهما صابرين محتسبين لما نزل بهما وقد قالا لى ان ابانا معذور فاقرئه منا السلام وقل له انت فى حل من قتلنا ومن دمائنا ولكن نوصيك ان تبلغه هذين البيتين وهما

ان النساء شياطين خلقن لنا ✻ نعوذ بالله من كيد الشياطين
فهن اصل البليات التى ظهرت ✻ بين البرية فى الدنيا وفى الدين

فلما سمع الملك من الخازندار هذا الكلام اطرق برأسه الى الارض مليا وعلم ان كلام ولديه هذا يدل على انهما قد قتلا ظلما ثم تفكر فى مكر النساء ودواهيهن واخذ البقجتين وفتحهما وصار يقلب ثياب اولاده ويبكى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك قمر الزمان لما فتح البقجتين صار يقلب ثياب اولاده ويبكى فلما فتح ثياب ولده الاسعد وجد فى جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته بدور ومعها جدائل شعرها ففتح الورقة وقرأها وفهم معناها فعلم ان ولده الاسعد مظلوم ولما قلب فى ثياب الامجد وجد فى جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته حياة النفوس وفيها جدائل شعرها ففتح الورقة وقرأها فعلم انه مظلوم فدق يدا على يد وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قد قتلت اولادى ظلما ثم صار يلطم على وجهه ويقول واولداه واطول حزناه وامر ببناء قبرين فى بيت وسماه بيت الاحزان وقد كتب على القبرين اسمى ولديه وترامى على قبر الامجد وبكى وان واشتكى وانشد هذه الابيات

ياقمرا قد غاب تحت الثرى ✻ بكت عليه الانجم الزاهره
وياقضيبا لم يمس بعده ✻ معاطف للاعين الناظره
منعت عينى عنك من غيرتى ✻ عليك لا اراك للآخره
واغرقت بالسهد فى دمعها ✻ وانى من ذاك بالساهره

ثم ترامى على قبر الاسعد وبكى وان واشتكى وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

قد كنت اهوى ان اشاطرك الردى ✻ لكن اراد الله غير مرادى
سودت ما بين الفضاء وناظرى ✻ ومحوت من عينى كل سواد
لا ينفد الدمع الذى ابكى به ✻ ان الفؤاد له من الامداد

اعز علي بان اراك بموضع * متشابه الاوغاد والامجاد

ولما فرغ الملك من شعره هجر الاحباب والخلان وانقطع في البيت الذي سماه بيت الاحزان وصار يبكي على اولاده وقد هجر نساءه واصحابه واصدقاءه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر الامجد والاسعد فانهما لم يزالا سائرين في البرية وهما ياكلان من نبات الارض ويشربان من متحصلات الامطار مدة شهر كامل حتى انتهى بهما المسير الى جبل من الصوان الاسود لا يعلم اين منتهاه والطريق افترقت عند ذلك الجبل طريقين طريق تشقه من وسطه وطريق صاعدة الى اعلاه فسلكا الطريق التي في اعلا الجبل واستمرا سائرين فيها خمسة ايام فلم يريا له منتهى وقد حصل لهما الاعياء من التعب وليسا معتادين على المشي في جبل ولا في غيره ولما يئسا من الوصول الى منتهاه رجعا وسلكا الطريق التي في وسط الجبل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الامجد والاسعد اولاد الملك قمر الزمان لما عادا من الطريق الصاعدة في الجبل الى الطريق المسلوكة في وسطه مشيا فيها طول ذلك النهار الى الليل وقد تعب الاسعد من كثرة السير فقال لاخيه يا اخي انا ما بقيت اقدر على المشي فاني ضعفت جدا فقال له الامجد يا اخي شد حيلك لعل الله يفرج عنا ثم انهما مشيا ساعة من الليل وقد تعب الاسعد تعبا شديدا ما عليه من مزيد وقال يا اخي اني تعبت وكليت من المشي ثم وقع في الارض وبكى فحمله اخوه الامجد ومشى به وصار ساعة يمشي وساعة يقعد ويستريح الى ان لاح الفجر حتى استراح فطلع هو واياه فوق الجبل فوجدا عينا نابعة يجري منها الماء وعندها شجرة رمان ومحراب فما صدقا انهما يريان ذلك ثم جلسا عند تلك العين وشربا من مائها واكلا من رمان تلك الشجرة وناما في ذلك الموضع حتى طلعت الشمس ثم جلسا واغتسلا في العين واكلا من ذلك الرمان الذي في الشجرة وناما الى العصر وارادا ان يسيرا فما قدر الاسعد على السير وقد ورمت رجلاه فاقاما هناك ثلاثة ايام حتى استراح ثم سارا في الجبل مدة ايام وهما سائران فوق الجبل وقد تعبا من العطش الى ان لاحت لهما مدينة من بعيد ففرحا وسارا حتى وصلا اليها فلما قربا منها شكرا الله تعالى وقال الامجد للاسعد يا اخي اجلس هنا وانا اسير الى هذه المدينة وانظر ما شأنها واسأل عن احوالها لاجل ان نعرف اين نحن من ارض الله الواسعة ونعرف الذي قطعناه من البلاد في عرض هذا الجبل ولولا انا مشينا في وسطه ما كنا نصل الى هذه المدينة في سنة كاملة فالحمد لله على السلامة فقال له الاسعد والله يا اخي ما يذهب الى المدينة غيري وانا فداك فانك ان تركتني ونزلت وغبت عني تستغرقني الافكار من اجلك وليس لي قدرة على بعدك عني فقال له الامجد توجه ولا تبطئ فنزل الاسعد من الجبل واخذ معه دنانير وخلى اخاه ينتظره وسار ولم يزل ماشيا في اسفل الجبل حتى دخل المدينة وشق في ازقتها فلقيه في طريقه رجل وهو شيخ كبير طاعن في السن وقد نزلت لحيته على صدره وافترقت فرقتين وبيده عكاز وعليه ثياب فاخرة وعلى رأسه عمامة كبيرة حمراء فلما رآه الاسعد تعجب من لبسه وهيئته وتقدم اليه وسلم عليه وقال له اين طريق السوق يا سيدي فلما سمع الشيخ كلامه تبسم في وجهه وقال له يا ولدي كانك غريب فقال له الاسعد نعم انا غريب يا عم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ الذى اتى الاسعد تبسم فى وجهه وقال له ياولدى كانك غريب فقال له الاسعد نعم انا غريب فقال له الشيخ قد آنست ديارنا ياولدى واوحشت ديار اهلك فما الذى تريده من السوق فقال الاسعد ياعم ان لى اخا تركته فى الجبل ونحن مسافرون من بلاد بعيدة ولنا فى السفر مدة ثلاثة شهور وقد اشرفنا على هذه المدينة فجئت الى هاهنا لاشترى طعاما واعود به الى اخى من اجل ان نقتات به فقال له الشيخ ياولدى ابشر بكل خير واعلم انى عملت وليمة وعندى ضيوف كثيرة وجمعت فيها من اطيب الطعام واحسنه ما تشتهيه النفوس فهل لك ان تسير معى الى مكانى فاعطيك ما تريد ولا اخذ منك ثمنا واخبرك باحوال هذه المدينة والحمد لله ياولدى حيث وقعت بك ولم يقع بك احد غيرى فقال الاسعد افعل ما انت اهله وعجل فان اخى ينتظرنى وخاطره عندى فاخذ الشيخ بيد الاسعد ورجع به الى زقاق ضيق وصار يتبسم فى وجهه ويقول له سبحان من نجاك من اهل هذه المدينة ولم يزل ماشيا به حتى دخل دارا واسعة وفيها قاعة وجالس فى تلك القاعة اربعون شيخا طاعنون فى السن وهم مصطفون حلقة وفى وسطهم نار موقدة والمشايخ جالسون حولها يعبدونها ويسجدون لها فلما رأى ذلك الاسعد اقشعر بدنه ولم يعلم ما خبرهم ثم ان الشيخ قال لهؤلاء الجماعة يامشايخ النار ما ابركه من نهار ثم نادى قائلا ياغضبان فخرج له عبد اسود بوجه اعبس وانف افطس وقامة مائلة وصورة هائلة ثم اشار الى العبد فشد وثاق الاسعد وبعد ذلك قال له الشيخ انزل به الى القاعة التى تحت الارض واتركه هناك وقل للجارية الفلانية تتولى عذابه بالليل والنهار فاخذه العبد وانزله تلك القاعة وسلمه الى الجارية فصارت تتولى عذابه وتعطيه رغيفا واحدا فى اول النهار ورغيفا واحدا فى اول الليل وكوز ماء مالح فى الغداة ومثله فى العشى ثم ان المشايخ قالوا لبعضهم لما يأتى اوان عيد النار نذبحه على الجبل ونتقرب به الى النار ثم ان الجارية نزلت اليه وضربته ضربا وجيعا حتى سالت الدماء من اعضائه وغشى عليه ثم حطت عند رأسه رغيفا وكوز ماء مالح وراحت وخلته فاستفاق الاسعد فى نصف الليل فوجد نفسه مقيدا وقد آلمه الضرب فبكى بكاء شديدا وتذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك والسيادة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الاسعد لما رأى نفسه مقيدا وقد آلمه الضرب تذكر ما كان فيه من العز والسعادة والملك والسيادة فبكى وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

قفوا برسوم الدار واستخبروا عنا ❊ ولا تحسبونا فى الديار كما كنا
لقد فرق الدهر المشتت شملنا ❊ وما تشتفى اكباد حسادنا منا
تولت عذابى بالسياط لئيمة ❊ وقد ملأت منى جوانحها ضغنا
عسى ولعل الله يجمع شملنا ❊ ويدفع بالتنكيل اعداءنا عنا

فلما فرغ الاسعد من شعره مد يده عند رأسه فوجد رغيفا وكوز ماء مالح فاكل قليلا ليسد رمقه وشرب قليلا من الماء ولم يزل ساهرا الى الصباح من كثرة البق والقمل فلما اصبح الصباح نزلت اليه الجارية ونزعت عنه ثيابه وكانت قد تحجرت بالدم والتصقت بجلده فطلع جلده مع القميص فصرخ وتأوه وقال

ياموﻻى

يا مولاي ان كان في هذا رضاك فزدني منه يارب الممالك ما انت غافلا عن من ظلمني فخذ حقي منه ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

كن عن امورك معرضا * وكل الامور الى القضا
فلرب امر مسخط * لك في عواقبه رضى * وربما اتسع المضيق وربما ضاق الفضا
الله يفعل ما يشاء فلا تكن متعرضا * وابشر بخير عاجل * تنسى به ما قد مضى

فلما فرغ من شعره نزلت عليه الجارية بالضرب حتى غشي عليه ورمت له رغيفا وكوزا ماء مالح وطلعت من عنده وخلته وحيدا فريدا حزينا والدماء تسيل من اعضائه وهو مقيد في الحديد بعيد عن الاحباب فتذكر اخاه والعز الذي كان فيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاسعد تذكر اخاه والعز الذي كان فيه فحن وبكى وان واشتكى وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

يا دهر مهلا كم تجور وتعتدي * ولكم باحبابي تروح وتغتدي
ما آن ان ترثى لطول تشتتي * وترق يا من قلبه كالجلمد
واسات احبابي بما اشمت بي * كل العداة بما صنعت من الردى
وقد اشتفى قلب العدو بما رأى * من غربتي وصبابتي وتوحدي
لم يكفه ما حل بي من كربة * وفراق احباب وطرف ارمد
حتى بليت بضيق سجن ليس لي * فيه انيس غير عض باليد
ومدامع تهمي كفيض سحائب * وغليل شوق ناره لم تخمد
وكآبة وصبابة وتذكر * وتحسر وتنفس وتنهد
شوق اكابده وحزن متلف * ووقعت في وجد مقيم مقعد
لم الق لي من عاطف ذي رحمة * يحنو علي بزورة المتردد
هل من صديق ذي وداد صادق * يرثى لاسقامي وطول تسهدي
اشكو اليه ما اكابده انني * والطرف مني ساهر لم يرقد
ويطول ليلي في العذاب لانني * اصلى بنار الهم ذات توقد
والبق والبرغوث قد شربا دمي * شرب الطلا من كف المى اغيد
والجسم بين القمل مني قد حكى * مال اليتيم بكف قاض ملحد
وسكنت في سجن ثلاثة اذرع * وغدوت بين مقيد ومصفد
مدامي دمعي وقيدي مطربي * والفكر نقلي والهموم تهددي

فلما فرغ من نظمه ونثره حن وبكى وان واشتكى وتذكر ما كان فيه وما حصل له من فراق اخيه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر اخيه الامجد فانه مكث ينتظر اخاه الاسعد الى نصف النهار فلم يعد اليه فخفق فؤاده واشتد به الم الفراق وافاض دمعه المهراق وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الامجد لما مكث ينتظر اخاه الاسعد الى نصف النهار فلم يعد اليه خفق فؤاده واشتد به الم الفراق وافاض دمعه المهراق وصاح واحسرتاه ما كان اخوفني من الفراق ثم نزل من فوق الجبل ودمعه سائل على خديه ودخل المدينة ولم يزل ماشيا فيها حتى وصل الى السوق وسال الناس عن اسم المدينة وعن اهلها فقالوا له هذه تسمى مدينة المجوس واهلها يعبدون النار دون الملك الجبار ثم سال عن مدينة الابنوس فقالوا له ان المسافة التي بيننا وبينها من البر سنة ومن البحر ستة اشهر وملكها يقال له ارمانوس وقد صاهر اليوم ملكا وجعله مكانه وذلك الملك يقال له قمر الزمان وهو صاحب عدل واحسان وجود وامان فلما سمع الامجد ذكر ابيه حن وبكى وان واشتكى وصار لا يعلم اين يتوجه وقد اشترى معه شيأ للاكل وذهب الى موضع يتوارى فيه ثم قعد واراد ان ياكل فتذكر اخاه فبكى ولم ياكل الا قدر سد الرمق ثم قام ومشى في المدينة ليعلم خبر اخيه فوجد رجلا مسلما خياطا في دكان فجلس عنده وقد حكى للخياط قصته فقال له الخياط ان كان وقع في يد احد من المجوس فما بقيت تراه الا بعسر ولعل الله يجمع بينك وبينه ثم قال له هل لك يا اخي ان تنزل عندي قال نعم ففرح الخياط بذلك واقام عنده اياما وهو يسليه ويصبره ويعلمه الخياطة حتى صار ماهرا ثم خرج يوما الى شاطئ البحر وغسل اثوابه ودخل الحمام ولبس ثيابا نظيفة ثم خرج من الحمام يتفرج في المدينة فصادف في طريقه امرأة ذات حسن وجمال وقد واعتدال ليس لها في الحسن مثال فلما رأته رفعت القناع عن وجهها وغمزته بحواجبها وعيونها وغازلته باللحظات وانشدت هذه الابيات

رأيتك مقبلا فغضضت طرفي * كانك يا مهفهف عين شمس
فانك انت احسن من تبدى * وانت اليوم احسن منك امس
ولو قسم الجمال لكان خمس * ليوسف واحد او بعض خمس
وباقيه لذاتك باختصاص * فكان فدى لنفسك كل نفس

فلما سمع الامجد كلامها ارتاح خاطره لديها وحنت جوارحه اليها وقد لعبت به ايدي الصبابات فاشار لها وانشد هذه الابيات

ورد الخدود ودونه شوك القنا * فمن الحدث نفسه ان يجتني
لا تمدد الايدي اليه فطالما * شنوا الحروب لان مددنا الاعين
قل للتي ظلمت وكانت فتنة * ولو انها عدلت لكانت افتن
لو زاد وجهك بالتبرقع ضلة * وارى السفور لمثل حسنك اصون
كالشمس يمتنع اجتلا ولن وجهها * وان اكتست برقيق غيم امكن
غدت الضيلة في حمى من نحلها * فسلوا حماة الحي عما تصدنا
ان كان قتلي قصدهم فليرفعوا * تلك الضغائن وليخلوا بيننا
ما هم باعظم فتكة لو بارزوا * من طرف ذات الخال اذ برزت لنا

فلما سمعت من الامجد هذا الشعر تنهدت بصاعد الزفرات واشارت اليه وانشدت هذه الابيات

انت الذي سلك الاعراض لست انا * جد بالوصال اذا كان الوفاء انى
يا فالق الصبح من لألاء غرته * وجاعل الليل من اصداغه سكنا
بصورة الوثن استعبدتني وبها * فتنتني وقديما هجت لي فتنا

لاغروان احرقت نار الهوى كبدى * فالنار حق على من يعبد الوثن
تبيع مثلى مجانا بلاثمن * ان كان لابد من بيع فخذ ثمنا

فلما سمع الامجد منها هذا الكلام قال لها التجيئين عندى او اجيء عندك فاطرقت برأسها حياء الى الارض وتلت قوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ففهم الامجد اشارتها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الامجد فهم اشارة المرأة وعرف انها تريد الذهاب معه حيث يذهب فالتزم لها بالمكان وقد استحى ان يروح بها عند الخياط الذى هو عنده فمشى قدامها ومشت خلفه ولم يزل ماشيا بها من زقاق الى زقاق ومن موضع الى موضع حتى تعبت الصبية فقالت له ياسيدى اين دارك فقال لها قدام وما بقى عليها الاشئ يسير ثم انعطف بها فى زقاق مليح ولم يزل ماشيا فيه وهى خلفه حتى وصل الى آخره فوجده غير نافذ فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم التفت بعينه فرأى فى صدر الزقاق بابا كبيرا بمصطبتين ولكنه مغلوق فجلس الامجد على مصطبة وجلست الاخرى على مصطبة ثم قالت له ياسيدى ما الذى تنتظره فاطرق برأسه الى الارض مليا ثم رفع رأسه وقال لها انتظر مملوكى فان المفتاح معه وكنت قد قلت له هيئ لنا المأكول والمشروب وصحبة المدام حتى اخرج من الحمام ثم قال فى نفسه ربما يطول عليها المطال فتروح الى حال سبيلها وتخلينى فى هذا المكان فلما طال عليها الوقت قالت له ياسيدى ان المملوك قد ابطأ علينا ونحن قاعدون فى الزقاق ثم قامت الصبية الى الضبة بحجر فقال لها الامجد لا تعجلى واصبرى حتى يجئ المملوك فلم تسمع كلامه بل ضربت الضبة بالحجر فقسمتها نصفين فانفتح الباب فقال لها واى شئ خطر لك حتى تفعلى هكذا فقالت له ياسيدى اى شئ جرى اما هو بيتك فقال نعم ولكن لا يحتاج الى كسر الضبة ثم ان الصبية دخلت البيت فصار الامجد متحيرا فى نفسه خوفا من اصحاب المنزل ولم يدر ماذا يصنع فقالت له الصبية لم لا تدخل ياسيدى يا نور عينى وحشاشة قلبى قال لها سمعا وطاعة ولكن قد ابطأ على المملوك وما ادرى هل فعل شيأ مما امرته به ام لا ثم انه دخل معها وهو فى غاية ما يكون من الهم خوفا من اصحاب المنزل ولما دخل البيت وجد فيه قاعة مليحة باربعة لواوين متقابلة وفيها خزائن وسدلات مفروشات بالفرش الحرير والديباج وفى وسط القاعة فسقية مثمنة مرصوص عليها اطباق مرصعة بفصوص الجواهر وهى مملوءة فاكهة ومشموما وفى جانبها اوانى الشراب وهنالك شمعدان فيه شمعة مركبة والمكان ملآن بنفيس القماش وفيه صناديق وكراسى منصوبة وعلى كل كرسى بقجة وفوقها كيس ملآن دنانير والدار تشهد لصاحبها بالسعادة لان ارضها مفروشة بالرخام فلما رأى الامجد ذلك تحير فى امره وقال فى نفسه قد راحت روحى انا لله وانا اليه راجعون واما الصبية فانها لما رأت ذلك المكان فرحت فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقالت والله ياسيدى ما قصر مملوكك فانه مسح المكان وطبخ الطعام وهيأ الفاكهة وقد جئت انا فى احسن الاوقات فلم يلتفت اليها الامجد لاشتغال قلبه بالخوف من اصحاب المكان فقالت ياسيدى مالك واقفا هكذا ثم شهقت شهقة واعطت الامجد قبلة مثل كسر الجوز وقالت له ياسيدى ان كنت مواعدا غيرى فانا اشد ظهرى واخدمها فضحك الامجد عن قلب مملوء بالغيظ ثم طلع وجلس وهو ينفخ وقال فى نفسه يا قتلة الشوم اذا جاء صاحب المنزل وقد

جلست الصبية في جانبه وصارت تلعب وتضحك والامجد مهموم معبس يحسب في نفسه الف حساب ويقول لابدان يجيء صاحب هذه القاعة فاي شيء اقول له ولابدانه يقتلني بلاشك ثم ان الصبية قامت وشمرت واخذت خوانا وقد حطت عليه السفرة واكلت وقالت للامجد كل ياسيدي فتقدم الامجد ليا كل فلم يطب له الاكل بل صار ينظر الى ناحية الباب حتى اكلت الصبية وشبعت وقد رفعت الخوان وقدمت طبق الفاكهة وشرعت تتنقل ثم قدمت المشروب وفتحت الجرة وملأت قدحا وناولته للامجد فاخذه منها وقال في نفسه آه آه من صاحب هذه الدار اذا جاء ورآني وقد صارت عينه صوب الدهليز والقدح في يده فبينما هو كذلك واذا بصاحب الدار قد جاء وكان مملوكا من اكابر المدينة لانه كان اميرا خور عند الملك وقد جعل تلك القاعة معدة لحظه لينشرح فيها صدره ويختلي فيها بمن يريده وكان في ذلك اليوم قد ارسل الى معشوق يجيء له وقد جهز له ذلك المكان وكان اسم ذلك المملوك بهادر وكان سخي اليد صاحب جود واحسان وصدقات وامتنان فلما وصل الى قريب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بهادر صاحب القاعة لما وصل الى قريب القاعة وجد الباب مفتوحا فدخل قليلا قليلا وطل برأسه فنظر الامجد والصبية وقدامهما طبق الفاكهة وآلة المدام وفي ذلك الوقت كان الامجد ماسك القدح وعينه الى الباب فلما صارت عينه في عين صاحب الدار اصفر لونه وارتعدت فرائصه فلما رأى بهادر قد اصفر لونه وتغير حاله غمزه باصبعه على فمه يعني اسكت وتعال عندي فحط الامجد الكاس من يده وقام اليه فقالت الصبية الى اين فحرك رأسه واشار لها انه يريق الماء ثم خرج الى الدهليز حافيا فلما رأى بهادر علم انه صاحب الدار فاسرع اليه وقبل يديه ثم قال له بالله عليك ياسيدي قبل ان تؤذيني ان تسمع مني مقالي ثم حدثه بحديثه من اوله الى آخره واخبره بسبب خروجه من ارضه ومملكته وانه مادخل القاعة باختياره ولكن الصبية هي التي كسرت الضبة وفتحت الباب وفعلت هذه الفعائل فلما سمع بهادر كلام الامجد وعرف انه ابن ملك حن عليه ورحمه ثم قال اسمع ياامجد كلامي واطعني وانا اتكفل لك بالامان مما تخاف وان خالفتني قتلتك فقال الامجد امرني بما شئت فانا لا اخالفك ابدا لانني عتيق مروءتك فقال له بهادر ادخل هذه القاعة واجلس في المكان الذي كنت فيه واطمئن وها انا داخل اليك واسمي بهادر فاذا دخلت اليك فاشتمني وانهرني وقل لي ما سبب تأخرك الى هذا الوقت ولا تقبل لي عذرا بل قم اضربني وان شفقت علي اعدمتك حياتك فادخل وانبسط ومهما طلبته مني تجده حاضرا بين يديك في الوقت وبت كما تحب في هذه الليلة وفي غد توجه الى حال سبيلك اكراما لغربتك فاني احب الغريب وواجب علي اكرامه فقبل الامجد يده ودخل وقد اكتسى وجهه حمرة وبياضا فاول مادخل قال للصبية ياسيدتي آنست موضعك وهذه ليلة مباركة فقالت له الصبية ان هذا عجيب منك حيث بسطت لي الانس فقال الامجد والله ياسيدتي اني كنت اعتقد ان مملوكي بهادر اخذ لي عقود جواهر كل عقد يساوي عشرة آلاف دينار ثم اني خرجت الان وانا متفكر في ذلك ففتشت عليها فوجدتها في موضعها ولم ادر ما سبب تأخر المملوك الى هذا الوقت ولابد لي من عقوبته فاستراحت الصبية بكلام الامجد ولعبا وشربا وانشرحا ولم يزالا في حظ الى قريب المغرب ثم دخل عليهما بهادر وقد غير لبسه وشد وسطه وجعل

فى رجليه زربونا على عادة المماليك ثم سلم وقبل الارض وكتف يديه واطرق برأسه الى الارض كالمعترف بذنبه فنظر اليه الامجد بعين الغضب وقال له ما سبب تأخرك يا نحس المماليك فقال له يا سيدى انى اشتغلت بغسل اثوابى وما علمت انك ههنا فان ميعادى وميعادك العشاء لا بالنهار فصرخ عليه الامجد وقال له تكذب يا نحس المماليك والله لا بد من ضربك ثم قام الامجد وسطح بهادر على الارض واخذ عصى وضربه برفق فقامت الصبية وخلصت العصا من يده ونزلت على بهادر بضرب وجيع حتى جرت دموعه واستغاث وصار يكز على اسنانه والامجد يصيح على الصبية لا تفعلى هكذا وهى تقول دعنى اشفى غيظى منه ثم ان الامجد خطف العصى من يدها ودفعها فقام بهادر ومسح دموعه عن وجهه ووقف فى خدمتهما ساعة ثم مسح القاعة واوقد القناديل وصارت الصبية كلما دخل بهادر او خرج تشتمه وتلعنه والامجد يغضب منها ويقول لها بحق الله تعالى ان تتركى مملوكى فانه غير معود بهذا وما زالا يأكلان ويشربان وبهادر فى خدمتهما الى نصف الليل حتى تعب من الخدمة والضرب فنام فى وسط القاعة وشخر ونخر فسكرت الصبية وقالت للامجد قم خذ هذا السيف المعلق واضرب رقبة هذا المملوك وان لم تفعل عملت على هلاك روحك فقال الامجد واى شئ خطر لك فى قتل مملوكى قالت لا يكمل الحظ الا بقتله وان لم تقم قمت انا وقتلته فقال الامجد بحق الله عليك لا تفعلى فقالت لا بد من هذا واخذت السيف وجردته وهمت بقتله فقال الامجد فى نفسه هذا رجل عمل معنا خيرا وسترنا واحسن الينا وجعل نفسه مملوكى كيف نجازيه بالقتل لا كان ذلك ابدا ثم قال للصبية ان لم يكن بد من قتل مملوكى فانا احق بقتله منك ثم اخذ السيف من يدها ورفع يده وضرب الصبية فى عنقها فاطاح رأسها عن جثتها فوقعت رأسها على صاحب الدار فاستيقظ وجلس وفتح عينيه فوجد الامجد واقفا والسيف فى يده مخضبا بالدم ثم نظر الى الصبية فوجدها مقتولة فاستخبره عن امرها فاعاد عليه حديثها وقال له انها ابت الا ان تقتلك وهذا جزاؤها فقام بهادر وقبل رأس الامجد وقال له يا سيدى ليتك عفوت عنها وما بقى فى الامر الا اخراجها فى هذا الوقت قبل الصباح ثم ان بهادر شد وسطه واخذ الصبية ولفها فى عباءة ووضعها فى قفص وحملها وقال للامجد انت غريب ولا تعرف احدا فاجلس فى مكانك وانتظرنى عند طلوع الشمس فان عدت اليك لا بد ان افعل معك خيرا كثيرا واجتهد فى كشف خبر اخيك وان طلعت الشمس ولم اعد اليك فاعلم انه قد قضى على والسلام عليك وهذه الدار لك بما فيها من الاموال والقماش ثم انه حمل القفص وخرج من القاعة وشق بها الاسواق وقصد بها طريق البحر المالح ليرميها فيه فلما صار قريبا من البحر التفت فرأى الوالى والمقدمين قد احاطوا به ولما عرفوه تعجبوا وفتحوا القفص فوجدوا فيه قتيلة فقبضوا عليه وبيتوه فى الحديد الى الصباح ثم طلعوا به هو والقفص الى الملك واعلموه بالخبر فلما رأى الملك ذلك غضب غضبا شديدا وقال له ويلك انك تفعل هكذا دائما فتقتل القتلى وترميهم فى البحر وتأخذ جميع مالهم وكم فعلت قبل ذلك من قتل فاطرق بهادر برأسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بهادر اطرق رأسه الى الارض قدام الملك فصرخ الملك عليه وقال له ويلك من قتل هذه الصبية فقال له يا سيدى انا قتلتها ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فغضب الملك وامر بشنقه فنزل به السياف حين امره الملك ونزل الوالى بالمنادى ينادى فى ازقة المدينة بالفرجة على

بهادر امير اخور الملك وداربه في الازقة والاسواق هذا ما كان من امر بهادر واما ما كان من امر الامجد فانه لما طلع عليه النهار وارتفعت الشمس ولم يعد اليه بهادر قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا ترى اي شيء جرى له فبينما هو يتفكر واذا بالمنادي ينادي بالفرجة على بهادر فانهم يشنقونه في وسط النهار فلما سمع الامجد ذلك بكى وقال انا لله وانا اليه راجعون قد اراد هلاك نفسه من اجلي وانا الذي قتلتها والله لا كان هذا الدائم ثم خرج من القاعة وقفلها وشق في وسط المدينة حتى اتى الى بهادر ووقف قدام الوالي وقال له يا سيدي لا تقتل بهادر فانه بريء والله ما قتلها الا انا فلما سمع الوالي كلامه اخذه هو وبهادر وطلع بهما الى الملك واعلمه بما سمعه من الامجد فنظر الملك الى الامجد وقال له أانت قتلت الصبية قال نعم فقال له الملك احك لي ما سبب قتلك اياها واصدقني قال له ايها الملك انه جرى لي حديث عجيب وامر غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم حكى للملك حديثه واخبره بما جرى له ولاخيه من المبتدا الى المنتهى فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وقال له اني قد علمت انك معذور ولكن يا فتى هل لك ان تكون عندي وزيرا فقال له سمعا وطاعة فخلع عليه الملك وعلى بهادر خلعا سنية واعطاه دارا حسنة وخدما وحشما وانعم عليه بجميع ما يحتاج اليه ورتب له الرواتب والجرايات وامره ان يبحث على اخيه الاسعد فجلس الامجد في مرتبة الوزير وحكم وعدل وولى وعزل واخذ واعطى وارسل المنادي في ازقة المدينة ينادي على اخيه الاسعد فمكث مدة ايام ينادي في الشوارع والاسواق فلم يسمع له بخبر ولم يقع له على اثر هذا ما كان من امر الامجد واما ما كان من امر الاسعد فان المجوس لا زالوا يعاقبونه بالليل والنهار وفي العشي والابكار مدة سنة كاملة حتى قرب عيد المجوس فتجهز بهرام المجوسي الى السفر وهيأ له مركبا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بهرام المجوسي جهز مركبا للسفر ثم حط الاسعد في صندوق وقفله عليه ونقله الى المركب وفي تلك الساعة التي حول فيها بهرام الصندوق الذي فيه الاسعد كان الامجد بالقضاء والقدر واقفا يتفرج على البحر فنظر الى الحوائج وهم ينقلونها الى المركب فخفق فؤاده وامر غلمانه ان يقدموا له فرسه ثم ركب في جملة من جماعته وتوجه الى البحر ووقف على مركب المجوسي وامر من معه ان ينزلوا المركب ويفتشوها فنزلت الرجال وفتشوا المركب جميعها فلم يجدوا فيها شيأ فطلعوا واعلموا الامجد بذلك فركب وتوجه الى بيته فلما وصل الى منزله ودخل القصر انقبض صدره فنظر بعينه في الدار فرأى سطرين مكتوبين على حائط وهما هذان البيتان

احبابنا ان غبتم عن ناظري * فعن الفؤاد وخاطري ما غبتم
لكنكم خلفتموني مدنفا * ومنعتم جفني الرقاد ونمتم

فلما قرأهما الامجد تذكر اخاه وبكى هذا ما كان من امره واما ما كان من امر بهرام المجوسي فانه نزل المركب وصاح على البحرية وامرهم ان يحلوا بحل القلوع فحلوا القلوع وسافروا ولم يزالوا مسافرين اياما وليالي وكل يومين يخرج الاسعد ويطعمه قليلا من الزاد ويسقيه قليلا من الماء الى ان قربوا من جبل النار فخرج عليهم ريح وهاج بهم البحر حتى تاهت المركب عن الطريق وسلكوا طريقا غير طريقهم ووصلوا الى مدينة مبنية على شاطئ البحر ولها قلعة بشبابيك تطل على البحر والحاكمة على تلك المدينة امرأة يقال لها

الملكة مرجانة فقال الريس لبهرام ياسيدى اتانتهنا عن الطريق ولابد لنا من دخول هذه المدينة لاجل الراحة وبعد ذلك يفعل الله مايشاء فقال له بهرام نعم مارأيت والذى تراه افعله فقال له الريس اذا ارسلت لنا الملكة تسألنا ماذا يكون جوابنا لها فقال له بهرام انا عندى هذا المسلم الذى معنا فنلبسه لبس المماليك ونخرجه معنا واذا رأته الملكة تظن انه مملوك فاقول لها انى جلاب مماليك ابيع واشترى فيهم وقد كان عندى مماليك كثيرة فبعتهم ولم يبق غير هذا المملوك فقال له الريس هذا كلام مليح ثم انهم وصلوا الى المدينة وارخوا القلوع ودقوا المراسى ووقفت المركب واذا بالملكة مرجانة نزلت اليهم ومعها عسكرها ووقفت على المركب ونادت على الريس فطلع عندها وقبل الارض بين يديها فقالت له اى شئ فى مركبك هذه ومن معك فقال لها ياملكة الزمان معى رجل تاجر يبيع المماليك فقالت على به واذا ببهرام طلع ومعه الاسعد ماش وراءه فى صفة مملوك فلما وصل اليها بهرام قبل الارض بين يديها فقالت له ماشأنك فقال لها انا تاجر رقيق فنظرت الى الاسعد وقد ظنت انه مملوك فقالت له ما اسمك فخنقه البكا وقال لها اسمى الاسعد فحن قلبها عليه وقالت اتعرف الكتابة قال نعم فناولته دواة وقلما وقرطاسا وقالت له اكتب شيأ حتى اراه فكتب هذين البيتين

ما حيلة العبد والاقدار جارية ✻ عليه فى كل حال ايها الرائى
القاه فى اليم مكتوفا وقال له ✻ اياك اياك ان تبتل بالماء

فلما رأت الورقة رحمته ثم قالت لبهرام بعنى هذا المملوك فقال لها ياسيدتى لايمكننى بيعه لانى بعت جميع مماليكى ولم يبق عندى غير هذا فقالت الملكة مرجانة لابد من اخذه منك اما ببيع واما بهبة فقال لها لا ابيعه ولا اهبه فقبضت على الاسعد واخذته وطلعت به القلعة وارسلت تقول له ان لم تقلع فى هذه الليلة عن بلدنا اخذت جميع مالك وكسرت مركبك فلما وصلت اليه الرسالة اغتم غما شديدا وقال ان هذه سفرة غير محمودة ثم قام وتجهز واخذ جميع ما يريده وانتظر الليل ليسافر فيه وقال للبحرية خذوا اهبتكم واملؤا قربكم من الماء واقلعوا بنا فى آخر الليل فصار البحرية يقضون اشغالهم هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملكة مرجانة فانها اخذت الاسعد ودخلت به القلعة وفتحت الشبابيك المطلة على البحر وامرت الجوارى ان يقدمن الطعام فقدمن لهما الطعام فاكلا ثم امرتهن ان يقدمن المدام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة مرجانة امرت الجوارى ان يقدمن المدام فقدمنه فشربت مع الاسعد والقى الله سبحانه وتعالى محبة الاسعد فى قلبها وصارت تملأ القدح وتسقيه حتى غاب عقله فقام يريد قضاء حاجة ونزل من القاعة فرأى بابا مفتوحا فدخل فيه وتمشى فانتهى به السير الى بستان عظيم فيه جميع الفواكه والازهار فجلس تحت شجرة وقضى حاجته وقام الى الفسقية التى فى البستان فاستلقى على قفاه ولباسه محلول فضربه الهواء فنام ودخل عليه الليل هذا ما كان من امره واما ما كان من امر بهرام فانه لما دخل عليه الليل صاح على بحرية المركب وقال لهم حلوا قلوعكم وسافروا بنا فقالوا له سمعا وطاعة ولكن اصبر علينا حتى نملأ قربنا ونحل ثم طلع البحرية بالقرب ودار وا حول القلعة فلم يجدوا غير حيطان البستان فتعلقوا بها ونزلوا البستان وتتبعوا اثر الاقدام الموصلة الى الفسقية فلما

وصلوا اليها وجدوا الاسعد مستلقيا على قفاه فعرفوه وفرحوا به وحملوه بعد ان ملؤا قربهم ونطوا من الحائط واتوا به مسرعين الى بهرام المجوسي وقالوا له ابشر بحصول المراد وشفاء الاكباد فقد طبل طبلك وزمر زمرك فان اسيرك الذي اخذته الملكة مرجانة منك غصبا قد وجدناه واتينا به معنا ثم رموه قدامه فلما نظره بهرام طار قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح ثم خلع عليهم وامرهم ان يحلوا القلوع بسرعة فحلوا قلوعهم وسافروا قاصدين جبل النار ولم يزالوا مسافرين الى الصباح هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملكة مرجانة فانها بعد نزول الاسعد من عندها مكثت تنتظره ساعة فلم يعد اليها فقامت وفتشت عليه فما وجدته فاوقدت الشموع وامرت الجواري ان يفتشن عليه ثم نزلت هي بنفسها فرأت البستان مفتوحا فعلمت انه دخله فدخلت البستان فوجدت نعله بجانب الفسقية فصارت تفتش عليه في جميع البستان فلم تر له خبرا ولم تزل تفتش عليه في جوانب البستان الى الصباح ثم سألت عن المركب فقالوا لها قد سافرت في ثلث الليل فعلمت انهم اخذوه معهم فصعب عليها واغتاظت غيظا شديدا ثم امرت بتجهيز عشر مراكب كبار في الوقت وتجهزت للحرب ونزلت في مركب من العشر مراكب ونزل معها عسكرها مهيئين بالعدة الفاخرة والات الحرب وحلوا القلوع وقالت للرؤساء متى لحقتم مركب المجوسي فلكم عندي الخلع والاموال وان لم تلحقوها اقتلكم عن آخركم فحصل للبحرية خوف ورجاء عظيم ثم سافروا بالمراكب ذلك النهار وتلك الليلة وثاني يوم وثالث يوم وفي اليوم الرابع لاحت لهم مركب بهرام المجوسي ولم ينقض النهار حتى احاطت المراكب بمركب المجوسي وكان بهرام في ذلك الوقت قد اخرج الاسعد وضربه وصار يعاقبه والاسعد يستغيث ويستجير فلم يجد مغيثا ولا مجيرا من الخلق وقد المه الضرب الشديد فبينما هو يعاقبه اذ لاحت منه نظرة فوجد المراكب قد احاطت بمركبه ودارت حولها كما يدور بياض العين بسوادها فتيقن انه هالك لا محالة فتحسر بهرام وقال ويلك يا اسعد هذا كله من تحت رأسك ثم اخذه من يده وامر البحرية ان يرموه في البحر وقال والله لاقتلنك قبل موتي فاحتملته البحرية من يديه ورجليه ورموه في وسط البحر فاذن الله سبحانه وتعالى لما يريد من سلامته وبقية اجله انه غطس ثم طلع وخبط بيديه ورجليه الى ان سهل الله عليه واتاه الفرج وضربه الموج وقذفه بعيدا عن مركب المجوسي ووصل الى البر فطلع وهو لم يصدق بالنجاة ولما صار في البر قلع اثوابه وعصرها ونشرها وقعد عريانا يبكي على ما جرى له من المصائب والاسر ثم انشد هذين البيتين

الهي قل صبري واحتيالي * وضاق الصدر وانصرمت حبالي
الى من يشتكي المسكين الا * الى مولاه يا مولى الموالي

فلما فرغ من شعره قام ولبس ثيابه ولم يعلم اين يروح ولا اين يجيء فصار يأكل من نبات الارض وفواكه الاشجار ويشرب من ماء الانهار وسافر بالليل والنهار حتى اشرف على مدينة ففرح واسرع في مشيه نحو المدينة فلما وصل اليها ادركه المساء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاسعد لما وصل الى المدينة ادركه المساء وقد قفل بابها وكانت المدينة هي التي كان اسيرا فيها واخوه الامجد وزير ملكها فلما رآها الاسعد مقفولة رجع الى جهة المقابر فلما

وصل الى المقابر وجد تربة بلا باب فدخلها ونام فيها وحط وجهه في عبه وكان بهرام المجوسي لما وصلت اليه الملكة مرجانة بالمراكب كسرها بمكره ومكره ورجع سالما وقصد بلده وسار من وقته وساعته وهو فرحان فلما جاز على المقابر طلع من المركب بالقضاء والقدر ومشى بين المقابر فرأى التربة التي فيها الاسعد مفتوحة فتعجب وقال لابد ان انظر في هذه التربة فلما نظر فيها رأى الاسعد وهو نائم ورأسه في عبه فتطلع في وجهه فعرفه فقال له هل انت تعيش الى الان ثم اخذه وذهب به الى بيته وكان له في بيته طابق تحت الارض معد لعذاب المسلمين وكان له بنت تسمى بستان فوضع في رجلي الاسعد قيدا ثقيلا وانزله في ذلك الطابق ووكل بنته بتعذيبه ليلا ونهارا الى ان يموت ثم انه ضربه الضرب الوجيع وقفل عليه الطابق واعطى المفاتيح لبنته ثم ان بنته بستان نزلت لتضربه فوجدته شابا ظريف الشمائل حلو المنظر مقوس الحاجبين كحيل المقلتين فوقعت محبته في قلبها فقالت له ما اسمك قال لها اسمي الاسعد فقالت له سعدت وسعدت ايامك انت ما تستاهل العذاب وقد علمت انك مظلوم وصارت تؤانسه بالكلام وفكت قيوده ثم انها سألته عن دين الاسلام فاخبرها انه هو الدين الحق القويم وان سيدنا محمدا صاحب المعجزات الباهرة والايات الظاهرة وان النار تضر ولا تنفع وعرفها قواعد الاسلام فاذعنت اليه ودخل حب الايمان في قلبها وامزج الله تعالى محبة الاسعد بفؤادها فنطقت بالشهادتين وصارت من اهل السعادة وصارت تطعمه وتسقيه وتتحدث معه وتصلي هي واياه وتصنع له المساليق بالدجاج حتى اشتد وزال ما به من الامراض ورجع الى ما كان عليه من الصحة ثم ان بنت بهرام خرجت من عند الاسعد ووقفت على الباب واذا بالمنادي ينادي ويقول كل من كان عنده شاب مليح صفته كذا وكذا واظهره فله جميع ما طلب من الاموال ومن كان عنده وانكره فانه يشنق على باب داره وينهب ماله ويهدر دمه وكان الاسعد قد اخبر بستان بنت بهرام بجميع ما جرى له فلما سمعت ذلك عرفت انه هو المطلوب فدخلت عليه واخبرته بالخبر فخرج وتوجه الى دار الوزير فلما رأى الوزير قال والله ان هذا الوزير هو اخي الامجد ثم طلع وطلعت الصبية وراءه الى القصر فرأى اخاه الامجد فالقى نفسه عليه ثم ان الامجد عرفه فالقى نفسه عليه وتعانقا واحتاطت بهما المماليك وغشي على الاسعد والامجد ساعة فلما افاقا من غشيتهما اخذه الامجد وطلع به الى السلطان واخبره بقصته فامره السلطان بنهب بيت بهرام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السلطان امر الامجد بنهب دار بهرام فارسل الوزير جماعة لذلك فتوجهوا الى بيت بهرام ونهبوه وطلعوا بابنته الى الوزير فاكرمها وحدث الاسعد اخاه بكل ما جرى له من العذاب وما عملته معه بنت بهرام من الاحسان فزاد الامجد في اكرامها ثم حكى الامجد للاسعد جميع ما جرى له مع الصبية وكيف سلم من الشنق وقد صار وزيرا وصارا يشكو احدهما للآخر ما وجد من فرقة اخيه ثم ان السلطان احضر المجوسي وامر بضرب عنقه فقال بهرام ايها الملك الاعظم هل صممت على قتلي قال نعم فقال بهرام اصبر علي ايها الملك قليلا ثم انه اطرق برأسه الى الارض وبعد ذلك رفع رأسه وتشهد واسلم على يد السلطان ففرحوا باسلامه ثم حكى له الامجد والاسعد جميع ما جرى لهما فقال لهما يا سيداي تجهزا للسفر وانا اسافر معكما ففرحا بذلك وباسلامه وبكيا بكاء شديدا فقال لهما بهرام يا سيداي لا تبكيا

قصيركما تجتمعان كما اجتمع نعمة ونعم فقال الملك وما جرى لنعمة ونعم فقال بهرام ذكروا والله اعلم انه كان بمدينة الكوفة رجل من وجوه اهلها يقال له الربيع بن حاتم وكان كثير المال مرفه الحال وكان قد رزق ولدا فسماه نعمة الله فبينما هو ذات يوم بدكة النخاسين اذ نظر جارية تعرض للبيع وعلى يدها وصيفة صغيرة بديعة فى الحسن والجمال فاشار الربيع الى النخاس وقال له بكم هذه الجارية وابنتها فقال بخمسين دينارا فقال الربيع اكتب العهد وخذ المال سلمه لمولاها ثم دفع للنخاس ثمن الجارية واعطاه دلالته وتسلم الجارية وابنتها ومضى بهما الى بيته فلما نظرت ابنة عمه الى الجارية قالت له يا ابن العم ما هذه الجارية قال اشتريتها رغبة فى هذه الصغيرة التى على يديها واعلمى انها اذا كبرت ما يكون فى بلاد العرب والعجم مثلها ولا اجمل منها فقالت لها ابنة عمه ما اسمك يا جارية فقالت يا سيدتى اسمى توفيق قالت وما اسم ابنتك قالت سعد قالت صدقت لقد سعدت وسعد من اشتراك ثم قالت يا ابن عمى ما تسميها قال ما تختارينه انت قالت نسميها نعم قال الربيع لا بأس بذلك ثم ان الصغيرة نعم تربت مع نعمة ابن الربيع فى مهد واحد الى حين بلغا من العمر عشر سنين وكان كل شخص منهما احسن من صاحبه وصار الغلام يقول لها يا اختى وهى تقول له يا اخى ثم اقبل الربيع على ولده نعمة حين بلغا هذا السن وقال له يا ولدى ليست نعم اختك بل هى جاريتك وقد اشتريتها على اسمك وانت فى المهد فلا تدعها باختك من هذا اليوم قال نعمة لابيه فاذا كان كذلك فانا اتزوجها ثم انه دخل على والدته واعلمها بذلك فقالت يا ولدى هى جاريتك فدخل نعمة بن الربيع بتلك الجارية واحبها ومضى عليهما تسع سنين وهما على تلك الحالة ولم يكن بالكوفة جارية احسن من نعم ولا احلى ولا اظرف منها وقد كبرت وقرأت القرآن والعلوم وعرفت انواع اللعب والآلات وبرعت فى المغنى والآت الملاهى حتى انها فاقت جميع اهل عصرها فبينما هى جالسة ذات يوم من الايام مع زوجها نعمة بن الربيع فى مجلس الشراب وقد اخذت العود وشدت اوتاره وانشدت هذين البيتين

اذا كنت لى مولى اعيش بفضله ❋ وسيفا به افنى رقاب النوائب
فمالى الى زيد وعمرو شفاعة ❋ سواك اذا ضاقت على مذاهبى

فطرب نعمة طربا عظيما ثم قال لها بحياتى يا نعم ان تغنى لنا على الدف والآت الطرب فاطربت بالنغمات وغنت بهذه الابيات

وحياة من ملكت يداه قيادى ❋ لاخالفن على الهوى حسادى
ولاغضبن عواذلى واطيعكم ❋ ولاهجرن تلذذى ورقادى
ولاجعلن لكم باكناف الحشى ❋ قبرا ولم يشعر بذاك فؤادى

فقال الغلام لله درك يا نعم فبينما هما فى اطيب عيش واذا بالحجاج فى دار نيابته يقول لابد لى ان احتال على اخذ هذه الجارية التى اسمها نعم وارسلها الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان لانه لم يوجد فى قصره مثلها ولا اطيب من غناها ثم انه استدعى بعجوز قهرمانة وقال لها امضى الى دار الربيع واجتمعى بالجارية نعم وتسببى فى اخذها لانه لم يوجد على وجه الارض مثلها فقبلت العجوز من الحجاج ما قاله ولما اصبحت لبست اثوابها الصوف وحطت فى رقبتها سبحة حباتها الوف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجوز قبلت ما قاله الحجاج ولما اصبحت لبست اثوابها الصوف ووضعت فى رقبتها سبحة عدد حباتها الوف واخذت بيدها عكازا وركوة يمانية وسارت وهى تقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولم تزل فى تسبيح وابتهال وقلبها ملآن بالمكر والمحال حتى وصلت الى دار نعمة بن الربيع عند صلاة الظهر فقرعت الباب ففتح لها البواب وقال ما تريدين قالت انا فقيرة من العابدات وادركتنى صلاة الظهر واريد ان اصلى فى هذا المكان المبارك فقال لها البواب يا عجوز ان هذه دار نعمة بن الربيع وليست بجامع ولا مسجد فقالت انا اعرف انه لا جامع ولا مسجد مثل دار نعمة بن الربيع وانا قهرمانة من قصر امير المؤمنين خرجت طالبة العبادة والسياحة فقال لها البواب لا امكنك من ان تدخلى وكثر بينهما الكلام فتعلقت به العجوز وقالت له هل يمنع مثلى من دخول دار نعمة بن الربيع وانا اعبر الى ديار الامراء والاكابر فخرج نعمة وسمع كلامهما فضحك وامرها ان تدخل خلفه فدخل نعمة وسارت العجوز خلفه حتى دخل بها على نعم فسلمت عليها العجوز باحسن سلام ولما نظرت الى نعم تعجبت من فرط جمالها ثم قالت لها يا سيدتى اعيذك بالله الذى الف بينك وبين مولاك فى الحسن والجمال ثم انتصبت العجوز فى المحراب واقبلت على الركوع والسجود والدعاء الى ان مضى النهار واقبل الليل بالاعتكار فقالت الجارية يا امى اريحى قدميك ساعة فقالت العجوز يا سيدتى من طلب الآخرة اتعب نفسه فى الدنيا ومن لم يتعب نفسه فى الدنيا لم ينل منازل الابرار فى الآخرة ثم ان نعما قدمت الطعام للعجوز وقالت لها كلى من طعامى وادعى لى بالتوبة والرحمة فقالت العجوز يا سيدتى انى صائمة واما انت فصبية يصلح لك الاكل والشرب والطرب والله يتوب عليك وقد قال الله تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ولم تزل الجارية جالسة مع العجوز ساعة تحدثها ثم قالت لسيدها يا سيدى احلف على هذه العجوز ان تقيم عندنا مدة فان على وجهها اثر العبادة فقال اخلى لها مجلسا للعبادة ولا تخلى احدا يدخل عليها فلعل الله سبحانه وتعالى ينفعنا ببركتها ولا يفرق بيننا ثم باتت العجوز ليلتها تصلى وتقرأ الى الصباح فلما اصبح الصباح جاءت الى نعمة ونعم وصبحت عليهما وقالت لهما استودعتكما الله فقالت لها نعم الى اين تمضين يا امى وقد امرنى سيدى ان اخلى لك مجلسا تعتكفين فيه للعبادة فقالت العجوز الله يبقيه ويديم نعمته عليكما ولكن اريد منكما ان توصوا البواب انه لا يمنعنى من الدخول اليكما وان شاء الله تعالى ادور فى الاماكن الطاهرة وادعو لكما عقب الصلاة والعبادة فى كل يوم وليلة ثم خرجت من الدار والجارية تبكى على فراقها وما تعلم السبب الذى اتت اليها من اجله ثم ان العجوز توجهت الى الحجاج فقال لها ما وراءك فقالت له انى نظرت الى الجارية فرأيتها لم تلد النساء احسن منها فى زمانها فقال لها الحجاج ان فعلت ما امرتك به يصل اليك منى خير جزيل فقالت له اريد منك المهلة شهرا كاملا فقال لها امهلتك شهرا ثم ان العجوز جعلت تتردد الى دار نعمة وجاريته نعم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجوز صارت تتردد الى دار نعمة ونعم وهما يزيدان فى اكرامها وما زالت العجوز تمسى وتصبح عندهما ورحب بها كل من فى الدار حتى انها العجوز اختلت بالجارية يوما من الايام وقالت يا سيدتى والله ان حضرت الاماكن الطاهرة دعوت لك واتمنى ان تكونى معى حتى ترى

المشايخ الواصلين ويدعون لك بما تختارين فقالت لها الجارية نعم بالله يا امي ان تأخذيني معك فقالت لها
استأذني حماتك وانا آخذك معي فقالت الجارية لحماتها ام نعمة يا سيدتي اسألي سيدي ان يخليني اخرج
انا وانت يوما من الايام مع امي العجوز الى الصلاة والدعاء مع الفقراء في الاماكن الشريفة فلما اتى نعمة
وجلس تقدمت اليه العجوز وقبلت يديه فمنعها من ذلك ودعت له وخرجت من الدار فلما كان ثاني
يوم جاءت العجوز ولم يكن نعمة في الدار فاقبلت على الجارية ثم وقالت لها قد دعونا لكم البارحة ولكن
قومي في هذه الساعة تفرجي وعودي قبل ان يجيء سيدك فقالت الجارية لحماتها سألتك بالله ان تأذني لي
في الخروج مع هذه المرأة الصالحة لاتفرج على اولياء الله في الاماكن الشريفة واعود بسرعة قبل مجيء
سيدي فقالت ام نعمة اخشى ان يدري سيدك فقالت العجوز والله لا ادعها تجلس على الارض بل تنظر
وهي واقفة على اقدامها ولا تبطئ ثم اخذت الجارية بالحيلة وتوجهت بها الى قصر الحجاج وعرفته بمجيئها
بعد ان حطتها في مقصورة فاتى الحجاج ونظر اليها فرآها اجمل اهل زمانها ولم ير مثلها فلما رأته نعم
سترت وجهها فلم يفارقها حتى استدعى بحاجبه واركب معه خمسين فارسا وامره ان يأخذ الجارية
على نجيب سابق ويتوجه بها الى دمشق ويسلمها الى امير المؤمنين عبد الملك بن مروان وكتب له كتابا
وقال له اعطه هذا الكتاب وخذ منه الجواب واسرع الي بالرجوع فتوجه الحاجب واخذ الجارية
على هجين وسافر بها وهي باكية العين من اجل فراق سيدها حتى وصلوا الى دمشق واستأذن على امير
المؤمنين فاذن له فدخل الحاجب عليه واخبره بخبر الجارية فاخلى لها مقصورة ثم دخل الخليفة حريمه
فرأى زوجته فقال لها ان الحجاج قد اشترى لي جارية من بنات ملوك الكوفة بعشرة آلاف دينار وارسل الي
هذا الكتاب وهي صحبة الكتاب فقالت له زوجته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما اخبر زوجته بقصة الجارية قالت له زوجته زادك الله من
فضله ثم دخلت اخت الخليفة على الجارية فلما رأتها قالت والله ما خاب من انت في منزله ولو كان ثمنك مائة
الف دينار فقالت لها الجارية نعم يا صبيحة الوجه هذا قصر من من الملوك واي مدينة هذه المدينة
قالت لها هذه مدينة دمشق وهذا قصر اخي امير المؤمنين عبد الملك بن مروان ثم قالت للجارية كأنك ما
علمت هذا قالت والله يا سيدتي لا علم لي بهذا قالت والذي باعك وقبض ثمنك ما اعلمك بان الخليفة قد اشتراك
فلما سمعت الجارية ذلك الكلام سكبت دموعها وبكت وقالت في نفسها لقد تمت الحيلة علي ثم قالت
في نفسها ان تكلمت فما يصدقني احد ولكن اسكت واصبر لعلمي ان فرج الله قريب ثم انها اطرقت
رأسها حياء وقد احمرت خدودها من اثر السفر والشمس فتركتها اخت الخليفة في ذلك اليوم وجاءتها
في اليوم الثاني بقماش وقلائد من الجواهر والبستها فدخل عليها امير المؤمنين وجلس الى جانبها
فقالت له اخته انظر الى هذه الجارية التي قد كمل الله فيها الحسن والجمال فقال الخليفة لنعم ازيحي
القناع عن وجهك فلم تزح القناع عن وجهها فلم ير وجهها وانما رأى معاصمها فوقعت محبتها
في قلبه وقال لاخته لا ادخل عليها الا بعد ثلاثة ايام حتى تستأنس بك ثم قام وخرج من عندها فصارت
الجارية متفكرة في امرها ومتحسرة على افتراقها من سيدها نعمة فلما اتى الليل ضعفت الجارية بالحمى
ولم تأكل ولم تشرب وتغير وجهها ومحاسنها فعرفوا الخليفة بذلك فشق عليه امرها ودخل عليها

بالاطباء

بالاطباء واهل البصائر فلم يقف لها احد على طب هذا اما كان من امرها واما ما كان من امر سيدها نعمة فانه اتى الى داره وجلس على فراشه ونادى يانعم فلم تجبه فقام مسرعا ونادى فلم يدخل عليه احد وكل جارية فى البيت اختفت خوفا منه فخرج نعمة الى والدته فوجدها جالسة ويدها على خدها فقال لها يا امى اين نعم فقالت له ياولدى مع من هى اوثق منى عليها وهى العجوز الصالحة فانها خرجت معها لتزور الفقراء وتعود فقال ومتى كان لها عادة بذلك وفى اى وقت خرجت قالت خرجت بكرة النهار قال وكيف اذنت لها بذلك فقالت له ياولدى هى التى اشارت على بذلك فقال نعمة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم خرج من بيته وهو غائب عن الوجود ثم توجه الى صاحب الشرطة فقال له اتحتال على وتأخذ جاريتى من دارى فلابد لى ان اسافر واشتكيك الى امير المؤمنين فقال صاحب الشرطة ومن اخذها فقال عجوز صفتها كذا وكذا وعليها ملبوس من الصوف وبيدها سبحة عدد حباتها الوف فقال له صاحب الشرطة اوقفنى على العجوز وانا اخلص لك جاريتك فقال ومن يعرف العجوز فقال له صاحب الشرطة ومن يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى وقد علم صاحب الشرطة انها محتالة الحجاج فقال له نعمة ما اعرف جاريتى الا منك وبينى وبينك الحجاج فقال له امض الى من شئت فتوجه نعمة الى قصر الحجاج وكان والده من اكابر اهل الكوفة فلما وصل الى بيت الحجاج دخل حاجب الحجاج عليه واعلمه بالقضية فقال له على به فلما وقف بين يديه قال له الحجاج ما بالك فقال له نعمة كان من امرى ما هو كذا وكذا فقال هاتوا صاحب الشرطة ونأمره ان يفتش على العجوز فلما حضر صاحب الشرطة قال له اريد منك ان تفتش على جارية نعمة بن الربيع فقال له صاحب الشرطة لا يعلم الغيب الا الله تعالى فقال له الحجاج لابد ان تركب الخيل وتبصر الجارية فى الطرقات وتنظر فى البلدان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الحجاج قال لصاحب الشرطة لابد ان تركب الخيل وتنظر فى البلدان والطرقات وتفتش على الجارية ثم التفت الى نعمة وقال له ان لم ترجع جاريتك دفعت لك عشر جوار من دارى وعشر جوار من دار صاحب الشرطة ثم قال لصاحب الشرطة اخرج فى طلب الجارية فخرج صاحب الشرطة ونعمة مغموم وقد يئس من الحياة وكان قد بلغ من العمر اربع عشرة سنة ولا نبات بعارضيه فجعل يبكى وينتحب وانعزل عن داره ولم يزل يبكى الى الصباح فاقبل والده وقال له ياولدى ان الحجاج قد احتال على الجارية واخذها ومن ساعة الى ساعة يأتى الله بالفرج من عنده فتزايدت الهموم على نعمة وصار لا يعلم ما يقول ولا يعرف من يدخل عليه واقام ضعيفا ثلاثة اشهر حتى تغيرت احواله ويئس منه ابوه ودخلت عليه الاطباء فقالوا ماله دواء الا الجارية فبينما والده جالس يوما من الايام اذ سمع بطبيب ماهر اعجمى وقد وصفه الناس باتقان الطب والتنجيم وضرب الرمل فدعا به الربيع فلما حضر اجلسه الربيع الى جانبه واكرمه وقال له انظر حال ولدى فقال لنعمة هات يدك فاعطاه يده فجس مفاصله ونظر فى وجهه وضحك والتفت الى ابيه وقال ليس بولدك غير مرض فى قلبه فقال صدقت يا حكيم فانظر فى شأن ولدى بمعرفتك واخبرنى بجميع احواله ولا تكتم عنى شيأ من امره فقال الاعجمى انه متعلق بجارية وهذه الجارية فى البصرة او فى دمشق وما دواء ولدك غير اجتماعه بها فقال الربيع

ان جمعت بينهما فلك عندى ما يسرك وتعيش عمرك كله فى المال والنعمة فقال له العجمى ان هذا الامر قريب وسهل ثم التفت الى نعمة وقال له لا بأس عليك فطب نفسا وقر عينا ثم قال للمريض اخرج من مالك اربعة آلاف دينار فاخرجها وسلمها للاعجمى فقال له الاعجمى اريد ان ولدك يسافر معى الى دمشق وان شاء الله تعالى لا ارجع الا بالجارية ثم التفت العجمى الى الشاب وقال له ما اسمك قال نعمة قال يا نعمة اجلس وكن فى امان الله تعالى لقد جمع الله بينك وبين جاريتك فاستوى جالسا فقال له ثبت قلبك فنحن نسافر مثل هذا اليوم فكل واشرب وانبسط لتقوى على السفر ثم ان العجمى اخذ فى قضاء حوائجه من جميع ما يحتاج اليه واستكمل من والد نعمة عشرة الاف دينار واخذ منه الخيل والجمال وغير ذلك مما يحتاج لحمل الاثقال فى الطريق ثم ان نعمة ودع والده ووالدته وسافر مع الحكيم الى حلب فلم يقع على خبر الجارية ثم انهما وصلا الى دمشق واقاما فيها ثلاثة ايام وبعد ذلك اخذ الاعجمى دكانا وملأ رفوفها بالصينى النفيس والاغطية وزركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة وحط قدامها اوانى من القنانى فيها سائر الادهان وسائر الاشربة ووضع حول القنانى اقداحا من البلور وحط الاصطرلاب قدامه ولبس اثواب الحكمة والطب واوقف بين يديه نعمة والبسه قميصا وملوطة من الحرير وفوطه فى وسطه بفوطة من الحرير مزركشة بالذهب ثم قال العجمى لنعمة يا نعمة انت من اليوم ولدى فلا تدعنى الا بابيك وانا لا ادعوك الا بالولد فقال نعمة سمعا وطاعة ثم ان اهل دمشق اجتمعوا على دكان العجمى ينظرون الى حسن نعمة والى حسن الدكان والبضائع التى فيها والعجمى يكلم نعمة بالفارسية ونعمة يكلمه كذلك بتلك اللغة لانها كان يعرفها على عادة اولاد الاكابر واشتهر ذلك الاعجمى عند اهل دمشق وجعلوا يصفون له الاوجاع وهو يعطيهم الادوية ويأتونه بالقوارير المملوءة ببول المرضى فيبصرها ويقول ان مرض صاحب البول الذى فى هذه القارورة كذا وكذا فيقول صاحب المرض ان هذا الطبيب صادق ثم صار يقضى حاجة الناس واجتمعت عليه اهل دمشق وشاع خبره فى المدينة وفى بيوت الاكابر فبينما هو ذات يوم جالس اذ اقبلت عليه عجوز راكبة على حمار برذعته من الديباج المرصع بالجواهر فوقفت على دكان العجمى وشدت بلجام الحمار واشارت للعجمى وقالت له امسك يدى فاخذ بيدها فنزلت من فوق الحمار وقالت أانت الطبيب العجمى الذى جئت من العراق قال نعم قالت اعلم ان لى بنتا وبها مرض واخرجت له قارورة فلما نظر العجمى الى ما فى القارورة قال لها يا سيدتى ما اسم هذه الجارية حتى احسب نجمها واعرف اى ساعة يوافقها فيها شرب الدواء فقالت يا اخا الفرس اسمها نعم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجمى لما سمع اسم نعم جعل يحسب ويكتب على يده وقال لها يا سيدتى ما اصف لها دواء حتى اعرف من اى ارض هى لاجل اختلاف الهواء فعرفينى فى اى ارض تربت وكم سنة سنها فقالت العجوز سنها اربع عشرة سنة ومرباها بارض الكوفة من العراق فقال وكم شهر لها فى هذه الديار فقالت له اقامت فى هذه الديار شهورا قليلة فلما سمع نعمة كلام العجوز وعرف اسم جاريته خفق قلبه فقال لها الاعجمى يوافقها من الادوية كذا وكذا فقالت له العجوز اعطنى ما وصفت على بركة الله تعالى ورمت له عشرة دنانير على الدكان فنظر الحكيم الى نعمة وامره ان يهيئ لها عقاقير الدواء وصارت

العجوز تنظر الى نعمة وتقول اعيذك بالله ياولدى ان شكلها مثل شكلك ثم قالت العجوز للعجمى يا اخا الفرس هل هذا مملوكك او ولدك فقال لها العجمى انه ولدى ثم ان نعمة وضع لها الحوائج فى علبة واخذ ورقة وكتب فيها هذين البيتين

اذا انعمت نعم على بنظرة ✻ فلا اسعدت سعدى ولا اجملت جمل

وقالوا اسل عنها تعط عشرين مثلها ✻ وليس لها مثل ولست لها اسلو

ثم دس الورقة فى داخل العلبة وختمها وكتب على غطاء العلبة بالخط الكوفى انا نعمة بن الربيع الكوفى ثم وضع العلبة قدام العجوز فاخذتها وودعتهما وانصرفت متوجهة الى قصر الخليفة فلما طلعت العجوز بالحوائج الى الجارية وضعت علبة الدواء قدامها ثم قالت لها ياسيدتى اعلمى انه قد اتى الى مدينتنا طبيب عجمى ما رأيت احدا اعرف بامور الامراض منه فذكرت له اسمك بعد ان رأى القارورة فعرف مرضك ووصف دواءك ثم امر ولده فشد لك هذا الدواء وليس فى دمشق اجمل ولا اظرف من ولده ولا احسن ثيابا منه ولا يوجد لاحد دكان مثل دكانه فاخذت العلبة فرأت مكتوبا على غطائها اسم سيدها واسم ابيه فلما رأت ذلك تغير لونها وقالت لاشك ان صاحب الدكان قد اتى فى شأنى ثم قالت للعجوز صف لى هذا الصبى فقالت اسمه نعمة وعلى حاجبه الايمن اثر وعليه ملابس فاخرة وله حسن كامل فقالت الجارية ناولينى الدواء على بركة الله تعالى وعونه فاخذت الدواء وشربته وهى تضحك وقالت لها انه دواء مبارك ثم فتشت فى العلبة فرأت الورقة ففتحتها وقرأتها فلما فهمت معناها تحققت انه سيدها فطابت نفسها وفرحت فلما رأتها العجوز قد ضحكت قالت لها ان هذا اليوم يوم مبارك فقالت نعم يا قهرمانة اريد الطعام والشراب فقالت العجوز للجوارى قدموا الموائد والاطعمة الفاخرة لسيدتكن فقدمن اليها الاطعمة وجلست للاكل واذا بعبد الملك بن مروان قد دخل عليهن ونظر الجارية جالسة وهى تاكل الطعام ففرح ثم قالت القهرمانة يا امير المؤمنين يهنيك عافية جاريتك نعم وذلك انه وصل الى هذه المدينة رجل طبيب ما رأيت اعرف منه بالامراض ودوائها فاتيت لها منه بدواء فتعاطت منه مرة واحدة فحصلت لها العافية يا امير المؤمنين فقال امير المؤمنين خذى الف دينار وقومى بابرائها ثم خرج وهو فرحان بعافية الجارية وراحت العجوز الى دكان العجمى بالالف دينار واعطته اياها واعلمته انها جارية الخليفة وناولته ورقة كانت نعم قد كتبتها فاخذها العجمى وناولها النعمة فلما رآها عرف خطها فوقع مغشيا عليه فلما افاق فتح الورقة فوجد مكتوبا فيها من الجارية المسلوبة من نعمتها المخدوعة فى عقلها المفارقة لحبيب قلبها اما بعد فانه قد ورد كتابكم على فشرح الصدر وسر الخاطر وكان كقول الشاعر

ورد الكتاب فلا عدمت اناملا ✻ كتبت به حتى تضمخ طيبا

فكان موسى قد اعيد لامه ✻ او ثوب يوسف قد اتى يعقوبا

فلما قرأ نعمة هذا الشعر هملت عيناه بالدموع فقالت له القهرمانة ما الذى يبكيك ياولدى لا ابكى الله لك عينا فقال العجمى ياسيدتى كيف لا يبكى ولدى وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفى وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس بها علة الاهواه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجمي قال للعجوز كيف لا يبكي ولدي وهذه جاريته وهو سيدها نعمة بن الربيع الكوفي وعافية هذه الجارية مرهونة برؤيته وليس بها علة الاهواء فخذي انت ياسيدتي هذا الالف دينار لك ولك عندي اكثر من ذلك وانظري لنا بعين الرحمة ولا نعرف اصلاح هذا الامر الا منك فقالت العجوز لنعمة هل انت مولاها فقال نعم قالت صدقت فانها لا تفتر عن ذكرك فاخبرها نعمة بما قد جرى له من الاول الى الآخر فقالت العجوز يا غلام لا تعرف اجتماعك بها الا مني ثم ركبت وعادت من وقتها ودخلت على الجارية فنظرت في وجهها وضحكت وقالت لها يحق لك يابنتي ان تبكي وتمرضي من اجل فراق سيدك نعمة بن الربيع الكوفي فقالت نعم قد انكشف لك الغطا وظهر لك الحق فقالت لها العجوز طيبي نفسا واشرحي صدرا فوالله لاجمعن بينكما ولو كان في ذلك ذهاب روحي ثم انها رجعت الى نعمة وقالت له اني رجعت لجاريتك واجتمعت بها فوجدت عندها من الشوق اليك اكثر مما عندك لها وذلك ان امير المؤمنين يريد ان يجتمع بها وهي تمتنع منه فان كان لك جنان ثابت وقوة قلب فانا اجمع بينكما واخاطر بنفسي معكما وادبر حيلة واعمل مكيدة في دخولك قصر امير المؤمنين حتى تجتمع بالجارية فانها ما تقدر ان تخرج فقال لها نعمة جزاك الله خيرا ثم ودعته وذهبت الى الجارية وقالت لها ان سيدك قد ذهبت روحه في هواك وهو يريد الاجتماع بك فما تقولين في ذلك فقالت نعم وانا كذلك قد ذهبت روحي واريد الاجتماع به فعند ذلك اخذت العجوز بقجة فيها حلي ومصاغ وبدلة من ثياب النساء وتوجهت الى نعمة وقالت له ادخل بنا مكانا وحدنا فدخل معها قاعة خلف الدكان ونقشته وزينت معاصمه وزوقت شعره والبسته لباس جارية وزينته باحسن ما تتزين به الجواري فصار كانه من حور الجنان فلما رأته القهرمانة في تلك الصفة قالت تبارك الله احسن الخالقين والله انك لاحسن من الجارية ثم قالت له امش وقدم الشمال واخر اليمين وهز اردافك فمشى قدامها كما امرته فلما رأته قد عرف مشي النساء قالت له امكث حتى اتيك ليلة غد ان شاء الله تعالى فآخذك وادخل بك القصر واذا نظرت الحجاب والخدامين فقو عزمك وطأطئ رأسك ولا تتكلم مع احد وانا اكفيك كلامهم وبالله التوفيق فلما اصبح الصباح اتته القهرمانة في ثاني يوم واخذته وطلعت به القصر ودخلت قدامه ودخل هو وراءها في اثرها فاراد الحاجب ان يمنعه من الدخول فقالت له يا انحس العبيد انها جارية نعم محظية امير المؤمنين فكيف تمنعها من الدخول ثم قالت ادخلي يا جارية فدخل مع العجوز ولم يزالا داخلين الى الباب الذي يتوصل منه الى صحن القصر فقالت له العجوز يا نعمة قو نفسك وثبت قلبك وادخل القصر وخذ على شمالك وعد خمسة ابواب وادخل الباب السادس فانه باب المكان المعد لك ولا تخف واذا كلمك احد فلا تتكلم معه ثم سارت به حتى وصلت الى الابواب فقابلها الحاجب المعد لتلك الابواب وقال لها ما هذه الجارية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحاجب قابل العجوز وقال لها ما هذه الجارية فقالت له العجوز ان سيدتنا تريد اشتراءها فقال الخادم ما يدخل احد الا باذن امير المؤمنين فارجعي بها فاني لا اخليها تدخل لاني امرت بهذا فقالت له القهرمانة ايها الحاجب الكبير اين عقلك ان نعما جارية الخليفة الذي قلبه متعلق بها قد توجهت اليها العافية وما صدق امير المؤمنين بعافيتها وتريد اشتراء هذه الجارية

فلا تمنعيها من الدخول لئلا يبلغها انك منعتها فتغضب عليك وان غضبت عليك تسببت فى قطع
رأسك ثم قالت ادخل ياجارية ولاتسمعى كلامه ولاتخبرى سيدتك ان الحاجب منعك من الدخول
فطأطأ نعمة رأسه ودخل القصر واراد ان يمشى الى جهة يساره فغلط ومشى الى جهة يمينه واراد ان
يعد خمسة ابواب ويدخل السادس فعد ستة ودخل السابع فلما دخل فى ذلك الباب رأى موضعا
مفروشا بالديباج وحيطانه عليها ستائر الحرير المرقومة بالذهب وفيه مباخر العود والعنبر والمسك
الاذفر ورأى سريرا فى الصدر مفروشا بالديباج فجلس عليه نعمة ولم يعلم بما كتب له فى الغيب فبينما هو
جالس متفكر فى امره اذ دخلت عليه اخت امير المؤمنين ومعها جاريتها فلما رأت الغلام جالسا ظنته
جارية فتقدمت اليه وقالت له من تكونى ياجارية وما خبرك وما سبب دخولك هذا المكان فلم يتكلم نعمة ولم
يرد عليها جوابا فقالت ياجارية ان كنت من محاظى اخى وقد غضب عليك فانا استعطفه عليك فلم يرد
نعمة عليها جوابا فعند ذلك قالت لجاريتها قفى على باب المجلس ولاتدعى احدا يدخل ثم تقدمت اليه
ونظرت الى جماله وقالت ياصبية عرفينى من تكونى وما اسمك وما سبب دخولك هنا فانى لم انظرك فى قصرنا
فلم يرد نعمة عليها جوابا فعند ذلك غضبت اخت الملك ووضعت يدها على صدر نعمة فلم تجد لها نهودا
فارادت ان تكشف ثيابه لتعلم خبره فقال لها نعمة ياسيدتى انا مملوك فاشترينى وانا مستجير بك فاجيرينى
فقالت له لابأس عليك فمن انت ومن ادخلك مجلسى هذا فقال لها نعمة انا ياايها الملكة اعرف بنعمة بن
الربيع الكوفى وقد خاطرت بروحى لاجل جاريتى نعم التى احتال عليها الحجاج واخذها وارسلها الى هنا
فقالت له لابأس عليك ثم صاحت على جاريتها وقالت لها امضى الى مقصورة نعم وقد كانت القهرمانة
اتت الى مقصورة نعم وقالت لها اهل وصل اليك سيدك فقالت لا والله فقالت القهرمانة لعله غلط فدخل
مقصورة غير مقصورتك وتاه عن مكانك فقالت نعم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قد فرغ اجلنا
وهلكنا وجلستا متفكرتين فبينما هما كذلك اذ دخلت عليهما جارية اخت الخليفة فسلمت على نعم وقالت لها
ان مولاتى تدعوك الى ضيافتها فقالت سمعا وطاعة فقالت القهرمانة لعل سيدك عند اخت الخليفة
وقد انكشف الغطاء فنهضت نعم من وقتها وساعتها حتى دخلت على اخت الخليفة فقالت لها هذا
مولاك جالس عندى وكأنه غلط فى المكان وليس عليك ولا عليه خوف ان شاء الله تعالى فلما سمعت
نعم هذا الكلام من اخت الخليفة اطمأنت نفسها وتقدمت الى مولاها نعمة فلما نظرها قام اليها
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نعمة لما نظر الى جاريته نعم قام اليها وضم كل واحد منهما صاحبه
الى صدره ثم وقعا على الارض مغشيا عليهما فلما افاقا قالت لهما اخت الخليفة اجلسا حتى نتدبر
فى الخلاص من الامر الذى وقعنا فيه فقالا لها سمعا وطاعة والامر لك فقالت والله ماينالكما
منا سوء قط ثم قالت لجاريتها احضرى الطعام والشراب فاحضرت ذلك فاكلوا بحسب الكفاية
ثم جلسوا يشربون فدارت عليهم الاقداح وزالت عنهم الاتراح فقال نعمة ليت شعرى بعد ذلك ما يكون
فقالت له اخت الخليفة يانعمة هل تحب نعما جاريتك فقال لها ياسيدتى ان هواها هو الذى جعلنى على ما انا
فيه من المخاطرة بروحى ثم قالت لنعم يانعم هل تحبين سيدك نعمة قالت ياسيدتى ان هواه هو الذى اذاب

جسمي وغير حالي فقالت والله انكما متحابان فلا كان من يفرق بينكما فقرا عينا وطيبا نفسا فقرحا بذلك وطلبت نم عودا فاحضروه لها فاخذته واصلحته واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

ولما ابى الواشون الا فراقنا * وليس لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على اسماعنا كل غارة * وقلت حماتي عند ذاك وانصاري
غزوتهم من مقلتيك وادمعي * ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

ثم ان نعما اعطت العود لسيدها نعمة وقالت له غن لنا شعرا فاخذه واصلحه واطرب بالنغمات ثم انشد هذه الابيات

البدر يحكيك لولا انه كلف * والشمس مثلك لولا الشمس تكسف
اني عجبت وكم في الحب من عجب * فيه الهموم وفيه الوجد والكلف
ارى الطريق قريبا حين اسلكه * الى الحبيب بعيدا حين انصرف

فلما فرغ من شعره ملأت له قدحا وناولته اياه فاخذه وشربه ثم ملأت قدحا آخر وناولته لاخت الخليفة فشربته واخذت العود واصلحته وشدت اوتاره وانشدت هذين البيتين

غم وحزن في الفؤاد مقيم * وجوى تردد في حشاى عظيم
ونحول جسمي قد تبدى ظاهرا * فالجسم مني بالغرام سقيم

ثم ناولت العود لنعمة بن الربيع فاخذه واصلح اوتاره وانشد هذين البيتين

يا من وهبت له روحي فعذبها * ورمت تخليصها منه فلم اطق
دارك محبا بما ينجيه من تلف * قبل الممات فهذا آخر الرمق

ولم يزالوا ينشدون الاشعار ويشربون على نغمات الاوتار وهم في لذة وحبور وفرح وسرور فبينماهم كذلك اذ دخل عليهم امير المؤمنين فلما نظروه قاموا اليه وقبلوا الارض بين يديه فنظر الى نعم والعود معها فقال يا نعم الحمد لله الذي اذهب عنك الباس والوجع ثم التفت الى نعمة وهو على تلك الحالة وقال يا اختي من هذه الجارية التي في جانب نعم فقالت له اخته يا امير المؤمنين ان لك جارية من المحاظي انيسة لا تأكل نعم ولا تشرب الا وهي معها ثم انشدت قول الشاعر

ضدان واجتمعا افتراقا في البها * والضد يظهر حسنه بالضد

فقال الخليفة والله العظيم انها مليحة مثلها وفي غد اخلي لها مجلسا بجانب مجلسها واخرج لها الفرش والقماش وانقل اليها جميع ما يصلح لها اكراما لنعم واستدعت اخت الخليفة بالطعام فقدمته لاخيها فاكل وجلس معهم في تلك الحضرة ثم ملأ قدحا واومى الى نعم ان تنشد له شيأ من الشعر فاخذت العود بعد ان شربت قدحين وانشدت هذين البيتين

اذا ما نديمي علني ثم علني * ثلاثة اقداح لهن هدير
ابيت اجر الذيل تيها كانني * عليك امير المؤمنين امير

فطرب امير المؤمنين وملأ قدحا آخر وناوله الى نعم وامرها ان تغني فبعد ان شربت القدح جست الاوتار وانشدت هذه الاشعار

يا اشرف الناس في هذا الزمان وما * له مثيل بهذا الامر يفتخر
يا واحدا في العلا والجود منصبه * يا سيدا ملكا في الكل مشتهر

يا مالك الملك الارض طالبه * تعطى الجزيل ولا من ولا ضجر
ابقاك ربى على رغم العدى كمدا * وزان طالعك الاقبال والظفر

فلما سمع الخليفة من نعم هذه الابيات قال لها لله درك يا نعم ما افصح لسانك واوضح بيانك ولم يزالوا فى فرح وسرور الى نصف الليل ثم قالت اخت الخليفة اسمع يا امير المؤمنين انى رأيت حكاية فى الكتب عن بعض ارباب المراتب قال الخليفة وما تلك الحكاية فقالت له اخته اعلم يا امير المؤمنين انه كان بمدينة الكوفة صبى يسمى نعمة بن الربيع وكان له جارية يحبها وتحبه وكانت قد تربت معه فى فراش واحد فلما بلغا وتمكن حبهما من بعضهما رماهما الدهر بنكباته وجار عليهما الزمان بآفاته وحكم عليهما بالفراق وتحيلت عليها الوشاة حتى خرجت من داره واخذوها سرقة من مكانه ثم ان سارقها باعها لبعض الملوك بعشرة الاف دينار وكان عند الجارية لمولاها من المحبة مثل ما عنده لها ففارق اهله وداره وسافر فى طلبها وتسبب فى اجتماعه بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نعمة لم يزل مفارقا الاهل ووطنه وخاطر بنفسه وبذل مهجته حتى توصل الى اجتماعه بجاريته وكان يقال لها نعم فلما اجتمع بها لم يستقر بهما الجلوس حتى دخل عليهما الملك الذى كان اشتراها من الذى سرقها فعجل عليهما وامر بقتلهما ولم ينصف من نفسه ولم يمهل عليهما فى حكمه فما تقول يا امير المؤمنين فى قلة انصاف هذا الملك فقال امير المؤمنين ان هذا لشئ عجاب فكان ينبغى لذلك الملك العفو عند المقدرة لانه يجب عليه ان يحفظ لهما ثلاثة اشياء الاول انهما متحابين والثانى انهما فى منزله وتحت قبضته والثالث ان الملك ينبغى له التأنى فى الحكم بين الناس فكيف بالامر الذى يتعلق به فهذا الملك قد فعل فعلا لا يشبه فعل الملوك فقالت له اخته يا اخى بحق ملك السموات والارض ان تأمر نعما بالغناء وتسمع ما تغنى به فقال يا نعم غنى لى فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

غدر الزمان ولم يزل غدارا * يصمى القلوب ويورث الافكارا
ويفرق الاحباب بعد تجمع * فترى الدموع على الخدود غزارا
كانوا وكنت وكان عيشى ناعما * والدهر يجمع شملنا مدرارا
فلابكين دما ودمعا ساجما * اسفا عليك لياليا ونهارا

فلما سمع امير المؤمنين هذا الشعر طرب طربا عظيما فقالت له اخته يا اخى من حكم على نفسه بشئ لزمه القيام به والعمل بقوله وانت قد حكمت على نفسك بهذا الحكم ثم قالت يا نعمة قف على قدميك وكذا قفى انت يا نعم فوقفا فقالت اخت الخليفة يا امير المؤمنين ان هذه الواقفة هى نعم المسروقة سرقها الحجاج بن يوسف الثقفى واوصلها اليك وكذب فيما ادعاه فى كتابه من انه اشتراها بعشرة الاف دينار وهذا الواقف هو نعمة بن الربيع سيدها وانا اسألك بحرمة آبائك الطاهرين ان تعفو عنهما وتهبهما لبعضهما لتغنم اجرهما فانهما فى قبضتك وقد اكلا من طعامك وشربا من شرابك وانا الشفيعة فيهما المستوهبة دمهما فعند ذلك قال الخليفة صدقت انا حكمت بذلك وما احكم بشئ وارجع فيه ثم قال يا نعم هل هذا مولاك قالت له نعم يا امير المؤمنين فقال لا باس عليكما فقد وهبتكما لبعضكما ثم قال يا نعمة وكيف عرفت بمكانها ومن

وصف لك هذا المكان فقال يا امير المؤمنين اسمع خبري وانصت الى حديثي فوحق آبائك واجدادك الطاهرين لا اكتم عنك شيأ ثم حدثه بجميع ما كان من امره وما فعله معه الحكيم العجمي وما فعلته القهرمانة وكيف دخلت به القصر وغلط في الابواب فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب ثم قال علي بالعجمي فاحضروه بين يديه فجعله من جملة خواصه وخلع عليه الخلع وامر له بجائزة مليحة وقال من يكون هذا تدبيره يجب ان نجعله من خواصنا ثم ان الخليفة احسن الى نعمة ونعم وانعم عليهما وانعم على القهرمانة وقعد اعنده سبعة ايام في سرور وحظ وارغد عيش ثم طلب نعمة منه الاذن بالسفر هو وجاريته فاذن لهما بالسفر الى الكوفة فسافرا واجتمع بوالده ووالدته واقاموا في اطيب عيش الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فلما سمع الامجد والاسعد هذا الحديث من بهرام تعجبا منه غاية العجب وقالا ان هذا الشئ عجيب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الامجد والاسعد لما سمعا من بهرام المجوسي الذي اسلم هذه الحكاية تعجبا منها غاية العجب وباتا تلك الليلة فلما اصبح الصباح ركب الامجد والاسعد وارادا ان يدخلا على الملك فاستأذنا في الدخول فاذن لهما فلما دخلا اكرمهما وجلسوا يتحدثون فبينما هم كذلك واذا باهل المدينة يصيحون ويتصارخون ويستغيثون فدخل الحاجب على الملك وقال له ان ملكا من الملوك نزل بعساكره على المدينة وهم شاهرون السلاح وما ندري ما مرادهم فاخبر الملك وزيره الامجد واخاه الاسعد بما سمعه من الحاجب فقال الامجد انا اخرج اليه واكشف خبره فخرج الامجد الى ظاهر المدينة فوجد الملك ومعه عسكر كثير ومماليك راكبة فلما نظروا الى الامجد عرفوا انه رسول من عند ملك المدينة فاخذوه واحضروه قدام السلطان فلما صار قدامه قبل الارض بين يديه واذا بالملك امرأة ضاربة لها لثاما فقالت اعلم انه مالي عندكم غرض في هذه المدينة الا مملوك امرد فان وجدته عندكم فلا باس عليكم وان لم اجده وقع بيني وبينكم القتال الشديد لانني ما جئت الا في طلبه فقال الامجد ايتها الملكة ما صفة هذا المملوك وما خبره وما اسمه فقالت اسمه الاسعد وانا اسمي مرجانة وهذا المملوك كان جاءني صحبة بهرام المجوسي وما رضي ان يبيعه فاخذته منه غصبا فعدا عليه واخذه من عندي بالليل سرقة واما اوصافه فانها كذا وكذا فلما سمع الامجد ذلك علم انه اخوه الاسعد فقال لها يا ملكة الزمان الحمد لله الذي جاءنا بالفرج ان هذا المملوك هو اخي ثم حكى لها حكايته وما جرى لهما في بلاد الغربة واخبرها بسبب خروجهما من جزائر الابنوس فتعجبت الملكة مرجانة من ذلك وفرحت بلقاء الاسعد وخلعت على اخيه الامجد ثم بعد ذلك عاد الامجد الى الملك واعلمه بما جرى ففرحوا بذلك ونزل الملك هو والامجد والاسعد قاصدين الملكة فلما دخلوا عليها جلسوا يتحدثون فبينما هم كذلك واذا بغبار طار حتى سد الاقطار وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار عن عسكر جرار مثل البحر الزخار وهم متهيئون بالعدد والسلاح فقصدوا المدينة ثم داروا بها كما يدور الخاتم بالخنصر وشهروا سيوفهم فقال الامجد والاسعد انا لله وانا اليه راجعون ما هذا الجيش الكبير ان هذه اعداء لا محالة وان لم نتفق مع هذه الملكة مرجانة على قتالهم اخذوا منا المدينة وقتلونا وليس لنا حيلة الا اننا نخرج اليهم ونكشف خبرهم ثم قام الامجد وخرج من باب المدينة وتجاوز جيش الملكة مرجانة فلما وصل الى العسكر وجده عسكر جده الملك الغيور ابي امه

الملكة بدور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الامجد لما وصل الى العسكر وجده عسكر جده الملك الغيور صاحب
الجزائر والبحور والسبعة قصور فلما صار قدامه قبل الارض بين يديه وبلغه الرسالة قال الملك انا اسمى الملك
الغيور وقد جئت عابر سبيل لان الزمان قد فجعنى فى ابنتى بدور فانها فارقتنى وما رجعت الى وما سمعت لها
ولا لزوجها قمر الزمان خبرا فهل عندكم خبرهما فلما سمع الامجد ذلك اطرق الى الارض ساعة يتفكر
حتى تحقق انه جده ابو امه ثم رفع رأسه وقبل الارض بين يديه واخبره انه ابن بنته بدور فلما سمع الملك انه ابن
بنته بدور رمى روحه عليه وصارا يبكيان ثم قال الملك الغيور الحمد لله يا ولدى على السلامة حيث اجتمعت بك
ثم حكى له الامجد ان ابنته بدور فى عافية وكذلك ابوه قمر الزمان واخبره انهما فى مدينة يقال لها جزيرة
الابنوس وحكى له ان قمر الزمان والده غضب عليه وعلى اخيه وامر بقتلهما وان الخازندار رق لهما
وتركهما بلا قتل فقال الملك الغيور انا ارجع بك وباخيك الى والدك واصلح بينكما واقيم عندكم فقبل الارض
بين يديه ثم خلع الملك الغيور على الامجد ابن بنته ورجع متبسما الى الملك واعلمه بقصة الملك الغيور فتعجب
منه غاية العجب ثم ارسل له الات الضيافة من الخيل والجمال والغنم والعليق وغير ذلك واخرج للملكة
مرجانة كذلك واعلموها بما جرى فقالت انا اذهب معكم بعسكرى واكون ساعية فى الصلح فبينما
هم كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار واسود منه النهار وسمعوا من تحته صياحا وصراخا وصهيل
الخيل ورأوا سيوفا تلمع ورماحا تشرع فلما قربوا من المدينة ورأوا العسكرين دقوا الطبول فلما رأى الملك
ذلك قال ما هذا النهار الا نهار مبارك الحمد لله الذى اصلحنا مع هذين العسكرين وان شاء الله يصلحنا
مع هذا العسكر ايضا ثم قال يا امجد اخرج انت واخوك الاسعد واكشفا لنا خبر هذه العساكر فانها
جيش ثقيل ما رأيت اثقل منه فخرج الاثنان الامجد واخوه الاسعد بعد ان اغلق الملك باب المدينة
خوفا من العسكر المحيط بها ففتحا الابواب وسارا حتى وصلا الى العسكر الذى وصل فوجداه
عسكر ملك جزائر الابنوس وفيه والدهما قمر الزمان فلما نظراه قبلا الارض بين يديه وبكيا فلما
رآهما قمر الزمان رمى روحه عليهما وبكى بكاء شديدا واعتذر لهما وضمهما الى صدره ثم اخبرهما بما
قاساه بعدهما من الوحشة الشديدة لفراقهما ثم ان الامجد والاسعد ذكرا له عن الملك الغيور انه وصل اليهم
فركب قمر الزمان فى خواصه واخذ ولديه الامجد والاسعد معه وساروا حتى وصلوا الى قرب عسكر الملك
الغيور فسبق واحد منهم الى الملك الغيور واخبره ان قمر الزمان وصل فطلع الى ملاقاته فاجتمعوا ببعضهم
وتعجبوا من هذه الامور وكيف اجتمعوا فى هذا المكان وصنع اهل المدينة الولائم وانواع الاطعمة والحلويات
وقدموا الخيول والجمال والضيافات والعليق وما تحتاج اليه العساكر فبينما هم كذلك واذا بغبار قد
ثار حتى سد الاقطار وارتجت الارض من الخيول وصارت الطبول كعواصف الرياح والجيش جميعه
بالعدد والازراد وكلهم لابسون السواد وفى وسطهم شيخ كبير وذقنه واصلة الى صدره وعليه ملابس سود
فلما نظر اهل المدينة هذه العساكر العظيمة قال صاحب المدينة للملوك الحمد لله الذى اجتمعتم باذن الله
تعالى فى يوم واحد وطلعتم كلكم معارف فما هذا العسكر الجرار الذى قد سد الاقطار فقال له الملوك لا تخف
منه فنحن ثلاثة ملوك وكل ملك له عساكر كثيرة فان كانوا اعداء قاتلناهم معك ولو زادوا ثلاثة امثالهم

فبينما هم كذلك واذا برسول من تلك العساكر قد اقبل متوجها الى هذه المدينة فقدموه بين يدى قمر الزمان والملك الغيور والملكة مرجانة والملك صاحب المدينة فقبل الارض وقال ان هذا الملك من بلاد العجم وقد فقد ولده من مدة سنين وهو دائر يفتش عليه فى الاقطار فان وجده عندكم فلا بأس عليكم وان لم يجده وقع الحرب بينه وبينكم واخرب مدينتكم فقال له قمر الزمان ما يصل الى هذا ولكن ما يقال له فى بلاد العجم فقال الرسول يقال له الملك شهرمان صاحب جزائر الخالدات وقد جمع هذه العساكر من الاقطار التى مر بها وهو دائر يفتش على ولده فلما سمع قمر الزمان كلام الرسول صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه واستمر فى غشيته ساعة ثم افاق وبكى بكاء شديدا وقال للامجد والاسعد وخواصهما امشوا يا اولادى مع الرسول وسلموا على جدكم والدى الملك شهرمان وبشروه بى فانه حزين على فقدى وهو الى الآن لابس الملابس السود من اجلى ثم حكى للملوك الحاضرين جميع ما جرى له فى ايام صباه فتعجب جميع الملوك من ذلك ثم نزلوا هم وقمر الزمان وتوجهوا الى والده فسلم قمر الزمان على والده وعانقا بعضهما ووقعا مغشيا عليهما من شدة الفرح فلما افاقا حكى لابنه جميع ما جرى له ثم سلم عليه بقية الملوك وردوا مرجانة الى بلادها بعد ان زوجوها للاسعد ووصوها انها لا تقطع عنهم مراسلتها ثم زوجوا الامجد بستان بنت بهرام وسافروا كلهم الى مدينة الابنوس وخلا قمر الزمان بصهره واعلمه بجميع ما جرى له وكيف اجتمع باولاده ففرح وهناه بالسلامة ثم دخل الملك الغيور ابو الملكة بدور على بنته وسلم عليها وبل شوقه منها وقعدوا فى مدينة الابنوس شهرا كاملا ثم سافر الملك الغيور بابنته الى بلده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك الغيور سافر بابنته وجماعته الى بلده واخذ الامجد معهم فلما استقر فى مملكته اجلس الامجد يحكم مكان جده واما قمر الزمان فانه اجلس ابنه الاسعد يحكم مكانه فى مدينة جده ارمانوس ورضى به جده ثم تجهز قمر الزمان وسافر مع ابيه الملك شهرمان الى ان وصل الى جزائر الخالدات فزينت له المدينة واستمرت البشائر تدق شهرا كاملا وجلس قمر الزمان يحكم مكان ابيه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات والله اعلم فقال الملك يا شهرزاد ان هذه الحكاية عجيبة جدا قالت ايها الملك ليست هذه الحكاية باعجب من حكاية علاء الدين ابى الشامات قال وما حكاية علاء الدين ابى الشامات قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل تاجر بمصر يقال له شمس الدين وكان من احسن التجار واصدقهم مقالا وهو صاحب خدم وحشم وعبيد وجوار ومماليك ومال كثير وكان شاه بندر التجار بمصر وكان معه زوجة يحبها وتحبه الا انه عاش معها اربعين عاما ولم يرزق منها ببنت ولا ولد فقعد يوما من الايام فى دكانه فرأى التجار وكل واحد منهم له ولد او ولدان او اكثر وهم قاعدون فى دكاكين مثل ابائهم وكان ذلك اليوم يوم جمعة فدخل ذلك التاجر الحمام واغتسل غسل الجمعة ولما طلع اخذ مرآة المزين فرأى وجهه فيها وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم نظر الى لحيته فرأى البياض غطى السواد وتذكر ان الشيب نذير الموت وكانت زوجته تعرف ميعاد مجيئه فتغتسل وتصلح شأنها له فدخل عليها فقالت له مساء الخير فقال لها انا ما رأيت الخير وكانت قالت للجارية هاتى سفرة العشاء فاحضرت الطعام وقالت له تعش يا سيدى فقال لها

ما أكل شيأ واعرض عن السفرة بوجهه فقالت له ما سبب ذلك واى شئ احزنك فقال لها انت سبب حزنى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شمس الدين قال لزوجته انت سبب حزنى فقالت له لاى شئ فقال لها انى لما فتحت دكانى فى هذا اليوم رأيت كل واحد من التجار له ولد او ولدان او اكثر وهم قاعدون فى الدكاكين مثل ابائهم فقلت لنفسى ان الذى اخذ اباك ما يخليك وليلة دخلت بك حلفتنى انى ما اتزوج عليك ولا اتسرى بجارية حبشية ولا رومية ولا غير ذلك من الجوارى ولا ابيت ليلة بعيدا عنك والحال انك عاقر والنكاح فيك كالنحت فى الحجر فقالت اسم الله على ان العاقة منك ما هى منى لان بيضك رائق فقال لها وما شأن الذى بيضه رائق فقالت هو الذى لا يحبل النساء ولا يجئ باولاد فقال لها واين معكر البيض وانا اشتريه لعله يعكر بيضى فقالت له فتش عليه عند العطارين فبات التاجر واصبح متندما حيث عاير زوجته وندمت هى حيث عايرته ثم توجه الى السوق فوجد رجلا عطارا فقال له السلام عليكم فرد عليه السلام فقال له هل يوجد عندك معكر البيض فقال له كان عندى وفرغ ولكن اسأل جارى فدار يسأل حتى سأل جميع العطارين وهم يضحكون عليه وبعد ذلك رجع الى دكانه وقعد فكان فى السوق نقيب الدلالين وكان رجلا حشاشا يتعاطى الافيون والبرش ويستعمل الحشيش الاخضر وكان ذلك النقيب يسمى الشيخ محمد سمسم وكان فقير الحال وكان عادته ان يصبح على التاجر فى كل يوم فجاءه على عادته وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وهو مغتاظ فقال له يا سيدى مالك مغتاظ فحكى له جميع ما جرى بينه وبين زوجته وقال له ان لى اربعين سنة وانا متزوج بها ولم تحبل منى بولد ولا بنت وقالوا الى سبب عدم حبلها منك ان بيضك رائق ففتشت على شئ اعكر به بيضى فلم اجده فقال له يا سيدى انا عندى معكر البيض فما تقول فيمن يجعل زوجتك تحبل منك بعد هذه الاربعين سنة التى مضت قال له التاجر ان فعلت ذلك فانا احسن اليك وانعم عليك فقال له هات لى دينارا فقال له خذ هذين الدينارين فاخذهما منه وقال هات لى هذه السلطانية الصينى فاعطاه السلطانية فاخذها وتوجه الى بياع الحشيش واخذ منه من المكرر الرومى قدر اوقيتين واخذ جانبا من الكبابة الصينى والقرفة والقرنفل والحبهان والزنجبيل والفلفل الابيض والسقنقور الجبلى ودق الجميع وغلاها فى زيت الطيب واخذ ثلاث اواق حصى لبان ذكر واخذ مقدار قدح من الحبة السوداء ونقعه وعمل جميع ذلك معجونا بالعسل النحل وحطه فى السلطانية ورجع بها الى التاجر واعطاها له وقال له هذا معكر البيض فينبغى ان تأخذ منه على رأس الملوق بعد ان تأكل اللحم الضانى والحمام البيتى وتكثر له الحرارات والبهارات وتتعشى وتشرب السكر المكرر فاحضر التاجر جميع ذلك وارسله الى زوجته وقال لها اطبخى ذلك طبخا جيدا وخذى معكر البيض واحفظيه عندك حتى اطلبه ففعلت ما امرها به ووضعت له الطعام فتعشى ثم انه طلب السلطانية فاكل منها فاعجبته فاكل بقيتها وواقع زوجته فعلقت منه تلك الليلة ففاتت عليها اول شهر والثانى والثالث ولم ينزل عليها الدم فعلمت انها حملت ثم وفت ايام حملها ولحقها الطلق وقامت الافراح فقاست الداية المشقة فى الخلاص ورقته باسمى محمد وعلى وكبرت واذنت فى اذنه ولفته واعطته لامه فاعطته ثديها وارضعته فشرب وشبع ونام واقامت الداية عندهم ثلاثة ايام حتى عملوا الحلاوة ليفرقوها فى اليوم

السابع ثم رشوا الملح ودخل التاجر وهنا زوجته بالسلامة وقال لها اين وديعة الله فقدمت له مولودا بديع الجمال صنع المدبر الموجود وهو ابن سبعة ايام ولكن الذى ينظره يقول عليه انه ابن عام فنظر التاجر فى وجهه فرآه بدرا مشرقا وله شامات على الخدين فقال لها ما سميته فقالت له لو كان بنتا كنت سميتها وهذا ولد فلا يسميه الا انت وكان اهل ذلك الزمن يسمون اولادهم بالفال فبينما هم يتشاورن فى الاسم واذا بواحد يقول لرفيقه ياسيدى علاء الدين فقال لها نسميه بعلاء الدين ابى الشامات ووكل به المراضع والدايات فشرب اللبن عامين وفطموه فكبر وانتشى وعلى الارض مشى فلما بلغ من العمر سبع سنين ادخلوه تحت طابق خوفا عليه من العين وقال هذا لا يخرج من الطابق حتى تطلع لحيته ووكل به جارية وعبدا فصارت الجارية تهيئ له السفرة والعبد يحملها اليه ثم انه طاهره وعمل له وليمة عظيمة ثم بعد ذلك احضر له فقيها يعلمه فعلمه الخط والقرآن والعلم الى ان صار ماهرا وصاحب معرفة فاتفق ان العبد اوصل اليه السفرة فى بعض الايام ونسى الطابق مفتوحا فطلع علاء الدين من الطابق ودخل على امه وكان عندها محضر من اكابر النساء فبينما النساء يتحدثون مع امه واذا هو داخل عليهن كالمملوك السكران من فرط جماله فلما رأته النسوة غطين وجوههن وقلن لامه الله يجازيك يافلانة كيف تدخلين علينا هذا المملوك الاجنبى اما تعلمين ان الحياء من الايمان فقالت لهن سموا الله ان هذا ولدى وثمرة فؤادى وابن شاه بندر التجار شمس الدين بن الدادة والقلادة والقشفة والبابة فقلن لها عمرنا ما رأينا لك ولدا فقالت ان اباه خاف عليه من العين فجعل مرباه فى طابق تحت الارض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ام علاء الدين قالت للنسوان ان اباه خاف عليه من العين فجعل مرباه فى طابق تحت الارض فلعل الخادم نسى الطابق مفتوحا فطلع منه ولم يكن مرادنا ان يطلع منه حتى تطلع لحيته فهنأها النسوة بذلك وطلع الغلام من عند النسوة الى حوش البيت ثم طلع المقعد وجلس فيه فبينما هو جالس واذا بالعبيد قد دخلوا ومعهم بغلة ابيه فقال لهم علاء الدين اين كانت هذه البغلة فقالوا له نحن وصلنا اباك الى الدكان وهو راكب عليها وجئنا بها فقال لهم اى شئ صنعة ابى فقالوا له ان اباك شاه بندر التجار بارض مصر وهو سلطان اولاد العرب فدخل علاء الدين على امه وقال لها يا امى ما صناعة ابى فقالت له ياولدى ان اباك تاجر وهو شاه بندر التجار بارض مصر وسلطان اولاد العرب وعبيده لا تشاوره فى البيع الا على البيعة التى يكون اقل ثمنها الف دينار واما البيعة التى تكون بتسعمائة دينار فاقل فانهم لا يشاورونه عليها بل يبيعونها بانفسهم ولا يأتى متجر من بلاد الناس قليلا او كثيرا الا ويدخل تحت يده ويتصرف فيه كيف يشاء ولا ينحزم متجر ويروح الى بلاد الناس الا ويكون من تحت يد ابيك والله تعالى اعطى اباك ياولدى مالا كثيرا لا يحصى فقال لها يا امى الحمد لله الذى انا ابن سلطان اولاد العرب ووالدى شاه بندر التجار ولاى شئ يا امى تحطونى فى الطابق وتتركونى محبوسا فيه فقالت له ياولدى نحن ما حطيناك فى الطابق الا خوفا عليك من اعين الناس فان العين حق واكثر اهل القبور من العين فقال لها يا امى واين المفر من القضاء والحذر لا يمنع القدر والمكتوب ما منه مهروب وان الذى اخذ جدى لا يترك ابى فانه ان عاش اليوم ما يعيش غدا واذا مات ابى وطلعت انا وقلت انا علاء

الدين

الدين ابن التاجر شمس الدين لا يصدقنى احد من الناس والاختيارية يقولون عمرنا ما رأينا لشمس الدين ولدا ولا بنتا فينزل بيت المال ويأخذ مال ابى ورحم الله من قال يموت الغنى ويذهب ماله ويأخذ اندل الرجال نساءه فانت يا امى تكلمين ابى حتى يأخذنى معه الى السوق ويفتح لى دكانا واقعد فيه ببضائع ويعلمنى البيع والشراء والاخذ والعطاء فقالت له يا ولدى لما يحضر ابوك اخبره بذلك فلما رجع التاجر الى بيته وجد ابنه علاء الدين ابا الشامات قاعدا عند امه فقال لها لاى شئ اخرجته من الطابق فقالت له يا ابن عمى انا ما اخرجته ولكن الخدم نسوا الطابق مفتوحا فبينما انا قاعدة وعندى محضر من اكابر النساء واذا به داخل علينا واخبرته بما قاله ولده فقال له يا ولدى فى غد ان شاء الله تعالى آخذك معى الى السوق ولكن يا ولدى قعود الاسواق والدكاكين يحتاج الى الادب والكمال فى كل حال فبات علاء الدين وهو فرحان من كلام ابيه فلما اصبح الصباح ادخله الحمام والبسه بدلة تساوى جملة من المال ولما افطروا وشربوا الشربات ركب بغلته واركب ولده بغلة واخذه وراءه وتوجه به الى السوق فنظر اهل السوق شاه بندر التجار مقبلا ووراءه غلام كان وجهه القمر فى ليلة اربعة عشر فقال واحد منهم لرفيقه انظر هذا الغلام الذى وراء شاه بندر التجار قد كنا نظن به الخير وهو مثل الكراث شائب وقلبه اخضر فقال الشيخ محمد سمسم النقيب المتقدم ذكره للتجار نحن ما بقينا نرضى به ان يكون شيخا علينا ابدا وكان من عادة شاه بندر التجار انه لما يأتى من بيته فى الصباح ويقعد فى دكانه يتقدم نقيب السوق ويقرأ الفاتحة للتجار فيقومون معه ويأتون الى شاه بندر التجار ويقرؤن له الفاتحة ويصبحون عليه ثم ينصرف كل واحد منهم الى دكانه فلما قعد شاه بندر التجار فى دكانه ذلك اليوم على عادته لم تأت اليه التجار حكم عادتهم فنادى النقيب وقال له لاى شئ لم تجتمع التجار على جرى عادتهم فقال له انا ما اعرف نقل الفتن ان التجار اتفقوا على عزلك من المشيخة ولا يقرؤن لك فاتحة فقال له ما سبب ذلك فقال له ما شأن هذا الولد الجالس بجانبك وانت اختيار ورئيس التجار فهل هذا الولد مملوكك او يقرب لزوجتك واظن انك تعشقه وتميل الى الغلام فصرخ عليه وقال له اسكت قبح الله ذاتك وصفاتك هذا ولدى فقال له عمرنا ما رأينا لك ولدا فقال له لما جئتنى بعكر البيض حملت زوجتى وولدته ولكن من خوفى عليه من العين ربيته فى طابق تحت الارض وكان مرادى انه لا يطلع من الطابق حتى يمسك لحيته بيده فما رضيت امه وطلب منى ان افتح له دكانا واحط عنده بضائع واعلمه البيع والشراء فذهب النقيب الى التجار واخبرهم بحقيقة الامر فقاموا كلهم بصحبته وتوجهوا الى شاه بندر التجار ووقفوا بين يديه وقرؤا الفاتحة وهنوه بذلك الغلام وقالوا له ربنا يبقى الاصل والفرع ولكن الفقير منا لما يأتيه ولد او بنت لا بد ان يصنع لاخوانه دست عصيدة ويعزم معارفه واقاربه وانت لم تعمل ذلك فقال لهم لكم على ذلك ويكون اجتماعنا فى البستان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شاه بندر التجار وعد التجار بالسماط وقال لهم يكون اجتماعنا فى البستان فلما اصبح الصباح ارسل الفراش للقاعة والقصر اللذين فى البستان وامره بفرشهما وارسل آلة الطبخ من خرفان وسمن وغير ذلك مما يحتاج اليه الحال وعمل سماطين سماطا فى القصر وسماطا فى القاعة وتحزم التاجر شمس الدين وتحزم ولده علاء الدين وقال له يا ولدى اذا دخل الرجل الشائب فانا اتلقاه

واجلسه على السماط الذى فى القصر وانت ياولدى اذا دخل الولد الامرد تأخذه وادخل به القاعة وتقعده على السماط فقال له لاى شئ يا ابى ما سبب انك تعمل سماطين واحد للرجال وواحد للاولاد فقال ياولدى ان الامرد يستحى ان يأكل عند الرجال فاستحسن ذلك ولده فلما جاء التجار صار شمس الدين يقابل الرجال ويجلسهم فى القصر وولده علاء الدين يقابل الاولاد ويجلسهم فى القاعة ثم وضعوا الطعام فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وشربوا الشربات واطلقوا البخور ثم قعد الاختيارية فى مذاكرة العلم والحديث وكان بينهم رجل تاجر يسمى محمود البلخى وكان مسلما فى الظاهر مجوسيا فى الباطن وكان يبغى الفساد ويهوى الاولاد فنظر علاء الدين نظرة اعقبته الف حسرة وعلق له الشيطان جوهرة فى وجهه فاخذه به الغرام والوجد والهيام وكان ذلك التاجر الذى اسمه محمود البلخى يأخذ القماش والبضائع من والد علاء الدين ثم ان محمودا البلخى قام يتمشى وانعطف نحو الاولاد فقاموا لملتقاه وكان علاء الدين انحصر فقام يزيل الضرورة فالتفت التاجر محمود الى الاولاد وقال لهم ان طيبتم خاطر علاء الدين على السفر معى اعطيت كل واحد منكم بدلة تساوى جملة من المال ثم توجه من عندهم الى مجلس الرجال فبينما الاولاد جالسون واذا بعلاء الدين اقبل عليهم فقاموا لملتقاه واجلسوه بينهم فى صدر المقام فقام ولد منهم وقال لرفيقه ياسيدى حسن اخبرنى برأس المال الذى عندك تبيع فيه وتشترى من اين جاءك فقال له انا لما كبرت وانتشأت وبلغت مبلغ الرجال قلت لابى ياوالدى احضر لى متجرا فقال ياولدى ما عندى شئ ولكن رح خذلك مالا من واحد تاجر واتجر به وتعلم البيع والشراء والاخذ والعطاء فتوجهت الى واحد من التجار واقترضت منه الف دينار فاشتريت بها قماشا وسافرت به الى الشام فربحت المثل مثلين ثم اخذت متجرا من الشام وسافرت به الى بغداد وبعته ثم ربحت المثل مثلين ولم ازل اتجر حتى صار رأس مالى نحو عشرة الاف دينار وصار كل واحد من الاولاد يقول لرفيقه مثل ذلك الى ان دار الدور وجاء الكلام الى علاء الدين ابى الشامات فقالوا له وانت ياسيدى علاء الدين فقال لهم انا تربيت فى طابق تحت الارض وطلعت منه فى هذه الجمعة وانا اروح الدكان وارجع منه الى البيت فقالوا له انت متعود على قعود البيت ولا تعرف لذة السفر والسفر ما يكون الا للرجال فقال لهم انا مالى حاجة بالسفر وليس للراحة قيمة فقال واحد منهم لرفيقه هذا مثل السمك اذا فارق الماء مات ثم قالوا له ياعلاء الدين ما فخر اولاد التجار الا بالسفر لاجل المكسب فحصل لعلاء الدين غيظ بسبب ذلك وطلع من عند الاولاد وهو باكى العين حزين الفؤاد وركب بغلته وتوجه الى البيت فرأته امه فى غيظ زائد باكى العين فقالت له ما يبكيك ياولدى فقال لها ان اولاد التجار جميعا عايرونى وقالوا لى ما فخر اولاد التجار الا بالسفر لاجل ان يكسبوا الدراهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان علاء الدين قال لوالدته ان اولاد التجار عايرونى وقالوا لى ما فخر اولاد التجار الا بالسفر لاجل ان يكسبوا الدراهم والدنانير فقالت له امه ياولدى هل مرادك السفر قال نعم فقالت له اتسافر الى اى البلاد فقال لها الى مدينة بغداد فان الانسان يكتسب فيها المثل مثلين فقالت له ياولدى ان اباك عنده مال كثير وان لم يجهز لك متجرا من ماله فانا اجهز لك متجرا من عندى فقال لها خير البر عاجله ان كان معروفا فهذا وقته فاحضرت العبيد وارسلتهم الى الذين يحزمون القماش وفتحت

حاصلا واخرجت له منه قماشا وحزموا له عشرة احمال هذا ما كان من امر امه واما ما كان من امر ابيه فانه التفت فلم يجد ابنه علاء الدين في البستان فسأل عنه فقالوا له انه ركب بغلته وراح الى البيت فركب وتوجه خلفه فلما دخل منزله رأى احمالا محزومة فسأل عنها فاخبرته زوجته بما وقع من اولاد التجار لولده علاء الدين فقال له يا ولدي خيب الله الغربة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء ان يرزق في بلده وقال الاقدمون دع السفر ولو كان ميلا ثم قال لولده هل صممت على السفر ولا ترجع عنه فقال له ولده لابد لي من السفر الى بغداد بمتجر والا قلعت ثيابي ولبست ثياب الدراويش وطلعت سايحا في البلاد فقال له ما انا محتاج ولا معدم بل عندي مال كثير واراه جميع ما عنده من المال والمتاجر والقماش وقال له انا عندي لكل بلد ما يناسبها من القماش والمتاجر واراه من جملة ذلك اربعين حملا محزومة مكتوبا على كل حمل ثمنه الف دينار ثم قال له يا ولدي خذ الاربعين حملا والعشرة احمال التي من عند امك وسافر مع سلامة الله تعالى ولكن يا ولدي اخاف عليك من غابة في طريقك تسمى غابة الاسد وواد هناك يقال له وادي الكلاب فانهما تروح فيهما الارواح بغير سماح فقال له لماذا يا والدي فقال من بدوي قاطع الطريق يقال له عجلان فقال له الرزق رزق الله وان كان لي فيه نصيب لم يصبني ضرر ثم ركب علاء الدين مع والده وسار الى سوق الدواب واذا بعكام نزل من فوق بغلته وقبل يد شاه بندر التجار وقال له والله زمان يا سيدي ما استقضيتنا في تجارات فقال له لكل زمان دولة ورجال ورحم الله من قال

وشيخ في جهات الارض يمشي ✻ ولحيته تعابل ركبتيه

فقلت له لماذا انت محني ✻ فقال وقد لوى نحوي يديه

شبابي في الثرى قد ضاع مني ✻ وها انا منحن بحثا عليه

فلما فرغ من شعره قال يا مقدم ما مراده السفر الا ولدي هذا فقال له العكام الله يحفظه عليك ثم ان شاه بندر التجار عاهد بين ولده وبين العكام وجعله ولده واوصاه عليه وقال له خذ هذه المائة دينار لغلمانك ثم ان شاه بندر التجار اشترى ستين بغلا وستر السيدي عبد القادر الجيلاني وقال له يا ولدي انا غائب وهذا ابوك عوضا عني وجميع ما يقوله لك طاوعه فيه ثم توجه بالبغال والغلمان وعملوا في تلك الليلة ختمة ومولدا للشيخ عبد القادر الجيلاني ولما اصبح الصباح اعطى شاه بندر التجار لولده عشرة الاف دينار وقال له اذا دخلت بغداد ولقيت القماش رايجا بعه وان لقيت حاله واقفا اصرف من هذه الدنانير ثم حملوا البغال وودعوا بعضهم وساروا متوجهين حتى خرجوا من المدينة وكان محمود البلخي تجهز للسفر الى جهة بغداد واخرج حموله ونصب صواوينه خارج المدينة وقال في نفسه ما تحظى بهذا الولد الا في الخلاء لانه لا واش ولا رقيب يعكر عليك وكان لابي الولد الف دينار عند محمود البلخي بقية معاملة فذهب اليه وودعه وقال له اعط الالف دينار لولدي علاء الدين واوصاه عليه وقال له انه مثل ولدك فاجتمع علاء الدين بمحمود البلخي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان علاء الدين اجتمع بمحمود البلخي فقام محمود البلخي واوصى طباخ علاء الدين انه لا يطبخ شيأ وصار محمود يقدم لعلاء الدين المأكل والمشرب هو وجماعته ثم توجهوا للسفر وكان

للتاجر محمود البلخي اربعة بيوت واحد في مصر وواحد في الشام وواحد في حلب وواحد في بغداد ولم يزالوا مسافرين في البراري والقفار حتى اشرفوا على الشام فارسل محمود اعبده الى علاء الدين فراه قاعدا يقرأ فتقدم وقبل اياديه فقال ما تطلب فقال له سيدي يسلم عليك ويطلبك لعزومته في منزله فقال له لما اشاور ابي المقدم كمال الدين العكام فشاوره على الرواح فقال له لا تروح ثم سافروا من الشام الى ان دخلوا حلب فعمل محمود البلخي عزومة وارسل يطلب علاء الدين فشاور المقدم فمنعه وسافروا من حلب الى ان بقي بينهم وبين بغداد مرحلة فعمل محمود البلخي عزومة وارسل يطلب علاء الدين فشاور المقدم فمنعه فقال علاء الدين لا بد لي من الرواح ثم قام وتقلد بسيف تحت ثيابه وسار الى ان دخل على محمود البلخي فقام لملتقاه وسلم عليه واحضر سفرة عظيمة فاكلوا وشربوا وغسلوا ايديهم ومال محمود البلخي على علاء الدين ليأخذ منه قبلة فلاقاها في كفه وقال له ما مرادك ان تعمل فقال اني احضرتك ومرادي اعمل معك حظا في هذا المجال ونفسر قول من قال

ايمكن ان تجيء لنا لحيظه * كحلب شويهة اونيء بيضه
وتأكل ما تيسر من خبيز * وتقبض ما تحصل من فضيضه
وتحمل ما تشاء بغير عسر * شبيرا او فتيرا او قبيضه

ثم ان محمود البلخي هم بعلاء الدين واراد ان يفترسه فقام علاء الدين وجرد سيفه وقال له وا شيبتاه اما تخشى الله وهو شديد المحال ولم تسمع قول من قال

احفظ مشيبك من عيب يدنسه * ان البياض سريع الحمل للدنس

فلما فرغ علاء الدين من شعره قال لمحمود ان هذه البضاعة امانة لله لا تباع ولو بعتها لغيرك بالذهب لبعتها لك بالفضة ولكن والله يا خبيث ما بقيت ارافقك ابدا ثم رجع علاء الدين الى المقدم كمال الدين وقال له ان هذا رجل فاسق فانا ما بقيت ارافقه ابدا ولا امشي معه في طريق فقال له يا ولدي اما قلت لك لا تروح عنده ولكن يا ولدي ان افترقنا معه نخشى على انفسنا التلف فخلنا قفلا واحدا فقال له لا يمكن ان ارافقه في الطريق ابدا ثم حمل علاء الدين حموله وسار هو ومن معه الى ان نزلوا في واد وارادوا ان يحطوا فيه فقال العكام لا تحطوا هنا واستمروا رايحين واسرعوا في المسير لعلنا نحصل بغداد قبل ان تقفل ابوابها فانهم لا يفتحونها ولا يقفلونها الا بشمس خوفا على المدينة ان يملكها الروافض ويرموا كتب العلم في الدجلة فقال له يا والدي انا ما توجهت بهذا المتجر الى هذه البلد لاجل السبب بل لاجل الفرجة على بلاد الناس فقال له يا ولدي نخشى عليك وعلى مالك من العرب فقال له يا رجل هل انت خادم او مخدوم انا ما ادخل بغداد الا مع الصباح لاجل ان تنظر اولاد بغداد الى متجري ويعرفوني فقال له العكام افعل ما تريد فانا نصحتك وانت تعرف خلاصك فامرهم علاء الدين بتنزيل الاحمال عن البغال فانزلوا الاحمال ونصبوا الصيوان واستمروا مقيمين الى نصف الليل ثم طلع علاء الدين يزيل ضرورة فرأى شيأ يلمع على بعد فقال للعكام يا مقدم ما هذا الشيء الذي يلمع فتأمل العكام وحقق النظر فرأى الذي يلمع اسنة رماح وحديد سلاح وسيوف بدوية واذا بهم عرب ورئيسهم يسمى شيخ العرب عجلان ابو نائب ولما قرب العرب منهم ورأوا حمولهم قالوا لبعضهم يا ليلة الغنيمة فلما سمعوهم يقولون ذلك قال المقدم كمال الدين العكام حاس يا اقل العرب فلطشه ابو نائب بحربته في صدره فخرجت تلمع من ظهره فوقع على باب الخيمة قتيلا فقال السقاء حاس يا اخس العرب فضربوه بسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه ووقع قتيلا كل هذا يجري وعلاء الدين واقف

ينظر ثم ان العرب جالوا وصالوا على القافلة فقتلوهم ولم يبقوا احدا من طائفة علاء الدين ثم حملوا الاحمال على ظهور البغال وراحوا فقال علاء الدين لنفسه ما يقتلك الا بغلتك وبدلتك هذه فقام وقلع البدلة ورماها على ظهر البغلة وصار بالقميص واللباس فقط والتفت قدامه الى باب الخيمة فوجد بركة دم سائلة من القتلى فصار يتمرغ فيها بالقميص واللباس حتى صار كالقتيل الغريق فى دمه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر شيخ العرب عجلان فانه قال لجماعته يا عرب هذه القافلة داخلة من مصر او خارجة من بغداد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان البدوى لما قال لجماعته يا عرب هذه القافلة داخلة من مصر او خارجة من بغداد فقالوا له داخلة من مصر الى بغداد فقال لهم ردوا على القتلى لانى اظن ان صاحب هذه القافلة لم يمت فرد العرب على القتلى وصاروا يرزون القتلى بالطعن والضرب الى ان وصلوا الى علاء الدين وكان قد القى نفسه بين القتلى فلما وصلوا اليه قالوا انت جعلت نفسك ميتا فنحن نكمل قتلك وسحب البدوى الحربة واراد ان يغرزها فى صدر علاء الدين فقال علاء الدين يا بركتك يا سيدى عبد القادر يا جيلانى فنظر علاء الدين الى يد حولت الحربة عن صدره الى صدر المقدم كمال الدين العكام فطعنه البدوى بها وامتنع عن علاء الدين ثم حملوا الاحمال على ظهور البغال ومشوا بها فنظر علاء الدين فرأى الطير قد طارت بارزاقها فقام يجرى واذا بالبدوى ابو نائب قال لرفقائه انا رأيت زولا يا عرب فطلع واحد منهم فرأى علاء الدين يجرى فقال له لا ينفعك الهروب ونحن وراءك واكز فرسه فاسرعت وراءه وكان علاء الدين قد رأى قدامه حوضا فيه ماء وبجانبه صهريج فطلع علاء الدين الى شباك فى الصهريج وامتد وجعل نفسه انه نائم وقال يا جميل الستر سترك الذى لا ينكشف واذا بالبدوى وقف تحت الصهريج ومد يده ليقتنص علاء الدين فقال علاء الدين يا بركتك يا سيدتى نفيسة هذا وقتك واذا بعقرب لدغ البدوى فى كفه فصرخ وقال يا عرب تعالوا الى فانى لدغت ونزل من فوق ظهر فرسه فاتاه رفقاؤه واركبوه ثانيا على فرسه وقالوا له اى شئ اصابك فقال لهم لدغنى عقرب ثم اخذوا القافلة وساروا هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر علاء الدين فانه استمر نائما فى شباك الصهريج واما ما كان من امر محمود البلخى فانه امر بتحميل الاحمال وسافر الى ان وصل الى غابة الاسد فوجد غلمان علاء الدين كلهم قتلى ففرح بذلك وترجل الى ان وصل الى الصهريج والحوض وكانت بغلته شديدة العطش فمالت لتشرب من الحوض فرأت خيال علاء الدين فجفلت منه فرفع محمود البلخى عينه فرأى علاء الدين نائما وهو عريان بالقميص واللباس فقط فقال له من فعل بك هذه الفعال وخلاك فى اسوء حال فقال له العرب فقال له يا ولدى قد اك البغال والاموال وتسل بقول من قال

اذا سلمت هام الرجال من الردى ✻ فما المال الا مثل قص الاظافر

ولكن يا ولدى انزل ولا تخش بأسا فنزل علاء الدين من شباك الصهريج واركبه بغلة وسافروا الى ان دخلوا مدينة بغداد فى دار محمود البلخى فامر بدخول علاء الدين الحمام وقال له المال والاحمال فداؤك يا ولدى وان طاوعتنى اعطيك قدر مالك واحمالك مرتين وبعد طلوعه من الحمام ادخله قاعة مزركشة بالذهب لها اربعة لواوين ثم امر باحضار سفرة فيها جميع الاطعمة فاكلوا وشربوا ومال محمود البلخى على

علاء الدين ليأخذ من خده قبلة فلقيها علاء الدين بكفه وقال له هل انت الى الآن تابع لضلالك اما قلت لك انا لو كنت بعت هذه البضاعة لغيرك بالذهب لكنت ابيعها لك بالفضة فقال له انا ما اعطيك المتجر والبغلة والبدلة الا لاجل هذه القضية فانى من غرامى بك فى خبال ولله در من قال

حدثنا عن بعض اشياخه * ابو بلال شيخنا عن شريك

لايشتفى العاشق مما به * بالضم والتقبيل حتى ينيك

فقال له علاء الدين ان هذا شئ لايمكن ابدا فخذ بدلتك وبغلتك وافتح لى الباب حتى اروح ففتح له الباب فطلع علاء الدين والكلاب تنبح وراءه وسار فبينما هو سائر فى الظلام اذ رأى باب مسجد فدخل فى دهليز المسجد واستكن فيه واذا بنور مقبل عليه فتأمله فرأى فانوسين فى يدى عبدين قدام اثنين من التجار واحد منهما اختيار حسن الوجه والثانى شاب فسمع الشاب يقول للاختيار بالله يا عمى ان ترد لى بنت عمى فقال له اما نهيتك مرارا عديدة وانت جاعل الطلاق مصحفك ثم ان الاختيار التفت على يمينه فرأى ذلك الولد كانه فلقة قمر فقال له السلام عليك فرد عليه السلام فقال له يا غلام من انت فقال له انا علاء الدين بن شمس الدين شاه بندر التجار بمصر وتمنيت على والدى المتجر فجهز لى خمسين حملا من البضاعة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان علاء الدين قال فجهز لى والدى خمسين حملا من البضاعة واعطانى عشرة الاف دينار وسافرت حتى وصلت الى غابة الاسد فطلع على العرب واخذوا مالى واحمالى فدخلت هذه المدينة وما ادرى اين ابيت فرأيت هذا المحل فاستكنيت فيه فقال له يا ولدى ما تقول فى انى اعطيك الف دينار وبدلة بالف دينار فقال له علاء الدين على اى وجه تعطينى ذلك يا عمى فقال له ان هذا الغلام الذى معى ابن اخى ولم يكن لابيه غيره وانا عندى بنت لم يكن لى غيرها تسمى زبيدة العودية وهى ذات حسن وجمال فزوجتها له وهو يحبها وهى تكرهه فحنث فى يمينه بالطلاق الثلاث فما صدقت زوجته بذلك حتى افترقت منه فساق على جميع الناس انى اردها له فقلت له هذا لايصح الا بالمستحل واتفقت معه على ان نجعل المحلل واحدا غريبا حتى لايعايره احد بهذا الامر وحيث كنت انت غريبا فتعال معنا لنكتب كتابك عليها وتبيت عندها هذه الليلة وتصبح تطلقها ونعطيك ما ذكرته لك فقال علاء الدين فى نفسه مبيت ليلة مع عروس فى بيت على فراش احسن من مبيت فى الازقة والدهاليز فسار معهما الى القاضى فلما نظر القاضى الى علاء الدين وقعت محبته فى قلبه وقال لابى البنت اى شئ مرادكم فقال مرادنا ان نعمل هذا مستحلا لابنتنا ولكن نكتب عليه حجة بمقدم الصداق عشرة الاف دينار فان بات عندها ومتى اصبح طلقها اعطيناه البدلة بالف دينار وبغلة بالف دينار واعطيناه الف دينار وان لم يطلقها يعط عشرة الاف دينار فعقدوا العقد على هذا الشرط واخذ ابو البنت حجة بذلك ثم اخذ علاء الدين معه والبسه البدلة وساروا به الى ان وصلوا دار بنته فاوقفه على باب الدار ودخل على بنته وقال لها خذى حجة صداقك فانى كتبت كتابك على شاب مليح يسمى علاء الدين ابا الشامات فتوصى به غاية الوصية ثم اعطاها الحجة وتوجه الى بيته واما ابن عم البنت فانه كان له قهرمانة تتردد على زبيدة العودية بنت عمه وكان يحسن اليها فقال لها يا امى ان زبيدة بنت عمى متى رأت هذا الشاب المليح لم تقبلنى بعد ذلك فانا

اطلب

اطلب منك ان تعملي حيلة وتمنعي الصبية عنه فقالت له وحياة شبابك ما اخليه يقربها ثم انها جاءت
لعلاء الدين وقالت له يا ولدي انصحك لله تعالى فاقبل نصيحتي ولا تقرب تلك الصبية ودعها تنام وحدها
ولا تلمسها ولا تدن منها فقال لاي شيء فقالت له ان جسدها ملآن بالجذام واخاف عليك منها ان
تعدي شبابك المليح فقال ليس لي بها حاجة ثم انتقلت الى الصبية وقالت لها مثل ما قالت لعلاء الدين
فقالت لها لا حاجة لي به بل ادعه ينام وحده ولما يصبح يروح الى حال سبيله ثم دعت جارية وقالت لها
خذي سفرة الطعام واعطيها له يتعشى فحملت له الجارية سفرة الطعام ووضعتها بين يديه فاكل حتى اكتفى
ثم قعد وقرأ سورة يس بصوت حسن فصغت له الصبية فوجدت صوته يشبه مزامير آل داود فقالت
في نفسها الله ينكد على هذه العجوز التي قالت لي عليه انه مبتلى بالجذام فمن كانت به هذه الحالة لا يكون
صوته هكذا وانما هذا الكلام كذب عليه ثم انها وضعت في يديها عودا من صنعة الهنود واصلحت اوتاره
وغنت عليه بصوت يوقف الطير في كبد السماء وانشدت هذين البيتين

تعشقت ظبيا ناعس الطرف احورا * تغار غصون البان منه اذا مشى
يمانعني والغير يحظى بوصله * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

فلما سمعها انشدت هذا الكلام بعد ان ختم السورة غنى هو وانشد هذا البيت

سلامي على ما في الثياب من القد * وما في بساتين الخدود من الورد

فقامت الصبية وقد زادت محبتها له ورفعت الستارة فلما رآها علاء الدين انشد هذين البيتين

بدت قمرا ومالت غصن بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا
كأن الحزن مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

ثم انها خطرت تهز اردافا تميل باعطاف صنعة خفي الالطاف ونظر كل واحد منهما صاحبه نظرة اعقبته
الف حسرة فلما تمكن في قلبه منها سهم اللحظين انشد هذين البيتين

رأت قمر السماء فاذكرتني * ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن * رأيت بعينها ورأت بعيني

فلما قربت منه ولم يبق بينه وبينها الا خطوتين انشد هذين البيتين

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت ليالي اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فارتني القمرين في وقت معا

فلما اقبلت عليه قال لها ابعدي عني لئلا تعديني فكشفت عن معصمها فانفرق المعصم فرقتين
وبياضه كبياض اللجين ثم قالت له ابعد عني فانك مبتلى بالجذام لئلا تعديني فقال لها من اخبرك اني مجذوم
فقالت له العجوز اخبرتني بذلك فقال لها وانا الآخر اخبرتني العجوز انك مصابة بالبرص ثم كشف لها
عن ذراعيه فوجدت بدنه كالفضة النقية فضمته الى حضنها وضمها الى صدره واعتنق الاثنان بعضهما
ثم اخذته وراحت على ظهرها وفكت لباسها فتحرك عليه الذي خلفه له الوالد فقال لمدد لنا يا شيخ ذكريا
يا ابا العروق وحط يديه في خاصرتيها ووضع عرق الحلاوة في باب الخرق ودفعه فوصل الى باب الشعرية
وكان مروره من باب الفتوح وبعد ذلك دخل سوق الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس فوجد
البساط على قدر الليوان ودور الحق على غطاه حتى التقاه فلما اصبح الصباح قال لها يا فرحة ما تمت
اخذها الغراب وطار فقالت له ما معنى هذا الكلام فقال لها يا سيدتي ما بقي لي قعود معك غير

هذه الساعة فقالت له من يقول ذلك فقال لها ان اباك كتب علىّ حجة بعشرة آلاف دينار مهرك وان لم اوردها فى هذا اليوم حبسونى عليها فى بيت القاضى والآن يدى قصيرة عن نصف فضة واحد من العشرة الاف دينار فقالت له يا سيدى هل العصمة بيدك او بايديهم فقال لها العصمة بيدى ولكن ما معى شىء فقالت له ان الامر سهل ولا تخش شيأ ولكن خذ هذه المائة دينار ولو كان معى غيرها لاعطيتك ما تريد فان ابى من محبته لابن اخيه حول جميع ماله من عندى الى بيته حتى صيغتى اخذها كلها واذا ارسل اليك رسولا من طرف الشرع فى غد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية قالت لعلاء الدين واذا ارسلوا اليك رسولا من طرف الشرع فى غد وقال لك القاضى وابى طلق فقل لهما فى اى مذهب يجوز انى اتزوج فى العشاء واطلق فى الصباح ثم انك تقبل يد القاضى وتعطيه احسانا وكذا كل شاهد تقبل يده وتعطيه عشرة دنانير فكلهم يتكلمون معك فاذا قالوا لك لاى شىء ما تطلق وتأخذ الف دينار والبغلة والبدلة على حكم الشرط الذى شرطناه عليك فقل لهم انا عندى فيها كل شعرة بالف دينار ولا اطلقها ابدا ولا آخذ بدلة ولا غيرها فاذا قال لك القاضى ادفع المهر فقل له انا معسر الان وحينئذ يترفق بك القاضى والشهود ويمهلونك مدة فبينما هما فى الكلام واذا برسول القاضى يدق الباب فخرج اليه فقال له الرسول كلم الافندى فان نسيبك طالبك فاعطاه خمسة دنانير وقال له يا محضر فى اى شرع انى اتزوج فى العشاء واطلق فى الصباح فقال له لا يجوز عندنا ابدا وان كنت تجهل الشرع فانا اعمل وكيلك وساروا الى المحكمة فقال له القاضى لاى شىء لم تطلق المرأة وتأخذ ما وقع عليه الشرط فتقدم الى القاضى وقبل يده ووضع فيها خمسين دينارا وقال له يا مولانا القاضى فى اى مذهب انى اتزوج فى العشاء واطلق فى الصباح قهرا عنى فقال القاضى لا يجوز الطلاق بالاجبار فى مذهب من مذاهب المسلمين فقال ابو الصبية ان لم تطلق فادفع لى الصداق عشرة الاف دينار فقال علاء الدين امهلنى ثلاثة ايام فقال القاضى لا تكفى ثلاثة ايام فى المهلة بل يمهلك عشرة ايام واتفقوا على ذلك وشرطوا عليه بعد العشرة ايام اما المهر واما الطلاق وطلع من عندهم على هذا الشرط فاخذ اللحم والارز والسمن وما يحتاج اليه الامر من المأكل وتوجه الى البيت فدخل على الصبية وحكى لها جميع ما جرى له فقالت له بين الليل والنهار عجائب ولله در من قال

كن حليما اذا بليت بغيظ ✻ وصبورا اذا اتتك مصيبه
ان الليالى من الزمان حبالى ✻ مثقلات يلدن كل عجيبه

ثم قامت وهيات الطعام واحضرت السفرة فاكلا وشربا وتلذذا وطربا ثم طلب منها ان تعمل نوبة سماع فاخذت العود وعملت نوبة يطرب منها الحجر الجلمود ونادت الاوتار فى الحضرة يا داود ودخلت فى دارج النوبة فبينما هما فى حظ ومزاح وبسط وانشراح واذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر من بالباب فنزل وفتح الباب فوجد اربعة دراويش واقفين فقال لهم اى شىء تطلبون فقالوا له يا سيدى نحن دراويش غرباء الديار وقوت ارواحنا السماع ورقائق الاشعار ومرادنا ان نرتاح عندك هذه الليلة الى وقت الصباح ثم نتوجه الى حال سبيلنا واجرك على الله تعالى فاننا نعشق السماع وما فينا واحد الا ويحفظ القصائد والاشعار والموشحات فقال لهم على مشورة ثم طلع واعلمها فقالت له افتح لهم

الباب

الباب ففتح لهم الباب واطلعهم واجلسهم ورحب بهم ثم احضر لهم طعاما فلم ياكلوا وقالوا له ياسيدى ان زادنا ذكر الله بقلوبنا وسماع المغانى باذاننا ولله در من قال

وما القصد الا ان يكون اجتماعنا * وما الاكل الا شيمة للبهائم

وقد كنا نسمع عندك سماعا لطيفا فلما طلعنا بطل السماع فيا هل ترى التى كانت تعمل النوبة جارية بيضاء او سوداء او بنت ناس فقال لهم هذه زوجتى وحكى لهم جميع ما جرى له وقال لهم ان نسيبى عمل على عشرة آلاف دينار مهرها وامهلونى عشرة ايام فقال له درويش منهم لا تحزن ولا تأخذ فى خاطرك الا الطيب فانا شيخ التكية وتحت يدى اربعون درويشا احكم عليهم وسوف اجمع لك العشرة الاف دينار منهم وتوفى المهر الذى عليك لنسيبك ولكن امرها ان تعمل لنا نوبة لاجل ان نحظ ويحصل لنا انتعاش فان السماع لقوم كالغذاء ولقوم كالدواء ولقوم كالمروحة وكان هؤلاء الدراويش الاربعة الخليفة هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكى وابو نواس الحسن بن هانى ومسرور سياف النقمة وسبب مرورهم على هذا البيت ان الخليفة حصل له ضيق صدر فقال للوزير يا وزير ان مرادنا ان ننزل ونشق فى المدينة لانه حاصل عندى ضيق صدر فلبسوا لبس الدراويش ونزلوا فى المدينة فجازوا على تلك الدار فسمعوا النوبة فاحبوا ان يعرفوا حقيقة الامر ثم انهم باتوا فى حظ ونظام ومناقلة كلام الى ان اصبح الصباح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم اخذوا خاطره وتوجهوا الى حال سبيلهم فلما رفعت الصبية السجادة رأت مائة دينار تحتها فقالت لزوجها خذ هذه المائة دينار التى وجدتها تحت السجادة فان الدراويش حطوها قبل ما يروحوا وليس لنا علم بذلك فاخذها علاء الدين وذهب الى السوق واشترى منها اللحم والارز والسمن وجميع ما يحتاج اليه وفى ثانى ليلة قاد الشمع وقال لها ان الدراويش لم ياتوا بالعشرة الاف دينار التى وعدونى بها ولكن هؤلاء فقراء فبينما هما فى الكلام واذا بالدراويش قد طرقوا الباب فقالت له انزل افتح لهم ففتح لهم وطلعوا فقال لهم هل احضرتم العشرة الاف التى وعدتونى بها فقالوا له ما تيسر منها شئ ولكن لا تخش باسا ان شاء الله تعالى فى غد نطبخ لك طبخة كيمياء وامر زوجتك ان تسمعنا نوبة عظيمة تنتعش بها قلوبنا فاننا نحب السماع فعملت لهم نوبة على العود ترقص الحجر الجلمود فباتوا فى هناء وسرور ومسامرة وحبور الى ان طلع الصباح واضاء بنوره ولاح فحط الخليفة مائة دينار تحت السجادة ثم اخذوا خاطره وانصرفوا من عنده الى حال سبيلهم ولم يزالوا يأتون اليه على هذا الحال مدة تسع ليال وكل ليلة يحط الخليفة تحت السجادة مائة دينار الى ان اقبلت الليلة العاشرة فلم يأتوا وكان السبب فى انقطاعهم ان الخليفة ارسل الى رجل عظيم من التجار وقال له احضر لى خمسين حملا من الاقمشة التى تجئ من مصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان امير المؤمنين قال لذلك التاجر احضر لى خمسين حملا من القماش الذى يجئ من مصر يكون كل حمل ثمنه الف دينار واكتب على كل حمل قدر ثمنه واحضر لى عبدا حبشيا فاحضر له التاجر جميع ما امره به ثم ان الخليفة اعطى العبد طشتا وابريقا من الذهب وهدية والخمسين حملا وكتب كتابا على لسان شمس الدين شاه بندر التجار بمصر والد علاء الدين وقال له خذ هذه الاحمال وما معها وروح بها الحارة الفلانية التى فيها بيت شاه بندر التجار وقل اين سيدى علاء الدين

ابو الشامات فان الناس يدلونك على الحارة وعلى البيت فاخذ العبد الاحمال وما معها وتوجه كما امره الخليفة هذا ما كان من امره واما ما كان من امر ابن عم الصبية فانه توجه الى ابيها وقال له تعالى نروح لعلاء الدين لنطلق بنت عمى فنزل وسار هو واياه وتوجها الى علاء الدين فلما وصلا الى البيت وجدا خمسين بغلا وعليها خمسون حملا من القماش وعبدا راكب بغلة فقالا له لمن هذه الاحمال فقال لسيدى علاء الدين ابى الشامات فان اباه كان جهز له متجرا وسفره الى مدينة بغداد فطلع عليه العرب فاخذوا ماله واحماله فبلغ الخبر الى ابيه فارسلنى اليه باحمال عوضها وارسل له معى بغلا عليه خمسون الف دينار وبقجة تساوى جملة من المال وكرك سمور وطشتا وابريقا من الذهب فقال له ابو البنت هذا نسيبى وانا ادلك على بيته فبينما علاء الدين قاعد فى البيت وهو فى غم شديد واذا بالباب يطرق فقال علاء الدين يا زبيدة الله اعلم ان ابى ارسل الى رسولا من طرف القاضى او من طرف الوالى فقالت له انزل وانظر الخبر فنزل وفتح الباب فرأى نسيبه شاه بندر التجار ابا زبيدة ووجد عبدا حبشيا اسمر اللون حلو المنظر راكبا فوق بغلة فنزل العبد وقبل يديه فقال له اى شئ تريد فقال له انا عبد سيدى علاء الدين ابى الشامات ابن شمس الدين شاه بندر التجار بارض مصر وقد ارسلنى اليه ابوه بهذه الامانة ثم اعطاه الكتاب فاخذه علاء الدين وفضه وقرأه فرأى مكتوبا فيه

يا كتابى اذا رآك حبيبى * قبل الارض والنعال لديه
وتمهل ولا تكون عجولا * ان روحى وراحتى فى يديه

بعد السلام التام والتحية والاكرام من شمس الدين الى ولده علاء الدين ابى الشامات اعلم يا ولدى انه بلغنى خبر قتل رجالك ونهب اموالك واحمالك فارسلت اليك غير هذه الخمسين حملا من القماش المصرى والبدلة والكرك السمور والطشت والابريق الذهب ولا تخش باسا والمال فداك يا ولدى ولا يحصل لك حزن ابدا وان امك واهل البيت طيبون بخير وعافية وهم يسلمون عليك كثير السلام وبلغنى يا ولدى خبر انهم عملوك مستحلا للبنت زبيدة العودية وعملوا عليك مهرها خمسين الف دينار فهى واصلة اليك صحبة الاحمال مع عبدك سليم فلما فرغ من قراءة الكتاب تسلم الاحمال ثم التفت الى نسيبه وقال له يا نسيبى خذ الخمسين الف دينار مهر بنتك زبيدة وخذ الاحمال تصرف فيها ولك المكسب ورد لى رأس المال فقال له لا والله لا آخذ شيأ واما مهر زوجتك فاتفق انت واياها من جهته فقام علاء الدين هو ونسيبه ودخلا البيت بعد ادخال الحمول فقالت زبيدة لابيها يا ابى لمن هذه الاحمال فقال لها هذه الاحمال لعلاء الدين زوجك ارسلها اليه ابوه عوضا عن الاحمال التى اخذها العرب منه وارسل اليه خمسين الف دينار وبقجة وكرك سمور وبغلة وطشتا وابريقا ذهبا واما من جهة مهرك فالرأى لك فيه فقام علاء الدين وفتح الصندوق واعطاها مهرها فقال الولد ابن عم البنت يا عمى خل علاء الدين يطلق لى امرأتى فقال له هذا شئ ما بقى يصح ابدا والعصمة بيده فراح الولد مغموما مقهورا ورقد فى بيته ضعيفا فكان فيها القاضية فمات واما علاء الدين فانه طلع الى السوق بعد ان اخذ الاحمال واخذ ما يحتاج اليه من المأكل والمشرب والسمن وعمل نظاما مثل كل ليلة وقال لزبيدة انظرى هؤلاء الدراويش الكذابين قد وعدونا واخلفوا وعدهم فقالت له انت ابن شاه بندر التجار وكانت يدك قصيرة على نصف فضة فكيف بالمساكين الدراويش فقال لها اغنانا الله تعالى عنهم ولكن ما بقيت افتح لهم الباب اذا اتوا الينا فقالت له لاى شئ والخير ما جانا الا على قدومهم وكل ليلة يحطون لنا تحت السجادة

مائة دينار فلا بد ان تفتح لهم الباب اذا جاؤا فلما ولى النهار بضيائه واقبل الليل قادوا الشمع وقال لها يا زبيدة قومى اعملى لنا نوبة واذا بالباب يطرق فقالت له قم انظر من بالباب فنزل وفتح الباب فرآهم الدراويش فقال يا مرحبا بالكذابين اطلعوا فطلعوا معه واجلسهم وجاءلهم بسفرة الطعام فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وبعد ذلك قالوا له يا سيدى ان قلوبنا عليك مشغولة اى شئ جرى لك مع نسيبك فقال لهم عوض الله علينا بما فوق المراد فقالوا له والله انا كنا خائفين عليك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الدراويش قالوا لعلاء الدين والله انا كنا خائفين عليك وما منعنا عنك الا قصر ايدينا عن الدراهم فقال لهم قد اتانى الفرج القريب من عند ربى وقد ارسل الى والدى خمسين الف دينار وخمسين حملا من القماش ثمن كل حمل الف دينار وبدلة وكرك سمور وبغلة وعبدا وطشتا وابريقا من الذهب ووقع الصلح بينى وبين نسيبى وطابت لى زوجتى والحمد لله على ذلك ثم ان الخليفة قام يزيل ضرورة فمال الوزير جعفر على علاء الدين وقال له الزم الادب فانك فى حضرة امير المؤمنين فقال له اى شئ وقع منى من قلة الادب فى حضرة امير المؤمنين ومن هو امير المؤمنين منكم فقال له ان الذى كان يكلمك وقام يزيل الضرورة هو امير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد وانا الوزير جعفر وهذا مسرور سياف نقمته وهذا ابو النواس الحسن بن هانى فتأمل بعقلك يا علاء الدين وانظر مسافة كم يوم فى السفر من مصر الى بغداد فقال له خمسة واربعون يوما فقال له ان حمولك نهبت من منذ عشرة ايام فقط فكيف يروح الخبر لابيك ويحزم لك الاحمال وتقطع مسافة خمسة واربعين يوما فى العشرة ايام فقال له يا سيدى ومن اين اتانى هذا فقال له من عند الخليفة امير المؤمنين بسبب فرط محبته لك فبينما هم فى هذا الكلام واذا بالخليفة قد اقبل فقام علاء الدين وقبل الارض بين يديه وقال له الله يحفظك يا امير المؤمنين ويديم بقاءك ولا عدم الناس فضلك واحسانك فقال يا علاء الدين خل زبيدة تعمل لنا نوبة حلاوة السلامة فعملت نوبة على العود من غرائب الموجود الى ان طرب لها الحجر الجلمود وصاح العود فى الحضرة يا داود فباتوا على اسر حال الى الصباح فلما اصبحوا قال الخليفة لعلاء الدين فى غد اطلع الديوان فقال له سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ان شاء الله تعالى وانت بخير ثم ان علاء الدين اخذ عشرة اطباق ووضع فيها هدية سنية وطلع بها الديوان فى ثانى يوم فبينما الخليفة قاعد على الكرسى فى الديوان واذا بعلاء الدين مقبل من باب الديوان وهو ينشد هذين البيتين

تصبحك السعادة كل يوم * باجلال وقد رغم الحسود
ولا زالت لك الايام بيضا * وايام الذى عاداك سود

فقال له الخليفة مرحبا يا علاء الدين فقال علاء الدين يا امير المؤمنين ان النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهدية وهذه العشرة اطباق وما فيها هدية منى اليك فقبل منه ذلك امير المؤمنين وامر له بخلعة وجعله شاه بندر التجار واقعده فى الديوان فبينما هو جالس واذا بنسيبه ابى زبيدة مقبل فوجد علاء الدين جالسا فى رتبته وعليه خلعة فقال لامير المؤمنين يا ملك الزمان لاى شئ هذا جالس فى رتبتى وعليه هذه الخلعة فقال له الخليفة انى جعلته شاه بندر التجار والمناصب تقاليد لا تخليد وانت معزول فقال له انه منا والينا

ونعم مافعلت باامير المؤمنين الله يجعل خيارنا اولياء امورنا وكم من صغير صار كبيرا ثم ان الخليفة كتب فرمانا لعلاء الدين واعطاه للوالي والوالي اعطاه للمشاعلي ونادى في الديوان ماشاء بندر التجار الاعلاء الدين ابو الشامات وهو مسموع الكلمة محفوظ الحرمة يجب له الاكرام والاحترام ورفع المقام فلما انفض الديوان نزل الوالي بالمنادي بين يدي علاء الدين وصار المنادي يقول ماشاء بندر التجار الاسيدي علاء الدين ابو الشامات وداروا به في شوارع بغداد والمنادي ينادي ويقول ماشاء بندر التجار الاسيدي علاء الدين ابو الشامات فلما اصبح الصباح فتح دكانا للعبد واجلسه فيها يبيع ويشتري واما علاء الدين فانه كان يركب ويتوجه الى مرتبته في ديوان الخليفة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان علاء الدين كان يركب ويتوجه الى مرتبته في ديوان الخليفة فاتفق انه جلس في مرتبته يوما على عادته فبينما هو جالس واذا بقائل يقول للخليفة باامير المؤمنين تعيش رأسك في فلان النديم فانه توفي الى رحمة الله تعالى وحياتك الباقية فقال الخليفة اين علاء الدين ابو الشامات فحضر بين يديه فلما رآه خلع عليه خلعة سنية وجعله نديمه وكتب له جامكية الف دينار في كل شهر واقام عنده يتنادم معه فاتفق انه كان جالسا يوما من الايام في مرتبته على عادته في خدمة الخليفة واذا باامير طالع الى الديوان بسيف وترس فقال باامير المؤمنين تعيش رأسك في رئيس الستين فانه مات في هذا اليوم فامر الخليفة بخلعة لعلاء الدين ابي الشامات وجعله رئيس الستين مكانه وكان رئيس الستين لا ولد له ولا بنت ولا زوجة فنزل علاء الدين ووضع يده على ماله وقال الخليفة لعلاء الدين واره في التراب وخذ جميع ما تركه من مال وعبيد وجوار وخدم ثم نفض الخليفة المنديل وانفض الديوان فنزل علاء الدين وفي ركابه المقدم احمد الدنف مقدم ميمنة الخليفة هو واتباعه الاربعون وفي يساره المقدم حسن شومان مقدم ميسرة الخليفة هو واتباعه الاربعون فالتفت علاء الدين الى المقدم حسن شومان هو واتباعه وقال لهم انتم سياق على المقدم احمد الدنف لعله يقبلني ولدا في عهد الله فقبله وقال له انا واتباعي الاربعون نمشي قدامك الى الديوان في كل يوم ثم ان علاء الدين مكث في خدمة الخليفة مدة ايام فاتفق ان علاء الدين نزل من الديوان يوما من الايام وسار الى بيته وصرف احمد الدنف هو ومن معه الى حال سبيلهم ثم جلس مع زوجته زبيدة العودية وقد اوقدت الشموع وبعد ذلك قامت تزيل ضرورة فبينما هو جالس في مكانه اذ سمع صرخة عظيمة فقام مسرعا لينظر الذي صرخ فرأى صاحب الصرخة زوجته زبيدة العودية وهي مطروحة فوضع يده على صدرها فوجدها ميتة وكان بيت ابيها قدام بيت علاء الدين فسمع صرختها فقال لعلاء الدين ما الخبر ياسيدي علاء الدين فقال له تعيش رأسك ياوالدي في بنتك زبيدة العودية ولكن ياوالدي اكرام الميت دفنه فلما اصبح الصباح واروها في التراب وصار علاء الدين يعزي اباها وابوها يعزيه هذا ما كان من امر زبيدة العودية واما ما كان من امر علاء الدين فانه لبس ثياب الحزن وانقطع عن الديوان وصار باكي العين حزين القلب فقال الخليفة لجعفر ياوزير ما سبب انقطاع علاء الدين عن الديوان فقال له الوزير باامير المؤمنين انه حزين على امرأته زبيدة ومشغول بعزائها فقال الخليفة للوزير واجب علينا ان نعزيه فقال الوزير سمعا وطاعة ثم نزل الخليفة هو والوزير

وبعض

وبعض الخدام وركبوا وتوجهوا الى بيت علاء الدين فبينما هو جالس واذا بالخليفة والوزير ومن معهما مقبلون عليه فقام لملتقاهم وقبل الارض بين يدى الخليفة فقال له الخليفة عوضك الله خيرا فقال علاء الدين اطال الله لنا بقاءك يا امير المؤمنين فقال الخليفة يا علاء الدين ما سبب انقطاعك عن الديوان فقال له حزنى على زوجتى زبيدة يا امير المؤمنين فقال له الخليفة ادفع الهم عن نفسك فانها ماتت الى رحمة الله تعالى والحزن لا يفيدك شيأ ابدا فقال يا امير المؤمنين انا لا اترك الحزن عليها الا اذا مت ودفنونى عندها فقال له الخليفة ان فى الله عوضا من كل فائت ولا يخلص من الموت حيلة ولا مال ولله در من قال

كل ابن انثى وان طالت سلامته ✻ يوما على آلة حدباء محمول
وكيف يلهو بعيش او يلذ به ✻ من التراب على خديه مجعول

ولما فرغ الخليفة من تعزيته اوصاه انه لا ينقطع عن الديوان وتوجه الى محله ثم بات علاء الدين ولما اصبح الصباح ركب وسار الى الديوان فدخل على الخليفة وقبل الارض بين يديه فتحرك له الخليفة من على الكرسى ورحب به وحياه وانزله فى منزلته وقال له يا علاء الدين انت ضيفى فى هذه الليلة ثم دخل به سرايته ودعا بجارية تسمى قوت القلوب وقال لها ان علاء الدين كان عنده زوجة تسمى زبيدة العودية وكانت تسليه عن الهم والغم فاتت الى رحمة الله تعالى ومرادى ان تسمعيه نوبة على العود وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة قال لجاريته قوت القلوب مرادى ان تسمعيه نوبة على العود من غرائب الموجود لاجل ان يتسلى عن الهم والاحزان فقامت الجارية وعملت نوبة من الغرائب فقال الخليفة ما تقول يا علاء الدين فى صوت هذه الجارية فقال له ان زبيدة احسن صوتا منها الا انها صاحبة صناعة فى ضرب العود لانها تطرب الحجر الجلمود فقال له هل هى اعجبتك فقال له اعجبتنى يا امير المؤمنين فقال الخليفة وحياة رأسى وتربة جدودى انها هبة منى اليك هى وجواريها فظن علاء الدين ان الخليفة يمزح معه فلما اصبح الخليفة دخل على جاريته قوت القلوب وقال لها انا وهبتك لعلاء الدين ففرحت بذلك لانها رأته واحبته ثم تحول الخليفة من قصر السراية الى الديوان ودعا بالحمالين وقال لهم انقلوا امتعة قوت القلوب وحطوها فى التختروان هى وجواريها الى بيت علاء الدين فنقلوها هى وجواريها وامتعتها الى بيت علاء الدين وادخلوها القصر وجلس الخليفة فى مجلس الحكم الى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل قصره هذا ما كان من امره واما ما كان من امر قوت القلوب فانها لما دخلت قصر علاء الدين هى وجواريها وكانوا اربعين جارية غير الطواشية قالت لاثنين من الطواشية احدكما يقعد على كرسى فى ميمنة الباب والثانى يقعد على كرسى فى ميسرته ولما يأتى علاء الدين قبلا يديه وقولا له ان سيدتنا قوت القلوب تطلبك الى القصر فان الخليفة وهبها لك هى وجواريها فقالا لها سمعا وطاعة ثم فعلا ما امرتهما به فلما اقبل علاء الدين وجد اثنين من طواشية الخليفة جالسين بالباب فاستغرب الامر وقال فى نفسه لعل هذا ما هو بيتى والا فما الخبر فلما رأته الطواشية قاموا اليه وقبلوا يديه وقالوا نحن من اتباع الخليفة ومماليك قوت القلوب وهى تسلم عليك وتقول لك ان الخليفة قد وهبها لك هى وجواريها وتطلبك عندها فقال

لهم قولوا لها ان حبابك ولكن طول ما انت عنده ما يدخل القصر الذى انت فيه لان ما كان للمولى لا يصلح ان يكون للخدام وقولوا لها ما مقدار مصروفك عند الخليفة فى كل يوم فطلعوا اليها وقالوا لها ذلك فقالت كل يوم مائة دينار فقال لنفسه انا ليس لى حاجة بان يهب لى الخليفة قوت القلوب حتى اصرف عليها هذا المصروف ولكن لا حيلة فى ذلك ثم انها اقامت عنده مدة ايام وهو مرتب لها فى كل يوم مائة دينار الى ان انقطع علاء الدين عن الديوان يوما من الايام فقال الخليفة يا وزير جعفر انا ما وهبت قوت القلوب لعلاء الدين الا لتسليه عن زوجته وما سبب انقطاعه عنا فقال يا امير المؤمنين لقد صدق من قال من لقى احبابه نسى اصحابه فقال الخليفة لعله ما قطعه عنا الا عذر ولكن نحن نزوره وكان قبل ذلك بايام قال علاء الدين للوزير انا شكوت للخليفة ما اجده من الحزن على زوجتى زبيدة العودية فوهب لى قوت القلوب فقال له الوزير لولا انه يحبك ما وهبها لك وهل دخلت بها يا علاء الدين فقال لا والله لا اعرف لها طولا من عرض فقال له ما سبب ذلك فقال يا وزير الذى يصلح للمولى لا يصلح للخدام ثم ان الخليفة وجعفر استخفيا وسارا لزيارة علاء الدين ولم يزالا سائرين الى ان دخلا على علاء الدين فعرفهما وقام قبل ايادى الخليفة ولما رآه الخليفة وجد عليه علامة الحزن فقال له يا علاء الدين ما سبب هذا الحزن الذى انت فيه اما دخلت على قوت القلوب فقال يا امير المؤمنين الذى يصلح للمولى لا يصلح للخدام والى الآن ما دخلت عليها ولا اعرف لها طولا من عرض فاقلنى منها فقال الخليفة ان مرادى الاجتماع بها حتى اسألها عن حالها فقال علاء الدين سمعا وطاعة يا امير المؤمنين فدخل عليها الخليفة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة دخل على قوت القلوب فلما رأته قامت وقبلت الارض بين يديه فقال لها هل دخل بك علاء الدين فقالت لا يا امير المؤمنين وقد ارسلت اطلبه للدخول فلم يرض فامر الخليفة برجوعها الى السراية وقال لعلاء الدين لا تنقطع عنا ثم توجه الخليفة الى داره فبات علاء الدين تلك الليلة ولما اصبح ركب وسار الى الديوان فجلس فى رتبة رئيس الستين فامر الخليفة الخازندار ان يعطى للوزير جعفر عشرة آلاف دينار فاعطاه ذلك المبلغ ثم قال الخليفة للوزير الزمتك ان تنزل الى سوق الجوارى وتشترى لعلاء الدين بالعشرة آلاف دينار جارية فامتثل الوزير امر الخليفة ونزل واخذ معه علاء الدين وسار به الى سوق الجوارى فاتفق فى هذا اليوم ان والى بغداد الذى من طرف الخليفة وكان اسمه الامير خالد نزل الى السوق من اجل اشتراء جارية لولده وسبب ذلك انه كان له زوجة تسمى خاتونا وكان رزق منها بولد قبيح المنظر يسمى حبظلم بظاظه وكان بلغ من العمر عشرين سنة ولا يعرف ان يركب الحصان وكان ابوه شجاعا قرما مناعا وكان يركب الخيل ويخوض بحار الليل فنام حبظلم بظاظه فى ليلة من الليالى فاحتلم فاخبر والدته بذلك ففرحت واخبرت والده بذلك وقالت مرادى ان تزوجه فانه صار يستحق الزواج فقال لها هذا قبيح المنظر كريه الرائحة دنس وحش لا تقبله واحدة من النساء فقالت نشترى له جارية فلامر قدره الله تعالى ان اليوم الذى نزل فيه الوزير وعلاء الدين الى السوق نزل فيه الامير خالد الوالى هو وولده حبظلم بظاظه فبينما هم فى السوق واذا بجارية ذات حسن وجمال وقد واعتدال فى يد رجل دلال فقال الوزير شاور يا دلال عليها بالف دينار فمر بها على الوالى فرآها

حبظلم بظاظه نظرة اعقبته النظرة الف حسرة وولع بها وتمكن منه حبها فقال يا ابت اشترلي هذه الجارية
فنادى الدلال وسأل الجارية عن اسمها فقالت له اسمي ياسمين فقال له ابوه يا ولدي ان كانت اعجبتك
زد في ثمنها فقال يا دلال كم معك من الثمن قال الف دينار قال علي بالف دينار ودينار فجاء علاء الدين
فعملها بالفين فصار كلما يزيد الولد ابن الوالي دينارا في الثمن يزيد علاء الدين الف دينار فاغتاظ ابن الوالي
وقال يا دلال من يزيد علي في ثمن الجارية فقال له الدلال ان الوزير جعفر يريد ان يشتريها لعلاء الدين ابي
الشامات فعملها علاء الدين بعشرة الاف دينار فسمح له سيدها وقبض ثمنها واخذها علاء الدين وقال لها
اعتقتك لوجه الله تعالى ثم انه كتب كتابه عليها وتوجه بها الى البيت ورجع الدلال ومعه دلالته فناداه
ابن الوالي وقال له اين الجارية فقال له اشتراها علاء الدين بعشرة الاف دينار واعتقها وكتب كتابه
عليها فانكمد الولد وزادت به الحسرات ورجع ضعيفا الى البيت من محبته لها وارتمى في الفرش
وقطع الزاد وزاد به العشق والغرام فلما رأته امه ضعيفا قالت له سلامتك يا ولدي ما سبب ضعفك فقال لها
اشتري لي ياسمين يا امي فقالت له امه لما يفوت صاحب الرياحين اشتري لك جنبة ياسمين فقال لها ليس هو
الياسمين الذي يشم وانما هي جارية اسمها ياسمين لم يشترها لي ابي فقالت لزوجها لاي شيء ما اشتريت له هذه
الجارية فقال لها الذي يصلح للمولى لا يصلح للخدام وليس لي قدرة على اخذها فانه ما اشتراها الا علاء
الدين رئيس الستين فزاد الضعف بالولد حتى جفا الرقاد وقطع الزاد وتعصبت امه بعصائب الحزن فبينما
هي جالسة في بيتها حزينة على ولدها واذا بعجوز دخلت عليها اسمها ام احمد قماقم السراق وكان
هذا السراق ينقب وسطانيا ويلقف فوقانيا ويسرق الكحل من العين وكان بهذه الصفات
القبيحة في اول امره ثم عملوه مقدم الدرك فسرق عملة فوقع بها وهجم عليه الوالي فاخذه وعرضه على
الخليفة فامر بقتله في نطعة الدم فاستجار بالوزير وكان للوزير عند الخليفة شفاعة لا ترد فشفع فيه فقال له
الخليفة كيف تشفع في آفة تضر الناس فقال له يا امير المؤمنين احبسه فان الذي بنى السجن كان حكيما
لان السجن قبر الاحياء وشماتة الاعداء فامر الخليفة بوضعه في قيد وكتب على قيده مخلد الى الممات
لا يفك الا على دكة المغسل فوضعوه مقيدا في السجن وكانت امه تتردد على بيت الامير خالد الوالي وتدخل
لابنها في السجن وتقول له اما قلت لك تب عن الحرام فيقول لها قدر الله على ذلك ولكن يا امي اذا دخلت
على زوجة الوالي فخليها تشفع لي عنده فلما دخلت العجوز على زوجة الوالي وجدتها معصبة بعصائب
الحزن فقالت لها ما لك حزينة فقالت على فقد ولدي حبظلم بظاظه فقالت لها سلامة ولدك ما الذي
اصابه فحكت لها الحكاية فقالت العجوز ما تقولين فيمن يلعب منصفا يكون فيه سلامة ولدك
فقالت لها وما الذي تفعلينه فقالت انا لي ولد يسمى احمد قماقم السراق وهو مقيد في السجن ومكتوب
على قيده مخلد الى الممات فانت تقومين وتلبسين افخر ما عندك وتتزينين باحسن الزينة وتقابلين زوجك
ببشر وبشاشة فاذا طلب منك ما يطلبه الرجال من النساء فامتنعي منه ولا تمكنيه وقولي له يا الله العجب
اذا كان للرجل حاجة عند زوجته يلح عليها حتى يقضيها منها واذا كان للزوجة عند زوجها حاجة فانه
لا يقضيها لها فيقول لك وما حاجتك فقولي له حتى تحلف لي فاذا حلف لك بحياة رأسه او بالله فقولي له
احلف لي بالطلاق مني ولا تمكنيه الا ان حلف لك بالطلاق فاذا حلف لك بالطلاق فقولي له عندك
في السجن واحد مقدم اسمه احمد قماقم وله ام مسكينة وقد وقعت علي وساقتني عليك وقالت لي خليه
يشفع له عند الخليفة لاجل ان يتوب ويحصل له الثواب فقالت لها سمعا وطاعة فلما دخل الوالي على

زوجته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوالي لما دخل على زوجته قالت له ذلك الكلام وحلف انها بالطلاق فمكنته وبات عندها ولما اصبح الصباح اغتسل وصلى الصبح وجاء الى السجن وقال يا احمد قماقم يا سراق هل تتوب عما انت فيه فقال انى تبت الى الله ورجعت واقول بالقلب واللسان استغفر الله فاطلقه الوالى من السجن واخذه معه الى الديوان وهو فى القيد ثم تقدم الى الخليفة وقبل الارض بين يديه فقال له يا امير خالد اى شئ تطلب فقدم احمد قماقم يخطر فى القيد قدام الخليفة فقال له يا قماقم هل انت حى الى الان فقال له يا امير المؤمنين ان عمر الشقى بطى فقال الخليفة يا امير خالد لاى شئ جئت به هنا فقال له ان له اما مسكينة منقطعة وليس لها احد غيره وقد وقعت على عبدك ان يتشفع عندك يا امير المؤمنين فى انك تفكه من القيد وهو يتوب عما كان فيه وتجعله مقدم الدرك كما كان اولا فقال الخليفة لاحمد قماقم هل تبت عما كنت فيه فقال له تبت الى الله يا امير المؤمنين فامر باحضار الحداد وفك قيده على دكة المغتسل وجعله مقدم الدرك واوصاه بالمشى الطيب والاستقامة فقبل يدى الخليفة ونزل بخلعة الدرك ونادوا له بالتقديم فمكث مدة من الزمان فى منصبه ثم دخلت امه على زوجة الوالى فقالت لها الحمد لله الذى خلص ابنك من السجن وهو على قيد الصحة والسلامة فلاى شئ لم تقولى له ان يدبر امرا فى مجيئه بالجارية ياسمين الى ولدى حبظلم بظاظه فقالت اقول له ثم قامت من عندها ودخلت على ولدها فوجدته سكران فقالت له يا ولدى ما سبب خلاصك من السجن الا زوجة الوالى وتريد منك ان تدبر لها امرا فى قتل علاء الدين ابى الشامات وتجىء بالجارية ياسمين الى ولدها حبظلم بظاظه فقال لها هذا اسهل ما يكون لا بد ان ادبر امرا فى هذه الليلة وكانت تلك الليلة اول ليلة فى الشهر الجديد وعادة امير المؤمنين ان يبيت فيها عند السيدة زبيدة لعتق جارية او مملوك او نحو ذلك وكان من عادة الخليفة انه يقلع بدلة الملك ويترك السبحة والنمشة وخاتم الملك ويضع الجميع فوق الكرسى فى قاعة الجلوس وكان عند الخليفة مصباح من ذهب وفيه ثلاث جواهر منظومة فى سلك من ذهب وكان ذلك المصباح عزيزا عند الخليفة ثم ان الخليفة وكل الطواشية بالبدلة والمصباح وباقى الامتعة ودخل مقصورة السيدة زبيدة فصبر احمد قماقم السراق لما انتصف الليل واضاء سهيل ونامت الخلائق وتجلى عليهم بالستر الخالق ثم سحب سيفه فى يمينه واخذ ملقفه فى يساره واقبل على قاعة الجلوس التى للخليفة ونصب سلم التسليك ورمى ملقفه على قاعة الجلوس فتعلق بها وطلع على السلم الى السطوح ورفع طابق القاعة ونزل فيها فوجد الطواشيه نائمين فبنجهم واخذ بدلة الخليفة والسبحة والنمشة والمنديل والخاتم والمصباح الذى بالجواهر ثم نزل من الموضع الذى طلع منه وسار الى بيت علاء الدين ابى الشامات وكان علاء الدين فى هذه الليلة مشغولا بفرح الجارية ودخل عليها وراحت منه حاملا فنزل احمد قماقم السراق على قاعة علاء الدين وقلع لوحا رخاما من دور قاعة القاعة وحفر تحته ووضع بعض المصالح وابقى بعضها معه ثم جبس اللوح الرخام كما كان ونزل من الموضع الذى طلع منه وقال فى نفسه انا اقعد اسكر واحط المصباح قدامى واشرب الكاس على نوره ثم سار الى بيته فلما اصبح الصباح ذهب الخليفة الى القاعة فوجد الطواشية مبنجين فايقظهم وحط يده فلم يجد البدلة ولا الخاتم ولا السبحة ولا النمشة ولا المنديل ولا المصباح فاغتاظ لذلك غيظا شديدا ولبس بدلة الغضب وهى بدلة

حرامًا وجلس فى الديوان فتقدم الوزير وقبل الارض بين يديه وقال يكفى الله شر امير المؤمنين فقال له يا وزير ان الشر فائض فقال له الوزير اى شئ حصل فحكى له جميع ما وقع واذا بالوالى طالع وفى ركابه احمد قماقم السراق فوجد الخليفة فى غيظ عظيم فلما نظر الخليفة الى الوالى قال له يا امير خالد كيف حال بغداد فقال له سالمة امينة فقال له تكذب فقال له لاى شئ يا امير المؤمنين فقص عليه القصة وقال له الزمتك ان تجئ لى بذلك كله فقال له يا امير المؤمنين دود الخل منه فيه ولا يقدر غريب ان يصل الى هذا المحل ابدا فقال ان لم تجئ لى بهذه الامور قتلتك فقال له قبل ان تقتلنى اقتل احمد قماقم السراق فانه لا يعرف الحرامى والخائن الا مقدم الدرك فقام احمد قماقم وقال للخليفة شفعنى فى الوالى وانا اضمن لك عهدة الذى سرق واقص الاثر وراءه حتى اعرفه ولكن اعطنى اثنين من طرف القاضى واثنين من طرف الوالى فان الذى فعل هذا الفعل لا يخشاك ولا يخشى من الوالى ولا من غيره فقال الخليفة لك ما طلبت ولكن اول التفتيش يكون فى سرايتى وبعدها فى سراية الوزير وفى سراية رئيس الستين فقال احمد قماقم صدقت يا امير المؤمنين ربما يكون الذى عمل هذه العملة واحد قد تربى فى سراية امير المؤمنين او فى سراية احد من خواصه فقال الخليفة وحياة رأسى كل من ظهرت عليه هذه العملة لا بد من قتله ولو كان ولدى ثم ان احمد قماقم اخذ ما اراده واخذ فرمانا بالهجوم على البيوت وتفتيشها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان احمد قماقم اخذ ما اراده واخذ فرمانا بالهجوم على البيوت وتفتيشها ونزل وبيده قضيب ثلثه من الشوم وثلثه من الرصاص وثلثه من الحديد وثلثه من الفولاذ وفتش سراية الخليفة وسراية الوزير جعفر ودار على بيوت الحجاب والنواب الى ان مر على بيت علاء الدين ابى الشامات فلما سمع الضجة علاء الدين قدام بيته قام من عند ياسمين زوجته ونزل وفتح الباب فوجد الوالى فى كركبة فقال له ما الخبر يا امير خالد فحكى له جميع القضية فقال علاء الدين ادخلوا بيتى وفتشوه فقال الوالى العفو يا سيدى انت امين وحاشا ان يكون الامين خائنا فقال له لا بد من تفتيش بيتى فدخل الوالى والقضاة والشهود وتقدم احمد قماقم الى درقاعة القاعة وجاء الى الرخامة التى دفن تحتها الامتعة وارخى القضيب على اللوح الرخام بعزمه فانكسرت الرخامة واذا بشئ ينور تحتها فقال المقدم بسم الله ما شاء الله على بركة قدومنا انفتح لنا كنز لما انزل الى هذا المطلب وانظر ما فيه فنظر القاضى والشهود الى ذلك المحل فوجدوا الامتعة بتمامها فكتبوا ورقة مضمونها انهم وجدوا الامتعة فى بيت علاء الدين ثم وضعوا فى تلك الورقة ختومهم وامروا بالقبض على علاء الدين واخذوا عمامته من فوق رأسه وضبطوا جميع ماله ورزقه فى قائمة وقبض احمد قماقم السراق على الجارية ياسمين وكانت حاملا من علاء الدين واعطاها لامه وقال لها سلميها للخاتون امرأة الوالى فاخذت ياسمين ودخلت بها على زوجة الوالى فلما رآها حبقلم بنشاطه جاءت له العافية وقام من وقته وساعته وفرح فرحا شديدا وتقرب اليها فسحبت خنجرا من حياصتها وقالت له ابعد عنى والا قتلتك وقتلت نفسى فقالت لها امه يا خاتون يا عاهرة خلى ولدى يبلغ منك مراده فقالت لها يا كلبة فى اى مذهب يجوز للمرأة ان تتزوج باثنين واى شئ اوصل الكلاب ان تدخل فى موطن السباع فزاد بالولد الغرام واضعفه الوجد والهيام وقطع الزاد ولزم الوسادة فقالت لها امرأة الوالى

يا عاهرة كيف تهسريني على ولدي لابد من تعذيبك واما علاء الدين فانه لابد من شنقه فقالت لها انا اموت على محبته فقامت زوجة الوالي ونزعت عنها ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير والبستها لباسا من الخيش وقميصا من الشعر وانزلتها في المطبخ وعملتها من جواري الخدمة وقالت لها جزاك انك تكسرين الحطب وتقشرين البصل وتحطين النار تحت الحلل فقالت لها ارضى بكل عذاب وخدمة ولا ارضى برؤية ولدك فحنن الله عليها قلوب الجواري وصرن يتعاطين الخدمة عنها في المطبخ هذا ما كان من امر ياسمين واما ما كان من امر علاء الدين ابي الشامات فانهم اخذوه هو وامتعة الخليفة وساروا به الى ان وصلوا الى الديوان فبينما الخليفة جالس على الكرسي واذا بهم طالعون بعلاء الدين ومعه الامتعة فقال الخليفة اين وجدتموها فقالوا له في وسط بيت علاء الدين ابي الشامات فامتزج الخليفة بالغضب واخذ الامتعة فلم يجد فيها المصباح فقال يا علاء الدين اين المصباح فقال انا لا سرقت ولا علمت ولا رأيت ولا معي خبر فقال له يا خائن كيف اقربك الي وتبعدني عنك واستامنك وتخونني ثم امر بشنقه فنزل به الوالي والمنادي ينادي عليه هذا جزاء واقل من جزاء من يخون الخلفاء الراشدين فاجتمع الخلائق عند المشنقة هذا ما كان من امر علاء الدين واما ما كان من امر احمد الدنف كبير علاء الدين فانه كان قاعدا هو واتباعه في بستان فبينما هم جالسون في حظ وسرور واذا برجل سقاء من السقايين الذين في الديوان دخل عليهم وقبل يد احمد الدنف وقال يا مقدم احمد يا دنف انت قاعد في صفاء والماء تحت رجليك وما عندك علم بما حصل فقال له احمد الدنف ما الخبر فقال السقاء ان ولدك في عهد الله علاء الدين نزلوا به الى المشنقة فقال احمد الدنف ما عندك من الحيلة يا حسن يا شومان فقال له ان علاء الدين بريء من هذا الامر وهذا ملعوب عليه من واحد عدو فقال له ما الرأي عندك فقال له خلاصه علينا ان شاء المولى ثم ان حسنا شومان ذهب الى السجن وقال للسجان اعطنا واحدا يكون مستوجبا للقتل فاعطاه واحدا كان اشبه البرايا بعلاء الدين ابي الشامات فغطى رأسه واخذه احمد الدنف بينه وبين علي الزيبق المصري وكانوا قدموا علاء الدين الى الشنق فتقدم احمد الدنف وحط رجله على رجل المشاعلي فقال له المشاعلي اعطني الوسع حتى اعمل صنعتي فقال له يا لعين خذ هذا الرجل واشنقه موضع علاء الدين ابي الشامات فانه مظلوم ونفدي اسماعيل بالكبش فاخذ المشاعلي ذلك الرجل وشنقه عوضا عن علاء الدين ثم ان احمد الدنف وعليا الزيبق المصري اخذا علاء الدين وسارا به الى قاعة احمد الدنف فلما دخلوا عليه قال له علاء الدين جزاك الله خيرا يا كبيري فقال له يا علاء الدين ما هذا الفعل الذي فعلته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان احمد الدنف قال لعلاء الدين ما هذا الفعل الذي فعلته ورحم الله من قال من ائتمنك لا تخنه ولو كنت خائنا والخليفة مكنك عنده وسماك بالثقة الامين كيف تفعل معه هكذا وتاخذ امتعته فقال له علاء الدين والاسم الاعظم يا كبيري ما هي عملي ولا لي فيه ذنب ولا اعرف من عملها فقال احمد الدنف ان هذه العملة ما عملها الا عدو مبين ومن فعل شيأ يجازى به ولكن يا علاء الدين انت ما بقي لك اقامة في بغداد فان الملوك لا تعادي يا ولدي ومن كانت الملوك في طلبه يا طول تعبه فقال علاء الدين اين اروح يا كبيري فقال له انا اوصلك الى الاسكندرية فانها مباركة وعتبتها

خضراء وعيشتم هنية فقال سمعا وطاعة يا كبيري فقال احمد الدنف لحسن شومان خل بالك واذا سأل عني الخليفة فقل له انه راح يطوف على البلاد ثم اخذه وخرج من بغداد ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى الكروم والبساتين فوجدا يهوديين من عمال الخليفة راكبين على بغلتين فقال احمد الدنف لليهود هاتوا الغفر فقال اليهود نعطيك الغفر على اي شيء فقال لهم انا غفير هذا الوادي فاعطاه كل واحد منهما مائة دينار وبعد ذلك قتلهما احمد الدنف واخذ البغلتين فركب بغلة وركب علاء الدين بغلة وسارا الى مدينة اياس فادخلا البغلتين في خان وباتا فيه ولما اصبح الصباح باع علاء الدين بغلته واوصى البواب على بغلة احمد الدنف ونزلوا في مركب من مينة اياس حتى وصلوا الى الاسكندرية فطلع احمد الدنف ومعه علاء الدين ومشيا في السوق واذا بدلال ينادي على دكان ومن داخل الدكان طبقة على تسعمائة وخمسين فقال علاء الدين علي بالف فسمح له البائع وكانت لبيت المال فتسلم علاء الدين المفاتيح وفتح الدكان وفتح الطبقة فوجدها مفروشة بالفرش والمساند ورأى فيها حاصلا فيه قلاع وصوار وحبال وصناديق واجربة ملآنة خرزا وودعا وركابات واطبار ودبابيس وسكاكين ومقصات وغير ذلك لان صاحبه كان سقطيا فقعد علاء الدين ابو الشامات في الدكان وقال له احمد الدنف يا ولدي الدكان والطبقة وما فيهما صارت ملكك فاقعد فيها وبع واشتر ولا تتكدر فان الله تعالى بارك في التجارة واقام عنده ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع اخذ خاطره وقال له استقر في هذا المكان حتى اروح واعود اليك بخبر من الخليفة بالامان عليك وانظر الذي عمل معك هذا الملعوب ثم توجه مسافرا حتى وصل الى اياس فاخذ البغلة من الخان وسار الى بغداد فاجتمع بحسن شومان واتباعه وقال له يا حسن هل الخليفة سأل عني فقال لا ولا خطرت على باله فاقام في خدمة الخليفة وصار يتنشق الاخبار فرأى الخليفة التفت الى الوزير جعفر يوما من الايام وقال له انظر يا وزير هذه العملة الذي فعلها معي علاء الدين فقال له يا امير المؤمنين انت جازيته بالشنق وجزاؤه ما حل به فقال له يا وزير مرادي ان انزل وانظره وهو مشنوق فقال الوزير افعل ما شئت يا امير المؤمنين فنزل الخليفة ومعه الوزير جعفر الى جهة المشنقة ثم رفع طرفه فرأى المشنوق غير علاء الدين ابي الشامات الثقة الامين فقال يا وزير هذا ما هو علاء الدين فقال له كيف عرفت انه غيره فقال ان علاء الدين كان قصيرا وهذا طويل فقال له الوزير ان المشنوق يطول فقال له ان علاء الدين كان ابيض وهذا وجهه اسود فقال له اما تعلم يا امير المؤمنين ان الموت له غبرات فامر بتنزيله من فوق المشنقة فلما انزلوه وجد مكتوبا على كعبيه الاثنين اسمي الشيخين فقال له يا وزير ان علاء الدين كان سنيا وهذا رافضي فقال له سبحان الله علام الغيوب ونحن لا نعلم هل هذا علاء الدين او غيره فامر الخليفة بدفنه فدفنوه وصار علاء الدين نسيا منسيا هذا ما كان من امره واما ما كان من امر حبظلم بظاظة ابن الوالي فانه قد طال به العشق والغرام حتى مات وواروه في التراب واما ما كان من امر الجارية ياسمين فانها اوفت حملها ولحقها الطلق فوضعت ولدا ذكرا كانه القمر فقال لها الجواري ما تسميه فقالت لو كان ابوه طيبا كان سماه ولكن انا اسميه اصلان ثم انها ارضعته اللبن عامين متتابعين وفطمته وحبي ومشى فاتفق ان امه اشتغلت بخدمة المطبخ يوما من الايام فمشى الغلام ورأى سلم المقعد فطلع عليه وكان الامير خالد الوالي جالسا فاخذه واقعده في حجره وسبح مولاه فيما خلق وصور وتأمل وجهه فرآه اشبه البرايا بعلاء الدين ابي الشامات ثم ان امه ياسمين فتشت عليه فلم تجده فطلعت المقعد فرأت الامير خالدا جالسا والولد في حجره يلعب وقد القى الله محبة الولد في قلب الامير خالد فالتفت الولد فرأى امه فرمى نفسه عليها فزنقه الامير خالد

فى حضنه وقال لها تعالى ياجارية فلما جاءت قال لها هذا الولد ابن من فقالت له هذا ولدى وثمرة فؤادى فقال لها ومن ابوه فقالت ابوه علاء الدين ابو الشامات والان صار ولدك فقال لها ان علاء الدين كان خائنا فقالت سلامته من الخيانة حاشى وكلا ان يكون الامين خائنا فقال لها اذا كبر هذا الولد وانتشأ وقال لك من ابى فقولى له انت ابن الامير خالد الوالى صاحب الشرطة فقالت له سمعا وطاعة ثم ان الامير خالد الوالى طاهر الولد ورباه واحسن تربيته وجاء له بفقيه خطاط فعلمه الخط والقراءة فقرأ واعاد وختم وطلع يقول للامير خالد يا والدى وصار الوالى يعمل الميدان ويجمع الخيل وينزل يعلم الولد ابواب الحرب ومقام الطعن والضرب الى ان انتهى فى الفروسية وتعلم الشجاعة وبلغ من العمر اربع عشرة سنة ووصل الى درجة الامارة فاتفق ان اصلان اجتمع مع احمد قماقم السراق يوما من الايام وسار اصحابا فتبعه الى الخمارة واذا باحمد قماقم السراق اطلع المصباح الجوهر الذى اخذه من امتعة الخليفة وحطه قدامه وتناول الكأس على نوره وسكر فقال له اصلان يامقدم اعطنى هذا المصباح فقال له ما اقدر ان اعطيك اياه فقال له لاى شئ فقال له لانه راحت على شأنه الارواح فقال له اى روح راحت على شأنه فقال له كان واحد جاء ناهنا وعمل رئيس الستين يسمى علاء الدين ابى الشامات ومات بسبب ذلك فقال له وما حكايته وماسبب موته فقال له كان لك اخ يسمى حبظلم بظاظه وبلغ من العمر ستة عشر عاما حتى استحق الزواج وطلب ابوه ان يشترى له جارية واخبره بالقصة من اولها الى آخرها واعلمه بضعف حبظلم بظاظه وما وقع لعلاء الدين ظلما فقال اصلان فى نفسه لعل هذه الجارية ياسمين امى وما ابى الا علاء الدين ابو الشامات فطلع الولد اصلان من عنده حزينا فقابل المقدم احمد الدنف فلما رآه احمد الدنف قال سبحان من لاشبيه له فقال له حسن شومان ياكبيرى من اى شئ تتعجب فقال له من خلقة هذا الولد اصلان فانه اشبه البرايا بعلاء الدين ابى الشامات فنادى احمد الدنف وقال يا اصلان فرد عليه فقال له ما اسم امك فقال له تسمى الجارية ياسمين فقال له يا اصلان طب نفسا وقر عينا فانه ما ابوك الا علاء الدين ابو الشامات ولكن ياولدى ادخل على امك واسألها عن ابيك فقال سمعا وطاعة ثم دخل على امه وسألها فقالت له ابوك الامير خالد فقال لها ما ابى الا علاء الدين ابو الشامات فبكت امه وقالت له من اخبرك بهذا ياولدى فقال المقدم احمد الدنف اخبرنى بذلك فحكت له جميع ماجرى وقالت له ياولدى قد ظهر الحق واختفى الباطل واعلم ان اباك علاء الدين ابو الشامات الا انه ما رباك الا الامير خالد وجعلك ولده فياولدى ان اجتمعت بالمقدم احمد الدنف قل له ياكبيرى سألتك بالله ان تأخذ لى ثارى من قاتل ابى علاء الدين ابى الشامات فطلع من عندها وسار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اصلان طلع من عند امه وسار الى ان دخل على المقدم احمد الدنف وقبل يده فقال له مالك يا اصلان فقال له انى قد عرفت وتحققت ان ابى علاء الدين ابو الشامات ومرادى انك تأخذ لى ثارى من قاتله فقال له من الذى قتل اباك فقال له احمد قماقم السراق فقال له ومن اعلمك بهذا الخبر فقال رأيت معه المصباح الجوهر الذى ضاع من جملة امتعة الخليفة وقلت له اعطنى هذا المصباح فارضى وقال لى هذا راحت على شأنه الارواح وحكى لى انه هو الذى نزل وسرق العملة

ووضعها فى دار ابى فقال له احمد الدنف اذا رأيت الامير خالد الوالى يلبس لباس الحرب فقل له البسنى مثلك فاذا طلعت معه واظهرت بابا من ابواب الشجاعة قدام امير المؤمنين فان الخليفة يقول لك تمن على يا اصلان فقل له اتمنى عليك ان تأخذ لى ثار ابى من قاتله فيقول لك ان اباك حى وهو الامير خالد الوالى فقل له ان ابى علاء الدين ابو الشامات وخالد الوالى له على حق التربية فقط واخبره بجميع ما وقع بينك وبين احمد قماقم السراق وقل له يا امير المؤمنين امر بتفتيشه وانا اخرجه من جيبه فقال له سمعا وطاعة ثم طلع اصلان فوجد الامير خالدا يتجهز الى طلوعه ديوان الخليفة فقال له مرادى ان تلبسنى لباس الحرب مثلك وتأخذنى معك الى ديوان الخليفة فالبسه واخذه معه الى الديوان ونزل الخليفة بالعسكر خارج البلد ونصبوا الصواوين والخيام واصطفت الصفوف وطلعوا بالاكرة والصولجان فصار الفارس منهم يضرب الاكرة بالصولجان فيردها عليه الفارس الثانى وكان بين العسكر واحد جاسوس مغرى على قتل الخليفة فاخذ الاكرة وضربها بالصولجان وحررها على وجه الخليفة واذا باصلان استلقاها عن الخليفة وضرب بها راميها فوقعت بين اكتافه فوقع على الارض فقال الخليفة بارك الله فيك يا اصلان ثم نزلوا من على ظهور الخيل وقعدوا على الكراسى وامر الخليفة باحضار الذى ضرب الاكرة فلما حضر بين يديه قال له من اغراك على هذا الامر وهل انت عدو او حبيب فقال له انا عدو وكنت مضمرا على قتلك فقال له ما سبب ذلك اما انت مسلم فقال لا وانما انا رافضى فامر الخليفة بقتله وقال لاصلان تمن على فقال له اتمنى عليك ان تأخذ لى ثار ابى من قاتله فقال له ان اباك حى وهو واقف على رجليه فقال له من هو ابى فقال له الامير خالد الوالى فقال له يا امير المؤمنين ما هو ابى الا فى التربية وما والدى الا علاء الدين ابو الشامات فقال له ان اباك كان خائنا فقال يا امير المؤمنين حاشى ان يكون الامين خائنا وما الذى خانك فيه فقال له سرق بدلتى وما معها فقال يا امير المؤمنين حاشى ان يكون ابى خائنا ولكن يا سيدى لما عدمت بدلتك وعادت اليك هل رأيت المصباح رجع اليك ايضا فقال ما وجدناه فقال انا رأيته مع احمد قماقم وطلبته منه فلم يعطه لى وقال هذا راحت عليه الارواح وحكى لى عن ضعف حبظلم بظاظه ابن الامير خالد وعشقه للجارية ياسمين وخلاصه من القيد وانه هو الذى سرق البدلة والمصباح وانت يا امير المؤمنين تأخذ لى بثارى من قاتله فقال الخليفة اقبضوا على احمد قماقم فقبضوا عليه وقال ابن المقدم احمد الدنف فحضر بين يديه فقال له الخليفة فتش قماقم فحط يده فى جيبه فاطلع منه المصباح الجوهر فقال الخليفة تعال يا خائن من اين لك هذا المصباح قال له اشتريته يا امير المؤمنين فقال له الخليفة من اين اشتريته ومن يقدر على مثله حتى يبيعه لك وضربوه فاقر انه هو الذى سرق البدلة والمصباح فقال له الخليفة لاى شئ تفعل هذه الفعال يا خائن حتى ضيعت علاء الدين ابا الشامات وهو الثقة الامين ثم امر الخليفة بالقبض عليه وعلى الوالى فقال الوالى يا امير المؤمنين انا مظلوم وانت امرتنى بشنقه ولم يكن عندى خبر بهذا الملعوب فان التدبير كان بين العجوز واحمد قماقم وزوجتى وليس عندى خبر وانا فى جيرتك يا اصلان فشفع فيه اصلان عند الخليفة ثم قال امير المؤمنين ما فعل الله بام هذا الولد فقال له عندى فقال امرتك ان تأمر زوجتك ان تلبسها بدلتها وصيغتها وتردها الى سيادتها وان تفك الختم الذى على بيت علاء الدين وتعطى ابنه رزقه وماله فقال سمعا وطاعة ثم نزل الوالى وامر امرأته فالبستها بدلتها وفك الختم عن بيت علاء الدين واعطى اصلان المفاتيح ثم قال الخليفة تمن على يا اصلان فقال له تمنيت عليك ان تجمع شملى بابى فبكى الخليفة وقال الغالب ان اباك هو الذى شنق ومات ولكن وحياة جدودى كل من

بشرني بانه على قيد الحياة اعطيته جميع ما يطلبه فتقدم احمد الدنف وقبل الارض بين يديه وقال له اعطني
الامان يا امير المؤمنين فقال له عليك الامان فقال ابشرك ان علاء الدين ابا الشامات الثقة الامين طيب
على قيد الحياة فقال له ما الذي تقول فقال له وحياة رأسك ان كلامي حق وفديته بغيره ممن يستحق القتل
واوصلته الى الاسكندرية وفتحت له دكان سقطي فقال الخليفة الزمتك ان تجيء به وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة قال لاحمد الدنف الزمتك ان تجيء به فقال له سمعا وطاعة
فامر له الخليفة بعشرة الاف دينار وسار متوجها الى الاسكندرية هذا ما كان من امر اصلان واما ما كان
من امر والده علاء الدين ابي الشامات فانه باع ما كان عنده في الدكان جميعها ولم يبق في الدكان الا القليل
وجراب فنفض الجراب فنزلت منه خرزة تملأ الكف في سلسلة من الذهب ولها خمسة وجوه وعليها اسماء
وطلاسم كدبيب النمل فدعك الخمسة وجوه فلم يجاوبه احد فقال في نفسه لعلها خرزة من جزع ثم علقها
في الدكان واذا بقنصل فات في الطريق فرفع بصره فرأى الخرزة معلقة فقعد على دكان علاء الدين وقال له
يا سيدي هل هذه الخرزة للبيع فقال له جميع ما عندي للبيع فقال له تبيعني اياها بثمانين الف دينار فقال له
علاء الدين يفتح الله فقال له تبيعها بمائة الف دينار فقال بعتها لك بمائة الف دينار فانقد لي الدنانير فقال له
القنصل ما اقدر ان احمل ثمنها معي والاسكندرية فيها حرامية وشرطية فانت تروح معي الى مركبي واعطي لك
الثمن ورزمة صوف انجوري ورزمة اطلس ورزمة قطيفة ورزمة جوخ فقام علاء الدين وقفل الدكان بعد
ان اعطى له الخرزة واعطى المفاتيح لجاره وقال له خذ هذه المفاتيح عندك امانة حتى اروح الى المركب مع
هذا القنصل واجيء بثمن خرزتي فان عوقت عنك وورد عليك المقدم احمد الدنف الذي كان وطنني في هذا
المكان فاعطه المفاتيح واخبره بذلك ثم توجه مع القنصل الى المركب فلما نزل به المركب نصب له كرسيا
واجلسه عليه وقال هاتوا المال فدفع له الثمن والخمس رزم التي وعده بها وقال له يا سيدي اقصد جبري
بلقمة او شربة ماء فقال ان كان عندك ماء فاسقني فامر بالشربات فاذا فيها بنج فلما شرب انقلب على
ظهره فرفعوا الكراسي وحطوا المدارى وحلوا القلوع واسعفتهم الرياح حتى وصلوا الى وسط البحر فامر
القبطان بطلوع علاء الدين من الطنبر فطلعوه وشمموه ضد البنج ففتح عينيه وقال انا اين فقال له انت
معي مربوط ووديعة ولو كنت تقول يفتح الله لكنت ازيدك فقال له علاء الدين ما صناعتك فقال له
انا قبطان ومرادي ان اخذك الى حبيبة قلبي فبينما هما في الكلام واذا بمركب فيها اربعون من تجار
المسلمين فطلع القبطان بمركبه عليهم ووضع الكلاليب في مركبهم ونزل هو ورجاله فنهبوها واخذوها
وساروا بها الى مدينة جنوة فاقبل القبطان الذي معه علاء الدين الى باب قيطون قصر واذا بصبية
نازلة وهي ضاربة لثاما فقالت له هل جئت بالخرزة وصاحبها فقال لها جئت بهما فقالت له هات
الخرزة فاعطاها لها وتوجه الى المينة ورمى مدافع السلامة فعلم ملك المدينة بوصول ذلك القبطان
فخرج الى مقابلته وقال له كيف كانت سفرتك فقال له كانت طيبة جدا وقد كسبت فيها مركبا فيها واحد
واربعون من تجار المسلمين فقال له اخرجهم الى المينة فاخرجهم في الحديد ومن جملتهم علاء الدين وركب
الملك هو والقبطان ومشوهم قدامهم الى ان وصلوا الى الديوان فجلسوا وقدموا اول واحد فقال له الملك

من اين يا مسلم فقال من الاسكندرية فقال يا سياف اقتله فضربه السياف بالسيف فرمى رقبته والثانى والثالث هكذا الى تمام الاربعين وكان علاء الدين فى آخرهم فشرب حسرتهم وقال لنفسه رحمة الله عليك يا علاء الدين فرغ عمرك فقال له الملك وانت من اى البلاد فقال من الاسكندرية فقال يا سياف ارم عنقه فرفع السياف يده بالسيف واراد ان يرمى رقبة علاء الدين واذا بعجوز ذات هيبة تقدمت بين ايادى الملك فقام اليها تعظيما لها فقالت يا ملك اما قلت لك لما يجيء القبطان بالاسارى تذكر الدير باسير او باسيرين يخدمان فى الكنيسة فقال لها يا امى ليتك سبقت بساعة ولكن خذى هذا الاسير الذى فضل فالتفتت الى علاء الدين وقالت له هل انت تخدم فى الكنيسة او اخلى الملك يقتلك فقال لها انا اخدم فى الكنيسة فاخذته وطلعت به من الديوان وتوجهت الى الكنيسة فقال لها علاء الدين ما اعمل من الخدمة فقالت له تقوم فى الصبح وتأخذ خمسة بغال وتسير بها الى الغابة وتقطع ناشف الحطب وتكسره وتجىء به الى مطبخ الدير وبعد ذلك تلم البسط وتكنس وتمسح البلاط والرخام وترد الفرش مثل ما كان وتأخذ نصف اردب قمح وتغربله وتطحنه وتعجنه وتعمله منينات للدير وتأخذ ويبة عدس تغربلها وتدشها وتطبخها ثم تملأ الاربع فساقى ماء وتحول بالبرميل وتملأ ثلثمائة وستين قصعة وتفت فيها المنينات وتسقيها من العدس وتدخل لكل راهب او بترك قصعته فقال لها علاء الدين ردينى الى الملك وخليه يقتلنى اسهل لى من هذه الخدمة فقالت له ان خدمت ووفيت الخدمة التى عليك خلصت من القتل وان ما وفيت خليت الملك يقتلك فقعد علاء الدين حامل الهم وكان فى الكنيسة عشرة عميان مكسحين فقال له واحد منهم هات لى قصرية فأتى له بها فتغوط فيها وقال له ارم الغائط فرماه فقال له يبارك فيك المسيح يا خدام الكنيسة واذا بالعجوز اقبلت وقالت له لاى شىء ما وفيت الخدمة فى الكنيسة فقال لها انا لى كم يد حتى اقدر على توفية هذه الخدمة فقالت له يا مجنون انا ما جئت بك الا للخدمة ثم قالت له خذ يا ابنى هذا القضيب وكان من النحاس وفى رأسه صليب واخرج الى الشارع فاذا قابلك والى البلد فقل له انى ادعوك الى خدمة الكنيسة من اجل السيد المسيح فانه لا يخالفك فخليه يأخذ القمح ويغربله ويطحنه وينخله ويعجنه ويخبزه منينات وكل من يخالفك اضربه ولا تخف من احد فقال سمعا وطاعة وعمل كما قالت ولم يزل يسخر الاكابر والاصاغر مدة سبعة عشر عاما فبينما هو قاعد فى الكنيسة واذا بالعجوز داخلة عليه فقالت له اطلع الى خارج الدير فقال لها اين اروح فقالت له بت هذه الليلة فى خمارة او عند واحد من اصحابك فقال لها لاى شىء تطردينى من الكنيسة فقالت له ان حسن مريم بنت الملك يوحنا ملك هذه المدينة مرادها ان تدخل الكنيسة للزيارة ولا ينبغى ان يقعد احد فى طريقها فامتثل كلامها وقام واراها انه رايح الى خارج الكنيسة وقال فى نفسه يا هل ترى بنت الملك مثل نسوتنا او احسن منهن فانا لا اروح حتى انفرج عليها فاستخفى فى مخدع له طاقة تطل على الكنيسة فبينما هو ينظر فى الكنيسة واذا ببنت الملك مقبلة فنظر اليها نظرة اعقبته الف حسرة لانه وجدها كأنها البدر اذا بزغ من تحت الغمام وصحبتها صبية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان علاء الدين لما نظر الى بنت الملك رأى صحبتها صبية وهى تقول لتلك

الصبية آنست يازبيدة فامعن علاء الدين النظر فى تلك الصبية فرآها زوجته زبيدة العودية التى كانت ماتت ثم ان بنت الملك قالت لزبيدة قومى اعملى لنا نوبة على العود فقالت لها انا لا اعمل لك نوبة حتى تبلغينى مرادى وتفى لى بما وعدتنى به فقالت لها ما الذى وعدتك به قالت لها وعدتنى بجمع شملى بزوجى علاء الدين ابى الشامات الثقة الامين فقالت لها يازبيدة طيبى نفسا وقرى عينا واعملى لنا نوبة حلاوة اجتماع شملنا بزوجك علاء الدين فقالت لها واين هو فقالت لها انه فى هذا المخدع يسمع كلامنا فعملت نوبة على العود ترقص الحجر الجلمود فلما سمع ذلك علاء الدين هاجت بلابله وخرج من المخدع وهجم عليهما واخذ زوجته زبيدة العودية بالحضن وعرفته فاعتنق الاثنان بعضهما ووقعا فى الارض مغشيا عليهما فتقدمت الملكة حسن مريم ورشت عليهما ماء الورد وصحتهما وقالت جمع الله شملكما فقال لها علاء الدين على محبتك ياسيدتى ثم التفت علاء الدين الى زوجته زبيدة العودية وقال لها انت قد مت يازبيدة ودفناك فى القبر فكيف حييت وجئت الى هذا المكان فقالت له ياسيدى انا ما مت وانما اختطفنى عون من اعوان الجان وطاربى الى هذا المكان واما التى دفنتموها فانها جنية وتصورت فى صورتى وعملت انها ميتة وبعد ما دفنتموها شقت القبر وخرجت منه وراحت الى خدمة سيدتها حسن مريم بنت الملك واما انا فانى صرعت وفتحت عينى فرأيت نفسى عند حسن مريم بنت الملك وهى هذه فقلت لها لاى شئ جئت بى الى هنا فقالت لى انا موعودة بزواجى بزوجك علاء الدين ابى الشامات فهل تقبلينى يازبيدة ان اكون ضرتك ويكون لى ليلة ولك ليلة فقلت لها سمعا وطاعة ياسيدتى ولكن اين زوجى فقالت انه مكتوب على جبينه ما قدره الله عليه فمتى استوفى ما على جبينه لابد ان يجئ الى هذا المكان ولكن نتسلى على فراقه بالنغمات والضرب على الآلات حتى يجمعنا الله به فمكثت عندها هذه المدة الى ان جمع الله شملى بك فى هذه الكنيسة ثم ان حسن مريم التفتت اليه وقالت له ياسيدى علاء الدين هل تقبلنى ان اكون لك اهلا وتكون لى بعلا فقال لها ياسيدتى انا مسلم وانت نصرانية فكيف اتزوج بك فقالت حاش لله ان اكون كافرة بل انا مسلمة ولى ثمانية عشر عاما وانا متمسكة بدين الاسلام وانى بريئة من كل دين يخالف دين الاسلام فقال لها ياسيدتى مرادى ان اروح الى بلادى فقالت له اعلم انى رأيت مكتوبا على جبينك امورا لابد ان تستوفيها وتبلغ غرضك ويهنيك ياعلاء الدين انه ظهر لك ولد اسمه اصلان وهو الآن جالس فى مرتبتك عند الخليفة وقد بلغ من العمر ثمانية عشر عاما واعلم انه ظهر الحق واختفى الباطل وربنا كشف الستر عن الذى سرق امتعة الخليفة وهو احمد قماقم السراق الخائن وهو الآن فى السجن محبوس ومقيد واعلم انى انا التى ارسلت اليك الخرزة ووضعتها لك فى داخل الجراب الذى فى الدكان وانا التى ارسلت القبطان وجاءبك وبالخرزة واعلم ان هذا القبطان متعلق بى ويطلب منى الوصال فما رضيت ان امكنه من نفسى بل قلت له لا امكنك من نفسى الا اذا جئت لى بالخرزة وصاحبها واعطيته مائة كيس وارسلته فى صفة تاجر وهو قبطان ولما قدموك الى القتل بعد قتل الاربعين الاسارى الذين كنت معهم ارسلت اليك هذه العجوز فقال لها جزاك الله عنى كل خير ثم ان حسن مريم جددت اسلامها على يديه ولما عرف صدق كلامها قال لها اخبرينى على فضيلة هذه الخرزة ومن اين هى فقالت له هذه خرزة من كنز مرصود وفيها خمس فضائل تنفعنا عند الاحتياج اليها وان جدتى ام ابى كانت ساحرة تحل الرموز وتختلس ما فى الكنوز فوقعت لها هذه الخرزة من كنز فلما كبرت انا وبلغت من العمر اربعة عشر عاما قرأت الانجيل وغيره من الكتب فرأيت اسم محمد صلى

الله عليه وسلم فى الاربعة كتب التوراة والانجيل والزبور والفرقان فامنت بمحمد واسلمت وتحققت بعقلى انه لا يعبد بحق الا الله تعالى وان رب الانام لا يرضى الا دين الاسلام وكانت جدتى حين ضعفت وهبت لى هذه الخرزة وعلمتنى بما فيها من الخمس فضائل وقبل ان تموت جدتى قال لها ابى اضربى لى تخت رمل وانظرى عاقبة امرى وما يحصل لى فقالت له ان البعيد يموت قتيلا من اسير يجيء من الاسكندرية فحلف ابى انه يقتل كل اسير يجيء منها واخبر القبطان بذلك وقال له لابد ان تهجم على مراكب المسلمين وكل من رأيته من الاسكندرية تقتله او تجيء به الى فامتثل امره حتى قتل عدد شعر رأسه ثم هلكت جدتى فطلعت انا وضربت لى تخت رمل واضمرت ما فى نفسى وقلت يا هل ترى من يتزوج بى فظهر لى انه ما يتزوج بى الا واحد يسمى علاء الدين ابا الشامات الثقة الامين فتعجبت من ذلك وصبرت الى ان آن الاوان واجتمعت بك ثم انه تزوج بها وقال لها انا مرادى ان اروح الى بلادى فقالت له اذا كان الامر كذلك فتعال معى ثم اخذته وخبأته فى مخدع فى قصرها ودخلت على ابيها فقال لها يا بنتى انا عندى اليوم قبض زائد فاقعدى حتى اسكر معك فقعدت ودعا بسفرة المدام وصارت تملأ وتسقيه حتى غاب عن الوجود ثم انها وضعت له البنج فى قدح فشرب القدح وانقلب على قفاه ثم جاءت الى علاء الدين واخرجته من المخدع وقالت له ان خصمك مطروح على قفاه فافعل به ما شئت فانى اسكرته وبنجته فدخل علاء الدين فرآه مبنجا فكتفه تكتيفا وثيقا وقيده ثم اعطاه ضد البنج فافاق منه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان علاء الدين اعطى الملك ابا حسن مريم ضد البنج فافاق فوجد علاء الدين وابنته راكبين على صدره فقال لها يا بنتى اتفعلين معى هذه الفعال فقالت له ان كنت بنتك فاسلم لاننى اسلمت وقد تبين لى الحق فاتبعته والباطل فاجتنبته وقد اسلمت وجهى لله رب العالمين وانى بريئة من كل دين يخالف دين الاسلام فى الدنيا والآخرة فان اسلمت فحبا وكرامة والا فقتلك اولى من حياتك ثم نصحه ايضا علاء الدين فابى وتمرد فسحب علاء الدين خنجرا ونحره من الوريد الى الوريد وكتب ورقة بصورة الذى جرى ووضعها على جبهته واخذا ما خف حمله وغلا ثمنه وطلعا من القصر وتوجها الى الكنيسة فاحضرت الخرزة وحطت يدها على الوجه الذى هو منقوش عليه السرير ودعكته واذا بسرير وضع قدامها فركبت هى وعلاء الدين وزوجته زبيدة العودية فى ذلك السرير وقالت بحق ما كتب على هذه الخرزة من الاسماء والطلاسم وعلوم الاقلام ان ترتفع بنا يا سرير فارتفع بهم السرير وسار الى واد لا نبات فيه فقامت الاربعة وجوه الباقية من الخرزة الى السماء وقلبت الوجه المرسوم عليه السرير فنزل بهم الى الارض وقلبت الوجه المرسوم عليه هيئة صيوان ودعكته وقالت لينتصب صيوان فى هذا الوادى فانتصب الصيوان وجلسوا فيه وكان ذلك الوادى اقفر لا نبات فيه ولا ماء فقلبت الاربعة وجوه الى السماء وقالت بحق اسماء الله تنبت هنا اشجار ويجرى بجانبها بحر فنبتت الاشجار فى الحال وجرى بجانبها بحر عجاج متلاطم بالامواج فتوضؤا منه وصلوا وشربوا وقلبت الثلاثة وجوه الباقية من الخرزة الى الوجه الذى على هيئة سفرة الطعام وقالت بحق اسماء الله يمد السماط واذا بسماط امتد وفيه سائر الاطعمة الفاخرة فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر ابن الملك فانه دخل

يخبر اباه فوجده قتيلا ووجد الورقة التى كتبتها لعلاء الدين فقرأها وعرف ما فيها ثم فتش على اخته فلم يجدها فذهب الى العجوز فى الكنيسة وسألها عنها فقالت من امس ما رأيتها فعاد الى العسكر وقال لهم الخيل يا اربابها واخبرهم بالذى جرى فركبوا الخيل وسافروا الى ان قربوا من الصيوان فالتفتت حسن مريم فرأت الغبار قد سد الاقطار وبعد ان علا وطار انكشف فظهر من تحته اخوها والعسكر وهم ينادون الى اين تقصدون ونحن وراءكم فقالت الصبية لعلاء الدين كيف ثباتك فى الحرب والنزال فقال لها مثل الوتد فى النخال فانى لا اعرف الحرب والكفاح ولا السيوف والرماح فسحبت الخرزة ودعكت الوجه المرسوم عليه صورة الفرس والفارس واذا بفارس ظهر من البر ولم يزل فيهم ضربا بالسيف الى ان كسرهم وطردهم ثم قالت له اتسافر الى مصر او الى الاسكندرية فقال الى الاسكندرية فركبوا على السرير وعزمت عليه فسار بهم فى لحظة الى ان نزلوا فى الاسكندرية فادخلهم علاء الدين فى مغارة وذهب الى الاسكندرية فأتاهم بثياب والبسهم اياها وتوجه بهم الى الدكان والطبقة ثم طلع يجىء لهم بغداء واذا بالمقدم احمد الدنف قادم من بغداد فرآه فى الطريق فقابله بالعناق وسلم عليه ورحب به ثم ان المقدم احمد الدنف بشره بولده اصلان وانه بلغ من العمر عشرين عاما وحكى له علاء الدين جميع ما جرى له من الاول الى الآخر واخذه الى الدكان والطبقة فتعجب احمد الدنف من ذلك غاية العجب وباتوا تلك الليلة ولما اصبحوا باع علاء الدين الدكان ووضع ثمنه على ما معه ثم ان احمد الدنف اخبر علاء الدين بان الخليفة يطلبه فقال له انا رايح الى مصر اسلم على ابى وامى واهل بيتى فركبوا السرير جميعا وتوجهوا الى مصر السعيدة ونزلوا فى الدرب الاصفر لان بيتهم كان فى تلك الحارة ودق باب بيتهم فقالت امه من بالباب بعد فقد الاحباب فقال لها انا علاء الدين فنزلوا واخذوه بالاحضان ثم ادخل زوجته وما معه فى البيت وبعد ذلك دخل واحمد الدنف صحبته واخذوا لهم راحة ثلاثة ايام ثم طلب السفر الى بغداد فقال له ابوه يا ولدى اجلس عندى فقال ما اقدر على فراق ولدى اصلان ثم انه اخذ اباه وامه معه وسافروا الى بغداد فدخل احمد الدنف وبشر الخليفة بقدوم علاء الدين وحكى له حكايته فطلع الخليفة لملتقاه واخذ معه ولده اصلان وقابلوه بالاحضان وامر الخليفة باحضار احمد قماقم السراق فلما حضر بين يديه قال يا علاء الدين دونك وخصمك فسحب علاء الدين السيف وضرب احمد قماقم فرمى عنقه ثم ان الخليفة عمل لعلاء الدين فرحا عظيما بعد ان احضر القضاة والشهود وكتب كتابه على حسن مريم ولما دخل عليها وجدها درة لم تثقب ثم جعل ولده اصلان رئيس الستين وخلع عليهم الخلع السنية واقاموا فى ارغد عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وأما حكايات الكرام فانها كثيرة جدا منها ما روى عن حاتم الطائى انه لما مات دفن فى رأس جبل وعملوا على قبره حوضين من حجر وصور بنات محلولات الشعور من حجر وكان تحت ذلك الجبل نهر جار فاذا نزلت الوفود يسمعون الصراخ فى الليل من العشاء الى الصباح فاذا اصبحوا لم يجدوا احدا غير البنات المصورة من الحجر فلما نزل ذو الكراع ملك حمير بذلك الوادى خارجا عن عشيرته بات تلك الليلة هنالك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ذا الكراع لما نزل بذلك الوادى بات تلك الليلة هنالك وتقرب من ذلك الموضع فسمع الصراخ فقال ما هذا العويل الذى فوق هذا الجبل فقالوا له ان هذا قبر حاتم الطائى وان

عليه حوضين من حجر وصور بنات من حجر محلولات الشعور وكل ليلة يسمع النازلون فى هذا المكان هذا العويل والصراخ فقال ذو الكراع ملك حمير يهزؤ بحاتم الطائى يا حاتم نحن الليلة ضيوفك ونحن خماص فغلب عليه النوم ثم استيقظ وهو مرعوب وقال يا عرب الحقونى وادركوا راحلتى فلما جاؤه وجدوا الناقة تضطرب فنحروها وشووا لحمها واكلوا ثم سألوه عن سبب ذلك فقال انى نمت فرأيت حاتما الطائى فى المنام قد جاءنى بسيف وقال جئتنا ولم يكن عندنا شيء وعقر ناقتى بالسيف ولو لم تنحروها لماتت فلما اصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحد من اصحابه ثم اردفه خلفه فلما كان وسط النهار رأوا راكبا على راحلة وفى يده راحلة اخرى فقالوا له من انت قال انا عدى بن حاتم الطائى ثم قال اين ذو الكراع امير حمير فقالوا له هذا هو فقال له اركب هذه الناقة عوضا عن راحلتك فان ناقتك قد نحرها ابى لك قال ومن اخبرك قال اتانى فى المنام فى هذه الليلة وقال لى يا عدى ان ذا الكراع ملك حمير استضافنى فنحرت له ناقته فادركه بناقة يركبها فانى لم يكن عندى شيء فاخذها ذو الكراع وتعجب من كرم حاتم حيا وميتا ومن حكايات الكرام ايضا ما يروى عن معن بن زائدة انه كان يوما من الايام فى الصيد والقنص فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء فبينما هو كذلك واذا بثلاث جوار قد اقبلن عليه حاملات ثلاث قرب ماء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجوارى اقبلن على معن حاملات ثلاث قرب ماء فاستقاهن فاسقينه فطلب شيأ من غلمانه ليعطيه للجوارى فلم يجد معهم مالا فدفع لكل واحدة منهن عشرة اسهم من كنانته نصولها من الذهب فقالت احداهن لصاحبتها لم تكن هذه الشمائل الا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيأ من الشعر مدحا فيه فقالت الاولى

يركب فى السهام نصول تبر ✽ ويرمى للعدى كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح ✽ واكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية

ومحارب من فرط جود بنانه ✽ عمت مكارمه الاحبة والعدى
صيغت نصول سهامه من عسجد ✽ كى لا تعوقه الحروب عن الندى

وقالت الثالثة

ومن جوده يرمى العداة باسهم ✽ من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند دوائه ✽ ويشترى الاكفان منها قتيلها

وقيل ان معن ابن زائدة خرج فى جماعة الى الصيد فقرب منهم قطيع ظباء فافترقوا فى طلبه وانفرد معن خلف ظبى فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم عليه وقال له من اين اتيت قال له اتيت من ارض قضاعة وان لها مدة من السنين مجدبة وقد اخصبت فى هذه السنة فزرعت فيها مقثأة فطرحت فى غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته من القثاء وقصدت الامير معن ابن زائدة لكرمه المشهور ومعروفه المأثور فقال له كم امّلت منه قال الف دينار فقال له فان قال لك هذا القدر كثير قال خمسمائة دينار قال فان قال لك كثير قال ثلاثمائة دينار قال فان قال لك كثير قال

مائتا دينار قال فان قال لك كثير قال مائة دينار قال فان قال لك كثير قال خمسين دينارا قال فان قال لك كثير قال ثلاثين دينارا قال فان قال لك كثير قال ادخلت قوائم حمارى فى حرمه ورجعت الى اهلى صفر اليدين فضحك معن من كلامه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل فى منزله وقال لحاجبه اذا اتاك شخص على حمار بقثاء فادخله على فاتى ذلك الرجل بعد ساعة فاذن له الحاجب بالدخول فلما دخل على الامير معن لم يعرف انه هو الذى قابله فى البرية لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر فى دست مملكته والحفدة قيام عن يمينه وعن شماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له الامير ما الذى اتى بك يا اخا العرب قال املت الامير واتيت له بقثاء فى غير اوانها فقال له كم املت منا قال الف دينار قال هذا القدر كثير قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلاثمائة دينار قال كثير قال مائتا دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير قال خمسين دينارا قال كثير قال ثلاثين دينارا قال كثير قال والله لقد كان ذا الرجل الذى قابلنى فى البرية مشؤما افلا اقل من ثلاثين دينارا فضحك معن وسكت فعلم الاعرابى انه هو الرجل الذى قابله فى البرية فقال له يا سيدى اذا لم تجىء بالثلاثين دينارا فها هو الحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال اعطه الف دينار وخمسمائة دينار وثلاثمائة دينار ومائتا دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مربوطا مكانه فبهت الاعرابى وتسلم الالفين ومائة دينار وثمانين دينارا فرحمة الله عليهم اجمعين   وبلغنى ايها الملك السعيد ان بلدة يقال لها لبطة وكانت دار مملكة بالروم وكان فيها قصر مقفول دائما وكلما مات ملك وتولى بعده ملك آخر من الروم رمى عليه قفلا محكما فاجتمع على الباب اربعة وعشرون قفلا من كل ملك قفل ثم تولى بعدهم رجل ليس من اهل بيت المملكة فاراد فتح تلك الاقفال ليرى ما داخل ذلك القصر فمنعه من ذلك اكابر الدولة وانكروا عليه وزجروه فابى وقال لابد من فتح ذلك القصر فبذلوا له جميع ما بايديهم من نفائس الاموال والذخائر على عدم فتحه فلم يرجع وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اهل المملكة بذلوا لذلك الملك جميع ما فى ايديهم من الاموال والذخائر على فتح ذلك القصر فلم يرجع عن فتحه ثم انه ازال الاقفال وفتح الباب فوجد فيه صور العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة وهم متقلدون بالسيوف وبايديهم الرماح الطوال ووجد كتابا فيه فاخذ الكتاب وقرأه فوجد مكتوبا فيه اذا فتح هذا الباب يغلب على هذه الناحية قوم من العرب وهم على هيئة هذه الصورة فالحذر ثم الحذر من فتحه وكانت تلك المدينة بالاندلس ففتحها طارق بن زياد فى تلك السنة فى خلافة الوليد بن عبد الملك من بنى امية وقتل ذلك الملك اقبح قتلة ونهب بلاده وسبى من بها من النساء والغلمان وغنم اموالها ووجد فيها ذخائر عظيمة فيها ما ينوف عن مائة وسبعين تاجا من الدر والياقوت ووجد فيها احجارا نفيسة وايوانا ترمح فيه الخيل برماحهم ووجد بها من اوانى الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف ووجد بها المائدة التى كانت لنبى الله سليمان بن داود عليهما السلام وكانت على ما ذكر من زمرد اخضر وهذه المائدة الى الآن باقية فى مدينة رومة واوانيها من الذهب وصحافها من الزبرجد ونفيس الجواهر ووجد بها الزبور مكتوبا بخط يونانى فى ورق من الذهب مفصص بالجواهر ووجد فيها كتابا يذكر فيه منافع الاحجار والنبات والمداين والقرى والطلاسم وعلم الكيميا من الذهب والفضة ووجد كتابا آخر يحكى فيه

صناعة صياغة اليواقيت والاحجار وتركيب السموم والترياقات وصورة شكل الارض والبحار والبلدان والمعادن ووجد فيها قاعة كبيرة ملآنة من الاكسير الذى الدرهم منه يقلب الف درهم من الفضة ذهبا خالصا ووجد بها مرآة كبيرة مستديرة عجيبة مصنوعة من اخلاط صنعت لنبى الله سليمان بن داود عليهما السلام اذا نظر الناظر فيها راى الاقاليم السبعة عيانا ووجد فيها ايوانا فيه من الياقوت البهرمانى ما لا يحيط به وصف فحمل ذلك كله الى الوليد بن عبد الملك وتفرق العرب فى مدنها وهى من اعظم البلاد وعما يحكى ايضا ان هشام بن عبد الملك بن مروان كان ذهب الى الصيد فى بعض الايام فنظر الى ظبى فتبعه بالكلاب فبينما هو خلف الظبى اذ نظر الى صبى من الاعراب يرعى غنما فقال هشام لبعض غلمانه يا غلام دونك هذا الصبى فأتنى به فرفع رأسه اليه وقال يا جاهل بقدر الاخيار لقد نظرت الى بالاستصغار وكلمتنى بالاحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال له هشام ويلك اما تعرفنى فقال قد عرفنى بك سوء ادبك اذ بدأتنى بكلامك دون سلامك فقال له ويلك انا هشام بن عبد الملك فقال له الاعرابى لا قرب الله ديارك ولا حيى مزارك فما اكثر كلامك واقل اكرامك فما استتم كلامه حتى احدقت به الجند من كل جانب وكل واحد منهم يقول السلام عليك يا امير المؤمنين فقال هشام اقصروا عن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وارباب الدولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره ونظر حيث يقع قدمه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه الى الارض وسكت عن السلام وامتنع من الكلام فقال له بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير المؤمنين فالتفت الى الخادم مغضبا وقال يا برذعة الحمار منعنى من ذلك طول الطريق وصعود الدرجة والتعريق فقال هشام وقد تزايد به الغضب يا صبى لقد حضرت فى يوم حضر فيه اجلك وغاب عنك املك وانصرف عمرك فقال والله يا هشام لئن كان فى المدة تأخير ولم يكن فى الاجل تقصير فما ضرنى من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب هل بلغ من مقامك يا اخس العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مسرعا لقيت الخبل ولا فارقك الويل والهبل اما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك اغتاظ هشام غيظا شديدا وقال يا سياف على برأس هذا الغلام فانه اكثر الكلام ولم يخش الملام فاخذ الغلام ونزل به الى نطع الدم وسل سيفه على رأسه وقال يا امير المؤمنين هذا عبدك المدل بنفسه الصائر الى رمسه هل اضرب عنقه وانا برئ من دمه قال نعم فاستأذن ثانيا فاذن له فاستأذن ثالثا ففهم الفتى انه ان اذن له فى هذه المرة يقتله فضحك حتى بدت نواجذه فازداد هشام غضبا وقال يا صبى اظنك معتوها اما ترى انك مفارق الدنيا فكيف تضحك هزوا بنفسك فقال يا امير المؤمنين لئن كان فى العمر تأخير لا يضرنى قليل ولا كثير ولكن حضرتنى ابيات فاسمعها فان قتلى لا يفوتك فقال هشام اوجزوهات فانشد هذه الابيات

نبئت ان البازصادف مرة * عصفورة برساقه المقدور
فتكلم العصفور فى اظفاره * والبازمنهمك عليه يطير
ما فى ما يغنى لمثلك شبعة * ولئن اكلت فاننى لحقير
فتبسم البازالمدل بنفسه * عجبا وافلت ذلك العصفور

فتبسم هشام وقال وحق قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا اللفظ فى اول كلامه وطلب ما دون الخلافة لاعطيته اياه يا خادم احش فاه جوهرا واحسن جائزته فاعطاه الخادم صلة عظيمة

فاخذها وانصرف الى حال سبيله انتهى ومن لطيف الحكايات ان ابراهيم بن المهدى اخى هارون الرشيدى لما آل امر الخلافة الى المأمون ابن اخيه هارون الرشيدى لم يبايعه بل ذهب الى الرى وادعى الخلافة لنفسه واقام على ذلك سنة واحدة واحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وابن اخيه المأمون يتوقع منه العود الى الطاعة وانتظامه فى سلك الجماعة حتى يئس من عوده فركب بخيله ورجله وذهب الى الرى فلما بلغ ابراهيم الخبر لم يسعه الا انه ذهب الى بغداد واختفى خوفا على دمه فجعل المأمون لمن يدل عليه مائة الف دينار قال ابراهيم لما سمعت بهذه الجعالة خفت على نفسى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابراهيم قال لما سمعت بهذه الجعالة خفت على نفسى وتحيرت فى امرى فخرجت من دارى وقت الظهيرة وانا لا ادرى اين اتوجه فدخلت شارعا غير نافذ فرأيت فى صدر الدرب رجلا حلاقا قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له هل عندك موضع اختفى فيه ساعة قال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف ثم انه بعد ان ادخلنى اغلق على الباب ومضى فتوهمت انه سمع بالجعالة فقلت فى نفسى انه خرج يدل على فبقيت اغلى مثل القدر على النار وانا متفكر فى امرى فبينما انا كذلك اذ اقبل ومعه حمال معه كل ما يحتاج اليه ثم التفت الى وقال لى جعلت فداك قال ابراهيم وكان لى حاجة الى الطعام فطبخت لنفسى قدرا ما اذكر انى اكلت مثلها فلما قضيت اربى من الطعام قال ياسيدى ليس من قدرى انى احادثك فان اردت ان تشرف عبدك فلك علو الرأى فقلت له وما اظن انه يعرفنى ومن اين لك انى احسن المسامرة فقال سبحان الله مولانا اشهر من ذلك انت سيدى ابراهيم بن المهدى الذى جعل فيك المامون لمن دل عليك مائة الف دينار قال ابراهيم فلما قال ذلك عظم فى عينى وثبتت مروته عندى فوافقته على بغيته وخطر ببالى ذكر ولدى وعيالى فجعلت اقول

وعسى الذى اهدى ليوسف اهله ✻ واعزه فى السجن وهو اسير
ان يستجيب لنا ويجمع شملنا ✻ والله رب العالمين قدير

فلما سمع ذلك منى قال ياسيدى اتأذن لى ان اقول ما سنح بخاطرى فقلت له هات فانشد هذه الابيات

شكونا الى احبابنا طول ليلنا ✻ فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم ✻ سريعا ولا يغشى عيوننا اقلبنا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى ✻ جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما ✻ نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

قال ابراهيم فقلت له لقد احسنت كل الاحسان واذهبت عنى الم الاحزان فزدنى من هذه الترهات فانشد هذه الابيات

تعيرنا انا قليل عديدنا ✻ فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا ✻ عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى القتل سبة ✻ اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا ✻ وتكرهه آجالهم فتطول

وتشكران ثم تثناعلى الناس قوامهم * ولا يشكرون القول حين نقول

قال ابراهيم فلما سمعت منه هذا الشعر تعجبت منه غاية العجب ومال بى عظايم الطرب واخذت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير كثيرة ورميت بها اليه وقلت له استودعك الله فانى متوجه من عندك واسألك ان تصرف ما فى هذه الخريطة فى بعض مهماتك ولك عندى الجزاء الزائد اذا امنت من خوفى فرد على الخريطة وقال ياسيدى ان الصعاليك منا لاقدر لهم عندكم ولكن بمقتضى مروتى كيف آخذ ثمنا على ما وهبه لى الزمان من قربك وحلولك عندى والله لئن راجعتنى فى هذا الكلام ورميت بالخريطة الى مرة اخرى لاقتلن نفسى قال ابراهيم فاخذت الخريطة فى كمى وقد اثقلنى حملها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابراهيم ابن المهدى قال فاخذت الخريطة فى كمى وقد اثقلنى حملها وانصرفت فلما انتهيت الى باب داره قال ياسيدى هذا المكان اخفى لك من غيره وليس على فى مؤنتك ثقل فاقم عندى الى ان يفرج الله عنك فقلت له بشرط ان تنفق من تلك الخريطة فاوهمنى الرضى بذلك الشرط ثم اقمت عنده اياما على تلك الحالة ولم يصرف من الخريطة شيأ ثم تزيت بزى النساء كالخف والنقاب وخرجت من داره فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف امر شديد وجئت لاعبر الجسر واذا انا بموضع مرشوش فنظرنى جندى ممن كان يخدمنى فعرفنى وصاح وقال هذه حاجة المأمون ثم تعلق بى فدفعته هو وفرسه ورميتهما فى ذلك الزلق وصار عبرة لمن اعتبر وتبادرت الناس اليه فاجتهدت انا فى مشيتى حتى قطعت الجسر ثم دخلت شارعا فوجدت باب دار وامرأة واقفة فى دهليزه فقلت ياسيدتى احقنى دمى فانى رجل خائف فقالت لا باس عليك واطلعتنى الى غرفة وفرشت لى فيها وقدمت لى طعاما وقالت لى اهدأ روعك فبينما هى كذلك واذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبى الذى دفعته على الجسر مقبل وهو مشدود الرأس ودمه يجرى على ثيابه وليس معه فرسه فقالت له ياهذا ما دهاك فقال كنت ظفرت بالفتى وانفلت منى واخبرها بالحال فاخرجت خرقة وعصبت بها رأسه وفرشت له ونام عليلا ثم طلعت الى وقالت لى اظنك صاحب القضية فقلت لها نعم فقالت لا بأس عليك ثم جددت لى الكرامة فاقمت عندها ثلاثة ايام ثم قالت انى خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع عليك فتقع فيما تخافه فانج بنفسك فسألتها المهلة الى الليل فقالت لا بأس بذلك فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها فاتيت الى بيت مولاة كانت لنا فلما رأتنى بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتى وخرجت كانها تريد السوق للاهتمام بالضيافة فما شعرت الا وابراهيم الموصلى مقبل فى غلمانه وجنده وامرأة قدامهم فتأملتها فاذا هى المولاة صاحبة الدار التى اتيتها ولم تزل ماشية قدامهم حتى سلمتنى اليهم وحملت بالزى الذى انا فيه الى المأمون فعقد مجلسا عاما وادخلنى عليه فلما دخلت سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلمك الله ولا حياك فقلت له على رسلك يا امير المؤمنين انك ولى الامر تحكم فى القصاص او العفو ولكن العفو اقرب للتقوى وقد جعل الله عفوك فوق كل عفو كما جعل ذنبى فوق كل ذنب يا امير المؤمنين فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم انشدت هذه الابيات

ذنبى اليك عظيم * وانت اعظم منه

فخذ بحقك اولا * واصفح بحلك عنه
ان لم اكن فى فعالى * من الكرام فكنه

قال ابراهيم فرفع المأمون الى راسه فبادرت اليه بانشاد هذين البيتين

اتيت ذنبا عظيما * وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن * وان جزيت فعدل

فاطرق المأمون راسه وانشد هذين البيتين

وكنت اذا الصديق اراد غيظى * واشرقنى على حنق بريق
غفرت ذنوبه وعفوت عنه * مخافة ان اعيش بلا صديق

فلما سمعت منه هذا الكلام استروحت منه رايحة الرحمة ثم اقبل على ابن عمه واخيه ابى اسحاق وجميع من حضر من خاصته وقال لهم ما ترون فى امره فكل اشار عليه بقتله الا انهم اختلفوا فى كيفية القتل فقال المأمون لاحمد ابن خالد ما تقول يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه فما وجدنا مثلك عفى عن مثله فقالت دنيازاد لاختها شهرزاد ما احسن حديثك واطيبه واحلاه واعذبه فقالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شهرزاد قالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة فقالت لها اختها يا اختى اتممى لنا حديثك فقالت حبا وكرامة ثم قالت بلغنى ايها السعيد ان امير المؤمنين المأمون لما سمع كلام احمد بن خالد نكس رأسه وانشد قول الشاعر

قومى هم قتلوا اميم اخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى

وانشد ايضا قول الشاعر

سامح اخاك اذا خلط * منه الاصابة بالغلط
واحفظ صنيعك عنده * شكر الصنيعة ام غمط
وتجاف عن تعنيفه * ان زاغ يوما او قسط
اوما ترى المحبوب و المكروه لزا فى نمط
ولذاذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط
والورد يبدو فى الغصو * ن مع الجنى الملتقط
من ذا الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط
ولو اختبرت بنى الزما * ن وجدت اكثرهم سقط

فلما سمعت منه هذه الابيات كشفت المقنعة عن رأسى وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا الله عنك يا امير المؤمنين فقال لا باس عليك يا عم فقلت ذنبى يا امير المؤمنين اعظم من ان اتفوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معه بشكر واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

ان الذى خلق المكارم حازها * فى صلب آدم للامام السابع

ملئت قلوب الناس منك مهابة * والكل تكلأهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواية تمرى * اسبابها الا بنية طامع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت افراخا كافراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع

فقال المأمون اقول اقتداء بسيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين وقد رددت عليك اموالك وضياعك يا عم ولا بأس عليك فابتهلت له بصالح الدعوات وانشدت هذه الابيات

رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
فلو بذلت دمى ابغى رضاك به * والمال حتى اسل النعل من قدمى
فان جحدتك ما اوليت من نعم * انى الى اللوم اولى منك بالكرم

فاكرمه المأمون وانعم عليه وقال له يا عم ان ابا اسحاق والعباس اشارا على بقتلك فقلت ان ابا اسحاق والعباس نصحاك يا امير المؤمنين ولكنك اتيت بما انت اهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المأمون انى امت حقدى بحياتك وقد عفوت عنك ولم احملك منة الشافعين ثم سجد المأمون طويلا ورفع رأسه وقال يا عمى اتدرى لاى شىء سجدت قلت لعلك سجدت شكرا لله الذى ظفرك بعدوك فقال ما اردت ذلك ولكن شكرا لله الذى الهمنى العفو عنك قال ابراهيم فشرحت له صورة امرى وما جرى لى مع الحجام والجندى وزوجته والمولاة التى غمزت على فامر المأمون باحضار المولاة وهى فى دارها تنتظر ارسال الجائزة اليها فلما حضرت بين يدى المأمون قال لها ما حملك على ما فعلت مع سيدك قالت الرغبة فى المال فقال هل لك ولد او زوج فقالت لا فامر بضربها مائة سوط وان تخلد فى السجن ثم احضر الجندى وامرأته والحجام فحضروا جميعا فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل فقال الرغبة فى المال فقال المأمون يجب ان تكون حجاما ووكل به من يضعه فى دكان حجام ليعلمه الحجامة واكرم زوجة الجندى وادخلها القصر وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ثم قال للحجام قد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة فى اكرامك وامر ان يسلم اليه دار الجندى واعطاه زيادة على ذلك خمسة عشر الف دينار

وحكى ان عبد الله بن ابى قلابة خرج فى طلب ابل شردت له فبينما هو سائر فى صحارى اراضى اليمن وارض سبأ اذ وقع على مدينة عظيمة وحولها حصن عظيم وحول ذلك الحصن قصور شاهقة فى الجو فلما دنا منها ظن ان بها سكانا يسألهم عن ابله فقصدها فلما وصل اليها وجدها قفراء ليس فيها انيس قال فنزلت عن ناقتى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عبد الله ابن ابى قلابة قال فنزلت عن ناقتى وعقلتها ثم سليت نفسى ودخلت البلد ودنوت من الحصن فوجدت له بابين عظيمين لم ير فى الدنيا مثلهما فى العظم والارتفاع وهما مرصعان بانواع الجواهر واليواقيت ما بين ابيض واحمر واصفر واخضر فلما رأيت ذلك تعجبت منه غاية العجب وتعاظمنى ذلك الامر فدخلت الحصن وانا مرعوب ذاهل اللب فرأيت ذلك الحصن طويلا مديدا مثل المدينة فى السعة وبه قصور شاهقة فى كل قصر منها غرف وكلها مبنية بالذهب والفضة

ومرصعة باليواقيت والزبرجد واللؤلؤ والجواهر الملونة ومصاريع ابواب تلك القصور كمصاريع الحصن في الحسن وقد فرشت ارضها باللؤلؤ الكبار وبنادق المسك والعنبر والزعفران فلما انتهيت الى داخل المدينة لم ار بها مخلوقا من بني آدم فكدت ان اموت من الفزع ثم نظرت من اعالي الغرف والقصور فرأيت الانهار تجري من تحتها وشوارعها فيها الاشجار المثمرات والنخيل الباسقات وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة فقلت في نفسي لاشك ان هذه هي الجنة الموعود بها في الآخرة فحملت من جواهر حصبائها ومسك ترابها ما امكنني حمله وعدت الى بلادي واعلمت الناس بذلك فبلغ الخبر الى معاوية ابن ابي سفيان وهو يومئذ خليفة بالحجاز فكتب الى عامله بصنعاء اليمن ان احضر ذلك الرجل واسئله عن حقيقة الامر فاحضرني عامله واستخبرني عن ما كان من امري وما وقع لي فاخبرته بما رأيته فارسلني الى معاوية فاخبرته ايضا بما رأيته فانكر ذلك معاوية فاظهرت له شيأ من ذلك اللؤلؤ وبنادق العنبر والمسك والزعفران وفيها بعض رايحة طيبة ولكن اللؤلؤ قد اصفر وتغير لونه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله ابن ابي قلابة قال ولكن اللؤلؤ قد اصفر وتغير لونه فتعجب من ذلك معاوية ابن ابي سفيان لما رأى مع ابي قلابة للؤلؤ وبنادق المسك والعنبر وبعث الى كعب الاحبار فاحضره وقال له يا كعب الاحبار اني دعوتك لامر اطلب تحقيقه وارجو ان يكون عندك حقيقة خبره فقال له ما هو يا امير المؤمنين قال له معاوية هل عندك علم بانه يوجد مدينة مبنية بالذهب والفضة عمدانها من الزبرجد والياقوت وحصباؤها من اللؤلؤ وبنادق المسك والعنبر والزعفران قال نعم يا امير المؤمنين هي ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد بناها شداد بن عاد الاكبر قال معاوية حدثنا بشيء من حديثها قال كعب الاحبار ان عاد الاكبر كان له ولدان شديد وشداد فلما هلك ابوهما ملك البلاد بعده شديد واخوه شداد ولم يكن احد من ملوك الارض الا تحت طاعتهما فمات شديد بن عاد فملك اخوه شداد الارض من بعده على الانفراد وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة فلما مر به ذكر الآخرة والجنة وما فيها من القصور والغرف والاشجار والثمار وغيرها مما في الجنة دعته نفسه الى ان يبني مثلها في الدنيا على هذه الهيئة المتقدم ذكرها وكان تحت يده مائة الف ملك تحت يد كل ملك مائة الف قهرمان تحت يد كل قهرمان مائة الف عسكر فاحضر الجميع بين يديه وقال لهم اني اسمع في الكتب القديمة والاخبار بصفة الجنة التي توجد في الآخرة وانا احب ان اجعل مثلها في الدنيا فانطلقوا الى اطيب فلاة في الارض واوسعها وابنوا لي فيها مدينة من الذهب والفضة واجعلوا حصاها الزبرجد والياقوت واللؤلؤ واجعلوا تحت عقود تلك المدينة اعمدة من زبرجد واملأوها قصورا واجعلوا فوق القصور غرفا واغرسوا تحت القصور في ازقتها وشوارعها اصناف الاشجار المختلفة الاثمار اليانعة واجروا تحتها الانهار في قنوات الذهب والفضة قالوا باجمعهم كيف نقدر على ما وصفت لنا وكيف بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ الذي ذكرت قال الستم تعلمون ان ملوك الدنيا طوع لي وتحت يدي وكل من فيها لا يخالف امري قالوا نعم نعلم ذلك قال فانطلقوا الى معادن الزبرجد والياقوت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شدادا قال لجماعته انطلقوا الى معادن الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فاستخرجوها واجمعوا ما بها من الارض ولا تبقوا مجهودا ومع ذلك تخذوا لي ما بايدي العالم من اصناف ذلك ولا تبقوا ولا تذروا واحذروا المخالفة ثم كتب كتابا الى كل ملك كان في اقطار الارض وامرهم ان يجمعوا ما كان عند الناس من اصناف ذلك وان يذهبوا الى معادنها ويستخرجوا ما فيها من الاحجار النفيسة ولو من قعور البحار فجمعوا ذلك في مدة عشرين سنة وكان عدة الملوك المتمكنين في الارض ثلثمائة وستين ملكا ثم اخرج المهندسين والحكماء والفعلاء والصناع من سائر البلاد والبقاع وانتشروا في البراري والقفار والجهات والاقطار حتى وصلوا الى صحراء فيها فسحة عظيمة نقية خالية من الآكام والجبال وبها عيون نابعة وانهار جارية فقالوا هذه صفة الارض التي امرنا بها الملك وندبنا اليها ثم اشتغلوا ابنائها على قدر ما امرهم به الملك شداد ملك الارض في الطول والعرض واجروا بها قنوات الانهار ووضعوا الاساسات على المقدار المذكور وارسل اليها ملوك الاقطار بالجواهر والاحجار واللؤلؤ الكبار والصغار والعقيق والنضار على الجمال في البراري والقفار وارسلوا بها السفن الكبار في البحار ووصل الى العمال من تلك الاصناف ما لا يوصف ولا يحصى ولا يكيف فاقاموا في عمل ذلك ثلثمائة سنة فلما فرغوا من ذلك اتوا الى الملك واخبروه بالاتمام فقال لهم انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا منيعا شاهقا رفيعا واجعلوا حول الحصن الف قصر تحت كل قصر الف علم ليكون في كل قصر منها وزير ففضوا من وقتهم وفعلوا ذلك في عشرين سنة ثم حضروا بين يدي شداد واخبروه بحصول الغرض فامر وزراءه وهم الف وزير وكذلك امر خاصته ومن يثق به من الجنود وغيرهم ان يستعدوا للرحلة ويتهيئوا للنقلة الى ارم ذات العماد تحت ركاب ملك الدنيا شداد بن عاد وامر من اراد من نسائه وحريمه وجواريه وخدمه ان يأخذوا في التجهيز فاقاموا في اخذ الاهبة عشرين سنة ثم سار شداد ومن معه من الجيوش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شدادا بن عاد سار هو ومن معه من الجيوش مسرورا ببلوغ المرام حتى بقي بينه وبين ارم ذات العماد مرحلة واحدة فارسل الله عليه وعلى من معه من الكفرة الجاحدين صيحة من سماء قدرته فاهلكتهم جميعا بصوت عظيم ولم يصل شداد ولا احد ممن كان معه اليها ولم يشرف عليها ومحا الله آثار محجتها فهي باقية على حالها في مكانها الى قيام الساعة فتعجب معاوية من اخبار كعب الاحبار بهذا الخبر وقال له هل يصل احد الى تلك المدينة من البشر قال نعم رجل من اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام وهو بصفة هذا الرجل الجالس بلا شك ولا ايهام وقال الشعبي حكي عن علماء حمير من اليمن انه لما اهلك شداد ومن معه من الصيحة ملك بعده ابنه شداد الاصغر وكان ابوه شداد الاكبر خلفه على ملكه بارض حضرموت وسبأ بعد ان ارتحل بمن معه من العساكر الى ارم ذات العماد فلما بلغه خبر موت ابيه في الطريق قبل وصوله الى مدينة ارم امر بحمل ابيه من تلك المفاوز الى حضرموت وامر ان يحفر له حفيرة في مغارة فلما حفروا تلك الحفيرة وضعه فيها على سرير من الذهب والقى عليه سبعين حلة منسوجة بالذهب مرصعة بنفيس الجواهر ووضع عند رأسه لوحا من الذهب مكتوبا

فيه هذا الشعر

اعتبر يا ايها المغرور * بالعمر المديد
انا شداد بن عاد * صاحب الحصن العميد
صاحب القدرة * والقوة والبأس الشديد
كان اهل الارض طوعى * خوف قهرى ووعيدى
وملكت الشرق والغرب * بسلطان شديد
فدعانا للهدى من * جاه بالامر الرشيد
فعصيناه وقلنا * عنه الا هل من محيد
فاتتنا صيحة من * جانب الافق البعيد
فترامينا كزرع * وسط بيدا فى الحصيد
وانتظرنا تحت اطباق الثرى * يوم الوعيد

قال الثعالبي واتفق ان رجلان دخلا هذه المغارة فوجدا فى صدرها درجا فنزلا فيه فوجدا حفيرة طولها مقدار مائة ذراع وعرضها اربعون ذراعا وارتفاعها مائة ذراع وفى وسط تلك الحفرة سرير من الذهب وعليه رجل عظيم الجسم قد اخذ طول السرير وعرضه وعليه الحلى والحلل المنسوجة بالذهب والفضة وعلى رأسه لوح من ذهب فيه كتابة فاخذا ذلك اللوح وحملا من ذلك الموضع ما اطاقا حمله من قضبان الذهب والفضة وغير ذلك وممايحكى ان اسحاق الموصلى قال خرجت ليلة من عند المأمون متوجها الى بيتى فضايقنى حصر البول فعمدت الى زقاق وقمت ابول خوفا ان يضر بى شئ اذا جلست فى جانب الحيطان فرأيت شيأ معلقا من تلك الدور فلمسته لاعرف ماهو فوجدته زنبيلا كبيرا باربعة آذان ملبسا ديباجا فقلت فى نفسى لابد لهذا من سبب وصرت متحيرا فى امرى فحملنى السكر على ان اجلس فيه فجلست فيه واذا باصحاب الدار جذبوه بى وظنوا انى الذى كانوا يرتقبونه ثم رفعوا الزنبيل الى رأس الحائط واذا باربع جوار يقلن لى انزل على الرحب والسعة ومشت بين يدى جارية بشمعة حتى نزلت الى دار فيها مجالس مفروشة لم ار مثلها الا فى دار الخلافة فجلست فما شعرت بعد ساعة الا بستور قد رفعت فى ناحية من الجدار واذا بوصائف يتماشين وفى ايديهن الشموع ومجامر البخور من العود القاقلى وبينهن جارية كأنها البدر الطالع فنهضت وقالت مرحبا بك من زائر ثم اجلستنى وسألتنى عن خبرى فقلت لها انى انصرفت من عند بعض اخوانى وغرّنى الوقت وحصرنى البول فى الطريق فملت الى هذا الزقاق فوجدت زنبيلا ملقى فاجلسنى النبيذ فى الزنبيل ورفع بى الزنبيل الى هذه الدار هذا ما كان من امرى فقالت لا ضير عليك وارجو ان تحمد عاقبة امرك ثم قالت لى فما صناعتك فقلت تاجر فى سوق بغداد فقالت هل تروى من الاشعار شيأ قلت اروى شيأ ضعيفا قالت فذاكرنا فيه وانشدنا شيأ منه فقلت ان للداخل دهشة ولكن تبدأين انت قالت صدقت ثم انشدت شعرا رقيقا من كلام القدماء والمحدثين وهو من اجود اقاويلهم وانا اسمع ولا ادرى اعجب من حسنها ام جمالها ام من حسن روايتها ثم قالت هل ذهب ما كان عندك من الدهشة قلت اى والله قالت ان شئت فانشدنا شيأ من روايتك فانشدتها لجماعة من القدماء ما فيه الكفاية فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ما ظننت ان يوجد فى ابناء السوقة مثل هذا ثم امرت بالطعام فقالت لها اجتهاديا زادما احلى حديثك واحسنه واطيبه واعذبه فقالت واين هذا

بما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انها قالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال لها الملك اتممي حديثك قالت سمعا وطاعة قد بلغني ايها الملك السعيد ان اسحاق الموصلي قال ثم ان الجارية امرت باحضار الطعام فحضر فجعلت تأخذ وتضع قدامي وكان في المجلس من اصناف الرياحين وغريب الفواكه ما لا يكون الا عند الملوك ثم دعت بالشراب فشربت قدحا ثم ناولتني قدحا وقالت هذا اوان المذاكرة والاخبار فاندفعت اذاكرها وقلت بلغني انه كان كذا وكذا وكان رجل يقول كذا حتى حكيت لها عدة اخبار حسان فانسرت بذلك وقالت اني لاعجب كيف يكون احد من التجار يحفظ مثل هذه الاخبار وانما هي احاديث ملوك فقلت كان لي جار يحادث الملوك وينادمهم واذا تعطل حضرت بيته فربما حدث بما سمعت فقالت لعمري لقد احسنت الحفظ ثم اخذنا في المذاكرة وكلما امسكت ابتدأت هي حتى قطعنا اكثر الليل وبخور العود يعبق وانا في حالة لو توهمها المأمون لطار شوقا اليها فقالت لي انك من الطف الرجال واظرفهم لانك ذو ادب بارع وما بقي الا شيء واحد فقلت لها وما هو قالت لو كنت تترنم بالاشعار على العود فقلت لها اني كنت تعلقت بهذا قديما ولكن لما لم ارزق حظا فيه اعرضت عنه وفي قلبي منه حرارة وكنت احب في هذا المجلس ان احسن شيأ منه لتكمل ليلتي قالت كأنك عرضت باحضار العود فقلت الرأي لك وانت صاحبة الفضل ولك المنة في ذلك فامرت بعود فحضر وغنت بصوت ما سمعت بمثل حسنه مع حسن الادب وجودة الضرب والكمال الراجح ثم قالت هل تعرف هذا الصوت لمن وهل تعرف الشعر لمن قلت لا قالت الشعر لفلان والمغني لاسحاق قلت وهل اسحاق جعلت فداك بهذه الصفة قالت بخ بخ اسحاق بارع هذا الشان فقلت سبحان الله الذي اعطى هذا الرجل ما لم يعطه احدا سواه قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ثم لم نزل على ذلك حتى اذا كان انشقاق الفجر اقبلت عليها عجوز كأنها داية لها وقالت ان الوقت قد حضر فنهضت عند قولها وقالت استر ما كان منا فان المجالس بالامانات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها السعيد ان الجارية قالت استر ما كان منا فان المجالس بالامانات فقلت لها جعلت فداك لم اكن محتاجا الى وصية في ذلك ثم ودعتها وارسلت جارية تمشي بين يدي الى باب الدار ففتحت لي وخرجت متوجها الى داري فصليت الصبح ونمت فاتاني رسول المأمون فسرت اليه واقمت نهاري عنده فلما كان وقت العشاء تفكرت ما كنت فيه البارحة وهو شيء لا يصبر عنه الا جاهل فخرجت وجئت الى الزنبيل وجلست فيه ورفعت الى موضعي الذي كنت فيه البارحة فقالت لي الجارية لقد عاودت فقلت لا اظن الا انني قد غفلت ثم اخذنا في المحادثة على عادتنا في الليلة السالفة من المذاكرة والمناشدة وغريب الحكايات منها ومني الى الفجر ثم انصرفت الى منزلي وصليت الصبح ونمت فاتاني رسول المأمون فمضيت اليه واقمت نهاري عنده فلما كان وقت العشاء قال لي امير المؤمنين اقسمت عليك ان تجلس حتى اذهب الى غرض واحضر فلما ذهب الخليفة وغاب عني جالت وساوسي وتذكرت ما كنت فيه فهان علي ما يحصل لي من امير المؤمنين فوثبت مدبرا وخرجت جاريا حتى وصلت الى الزنبيل فجلست فيه ورفع بي الى

مجلسي فقالت لعلك صديقنا قلت اي والله قالت اجعلتنا دار اقامة قلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاثة ايام فان رجعت بعد ذلك فانتم في حل من دمي ثم جلسنا على تلك الحالة فلما قرب الوقت علمت ان المأمون لابد ان يسألني فلا يقنع الا بشرح القصة فقلت لها اراك ممن يعجب بالغناء ولي ابن عم احسن مني وجها واشرف قدرا واكثر ادبا وهو اعرف خلق الله تعالى باسحاق قالت اطفيلي وتقترح قلت لها انت الحكمة في الامر فقالت ان كان ابن عمك على ما تصفه فما نكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت متوجها الى داري فلم اصل الى داري الا ورسل المأمون قد هجموا علي وحملوني حملا عنيفا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اسحاق الموصلي قال فلم اصل الى داري الا ورسل المأمون قد هجموا علي وحملوني حملا عنيفا وذهبوا بي اليه فوجدته قاعدا على كرسي وهو مغتاظ مني فقال يا اسحاق اخروجا عن الطاعة فقلت لا والله يا امير المؤمنين قال فما قصتك اصدقني الخبر فقلت نعم ولكن في خلوة فاوما الى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له اني وعدتها بحضورك قال احسنت ثم اخذنا في لذتنا ذلك اليوم والمأمون متعلق القلب بها فما صدقنا بمجيء الوقت وسرنا وانا اوصيه واقول له تجنب ان تناديني باسمي قدامها بل انا لك تبع في حضرتها واتفقنا على ذلك ثم سرنا الى ان اتينا مكان الزنبيل فوجدنا زنبيلين فقعدنا فيهما ورفعانا الى الموضع المعهود فاقبلت وسلمت علينا فلما رآها المأمون تحير من حسنها وجمالها واخذت تذاكره الاخبار وتناشده الاشعار ثم احضرت النبيذ فشربنا وهي مقبلة عليه مسرورة به وهو ايضا مقبل عليها مسرور بها ثم اخذت العود وغنت طريقة وبعد ذلك قالت لي وهل ابن عمك من التجار واشارت الى المأمون قلت نعم قالت انكما لقريبا الشبه من بعضكما قلت نعم فلما شرب المأمون ثلاثة ارطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال يا اسحاق قلت لبيك يا امير المؤمنين قال غن بهذه الطريقة فلما علمت انه الخليفة مضت الى مكان ودخلت فيه فلما فرغت من الغناء قال لي المأمون انظر من رب هذه الدار فبادرت عجوز بالجواب وقالت هي للحسن بن سهل فقال علي به فغابت العجوز ساعة واذا بالحسن قد حضر فقال له المأمون الك بنت قال نعم اسمها خديجة قال له هل هي متزوجة قال لا والله قال فاني اخطبها منك قال هي جاريتك وامرها اليك يا امير المؤمنين قال الخليفة قد تزوجتها على نقد ثلاثين الف دينار تحمل اليك صبيحة يومنا هذا فاذا قبضت المال فاحملها الينا من ليلتها قال سمعا وطاعة ثم خرجنا فقال يا اسحاق لا تقص هذا الحديث على احد فسترته الى ان مات المأمون فما اجتمع لاحد مثل ما اجتمع لي في هذه الاربعة ايام مجالسة المأمون بالنهار ومجالسة خديجة بالليل والله ما رأيت احدا من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة من النساء مثل خديجة بل ولا تقارب خديجة فهما ولا عقلا ولا لفظا والله اعلم

ومما يحكى انه كان في اوان الحج والناس في الطواف فبينما المطاف مزدحم بالناس واذا بانسان متعلق باستار الكعبة وهو يقول من صميم قلبه اسألك يا الله انها تغضب على زوجها واجامعها قال فسمعه جماعة من الحجاج فقبضوا عليه واتوا به الى امير الحاج بعد ان اشبعوه ضربا وقالوا له ايها الامير انا وجدنا هذا في الاماكن الشريفة يقول كذا وكذا فامر امير الحاج بشنقه فقال له ايها الامير بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسمع قصتي وحديثي وبعد ذلك فافعل بي ما تريد قال

تحدث قال اعلم ايها الامير انى رجل حشاش اعمل فى مسالخ الغنم فاحمل الدم والوسخ الى الكيمان فاتفق انى رايح بحمارى يوما من الايام وهو محمل فوجدت الناس هاربين فقال واحد منهم ادخل هذا الزقاق لئلا يقتلوك فقلت مال الناس هاربين فقال لى واحد خدام هذا حريم لبعض الاكابر وصار الخدم ينحون الناس من الطريق قدامها ويضربون جميع الناس ولا يبالون باحد فدخلت بالحمار عطفة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل قال فدخلت بالحمار عطفة ووقفت انتظر انفضاض الزحمة فرأيت الخدم وبايديهم العصى ومعهم نحو ثلاثين امرأة وبينهم واحدة كانها قضيب بان كاملة الحسن والظرف والدلال والجميع فى خدمتها فلما وصلت الى باب العطفة التى انا واقف بها التفتت يمينا وشمالا ثم دعت بطواشى فحضر بين يديها فساررته فى اذنه واذا بالطواشى جاء الى وقبض على فتهاربت الناس واذا بطواشى آخر اخذ حمارى ومضى به ثم جاء الطواشى وربطنى بحبل وجرنى خلفه وانا لم اعرف ما الخبر والناس من خلفنا يصيحون ويقولون ما يحل من الله هذا رجل حشاش فقير الحال ما سبب ربطه بالحبال ويقولون للطواشية ارحموه يرحمكم الله تعالى واطلقوه فقلت انا فى نفسى ما اخذنى الطواشية الا لان سيدتهم شمت رايحة الوسخ فاشمأزت من ذلك او تكون حبلى او حصل لها ضرر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما زلت ماشيا خلفهم الى ان وصلوا الى باب دار كبيرة فدخلوا وانا خلفهم واستمروا داخلين بى حتى وصلت الى قاعة كبيرة فما اعرف كيف اصف محاسنها وهى مفروشة بفرش عظيم ثم دخلت النساء تلك القاعة وانا مربوط مع الطواشى فقلت فى نفسى لابد انهم يعاقبوننى فى هذا البيت حتى اموت ولا يدرى بموتى احد ثم بعد ذلك ادخلونى حماما لطيفا من داخل القاعة فبينما انا فى الحمام واذا بثلاث جوار دخلن وقعدن حوالى وقلن لى اقلع شراميطك فقلعت ما على من الخلقان وصارت واحدة منهن تحك رجلى وواحدة منهن تغسل رأسى وواحدة منهن تكبسنى فلما فرغن من ذلك حطوا لى بقجة قماش وقالوا لى البس هذه فقلت والله ما اعرف كيف البس فتقدمن الى والبسننى وهن يتضاحكن على ثم جئن بقماقم مملوءة بماء الورد ورششن على وخرجت معهن الى قاعة اخرى والله ما اعرف كيف اصف محاسنها من كثرة ما فيها من النقش والفرش فلما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت من الخيزران وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل قال لما دخلت تلك القاعة وجدت واحدة قاعدة على تخت من الخيزران قوائمه من عاج وبين يديها جملة جوار فلما رأتنى قامت الى ونادتنى فجئت عندها فامرتنى بالجلوس فجلست الى جانبها وامرت الجوارى ان يقدمن الطعام فقدمن لى طعاما فاخرا من سائر الالوان ما اعرف اسمه ولا اعرف صفته فى عمرى فاكلت منه على قدر كفايتى وبعد رفع الزبادى وغسل الايادى امرت باحضار الفواكه فحضرت بين يديها فى الحال فامرتنى بالاكل فاكلت فلما فرغنا من الاكل امرت بعض الجوارى باحضار سلاحيات الشراب فاحضرن شيأ مختلف الالوان ثم اطلقن المباخر من جميع البخور وقامت جارية مثل القمر تسقينا على نغمات الاوتار فسكرت انا وتلك السيدة الجالسة

كل ذلك جرى وانا اعتقد انه حلم فى المنام ثم بعد ذلك اشارت الى بعض الجوارى ان يفرشن لنا فى مكان ففرشن فى المكان الذى امرت به ثم قامت واخذت بيدى الى ذلك المكان المفروش ونامت ونمت معها الى الصباح وكنت كلما ضممتها الى صدرى اشم منها رايحة المسك والطيب وما اعتقد الا انى فى الجنة اوانى احلم فى المنام فلما اصبحت سألتنى عن مكانى فقلت فى المحل الفلانى فامرت بخروجى واعطتنى منديلا مطرزا بالذهب والفضة وعليه شئ مربوط فقالت لى ادخل الحمام بهذا ففرحت وقلت فى نفسى ان كان ما عليه خمسة فلوس فهى غدائى فى هذا اليوم ثم خرجت من عندها كانى خارج من الجنة وجئت الى المخزن الذى انا فيه ففتحت المنديل فوجدت فيه خمسين مثقالا من الذهب فدفنتها وقعدت عند الباب بعد ان اشتريت بفلسين خبزا وادما وتغديت ثم صرت متفكرا فى امرى فبينما انا كذلك الى وقت العصر واذا بالجارية قد اتت وقالت لى ان سيدتى تطلبك فخرجت معها الى باب الدار واستأذنت على فدخلت وقبلت الارض بين يديها فامرتنى بالجلوس وامرت باحضار الطعام والشراب على العادة ثم نمت معها على جرى العادة التى تقدمت اول ليلة فلما اصبحت ناولتنى منديلا ثانيا فيه خمسون مثقالا من الذهب فاخذتها وخرجت وجئت الى المخزن ودفنتها ومكثت على هذه الحالة مدة ثمانية ايام ادخل عندها فى كل يوم العصر واخرج من عندها فى اول النهار فبينما انا نائم عندها ليلة ثامن يوم واذا بالجارية دخلت وهى تجرى وقالت لى قم اطلع الى هذه الطبقة فطلعت فى تلك الطبقة فوجدتها تشرف على وجه الطريق فبينما انا جالس واذا بضجة عظيمة ودربكة خيل فى الزقاق وكان فى الطبقة طاقة تشرف على الباب فنظرت منها فرأيت شابا راكبا كأنه القمر الطالع ليلة تمامه وبين يديه مماليك وجند يمشون فى خدمته فتقدم الى الباب وترجل ودخل القاعة فرآها قاعدة على السرير فقبل الارض بين يديها ثم تقدم وقبل يديها فلم تكلمه فما برح يتخضع لها حتى صالحها ونام عندها تلك الليلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبية لما صالحها زوجها نام عندها تلك الليلة فلما اصبح الصباح اتته الجنود وركب وخرج من الباب فطلعت عندى وقالت لى ارأيت هذا قلت لها نعم قالت هو زوجى واحكى لك ما جرى لى معه اتفق انى كنت انا واياه يوما قاعدين فى الجنينة داخل البيت واذا هو قد قام من جانبى وغاب عنى ساعة طويلة فاستبطأته فقلت فى نفسى لعله يكون فى بيت الخلاء فنهضت الى بيت الخلاء فلم اجده فدخلت المطبخ فرأيت جارية فسألتها عنه فارتنى اياه وهو راقد مع جارية من جوارى المطبخ فعند ذلك حلفت يمينا عظيما انى لابد ان ازنى مع اوسخ الناس واقذرهم ويوم قبض عليك الطواشى كان لى اربعة ايام وانا ادور فى البلد على واحد يكون بهذه الصفة فما وجدت احدا اوسخ ولا اقذر منك فطلبتك وقد كان ما كان من قضاء الله علينا وقد خلصت من اليمين التى حلفتها ثم قالت فمتى وقع زوجى على الجارية ورقد معها مرة اخرى اعدتك الى ما كنت عليه معى فلما سمعت منها هذا الكلام ورمت قلبى من لحاظها بالسهام جرت دموعى حتى قرحت المحاجر وانشدت قول الشاعر

مكنينى من بوس يسرك عشرا * واعرفى فضلها على يمناك
ان يسراك لهى اقرب عهدا * وقت غسل الخرا بمستنجاك

ثم

ثم انها امرت بخروجي من عندها وقد تحصل لي منها ارزه مائة مثقال من الذهب فانا أصرف منها وجئت
الى ههنا ادعو الله سبحانه وتعالى ان زوجها يعود الى الجارية مرة اخرى لعلي اعود الى ما كنت عليه
فلما سمع امير الحاج قصة ذلك الرجل اطلقه وقال للحاضرين بالله عليكم ان تدعوا له فانه معذور

ومما يحكى ان الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي قلقا شديدا فاستدعى بوزيره جعفر
البرمكي وقال له ان صدري ضيق ومرادي في هذه الليلة ان اتفرج في شوارع بغداد وانظر في مصالح
العباد بشرط اننا نتزيا بزي التجار حتى لا يعرفنا احد من الناس فقال له الوزير سمعا وطاعة ثم قاموا
في الوقت والساعة ونزعوا ما عليهم من ثياب الافتخار ولبسوا ثياب التجار وكانوا ثلاثة الخليفة وجعفر
ومسرور السياف وتمشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فرأوا شيخا قاعدا في زورق فتقدموا
اليه وسلموا عليه وقالوا له يا شيخ انا نشتهي من فضلك واحسانك ان تفرجنا في مركبك هذه وخذ هذا
الدينار في اجرتك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد انهم لما قالوا للشيخ انا نشتهي ان تفرجنا في مركبك وخذ هذا الدينار قال لهم
من ذا الذي يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل في كل ليلة بحر الدجلة في زورق صغير ومعه
مناد ينادي ويقول يا معاشر الناس كافة من كبير وصغير وخاص وعام وصبي وغلام كل من نزل في مركب
وشق في الدجلة ضربت عنقه او شنقته على صاري مركبه وكانكم به في هذه الساعة وزورقه مقبل
فقال الخليفة وجعفر يا شيخ خذ هذين الدينارين وادخل بنا قبة من هذه القباب الى ان يروح زورق
الخليفة فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والتوكل على الله تعالى فاخذ الذهب وعوم بهم قليلا واذا بالزورق
قد اقبل من كبد الدجلة وفيه الشموع والمشاعل مضيئة فقال لهم الشيخ اما قلت لكم ان الخليفة يشق
في كل ليلة ثم ان الشيخ صار يقول يا ستار لا تكشف الاستار ودخل بهم في قبة ووضع عليهم ميزرا
اسود وصاروا يتفرجون من تحت الميزر فرأوا في مقدم الزورق رجلا بيده مشعل من الذهب الاحمر وهو
يشعل فيه بالعود القاقلي وعلى ذلك قباء من الاطلس الاحمر وعلى كتفه مزركش اصفر وعلى رأسه شاش
موصلي وعلى كتفه الاخر مخلاة من الحرير الاخضر ملآنة بالعود القاقلي يقيد منها المشعل عوضا عن
الحطب ورأى رجلا آخر في مؤخر الزورق لابسا مثل لبسه وبيده مشعل مثل المشعل الذي معه ورأى
في الزورق مائتا مملوك واقفين يمينا ويسارا ووجد كرسيا من الذهب الاحمر منصوبا وعليه شاب حسن
جالس كالقمر وعليه خلعة سوداء بطرازات من الذهب الاصفر وبين يديه انسان كانه الوزير جعفر وعلى
رأسه خادم واقف كانه مسرور وبيده سيف مشهور ورأى عشرين نديما فلما رأى الخليفة ذلك قال
يا جعفر فقال لبيك يا امير المؤمنين قال لعل هذا واحد من اولادي اما المأمون واما الامين ثم تأمل الشاب
وهو جالس على الكرسي فرآه كامل الحسن والجمال والقد والاعتدال فلما تأمله التفت الى الوزير
وقال يا وزير قال لبيك قال والله ان هذا الجالس لم يترك شيأ من شكل الخلافة والذي بين يديه كأنه انت
يا جعفر والخادم الذي واقف على رأسه كأنه مسرور وهؤلاء الندماء كأنهم ندمائي وقد حار عقلي في هذا
الامر فقالت لها اختها دنيازاد ما احسن حديثك واطيبه واحلاه واعذبه فقالت واين هذا مما
احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فقال الملك في نفسه والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما رأى هذا الامر تحير في عقله وقال والله انى تعجبت من هذا الامر يا جعفر فقال له جعفر وانا والله يا امير المؤمنين ثم ذهب الزورق حتى غاب عن العين فعند ذلك خرج الشيخ بزورقه وقال الحمد لله على السلامة حيث لم يصادفنا احد فقال الخليفة يا شيخ وهل الخليفة في كل ليلة ينزل الدجلة قال نعم يا سيدى وله على هذه الحالة سنة كاملة فقال يا شيخ نشتهى من فضلك ان تقف لنا هنا الليلة القابلة ونحن نعطيك خمسة دنانير ذهبا فاننا قوم غرباء وقصدنا النزهة ونحن نازلون في الخندق فقال له الشيخ حبا وكرامة ثم ان الخليفة وجعفر ومسرور اتوجهوا من عند الشيخ الى القصر وقلعوا ما كان عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك وجلس كل واحد في مرتبته ودخل الامراء والوزراء والحجاب والنواب وانعقد المجلس بالناس فلما انقضى النهار وتفرقت اجناس الناس وراح كل احد الى حال سبيله قال الخليفة هارون الرشيد يا جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثاني فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا يشقون وهم في غاية الانشراح وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا الى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب الزورق قاعدا لهم في الانتظار فنزلوا عنده في المركب فما استقر بهم الجلوس مع الشيخ ساعة حتى جاء زورق الخليفة الثاني واقبل عليهم فالتفتوا اليه وامعنوا فيه النظر فوجدوا فيه مائتى مملوك غير المماليك الاول والمشاعلية ينادون على عادتهم فقال الخليفة يا وزير هذا شئ لو سمعت به ما كنت اصدقه ولكنني رأيت ذلك عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب الزورق الذى هم فيه خذ يا شيخ هذه العشرة دنانير وسر بنا في محاذاتهم فانهم في النور ونحن في الظلام فننظر هم ونتفرج عليهم وهم لا ينظروننا فاخذ الشيخ العشرة دنانير ومشى بزورقه في محاذاتهم وسار في ظلام زورقهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد قال للشيخ خذ هذه العشرة دنانير وسر بنا في محاذاتهم فقال سمعا وطاعة ثم اخذ الدنانير وسار بهم وما زالوا سائرين في ظلام الزورق الى البساتين فلما وصلوا الى البساتين رأوا زربية فرسى عليها الزورق واذا بغلمان واقفين ومعهم بغلة مسرجة ملجمة فطلع الخليفة الثاني وركب البغلة وسار بين الندماء وصاحت المشاعلية واشتغلت الغاشية بشأن الخليفة الثاني فطلع هارون الرشيد هو وجعفر ومسرور الى البر وشقوا بين المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا الثلاثة اشخاص لبسهم لبس تجار وهم غرباء الديار فانكروا عليهم وغمزوا عليهم واحضروهم بين يدى الخليفة الثاني فلما نظرهم قال لهم كيف وصلتم الى هذا المكان وما الذى جاء بكم في هذا الوقت فقالوا يا مولانا نحن قوم من التجار غرباء الديار وقدمنا في هذا اليوم وخرجنا نتمشى الليلة واذا بكم قد اقبلتم فجاء هؤلاء وقبضوا علينا واوقفونا بين يديك وهذا خبرنا فقال الخليفة الثاني لا بأس عليكم لانكم قوم غرباء ولو كنتم من بغداد ضربت اعناقكم ثم التفت الى وزيره وقال له خذ هؤلاء صحبتك فانهم ضيوفنا في هذه الليلة فقال سمعا وطاعة لك يا مولانا ثم ساروهم معه الى ان وصلوا

الى قصر عال عظيم الشان محكم البنيان ماحوا دسلطان قام من التراب وتعلق باكناف السحاب وبابه من خشب الساج مرصع بالذهب الوهاج يصل منه الداخل الى ايوان بفسقية وشاذروان وبسط ومخدات ومن الديباج نمارق وطوالات وهناك ستر مسبول وفرش يذهل العقول ويعجز من يقول وعلى الباب مكتوب هذان البيتان

قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام
فيه العجائب والغرائب نوعت * فتحيرت فى فنها الاقلام

ثم دخل الخليفة الثانى والجماعة صحبته الى ان جلس على كرسى من الذهب مرصع بالجواهر وعلى الكرسى سجادة من الحرير الاصفر وقد جلست الندماء ووقف سيف النقمة بين يديه فمدوا السماط واكلوا ورفعت الاوانى وغسلت الايادى واحضروا آلة المدام واصطفت القنانى والكاسات ودار الدور الى ان وصل الى الخليفة هارون الرشيد فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثانى لجعفر ما بال صاحبك لا يشرب فقال يا مولاى ان له مدة ما شرب من هذا فقال الخليفة الثانى عندى مشروب غير هذا يصلح لصاحبك وهو من شراب التفاح ثم امر به فاحضروه فى الحال فتقدم الخليفة الثانى بين يدى هارون الرشيد وقال له كلما وصل اليك الدور فاشرب من هذا الشراب ولا زالوا فى انشراح وتعاطى اقداح الراح الى ان تمكن الشراب من رؤسهم واستولى على عقولهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة الثانى هو وجلساؤه ما زالوا يشربون حتى تمكن الشراب من رؤسهم واستولى على عقولهم فقال الخليفة هارون الرشيد لوزيره يا جعفر والله ما عندنا آنية مثل هذه الانية فيا ليت شعرى ما شأن هذا الشاب فبينما هما يتحدثان سرا اذ لاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يسارر مع الخليفة فقال ان المساررة عربدة فقال الوزير ما ثم عربدة الا ان رفيقى هذا يقول انى سافرت الى غالب البلاد ونادمت اكابر الملوك وعاشرت الاجناد فما رأيت احسن من هذا النظام ولا ابهج من هذه الليلة غير ان اهل بغداد يقولون الشراب بلا سماع ربما اورث الصداع فلما سمع الخليفة الثانى ذلك الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة واذا بباب فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من العاج مصفحا بالذهب الوهاج وخلفه جارية بارعة فى الحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسى وجلست عليه الجارية وهى كالشمس الضاحية فى السماء الصاحية وبيدها عود عمل صناع الهنود فوضعته فى حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وغنت عليه بعد ان طربت وقلبت اربعا وعشرين طريقة حتى اذهلت العقول ثم عادت الى طريقتها الاولى واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

لسان الهوى فى مهجتى لك ناطق * يخبر عنى اننى لك عاشق
ولى شاهد من حر قلب معذب * وطرف قريح والدموع سوابق
وما كنت ادرى قبل حبك ما الهوى * ولكن قضاء الله فى الخلق سابق

فلما سمع الخليفة الثانى هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التى كانت عليه الى الذيل وسبلت عليه الستارة واتوه ببدلة غيرها احسن منها فلبسها ثم جلس على عادته فلما وصل اليه القدح ضرب

بالقضيب على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من الذهب وخلفه جارية احسن من الجارية الاولى فجلست على ذلك الكرسي وبيدها عود بكمد قلب الحسود فغنت عليه بهذين البيتين

كيف اصطباري ونار الشوق في كبدي * والدمع من مقلتي طوفان للابد
والله ماطاب لي عيش امرّ به * فكيف يفرح قلب حشوه كمدي

فلما سمع الشاب هذا الشعر صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب الى الذيل وانسبلت عليه الستارة واتوه ببدلة اخرى فلبسها واستوى جالسا ورجع الى حالته الاولى وانبسط في الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب على المدورة فخرج خادم ووراءه جارية احسن من التي قبلها ومعه كرسي فجلست الجارية على الكرسي وبيدها عود فغنت عليه بهذه الابيات

اقصروا هجركم وقلوا جفاكم * ففؤادي وحقكم ما سلاكم
وارحموا مدنفا كئيبا حزينا * ذا غرام متيما في هواكم
قد برته السقام من فرط وجد * فتمنى من الاله رضاكم
يابدورا محلهم في فؤادي * كيف اختار في الانام سواكم

فلما سمع الشاب هذه الابيات صرخ صرخة عظيمة وشق ما كان عليه من الثياب فارخوا عليه الستارة واتوه بثياب غيرها ثم عاد الى حالته مع ندمائه ودارت الاقداح فلما وصل القدح اليه ضرب على المدورة فانفتح الباب وخرج منه غلام معه كرسي وخلفه جارية فنصب لها الكرسي وجلست عليه واخذت العود واصلحته وغنت عليه بهذه الابيات

حتى متى ينقضي التهاجر والقلا * ويعود لي ما قد مضى لي اولا
من امس كنا والديار تلمنا * في انس ونرى الحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرق شملنا * من بعد ما ترك المنازل كالخلا
اتروم مني يا عذولي سلوة * واري فؤادي لا يطيع العذلا
فدع الملام وخلني بصبابتي * فالقلب من انس الاحبة ما خلا
ياسادة نقضوا العهود وبدلوا * لا تحسبوا قلبي ببعدكم سلا

فلما سمع الخليفة الثاني انشاد الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية التسعين بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة الثاني لما سمع شعر الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق ما عليه من الثياب وخر مغشيا عليه فارادوا ان يرخوا عليه الستارة بحسب العادة فتوقفت حبالها فلاحت من هارون الرشيد التفاتة اليه فنظر على بدنه آثار ضرب مقارع فقال الرشيد بعد النظر والتأكيد يا جعفر والله انه شاب مليح الا انه لص قبيح فقال جعفر من اين عرفت ذلك يا امير المؤمنين فقال اما رأيت ما على جنبيه من اثر السياط ثم اسبلوا عليه الستارة واتوه ببدلة غير التي كانت عليه فلبسها واستوى جالسا على حالته الاولى مع الندماء فلاحت منه التفاتة فوجد الخليفة وجعفر يتحدثان سرا فقال لهما

ما الخبر يافتيان فقال جعفر يامولانا خير غير انه لا خفاء عليك ان رفيق هذا من التجار وقد سافر جميع الامصار والاقطار وصحب الملوك والاخيار وهو يقول لى ان الذى حصل من مولانا الخليفة فى هذه الليلة اسراف عظيم ولم ار احدا فعل مثل فعله فى سائر الاقاليم لانه شق كذا وكذا بدلة كل بدلة بالالف دينار وهذا اسراف زائد فقال الخليفة الثانى ياهذا ان المال مالى والقماش قماشى وهذا من بعض الانعام على الخدام والحواشى فان كل بدلة تشققها لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم مع كل بدلة بخمسمائة دينار فقال الوزير جعفر نعم مافعلت يامولانا ثم انشد هذين البيتين

بنت المكارم وسط كفك منزلا * وجعلت مالك للانام مباحا
فاذا المكارم اغلقت ابوابها * كانت يداك لقفلها مفتاحا

فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بالف دينار وبدلة ثم دارت بينهم الاقداح وطاب لهم الراح فقال الرشيد ياجعفر اسأله عن الضرب الذى على جنبيه حتى ننظر مايقول فى جوابه فقال لاتعجل يامولانا وترفق بنفسك فان الصبر اجمل فقال وحياة رأسى وتربة العباس ان لم تسأله لاخمدن منك الانفاس فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال له مالك مع رفيقك تتساروان فاخبرنى بشأنكما فقال خير فقال الشاب سألتك بالله ان تخبرنى بخبركم ولاتكتم عنى شيأ من امركم فقال يامولاى انه ابصر على جنبيك ضربا واثر سياط ومقارع فتعجب من ذلك غاية العجب وقال كيف يضرب الخليفة وقصده ان يعلم ماالسبب فلما سمع الشاب ذلك تبسم وقال اعلموا ان حديثى غريب وامرى عجيب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

حديثى عجيب فاق كل العجائب * وحق الهوى ضاقت على مذاهبى
فان شئتموا ان تسمعوا لى فأنصتوا * ويسكت هذا الجمع من كل جانب
وأصغوا الى قولى ففيه اشارة * وان كلامى صادق غير كاذب
فانى قتيل من غرام ولوعة * وقاتلتى فاقت جميع الكواعب
لها مقلة كحلاء مثل مهند * وترمى سهاما عن قسى الحواجب
وقد حس قلبى ان فيكم امامنا * خليفة هذا الوقت وابن الاطايب
وثانيكم وهو المنادى بجعفر * لديه وزير صاحب وابن صاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة * فان كان هذا القول ليس بكاذب
لقد نلت ماارجو من الامر كله * وجاء سرور القلب من كل جانب

فلما سمعوا منه هذا الكلام حلف له جعفر وورى فى يمينه انهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال اعلموا ياسادتى انى لست امير المؤمنين وانما سميت نفسى بهذا الاسم لابلغ ماارید من اولاد المدينة وانما اسمى محمد على بن على الجوهرى وكان ابى من الاعيان فمات وخلف لى مالا كثيرا من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وزبرجد وجواهر وعقارات وحمامات وغيطان وبساتين ودكاكين وطوابين وعبيد وجوار وغلمان فاتفق فى بعض الايام انى كنت جالسا فى دكانى وحولى الخدم والحشم واذا بجارية قد اقبلت راكبة على بغلة وفى خدمتها ثلاث جوار كانهن الاقمار فلما قربت منى نزلت على دكانى وجلست عندى وقالت لى هل انت محمد الجوهرى فقلت لها نعم هو انا مملوكك وعبدك فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لى فقلت ياسيدتى الذى عندى اعرضه عليك واحضره بين يديك فان اعجبك منه شئ كان

بسعد المملوك وان لم يعجبك شيء فبسوء حظى وكان عندى مائة عقد من الجوهر فعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيء من ذلك وقالت اريد احسن مما رأيت وكان عندى عقد صغير اشتراه والدى بمائة الف دينار ولم يوجد مثله عند احد من السلاطين الكبار فقلت لها يا سيدتى بقى عندى عقد الفصوص والجواهر الذى لا يملك مثله احد من الاكابر والاصاغر فقالت لى ارنى اياه فلما رأته قالت هذا مطلوبى وهو الذى طول عمرى اتمناه ثم قالت لى كم ثمنه فقلت لها ثمنه على والدى مائة الف دينار فقالت ولك خمسة الاف دينار فائدة فقلت يا سيدتى العقد وصاحبه بين يديك ولا خلاف عندى فقالت لابد من الفائدة ولك المنه الزائدة ثم قامت من وقتها وركبت البغلة بسرعة وقالت لى يا سيدى بسم الله تفضل صحبتنا لتأخذ الثمن فان نهارك اليوم مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معها فى امان الى ان وصلنا الى الدار فوجدتها دارا عليها آثار السعادة لايحة وبابها مزركش بالذهب والفضة واللازورد ومكتوب عليه هذين البيتين

الا يا دار لا يدخلك حزن ✻ ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف ✻ اذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وامرتنى بالجلوس على مصطبة الباب الى ان يأتى الصيرفى فجلست على باب الدار ساعة واذا بجارية خرجت الىّ وقالت لى يا سيدى ادخل الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت ودخلت الدهليز وجلست على الدكة فبينما انا جالس واذا بجارية خرجت الىّ وقالت لى يا سيدى ان سيدتى تقول لك ادخل واجلس على باب الايوان حتى تقبض مالك فقمت ودخلت البيت وجلست لحظة واذا بكرسى من الذهب وعليه ستارة من الحرير واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التى اشترت منى ذلك العقد وقد اسفرت عن وجه كانه دائرة القمر والعقد فى عنقها فطاش عقلى واندهش لبى من رؤية تلك الجارية لفرط حسنها وجمالها فلما رأتنى قامت من فوق الكرسى وسعت الى نحوى وقالت لى يا نور عينى هل كل من كان مليحا مثلك ما يرق لمحبوبته فقلت يا سيدتى الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت يا جوهرى اعلم انى احبك وما صدقت انى اجيء بك عندى ثم انها مالت علىّ فقبلتها وقبلتنى والى جهتها جذبتنى وعلى صدرها رمتنى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجوهرى قال ثم انها مالت علىّ وقبلتنى والى جهتها جذبتنى وعلى صدرها رمتنى وعلمت من حالى انى اريد وصالها فقالت يا سيدى اتريد ان تجتمع بى فى الحرام والله لا كان من يفعل مثل هذه الآثام ورضى بقبيح الكلام فانى بكر عذراء ما دنا منى احد ولست مجهولة فى البلد اتعلم من انا فقلت لا والله يا سيدتى فقالت انا السيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكى واخى جعفر وزير الخليفة فلما سمعت ذلك منها احجمت بخاطرى عنها وقلت لها يا سيدتى مالى ذنب فى التهجم عليك انت التى اطمعتينى فى وصالك بالوصول اليك فقالت لا بأس عليك ولابد من بلوغك المراد بما يرضى الله فان امرى بيدى والقاضى ولى عقدى وانا قصدى ان اكون لك اهلا وتكون لى بعلا ثم انها دعت بالقاضى والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم محمد على بن على الجوهرى قد طلب زواجى ودفع لى هذا

العقد في مهري واناقبلت ورضيت فكتبوا كتابها عليه ودخل بها واحضرت آلات الراح ودارت الاقداح باحسن نظام واتم احكام ولما شعشعت الخمرة في رؤسنا امرت جارية عودة ان تغني فاخذت العود واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

بدا فاراني الظبي والغصن والبدرا * فتبا لقلب لا يبيت به مغرى
مليح اراد الله اطفاء فتنة * بعارضه فاستأنفت فتنة اخرى
اغالط عذالي اذا ذكروا له * حديثا كأني لا احب له ذكرا
واصغي اذا ذكروا الغير حديثه * بسمعي ولكني اذوب به فكرا
نبي جمال كل ما فيه معجز * من الحسن لكن وجهه الاية الكبرى
اقام بلال الخال في صحن خده * يراقب من لالاء غرته الفجرا
تريد سلوي العاذلون جهالة * وما كنت ارضى بعد ايماني الكفرا

فاطربت الجارية بما ابدته من نغمات الاوتار ورقيق الاشعار ولم تزل الجواري تغني جارية بعد جارية وينشدن الاشعار الى ان غنت عشر جوار وبعد ذلك اخذت السيدة دنيا العود واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

قسما بلين قوامك المياس * انى لنار الهجر منك اقاسي
فارحم حشى بلظى هواك تسعرت * يا بدر تم في دجى الاغلاس
انعم بوصلك لي فاني لم ازل * اجلو جمالك في ضياء الكاس
ما بين ورد نوعت الوانه * وزهت محاسنه خلال الاس

فلما فرغت من شعرها اخذت العود منها وضربت عليه غريب الضربات وغنيت بهذه الابيات

سبحان رب بجميع الحسن اعطاك * حتى بقيت انا من بعض اسراك
يا من لها ناظر تسبي الانام به * سلي الامان لنا من سهم مرماك
ضدان ماء ونار في سنا لهب * حوتهما بغريب الشكل خداك
انت السعير بقلبي والنعيم له * فما امرك في قلبي واحلاك

فلما سمعت مني هذا المغنى فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجواري وقمنا الى احسن مكان قد فرش لنا فيه فرش من سائر الالوان ونزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها درة لم تثقب ومهرة لم تركب ففرحت بها ولم ارق عمري ليلة اطيب من تلك الليلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان محمد بن علي الجوهري قال لما دخلت بالسيدة دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي رأيتها درة لم تثقب ومهرة لم تركب فانشدت هذين البيتين

طوقته طوق الحمام بساعدي * وجعلت كفي للثام مباحا
هذا هو الفوز العظيم ولم نزل * متعانقين فلا نريد براحا

ثم اقمت عندها شهرا كاملا وقد تركت الدكان والاهل والاوطان فقالت لي يوما من الايام يا نور العين يا سيدي

محمد انى قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام فاستقر انت على هذا السرير ولا تنتقل من مكانك الى ان ارجع اليك وحلفتنى على ذلك فقلت لها سمعا وطاعة ثم انها حلفتنى انى لا انتقل من موضعى واخذت جواريها وذهبت الى الحمام فوالله يا اخوانى ما لحقت ان تصل الى رأس الزقاق الا والباب قد فتح ودخلت منه عجوز وقالت يا سيدى محمد ان السيدة زبيدة تدعوك فانها سمعت بادبك وظرفك وحسن غنائك فقلت لها والله ما اقوم من مكانى حتى تأتى السيدة دنيا فقالت العجوز يا سيدى لا تخل السيدة زبيدة تغضب عليك وتبقى عدوتك فقم كلمها وارجع الى مكانك فقمت من وقتى وتوجهت اليها والعجوز امامى الى ان وصلتنى الى السيدة زبيدة فلما وصلت اليها قالت لى يا نور العين هل انت معشوق السيدة دنيا فقلت انا مملوكك وعبدك فقالت صدق الذى وصفك بالحسن والجمال والادب والكمال فانك فوق الوصف والمقال ولكن غن لى حتى اسمعك فقلت لها سمعا وطاعة فاتتنى بعود فغنيت عليه بهذه الابيات

قلب المحب مع الاحباب متعوب * وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما فى الرحال وقد زمت ركائبهم * الا محب له فى الركب محبوب
استودع الله فى اطنابكم قمرا * يهواه قلبى وعن عينى محجوب
يرضى ويغضب ما احلى تدلله * وكل ما يفعل المحبوب محبوب

فلما فرغت من المغنى قالت لى اصح الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والادب والمغنى فقم وامض الى مكانك قبل ان تجىء السيدة دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت الارض بين يديها وخرجت والعجوز امامى الى ان وصلت الى الباب الذى خرجت منه فدخلت وجئت الى السرير فوجدتها قد جاءت من الحمام وهى نائمة على السرير فقعدت عند رجليها وكبستهما ففتحت عينيها فرأتنى فجمعت رجليها ورفصتنى فرمتنى من فوق السرير وقالت لى يا خائن خنت اليمين وحنثت فيه ووعدتنى انك لا تنتقل من مكانك واخلفت الوعد وذهبت الى السيدة زبيدة والله لولا خوفى من الفضيحة لهدمت قصرها على رأسها ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا الخائن الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عينى واراد ان يضرب عنقى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان محمدا الجوهرى قال فتقدم العبد وشرط من ذيله رقعة وعصب بها عينى واراد ان يضرب عنقى فقامت اليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها يا سيدتنا ليس هذا اول من اخطأ وهو لا يعرف خلقك وما فعل ذنبا يوجب القتل فقالت والله لابد ان اعمل فيه اثرا ثم امرت بضربى فضربونى على اضلاعى وهذا الذى رأيتموه اثر ذلك الضرب وبعد ذلك امرت باخراجى فاخرجونى وابعدونى عن القصر ورمونى فحملت نفسى ومشيت قليلا قليلا حتى وصلت الى منزلى واحضرت جرائحيا واريته الضرب فلاطفنى وسعى فى مداواتى فلما شفيت ودخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام جئت الى الدكان واخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت لى اربعمائة مملوك ما جمعهم احد من الملوك وصار يركب معى منهم فى كل يوم مائتان وعملت هذا الزورق وصرفت عليه خمسة الاف دينار من الذهب وسميت نفسى بالخليفة ورتبت من معى من الخدم كل واحد فى وظيفة واحد من اتباع الخليفة وهيأته بهيئته وناديت كل من تفرج فى الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولى على هذا الحال سنة كاملة وانا لم اسمع

لها

لها خبر ولم اقف لها على اثر ثم انه بكى وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

والله ما كنت طول الدهر ناسيها * ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر فى تكوين خلقتها * سبحان خالقها سبحان باريها
قد صيرتنى حزينا ساهرا دنفا * والقلب قد حار منى فى معانيها

فلما سمع هارون الرشيد كلامه وعرف وجده ولوعته وغرامه تدله ولها وتحير عجبا وقال سبحان الله الذى جعل لكل شئ سببا ثم انهم استأذنوا الشاب فى الانصراف فاذن لهم واضمر له الرشيد على الانصاف وان يتحفه غاية الاتحاف ثم انصرفوا من عنده سائرين والى محل الخلافة متوجهين فلما استقر بهم الجلوس وغيروا ما عليهم من الملبوس ولبسوا اثواب المواكب ووقف بين يديهم مسرور سياف النقمة قال الخليفة لجعفر يا وزير على بالشاب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة قال للوزير على بالشاب الذى كنا عنده فى الليلة الماضية فقال سمعا وطاعة ثم توجه اليه وسلم عليه وقال له اجب امير المؤمنين الخليفة هارون الرشيد فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه فى حصر فلما دخل على الخليفة قبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والاقبال وبلوغ الامال ودوام النعم وازالة البؤس والنقم وقد احسن ما به تكلم حيث قال السلام عليك يا امير المؤمنين وحامى حومة الدين ثم انشد هذين البيتين

لا زال بابك كعبة مقصودة * وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادى فى البلاد باسرها * هذا المقام وانت ابراهيم

فتبسم الخليفة فى وجهه ورد عليه السلام والتفت اليه بعين الاكرام وقربه لديه واجلسه بين يديه وقال له يا محمد على اريد منك ان تحدثنى بما وقع لك فى هذه الليلة فانه من العجائب وبديع الغرائب فقال الشاب العفو يا امير المؤمنين اعطنى منديل الامان ليسكن روعى ويطمئن قلبى فقال له الخليفة لك الامان من الخوف والاحزان فشرع الشاب يحدثه بالذى حصل له من اوله الى آخره فعلم الخليفة ان الصبى عاشق وللمعشوق مفارق فقال له اتحب ان اردها عليك قال هذا من فضل امير المؤمنين ثم انشد هذين البيتين

الثم انامله فلسن انامـلا * لكنهن مفاتح الارزاق
واشكر صنائعه فلسن صنائعا * لكنهن قلائد الاعناق

فعند ذلك التفت الخليفة الى الوزير وقال له يا جعفر احضر لى اختك السيدة دنيا بنت الوزير يحيى بن خالد فقال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ثم احضرها فى الوقت والساعة فلما تمثلت بين يديه قال لها الخليفة اتعرفين من هذا قالت يا امير المؤمنين من اين للنساء معرفة الرجال فتبسم الخليفة وقال لها يا دنيا هذا حبيبك محمد على بن الجوهرى وقد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من اولها الى آخرها وفهمنا ظاهرها وباطنها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت يا امير المؤمنين كان ذلك فى الكتاب مسطورا وانا استغفر الله العظيم مما جرى منى واسألك من فضلك العفو عنى فضحك الخليفة هارون الرشيد واحضر القاضى والشهود وجدد عقدها على زوجها محمد على بن الجوهرى وحصل لها وله سعد السعود واكماد الحسود وجعله من جملة ندمائه واستمروا فى سرور ولذة وحبور الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق

الجماعات   ومما يحكى ايضا ان الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة من الليالى فاستدعى بوزيره فلما حضر بين يديه قال له يا جعفر انى قلقت الليلة قلقا عظيما وضاق صدرى واريد منك شيأ يسر خاطرى وينشرح به صدرى فقال له جعفر يا امير المؤمنين ان لى صديقا اسمه على العجمى وعنده من الحكايات والاخبار المطربة ما يسر النفوس ويزيل عن القلب البؤس فقال على به فقال سمعا وطاعة ثم ان جعفر خرج من عند الخليفة فى طلب العجمى فارسل خلفه فلما حضر قال له اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العجمى قال سمعا وطاعة ثم توجه معه الى الخليفة فلما تمثل بين يديه اذن له فى الجلوس فجلس فقال له الخليفة يا على انه ضاق صدرى فى هذه الليلة وقد سمعت عنك انك تحفظ حكايات واخبارا واريد منك ان تسمعنى ما يزيل همى ويصقل فكرى فقال يا امير المؤمنين هل احدثك بالذى رأيته بعينى او بالذى سمعته باذنى فقال ان كنت رأيت شيأ فاحكه فقال سمعا وطاعة اعلم يا امير المؤمنين انى سافرت فى بعض السنين من بلدى هذه وهى مدينة بغداد وصحبتى غلام ومعه جراب لطيف ودخلنا مدينة فبينما انا ابيع واشترى واذا برجل كردى ظالم متعد قد هجم على واخذ منى الجراب وقال هذا جرابى وكل ما فيه متاعى فقلت يا معشر المسلمين خلصونى من يد افجر الظالمين فقال الناس جميعا اذهبا الى القاضى واقبلا حكمه بالتراضى فتوجهنا الى القاضى وانا بحكمه راضى فلما دخلنا عليه وتمثلنا بين يديه قال القاضى فى اى شئ جئتما وما قضيتكما فقلت نحن خصمان اليك تداعينا وبحكمك تراضينا فقال ايكما المدعى فتقدم الكردى وقال ايد الله مولانا القاضى ان هذا الجراب جرابى وكل ما فيه متاعى وقد ضاع منى ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضى ومتى ضاع منك فقال الكردى من امس هذا اليوم وبت لفقده بلا نوم فقال القاضى ان كنت عرفته فصف لى ما فيه فقال الكردى فى جرابى هذا مرودان من لجين وفيهما اكحال للعين ومنديل لليدين ووضعت فيه شربتين مذهبتين وشمعدانين وهو مشتمل على خيمتين وطبقين ومعلقتين ومخدة ونطعين وابريقين وصينية وطشتين وقدرة وزلعتين ومغرفة ومسلة ومزودين وهرة وكلبتين وقصعة وقعيدتين وجبة وفروتين وبقرة وعجلين وعنزة وشاتين ونعجة وسخلين وصيوانين اخضرين وجمل وناقتين وجاموسة وثورين ولبوة وسبعين ودبة وثعلبين ومرتبة وسريرين وقصر وقاعتين ورواق ومقعدين ومطبخ ببابين وجماعة اكراد يشهدون ان الجراب جرابى فقال القاضى ما تقول انت يا هذا فتقدمت اليه يا امير المؤمنين وقد ابهتنى الكردى بكلامه فقلت اعز الله مولانا القاضى انا ما فى جرابى هذا الا دويرة خراب واخرى بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون بالكعاب وفيه خيام واطناب ومدينة البصرة وبغداد وقصر شداد بن عاد وكور حداد وشبكة صياد وعصى واوتاد وبنات واولاد والف قواد يشهدون ان الجراب جرابى فلما سمع الكردى هذا الكلام بكى وانتحب وقال يا مولانا القاضى ان جرابى هذا معروف وكل ما فيه موصوف فى جرابى هذا حصون وقلاع وكراكى وسباع ورجال يلعبون بالشطرنج والرقاع وفى جرابى هذا حجرة ومهران وفحل وحصانان ورمحان طويلان وهو مشتمل على سبع وارنبين ومدينة وقريتين وقحبة وقوادين شاطرين ومخنث وعلقين واعمى وبصيرين واعرج ومكسحين وقسيس وشماسين وبترك وراهبين وقاضى

وشاهدين

وشاهدين وهم يشهدون ان الجراب جرابي فقال القاضي ماتقول ياعلي فامتلأت غيظا ياامير المؤمنين وتقدمت اليه وقلت ايد الله مولانا القاضي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجمي قال فامتلأت غيظا ياامير المؤمنين وتقدمت اليه وقلت ايد الله مولانا القاضي انا في جرابي هذا زردوصفاح وخزائن سلاح والف كبش نطاح وفيه للغنم مراح والف كلب نباح وبساتين وكروم وازهار ومشموم وتين وتفاح وصور واشباح وقناني واقداح وعرايس ملاح ومغاني وافراح وهرج وصياح واقطار فساح واخوة نجاح ورفقة صباح ومعهم سيوف ورماح وقسي ونشاب واصدقاء واحباب وخلان واصحاب ومحابس للعقاب وندماء للشراب وطنبور ونايات واعلام ورايات وصبيان وبنات وعرايس مجليات وجوار مغنيات وخمس حبشيات وثلاث هنديات واربع مدنيات وعشرون روميات وخمسون تركيات وسبعون عجميات وثمانون كرديات وتسعون جرجيات والدجلة والفرات وشبكة صياد وقداحة وزناد وارم ذات العماد والف علق وقواد وميادين واصطبلات ومساجد وحمامات وبناء ونجار وخشبة ومسمار وعبد اسود بزمار ومقدم وركبدار ومدن وامصار ومائة الف دينار والكوفة مع الانبار وعشرون صندوقا ملآنة بالقماش وخمسون حاصلا للمعاش وغزة وعسقلان ومن دمياط الى اصوان وايوان كسرى انوشروان وملك سليمان ومن وادي نعمان الى ارض خراسان وبلخ واصبهان ومن الهند الى بلاد السودان وفيه اطال الله عمر مولانا القاضي غلائل وعراضي والف موسى ماضي تحلق ذقن القاضي ان لم يخش عقابي ولم يحكم بان الجراب جرابي فلما سمع القاضي كلام الكردي تحير عقله من ذلك وقال ماارا كما الا شخصين نحسين اورجلين زنديقين تلعبان بالقضاة والحكام ولا تخشيان من الملام لانه ماوصف الواصفون ولا سمع السامعون باعجب مما وصفتم ولا تكلم بمثل ماتكلمتم والله ان من الصين الى شجرة ام غيلان ومن بلاد فارس الى ارض السودان ومن وادي نعمان الى ارض خراسان لايسع ماذكرتماه ولا يصدق ماادعيتماه فهل هذا الجراب بحر ليس له قرار اويوم العرض الذي يجمع الابرار والفجار ثم ان القاضي امر بفتح الجراب ففتحته واذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون ثم رميت الجراب قدام الكردي ومضيت فلما سمع الخليفة هذه الحكاية من علي العجمي استلقى على قفاه من الضحك واحسن جائزته

ومما يحكى ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال الرشيد ياجعفر بلغني انك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة اطلبها فانها على غاية من الجمال وقلبي يحبها في اشتغال فبعها لي فقال لا ابيعها ياامير المؤمنين فقال هبها لي فقال لا اهبها فقال الرشيد زبيدة طالق ثلاثا ان لم تبعها لي او تهبها لي فقال جعفر زوجتي طالق ثلاثا ان بعتها او وهبتها لك ثم افاقا من نشوتهما وعلما انهما وقعا في امر عظيم وعجزا عن تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير ابي يوسف فطلبوه وكان ذلك في نصف الليل فلما جاءه الرسول قام فزعا وقال في نفسه ماطلبت في هذا الوقت الا لامر حدث في الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته وقال لغلامه خذ معك مخلاة البغلة لعلها لم تستوف عليقها فاذا دخلنا دار الخلافة فضع لها المخلاة حتى تأكل مابقي من عليقها الى حين خروجي اذا لم تستوف عليقها في هذه الليلة فقال الغلام سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد قام له واجلسه على سريره بجانبه وكان لايجلس معه احدا غيره وقال له ماطلبناك

فى هذا الوقت الالامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فى تدبير الحيلة فقال يا امير المؤمنين ان هذا الامر اسهل مايكون ثم قال يا جعفر بع لامير المؤمنين نصفها وهب له نصفها وتبران فى يمينكما بذلك فانسر امير المؤمنين بذلك وفعلا ما امرهما به ثم قال الرشيد احضروا الجارية فى هذا الوقت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد قال احضروا الجارية فى هذا الوقت فانى شديد الشوق اليها فاحضروها وقال للقاضى ابى يوسف اريد وطئها فى هذا الوقت فانى لا اطيق الصبر عنها الى مضى مدة الاستبراء وما الحيلة فى ذلك فقال ابو يوسف ائتونى بمملوك من مماليك امير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق فاحضروا مملوكا فقال ابو يوسف ائذن لى ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول فيحل وطؤها فى هذا الوقت من غير استبراء فاعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فلما حضر المملوك قال الخليفة للقاضى اذنت لك فى العقد فاوجب القاضى النكاح ثم قبله المملوك وبعد ذلك قال له القاضى طلقها ولك مائة دينار فقال لا افعل ولم يزل يزيده وهو يمتنع الى ان عرض عليه الف دينار ثم قال للقاضى هل الطلاق بيدى ام بيدك ام بيد امير المؤمنين قال بل بيدك قال والله لا افعل ابدا فاشتد غضب امير المؤمنين وقال ما الحيلة يا ابا يوسف قال القاضى ابو يوسف يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك هذا المملوك للجارية قال ملكته لها قال لها القاضى قولى قبلت فقالت قبلت فقال القاضى حكمت بينهما بالتفريق لانه دخل فى ملكها فانفسخ النكاح فقام امير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا فى زمانى واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضى هل معك شئ تضعه فيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فاخذها وانصرف الى بيته فلما اصبح الصباح قال لاصحابه لا طريق الى الدين والدنيا اسهل واقرب من طريق العلم فانى اعطيت هذا المال العظيم فى مسألتين او ثلاث فانظر ايها المتادب الى لطف هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن منها دلال الوزير على الرشيد وعلم الخليفة وزيادة علم القاضى فرحم الله تعالى ارواحهم اجمعين ومما يحكى ان خالدا ابن عبد الله القشيرى كان امير البصرة فجاء اليه جماعة متعلقون بشاب ذى جمال باهر وادب ظاهر وعقل وافر وهو حسن الصورة طيب الرائحة وعليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص اصبناه البارحة فى منزلنا فنظر اليه خالد فاعجبه حسن هيئته ونظافته فقال اخلوا عنه ثم دنا منه وسأله عن قصته فقال ان القوم صادقون فيما قالوه والامر على ما ذكروا فقال له خالد ما حملك على ذلك وانت فى هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملنى على ذلك الطمع فى الدنيا وقضاء الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك امك اما كان لك فى جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر يزجرك عن السرقة قال دع عنك هذا ايها الامير وامض الى ما امر الله تعالى به فذلك بما كسبت يداى وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر فى امر الفتى ثم ادناه منه وقال له ان اعترافك على رؤس الاشهاد قد رابنى وانا ما اظنك سارقا ولعل لك قصة غير السرقة فاخبرنى بها قال ايها الامير لا يقع فى نفسك شئ سوى ما اعترفت به عندك وليس لى قصة اشرحها الا انى دخلت دار هؤلاء فسرقت ما امكننى فادركونى واخذوه منى وحملونى اليك فامر خالد بحبسه وامر مناديا ينادى بالبصرة الا من

احب ان ينظر الى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغداة الى المحل الفلانى فلما استقر الفتى فى الحبس ووضعوا فى رجليه الحديد تنفس الصعداء وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

هددنى خالد بقطع يدى * اذ لم ابح عنده بقصتها
فقلت هيهات ان ابوح بما * تضمن القلب من محبتها
قطع يدى بالذى اعترفت به * اهون للقلب من فضيحتها

فسمع ذلك الموكلون به فاتوا خالدا واخبروه بما حصل منه فلما جن الليل امر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه عاقلا اديبا فطنا ظريفا لبيبا فامر له بطعام فاكل وتحدث معه ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لك قصة غير السرقة فاذا كان الصباح وحضر الناس وحضر القاضى وسألك عن السرقة فانكرها واذكر ما يدرء عنك حد القطع فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ثم امر به الى السجن وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان خالدا بعد ان تحدث مع الشاب امر به الى السجن فمكث فيه ليلته فلما اصبح الصباح حضرت الناس ينظرون قطع يد الشاب ولم يبق احد فى البصرة من رجل ولا امرأة الا وقد حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه اهل البصرة وغيرهم ثم استدعى بالقضاة وامر باحضار الفتى فاقبل يحجل فى قيوده ولم يره احد من الناس الا بكى عليه وارتفعت اصوات النساء بالنحيب فامر القاضى بتسكيت النساء ثم قال له ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت مالهم لعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصابا كاملا قال له لعلك شريك القوم فى شئ منه قال بل هو جميعه لهم لا حق لى فيه فغضب خالد وقام اليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت

يريد المرء ان يعطى مناه * ويابى الله الا ما يريد

ثم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر واخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين فبادرت جارية من وسط النساء عليها اطمار وسخة فصرخت ورمت نفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه القمر وارتفع للناس ضجة عظيمة وكاد ان يقع بسبب ذلك فتنة طائرة الشرر ثم نادت تلك الجارية باعلى صوتها ناشدتك الله ايها الامير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت اليه رقعة ففضها خالد وقرأها فاذا مكتوب فيها هذه الابيات

اخالد هذا مستهام متيم * رمته لحاظى عن قسى الحمالق
فاصماه سهم اللحظ منى لانه * حليف جوى من دائه غير فائق
اقر بما لم يقترفه كانه * رأى ذاك خيرا من هتيكة عاشق
فمهلا عن الصب الكئيب فانه * كريم السجايا فى الورى غير سارق

فلما قرأ خالد الابيات تنحى وانفرد عن الناس واحضر المرأة ثم سألها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهى عاشقة له وانما اراد زيارتها فتوجه الى دار اهلها ورمى حجرا فى الدار ليعلمها بمجيئه فسمع ابوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما احس بهم جمع قماش البيت كله واراهم انه سارق سترا

على معشوقته فلما رأوه على هذه الحالة اخذوه وقالوا هذا سارق واتوا به اليك فاعترف بالسرقة واصر على ذلك حتى لا يفضحني وقد ارتكب هذه الامور من رمى نفسه بالسرقة لفرط مروءته وكرم نفسه فقال خالد انه لخليق بان يسعف بمراده ثم استدعى الفتى اليه فقبله بين عينيه وامر باحضار ابي الجارية وقال له يا شيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع ولكن الله عز وجل قد حفظني من ذلك وقد امرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده حفظا لعرضك وعرض بنتك وصيانتكما من العار وقد امرت لابنتك بعشرة آلاف درهم حيث اخبرتني بحقيقة الامر وانا اسألك ان تأذن لي في تزويجها منه فقال الشيخ ايها الامير قد اذنت لك في ذلك فحمد الله خالد واثنى عليه وخطب خطبة حسنة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد المائتين

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان خالدا حمد الله واثنى عليه وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضاها واذن ابيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج ثم ان خالدا امر بحمل المال الى دار الفتى مزفوفا في الصواني وانصرف الناس وهم مسرورون فما رأيت يوما اعجب من ذلك اليوم اوله بكاء وشرور وآخره فرح وسرور وبما يحكى ان جعفر البرمكي لما صلبه هارون الرشيد امر بصلب كل من رثاه او بكاه فكف الناس عن ذلك فاتفق ان اعرابيا كان ببادية بعيدة وفي كل سنة يأتي بقصيدة الى جعفر البرمكي المذكور فيعطيه الف دينار جائزة على تلك القصيدة فيأخذها وينصرف ويستمر ينفق منها على عياله الى آخر العام فجاء ذلك الاعرابي بالقصيدة على عادته فلما جاء وجد جعفر مصلوبا فجاء الى المحل الذي هو مصلوب به واناخ راحلته وبكى بكاء شديدا وحزن حزنا عظيما وانشد القصيدة ونام فرأى جعفر البرمكي في المنام يقول له انك قد اتعبت نفسك وجئتنا فوجدتنا على ما رأيت ولكن توجه الى البصرة واسأل عن رجل اسمه كذا وكذا من تجار البصرة وقل له ان جعفر البرمكي يقرئك السلام ويقول لك اعطني الف دينار بامارة الفولة فلما انتبه الاعرابي من نومه توجه الى البصرة فسأل عن ذلك التاجر واجتمع به وبلغه ما قاله جعفر في المنام فبكى التاجر بكاء شديدا حتى كاد ان يفارق الدنيا ثم انه اكرم الاعرابي واجلسه عنده واحسن مثواه ومكث عنده ثلاثة ايام مكرما ولما اراد الانصراف اعطاه الفا وخمسمائة دينار وقال له الالف هي المأمور لك بها والخمسمائة اكرام مني اليك ولك في كل سنة الف دينار وعند انصرافه قال للتاجر بالله عليك ان تخبرني بخبر الفولة حتى اعرف اصلها فقال له انا كنت في ابتداء الامر فقير الحال اطوف بالفول الحار في شوارع بغداد وابيعه حيلة على المعاش فخرجت في يوم بارد ماطر وليس على بدني ما يقيني من البرد فتارة ارتعد من شدة البرد وتارة اقع في ماء المطر وانا في حالة كريهة تقشعر منها الجلود وكان جعفر في ذلك اليوم جالسا في قصر مشرف على الشارع وعنده خواصه ومحاظيه فوقع نظره علي فرق لحالي وارسل الي بعض اتباعه فاخذني اليه وادخلني عليه فلما رآني قال لي بع ما معك من الفول على جماعتي فاخذت اكيله بمكيال كان معي فكل من اخذ كيلة فول يملاها ذهبا حتى فرغ جميع ما معي ولم يبق في القفة شيء ثم جمعت الذهب الذي حصل لي على بعضه فقال لي هل بقي معك شيء من الفول قلت لا ادري ثم فتشت القفة فلم اجد فيها سوى فولة واحدة فاخذها مني جعفر وفلقها نصفين

فاخذ نصفها واعطى النصف الثانى لاحدى محاظيه وقال بكم تشترين نصف هذه القولة فقالت بقدر هذا الذهب مرتين فصرت متحيرا فى امرى وقلت فى نفسى هذا محال فبينما انا متعجب واذا بالحظية امرت بعض جواريها فاحضرت ذهبا قدر الذهب المجتمع مرتين فقال جعفر وانا اشترى النصف الذى اخذته بقدر الجميع مرتين ثم قال لى جعفر خذ ثمن قولك وامر بعض خدامه فجمع المال كله ووضعه فى قفتى فاخذته وانصرفت ثم جئت الى البصرة واتجرت بما معى من المال فوسع الله على ولله الحمد والمنة فاذا اعطيتك فى كل سنة الف دينار من بعض احسان جعفر ماضرنى شئ فانظر مكارم اخلاق جعفر والثناء عليه حيا وميتا رحمة الله تعالى عليه وحكي ان هارون الرشيد كان جالسا ذات يوم فى تخت الخلافة اذ دخل عليه غلام من الطواشية ومعه تاج من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وفيه من سائر اليواقيت والجواهر مالا يفى به مال ثم ان ذلك الرجل قبل الارض بين يدى الخليفة وقال له يا امير المؤمنين ان السيدة زبيدة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها اختها ما احسن حديثك واطيبه واحلاه واعذبه فقالت واين هذا مما احدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثمائة

قالت لها اختها يا اختى اتممى لنا حديثك قالت حبا وكرامة ان اذن لى الملك فقال الملك احكى يا شهرزاد قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الغلام قال للخليفة ان السيدة زبيدة تقبل الارض بين يديك وتقول لك انت تعرف انها قد عملت هذا التاج وانه محتاج الى جوهرة كبيرة تكون فى رأسه وفتشت ذخائرها فلم تجد فيها جوهرة كبيرة على غرضها فقال الخليفة للحجاب والنواب فتشوا على جوهرة كبيرة على غرض زبيدة ففتشوا فلم يجدوا شيأ يوافقها فاعلموا الخليفة بذلك فضاق صدره وقال كيف اكون خليفة وملك ملوك الارض واعجز عن جوهرة ويلكم فاسألوا التجار فسألوا التجار فقالوا لهم لا يجد مولانا الخليفة الجوهرة الا عند رجل من البصرة يسمى ابا محمد الكسلان فاخبروا الخليفة بذلك فامر وزيره جعفر ان يرسل بطاقة الى الامير محمد الزبيدى المتولى على البصرة ان يجهز ابا محمد الكسلان ويحضر به بين يدى امير المؤمنين فكتب الوزير بطاقة بمضمون ذلك وارسلها مع مسرور ثم توجه مسرور بالبطاقة الى مدينة البصرة ودخل على الامير محمد الزبيدى ففرح به واكرمه غاية الاكرام ثم قرأ عليه بطاقة امير المؤمنين هارون الرشيد فقال سمعا وطاعة ثم ارسل مسرورا مع جماعة من اتباعه الى ابى محمد الكسلان فتوجهوا اليه وطرقوا عليه الباب فخرج لهم بعض الغلمان فقال له مسرور قل لسيدك ان امير المؤمنين يطلبك فدخل الغلام واخبره بذلك فخرج فوجد مسرورا حاجب الخليفة ومعه اتباع الامير محمد الزبيدى فقبل الارض بين يديه وقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين ولكن ادخلوا عندنا فقالوا ما نقدر على ذلك الا على عجل كما امرنا امير المؤمنين فانه منتظر قدومك فقال اصبروا على يسيرا حتى اجهز امرى ثم دخلوا معه الى الدار بعد استعطاف زائد فرأوا فى الدهليز ستورا من الديباج الازرق المطرز بالذهب الاحمر ثم ان ابا محمد الكسلان امر بعض غلمانه ان يدخلوا مع مسرور الحمام الذى فى الدار ففعلوا فرأى حيطانه ورخامه من الغرائب وهو مزركش بالذهب والفضة وماؤه ممزوج بماء الورد واحتفل الغلمان بمسرور ومن معه وخدموهم اتم الخدمة ولما خرجوا من الحمام البسوهم خلعا من الديباج منسوجة بالذهب ثم دخل مسرور واصحابه

فوجدوا ابا محمد الكسلان جالسا فى قصره وقد علقت على رأسه ستور من الديباج المنسوج بالذهب المرصع بالدر والجوهر والقصر مفروش بمساند من زركشة بالذهب الاحمر وهو جالس على مرتبته والمرتبة على سرير مرصع بالجواهر فلما دخل عليه مسرور رحب به وتلقاه واجلسه بجانبه ثم امر باحضار السماط فلما رأى مسرور ذلك السماط قال والله ما رأيت عند امير المؤمنين مثل ذلك السماط ابدا وكان فى ذلك السماط انواع الاطعمة وكلها موضوعة فى اطباق صينى مذهبة قال مسرور فاكلنا وشربنا وفرحنا الى آخر النهار ثم اعطانا كل واحد خمسة آلاف دينار ولما كان اليوم الثانى البسونا خلعا خضرا مذهبة واكرمونا غاية الاكرام ثم قال له مسرور لا يمكننا ان نقعد زيادة على تلك المدة خوفا من الخليفة فقال له ابو محمد الكسلان يا مولانا اصبر علينا الى غد حتى نتجهز ونسير معكم فقعدوا ذلك اليوم وباتوا الى الصباح ثم ان الغلمان شدوا لابى محمد الكسلان بغلة بسرج من الذهب مرصع بانواع الدر والجواهر فقال مسرور فى نفسه يا ترى اذا حضر ابو محمد بين يدى الخليفة بتلك الصفة هل يسأله عن سبب تلك الاموال ثم بعد ذلك ودعوا ابا محمد الزبيدى وطلعوا من البصرة وساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى مدينة بغداد فلما دخلوا على الخليفة ووقفوا بين يديه امره بالجلوس فجلس ثم تكلم بادب وقال يا امير المؤمنين انى جئت معى بهدية على وجه الخدمة فهل احضرها عن اذنك قال الرشيد لا بأس بذلك فامر بصندوق وفتحه واخرج منه تحفا من جملتها اشجار من الذهب واوراقها من الزمرد الابيض وثمارها ياقوت احمر واصفر ولؤلؤ ابيض فتعجب الخليفة من ذلك ثم احضر صندوقا ثانيا واخرج منه خيمة من الديباج مكللة باللؤلؤ والياقوت والزمرد والزبرجد وانواع الجواهر وقوائمها من عود هندى رطب واذيال تلك الخيمة مرصعة بالزمرد الاخضر وفيها تصوير كل الصور من سائر الحيوانات كالطيور والوحوش وتلك الصور مكللة بالجواهر واليواقيت والزمرد والزبرجد والبلخش وسائر المعادن فلما رأى الرشيد ذلك فرح فرحا شديدا ثم قال ابو محمد الكسلان يا امير المؤمنين لا تظن انى حملت لك هذا فزعا من شئ ولا طمعا فى شئ وانما رأيت نفسى رجلا عاميا ورأيت هذا لا يصلح الا لامير المؤمنين وان اذنت لى فرجتك على بعض ما اقدر عليه فقال الرشيد افعل ما شئت حتى ننظر فقال سمعا وطاعة ثم حرك شفتيه واوما الى شراريف القصر فمالت اليه ثم اشار اليها فرجعت الى موضعها ثم اشار بعينه فظهرت اليه مقاصير مقفلة الابواب ثم تكلم عليها واذا باصوات طيور تجاوبه فتعجب الرشيد من ذلك غاية العجب وقال له من اين لك هذا كله وانت ما تعرف الا بابى محمد الكسلان واخبرونى ان اباك كان حجاما يخدم فى حمام وما خلف لك شيأ فقال يا امير المؤمنين اسمع حديثى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد الثلثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا محمد الكسلان قال للخليفة يا امير المؤمنين اسمع حديثى فانه عجيب وامره غريب لو كتب بالابر على اماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الرشيد حدث بما عندك واخبرنى به يا ابا محمد فقال اعلم يا امير المؤمنين ادام الله لك العز والتمكين ان اخبار الناس بانى اعرف بالكسلان وان ابى لم يخلف لى مالا صدق لان ابى لم يكن الا كما ذكرت فانه كان حجاما فى حمام وكنت انا فى صغرى اكسل من يوجد على وجه الارض وبلغ من كسلى انى اذا كنت نائما فى ايام الحر وطلعت على الشمس

اكسل عن ان اقوم وانتقل من الشمس الى الظل واقمت على ذلك خمسة عشر عاما ثم ان ابي توفي الى رحمة
الله تعالى ولم يخلف لي شيأ وكانت امي تخدم الناس وتطعمني وتسقيني وانا راقد على جنبي فاتفق ان امي
دخلت علي في بعض الايام ومعها خمسة دراهم من الفضة وقالت لي يا ولدي بلغني ان الشيخ ابا المظفر
عزم على ان يسافر الى الصين وكان ذلك الشيخ يحب الفقراء وهو من اهل الخير فقالت امي يا ولدي خذ هذه
الخمسة دراهم وامض بنا اليه ونسأله ان يشتري لك بها شيأ من بلاد الصين لعله يحصل لك فيه ربح
من فضل الله تعالى فكسلت عن القيام معها فاقسمت بالله ان لم اقم معها انها لا تطعمني ولا تسقيني
ولا تدخل علي بل تتركني اموت جوعا وعطشا فلما سمعت كلامها يا امير المؤمنين علمت انها تفعل ذلك
لما تعلم من كسلي فقلت لها اقعديني فاقعدتني وانا باكي العين وقلت ائتيني بمداسي فاتتني به فقلت
ضعيه في رجلي فوضعته فيهما فقلت لها احمليني حتى ترفعيني من الارض ففعلت ذلك فقلت اسنديني
حتى امشي فصارت تسندني ومازلت امشي واتعثر في اذيالي الى ان وصلنا الى ساحل البحر فسلمنا على
الشيخ وقلت له يا عم انت المظفر قال لبيك قلت خذ هذه الدراهم واشتر بها لي شيأ من بلاد الصين عسى الله
ان يربحني فيه فقال الشيخ ابو المظفر لاصحابه اتعرفون هذا الشاب قالوا نعم هذا يعرف بابي محمد الكسلان
وما رأيناه قط خرج من داره الا في هذا الوقت فقال الشيخ ابو المظفر يا ولدي هات الدراهم على بركة الله
تعالى ثم اخذ مني الدراهم وقال بسم الله ثم رجعت مع امي الى البيت وتوجه الشيخ ابو المظفر الى السفر
ومعه جماعة من التجار ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا الى بلاد الصين ثم ان الشيخ باع واشترى وبعد ذلك
توجه الى الرجوع هو ومن معه بعد قضاء اغراضهم وساروا في البحر ثلاثة ايام فقال الشيخ لاصحابه
قفوا بالمركب فقال التجار ما حاجتك فقال اعلموا ان الرسالة التي معي لابي محمد الكسلان نسيتها
فارجعوا بنا حتى نشتري له بها شيأ ينتفع به فقالوا له سألناك بالله تعالى ان لا تردنا فاننا قطعنا مسافة
طويلة زائدة وحصل لنا في ذلك اهوال عظيمة ومشقة زائدة فقال لا بد لنا من الرجوع فقالوا خذ منا
اضعاف ربح الخمسة دراهم ولا تردنا فسمع منهم وجمعوا له مالا جزيلا ثم ساروا حتى اشرفوا على جزيرة فيها
خلق كثير فارسوا عليها وطلع التجار يشترون منها متجرا من معادن وجواهر ولؤلؤ وغير ذلك ثم رأى
ابو المظفر رجلا جالسا وبين يديه قرود كثيرة وبينهم قرد منتوف الشعر وكانت تلك القرود كلما غفل
صاحبهم يمسكون ذلك القرد المنتوف ويضربونه ويرمونه على صاحبهم فيقوم يضربهم ويقيدهم
ويعذبهم على ذلك فتغتاظ القرود كلها من ذلك القرد ويضربونه ثم ان الشيخ ابا المظفر لما رأى ذلك القرد
حزن عليه ورفق به فقال لصاحبه اتبيعني هذا القرد قال اشتر قال ان معي لصبي يتيم خمسة دراهم هل
تبيعني اياه بها قال له بعتك بارك الله لك فيه ثم تسلمه واقبضه الدراهم واخذ القرد عبيد الشيخ وربطوه
في المركب ثم حلوا وسافروا الى جزيرة اخرى فارسوا عليها فنزل الغطاسون الذين يغطسون على المعادن
واللؤلؤ والجوهر وغير ذلك فاعطاهم التجار دراهم اجرة على الغطاس فغطسوا فرآهم القرد يفعلون
ذلك فحل نفسه من رباطه ونط من المركب وغطس معهم فقال ابو المظفر لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم قد عدم القرد منا ببخت هذا المسكين الذي اخذناه له ويئسوا من القرد ثم طلع جماعة
الغطاسين واذا بالقرد طلع معهم وفي يديه نفائس الجواهر فرماها بين يدي ابي المظفر فتعجب من ذلك وقال
ان هذا القرد فيه سر عظيم ثم حلوا وسافروا الى ان وصلوا الى جزيرة تسمى جزيرة الزنوج وهم قوم من
السودان يأكلون لحم بني آدم فلما رآهم السودان ركبوا عليهم في القوارب واتوا اليهم واخذوا كل من

فى المركب وكتفوهم واتوا بهم الى الملك فامرهم بذبح جماعة من التجار فذبحوهم وا كلوا لحومهم ثم ان بقية التجار باتوا محبوسين وهم فى نكد عظيم فلما كان وقت الليل قام القرد الى ابى المظفر وحل قيده فلما رأى التجار ابا المظفر قد انحل قالوا عسى الله ان يكون خلاصنا على يديك يا ابا المظفر فقال لهم اعلموا انه ما خلصنى بارادة الله تعالى الا هذا القرد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا المظفر قال ما خلصنى بارادة الله تعالى الا هذا القرد وقد خرجت له عن الف دينار فقال التجار ونحن كذلك كل واحد منا خرج له عن الف دينار ان خلصنا فقام القرد اليهم وصار يحل واحدا بعد واحد حتى حل الجميع من قيودهم وذهبوا الى المركب وطلعوا فيها فوجدوها سالمة ولم ينقص منها شئ ثم حلوا وسافروا فقال ابو المظفر يا تجار اوفوا بالذى قلتم عليه للقرد فقالوا سمعا وطاعة ودفع له كل واحد منهم الف دينار واخرج ابو المظفر من ماله الف دينار فاجتمع للقرد من المال شئ عظيم ثم سافروا حتى وصلوا الى مدينة البصرة فتلقاهم اصحابهم حتى طلعوا من المركب فقال ابو المظفر اين ابو محمد الكسلان فبلغ الخبر الى امى فبينما انا نائم اذ اقبلت على امى وقالت يا ولدى ان الشيخ ابا المظفر قد اتى ووصل الى المدينة فقم وتوجه اليه وسلم عليه واسأله عن الذى جاء به لك فلعل الله تعالى يكون قد فتح عليك بشئ فقلت لها احملينى من الارض واسندينى حتى اخرج وامشى الى ساحل البحر ثم مشيت وانا اتعثر فى اذيالى حتى وصلت الى الشيخ ابى المظفر فلما رآنى قال لى اهلا بمن كانت دراهمه سببا لخلاصى وخلاص هؤلاء التجار بارادة الله تعالى ثم قال لى خذ هذا القرد فانى اشتريته لك وامض به الى بيتك حتى اجئ اليك فاخذت القرد بين يدى ومضيت وقلت فى نفسى والله ما هذا الا متجر عظيم ثم دخلت بيتى وقلت لامى كلما انام تأمريننى بالقيام لاتجر فانظرى بعينك هذا المتجر ثم جلست فبينما انا جالس واذا بعبيد ابى المظفر قد اقبلوا على وقالوا لى هل انت ابو محمد الكسلان فقلت لهم نعم واذا بابى المظفر اقبل خلفهم فقمت اليه وقبلت يديه وقال لى سر معى الى دارى فقلت سمعا وطاعة وسرت معه الى ان دخلت الدار فامر عبيده ان يحضروا بالمال فحضروا به فقال يا ولدى لقد فتح الله عليك بهذا المال من ربح الخمسة دراهم ثم حملوه فى صناديقه على رؤسهم واعطانى مفاتيح تلك الصناديق وقال لى امض قدام العبيد الى دارك فان هذا المال كله لك فمضيت الى امى ففرحت بذلك وقالت يا ولدى لقد فتح الله عليك بهذا المال الكثير فدع عنك هذا الكسل وانزل السوق وبع واشتر فتركت الكسل وفتحت دكانا فى السوق وصار القرد يجلس معى على مرتبتى فاذا اكلت يأكل معى واذا شربت يشرب معى وصار كل يوم من بكرة النهار يغيب الى وقت الظهر ثم يأتى ومعه كيس فيه الف دينار فيضعه فى جانبى ويجلس ولم يزل على هذه الحالة مدة من الزمان حتى اجتمع عندى مال كثير فاشتريت يا امير المؤمنين الاملاك والربوع وغرست البساتين واشتريت المماليك والعبيد والجوارى فاتفق فى بعض الايام انى كنت جالسا والقرد جالس معى على المرتبة واذا به التفت يمينا وشمالا فقلت فى نفسى اى شئ خبر هذا فانطق الله القرد بلسان فصيح وقال يا ابا محمد فلما سمعت كلامه فزعت فزعا شديدا فقال لى لا تفزع انا اخبرك بحالى انى مارد من الجن ولكنى جئتك بسبب ضعف حالك وانت اليوم لا تدرى قدر مالك وقد وقعت لى عندك حاجة وهى خير لك فقلت ما هى قال اريد ان ازوجك بصبية مثل البدر فقلت له

وكيف ذلك فقال لى فى غد البس قماشك الفاخر واركب بغلتك بالسرج الذهب وامض الى سوق العلافين واسأل عن دكان الشريف واجلس عنده وقل له انى جئتك خاطبا راغبا فى ابنتك فان قال لك انت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فادفع له الف دينار فان قال لك زدنى فزده ورغبه فى المال فقال سمعا وطاعة فى غد افعل ذلك ان شاء الله تعالى قال ابو محمد فلما اصبحت لبست الخر قماشى وركبت البغلة بالسرج الذهب ثم مضيت الى سوق العلافين وسألت عن دكان الشريف فوجدته جالسا فى دكانه فنزلت وسلمت عليه وجلست عنده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا محمد الكسلان قال فنزلت وسلمت عليه وجلست عنده وكان معى عشرة من العبيد والمماليك فقال الشريف لعل لك عندنا حاجة نفوز بقضائها فقلت نعم لى عندك حاجة قال وما حاجتك فقلت جئتك خاطبا راغبا فى ابنتك فقال لى انت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب فاخرجت له كيسا فيه الف دينار ذهبا احمر وقلت له هذا حسبى ونسبى وقد قال صلى الله عليه وسلم نعم الحسب المال وما احسن قول من قال

من كان يملك درهمين تعلمت * شفتاه انواع الكلام فقالا
وتقدم الاخوان فاستمعوا له * ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التى يزهو بها * لوجدته فى الناس اسوء حالا
ان الغنى اذا تكلم بالخطا * قالوا صدقت وما نطقت محالا
اما الفقير اذا تكلم صادقا * قالوا كذبت وابطلوا ما قالا
ان الدراهم فى المواطن كلها * تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن اراد فصاحة * وهى السلاح لمن اراد قتالا

فلما سمع الشريف منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام اطرق برأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال له ان كان ولا بد فانى اريد منك ثلاثة الاف دينار اخرى فقلت سمعا وطاعة ثم ارسلت بعض المماليك الى منزلى فجاءنى بالمال الذى طلبه فلما رأى ذلك وصل اليه قام من الدكان وقال لغلمانه اقفلوها ثم دعا اصحابه من السوق الى داره وكتب كتابى على بنته وقال لى بعد عشرة ايام ادخلك عليها ثم مضيت الى منزلى وانا فرحان فخلوت مع القرد واخبرته بما جرى لى فقال نعم ما فعلت فلما قرب ميعاد الشريف قال لى القرد ان لى عندك حاجة ان قضيتها لى فلك عندى ما شئت قلت وما حاجتك قال لى ان فى صدر القاعة التى تدخل فيها على بنت الشريف خزانة وعلى بابها حلقة من نحاس والمفاتيح تحت الحلقة فخذها وافتح الباب تجد صندوقا من حديد على اركانه اربع رايات من الطلسم وفى وسط ذلك طشت ملآن من المال وفى جانبه احدى عشرة حية وفى الطشت ديك افرق ابيض مربوط وهناك سكين بجنب الصندوق فخذ السكين واذبح بها الديك وقطع الرايات وكب الصندوق وبعد ذلك اخرج للعروسة وازل بكارتها فهذه حاجتى عندك فقلت له سمعا وطاعة ثم مضيت الى دار الشريف فدخلت القاعة ونظرت الى الخزانة التى وصفها لى القرد فلما خلوت بالعروسة تعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها لانها لا تستطيع الالسن ان تصف حسنها وجمالها ثم فرحت بها فرحا شديدا فلما كان نصف الليل ونامت

العروسة فقد اخذت المفاتيح وفتحت الخزانة واخذت السكين وذبحت الديك ورميت الرايات وقلبت الصندوق فاستيقظت الصبية فرأت الخزانة قد فتحت والديك قد ذبح فقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قد اخذني المارد فما استتمت كلامها الا وقد احاط المارد بالدار وخطف العروسة فعند ذلك وقعت الضجة واذا بالشريف قد اقبل وهو يلطم على وجهه وقال يا ابا محمد ما هذا الفعل الذي فعلته معنا هل هذا جزاؤنا منك وانا قد عملت هذا الطلسم في هذه الخزانة خوفا على بنتي من هذا الملعون فانه كان يقصد اخذ هذه الصبية من مند ست سنين ولا يقدر على ذلك ولكن ما بقي لك عندنا مقام فامض الى حال سبيلك فخرجت من دار الشريف وجئت الى داري وفتشت على القرد فلم اجده ولم ار له اثرا فعلمت انه هو المارد الذي اخذ زوجتي وتحيل علي حتى فعلت ذلك بالطلسم والديك اللذين كانا يمنعانه من اخذها فندمت وقطعت اثوابي واطمت على وجهي ولم تسعني ارض فخرجت من ساعتي وقصدت البرية ولم ازل سائرا الى ان امسى علي المساء ولا اعلم اين اروح فبينما انا مشغول الفكرة اذ اقبل علي حيتان واحدة سمراء والاخرى بيضاء وهما يتقاتلان فاخذت حجرا من الارض وضربت به الحية السمراء فقتلتها فانها كانت باغية على البيضاء ثم ذهبت الحية البيضاء فغابت ساعة وعادت ومعها عشر حيات بيض فجاؤا الى الحية التي ماتت وقطعوها قطعا حتى لم يبق الا رأسها ثم مضوا الى حال سبيلهم واضطجعت في مكاني من التعب فبينما انا مضطجع متفكر في امري واذا انا بهاتف اسمع صوته ولم ار شخصه وهو يقول هذين البيتين

دع المقادير تجري في اعنتها ❋ ولا تبيتن الا خالي البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها ❋ يغير الله من حال الى حال

فلما سمعت ذلك لحقني يا امير المؤمنين امر شديد وفكر ما عليه من مزيد واذا بصوت من خلفي اسمعه ينشد هذين البيتين

يا مسلما امامه القرآن ❋ ابشر به قد جاءك الامان
ولا تخف ما سول الشيطان ❋ فنحن قوم ديننا الايمان

فقلت له بحق معبودك ان تعرفني من انت فانقلب ذلك الهاتف في صورة انسان وقال لي لا تخف فان جميلك قد وصل الينا ونحن قوم من جن المؤمنين فان كان لك حاجة فاخبرنا بها حتى نفوز بقضائها فقلت له ان لي حاجة عظيمة لاني اصبت بمصيبة جسيمة ومن الذي حصل له مثل مصيبتي فقال لي لعلك ابو محمد الكسلان فقلت نعم فقال يا ابا محمد انا اخو الحية البيضاء التي قتلت انت عدوها ونحن اربعة اخوة من اب وام وكلنا شاكرون لفضلك واعلم ان الذي كان على صورة القرد وفعل معك المكيدة مارد من مردة الجن ولولا انه تحيل بهذه الحيلة ما كان يقدر على اخذها ابدا لان له مدة طويلة وهو يريد اخذها فيمنعه من ذلك هذا الطلسم ولو بقي ذلك الطلسم ما كان يمكنه الوصول اليها ولكن لا تجزع من هذا الامر فنحن نوصلك اليها ونقتل المارد فان جميلك لا يضيع عندنا ثم انه صاح صيحة عظيمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العفريت قال فان جميلك لا يضيع عندنا ثم انه صاح صيحة عظيمة

بصوت هائل واذا بجماعة قد اقبلوا عليه فسألهم عن القرد فقال واحد منهم انا اعرف مستقره قال اين مستقره قال فى مدينة النحاس التى لا تطلع عليها الشمس فقال يا ابا محمد خذ عبدا من عبيدنا وهو يحملك على ظهره ويعلمك كيف تأخذ الصبية واعلم ان ذلك العبد مارد من المردة فاذا حملك لا تذكر اسم الله وهو حامل لك فانه يهرب منك فتقع وتهلك فقلت سمعا وطاعة واخذت عبدا من عبيدهم فانحنى وقال اركب فركبت ثم طار بى فى الجو حتى غاب عن الدنيا ورأيت النجوم كالجبال الرواسى وسمعت تسبيح الملائكة فى السماء كل هذا والمارد يحدثنى ويفرجنى ويلهينى عن ذكر الله تعالى فبينما انا كذلك واذا بشخص عليه لباس اخضر وله ذوائب شعر ووجه منير وفى يده حربة يطير منها الشرر قد اقبل علىّ وقال لى يا ابا محمد قل لا اله الا الله محمد رسول الله والا ضربتك بهذه الحربة وكانت مهجتى قد تقطعت من سكوتى عن ذكر الله تعالى فقلت لا اله الا الله محمد رسول الله ثم ان ذلك الشخص ضرب المارد بالحربة فذاب وصار رمادا وسقطت من فوق ظهره فصرت اهوى الى الارض حتى وقعت فى بحر عجاج متلاطم بالامواج واذا بسفينة فيها خمسة اشخاص بحرية فلما رأونى اتوا الى وحملونى فى السفينة وجعلوا يكلمونى بكلام لا اعرفه فاشرت لهم انى لا اعرف كلامكم فساروا الى آخر النهار ثم رموا شبكة واصطادوا حوتا وشووه واطعمونى ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا بى الى مدينتهم فدخلوا بى الى ملكهم واوقفونى بين يديه فقبلت الارض فخلع علىّ وكان ذلك الملك يعرف بالعربية فقال قد جعلتك من اعوانى فقلت له ما اسم هذه المدينة قال اسمها هناد وهى من بلاد الصين ثم ان الملك سلمنى الى وزير المدينة وامره ان يفرجنى فى المدينة وكان اهل تلك المدينة فى الزمن الاول كفارا فمسخهم الله تعالى حجارة فتفرجت فيها ولم ار اكثر من اشجارها واثمارها فاقمت فيها مدة شهر ثم اتيت الى نهر وجلست على شاطئه فبينما انا جالس واذا بفارس قد اتى وقال هل انت ابو محمد الكسلان فقلت له نعم قال لا تخف فان جميلك وصل الينا فقلت له من انت قال انا اخو الحية وانت قريب من مكان الصبية التى تريد الوصول اليها ثم خلع اثوابه والبسنى اياها وقال لى لا تخف فان العبد الذى هلك من تحتك بعض عبيدنا ثم ان ذلك الفارس اردفنى خلفه وسار بى الى برية وقال انزل من خلفى وسر بين هذين الجبلين حتى ترى مدينة النحاس فقف بعيدا عنها ولا تدخلها حتى اعود اليك واقول لك كيف تصنع فقلت له سمعا وطاعة ونزلت من خلفه ومشيت حتى وصلت الى المدينة فرأيت سورها من نحاس فجعلت ادور حولها لعلى اجد لها بابا فما وجدت لها بابا فبينما انا ادور حولها واذا باخى الحية قد اقبل علىّ واعطانى سيفا مطلسما حتى لا يرانى احد ثم انه مضى الى حال سبيله فلم يغب عنى الا قليلا واذا بصياح قد علا ورأيت خلقا كثيرا واعينهم فى صدورهم فلما رأونى قالوا من انت وما الذى رماك فى هذا المكان فاخبرتهم بالواقعة فقالوا ان الصبية التى ذكرتها مع المارد فى هذه المدينة وما ندرى ما فعل بها ونحن اخوة الحية ثم قالوا امض الى تلك العين وانظر من اين يدخل الماء وادخل معه فانه يوصلك الى المدينة ففعلت ذلك ودخلت مع الماء فى سرداب تحت الارض ثم طلعت منه فرأيت نفسى فى وسط المدينة ووجدت الصبية جالسة على سرير من ذهب وعليها ستارة من ديباج وحول الستارة بستان فيه اشجار من الذهب واثمارها من نفيس الجواهر كالياقوت والزبرجد واللؤلؤ والمرجان فلما رأتنى تلك الصبية عرفتنى وابتدأتنى بالسلام وقالت لى يا سيدى من اوصلك الى هذا المكان فاخبرتها بما جرى فقالت اعلم ان هذا الملعون من كثرة محبته لى اعلمنى بالذى يضره والذى ينفعه واعلمنى ان فى هذه المدينة طلسما ان شاء هلاك جميع من فى المدينة اهلكهم به ومهما امر العفاريت فانهم

يمتثلون امره وذلك الطلسم فى عمود فقلت لها واين العمود فقالت فى المكان الفلانى فقلت واى شىء يكون ذلك الطلسم قالت هو صورة عقاب وعليه كتابة لا اعرفها فخذه بين يديك وخذ مجمرة نار وارم فيها شيأ من المسك فيطلع دخان يجذب العفاريت فاذا فعلت ذلك فانهم يحضرون بين يديك كلهم ولا يغيب منهم احد ويمتثلون امرك ومهما امرتهم به فانهم يفعلونه فقم وافعل ذلك على بركة الله تعالى فقلت لها سمعا وطاعة ثم قمت وذهبت الى ذلك العمود وفعلت جميع ما امرتنى به فجاءت العفاريت وحضرت بين يدى. وقالوا لبيك يا سيدى فمهما امرتنا به فعلناه فقلت لهم قيدوا المارد الذى جاء بهذه الصبية من مكانها فقالوا سمعا وطاعة ثم ذهبوا الى ذلك المارد وقيدوه وشدوا وثاقه. ورجعوا الى وقالوا قد فعلنا ما امرتنا به فامرتهم بالرجوع ثم رجعت الى الصبية واخبرتها بما حصل ثم قلت يا زوجتى هل تروحين معى فقالت نعم ثم انى طلعت بها من السرداب الذى دخلت منه وسرنا حتى وصلنا الى القوم الذين كانوا دلونى عليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه قال وسرنا حتى وصلنا الى القوم الذين كانوا دلونى عليها ثم قلت دلونى على طريق توصلنى الى بلادى فدلونى ومشوا معى الى ساحل البحر وانزلونى فى مركب وطاب لنا الريح وسارت بنا تلك المركب حتى وصلنا الى مدينة البصرة فلما دخلت الصبية دار ابيها رآها اهلها ففرحوا بها فرحا شديدا ثم انى بخرت العقاب بالمسك واذا بالعفاريت قد اقبلوا على من كل مكان وقالوا لبيك فما تريد ان تفعل فامرتهم ان ينقلوا كل ما فى مدينة النحاس من المال والمعادن والجواهر الى دارى التى فى البصرة ففعلوا ذلك ثم امرتهم ان يأتوا بالقرد فاتوا به ذليلا حقيرا فقلت له يا ملعون لاى شىء غدرت بى ثم امرتهم ان يدخلوه فى قمقم من نحاس فادخلوه فى قمقم ضيق من نحاس وسدوا عليه بالرصاص واقمت انا وزوجتى فى هناء وسرور وعندى الان يا امير المؤمنين من نفائس الذخائر وغرائب الجواهر وكثير الاموال ما لا يحيط به عد ولا يحصره حد واذا طلبت شيأ من المال او غيره امرت الجن ان يأتوا لك به فى الحال وكل ذلك من فضل الله تعالى فتعجب امير المؤمنين من ذلك غاية العجب ثم اعطاه من مواهب الخلافة عوضا عن هديته وانعم عليه انعاما يليق به

ومما يحكى ان هارون الرشيد استدعى رجلا من اعوانه يقال له صالح قبل الوقت الذى تغير فيه على البرامكة فلما حضر بين يديه قال له يا صالح سر الى منصور وقل له ان لنا عندك الف الف درهم والرأى قد اقتضى انك تحمل لنا هذا المبلغ فى هذه الساعة وقد امرتك يا صالح انه ان لم يحصل لك ذلك المبلغ من هذه الساعة الى قبل المغرب ان تزيل رأسه عن جسده وتأتينى به فقال صالح سمعا وطاعة ثم سار الى منصور واخبره بما ذكره امير المؤمنين فقال منصور قد هلكت والله فان جميع تعلقاتى وما تملكه يدى اذا بيعت باغلى قيمة لا يزيد ثمنها على مائة الف فمن اين اقدر يا صالح على التسعمائة الف درهم الباقية فقال له صالح دبر لك حيلة تتخلص بها عاجلا والا هلكت فانى لا اقدر ان امهل عليك لحظة بعد المدة التى عينها لى الخليفة ولا اقدر ان اخل بشىء مما امرنى به امير المؤمنين فاسرع بحيلة تتخلص بها نفسك قبل ان تتصرم الاوقات فقال منصور يا صالح اسألك من فضلك ان تحملنى الى بيتى لاودع اولادى واهلى واوصى اقاربى قال صالح فمضيت معه الى بيته فجعل يودع اهله وارتفع الضجيج فى منزله وعلا البكاء والصياح والاستغاثة بالله تعالى

فقال صالح قد خطر ببالي ان الله يجعل لك الفرج على يد البرامكة فاذهب بنا الى دار يحيى بن خالد فلما ذهبا الى يحيى بن خالد اخبره بحاله فاغتم لذلك واطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه واستدعى خازن داره وقال له كم في خزنتنا من الدراهم فقال له مقدار خمسة آلاف درهم فامر باحضارها ثم ارسل رسولا الى ولده الفضل برسالة مضمونها انه قد عرض على للبيع ضياع جليلة لا تخرب ابدا فارسل لنا شيأ من الدراهم فارسل اليه الف الف درهم ثم ارسل انسانا آخر الى ولده جعفر برسالة مضمونها انه حصل لنا شغل مهم ونحتاج فيه الى شيء من الدراهم فانفذ له جعفر في الحال الف الف درهم ولم يزل يحيى يرسل ناسا الى البرامكة حتى جمع منهم لمنصور مالا كثيرا وصالح ومنصور لا يعلمان بهذا الامر فقال منصور ليحيى يا مولاي قد تمسكت بذيلك وما اعرف هذا المال الا منك كما هو عادة كرمك فتمم لي بقية ديني واجعلني عتيقك فاطرق يحيى وبكى وقال يا غلام ان امير المؤمنين قد كان وهب لجارية جوهرة عظيمة القيمة فاذهب اليها وقل لها ترسل لنا هذه الجوهرة فمضى الغلام واتى بها اليه فقال يا صالح انا اشتريت هذه الجوهرة لامير المؤمنين من التجار بمائتي الف دينار ووهبها امير المؤمنين لجاريتنا ذات العواده واذا رآها معك عرفها واكرمك وحقن دمك من اجلنا اكراما لنا وقد تم الآن مالك يا منصور قال صالح فحملت المال والجوهرة الى الرشيد ومنصور معي فبينما نحن في الطريق اذ سمعته يتمثل بهذا البيت

وما حبا سعت قدمي اليهم ✽ ولكن خفت من ضرب النبال

فعجبت من سوء طبعه ورداءته وفساده وخبث اصله وميلاده ورددت عليه وقلت له ما على وجه الارض خير من البرامكة ولا اخبث ولا اشر منك فانهم اشتروك من الموت وانقذوك من الهلاك ومنوا عليك بالفكاك ولم تشكرهم ولم تحمدهم ولم تفعل فعل الاحرار بل قابلت احسانهم بهذا المقال ثم مضيت الى الرشيد وقصصت عليه القصة واخبرته بجميع ما جرى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان صالحا قال فقصصت القصة على امير المؤمنين واخبرته بجميع ما جرى فتعجب الرشيد من كرم يحيى وسخائه ومروءته وخساسة منصور ورداءته وامر ان ترد الجوهرة الى يحيى ابن خالد وقال كل شيء قد وهبناه لا يجوز ان نعود فيه وعاد صالح الى يحيى بن خالد وذكر له قصة منصور وسوء فعله فقال يحيى يا صالح اذا كان الانسان مقلا ضيق الصدر مشغول الفكر فمهما صدر منه لا يؤاخذ به لانه ليس ناشئا عن قلبه وصار يطلب العذر لمنصور فبكى صالح وقال لا يجري الفلك الدائر بابراز رجل الى الوجود مثلك فوا اسفا كيف يتوارى من له خلق مثل خلقك وكرم مثل كرمك تحت التراب وانشد هذين البيتين

بادر الى اي معروف هممت به ✽ فليس في كل وقت يمكن الكرم
كم مانع نفسه امضاء مكرمة ✽ عند التمكن حتى عاقه العدم

ومما يحكى انه كان بين يحيى بن خالد وبين عبد الله بن مالك الخزاعي عداوة في السر ما كانا يظهرانها وسبب العداوة بينهما ان امير المؤمنين هارون الرشيد كان يحب عبد الله بن مالك محبة عظيمة بحيث ان يحيى

ابن خالد واولاده كانوا يقولون ان عبد الله يسحر امير المؤمنين حتى مضى على ذلك زمان طويل والحقد في قلوبهم فاتفق ان الرشيد قلد ولاية ارمينية لعبد الله بن مالك الخزاعي وسيره اليها فلما استقر في تختها قصده رجل من اهل العراق كان فيه فضل ادب وذكاء وفطنة الا انه ضاق ما بيده وفنى ماله واضمحل حاله فزور كتابا على لسان يحيى بن خالد الى عبد الله بن مالك وسافر اليه في ارمينية فلما وصل الى بابه سلم الكتاب الى بعض حجابه فاخذ الحاجب الكتاب وسلمه الى عبد الله بن مالك الخزاعي ففتحه وقرأه وتدبره فعلم انه مزور فامر باحضار الرجل فلما تمثل بين يديه دعا له واثنى عليه وعلى اهل مجلسه فقال له عبد الله بن مالك ما حملك على بعد المشقة ومجيئك الي بكتاب مزور ولكن طب نفسا فاننا لا نخيب سعيك فقال الرجل اطال الله بقاء مولانا الوزير ان كان ثقل عليك وصولي فلا تحتج في منعي بحجة فان ارض الله واسعة والرازق حي والكتاب الذي اوصلته اليك من يحيى بن خالد صحيح غير مزور فقال عبد الله انا اكتب كتابا الى وكيلي ببغداد وآمره فيه ان يسأل عن حال هذا الكتاب الذي اتيتني به فان كان ذلك حقا صحيحا غير مزور قلدتك امارة بعض بلادي او اعطيتك مائتي الف درهم مع الخيل والنجب الجليلة والتشريف ان اردت العطاء وان كان الكتاب مزورا امرت ان تضرب مائتي خشبة وان تحلق لحيتك ثم امر به عبد الله ان يحمل الى حجرة وان يجعل له فيها ما يحتاج اليه حتى يتحقق امره ثم كتب كتابا الى وكيله ببغداد مضمونه انه قد وصل الي رجل ومعه كتاب يزعم انه من يحيى ابن خالد وانا اسيء الظن بهذا الكتاب فيجب ان لا تهمل هذا الامر بل تمضي بنفسك وتتحقق امر هذا الكتاب وتسرع الي برد الجواب لاجل ان نعلم صدقه من كذبه فلما وصل اليه الكتاب ببغداد ركب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان وكيل عبد الله بن مالك الخزاعي لما وصل اليه الكتاب ببغداد ركب من ساعته ومضى الى دار يحيى بن خالد فوجده جالسا مع ندمائه وخواصه فسلم عليه وسلم اليه الكتاب فقرأه يحيى ابن خالد ثم قال للوكيل عد الي من الغد حتى اكتب لك الجواب ثم التفت الى ندمائه بعد انصراف الوكيل وقال ما جزاء من يحمل عني كتابا مزورا ويذهب به الى عدوي فقال كل واحد من الندماء مقالا وجعل كل واحد منهم يذكر نوعا من العذاب فقال لهم يحيى لقد اخطأتم فيما ذكرتم وهذا الذي اشرتم به من دناءة الهمم وخستها وكلكم تعرفون قرب منزلة عبد الله من امير المؤمنين وتعلمون ما بيني وبينه من الغضب والعداوة وقد سبب الله تعالى هذا الرجل وجعله واسطة في الصلح بيننا ووفقه لذلك وقيضه لاخماد نار الحقد من قلوبنا وهي تتزايد من مدة عشرين سنة وتنصلح بواسطته شؤوننا وقد وجب علي ان اوفي لهذا الرجل بتحقيق ظنونه واصلاح شؤونه واكتب له كتابا الى عبد الله بن مالك الخزاعي مضمونه انه يزيد في اكرامه ويستمر على اعذاره واحترامه فلما سمع الندماء ذلك دعوا له بالخيرات وتعجبوا من كرمه ووفور مروءته ثم انه طلب الورقة والدواة وكتب الى عبد الله بن مالك كتابا بخط يده مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم وصل كتابك اطال الله بقاءك وقرأته وسررت بسلامتك وابتهجت باستقامتك وشمول سعادتك وكان ظنك ان ذلك الرجل الحر زور عني كتابا ولم يحمل مني خطابا وليس الامر كذلك فان الكتاب انا كتبته وليس بمزور ورجائي من اكرامك واحسانك وحسن شيمتك ان تفي لذلك الرجل الحر الكريم بآماله

وامنيته

وامنيته وترعى له حق حرمته وتوصله الى غرضه وان تخصه منك بغامر الاحسان ووافر الامتنان ومهما فعلته في حقه فانا المقصود به والشاكر عليه ثم عنون الكتاب وختمه وسلمه الى الوكيل فانفذه الوكيل الى عبد الله فحين قرأه ابتهج بما حواه واحضر ذلك الرجل وقال له اى الامرين اللذين وعدتك بهما احب اليك لاحضره لك بين يديك فقال الرجل العطاء احب الى من كل شئ فامر له بمائتي الف درهم وعشرة افراس عربية خمسة منها بالجلال الحرير وخمسة بسروج المواكب المحلاة وبعشرين تختا من الثياب وبعشرة من المماليك ركاب خيل وما يليق بذلك من الجواهر الثمينة ثم خلع عليه واحسن اليه ووجهه الى بغداد في هيئة عظيمة فلما وصل الى بغداد قصد باب دار يحيى بن خالد قبل ان يصل الى اهله وطلب الاذن في الدخول عليه فدخل الحاجب الى يحيى وقال له يا مولاى ان بالباب رجلا ظاهر الحشمة جميل الخلقة حسن الحال كثير الغلمان يريد الدخول عليك فاذن له بالدخول فلما دخل عليه قبل الارض بين يديه فقال له يحيى من انت فقال له الرجل ايها السيد انا الذى كنت ميتا من جور الزمان فاحييتني من رمس النوائب وبعثتني الى جنة المطالب انا الذى زورت كتابا عنك واوصلته الى عبد الله بن مالك الخزاعي فقال له يحيى ما الذى فعل معك واى شئ اعطاك فقال اعطاني من يدك وجميل طويتك وشمول نعمتك وعموم كرمك وعلو همتك وواسع فضلك حتى اغناني وخولني وهاداني وقد جئت بجميع عطيته وهداياه وها هي ببابك والامر اليك والحكم في يديك فقال له يحيى ان صنيعك معي اجمل من صنيعي معك ولك على المنة العظيمة واليد البيضاء الجسيمة حيث بدلت العداوة التي كانت بيني وبين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة والمودة فانا اهب لك من المال مثل ما وهب لك عبد الله بن مالك ثم امر له من المال والخيل والتخوت بمثل ما اعطاه عبد الله فعادت لذلك الرجل نعمته كما كانت بمروءة هذين الكريمين

وروى ان المأمون لم يكن في خلفاء بني العباس خليفة اعلم منه في جميع العلوم وكان له في كل اسبوع يومان يجلس فيهما لمناظرة العلماء فتجلس المناظرون من الفقهاء والمتكلمين بحضرته على طبقاتهم ومراتبهم فبينما هو جالس معهم اذ دخل في مجلسه رجل غريب وعليه ثياب بيض رثة فجلس في آخر الناس وقعد من وراء الفقهاء في مكان مجهول فلما ابتدؤا في الكلام وشرعوا في معضلات المسائل وكان من عادتهم انهم يديرون المسألة على اهل المجلس واحدا بعد واحد فكل من وجد زيادة لطيفة او نكتة غريبة ذكرها فدارت المسألة الى ان وصلت الى ذلك الرجل الغريب فتكلم واجاب بجواب احسن من اجوبة الفقهاء كلهم فاستحسن الخليفة كلامه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة المأمون استحسن كلامه وامر ان يرفع من ذلك المكان الى اعلا منه فلما وصلت اليه المسألة الثانية اجاب بجواب احسن من الجواب الاول فامر المأمون ان يرفع الى اعلى من تلك الرتبة فلما دارت المسألة الثالثة اجاب بجواب احسن واصوب من الجوابين الاولين فامر المأمون ان يجلس قريبا منه فلما انقضت المناظرة احضروا الماء وغسلوا ايديهم واحضروا الطعام فاكلوا ثم نهض الفقهاء فخرجوا ومنع المأمون ذلك الشخص من الخروج معهم وادناه منه ولاطفه ووعده بالاحسان اليه والانعام عليه ثم تهيأ مجلس الشراب وحضر الندماء الملاح ودارت الراح فلما وصل الدور الى ذلك الرجل وثب قائما على قدميه وقال ان اذن لي امير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة فقال له قل

ماتشاء فقال قد علم الرأى العالى زاده الله علوا ان العبد كان اليوم فى هذا المجلس الشريف من مجاهيل
الناس ووضعاء الجلاس وان امير المؤمنين قربه وادناه بيسير من العقل الذى ابداه وجعله مرفوعا على
درجة غيره وبلغ به الغاية التى لم تسم اليها همته والان يريد ان يفرق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل
الذى اعزه بعد الذلة وكثره بعد القلة وحاشى وكلا ان يحسده امير المؤمنين على هذا القدر الذى معه
من العقل والنباهة والفضل لان العبد اذا شرب الشراب تباعد عنه العقل وقرب منه الجهل وسلب
ادبه وعاد الى تلك الدرجة الحقيرة كما كان وصار فى اعين الناس حقيرا مجهولا فارجو من الرأى العالى
انه لا يسلب منه هذه الجوهرة بفضله وكرمه وسيادته وحسن شيمه فلما سمع الخليفة المأمون منه
هذا القول مدحه وشكره واجلسه فى رتبته ووقره وامر له بمائة الف درهم وحمله على فرس واعطاه ثيابا
فاخرة وكان فى كل مجلس يرفعه ويقربه على جماعة الفقهاء حتى صار ارفع منهم درجة واعلى مرتبة
والله اعلم وحكى انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من التجار فى بلاد خراسان اسمه
مجد الدين وله مال كثير وعبيد ومماليك وغلمان الا انه بلغ من العمر ستين سنة ولم يرزق ولدا وبعد ذلك
رزقه الله تعالى ولدا فسماه عليا فلما انتشى ذلك الغلام صار كالبدر ليلة التمام ولما بلغ مبلغ الرجال
وحاز صفات الكمال ضعف والده بمرض الموت فدعا بولده وقال له يا ولدى انه قد قرب وقت المنية
واريد ان اوصيك وصية فقال له وما هى يا والدى فقال له اوصيك انك لا تعاشر احدا من الناس وتجتنب
ما يجلب الضر والباس واياك وجليس السوء فانه كالحداد ان لم تحرقك ناره يضرك دخانه
وما احسن قول الشاعر

ما فى زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا خان الزمان وفى
فعش فريدا ولا تركن الى احد * ها قد نصحتك فيما قلته وكفى

وقول الاخر

الناس داء دفين * لا تركنن اليهم
فيهم خداع ومكر * لو اطلعت عليهم

وقول الاخر

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم او اصلاح حال

وقول الاخر

اذا ما الناس جربهم لبيب * فانى قد اكلتهم وذقا
فلم ار ودهم الا خداعا * ولم ار دينهم الا نفاقا

فقال يا ابى سمعت واطعت ثم ماذا افعل فقال افعل الخير اذا قدرت عليه ودم على صنع الجميل مع الناس
واغتنم بذل المعروف فما فى كل وقت ينجح الطلب وما احسن قول الشاعر

ليس فى كل ساعة واوان * تتأتى صنائع الاحسان
فاذا امكنتك بادر اليها * حذرا من تعذر الامكان

فقال سمعت واطعت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الصبى قال لابيه سمعت واطعت ثم ماذا قال ياولدى احفظ الله يحفظك وصن مالك ولا تفرط فيه فانك ان فرطت فيه تحتاج الى اقل الناس واعلم ان قيمة المرء ما ملكت يمينه وما احسن قول الشاعر

ان قل مالى فلا خل يصاحبنى * او زاد مالى فكل الناس خلانى
فكم عدو لاجل المال صاحبنى * وكم صديق لفقد المال عادانى

فقال ثم ماذا قال ياولدى شاور من هو اكبر منك سنا ولا تعجل فى الامر الذى تريده وارحم من هو دونك يرحمك من هو فوقك ولا تظلم احدا فيسلط الله عليك من يظلمك وما احسن قول الشاعر

اقرن برأيك رأى غيرك واستشر * فالرأى لا يخفى على الاثنين
فالمرء مرآة تريه وجهه * ويرى قفاه بجمع مرآتين

وقول الآخر

تأن ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

وقول الآخر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * ان الظلوم على حد من النقم
تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

واياك وشرب الخمر فهو رأس كل شر وشربه مذهب للعقول ويزرى بصاحبه وما احسن قول الشاعر

تالله لا خامرتنى الخمر ما علقت * روحى بجسمى واقوالى بافصاحى
ولا صبوت الى مشمولة ابدا * يوما ولا اخترت ندمانا سوى الصاحى

فهذه وصيتى لك فاجعلها بين عينيك والله خليفتى عليك ثم غشى عليه فسكت ساعة واستفاق فاستغفر الله وتشهد وتوفى الى رحمة الله تعالى فبكى عليه ولده وانتحب ثم اخذ فى تجهيزه على ما يجب ومشت فى جنازته الاكابر والاصاغر وصار القراء يقرؤن حول تابوته وما ترك من حقه شيأ حتى فعله ثم صلوا عليه وواروه فى التراب وكتبوا على قبره هذين البيتين

خلقت من التراب فصرت حيا * وعلمت الفصاحة فى الخطاب
وعدت الى التراب فصرت ميتا * كأنك ما برحت من التراب

وحزن عليه ولده على شار حزنا شديدا وعمل عزاءه على عادة الاعيان واستمر حزينا على ابيه الى ان ماتت امه بعده بمدة يسيرة ففعل بوالدته مثل ما فعل بابيه ثم بعد ذلك جلس فى الدكان يبيع ويشترى ولا يعاشر احدا من خلق الله تعالى عملا بوصية ابيه واستمر على ذلك مدة سنة وبعد السنة دخلت عليه اولاد النساء الزوانى بالحيل وصاحبوه حتى مال معهم الى الفساد واعرض عن طريق الرشاد وشرب الراح بالاقداح والى الملاح غدا وراح وقال فى نفسه ان والدى جمع لى هذا المال وانا ان لم اتصرف فيه فلمن اخليه والله لا افعل الا كما قال الشاعر

ان كنت دهرك كله * تحوى اليك وتجمع
فمتى بما حصلته * وحويته تتمتع

ومازال على شار يبذر فى المال اناء الليل واطراف النهار حتى اذهب ماله كله وافتقر فساء حاله وتكدر

بالدوباع الدكان والاماكن وغيرها ثم بعد ذلك باع ثياب بدنه ولم يترك لنفسه غير بدلة واحدة فلما ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وقع فى الحسرة وقعد يوما من الصبح الى العصر بغير افطار فقال فى نفسه انا ادور على الذين كنت انفق مالى عليهم لعل احدا منهم يطعمنى فى هذا اليوم فدار عليهم جميعا وكلما طرق باب احد منهم ينكر نفسه ويتوارى منه حتى احرقه الجوع ثم ذهب الى سوق التجار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عليا شار احرقه الجوع فذهب الى سوق التجار فوجد حلقة ازدحام والناس مجتمعون فيها فقال فى نفسه ياترى ما سبب اجتماع هؤلاء الناس والله لا انتقل من هذا المكان حتى اتفرج على هذه الحلقة ثم تقدم الى الحلقة فوجد جارية خماسية معتدلة القد موردة الخد قاعدة النهد قد فاقت اهل زمانها فى الحسن والجمال والبهاء والكمال كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا كملت * فى قالب الحسن لا طول ولا قصر
والحسن اصبح مشغوفا بصورتها * والصد يعذلها والتيه والخفر
فالبدر طلعتها والغصن قامتها * والمسك نكهتها ما مثلها بشر
كانها افرغت من ماء لؤلؤة * فى كل جارحة من حسنها قمر

وكانت تلك الجارية اسمها زمرد فلما نظرها على شار تعجب من حسنها وجمالها وقال والله ما ابرح حتى انظر القدر الذى يبلغه ثمن هذه الجارية واعرف الذى يشتريها ثم وقف بجملة التجار فظنوا انه يشترى لما يعلمون من غناه بالمال الذى ورثه من والديه ثم ان الدلال قد وقف على رأس الجارية وقال يا تجار يا ارباب الاموال من يفتح باب السعر فى هذه الجارية سيدة الاقمار الدرة السنية زمرد الستورية بغية الطالب ونزهة الراغب فافتحوا الباب فليس على من فتحه لوم ولا عتاب فقال بعض التجار على بخمسمائة دينار قال آخر وعشرة فقال شيخ يسمى رشيد الدين وكان ازرق العين قبيح المنظر ومائة فقال آخر وعشرة قال الشيخ بالف دينار فحبس التجار السنتهم وسكتوا فشاور الدلال سيدها فقال انا حالف انى ما ابيعها الا لمن تختاره فشاورها فجاء الدلال اليها وقال يا سيدة الاقمار ان هذا التاجر يريد ان يشتريك فنظرت اليه فوجدته كما ذكرنا فقالت للدلال انا لا اباع لشيخ اوقعه الهرم فى اسوء حال ولله در من قال

سألتها قبلة يوما وقد نظرت * شيبى وقد كنت ذا مال وذا نعم
فاعرضت بالصد عنى وهى قائلة * لا والذى خلق الانسان من عدم
ما كان لى فى بياض الشيب من ارب * افى الحياة يكون القطن حشو فمى

فلما سمع الدلال قولها قال لها والله انك معذورة وقيمتك عشرة الاف دينار ثم اعلم سيدها انها ما رضيت بذلك الشيخ فقال شاورها على غيره فتقدم انسان آخر وقال على بما اعطى فيها الشيخ الذى لم ترض به فنظرت الى ذلك الرجل فوجدته مصبوغ اللحية فقالت ما هذا العيب والريب وسواد وجه الشيب ثم اكثرت التعجبات وانشدت هذه الابيات

بدا لى من فلان ما بدا لى * قفا والله يصفع بالنعال

وذقن للبعوض بها مجال * وقرن مال من ربط الحبال
ايا مفتون فى خدى وقدى * تزور بالمحال ولا تبالى
وتصبغ بالعيوب بياض شيب * وتخفى ما بدا للاحتيال
تروح بلحية وتجى باخرى * كانك بعض صناع الخيال

وما احسن قول الشاعر

قالت اراك خضبت الشيب قلت لها * سترته عنك يا سمعى ويا بصرى
فقهقهت ثم قالت ان ذا عجب * تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

فلما سمع الدلال شعرها قال لها والله انك صدقت فقال التاجر ما الذى قالت فاعاد عليه الابيات فعرف ان الحق على نفسه وامتنع من اشترائها فتقدم تاجر آخر وقال شاورها على بالثمن الذى سمعته فشاورها عليه فنظرت اليه فوجدته اعور فقالت هذا اعور وقد قال فيه الشاعر

لا تصحب الاعور يوما وكن * فى حذر من شره ومينه
لو كان فى الاعور من خيرة * ما اوجد الله العمى بعينه

فقال لها الدلال اتبيعى لذلك التاجر فنظرت اليه فوجدته قصيرا وذقنه سابلة الى سرته فقالت هذا الذى قال فيه الشاعر

لى صديق وله لحية * انبتها الله بلا فائده
كانها بعض ليالى الشتا * طويلة مظلمة بارده

فقال لها الدلال يا سيدتى انظرى من يعجبك من الحاضرين وقولى عليه حتى ابيعك له فنظرت الى حلقة التجار وتفرستهم واحدا بعد واحد فوقع نظرها على على شار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما وقع نظرها على على شار نظرته نظرة اعقبتها الف حسرة وتعلق قلبها به لانه كان بديع الجمال والطف من نسيم الشمال فقالت يا دلال انا لا اباع الا لسيدى هذا صاحب الوجه المليح والقد الرجيح الذى قال فيه بعض واصفيه

ابرزوا وجهك الجميل * ثم لاموا من افتتن
لو ارادوا صيانتى * ستروا وجهك الحسن

فلا يملكنى الا هو لانه خده اسيل ورضابه سلسبيل وريقه يشفى العليل ومحاسنه تحير الناظم والناثر كما قال فيه الشاعر

فريقه خمر وانفاسه * مسك وذاك الثغر كافور
اخرجه رضوان من داره * مخافة ان تفتن الحور
يلومه الناس على تيهه * والبدر مهما تاه معذور

صاحب الشعر الاجعد والخد المورد واللحظ الساحر الذى قال فيه الشاعر

وشادن بوصال منه واعدنى * فالقلب فى قلق والعين منتظره

ابدفانه ضمنت لى صدق موعده * فكيف توفى ضمانا وهى منكسره

وقال الاخر

قالوا بدا خط العذار بخده * كيف التعشق فيه وهو معذر
فاجبتهم كفوا الملامة واقصروا * ان صح ذالك الخط فهو مزور
جنات عدن فى جنى وجناته * ودليله ان المراشف كوثر

فلما سمع الدلال ما انشدته من الاشعار فى محاسن على شار تعجب من فصاحتها واشراق بهجتها فقال له صاحبها لا تعجب من بهجتها التى تفضح شمس النهار ولا من حفظها لرقائق الاشعار فانها مع ذلك تقرأ القرآن العظيم بالسبع قرآت وتروى الاحاديث الشريفة بصحيح الروايات وتكتب بالسبعة اقلام وتعرف من العلوم ما لا يعرفه العالم العلام ويداها احسن من الذهب والفضة فانها تعمل الستور الحرير وتبيعها فتكتسب فى كل واحد خمسين دينارا وتشتغل الستر فى ثمانية ايام فقال الدلال يا سعادة من تكون هذه فى داره ويجعلها من ذخائر اسراره ثم قال له سيدها بعها لكل من ارادته فرجع الدلال الى على شار وقبل يديه وقال يا سيدى اشتر هذه الجارية فانها اختارتك وذكر له صفتها وما تعرفه وقال له هنيأ لك اذا اشتريتها فانه قد اعطاك من لا يبخل بالعطاء فاطرق على شار برأسه ساعة الى الارض وهو يضحك على نفسه وقال فى سره انى الى هذا الوقت من غير افطار ولكن اختشى من التجار ان اقول ما عندى مال اشتريها به فنظرت الجارية الى اطراقه وقالت للدلال خذ بيدى وامض بى اليه حتى اعرض نفسى عليه وارغبه فى اخذى فانى ما ابيع الا له فاخذها الدلال واوقفها قدام على شار وقال له ما رأيك يا سيدى فلم يرد عليه جوابا فقالت الجارية يا سيدى وحبيب قلبى ما لك لا تشترينى فاشترنى بما شئت واكون سبب سعادتك فرفع رأسه اليها وقال هل الشراء بالغصب انت غالية بالف دينار فقالت له يا سيدى اشترنى بتسعمائة قال لا قالت بثمانمائة قال لا فما زالت تنقص من الثمن الى ان قالت له بمائة دينار قال ما معى مائة كاملة فضحكت وقالت له كم تنقص مائتك قال ما معى لا مائة ولا غيرها انا والله لا املك ابيض ولا احمر من درهم ولا دينار فانظرى لك زبونا غيرى فلما علمت انه ما معه شئ قالت له خذ بيدى على انك تقلبنى فى عطفة ففعل ذلك فاخرجت من جيبها كيسا فيه الف دينار وقالت زن منه تسعمائة فى ثمنى وابق المائة معك تنفعنا ففعل ما امرته به واشتراها بتسعمائة دينار ودفع ثمنها من ذلك الكيس ومضى بها الى الدار فلما وصلت الى الدار وجدتها قاعا صفصفا لا فرش بها ولا اوانى فاعطته الف دينار وقالت له امض الى السوق واشتر لنا بثلاثمائة دينار فرشا واوانى للبيت ففعل ثم قالت له اشتر لنا ماكولا ومشروبا بثلاثة دنانير ... وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت له اشتر لنا ماكولا ومشروبا بثلاثة دنانير ففعل ثم قالت له اشتر لنا خرقة حرير قدر ستر واشتر قصبا اصفر وابيض وحريرا ملونا سبعة الوان ففعل ثم انها فرشت البيت واوقدت الشمع وجلست تأكل وتشرب هى واياه وبعد ذلك قاموا الى الفرش وقضوا الغرض من بعضهما ثم باتا متعانقين خلف الستائر وكانا كما قال الشاعر

زر من تحب ودع كلام الحاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد

انى

انى نظرتك فى المنام ضاجعى ✻ واثمت من شفتيك احلى بارد
حقا صحيحا كل ما عاينته ✻ ولسوف ابلغه برغم الحاسد
لم تنظر العينان احسن منظرا ✻ من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضى ✻ متوسدين بمعصم وبساعد
واذا اتأ لفت القلوب لبعضها ✻ فالناس تضرب فى حديد بارد
يامن يلوم على الهوى اهل الهوى ✻ هل تستطيع صلاح قلب فاسد
واذا صفالك من زمانك واحد ✻ فهو المراد وعش بذاك الواحد

واستمرا متعانقين الى الصباح وقد سكنت محبة كل واحد منهما فى قلب صاحبه ثم اخذت الستر وطرزته بالحرير الملون وزركشته بالقصب وجعلت فيه منطقة بصور طيور وصورت فى دائرها صور الوحوش ولم تترك وحشا فى الدنيا الا وصورت صورته فيه ومكثت تشتغل فيه ثمانية ايام فلما فرغ قطعته وصقلته ثم اعطته لسيدها وقالت له اذهب به الى السوق وبعه بخمسين دينارا للتاجر واحذر ان تبيعه لاحد عابر طريق فان ذلك يكون سببا للفراق بيني وبينك لان لنا اعداء لا يغفلون عنا فقال لها سمعا وطاعة ثم ذهب به الى السوق وباعه لتاجر كما امرته وبعد ذلك اشترى الخرقة والحرير والقصب على العادة وما يحتاجان اليه من الطعام واحضر لها ذلك واعطاها بقية الدراهم فصارت كل ثمانية ايام تعطيه سترا يبيعه بخمسين دينارا ومكثت على ذلك سنة كاملة وبعد السنة راح الى السوق بالستر على العادة واعطاه للدلال فعرض له نصرانى فدفع له ستين دينارا فامتنع فلا زال يزيده حتى عمله بمائة دينار وبرطل الدلال بعشرة دنانير فرجع الدلال على على شار واخبره بالثمن وتحيل عليه فى ان يبيع الستر للنصرانى بذلك المبلغ وقال له ياسيدى لا تخف من هذا النصرانى وما عليك منه بأس وقامت التجار عليه فباعه للنصرانى وقلبه مرعوب ثم قبض المال ومضى الى البيت فوجد النصرانى ماشيا خلفه فقال له يانصرانى مالك ماشيا خلفى فقال له ياسيدى ان لى حاجة فى صدر الزقاق الله لا يحوجك فما وصل على شار الى منزله الا والنصرانى لاحقه فقال له يا ملعون مالك تتبعنى اين ما اسير فقال ياسيدى اسقينى شربة ماء فانى عطشان واجرك على الله تعالى فقال على شار فى نفسه هذا رجل ذمى وقصدنى فى شربة ماء فوالله لا اخيبه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عليا شار قال فى نفسه هذا رجل ذمى وقصدنى فى شربة ماء فوالله لا اخيبه ثم دخل البيت واخذ كوز ماء فرأته جاريته زمرد فقالت له يا حبيبى هل بعت الستر قال نعم قالت لتاجر او لعابر سبيل فقد حس قلبى بالفراق قال ما بعته الا لتاجر قالت اخبرنى بحقيقة الامر حتى اتدارك شأنى وما بالك اخذت كوز الماء قال لاسقى الدلال فقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انشدت هذين البيتين

ياطالبا للفراق مهلا ✻ فلا يغرنك العناق
مهلا فطبع الزمان غدر ✻ وآخر الصحبة الفراق

ثم خرج بالكوز فوجد النصرانى داخلا فى دهليز البيت فقال له هل وصلت الى هنا يا كلب كيف

تدخل منزلي بغير اذني فقال يا سيدي لا فرق بين الباب والدهليز وما بقيت انتقل من مكاني هذا الا للخروج وانت لك الفضل والاحسان والجود والامتنان ثم انه تناول كوز الماء وشرب ما فيه وبعد ذلك ناوله الى علي شار فاخذه وانتظره ان يقوم فما قام فقال له لاي شيء لم تقم وتذهب الى حال سبيلك فقال يا مولاي لا تكن ممن فعل الجميل ومن به ولا من الذين قال فيهم الشاعر

ذهب الذين اذا وقفت ببابهم * كانوا لقصدك اكرم الكرماء

واذا وقفت بباب قوم بعدهم * منوا عليك بشربة من ماء

ثم قال يا مولاي اني قد شربت ولكن اريد منك ان تطعمني مهما كان من البيت سواء كان كسرة او فرقوشة وبصلة فقال له قم بلا محاكمة ما في البيت شيء فقال يا مولاي ان لم يكن في البيت شيء فخذ هذه المائة دينار وتأتينا بشيء من السوق ولو برغيف واحد ليصير بيني وبينك خبز وملح فقال علي شار في سره ان هذا النصراني مجنون فانا آخذ منه المائة دينار واجيء له بشيء يساوي درهمين واضحك عليه فقال له النصراني يا سيدي انما اريد شيأ يطرد الجوع ولو رغيفا يابسا وبصلة فخير الزاد ما دفع الجوع لا الطعام الفاخر وما احسن قول الشاعر

الجوع يطرد بالرغيف اليابس * فعلام تعظم حسرتي ووساوسي

والموت اعدل حين اصبح منصفا * بين الخليفة والفقير البائس

فقال له علي شار اصبر هنا حتى اقفل القاعة وآتيك بشيء من السوق فقال له سمعا وطاعة ثم خرج وقفل القاعة وحط على الباب كيلونا واخذ المفتاح معه وذهب الى السوق واشترى جبنا مقليا وعسلا ابيض وموزا وخبزا واتى به اليه فلما نظر النصراني الى ذلك قال يا مولاي هذا شيء كثير يكفي عشرة رجال وانا وحدي فلعلك تأكل معي فقال له كل وحدك فاني شبعان فقال له يا مولاي قالت الحكماء من لم يأكل مع ضيفه فهو ولد زنا فلما سمع علي شار من النصراني هذا الكلام جلس واكل معه شيأ قليلا واراد ان يرفع يده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان علي شار جلس واكل معه شيأ قليلا واراد ان يرفع يده فاخذ النصراني موزة وقشرها وشقها نصفين وجعل في نصفها بنجا مكررا ممزوجا بافيون الدرهم منه يرمي الفيل ثم غمس نصف الموزة في العسل وقال له يا مولاي وحق دينك ان تأخذ هذه فاستحى علي شار ان يحنثه في يمينه فاخذها منه وابتلعها فما استقرت في بطنه حتى سبقت رأسه رجليه وصار كأنه له سنة وهو راقد فلما رأى النصراني ذلك قام على قدميه كانه ذئب امعط او قضاء مسلط واخذ معه مفتاح القاعة وتركه مرميا وذهب يجري الى اخيه واخبره بالخبر وسبب ذلك ان اخا النصراني هو الشيخ الهرم الذي اراد ان يشتريها بالف دينار فلم ترض به وهجته بالشعر وكان كافرا في الباطن مسلما في الظاهر وسمى نفسه رشيد الدين ولما هجته ولم ترض به شكا الى اخيه النصراني الذي تحيل في اخذها من سيدها علي شار وكان اسمه برسوم فقال له لا تحزن من هذا الامر فانا اتحيل لك في اخذها بلا درهم ولا دينار لانه كان كاهنا ماكرا مخادعا فاجرا ثم انه لم يزل يمكر ويتحيل حتى عمل الحيلة التي ذكرناها واخذ المفتاح وذهب الى اخيه واخبره بما حصل فركب بغلته واخذ غلمانه وتوجه مع اخيه الى بيت علي شار

واخذمعه كيسافيه الف دينار اذاصادفه الوالى فيعطيه اياه ففتح القاعة وهجمت الرجال الذين معه على زمرد واخذوها قهرا وهددوها بالقتل ان تكلمت وتركوا المنزل على حاله ولم يأخذوا منه شيأ وتركوا على شار راقدا فى الدهليز ثم ردوا الباب عليه وتركوا مفتاح القاعة فى جانبه ومضى بها النصرانى الى قصره ووضعها بين جواريه وسراريه وقال لها يا فاجرة انا الشيخ الذى ما رضيت بى وهجرتنى وقد اخذتك بلا درهم ولا دينار فقالت له وقد تغرغرت عيناها بالدموع حسبك الله يا شيخ السوء حيث فرقت بينى وبين سيدى فقال لها يا فاجرة يا عشاقة سوف تنظرين ما افعل بك من العذاب وحق المسيح والعذراء ان لم تطاوعينى وتدخلى فى دينى لاعذبنك بانواع العذاب فقالت له والله لو قطعت لحمى قطعا ما فارق دين الاسلام ولعل الله تعالى ان يأتينى بالفرج القريب انه على ما يشاء قدير وقد قالت العقلاء مصيبة فى الابدان ولا مصيبة فى الاديان فعند ذلك صاح على الخدم والجوارى وقال لهم اطرحوها فطرحوها ولا زال يضربها ضربا عنيفا وصارت تستغيث فلا تغاث ثم اعرضت عن الاستغاثة وصارت تقول حسبى الله وكفى الى ان انقطع نفسها وخفى انينها فلما اشتفى قلبه منها قال للخدم اسحبوها من رجليها وارموها فى المطبخ ولا تطعموها شيأ ثم بات الملعون تلك الليلة ولما اصبح الصباح طلبها وكرر عليها الضرب وامر الخدم ان يرموها فى مكانها ففعلوا فلما برد عليها الضرب قالت لا اله الا الله محمد رسول الله حسبى الله ونعم الوكيل ثم استغاثت بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد الثلثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زمرد استغاثت بالنبى صلى الله عليه وسلم هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر على شار فانه لم يزل راقدا الى ثانى يوم ثم طار البنج من رأسه ففتح عينيه وصاح قائلا يا زمرد فلم يجبه احد فدخل القاعة فوجد الجو قفرا والمزار بعيدا فعلم انه ما جرى عليه هذا الامر الا من النصرانى فحن وبكى وان واشتكى وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

يا وجد لا تبق على ولا تذر * ها مهجتى بين المشقة والخطر
يا سادتى رقوا العبد ذل فى * شرع الهوى وغنى قوم افتقر
ما حيلة الرامى اذا التقت العدى * واراد رمى السهم فانقطع الوتر
واذا تكاثرت الهموم على الفتى * وتراكمت اين المفر من القدر
ولكم احاذر من تفرق شملنا * لكن اذا نزل القضا عمى البصر

فلما فرغ من شعره صعد الزفرات وانشد ايضا هذه الابيات

خلعت هيا كلها بجرعاء الحمى * فصبا المعنى لها الكئيب تشوقا
وتلفتت نحو الديار فشاقها * ربع عفت اطلاله فتمزقا
وقفت تسائله فرد جوابها * رجع الصدا ان لا سبيل الى اللقا
فكأنه برق تألق بالحمى * ومضى فما يبدى اليك تألقا

وندم حيث لا ينفعه الندم وبكى ومزق اثوابه واخذ بيده حجرين ودار حول المدينة وصار يدق بهما فى صدره ويصيح قائلا يا زمرد فدارت الصغار حوله وقالوا مجنون مجنون فكان كل من عرفه يبكى عليه

ويقول هذا فلان ما الذي جرى له ولم يزل على هذه الحالة الى آخر النهار فلما جن عليه الليل نام في بعض الازقة الى الصباح ثم اصبح دائرا بالاحجار حول المدينة الى آخر النهار وبعد ذلك رجع الى قاعته ليبيت فيها فنظرته جارية وكانت امرأة عجوز من اهل الخير فقالت له يا ولدي سلامتك متى جننت فاجابها بهذين البيتين

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * ما لذة العيش الا للمجانين

دعوا جنوني وهاتوا من جننت به * ان كان يشفي جنوني لا تلوموني

فعلمت جارته العجوز انه عاشق مفارق فقالت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا ولدي اشتهي منك ان تحكي لي خبر مصيبتك عسى الله ان يقدرني على مساعدتك عليها بمشيئته فحكى لها جميع ما وقع له مع برسوم النصراني اخي الكاهن الذي سمى نفسه رشيد الدين فلما علمت ذلك قالت له يا ولدي انك معذور ثم افاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

كفى المحبين في الدنيا عذابهم * تالله لاعذبتهم بعدها سقر

لانهم هلكوا عشقا وقد كتموا * مع العفاف بهذا يشهد الخبر

فلما فرغت من شعرها قالت له يا ولدي قم الآن واشتر قفصا مثل اقفاص اهل الصاغة واشتر اساور وخواتم وحلقانا وحليا يصلح للنساء ولا تبخل بالمال وضع جميع ذلك في القفص وهات القفص وانا اضعه على رأسي في صورة دلالة وادور وافتش عليها في البيوت حتى اقع على خبرها ان شاء الله تعالى ففرح علي شار بكلامها وقبل يديها ثم ذهب بسرعة واتى لها بما طلبته فلما حضر ذلك عندها قامت ولبست مرقعة ووضعت على رأسها ازارا عسليا واخذت في يدها عكازا وحملت القفص ودارت في العطف والبيوت ولم تزل دائرة من مكان الى مكان ومن حارة الى حارة ومن درب الى درب الى ان دلها الله تعالى على قصر الملعون رشيد الدين النصراني فسمعت من داخله انينا فطرقت الباب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما سمعت من داخل البيت انينا طرقت الباب فنزلت لها جارية ففتحت لها الباب وسلمت عليها فقالت لها العجوز ان معي هذه الحويجات للبيع هل عندكم من يشتري منها شيأ فقالت لها الجارية نعم ثم ادخلتها الدار واجلستها وجلس الجواري حولها واخذت كل واحدة شيأ منها فصارت العجوز تلاطف الجواري وتتساهل معهن في الثمن ففرح بها الجواري بسبب معروفها ولين كلامها وهي تتأمل في جهات المكان على صاحبة الانين فلاحت منها التفاتة اليها فحابتهم واحسنت اليهم وتأملت فوجدتها زمردا مطروحة فعرفتها فبكت وقالت لهم يا اولادي ما بال هذه الصبية في هذا الحال فحكى لها الجواري جميع القصة وقلن لها هذا الامر ليس باختيارنا ولكن سيدنا امرنا بهذا وهو مسافر الآن فقالت لهم يا اولادي لي عندكم حاجة وهي انكم تحلوا هذه المسكينة من الرباط الى ان تعلموا بمجيء سيدكم فتربطوها كما كانت وتكسبوا الاجر من رب العالمين فقلن لها سمعا وطاعة ثم انهم حلوها واطعموها واسقوها ثم قالت العجوز ياليت رجلي انكسرت ولا دخلت لكم منزلا وبعد ذلك ذهبت الى زمرد وقالت لها يا بنتي سلامتك سيفرج الله

عندك ثم ذكرت لها انها جاءت من عند سيدها على شار وواعدته انها فى ليلة غد تكون حاضرة وتلقى معها الخرس وقالت لها ان سيدك يأتى اليك تحت مسطبة القصر ويصفر لك فاذا سمعت ذلك فاصفرى له وتدلى له من الطاقة بحبل وهو يأخذك ويمضى فشكرتها على ذلك ثم خرجت العجوز وذهبت الى على شار واعلمته وقالت له توجه فى الليلة القابلة نصف الليل الى الحارة الفلانية فان بيت الملعون هناك وعلامته كذا وكذا فقف تحت قصره واصفر فانها تتدلى اليك فخذها وامض بها حيث شئت فشكرها على ذلك ثم انه افاض العبرات وانشد هذه الابيات

كف العواذل عن قيل وعن قال * قلبى معنى وجسمى ناحل بالى
وللدموع احاديث مسلسلة * عن الصحيح باعضال وارسال
يا خالى البال من همى ومن شجنى * اقصر عناك عن التسآل عن حالى
عذب المراشف لدن القد معتدل * سبى فؤادى بمعسول وعسال
ما قر قلبى مذ غبتم ولا هجعت * عينى ولا نجعت فى الصبر آمالى
تركتمونى رهين الشوق مكتئبا * مذبذبا بين حساد وعذال
اما السلو فشئ لست اعرفه * وغيركم قط لم يخطر على بالى

فلما فرغ من شعره تنهد وافاض دمع العين وانشد هذين البيتين

لله در مبشرى بقدومكم * فلقد اتى بلطائف المسموع
لو كان يقنع بالخليع منحته * قلبا تمزق ساعة التوديع

ثم انه صبر الى ان جن الليل وجاء وقت الميعاد فذهب الى تلك الحارة التى وصفتها له جارته ورأى القصر فعرفه وجلس على مسطبة تحته وغلب عليه النوم فنام وجل من لا ينام وكان له مدة لم ينم من الوجد الذى به فصار كالسكران فبينما هو نائم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد فبينما هو نائم واذا بلص من اللصوص خرج تلك الليلة فى اطراف المدينة ليسرق شيأ فرمته المقادير تحت قصر ذلك النصرانى فدار حوله فلم يجد له سبيلا الى الصعود اليه فصار دائرا حوله الى ان وصل الى المسطبة فرأى عليا شار نائما فاخذ عمامته وبعد ان اخذها لم يشعر الا وزمرد طلت فى ذلك الوقت فرأته واقفا فى الظلام فحسبته سيدها فصفرت له فصفر لها الحرامى فتدلت له بالحبل وصحبتها خرج ملآن ذهبا فلما رآه اللص قال فى نفسه ما هذا الا امر عجيب له سبب غريب ثم حمل الخرج وحملها على اكتافه وذهب بهما مثل البرق الخاطف فقالت له ان العجوز اخبرتنى انك ضعيف بسببى وها انت اقوى من الفرس فلم يرد عليها جوابا فجست على وجهه فوجدت لحيته مثل مقشة الحمام كانه خنزير ابتلع ريشا فطلع زغبه من حلقه ففزعت منه وقالت له اى شئ انت فقال لها يا عاهرة انا الشاطر جوان الكردى من جماعة احمد الدنف ونحن اربعون شاطرا وكلهم فى هذه الليلة يفسقون فى رحمك من العشاء الى الصباح فلما سمعت كلامه بكت ولطمت على وجهها وعلمت ان القضاء غلب عليها وانه لا حيلة لها الا التفويض الى الله تعالى فصبرت وسلمت لحكم الله تعالى وقالت لا اله الا الله كلما خلصنا من

هم وقعنا فى هم اكبر منه وكان السبب فى مجيء جوان الى هذا المحل انه قال لاحمد الدنف يا شاطر انا دخلت هذه المدينة قبل الان واعرف فيها غارا خارج البلد يسع اربعين نفسا وانا اريد ان اسبقكم اليه وادخل امى فى ذلك الغار ثم ارجع الى المدينة واسرق منها شيأ على بختكم واحفظه على اسمكم الى ان تحضروا فيكون ضيافتكم فى ذلك النهار من عندى فقال له احمد الدنف افعل ما تريد فخرج قبلهم وسبقهم الى ذلك المحل ووضع امه فى ذلك الغار ولما خرج من الغار وجد جنديا راقدا وعنده فرس مربوط فذبحه واخذ ثيابه واخذ فرسه وسلاحه وثيابه واخفاها فى الغار عند امه وربط الحصان هناك ثم رجع الى المدينة ومشى حتى وصل الى قصر النصرانى وفعل ما تقدم ذكره من اخذ عمامة على شار ومن اخذ زمرد جاريته ولم يزل يجرى بها الى ان حطها عند امه وقال لها احتفظى عليها الى حين ارجع اليك فى بكرة النهار ثم ذهب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جوان الكردى قال لامه احتفظى عليها حتى ارجع اليك فى بكرة النهار ثم ذهب فقالت زمرد فى نفسها وما هذه الغفلة عن خلاص روحى بالحيلة كيف اصبر الى ان يجيء هؤلاء الاربعون رجلا فيتعاقبون علىّ حتى يجعلونى كالمركب الغريقة فى البحر ثم انها التفتت الى العجوز ام جوان الكردى وقالت لها يا خالتى اما تقومين بنا الى خارج الغار حتى افليك فى الشمس فقالت اى والله يا بنتى فان لى مدة وانا بعيدة عن الحمام لان هؤلاء الخنازير لم يزالوا دائرين بى من مكان الى مكان فخرجت معها فصارت تفليها وتقتل القمل من رأسها الى ان استلذت بذلك ورقدت فقامت زمرد ولبست ثياب الجندى الذى قتله جوان الكردى وشدت سيفه فى وسطها وتعممت بعمامته حتى صارت كانها رجل وركبت الفرس واخذت الخرج الذهب معها وقالت يا جميل الستر استرنى بجاه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انها قالت فى نفسها ان رحت الى البلد ربما ينظرنى احد من اهل الجندى فلا يحصل لى خير ثم اعرضت عن دخول المدينة وسارت فى البر الاقفر ولم تزل سائرة بالخرج والفرس وتأكل من نبات الارض وتطعم الفرس منه وتشرب وتسقيها من الانهار مدة عشرة ايام وفى اليوم الحادى عشر اقبلت على مدينة طيبة امينة بالخير مكينة قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده واقبل عليها فصل الربيع بزهره وورده فزهت ازهارها وتدفقت انهارها وغردت اطيارها فلما وصلت الى المدينة وقربت من بابها وجدت العساكر والامراء واكابر اهل المدينة فتعجبت لما نظرتهم على هذه الحالة وقالت فى نفسها ان اهل هذه المدينة كلهم مجتمعون ببابها ولا بد لذلك من سبب ثم انها قصدتهم فلما قربت منهم تسابق اليها العساكر وترجلوا وقبلوا الارض بين يديها وقالوا الله ينصرك يا مولانا السلطان واصطفت بين يديها ارباب المناصب فصارت العساكر يرتبون الناس ويقولون الله ينصرك ويجعل قدومك مباركا على المسلمين يا سلطان العالمين ثبتك الله يا ملك الزمان يا فريد العصر والاوان فقالت لهم زمرد ما خبركم يا اهل هذه المدينة فقال الحاجب انه اعطاك من لا يبخل بالعطا وجعلك سلطانا على هذه المدينة وحاكما على رقاب جميع من فيها واعلم ان عادة اهل هذه المدينة اذا مات ملكهم ولم يكن له ولد تخرج العساكر الى ظاهر المدينة ويمكثون ثلاثة ايام فاى انسان جاء من طريقك التى جئت

منها يجعلونه سلطانا عليهم والحمد لله الذى ساق لنا انسانا من اولاد الترك جميل الوجه فلو طلع علينا اقل منك كان سلطانا وكانت زمرد صاحبة رأى فى جميع افعالها فقالت لا تحسبوا انى من اولاد عامة الاتراك بل انا من اولاد الاكابر لكننى غضبت من اهلى فخرجت من عندهم وتركتهم وانظروا الى هذا الخرج الذهب الذى جئت به تحته لاتصدق منه على الفقراء والمساكين طول الطريق فدعوا لها وفرحوا بها غاية الفرح وكذلك زمرد فرحت بهم ثم قالت فى نفسها بعد ان وصلت الى هذا الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زمرد قالت فى نفسها بعد ان وصلت الى هذا الامر لعل الله يجمعنى بسيدى فى هذا المكان انه على ما يشاء قدير ثم سارت فسار العسكر بسيرها حتى دخلوا المدينة وترجل العسكر بين يديها حتى ادخلوها القصر فنزلت واخذها الامراء والاكابر من تحت ابطيها حتى اجلسوها على الكرسى وقبلوا الارض جميعا بين يديها فلما جلست على الكرسى امرت بفتح الخزائن ففتحت وانفقت على جميع العسكر فدعوا لها بدوام الملك واطاعها العباد وسائر اهل البلاد واستمرت على ذلك مدة من الزمان وهى تأمر وتنهى وقد صار لها فى قلوب الناس هيبة عظيمة من اجل الكرم والعفة وابطلت المكوس واطلقت من فى الحبوس ورفعت المظالم فاحبها جميع الناس وكلما تذكرت سيدها تبكى وتدعو الله ان يجمع بينها وبينه واتفق انها تذكرته فى بعض الليالى وتذكرت ايامها التى مضت لها معه فافاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

شوقى اليك على الزمان جديد ✻ والدمع قرح مقلتى ويزيد
واذا بكيت بكيت من الم الجوى ✻ ان الفراق على المحب شديد

فلما فرغت من شعرها مسحت دموعها وطلعت القصر ودخلت الحريم وافردت للجوارى والسرارى منازل ورتبت لهن الرواتب والجرايات وزعمت انها تريد ان تجلس فى مكان وحدها عاكفة على العبادة وصارت تصوم وتصلى حتى قالت الامراء ان هذا السلطان له ديانة عظيمة ثم انها لم تدع عندها احدا من الخدم غير طواشيين صغيرين لاجل الخدمة وجلست فى تخت الملك سنة وهى لم تسمع لسيدها خبرا ولم تقف له على اثر فقلقت من ذلك فلما اشتد قلقها دعت بالوزراء والحجاب وامرتهم ان يحضروا لها المهندسين والبنائين وان يبنوا لها تحت القصر ميدانا طوله فرسخ وعرضه فرسخ ففعلوا ما امرتهم به فى اسرع وقت فجاء الميدان على طبق مرادها فلما تم ذلك الميدان نزلت فيه وضربت لها فيه قبة عظيمة وصفت فيه كراسى الامراء وامرت ان يمدوا سماطا من سائر الاطعمة الفاخرة فى ذلك الميدان ففعلوا ما امرتهم به ثم امرت ارباب الدولة ان يأكلوا فاكلوا ثم قالت للامراء اريد اذا هل الشهر الجديد ان تفعلوا هكذا وتنادوا فى المدينة انه لا يفتح احد دكانه بل يحضرون جميعا ويأكلون من سماط الملك وكل من خالف منهم يشنق على باب داره فلما هل الشهر الجديد فعلوا ما امرتهم به واستمروا على هذه العادة الى ان هل اول الشهر فى السنة الثانية فنزلت الى الميدان ونادى المنادى يا معاشر الناس كافة كل من فتح دكانه او حاصله او منزله شنق فى الحال على باب مكانه بل يجب عليكم انكم تحضرون جميعا لتأكلوا من سماط الملك فلما فرغت المناداة وقد وضعوا السماط جاءت الخلق افواجا فامرتهم بالجلوس على السماط ليأكلوا

حتى يشبعوا من سائر الالوان فجلسوا يأكلون كما امرتهم وجلست على كرسي المملكة تنظر اليهم فصار كل من جلس على السماط يقول فى نفسه ان الملك لا ينظر الا الى وجعلوا يأكلون وصار الامراء يقولون للناس كلوا ولا تستحوا فان الملك يحب ذلك فاكلوا حتى شبعوا وانصرفوا داعين للملك وصار بعضهم يقول لبعض عمرنا ما رأينا سلطانا يحب الفقراء مثل هذا السلطان ودعوا له بطول البقاء وذهبت الى قصرها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد الثلثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة زمرد ذهبت الى قصرها وهى فرحانة بما رتبته وقالت فى نفسها ان شاء الله تعالى بسبب ذلك اقع على خبر سيدى على شار ولما هل الشهر الثانى فعلت ذلك الامر على جرى العادة ووضعوا السماط ونزلت زمرد وجلست على كرسيها وامرت الناس ان يجلسوا ويأكلوا فبينما هى جالسة على رأس السماط والناس يجلسون عليه جماعة بعد جماعة وواحدا بعد واحد اذ وقعت عينها على برسوم النصرانى الذى كان اشترى الستر من سيدها فعرفته وقالت هذا اول الفرج وبلوغ المنى ثم ان برسوم تقدم وجلس مع الناس يأكل فنظر الى صحن ارز حلو مرشوش عليه سكر وكان بعيدا عنه فزاحم عليه ومد يده اليه وتناوله ووضعه قدامه فقال له رجل بجانبه لم لا تأكل من قدامك اما هذا عيب عليك كيف تمد يدك الى شئ بعيد عنك اما تستحى فقال له برسوم ما آكل الا منه فقال له الرجل كل لا هناك الله به فقال رجل حشاش دعه يأكل منه حتى آكل انا الآخر معه فقال له الرجل يا انحس الحشاشين هذا ما هو مأكولكم وانما هو مأكول الامراء فاتركوه حتى يرجع الى اصحابه فيأكلوه فخالفه برسوم واخذ منه لقمة وحطها فى فمه واراد ان يأخذ الثانية والملكة تنظر اليه فصاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا هذا الذى قدامه الصحن الارز الحلو ولا تدعوه يأكل اللقمة التى فى يده بل ارموها من يده فجاءه اربعة من العساكر وجبوه على وجهه بعد ان رموا اللقمة من يده واوقفوه قدام زمرد فامتنعت الناس عن الاكل وقال بعضهم لبعض والله انه ظالم لانه لم يأكل من طعام امثاله فقال واحد انا قنعت بهذا الكشك الذى قدامى فقال الحشاش الحمد لله الذى منعنى ان آكل من الصحن الارز الحلو شيأ لانى كنت انتظر ان يستقر قدامه ويتهنى عليه ثم آكل معه فحصل له ما رأينا فقالت الناس لبعضهم اصبروا حتى ننظر ما يجرى عليه فلما قدموه بين يدى الملكة زمرد قالت له ويلك يا ازرق العينين ما اسمك وما سبب قدومك الى بلادنا فانكر الملعون اسمه وكان متعمما بعمامة بيضاء فقال يا ملك اسمى على وصنعتى حياك وجئت الى هذه المدينة من اجل التجارة فقالت زمرد ائتونى بتخت رمل وقلم من نحاس فجاؤا بما طلبته فى الحال فاخذت التخت الرمل والقلم وضربت تخت رمل وخطت بالقلم صورة مثل صورة قرد ثم بعد ذلك رفعت رأسها وتأملت فى برسوم ساعة زمانية وقالت له يا كلب كيف تكذب على الملوك اما انت نصرانى واسمك برسوم وقد اتيت الى حاجة تفتش عليها فاصدقنى الخبر والا وعزة الربوبية اضرب عنقك فتلجلج النصرانى فقال الامراء والحاضرون ان هذا الملك يعرف ضرب الرمل سبحان من اعطاه ثم صاحت على النصرانى وقالت له اصدقنى الخبر والا اهلكتك فقال النصرانى العفو يا ملك الزمان انك صادق فى ضرب الرمل فان الابعد نصرانى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان النصراني قال العفو ياملك الزمان انك صادق في ضرب الرمل فان الابعد نصراني فتعجب الحاضرون من الامراء وغيرهم من اصابة الملك في ضرب الرمل وقالوا ان هذا الملك منجم مافي الدنيا مثله ثم ان الملكة امرت بان يسلخ النصراني ويحشى جلده تبنا ويعلق على باب الميدان وان يحفر حفرة في خارج البلد ويحرق فيها لحمه وعظمه وترمى عليه الاوساخ والاقذار فقالوا سمعا وطاعة وفعلوا جميع ما امرتهم به فلما نظر الخلق ما حل بالنصراني قالوا جزاؤه ما حل به فما كان اشأمها لقمة عليه فقال واحد منهم على البعيد الطلاق عمري ما بقيت آكل ارزا حلوا فقال الحشائشي الحمد لله الذي عافاني مما حل بهذا حيث حفظني من اكل ذلك الارز ثم خرج الناس جميعهم وقد حرموا الجلوس على الارز الحلو في موضع ذلك النصراني ولما كان الشهر الثالث مدوا السماط على جري العادة وملؤه بالاصحن وقعدت الملكة زمرد على الكرسي ووقف العسكر على جري العادة وهم خائفون من سطوتها ودخلت الناس من اهل المدينة على العادة وداروا حول السماط ونظروا الى موضع الصحن فقال واحد منهم للآخر يا حاج خلف قال له لبيك يا حاج خالد قال تجنب الصحن الارز الحلو واحذر ان تأكل منه فان اكلت منه تصبح مشنوقا ثم انهم جلسوا حول السماط للاكل فبينما هم يأكلون والملكة زمرد جالسة اذ حانت منها التفاتة الى رجل داخل يهرول من باب الميدان فتأملته فوجدته جوان الكردي اللص الذي قتل الجندي وسبب مجيئه انه كان ترك امه ومضى الى رفقائه وقال لهم اني كسبت البارحة كسبا طيبا وقتلت جنديا واخذت فرسه وحصل لي في تلك الليلة خرج ملآن ذهبا وصبية قيمتها اكثر من الذهب الذي في الخرج ووضعت جميع ذلك في الغار عند والدتي ففرحوا بذلك وتوجهوا الى الغار في آخر النهار ودخل جوان الكردي قدامهم وهم خلفه واراد ان يأتي لهم بما قال لهم عليه فوجد المكان قفرا فسأل امه عن حقيقة الامر فاخبرته بجميع ما جرى فعض على كفيه ندما وقال والله لادورن على هذه الفاجرة وآخذها من المكان الذي هي فيه ولو كانت في قشور الفستق واشفي غليلي منها وخرج يفتش عليها ولم يزل دائرا في البلاد حتى وصل الى مدينة الملكة زمرد فلما دخل المدينة لم يجد فيها احدا فسأل بعض النساء الناظرات من الشبابيك فاعلمنه ان اول كل شهر يمد السلطان سماطا وتروح الناس وتأكل منه ودلوه على الميدان الذي يمد فيه السماط فجاء وهو يهرول فلم يجد مكانا خاليا يجلس فيه الا عند الصحن المتقدم ذكره فقعد وصار الصحن قدامه فمد يده اليه فصاحت عليه الناس وقالوا له يا اخانا ما تريد ان تعمل قال اريد ان آكل من هذا الصحن حتى اشبع فقال له واحد ان اكلت منه تصبح مشنوقا فقال له اسكت ولا تنطق بهذا الكلام ثم مد يده الى الصحن وجره قدامه وكان الحشائشي المتقدم ذكره جالسا في جنبه فلما رأى جر الصحن قدامه هرب من مكانه وطارت الحشيشة من رأسه وجلس بعيدا وقال انا مالي حاجة بهذا الصحن ثم ان جوان الكردي مد يده الى الصحن وهي في صورة رجل الغراب وغرف بها واطلعها منه وهي في صورة خف الجمل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جوان الكردي اطلع يده من الصحن وهي في صورة خف الجمل ودور

اللقمة فى كفه حتى صارت مثل النارنجة الكبيرة ثم رماها فى فمه بسرعة فانحدرت فى حلقه ولها قرقعة مثل الرعد وبان قعر الصحن من موضعها فقال له من بجانبه الحمد لله الذى لم يجعلنى طعاما بين يديك لانك خسفت الصحن بلقمة واحدة فقال الحشاش دعوه يأكل فانى تخيلت فيه صورة المشنوق ثم التفت اليه وقال له كل لا هناك الله فمد يده الى اللقمة الثانية واراد ان يدورها فى يده مثل اللقمة الاولى واذا بالملكة صاحت على بعض الجند وقالت لهم هاتوا ذلك الرجل بسرعة ولا تدعوه يأكل اللقمة التى فى يده فجارت عليه العساكر وهو مكب على الصحن وقبضوا عليه واخذوه واوقفوه قدام الملكة زمرد فشمتت الناس به وقالوا لبعضهم انه يستاهل لاننا نصحناه فلم ينتصح وهذا المكان موعود بقتل من جلس فيه وذلك الارز مشؤوم على كل من يأكل منه ثم ان الملكة زمرد قالت له ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك مدينتنا قال يا مولانا السلطان اسمى عثمان وصنعتى خولى بستان وسبب مجيئى الى هذه المدينة اننى دائر افتش على شئ ضاع منى فقالت الملكة علىّ بتخت الرمل فاحضروه بين يديها فاخذت القلم وضربت تخت رمل ثم تأملت فيه ساعة وبعد ذلك رفعت رأسها وقالت له ويلك يا خبيث كيف تكذب على الملوك هذا الرمل يخبرنى ان اسمك جوان الكردى وصنعتك انك لص تأخذ اموال الناس بالباطل وتقتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق ثم صاحت عليه وقالت له يا خنزير اصدقنى بخبرك والا قطعت رأسك فلما سمع كلامها اصفر لونه وضحكت اسنانه وظن انه ان نطق بالحق ينجو فقال صدقت ايها الملك ولكننى اتوب على يديك من الآن وارجع الى الله تعالى فقالت له الملكة لا يحل لى ان اترك آفة فى طريق المسلمين ثم قالت لبعض اتباعها خذوه واسلخوا جلده وافعلوا به مثل ما فعلتم بنظيره فى الشهر الماضى ففعلوا ما امرتهم به ولما رأى الحشاش العسكر حين قبضوا على ذلك الرجل ادار ظهره الى الصحن الارز وقال ان استقبالك بوجهى حرام ولما فرغوا من الاكل تفرقوا وذهبوا الى اماكنهم وطلعت الملكة قصرها واذنت للمماليك بالانصراف ولما هل الشهر الثالث نزلوا الى الميدان على جرى العادة واحضروا الطعام وجلس الناس ينتظرون الاذن واذا بالملكة قد اقبلت وجلست على الكرسى وهى تنظر اليهم فوجدت موضع الصحن الارز خاليا وهو يسع اربعة انفس فتعجبت من ذلك فبينما هى تجول بنظرها اذ حانت منها التفاتة فنظرت انسانا داخلا من باب الميدان يهرول وما زال يهرول حتى وقف على السماط فلم يجد مكانا خاليا الا عند الصحن فجلس فيه فتأملته فوجدته الملعون النصرانى الذى سمى نفسه رشيد الدين فقالت فى نفسها ما ابرك هذا الطعام الذى وقع فى حبائله هذا الكافر وكان لمجيئه سبب عجيب وهو انه لما رجع من سفره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملعون الذى سمى نفسه رشيد الدين لما رجع من سفره اخبره اهل بيته ان زمرد قد فقدت ومعها خرج مال فلما سمع ذلك الخبر شق اثوابه ولطم على وجهه ونتف لحيته وارسل اخاه برسوما يفتش عليها فى البلاد فلما ابطأ عليه خبره خرج هو بنفسه ليفتش على اخيه وعلى زمرد فى البلاد فرمته المقادير الى مدينة زمرد ودخل تلك المدينة فى اول يوم من الشهر فلما مشى فى شوارعها وجدها خالية ورأى الدكاكين مقفولة ونظر النساء فى الطيقان فسأل بعضهن عن هذا الحال فقلن له ان الملك يعمل سماطا لجميع الناس فى اول كل شهر وتأكل منه الخلق جميعا وما يقدر احد ان يجلس فى بيته ولا فى دكانه

ودلوه على الميدان فلما دخل الميدان وجد الناس مزدحمين على الطعام ولم يجد موضعا خاليا الا الموضع الذى فيه الصحن الارز المعهود فجلس فيه ومد يده ليأكل منه فصاحت الملكة على بعض العسكر وقالت هاتوا الذى قعد على الصحن الارز فعرفوه بالعادة وقبضوا عليه واوقفوه قدام الملكة زمرد فقالت له ويلك ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك الى مدينتنا فقال ياملك الزمان اسمى رستم ولا صنعة لى لانى فقير درويش فقالت لجماعتها هاتوا الى تخت رمل والقلم النحاس فاتوها بما طلبته على العادة فاخذت القلم وخطت به تخت رمل ومكثت تتأمل فيه ساعة ثم رفعت رأسها اليه وقالت يا كلب كيف تكذب على الملوك انت اسمك رشيد الدين النصرانى وصنعتك انك تنصب الحيل لجوارى المسلمين وتأخذهن وانت مسلم فى الظاهر نصرانى فى الباطن فانطق بالحق وان لم تنطق بالحق فانى اضرب عنقك فتلجلج فى كلامه ثم قال صدقت ياملك الزمان فامرت به ان يمدوه ويضربوا على كل رجل مائة سوط وعلى جسده الف سوط وبعد ذلك يسلخ ويحشى جلده سامسا ثم تحفر له حفرة فى خارج المدينة ويحرق وبعد ذلك يضعون عليه الاوساخ والاقذار ففعلوا ما امرتهم به ثم اذنت للناس بالاكل فاكلوا ولما فرغ الناس من الاكل وانصرفوا الى حال سبيلهم طلعت الملكة زمرد الى قصرها وقالت الحمد لله الذى اراح قلبى من الذين آذونى ثم انها شكرت فاطر الارض والسموات وانشدت هذه الابيات

تحكموا فاستطالوا فى تحكمهم * وبعد حين كأن الحكم لم يكن
لو انصفوا انصفوا لكن بغوا فبغى * عليهم الدهر بالآفات والمحن
فاصبحوا ولسان الحال ينشدهم * هذا بذاك ولا عتب على الزمن

ولما فرغت من شعرها خطر ببالها سيدها على شار فبكت بالدموع الغزار وبعد ذلك رجعت الى عقلها وقالت فى نفسها لعل الله الذى مكننى من اعدائى يمن على برجوع احبائى فاستغفرت الله عز وجل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملكة استغفرت الله عز وجل وقالت لعل الله يجمع شملى بحبيبى على شار قريبا انه على ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير ثم حمدت الله وداومت الاستغفار وسلمت لمواقع الاقدار وايقنت انه لابد لكل اول من آخر وانشدت قول الشاعر

هون عليك فان الامور * بكف الاله مقاديرها
فليس بآتيك منهيها * ولا قاصر عنك مأمورها

وقول الآخر

درج الايام تندرج * وبيوت الهم لا تلج
رب امر عز مطلبه * قربته ساعة الفرج

وقول الآخر

كن حليما اذا بليت بغيظ * وصبورا اذا اتتك مصيبه
ان الليالى من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيبه

وقول الآخر

اصبر ففي الصبر خير لو علمت به * لطبت نفسا ولم تجزع من الالم
واعلم بانك لو لم تصطبر كرما * صبرت رغما على ما خط بالقلم

فلما فرغت من شعرها مكثت بعد ذلك شهرا كاملا وهي بالنهار تحكم بين الناس وتأمر وتنهى وبالليل تبكي وتنتحب على فراق سيدها على شار ولما اهل الشهر الجديد امرت بمد السماط في الميدان على جري العادة وجلست فوق الناس وصاروا ينتظرون الاذن في الاكل وكان موضع الصحن الارز خاليا وجلست هي على رأس السماط وجعلت عينها قبال باب الميدان لتنظر كل من يدخل منه وصارت تقول في سرها يامن رد يوسف على يعقوب وكشف البلاء عن ايوب امنن علي برد سيدي على شار بقدرتك وعظمتك انك على كل شيء قدير يارب العالمين ياهادي الضالين ياسامع الاصوات يامجيب الدعوات استجب مني يارب العالمين فلم يتم دعاؤها الا وشخص داخل من باب الميدان كأن قوامه غصن بان الا انه نحيل البدن يلوح عليه الاصفرار وهو احسن ما يكون من الشباب كامل العقل والاداب فلما دخل لم يجد موضعا خاليا الا الموضع الذي عند الصحن الارز فجلس فيه ولما رأته زمرد خفق قلبها فحققت النظر فيه فتبين لها انه سيدها على شار فارادت ان تصرخ من الفرح فثبتت نفسها وخشيت من الفضيحة بين الناس ولكن تقلقلت احشاؤها واضطرب قلبها فكتمت ما بها وكان السبب في مجيء على شار انه لما رقد على المسطبة ونزلت زمرد واخذها جوان الكردي استيقظ بعد ذلك فوجد نفسه مكشوف الرأس فعرف ان انسانا تعدى عليه واخذ عمامته وهو نائم فقال الكلمة التي لا يخجل قائلها وهي انا لله وانا اليه راجعون ثم انه رجع الى العجوز التي كانت اخبرته بمكان زمرد وطرق عليها الباب فخرجت اليه فبكى بين يديها حتى وقع مغشيا عليه فلما افاق اخبرها بجميع ما حصل له فلامته وعنفته على ما وقع منه وقالت له ان مصيبتك وداهيتك من نفسك ولازالت تلومه حتى طفح الدم من مناخيره ووقع مغشيا عليه فلما افاق من غشيته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عليا شار لما افاق من غشيته رأى العجوز تبكي من اجله وتفيض دمع العين فتضجر وانشد هذين البيتين

ما أمر الفراق للاحباب * والذ الوصال للعشاق
جمع الله شمل كل محب * ورعاني لانني في السياق

فحزنت عليه العجوز وقالت له اقعد هنا حتى اكشف لك الخبر واعود بسرعة فقال سمعا وطاعة ثم تركته وذهبت وغابت عنه الى نصف النهار ثم عادت اليه وقالت ياعلي ما اظن الا انك تموت بحسرتك لانك ما بقيت تنظر محبوبتك الا على الصراط وذلك ان اهل القصر لما اصبحوا وجدوا الشباك الذي يطل على البستان مخلوعا ووجدوا زمرد مفقودة ومعها خرج مال النصراني ولما وصلت هناك وجدت الوالي واقفا على باب القصر هو وجماعته فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فلما سمع على شار منها هذا الكلام تبدل الضياء في وجهه بالظلام ويئس من الحياة وايقن بالوفاة ومازال يبكي حتى وقع مغشيا عليه فلما افاق اضر به العشق والفراق ومرض مرضا شديدا ولزم داره فصارت العجوز تأتيه بالاطباء وتسقيه الاشربة وتعمل له المساليق مدة سنة كاملة حتى ردت له روحه فتذكر ما فات

فانشد هذه الابيات

الهم مجتمع والشمل مفترق * والدمع مستبق والقلب محترق
زاد الغرام على من لا قرار له * وقد ضناه الهوى والشوق والقلق
يا رب ان كان شئ فيه لى فرج * فامنن علىّ به ما دام لى رمق

ولما دخلت عليه السنة الثانية قالت له العجوز يا ولدى هذا الذى انت فيه من الكآبة والحزن لا يرد عليك محبوبتك فقم وشد حيلك وفتش عليها فى البلاد لعلك ان تقع على خبرها ولم تزل تجلده وتقويه حتى نشطته وادخلته الحمام واسقته الشراب واطعمته الدجاج وصارت كل يوم تفعل معه كذلك مدة شهر حتى تقوى وسافر ولم يزل مسافرا الى ان وصل الى مدينة زمرد ودخل الميدان وجلس على الطعام ومد يده ليأكل فحزنت عليه الناس وقالوا له يا شاب لا تأكل من هذا الصحن لان من اكل منه يحصل له ضرر فقال دعونى آكل منه ويفعلون بى ما يريدون لعلى استريح من هذه الحياة المتعبة ثم اكل اول لقمة وارادت زمرد ان تحضره بين يديها فخطر ببالها انه جائع فقالت فى نفسها المناسب انى ادعه يأكل حتى يشبع فصار يأكل والخلق باهتة له ينتظرون الذى يجرى له فلما اكل وشبع قالت لبعض الطواشية امضوا الى ذلك الشاب الذى يأكل من الارز وهاتوه برفق وقولوا له كلم الملك لسؤال لطيف وجواب فقالوا سمعا وطاعة ثم ذهبوا اليه حتى وقفوا على رأسه وقالوا له يا سيدى تفضل كلم الملك وانت منشرح الصدر فقال سمعا وطاعة ثم مضى مع الطواشية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان على شار قال سمعا وطاعة ثم ذهب مع الطواشية فقال الخلق لبعضهم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يا ترى ما الذى يفعله به الملك فقال بعضهم لا يفعل به الا خيرا لانه لو كان يريد ضرره ما كان تركه يأكل حتى يشبع فلما وقف قدام زمرد سلم وقبل الارض بين يديها فردت عليه السلام وقابلته بالاكرام وقالت له ما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك الى هذه المدينة فقال لها يا ملك اسمى على شار وانا من اولاد التجار وبلدى خراسان وسبب مجيئى الى هذه المدينة التفتيش على جارية ضاعت منى وكانت عندى اعز من سمعى وبصرى فروحى متعلقة بها من حين فقدتها وهذه قصتى ثم بكى حتى غشى عليه فامرت ان يرشوا على وجهه ماء الورد فرشوا على وجهه ماء الورد حتى افاق فلما افاق من غشيته قالت على بتخت الرمل والقلم النحاس فجاؤا به فاخذت القلم وضربت تخت رمل وتأملت فيه ساعة من الزمان ثم بعد ذلك قالت له صدقت فى كلامك الله يجمعك عليها قريبا فلا تقلق ثم امرت الحاجب ان يمضى به الى الحمام ويلبسه بدلة حسنة من ثياب الملوك ويركبه فرسا من خواص خيل الملك ويمضى به بعد ذلك الى القصر فى آخر النهار فقال الحاجب سمعا وطاعة ثم اخذه من قدامها وتوجه به فقال الناس لبعضهم ما بال السلطان لاطف الغلام هذه الملاطفة وقال بعضهم اما قلت لكم انه لا يسيئه فان شكله حسن ومن حين صبر عليه لما شبع عرفت ذلك وصار كل واحد منهم يقول مقالة ثم تفرق الناس الى حال سبيلهم وما صدقت زمرد ان الليل يقبل حتى تختلى بمحبوب قلبها فلما اتى الليل دخلت محل مبيتها واظهرت انه غلب عليها النوم ولم يكن لها عادة بان ينام عندها احد غير خادمين

صغيرين برسم الخدمة فلما استقرت فى ذلك المحل ارسلت الى محبوبها على شار وقد جلست على السرير والشمع يضئ فوق رأسها وتحت رجليها والتعاليق الذهب مشرقة فى ذلك المحل فلما سمع الناس بارسالها اليه تعجبوا من ذلك وصار كل واحد منهم يظن ظنا ويقول مقالة وقال بعضهم ان الملك على كل حال تعلق بهذا الغلام وفى غد يجعله قائد عسكر فلما ادخلوه عليها قبل الارض بين يديها ودعا لها فقالت فى نفسها الابدان امزح معه ساعة ولا اعلمه بنفسى ثم قالت يا على هل ذهبت الحمام قال نعم يا مولاى قالت قم كل من هذا الدجاج واللحم واشرب من هذا السكر والشراب فانك تعبان وبعد ذلك تعال هنا فقال سمعا وطاعة ثم فعل ما امرته به ولما فرغ من الاكل والشرب قالت له اطلع عندى على السرير وكبسنى فشرع يكبس رجليها وسيقانها فوجدها انعم من الحرير فقالت له اطلع بالتكبيس الى فوق فقال العفو يا مولاى من عند الركبة ما اتعدى قالت اتخالفنى فتكون ليلة مشؤومة عليك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زمرد قالت لسيدها على شار اتخالفنى فتكون ليلة مشؤومة عليك بل ينبغى لك ان تطاوعنى وانا اعملك معشوقى واجعلك اميرا من امرائى فقال على شار يا ملك الزمان ما الذى اطيعك فيه قالت حل لباسك ونم على وجهك فقال هذا شئ عمرى ما فعلته وان قهرتنى على ذلك فانى اخاصمك فيه عند الله يوم القيامة فخذ كل شئ اعطيتنى اياه ودعنى اروح من مدينتك ثم بكى وانتحب فقالت له حل لباسك ونم على وجهك والا ضربت عنقك ففعل فطلعت على ظهره فوجد شيأ ناعما انعم من الحرير والين من الزبد فقال فى نفسه ان هذا الملك خير من جميع النساء ثم انها صبرت ساعة وهى على ظهره وبعد ذلك انقلبت على الارض فقال على شار الحمد لله كأن ذكره لم ينتصب فقالت يا على ان من عادة ذكرى انه لا ينتصب الا اذا عركوه بايديهم فقم واعركه بيدك حتى ينتصب والا قتلتك ثم رقدت على ظهرها واخذت يده ووضعتها على فرجها فوجد فرجا انعم من الحرير وهو ابيض مربرب كبير يحكى فى السخونة حرارة الحمام او قلب صب اضناه الغرام فقال على شار فى نفسه ان الملك له كس فهذا من العجب العجاب وادركته الشهوة فصار ذكره فى غاية الانتصاب فلما رأت منه ذلك ضحكت وقهقهت وقالت يا سيدى قد حصل هذا كله وما تعرفنى فقال ومن انت ايها الملك قالت انا جاريتك زمرد فلما علم ذلك قبلها وعانقها وانقض عليها مثل الاسد على الشاه وتحقق انها جاريته بلا اشتباه فاغمد قضيبه فى جرابها ولم يزل بوابا لبابها واماما لمحرابها وهى معه فى ركوع وسجود وقيام وقعود الا انها صارت تتبع التسبيحات بغنج فى ضمنه حركات حتى سمع الطواشية بذلك فجاؤا ونظروا من خلف الاستار فوجدوا الملك راقدا وفوقه على شار وهو يرصع ويرهز وهى تشخر وتغنج فقالت الطواشية ان هذا الغنج ما هو غنج رجل لعل هذا الملك امرأة ثم كتموا امرهم ولم يظهروه على احد فلما اصبحت زمرد ارسلت الى كامل العسكر وارباب الدولة واحضرتهم وقالت لهم انا اريد ان اسافر الى بلد هذا الرجل فاختاروا لكم نائبا يحكم بينكم حتى احضر عندكم فاجابوا زمرد بالسمع والطاعة ثم شرعت فى تجهيز آلة السفر من زاد واموال وارزاق وتحف وجمال وبغال وسافرت من المدينة ولم تزل مسافرة الى ان وصلت الى بلد على شار ودخل منزله واعطى وتصدق ووهب ورزق منها الاولاد

وعاشا فى احسن المسرات الى ان اتاهما هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الباقى بلا زوال والحمد لله على كل حال وممايحكى ان امير المؤمنين هارون الرشيد ارق ليلة من الليالى وتعذر عليه النوم ولم يزل يتقلب من جنب الى جنب لشدة ارقه فلما اعياه ذلك احضر مسرورا وقال له يا مسرور انظر لى من يسليني على هذا الارق فقال له يا مولاى هل لك ان تدخل البستان الذى فى الدار وتتفرج على ما فيه من الازهار وتنظر الى الكواكب وحسن ترصيعها والقمر بينها مشرق على الماء قال له يا مسرور ان نفسى لا تهفو الى شئ من ذلك قال يا مولاى ان فى قصرك ثلاثمائة سرية لكل سرية مقصورة فأمر كل واحدة منهن ان تختلى بنفسها فى مقصورتها وتدور انت تتفرج عليهن وهن لا يدرين قال يا مسرور القصر قصرى والجوارى ملكى غير ان نفسى لا تهفو الى شئ من ذلك قال يا مولاى أأمر العلماء والحكماء والشعراء ان يحضروا بين يديك ويفيضون فى المباحث وينشدون لك الاشعار ويقصون عليك الحكايات والاخبار قال ما تهفو نفسى الى شئ من ذلك قال يا مولاى أأمر الغلمان والندماء والظرفاء ان يحضروا بين يديك ويتحفوك بغريب النكات قال يا مسرور ما تهفو نفسى الى شئ من ذلك قال يا مولاى فاضرب عنقى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مسرورا قال الخليفة يا مولاى فاضرب عنقى لعله يزيل ارقك ويذهب القلق الذى عندك فضحك الرشيد من قوله وقال له يا مسرور انظر من بالباب من الندماء فخرج مسرور ثم عاد وقال يا مولاى الذى على الباب على بن منصور الخليعى الدمشقى قال على به فذهب واتى به فلما دخل قال السلام عليك يا امير المؤمنين فرد عليه السلام وقال يا ابن منصور حدثنا بشئ من اخبارك فقال يا امير المؤمنين هل احدثك بشئ رأيته عيانا او بشئ سمعت به فقال امير المؤمنين ان كنت عاينت شيأ غريبا فحدثنا به فانه ليس الخبر كالعيان قال يا امير المؤمنين اخل لى سمعك وقلبك قال يا ابن منصور ها انا سامع لك باذنى ناظر لك بعينى مصغ لك بقلبى قال يا امير المؤمنين اعلم ان لى كل سنة رسما على محمد ابن سليمان الهاشمى سلطان البصرة فمضيت اليه على عادتى فلما وصلت اليه وجدته متهيئا للركوب الى الصيد والقنص فسلمت عليه وسلم على وقال لى يا ابن منصور اركب معنا الى الصيد فقلت له يا مولاى ما لى قدرة على الركوب فاجلسنى فى دار الضيافة ووصى على الحجاب والنواب ففعل ثم توجه الى الصيد فاكرمونى غاية الاكرام وضيفونى احسن الضيافة فقلت فى نفسى يا الله العجب ان لى مدة اقدم من بغداد الى البصرة ولم اعرف فى البصرة سوى من القصر الى البستان ومن البستان الى القصر ومتى يكون لى فرصة انتهزها فى الفرجة على جهات البصرة مثل هذه النوبة فانا اقوم فى هذه الساعة وامشى وحدى لاتفرج وينهضم عنى الاكل فلبست افخر ثيابى وتمشيت فى جانب البصرة ومعلومك يا امير المؤمنين ان فيها سبعين دربا طول كل درب سبعون فرسخا بالعراقى فتهت فى ازقتها ولحقنى العطش فبينما انا ماش يا امير المؤمنين واذا بباب كبير له حلقتان من النحاس الاصفر ومرخى عليه ستور من الديباج الاحمر وفى جانبيه مسطبتان وفوقه مكعب لدوالى العنب وقد ظللت على ذلك الباب فوقفت اتفرج على هذا المكان فبينما انا واقف اذ سمعت صوت انين ناشئ عن قلب حزين يقلب النغمات وينشد هذه الابيات

جسمي غدا منزل الاسقام والمحن * من اجل ظبي بعيد الدار والوطن
فيا نسيما زرود هيجا شجني * بالله ربكما عوجا على سكني
وعاتباه لعل العتب يعطفه

وحسنا القول اذ يصغى لقولكما * واستدرجا خبر العشاق بينكما
واوليانی جميلا من صنيعكما * وعرضا بی وقولا فی حديثكما
ما بال عبدك بالهجران تتلفه

من غير ذنب جناه او مخالفة * او ميل قلب لغير او مجارفة
او نقض عهد وثيق او معاسفة * فان تبسم قولا فی ملاطفة
ما ضر لو بوصال منك تسعفه

فانه بك مشغوف كما يجب * وطرفه ساهر يبكی وينتحب
فان ابان الرضی فالقصد والارب * وان بدا لكما فی وجهه غضب
فغالطاه وقولا ليس نعرفه

فقلت فی نفسی ان كان صاحب هذه النعمة مليحا فقد جمع بين الملاحة والفصاحة وحسن الصوت ثم دنوت من الباب وجعلت ارفع الستر قليلا قليلا واذا انا بجارية بيضاء كانها البدر اذا بدر فی ليلة اربعة عشر بحاجبين مقرونين وجفنين ناعسين ونهدين كرمانتين ولها شفتان رقيقتان كانهما اقحوانتان وفم كانه خاتم سليمان ونضيد اسنان يلعب بعقل الناظم والناثر كما قال فيه الشاعر

يا در ثغر الحبيب من نظمك * واودع الراح والاقاح فمك
ومن اعار الصباح مبتسمك * ومن بقفل العقيق قد ختمك
اصبح من رآك من طرب * يتيه عجبا فكيف من لثمك

وقول الاخر

يا در ثغر حبيبي * كن بالعقيق رحيما
ولا تعال عليه * الم يجدك يتيما

وبالجملة فقد حازت انواع الجمال وصارت فتنة للنساء والرجال لا يشبع من رؤية حسنها الناظر وهي كما قال فيها الشاعر

ان اقبلت قتلت وان هي ادبرت * جعلت جميع الناس من عشاقها
شمسية بدرية لكنها * ليس الجفا والصد من اخلاقها
جنات عدن فتحت بقميصها * والبدر فی فلك على اطواقها

فبينما انا انظر اليها من خلال الستارة واذا هي التفتت فرأتنی واقفا على الباب فقالت لجاريتها انظری من بالباب فقامت الجارية واتت الی وقالت يا شيخ اليس عندك حياء وهل شيب وعيب فقلت لها يا سيدتی اما الشيب فقد عرفناه واما العيب فما اظن انی اتيت بعيب فقالت سيدتها وای عيب اكثر من تهجمك على دار غير دارك ونظرك الحريم غير حريمك فقلت لها يا سيدتی ان لی عذرا فی ذلك فقالت وما عذرك فقلت لها انی انا رجل غريب عطشان وقد قتلنی العطش فقالت قبلنا عذرك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت قبلنا عذرك ثم نادت بعض جواريها وقالت يالطف اسقيه شربة بالكوز الذهب فجاءتني بكوز من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر ملآن من ماء ممزوج بالمسك الاذفر وهو مغطى بمنديل من الحرير الاخضر فجعلت اشرب واطيل في شربي وانا اسارق النظر اليها حتى طال وقوفي ثم رددت الكوز على الجارية ووقفت فقالت ياشيخ امض الى حال سبيلك فقلت لها ياسيدتي انا مشغول الفكر فقالت فيماذا فقلت في تقلب الزمان وتصرف الحدثان قالت يحق لك لان الزمان ذو عجائب ولكن ما الذي رأيت من عجائبه حتى تفكر فيه فقلت لها افكر في صاحب هذه الدار لانه كان صديقي في حال حياته فقالت لي ما اسمه فقلت محمد بن علي الجوهري وكان ذا مال جزيل فهل خلف اولادا قالت نعم خلف بنتا يقال لها بدور وقد ورثت امواله جميعها فقلت لها كانك ابنته قالت نعم وضحكت ثم قالت ياشيخ قد اطلت الخطاب فاذهب الى حال سبيلك فقلت لها لابد من الذهاب ولكني ارى محاسنك متغيرة فاخبريني بشأنك لعل الله يجعل لك على يدي فرجا فقالت لي ياشيخ ان كنت من اهل الاسرار كشفنا لك سرنا فاخبرني من انت حتى اعرف هل انت محل للسر اولا فقد قال الشاعر

لا يكتم السر الا كل ذي ثقة ✻ والسر عند خيار الناس مكتوم

قد صنت سري في بيت له غلق ✻ قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

فقلت لها ياسيدتي ان كان قصدك ان تعلمي من انا فانا علي بن منصور الخليع الدمشقي نديم امير المؤمنين هارون الرشيد فلما سمعت باسمي نزلت من على كرسيها وسلمت علي وقالت لي مرحبا بك يابن منصور الآن اخبرك بحالي واستأمنك على سري انا عاشقة مفارقة فقلت لها ياسيدتي انت مليحة وما تعشقين الا كل مليح فمن الذي تعشقينه قالت اعشق جبير بن عمير الشيباني امير بني شيبان وقد وصفت لي شابا لم يكن بالبصرة احسن منه فقلت لها ياسيدتي هل جرى بينكما مواصلة او مراسلة قالت نعم الا انه قد عشقنا عشقا باللسان لا بالقلب والجنان لانه لم يف بوعد ولم يحافظ على عهد فقلت لها ياسيدتي وما سبب الفراق بينكما قالت سببه اني كنت يوما جالسة وجاريتي هذه تسرح شعري فلما فرغت من تسريحه جدلت ذوائبي فاعجبها حسني وجمالي فطأطأت علي وقبلت خدي وكان في ذلك الوقت داخلا على غفلة فرأى ذلك فلما رأى الجارية تقبل خدي ولى من وقته غضبان عازما على دوام البين وانشد هذين البيتين

اذا كان لي في من احب مشارك ✻ تركت الذي اهوى وعشت وحيدا

فلا خير في المعشوق ان كان في الهوى ✻ لغير الذي يرضى المحب مريدا

ومن حين ولى معرضا عني الى الآن لم يأتنا من عنده كتاب ولا جواب يابن منصور فقلت لها فما تريدين قالت اريد ان ارسل اليه معك كتابا فان اتيتني بجوابه فلك عندي خمسمائة دينار وان لم تأتني بجوابه فلك حق مشيك مائة دينار فقلت لها افعلي ما بدا لك فقالت سمعا وطاعة ثم نادت بعض جواريها وقالت ائتيني بدواة وقرطاس فاتتها بدواة وقرطاس فكتبت هذه الابيات

حبيبي ما هذا التباعد والقلا ✻ فاين التغافي بيننا والتعطف

ومالك بالهجران عني معرضا ✻ فما وجهك الوجه الذي كنت اعرف

ثم نقل الواشون عني باطلا * فلت لما قالوا فزادوا واسرفوا
فان تك قد صدقتهم في حديثهم * فحاشاك من هذا ورأيك اعرف
بعيشك قل لي ما الذي قد سمعته * فانك تدري ما يقال وتنصف
فان كان قولا صح اني قلته * فللقول تأويل وللقول مصرف
وهب انه قول من الله منزل * فقد بدل التوراة قوم وحرفوا
وبالزور كم قد قيل في الناس قبلنا * فها عند يعقوب تلوّم يوسف
وها انا والواشي وانت جميعنا * يكون لنا يوم عظيم وموقف

ثم بعد ذلك ختمت الكتاب وناولتني اياه فاخذته ومضيت الى دار جبير بن عمير الشيباني فوجدته في الصيد فجلست انتظره فبينما انا جالس واذا به قد اقبل من الصيد فلما رأيته يا امير المؤمنين على فرسه ذهل عقلي من حسنه وجماله فالتفت فرأني جالسا بباب داره فلما رأني نزل عن جواده واتى الي واعتنقني وسلم علي فخيل لي اني اعتنقت الدنيا وما فيها ثم دخل بي الى داره واجلسني على فراشه وامر بتقديم المائدة فقدموا مائدة من الخولنج الخراساني وقوائمها من الذهب عليها جميع الاطعمة وانواع اللحم من مقلي ومشوي وما اشبه ذلك فلما جلست على المائدة امعنت اليها الالتفات فوجدت مكتوبا عليها هذه الابيات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان علياء بن منصور قال لما جلست على مائدة جبير بن عمير الشيباني فامعنت اليها الالتفات فوجدت مكتوبا عليها هذه الابيات

عج بالغرانيق في ربع السكاريج * وانزل بحي القلايا والسكابيج
واندب بنات القطا ما زلت اندبها * مع المحمر في وسط الفراريج
يا لهف قلبي على لونين من سمك * لدى رغيف طري في المعاريج
لله در العشا ما كان احسنه * والبقل يغمس في خل الدكاكيج
كذا الارز بالبان الجموس غدت * فيه الاكف الى حد الدماليج
يا نفس صبرا فان الله ذو كرم * ان ضقت ذرعا اتاك بالتفاريج

ثم ان جبير ابن عمير قال مد يدك الى طعامنا واجبر خاطرنا باكل زادنا فقلت له والله ما اكل من طعامك لقمة واحدة حتى تقضي حاجتي قال فما حاجتك فاخرجت اليه الكتاب فلما قراه وفهم ما فيه مزقه ورماه في الارض وقال لي يا ابن منصور مهما كان لك من الحوايج قضيناه الا هذه الحاجة التي تتعلق بصاحبة هذا الكتاب فان كتابها ليس له عندي جواب فقمت من عنده غضبان فتعلق باذيالي وقال لي يا ابن منصور انا اخبرك بالذي قالته لك وان لم اكن حاضرا معكما فقلت له ما الذي قالته لي قال اما قالت لك صاحبة هذا الكتاب ان اتيتني بجوابه فلك عندي خمسمائة دينار وان لم تاتني بجوابه فلك عندي حق مشيك مائة دينار قلت نعم قال اجلس عندي اليوم وكل واشرب وتلذذ واطرب وخذ لك خمسمائة دينار فجلست عنده واكلت وشربت وتلذذت وطربت وسامرته ثم قلت يا سيدي ما في دارك سماع قال لي ان لنا مدة نشرب من غير سماع ثم نادى بعض جواريه وقال يا شجرة الدر فاجابته جارية من مقصورتها

ومعها عود من صنع الهنود ملفوف فى كيس من الابريسم ثم جاءت وجلست ووضعته فى حجرها وضربت عليه احدى وعشرين طريقة ثم عادت الى الطريقة الاولى واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

من لم يذق حلو الغرام ومره * لم يدر وصل حبيبه من هجره
وكذا من قد حاد عن سنن الهوى * لم يدر سهل طريقه من وعره
مازلت معترضا على اهل الهوى * حتى بليت بحلوه وبمره
وشربت كاس مراره متجرعا * وخضعت فيه لعبده ولحره
كم ليلة بات الحبيب منادمى * ورشفت حلو رضابه من ثغره
ما كان اقصر عمر ليل وصالنا * فجاء وقت عشائه مع فجره
نذر الزمان بان يفرق شملنا * والان قد اوفى الزمان بنذره
حكم الزمان فلا مرد لحكمه * من ذا يعارض سيدا فى امره

فلما فرغت الجارية من شعرها صرخ سيدها صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فقالت الجارية لا آخذك الله ايها الشيخ ان لنا مدة ونحن نشرب بلا سماع مخافة على سيدنا من مثل هذه الصرعة ولكن اذهب الى تلك المقصورة ونم فيها فتوجهت الى المقصورة التى اشارت اليها ونمت فيها الى الصباح واذا انا بغلام اتانى ومعه كيس فيه خمسمائة دينار وقال هذا الذى وعدك به سيدى ولكنك لا تعد الى الجارية التى ارسلتك وكانك لا سمعت بهذا الخبر ولا سمعنا فقلت له سمعا وطاعة ثم اخذت الكيس ومضيت الى حال سبيلى وقلت فى نفسى ان الجارية فى انتظارى من امس والله لابد ان ارجع اليها واخبرها بما جرى بينى وبينه لاننى ان لم اعد اليها ربما تشتمنى وتشتم كل من طلع من بلادى فمضيت اليها فوجدتها واقفة خلف الباب فلما رأتنى قالت يا ابن منصور انك ما قضيت لى حاجة فقلت لها من اعلمك بهذا فقالت يا ابن منصور ان معى مكاشفة اخرى وهى انك لما ناولته الورقة مزقها ورماها وقال لك يا ابن منصور مهما كان لك من الحوائج قضيناها لك الا حاجة صاحبة هذه الورقة فانها ليس لها عندى جواب فقمت انت من عنده مغضبا فتعلق باذيالك وقال لك يا ابن منصور اجلس عندى اليوم فانك ضيفى فكل واشرب والتذ واطرب وخذ لك خمسمائة دينار فجلست عنده واكلت وشربت وتلذذت وطربت وسامرته وغنت الجارية بالصوت الفلانى والشعر الفلانى فوقع مغشيا عليه فقلت لها يا امير المؤمنين هل انت كنت معنا فقالت لى يا ابن منصور اما سمعت قول الشاعر

قلوب العاشقين لها عيون * ترى ما لا يراه الناظرون

ولكن يا ابن منصور ما تعاقب الليل والنهار على شئ الا وغيراه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت يا ابن منصور ما تعاقب الليل والنهار على شئ الا وغيراه ثم رفعت طرفها الى السماء وقالت الهى وسيدى ومولاى كما بليتنى بمحبة جبير ابن عمير ان تبليه بمحبتى وان تنقل المحبة من قلبى الى قلبه ثم انها اعطتنى مائة دينار حق طريق فاخذتها ومضيت الى سلطان البصرة فوجدته قد جاء من الصيد فاخذت رسمى منه ورجعت الى بغداد فلما اقبلت السنة الثانية توجهت الى

مدينة البصرة لاطلب رسمى على عادتى ودفع السلطان الى رسمى ولما اردت الرجوع الى بغداد تفكرت فى نفسى امر الجارية بدور وقلت والله لابد ان اذهب اليها وانظر ما جرى بينها وبين صاحبها فجئت الى دارها فرأيت على بابها كنسا ورشا وخدما وحشما وغلمانا فقلت امل الجارية طفح الهم على قلبها فماتت ونزل فى دارها امير من الامراء فتركتها ورجعت الى دار جبير بن عمير الشيبانى فوجدت مصاطبها قد هدمت ولم اجد على بابه غلمانا مثل العادة فقلت فى نفسى لعله مات ثم وقفت على باب داره وجعلت افيض العبرات واندبها بهذه الابيات

يا سادة رحلوا والقلب يتبعهم * عودوا تعد لى اعيادى بعودكم
وقفت فى داركم انعى مساكنكم * والدمع يدفق والاجفان تلتطم
اسائل الدار والاطلال باكية * اين الذى كان منه الجود والنعم
اقصد سبيلك فالاحباب قد رحلوا * من الربوع وتحت الترب قد ردموا
لا اوحش الله من رؤيا محاسنهم * طولا وعرضا ولا غابت لهم شيم

فبينما انا اندب اهل هذه الدار بهذه الابيات يا امير المؤمنين واذا بعبد اسود قد خرج على من الدار فقال يا شيخ اسكت ثكلتك امك مالى اراك تندب هذه الدار بهذه الابيات فقلت له انى كنت اعهدها لصديق من اصدقائى فقال وما اسمه قلت جبير بن عمير الشيبانى قال واى شئ جرى له الحمد لله ها هو على حاله من الغنى والسعادة والملك ولكن ابتلاه الله بمحبة جارية يقال لها السيدة بدور وهو فى محبتها مغمور من شدة الوجد والتبريح فهو كالحجر الجلمود الطريح فان جاع لا يقول لهم اطعمونى وان عطش لا يقول اسقونى فقلت استأذن لى فى الدخول عليه فقال يا سيدى اتدخل على من يفهم او على من لا يفهم فقلت لابد ان ادخل اليه على كل حال فدخل الدار مستأذنا ثم عاد الى آذنا فدخلت عليه فوجدته كالحجر الطريح لا يفهم باشارة ولا تصريح وكلمته فلم يكلمنى فقال لى بعض اتباعه يا سيدى ان كنت تحفظ شيأ من الشعر فانشده اياه وارفع صوتك به فانه ينتبه لذلك ويخاطبك فانشدت هذين البيتين

اسلوت حب بدور ام تتجلد * وسهرت ليلك ام جفونك ترقد
ان كان دمعك سائلا مهمولة * فاعلم بانك فى الجنان مخلد

فلما سمع هذا الشعر فتح عينيه وقال لى مرحبا يا ابن منصور قد صار الهزل جدا فقلت له يا سيدى الك بى حاجة قال نعم اريد ان اكتب لها ورقة وارسلها معك اليها فان اتيتنى بجوابها فلك على الف دينار وان لم تاتنى بجوابها فلك على حق مشيك مائتا دينار فقلت له افعل ما بدا لك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن منصور قال فقلت له افعل ما بدا لك فنادى بعض جواريه وقال ائتنى بدواة وقرطاس فاتته بما طلبه فكتب هذه الابيات

سألتكم بالله يا سادتى مهلا * على فان الحب لم يبق لى عقلا
تمكن منى حبكم وهواكم * فالبسنى سقما واورثنى ذلا
لقد كنت قبل اليوم استصغر الهوى * واحسبه يا سادتى هينا سهلا
فلما ارانى الحب امواج بحره * رجعت لحكم الله اعذر من يبلى

فان

فان شئتم ان ترحموني بوصلكم * وان شئتم قتلي فلا تنسوا الفضلا

ثم ختم الكتاب وناولني اياه فاخذته ومضيت به الى دار بدور وجعلت ارفع الستر قليلا قليلا على العادة واذا انا بعشر جوار نهد ابكار كانهن الاقمار والسيدة بدور جالسة في وسطهن كانها البدر في وسط النجوم او الشمس اذا خلت عن الغيوم وليس بها الم ولا وجع فبينما انا انظر اليها واتعجب من هذا الحال اذ لاحت منها التفاتة الى فرأتني واقفا بالباب فقالت لي اهلا وسهلا ومرحبا بك يا ابن منصور ادخل فدخلت وسلمت عليها وناولتها الورقة فلما قرأتها وفهمت ما فيها ضحكت وقالت لي يا ابن منصور ما كذب الشاعر حيث قال

فلاصبرن على هواك تجلدا * حتى يجيء الي منك رسول

يا ابن منصور ها انا اكتب لك جوابا حتى يعطيك الذي وعدك به فقلت لها جزاك الله خيرا فنادت بعض جواريها وقالت ائتيني بدواة وقرطاس فلما اتتها بما طلبت كتبت اليه هذه الابيات

مالي وفيت بعهدكم فغدرتمو * ورأيتموني منصفا فظلمتمو

بادرتموني بالقطيعة والجفا * وغدرتمو والغدر بادٍ منكمو

ما زلت احفظ في البرية عهدكم * واصون عرضكمو واحلف عنكمو

حتى رأيت بناظري ما ساءني * وسمعت اخبار القبائح عنكمو

ايهون قدري حين ارفع قدركم * والله لو اكرمتموا اكرمتمو

فلاصرفن القلب عنكم سلوة * ولا نفضن يدي يأسا منكمو

فقلت لها والله يا سيدتي انه ما بينه وبين الموت الا حتى يقرأ هذه الورقة ثم مزقتها وقلت لها اكتبي اليه غير هذه الابيات فقالت سمعا وطاعة ثم انها كتبت اليه هذه الابيات

انا قد سلوت ولذ في طرفي الكرى * وسمعت من قول العواذل ما جرى

واجابني قلبي الى سلوانكم * ورأت جفوني بعدكم ان تسهرا

كذب الذي قال البعاد مرارة * ما ذقت طعم البعد الا سكرا

قد صرت اكره من يرى ذكركم * متعرضا واراه شيئا منكرا

ها قد سلوتكمو بكل جوارحي * فليعلم الواشي ويدري من درى

فقلت لها والله يا سيدتي انه ما يقرأ هذه الابيات الا وتفارق روحه جسده فقالت لي يا ابن منصور وقد بلغ بي الوجد الى هذا الحد حتى قلت ما قلت فقلت لها لو قلت اكثر من ذلك لحق لك ولكن العفو من شيم الكرام فلما سمعت كلامي تغرغرت عيناها بالدموع وكتبت اليه رقعة والله يا امير المؤمنين ما في ديوانك من يحسن ان يكتب مثلها وكتبت فيها هذه الابيات

الى كم ذا الدلال وذا التجني * شفيت وحقك الحساد مني

لعلي قد اسأت ولست ادري * فقل لي ما الذي بلغت عني

مرادي لو وضعتك يا حبيبي * مكان النوم من عيني وجفني

وكيف شربت كاس الحب صرفا * فان ترني سكرت فلا تلمني

فلما فرغت من كتابة المكتوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بدور لما فرغت من كتابة المكتوب وختمته ناولتني اياه فقلت لها يا سيدتي ان هذه الرقعة تداوي العليل وتشفي الغليل ثم اخذت المكتوب وخرجت فنادتني بعدما خرجت من عندها وقالت لي يا ابن منصور قل له انها في هذه الليلة ضيفتك ففرحت انا بذلك فرحا شديدا ومضيت بالكتاب الى جبير بن عمير فلما دخلت عليه وجدت عينه شاخصة الى الباب ينتظر الجواب فلما ناولته الورقة فتحها وقرأها وفهم معناها فصاح صيحة عظيمة ووقع مغشيا عليه فلما افاق قال يا ابن منصور هل كتبت هذه الرقعة بيدها ولمستها باناملها قلت يا سيدي وهل الناس يكتبون بارجلهم فوالله يا امير المؤمنين ما استتم كلامي انا واياه الا وقد سمعنا شن خلاخلها في الدهليز وهي داخلة فلما راها قام على اقدامه كانه لم يكن به الم قط وعانقها عناق اللام للالف وزالت عنه علته الذي لا ينصرف ثم جلس ولم تجلس هي فقلت لها يا سيدتي لاي شيء لم تجلسي قالت يا ابن منصور ما اجلس الا بالشرط الذي بيننا فقلت لها وما ذاك الشرط الذي بينكما قالت ان العشاق لا يطلع احدا على اسرارهم ثم وضعت فمها على اذنه وقالت له كلاما سرا فقال لها سمعا وطاعة ثم قام جبير ووشوش بعض عبيده فغاب العبد ساعة ثم اتى ومعه قاض وشاهدان فقام جبير واتى بكيس فيه مائة الف دينار وقال ايها القاضي اعقد عقدي على هذه الصبية بهذا المبلغ فقال لها القاضي قولي رضيت بذلك فقالت رضيت بذلك فعقدوا العقد ثم فتحت الكيس وملأت يدها منه واعطت القاضي والشهود ثم ناولته بقية الكيس فانصرف القاضي والشهود وقعدت انا واياهما في بسط وانشراح الى ان مضى من الليل اكثره فقلت في نفسي انهما عاشقان ومضت عليهما مدة من الزمان وهما متهاجران فانا اقوم في هذه الساعة لانام في مكان بعيد عنهما واتركهما يختليان ببعضهما ثم قمت فتعلقت باذيالي وقالت لي ما الذي حدثتك به نفسك فقلت ما هو كذا وكذا فقالت اجلس واذا اردنا انصرافك نصرفناك فجلست معهما الى ان قرب الصبح فقالت يا ابن منصور امض الى تلك المقصورة لاننا فرشناها لك وهي محل نومك فقمت ونمت فيها الى الصباح فلما اصبحت جاءني غلام بطشت وابريق فتوضأت وصليت الصبح ثم جلست فبينما انا جالس واذا بجبير ومحبوبته خرجا من حمام في الدار وكل منهما يعصر ذوائبه فصبحت عليهما وهنيتهما بالسلامة وجمع الشمل ثم قلت له الذي اوله شرط آخره رضي فقال لي صدقت وقد وجب لك الاكرام ثم نادى خازن داره وقال له ائتني بثلاثة آلاف دينار فاتاه بكيس فيه ثلاثة آلاف دينار فقال لي تفضل علينا بقبول هذا فقلت له لا اقبله حتى تحكي لي ما سبب انتقال المحبة منها اليك بعد ذلك الصد العظيم قال سمعا وطاعة اعلم ان عندنا عيدا يقال له عيد النوار يخرج الناس فيه وينزلون في الزوارق ويتفرجون في البحر فخرجت اتفرج انا واصحابي فرايت زورقا فيه عشر جوار كانهن الاقمار والسيدة بدور هذه في وسطهن وعودها معها فضربت عليه احدى عشرة طريقة ثم عادت الى الطريقة الاولى وانشدت هذين البيتين

النار ابرد من نيران احشاي ❋ والصخر الين من قلب لمولاي

اني لاعجب من تأليف خلقته ❋ قلب من الصخر في جسم من الماء

فقلت لها اعيدي البيتين والطريقة فما رضيت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جبيرا قال فقلت لها اعيدي البيتين والطريقة فما رضيت فامرت النواتية

ان يرجوها فرجوها بالنارنج حتى خشينا الغرق على الزورق الذى هى فيه ثم مضت الى حال سبيلها وهذا سبب انتقال المحبة من قلبها الى قلبى فهنيتهما بجمع الشمل واخذت الكيس بما فيه وتوجهت الى بغداد فانشرح صدر الخليفة وزال عنه ما كان يجده من الارق وضيق الصدر

ومما يحكى ان امير المؤمنين المأمون جلس يوما من الايام فى قصره واحضر رؤساء دولته واكابر مملكته جميعا وكذلك احضر الشعراء والندماء بين يديه وكان من جملة ندمائه نديم يسمى محمد البصرى فالتفت اليه المأمون وقال له يا محمد اريد منك فى هذه الساعة ان تحدثنى بشئ ما سمعته قط فقال له يا امير المؤمنين اتريد ان احدثك بحديث سمعته باذنى او بامر عاينته ببصرى فقال المامون حدثنى يا محمد بالاغرب منهما فقال اعلم يا امير المؤمنين انه كان فى الايام الماضية رجل من ارباب النعم وكان موطنه باليمن ثم انه ارتحل من اليمن الى مدينة بغداد هذه وطاب له سكنها فنقل اهله وماله وعياله اليها وكان له ست جوار كانهن الاقمار الاولى بيضاء والثانية سمراء والثالثة سمينة والرابعة هزيلة والخامسة صفراء والسادسة سوداء وكن حسان الوجوه كاملات الادب عارفات بصناعة الغناء وآلات الطرب فاتفق انه احضر هؤلاء الجوارى بين يديه يوما من الايام وطلب الطعام والمدام فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ثم ملأ الكاس واخذه فى يده واشار الى الجارية البيضاء وقال لها يا وجه الهلال اسمعينا من لذيذ المقال فاخذت العود واصلحته ورجعت عليه الالحان حتى رقص المكان ثم اطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

لى حبيب خياله نصب عينى ❋ واسمه فى جوارحى مكنون
ان تذكرته فكلى قلوب ❋ اوتاملته فكلى عيون
قال لى عاذلى اتسلو هواه ❋ قلت ما لا يكون كيف يكون
قلت يا عاذلى امض عنى ودعنى ❋ لاتهون على ما لا يهون

فطرب مولاهن وشرب قدحه وسقى الجوارى ثم ملأ الكاس واخذه فى يده واشار الى الجارية السمراء وقال لها يا نور المقباس وطيبة الانفاس اسمعينا صوتك الحسن الذى من سمعه افتتن فاخذت العود ورجعت عليه الالحان حتى طرب المكان واخذت القلوب باللفتات وانشدت هذه الابيات

وحياة وجهك لا احب سواك ❋ حتى اموت ولا اخون هواك
يا بدرتم بالجمال مبرقعا ❋ كل الملاح تسير تحت لواك
انت الذى فقت الملاح لطافة ❋ والله رب العالمين حباك

فطرب مولاهن وشرب كاسه وسقى الجوارى ثم ملأ القدح واخذه فى يده واشار الى الجارية السمينة وامرها بالغناء وتقليب الاهواء فاخذت العود وضربت عليه ضربا يذهب الحسرات وانشدت هذه الابيات

ان صح منك الرضى يا من هو الطلب ❋ فلا ابالى بكل الناس ان غضبوا
وان تبدى محياك الجميل فلم ❋ اعبأ بكل ملوك الارض ان حجبوا
قصدى رضاك من الدنيا باجمعها ❋ يا من اليه جميع الحسن ينتسب

فطرب مولاهن واخذ الكاس وسقى الجوارى ثم ملأ الكاس واخذه فى يده واشار الى الجارية الهزيلة وقال يا حور الجنان اسمعينا الالفاظ الحسان فاخذت العود واصلحته ورجعت عليه الالحان وانشدت هذين البيتين

الافى سبيل الله ما حل بى منك * بصدك عنى حيث لاصبر لى عنك
الاحاكم فى الحب يحكم بيننا * فيأخذلى حقى وينصفنى منك

فطرب مولاهن وشرب القدح وسقى الجوارى ثم ملأ القدح واخذه بيده واشار الى الجارية الصفراء وقال ياشمس النهار اسمعينا من لطيف الاشعار فاخذت العود وضربت عليه احسن الضربات وانشدت هذه الابيات

لى حبيب اذا ظهرت اليه * سل سيفا على من مقلتيه
اخذ الله بعض حقى منه * اذ جفانى ومهجتى فى يديه
كلما قلت يافؤادى دعه * لايميل الفؤاد الا اليه
هو سؤلى من الانام ولكن * حسدتنى عين الزمان عليه

فطرب مولاهن وشرب وسقى الجوارى ثم ملأ الكاس واخذه فى يده واشار الى الجارية السوداء وقال ياسوداء العين اسمعينا ولو كلمتين فاخذت العود واصلحته وشدت اوتاره وضربت عليه عدة طرق ثم رجعت الى الطريقة الاولى واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

الا ياعين بالعبرات جودى * فوجدى قد عدمت به وجودى
اكابد كل وجد من حبيب * الفت به وتشمت بى حسودى
وتمنعنى العواذل ورد خد * ولى قلب يحن الى الورود
لقد دارت هناك كؤوس راح * بافراح لدى ضرب وعود
ووافانى الحبيب فهمت فيه * واشرق بالوفى نجم السعود
تصدّى للصدود بغير ذنب * وهل شئ امر من الصدود
وفى وجنانه ورد جنى * فيالله من ورد الخدود
فلو ان السجود يحل شرعا * لغير الله كان له سجودى

ثم بعد ذلك قامت الجوارى وقبلن الارض بين يدى مولاهن وقلن له انصف بيننا ياسيدى فنظر مولاهن الى حسنهن وجمالهن واختلاف الوانهن فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال لهن مامنكن الا وقد قرأت القرآن وتعلمت الالحان وعرفت اخبار المتقدمين واطلعت على سير الامم الماضين وقد اشتهيت ان تقوم كل واحدة منكن وتشير بيدها الى ضرتها يعنى تشير البيضاء الى السمراء والسمينة الى الهزيلة والصفراء الى السوداء وتمدح كل واحدة منكن نفسها وتذم ضرتها ثم تقوم ضرتها وتفعل معها مثلها ولكن يكون ذلك بدليل من القرآن الشريف وشئ من الاخبار والاشعار لننظر ادبكن وحسن الفاظكن فقلن له سمعا وطاعة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل اليمنى قالت له جواريه سمعا وطاعة ثم قامت اولاهن وهى البيضاء واشارت الى السوداء وقالت لها ويحك ياسوداء قد ورد ان البياض قال انا النور اللامع انا البدر الطالع لونى ظاهر وجبينى زاهر وفى حسنى قال الشاعر

بيضاء مصقولة الخدين ناعمة * كانها اللؤلؤ فى الحسن مكنون

فقدها الف يزهو ومبسمها * ميم وحاجبها من فوقه نون
كان الحاظها نبل وحاجبها * قوس على انه بالموت مقرون
بالخد والقدان تبدو فوجنتها * ورد وآس وريحان ونسرين
والغصن بعهد فى البستان مغرسه * وغصن قدك كم فيه بساتين

فلونى مثل النهار البهى والزهر الجلى والكوكب الدرى وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز لنبيه موسى عليه السلام ادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وقال الله تعالى واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون فلونى آية وجمالى غاية وحسنى نهاية وعلى مثلى يحسن الملبوس واليه تميل النفوس وفى البياض فضائل كثيرة منها ان الثلج ينزل من السماء ابيض وقد وردان احسن الالوان البياض وتفتخر المسلمون بالعمائم البيض ولو ذهبت اذكر ما فيه من المدح لطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى وسوف ابتدى بذمك يا سوداء يالون المداد وهباب الحداد ووجه الغراب المفرق بين الاحباب وقد قال الشاعر يمدح البياض ويذم السواد

الم تران الدر يغلو بلونه * وان سواد الفحم حمل بدرهم
وان الوجوه البيض تدخل جنة * وان الوجوه السود حشو جهنم

وقد ورد فى بعض الاخبار المروية عن الاخيار ان نوحا عليه السلام نام فى بعض الايام وولداه سام وحام جالسان عند راسه فجاءت ريح فرفعت اثوابه وانكشفت عورته فنظر اليه حام وضحك ولم يغطه فقام سام وغطاه فانتبه ابوهما من منامه وقد علم ما جرى من ولديه فدعا لسام ودعا على حام فابيض وجه سام وجاءت الانبياء والخلفاء الراشدون والملوك من اولاده واسود وجه حام وخرج هاربا الى بلاد الحبشة وجاءت السودان من نسله وقد اجمعت الناس على قلة عقل السودان وفى المثل يقول القائل كيف يوجد اسود عاقل فقال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية فقد اسرفت ثم اشار الى السوداء فقامت واشارت بيدها الى البيضاء وقالت اما علمت انه ورد فى القرآن المنزل على نبيه المرسل قول الله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ولولا ان الليل اجل لما اقسم الله به وقدمه على النهار وقبلته اولو الابصار والابصار اما علمت ان السواد زينة الشباب فاذا نزل المشيب ذهبت اللذات ودنت اوقات الممات ولو لم يكن اجل الاشياء ما جعله الله فى حبة القلب والناظر وما احسن قول الشاعر

لم اعشق السمر الا من حيازتهم * لون الشباب وحب القلب والحدق
ولا سلوت بياض البيض عن غلط * انى من الشيب والاكفان فى فرق

وقول الاخر

السمر دون البيض هم * اولى بعشق واحق
السمر فى لون اللمى * والبيض فى لون البهق

وقول الاخر

سوداء بيضاء الفعال كانها * مثل العيون تخص بالاضواء
اماان جننت بحبها لا تعجبوا * اصل الجنون يكون بالسوداء
فكان لونى فى الدياجى غيهب * لولاه ما قمر اتى بضياء

وايضا فهل يحسن اجتماع الاحباب الا فى الليل فيكفيك هذا الفضل والنيل فما ستر الاحباب

عن الواشين واللوام مثل سواد الظلام ولاخوفهم من الافتضاح مثل بياض الصباح فكم للسواد من مآثر وما احسن قول الشاعر

ازورهم وسواد الليل يشفع لى ✻ وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

وقول الاخر

وكم ليلة بات الحبيب مؤانسى ✻ وقد سترتنا من دجاها ذوائب
فلما بدا نور الصباح اراعنى ✻ فقلت له ان المجوس كواذب

وقول الاخر

وزارنى فى قميص الليل مستترا ✻ يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
وقمت افرش خدى فى الطريق له ✻ ذلا واسحب اذيالى على الاثر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا ✻ مثل القلامة قد قدت من الظفر
وكان ما كان مما لست اذكره ✻ فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وقول الاخر

لا تلق الا بليل من تواصله ✻ فالشمس نمامة والليل قواد

وقول الاخر

لا اعشق الابيض المنفوخ من سمن ✻ لكننى اعشق السمر المهازيلا
انى امرؤ اركب المهر المضمر فى ✻ يوم الرهان وغيرى يركب الفيلا

وقول الاخر

زارنى المحبوب ليلا ✻ فتعانقنا جميعا
ثم بتنا واذا قد ✻ طلع الصبح سريعا
اسئل الله الهى ✻ يجمع الشمل رجوعا
ويديم الليل لى ما ✻ دام لى الالف ضجيعا

ولو ذهبت اذكر ما فى السواد من المدح اطال الشرح ولكن ما قل وكفى خير مما كثر وما وفى واما انت يا بيضاء فلونك لون البرص ووصالك من الغصص وقد ورد ان البرد والزمهرير فى جهنم لعذاب اهل النكير ومن فضيلة السواد ان منه المداد الذى يكتب به كلام الله ولولا سواد المسك والعنبر ما كان الطيب يحمل للملوك ولا يذكر وكم للسواد من مفاخر وما احسن قول الشاعر

الم تر ان المسك يعظم قدره ✻ وان بياض الجير حمل بدرهم
وان بياض العين يقبح بالفتى ✻ وان سواد العين يرمى باسهم

فقال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية فجلست ثم اشار الى السمينة فقامت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اليمانى سيد الجوارى اشار الى الجارية السمينة فقامت واشارت بيدها الى الهزيلة وكشفت سيقانها ومعاصمها وكشفت عن بطنها فبانت طياته وظهر تدوير سرتها

ثم ابست قيصارقيعا فبان منه جميع بدنها وقالت الحمد لله الذى خلقنى فاحسن صورتى وعدلنى فاحسن عنقى وشبهنى بالاغصان وزاد فى حسنى وبهجتى فله الحمد على ما اولانى وشرفنى اذ ذكرنى فى كتابه العزيز فقال تعالى وجاء بعجل سمين وجعلنى كالبستان المشتمل على خوخ ورمان وان اهل المدن يشتهون الطير السمين فيأكلون منه ولا يحبون طير اهزيلا وبنوا آدم يشتهون اللحم السمين ويأكلونه وكم للسمن من مفاخر وما احسن قول الشاعر

ودع حبيبك ان الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا ايها الرجل
كأن مشيتها فى بيت جارتها * مشى السمينة لا عيب ولا ملل

وما رايت احدا يقف على الجزار الا ويطلب منه اللحم السمين وقالت الحكماء اللذة فى ثلاثة اشياء اكل اللحم والركوب على اللحم وادخال اللحم فى اللحم واما انت يا رفيعة فسيقانك كسيقان العصفور ومحراك التنور وانت خشبة المصلوب ولحم المعيوب وليس فيك شئ يسر الخاطر كما قال فيك الشاعر

اعوذ بالله من اشياء تحوجنى * الى مضاجعة كالدلك بالمسد
فى كل عضو لها قرن يناطحنى * عند المنام فامسى واهى الجسد

فقال لها سيدها اجلسى فهى هذا القدر كفاية فجلست ثم اشار الى الهزيلة فقامت كانها غصن بان او قضيب خيزران او عود ريحان وقالت الحمد لله الذى خلقنى فاحسننى وجعل وصلى غاية المطلوب وشبهنى بالغصن الذى تميل اليه القلوب فان قمت قمت خفيفة وان جلست جلست ظريفة فانا خفيفة الروح عند المزاح طيبة النفس من الارتياح وما رأيت احدا وصف حبيبه فقال حبيبى قدر الفيل ولا مثل الجبل العريض الطويل وانما حبيبى له قد اهيف وقوام مهفهف فاليسير من الطعام يكفينى والقليل من الماء يروينى لعبى خفيف ومزاجى ظريف فانا انشط من العصفور واخف حركة من الزرزور ووصلى منية الراغب ونزهة الطالب وانا مليحة القوام حسنة الابتسام كانى غصن بان او قضيب خيزران او عود ريحان وليس لى فى الجمال مماثل كما قال فى القائل

شبهت قدك بالقضيب * وجعلت شكلك من نصيبى
وغدوت خلفك هائما * خوفا عليك من الرقيب

وفى مثلى تهيم العشاق ويتوله المشتاق وان جذبنى حبيبى انجذبت اليه وان استمالنى ملت له لا عليه وها انت يا سمينة البدن فان اكلك اكل الفيل ولا يشبعك كثير ولا قليل وعند الاجتماع لا يستريح معك خليل ولا يوجد لراحته معك سبيل فكبر بطنك يمنعه من جماعك وعن التمكن من فرجك يدفعه غلظ افخاذك اى شئ فى غلظك من الملاحة او فى فظاظتك من اللطف والسماحة ولا يليق باللحم السمين غير الذبح وليس فيه شئ من موجبات المدح ان مازحك احد غضبت وان لاعبك حزنت فان غطت شخرت وان مشيت لهثت وان اكلت ما شبعت وانت اثقل من الجبال واقبح من الخبال والوبال ما لك حركة ولا فيك بركة وليس لك شغل الا الاكل والنوم وان بلت شرشرت وان تغوطت بطبطت كانك زق منفوخ او فيل ممسوخ ان دخلت بيت الخلاء تريدين من يغسل لك فرجك وينتف من فوقه شعره وهذا غاية الكسل وعنوان الخبل وبالجملة ليس فيك شئ من المفاخر وقد قال فيك الشاعر

ثقيلة مثل زق البول منتفخ * اوراكها كعواميد من الجبل
اذا مشت فى بلاد الغرب او خطرت * سرى الى الشرق ما تبدى من الهبل

فقال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية فجلست ثم اشار الى الصفراء فقامت على قدميها وحمدت الله تعالى واثنت عليه واتت بالصلاة والسلام على خيار خلقه لديه ثم اشارت بيدها الى السمراء وقالت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية الصفراء قامت على قدميها فحمدت الله تعالى واثنت عليه ثم اشارت بيدها الى السمراء وقالت لها انا المنعوتة فى القران ووصف لونى الرحمن وفضله على سائر الالوان بقوله تعالى فى كتابه المبين صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فلونى آية وجمالى غاية وحسنى نهاية لان لونى لون الدينار ولون النجوم والاقمار ولون التفاح وشكلى شكل الملاح ولون الزعفران يزهو على سائر الالوان فشكلى غريب ولونى عجيب وانا ناعمة البدن غالية الثمن وقد حويت كل معنى حسن ولونى فى الوجود عزيز مثل الذهب الابريز وكم لى من ماثر وفى مثلى قال الشاعر

لها اصفرار كلون الشمس مبتهج * وكالدنانير فى حسن من النظر
ما الزعفران يحاكى بعض بهجتها * كلا ومنظرها يعلو على القمر

وسوف ابتدى بذمك يا سمراء اللون فلونك لون الجاموس تشمئز عند رؤيتك النفوس ان كان لونك فى شئ فهو مذموم وان كان فى طعام فهو مسموم فلونك لون الذباب وفيه بشاعة الكلاب وهو محير بين الالوان ومن علامات الاحزان وما سمعت قط بذهب اسمر ولا در ولا جوهر ان دخلت الخلاء يتغير لونك وان خرجت ازددت قبحا على قبحك فلا انت سوداء فتعرفى ولا انت بيضاء فتوصفى وليس لك شئ من الماثر كما قال فيك الشاعر

لون الهباب لها لون فغبرتها * كالترب تدهس فى اقدام قصاد
فما نظرت لها بالعين ارمقها * الا ازيد فى همى وانكادى

فقال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية فجلست ثم اشار الى السمراء وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وبهاء وكمال لها جسم ناعم وشعر فاحم معتدلة القد موردة الخد ذات طرف كحيل وخد اسيل ووجه مليح ولسان فصيح وخصر نحيل وردف ثقيل ثم قالت الحمد لله الذى خلقنى لا سمينة مذمومة ولا هزيلة مهضومة ولا بيضاء كالبرص ولا صفراء كالمغص ولا سوداء بلون الهباب بل جعل لونى معشوقا لاولى الالباب وسائر الشعراء يمدحون السمر بكل لسان ويفضلون الوانهم على سائر الالوان فاسمر اللون حميد الخصال ولله در من قال

وفى السمر معنى لو علمت بيانه * لما نظرت عيناك بيضا ولا حمرا
لباقة الفاظ وغنج لواحظ * يعلمن هاروت الكهانة والسحرا

وقول الاخر

من لى باسمر تروى عن معاطفه * السمر الرشاق عوالى سمهريات
ساجى الجفون حريرى العذار له * فى قلب عاشقه المضنى مقامات

وقول الاخر

بالروح اسمر نقطة من لونه * تدع البياض يفاخر الاقمارا

ولو استقل من البياض بمثلها * لتبدلت منه الملاحة عارا
ما من سلافته سكرت وانما * تركت سوالفه الانام سكارى
حسد المحاسن بعضها حتى اشتهت * كل المحاسن ان تكون عذارا

وقوله

لم لا اميل الى العذار اذا بدا * من اسمر كالصعدة السمراء
مع انه قصص المحاسن كلها * فى نمله الانقال للشعراء
ورأيت كل العاشقين تهتكوا * فى الخال تحت المقلة السوداء
اتلومنى العذال فى من كله * خال تخلونى من السفهاء

فشكلى مليح وقدى رجيح ولونى ترغب فيه الملوك ويعشقه كل غنى وصعلوك وانا الطيفة خفيفة مليحة ظريفة ناعمة البدن غالية الثمن وقد كملت فى الملاحة والادب والفصاحة فظاهرى مليح ولسانى فصيح ومزاحى خفيف ولعبى ظريف واما انت فمثل ملوخية باب اللوق صفراء وكلها عروق فتعسا لك يا قدرة الرواس ويا صدأ النحاس وطلعة البوم وطعام الزقوم فضجيعك بضيق الانفاس مقبور فى الارماس وليس لك فى الحسن ما ثر وفى مثلك قال الشاعر

عليها اصفرار زاد من غير علة * يضيق له صدرى ويوجعنى راسى
اذا لم تتب نفسى فانى اذيقها * بلثم محياها فتقلع اضراسى

فلما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية ثم بعد ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما فرغت من شعرها قال لها سيدها اجلسى ففى هذا القدر كفاية ثم بعد ذلك اصلح بينهن والبسهن الخلع السنية ونقطهن بنفيس الجواهر البرية والبحرية فما رأيت يا امير المؤمنين فى مكان ولا زمان احسن من هؤلاء الجوارى الحسان فلما سمع المأمون هذه الحكاية من محمد البصرى اقبل عليه وقال له يا محمد هل تعرف لهؤلاء الجوارى وسيدهن محلا وهل يمكنك ان تشتريهن لنا من سيدهن فقال له محمد يا امير المؤمنين قد بلغنى ان سيدهن مغرم بهن ولا يمكنه مفارقتهن فقال المأمون خذ معك الى سيدهن فى كل جارية عشرة الاف دينار فيكون مبلغ ذلك الثمن ستين الف دينار فاحملها صحبتك وتوجه الى منزله واشترهن منه فاخذ محمد البصرى منه ذلك القدر وتوجه به فلما وصل الى سيد الجوارى اخبره بان امير المؤمنين يريد اشتراءهن منه بذلك المبلغ فسمح ببيعهن لاجل خاطر امير المؤمنين وارسلهن اليه فلما وصلت الجوارى الى امير المؤمنين هيأ لهن مجلسا لطيفا وصار يجلس فيه معهن وينادمنه وقد تعجب من حسنهن وجمالهن واختلاف الوانهن وحسن كلامهن وقد استمر على ذلك مدة من الزمان ثم ان سيدهن الاول الذى باعهن لما لم يكن له صبر على فراقهن ارسل كتابا الى امير المؤمنين المأمون يشكو اليه فيه ما عنده للجوارى من الصبابات ومن ضمنه هذه الابيات

سلبتنى ست ملاح حسان * فعلى الستة الملاح سلامى
هن سمعى وناظرى وحياتى * وشرابى ونزهتى وطعامى

لست اسلو من حسنهن وصالا * ذاهب بعدهن طيب منامى

آه ياطول حسرتى وبكائى * ليتنى ماخلقت بين الانام

وعيون قد زانهن جفون * كقسى رمينى بسهام

فلما وقع ذلك الكتاب فى يد الخليفة المأمون كسا الجوارى من الملابس الفاخرة واعطاهن ستين الف دينار وارسلهن الى سيدهن فوصلن اليه وفرح بهن غاية الفرح اكثر مما اتى اليه من المال واقام معهن فى اطيب عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وممايحكى ان الخليفة امير المؤمنين هارون الرشيد قلق ذات ليلة قلقا شديدا وتفكر فكرا عظيما فقام يتمشى فى جوانب قصره حتى انتهى الى مقصورة عليها ستر فرفع ذلك الستر فرأى فى صدرها تختا وعلى ذلك التخت شئ اسود كأنه انسان نائم وعلى يمينه شمعة وعلى يساره شمعة فبينما هو ينظر الى ذلك ويتعجب منه واذا باطية مملوءة خمرا عتيقا والكاس عليها فلما رأى ذلك امير المؤمنين تعجب فى نفسه وقال اتكون هذه الصحبة لمثل هذا الاسود ثم دنا من التخت فرأى الذى فوقه صبية نائمة وقد تجللت بشعرها فكشف عن وجهها فرآها كأنها البدر ليلة تمامه فملأ الخليفة الكاس من الخمر وشربه على ورد خدها ومالت نفسه اليها فقبل اثرا كان بوجهها فانتبهت من منامها وهى قائلة يا امين الله ما هذا الخبر فقال ضيف طارق فى حيكم كى تضيفونه الى وقت السحر قالت نعم بالسمع منى والبصر ثم قدمت الشراب فشربا معا ثم اخذت العود واصلحت اوتاره وضربت عليه احدى وعشرين طريقة ثم عادت الى الطريقة الاولى واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

لسان الهوى فى مهجتى لك ناطق * يخبر عنى اننى لك عاشق

ولى شاهد عن فرط سقمى معرب * وقلب جريح من فراقك خافق

ولم اكتم الحب الذى قد اذابنى * ووجدى مزيد والدموع سوابق

وما كنت ادرى قبل حبك ما الهوى * ولكن قضاء الله فى الخلق سابق

فلما فرغت من شعرها قالت انا مظلومة يا امير المؤمنين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت انا مظلومة يا امير المؤمنين قال ولم ذلك ومن ظلمك قالت ان ولدك اشترانى من مدة بعشرة آلاف درهم واراد ان يهبنى لك فارسلت اليه ابنة عمك الثمن المذكور وامرته ان يحجبنى عنك فى هذه المقصورة فقال لها تمنى على قالت تمنيت عليك ان تكون ليلة غد عندى فقال ان شاء الله تعالى ثم تركها ومضى فلما اصبح الصباح توجه الى مجلسه وارسل الى ابى نواس فلم يجده فارسل الحاجب يسأل عنه فرآه مرتهنا فى بعض الخمارات على الف درهم انفقها على بعض المرد فسأله الحاجب عن حاله فقص عليه قصته وما وقع له مع امرد مليح انفق عليه الالف درهم فقال له ارنى اياه فان كان يستحق ذلك فانت معذور فقال له اصبر وانت تراه فى هذه الساعة فبينما هما فى الحديث واذا بالامرد قد اقبل ودخل عليهما وعليه ثوب ابيض ومن تحته ثوب احمر ومن تحته ثوب اسود فلما شاهده ابو نواس صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

تبدى فى قميص من بياض * باحداق واجفان مراض

فقلت له عبرت ولم تسلم * وانى منك بالتسليم راض

تبارك

تبارك من كسا خديك وردا * ويخلق ما يشاء بلا اعتراض
فقال دع الجدال فان ربي * بديع الصنع من غير انتقاض
فثوبي مثل وجهي مثل حظي * بياض في بياض في بياض

فلما سمع الامرد هذا الكلام نزع الثوب الابيض من فوق الثوب الاحمر فلما رآه ابو نواس اكثر التعجبات وانشد هذه الابيات

تبدى في قميص من شقيق * عدو لي يلقب بالحبيب
فقلت من التعجب انت بدر * وقد اقبلت في زي عجيب
احمرة وجنتيك كستك هذا * ام انت صبغته بدم القلوب
فقال الشمس اهدت لي قميصا * قريب العهد من شفق المغيب
فثوبي والمدام ولون خدي * شقيق في شقيق في شقيق

فلما فرغ ابو نواس من شعره خلع الامرد الثوب الاحمر وبقي في الثوب الاسود فلما رآه ابو نواس اكثر اليه الالتفات وانشد هذه الابيات

تبدى في قميص من سواد * تجلى في الظلام على العباد
فقلت له عبرت ولم تسلم * واشمت الحواسد والاعادي
فثوبك مثل شعرك مثل حظي * سواد في سواد في سواد

فلما رأى ذلك الحاجب علم بحال ابي نواس وغرامه فرجع الى الخليفة واخبره بحاله فاحضر الخليفة الف درهم وامر الحاجب ان يأخذها ويرجع بها الى ابي نواس ويدفعها عنه ويخلصه من الرهن فرجع بها الحاجب الى ابي نواس وخلصه وتوجه به الى الخليفة فلما وقف بين يديه قال له الخليفة انشدني شعرا يكون فيه يا امين الله ما هذا الخبر فقال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا نواس قال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ثم انشد هذه الابيات

طال ليلي بالعوادي والسهر * فاضني جسمي واكثرت الفكر
فقمت امشي في محلي تارة * ثم طورا في مقاصير الحجر
فرأت عيناي شخصا اسودا * وهو بيضا قد تغطت بالشعر
يا لها من بدر تم زاهر * كقضيب البان يغشاه الخفر
فشربت الكاس منها جرعة * ثم اقبلت وقبلت الاثر
فاستفاقت وهي في غشيتها * تنثني كالغصن في وقت المطر
ثم قامت وهي لي قائلة * يا امين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق في حيكم * يرتجي المأوى الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدي * اكرم الضيف بسمعي والبصر

فقال له الخليفة قاتلك الله كانك كنت حاضرا معنا ثم اخذه الخليفة من يده وتوجه به الى الجارية فلما رآها

ابو نواس وكان عليها بدلة زرقاء وقناع ازرق اكثر التعجبات وانشد هذه الابيات

قل للمليحة فى القناع الازرق * ناشدتك بالله ان تترفق
ان المحب اذا جفاه حبيبه * هاجت به زفرات كل تشوق
فبحق حسنك مع بياض زانه * الا رثيت لقلب صب محرق
حن عليه وساعديه على الهوى * لا تقبلى فيه كلام الاحمق

فلما فرغ ابو نواس من شعره قدمت الجارية الشراب للخليفة ثم اخذت العود بيدها واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

اتنصف غيرى فى هواك وتظلم * وتبعدنى والغير فيك منعم
ولو كان للعشاق قاض شكوتكم * اليه عساه بالحقيقة يحكم
فان تمنعونى ان امر ببابكم * فانى عليكم من بعيد اسلم

ثم ان امير المؤمنين امر باكثار الشراب على ابى نواس حتى غاب عن رشده ثم ناوله قدحا فشرب منه جرعة واستدامه فى يده فامرها الخليفة ان تأخذ القدح من يده وتخفيه فاخذت القدح من يده واخفته بين افخاذها ثم ان الخليفة جرد سيفه فى يده ووقف على رأس ابى نواس ووكزه بالسيف فاستفاق فوجد السيف مسلولا فى يد الخليفة فطار السكر من رأسه فقال له الخليفة انشدنى شعرا واخبرنى فيه عن قدحك والا ضربت عنقك فانشد هذه الابيات

قصتى اعظم قصه * صارت الظبية لصه
سرقت كاس مدامى * وامتصاصى منه مصه
سترته فى مكان * لفؤادى منه غصه
لا اسميه وقارا * للخليفة فيه حصه

فقال له امير المؤمنين قاتلك الله من اين علمت ذلك ولكن قد قبلنا ما قلت وامر له بخلعة والف دينار وانصرف مسرورا. ومما يحكى ان رجلا كثرت عليه الديون وضاق عليه الحال فترك اهله وعياله وخرج هائما على وجهه ولم يزل سائرا الى ان اقبل بعد مدة على مدينة عالية الاسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو فى حالة الذل والانكسار وقد اشتد به الجوع واتعبه السفر فمر فى بعض شوارعها فرأى جماعة من الاكابر متوجهين فذهب معهم الى ان دخلوا فى محل يشبه محل الملوك فدخل معهم ولم يزالوا داخلين الى ان انتهوا الى رجل جالس فى صدر المكان وهو فى هيئة عظيمة وجلالة جسيمة وحوله الغلمان والخدم كانه من ابناء الوزراء فلما راهم قام اليهم واكرم مثواهم فاخذ الرجل المذكور الوهم من ذلك الامر واندهش مما راه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل المذكور اخذه الوهم من ذلك الامر واندهش مما رآه من حسن البنيان والخدم والحشم فتأخر الى ورائه وهو فى حيرة وكرب خائفا على نفسه حتى جلس فى محل وحده بعيدا عن الناس بحيث لا يراه احد فبينما هو جالس اذ اقبل رجل ومعه اربعة كلاب من كلاب الصيد وعليهم انواع القز والديباج وفى اعناقهم اطواق من الذهب بسلاسل الفضة فربط كل واحد منهم

محل منفرد له ثم غاب واتى لكل كلب بصحن من الذهب ملآن طعاما من الاطعمة الفاخرة ووضع لكل واحد صحنه على انفراده ثم مضى وتركهم فصار هذا الرجل ينظر الى الطعام من شدة جوعه ويريد ان يتقدم الى كلب منهم ويأكل معه فيمنعه الخوف منهم ثم ان كلبا منهم نظر اليه فالهمه الله تعالى معرفة حاله فتأخر عن الصحن واشار اليه فاقبل واكل حتى اكتفى واراد ان يذهب فاشار اليه الكلب ان يأخذ الصحن بما فيه من الطعام لنفسه والقاه له بيده فاخذه وخرج من الدار وسار ولم يتبعه احد ثم سافر الى مدينة اخرى فباع الصحن واخذ بثمنه بضائع وتوجه بها الى بلده فباع ما معه وقضى ما كان عليه من الديون وكثر رزقه وصار في نعمة زائدة وبركة عجيبة ولم يزل مقيما في بلده مدة من الزمان وبعد ذلك قال في نفسه لا بد انني اسافر الى مدينة صاحب الصحن وآخذ له هدية مليحة لائقة وادفع له ثمن الصحن الذي انعم علي به كلب من كلابه ثم انه اخذ هدية تليق به واخذ معه ثمن الصحن وسافر ولم يزل مسافرا اياما وليالي حتى وصل الى تلك المدينة فدخلها واراد الاجتماع به فمشى في شوارعها حتى اقبل على محله فلم ير الا طللا باليا وغرابا ناعيا ودارا قد اقفرت واحوالا قد تغيرت وحالا قد تنكرت فارتجف منه القلب والبال وانشد قول من قال

خلت الزوايا من خبايا ها كما * خلت القلوب من المعارف والتقى
وتنكر الوادي فما غزلانه * تلك الظباء ولا النقى ذاك النقى

وقول الآخر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزني * سحيرا وصحبي بالفلاة رقود
فلما انتبهنا للخيال الذي سرى * ارى الجو قفرا والمزار بعيد

ثم ان ذلك الرجل لما شاهد تلك الاطلال البالية ورأى ما صنعت بها ايدي الدهر علانية ولم يجد بعد العين الا الاثر اغناه الخبر عن الخبر والتفت فرأى رجلا مسكينا في حالة تقشعر منها الجلود وتحن اليها الحجر الجلمود فقال يا هذا ما صنع الدهر والزمان بصاحب هذا المكان واين بدوره السافرة ونجومه الزاهرة وما سبب الحادث الذي حدث على بنيانه حتى لم يبق فيه غير جدرانه فقال له هو هذا المسكين الذي تراه وهو يتأوه مما عراه ولكن اما تعلم ان في كلام الرسول عبرة لمن به اقتدى وموعظة لمن اهتدى حيث قال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله تعالى ان لا يرفع شيئا من هذه الدنيا الا وضعه فان كان سؤالك عن مال هذا الامر من سبب فليس مع انقلاب الدهر عجب انا صاحب هذا المكان ومنشئه ومالكه وبانيه وصاحب بدوره السافرة واحواله الفاخرة وتحفه الزاهية وجواريه الباهية لكن الزمان قد مال فاذهب الخدم والمال وصيرني في هذه الحالة الراهنة ودهمني بحوادث كانت عنده كامنة لكن لا بد لسؤالك هذا من سبب فاخبرني عنه واترك العجب فاخبره الرجل بجميع القصة وهو في المرعصة وقال له قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب وثمن صحنك الذي اخذته من الذهب فانه كان سببا لغناي بعد الفقر ولعمار ربعي وهو قفر ولزوال ما كان عندي من الهم والحصر فهز الرجل رأسه وبكى وان واشتكى وقال يا هذا اظنك مجنونا فان هذا الامر لا يكون من عاقل كيف يتكرم عليك كلب من كلابي بصحن من الذهب وارجع انا فيه فرجوعي فيما تكرم به كلبي من العجب ولو كنت في اشد الهم والوصب والله لا يصل الي منك شيء يساوي قلامة فامض من حيث جئت بالصحة والسلامة فقبل الرجل قدميه وانصرف راجعا يثني عليه ثم انه عند فراقه ووداعه انشد هذا البيت

ذهب الناس والكلاب جميعا * فعلى الناس والكلاب السلام

والله اعلم ومما يحكى انه كان بثغر الاسكندرية وال يقال له حسام الدين فبينما هو جالس في دسته ذات ليلة اذ اقبل عليه رجل جندى وقال له اعلم يا مولانا الوالى انى دخلت هذه المدينة فى هذه الليلة ونزلت فى خان كذا فنمت فيه الى ثلث الليل فلما انتبهت وجدت خرجى مشروطا وقد سرق منه كيس فيه الف دينار فلم يتم كلامه حتى ارسل الوالى واحضر المقدمين وامرهم باحضار جميع من فى الخان وامر بسجنهم الى الصباح فلما جاء الصبح امر باحضار آلة العقوبة واحضر هؤلاء الناس بحضرة الجندى صاحب الدراهم واراد عقابهم واذا برجل قد اقبل وشق الناس حتى وقف بين يدى الوالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوالى اراد عقابهم واذا برجل قد اقبل وشق الناس حتى وقف بين يدى الوالى والجندى فقال ايها الامير اطلق هؤلاء الناس كلهم فانهم مظلومون وانا الذى اخذت مال هذا الجندى وها هو الكيس الذى اخذته من خرجه ثم اخرجه من كمه ووضعه بين يدى الوالى والجندى فقال الوالى للجندى خذ مالك وتسلمه فما بقى لك على الناس سبيل وصار الناس وجميع الحاضرين يثنون على ذلك الرجل ويدعون له ثم ان الرجل قال ايها الامير ما الشطارة انى جئت اليك بنفسى واحضرت هذا الكيس وانما الشطارة فى اخذ هذا الكيس ثانيا من هذا الجندى فقال له الوالى وكيف فعلت يا شاطر حين اخذته فقال ايها الامير انى كنت واقفا فى مصر فى سوق الصيارف اذ رأيت هذا الجندى لما صرف هذا الذهب ووضعه فى هذا الكيس فتبعته من زقاق الى زقاق فلم اجد لى الى اخذ المال منه سبيلا ثم انه سافر فتبعته من بلد الى بلد وصرت احتال عليه فى اثناء الطريق فما قدرت على اخذه منه فلما دخل هذه المدينة تبعته حتى دخل فى هذا الخان فنزلت الى جانبه ورصدته حتى نام وسمعت غطيطه فمشيت اليه قليلا قليلا وقطعت الخرج بهذه السكين واخذت الكيس هكذا ومد يده واخذ الكيس من بين ايادى الوالى والجندى وتأخر الى خلف الوالى والجندى والناس ينظرون اليه ويعتقدون انه يريهم كيف اخذ الكيس من الخرج واذا به قد جرى ورمى نفسه فى بركة فصاح الوالى على حاشيته وقال الحقوه ونزلوا خلفه فما نزعوا ثيابهم ونزلوا فى الدرج حتى كان الشاطر مضى الى حال سبيله وفتشوا عليه فلم يجدوه وذلك ان ازقة الاسكندرية كلها تنفذ الى بعضها ورجع الناس ولم يحصلوا الشاطر فقال الوالى للجندى لم يبق لك عند الناس حق لانك عرفت غريمك وتسلمت مالك وما حفظته فقام الجندى وقد ضاع عليه ماله وخلصت الناس من يدى الجندى والوالى وكل ذلك من فضل الله تعالى ومما يحكى ان الملك الناصر احضر الولاة الثلاثة فى بعض الايام والى القاهرة ووالى بولاق ووالى مصر القديمة وقال اريد ان كل واحد منكم يخبرنى باعجب ما وقع له فى مدة ولايته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك الناصر قال للولاة الثلاثة اريد ان كل واحد منكم يخبرنى باعجب ما وقع له فى مدة ولايته فاجابوه بالسمع والطاعة ثم قال والى القاهرة اعلم يا مولانا السلطان ان اعجب ما وقع لى فى مدة ولايتى انه كان بهذه المدينة عدلان يشهدان على الدماء والجراحات وكانا مولعين بحب النساء وشرب الشراب والفساد وما قدرت عليهما بحيلة لانتقم منهما بها وعجزت عن ذلك فاوصيت

الخمارين والنقليين والفكهانيين والشماعين وارباب البيوت المعدة للفساد ان يخبرونى بهذين الشاهدين متى كانا فى مكان يشربان او يفسدان سواء كانا مع بعضهما او متفرقين وان اشتريا واشترى احدهما منهم شيأ من الاشياء المعدة للشراب فلا يخفوه عنى فقالوا سمعا وطاعة فاتفق فى بعض الايام انه حضر الى رجل ليلا وقال يا مولانا اعلم ان الشاهدين فى المكان الفلانى فى الدرب الفلانى فى دار فلان وانهما فى منكر عظيم فقمت وتخفيت انا وغلامى ومضيت اليهما منفردا من غير احد معى غير غلامى ولم ازل ماشيا حتى وقفت على الباب وطرقته فاتت الى جارية وفتحت لى الباب وقالت من انت فدخلت ولم ارد عليها جوابا فرأيت الشاهدين وصاحب الدار جلوسا وعندهم نساء بغايا ومن الشراب شئ كثير فلما رأونى قاموا الى وعظمونى واجلسونى فى صدر المقام وقالوا لى مرحبا بك من ضيف عزيز ونديم ظريف واستقبلونى من غير خوف منى ولا فزع وبعد ذلك قام صاحب الدار من عندنا وغاب ساعة ثم عاد ومعه ثلاثمائة دينار وليس عنده من الخوف شئ وقالوا اعلم يا مولانا الوالى انك تقدر على اكثر من هتيكتنا وفى يدك تعزيرنا ولكن لا يعود عليك من ذلك الا التعب فالرأى ان تأخذ هذا القدر وتستر علينا فان الله تعالى اسمه الستار ويحب من عباده الستيرين ولك الاجر والثواب فقلت فى نفسى خذ هذا الذهب منهم واستر عليهم فى هذه المرة واذا قدرت عليهم مرة اخرى فانتقم منهم فطمعت فى المال واخذته منهم وتركتهم وانصرفت ولم يشعر بى احد فما اشعر فى ثانى يوم الا ورسول القاضى جاء الى وقال ايها الوالى تفضل كلم القاضى فانه يدعوك فقمت معه ومضيت الى القاضى ولا اعلم ما سبب ذلك فلما دخلت عليه رأيت الشاهدين وصاحب الدار الذى اعطانى الثلاثمائة دينار جالسين عنده فقام صاحب الدار وادعى على بثلاثمائة دينار فما وسعنى الانكار فاخرج مسطورا وشهد فيه هذان الشاهدان العدلان على بثلثمائة دينار فثبت ذلك عند القاضى بشهادة الشاهدين فامرنى بدفع ذلك المبلغ فاخرجت من عندهم حتى اخذوا منى الثلاثمائة دينار فاغتظت ونويت لهم كل سوء وندمت على عدم تنكيلهم وانصرفت وانا فى غاية الخجل وهذا اعجب ما وقع لى فى مدة ولايتى فقام والى بولاق وقال واما انا يا مولانا السلطان فاعجب ما وقع لى فى مدة ولايتى انه كان على من الدين ثلاثمائة الف دينار فاضر بى ذلك وبعت ما ورائى وما قدامى وما كان بيدى فجمعت مائة الف دينار من غير زيادة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان والى بولاق قال بعت ما ورائى وما قدامى فجمعت مائة الف دينار من غير زيادة وبقيت فى حيرة عظيمة فبينما انا جالس فى دارى ليلة من الليالى وانا فى هذا الحال واذا بطارق يطرق الباب فقلت لبعض الغلمان انظر من بالباب فخرج ثم عاد الى وهو مصفر الوجه متغير اللون مرتعد الفرائص فقلت له ما دهاك فقال ان بالباب رجلا عريانا وعليه ثياب من الجلد ومعه سيف وفى وسطه سكين ومعه جماعة على هيئته وهو يطلبك فاخذت السيف فى يدى وخرجت لانظر من هؤلاء واذا بهم كما قال الغلام فقلت لهم ما شأنكم فقالوا انا لصوص وغنمنا فى هذه الليلة غنيمة عظيمة وجعلناها برسمك لتستعين بها على هذه القضية التى انت مهموم بسببها وتسد بها الدين الذى عليك فقلت لهم واين الغنيمة فاحضروا الى صندوقا كبيرا ممتلئا اوانى من ذهب وفضة فلما رأيته فرحت وقلت فى نفسى

اسد الدين الذى على من هذا ويفضل لى قدر الدين من مال اخرى فاخذته ودخلت الدار وقلت فى نفسى ليس من المروءة ان ادعهم يذهبون من غير شئ فاخذت المائة الف دينار التى كانت عندى ودفعتها اليهم وشكرت صنعهم فاخذوا الدنانير ومضوا تحت الليل الى حال سبيلهم ولم يعلم بهم احد فلما اصبح الصباح رأيت ما فى الصندوق نحاسا مطليا بالذهب والقزدير يساوى كله خمسمائة درهم فعظم على ذلك وضاعت الدنانير التى كانت معى وازددت غما على غمى وهذا اعجب ما جرى لى فى زمن ولايتى فقام والى مصر القديمة وقال يا مولانا السلطان واما انا فاعجب ما جرى لى فى مدة ولايتى انى شنقت عشرة لصوص وجعلت كل واحد على خشبة وحده واوصيت الحراسين انهم يحفظونهم ولا يتركون الناس يأخذون احدا منهم فلما كان من الغد جئت لانظرهم فنظرت مشنوقين على خشبة واحدة فقلت للحراسين من فعل هذا واين الخشبة التى كان عليها المشنوق الثانى فانكروا ذلك فاردت ان اضربهم فقالوا اعلم ايها الامير اننا نمنا البارحة فلما انتبهنا وجدنا مشنوقا واحدا سرق هو والخشبة التى كان عليها فخفنا منك واذا برجل فلاح مسافر قد اقبل علينا ومعه حمارة فقبضنا عليه وقتلناه وشنقناه مكان الذى سرق على هذه الخشبة فتعجبت من ذلك وقلت لهم وما كان مع الفلاح فقالوا كان معه خرج على الحمار قلت لهم وما فيه قالوا لا ندرى فقلت لهم على به فاحضروه بين يدى فامرت بفتحه واذا فيه رجل مقتول مقطع فلما رأيته تعجبت من ذلك وقلت فى نفسى سبحان الله ما كان سبب شنق هذا الفلاح الا ذنب هذا المقتول وما ربك بظلام للعبيد ومما يحكى ان رجلا من الصيارف كان معه كيس ملآن ذهبا وقد مر على اللصوص فقال واحد من الشطار انا اقدر على اخذ هذا الكيس فقالوا له كيف تصنع فقال انظروا ثم تبعه الى منزله فدخل الصيرفى ورمى الكيس على الصفة وكان حاقنا فدخل بيت الراحة لازالة الضرورة وقال للجارية هاتى ابريق ماء فاخذت الجارية الابريق وتبعته الى بيت الراحة وتركت الباب مفتوحا فدخل اللص واخذ الكيس وذهب الى اصحابه واعلمهم بما جرى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان اللص اخذ الكيس وذهب الى اصحابه واعلمهم بما جرى له مع الصيرفى والجارية فقالوا له والله ان الذى عملته شطارة وما كل انسان يقدر عليه ولكن فى هذا الوقت يخرج الصيرفى من بيت الراحة فلم يجد الكيس فيضرب الجارية ويعذبها عذابا اليما فكانك ما عملت شيأ تشكر عليه فان كنت شاطرا تخلص الجارية من الضرب والعذاب فقال لهم ان شاء الله تعالى اخلص الجارية والكيس ثم ان اللص رجع الى دار الصيرفى فوجده يعاقب الجارية لاجل الكيس فدق عليه الباب فقال له من هذا قال له انا غلام جارك الذى فى القيسرية فخرج اليه وقال له ما شأنك فقال له ان سيدى يسلم عليك ويقول لك قد تغيرت احوالك كلها كيف ترمى بمثل هذا الكيس على باب الدكان وتروح وتخليه ولو لقيه احد غريب كان اخذه وراح ولولا ان سيدى رآه وحفظه لكان ضاع عليك ثم اخرج الكيس واراه اياه فلما رآه الصيرفى قال هذا كيسى بعينه ومد يده ليأخذه منه فقال له والله ما اعطيك اياه حتى تكتب ورقة لسيدى انك تسلمت الكيس منى فانى اخاف ان لا يصدقنى فى انك اخذت الكيس وتسلمته حتى تكتب لى ورقة وتختمها بختمك فدخل الصيرفى ليكتب له ورقة بوصول الكيس كما ذكر له

فذهب

فذهب اللص بالكيس الى حال سبيله وخلصت الجارية من العذاب وممايحكى ان علاء الدين والى قوص كان جالسا ذات ليلة من الليالى فى بيته واذا بشخص حسن الصورة والمنظر كامل الهيئة قد اتاه فى الليل ومعه صندوق على رأس خادم ووقف على الباب وقال لبعض غلمان الامير ادخل واعلم الامير انى اريد الاجتماع به من اجل سر فدخل الغلام واعلمه بذلك فامره بادخاله فلما دخل رآه الامير عظيم الهيئة حسن الصورة فاجلسه الى جانبه واكرم مثواه وقال له ما حاجتك فقال له انا رجل من قطاع الطريق واريد التوبة والرجوع الى الله تعالى على يديك واريد ان تساعدنى على ذلك لانى صرت فى طرفك وتحت نظرك ومعى هذا الصندوق فيه شئ قيمته نحو اربعين الف دينار فانت اولى بها واعطنى من خالص مالك الف دينار حلالا اجعلها رأس مال واستعين بها على التوبة واستغنى بها عن الحرام واجرك على الله تعالى ثم انه فتح الصندوق ليرى الوالى ما فيه واذا به مصاغ وجواهر ومعادن وفصوص ولؤلؤ فادهشه ذلك وفرح به فرحا شديدا وصاح على خازنداره وقال له احضر الكيس الفلانى وكان فيه الف دينار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوالى صاح على خازنداره وقال له احضر الكيس الفلانى وكان فيه الف دينار فلما احضر الخازندار ذلك الكيس اعطاه لذلك الرجل فاخذه منه وشكره على فعله ومضى الى حال سبيله تحت الليل فلما اصبح الصباح احضر الوالى قيم الصاغة فلما حضر اراه ذلك الصندوق وما فيه من المصاغ فوجد جميع ذلك من القزدير والنحاس ورأى الجواهر والفصوص واللؤلؤ كلها من الزجاج فعظم ذلك على الوالى وارسل فى طلبه فلم يقدر احد على تحصيله وممايحكى ان امير المؤمنين المأمون قال لابراهيم بن المهدى حدثنا باعجب ما رأيت قال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين اعلم انى خرجت يوما للنزهة فانتهى بى المشى الى موضع فشممت فيه رائحة الطعام فاشتاقت نفسى اليه ووقفت يا امير المؤمنين متحيرا لا اقدر على المضى ولا على دخول ذلك الموضع فرفعت بصرى واذا انا بشباك ومن خلفه كف ومعصم ما رأيت احسن منهما وطار عقلى عندرؤيتهما ونسيت رائحة الطعام بذلك الكف والمعصم واخذت فى الحيلة على الوصول الى ذلك الموضع واذا بخياط قريب من ذلك الموضع فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت لمن هذه الدار فقال لرجل من التجار فقلت له ما اسمه قال اسمه فلان بن فلان وهو لا ينادم الا التجار فبينما نحن فى الكلام اذ اقبل رجلان نبيلان ذكيان فاعلمنى انهما اخص الناس بصحبته واخبرنى باسمهما فحركت دابتى حتى لقيتهما وقلت لهما جعلت فداكما قد استبطأكما ابو فلان وسايرتهما حتى وصلنا الى الباب فدخلت ودخل الرجلان فلما رآنى صاحب الدار معهما لم يشك فى انى صاحبهما فرحب بى واجلسنى فى ارفع المواضع ثم جاؤا بالمائدة فقلت فى نفسى قد من الله على ببلوغ الغرض من هذه الاطعمة وبقى الكف والمعصم ثم انتقلنا الى المنادمة فى موضع آخر فرأيته محفوفا باللطائف وجعل صاحب المنزل يتلطف بى ويقبل على بالحديث لظنه انى ضيف لاضيافه وهم كذلك يلاطفوننى غاية الملاطفة لظنهم انى صاحب رب المنزل ولم يزل جميعهم فى ملاطفتى حتى شربنا اقداحا ثم خرجت علينا جارية كانها غصن بان وهى فى غاية الظرف وحسن الهيئة فاخذت العود واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

اليس عجيبا ان بيتا يضمنا * واياك لا تدنوا ولا تتكلم
سوى اعين تبدى سرائر انفس * وتقطيع اكباد على النار تضرم
اشارة الحاظ وغمز حواجب * وتكسير اجفان وكف تسلم

فهجت بلابلى يا امير المؤمنين واخذنى الطرب من فرط جمالها ورقة شعرها الذى غنت به فحسدتها على حسن صنعتها وقلت بقى عليك شئ يا جارية فرمت العود من يدها غضبا وقالت متى كنتم تحضرون السفهاء فى مجالسكم فندمت على ما كان منى ورأيت القوم قد انكروا على فقلت قد فاتنى جميع ما املت ولم ار حيلة لدفع اللوم عنى الا انى طلبت عودا وقلت انا ابين ما فاتها من الطريقة التى ضربت بها فقال القوم سمعا وطاعة ثم احضروا الى عودا فاصلحت منه الاوتار وغنيت بهذه الاشعار

هذا محبك مطويا على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راجية * آماله ويد اخرى على كبده
يا من يرى هالكا من عشقه تلفا * كانت منيته من عينه ويده

فوثبت الجارية وانكبت على رجلى تقبلها وقالت المعذرة اليك يا سيدى والله ما علمت بمكانك ولا سمعت بمثل هذه الصناعة ثم اخذ القوم فى اكرامى وتبجيلى بعد ما طربوا غاية الطرب وسألنى كل منهم الغناء فغنيت نوبة مطربة فصار القوم سكارى وذهبت عقولهم فحملوا الى منازلهم وبقى صاحب المنزل هو والجارية فشرب معى اقداحا ثم قال يا سيدى ذهب عمرى مجانا حيث لم اعرف مثلك قبل ذلك الوقت فبالله يا سيدى من انت حتى اعرف نديمى الذى من الله على به فى هذه الليلة فاخذت اورى ولم اصرح له باسمى وهو يقسم على فاعلمته فلما عرف اسمى وثب قائما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابراهيم بن المهدى قال فلما عرف اسمى صاحب الدار وثب قائما على قدميه وقال عجبت من ان يكون هذا الفضل الا لمثلك ولقد اهدى الزمان الى يدا لا اقوم بشكرها ولعل هذا منام والا فانى طمعت ان تزورنى الخلافة فى منزلى وتنادمنى ليلتى هذه فاقسمت عليه ان يجلس فجلس واخذ يسألنى عن السبب فى حضورى عنده بالطف معنى فاخبرته بالقصة من اولها الى آخرها وما سترت منها شيأ وقلت اما الطعام فقد نلت منه بغيتى واما الكف والمعصم فلم انل مرادى منهما فقال والكف والمعصم تنال مرادك منهما ان شاء الله تعالى ثم قال يا فلانة قولى لفلانة ان تنزل ثم جعل يستدعى جواريه واحدة بعد واحدة ويعرض الجميع على وانا لا ارى صاحبتى الى ان قال والله يا سيدى ما بقى الا امى واختى ولكن والله لا بد من انزالهما اليك وعرضهما عليك حتى تراهما فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداك ابدأ بالاخت قال حبا وكرامة ثم نزلت اخته فارانى يدها فاذا هى صاحبة الكف والمعصم اللذين رأيتهما فقلت جعلت فداك هذه الجارية هى التى رأيت كفها ومعصمها فامر الغلمان ان يحضروا الشهود فى الوقت والساعة فاحضروا الشهود ثم احضر بدرتين من الذهب وقال للشهود هذا مولانا سيدى ابراهيم بن المهدى عم امير المؤمنين يخطب اختى فلانة واشهدكم انى قد

زوجتها له وقد امهرها بدرة ثم قال زوجتك اختي فلانة على المهر المسمى فقلت قبلت ذلك ورضيته ثم دفع احدى البدرتين الى اخته والاخرى الى الشهود ثم قال يا مولانا اريد ان امهد لك بعض البيوت لتنام مع اهلك فاحشمني ما رأيت من كرمه واستحييت ان اخلو بها في داره فقلت له جهزها الى منزلي فوحقك يا امير المؤمنين لقد حمل الي من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا مع سعتها ثم اولدتها هذا الغلام القائم بين يديك فتعجب المأمون من كرم هذا الرجل وقال لله دره ما سمعت قط بمثله وامر ابراهيم ابن المهدي باحضار الرجل ليشاهده فاحضره بين يديه واستنطقه فاعجبه ظرفه وادبه فصيره من جملة خواصه والله هو المعطي الوهاب ومما يحكى ان ملكا من الملوك قال لاهل مملكته لئن تصدق احد منكم بشيء لاقطعن يده فامسكت الناس جميعا عن الصدقة ولم يقدر احد ان يتصدق على احد فاتفق ان سائلا جاء الى امرأة يوما من الايام وقد اضر به الجوع وقال لها تصدقي علي بشيء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل السائل قال للمرأة تصدقي علي بشيء فقالت كيف اتصدق عليك والملك يقطع يد كل من تصدق فقال اسألك بالله تعالى ان تتصدقي علي فلما سألها بالله رقت له وتصدقت عليه برغيفين فوصل الخبر الى الملك فامر باحضارها فلما حضرت قطع يديها وتوجهت الى دارها ثم ان الملك بعد حين قال لامه اني اريد الزواج فزوجيني امرأة جميلة فقالت ان في جوارنا امرأة لم يوجد احسن منها ولكن بها عيب شديد قال وما هو قالت مقطوعة اليدين قال اريد ان انظرها فاتت بها اليه فلما نظرها افتتن بها فتزوجها ودخل بها وكانت تلك المرأة هي التي تصدقت على السائل برغيفين وقطع يديها من اجل ذلك فلما تزوج بها حسدها ضرائرها وكتبن الى الملك يخبرنه عنها بانها فاجرة وقد ولدت غلاما فكتب الملك الى امه كتابا وامرها فيه ان تخرج بها الى الصحراء وتتركها هنالك ثم ترجع ففعلت امه ذلك وخرجت بها الى الصحراء ثم رجعت فصارت تلك المرأة تبكي على ما جرى لها وتنتحب انتحابا شديدا ما عليه من مزيد فبينما هي تمشي والولد على عنقها اذ مرت على نهر فبركت لتشرب من شدة العطش الذي لحقها من مشيها وتعبها وحزنها فعندما طأطأت سقط الولد في الماء فجلست تبكي على ولدها بكاء شديدا فبينما هي تبكي اذ مر عليها رجلان فقالا لها ما يبكيك قالت انه كان لي ولد على عنقي فسقط في الماء فقالا لها اتحبين ان نخرجه لك قالت نعم فدعوا الله تعالى فخرج الولد اليها سالما لم يصبه شيء ثم قالا لها اتحبين ان يرد الله يديك كما كانتا قالت نعم فدعوا الله سبحانه وتعالى فرجعت يداها احسن ما كانتا عليه ثم قالا لها اتدرين من نحن قالت الله اعلم قالا نحن رغيفاك اللذان تصدقت بنا على السائل وكانت الصدقة سبب القطع يديك فاحمدي الله تعالى الذي رد عليك يديك وولدك فحمدت الله تعالى واثنت عليه ومما يحكى انه كان في بني اسرائيل رجل عابد له عيال يغزلون القطن فكان كل يوم يبيع الغزل ويشتري قطنا وما خرج من الكسب يشتري به طعاما لعياله يأكلونه في ذلك اليوم فخرج ذات يوم وباع الغزل فلقيه اخ له فشكا اليه الحاجة فدفع له ثمن الغزل ورجع الى عياله من غير قطن ولا طعام فقالوا له اين القطن والطعام فقال لهم استقبلني فلان فشكا الي الحاجة فدفعت اليه ثمن الغزل قالوا وكيف نصنع وليس عندنا شيء نبيعه وكان عندهم قصعة مكسورة وجرة فذهب

بهما الى السوق فلم يشترهما احد منه فبينما هو فى السوق اذ مر به رجل ومعه سمكة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل اخذ القصعة والجرة وذهب بهما الى السوق فلم يشترهما احد منه فبينما هو فى السوق اذ مر به رجل ومعه سمكة منتنة منفوخة لم يشترها احد منه فقال له صاحب السمكة اتبيعنى كاسدك بكاسدى قال نعم فدفع له القصعة والجرة واخذ منه السمكة وجاء بها الى عياله فقالوا له ما نفعل بهذه السمكة قال نشويها ونأكلها الى ان يشاء الله تعالى لنا برزقنا فاخذوها وشقوا بطنها فوجدوا فيه حبة لؤلؤ فاخبروا بها الشيخ فقال انظروا ان كانت منقوبة فهى لبعض الناس وان كانت غير منقوبة فانها رزق رزقكم الله تعالى به فنظروا فاذا هى غير منقوبة فلما اصبح الصباح غدا بها الى بعض اخوانه من اصحاب المعرفة بذلك فقال يا فلان من اين لك هذه اللؤلؤة قال رزق رزقنا الله تعالى به قال انها تساوى الف درهم وانا اعطى لك ذلك ولكن اذهب بها الى فلان فانه اكثر منى مالا ومعرفة فذهب بها اليه فقال انها تساوى سبعين الف درهم لا اكثر من ذلك ثم دفع له سبعين الف درهم ودعا بالحمالين فحملوا له المال حتى وصل الى باب منزله فجاءه سائل وقال له اعطنى مما اعطاك الله تعالى فقال للسائل قد كنا بالامس مثلك خذ نصف هذا المال فلما اقتسم المال شطرين واخذ كل واحد شطره قال له السائل امسك عليك مالك وخذه بارك الله لك فيه وانما انا رسول ربك بعثنى اليك لاختبرك فقال لله الحمد والمنة وما زال فى ارغد عيش هو وعياله الى الممات وما يحكى ان ابا حسان الزيادى قال ضاق على الحال فى بعض الايام ضيقا شديدا حتى انه قد الح على البقال والخباز وسائر المعاملين فاشتد على الكرب ولم اجد لى حيلة فبينما انا على تلك الحالة لا ادرى كيف اصنع اذ دخل على غلام لى فقال ان بالباب رجلا حاجيا يطلب الدخول عليك فقلت ائذن له فدخل فاذا هو رجل خراسانى فسلم على فرددت عليه السلام ثم قال لى هل انت ابو حسان الزيادى قلت نعم وما حاجتك قال انى رجل غريب واريد الحج ومعى جملة من المال وانه قد اثقلنى حمله واريد ان ادع عندك هذه العشرة آلاف درهم الى ان اقضى حجى وارجع فان رجع الركب ولم ترنى فاعلم انى قد مت فالمال هبة منى اليك وان رجعت فهى لى فقلت له لك ذلك ان شاء الله تعالى فاخرج جرابا فقلت للغلام ائتنى بميزان فاتى بميزان فوزنها وسلمها الى وذهب الى حال سبيله فاحضرت المعاملين وقضيت دينى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا حسان الزيادى قال احضرت المعاملين وقضيت ما كان على من الدين وانفقت واتسعت وقلت فى نفسى الى ان يرجع يفتح الله علينا بشىء من عنده فلما كان بعد يوم دخل الغلام على وقال لى ان صاحبك الخراسانى بالباب فقلت ائذن له فدخل ثم قال انى كنت عازما على الحج فجاءنى خبر بوفاة والدى وقد عزمت على الرجوع فاعطنى المال الذى اودعتك اياه بالامس فلما سمعت منه هذا الكلام حصل لى هم عظيم لم يحصل لاحد مثله قط وتحيرت فلم ارد جوابا فان جحدته استحلفنى وكانت الفضيحة فى الآخرة وان اخبرته بالتصرف فيه صاح وهتكنى فقلت له عافاك الله

ان منزلى هذا ليس بحصين ولا حرز لذلك المال وانى لما اخذت جرابك ارسلته الى من هو عنده الان فعد علينا فى الغد لنأخذه ان شاء الله تعالى فانصرف عنى وبت متحيرا من اجل رجوع الخراسانى الىّ فلم يأخذنى نوم فى تلك الليلة ولم اقدر على غمض عينى فقمت للغلام وقلت له اسرج لى البغلة قال يا مولاى ان هذا الوقت عتمة ولم يمض من الليل شئ فرجعت الى فراشى فاذا النوم ممتنع فلم ازل ايقظ الغلام وهو يردنى حتى طلع الفجر فاسرج لى البغلة فركبت وانا لا ادرى اين اذهب فطرحت عنان البغلة على عاتقها وصرت مشغولا بالفكر والهموم وهى تسير الى الجانب الشرقى من بغداد فبينما انا سائر واذا انا بقوم قد رأيتهم فانحرفت عنهم وعدلت عن طريقهم الى طريق اخرى فتبعونى فلما رأونى بطيلسان تبادروا الىّ وقالوا لى اتعرف منزل ابى حسان الزيادى فقلت لهم هو انا فقالوا اجب امير المؤمنين فسرت معهم حتى دخلت على المأمون فقال لى من انت قلت رجل من اصحاب القاضى ابى يوسف من الفقهاء واصحاب الحديث فقال باى شئ تكنى قلت بابى حسان الزيادى قال اشرح لى قصتك فشرحت له خبرى فبكى بكاء شديدا وقال ويحك ما تركنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انام فى هذه الليلة بسببك فانى لما نمت اول الليل قال لى اغث ابا حسان الزيادى فانتبهت ولم اعرفك ثم نمت فاتانى وقال لى ويحك اغث ابا حسان الزيادى فانتبهت ولم اعرفك ثم نمت فاتانى ولم اعرفك ثم نمت فاتانى وقال لى ويحك اغث ابا حسان الزيادى فما تجاسرت على النوم بعد ذلك وسهرت الليل كله وقد ايقظت الناس وارسلتهم فى طلبك من كل جانب ثم اعطانى عشرة الاف درهم وقال هذه للخراسانى ثم اعطانى عشرة الاف درهم وقال اتسع بهذه واصلح بها امرك ثم اعطانى ثلاثين الف درهم وقال جهز نفسك بهذه واذا كان يوم الموكب فائتنى حتى اقلدك عملا فخرجت والمال معى فجئت الى منزلى فصليت فيه الغداة واذا بالخراسانى قد حضر فادخلته البيت واخرجت له بدرة وقلت له هذا مالك قال ليس هذا عين مالى فقلت نعم فقال ما سبب هذا فقصصت عليه القصة فبكى وقال والله لو اصدقتنى من اول الامر ما طالبتك وانا الان والله لا اقبل شيأ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخراسانى قال للزيادى والله لو اصدقتنى من اول الامر ما طالبتك وانا الان والله لا اقبل شيأ من هذا المال وانت فى حل منه وانصرف من عندى ثم اصلحت امرى وذهبت فى يوم الموكب الى باب المأمون فدخلت عليه وهو جالس فلما مثلت بين يديه استدنانى واخرج لى عهدا من تحت مصلاه وقال هذا عهد بقضاء المدينة الشريفة من الجانب الغربى من باب السلام الى ما لا نهاية له وقد اجريت لك كذا وكذا فى كل شهر فاتق الله عز وجل وحافظ على عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بك فتعجب الناس من كلامه وسألونى عن معناه فاخبرتهم بالقصة من اولها الى آخرها فشاع الخبر بين الناس وما زال ابو حسان الزيادى قاضيا فى المدينة الشريفة الى ان مات فى ايام المأمون رحمة الله عليه

ومما يحكى ان رجلا كان ذا مال كثير ففقد منه وصار لا يملك شيأ فاشارت عليه زوجته ان يقصد بعض اصدقائه فيما يصلح به حاله فقصد صديقا له وذكر له ضرورته فاقرضه خمسمائة دينار على انه يتجر فيها وكان فى ابتداء حاله جوهريا فاخذ الذهب ومضى الى سوق الجواهر وفتح دكانه ليشترى ويبيع فلما قعد فى الدكان اتاه ثلاثة رجال وسألوه عن والده فذكر لهم وفاته فقالوا له هل خلف احدا من الذرية قال خلف

العبد الذى بين ايديكم قالوا ومن يعرف انك ولده قال اهل السوق فقالوا له اجمعهم لنا حتى يشهدوا انك ولده فجمعهم وشهدوا بذلك فخرج الثلاثة رجال خرجا فيه مقدار ثلاثين الف دينار وفيه جواهر ومعادن ثمينة وقالوا هذا كان عندنا امانة لابيك ثم انصرفوا فاتته امرأة وطلبت منه شيأ من ذلك الجوهر يساوى خمسمائة دينار فاشترته منه بثلاثة الاف دينار فباعه لها ثم قام واخذ الخمسمائة دينار التى كان اقترضها من صديقه وحملها اليه وقال له خذ الخمسمائة دينار التى اقترضتها منك فقد فتح الله على ويسر لى فقال له صديقه انى اعطيتك اياها وخرجت عنها لله فخذها وخذ هذه الورقة ولا تقراها الا وانت فى دارك واعمل بما فيها فاخذ المال والورقة وذهب الى بيته فلما فتحها وجد مكتوبا فيها هذه الابيات

ان الرجال الاولى جاءوك من نسبى ✻ ابى وعمى وخالى صالح بن على
كذاك مابعته نقدا لو الدتى ✻ والمال والجوهر المبعوث من قبلى
وما اردت بهذا منك منقصة ✻ لكن لا كفيك منى ورطة الخجل

ومما يحكى ان رجلا من بغداد كان صاحب نعمة وافرة ومال كثير فنفد ماله وتغير حاله وصار لا يملك شيأ ولا ينال قوته الا بجهد جهيد فنام ذات ليلة وهو مغمور مقهور فرأى فى منامه قائلا يقول له ان رزقك بمصر فاتبعه وتوجه اليه فسافر الى مصر فلما وصل اليها ادركه المساء فنام فى مسجد وكان بجوار المسجد بيت فقدر الله تعالى ان جماعة من اللصوص دخلوا المسجد وتوصلوا منه الى ذلك البيت فانتبه اهل البيت على حركة اللصوص وقاموا بالصياح فاغاثهم الوالى باتباعه فهربت اللصوص ودخل الوالى المسجد فوجد الرجل البغدادى نائما فى المسجد فقبض عليه وضربه بالمقارع ضربا مؤلما حتى اشرف على الهلاك وسجنه فمكث ثلاثة ايام فى السجن ثم احضره الوالى وقال له من اى البلاد انت قال من بغداد قال له وما حاجتك التى هى سبب فى مجيئك الى مصر قال انى رأيت فى منامى قائلا يقول لى ان رزقك بمصر فتوجه اليه فلما جئت الى مصر وجدت الرزق الذى اخبرنى به تلك المقارع التى نلتها منك فضحك الوالى حتى بدت نواجذه وقال له يا قليل العقل انا رأيت ثلاث مرات فى منامى قائلا يقول لى ان بيتا فى بغداد بخط كذا ووصفه كذا بحوشه جنينة تحتها فسقية بها مال له جرم عظيم فتوجه اليه وخذه فلم اتوجه وانت من قلة عقلك سافرت من بلدة الى بلدة من اجل رؤيا رأيتها وهى اضغاث احلام ثم اعطاه دراهم وقال له استعن بها على عودك الى بلدك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوالى اعطى البغدادى دراهم وقال له استعن بها على عودك الى بلدك فاخذها وعاد الى بغداد وكان البيت الذى وصفه الوالى ببغداد هو بيت ذلك الرجل فلما وصل الى منزله حفر تحت الفسقية فرأى مالا كثيرا ووسع الله عليه رزقه وهذا اتفاق عجيب ومما يحكى انه كان فى قصر امير المؤمنين المتوكل على الله اربعة الاف سرية مائتان روميات ومئتان مولدات وحبش وقد اهدى عبيد ابن طاهر الى المتوكل اربعمائة جارية مائتان بيض ومئتان حبش ومولدات وكان من جملة ذلك جارية من مولدات البصرة يقال لها محبوبة وكانت فائقة فى الحسن والجمال والظرف والدلال وكانت تضرب بالعود وتحسن الغناء وتنظم الشعر وتكتب خطا جيدا فافتتن بها المتوكل وكان لا يصبر عنها ساعة واحدة فلما رأت ميله اليها تكبرت عليه وبطرت النعمة فغضب عليها غضبا شديدا وهجرها ومنع اهل القصر

من كلامها فمكثت على ذلك اياما وكان المتوكل له ميل اليها فاصبح ذات يوم قال لجلسائه انى رأيت فى هذه الليلة فى منامى كانى صالحت محبوبة فقالوا له نرجو من الله تعالى ان يكون ذلك يقظة فبينما هو فى الكلام واذا بخادمة قد اقبلت واسرّت الى المتوكل حديثا فقام من المجلس ودخل دار الحريم وكان الذى اسرّته اليه انها قالت له سمعنا من حجرة محبوبة غناء وضربا بالعود وما ندرى سبب ذلك فلما وصل الى حجرتها سمعها تغنى على العود وتحسن الضربات وتنشد هذه الابيات

ادور فى القصر لا ارى احدا * اشكو اليه ولا يكلمنى
حتى كانى ارتكبت معصية * ليس لها توبة تخلصنى
فهل لنا شافع الى ملك * قد زارنى فى الكرى وصالحنى
حتى اذا ما الصباح لاح لنا * عاد الى هجره وقاطعنى

فلما سمع المتوكل كلامها تعجب من هذه الابيات ومن هذا الاتفاق الغريب حيث رأت محبوبة مناما موافقا لمنامه فدخل عليها فى الحجرة فلما دخل حجرتها واحست به بادرت بالقيام اليه وانكبت على اقدامه وقبلتها وقالت والله ياسيدى لقد رأيت هذه الواقعة فى منامى ليلة البارحة فلما انتبهت من النوم نظمت هذه الابيات فقال لها المتوكل والله انى رأيت مناما مثل ذلك ثم انهما تعانقا واصطلحا واقام عندها سبعة ايام بلياليها وكانت محبوبة قد كتبت على خدها بالمسك اسم المتوكل وكان اسمه جعفر فلما راى المتوكل اسمه مكتوبا على خدها بالمسك انشأ يقول

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفرا * بنفسى من قد خط فى الخد ما ارى
لئن كتبت فى الخد سطرا بنانها * لقد اودعت قلبى من الخط اسطرا
فيا من حواها فى البرية جعفر * سقى الله من سقياشرابك جعفرا

ولما مات المتوكل سلاه جميع من كان له من الجوارى الا محبوبة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه لما مات المتوكل سلاه جميع من كان له من الجوارى الا محبوبة فانها لم تزل حزينة عليه حتى ماتت ودفنت بجانبه رحمة الله عليهم اجمعين ومما يحكى انه كان فى زمن الحاكم بامر الله رجل بمصر يسمى وردان وكان جزارا فى اللحم الضانى وكانت امرأة تاتيه كل يوم بدينار يقارب وزنه وزن دينارين ونصف من الدنانير المصرية وتقول له اعطنى خروفا وتحضر معها حمالا بقفص فيأخذ منها الدينار ويعطيها خروفا فتحمله الى الحمال وتاخذه وتروح به الى مكانها وفى ثانى يوم وقت الضحى تأتى وكان ذلك الجزار يكتسب منها كل يوم دينارا واقامت مدة طويلة على ذلك فتفكر وردان الجزار ذات يوم فى امرها وقال فى نفسه هذه المرأة كل يوم تشترى منى بدينار ولم تغلط يوما واحدا وتشترى منى بدراهم فهذا امر عجيب ثم ان وردان سأل الحمال فى غيبة المرأة فقال له الى اين تروح كل يوم مع هذه المرأة فقال له انا فى غاية العجب منها فانها كل يوم تحملنى الخروف من عندك وتشترى حوايج الطعام والفاكهة والشمع والنقل بدينار آخر وتأخذ من شخص نصرانى مروقتين نبيذا وتعطيه دينارا وتحملنى الجميع واسير معها الى بساتين الوزير ثم تعصب عينى بحيث انى لا انظر موضعا من الارض احط

فيه قدمى وتأخذ بيدى فما اعرف اين تذهب بى ثم تقول حط هنا وعندها قفص آخر فتعطينى الفارغ ثم تمسك يدى وتعود بى الى الموضع الذى شدت عينى فيه بالعصابة فتحلها وتعطينى عشرة دراهم فقال له الجزار الله يكون فى عونها ولكن ازداد فكرا فى امرها وكثرت عنده الوساوس وبات فى قلق عظيم قال وردان الجزار فلما اصبحت اتتنى على العادة واعطتنى الدينار واخذت الخروف وحملته الى الحمال وراحت فاوصيت صبيى على الدكان وتبعتها بحيث لا ترانى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان وردان الجزار قال فاوصيت صبيى على الدكان وتبعتها بحيث لا ترانى ولم ازل اعاينها الى ان خرجت من مصر وانا اتوارى خلفها حتى وصلت الى بساتين الوزير فاختفيت حتى عصبت عينى الحمال وتبعتها من مكان الى مكان الى ان اتت الجبل فوصلت الى مكان فيه حجر كبير وحطت القفص عن الحمال فصبرت الى ان عادت بالحمال ورجعت ونزعت جميع ما كان بالقفص وغابت ساعة فاتيت الى ذلك الحجر فزحزحته ودخلت فوجدت خلفه طابقا من نحاس مفتوحا ودرجا نازلة فنزلت فى تلك الدرج قليلا قليلا حتى وصلت الى دهليز طويل كثير النور فمشيت فيه حتى رأيت هيئة باب قاعة فاركنت فى زوايا الباب فوجدت صفة بها سلالم خارج باب القاعة فتعلقت فيها فوجدت صفة صغيرة بها طاقة تشرف على قاعة فنظرت فى القاعة فوجدت المرأة قد اخذت الخروف وقطعت منه مطايبه وعملته فى قدر ورمت الباقى الى دب كبير عظيم الخلقة فاكله عن آخره وهى تطبخ فلما فرغت اكلت كفايتها ووضعت الفاكهة والنقل وحطت النبيذ وصارت تشرب بقدح وتسقى الدب بطاسة من ذهب حتى حصل لهما نشوة السكر فنزعت لباسها ونامت فقام الدب وواقعها وهى تعاطيه من احسن ما يكون لبنى آدم حتى فرغ وجلس ثم وثب اليها وواقعها ولما فرغ جلس واستراح ولم يزل كذلك حتى فعل ذلك عشر مرات ثم وقع كل منهما مغشيا عليه وصارا لا يتحركان فقلت فى نفسى هذا وقت انتهاز الفرصة فنزلت ومعى سكين تبرى العظم قبل اللحم فلما صرت عندهما وجدتهما لا يتحرك فيهما عرق لما حصل لهما من المشقة فجعلت السكين فى منحر الدب واتكأت عليه حتى خلصته وانعزلت رأسه عن بدنه فصار له شخير عظيم مثل الرعد فانتبهت المرأة مرعوبة فلما رأت الدب مذبوحا وانا واقف والسكين فى يدى زعقت زعقة عظيمة حتى ظننت ان روحها قد خرجت وقالت لى يا وردان ايكون هذا جزاء الاحسان فقلت لها يا عدوة نفسها هل عدمت الرجال حتى تفعلى هذا الفعل الذميم فاطرقت رأسها الى الارض لا ترد جوابا وتأملت الدب وقد نزعت رأسه عن جثته ثم قالت يا وردان اى شئ احب اليك ان تسمع الذى اقوله لك ويكون سببا لسلامتك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المرأة قالت يا وردان اى شئ احب اليك ان تسمع الذى اقوله لك ويكون سببا لسلامتك وغناك الى آخر الدهر او تخالفنى ويكون سببا لهلاكك قلت اختار ان اسمع كلامك فحدثينى بما شئت فقالت اذبحنى كما ذبحت هذا الدب وخذ من هذا الكنز حاجتك وتوجه الى حال سبيلك فقلت لها انا خير من هذا الدب فارجعى الى الله تعالى وتوبى واتزوج بك ونعيش باقى عمرنا بهذا الكنز قالت يا وردان ان هذا بعيد كيف اعيش بعده والله ان لم تذبحنى لاتلفن روحك فلا تراجعنى تتلف وهذا ما عندى من الرأى

والسلام

والسلام فقلت اذبحك وتروحين الى لعنة الله ثم جذبتها من شعرها وذبحتها وراحت الى لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وبعد ذلك نظرت فى المحل فوجدت فيه من الذهب والفصوص واللؤلؤ ما لا يقدر على جمعه احد من الملوك فاخذت قفص الحمال وملأته على قدر ما اطيق ثم سترته بقماشى الذى كان على وحملته وطلعت من الكنز وسرت ولم ازل سائرا الى باب مصر واذا بعشرة من جماعة الحاكم بامر الله مقبلون والحاكم خلفهم فقال لى يا وردان قلت لبيك ايها الملك قال هل قتلت الدب والمرأة قلت نعم قال حط عن رأسك وطب نفسا فجميع ما معك من المال لك لا ينازعك فيه احد فحطيت القفص بين يديه فكشفه ورآه وقال حدثنى بخبرهما وان كنت اعرفه كانى حاضر معكم فحدثته بجميع ما جرى وهو يقول صدقت فقال يا وردان قم سر بنا الى الكنز فتوجهت معه اليه فوجد الطابق مغلقا فقال ارفعه يا وردان فان هذا الكنز لا يقدر احد ان يفتحه غيرك فانه مرصود باسمك وصفتك فقلت والله لا اطيق فتحه فقال تقدم انت على بركة الله فتقدمت اليه وسميت الله تعالى ومددت يدى الى الطابق فارتفع كانه اخف ما يكون فقال الحاكم انزل واطلع ما فيه فانه لا ينزله الا من هو باسمك وصورتك وصفاتك من حين وضع وقتل هذا الدب وهذه المرأة على يديك وهو عندى مؤرخ وكنت انتظر وقوعه حتى وقع قال وردان فنزلت ونقلت له جميع ما فى الكنز ثم دعا بالدواب وحمله واعطانى قفصى بما فيه فاخذته وجئت به الى بيتى وفتحت لى دكانا فى السوق وهذا السوق موجود الى الان ويعرف بسوق وردان ومما يحكى ايضا انه كان لبعض السلاطين ابنة وقد تعلق قلبها بحب عبد اسود فافتض بكارتها واولعت بالنكاح فكانت لا تصبر عنه ساعة واحدة فشكت امرها الى بعض القهرمانات فاخبرتها انه لا شئ ينكح اكثر من القرد فاتفق ان قرادا مر تحت طاقتها بقرد كبير فاسفرت عن وجهها ونظرت الى القرد وغمزته بعيونها فقطع القرد وثاقه وسلاسله وطلع اليها فخبأته فى مكان عندها وصار ليلا ونهارا على اكل وشرب وجماع ففطن ابوها بذلك واراد قتلها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السلطان لما فطن بامر ابنته واراد قتلها شعرت بذلك فتزيت بزى المماليك وركبت فرسا واخذت لها بغلا وحملته من الذهب والمعادن والقماش ما لا يوصف وحملت القرد معها وسارت حتى وصلت الى مصر فنزلت فى بعض بيوت الصحراء وصارت كل يوم تشترى لحما من شاب جزار ولكن لا تأتيه الا بعد الظهر وهى مصفرة اللون متغيرة الوجه فقال الشاب فى نفسه لا بد لهذا المملوك من سبب عجيب فلما جاءت على العادة واخذت اللحم تبعها من حيث لا تراه قال ولم ازل خلفها من حيث لا ترانى من محل الى محل حتى وصلت الى مكانها الذى بالصحراء ودخلت هناك فنظرت اليها من بعض جهاته فرأيتها استقرت بمكانها واوقدت النار وطبخت اللحم واكلت كفايتها وقدمت باقيه الى القرد الذى معها فاكل كفايته ثم انها نزعت ما عليها من الثياب ولبست افخر ما عندها من ملابس النساء فعلمت انها انثى ثم انها احضرت خمرا وشربت منه وسقت القرد ثم واقعها القرد نحو عشر مرات حتى غشى عليها وبعد ذلك نشر القرد عليها ملاءة من حرير وراح الى محله فنزلت الى وسط المكان فاحس بى القرد واراد افتراسى فبادرته بسكين كانت معى فقريت بها كرشه فانتبهت الصبية فزعة مرعوبة فرأت القرد على هذه الحالة فصرخت صرخة عظيمة حتى كادت ان تزهق روحها ثم وقعت مغشيا عليها فلما افاقت من غشيتها قالت

لى ما حملك على ذلك ولكن بالله عليك ان تلحقنى به فلا زلت الاطفها واضمن لها انى اقوم بما قام به القرد من كثرة النكاح الى ان سكن روعها وتزوجت بها فعجزت عن ذلك ولم اصبر عليه فشكوت حالى الى بعض العجائز وذكرت لها ما كان من امرها فالتزمت لى بتدبير هذا الامر وقالت لى لا بد ان تأتينى بقدر وتملأه من الخل البكر وتأتينى بقدر رطل من العود القرح فاتيت لها بما طلبته فوضعته فى القدر ووضعت القدر على النار وغلته غليانا قويا ثم امرتنى بنكاح الصبية فنكحتها الى ان غشى عليها فحملتها العجوز وهى لا تشعر والقت فرجها على فم القدر فصعد دخانه حتى دخل فرجها فنزل من فرجها شئ فتأملته فاذا هو دودتان احداهما سوداء والاخرى صفراء فقالت العجوز الاولى تربت من نكاح العبد والثانية تربت من نكاح القرد فلما افاقت من غشيتها استمرت معى مدة وهى لم تطلب النكاح وقد صرف الله عنها تلك الحالة وتعجبت من ذلك. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب قال وقد صرف الله عنها تلك الحالة وتعجبت من ذلك فاخبرتها بالقصة واستمرت معه فى ارغد عيش واحسن لذة واتخذت عندها العجوز مكان والدتها ومازالت هى وزوجها والعجوز فى هناء وسرور الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده الملك والملكوت   ومما يحكى انه كان فى قديم الزمان ملك عظيم ذو خطر جسيم وكان له ثلاث بنات مثل البدور السافرة والرياض الزاهرة وولد ذكر كانه القمر فبينما الملك جالس على كرسى مملكته يوما من الايام اذ دخل عليه ثلاثة من الحكما مع احدهم طاووس من ذهب ومع الثانى بوق من نحاس ومع الثالث فرس من عاج وابنوس فقال لهم الملك ما هذه الاشياء وما منفعتها فقال صاحب الطاووس ان منفعة هذا الطاووس انه كلما مضت ساعة من ليل او نهار يصفق باجنحته ويزعق وقال صاحب البوق انه اذا وضع هذا البوق على باب المدينة يكون كالمحافظ عليها فاذا دخل من تلك المدينة عدو يزعق عليه هذا البوق فيعرف ويمسك باليد وقال صاحب الفرس يا مولاى ان منفعة هذه الفرس انه اذا ركبها انسان فانها توصله الى اى بلاد اراد فقال الملك لا انعم عليكم حتى اجرب منافع هذه الصور ثم انه جرب الطاووس فوجده كما قال صاحبه وجرب البوق فوجده كما قال صاحبه فقال الملك للحكيمين تمنيا على فقالا نتمنى عليك ان تزوج كل واحد منا بنتا من بناتك فانعم الملك عليهما ببنتين من بناته ثم تقدم الحكيم الثالث صاحب الفرس وقبل الارض بين يدى الملك وقال له يا ملك الزمان انعم على كما انعمت على اصحابى فقال له الملك حتى اجرب ما اتيت به فعند ذلك تقدم ابن الملك وقال يا والدى انا اركب هذه الفرس واجربها واختبر منفعتها فقال الملك يا ولدى جربها كما تحب فقام ابن الملك وركب الفرس وحرك رجليه فلم تتحرك من مكانها فقال يا حكيم اين الذى ادعيته من سرعة سيرها فعند ذلك جاء الحكيم الى ابن الملك واراه لولب الصعود وقال له افرك هذا اللولب ففركه ابن الملك واذا بالفرس قد تحرك وطار بابن الملك الى عنان السماء ولم يزل طائرا به حتى غاب عن الاعين فعند ذلك احتار ابن الملك فى امره وندم على ركوبه الفرس ثم قال ان الحكيم قد عمل حيلة على هلاكى فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انه جعل يتأمل فى جميع اعضاء الفرس فبينما هو يتأمل فيها اذ نظر الى شئ مثل رأس الديك على كتف الفرس الايمن وكذلك الايسر فقال ابن الملك ما ارى فيه اثرا غير هذين الزرين ففرك الزر الذى على الكتف الايمن فازدادت به الفرس سيرا

طالعة الى الجو فتركه ثم نظر الى الكتف الايسر فرأى ذلك الزر فحركه فتناقصت حركات الفرس من الصعود الى الهبوط ولم تزل هابطة به الى الارض قليلا قليلا وهو محترس على نفسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن الملك لما فرك الزر الايسر تناقصت حركات الفرس من الصعود الى الهبوط ولم تزل هابطة به الى الارض قليلا قليلا محترسا على نفسه فلما نظر ابن الملك ذلك وعرف منافع الفرس امتلأ قلبه فرحا وسرورا وشكر الله تعالى على ما انعم به عليه حيث انقذه من الهلاك ولم يزل هابطا طول نهاره لانه كان فى حال صعوده بعدت عنه الارض وجعل يدور وجه الفرس كما يريد وهى هابطة به واذا شاء نزل بها واذا شاء طلع بها فلما تم له من الفرس ما يريد اقبل بها الى جهة الارض وصار ينظر الى ما فيها من البلاد والمدن التى لا يعرفها لانه لم يرها طول عمره وكان من جملة ما رآه مدينة مبنية باحسن البنيان وهى فى وسط ارض خضراء ناضرة ذات اشجار وانهار فتفكر فى نفسه وقال ياليت شعرى ما اسم هذه المدينة وفى اى الاقاليم هى ثم انه جعل يطوف حول تلك المدينة ويتأملها يمينا وشمالا وكان النهار قد ولى ودنت الشمس للمغيب فقال فى نفسه انى لم اجد موضعا للمبيت احسن من هذه المدينة فانا ابيت فيها هذه الليلة وعند الصباح اتوجه الى اهلى ومحل ملكى واعلم اهلى ووالدى بما جرى لى واخبره بما نظرت عيناى وصار يفتش على موضع يأمن فيه على نفسه وعلى فرسه ولا يراه احد فبينما هو كذلك واذا به قد نظر فى وسط المدينة قصرا شاهقا فى الهواء وقد احاط بذلك القصر سور متسع بشرفات عاليات فقال ابن الملك فى نفسه ان هذا الموضع مليح وجعل يحرك الزر الذى يهبط به الفرس ولم يزل هابطا به حتى نزل مستويا على سطح القصر ثم نزل من فوق الفرس وحمد الله تعالى وجعل يدور حول الفرس ويتأملها ويقول والله ان الذى عملك بهذه الصفة لحكيم ماهر فان مد الله تعالى فى اجلى وردنى الى بلادى واهلى سالما وجمع بينى وبين والدى لاحسنن الى هذا الحكيم كل الاحسان ولانعمن عليه غاية الانعام ثم جلس فوق سطح القصر حتى علم ان الناس قد ناموا وكان قد اضر به الجوع والعطش لانه منذ فارق والده لم يأكل طعاما فقال فى نفسه ان مثل هذا القصر لا يخلو من الرزق فترك الفرس فى مكان ونزل يتمشى لينظر شيأ يأكله فوجد سلما فنزل منه الى اسفل فوجد ساحة مفروشة بالرخام فتعجب من ذلك المكان ومن حسن بنيانه ولكنه لم يجد فى ذلك القصر حس حسيس ولا انس انيس فوقف متحيرا وصار ينظر يمينا وشمالا وهو لا يعرف اين يتوجه ثم قال فى نفسه ليس لى احسن من ان ارجع الى المكان الذى فيه فرسى وابيت عندها فاذا اصبح الصباح ركبتها وسرت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن الملك قال فى نفسه ليس لى احسن من البيات عند فرسى فاذا اصبح الصباح ركبتها وسرت فبينما هو واقف يحدث نفسه بهذا الكلام اذ نظر الى نور مقبل الى ذلك المحل الذى هو فيه فتأمل ذلك النور فوجده مع جماعة من الجوارى وبينهن صبية بهية بقامة الفية تحاكى البدر الزاهر كما قال فيها الشاعر

جاءت بلا موعد فى ظلمة الغسق * كأنها البدر فى داج من الافق
هيفاء ما فى البرايا من يشابهها * فى بهجة الحسن اوفى رونق الخلق
ناديت لما رأت عينى محاسنها * سبحان من خلق الانسان من علق
اعيذها من عيون الناس كلهم * بقل اعوذ برب الناس والفلق

وكانت تلك الصبية بنت ملك هذه المدينة وكان ابوها يحبها حبا شديدا ومن محبته اياها بنى لها هذا القصر فكانت كلما ضاق صدرها تجىء اليه هى وجواريها وتقيم فيه يوما او يومين او اكثر ثم تعود الى سرايتها فاتفق انها قد اتت تلك الليلة من اجل الفرجة والانشراح وصارت ماشية بين الجوارى ومعها خادم مقلد بسيف فلما دخلوا ذلك القصر فرشوا الفرش واطلقوا مجامر البخور ولعبوا وانشرحوا فبينماهم فى لعب وانشراح اذ هجم ابن الملك على ذلك الخادم ولطمه لطمة فبطحه واخذ السيف من يده وهجم على الجوارى اللاتى مع ابنة الملك فشتتهن يمينا وشمالا فلما نظرت ابنة الملك الى حسنه وجماله قالت لعلك انت الذى خطبتنى من والدى بالامس وردك وزعم انك قبيح المنظر والله لقد كذب ابى حيث قال ذلك الكلام فما انت الا مليح وكان ابن ملك الهند قد خطبها من ابيها فرده لانه كان بشع المنظر فظنت انه هو الذى خطبها ثم اقبلت عليه وعنقته وقبلته ورقدت هى واياه فقالت لها الجوارى ياسيدتى هذا ما هو الذى خطبك من ابيك لان ذاك قبيح وهذا مليح وما يصلح الذى خطبك من ابيك ورده ان يكون خادما لهذا ولكن ياسيدتى ان هذا الفتى له شأن عظيم ثم توجهت الجوارى الى الخادم المبطوح وايقظته فوثب مرعوبا وفتش على سيفه فلم يجده بيده فقالت له الجوارى ان الذى اخذ سيفك وبطحك جالس مع ابنة الملك وكان ذلك الخادم قد وكله الملك بالمحافظة على ابنته خوفا عليها من نوائب الزمان وطوارق الحدثان فقام ذلك الخادم وتوجه الى الستر ورفعه فرأى ابنة الملك جالسة مع ابن الملك وهما يتحدثان فلما نظرهما الخادم قال لابن الملك ياسيدى هل انت انسى او جنى فقال له ابن الملك ويلك يانحس العبيد كيف تجعل اولاد الملوك الاكاسرة من الشياطين الكافرة ثم انه اخذ السيف بيده وقال له انا صهر الملك وقد زوجنى بابنته وامرنى بالدخول عليها فلما سمع الخادم منه ذلك الكلام قال له ياسيدى ان كنت من الانس كما زعمت فانها ما تصلح الا لك وانت احق بها من غيرك ثم ان الخادم توجه الى الملك وهو صارخ وقد شق ثيابه وحثى التراب على رأسه فلما سمع الملك صياحه قال له ما الذى دهاك فقد ارجفت فؤادى اخبرنى بسرعة واوجز فى الكلام فقال له ايها الملك ادرك ابنتك فانه قد استولى عليها شيطان من الجن فى زى الانس مصور بصورة اولاد الملوك فدونك واياه فلما سمع الملك منه ذلك الكلام هم بقتله وقال له كيف تغافلت عن ابنتى حتى لحقها هذا العارض ثم ان الملك توجه الى القصر الذى فيه ابنته فلما وصل اليه وجد الجوارى قائمات فقال لهن ما الذى جرى لابنتى فقلن له ايها الملك بينما نحن جالسات معها فلم نشعر الا وقد هجم علينا هذا الغلام الذى كأنه بدر التمام ولم نر قط احسن منه وجها وبيده سيف مسلول فسألناه عن حاله فزعم انك قد زوجته ابنتك ونحن لا نعلم شيأ غير هذا ولا نعرف هل هو انسى او جنى ولكنه عفيف اديب لا يتعاطى القبيح فلما سمع الملك مقالتهن برد ما به ثم انه رفع الستر قليلا قليلا ونظر فرأى ابن الملك جالسا مع ابنته يتحدثان وهو فى احسن التصوير ووجهه كالبدر المنير فلم يقدر الملك ان يمسك نفسه من غيرته على ابنته فرفع الستر ودخل وبيده سيف مسلول وقد هجم عليهما كأنه الغول فلما نظره ابن الملك قال لها اهذا ابوك قالت نعم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن الملك لما رأى الملك بيده سيف مسلول وقد هجم عليهما كأنه الغول قال لها اهذا ابوك قالت له نعم فعند ذلك وثب قائما على قدميه وتناول سيفه بيديه وصاح على الملك صيحة منكرة فادهشه وهم ان يحمل عليه بالسيف فعلم الملك انه اوثب منه فاغمد سيفه ثم وقف حتى انتهى اليه ابن الملك فقابله بملاطفة وقال له يا فتى هل انت انسى ام جنى فقال له ابن الملك لولا انى ارعى زمامك وحرمة ابنتك لسفكت دمك كيف تنسبنى الى الشياطين وانا من اولاد الملوك الاكاسرة الذين لو شاؤا اخذ ملكك لازلزلوك عن عزك وسلطانك وسلبوا عنك جميع ما فى اوطانك فلما سمع الملك كلامه هابه وخاف على نفسه منه وقال له ان كنت من اولاد الملوك كما زعمت فكيف دخلت قصرى بغير اذنى وهتكت حرمتى ووصلت الى بنتى وزعمت انك بعلها وادعيت انى قد زوجتك بها وانا قد قتلت الملوك وابناء الملوك حين خطبوها منى ومن يجيرك من سطوتى وانا ان صحت على عبيدى وغلمانى وامرتهم بقتلك قتلوك فى الحال فمن يخلصك من يدى فلما سمع ابن الملك منه ذلك الكلام قال للملك انى لاعجب منك ومن قلة بصيرتك هل تطمع لابنتك فى بعل احسن منى وهل رأيت احدا اثبت جنانا واكثر مكافأة واعز سلطانا وجنودا واعوانا منى فقال له الملك لا والله ولكن وددت يا فتى ان تكون خاطبا لها على رؤس الاشهاد حتى ازوجك بها واما اذا زوجتك بها خفية فانك تفضحنى فيها فقال له ابن الملك لقد احسنت فى قولك ولكن ايها الملك اذا اجتمعت عبيدك وخدمك وجنودك على وقتلونى كما زعمت فانك تفضح نفسك وتبقى الناس فيك بين مصدق ومكذب ومن الرأى عندى ان ترجع ايها الملك الى ما اشير به عليك فقال له الملك هات حديثك فقال له ابن الملك الذى احدثك به اما ان تبارزنى انا وانت خاصة فمن قتل صاحبه كان احق واولى بالملك واما ان تتركنى فى هذه الليلة واذا كان الصباح فاخرج الى عسكرك وجنودك وغلمانك واخبرنى بعدتهم فقال له الملك ان عدتهم اربعون الف فارس غير العبيد الذين لى وغير اتباعهم وهم مثلهم فى العدد فقال ابن الملك اذا كان طلوع النهار فاخرجهم الى وقل لهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن الملك قال له اذا كان طلوع النهار فاخرجهم الى وقل لهم هذا قد خطب منى ابنتى على شرط ان يبارزكم جميعا وادعى انه يغلبكم ويقهركم وانكم لا تقدرون عليه ثم اتركنى معهم ابارزهم فاذا قتلونى فذلك اخفى لسرك واصون لعرضك وان غلبتهم وقهرتهم فمثلى يرغب الملك فى مصاهرته فلما سمع الملك كلامه استحسن رأيه وقبل رايه مع ما استعظمه من قوله وما اهاله من امره فى عزمه على مبارزة جميع عسكره الذين وصفهم له ثم جلسا يتحدثان وبعد ذلك دعا الملك بالخادم وامره ان يخرج من وقته وساعته الى وزيره ويأمره ان يجمع جميع العساكر ويأمرهم بحمل اسلحتهم وان يركبوا خيولهم فسار الخادم الى الوزير واعلمه بما امره به الملك فعند ذلك طلب الوزير نقباء الجيش واكابر الدولة وامرهم ان يركبوا خيولهم ويخرجوا لابسين آلات الحرب هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملك فانه لازال يتحدث مع الغلام حيث اعجبه حديثه وعقله وادبه فبينما هما

يتحدثان واذا بالصباح قد اصبح فقام الملك وتوجه الى تخته وامر جيشه بالركوب وقدم لابن الملك فرسا جيدا من خيار خيله وامر ان تسرج له بعدة حسنة فقال له ايها الملك انى ما اركب حتى اشرف على الجيش واشاهدهم فقال له الملك الامر كما تحب ثم سار الملك والفتى بين يديه حتى وصلا الى الميدان فنظر الغلام الى الجيش وكثرته ثم نادى الملك يا معاشر الناس انه قد وصل الى غلام يخطب ابنتى ولم ار قط احسن منه ولا اشد قلبا ولا اعظم بأسا منه وقد زعم انه يغلبكم ويقهركم وحده ويدعى انكم ولو بلغتم مائة الف ما انتم عنده الا قليل فاذا بارزكم فخذوه على اسنة رماحكم واطراف صفاحكم فانه قد تعاطى امرا عظيما ثم ان الملك قال له يا ابنى دونك وما تريد منهم فقال له ايها الملك انك ما انصفتنى كيف ابارزهم وانا مترجل واصحابك ركاب خيل فقال له قد امرتك بالركوب فابيت فدونك والخيل فاختر منها ما تريد فقال له لا يعجبنى شئ من خيلك ولا اركب الا الفرس التى جئت راكبا عليها فقال له الملك واين فرسك فقال له هى فوق قصرك فقال له فى اى موضع فى قصرى فقال على سطح القصر فلما سمع الملك كلامه قال له هذا اول ما ظهر من خبالك يا ويلك كيف تكون الفرس فوق السطح ولكن فى هذا الوقت يظهر صدقك من كذبك ثم ان الملك التفت الى بعض خواصه وقال له امض الى قصرى واحضر الذى تجده فوق السطح فصار الناس متعجبين من قول الفتى ويقول بعضهم لبعض كيف ينزل هذا الفرس من سلالم السطح ان هذا الشئ ما سمعنا بمثله ثم ان الذى ارسله الملك الى القصر صعد الى اعلاه فرأى الفرس قائما ولم ير احسن منه فتقدم اليه وتأمله فوجده من الابنوس والعاج وكان بعض خواص الملك طلع معه ايضا فلما نظروا الى الفرس تضاحكوا وقالوا على مثل هذا الفرس يكون ماذكره الفتى فما نظنه الا مجنونا ولكن سوف يظهر لنا امره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان خواص الملك لما نظروا الى الفرس تضاحكوا وقالوا على مثل هذا الفرس يكون ماذكره الفتى فما نظنه الا مجنونا ولكن سوف يظهر لنا امره وربما يكون له شأن عظيم ثم انهم رفعوا الفرس على ايديهم ولم يزالوا حاملين لها حتى وصلوا الى قدام الملك واوقفوها بين يديه فاجتمع عليها الناس ينظرون اليها ويتعجبون من حسن صنعتها وحسن سرجها ولجامها واستحسنها الملك ايضا وتعجب منها غاية العجب ثم قال لابن الملك يا فتى اهذه فرسك فقال نعم ايها الملك هذه فرسى وسوف ترى منها العجب فقال له الملك خذ فرسك واركبها قال لا اركبها الا اذا بعد عنها العساكر فامر الملك العسكر الذين حوله ان يبعدوا عنه مقدار رمية السهم فقال له ايها الملك ها انا رائح اركب فرسى واحمل على جيشك فافرقهم يمينا وشمالا واصدع قلوبهم فقال له الملك افعل ما تريد ولا تبق عليهم فانهم لا يبقون عليك ثم ان ابن الملك توجه الى فرسه وركبها واصطفت له الجيوش وقال بعضهم لبعض اذا وصل الغلام بين الصفوف نأخذه باسنة الرماح وشفار الصفاح فقال واحد منهم والله انها مصيبة كيف نقتل هذا الغلام صاحب الوجه المليح والقد الرجيح فقال واحد آخر والله لن تصلوا اليه الا بعد امر عظيم وما فعل الفتى هذه الفعال الا لما علم من شجاعة نفسه وبراعته فلما استوى ابن الملك على فرسه فرك لولب الصعود فتطاولت اليه الابصار لينظروا ماذا يريد ان يفعل فماجت فرسه واضطربت حتى عملت اغرب حركات تعملها الخيل وامتلأ جوفها بالهواء ثم ارتفعت وصعدت الى الجو فلما رآه الملك قد ارتفع وصعد نادى على جيشه

وقال ويلكم خذوه قبل ان يفوتكم فعند ذلك قال له وزراؤه ونوابه ايها الملك هل احد يلحق الطير الطائر وما هذا الا ساحر عظيم قد نجاك الله منه فاحمد الله تعالى على خلاصك من يده فرجع الملك الى قصره بعد ما رأى من ابن الملك ما رأى ولما وصل الى قصره ذهب الى ابنته واخبرها بما جرى له مع ابن الملك فى الميدان فوجدها كثيرة التأسف عليه وعلى فراقها له ثم انها مرضت مرضا شديدا ولزمت الوساد فلما رآها ابوها على تلك الحالة ضمها الى صدره وقبلها بين عينيها وقال لها يا بنتى احمدى الله تعالى واشكريه حيث خلصنا من هذا الساحر الماكر وجعل يكرر عليها ما رآه من ابن الملك ويذكر لها صفة صعوده فى الهواء وهى لا تصغى الى شئ من قول ابيها واشتد بكاؤها ونحيبها ثم قالت فى نفسها والله لا آكل طعاما ولا اشرب شرابا حتى يجمع الله بينى وبينه فحصل لابيها الملك هم عظيم من اجل ذلك وشق عليه حال ابنته وصار حزين القلب عليها وكلما يلاطفها لا تزداد الا شغفا به وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك صار حزين القلب على ابنته وكلما يلاطفها لا تزداد الا شغفا به هذا ما كان من امر الملك وابنته واما ما كان من امر ابن الملك فانه لما صعد فى الجو اختلى بنفسه وتذكر حسن الجارية وجمالها وكان قد سأل اصحاب الملك عن اسم المدينة واسم الملك واسم ابنته وكانت تلك المدينة مدينة صنعاء ثم انه جد فى السير حتى اشرف على مدينة ابيه ودار حول المدينة ثم توجه الى قصر ابيه ونزل فوق السطح وترك فرسه هناك ونزل الى والده ودخل عليه فوجده حزينا كئيبا لاجل فراقه فلما رآه والده قام اليه واعتنقه وضمه الى صدره وفرح به فرحا شديدا ثم انه لما اجتمع بوالده سأله عن الحكيم الذى عمل الفرس وقال يا والدى ما فعل الدهر به فقال له والده لا بارك الله فى الحكيم ولا فى الساعة التى رأيته فيها لانه هو الذى كان سببا لفراقك منا وهو مسجون يا ولدى من يوم غبت عنا فامر ابن الملك بالافراج عنه واخراجه من السجن واحضاره بين يديه فلما حضر بين يديه خلع عليه خلعة الرضى واحسن اليه غاية الاحسان الا انه لم يزوجه ابنته فغضب الحكيم من اجل ذلك غضبا شديدا وندم على ما فعل وعلم ان ابن الملك قد عرف سر الفرس وكيفية سيرها ثم ان الملك قال لابنه الرأى عندى انك لا تقرب هذه الفرس بعد ذلك ولا تركبها ابدا بعد يومك هذا لانك لا تعرف احوالها فانت منها على غرور وكان ابن الملك حدث اباه بما جرى له مع ابنة الملك صاحب تلك المدينة وما جرى له مع ابيها فقال له ابوه لو اراد الملك قتلك لقتلك ولكن فى اجلك تأخير ثم ان ابن الملك هاجت بلابله بحب الجارية ابنة الملك صاحب صنعاء فقام الى الفرس وركبها وفرك لولب الصعود فطارت به فى الهواء وعلت به الى عنان السماء فلما اصبح الصباح افتقده ابوه فلم يجده فطلع الى اعلى القصر وهو ملهوف فنظر الى ابنه وهو صاعد فى الهواء فتأسف على فراقه وندم كل الندم حيث لم يأخذ الفرس ويخفى امرها ثم قال فى نفسه والله ان رجع الى ولدى ما بقيت اخلى هذه الفرس لاجل ان يطمئن قلبى على ولدى ثم انه عاد الى بكائه ونحيبه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك عاد الى بكائه ونحيبه من حزنه على ولده هذا ما كان من امره واما ما كان من امر ابنه فانه لم يزل سائرا في الجو حتى وقف على مدينة صنعاء ونزل في المكان الذي نزل فيه اولا ومشى مستخفيا حتى وصل الى محل ابنة الملك فلم يجدها لا هي ولا جواريها ولا الخادم الذي كان محافظا عليها فعظم ذلك عليه ثم انه دار يفتش عليها في القصر فوجدها في مجلس آخر غير محلها الذي اجتمع معها فيه وقد لزمت الوساد وحولها الجواري والدايات فدخل عليهن وسلم عليهن فلما سمعت الجارية كلامه قامت اليه واعتنقته وجعلت تقبله بين عينيه وتضمه الى صدرها فقال لها ياسيدتي اوحشتيني هذه المدة فقالت له انت الذي اوحشتني ولو طالت غيبتك عني لكنت هلكت بلا شك فقال لها ياسيدتي كيف رأيت حالي مع ابيك وما صنع بي ولولا محبتك يا فتنة العالمين لقتلته وجعلته عبرة للناظرين ولكن احبه من اجلك فقالت له كيف تغيب عني وهل تطيب حياتي بعدك فقال لها اتطيعيني وتصغي الى قولي فقالت له قل ما شئت فاني اجيبك الى ما تدعوني اليه ولا اخالفك في شيء فقال لها سيري معي الى بلادي وملكي فقالت له حبا وكرامة فلما سمع ابن الملك كلامها فرح فرحا شديدا واخذ بيدها وعاهدها بعهد الله تعالى على ذلك ثم صعد بها الى اعلى سطح القصر وركب فرسه واركبها خلفه ثم ضمها اليه وشدها شدا وثيقا وحرك لولب الصعود الذي في كتف الفرس فصعدت بهما الى الجو فعند ذلك زعقت الجواري واعلمن الملك اباها وامها فصعدا مبادرين الى سطح القصر والتفت الملك الى الجو فرأى الفرس الابنوس وهي طائرة بهما في الهواء فعند ذلك انزعج الملك وزاد انزعاجه وصاح وقال يا ابن الملك سألتك بالله ان ترحمني وترحم زوجتي ولا تفرق بيننا وبين بنتنا فلم يجبه ابن الملك ثم ان ابن الملك ظن في نفسه ان الجارية ندمت على فراق امها وابيها فقال لها يا فتنة الزمان هل لك ان اردك الى امك وابيك فقالت له ياسيدي والله ما مرادي ذلك انما مرادي ان اكون معك اينما تكون لانني مشغولة بمحبتك عن كل شيء حتى عن ابي وامي فلما سمع ابن الملك كلامها فرح بذلك فرحا شديدا وجعل يسير الفرس بهما سيرا لطيفا لكي لا يزعجها ولم يزل يسير بها حتى نظر الى مرج اخضر وفيه عين ماء جارية فنزلا هناك واكلا وشربا ثم ان ابن الملك ركب فرسه واردفها خلفه واوثقها بالرباط خوفا عليها وسار بها ولم يزل سائرا بها في الهواء حتى وصل الى مدينة ابيه فاشتد فرحه ثم اراد ان يظهر للجارية محل سلطانه وملك ابيه ويعرفها ان ملك ابيه اعظم من ملك ابيها فانزلها في بعض البساتين التي يتفرج فيها والده وادخلها في المقصورة المعدة لابيه واوقف الفرس الابنوس على باب تلك المقصورة واوصى الجارية بالمحافظة على الفرس وقال لها اقعدي ههنا حتى ارسل اليك رسولي فاني متوجه الى ابي لاهيئ لك قصرا واظهر لك ملكي ففرحت الجارية عندما سمعت منه هذا الكلام وقالت له افعل ما تريد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية فرحت عندما سمعت من ابن الملك هذا الكلام وقالت له افعل ما تريد ثم خطر ببالها انها لا تدخل الا بالتبجيل والتشريف كما يصلح لامثالها ثم ان ابن الملك تركها وسار حتى وصل الى المدينة ودخل على ابيه فلما رآه ابوه فرح بقدومه وتلقاه ورحب به ثم ان ابن الملك قال لوالده اعلم انني قد اتيت ببنت الملك التي كنت اعلمتك بها وقد تركتها خارج المدينة في بعض البساتين وجئت

اعلمك بها لاجل ان تهيء الموكب وتخرج لملاقاتها وتظهر لها ملكك وجنودك واعوانك فقال له الملك حبا وكرامة ثم امر من وقته وساعته اهل المدينة ان يزينوا المدينة بالزينة الحسنة وركب في اكمل هيئة واحسن زينة هو وجميع عساكره واكابر دولته وسائر مملكته وخدمه واخرج ابن الملك من قصره الحلي والحلل وما تدخره الملوك وهيأ لها عمارة من الديباج الاخضر والاحمر والاصفر واجلس على تلك العمارة الجواري الهنديات والروميات والحبشيات واظهر من الذخائر شيأ عجيبا ثم ان ابن الملك ترك العمارة بمن فيها وسبق الى البستان ودخل المقصورة التي تركها فيها وفتش عليها فلم يجدها ولم يجد الفرس فعند ذلك لطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يطوف في البستان وهو مدهوش العقل ثم بعد ذلك رجع الى عقله وقال في نفسه كيف علمت بسر هذه الفرس وانا لم اعلمها بشيء من ذلك ولعل الحكيم الفارسي الذي عمل الفرس قد وقع عليها واخذها جزاء بما عمله والدي معه ثم ان ابن الملك طلب حراس البستان وسألهم عن من مر بهم وقال لهم هل نظرتم احدا مر بكم ودخل هذا البستان فقالوا ما رأينا احدا دخل هذا البستان سوى الحكيم الفارسي فانه دخل ليجمع الحشايش النافعة فلما سمع كلامهم صح عنده ان الذي اخذ الجارية هو ذلك الحكيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك لما سمع كلامهم صح عنده ان الذي اخذ الجارية هو ذلك الحكيم وكان بالامر المقدر ان ابن الملك لما ترك الجارية في المقصورة التي في البستان وذهب الى قصر ابيه ليهيء امره دخل الحكيم الفارسي الى البستان ليجمع شيأ من الحشيش النافع فشم رائحة المسك والطيب التي عبق منها المكان وكان ذلك الطيب من رائحة ابنة الملك فقصد الحكيم صوب تلك الرائحة حتى وصل الى تلك المقصورة فرأى الفرس التي صنعها بيده واقفة على باب المقصورة فلما رأى الحكيم الفرس امتلاء قلبه فرحا وسرورا لانه كان كثير التأسف على الفرس حيث خرجت من يده فتقدم الى الفرس وافتقد جميع اجزائها فوجدها سالمة ولما اراد ان يركبها ويسير قال في نفسه لابد ان انظر الى ما جاء به ابن الملك وتركه مع الفرس ههنا فدخل المقصورة فوجد الجارية جالسة وهي كالشمس الضاحية في السماء الصاحية فلما نظرها علم انها جارية لها شأن عظيم وقد اخذها ابن الملك واتى بها على الفرس وتركها في تلك المقصورة ثم توجه الى المدينة ليجيء لها بموكب ويدخلها المدينة بالتبجيل والتشريف فعند ذلك دخل الحكيم اليها وقبل الارض بين يديها فرفعت اليه طرفها ونظرت اليه فوجدته قبيح المنظر جدا بشع الصورة فقالت له من انت فقال لها يا سيدتي انا رسول ابن الملك قد ارسلني اليك وامرني ان انقلك الى بستان آخر قريب من المدينة فلما سمعت الجارية منه ذلك الكلام قالت له واين ابن الملك قال لها هو في المدينة عند ابيه وسيأتي اليك في هذه الساعة بموكب عظيم فقالت له يا هذا وهل ابن الملك لم يجد احدا يرسله الي غيرك فضحك الحكيم من كلامها وقال لها يا سيدتي لا يغرنك قبح وجهي وبشاعة منظري فلو نلت مني ما ناله ابن الملك لحمدت امري وانما خصني ابن الملك بالارسال اليك لقبح منظري ومهول صورتي غيرة منه عليك ومحبة لك والا فعنده من المماليك والعبيد والغلمان والخدم والحشم ما لا يحصى فلما سمعت الجارية كلامه دخل في عقلها وصدقته وقامت معه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحكيم الفارسي لما اخبر الجارية باحوال ابن الملك صدقت كلامه ودخل في عقلها وقامت معه ووضعت يدها في يده ثم قالت له يا والدي ما الذي جئت لي به معك حتى اركبه فقال يا سيدتي الفرس الذي جئت عليها اركبينها فقالت له انا لا اقدر على ركوبها وحدي فتبسم الحكيم عندما سمع منها ذلك وعلم انه قد ظفر بها فقال لها انا اركب معك بنفسي ثم انه ركب واركب الجارية خلفه وضمها اليه وشد وثاقها وهي لا تعلم ما يريد بها ثم انه حرك لولب الصعود فامتلأ جوف الفرس بالهواء وتحركت وماجت ثم ارتفعت صاعدة الى الجو ولم تزل سائرة بهما حتى غابت عن المدينة فقالت له الصبية يا هذا اين الذي قلته عن ابن الملك حيث زعمت انه ارسلك الي فقال لها الحكيم قبح الله ابن الملك فانه خبيث لئيم فقالت له يا ويلك كيف تخالف امر مولاك فيما امرك به فقال لها ليس هو مولاي فهل تعرفين من انا فقالت له لا اعرفك الا بما عرفتني به عن نفسك فقال لها انما كان اخباري لك بهذا الخبر حيلة مني عليك وعلى ابن الملك ولقد كنت متأسفا طول عمري على هذه الفرس التي تحتك فانها صناعتي وكان استولى عليها والآن قد ظفرت بها وبك ايضا وقد احرقت قلبه كما احرق قلبي ولا يتمكن منها بعد ذلك ابدا فطيبي قلبا وقري عينا فانا لك انفع منه فلما سمعت الجارية كلامه لطمت على وجهها ونادت يا اسفاه لا حصلت حبيبي ولا بقيت عند ابي وامي وبكت بكاء شديدا على ما حل بها ولم يزل الحكيم سائرا بها الى بلاد الروم حتى نزل بها في مرج اخضر ذي انهار واشجار وكان ذلك المرج بالقرب من مدينة وفي تلك المدينة ملك عظيم الشان فاتفق في ذلك اليوم ان ملك تلك المدينة خرج الى الصيد والنزهة فجاز على ذلك المرج فرأى الحكيم واقفا والفرس والجارية بجانبه فلم يشعر الحكيم الا وقد هجم عليه عبيد الملك واخذوه هو والجارية والفرس واوقفوا الجميع بين يدي الملك فلما نظر الى قبح منظره وبشاعته ونظر الى حسن الجارية وجمالها قال لها يا سيدتي ما نسبة هذا الشيخ منك فبادر الحكيم بالجواب وقال هي زوجتي وابنة عمي فكذبته الجارية عندما سمعت قوله وقالت ايها الملك والله لا اعرفه ولا هو بعلي بل اخذني قهرا بالحيلة فلما سمع الملك مقالها امر بضربه فضربوه حتى كاد ان يموت ثم امر الملك ان يحملوه الى المدينة ويطرحوه في السجن ففعلوا به ذلك ثم ان الملك اخذ الجارية والفرس منه ولكنه لم يعلم بامر الفرس ولا بكيفية سيرها هذا ما كان من امر الحكيم والجارية واما ما كان من امر ابن الملك فانه لبس ثياب السفر واخذ ما يحتاج اليه من المال وسافر وهو في اسوء حال وصار مسرعا يقتص الاثر في طلبهما من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة ويسأل عن الفرس الابنوس وكل من سمع منه خبر الفرس الابنوس يتعجب منه ويستعظم قوله فاقام على هذا الحال مدة من الزمان ومع كثرة السؤال والتفتيش عليهما لم يقع لهما على خبر ثم انه سار الى مدينة ابي الجارية وسأل عنها هناك فلم يسمع لها بخبر ووجد اباها حزينا على فقدها فرجع وقصد بلاد الروم وجعل يقتص اثرهما ويسأل عنهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابن الملك قصد بلاد الروم وجعل يقتص اثرهما ويسأل عنهما فاتفق انه نزل في خان من الخانات فرأى جماعة من التجار جالسين يتحدثون فجلس قريبا منهم فسمع احدهم يقول يا اصحابي لقد رأيت عجبا من العجائب فقالوا له وما هو قال اني كنت في بعض الجهات في مدينة كذا وذكر اسم المدينة التي فيها الجارية فسمعت اهلها يتحدثون بحديث غريب وهو ان ملك المدينة خرج يوما من الايام

الى الصيد والقنص ومعه جماعة من اصحابه واكابر دولته فلما طلعوا الى البرية جازوا على مرج اخضر فوجدوا هنالك رجلا واقفا والى جانبه امرأة جالسة ومعه فرس من ابنوس فاما الرجل فانه قبيح المنظر مهول الصورة جدا واما المرأة فانها صبية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال واما الفرس الابنوس فانها من العجائب التى لم ير الراؤن احسن منها ولا اجمل من صنعتها فقال له الحاضرون فما فعل الملك بهم فقال اما الرجل فانه اخذه الملك وسأله عن الجارية فادعى انها زوجته وابنة عمه واما الجارية فانها اكذبته فى قوله فاخذها الملك منه وامر بضربه وطرحه فى السجن واما الفرس الابنوس فما لى بها علم فلما سمع ابن الملك هذا الكلام من التاجر دنا منه وصار يسأله برفق وتلطف حتى اخبره باسم المدينة واسم ملكها فلما عرف ابن الملك اسم المدينة واسم ملكها بات ليلته مسرورا فلما اصبح الصباح خرج وسافر ولم يزل مسافرا حتى وصل الى تلك المدينة فلما اراد ان يدخلها اخذه البوابون وارادوا احضاره قدام الملك ليسأله عن حاله وعن سبب مجيئه الى تلك المدينة وعن ما يحسنه من الصنائع وكانت هذه عادة الملك من سؤال الغرباء عن احوالهم وصنائعهم وكان وصول ابن الملك الى تلك المدينة فى وقت المساء وهو وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك ولا المشاورة عليه فاخذه البوابون واتوا به الى السجن ليضعوه فيه فلما نظر السجانون الى حسنه وجماله لم يهن عليهم ان يدخلوه فى السجن بل اجلسوه معهم خارج السجن فلما جاءهم الطعام اكل معهم بحسب الكفاية فلما فرغوا من الاكل جعلوا يتحدثون ثم اقبلوا على ابن الملك وقالوا له من اى البلاد انت فقال انا من بلاد فارس بلاد الاكاسرة فلما سمعوا كلامه ضحكوا وقال له بعضهم يا كسروى لقد سمعت حديث الناس واخبارهم وشاهدت احوالهم فما رأيت ولا سمعت اكذب من هذا الكسروى الذى عندنا فى السجن فقال آخر ولا رايت اقبح من خلقته ولا ابشع من صورته فقال لهم ابن الملك ما الذى بان لكم من كذبه فقالوا يزعم انه حكيم وكان الملك قد رآه فى طريقه وهو ذاهب الى الصيد ومعه امرأة بديعة الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال ومعه ايضا فرس من الابنوس الاسود ما رأينا قط احسن منها فاما الجارية فهى عند الملك وهو لها محب ولكن تلك المرأة مجنونة ولو كان ذلك الرجل حكيما كما يزعم لداواها والملك مجتهد فى علاجها وغرضه مداواتها مما هى فيه واما الفرس الابنوس فانها فى خزانة الملك واما الرجل القبيح المنظر الذى كان معها فانه عندنا فى السجن فاذا جن عليه الليل يبكى وينتحب اسفا على نفسه ولا يدعنا ننام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الموكلين بالسجن لما اخبروه بخبر الحكيم الفارسى الذى عندهم فى السجن وبما هو فيه من البكاء والنحيب خطر بباله انه يدبر تدبيرا يبلغ به غرضه فلما اراد البوابون النوم ادخلوه السجن واغلقوا عليه الباب فسمع الحكيم يبكى وينوح على نفسه بالفارسية ويقول فى نوحه الويل لى بما جنيت على نفسى وعلى ابن الملك وبما فعلت بالجارية حيث لم اتركها ولم اظفر بمرادى وذلك كله من سوء تدبيرى فانى طلبت لنفسى ما لا استحقه ولا يصلح لمثلى ومن طلب ما لا يصلح له وقع فى مثل ما وقعت فيه فلما سمع ابن الملك كلام الحكيم كلمه بالفارسية وقال له الى كم هذا البكاء والعويل هل ترى انه اصابك ما لم يصب غيرك فلما سمع الحكيم كلامه انس به وشكا اليه حاله وما يجده من المشقة فلما اصبح

الصباح اخذ البوابون ابن الملك واتوابه الى ملكهم واعلموه انه وصل الى المدينة بالامس فى وقت لا يمكن الدخول فيه على الملك فسأله الملك وقال له من اى البلاد انت وما اسمك وما صنعتك وما سبب مجيئك الى هذه المدينة فقال ابن الملك اما اسمى فانه بالفارسية حرجة واما بلادى فهى بلاد فارس وانا من اهل العلم وخصوصا علم الطب فانى اداوى المرضى والمجانين ولهذا اطوف فى الاقاليم والمدن لاستفيد علما على علمى واذا رأيت مريضا فانى اداويه فهذه صنعتى فلما سمع الملك كلامه فرح به فرحا شديدا وقال له ايها الحكيم الفاضل لقد وصلت الينا فى وقت الحاجة اليك ثم اخبره بخبر الجارية وقال له ان داويتها وابرأتها من جنونها فلك عندى جميع ما تطلبه فلما سمع كلام الملك قال له اعز الله الملك صف لى كل شئ رأيته من جنونها واخبرنى منذ كم يوم عرض لها هذا الجنون وكيف اخذتها هى والفرس والحكيم فاخبره بالخبر من اوله الى آخره ثم قال له ان الحكيم فى السجن فقال له ايها الملك السعيد وما فعلت بالفرس التى كانت معهما فقال له باقية عندى الى الان محفوظة فى بعض المقاصير فقال ابن الملك فى نفسه ان من الرأى عندى ان اتفقد الفرس وانظرها قبل كل شئ فان كانت سالمة لم يحدث فيها امر فقد تم لى كل ما اريده وان رأيتها قد بطلت حركاتها تحيلت بحيلة فى خلاص مهجتى ثم التفت الى الملك وقال له ايها الملك ينبغى ان انظر الفرس المذكورة لعلى اجد فيها شيئا يعيننى على برء الجارية فقال له الملك حبا وكرامة ثم قام الملك واخذ بيده ودخل معه الى الفرس فجعل ابن الملك يطوف حول الفرس ويتفقدها وينظر احوالها فوجدها سالمة لم يصبها شئ ففرح ابن الملك بذلك فرحا شديدا وقال اعز الله الملك انى اريد الدخول الى الجارية حتى انظر ما يكون منها وارجو الله ان يكون برؤها على يدى بسبب الفرس ان شاء الله تعالى ثم امر بالمحافظة على الفرس ومضى به الملك الى البيت الذى فيه الجارية فلما دخل عليها ابن الملك وجدها تختبط وتنصرع على عادتها ولم يكن بها جنون وانما تفعل ذلك حتى لا يقربها احد فلما رآها ابن الملك على هذه الحالة قال لها لا بأس عليك يا فتنة العالمين ثم انه جعل يرفق بها ويلاطفها الى ان عرفها بنفسه فلما عرفته صاحت صيحة عظيمة حتى غشى عليها من شدة ما حصل لها من الفرح فظن الملك ان هذه الصرعة من فزعها منه ثم ان ابن الملك وضع فمه على اذنها وقال لها يا فتنة العالمين احقنى دمى ودمك واصبرى وتجلدى فان هذا موضع نحتاج فيه الى الصبر واتقان التدبير فى الحيل حتى نتخلص من هذا الملك الجائر ومن الحيلة انى اخرج اليه واقول له ان المرض الذى بها عارض من الجنون وانا اضمن لك برءها واشرط عليه ان يفك عنك القيد ويزول هذا العارض عنك فاذا دخل اليك فكلميه بكلام مليح حتى يرى انك برئت على يدى فيتم لنا كل ما نريد فقالت له سمعا وطاعة ثم انه خرج من عندها وتوجه الى الملك فرحا مسرورا وقال ايها الملك السعيد قد عرفت بسعادتك دائها ودواءها وقد داويتها لك فقم الان وادخل اليها ولين كلامك لها وترفق بها وعدها بما يسرها فانه يتم لك كل ما تريد منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن الملك لما جعل نفسه حكيما ودخل على الجارية واعلمها بنفسه اخبرها بالتدبير الذى يدبره فقالت له سمعا وطاعة ثم خرج من عندها وتوجه الى الملك وقال له قم ادخل اليها ولين لها الكلام وعدها بما يسرها فانه يتم لك كل ما تريد منها فقام الملك ودخل عليها فلما رأته قامت اليه وقبلت

الارض

الارض بين يديه ورحبت به ففرح الملك بذلك فرحا شديدا ثم امر الجوارى والخدم ان يقوموا بخدمتها ويدخلوها الحمام ويجهزوا لها الحلى والحلل فدخلوا اليها وسلموا عليها فردت عليهم السلام بالطف منطق واحسن كلام ثم البسوها حللا من ملابس الملوك ووضعوا فى عنقها عقدا من الجواهر وساروا بها الى الحمام وخدموها ثم اخرجوها من الحمام كانها البدر التمام ولما وصلت الى الملك سلمت عليه وقبلت الارض بين يديه فحصل للملك بها سرور عظيم وقال لابن الملك كل ذلك ببركاتك زادنا الله من نفحاتك فقال له ايها الملك ان تمام برئها وكمال امرها انك تخرج انت وكل من معك من اعوانك وعسكرك الى المحل الذى كنت وجدتها فيه وتكون صحبتك الفرس الابنوس التى كانت معها لاجل ان اعقد عنها العارض هنالك واسجنه واقتله فلا يعود اليها ابدا فقال له الملك حبا وكرامة ثم اخرج الفرس الابنوس الى المرج الذى وجدها فيه هى والفرس والحكيم الفارسى وركب الملك مع جيشه واخذ الجارية صحبته وهم لا يدرون ما يريد ان يفعل فلما وصلوا الى ذلك المرج امر ابن الملك الذى جعل نفسه حكيما ان توضع الجارية والفرس بعيدا عن الملك والعساكر بمقدار مد البصر وقال للملك دستور عن اذنك انا اريد ان اطلق البخور واتلو العزيمة واسجن العارض هنا حتى لا يعود اليها ابدا ثم بعد ذلك اركب الفرس الابنوس واركب الجارية خلفى فاذا فعلت ذلك فان الفرس تضطرب وتمشى حتى تصل اليك فعند ذلك يتم الامر فافعل بها بعد ذلك ما تريد فلما سمع الملك كلامه فرح فرحا شديدا ثم ان ابن الملك ركب الفرس ووضع الصبية خلفه وصار الملك وجميع عسكره ينظرون اليه ثم انه ضمها اليه وشد وثاقها وبعد ذلك فرك ابن الملك لولب الصعود فصعدت بهما الفرس فى الهواء والعساكر تنظر اليه حتى غاب عن اعينهم ومكث الملك نصف يوم ينتظر عوده اليه فلم يعد فيئس منه وندم ندما عظيما وتأسف على فراق الجارية ثم اخذ عسكره وعاد الى مدينته هذا ما كان من امره واما ما كان من امر ابن الملك فانه قصد مدينة ابيه فرحا مسرورا ولم يزل سائرا الى ان نزل على قصره وانزل الجارية فى القصر وامن عليها ثم ذهب الى ابيه وامه فسلم عليهما واعلمهما بقدوم الجارية ففرحا بذلك فرحا شديدا هذا ما كان من امر ابن الملك والفرس والجارية واما ما كان من امر ملك الروم فانه لما عاد الى مدينته احتجب فى قصره حزينا كئيبا فدخل عليه وزراؤه وجعلوا يسلونه ويقولون له ان الذى اخذ الجارية ساحر والحمد لله الذى نجاك من سحره ومكره ولا زالوا به حتى تسلى عنها واما ابن الملك فانه عمل الولائم العظيمة لاهل المدينة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد الثلثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابن الملك عمل الولائم العظيمة لاهل المدينة واقاموا فى الفرح شهرا كاملا ثم دخل على الجارية وفرحا ببعضهما فرحا شديدا هذا ما كان من امره واما ما كان من امر والده فانه كسر الفرس الابنوس وابطل حركاتها ثم ان ابن الملك كتب كتابا الى ابى الجارية وذكر له فيه حالها واخبره انه تزوج بها وهى عنده فى احسن حال وارسله اليه مع رسول وصحبته هدايا وتحفا نفيسة فلما وصل الرسول الى مدينة ابى الجارية وهى صنعاء اليمن اوصل الكتاب والهدايا الى ذلك الملك فلما قرأ الكتاب فرح فرحا شديدا وقبل الهدايا واكرم الرسول ثم جهز هدية سنية لصهره ابن الملك وارسلها اليه مع ذلك الرسول فرجع بها الى ابن الملك واعلمه بفرح الملك ابى الجارية حين بلغه خبر ابنته فحصل له سرور عظيم وصار ابن الملك فى كل سنة يكاتب صهره ويهاديه ولم يزالوا كذلك حتى توفى الملك ابو الغلام وتولى هو بعده

في المملكة فعدل في الرعية وسار فيهم بسيرة مرضية فدانت له البلاد واطاعته العباد واستمروا على هذه الحالة في الذ عيش واهناه وارغده واسراه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب القصور ومعمر القبور فسبحان الحي الذي لا يموت وبيده الملك والملكوت

ومما يحكى ايضا انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك عظيم الشان ذو عز وسلطان وكان له وزير يسمى ابراهيم وكانت له ابنة بديعة في الحسن والجمال فايقة في البهجة والكمال ذات عقل وافر وادب باهر الا انها تهوى المنادمة والراح والوجوه الملاح ورقايق الاشعار ونوادر الاخبار تدعو العقول الى الهوى رقة معانيها كما قال فيها بعض واصفيها

كلفت بها فتانة الترك والعرب * تجادلني في الفقه والنحو والادب
تقول انا المفعول بي وخفضتني * لماذا وهذا فاعل فلم انتصب
فقلت لها نفسي وروحي لك الفدا * الم تعلمي ان الزمان قد انقلب
وان كنت يوما تنكرين انقلابه * فها فانظري ما عقدة الرأس في الذنب

وكان اسمها الورد في الاكمام وسبب تسميتها بذلك فرط رقتها وكمال بهجتها وكان الملك محبا لمنادمتها لكمال ادبها ومن عادة الملك انه في كل عام يجمع اعيان مملكته ويلعب الكرة فلما كان ذلك اليوم الذي يجمع فيه الناس للعب الكرة جلست ابنة الوزير في الشباك لتتفرج فبينما هم في اللعب اذ لاحت منها التفاتة فرأت بين العسكر شابا لم يكن احسن منه منظرا ولا ابهى طلعة نير الوجه ضاحك السن طويل الباع واسع المنكب فكررت فيه النظر مرارا فلم تشبع منه نظرا فقالت لدايتها ما اسم هذا الشاب المليح الشمائل الذي بين العسكر فقالت لها يا بنتي الكل ملاح فمن هو فيهم فقالت لها اصبري حتى اشير لك اليه ثم اخذت تفاحة ورمتها عليه فرفع رأسه فرأى ابنة الوزير في الشباك كأنها البدر في الاحلاك فلم يرتد اليه طرفه الا وهو بعشقها مشغول الخاطر فانشد قول الشاعر

ارماني القواس ام جفناك * فتكت بقلب الصب حين رآك
واتاني السهم المفوق برهة * من جحفل ام جاء من شباك

فلما فرغ اللعب قالت لدايتها ما اسم هذا الشاب الذي اريته لك قالت اسمه انس الوجود فهزت رأسها ونامت في مرتبتها وقدحت فكرتها ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

ما خاب من سماك انس الوجود * يا جامعا ما بين انس وجود
يا طلعة البدر الذي وجهه * قد نور الكون وعم الوجود
ما انت الا مفرد في الورى * سلطان حسن وعندي شهود
حاجبك النون التي حررت * ومقلة كالصاد صنع الودود
وقدك الغصن الرطيب الذي * اذا دعي في كل شيء يجود
قد فقت فرسان الورى سطوة * وفقتهم انسا وحسنا وجود

فلما فرغت من شعرها كتبته في قرطاس ولفته في خرقة من الحرير مطرزة بالذهب ووضعته تحت المخدة وكانت واحدة من داياتها تنظر اليها فجاءتها وصارت تمارسها في الحديث حتى نامت وسرقت الورقة من تحت المخدة وقرأتها فعرفت انها حصل لها وجد بانس الوجود وبعد ان قرأت الورقة وضعتها في مكانها فلما استفاقت سيدتها الورد في الاكمام من نومها قالت لها يا سيدتي اني لك من الناصحات وعليك

من الشفيقات اعلمى ان الهوى شديد وكتمانه يذيب الحديد ويورث الامراض والاسقام وما على من يبوح بالهوى ملام فقالت لها الورد فى الاكمام يادايتى وما دواء الغرام قالت دواؤه الوصال قالت وكيف يوجد الوصال قالت ياسيدتى يوجد بالمراسلة ولين الكلام واكثار التحيات والسلام فهذا يجمع بين الاحباب وبه تسهل الامور الصعاب وان كان لك امر يامولاتى فانا اولى بكتم سرك وقضاء حاجتك وحمل رسائلك فلما سمعت منها الورد فى الاكمام ذلك الكلام طار عقلها من الفرح لكن امسكت نفسها عن الكلام حتى تنظر عاقبة امرها وقالت فى نفسها ان هذا الامر ما عرفه احد منى فلا ابوح به لهذه المرأة الا بعد اختبارها فقالت لها المرأة ياسيدتى انى رأيت فى منامى كان رجلا جاءنى وقال لى ان سيدتك وانس الوجود متحابان فمارسى امرهما واحملى رسائلهما واقضى حوائجهما واكتمى امرهما واسرارهما يحصل لك خير كثير وها انا قد قصصت ما رأيت عليك والامر اليك فقالت الورد فى الاكمام لدايتها لما اخبرتها بالمنام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الورد فى الاكمام قالت لدايتها لما اخبرتها بالمنام الذى رأته هل تكتمين الاسرار يادايتى فقالت كيف لا اكتم الاسرار وانا من خلاصة الاحرار فاخرجت لها الورقة التى كتبت فيها الشعر وقالت لها اذهبى برسالتى هذه الى انس الوجود وائتينى بجوابها فاخذتها وتوجهت بها الى انس الوجود فلما دخلت عليه قبلت يديه وحيته بالطف كلام ثم اعطته القرطاس فقرأه وفهم معناه ثم كتب فى ظهره هذه الابيات

اعلل قلبى فى الغرام واكتم * ولكن حالى عن هواى يترجم
وان فاض دمعى قلت جرح بمقلتى * لئلا يرى حالى العذول فيفهم
وكنت خليا لست اعرف ما الهوى * فاصبحت صبا والفؤاد متيم
رفعت اليكم قصتى اشتكى بها * غرامى ووجدى كى ترقوا وترحموا
وسطرتها من دمع عينى لعلها * بما حل بى منكم اليكم تترجم
رعى الله وجها بالجمال مبرقعا * له البدر عبد والكواكب تخدم
على حسن ذات ما رأيت مثيلها * ومن ميلها الاغصان عطفا تعلم
واسألكم من غير حمل مشقة * زيارتنا ان الوصال معظم
وهبت لكم روحى عسى تقبلونها * فلى الوصل خلد والصدود جهنم

ثم طوى الكتاب وقبله واعطاه لها وقال لها يادايه استعطفى خاطر سيدتك فقالت له سمعا وطاعة ثم اخذت منه المكتوب ورجعت الى سيدتها واعطتها القرطاس فقبلته ورفعته فوق راسها ثم فتحته وقرأته وفهمت معناه وكتبت فى اسفله هذه الابيات

يامن تولع قلبه بجمالنا * اصبر لعلك فى الهوى تحظى بنا
لما علمنا ان حبك صادق * واصاب قلبك ما اصاب فؤادنا
زدناك فوق الوصل وصلا مثله * لكن منع الوصل من حجابنا
لما يجن الليل من فرط الهوى * تتوقد النيران فى احشائنا

وجفت مضاجعنا المنام وربما * قد برح التبريح في اجسامنا
الفرض في شرع الهوى كتم الهوى * لا ترفعوا المسبول من استارنا
وقد انضنى مني الحشى بهوى الرشا * ياليته ماغاب عن اوطاننا

فلما فرغت من شعرها طوت القرطاس واعطته للداية فاخذته وخرجت من عند الورد في الاكمام بنت الوزير فصادفها الحاجب وقال لها اين تذهبين فقالت الى الحمام وقد انزعجت منه فوقعت منها الورقة حين خرجت من الباب وقت انزعاجها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر الورقة فان بعض الخدم رآها مرمية في الطريق فاخذها ثم ان الوزير خرج من الحريم وجلس على سريره فقصده الخادم الذي التقط الورقة فبينما الوزير جالس على سريره واذا بذلك الخادم تقدم اليه وفي يده الورقة وقال له يا مولاي اني وجدت هذه الورقة مرمية في الدار فاخذتها فتناولها الوزير من يده وهي مطوية ففتحها فرأى مكتوبا فيها الاشعار التي تقدم ذكرها فقرأها وفهم معناها ثم تأمل كتابتها فرآها بخط ابنته فدخل على امها وهو يبكي بكاء شديدا حتى ابتلت لحيته فقالت له زوجته ما ابكاك يا مولاي فقال لها خذي هذه الورقة وانظري ما فيها فاخذت الورقة وقرأتها فوجدتها مشتملة على مراسلة من بنتها الورد في الاكمام الى انس الوجود فجاءها البكاء لكنها غلبت على نفسها وكفكفت دموعها وقالت للوزير يا مولاي ان البكاء لا فائدة فيه وانما الرأي الصواب ان تتبصر في امر يكون فيه صون عرضك وكتمان امر بنتك وصارت تسليه وتخفف عنه الاحزان فقال لها اني خائف على ابنتي من العشق اما تعلمين ان السلطان يحب انس الوجود محبة عظيمة ولخوفي من هذا الامر سببان الاول من جهتي وهو انها ابنتي والثاني من جهة السلطان وهو ان انس الوجود محظي عند السلطان وربما يحدث من هذا امر عظيم فما رأيك في ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير لما اخبر زوجته بخبر بنته وقال لها فما رأيك في ذلك قالت له اصبر علي حتى اصلي صلاة الاستخارة ثم انها صلت ركعتين سنة الاستخارة فلما فرغت من صلاتها قالت لزوجها ان في وسط بحر الكنوز جبلا يسمى جبل الثكلى وسبب تسميته بذلك سيأتي وذلك الجبل لا يقدر على الوصول اليه احد الا بالمشقة فاجعل لها موضعا هناك فاتفق الوزير مع زوجته على انه يبني فيه قصرا منيعا ويجعلها فيه ويضع عندها مؤنتها عاما بعد عام ويجعل عندها من يؤانسها ويخدمها ثم جمع النجارين والبنائين والمهندسين وارسلهم الى ذلك الجبل وقد بنوا لها قصرا منيعا لم ير مثله الراؤن ثم هيأ الزاد والراحلة ودخل على ابنته في الليل وامرها بالسير فحس قلبها بالفراق فلما خرجت ورأت هيئة الاسفار بكت بكاء شديدا وكتبت على الباب تعرف انس الوجود بما جرى لها من الوجد الذي تقشعر منه الجلود ويذيب الجلمود ويجري العبرات والذي كتبته هذه الابيات

بالله يا دار ان مر الحبيب ضحى * مسلما باشارات المحبينا
اهديه منا سلاما زاكيا عطرا * لانه ليس ندري اين امسينا
ولست ادري الى اين الرحيل بنا * لما مضوا بي سريعا مستخفينا
في جنح ليل وطير الايك قد عكفت * على الغصون تباكينا وتنعينا

وقال

وقال عنها لسان الحال واحربا * من التفرق ما بين المحبين
لما رأيت كؤوس البعد قد ملئت * والدهر من صرفها بالقهر يسقينا
مزجتها بجميل الصبر معتذرا * وعنكم الان ليس الصبر يسلينا

فلما فرغت من شعرها ركبت وساروا بها يقطعون البرارى والقفار والسهول والاوعار حتى وصلوا الى بحر الكنوز ونصبوا الخيام على شاطئ البحر ومدوا الهامن بها عظيمة وانزلوها فيها هى وعايلتها وقد امرهم انهم اذا وصلوا الى الجبل وادخلوها فى القصر هى وعايلتها يرجعون بالمركب وبعد ان يطلعوا من المركب يكسرونها فذهبوا وفعلوا جميع ما امرهم به ثم رجعوا وهم يبكون على ما جرى هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر انس الوجود فانه قام من نومه وصلى الصبح ثم ركب وتوجه الى خدمة السلطان فمر فى طريقه على باب الوزير على جرى العادة لعله يرى احدا من اتباع الوزير الذين كان يراهم ونظر الى الباب فرأى الشعر المتقدم ذكره مكتوبا عليه فلما رآه غاب عن وجوده واشتعلت النار فى احشائه ورجع الى داره ولم يقر له قرار ولم يطاوعه اصطبار ولم يزل فى قلق ووجد الى ان دخل الليل فكتم امره وتنكر وخرج فى جوف الليل هائما على غير طريق وهو لا يدرى اين يسير فسار الليل كله وثانى يوم الى ان اشتد حر الشمس وتلهبت الجبال واشتد عليه العطش فنظر الى شجرة فوجد بجانبها جدول ماء يجرى فقصد تلك الشجرة وجلس فى ظلها على شاطئ ذلك الجدول واراد ان يشرب فلم يجد للماء طعما فى فمه وقد تغير لونه واصفر وجهه وتورمت قدماه من المشى والمشقة فبكى بكاء شديدا وسكب العبرات وانشد هذه الابيات

سكر العاشق فى حب الحبيب * كلما زاد غراما فيطيب
هايم فى الحب صب تايه * ماله ماوى ولا زاد يطيب
كيف يهنى العيش للصب الذى * فارق الاحباب ذا شئ عجيب
ذبت لما ان ذكا وجدى بهم * وجرى دمعى على خدى صبيب
هل اراهم او ارى من ربعهم * احدا يبرى به القلب الكئيب

فلما فرغ من شعره بكى حتى بل الثرى ثم قام من وقته وساعته وسار من ذلك المكان فبينما هو سائر فى البرارى والقفار اذ خرج عليه سبع رقبته مختنقة بشعره ورأسه قدر القبة وفمه اوسع من الباب وانيابه مثل انياب الفيل فلما رآه انس الوجود ايقن بالموت واستقبل القبلة وتشهد واستعد للموت وكان قد قرأ فى الكتب ان من خادع السبع انخدع له لانه ينخدع بالكلام الطيب وينتهى بالمديح فشرع يقول له يا اسد الغابة يا ليث الفضا يا ضرغام يا ابا الفتيان يا سلطان الوحوش انى عاشق مشتاق وقد اتلفنى العشق والفراق وحين فارقت الاحباب غبت عن الصواب فاسمع كلامى وارحم لوعتى وغرامى فلما سمع الاسد مقالته تأخر عنه وجلس مقعيا على ذنبه ورفع رأسه اليه وصار يلعب له بذنبه ويديه فلما رأى انس الوجود هذه الحركات انشد هذه الابيات

اسد البيداء هل تقتلنى * قبل ما القى الذى تيمنى
لست صيدا لا ولا بى سمن * فقد من اهواه قد اسقمنى
وفراق الحب اضنى مهجتى * فخيالى صورة فى كفنى
يا ابا الحارث يا ليث الوغى * لا تشمت العذال بى فى شجنى

انا صب مدمعى غرقنى * وفراق الحب قد اقلقنى
واشتغالى فى دجى الليل بهم * عن وجودى فى الهوى غيبنى

فلما فرغ من شعره قام الاسد ومشى نحوه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان انس الوجود لما فرغ من شعره قام الاسد ومشى نحوه بلطف وعيناه مغرغرتان بالدموع ولما وصل اليه لحسه بلسانه ومشى قدامه واشار اليه ان اتبعنى فتبعه ولم يزل سائرا وهو خلفه ساعة من الزمان حتى طلع به فوق جبل ثم نزل به من فوق ذلك الجبل فرأى آثار المشى فى البرارى فعرف ان ذلك اثر مشى القوم بالورد فى الاكمام فتبع الاثر ومشى فيه فلما راه الاسد تبع الاثر بعرف انه اثر مشى القوم بمحبوبته رجع الاسد الى حال سبيله واما انس الوجود فانه لم يزل ماشيا فى الاثر اياما وليالى حتى اقبل على بحر عجاج متلاطم بالامواج ووصل الاثر الى شاطئ البحر وانقطع فعلم انهم ركبوا البحر وساروا فيه وانقطع رجاؤه منهم هنالك فسكب العبرات وانشد هذه الابيات

شط المزار وعنهم قل مصطبرى * وكيف امشى اليهم فى لجة البحر
او كيف اصبر والاحشاء قد تلفت * فى حبهم وتركت النوم بالسهر
من يوم غابوا عن الاوطان وارتحلوا * ومهجتى فى لهيب اى مستعر
سيحون جيحون دمعى كالفرات جرى * ففيضه فائق الطوفان والمطر
تقرح الجفن من جرى الدموع به * واحرق القلب بالنيران والشرر
جيوش وجدى والاشواق قد هجمت * وجيش صبرى فى ادبار منكسر
خاطرت بالروح بذلا فى محبتهم * وكانت الروح عندى اهون الخطر
لا آخذ الله عينا فى الحمى نظرت * ذاك الجمال الذى ابهى من القمر
اصبحت منطرحا من اعين نجل * سهامها رشقت قلبى بلا وتر
وخادعتنى بلين من معاطفها * كمائلين غصون البان فى الشجر
طمعت منهم بوصل استعين به * على امور الهوى والغم والكدر
وصرت فيهم كما امسيت مكتئبا * وكل ماحل بى من فتنة النظر

فلما فرغ من شعره بكى حتى وقع مغشيا عليه واستمر فى غشيته مدة مديدة ثم افاق من غشيته والتفت يمينا وشمالا فلم ير احدا فى البرية فخشى على نفسه من الوحوش فصعد على جبل عال فبينما هو فى ذلك الجبل اذ سمع صوت آدمى يتكلم فى مغارة فصغى اليه واذا هو عابد قد ترك الدنيا واشتغل بالعبادة فطرق عليه باب المغارة ثلاث مرات فلم يجبه العابد ولم يخرج اليه فصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

كيف السبيل الى ان ابلغ الارب * واترك الهم والتكدير والتعبا
وكل هول من الاهوال شيبنى * قلبا وراسا مشيبا فى زمان صبى
ولم اجد لى معينا فى الغرام ولا * خلا يخفف عنى الوجد والنصب
وكم اكابد فى الاشواق من وله * كأن دهرى على الآن قد قلب
وارحمتاه لصب عاشق قلق * كأس التفرق والهجران قد شرب

فالنار فى القلب والاحشاء قد عجبت * والعقل من لوعة التفريق قد سلب
ما كان اعظم يوما جئت منزلهم * وقد رأيت على الابواب ما كتب
بكيت حتى سقيت الارض من ولهى * لكن كتمت عن الدانين والغربا
يا عابدا قد تغاضى فى مغارته * كأنه ذاق طعم العشق وانسلب
وبعد هذا وهذا كله فاذا * بلغت قصدى فلا هما ولا تعبا

فلما فرغ من شعره واذا بباب المغارة قد انفتح وسمع قائلا يقول وارحمتاه فدخل الباب وسلم على العابد فرد عليه السلام وقال له ما اسمك قال اسمى انس الوجود فقال له ما سبب مجيئك الى هذا المكان فقص عليه قصته من اولها الى آخرها واخبره بجميع ما جرى له فبكى العابد وقال له يا انس الوجود ان لى فى هذا المكان عشرين عاما ما رأيت فيه احدا الا بالامس فانى سمعت بكاء وغوغاء فنظرت الى جهة الصوت فرأيت ناسا كثيرين وخياما منصوبة على شاطئ البحر واقاموا مركبا ونزل فيها قوم منهم وساروا بها فى البحر ثم رجع بالمركب بعض من نزل فيها وكسروها وتوجهوا الى حال سبيلهم واظن ان الذين ساروا على ظهر البحر ولم يرجعوا هم الذين انت فى طلبهم يا انس الوجود وحينئذ همك عظيم وانت معذور ولكن لا يوجد محب الا وقد قاسى الحسرات ثم انشد العابد هذه الابيات

انس الوجود خلى البال تحسبنى * والشوق والوجد يطوينى وينشرنى
انى عرفت الهوى والعشق من صغرى * من حين كنت صبيا راضع اللبن
مارسته زمنا حتى عرفت به * ان كنت تسأل عنى فهو يعرفنى
شربت كاس الجوى من لوعة وضنى * فصرت محوا به من رقة البدن
قد كنت ذا قوة لكن وهى جلدى * وجيش صبرى باسياف اللحاظ فنى
لا ترتجى فى الهوى وصلا بغير جفا * فالضد بالضد مقرون مدى الزمن
قضى الغرام على العشاق اجمعهم * ان السلو حرام بدعة الفتن

فلما فرغ العابد من انشاد شعره قام الى انس الوجود وعانقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العابد لما فرغ من انشاد شعره قام الى انس الوجود وعانقه وتباكيا حتى دوت الجبال من بكائهما ولم يزالا يبكيان حتى وقعا مغشيا عليهما ثم افاقا وتعاهدا على انهما اخوان فى الله تعالى ثم قال العابد لانس الوجود انا فى هذه الليلة اصلى واستخير الله لك على شئ تعمله فقال له انس الوجود سمعا وطاعة هذا ما كان من امر انس الوجود واما ما كان من امر الورد فى الاكمام فانها لما وصلوا بها الى الجبل وادخلوها القصر ورأته ورأت ترتيبه بكت وقالت والله انك مكان مليح غير انك ناقص وجود الحبيب فيك ورأت فى تلك الجزيرة اطيارا فامرت بعض اتباعها ان ينصب لها فخا ويصطاد به منها وكلما اصطاده يضعه فى اقفاص من داخل القصر ففعل ما امرته به ثم انها قعدت فى شباك القصر وتذكرت ما جرى لها وزاد بها الغرام والوجد والهيام فسكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

يامن اشتكى الغرام الذى بى * وشجونى وفرقتى عن حبيبى
ولهيباً بين الضلوع ولكن * لست ابديه خيفة من رقيبى
ثم اصبحت رق عود خلال * من بعاد وحرقة ونحيب
اين عين الحبيب حتى ترانى * كيف اصبحت مثل حال السليب
قد تعدوا على اذ حجبونى * فى مكان لم يستطعه حبيبى
اسأل الشمس حمل الف سلام * عند وقت الشروق ثم الغروب
لحبيب قد اخجل البدر حسنا * مذ تبدى وفاق قد القضيب
ان حكى الورد خده قلت فيه * لست تحكى ان لم تكن من نصيبى
ان فى ثغره اسلسال ريق * يجلب البرد عند حر اللهيب
كيف اسلوه وهو قلبى وروحى * مسقمى ممرضى حبيبى طبيبى

فلما جن عليها الظلام اشتد بها الغرام وتذكرت مافات فانشدت هذه الابيات

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم * والشوق حرك ماعندى من الالم
ولوعة البين فى الاحشاء قد سكنت * والفكر صيرنى فى حالة العدم
والوجد اقلقنى والشوق احرقنى * والدمع باح بسراى مكتتم
وليس لى حالة فى العشق اعرفها * من رق عودى ومن ضعفى ومن المى
جحيم قلبى من النيران قد سعرت * ومن لظى حرها الاكباد فى نقم
ما كنت أملك نفسى ان اودعهم * يوم الفراق فيا قهرى ويا ندمى
يامن يبلغهم ماحل بى وكفى * انى صبرت على ما خط بالقلم
والله لا حلت عنهم فى الهوى ابدا * يمين شرع الهوى مبرورة القسم
ياليل سلم على الاحباب مخبرهم * واشهد بعلمك انى فيك لم انم

هذا ما كان من امر الورد فى الاكمام واما ما كان من امر انس الوجود فان العابد قال له انزل الى الوادى وائتنى من النخيل بليف فنزل وجاءه بليف فاخذه العابد وفتله وجعله شنفا مثل اشناف التبن وقال يا انس الوجود ان فى جوف الوادى قرعا يطلع وينشف على اصوله فانزل اليه واملأ هذا الشنف منه واربطه وارمه فى البحر واركب عليه وتوجه به الى وسط البحر لعلك تبلغ قصدك فان من لم يخاطر بنفسه لم يبلغ المقصود فقال سمعا وطاعة ثم ودعه وانصرف من عنده الى ما امره به بعد ان دعاله العابد ولم يزل انس الوجود سائرا الى جوف الوادى وفعل كما قال له العابد ولما وصل بالشنف الى وسط البحر خرج عليه ريح فزقه بالشنف حتى غاب عن عين العابد ولم يزل سابحا فى لجة البحر ترفعه موجة وتحطه اخرى وهو يرى ما فى البحر من العجائب والاهوال الى ان رمته المقادير على جبل الثكلا بعد ثلاثة ايام فنزل الى البر مثل الفرخ الدايخ لهفان من الجوع والعطش فوجد فى ذلك المكان انهارا جارية واطيارا مغردة على الاغصان واشجارا مثمرة صنوانا وغير صنوان فاكل من الاثمار وشرب من الانهار وقام يمشى فرأى بياضا على بعد فمشى جهته حتى وصل اليه فوجده قصرا منيعا حصينا فاتى الى باب القصر فوجده مقفولا فجلس عنده ثلاثة ايام فبينما هو جالس واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه شخص من الخدم فرأى انس الوجود قاعدا فقال له من اين اتيت ومن اوصلك الى هنا فقال من اصبهان وكنت مسافرا فى البحر بتجارة فانكسرت

المركب التي كنت فيها فرمتني الامواج على ظهر هذه الجزيرة فبكى الخادم وعانقه وقال حياك الله يا وجه الاحباب ان اصبهان بلادي ولي فيها بنت عم كنت احبها وانا صغير وكنت متولعاً بها فغزانا قوم اقوى منا واخذوني في جملة الغنم وكنت صغيراً فقطعوا احليلي ثم باعوني خادماً وها انا في تلك الحالة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادم الذي خرج من قصر الورد في الاكمام حدث انس الوجود بجميع ما حصل له وقال له ان القوم الذين اخذوني قطعوا احليلي وباعوني خادماً وها انا في تلك الحالة ودعه ماسلم عليه وحياه ادخله ساحة القصر فلما دخل رأى بحيرة عظيمة وحولها اشجار واغصان وفيها اطيار في اقفاص من فضة وابوابها من الذهب وتلك الاقفاص معلقة على اغصان والاطيار فيها تناغي وتسبح الملك الديان فلما وصل الى اولها تأمله فاذا هو قمري فلما رآه الطير مد صوته وقال يا كريم فغشي على انس الوجود فلما افاق من غشيته صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

ايها القمري هل مثلي تهيم * فاسأل المولى وغرد يا كريم
ياترى نوحك هذا طرب * او غرام منك في القلب مقيم
ان تنح وجداً لاحباب مضوا * او تخلفت بهم مضنى سقيم
او فقدت الحب مثلي في الهوى * فالتصافي يظهر الوجد القديم
يارعى الله محباً صادقاً * لست اسلاه ولو عظمي رميم

فلما فرغ من شعره بكى حتى وقع مغشياً عليه وحين افاق من غشيته مشى حتى وصل الى ثاني قفص فوجده فاختاً فلما رآه الفاخت غرد وقال يادايم اشكرك فصعد انس الوجود الزفرات وانشد هذه الابيات

وفاخت قد قال في نوحه * يادايماً شكراً على بلوتي
عسى لعل الله من فضله * يقضي بوصل الحب في سفرتي
ورب معسول اللمى زارني * فزادني عشقاً على صبوتي
فقلت والنيران قد اضرمت * في القلب حتى احرقت مهجتي
والدمع مسفوح يحاكي دما * قد فاض جاريه على وجنتي
ما ثم مخلوق بلا محنة * لكن لي صبراً على محنتي
بقدرة الله متى لمني * وقت الصفا يوماً على سادتي
جعلت للعشاق مالي قرى * لانهم قوم على سنتي
واطلق الاطيار من سجنها * وازلت الاحزان من فرحتي

فلما فرغ من شعره مشى الى ثالث قفص فوجده هزاراً فزعق الهزار عند رؤيته فلما سمعه انشد هذه الابيات

ان الهزار لطيف الصوت يعجبني * كأنه صوت صب في الغرام فني
وارحمتاه على العشاق كم قلقوا * من ليلة بالهوى والشوق والمحن
كأنهم من عظيم الشوق قد خلقوا * بلا صباح ولا نوم من الشجن
لما جننت بمن اهواه قيدني * فيه الغرام ولما فيه قيدني

تسلسل الدمع من عيني فقلت له * سلاسل الدمع قد طالت فسلسلني
زاد اشتياقي وطال البعد وانعدمت * كنوز صبري وفرط الوجد اتلفني
ان كان في الدهر انصاف ويجمعني * بمن احب وستر الله يشملني
قلعت ثوبي لمحبي كي يرى جسدي * بالصد والبعد والهجران كيف ضني

فلما فرغ من شعره مشى الى رابع قفص فرأى بلبلا فناح وغرد عند رؤية انس الوجود فلما سمع تغريده سكب العبرات وانشد هذه الابيات

ان للبلبل صوتا في السحر * اشغل العاشق عن حسن الوتر
في الهوى انس الوجود المشتكي * من غرام قد محا منه الاثر
كم سمعنا صوت الحان محت * طربا صلد حديد وحجر
ونسيم الصبح قد يروي لنا * عن رياض يانعات بالزهر
فطربنا بسماع وشذا * من نسيم وطيور في السحر
وتذكرنا حبيبا غايبا * فجرى الدمع سيولا ومطر
ولهيب النار في احشائنا * مضرم ذاك كجمر بالشرر
متع الله محبا عاشقا * من حبيب بوصال ونظر
ان للعشاق عذرا واضحا * لا يعرف الاعذار الا ذو النظر

فلما فرغ من شعره مشى قليلا فرأى قفصا حسنا لم يكن هناك احسن منه فلما قرب منه وجده حمام الايك وهو اليمام المشهور من بين الطيور ينوح بالغرام وفي عنقه عقد من جوهر بديع النظام وتأمله فوجده ذاهلا باهتا في قفصه فلما رآه بهذه الحالة افاض العبرات وانشد هذه الابيات

يا حمام الايك اقريك السلام * يا اخا العشاق من اهل الغرام
انني اهوى غزالا اهيفا * لحظه اقطع من حد الحسام
في الهوى احرق قلبي والحشى * وعلا جسمي نحول والسقام
ولذيذ الزاد قد حرمته * مثل ما حرمت من طيب المنام
واصطباري وسلوي رحلا * والهوى بالوجد عندي قد اقام
كيف يهني العيش لي من بعدهم * وهمو روحي وقصدي والمرام

فلما فرغ انس الوجود من شعره وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان انس الوجود لما فرغ من شعره كان حمام الايك قد انتبه من ذهوله وسمع انشاده فصاح وناح واكثر التغريد والنواح حتى كاد ان ينطق بالترنمات وانشد عنه لسان الحال هذه الابيات

ايها العاشق قد ذكرتني * زمنا فيه شبابي قد فني
وحبيبا كنت اهوى شكله * ذا جمال فائق ومفتتن
صوته من فوق اغصان النقى * عن سماع الناي وجدا ردني

قصب الصياد لحظا ماده * قاتلا لولا القضا يتركني
كنت ارجو انه ذو رأفة * اوبراني عاشقا يرحمني
فرماه الله لما انه * من حبيبي بالجفا افرقني
وغرامي فيه اضحى زائدا * ونار البعد قد احرقني
يارعى الله محبا عاشقا * مارس الحب وقاسى شجني
حين يراني لا يشاق قفصي * لحبيبي رحمة يطلقني

ثم ان انس الوجود التفت الى صاحبه الاصبهاني وقال له ما هذا القصر وما فيه ومن بناه فقال له بناه وزير الملك الفلاني لابنته خوفا عليها من عوارض الزمان وطوارق الحدثان واسكنها فيه هي واتباعها ولا نفتحه الا في كل سنة مرة لما تأتي اليهم مؤنتهم فقال في نفسه قد حصل المقصود ولكن المدة طويلة هذا ما كان من امر انس الوجود واما ما كان من امر الورد في الاكمام فانها لم يهن لها شراب ولا طعام ولا قعود ولا منام فقامت وقد زاد بها الغرام والوجد والهيام ودارت في اركان القصر فلم تجد لها مصرفا فسكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

حبسوني عن حبيبي قسوة * واذاقوني بسجني لوعتي
احرقوا قلبي بنيران الهوى * حيث ردوا عن حبيبي نظرتي
حبسوني في قصور شيدت * في جبال خلقت في لجة
ان يكونوا قد ارادوا سلوتي * لم تزد في الحب الا محنتي
كيف اسلو والذي بي كله * اصله في وجه حبي نظرتي
فنهاري كله في اسف * اقطع الليل بهم في فكرة
وانيسي ذكركم في وحدتي * حين القى من لقاكم وحشتي
ياترى هل بعد هذا كله * يرتضي الدهر لقلبي منيتي

فلما فرغت من شعرها طلعت الى سطح القصر واخذت اثوابا بعلبكية وربطت نفسها فيها وتدلت حتى وصلت الى الارض وقد كانت لابسة افخر ما عندها من اللباس وفي عنقها عقد من الجواهر وسارت في تلك البراري والقفار حتى وصلت الى شاطئ البحر فرأت صيادا في مركب دائرا في البحر يصطاد فرماه الريح على تلك الجزيرة فالتفت فرأى الورد في الاكمام في تلك الجزيرة فلما رآها فزع منها وخرج بالمركب هاربا فنادته واكثرت اليه الاشارات وانشدت هذه الابيات

يا ايها الصياد لا تخشى الكدر * فانني انسية مثل البشر
اريد منك ان تجيب دعوتي * وتسمعن قولي باسناد الخبر
فارحم وقاك الله حر صبوتي * ان ابصرت عيناك محبوبا نفر
فانني اهوى مليحا وجهه * قد فاق وجه الشمس نورا والقمر
والظبي لما ان رأى الحاظه * قد قال اني عبده ثم اعتذر
قد كتب الحسن على وجنته * سطرا بديعا في المعاني مختصر
فمن رأى نور الهوى قد اهتدى * اما الذي ضل تعدى وكفر
ان شاء تعذيبي به يا حبذا * فكلما القاه اجر اواجر

من يواقيت وما اشبهها * ولؤلؤ رطب وانواع الدرر
عسى حبيبي ان يوفي بالمنى * فان قلبي ذاب شوقا وانفطر

فلما سمع الصياد كلامها بكى وان واشتكى وتذكر ما مضى له في ايام صباه حين غلب عليه هواه واشتد به الغرام وزاد به الوجد والهيام واحرقته نيران الصبابات فانشد هذه الابيات

بغرامي اى عذر واضح * سقم اعضاه بدمع سافح
وعيون في الدجى ساهرة * وقلوب كزناد قادح
قد بلونا العشق من نشأتنا * وعرفنا ناقصا من راجح
ثم بعنا في الهوى انفسنا * بوصال من حبيب نازح
ثم بالارواح خاطرنا عسى * ان يكون البيع بيع الرابح
مذهب العشاق ان المشترى * وصل محبوب سما عن رابح

فلما فرغ من شعره ارمى مركبه على البر وقال لها انزلي في المركب حتى اعدي بك الى اى موضع تريدين فنزلت في المركب وعوم بها فلما فارق البر بقليل هبت على المركب ريح من خلفها فسارت المركب بسرعة حتى غاب البر عن اعينهما وصار الصياد لا يعرف اين يذهب ومكث اشتداد الريح مدة ثلاثة ايام ثم سكنت الريح باذن الله تعالى ولم تزل المركب تسير بهما حتى وصلت الى مدينة على شاطئ البحر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المركب لما وصلت بالصياد ولورد في الاكمام الى مدينة على شاطئ البحر اراد الصياد ان يرمي مركبه على تلك المدينة وكان فيها ملك عظيم السطوة يقال له درباس وكان في ذلك الوقت جالسا هو وابنه في قصر مملكته وصارا ينظران من شباك القصر فالتفتا الى جهة البحر فرأيا تلك المركب فتأملاها فوجدا فيها صبية كانها البدر في افق السماء وفي اذنيها حلق من البلخش النفيس وفي عنقها عقد من الجوهر النفيس فعرف الملك انها من بنات الاكابر والملوك فنزل الملك من قصره وخرج من باب القيطون فرأى المركب قد رست على الشاطئ وكانت البنت نائمة والصياد مشغولا بربط المركب فايقظها الملك من منامها فاستيقظت وهي تبكي فقال لها الملك من اين انت وابنة من انت وما سبب مجيئك هنا فقالت له الورد في الاكمام انا ابنة ابراهيم وزير الملك شامخ وسبب مجيئي هنا امر عجيب وشأن غريب وحكت له جميع قصتها من اولها الى آخرها ولم تخف عنه شيأ ثم صعدت الزفرات وانشدت هذه الابيات

قد قرح الدمع جفني فاقتضى عجبا * من التكدر لما فاض وانسكبا
من اجل خل نوى في مهجتي ابدا * ولم انل في الهوى من وصله اربا
له محيا جميل باهر نضر * وفي الملاحة فاق الترك والعربا
والشمس والبدر قد مالا لطلعته * كالصب والتزما في حبه الادبا
وطرفه بعجيب السحر مكتحل * يريك قوسا لرمي السهم منتصبا
يا من له حالتي اوضحت معتذرا * ارحم محبا به صرف الهوى لعبا

ان الهوى قدرمانى وسط ساحتكم * ضعيف عزم ومنكم ارتجى حسبا
ان الكرام اذا ماحل ساحتهم * مستصحب فخماهم يرفع الحسبا
فاستر فضايح اهل العشق ياامـلى * وكن لوصلهم ياسيدى سببا

فلما فرغت من شعرها حكت للملك قصتها من اولها الى آخرها ثم افاضت العبرات وانشدت هذه الابيات

عشنا الى ان رأينا فى الهوى عجبا * كل الشهور وفى الامثال عش رجبا
اليس من عجب انى ضحى ارتحلوا * اوقدت من ماء دمعى فى الحشى لهبا
وان اجفان عينى امطرت ورقا * وان ساحة خدى انبتت ذهبا
كأنما الذى عنه من معصفره * قميص يوسف غشوه دما كذبا

فلما سمع الملك كلامها تحقق وجدها وغرامها فاخذته الشفقة عليها وقال لها لاخوف عليك ولافزع قد وصلت الى مرادك فلابد ان ابلغك ماتريدين واوصل اليك ماتطلبين فاسمعى منى هذه الكلمات ثم انشد هذه الابيات

بنت الكرام بلغت القصد والاربا * لك البشارات لاتخشى هنا نصبا
اليوم اجمع اموالا وارسلها * لشاه صحبة الفرسان والنجبا
نوافج المسك والديباج ارسلها * وارسل الفضة البيضاء والذهبا
نعم وتخبره عنى مكاتبتى * انى مريد له صهرا ومنتسبا
وابذل اليوم جهدى فى معاونة * حتى يكون الذى تهوين مقتربا
قد ذقت طعم الهوى دهرا واعرفه * واعذر اليوم من كأس الهوى شربا

فلما فرغ من شعره خرج الى عسكره ودعا بوزيره وحزم له مالا لايحصى وامره ان يذهب بذلك الى الملك شاه وقال له لابد ان تأتينى بشخص عنده اسمه انس الوجود وقل له انه يريد مصاهرتك بان يزوج ابنته لانس الوجود تابعك فلابد من ارساله معى حتى نعقد عقده عليها فى مملكة ابيها ثم ان الملك درباس كتب مكتوبا للملك شاه بمضمون ذلك واعطاه لوزيره واكد عليه فى الاتيان بانس الوجود وقال له ان لم تأتنى به تكن معزولا من مرتبتك فقال له سمعا وطاعة ثم توجه بالهدية الى الملك شاه فلما وصل اليه بلغه السلام عن الملك درباس واعطاه المكاتبة والهدية التى معه فلما رآها الملك شاه وقرأ المكاتبة ونظر اسم انس الوجود بكى بكاء شديدا وقال للوزير المرسل اليه واين انس الوجود فانه ذهب ولانعلم مكانه فأتنى به وانا اعطيك اضعاف ماجئت به من الهدية ثم بكى وان واشتكى وافاض العبرات وانشد هذه الابيات

ردوا علىّ حبيبى * لاحاجة لى بمال
ولا اريد هدايا * من جوهر ولآلى
قد كان عندى بدرا * سما بافق جمال
وفاق حسنا ومعنى * ولم يقس بغزال
وقده غصن بان * اثماره من دلال
وليس فى الغصن طبع * يسبى عقول الرجال

ربيته وهو طفـل * على مهاد الدلال
وانني لحزين * عليه مشغول بال

ثم التفت الى الوزير الذى جاء بالهدية والرسالة وقال له اذهب الى سيدك واخبره ان انس الوجود مضى له عام وهو غائب وسيده لم يدر اين ذهب ولا يعرف له خبر فقال له الوزير يا مولاى ان سيدى قال لى ان لم تأتنى به تكن معزولا عن الوزارة ولا تدخل مدينتى فكيف اذهب اليه بغيره فقال الملك شامخ لوزيره ابراهيم اذهب معه صحبة جماعة وفتشوا على انس الوجود فى سائر الاماكن فقال له سمعا وطاعة ثم اخذ جماعة من اتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا فى طلب انس الوجود وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابراهيم وزير الملك شامخ اخذ جماعة من اتباعه واستصحب وزير الملك درباس وساروا فى طلب انس الوجود فكانوا كلما مروا بعرب او قوم يسألونهم عن انس الوجود فيقولون لهم هل مر بكم شخص اسمه كذا وصفته كذا وكذا فيقولون لا نعلمه وما زالوا يسألون فى المدائن والقرى ويفتشون فى السهل والاوعار والبرارى والقفار حتى وصلوا الى شاطئ البحر وطلبوا مركبا ونزلوا فيها وساروا بها حتى اقبلوا على جبل الثكلا فقال وزير الملك درباس لوزير الملك شامخ لاى شىء سمى هذا الجبل بذلك الاسم فقال له لانه نزلت به جنية فى قديم الزمان وكانت تلك الجنية من جن الصين وقد حبت انسانا ووقع له فيها غرام وخافت على نفسها من اهلها فلما زاد بها الغرام فتشت فى الارض على مكان تخفيه فيه عن اهلها فوجدت هذا الجبل منقطعا عن الانس والجن بحيث لا يهتدى الى طريقه احد من الانس ولا من الجن فاختطفت محبوبها ووضعته فيه وصارت تذهب الى اهلها وتأتيه فى خفية ولم تزل على ذلك زمنا طويلا حتى ولدت منه فى ذلك الجبل اطفالا متعددة وكان كل من يمر على هذا الجبل من التجار المسافرين فى البحر يسمع بكاء الاطفال كبكاء المرأة التى ثكلت اولادها اى فقدتهم فيقول هل هنا ثكلا فتعجب وزير الملك درباس من ذلك الكلام ثم انهم ساروا حتى وصلوا الى القصر وطرقوا الباب فانفتح الباب وخرج لهم خادم فعرف ابراهيم وزير الملك شامخ فقبل يديه ثم دخل القصر فوجد فى فسحته رجلا فقيرا بين الخدامين وهو انس الوجود فقال لهم من اين هذا فقالوا له انه رجل تاجر غرق ماله ونجى بنفسه وهو مجذوب فتركه ثم مشى الى داخل القصر فلم يجد لابنته اثرا فسأل الجوارى التى هناك فقلن له ما عرفنا كيف راحت ولا اقامت معنا سوى مدة يسيرة فسكب العبرات وانشد هذه الابيات

ايها الدار التى اطيارها * قد تغنت وازدهت اعتابها
حتى اتاها الصب ينعى شوقه * ورآها فتحت ابوابها
ليت شعرى اين ضاعت مهجتى * عند دار قد نأت اربابها
كان فيها كل شىء فاخر * واستطابت واعتلت حجابها
وكسوها حللا من سندس * يا ترى اين غدت اصحابها

فلما فرغ من شعره بكى وان واشتكى وقال لا حيلة فى قضاء الله ولا مفر مما قدره وقضاه ثم طلع الى سطح القصر فوجد الثياب البعلبكية مربوطة فى شراريف القصر واصلة الى الارض فعرف انها قد نزلت من

ذلك المكان وراحت كالهائم الولهان والتفت فرأى هناك طيرين غرابا وبومة فتشاءم من ذلك وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

اتيت الى دار الاحبة راجيا * بآثارهم اطفاء وجدى ولوعتى
فلم اجد الاحباب فيها ولم اجد * بها غير مشؤمى غراب وبومة
وقال لسان الحال قد كنت ظالما * وفرقت بين المغرمين الاحبة
فذق طعم ما ذاقوه من الم الجوى * وعش كمدا ما بين دمع وحرقة

ثم نزل من فوق القصر وهو يبكى وقد امر الخدام ان يخرجوا الى الجبل ويفتشوا على سيدتهم ففعلوا ذلك فلم يجدوها هذا ما كان من امرها واما ما كان من امر انس الوجود فانه لما تحقق ان الورد فى الاكمام قد ذهبت صاح صيحة عظيمة ووقع مغشيا عليه واستمر فى غشيته فظنوا انها اخذته جذبة من الرحمن واستغرق فى جمال هيبة الديان ولما يئسوا من وجود انس الوجود واشتغل قلب الوزير ابراهيم بفقد بنته الورد فى الاكمام اراد وزير الملك درباس ان يتوجه الى بلاده وان لم يفز من سفره بمراده فاخذ يودعه الوزير ابراهيم والد الورد فى الاكمام فقال له وزير الملك درباس انى اريد ان آخذ هذا الفقير معى عسى الله تعالى ان يعطف على قلب الملك ببركته لانه مجذوب ثم بعد ذلك ارسله الى بلاد اصبهان لانها قريبة من بلادنا فقال له افعل ما تريد ثم انصرف كل منهما متوجها الى بلاده وقد اخذ وزير الملك درباس انس الوجود معه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان وزير الملك درباس اخذ انس الوجود معه وهو مغشى عليه وسار به ثلاثة ايام وهو فى غشيته محمول على البغال ولا يدرى هل هو محمول اولا فلما افاق من غشيته قال فى اى مكان انا فقالوا له انت صحبة وزير الملك درباس ثم ذهبوا الى الوزير واخبروه انه قد افاق فارسل اليه ماء الورد والسكر فسقوه وانعشوه ولم يزالوا مسافرين حتى قربوا من مدينة الملك درباس فارسل الملك الى الوزير يقول له ان لم يكن انس الوجود معك فلا تأتنى ابدا فلما قرأ مرسوم الملك عسر عليه ذلك وكان الوزير لا يعلم ان الورد فى الاكمام عند الملك ولا يعلم ما سبب ارسال الملك اياه الى انس الوجود ولا يعلم ما سبب رغبته فى مصاهرته وانس الوجود لا يعلم اين يذهبون به ولا يعلم ان الوزير مرسل فى طلبه والوزير لا يعلم ان هذا هو انس الوجود فلما رأى الوزير ان انس الوجود قد استفاق قال له ان الملك ارسلنى فى حاجة وهى لم تقض ولما علم بقدومى ارسل الى مكتوبا يقول لى فيه ان لم تكن الحاجة قد قضيت فلا تدخل مدينتى فقال له وما حاجة الملك فحكى له جميع الحكاية فقال له انس الوجود لا تخف واذهب الى الملك وخذنى معك وانا اضمن لك مجىء انس الوجود ففرح الوزير بذلك وقال له احق ما تقول فقال نعم فركب واخذه معه وسار به الى الملك فلما وصلا الى الملك قال له اين انس الوجود فقال انس الوجود ايها الملك انا اعرف مكان انس الوجود فقربه اليه وقال له فى اى مكان هو قال فى مكان قريب جدا ولكن اخبرنى ماذا تريد منه وانا احضره بين يديك فقال له حبا وكرامة ولكن هذا الامر يحتاج الى خلوة ثم امر الناس بالانصراف ودخل معه خلوة واخبره الملك بالقصة من اولها الى آخرها فقال له انس الوجود ائتنى بثياب فاخرة والبسنى اياها وانا آتيك بانس الوجود سريعا فاتاه ببدلة فاخرة فلبسها وقال انا انس الوجود وكمد الحسود ثم رمى

القلوب بالحظات وانشد هذه الابيات

يؤانسني ذكر الحبيب بخلوتي * ويطرد عني في التباعد وحشتي
ومالي غير الدمع عين وانما * اذا فاض من عيني يخفف زفرتي
وشوقي شديد ليس يوجد مثله * وامري عجيب في الهوى والمحبة
فاقطع ليلي ساهر الجفن لم انم * وفي العشق امسي بين نار وجنة
وقد كان لي صبر جميل عدمته * وما مضني في الحب الا محنتي
وقد رق جسمي من اليم بعادهم * وغيرت الاشواق وصفي وصورتي
واجفان عيني بالدموع تقرحت * ولم استطع اني ارجع دمعتي
وقد قل حيلي والفؤاد عدمته * وكم ذا الاقي لوعة بعد لوعة
وقلبي ورأسي في المشيب تشابها * على سادة في الحسن احسن سادة
على رغمهم كان التفرق بيننا * وما قصدهم الا لقائي ووصلتي
فيا هل ترى بعد التقاطع والنوى * يمتعني دهري بوصل احبتي
ويطوى كتاب البعد من بعد نشره * ويمحى براحات الوصال مشقتي
ويبقى حبيبي في الديار منادمي * ويبدل احزاني بصفو مسرتي

فلما فرغ من شعره قال له الملك والله انكما محبان صادقان وفي سماء الحسن كوكبان نيران وامركما عجيب وشأنكما غريب ثم حكى له حكاية الورد في الاكمام الى آخرها فقال له واين هي يا ملك الزمان قال هي عندي الان ثم احضر الملك القاضي والشهود وعقد عقدها عليه واكرمه واحسن اليه ثم ارسل الملك درباس الى الملك شامخ واخبره بجميع ما اتفق له من امر انس الوجود والورد في الاكمام ففرح الملك شامخ بذلك غاية الفرح وارسل اليه مكتوبا مضمونه حيث حصل عقد العقد عندك ينبغي ان يكون الفرح والدخول عندي ثم جهز الجمال والخيل والرجال وارسل في طلبهما فلما وصلت الرسالة الى الملك درباس امدهما بمال عظيم وارسلهما مع جملة من عسكره فساروا بهما حتى دخلوا مدينتهما وكان يوما مشهودا لم ير اعظم منه وجمع الملك شامخ سائر المطربات من الات المغاني وعمل الولائم ومكثوا على ذلك سبعة ايام وفي كل يوم يخلع الملك شامخ على الناس الخلع السنية ويحسن اليهم ثم ان انس الوجود دخل على الورد في الاكمام فعانقها وجلسا يبكيان من فرط الفرح والمسرات فانشدت الورد في الاكمام هذه الابيات

جاء السرور ازال الهم والحزنا * ثم اجتمعنا واكدنا حواسدنا
ونسمة الوصل قد هبت معطرة * فاحيت القلب والاحشاء والبدنا
وبهجة الانس قد لاحت مخلقة * وفي الخوافق قد دقت بشائرنا
لا تحسبوا اننا نبكي من حزن * لكن من فرح فاضت مدامعنا
فكم رأينا من الاهوال وانصرفت * وقد صبرنا على ما هيج الشجنا
فساعة من وصال قد نسيت بها * ما كان من شدة الاهوال شيبنا

فلما فرغت من شعرها تعانقا ولم يزالا متعانقين حتى وقعا مغشيا عليهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان انس الوجود والورد فى الاكمام لما اجتمعا تعانقا ولم يزالا متعانقين حتى وقعا مغشيا عليهما من لذة الاجتماع فلما افاقا من غشيتهما انشد انس الوجود هذه الابيات

ما احيلاها لييلات الوفا * حيث امسى لى حبيبي منصفا
و توالى الوصل فيما بيننا * وانفصال الهجر عنا قد وقف
والينا الدهر يسعى مقبلا * بعد ما مال وعنا انحرفا
نصب السعد لنا اعلامه * وشربنا منه كاسا قد صفا
واجتمعنا وتشاكينا الاسى * ولييلات تقضت بالجفا
ونسينا ما مضى يا سادتى * وعفا الرحمن عما سلفا
ما الذ العيش ما اطيبه * لم يزدنى الوصل الا شغفا

فلما فرغ من شعره تعانقا واضطجعا فى خلوتهما ولم يزالا فى منادمة وشعار ولطيف حكايات واخبار حتى غرقا فى بحر الغرام ومضت عليهما سبعة ايام وهما لا يدريان ليلا من نهار لفرط ما هما فيه من لذة وسرور وصفو وحبور فكأن السبعة ايام يوم واحد ليس له ثانى وما عرفا يوم الاسبوع الا بمجىء آلات المغانى فاكثرت الورد فى الاكمام التعجبات ثم انشدت هذه الابيات

على غيظ الحواسد والرقيب * بلغنا ما نريد من الحبيب
واسعفنا التواصل باعتناق * على الديباج والقز القشيب
وفرش من اديم قد حشونا * بريش الطير من شكل غريب
وعن شرب المدام قد اغتنينا * بريق الحب جل عن الضريب
ومن طيب الوصال فليس ندرى * باوقات البعيد من القريب
ليال سبعة مرت علينا * ولم نشعر بها كم من عجيب
فهنونى باسبوع وقولوا * ادام الله وصلك بالحبيب

فلما فرغت من شعرها قبلها انس الوجود ما ينوف عن المئات ثم انشد هذه الابيات

ايا يوم السرور مع التهانى * وجاء الحب من صدو قانى
فانسى بطيب الوصل منه * ونادمنى بالطاف المعانى
واسقانى شراب الانس حتى * ذهلت عن الوجود بما سقانى
طربنا وانشرحنا واضطجعنا * وصرنا فى شراب مع اغانى
ومن فرط السرور فليس ندرى * من الايام اولها وثانى
هنيئا للمحب بطيب وصل * ووافاه السرور كما وفانى
ولا يدرى لمر الصد طعما * وربى قد حباه كما حبانى

فلما فرغ من شعره قاما وخرجا من مكانهما وانعما على الناس بالمال والخلع واعطيا ووهبا ثم امرت الورد فى الاكمام ان يخلوا لها الحمام وقالت لانس الوجود يا قرة عينى قصدى ان اراك فى الحمام ونكون بمفردنا من غير احد معنا وزادت بها المسرات فانشدت هذه الابيات

ايا من قد تملكني قديما * ولم يغن الحديث عن القديم
ويا من ليس لي عنه غناء * ولا ارجو سواه من نديم
الى الحمام قم بانور عيني * نرى الفردوس في وسط الجحيم
ونعبقها بعود الندحتى * يفوح الطيب في القطر العميم
ونصفح عن ذنوب الدهر طرا * ونشكر فضل مولانا الرحيم
وانشد اذ اراك هناك فيها * هنيأ يا حبيبي بالنعيم

فلما فرغت من شعرها قاما وذهبا الى الحمام وتنعما فيه ثم عادا الى قصرهما واقاما به في الذ المسرات الى ان اتاهما هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يحول ولا يزول واليه كل الامور تؤول

ومما يحكى ان ابا نواس خلا بنفسه يوما من الايام وهيأ مجلسا فاخرا وجمع فيه من انواع الاطعمة وسائر الالوان كل ما تشتهي الشفة واللسان ثم انه خرج يتمشى في طلب محبوب لايق بذلك المجلس وقال يا الهي وسيدي ومولاي اسألك ان تسوق لي من يناسب ذلك المجلس ويصلح للمنادمة معي في هذا اليوم فما استتم كلامه الاوقد رأى ثلاثة من المرد الحسان كانهم من ولدان الجنان الا ان الوانهم مختلفة ومحاسنهم في الابداع مؤتلفة وفي تثني معاطفهم تطمع الامال على حد قول من قال

مررت بامردين فقلت اني * احبكما فقال الامردان
اذو مال فقلت وذو سماح * فقال الامردان الامردان

وكان ابو نواس يذهب هذا المذهب ومع الملاح يلهو ويطرب ويجتني ورد كل خد ناضر كما قال الشاعر

وشيخ كبير له صبوة * يحب الملاح ويهوى الطرب
غدا موصليا بارض النقا * فما ان تذكر الاحلب

فذهب الى هؤلاء الغلمان وحياهم بالسلام فقابلوه باوفى تحية واكرام ثم ارادوا الانصراف الى بعض الجهات فحجزهم ابو نواس وانشد هذه الابيات

فلا تسعوا الى غيري * فعندي معدن الخير
وعندي قهوة تجلي * سباها راهب الدير
وعندي اللحم من ضأن * واصناف من الطير
كلوا ذا واشربوا خمرا * عتيقا مذهب الضير
ونيكوا بعضكم بعضا * ودسوا بينكم ايري

فلما خدع الغلمان بابياته مالوا الى مرضاته واجابوه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد الثلثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا نواس لما خدع الغلمان بابياته مالوا الى مرضاته واجابوه بالسمع والطاعة وذهبوا معه الى منزله فوجدوا جميع ما وصفه في شعره حاضرا في المجلس فجلسوا واكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وتحاكموا عند ابي نواس في ايهم احسن بهجة وجمالا واقوم قدا واعتدالا فاشار الى احدهم بعد تقبيله مرتين ثم انشد هذين البيتين

بروحي افدي خاله فوق خده * ومن اين هذا الخال افديه بالمال

تبارك من اخلى من الشعر خده * وامكن كل الحسن فى ذلك الخال

ثم اشار الى الثانى بعد اثم الشفتين وانشد هذين البيتين

ومعشوق له فى الخد خال * كمسك فوق كافور نقى
تعجب ناظرى لما رآه * فقال الخال صلى على النبى

ثم اشار الى الثالث بعد تقبيله عشر مرات وانشد هذه الابيات

اذاب التبر فى كاس اللجين * فتى بالراح مخضوب اليدين
وطاف مع السقاة بكاس راح * وطافت مقلتاه باخرين
مليح من بنى الاتراك ظبى * يجاذب خصره جبلى حنين
لئن سكنت الى الزوراء نفسى * فان القلب بين محركين
هو يقتاده لديار بكر * واخر نحو ارض الجامعين

وكان كل واحد من الغلمان قد شرب قدحين فلما وصل الدور الى ابى نواس اخذ القدح وانشد هذين البيتين

لا تشرب الراح الا من يدى رشأ * تحكيه فى رقة المعنى ويحكيها
ان المدامة لا يلتذ شاربها * حتى يكون نقى الخد ساقيها

ثم شرب كاسه ودار الدور فلما وصل الدور الى ابى نواس ثانيا غلبت عليه المسرات فانشد هذه الابيات

اجعل نديمك اقداحا تواصلها * من المدام واتبعها باقداح
من كف المى بديع الحسن ريقته * بعد الهجوع كمسك او كتفاح
لا تشرب الراح الا من يدى رشأ * تقبيل وجنته اشهى من الراح

فلما غلب السكر على ابى نواس ولم يعرف له يدا من راس مال على الغلمان بالبوس والعناق والتفاف الساق على الساق ولم يبال باثم ولا عار وانشد هذه الاشعار

ما استكمل اللذات الا فتى * يشرب والملاح ندماه
هذا يغنيه وهذا اذا * انعشه بالكاس حياه
وكلما احتاج الى قبلة * من واحد ارشفه فاه
سقيا لهم قد طاب يومى بهم * واعجبا ما كان احلاه
ونشربها صرفا وممزوجة * وشرطنا من نام نكناه

فبينما هم كذلك واذا بطارق يطرق الباب فاذنوا له فى الدخول فلما دخل وجدوه امير المؤمنين هارون الرشيد فقام له الجميع وقبلوا الارض بين يديه واستفاق ابو نواس من سكره لهيبة الخليفة فقال له امير المؤمنين يا ابا نواس فقال لبيك يا امير المؤمنين ايدك الله قال له ما هذا الحال قال يا امير المؤمنين لا شك ان الحال يغنى عن السؤال فقال له الخليفة يا ابا نواس قد استخرت الله تعالى ووليتك قاضى المعرصين فقال ابو نواس وهل تحب لى هذه الولاية يا امير المؤمنين قال نعم فقال يا امير المؤمنين هل لك من دعوة تدعيها عندى فاغتاظ منه امير المؤمنين ثم ولى وتركهم وهو ممزوج بالغضب فلما جن الليل بات امير المؤمنين فى غيظ شديد من ابى نواس وبات ابو نواس فى اسر الليالى بما هو فيه من البسط والانشراح فلما اصبح الصباح واضاء كوكبه ولاح فض ابو نواس المجلس وصرف الغلمان ولبس لبس الموكب وخرج من بيته متوجها الى امير المؤمنين وكان من عادة امير المؤمنين انه اذا فض الديوان يدخل قاعة الجلوس ثم يحضر فيها الشعراء والندماء

وارباب الالات ويجلس كل منهم فى مرتبته لا يتعداها فاتفق انه كان فى ذلك اليوم نزل من الايوان الى القاعة واحضر ندمائه واجلسهم فى مراتبهم فلما جاء ابو نواس واراد ان يجلس فى موضعه دعا امير المؤمنين بمسرور السياف وامره ان ينزع عن ابى نواس ثيابه ويشد على ظهره برذعة حمار ويجعل فى رأسه مقودا وفى دبره طفرا ويدور به على مقاصير الجوارى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان امير المؤمنين امر مسرور السياف ان ينزع عن ابى نواس ثيابه ويشد على ظهره برذعة ويجعل فى رأسه مقودا وفى دبره طفرا ثم يدور به على مقاصير الجوارى وعلى منازل الحريم وسائر المحلات ليضحكوا به وبعد ذلك يقطع رأسه ويأتيه بها فقال مسرور سمعا وطاعة واخذ يفعل ما امره به الخليفة ودار به على المقاصير وكان عددها بعدد ايام السنة وكان ابو نواس مضحكا وكل من رآه يعطيه مالا فما رجع الا وجيبه ملآن مالا فبينما هو على هذه الحالة واذا بجعفر البرمكى مقبل فدخل على الخليفة وكان غائبا فى امر مهم لامير المؤمنين فرأى ابا نواس فى هذه الحالة فعرفه فقال له يا ابا نواس فقال له لبيك يا مولانا قال له اى ذنب فعلت حتى حصلت لك هذه العقوبة فقال له ابو نواس ما فعلت ذنبا الا انى هاديت مولانا الخليفة بمحاسن اشعارى فهادانى بمحاسن ملبوسه فلما سمع امير المؤمنين ذلك ضحك ضحكا ناشئا عن قلب مملوء بالغيظ وعفا عنه وامر له ببدرة من المال ومما يحكى ان بعض اهل البصرة اشترى جارية فادبها واحسن ادبها وتعليمها وكان يحبها غاية المحبة وانفق جميع ماله على البسط والانشراح وهو معها ولم يبق عنده شىء وقد اضر به الفقر الشديد فقالت له الجارية يا سيدى بعنى لانك محتاج الى ثمنى وقد شفقت على حالك مما ارى بك من الفقر فلو بعتنى وانفقت ثمنى لكان ذلك اصلح لك من بقائى عندك ولعل الله تعالى يوسع عليك رزقك فاجابها الى ذلك من ضيق حاله ثم اخذها ونزل بها السوق فعرضها الدلال على امير البصرة وكان اسمه عبد الله بن معمر التيمى فاعجبته فاشتراها بخمسمائة دينار ودفع ذلك المبلغ الى سيدها فلما قبضه سيدها واراد الانصراف بكت الجارية وانشدت هذين البيتين

هنيئا لك المال الذى قد حويته ❊ ولم يبق لى غير الاسى والتفكر
اقول لنفسى وهى فى سوء كربها ❊ اقلى فقد بان الحبيب او اكثرى

فلما سمعها سيدها صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

اذا لم يكن للامر عندك حيلة ❊ ولم تجدى شيأ سوى الموت فاعذرى
اروح واغدو والمؤانس ذكرهم ❊ اناجى به قلبا شديد التفكر
عليك سلام لا زيارة بيننا ❊ ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

فلما سمع عبد الله بن معمر شعرهما ورأى كآبتهما قال والله لا كنت معينا على فراقكما وقد ظهر لى انكما متحابان فخذ المال والجارية ايها الرجل بارك الله لك فيهما فان افتراق الحبيبين من بعضهما صعب عليهما فقبل الاثنان يده وانصرفا وما زالا مجتمعين الى ان فرق بينهما الموت فسبحان من لا يدركه فوت ومما يحكى انه كان فى بنى عذرة رجل ظريف وكان لا يخلو من العشق يوما واحدا فاتفق له انه احب امرأة جميلة من الحى فراسلها اياما وهى لا تزال تجفوه وتصد عنه الى ان اضر به الغرام والوجد والهيام فمرض مرضا شديدا ولزم الوساد وجفا الرقاد وظهر للناس امره واشتهر بالعشق ذكره وادرك شهرزاد

الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل لزم الوساد وجفا الرقاد وظهر للناس امره واشتهر بالعشق ذكره وازداد سقمه وعظم المه حتى كاد ان يموت ولم تزل اهله واهلها يسألونها ان تزوره وهي تأبى الى ان اشرف على الموت فاخبروها بذلك فرقت له وانعمت عليه بالزيارة فلما نظرها تحدرت عيناه بالدموع وانشد عن قلب مصدوع

بعيشك ان مرت عليك جنازتي * وقد رفعت من فوق اعناق اربع
اما تتبعين النعش حتى تسلمي * على قبر ميت في الحفيرة مودع

فلما سمعت كلامه بكت بكاء شديدا وقالت له والله ما كنت اظن انه بلغ بك الغرام الى ان يلقيك بين ايدي الحمام ولو علمت بذلك لساعدتك على حالك وتمتعت بوصالك فلما سمع كلامها صارت دموعه كالسحاب الماطر وانشد قول الشاعر

دنت حين حال الموت بيني وبينها * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

ثم شهق شهقة فمات فوقعت عليه تلثمه وتبكي ولم تزل تبكي حتى وقعت عنده مغشيا عليها فلما افاقت اوصت اهلها انهم يدفنونها في قبره اذا ماتت ثم اجرت دمع العين وانشدت هذين البيتين

كنا على ظهرها والعيش في رغد * والحي يزهو بنا والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف الفتنا * وصار يجمعنا في بطنها الكفن

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديدا ولم تزل تبكي وتنوح حتى وقعت مغشيا عليها واستمرت في غشيتها ثلاثة ايام وماتت ودفنت في قبره وهذا من عجيب الاتفاق في المحبة ومما يحكى ان الصاحب بدر الدين وزير اليمن كان له اخ بديع الجمال وكان شديد الحرص عليه فالتمس له من يعلمه فوجد شيخا ذا هيبة ووقار وعفة وديانة فاسكنه بمنزل بجانب منزله واقام على ذلك مدة ايام وهو كل يوم يذهب من بيته الى بيت الصاحب بدر الدين ليعلم اخاه ثم ينصرف الى منزله ثم ان الشيخ تعلق قلبه بحب ذلك الشاب وقوي به غرامه وهاجت بلابله فشكا حاله يوما الى الشاب فقال له الشاب ما حيلتي وانا لا استطيع مفارقة اخي ليلا ولا نهارا فهو ملازم لي كما ترى فقال له الشيخ ان منزلي بجانب منزلكم فيمكن اذا نام اخوك ان تقوم انت تدخل الخلوة وتظهر للناس انك تنام ثم تأتي الى حائط السطح وانا اتناولك من وراء الجدار فتجلس عندي لحظة ثم تعود من غير ان يشعر بك اخوك فقال الشاب سمعا وطاعة فجهز الشيخ من التحف ما يليق بمقامه هذا ما كان من امره واما ما كان من امر الشاب فانه دخل الخلوة وصبر حتى اخذ اخوه في مضجعه ومضت ساعة من الليل حتى استغرق اخوه في النوم ثم قام وتمشى الى الحائط فوجد الشيخ واقفا ينتظره فناوله يده فاخذه ودخل به المجلس وكانت تلك الليلة ليلة البدر فجلسا وتنادما ودارت بينهما كاسات الراح فاخذ الشيخ في الغناء وقد القى البدر شعاعه عليهما فبينما هما في فرح وسرور ولذة وحبور وحظ يدهش العقل والطرف ويجل عن الوصف اذا انتبه الصاحب بدر الدين من منامه فلم يجد اخاه فقام فزعا فوجد الباب مفتوحا فطلع منه فسمع همس الكلام فصعد من الحائط الى السطح فوجد نورا ساطعا بالبيت فنظر من خلف جدار فوجدهما والكاس دائر بينهما فاحس به الشيخ والكاس في يده فاطرب بالنغمات

وانشد هذه الابيات

سقاني خمرة من ريق فيه * وحيى بالعذار وما يليه
وبات معانقي خد الخد * ماله في الانام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا * سلوه لا ينم على اخيه

فكان من لطافة الصاحب بدر الدين انه لما سمع هذه الابيات قال والله لا نام عليكما ومضى وتركهما في اتم سرور ومما يحكى ان غلاما وجارية كانا يقرآن في مكتب فتعلق الغلام بحب الجارية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام تعلق بحب الجارية واحبها حبا شديدا فلما كان في بعض الايام في ساعة غفلة الصبيان اخذ الغلام لوح الجارية وكتب فيه هذين البيتين

ماذا تقولين فيمن شفه سقم * من فرط حبك حتى صار حيرانا
يشكو الصبابة من وجد ومن الم * لا يستطيع لما في القلب كتمانا

فلما اخذت الجارية لوحها رأت هذا الشعر مكتوبا فيه فلما قرأته وفهمت معناه بكت رحمة له وكتبت تحت خط الغلام هذين البيتين

اذا رأينا محبا قد اضر به * حال الصبابة اوليناه احسانا
ونبلغ القصد منا في محبته * ولو يكون علينا كل ما كان

فاتفق ان الفقيه دخل عليهما فوجد اللوح على حين غفلة فاخذه وقرأ ما فيه فرق لحالهما وكتب في اللوح تحت كتابتهما هذين البيتين

صلي محبك لا تخشي معاقبة * ان المحب غدا في الحب حيرانا
اما الفقيه فلا تخشي مهابته * فانه قد بلي بالعشق ازمانا

فاتفق ان سيد الجارية دخل المكتب في تلك الساعة فوجد لوح الجارية فاخذه وقرأ ما فيه من كلام الجارية وكلام الشاب وكلام الفقيه فكتب الآخر في اللوح تحت كتابة الجميع هذين البيتين

لا فرق الله طول الدهر بينكما * وظل واشيكما حيران تعبانا
اما الفقيه فلا والله ما نظرت * عيناي اعرص منه قط انسانا

ثم ان سيد الجارية ارسل خلف القاضي والشهود وكتب كتابها على الشاب في المجلس وجعل لهما وليمة واحسن اليهما احسانا عظيما ومازالا مجتمعين في هناء وسرور الى ان ادركهما هادم اللذات ومفرق الجماعات ومما يحكى ان المتلمس هرب من النعمان بن المنذر وغاب غيبة طويلة حتى ظنوا انه مات وكان له زوجة جميلة تسمى اميمة فشار عليها اهلها بالزواج فابت فالحوا عليها لكثرة خطابها وغصبوها على الزواج فاجابتهم الى ذلك وهي كارهة فزوجوها رجلا من قومها وكانت تحب زوجها المتلمس محبة عظيمة فلما كانت ليلة زفافها على ذلك الرجل الذي غصبوها على الزواج به قدم زوجها المتلمس في تلك الليلة فسمع في الحي صوت المزامير والدفوف ورأى علامات الفرح فسأل من بعض الصبيان عن هذا الفرح فقالوا له ان اميمة زوجة المتلمس زوجوها الفلان وها هو داخل بها في هذه الليلة فلما سمع المتلمس

ذلك الكلام فتحيل فى الدخول مع جملة النساء فوجدهما على منصتهما وقد تقدم اليها العريس فتنفست الصعداء وبكت وانشدت هذا البيت

ا ياليت شعرى والحوادث جمة * باى بلاد انت يا متلمس

وكان زوجها المتلمس من الشعراء المشهورين فاجابها بقوله

باقرب دار يا اميمة فاعلمى * ومازلت مشتاقا اذا الركب عرسوا

فعند ذلك فطن العريس بهما فخرج من بينهما بسرعة وهو ينشد قوله

فكنت بخير ثم بت بضده * وضمكما بيت رحيب ومجلس

ثم تركهما وذهب واختلى بها زوجها المتلمس ومازالا فى اطيب عيش واصفاه وارغده واهناه الى ان فرق بينهما الممات فسبحان من تقوم بامره الارض والسموات وممايحكى ان الخليفة هارون الرشيد كان يحب السيدة زبيدة محبة عظيمة وبنى لها مكانا للتنزه وعمل فيه بحيرة من الماء وعمل لها سياجا من الاشجار وارسل اليها الماء من كل جانب فالتفت عليها الاشجار حتى لو دخل احد يغتسل فى تلك البحيرة لم يره احد من كثرة اوراق الشجر فاتفق ان السيدة زبيدة دخلت ذلك المكان يوما واتت الى البحيرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة زبيدة لما دخلت ذلك المكان يوما واتت الى البحيرة وتفرجت على حسنها فاعجبها رونقها والتفاف الاشجار عليها وكان ذلك فى يوم شديد الحر فقلعت اثوابها ونزلت فى البحيرة ووقفت وكانت البحيرة لاتستر من يقف فيها فجعلت تملأ الماء بابريق من لجين وتصب الماء على بدنها فعلم الخليفة بذلك فنزل من قصره يتجسس عليها من خلف اوراق الاشجار فرآها عريانة وقد بان منها ما كان مستورا فلما احست بامير المؤمنين من خلف اوراق الاشجار وعرفت انه راها عريانة التفتت اليه ونظرته فاستحت منه ووضعت يديها على فرجها ففاض من بين يديها لفرط كبره وغلظه فولى من ساعته وهو يتعجب من ذلك وينشد هذا البيت

نظرت عينى لحينى * وذكى وجدى لبينى

ولم يدر بعد ذلك ما يقول فارسل خلف ابى نواس يحضره فلما حضر بين يديه قال له الخليفة انشد فى شعرا فى اوله نظرت عينى لحينى وذكى وجدى لبينى فقال ابو نواس سمعا وطاعة وارتجل فى اقرب اللحظات وانشد هذه الابيات

نظرت عينى لحينى * وذكى وجدى لبينى
من غزال قد سبانى * تحت ظل السدرتين
سكب الماء عليه * بابا ريق اللجين
نظرتنى سترته * فاض من بين اليدين
ليتنى كنت عليه * ساعة او ساعتين

فتبسم امير المؤمنين من كلامه واحسن اليه وانصرف من عنده مسرورا وممايحكى ان امير المؤمنين الرشيد قلق ذات ليلة قلقا شديدا فقام يتمشى فى جوانب قصره فوجد جارية تتمايل من السكر وكان

يهوى تلك الجارية ويحبها محبة عظيمة فلاعبها وجذبها اليه فسقط رداؤها وانحل ازارها فسألها الوصل فقالت امهلني الى ليلة غد يا امير المؤمنين فاني غير متهيئة لك لانه لم يكن لي علم بحضورك فتركها ومضى فلما اقبل النهار واشرقت من شمسه الانوار ارسل اليها غلاما يعرفها ان امير المؤمنين حاضر الى حجرتها فارسلت تقول له كلام الليل يمحوه النهار فقال الرشيد لندمائه انشدوني شعرا فيه كلام الليل يمحوه النهار فقالوا سمعا وطاعة ثم تقدم الرقاشي وانشد هذه الابيات

اما والله لو تجدين وجدي ✻ لولى معرضا عنك القرار
وقد تركتك صبا مستهاما ✻ فتاة لا تزور ولا تزار
اذا وعدتك صدت ثم قالت ✻ كلام الليل يمحوه النهار

وبعد ذلك تقدم ابو مصعب وانشد هذه الابيات

متى تصحو وقلبك مستطار ✻ ولم تهجع وقد منع القرار
اما يكفيك ان العين عبرى ✻ وفي الاحشاء من ذكر السنار
تبسم ضاحكا اذ قال عجبا ✻ كلام الليل يمحوه النهار

ثم تقدم ابو نواس وانشد هذه الابيات

تمادى الحب وانقطع المزار ✻ وجاهرنا فلم يغن الجهار
وليلة اقبلت في القصر سكرى ✻ ولكن زين السكر الوقار
وقد سقط الرداء عن منكبيها ✻ من التخميش وانحل الازار
وهز الريح اردافا ثقالا ✻ وغصنا فيه رمان صغار
فقلت عدي محبك وعد صدق ✻ فقالت في غد يصفو المزار
فجئت غدا وقلت الوعد قالت ✻ كلام الليل يمحوه النهار

فامر الخليفة لكل واحد من الشعراء ببدرة من المال الا ابا نواس فانه امر بضرب عنقه وقال له انت كنت حاضرا معنا في القصر ليلا فقال والله ما نمت الا في بيتي وانما استدللت بكلامك على مضمون الشعر وقد قال الله تعالى وهو اصدق القائلين والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون فعفا عنه وامر له ببدرتين من المال ثم انصرفوا من عنده

ومما يحكى عن مصعب بن الزبير انه وجد عزة في المدينة وكانت من اعقل النساء فقال لها اني عزمت على زواج عائشة بنت طلحة وانا احب منك ان تسيري اليها متأملة لخلقها فسارت اليها ثم رجعت الى مصعب وقالت له رأيت وجهها احسن من العافية لها عينان نجلاوان من تحتهما انف اقنى وخدان اسيلان وفم كفم الرمانة وعنق كابريق فضة وتحت ذلك صدر فيه نهدان كانهما رمانتان وتحت ذلك بطن اقب فيه سرة كانها حق عاج ولها عجيزة كدعص الرمل وفخذان ملفوفتان وساقان كانهما من المرمر عمودان غير اني رأيت في رجلها كبرا وانت تغيب عندها وقت الحاجة فلما وصفتها عزة بتلك الصفات تزوجها مصعب ودخل بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عزة لما وصفت عائشة بنت طلحة بتلك الصفات تزوجها مصعب ودخل بها ثم ان عزة دعت عائشة ونساء قريش الى بيتها فغنت عزة ومصعب قائم بهذين البيتين

وثغر البنات له نكهة ❋ لذيذ المقبل والمبتسم
وماذقته غير ظنى به ❋ وبالظن يحكم فينا الحكم

وليلة دخول مصعب بها لم ينصرف عنها الا بعد سبع مرات فلقيته مولاة له حين اصبح فقالت له فديتك كملت فى كل شئ حتى فى هذا وقالت امرأة كنت عند عائشة بنت طلحة فدخل زوجها فخنت اليه فوقع عليها فشخرت ونخرت واتت من الحركات بالعجائب وبدايع الغرائب وانا اسمع فلما خرج من عندها قلت لها كيف تفعلين هذا وانا فى بيتك مع شرفك ونسبك وحسبك فقالت ان المرأة تأتى لزوجها بكل ما تقدر عليه من المهيجات وغريب الحركات فالذى تكرهينه من ذلك فقلت احب ان يكون ذلك ليلا فقالت ذلك هكذا بالنهار وبالليل افعل اعظم منه لانه حين يرانى تتحرك شهوته وتهيج عليه باءته فيمد يده الى فاطاوعه فيكون ما ترين وبلغنى ان ابا الاسود اشترى جارية حولاء مولدة فاعجب بها فذمها اهله عنده فتعجب منهم وقلب الكفين وانشد هذين البيتين

يعيبونها عندى ولا عيب عندها ❋ سوى ان فى العينين بعض المأثر
فان يك فى العينين عيب فانها ❋ مهفهفة الاعلى رداح المأزر

ومما يحكى ان امير المؤمنين هارون الرشيد كان ليلة بين جاريتين مدنية وكوفية فجعلت الكوفية تكبس يديه والمدنية تكبس رجليه وجعلت ترفع البضاعة فقالت لها الكوفية اراك قد انفردت دوننا برأس المال وحدك فاعطينى نصيبى منه فقالت المدنية حدثنى مالك عن هشام ابن عروة عن ابيه عن النبى انه قال من احيى مواتا فهو له ولعقبه فاستغفلتها الكوفية ثم دفعتها واخذته بيديها جميعا وقالت حدثنا الاعمش عن خيثمة عن عبد الله بن مسعود ان النبى قال الصيد لمن صاده لا لمن اثاره وحكى ايضا ان هارون الرشيد رقد مع ثلاث جوار مكية ومدنية وعراقية فمدت المدنية يدها الى ذكره وانعظته فقامت المكية وجذبته اليها فقالت لها المدنية ما هذا التعدى حدثنى مالك عن الزهرى عن عبد الله ابن سالم عن سعيد بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احيى ارضا ميتة فهى له فقالت المكية حدثنا سفيان عن ابى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصيد لمن صاده لا لمن اثاره فدفعتهما العراقية عنه وقالت هذا الى حتى تنقضى مخاصمتكما ومما يحكى ان رجلا كان عند طاحون وله حمار يطحن عليه وكان له زوجة سوء وهو يحبها وهى تكرهه وكانت تحب جارا لها وهو يبغضها ويمتنع منها فرأى زوجها فى النوم قائلا يقول له احفر فى الموضع الفلانى من مدار الحمار بالطاحون تجد كنزا فلما انتبه من منامه حدث زوجته برؤياه وامرها بكتمان السر فاخبرت بذلك جارها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زوجة الطحان اخبرت جارها الذى تهواه بذلك لاجل ان تتقرب اليه فعاهدها ان يأتيها ليلا فاتاها ليلا وحفر فى مدار الطاحون فوجدا الكنز فاستخرجاه فقال لها الجار كيف نصنع بهذا فقالت نقسمه نصفين بالسوية وتفارق انت زوجتك وانا احتال فى فراق زوجى

ثم تتزوج بى فاذا اجتمعنا جمعنا المال كله على بعضه فيصير بايدينا فقال لها يا جارية انا اخاف ان يطغيك
الشيطان فتأخذى غيرى فان الذهب فى المنزل كالشمس فى الدنيا والرأى السديد ان يكون المال كله
عندى لاحرص انت على الخلاص من زوجك والاتيان الى فقالت له انى ايضا اخاف مثل ما تخاف
انت ولا اسلم اليك نصيبى من هذا المال فانى انا التى قد دللتك عليه فلما سمع منها هذا الكلام دعاه البغى الى
قتلها فقتلها والقاها فى موضع الكنز ثم ادركه النهار فعوقه عن مداراتها فحمل المال وخرج فاستيقظ
الطحان من النوم فلم يجد زوجته فدخل الطاحون وعلق حماره فى الطاحون وصاح عليه فمشى ووقف
فضربه الطحان ضربا شديدا وكلما ضربه يتأخر لانه قد جفل من المرأة الميتة وصار لا يمكنه التقدم كل ذلك
والطحان لا يدرى ما سبب توقف الحمار فاخذ سكينا ونخسه نخسا كثيرا فلم ينتقل من موضعه فغضب
منه وطعنه بها فى خاصرته فسقط الحمار ميتا فلما طلع النهار رأى الطحان الحمار ميتا ورأى زوجته
ميتة ووجدها فى موضع الكنز اشتد غيظه على ذهاب الكنز وهلاك زوجته والحمار وحصل له هم عظيم
فهذا كله من اظهار سره لزوجته وعدم كتمانه له   ومما يحكى ان بعض المغفلين كان سائرا
وبيده مقود حماره وهو يجره خلفه فنظره رجلان من الشطار فقال واحد منهما لصاحبه انا آخذ
هذا الحمار من هذا الرجل فقال له كيف تأخذه فقال له اتبعنى وانا اريك فتبعه فتقدم ذلك الشاطر
الى الحمار وفك منه المقود واعطاه لصاحبه وحط المقود فى رأسه ومشى خلف المغفل حتى علم ان
صاحبه ذهب بالحمار ثم وقف فجره المغفل بالمقود فلم يمش فالتفت اليه فرأى المقود فى رأس رجل
فقال له اى شىء انت فقال له انا حمارك ولى حديث عجيب وهو انه كان لى والدة عجوز صالحة فجئت اليها
فى بعض الايام وانا سكران فقالت لى يا ولدى تب الى الله تعالى من هذه المعاصى فاخذت العصا
وضربتها بها فدعت على فمسخنى الله تعالى حمارا واوقعنى فى يدك فمكثت عندك هذا الزمان كله
فلما كان هذا اليوم تذكرتنى امى وحنن الله قلبها على فدعت لى فاعادنى الله آدميا كما كنت
فقال الرجل لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم بالله عليك يا اخى ان تجعلنى فى حل مما فعلته بك من
الركوب وغيره ثم خلى سبيله ومضى ورجع صاحب الحمار الى داره وهو سكران من الهم والغم فقالت له
زوجته ما الذى دهاك واين الحمار فقال لها انت ما عندك خبر بامر الحمار فانا اخبرك به ثم حكى لها
الحكاية فقالت يا ويلنا من الله تعالى كيف مضى لنا هذا الزمان كله ونحن نستخدم بنى آدم ثم انها تصدقت
واستغفرت وجلس الرجل فى الدار مدة وهو من غير شغل فقالت له زوجته الى متى هذا القعود فى البيت
من غير شغل فامض الى السوق واشتر لنا حمارا واشتغل عليه فمضى الى السوق ووقف عند الحمير واذا هو
بحماره يباع فلما عرفه تقدم اليه ووضع فمه على اذنه وقال له ويلك يا مشؤوم لعلك رجعت الى السكر
وضربت امك والله ما بقيت اشتريك ابدا ثم تركه وانصرف   ومما يحكى ان امير المؤمنين هارون
الرشيد آوى الى فراشه ذات يوم فى وقت الظهيرة فلما رقى السرير الذى ينام عليه وجد منيا طريا
فى فراشه فهاله ذلك وانحرف مزاجه انحرافا شديدا وحصل له غم زائد فدعا السيدة زبيدة فلما حضرت
بين يديه قال لها ما هذا الملقى على الفراش فنظرت اليه ثم قالت له هذا منى يا امير المؤمنين فقال لها
اصدقينى عن سبب هذا المنى والا بطشت بك فى هذا الوقت فقالت له يا امير المؤمنين والله لا اعلم له سببا
وانى بريئة مما توهمته فى فطلب القاضى ابا يوسف وذكر له القصة واراه المنى فرفع القاضى ابو يوسف
رأسه الى السقف فرأى فيه فرجة فقال يا امير المؤمنين ان للخفاش منيا كمنى الرجال وهذا منى خفاش

وطلب

وطلب رمحاً فاخذه بيده وطعن به فى الفرجة فوقع الخفاش فاندفع الوهم عن هارون الرشيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان القاضى ابا يوسف لما اخذ الرمح بيده وطعن به فى الفرجة وقع الخفاش فاندفع الوهم عن هارون الرشيد وظهرت براءة زبيدة ثم انها تفوهت بما انها فرحا ببراءتها واقرت لابى يوسف بجائزة وافرة وكان عندها فاكهة عظيمة فى غير اوانها وتعلم بفاكهة اخرى فى غير اوانها ايضا فى البستان فقالت له يا امام الدين اى الفاكهتين احب اليك الفاكهة الحاضرة او الغائبة فقال مذهبنا لا يحكم على غائب فاذا حضر يحكم عليه فاحضرت له الفاكهتين فاكل من هذه ومن هذه فقالت ما الفرق بينهما فقال كلما اردت ان اشكر احداهما قامت على الاخرى بحجتها فلما سمع الرشيد كلامه ضحك واعطاه الجائزة واعطته ايضا زبيدة الجائزة التى وعدته بها وانصرف من عندهما مسرورا فانظر فضيلة هذا الامام وما حصل على يديه من براءة السيدة زبيدة واظهار السبب وبما يحكى ان الحاكم بامر الله كان راكبا فى موكبه يوما من الايام فمر على بستان فرأى رجلا هنالك وحوله عبيد وخدم فاستسقاهم ماء فسقاه ثم قال لعل امير المؤمنين ان يكرمنى بنزوله عندى فى هذا البستان فنزل الملك ونزل جيشه فى ذلك البستان فاخرج الرجل المذكور مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق من الفاكهة ومائة جام ملآن حلوى ومائة زبدية ملآى بالشربات السكرية فاندهش عقل الحاكم بامر الله من ذلك وقال له ايها الرجل ان خبرك عجيب فهل علمت بمجيئنا فاعددت لنا هذا قال لا والله يا امير المؤمنين ما علمت بمجيئكم وانما انا تاجر من جملة رعيتك ولكن لى مائة محظية فلما اكرمنى امير المؤمنين بنزوله عندى ارسلت الى كل واحدة منهن ان ترسل لى الغداء فى البستان فارسلت كل واحدة منهن شيأ من فراشها وزائدا كلها وشربها فان كل واحدة منهن ترسل لى فى كل يوم طبق طعام وطبق مبردات وطبق فاكهة وجاما ممتلئا حلوى وزبدية شراب وهذا غدائى فى كل يوم لم ازد لك فيه شيأ فسجد امير المؤمنين الحاكم بامر الله شكر الله تعالى وقال الحمد لله الذى جعل فى رعايانا من وسع الله عليه حتى يطعم الخليفة وعسكره من غير استعداد لهم بل من فاضل طعامه ثم امر له بما فى بيت المال من الدراهم المضروبة فى تلك السنة فكانت ثلاثة آلاف الف وسبعمائة الف ولم يركب حتى احضرها واعطاها لذلك الرجل وقال له استعن بها على حالك فان مروتك اكبر من ذلك ثم ركب الملك وانصرف

ومما يحكى ان الملك العادل كسرى انوشروان ركب يوما الى الصيد فانفرد عن عسكره خلف ظبى فبينما هو ساع خلف الظبى اذ رأى ضيعة قريبة منه وكان قد عطش عطشا شديدا فتوجه الى تلك الضيعة وقصد باب دار قوم فى طريقه فطلب ماء ليشرب فخرجت له صبية فابصرته ثم عادت الى البيت وعصرت له عودا واحدا من قصب السكر ومزجت ما عصرته منه بالماء ووضعته فى قدح ووضعت عليه شيأ من الطيب يشبه التراب ثم سلمته الى انوشروان فنظر فى القدح فرأى فيه شيأ يشبه التراب فجعل يشرب منه قليلا حتى انتهى الى آخره ثم قال للصبية ايتها الصبية نعم الماء ما احلاه لولا ذلك القذى الذى فيه فانه كدره فقالت الصبية ايها الضيف انا عمدا القيت فيه ذلك القذى الذى كدره فقال الملك ولم فعلت ذلك فقالت لانى رأيتك شديد العطش وخفت ان تشربه نهلة واحدة فيضرك فلولم يكن فيه قذى لكنت شربته

بسرعة نهلة واحدة وكان يضرب شربه على هذه الطريقة فتعجب الملك العادل انوشيروان من كلامها وذكاء عقلها وعلم ان ما قالته ناشئ عن ذكاء وفطنة وجودة عقل فقال لها من كم عود عصرت ذلك الماء فقالت من عود واحد فتعجب انوشيروان وطلب جريدة الخراج الذي يحصل من تلك القرية فرأى خراجها قليلا فاضمر في نفسه انه اذا عاد الى محله يزيد في خراج تلك القرية وقال قرية يكون في عود واحد منها هذا الماء كيف يكون خراجها هذا القدر القليل ثم انه انصرف عن تلك القرية الى الصيد وفي آخر النهار رجع اليها واجتاز على ذلك الباب منفردا وطلب الماء ليشرب فخرجت له تلك الصبية بعينها فرأته فعرفته ثم عادت لتخرج له الماء فابطأت عليه فاستعجلها انوشيروان وقال لاي شيء ابطأت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك انوشيروان لما استعجل الصبية قال لها لاي شيء ابطأت فقالت له لانه لم يخرج من عود واحد قدر حاجتك فعصرت ثلاثة اعواد ولم يخرج منها مثل ما كان يخرج من عود واحد فقال الملك انوشيروان ما سبب ذلك فقالت سببه ان نية السلطان قد تغيرت فقال لها من اين جاءك هذا فقالت سمعنا من العقلاء انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم زالت بركتهم وقلت خيراتهم فضحك انوشيروان وازال من نفسه ما كان اضمر لهم عليه وتزوج بتلك الصبية حالا حيث اعجبه فرط ذكائها وفطنتها وحسن كلامها ومما يحكى انه كان بمدينة بخارى رجل سقاء يحمل الماء الى دار رجل صائغ ومضى له على تلك الحالة ثلاثون سنة وكان لذلك الصائغ زوجة في غاية الحسن والجمال والبهاء والكمال موصوفة بالديانة والحفظ والصيانة فجاء السقاء على عادته يوما وصب الماء في الجباب وكانت المرأة قائمة في وسط الدار فدنا منها السقاء واخذ يدها وفركها وعصرها ثم مضى وتركها فلما جاء زوجها من السوق قالت اني اريد ان تعرفني اي شيء صنعت هذا اليوم في السوق مما يغضب الله تعالى فقال الرجل ما صنعت شيأ يغضب الله تعالى فقالت المرأة بلى والله انك فعلت شيأ يغضب الله تعالى وان لم تحدثني بما صنعت وتصدقني في حديثك لا اقعد في بيتك ولا تراني ولا اراك فقال اخبرك بما فعلته في يومي هذا على وجه الصدق اتفق انني جالس في الدكان على عادتي اذ جاءتني امرأة الى دكاني وامرتني ان اصوغ لها سوارا وانصرفت فصغت لها سوارا من ذهب ورفعته فلما حضرت اتيتها به فاخرجت يدها ووضعت السوار في ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن زندها الذي يسبي الناظر وتذكرت قول الشاعر

وسواعد تزهو بحسن اساور * كالنار تضرم فوق ماء جار
فكأنها والتبر محتاط بها * ماء تمنطق محجبا بالنار

فاخذت يدها وعصرتها ولويتها فقالت له المرأة الله اكبر لم فعلت هذا الامر ان ذلك الرجل السقاء الذي كان يدخل بيتنا منذ ثلاثين سنة ولم نر فيه خيانة اخذ اليوم يدي وعصرها ولواها فقال الرجل نسأل الله الامان ايتها المرأة اني تائب مما كان مني فاستغفري الله لي فقالت المرأة غفر الله لنا ولك ورزقنا حسن العاقبة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زوجة الصائغ قالت غفر الله لنا ولك ورزقنا حسن العاقبة فلما كان من الغد جاء الرجل السقاء والقى نفسه بين يدى المرأة وتمرغ على التراب واعتذر اليها وقال يا سيدتى اجعلينى فى حل مما اغرانى به الشيطان حيث اضلنى واغوانى فقالت له المرأة امض الى حال سبيلك فان ذلك الخطأ لم يكن منك وانما كان سببه من زوجى حيث فعل ما فعل فى الدكان فاقتص الله منه فى الدنيا وقيل ان الرجل الصائغ لما اخبرته زوجته بما فعل السقاء معها قال دقة بدقة ولو زدت لزاد السقاء فصار هذا الكلام مثلا سائرا بين الناس فينبغى للمرأة ان تكون مع زوجها ظاهرا وباطنا وتقنع منه بالقليل ان لم يقدر على الكثير وتقتدى بعائشة الصديقة وفاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما لتكون من حواشى السلف

ومما يحكى ان خسرو وهو ملك من الملوك كان يحب السمك فكان يوما جالسا فى قاعته هو وشيرين زوجته فجاء صياد ومعه سمكة كبيرة فاهداها لخسرو فاعجبته تلك السمكة فامر له باربعة الاف درهم فقالت له شيرين بئس ما فعلت فقال ولم قالت لانك بعد هذا اذا اعطيت احدا من حشمك هذا القدر يحتقره ويقول انما اعطانى مثل القدر الذى اعطاه للصياد وان اعطيته اقل منه يقول قد احتقرنى واعطانى اقل مما اعطى الصياد فقال خسرو لقد صدقت ولكن يقبح بالملوك ان يرجعوا فى هبتهم وقد فات هذا فقالت شيرين انا ادبر لك امرا فى استرجاع العطية منه فقال لها وكيف ذلك قالت له اذا اردت ذلك فادع الصياد وقل له هل هذه السمكة ذكر او انثى فان قال ذكر فقل له انما اردنا انثى وان قال انثى فقل له انما اردنا ذكرا فارسل خلف الصياد فعاد وكان الصياد صاحب ذكاء وفطنة فقال له الملك خسرو هل هذه السمكة ذكر او انثى فقبل الصياد الارض وقال هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا انثى فضحك خسرو من كلامه وامر له باربعة الاف درهم اخرى فمضى الصياد الى الخازندار وقبض منه ثمانية الاف درهم ووضعها فى جراب كان معه وحملها على عنقه وهم بالخروج فوقع منه درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن كاهله وانحنى على الدرهم فاخذه والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين ايها الملك ارأيت خسة هذا الرجل وسفالته حيث سقط منه درهم لم يسهل عليه ان يتركه ليأخذه بعض غلمان الملك فلما سمع الملك كلامها اشمأز من الصياد وقال لقد صدقت يا شيرين ثم انه امر باعادة الصياد وقال له يا ساقط الهمة لست بانسان كيف وضعت هذا المال عن كاهلك وانحنيت لاجل درهم وبخلت ان تتركه فى مكانه فقبل الصياد الارض وقال اطال الله بقاء الملك اننى لم ارفع ذلك الدرهم عن الارض لخطره عندى وانما رفعته عن الارض لان على احد وجهيه صورة الملك وعلى وجهه الاخر اسمه فخشيت ان يضع احد رجله عليه بغير علم فيكون ذلك استخفافا باسم الملك وصورته فاكون انا المؤاخذ بهذا الذنب فتعجب الملك من قوله واستحسن ما ذكره فامر له باربعة الاف درهم اخرى وامر الملك مناديا ان ينادى فى مملكته ويقول لا ينبغى لاحد ان يقتدى برأى النساء فمن اقتدى برأيهن خسر مع درهمه درهمين

ومما يحكى ان يحيى بن خالد البرمكى خرج من دار الخلافة متوجها الى داره فرأى على باب الدار رجلا فلما قرب منه نهض الرجل قائما وسلم عليه وقال له يا يحيى انا محتاج الى ما فى يدك وقد جعلت الله وسيلتى اليك فامر يحيى ان يفرد له موضع فى داره وامر خازن داره ان يحمل اليه فى كل يوم الف درهم وان يكون طعامه من خاص طعامه فاستمر الرجل على ذلك الحال شهرا كاملا فلما انقضى الشهر كان قد وصل اليه ثلاثون الف درهم فخاف الرجل ان يحيى يأخذ منه الدراهم لكثرتها فانصرف خفية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل اخذ الدراهم وانصرف خفية فاخبروا يحيي بذلك فقال والله لو اقام عندي عمره وطول دهره لما منعته صلتي ولا قطعت عنه اكرام ضيافتي وفضائل البرامكة لا تحصى ومناقبهم لا تستقصى وخصوصا يحيي بن خالد فانه جم المفاخر كما قال فيه الشاعر

سألت الندى هل انت حر فقال لا ✻ ولكنني عبد ليحيي بن خالد
فقلت شراء قال حاشى وانما ✻ توارثني من والد بعد والد

ومما يحكى ان جعفر بن موسى الهادي كانت له جارية عوادة اسمها البدر الكبير ولم يكن في زمانها احسن منها وجها ولا اعدل قدا ولا الطف معنى ولا اعرف بصناعة الغناء وضرب الاوتار وكانت في نهاية الجمال ونهاية الظرف والكمال فسمع بخبرها محمد الامين بن زبيدة والتمس من جعفر ان يبيعها له فقال له جعفر انت تعلم انه لا يليق بمثلي بيع الجواري والمساومة على السراري ولولا انها تربية داري لارسلتها هدية اليك ولم ابخل بها عليك ثم ان محمدا الامين بن زبيدة توجه يوما لقصد الطرب الى دار جعفر فاحضر له ما يحسن حضوره بين الاحباب وامر جارته البدر الكبير ان تغني له وتطربه فاصلحت الالات وغنت باطيب النغمات فاخذ محمد الامين بن زبيدة في الشراب والطرب وامر السقاة ان يكثروا الشراب على جعفر حتى يسكروه ثم اخذ الجارية معه وانصرف الى داره ولم يمد اليها يده فلما اصبح الصباح امر باستدعاء جعفر فلما حضر قدم بين يديه الشراب وامر الجارية ان تغني له من داخل الستارة فسمع جعفر صوتها فعرفها فاغتاظ لذلك ولكن لم يظهر غيظا لشرف نفسه وعلو همته ولم يبد تغيرا في منادمته فلما انقضى مجلس الشراب امر محمد الامين بن زبيدة بعض اتباعه ان يملأ الزورق الذي ركب فيه جعفر اليه من الدراهم والدنانير واصناف الجواهر واليواقيت والثياب الفاخرة والاموال الباهرة ففعل ما امر به حتى انه وضع في الزورق الف بدرة والف درة قيمة الدرة عشرون الف درهم ولم يزل يضع فيه اصناف التحف حتى استغاث الملاحون وقالوا ما يقدر الزورق ان يحمل شيأ آخر وامر بحمله الى دار جعفر وهكذا هم الاكابر رحمهم الله ومما يحكى ان سعيد ابن سالم الباهلي قال اشتد بي الحال في زمن هارون الرشيد واجتمع علي ديون كثيرة اثقلت ظهري وعجزت عن قضائها وضاقت حيلي وبقيت متحيرا لا ادري ما اصنع حيث عسر علي اداؤها اعسارا عظيما واحتاطت ببابي ارباب الديون وتزاحم علي المطالبون ولازمني الغرماء فضاقت حيلتي وازدادت فكرتي فلما رأيت الامور متعسرة والاحوال متغيرة قصدت عبد الله بن مالك الخزاعي والتمست منه ان يمدني برأيه ويرشدني الى باب الفرج بحسن تدبيره فقال عبد الله ابن مالك الخزاعي لا يقدر احد على خلاصك من محنتك وهمك وضيقك وغمك غير البرامكة فقلت ومن يقدر على احتمال تكبرهم ويصبر على تجبرهم فقال تحمل ذلك لاجل اصلاح حالك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله ابن مالك الخزاعي قال لسعيد بن سالم تحمل ذلك لاجل اصلاح حالك فنهضت من عنده ومضيت الى الفضل وجعفر ولدي يحيي ابن خالد وقصصت عليهما قصتي

وابديت لهما حالى فقالا اسعدك الله بعونه واغناك عن خلقه بمنه واجزل لك عظيم خير وقام لك بالكفاية دون غيره انه على ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير فانصرفت من عندهما ورجعت الى عبد الله ابن مالك ضيق الصدر متحير الفكر منكسر القلب واعدت عليه ما قالاه فقال ينبغى ان تقيم اليوم عندنا لننظر ما يقدره الله تعالى لى فجلست عنده ساعة واذا بغلامى قد اقبل وقال يا سيدى ان ببابنا بغالا كثيرة باحمالها ومعها رجل يقول انا وكيل الفضل بن يحيى وجعفر بن يحيى فقال عبد الله بن مالك ارجو ان يكون الفرج قد اقبل عليك فقم وانظر ما الشأن فنهضت من عنده واسرعت عدوا الى بيتى فرأيت ببابى رجلا معه رقعة مكتوب فيها انك لما كنت عندنا وسمعنا كلامك توجهنا بعد خروجك الى الخليفة وعرفناه انه افضى بك الحال الى ذل السؤال فامرنا ان نحمل اليك من بيت المال الف الف درهم فقلنا له هذه الدراهم يصرفها الى غرمائه ويؤدى بها دينه ومن اين يقيم وجه نفقاته فامر لك بثلاثمائة الف درهم اخرى وقد حمل اليك كل واحد منا من خالص ماله الف الف درهم فصارت الجملة ثلاثة الاف الف وثلاثمائة الف درهم تصلح بها احوالك وامورك فانظر الى هذا الكرم من هؤلاء الكرام رحمهم الله تعالى

ومما يحكى ان امرأة فعلت مع زوجها مكيدة وهى ان زوجها اتى لها بسمكة يوم الجمعة وامرها بطبخها واحضارها عقب صلاة الجمعة وانصرف الى اشغاله فجاءها صديقها وطلبها لحضور عرس عنده فامتثلت ووضعت السمكة فى زير عندها وذهبت معه وقعدت غائبة عن بيتها الى الجمعة الثانية وزوجها يفتش فى البيوت ويسأل عنها فلم يخبره احد بخبرها ثم حضرت يوم الجمعة الثانية واخرجت له السمكة بالحياة وجمعت عليه الناس واخبرتهم بالقصة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المرأة لما جاءت لزوجها فى الجمعة الثانية اخرجت السمكة من الزير حية وجمعت عليه الناس فاخبرهم بالقصة فكذبوه وقالوا له لا يمكن ان السمكة تقعد بالحياة هذه المدة واثبتوا جنونه وحبسوه وصاروا يضحكون عليه فافاض دمع العين وانشد هذين البيتين

عجوز تولت فى القبائح منصبا ❊ على وجهها للفاحشات شهود
اذا طمثت قادت وان طهرت زنت ❊ مدى الدهر تزنى تارة وتقود

ومما يحكى انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان امرأة صالحة فى بنى اسرائيل وكانت تلك المرأة دينة عابدة تخرج كل يوم الى المصلى وكان بجانب تلك المصلى بستان فاذا خرجت الى المصلى تدخل ذلك البستان وتتوضأ منه وكان فى البستان شيخان يحرسانه فتعلق الشيخان بتلك المرأة وراوداها عن نفسها فابت فقالا لها ان لم تمكنينا من نفسك لنشهدن عليك بالزنا فقالت لهما الجارية الله يكفينى شركما ففتحا باب البستان وصاحا فاقبل عليهما الناس من كل مكان وقالوا ما خبركما فقالا انا وجدنا هذه الجارية مع شاب يفجر بها وانفلت الشاب من ايدينا وكان الناس فى ذلك الوقت ينادون بفضيحة الزانى ثلاثة ايام ثم يرجمونه فنادوا عليها ثلاثة ايام من اجل الفضيحة وكان الشيخان فى كل يوم يدنوان منها ويضعان ايديهما على رأسها ويقولان لها الحمد لله الذى انزل بك نقمته فلما ارادوا رجمها تبعهم دانيال وهو ابن اثنى عشر سنة وهذه اول معجزة له على نبينا وعليه الصلاة والسلام ولم يزل تابعا لهم حتى لحقهم وقال لا تعجلوا عليها بالرجم حتى اقضى بينهم فوضعوا له كرسيا ثم جلس وفرق بين الشيخين وهو اول

من فرق بين الشهود فقال لاحدهما ما رأيت فذكر له ما جرى فقال له حصل ذلك فى اى مكان فى البستان فقال فى الجانب الشرقى تحت شجرة الكمثرى ثم سأل الثانى على ما رأى فاخبره بما جرى فقال له فى اى مكان فى البستان فقال فى الجانب الغربى تحت شجرة التفاح كل هذا والجارية واقفة رافعة رأسها ويديها الى السماء وهى تدعو الله بالخلاص فانزل الله تعالى صاعقة من العذاب فاحرقت الشيخين واظهر الله تعالى براءة الجارية وهذا اول ما جرى من المعجزات لنبى الله دانيال عليه السلام

ومما يحكى ان امير المؤمنين هارون الرشيد خرج يوما من الايام هو وابو يعقوب النديم وجعفر البرمكى وابو نواس وساروا فى الصحراء فرأوا شيخا متكئا على حمارله فقال هارون الرشيد لجعفر اسأل هذا الشيخ من اين هو فقال له جعفر من اين جئت قال من البصرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جعفر البرمكى لما سأل الرجل وقال له من اين جئت قال من البصرة فقال له جعفر والى اين سيرك قال الى بغداد قال له وما تصنع فيها قال التمس دواء لعينى فقال هارون الرشيد يا جعفر مازحه فقال اذا مازحته اسمع منه ما اكره فقال بحقى عليك ان تمازحه فقال جعفر للشيخ ان وصفت لك دواء ينفعك ما الذى تكافئنى به فقال له الله تعالى يكافئك عنى بما هو خير لك من مكافئتى فقال انصت الى حتى اصف لك هذا الدواء الذى لا اصفه لاحد غيرك فقال له وما هو فقال له جعفر خذ لك ثلاث اواق من هبوب الريح وثلاث اواق من شعاع الشمس وثلاث اواق من زهر القمر وثلاث اواق من نور السراج واجمع الجميع وضعها فى الريح ثلاثة اشهر ثم بعد ذلك ضعها فى هون بلا قعر ودقها ثلاثة اشهر فاذا دققتها فضعها فى جفنة مشقوقة وضع الجفنة فى الريح ثلاثة اشهر ثم استعمل هذا الدواء فى كل يوم ثلاثة دراهم عند النوم واستمر على ذلك ثلاثة اشهر فانك تعافى ان شاء الله تعالى فلما سمع الشيخ كلام جعفر انسطح على حماره وضرط ضرطة منكرة وقال خذ هذه الضرطة مكافاة لك على وصفك هذا الدواء فاذا استعملته ورزقنى الله العافية اعطيتك جارية تخدمك فى حياتك خدمة يقطع الله بها اجلك فاذا مت وعجل الله بروحك الى النار سخمت وجهك بخراها من حزنها عليك وتندب وتلطم وتنوح وتقول فى نياحتها يا بارد الذقن ما اسقع ذقنك فضحك هارون الرشيد حتى استلقى على قفاه وامر لذلك الرجل بثلاثة آلاف درهم وحكى الشريف حسين بن ريان ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب كان جالسا فى بعض الايام للقضاء بين الناس والحكم بين الرعايا وعنده اكابر اصحابه من اهل الرأى والاصابة فبينما هو جالس اذ اقبل عليه شاب من احسن الشباب نظيف الثياب وقد تعلق به شابان من احسن الشباب وقد جذبه الشابان من طوقه واوقفاه بين يدى امير المؤمنين عمر بن الخطاب فنظر امير المؤمنين اليهما واليه فامرهما بالكف عنه وادناه منه وقال للشابين ما قصتكما معه فقالا يا امير المؤمنين نحن اخوان شقيقان وباتباع الحق حقيقان كان لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظم فى القبائل منزه عن الرذائل معروف بالفضائل ربانا صغارا واولانا منننا كبارا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشابين قالا لامير المؤمنين عمر بن الخطاب ان ابانا كان معظما في القبائل منزها عن الرذائل معروفا بالفضائل ربانا صغارا واولانا منننا كبارا جم المناقب والمفاخر حقيقا بقول الشاعر

قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم ✻ كلا لعمري ولكن منه شيبان
فكم اب قد علا بابن ذوى شرف ✻ كما علت برسول الله عدنان

فخرج يوما الى حديقة له ليتنزه في اشجارها ويقتطف يانع اثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الرشاد ونسألك القصاص بما جناه والحكم فيه بما امر الله فنظر عمر الى الشاب نظرة مرهبة وقال له قد سمعت من هذين الغلامين الخطاب فما تقول انت في الجواب وكان ذلك الغلام ثابت الجنان جرى اللسان قد خلع ثياب الهلع ونزع لباس الجزع فتبسم وتكلم بافصح لسان وحيى امير المؤمنين بكلمات حسان ثم قال والله يا امير المؤمنين لقد وعيت ما ادعياه وصدقا فيما قالاه حيث اخبرا بما جرى وكان امر الله قدرا مقدورا ولكن سأذكر قصتي بين يديك والامر فيها اليك اعلم يا امير المؤمنين اني من صميم العرب العرباء الذين هم اشرف من تحت الجرباء نشأت في منازل البادية فاصابت قومي سود السنين العادية فاقبلت الى ظاهر هذه البلد بالاهل والمال والولد وسلكت بعض طرائقها الى المسير بين حدائقها بنياق كريمات لدى عزيزات على بينهن فحل كريم الاصل كثير النسل مليح الشكل به يكثر منهن النتاج ويمشي بينهن كأنه ملك عليه تاج فندت بعض النياق الى حديقة ابيهم وقد ظهر من الحائط شجرها فتناولته بمشفرها فطردتها عن تلك الحديقة واذا بشيخ من خلال الحائط قد ظهر وزفير غيظه يرمي بالشرر وفي يده اليمنى حجر وهو يتهادى كالليث اذا حضر فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله لانه اصاب مقتله فلما رأيت الفحل قد سقط بجانبي آنست ان قلبي قد توقدت فيه جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه وضربته به فكان سببا لحينه ولقى سوء منقلبه والمرء مقتول بما قتل به وعند اصابته بالحجر صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة اليمة فاسرعت بالسير من مكاني فاسرع هذان الشابان وامسكاني والياك احضراني وبين يديك اوقفاني فقال عمر رضى الله تعالى عنه قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعا وطاعة لما حكم به الامام ورضيت بما اقتضته شريعة الاسلام ولكن لي اخ صغير كان له اب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل وسلم امره الى واشهد الله علي وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه بجهدك فاخذت ذلك المال منه ودفنته ولا احد يعلم به الا انا فان حكمت الآن بقتلي ذهب المال وكنت انت السبب في ذهابه وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه وان انت انظرتني ثلاثة ايام اقمت من يتولى امر الغلام وعدت وافيا بالذمام ولي من يضمنني على هذا الكلام فاطرق امير المؤمنين رأسه ثم نظر الى من حضر وقال من يقوم لي بضمانه والعود الى مكانه فنظر الغلام الى وجوه من في المجلس واشار الى ابي ذر دون الحاضرين وقال هذا يكفلني ويضمنني وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما اشار الى ابي ذر وقال هذا يكفلني ويضمنني قال عمر رضى الله تعالى عنه يا ابا ذر اسمعت هذا الكلام وتضمن لي حضور هذا الغلام قال نعم يا امير المؤمنين اضمنه

الى ثلاثة ايام فرضي بذلك واذن للغلام في الانصراف فلما انقضت مدة الامهال وكاد وقتها ان يزول اوزال ولم يحضر الشاب الى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر وابو ذر قد حضر والخصمان ينتظران فقالا اين الغريم يا اباذر كيف رجوع من فر ولكن نحن لا نبرح من مكاننا حتى تأتينا به للاخذ بثارنا فقال ابو ذر وحق الملك العلام ان انقضت الثلاثة ايام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان وسلمت نفسي للامام فقال عمر رضي الله عنه والله ان تأخر الغلام لامضين في ابي ذر ما اقتضته شريعة الاسلام فهملت عبرات الحاضرين وارتفعت زفرات الناظرين وعظم الضجيج فعرض اكابر الصحابة على الشابين اخذ الدية واغتنام الاثنية فابيا ولم يقبلا شيأ الا الاخذ بالثار فبينما الناس يموجون ويضجون تأسفا على ابي ذر اذا اقبل الغلام ووقف بين يدي الامام وسلم عليه باحسن سلام ووجهه مشرق يتهلل وبالعرق يتكلل وقال له قد اسلمت الصبي الى اخواله وعرفتهم بجميع احواله واطلعتهم على ما كان من ماله ثم اقتحمت هاجرة الحر ووافيت وفاء الحر فتعجب الناس من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال له بعضهم ما اكرمك من غلام واوفاك بالعهد والذمام فقال الغلام اما تحققتم ان الموت اذا حضر لا ينجو منه احد وانما وفيت كي لا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال ابو ذر والله يا امير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم اعرفه من اي قوم ولا رأيته قبل ذلك اليوم ولكن لما اعرض عمن حضر وقصدني وقال هذا يضمنني ويكفلني لم استحسن رده وابت المروءة ان تخيب قصده اذ ليس في اجابة القصد من بأس كي لا يقال ذهب الفضل من الناس فعند ذلك قال الشابان يا امير المؤمنين قد وهبنا لهذا الشاب دم ابينا حيث بدل الوحشة بالايناس كي لا يقال ذهب المعروف من الناس واستبشر الامام بالعفو عن الغلام وصدقه ووفائه بالذمام واستكبر مروءة ابي ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف واثنى عليهما ثناء الشاكر وتمثل بقول الشاعر

من يصنع الخير بين الخلق يجزيه ✻ لا يذهب الخير بين الله والناس

ثم عرض عليهما ان يصرف اليهما دية ابيهما من بيت المال فقالا انما عفونا عنه ابتغاء وجه الله الكريم المتعالي ومن نيته كذا لا يتبع احسانه منا ولا اذى ومما يحكى ان المأمون بن هارون الرشيد لما دخل مصر المحروسة اراد هدم الاهرام ليأخذ ما فيها فلما حاول هدمها لم يقدر على ذلك مع انه اجتهد في هدمها وانفق على ذلك اموالا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المأمون اجتهد في هدم الاهرام وانفق على ذلك اموالا عظيمة ولم يقدر على هدمها وانما فتح في احدها طاقة صغيرة ويقال ان المأمون وجد في الطاقة التي فتحها من الاموال قدر الذي انفقه على فتحها لا يزيد ولا ينقص فتعجب المأمون من ذلك ثم اخذ ما هنالك ورجع عن تلك النية والاهرام ثلاثة وهي من عجائب الدنيا لم يكن على وجه الارض مثلها في احكامها واتقانها وعلوها وذلك انها مبنية بالصخور العظام وكان البناؤن الذين بنوها ينقبون الحجر من طرفيه ويجعلون فيه القضبان الحديد قائمة وينقبون الحجر الثاني وينزلونه فيه ويذيبون الرصاص ويجعلونه فوق القضيب بترتيب الهندسة حتى اذا كمل بناؤها وصار ارتفاع كل هرم في الهواء مائة ذراع بالذراع المعهود في ذلك الوقت وهي مربعة الاطراف من كل جانب مضددة الاعالي من اواخرها مقدار الواحد منها ثلاثمائة ذراع

وتقول القدماء ان فى داخل الهرم الغربى ثلاثين مخزنا من حجارة الصوان الملونة مملوءة بالجواهر النفيسة والاموال الجمة والتماثيل الغريبة والالات والاسلحة الفاخرة التى دهنت بالدهان المدبر بالحكمة فلا تصدأ الى يوم القيامة وفيها الزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر واصناف العقاقير المركبة والمياه المدبرة وفى الهرم الثانى اخبار الكهنة مكتوبة فى الواح من الصوان لكل كاهن لوح من الواح الحكمة ومرسوم فى ذلك اللوح عجائب صناعته واعماله وفى الحيطان صور اشخاص كالاصنام تعمل بايديها جميع الصناعات وهى قاعدة على المراتب ولكل هرم منها خازن حارس عليها وتلك الحراس يحفظونها على ممر الزمان من طوارق الحدثان وعجائب الاهرام حيرت ارباب البصائر والابصار وقد كثرت فى وصفها الاشعار ولم تحصل منه على طائل فمن ذلك قول القائل

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
او ماترى الهرمين قد بقيا ولم * يتغيرا بطوارق الحدثان

وقول الاخر

انظر الى الهرمين واسمع منهما * مايرويان عن الزمان الغابر
لو ينطقان لاخبرانا بالذى * فعل الزمان باول وباخر

وقول الاخر

خليلى هل تحت السماء بنية * تضارع فى اتقانها اهرمى مصر
بناء يخاف الدهر منه وكلما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفى بديع بنائها * ولم يتنزه فى المراد بها فكرى

وقول الاخر

اين الذى الهرمان من بنيانه * ماقومه مايومه ماالمصرع
تتخلف الاثار عن اصحابها * حينا ويدركها الممات فتصرع

ومما يحكى ان رجلا كان لصا وتاب الى الله تعالى وحسنت توبته وفتح له دكانا يبيع فيها القماش ولم يزل على ذلك مدة من الزمان فاتفق فى بعض الايام انه اغلق دكانه ومضى الى بيته فجاء اللصوص المحتالين وتزيا بزى صاحب الدكان واخرج من كمه مفاتيح وكان ذلك ليلا وقال لحارس السوق اشعل لى هذه الشمعة فاخذها منه الحارس ومضى ليشعلها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الثلاثمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الحارس اخذ منه الشمعة ومضى ليشعلها ففتح اللص الدكان واشعل شمعة اخرى كانت معه فلما جاء الحارس وجده جالسا فى الدكان ودفتر الحساب فى يده وهو ينظر اليه ويحسب باصابعه ولم يزل على تلك الحالة الى وقت السحر ثم قال للحارس ائتنى بجمال وجمله ليحمل لى بعض البضائع فاتاه بجمال وجمله فتناول اربع رزم من القماش وناولها له فحملها على الجمل ثم اغلق الدكان واعطى الحارس درهمين ومضى خلف الجمال والحارس معتقد انه صاحب الدكان فلما اصبح الصباح واتضح النهار جاء صاحب الدكان فجعل الحارس يدعو له لاجل الدرهمين فانكر صاحب الدكان مقالته وتعجب منها فلما فتح الدكان وجد سيلان الشمع ودفتر الحساب مطروحا وتأمل فى الدكان

فوجد اربع رزم من القماش مفقودة فقال للحارس ما الخبر فحكى له ما صنع بالليل ومقاولة الجمال على
الرزم فقال له ائتني بالجمال الذي حمل القماش معك مصرا فقال سمعا وطاعة ثم اتاه به فقال له الى اين حملت
القماش مصرا فقال له الى الموردة الفلانية ووضعته في مركب فلان فقال له سر معي اليها فمضى معه اليها
وقال له هذه المركب وهذا صاحبها فقال للمراكبي الى اين حملت التاجر والقماش فقال له الى المكان
الفلاني واتاني بجمال فحمل القماش على جمله ومضى ولم اعرف الى اين ذهب فقال له ائتني بالجمال الذي
حمل من عندك القماش فاتاه به فقال له الى اين حملت القماش من المركب مع التاجر فقال الى موضع
كذا فقال له سر معي اليه وارني اياه فمضى معه الجمال الى مكان بعيد عن الشاطئ وعرفه الخان
الذي وضع فيه القماش واراه حاصل التاجر فتقدم الى الحاصل وفتحه فوجد الاربع رزم القماش بحالها
لم تفك فناولها الى الجمال وكان اللص قد وضع كساءه على القماش فناوله صاحب القماش الى الجمال
ايضا فحمل الجميع على الجمل ثم اغلق الحاصل وذهب مع الجمال واذا باللص واجهه فتبعه الى ان نزل القماش
في المركب فقال له يا اخي انت في وداعة الله وقد اخذت قماشك وما ضاع منه شيء فاعطني الكساء فضحك
منه التاجر واعطاه الكساء ولم يشوش عليه وانصرف كل منهما الى حال سبيله   ومما يحكى
ان امير المؤمنين هارون الرشيد قلق ليلة من الليالي قلقا شديدا فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكي
اني ارقت في هذه الليلة وضاق صدري ولم اعرف كيف اصنع وكان خادمه مسرور واقفا امامه
فضحك فقال له الخليفة مم تضحك اتضحك استخفافا بي ام جنونا منك فقال لا والله يا امير المؤمنين وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان هارون الرشيد قال لمسرور السياف اتضحك استخفافا بي ام جنونا منك
فقال لا والله يا امير المؤمنين وحق قرابتك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك باختياري ولكنني خرجت
بالامس اتمشى بظاهر القصر حتى وصلت الى شاطئ الدجلة فرأيت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا
يضحك الناس يقال له ابن القاربي فتذكرت الان كلامه فغلب علي الضحك واطلب منك العفو يا امير
المؤمنين فقال الخليفة علي به في هذه الساعة فخرج مسرور مسرعا الى ان وصل الى ابن القاربي وقال له
اجب امير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فقال له مسرور ولكن بشرط انك اذا دخلت عليه وانعم عليك
بشيء يكون لك فيه الربع والبقية لي فقال له ابن القاربي بل لك النصف ولي النصف فقال له مسرور لا
فقال له ابن القاربي لك الثلث ولي الثلثان فاجابه مسرور الى ذلك بعد جهد جهيد ثم قام معه فلما دخل على
امير المؤمنين حياه بتحية الخلافة ووقف بين يديه فقال له امير المؤمنين اذا انت لم تضحكني ضربتك
بهذا الجراب ثلاث مرات فقال ابن القاربي في نفسه وما عسى ان تكون ثلاث ضربات بهذا الجراب
مع ان ضرب السياط لا يضرني وظن ان الجراب فارغ ثم تكلم بكلام يضحك المغتاظ واتى بانواع السخرية
فلم يضحك امير المؤمنين ولم يتبسم فتعجب ابن القاربي منه وضجر وخاف فقال له امير المؤمنين الان استحقيت
الضرب ثم اخذ الجراب وضربه به مرة وكان فيه اربع زلطات كل زلطة زنتها رطلان فوقعت الضربة
في رقبته فصرخ صرخة عظيمة وتذكر الشرط الذي بينه وبين مسرور فقال العفو يا امير المؤمنين اسمع
مني كلمتين فقال له قل ما بدا لك فقال ان مسرورا اشترط علي شرطا واتفقت معه عليه وهو ان ما حصل لي

من

من انعام امير المؤمنين يكون لى منه الثلث وله الثلثان وما اجابنى الى ذلك الا بعد جهد عظيم قال الان لم تبق على الا الضرب وهذه الضربة نصيبى والضربتان الباقيتان نصيبه فانا قد اخذت نصيبى وها هو واقف يا امير المؤمنين فادفع له نصيبه فلما سمع امير المؤمنين كلامه ضحك حتى استلقى على قفاه ودعا بمسرور فضربه ضربة فصاح وقال يا امير المؤمنين يكفينى الثلث واعطه الثلثين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الاولى بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مسرورا قال يا امير المؤمنين يكفينى الثلث واعطه الثلثين فضحك عليهما وامر لكل واحد منهما بالف دينار وانصرفا مسرورين بما انعم عليهما الخليفة ومما يحكى ان امير المؤمنين هارون الرشيد كان له ولد قد بلغ من العمر ستة عشر عاما وكان معرضا عن الدنيا وسالكا طريقة الزهاد والعباد فكان يخرج الى المقابر ويقول قد كنتم تملكون الدنيا فما ذلك بمنجيكم وقد صرتم الى قبوركم فيا ليت شعرى ما قلتم وما قيل لكم ويبكى بكاء الخائف الواجل وينشد قول القائل

تروعنى الجنائز كل وقت ❊ ويحزننى بكاء النائحات

فاتفق ان اباه مر عليه فى بعض الايام وهو فى موكبه وحوله وزراؤه وكبراء دولته واهل مملكته فرأوا ولد امير المؤمنين وعلى جسده جبة من صوف وعلى رأسه مئزر من صوف فقال بعضهم لبعض لقد فضح هذا الولد امير المؤمنين بين الملوك فلو عاتبه لرجع عما هو فيه فسمع امير المؤمنين كلامهم فكلمه فى ذلك وقال له يا بنى لقد فضحتنى بما انت عليه فنظر اليه ولده ولم يجبه ثم نظر الى طائر على شرافة من شراريف القصر فقال له ايها الطائر بحق الذى خلقك ان تسقط على يدى فانقض الطائر على يد الغلام ثم قال له ارجع موضعك فرجع الى موضعه ثم قال له اسقط على يد امير المؤمنين فابى ان يسقط على يده فقال الغلام لابيه امير المؤمنين انت الذى فضحتنى بين الاولياء بحبك الدنيا وقد عزمت على مفارقتك مفارقة لا اعود اليك بعدها الا فى الاخرة ثم انحدر الى البصرة فكان يعمل مع الفعلة فى الطين وكان لا يعمل فى كل يوم الا بدرهم ودانق فيتقوت بالدانق ويتصدق بالدرهم قال ابو عامر البصرى وكان قد وقع فى دارى حائط فخرجت الى موقف الفعلة لانظر رجلا يعمل لى فيه فوقعت عينى على شاب مليح ذى وجه صبيح فجئت اليه وسلمت عليه وقلت له يا حبيبى اتريد الخدمة فقال نعم فقلت قم معى الى بناء حائط فقال لى بشروط اشترطها عليك قلت يا حبيبى ما هى قال الاجرة درهم ودانق واذا اذن المؤذن تتركنى حتى اصلى مع الجماعة قلت نعم ثم اخذته وذهبت به الى المنزل فخدم خدمة لم ار مثلها وذكرت له الغداء فقال لا فعلمت انه صائم فلما سمع الاذان قال لى قد علمت الشرط فقلت نعم فحل حزامه وتفرغ للوضوء فتوضأ وضوأ لم ار احسن منه ثم خرج الى الصلاة فصلى مع الجماعة ثم رجع الى خدمته فلما اذن العصر توضأ وذهب الى الصلاة ثم عاد الى الخدمة فقلت له يا حبيبى قد انتهى وقت الخدمة فان خدمة الفعلة الى العصر فقال سبحان الله انما خدمتى الى الليل ولم يزل يخدم الى الليل فاعطيته درهمين فلما رآهما قال ما هذا قلت له والله ان هذا بعض اجرتك لاجتهادك فى خدمتى فرمى بهما الى وقال لا اريد زيادة على ما كان بينى وبينك فرغبته فلم اقدر عليه فاعطيته درهما ودانقا وسار فلما اصبح الصباح بكرت الى الموقف

فلم اجده فسألت عنه فقيل لى انه لا يأتى هاهنا الا فى يوم السبت فقط فلما كان يوم السبت الثانى ذهبت الى ذلك المكان فوجدته فقلت له بسم الله تفضل الى الخدمة فقال لى على الشروط التى تعلمها قلت نعم فذهبت به الى دارى ووقفت انظره وهو لا يرانى فاخذ كفا من الطين ووضعه على الحائط فاذا الحجارة يتركب بعضها على بعض فقلت هكذا اولياء الله فخدم يومه ذلك وزاد فيه على ما تقدم فلما كان الليل دفعت له اجرته فاخذها وسار فلما جاء يوم السبت الثالث اتيت الى الموقف فلم اجده فسألت عنه فقيل لى هو مريض وراقد فى خيمة فلانة وكانت تلك المرأة عجوزا مشهورة بالصلاح ولها خيمة من قصب فى الجبانة فسرت الى الخيمة ودخلتها فاذا هو مضطجع على الارض وليس تحته شئ وقد وضع رأسه على لبنة ووجهه يتهلل نورا فسلمت عليه فرد على السلام فجلست عند رأسه ابكى على صغر سنه وغربته وتوفيقه لطاعة ربه ثم قلت له الك حاجة قال نعم قلت وما هى قال اذا كان الغد تجئ الى فى وقت الضحى فتجدنى ميتا فتغسلنى وتحفر قبرى ولا تعلم بذلك احدا وتكفننى فى هذه الجبة التى على بعد ان تفتقها تفتش جيبها وتخرج ما فيه وتحفظه عندك فاذا صليت على وواريتنى فى التراب فاذهب الى بغداد وارتقب الخليفة هارون الرشيد حتى يخرج وادفع له ما تجده فى جيبى واقرئه منى السلام ثم تشهد واثنى على ربه بابلغ الكلمات وانشد هذه الابيات

بلغ امانة من وافت منيته * الى الرشيد فان الاجر فى ذلك
وقل غريب له شوق لرؤيتكم * على تمادى الهوى والبعد بالك
ما صده عنك بغض لا ولا ملل * لان قربته من لثم يمناك
وانما ابعدته عنك يا ابتى * نفس لها عفة عن نيل دنياك

ثم ان الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الغلام بعد ذلك اشتغل بالاستغفار والصلاة والسلام على سيد الابرار وتلاوة بعض الايات ثم انشد هذه الابيات

يا والدى لا تغتر بتنعم * فالعمر ينفد والنعيم يزول
واذا علمت بحال قوم ساءهم * فاعلم بانك عنهم مسؤل
واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بانك بعدها محمول

قال ابو عامر البصرى فلما فرغ الغلام من وصيته وانشاده ذهبت عنه وتوجهت الى بيتى فلما اصبح الصباح ذهبت اليه من الغد وقت الضحى فوجدته قد مات رحمة الله عليه فغسلته وفتقت جبته فوجدت فى جيبها ياقوتة تساوى الافا من الدنانير فقلت فى نفسى والله ان هذا الفتى لقد زهد فى الدنيا غاية الزهد ثم بعد ان دفنته توجهت الى بغداد ووصلت الى دار الخلافة وصرت ارتقب خروج الرشيد الى ان خرج فتعرضت له فى بعض الطرق ودفعت اليه الياقوتة فلما رآها عرفها وخر مغشيا عليه فقبض على الخدمة فلما افاق قال للخدمة افرجوا عنه وارسلوه برفق الى القصر ففعلوا ما امرهم به فلما دخل قصره طلبنى وادخلنى محله وقال لى ما فعل صاحب هذه الياقوتة فقلت له قد مات ووصفت له حاله فجعل يبكى ويقول انتفع الولد وخاب الوالد ثم نادى يا فلانة فخرجت امرأة فلما رأتنى ارادت ان ترجع فقال لها تعالى وما عليك منه فدخلت وسلمت

فرمى اليها الياقوتة فلما رأتها صرخت صرخة عظيمة ووقعت مغشيا عليها فلما افاقت من غشيتها قالت يا امير المؤمنين ما فعل الله بولدي فقال لي اخبرها بشأنه واخذته العبرة فاخبرتها بشأنه فجعلت تبكي وتقول بصوت ضعيف ما اشوقني الى لقائك يا قرة عيني ليتني كنت اسقيك اذا لم تجد ساقيا ليتني كنت اؤانسك اذا لم تجد مؤانسا ثم سكبت العبرات وانشدت هذه الابيات

ابكي غريبا اتاه الموت منفردا * لم يلق الفا له يشكو الذي وجدا
من بعد عز وشمل كان مجتمعا * اضحى فريدا وحيدا لا يرى احدا
يبين للناس ما الايام تضمره * لم يترك الموت منا واحدا ابدا
يا غائبا قد قضى ربي بغربته * وصار مني بعد القرب مبتعدا
ان ايأس الموت من لقياك يا ولدي * فاننا نلتقي يوم الحساب غدا

فقلت يا امير المؤمنين اهو ولدك قال نعم وقد كان قبل ولايتي هذا الامر يزور العلماء ويجالس الصالحين فلما وليت هذا الامر نفر مني وباعد نفسه عني فقلت لامه ان هذا الولد منقطع الى الله تعالى وربما تصيبه الشدائد ويكابد بالامتحان فادفعي اليه هذه الياقوتة ليجدها وقت الاحتياج اليها فدفعتها اليه وعزمت عليه ان يمسكها فامتثل امرها واخذها منها ثم ترك لنا دنيانا وغاب عنا ولم يزل غائبا عنا حتى لقي الله عز وجل تقيا نقيا ثم قال قم فارني قبره فخرجت معه وجعلت اسير الى ان اريته اياه فجعل يبكي وينتحب حتى وقع مغشيا عليه فلما افاق من غشيته استغفر الله وقال انا لله وانا اليه راجعون ودعا له بخير ثم سألني الصحبة فقلت له يا امير المؤمنين ان لي في ولدك اعظم العظات ثم انشدت هذه الابيات

انا الغريب فلا آوي الى احد * انا الغريب وان امسيت في بلدي
انا الغريب فلا اهل ولا ولد * وليس لي احد يأوي الى احد
الى المساجد آوي بل واعمرها * فلن يفارقها قلبي مدى الابد
فالحمد لله رب العالمين على * افضاله ببقاء الروح في الجسد

ومما يحكى عن بعض الفضلاء انه قال مررت بفقيه في كتاب وهو يقرئ الصبيان فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح فاقبلت عليه فقام الي واجلسني معه فمارسته في القراآت والنحو والشعر واللغة فاذا هو كامل في كل ما يراد منه فقلت له قوى الله عزمك فانك عارف بكل ما يراد منك ثم عاشرته مدة وكل يوم يظهر لي فيه حسن فقلت في نفسي ان هذا شئ عجيب من فقيه يعلم الصبيان مع ان العقلاء اتفقوا على نقص عقل معلم الصبيان ثم فارقته وكنت كل ايام قلائل انفقده وازوره فاتيت اليه في بعض الايام على عادتي من زيارته فوجدت الكتاب مغلوقا فسألت جيرانه فقالوا انه مات عنده ميت فقلت في نفسي وجب علينا ان نعزيه فجئت الى بابه وطرقته فخرجت لي جارية وقالت ما تريد فقلت اريد مولاك فقالت ان مولاي قاعد في العزاء وحده فقلت لها قولي له ان صديقك فلان يطلب ان يعزيك فراحت واخبرته فقال لها دعيه يدخل فاذنت لي في الدخول فدخلت اليه فرأيته جالسا وحده ومعصبا رأسه فقلت له عظم الله اجرك وهذا سبيل لابد لكل احد منه فعليك بالصبر ثم قلت له من الذي مات لك فقال اعز الناس علي واحبهم الي فقلت لعله والدك فقال لا قلت والدتك قال لا قلت اخوك قال لا قلت احد من اقاربك قال لا قلت فما نسبته اليك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذا اول المباحث في قلة عقله ثم قلت له قد يوجد غيرها مما هو احسن منها فقال انا ما رأيتها حتى اعرف ان كان غيرها احسن منها اولا فقلت في نفسي وهذا مبحث

ثان فقلت له وكيف عشقت من لاتراها فقال اعلم انى كنت جالسا فى الطاقة واذا برجل عابر طريق يغنى بهذا البيت

يا ام عمرو جزاك الله مكرمة * ردى على فؤادى اينما كانا

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الفقيه قال لما غنى الرجل المار فى الطريق بالشعر الذى سمعته منه قلت فى نفسى لولا ان ام عمرو هذه ما فى الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها فتعلقت بحبها فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو ينشد هذا البيت

اذا ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت فحزنت عليها ومضى لى ثلاثة ايام وانا فى العزاء فتركته وانصرفت بعد ما تحققت قلة عقله ومما يحكى من قلة عقل معلم الصبيان انه كان رجل فقيه فى مكتب فدخل عليه رجل ظريف وجلس عنده ومارسه فرآه فقيها نحويا لغويا شاعرا اديبا فهيما لطيفا فتعجب من ذلك وقال ان الذين يعلمون الصبيان فى المكاتب ليس لهم عقل كامل فلما هم بالانصراف من عند الفقيه قال له انت ضيفى فى هذه الليلة فاجابه الى الضيافة وتوجه صحبته الى منزله فاكرمه واتى له بالطعام فاكلا وشربا ثم جلسا بعد ذلك يتحدثان الى ثلث الليل وبعد ذلك جهز له الفراش وطلع الى حريمه فاضطجع الضيف واراد النوم واذا بصراخ كثير ثار فى حريمه فسأل ما الخبر فقالوا له ان الشيخ حصل له امر عظيم وهو فى آخر رمق فقال اطلعونى له فطلعوه له ودخل عليه فرآه مغشيا عليه ودمه سائل فرش الماء على وجهه فلما افاق قال له ما هذا الحال انت طلعت من عندى فى غاية ما يكون من الحظ وانت صحيح البدن فما اصابك فقال له يا اخى انى بعد ما طلعت من عندك جلست اتذكر فى مصنوعات الله تعالى وقلت فى نفسى كل شىء خلقه الله للانسان فيه نفع لان الله سبحانه خلق اليدين للبطش والرجلين للمشى والعينين للنظر والاذنين للسماع والذكر للجماع وهلم جرا الا هذين البيضتين ليس بهما نفع فاخذت موسى كان عندى وقطعتهما فحصل لى هذا الامر فنزل من عنده وقال صدق من قال ان كل فقيه يعلم الصبيان ليس له عقل كامل ولو كان يعرف جميع العلوم

وحكى ايضا ان بعض المجاورين كان لا يعرف الخط ولا القراءة وانما كان يحتال على الناس بحيل يأكل منها الخبز فخطر بباله يوما من الايام انه يفتح له مكتبا ويقرى فيه الصبيان فجمع الواحا واوراقا مكتوبة وعلقها فى مكان وكبر عمامته وجلس على باب المكتب فصار الناس يمرون عليه وينظرون الى عمامته والى الالواح والاوراق فيظنون انه فقيه جيد فيأتون اليه باولادهم فصار يقول لهذا اكتب ولهذا اقرأ فصار الاولاد يعلم بعضهم بعضا فبينما هو ذات يوم جالس فى باب المكتب على عادته واذا بامرأة مقبلة من بعيد وبيدها مكتوب فقال فى باله لا بد ان هذه المرأة تقصدنى لاقرأ لها المكتوب الذى معها فكيف يكون عملى معها وانا لا اعرف قراءة الخط وهم بالنزول ليهرب منها فلحقته قبل ان ينزل وقالت له الى اين فقال لها اريد ان اصلى الظهر واعود فقالت له الظهر بعيد فاقرأ لى هذا الكتاب فاخذه منها وجعل اعلاه اسفله وصار ينظر اليه ويهز عمامته تارة ويرقص حواجبه تارة اخرى ويظهر غيظا وكان زوج المرأة غائبا والكتاب مرسل اليها من عنده فلما رأت الفقيه على تلك الحالة قالت فى نفسها لا شك أن زوجى مات وهذا الفقيه يستحى ان يقول

لى انه مات فقالت له ياسيدى ان كان مات قل لى فهز رأسه وسكت فقالت له المرأة هل اشق ثيابى فقال لها شق فقالت له هل الطم وجهى فقال لها الطمى فاخذت الكتاب من يده وعادت الى منزلها وصارت تبكى هى واولادها فسمع بعض جيرانها البكاء فسألوا عن حالها فقيل لهم انه جاءها كتاب بموت زوجها فقال الرجل ان هذا كلام كذب لان زوجها ارسل لى مكتوبا بالامس يخبر فيه انه طيب بخير وعافية وانه بعد عشرة ايام يكون عندها فقام من ساعته وجاء الى المرأة وقال لها اين الكتاب الذى جاءك فجاءت به اليه فاخذه منها وقرأه واذا فيه اما بعد فانى طيب بخير وعافية وبعد عشرة ايام اكون عندكم وقد ارسلت اليكم ملحفة ومكمرة فاخذت الكتاب وعادت به الى الفقيه وقالت له ما حملك على الذى فعلته معى واخبرته بما قال جارها من سلامة زوجها وانه ارسل اليها ملحفة ومكمرة فقال لها صدقت ولكن يا حرمة اعذرينى فانى كنت فى تلك الساعة مغتاظا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المرأة لما قالت للفقيه ما حملك على الذى فعلته معى فقال لها انى كنت فى تلك الساعة مغتاظا مشغول الخاطر ورأيت المكمرة ملفوفة فى الملحفة فظننت انه مات وكفنوه وكانت المرأة لا تعرف الحيلة فقالت له انت معذور واخذت الكتاب منه وانصرفت وحكى ان ملكا من الملوك خرج مستخفيا ليطلع على احوال رعيته فوصل الى قرية عظيمة فدخلها منفردا وقد عطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امرأة جميلة بكوز ماء فناولته اياه فشرب فلما نظر اليها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فدخلت به بيتها واجلسته واخرجت له كتابا وقالت انظر فى هذا الى ان اصلح امرى وارجع اليك فجلس يطالع فى الكتاب واذا فيه الزجر عن الزنا وما اعده الله لاهله من العذاب فاقشعر جلده وتاب الى الله تعالى وصاح بالمرأة واعطاها الكتاب وذهب وكان زوج المرأة غائبا فلما حضر اخبرته بالخبر فتحير وقال فى نفسه اخاف ان يكون وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فاعلمت المرأة اقاربها بما حصل لها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما امتثلوا بين يديه قال اقارب المرأة اعز الله الملك ان هذا الرجل استأجر منا ارضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يتركها حتى نؤجرها لمن يزرعها ولا هو يزرعها وقد حصل الضرر للارض فنخاف فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك ما الذى يمنعك من زرع ارضك فقال اعز الله الملك انه قد بلغنى ان الاسد قد دخل الارض فهبته ولم اقدر على الدنو منها لعلمى انه لا طاقة لى بالاسد واخاف منه ففهم الملك القصة وقال له يا هذا ان ارضك لم يطأها الاسد وارضك طيبة الزرع فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد لا يعدو عليها ثم انه امر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفهم ومما يحكى ان رجلا من اهل المغرب كان سافر الاقطار وجاب القفار والبحار فالقته المقادير فى جزيرة واقام فيها مدة طويلة ثم رجع الى بلده ومعه قصبة ريشة من جناح فرخ الرخ وهو فى البيضة ولم يخرج منها الى الوجود وكانت تلك القصبة تسع قربة ماء وقيل ان طول جناح فرخ الرخ حين خروجه من البيضة الف باع وكان الناس يتعجبون من تلك القصبة حين رؤها وكان هذا الرجل اسمه عبد الرحمن المغربى واشتهر بالصينى لكثرة اقامته هناك وكان يحدث بالعجائب منها ما ذكره من انه سافر فى بحر الصين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عبد الرحمن المغربى الصينى كان يحدث بالعجائب منها ما ذكره من انه سافر فى بحر الصين مع جماعة فرأوا جزيرة على بعد فرست بهم المركب على تلك الجزيرة فرأوها عظيمة واسعة فخرج اليها اهل تلك السفينة ليأخذوا ماء وحطبا ومعهم الفؤوس والحبال والقرب وذلك الرجل معهم فرأوا فى الجزيرة قبة عظيمة بيضاء لامعة طولها مائة ذراع فلما رأوها قصدوها ودنوا منها فوجدوها بيضة الرخ فجعلوا يضربونها بالفؤوس والحجارة والخشب حتى انشقت عن فرخ الرخ فوجدوه كالجبل الراسخ فنتفوا ريشة من جناحه ولم يقدروا على نتفها منه الا بتعاونهم مع انه لم يتكامل خلق الريش فى ذلك الفرخ ثم اخذوا ما قدروا عليه من لحم الفرخ وحملوه معهم وقطعوا اصل الريشة من حد القصبة وحلوا قلوع المركب وسافروا طول الليل الى طلوع الشمس وكانت الريح مسعفة لتلك السفينة وهى سائرة بهم فبينما هم كذلك اذا اقبل الرخ كالسحابة العظيمة وفى رجليه صخرة كالجبل العظيم اكبر من السفينة فلما حاذى السفينة وهو فى الجو القى الصخرة عليها وعلى من بها من الناس وكانت السفينة مسرعة فى الجرى فسبقت فوقعت الصخرة فى البحر وكان لوقوعها هول عظيم وكتب الله لهم السلامة ونجاهم من الهلاك وطبخوا ذلك اللحم واكلوه وكان فيهم مشايخ بيض اللحى فلما اصبحوا وجدوا لحاهم قد اسودت ولم يشب بعد ذلك احد من القوم الذين اكلوا من ذلك اللحم وكانوا يقولون ان سبب عود شبابهم اليهم وامتناع المشيب عنهم ان العود الذى حركوا به القدر كان من شجرة النشاب وبعضهم يقول سبب ذلك لحم فرخ الرخ وهذا من اعجب العجب ومما يحكى ان النعمان ابن المنذر ملك العرب كان له بنت تسمى هندا وقد خرجت فى يوم الفصح وهو عيد النصارى لتتقرب فى البيعة البيضاء ولها من العمر احد عشر عاما وكانت اجمل نساء عصرها وزمانها وفى ذلك اليوم كان عدى بن زيد قد قدم الى الحيرة من عند كسرى بهدية الى النعمان فدخل البيعة البيضاء ليتقرب وكان مديد القامة حلو الشمائل حسن العينين نقى الخد ومعه جماعة من قومه وكان مع هند بنت النعمان جارية تسمى مارية وكانت مارية تعشق عديا ولكنها لا يمكنها الوصول اليه فلما رأته فى البيعة قالت لهند انظرى الى هذا الفتى فهو والله احسن من كل من ترين قالت هند ومن هو قالت عدى بن زيد قالت هند بنت النعمان اخاف ان يعرفنى ان دنوت منه حتى اراه من قريب قالت مارية ومن اين يعرفك وما رآك قط فدنت منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله وحسن كلامه وفصاحة لسانه وما عليه من الثياب الفاخرة فلما نظرت اليه افتتنت به واندهش عقلها وتغير لونها فلما عرفت مارية ميلها اليه قالت لها كلميه فكلمته وانصرفت فلما نظر اليها وسمع كلامها افتتن بها واندهش عقله وارتجف قلبه وتغير لونه حتى انكر عليه الفتيان فاسر الى بعضهم انه يتبعها ويكشف له خبرها فمضى خلفها ثم عاد اليه واخبره انها هند بنت النعمان فخرج من البيعة وهو لا يدرى اين الطريق من شدة عشقه ثم انشد هذين البيتين

يا خليلى تزدعا تيسيرا * ان تؤما الى البقاع مسيرا
عرجا بى على ديار لهند * ثم روحا وخبرا تخبيرا

فلما فرغ من شعره ذهب الى مكانه وبات ليلته قلقا لم يذق طعم النوم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عديا لما فرغ من شعره ذهب الى بيته وبات ليلته قلقا لم يذق طعم النوم فلما اصبح تعرضت له مارية فلما رآها هش لها وكان قبل ذلك لا يلتفت اليها ثم قال لها ما مرادك قالت ان لى حاجة اليك قال اذكريها فوالله لا تسأليني شيأ الا اعطيتك اياه فاخبرته انها تهواه وان حاجتها اليه الخلوة فسمح لها بذلك بشرط ان تحتال فى هند وتجمع بينها وبينه وادخلها حانوت خمار فى بعض دروب الحيرة وواقعها ثم خرجت واتت هندا فقالت لها اما تشتهين ان ترى عديا قالت وكيف لى بذلك وقد اقلقنى الشوق اليه ولا يقر لى قرار من البارحة فقالت انا اعده بمكان كذا وكذا وتنظرين اليه من القصر فقالت هند افعلى ما شئت واتفقت معها على ذلك الموضع فاتى عدى فاشرفت عليه فلما رأته كادت ان تسقط من اعلاه ثم قالت يا مارية ان لم تدخليه على فى هذه الليلة هلكت ثم وقعت مغشيا عليها فحملتها وصائفها وادخلنها القصر فبادرت مارية الى النعمان واخبرته بخبرها واصدقته الحديث وذكرت له انها هامت بعدى واعلمته انه ان لم يزوجها به افتضحت وماتت من عشقه ويكون ذلك عارا عليه بين العرب وانه لا حيلة فى ذلك الامر الا تزويجها به فاطرق النعمان ساعة يفكر فى امرها واسترجع مرارا ثم قال ويلك وكيف الحيلة فى تزويجها به وانا لا احب ان ابتدئه بذلك الكلام فقالت هو اشد عشقا منها واكثر رغبة فيها فانا احتال فى ذلك من حيث لا يعلم انك عرفت امره ولا تفضح نفسك ايها الملك ثم انها ذهبت الى عدى واخبرته بالخبر وقالت له اصنع طعاما ثم ادع الملك اليه فاذا اخذ منه الشراب فاخطبها منه فانه غير رادك فقال اخشى ان يغضبه ذلك فيكون سببا للعداوة بيننا فقالت له ما جئتك الا بعد ما فرغت من الحديث معه وبعد ذلك رجعت الى النعمان وقالت له اطلب منه ان يضيفك فى بيته فقال لها لا باس بذلك ثم ان النعمان بعد ذلك بثلاثة ايام سأله ان يتغدى عنده هو واصحابه فاجابه الى ذلك ثم ذهب اليه النعمان فلما اخذ منه الشراب مأخذه قام عدى فخطبها منه فاجابه وزوجه اياها وضمها اليه بعد ثلاثة ايام فمكثت عنده ثلاث سنين وهما فى ارغد عيش واهناه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عديا مكث مع هند بنت النعمان بن المنذر ثلاث سنين وهما فى ارغد عيش واهناه ثم ان النعمان بعد ذلك غضب على عدى وقتله فوجدت عليه هند وجدا عظيما ثم انها بنت لها ديرا فى ظاهر الحيرة وترهبت فيه وجلست تندبه وتبكيه حتى ماتت وديرها معروف الى الآن فى ظاهر الحيرة

ومما يحكى ان دعبلا الخزاعى قال كنت جالسا بباب الكرخ اذ مرت بى جارية لم ار احسن منها ولا اعدل قدا وهى تتثنى فى مشيتها وتسبى الناظرين بتثنيها فلما وقع بصرى عليها افتتنت بها وارتجف فؤادى وآنست انه قد طار قلبى من صدرى فانشدت معرضا لها هذا البيت

دموع عينى بها انفضاض ❋ ونوم جفنى به انقباض

فنظرت الى واستدارت بوجهها واجابتنى سرعة بهذا البيت

وذا قليل لمن دعته ❋ بلحظها الاعين المراض

فادهشتنى بسرعة جوابها وحسن منطقها فانشدتها ثانيا هذا البيت

فهل لمولاى عطف قلب ❋ على الذى دمعه مفاض

فاجابتني بسرعة من غير توقف بهذا البيت

ان كنت تهوى الوداد منا * فالود ما بيننا تراض

فما دخل في اذني قط احلى من كلامها ولا رأيت ابهج من وجهها فعدلت بالشعر عن القافية امتحانا لها وعجبا بكلامها فقلت لها هذا البيت

اترى الزمان يسرنا بتلاق * ويضم مشتاقا الى مشتاق

فتبسمت فما رأيت احسن من فمها ولا احلى من ثغرها واجابتني بسرعة من غير توقف بهذا البيت

ما للزمان وللتحكم بيننا * انت الزمان فسرنا بتلاق

فنهضت مسرعا وصرت اقبل يديها وقلت لها ما كنت اظن ان الزمان يسمح لي بمثل هذه الفرصة فاتبعي اثري غير مأمورة ولا مستكرهة بل بفضل منك تعطفا علي ثم وليت وهي خلفي ولم يكن لي في ذلك الوقت منزل ارضاه لمثلها وكان مسلم بن الوليد صديقا لي وله منزل حسن فقصدته فلما قرعت عليه الباب خرج الي فسلمت عليه وقلت له لمثل هذا الوقت تدخر الاخوان فقال حبا وكرامة ادخلا فدخلنا فصادفنا عنده عسرة فدفع لي منديلا وقال اذهب به الى السوق وبعه وخذ ما تحتاج اليه من طعام وغيره فمضيت مسرعا الى السوق وبعته واخذت ما نحتاج اليه من طعام وغيره ثم رجعت فرأيت مسلما قد خلا بها في سرداب فلما احس بي وثب الي وقال لي كافاك الله يا ابا علي على جميل ما صنعت معي ولقاك ثوابه وجعله حسنة في حسناتك يوم القيامة ثم تناول مني الطعام والشراب واغلق الباب في وجهي فغاظني قوله ولم ادر ما اصنع وهو قائم خلف الباب يترعد سرورا فلما رآني على تلك الحالة قال بحياتي يا ابا علي من الذي انشأ هذا البيت

بت في درعها وبات رفيقي * جنب القلب طاهر الاطراف

فاشتد غيظي منه وقلت هو منشئ هذا البيت

من له في حرامه الف قرن * قد انافت على علو مناف

ثم جعلت اشتمه واسبه على قبيح فعله وقلة مروءته وهو ساكت لا يتكلم فلما فرغت من سبي له تبسم وقال ويلك يا احمق انما دخلت منزلي وبعت منديلي وانفقت دراهمي فعلى من تغضب يا قواد ثم تركني وانصرف اليها فقلت له اما والله لقد صدقت في نسبتي الى الحماقة والقوادة وانصرفت عن بابه وانا في هم شديد اجد اثره في قلبي الى يومي هذا ولم اظفر بها ولا سمعت لها خبرا ومما يحكى ان اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال اتفق اني ضجرت من ملازمة دار الخليفة والخدمة بها فركبت وخرجت بكرة النهار وعزمت على ان اطوف الصحراء واتفرج وقلت لغلماني اذا جاء رسول الخليفة او غيره فعرفوه انني بكرت في بعض مهماتي وانكم لا تعرفون اين ذهبت ثم مضيت وحدي وطفت في المدينة وقد حمي النهار فوقفت في شارع يعرف بالحرم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال لما حمي النهار وقفت في شارع يعرف بالحرم لاستظل من حر الشمس وكان للدار جناح رحب بارز على الطريق فلم البث حتى جاء خادم اسود يقود حمارا فرأيت عليه جارية راكبة وتحتها منديل مكلل بالجواهر وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعده ورأيت لها قواما حسنا وطرفا فاترا وشمائل ظريفة فسألت عنها بعض المارين فقال لي انها مغنية وقد تعلق

بحبها قلبي عند نظري اليها واماة ـدرت ان استقر على ظهر دابتي ثم انها دخلت الدار التي كنت واقفا على بابها فجعلت اتفكر في حيلة اتوصل بها اليها فبينما انا واقف اذ اقبل رجلان شابان جميلان فاستاذنا فاذن لهما صاحب الدار فنزلا ونزلت معهما ودخلت صحبتهما فظننا ان صاحب الدار دعاني فجلسنا ساعة فاتي بالطعام فاكلنا ثم وضع الشراب بين ايدينا ثم خرجت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا وقمت لاقضي حاجة فسأل صاحب المنزل الرجلين عني فاخبراه انهما لا يعرفاني فقال هذا طفيلي ولكنه ظريف فاجملوا عشرته ثم جئت فجلست في مكاني فغنت الجارية بلحن لطيف وانشدت هذين البيتين

قل للغزالة وهي غير غزالة ＊ والجوذر المكحول غير الجوذر
لمذكر الخلوات غير مؤنث ＊ ومؤنث الخطوات غير مذكر

فادته اداء حسنا وشرب القوم واعجبهم ذلك ثم غنت طرقا شتى بالحان غريبة وغنت من جملتها طريقة هي لي وانشدت هذين البيتين

الطلول الدوارس ＊ فارقتها الاوانس
اوحشت بعد انسها ＊ فهي قفراء طامس

فكان امرها اصلح فيها من الاولى ثم غنت طرقا شتى بالحان غريبة من القديم والحديث وغنت في اثنائها طريقة هي لي بهذين البيتين

قل لمن صد عاتبا ＊ ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذي بلغت وان كنت لاعبا

فاستعدته منها لاصححه لها فاقبل علي احد الرجلين وقال ما رأينا طفيليا اصفق وجها منك اما ترضى بالتطفل حتى اقترحت وقد صح فيك المثل طفيلي ومقترح فاطرقت حياء ولم اجبه فجعل صاحبه يكفه عني فلا ينكف ثم قاموا الى الصلاة فتأخرت قليلا واخذت العود وشددت طرفيه واصلحته اصلاحا محكما وعدت الى موضعي فصليت معهم ولما فرغنا من الصلاة رجع ذلك الرجل الى اللوم علي والتعنيف ولج في عربدته وانا صامت فاخذت الجارية العود وجسته فانكرت حاله وقالت من جس عودي فقالوا ما جسه احد منا قالت بلى والله لقد جسه حاذق متقدم في الصناعة لانه احكم اوتاره واصلحه اصلاح حاذق في صنعته فقلت لها انا الذي اصلحته فقالت بالله عليك ان تأخذه وتضرب عليه فاخذته وضربت عليه طريقة عجيبة صعبة تكاد ان تميت الاحياء وتحيي الاموات وانشدت عليه هذه الابيات

كان لي قلب اعيش به ＊ فاكتوى بالنار واحترق
انا لم ارزق محبتها ＊ انما للعبد ما رزق
ان يكن ماذقت طعم هوى ＊ ذاقه لاشك من عشق

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اسحاق بن ابراهيم الموصلي لما فرغ من شعره ولم يبق احد من الجماعة

الا وثب من موضعه وجلسوا بين يدي وقالوا بالله عليك ياسيدنا ان تغني لنا صوتا آخر فقلت لهم حبا وكرامة ثم احكمت الضربات وغنيت بهذه الابيات

الا من لقلب ذائب بالنوائب * اناخت به الاحزان من كل جانب
حرام على رامي فؤادي بسهمه * دم صبه بين الحشى والترائب
تبين يوم البين ان اقترابه * على البين من ضمن الظنون الكواذب
اراق دما لولا الهوى ما اراقه * فهل لدمي من ثائر ومطالب

فلما فرغ من شعره لم يبق احد منهم الا وقام على قدميه ثم رمى بنفسه على الارض من شدة ما اصابه من الطرب فرميت العود من يدي فقالوا بالله عليك ان لا تفعل بنا هذا وزدنا صوتا آخر زادك الله تعالى من نعمته فقلت لهم ياقوم ازيدكم صوتا آخر وآخر وآخر واعرفكم من انا انا اسحاق بن ابراهيم الموصلي والله اني لاتيه على الخليفة اذا طلبني وانتم قد اسمعتموني غليظ ما اكره في هذا اليوم فوالله لا نطقت بحرف ولا جلست معكم حتى تخرجوا هذا العربيد من بينكم فقال له صاحبه من هذا حذرتك وخفت عليك ثم اخذوا بيده واخرجوه فاخذت العود وغنيت الاصوات التي غنتها الجارية من صنعتي ثم اسررت الى صاحب الدار ان الجارية قد وقعت في قلبي ولا صبر لي عنها فقال الرجل هي لك بشرط فقلت وما هو قال ان تقيم عندي شهرا والجارية وما يتعلق بها من حلي وحلل لك فقلت نعم افعل ذلك فاقمت عنده شهرا لا يعرف احد اين انا والخليفة يفتش علي في كل موضع ولا يعرف لي خبرا فلما انقضى الشهر سلم الي الجارية وما يتعلق بها من الامتعة النفيسة واعطاني خادما آخر فجئت بذلك الى منزلي وكاني قد حزت الدنيا باسرها من شدة فرحي بالجارية ثم ركبت الى المأمون من وقتي فلما حضرت بين يديه قال لي ويحك يا اسحاق واين كنت فاخبرته بخبري فقال علي بذلك الرجل في هذه الساعة فدللتهم على داره فارسل اليه الخليفة فلما حضر ساله عن القصة فاخبره بها فقال له انت رجل ذو مروءة والرأي ان تعان على مروءتك فامر له بمائة الف درهم وقال لي يا اسحاق احضر الجارية فاحضرتها فغنت له واطربته فحصل له منها سرور عظيم فقال قد جعلت عليها نوبة في كل يوم خميس فتحضر وتغني من وراء الستارة ثم امر لها بخمسين الف درهم فوالله لقد ربحت واربحت في تلك الركبة ومما يحكى ان العتبي قال جلست يوما وعندي جماعة من اهل الادب فتذاكرنا اخبار الناس وتزع بنا الحديث الى اخبار المحبين فجعل كل منا يقول شيأ وفي الجماعة شيخ ساكت ولم يبق عندنا احد منهم شيء الا اخبر به فقال ذلك الشيخ هل احدثكم حديثا لم تسمعوا مثله قط فقلنا نعم قال اعلموا انه كانت لي ابنة وكانت تهوى شابا ونحن لا نعلم بها وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتي فحضرت في بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ قال فحضرت في بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت القينة بهذين البيتين

علامات ذل الهوى * على العاشقين البكا
ولاسيما عاشق * اذا لم يجد مشتكى

فقال لها الشاب احسنت والله يا سيدتي افتأذنين لي ان اموت فقالت القينة من وراء الستر نعم ان كنت عاشقا فمت فوضع الشاب رأسه على وسادة واغمض عينيه فلما وصل القدح اليه حركناه فاذا هو ميت فاجتمعنا عليه وتكدر علينا السرور وتنكدنا وافترقنا من ساعتنا فلما صرت الى منزلي انكر علي اهلي حيث انصرفت اليهم في غير الوقت المعتاد فاخبرتهم بما كان من امر الشاب لاعجبهم بذلك فسمعت ابنتي كلامي فقامت من المجلس الذي انا فيه ودخلت مجلسا آخر فقمت خلفها ودخلت ذلك المجلس فوجدتها متوسدة على مثال ما وصفت من حال الشاب فحركتها فاذا هي ميتة فاخذنا في تجهيزها وغدونا بجنازتها وغدوا بجنازة الشاب فلما صرنا في طريق الجبانة واذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هي جنازة القينة فانها حين بلغها موت ابنتي فعلت مثل ما فعلت فماتت فدفنا الثلاثة في يوم واحد وهذا اعجب ما سمع من اخبار العشاق ومما يحكى ان القاسم بن عدي حكى عن رجل من بني تميم انه قال خرجت في طلب ضالة فوردت على مياه بني طي فرأيت فريقين احدهما قريب من الآخر واذا في احد الفريقين كلام مثل كلام اهل الفريق الآخر فتأملت فرأيت في احد الفريقين شابا قد انهكه المرض وهو مثل الشن البالي فبينما انا اتأمله واذا هو ينشد هذه الابيات

الا ما للمليحة لا تعود * ابخل بالمليحة ام صدود
مرضت فعادني اهلي جميعا * فمالك لم ترى فيمن يعود
فلو كنت المريضة جئت اسعى * اليك ولم ينهنهني الوعيد
عدمتك منهمو فبقيت وحدي * وفقد الالف يا سكني شديد

فسمعت كلامه جارية من الفريق الآخر فبادرت نحوه وتبعها اهلها وجعلت تضاربهم فاحس بها الشاب فوثب نحوها فبادر اليه اهل فريقه وتعلقوا به فجعل يجذب نفسه منهم وهي تجذب نفسها من فريقها حتى تخلصا وقصد كل واحد منهما صاحبه حتى التقيا بين الفريقين وتعانقا وخرا الى الارض ميتين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب والشابة لما التقيا بين الفريقين وتعانقا وخرا الى الارض ميتين خرج شيخ من تلك الاخبية ووقف عليهما واسترجع وبكى بكاء شديدا ثم قال رحمكما الله تعالى والله لئن كنتما لم تجتمعا في حال حياتكما لاجمعن بينكما بعد الموت ثم امر بتجهيزهما فغسلا وكفنا في كفن واحد وحفر لهما جدث واحد وصلى عليهما الناس ودفنوهما في ذلك القبر ولم يبق في الفريقين ذكر ولا انثى الا رأيته يبكي عليهما ويلطم فسألت الشيخ عنهما فقال لي هذه ابنتي وهذا ابن اخي قد بلغ بهما الحب الى ما رأيت فقلت اصلحك الله فهلا زوجتهما لبعضهما فقال خشيت من العار والفضيحة وقد وقعت الآن فيهما وهذا من عجائب اخبار العشاق ومما يحكى ان ابا العباس المبرد قال قصدت البريد مع جماعة الى حاجة فمررنا بدير هرقل فنزلنا في ظله فجاءنا رجل وقال ان في الدير مجانين فيهم رجل مجنون ينطق بالحكمة فلو رأيتموه لتعجبتم من كلامه فنهضنا جميعا ودخلنا الدير فرأينا رجلا جالسا في مقصورة على نطع وقد كشف رأسه وهو شاخص ببصره الى الحائط فسلمنا عليه فرد علينا السلام من غير ان ينظر الينا بطرفه فقال رجل انشده شعرا فانه اذا سمع الشعر تكلم فانشدت هذين البيتين

يا خير من ولدت حواء من بشر * لولاك لم تحسن الدنيا ولم تطب
انت الذى من اراك الله صورته * قال انا الود فلم يهرم ولم يشب

فلما سمع ذلك منى استدار نحونا وانشد هذه الابيات

الله يعلم اننى كمد * لا استطيع ابث ما اجد
نفسان لى نفس يضمنها * بلد واخرى يضمها بلد
واظن غائبتى كشاهدتى * واظنها تجد الذى اجد

ثم قال أحسنت فى قولى ام اسأت قلنا له ما اسأت بل احسنت واجملت فمد يده الى حجر عنده فتناوله فظننا انه يرمينا به فهربنا منه فجعل يضرب به صدره ضربا قويا ويقول لا تخافوا وادنوا منى واسمعوا الى شيأ خذوه عنى فدنونا منه فانشد هذه الابيات

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم * وركوها وسارت بالهوى الابل
ومقلتى من خلال السجن تنظرها * فقلت من لوعتى والدمع ينهمل
يا حادى العيس عرج كى اودعها * ففى الفراق وفى توديعها الاجل
انى على العهد لم انقض مودتها * ياليت شعرى بذاك العهد ما فعلوا

ثم انه نظر الى وقال هل عندك علم بما فعلوا قلت نعم انهم ماتوا رحمهم الله تعالى فتغير وجهه ووثب قائما على قدميه وقال كيف علمت موتهم قلت لو كانوا احياء ما تركوك هكذا فقال صدقت والله ولكننى ايضا لا احب الحياة بعدهم ثم ارتعدت فرائصه وسقط على وجهه فتبادرنا اليه وحركناه فوجدناه ميتا رحمة الله تعالى عليه فتعجبنا من ذلك واسفنا عليه اسفا شديدا ثم جهزناه ودفناه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المبرد قال لما سقط الرجل ميتا اسفنا عليه وجهزناه ودفناه فلما رجعت الى بغداد دخلت على المتوكل فنظر اثار الدموع على وجهى فقال ما هذا فذكرت له القصة فصعب عليه وقال ما حملك على ذلك والله لو علمت انك غير حزين عليه لاخذتك به ثم انه حزن عليه بقية يومه وممايحكى ان ابا بكر بن محمد الانبارى قال خرجت من الانبارى فى بعض الاسفار الى عمورية من بلاد الروم فنزلت فى اثناء الطريق بدير الانوار فى قرية قريبة من عمورية فخرج الى صاحب الدير الرئيس على الرهبان وكان اسمه عبد المسيح فادخلنى الدير فوجدت فيه اربعين راهبا فاكرمونى فى تلك الليلة بضيافة حسنة ثم رحلت عنهم من الغد وقد رأيت من كثرة اجتهادهم وعبادتهم مالم اره من غيرهم فقضيت اربى من عمورية ثم رجعت الى الانبار فلما كان فى العام المقبل حججت الى مكة فبينما انا اطوف حول البيت اذ رأيت عبد المسيح الراهب يطوف ايضا ومعه خمسة نفر من اصحابه الرهبان فلما تحققت معرفته تقدمت اليه وقلت له هل انت عبد المسيح الراهب قال بل انا عبد الله الراغب فجعلت اقبل شيبته وابكى ثم اخذت بيده وملت الى جانب الحرم وقلت له اخبرنى عن سبب اسلامك فقال انه من اعجب العجائب وذلك ان جماعة من زهاد المسلمين مروا بالقرية التى فيها ديرنا فارسلوا شابا يشترى لهم طعاما فرأى فى السوق جارية نصرانية تبيع الخبز وهى من احسن النساء

صورة فلما نظر اليها افتتن بها وسقط على وجهه مغشيا عليه فلما افاق رجع الى اصحابه واخبرهم بما اصابه وقال امضوا الى شأنكم فلست بذاهب معكم فعذلوه ووعظوه فلم يلتفت اليهم فانصرفوا عنه ودخل القرية وجلس عند باب حانوت تلك المرأة فسألته عن حاجته فاخبرها انه عاشق لها فاعرضت عنه فمكث فى موضعه ثلاثة ايام لم يطعم طعاما بل صار شاخصا الى وجهها فلما رأته لا ينصرف عنها ذهبت الى اهلها واخبرتهم بخبره فسلطوا عليه الصبيان فرموه بالحجارة حتى رضوا اضلاعه وشجوا رأسه وهو مع ذلك لا ينصرف فعزم اهل القرية على قتله فجاءنى رجل منهم واخبرنى بحاله فخرجت اليه فرأيته طريحا فمسحت الدم عن وجهه وحملته الى الدير وداويت جراحته واقام عندى اربعة عشر يوما فلما قدر على المشى خرج من الدير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الراهب عبد الله قال فحملته الى الدير وداويت جراحته واقام عندى اربعة عشر يوما فلما قدر على المشى خرج من الدير الى باب حانوت الجارية وجلس ينظر اليها فلما ابصرته قامت اليه وقالت له والله لقد رحمتك فهل لك ان تدخل فى دينى وانا اتزوجك فقال معاذ الله ان انسلخ من دين التوحيد وادخل فى دين الشرك فقالت قم وادخل معى دارى واقض منى اربك وانصرف راشدا فقال لا ما كنت لاذهب عبادة اثنتى عشر سنة بشهوة لحظة واحدة فقالت انصرف عنى حينئذ فقال لا يطاوعنى قلبى فاعرضت عنه بوجهها ثم فطن به الصبيان فاقبلوا عليه يرمونه بالحجارة فسقط على وجهه وهو يقول ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين فخرجت من الدير وطردت عنه الصبيان ورفعت رأسه عن الارض فسمعته يقول اللهم اجمع بينى وبينها فى الجنة فحملته الى الدير فمات قبل ان اصل به اليه فخرجت به عن القرية وحفرت له قبرا ودفنته فلما دخل الليل وذهب نصفه صرخت تلك المرأة وهى فى فراشها صرخة فاجتمع اليها اهل القرية وسألوها عن قصتها فقالت بينما انا نائمة اذ دخل على هذا الرجل المسلم فاخذ بيدى وانطلق بى الى الجنة فلما صار بى الى بابها منعنى خازنها من دخولها وقال انها محرمة على الكافرين فاسلمت على يديه ودخلت معه فرأيت فيها من القصور والاشجار ما لا يمكن ان اصفه لكم ثم انه اخذنى الى قصر من الجوهر وقال لى ان هذا القصر لى ولك وانا لا ادخله الا بك وبعد خمس ليال تكونين عندى فيه ان شاء الله تعالى ثم مد يده الى شجرة على باب ذلك القصر فقطف منها تفاحتين واعطانيهما وقال كلى هذه واخفى الاخرى حتى يراها الرهبان فاكلت واحدة فما رأيت اطيب منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لما قطف التفاحتين اعطانيهما وقال كلى هذه واخفى الاخرى حتى يراها الرهبان فاكلت واحدة فما رأيت اطيب منها ثم انه اخذ بيدى وخرج بى حتى اوصلنى الى دارى فلما استيقظت من منامى وجدت طعم التفاح فى فمى والتفاحة الثانية عندى ثم اخرجت التفاحة فاشرقت فى ظلام الليل كانها كوكب درى فجاؤا بالمرأة الى الدير ومعها التفاحة فقصت علينا

الرؤيا واخرجت لنا التفاحة فلم نر شيأ مثلها فى سائر فواكه الدنيا فاخذت سكينا وشققتها على عدد اصحابى فما رأينا الذ من طعمها ولا اطيب من ريحها فقلنا لعل هذا شيطان تمثل اليها ليغويها عن دينها فاخذها اهلها وانصرفوا ثم انها امتنعت من الاكل والشرب فلما كانت الليلة الخامسة قامت من فراشها وخرجت من بيتها وتوجهت الى قبر ذلك المسلم والقت نفسها عليه وماتت ولم يعلم بها اهلها فلما كان وقت الصباح اقبل على القرية شيخان مسلمان عليهما ثياب من الشعر ومعهما امرأتان كذلك فقالا يا اهل القرية ان الله تعالى عندكم ولية من اوليائه قد ماتت مسلمة ونحن نتولاها دونكم فطلب اهل القرية تلك المرأة فوجدوها على القبر ميتة فقالوا هذه صاحبتنا قد ماتت على ديننا ونحن نتولاها وقال الشيخان بل ماتت مسلمة ونحن نتولاها واشتد الخصام والنزاع بينهم فقال احد الشيخين ان علامة اسلامها ان يجتمع رهبان الدير الاربعون ويجذبوها عن القبر فان قدروا على حملها من الارض فهى نصرانية وان لم يقدروا على ذلك يتقدم واحد منا ويجذبها فان جاءت معه فهى مسلمة فرضى اهل القرية بذلك واجتمع الاربعون راهبا وقوى بعضهم بعضا واتوها ليحملوها فلم يقدروا على ذلك فربطنا فى وسطها حبلا عظيما وجذبناها فانقطع الحبل ولم تتحرك فتقدم اهل القرية وفعلوا كذلك فلم تتحرك من موضعها فلما عجزنا عن حملها بكل حيلة قلنا لاحد الشيخين تقدم انت واحملها فتقدم اليها احدهما ولفها فى ردائه وقال بسم الله الرحمن الرحيم وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حملها فى حضنه وانصرف بها المسلمون الى غار هنالك فوضعوها فيه وجاءت المرأتان فغسلتاها وكفنتاها ثم حملها الشيخان وصليا عليها ودفناها الى جانب قبره وانصرفا ونحن نشاهد هذا كله فلما خلا بعضنا ببعض قلنا ان الحق احق ان يتبع وقد وضح الحق لنا بالمشاهدة والعيان ولا برهان لنا على صحة الاسلام اوضح لنا مما رأيناه باعيننا ثم اسلمت واسلم رهبان الدير جميعهم وكذلك اهل القرية ثم انا بعثنا الى اهل الجزيرة نستدعى فقيها يعلمنا شرائع الاسلام واحكام الدين فجاءنا رجل فقيه صالح فعلمنا العبادة واحكام الاسلام ونحن اليوم على خير كثير ولله الحمد والمنة

ومما يحكى ان عمرو بن مسعدة قال كان ابو عيسى ابن الرشيد اخو المأمون عاشقا لقرة العين جارية على بن هشام وكانت هى ايضا عاشقة له ولكن كان ابو عيسى كاتما لهواه فلا يبوح به ولا يشكوه الى احد ولم يطلع احدا على سره وكل ذلك من نخوته ومروءته وكان يجتهد فى ابتياعها من مولاها بكل حيلة فلم يقدر على ذلك فلما عيل صبره واشتد وجده وعجز عن الحيلة فى امرها دخل على المأمون فى يوم موسم بعد انصراف الناس من عنده وقال يا امير المؤمنين انك لو امتحنت قوادك فى هذا اليوم على حين غفلة منهم لتعرف اهل المروءة من غيره ومحل كل واحد منهم وقدر همته وانما قصد ابو عيسى بهذا الكلام ان يتصل بذلك الى الجلوس مع قرة العين فى دار مولاها فقال المأمون ان هذا الرأى صواب ثم امر ان يشدوا له زورقا اسمه الطيار فقدموه له فركبه ومعه جماعة من خواصه فاول قصر دخله قصر حميد الطويل الطوسى ودخلوا عليه فى القصر على حين غفلة منه فوجدوه جالسا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المأمون ركب هو وخواصه وساروا حتى وصلوا الى قصر حميد الطويل الطوسى فدخلوا قصره على حين غفلة فوجدوه جالسا على حصير وبين يديه المغنيون وبايديهم الات

المغانى من العيدان والنايات وغيرها فجلس المأمون ساعة ثم حضر بين يديه طعام من لحوم الدواب ليس فيه شئ من لحوم الطير فلم يلتفت المأمون الى شئ من ذلك فقال ابو عيسى يا امير المؤمنين انا دخلنا هذا المكان على حين غفلة وصاحبه لم يعلم بقدومك فقم بنا الى مجلس هو معد لك يليق بك فقام الخليفة هو وخواصه وصحبته اخوه ابو عيسى وتوجهوا الى دار على ابن هشام فلما علم بمجيئهم قابلهم احسن مقابلة وقبل الارض بين يدى الخليفة ثم ذهب بهم الى القصر وفتح مجلسا لم تر الراؤن احسن منه ارضه واساطينه وحيطانه مرخمة بانواع الرخام وهو منقوش بانواع النقوش الرومية وارضه مفروشة بالحصر السندية وعليها فرش بصرية وتلك الفرش متخذة على طول المجلس وعرضه فجلس المأمون ساعة وهو يتامل البيت والسقف والحيطان ثم قال اطعمنا شيأ فاحضر اليه من وقته وساعته قريبا من مائة لون من الدجاج سوى مامعها من الطيور والثرائد والقلايا والبوارد فلما اكل قال اسقنا يا على شيأ فاحضر اليه نبيذا من الزبيب مطبوخا بالفواكه والافاويه الطيبة فى اوانى الذهب والفضة والبلور والذى حضر بذلك النبيذ فى المجلس غلمان كأنهم الاقمار عليهم الملابس الاسكندرانية المنسوجة بالذهب وعلى صدورهم بواطى من البلور فيها ماء الورد الممسك فتعجب المأمون مما رأى عجبا شديدا وقال يا ابا الحسن فوثب الى البساط وقبله ثم وقف بين يدى الخليفة وقال لبيك يا امير المؤمنين فقال اسمعنا شيأ من المغانى المطربة فقال سمعا وطاعة يا امير المؤمنين ثم قال لبعض اتباعه احضر الجوارى المغنيات فقال له سمعا وطاعة ثم غاب الخادم لحظة وحضر ومعه عشرة من الخدم يحملون عشرة كراسى من الذهب فنصبوها وبعد ذلك جاءت عشر وصائف كأنهن البدور السافرة والرياض الزاهرة وعليهن الديباج الاسود وعلى رؤسهن تيجان الذهب ومشين حتى جلسن على الكراسى وغنين بانواع الالحان فنظر المأمون الى جارية منهن فافتتن بظرفها وحسن منظرها فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اسمى سجاح يا امير المؤمنين فقال لها غنى لنا يا سجاح فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

اقبلت امشى على خوف مجالسة ❊ مشى الذليل رأى شبلين قد وردا

سيفى خضوعى وقلبى مشغف وجل ❊ اخشى العيون من الاعداء والرصدا

حتى دخلت على خود منعمة ❊ كظبية الدعص لما تفقد الولدا

فقال لها المأمون لقد احسنت يا جارية لمن هذا الشعر قالت لعمرو بن معدى كرب الزبيدى والغناء لمعبد فشرب المأمون وابو عيسى وعلى بن هشام ثم انصرفت الجوارى وجاءت عشر جوار اخرى على كل واحدة منهن الوشى اليمانى المنسوج بالذهب فجلسن على الكراسى وغنين بانواع الالحان فنظر المأمون الى وصيفة منهن كأنها مهاة رمل فقال لها ما اسمك يا جارية فقالت اسمى ظبية يا امير المؤمنين قال غنى لنا يا ظبية فغردت بالشدقين وانشدت هذين البيتين

حور حرائر ماهممن بريبة ❊ كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الحديث زوانيا ❊ ويصدهن عن الخنى الاسلام

فلما فرغت من شعرها قال لها المأمون لله درك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

ثم لما كانت الليلة السادسة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما فرغت من انشادها قال لها المأمون لله درك لمن هذا الشعر

قالت لجرير والغناء لابن سريج فشرب المأمون ومن معه ثم انصرفت الجوارى وجاءت بعدهن عشر جوار اخرى كأنهن اليواقيت وعليهن الديباج الاحمر المنسوج بالذهب المرصع بالدر والجوهر وهن مكشوفات الرؤس فجلسن على الكراسى وغنين بانواع الالحان فنظر الى جارية منهن كأنها شمس النهار فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اسمى فاتن يا امير المؤمنين فقال لها غنى لنا يا فاتن فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

انعم بوصلك لى فهذا وقته ❊ يكفى من الهجران ما قد ذقته
انت الذى جمع المحاسن وجهه ❊ لكن عليه تصبرى فرقته
انفقت عمرى فى هواك وليتنى ❊ اعطى وصولا بالذى انفقته

فقال لله درك يا فاتن ان هذا الشعر فقالت لعدى ابن زيد والطريقة قديمة فشرب المأمون وابو عيسى وعلى ابن هشام ثم انصرفت الجوارى وجاءت بعدهن عشر من الجوارى كأنهن الدرارى عليهن الوشى المنسوج بالذهب الاحمر وفى اوساطهن المناطق المرصعة بالجوهر فجلسن على الكراسى وغنين بانواع الالحان فقال المأمون لجارية منها كأنها قضيب بان ما اسمك يا جارية قالت اسمى رشأ يا امير المؤمنين فقال غنى لنا يا رشأ فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

واحور كالغصن يثنى الجوى ❊ ويحكى الغزال اذا ما رنا
شربت المدام على خده ❊ ونازعته الكأس حتى انثنا
فبات ضجيعى وبتنا معا ❊ وقلت لنفسى هذا المنى

فقال لها المأمون احسنت يا جارية زيدينا فقامت الجارية وقبلت الارض بين يديه وغنت بهذا البيت

خرجت تشهد الرفاق رويدا ❊ فى قميص مضمخ بالعبير

فطرب المأمون لذلك البيت طربا عظيما فلما رأت الجارية طرب المأمون صارت تردد الصوت بهذا البيت ثم ان المأمون قال قدموا الطيار واراد ان يركب ويتوجه فقام على بن هشام وقال يا امير المؤمنين عندى جارية اشتريتها بعشرة الاف دينار وقد اخذت بمجامع قلبى واريد ان اعرضها على امير المؤمنين فان اعجبته ورضيها فهى له والا فيسمع منها شيأ فقال الخليفة على بها فخرجت جارية كأنها قضيب بان لها عينان فتانتان وحاجبان كأنهما قوسان وعلى رأسها تاج من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وتحته عصابة مكتوب عليها بالزبرجد هذا البيت

جنية ولها جن تعلمها ❊ رمى القلوب بقوس ما لها وتر

ومشت تلك الجارية كأنها غزال شارد وهى تفتن العابد ولم تزل ماشية حتى جلست على الكرسى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية مشت كأنها غزال شارد وهى تفتن العابد ولم تزل ماشية حتى جلست على الكرسى فلما رآها المأمون تعجب من حسنها وجمالها وجعل ابو عيسى يتوجع من فؤاده واصفر لونه وتغير حاله فقال له المأمون مالك يا ابا عيسى قد تغير حالك فقال يا امير المؤمنين بسبب علة تعتريني فى بعض الاوقات فقال له الخليفة اتعرف هذه الجارية قبل اليوم قال نعم يا امير المؤمنين وهل يخفى

القمر ثم قال لها المأمون ما اسمك يا جارية قالت اسمى قرة العين يا امير المؤمنين قال لها غنى لنا يا قرة العين فغنت بهذين البيتين

ظعن الاحبة عنك بالادلاج * واقد سروا بصرامع الحجاج
ضربوا خيام العز حول قبابهم * وتستروا باكلة الديباج

فقال لها الخليفة لله درك لمن هذا الشعر قالت لدعبل الخزاعى والطريقة لزرزور الصغير فنظر اليها ابو عيسى وخنقته العبرة حتى تعجب منه اهل المجلس فالتفتت الجارية الى المأمون وقالت له يا امير المؤمنين اتأذن لى فى ان اغير الكلام فقال لها غنى بما شئت فاطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

اذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب * جهارا فكن فى الغيب احفظ للود
والغ احاديث الوشاة فقلما * يحاول واش غير هجران ذى ود
وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان البعد يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى ود

فلما فرغت من شعرها قال ابو عيسى يا امير المؤمنين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشر بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان قرة العين لما فرغت من شعرها قال ابو عيسى يا امير المؤمنين اذا افتضحنا استرحنا اتأذن لى فى جوابها فقال له الخليفة نعم قل لها ما شئت فكفكف دمع العين وانشد هذين البيتين

سكت ولم اقل انى محب * واخفيت المحبة عن ضميرى
فان ظهر الهوى فى العين منى * فدانية من القمر المنير

فاخذت العود قرة العين واطربت بالنغمات وغنت هذه الابيات

لو كان ما تدعيه حقا * لما تعللت بالامانى
ولا تصبرت عن فتاة * بديعة الحسن والمعانى
لكن دعواك ليس منها * شئ سوى القول باللسان

فلما فرغت قرة العين من شعرها جعل ابو عيسى يبكى وينتحب ويتوجع ويضطرب ثم رفع رأسه اليها وصعد الزفرات وانشد هذه الابيات

تحت ثيابى جسد ناحل * وفى فؤادى شغل شاغل
ولى فؤاد داؤه دائم * ومقلة مدمعها هاطل
وكلما سالمنى عاقل * قام لحينى فى الهوى عاذل
يارب لا اقوى على كل ذا * موت والا فرج عاجل

فلما فرغ ابو عيسى من شعره وثب على ابن هشام الى رجله فقبلها وقال له يا سيدى قد استجاب الله دعاءك وسمع نجواك واجابك الى اخذها بجميع متعلقاتها من التحف واللطائف ان لم يكن لامير المؤمنين غرض

فيها فقال المأمون ولو كان لنا غرض فيها الاثرنا ابا عيسى على انفسنا وساعدناه على قصده ثم قام المأمون وركب فى الطيار وتخلف ابو عيسى لاخذ قرة العين ثم اخذها وانصرف بها الى منزله وهو منشرح الصدر فانظر الى مروءة علي بن هشام ومما يحكى ان الامين اخا المأمون دخل دار عمه ابراهيم ابن المهدى فرأى بها جارية تضرب بالعود وكانت من احسن النساء فمال قلبه اليها فظهر ذلك عليه لعمه ابراهيم فلما ظهر له ذلك من حاله بعثها اليه مع ثياب فاخرة وجواهر نفيسة فلما رآها الامين ظن ان عمه ابراهيم بنى بها فكره الخلوة بها من اجل ذلك وقبل ما كان معها من الهدية وردها اليه فعلم ابراهيم بذلك الخبر من بعض الخدم فاخذ قميصا من الوشي وكتب على ذيله بالذهب هذين البيتين

لا والذى سجد الجباه له ❊ مالى بما تحت ذيلها خبر

ولا بفيها ولا هممت به ❊ ما كان الا الحديث والنظر

ثم البسها القميص وناولها عودا وبعثها اليه ثانيا فلما دخلت عليه قبلت الارض بين يديه واصلحت العود وغنت عليه بهذين البيتين

هتكت الضمير برد التحف ❊ وقد بان هجرك لى وانكشف

فان كنت تحقد شيأ مضى ❊ فهب للخلافة ما قد سلف

فلما فرغت من شعرها نظر اليها الامين فرأى ما على ذيل القميص فلم يملك نفسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشر بعد الربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الامين لما نظر الى الجارية رأى ما على ذيل القميص فلم يملك نفسه بل ادناها منه وقبلها وافرد لها مقصورة من المقاصير وشكر عمه ابراهيم على ذلك وانعم عليه بولاية الرى - ومما يحكى ان المتوكل شرب دواء فجعل الناس يهدون اليه طرائف التحف وانواع الهدايا واهدى اليه الفتح بن خاقان جارية بكرا ناهدا من احسن نساء زمانها وارسل معها اناء بلور فيه شراب احمر وجاما احمر مكتوبا عليه بالسواد هذه الابيات

اذا خرج الامام من الدواء ❊ واعقب بالسلامة والشفاء

فليس له دواء غير شرب ❊ بهذا الجام من هذا الطلاء

وفض الخاتم المهدى اليه ❊ فهذا صالح بعد الدواء

فلما دخلت الجارية بما معها على الخليفة كان عنده يوحنا الطبيب فلما رأى الطبيب الابيات تبسم وقال والله يا امير المؤمنين ان الفتح اعرف منى بصناعة الطب فلا يخالفه امير المؤمنين فيما وصفه له فقبل الخليفة رأى الطبيب واستعمل ذلك الدواء على مقتضى مضمون الابيات فشفاه الله وحقق ما رجاه ومما يحكى ان بعض الفضلاء قال ما رأيت فى النساء اذكى خاطرا واحسن فطنة واغزر علما واجود قريحة واظرف اخلاقا من امرأة واعظة من اهل بغداد يقال لها سيدة المشايخ اتفق انها جاءت الى مدينة حماه سنة احدى وستين وخمسمائة فكانت تعظ الناس على الكرسى وعظا شافيا وكان يتردد على منزلها جماعة من المتفقهين وذوى المعارف والاداب يطارحونها مسائل الفقه ويناظرونها فى الخلاف فمضيت اليها ومعى رفيق من اهل الادب فلما جلسنا عندها وضعت بين ايدينا طبقا من الفاكهة وجلست

هى خلف ستر وكان لها اخ حسن الصورة قائما على رؤسنا فى الخدمة فلما اكلنا شرعنا فى مناظرة الفقه فسألته امسألة فقهية مشتملة على خلاف بين الائمة فشرعت تتكلم فى جوابها وانا اصغى اليها وجعل رفيق ينظر الى وجه اخيها ويتأمل فى محاسنه ولا يصغى اليها وهى تلحظه من وراء الستر فلما فرغت من كلامها التفتت اليه وقالت اظنك ممن يفضل الرجال على النساء قال اجل قالت ولم ذلك قال لان الله فضل الذكر على الانثى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ اجابها بقوله لان الله فضل الذكر على الانثى وانا احب الفاضل واكره المفضول فضحكت ثم قالت اتنصفنى فى المناظرة ان ناظرتك فى هذا المبحث قال نعم قالت فالدليل على تفضيل الذكر على الانثى قال المنقول والمعقول اما المنقول فالكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وقوله تعالى فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وقوله تعالى فى الميراث وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين فالله سبحانه وتعالى فضل الذكر على الانثى فى هذه المواضع واخبر ان الانثى على النصف من الذكر لانه افضل منها واما السنة فما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه جعل دية المرأة على النصف من دية الرجل واما المعقول فان الذكر فاعل والانثى مفعول بها والفاعل افضل من المفعول بها فقالت له احسنت ياسيدى لكنك والله اظهرت حجتى عليك من لسانك ونطقت ببرهان هو عليك لا لك وذلك ان الله سبحانه وتعالى انما فضل الذكر على الانثى بمجرد وصف الذكورية وهذا لا نزاع فيه بينى وبينك وقد يستوى فى هذا الوصف الطفل والغلام والشاب والكهل والشيخ لا فرق بينهم فى ذلك واذا كانت الفضيلة انما حصلت له بوصف الذكورية فينبغى ان يميل طبعك وترتاح نفسك الى الشيخ كما ترتاح الى الغلام اذ لا فرق بينهما فى الذكورية وانما وقع الخلاف بينى وبينك فى الصفات المقصودة من حسن العشرة والاستمتاع وانت لم تأت ببرهان على فضل الغلام على الانثى فى ذلك فقال لها ياسيدتى اما علمت ما اختص به الغلام من اعتدال القد وتوريد الخد وملاحة الابتسام وعذوبة الكلام فالغلمان بهذا الاعتبار افضل من النساء والدليل على ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تديموا النظر الى المرد فان فيهم لمحة من الحور العين وتفضيل الغلام على الجارية لا يخفى على احد من الناس وما احسن قول ابى نواس

اقل ما فيه من فضائله ✻ امنك من طمثه ومن حبله

وقول الشاعر

قال الامام ابو نواس وهو فى ✻ شرع الخلاعة والمجون يقلد

يا امة تهوى العذار تمتعوا ✻ من لذة فى الخلد ليست توجد

ولان الجارية اذا بالغ الواصف فى وصفها واراد ترويجها بذكر محاسن اوصافها شبهها بالغلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ قال ولان الجارية اذا بالغ الواصف فى وصفها واراد ترويجها بذكر

محاسن اوصافها اشبهها بالغلام لما له من المآثر كما قال الشاعر

غلامية الارداف تهتز في الصبا * كما اهتز في ريح الشمال قضيب

فلولا ان الغلام افضل واحسن لما شبهت به الجارية واعلمي صانك الله تعالى ان الغلام سهل القياد موافق على المراد حسن العشرة والاخلاق مائل عن الخلاف للوفاق ولاسيما ان نمنم عذاره واخضر شاربه وجرت حمرة الشبيبة في وجنته حتى صار كالبدر التمام وما احسن قول ابي تمام

قال الوشاة بدا في الخد عارضه * فقلت لا تكثروا ما ذاك عايبه
لما استقل بارداف تجاذبه * واخضر فوق جمان الدر شاربه
واقسم الورد ايمانا مغلظة * ان لا تفارق خديه عجائبه
كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه
الحسن منه على ما كنت تعهده * والشعر احرزه ممن يطالبه
احلى واحسن ما كانت شمائله * اذ لاح عارضه واخضر شاربه
وصار من كان يلحى في محبته * ان يحك عني وعنه قال صاحبه

وقول الاخر واجاد

قال العواذل ما هذا الغرام به * اما ترى الشعر في خديه قد نبت
فقلت والله لو ان المفند لي * تأمل الرشد في عينيه ما ثبت
ومن اقام بارض لا نبات بها * فكيف يرحل عنها والربيع اتى

وقول الاخر

قال العواذل عنى قد سلا كذبوا * من مسه الشوق لا يعروه سلوان
ما كنت اسلو وورد الخد منفرد * فكيف اسلو وحول الورد ريحان

وقول الاخر

ومهفهف الحاظه وعذاره * يتعاضدان على قتال الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس * كانت حمائل غمده من آس

وقول الاخر

ما من سلافته سكرت وانما * تركت سوالفه الانام سكارى
حسد المحاسن بعضها حتى اشتهت * كل المحاسن ان تكون عذارا

فهذه فضيلة في الغلمان لم تعطها النساء وكفى بذلك للغلمان عليهن فخرا ومزية فقالت له عافاك الله تعالى انك قد شرطت على نفسك المناظرة وقد تكلمت وما قصرت واستدللت بهذه الادلة على ما ذكرت ولكن الآن قد حصحص الحق فلا تعدل عن سبيله وان لم تقنع باجمال الدليل فانا آتيك بتفصيله بالله عليك اين الغلام من الفتاة ومن يقيس البصل على النهات انما الفتاة رخيمة الكلام حسنة القوام فهي كقضيب الريحان بثغر كالاقحوان وشعر كالارسان وخد كشقايق النعمان ووجه كتفاح وشفة كالراح وثدي كالرمان ومعاطف كالاغصان وهي ذات قد معتدل وجسم متجدل وخد كحد السيف اللايح وجبين واضح وحاجبين مقرونين وعينين كحلاوين ان نطقت فاللؤلؤ الرطب يتناثر من فيها وتجذب القلوب برقة معانيها وان تبسمت ظننت البدر قد لاح من بين شفتيها وان رنت فالسيوف تسل

من مقلتيها اليها تنتهي المحاسن وعليها مدار القاطع والقاطن ولها شفتان حمراوان الين من الزبد واحلى مذاقا من الشهد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المرأة الواعظة لما وصفت الفتاة قالت ولها شفتان حمراوان الين من الزبد واحلى مذاقا من الشهد ثم قالت بعد ذلك ولها صدر كجادة الفجاج فيه ثديان كانهما حقان من عاج وبطن لطيف الكشح كالزهر الغض وعكن قد انعطفت وانطوى بعضها على بعض وفخذان ملتفان كانهما من الدر عمودان وارداف تموج كانها بحر من بلور او جبال من نور ولها قدمان لطيفان وكفان كانهما سبائك العقيان فيا مسكين ابن الانس من الجان اما علمت ان الملوك القادة والاشراف السادة ابدا للنساء خاضعون وعليهن في التلذذ معتمدون وهن يقلن قد ملكنا الرقاب وسلبنا الالباب فالانثى كم غني افقرته وعزيز اذلته وشريف استخدمته فالنساء قد فتن الادباء وهتكن الاتقياء وافقرن الاغنياء وصيرن اهل النعيم اشقياء ومع ذلك لا تزداد العقلاء لهن الا محبة واجلالا ولا يعدون ذلك ضيما ولا اذلالا فكم عبد قد عصى فيهن ربه واغضب اباه وامه كل ذلك لغلبة هواهن على القلوب اما علمت يا مسكين ان لهن تبنى القصور وعليهن ترخى الستور ولهن تشترى الجوارى وعليهن الدمع جار ولهن يتخذ المسك الاذفر والحلي والعنبر ولاجلهن تجمع العساكر وتعقد الدساكر وتجمع الارزاق وتضرب الاعناق ومن قال ان الدنيا عبارة عن النساء كان صادقا واما ما ذكرت من الحديث الشريف فهو حجة عليك لا لك لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تديموا النظر الى المرد فان فيهم لمحة من الحور العين فشبه المرد بالحور العين ولا شك ان المشبه به افضل من المشبه فلولا ان النساء افضل واحسن لما شبه بهن غيرهن واما قولك ان الجارية تشبه بالغلام فليس الامر كذلك بل الغلام يشبه بالجارية فيقال هذا الغلام كانه جارية واما ما استدللت به من الاشعار فهي ناشئة عن شذوذ الطبيعة عند الاعتبار واما اللاطة العادون والفسقة المخالفون الذين ذمهم الله تعالى في كتابه العزيز وانكر عليهم فعلهم الشنيع فقال اتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون فهؤلاء الذين يشبهون الجارية بالغلام لغلوهم في الفسق والعصيان واتباع النفس والشيطان حتى قالوا انها تصلح للامرين جميعا عدولا منهم عن سلوك طريق الحق عند الناس كما قال كبيرهم ابو نواس

ممشوقة الخصر غلامية * تصلح للوطي والزاني

واما ما ذكرته من حسن نبات العذار واخضرار الشارب وان الغلام يزداد به حسنا وجمالا فوالله لقد عدلت عن الطريق وقلت غير التحقيق لان العذار يبدل حسنات الجمال بالسيئات ثم انشدت هذه الابيات

بدا الشعر في وجهه فانتقم * لعاشقه منه لما ظلم
ولم ار في وجهه كالدخا * ن الا وسالفه كالحمم
اذا اسود فاضل قرطاسه * فما ظنكم بمكان القلم
فان فضلوه على غيره * فما ذاك الا لجهل الحكم

فلما فرغت من شعرها قالت للرجل سبحان الله العظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المرأة الواعظة لما فرغت من شعرها قالت للرجل سبحان الله العظيم كيف يخفى عليك ان كمال اللذة فى النساء وان النعيم المقيم لا يكون الا بهن وذلك ان الله سبحانه وتعالى وعد الانبياء والاولياء فى الجنة بالحور العين وجعلهم جزاء لاعمالهم الصالحة ولو علم الله تعالى ان فى غيرهن لذة الاستمتاع لجزاهم به ووعدهم اياه وقال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة وانما جعل الله الولدان خدما للانبياء والاولياء فى الجنة لان الجنة دار نعيم وتلذذ ولا يكمل ذلك الا بخدمة الولدان واما استعمالهم لغير الخدمة فهو من الخبال والوبال وما احسن قول الشاعر حيث قال

لحاجة المرء فى الادبار ادبار * والمائلون الى الاحرار احرار
كم من ظريف لطيف بات ممتطيا * ردف الغلام فاضحى وهو عطار
تصفر اثوابه من ورس فقحته * فيستبين لذاك الخزى والعار
لا يستطيع جحودا اذ تقذره * يوما وفى ثوبه للسلح آثار
كم بين ذاك ومن باتت مطيته * حوراء ناظرها باللحظ سحار
يقوم عنها وقد اهدت له ارجا * تضوعت من غو الى طيبه الدار
ليس الغلام لها عدلا يقاس بها * وهل يقاس بعود الند اقذار

ثم قالت يا قوم لقد اخرجتمانى عن قانون الحياء ودائرة احرار النساء الى ما لا يليق بالعلماء من اللغو والفحشاء ولكن صدور الاحرار قبور الاسرار والمجالس بالامانات وانما الاعمال بالنيات وانا استغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين انه هو الغفور الرحيم ثم سكتت فلم تجبنا عن شئ بعد ذلك فخرجنا من عندها مسرورين بما استفدناه من مناظرتها متأسفين على مفارقتها ومما يحكى ان ابا سويد قال اتفق انى انا وجماعة من اصحابى دخلنا بستانا يوما من الايام لنشترى شيأ من الفاكهة فرأينا فى جانب ذلك البستان عجوزا صبيحة الوجه غير ان شعر رأسها ابيض وهى تسرحه بمشط من العاج فوقفنا عندها فلم تحتفل بنا ولم تغط رأسها فقلت لها يا عجوز لو صبغت شعرك اسود لكنت احسن من صبية فما منعك من ذلك فرفعت رأسها الى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابا سويد قال لما قلت للعجوز ذلك الكلام رفعت رأسها الى وحملقت العينين وانشدت هذين البيتين

وصبغت ما صبغ الزمان فلم يدم * صبغى ودامت صبغة الايام
ايام ارفل فى ثياب شبيبتى * وانال من خلفى ومن قدامى

فقلت لها لله درك من عجوز ما اصدقك فى اللهج بالحرام واكذبك فى دعوى التوبة من الآثام ومما يحكى ان عليا بن محمد بن عبد الله بن طاهر استعرض جارية اسمها مؤنس للشراء وكانت فاضلة اديبة شاعرة فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اعز الله الامير اسمى مؤنس وكان قد عرف اسمها قبل ذلك فاطرق ساعة ثم رفع رأسه اليها وانشد هذا البيت

ماذا تقولين فيمن شفه سقم * من اجل حبك حتى صار حيرانا

فقالت اعز الله الامير وانشدت هذا البيت

اذا رأينا محبا قد اضر به * داء الصبابة اولينا احسانا

فاعجبته فاشتراها بسبعين الف درهم واولدها عبيد الله بن محمد صاحب المآثر وقال ابو العيناء كان عندنا في الدرب امرأتان احداهما تعشق رجلا والاخرى تعشق امرد فاجتمعتا ليلة على سطح احداهما وهو قريب من داري وهما لا يعلمان بي فقالت صاحبة الامرد للاخرى يا اختي كيف تصبرين على خشونة اللحية حين تقع على صدرك وقت لثمك وتقع شواربه على شفتيك وخديك فقالت لها يا رعناء وهل يزين الشجر الا ورقه والخيار الا زغبه وهل رأيت في الدنيا اقبح من اقرع منتوف اما علمت ان اللحية للرجل مثل الذوائب للمرأة وما الفرق بين الخد واللحية اما علمت ان الله سبحانه وتعالى خلق في السماء ملكا يقول سبحان من زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب فلولا ان اللحى كالذوائب في الجمال لما قرن بينهما يا رعناء مالي افرش نفسي تحت الغلام الذي يعاجلني انزاله ويسابقني انحلاله واترك الرجل الذي اذا شم ضم واذا ادخل امهل واذا افرغ رجع واذا راهز اجاد وكلما خلص عاد فاتعظت صاحبة الغلام بمقالها وقالت سلوت صاحبي ورب الكعبة

ومما يحكى انه كان بمدينة مصر رجل تاجر وكان عنده شيء كثير من مال ونقود وجواهر ومعادن واملاك لا تحصى وكان اسمه حسن الجوهري البغدادي وقد رزقه الله بولد حسن الوجه معتدل القد مورد الخد ذو بهاء وكمال وبهجة وجمال فسماه عليا المصري وقد علمه القرآن والعلم والفصاحة والادب وصار بارعا في كامل العلوم وكان تحت يد والده في التجارة فحصل لوالده مرض وزاد عليه الحال فايقن بالموت واحضر ولده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر الجوهري البغدادي لما مرض وايقن بالموت احضر ولده الذي اسمه علي المصري وقال له يا ولدي ان الدنيا فانية والآخرة باقية وكل نفس ذائقة الموت والآن يا ولدي قد قربت وفاتي واريد ان اوصيك وصية ان عملت بها لم تزل آمنا سعيدا الى ان تلقى الله تعالى وان لم تعمل بها فانه يحصل لك تعب زائد وتندم على ما فرطت في وصيتي فقال له يا ابت كيف لا اسمع ولا اعمل بوصيتك مع ان طاعتك فرض علي وسماع قولك علي واجب فقال له يا ولدي اني خلفت لك اماكن ومحلات وامتعة ومالا لا يحصى بحيث اذا كنت تنفق منه في كل يوم خمسمائة دينار لم ينقص عليك شيء من ذلك ولكن يا ولدي عليك بتقوى الله واتباع ما امر به من الفرائض وباتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه مما امر به ونهى عنه في سنته وكن مواظبا على فعل الخيرات وبذل المعروف وصحبة اهل الخير والصلاح والعلم وعليك بالوصية بالفقراء والمساكين وتجنب الشح والبخل وصحبة الاشرار وذوي الشبهات وانظر لخدمك وعيالك بالرأفة ولزوجتك ايضا فانها من بنات الاكابر وهي حامل منك لعل الله يرزقك منها بالذرية الصالحة ومازال يوصيه ويبكي ويقول له يا ولدي اسأل الله الكريم رب العرش العظيم ان يخلصك من كل ضيق يحصل لك ويدركك بالفرج القريب منه فبكى الولد بكاء شديدا وقال يا والدي والله اني ذبت من هذا الكلام كأنك تقول قول مودع فقال له نعم يا ولدي انا عارف بحالي فلا تنس وصيتي ثم ان الرجل صار يتشهد ويقرأ الى ان حضر الوقت المعلوم فقال لولده ادن مني يا ولدي فدنا منه فقبله وشهق ففارقت روحه جسده وتوفي الى رحمة الله تعالى فحصل لولده غاية الحزن وعلا الضجيج في بيته واجتمعت

عليه اصحاب والده فاخذ في تجهيزه وتشهيله واخرجه خرجة عظيمة وحملوا جنازته الى الصلاة فصلوا عليه وانصرفوا بجنازته الى المقبرة فدفنوه وقرأوا عليه ما تيسر من القرآن العظيم ثم رجعوا الى المنزل فعزوا ولده وانصرف كل واحد منهم الى حال سبيله وعمل له ولده الجمع والختمات الى تمام اربعين يوما وهو مقيم في البيت لا يخرج الا الى المصلى ومن يوم الجمعة الى الجمعة يزور والده ولم يزل في صلاته وقراءته وعبادته مدة من الزمان حتى دخل عليه اقرانه من اولاد التجار وسلموا عليه وقالوا له الى متى هذا الحزن الذي انت فيه وترك شغلك وتجارتك واجتماعك على اصحابك وهذا امر يطول عليك ويحصل لجسدك منه ضرر زائد وحين دخلوا عليه كان صحبتهم ابليس اللعين يوسوس لهم فصاروا يحسنون له ان يخرج معهم الى السوق وابليس يغريه بموافقتهم الى ان وافقهم على الخروج معهم من البيت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اولاد التجار لما دخلوا على التاجر علي المصري ابن التاجر حسن الجوهري حسنوا له ان يخرج معهم الى السوق فوافقهم على ذلك لامر يريده الله سبحانه وتعالى وخرج معهم من البيت فقالوا له اركب بغلتك وتوجه بنا الى البستان الفلاني لنتفرج فيه ويذهب عنك الحزن والفكر فركب بغلته واخذ عبده معه وتوجه معهم الى البستان الذي قصدوه فلما صاروا في البستان ذهب واحد منهم وعمل لهم الغداء واحضره في البستان فاكلوا وانبسطوا وجلسوا يتحدثون الى آخر النهار ثم ركبوا وانصرفوا وسار كل منهم الى منزله وباتوا فلما اصبح الصباح جاؤا اليه وقالوا له قم بنا فقال لهم الى اين فقالوا الى البستان الفلاني فانه احسن من الاول وانزه فركب وتوجه معهم الى البستان الذي قصدوه فلما صاروا في البستان ذهب واحد منهم وعمل لهم الغدا واحضره الى البستان واحضر صحبته المدام المسكر فاكلوا ثم احضروا الشراب فقال لهم ما هذا فقالوا له هذا الذي يذهب الحزن ويجلي السرور ولم يزالوا يحسنونه له حتى غلبوا عليه فشرب معهم واستمروا في حديث وشرب الى آخر النهار ثم توجهوا الى منازلهم واكن علي المصري حصل له دوخة من الشراب فدخل على زوجته وهو بهذا الحال فقالت له ما بالك متغيرا فقال نحن اليوم كنا في حظ وانبساط ولكن بعض اصحابنا جاءنا بماء فشرب اصحابي وشربت معهم فحصلت لي هذه الدوخة فقالت له زوجته يا سيدي هل نسيت وصية والدك وفعلت ما نهاك عنه من معاشرة اصحاب الشبهات فقال لها ان هؤلاء من اولاد التجار ولم يكونوا اصحاب شبهات وانما هم اصحاب حظ وانبساط ومازال كل يوم مع اصحابه على هذه الحالة يتوجهون الى محل بعد محل وهم في اكل وشرب الى ان قالوا له قد فرغ دورنا وصار الدور عليك فقال لهم اهلا وسهلا ومرحبا ولما اصبح احضر كل ما يحتاج اليه الحال من المأكل والمشرب اضعاف ما فعلوه واخذ معه الطباخين والفراشين والقهوجيه وتوجهوا الى الروضة والمقياس ومكثوا فيها شهرا كاملا على اكل وشرب وسماع وانبساط فلما مضى الشهر رأى نفسه قد صرف جملة من المال لها صورة فغره ابليس اللعين وقال له لو صرفت كل يوم قدر الذي صرفته لم ينقص مالك فلم يبال بصرف المال واستمر على هذا الحال مدة ثلاث سنوات وزوجته تنصحه وتذكره بوصية والده فلم يسمع كلامها الى ان نفد المال الذي كان عنده من النقود جميعه فصار يأخذ من الجواهر ويبيع ويصرف اثمانها الى ان انفدها ثم اخذ في بيع البيوت والعقارات حتى لم يبق منها شيء فلما انفدت صار يبيع في الضياع والبساتين واحدا بعد واحد الى ان ذهبت

جميعها ولم يبق عنده شئ يملكه الا البيت الذى هو فيه فصار يقلع رخامه واخشابه ويتصرف فيها الى ان افناها جميعها ونظر فى نفسه فلم يجد عنده شيأ يصرفه فباع البيت وتصرف فى ثمنه ثم بعد ذلك جاءه الذى اشترى منه البيت وقال له انظر لك محلا فانى محتاج الى بيتى فتفكر فى نفسه فلم يجد عنده شيأ يحتاج الى بيت غير زوجته وقد ولدت منه ولدا وبنتا ولم يبق عنده خدم غير نفسه وعياله فاخذ له قاعة فى بعض الحيشان وسكن فيها بعد العز والدلال وكثرة الخدم والمال وصار لم يملك قوت يوم فقالت له زوجته من هذا كنت احذرك واقول لك احفظ وصية والدك فلم تسمع قولى فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ومن اين نأكل الاولاد الصغار فقم وطف على اصحابك اولاد التجار لعلهم يعطونك شيأ نتقوت به فى هذا اليوم فقام وتوجه الى اصحابه واحدا بعد واحد وكل من توجه اليه منهم يوارى وجهه منه ويسمعه ما يكره من الكلام المؤلم ولم يعطه احد منهم شيأ فرجع الى زوجته وقال لها لم يعطونى شيأ فقامت الى جيرانها لتطلب منهم شيأ وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان زوجة على المصرى بن التاجر حسن الجوهرى لما رجع اليها زوجها من غير شئ قامت الى جيرانها لتطلب شيأ يتقوتون به فى ذلك اليوم فتوجهت الى امرأة كانت تعرفها فى الايام السابقة فلما دخلت عليها ورأت حالها قامت واخذتها بقبول وبكت وقالت لها ما الذى اصابكم فحكت لها جميع ما كان من زوجها فقالت لها مرحبا بك واهلا وسهلا فجميع ما تحتاجينه اطلبيه منى من غير مقابل فقالت لها جزاك الله خيرا ثم اعطتها ما يكفيها هى وعيالها مؤنة شهر كامل فاخذته وتوجهت الى محلها فلما رآها زوجها بكى وقال لها من اين لك ذلك فقالت له من فلانة فانى لما اخبرتها بما حصل لم تقصر فى شئ وقالت لى جميع ما تحتاجين اليه اطلبيه منى فعند ذلك قال لها زوجها حيث صار عندك هذا فانا متوجه الى محل اقصده لعل الله تعالى يفرج عنا واخذ بخاطرها وقبل اولاده ثم خرج ولم يعرف اين يقصد وما زال ماشيا حتى وصل الى بولاق فرأى مركبا مسافرة الى دمياط فرآه رجل كان بينه وبين ابيه صحبة فسلم عليه وقال له اين تريد قال اريد دمياط فان لى اصحابا اسأل عنهم وازورهم ثم ارجع فاخذه الى بيته واكرمه وعمل له زادا واعطاه شيأ من الدنانير وانزله فى المركب المتوجهة الى دمياط فلما وصلوا اليها طلع من المركب ولم يعرف اين يقصد فبينما هو ماش اذ رآه رجل من التجار فحن عليه واخذه معه الى منزله فمكث عنده مدة وبعد ذلك قال فى نفسه والى متى هذا القعود فى بيوت الناس ثم طلع من بيت ذلك التاجر فرأى مركبا مسافرة الى الشام فعمل له الرجل الذى كان نازلا عنده زادا وانزله فى تلك المركب وتوجهت بهم حتى وصلوا الى ساحل الشام فنزل من المركب وسافر حتى دخل دمشق فبينما هو ماش فى شوارعها اذ رآه رجل من اهل الخير فاخذه الى منزله فاقام عنده مدة ثم بعد ذلك خرج فرأى قافلة متوجهة الى بغداد فخطر بباله ان يسافر مع تلك القافلة ثم رجع الى التاجر الذى كان مقيما عنده فى منزله واخذ خاطره وطلع مع القافلة فحنن الله سبحانه وتعالى عليه رجلا من التجار فاخذه عنده وصار يأكل ويشرب معه الى ان بقى بينهم وبين بغداد مسافة يوم واحد فطلع على القافلة جماعة من قطاع الطريق فاخذوا كامل ما معهم ولم ينج منهم الا القليل فسار كل واحد من القافلة يقصد محلا يأوى اليه واما على المصرى فانه قصد بغداد ثم وصل اليها عند غروب الشمس وما وصل باب المدينة حتى

رأى البوابين مرادهم ان يقفلوا الباب فقال لهم دعونى ادخل عندكم فادخلوه عندهم وقالوا له من اين اتيت والى اين تسير فقال انا رجل من مدينة مصر ومعى تجارة وبغال واحمال وعبيد وغلمان فسبقتهم لكى انظر لى محلا احط فيه تجارتى فلما سبقتهم وانا راكب على بغلتى قابلنى جماعة من قطاع الطريق فاخذوا بغلتى وحوايجى وما نجوت منهم الا وانا على آخر رمق فاكرموه وقالوا له مرحبا بك فبت عندنا الى الصباح ثم تنظر لك محلا يليق بك ففتش فى جيبه فرأى دينارا كان باقيا من الدنانير التى اعطاها له التاجر فى بولاق فاعطى ذلك الدينار لواحد من البوابين وقال له خذ هذا واصرفه واتتنا بشئ نأكله فاخذه وذهب الى السوق وصرفه وجاء له بخبز ولحم مطبوخ فاكل هو واياهم ونام عندهم الى الصباح ثم اخذه رجل من البوابين وتوجه به الى رجل من تجار بغداد وحكى له حكايته فصدقه ذلك الرجل وظن انه تاجر ومعه احمال فاطلعه دكانه واكرمه وارسل الى منزله فاحضر له بدلة عظيمة من ملبوسه وادخله الحمام قال على المصرى بن التاجر حسن الجوهرى فدخلت معه الحمام وعند خروجنا اخذنى وتوجه بى الى منزله واحضر لنا الغداء فاكلنا وانبسطنا وقال لواحد من عبيده يا مسعود خذ سيدك واعرض عليه البيتين اللذين فى المكان الفلانى والذى يعجبه منهما اعطه مفتاحه وتعال فتوجهت انا والعبد حتى وصلنا الى درب فيه ثلاثة بيوت بجانب بعضها جديدة مقفولة ففتح اول بيت وتفرجت عليه وخرجنا وتوجهنا الى الثانى ففتحه وتفرجت عليه فقال لى ايهما اعطيك مفتاحه فقلت له وهذا البيت الكبير لمن قال انا فقلت له افتحه لاجل ان تفرج عليه فقال ليس لك به حاجة فقلت له لم ذلك فقال لانه مهجور ولم يسكنه احد الا ويصبح ميتا ولا نفتح بابه لاخراج الميت منه بل نطلع على سطح احد البيتين ونخرجه منه فمن ذلك تركه سيدى وقال انا ما بقيت اعطيه لاحد فقلت افتحه لى حتى اتفرج عليه وقلت فى نفسى هذا هو المطلوب فابيت فيه واصبح ميتا وارتاح من هذا الحال الذى انا فيه ففتحه ودخلته فرأيته بيتا عظيما لا مثيل له فقلت للعبد انا ما اختار الا هذا البيت فاعطنى مفتاحه فقال لى العبد لا اعطيك المفتاح حتى اشاور سيدى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العبد قال لى لا اعطيك المفتاح حتى اشاور سيدى ثم توجه الى سيده وقال له ان التاجر المصرى يقول ما اسكن الا فى البيت الكبير فقام وجاء الى على المصرى وقال له يا سيدى ليس لك بهذا البيت حاجة فقال له على المصرى ما اسكن الا فيه ولا ابالى بهذا القول فقال له اكتب بينى وبينك حجة انه اذا حصل لك شئ لا علاقة لى بك قال كذلك فاحضر شاهدا من المحكمة وكتب عليه حجة واخذها عنده واعطاه المفتاح فاخذه ودخل البيت فارسل اليه التاجر فرشا مع عبد ففرشه له على المسطبة التى خلف الباب ورجع ثم بعد ذلك قام على المصرى ودخل فرأى بئرا فى حوش البيت وعليها سطل فادلاه فى البئر وملأه وتوضأ منه وصلى فرضه وجلس قليلا فجاء له العبد بالعشاء من بيت سيده وجاء له بقنديل وشمعة وشمعدان وطشت وابريق وقلة ثم تركه وتوجه الى بيت سيده فقاد الشمعة وتعشى وانبسط وصلى العشاء وقال فى نفسه قم اطلع فوق وخذ الفرش ونم هناك احسن من هنا فقام واخذ الفرش واطلعه فوق فرأى قاعة عظيمة سقفها مذهب وارضها وحيطانها بالرخام الملون ففرش فرشه وجلس يقرأ شيئا من القرآن العظيم فلم يشعر الا وشخص يناديه ويقول له يا على يا ابن

حسن هل ازل عليك الذهب قال له واين الذهب الذى تنزله فما قال له ذلك حتى صب عليه ذهبا كالمنجنيق ولم يزل الذهب منصبا حتى ملأ القاعة فلما فرغ انصباب الذهب قال له اعتقنى حتى اتوجه الى حال سبيلى فقد فرغت خدمتى فقال له على المصرى اقسمت عليك بالله العظيم ان تخبرنى عن سبب هذا الذهب فقال له ان هذا الذهب كان مرصودا عليك من قديم الزمن وكان كل من دخل هذا البيت نأتيه ونقول له يا على يا ابن حسن هل ننزل الذهب فيخاف من كلامنا ويصرخ فننزل له ونكسر رقبته ونروح فلما جئت انت وناديناك باسمك واسم ابيك وقلنا لك هل ننزل الذهب قلت لنا واين الذهب فعرفنا انك صاحبه فانزلناه وبقى لك كنز فى بلاد اليمن فاذا سافرت واخذته واتيت الى هنا كان اولى لك واريد منك ان تعتقنى حتى اروح الى حال سبيلى فقال والله ما اعتقك الا اذا اتيتنى بالذى فى بلاد اليمن الى هنا فقال له اذا اتيتك به هل تعتقنى وتعتق خادم ذلك الكنز فقال نعم قال له احلف لى فحلف له واراد ان يتوجه فقال له على المصرى بقى لى عندك حاجة قال وما هى قال لى زوجة واولاد بمصر فى المحل الفلانى ينبغى ان تأتينى بهم على راحة من غير ضرر فقال له آتيك بهم فى موكب وتختروان وخدم وحشم مع الكنز الذى نأتيك به من بلاد اليمن ان شاء الله تعالى ثم اخذ منه اجازة على ثلاثة ايام ويكون جميع ذلك عنده وتوجه فاصبح على يدور فى القاعة على محل يأوى فيه الذهب فرأى رخامة على طرف ليوان القاعة وفيها لولب ففرك اللولب فانزاحت الرخامة وبان له باب ففتحه ودخل فرأى خزنة كبيرة وفيها اكياس من القماش مخيطة فصار يأخذ الاكياس ويملؤها من الذهب ويدخلها فى الخزنة الى ان حول الذهب جميعه وادخله الخزنة وقفل الباب وفرك اللولب فرجعت الرخامة محلها ثم قام ونزل وقعد على المسطبة التى وراء الباب فبينما هو قاعد واذا بطارق يطرق عليه الباب فقام وفتحه فرآه عبد صاحب البيت فلما رآه العبد جالسا رجع بسرعة الى سيده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان عبد صاحب البيت لما جاء وطرق الباب على على المصرى ابن التاجر حسن فتح له الباب فلما رآه جالسا رجع بسرعة الى سيده ليبشره فلما وصل الى سيده قال له يا سيدى ان التاجر الذى سكن فى البيت المعمور بالجن طيب بخير وهو جالس على المسطبة التى وراء الباب فقام سيده وهو فرحان وتوجه الى ذلك البيت ومعه الفطور فلما رآه عانقه وقبله بين عينيه وقال له ما فعل الله بك قال خيرا وما نمت الا فوق فى القاعة المرخمة فقال له هل اتاك شئ او نظرت شيأ قال لا وانما قرأت ما تيسر من القرآن العظيم ونمت الى الصباح ثم قمت وتوضأت وصليت ونزلت وجلست على هذه المسطبة فقال الحمد لله على السلامة ثم قام من عنده وارسل اليه عبيدا ومماليك وجوارى وفرشا فكنسوا البيت من فوق ومن تحت وفرشوه له فرشا عظيما وبقى عنده ثلاثة مماليك وثلاثة عبيد واربع جوار للخدمة والباقى توجهوا الى بيت سيدهم ولما سمع بخبره التجار ارسلوا اليه هدايا من كل شئ نفيس حتى من المأكول والمشروب والملبوس واخذوه عندهم فى السوق وقالوا له متى تجئ بحملتك فقال لهم بعد ثلاثة ايام تدخل فلما مضت الثلاثة ايام جاءه خادم الكنز الاول الذى انزل له الذهب من البيت وقال له قم لاق الكنز الذى جئتك به من اليمن وحريمك ومعهم من جملة الكنز مال على صورة المتجر العظيم وجميع ما معه من البغال

والخيل والجمال والخدم والمماليك كلهم من الجان وكان ذلك الخادم قد توجه الى مصر فرأى زوجة على واولاده فى هذه المدة صاروا فى عرى وجوع زائد فحملهم من مكانهم فى تخت وهم سائرون خارجا عن مصر والبسهم خلعا عظيمة من الخلع التى فى كنز اليمن فلما اتاه واخبره بذلك الخبر قام وتوجه الى التجار وقال لهم قوموا بنا نطلع خارج المدينة لنلاقى القافلة التى فيها متجرنا وتشرفونا بحريماتكم لاجل ملاقاة حريمنا فقالوا له سمعا وطاعة ثم ارسلوا احضروا حريمهم وطلعوا جميعا وقعدوا فى بستان من بساتين المدينة وجلسوا يتحدثون فبينما هم فى الحديث واذا بغبار قد ثار من كبد البر فقاموا ينظرون ما سبب ذلك الغبار فانكشف وبان عن بغال ورجال وعكامة وفراشين وضوية وهم مقبلون فى غناء ورقص الى ان اقبلوا فتقدم مقدم العكامة الى على المصرى ابن التاجر حسن الجوهرى وقبل يده وقال له يا سيدى اننا تعوقنا فى الطريق لاننا اردنا الدخول بالامس فخفنا من قطاع الطريق فمكثنا اربعة ايام ونحن مقيمون فى محلنا الى ان صرفهم الله تعالى عنا فقام التجار وركبوا بغالهم وساروا مع القافلة وتأخرت الحريمات عند حريم التاجر على المصرى الى ان ركبوا معهم ودخلوا فى موكب عظيم وصار التجار يتعجبون من البغال المحملة بالصناديق ونساء التجار يتعجبن من ملبس زوجة التاجر علي وملبس اولادها ويقلن ان هذه الملابس لا يوجد مثلها عند ملك بغداد ولا غيره من سائر الملوك والاكابر والتجار ولم يزالوا سائرين فى موكبهم الرجال مع التاجر على المصرى والنساء مع حريمه الى ان دخلوا المنزل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انهم لم يزالوا سائرين فى موكبهم الرجال مع الرجال والنساء مع حريمه حتى دخلوا المنزل ونزلوا وادخلوا البغال باحمالها وسط الحوش ثم نزلوا الاحمال وخزنوها فى الحواصل وطلع الحريمات مع الحريم الى القاعة فرأوها مثل الروضة الغناء مفروشة بالفرش العظيم فجلسوا فى حظ وسرور واستمروا جالسين الى وقت الظهر فطلع الغداء لهم على احسن ما يكون من انواع الاطعمة والحلويات فاكلوا وشربوا الشربات العظيمة وتطيبوا بعدها بماء الورد والبخور ثم اخذوا خاطره وانصرفوا الى محلاتهم رجالا ونساء ولما رجع التجار الى اماكنهم صاروا يرسلون اليه الهدايا على قدر احوالهم وصار الحريمات يهادين الحريم الى ان جاء لهم شئ كثير من جوار وعبيد ومماليك ومن كامل الاصناف كالحبوب والسكر وغير ذلك من الخير الذى لا يحصى واما التاجر البغدادى صاحب البيت الذى هو فيه فانه استمر مقيما عنده ولم يفارقه وقال له خل العبيد والخدم يدخلون البغال وغيرها من البهائم فى بيت من البيوت لاجل الراحة فقال له انهم مسافرون فى هذه الليلة الى محل كذا واعطاهم اجازة بان يخرجوا الى خارج المدينة حتى يأتى الليل يسافرون فاصدقوا ان يعطيهم الاجازة بذلك حتى اخذوا خاطره وانصرفوا الى ظاهر المدينة وطاروا فى الهواء الى اماكنهم وقعد التاجر على مع صاحب البيت الذى هو فيه الى ثلث الليل ثم انفض مجلسهما وذهب صاحب البيت الى محله وطلع التاجر على الى حريمه وسلم عليهم وقال لهم ما الذى جرى لكم بعدى فى هذه المدة فاخبرته زوجته بما قاسوه من الجوع والعرى والتعب فقال لها الحمد لله على السلامة وكيف جئتم فقالت يا سيدى انا نائمة مع اولادى ليلة البارحة فلم اشعر الا والذى يرفعنى عن الارض انا واولادى الى ان صرنا طائرين فى الهواء ولكن لم يحصل لنا ضرر ولم نزل طائرين

حتى نزلنا على الارض فى مكان على شكل حلة العرب فرأينا هذه البغال محملة وتحتنا على بغلتين كبيرتين وحوله خدم من غلمان ورجال فقلت لهم من انتم وما هذه الاحمال ونحن فى اى مكان فقالوا نحن خدام التاجر على المصرى ابن التاجر حسن الجوهرى وقد ارسلنا نأخذكم ونوصلكم اليه فى مدينة بغداد فقلت لهم وهل المسافة التى بيننا وبين بغداد بعيدة او قريبة فقالوا الى قريبة فما بيننا وبينها غير سواد الليل ثم اركبونا فى التختروان فما اصبح الصباح الا ونحن عندكم ولم يحصل لنا ضرر ابدا فقال لها ومن اعطاكم هذا الملبس فقالت مقدم القافلة فتح صندوقا من الصناديق التى على البغال واخرج منه هذه الحلل فالبسنى حلة والبس اولادك كل واحد حلة ثم قفل الصندوق الذى اخذ منه الحلل واعطانى مفتاحه وقال لى احرصى عليه حتى تعطيه لزوجك وها هو محفوظ عندى ثم اخرجته له فقال لها هل تعرفين الصندوق قالت نعم اعرفه فقام ونزل معها الى الحواصل واراها الصناديق فقالت له هذا هو الصندوق الذى اخذ منه الحلل فاخذ المفتاح منها وحطه فى القفل وفتحه فرأى فيه حللا كثيرة ورأى فيه مفاتيح كامل الصناديق فاخذها منه وصار يفتح الصناديق صندوقا بعد صندوق ويتفرج على ما فيها من الجواهر والمعادن الكنوزية التى لم يوجد عند احد من الملوك نظيرها ثم قفلها واخذ مفاتيحها وطلع هو وزوجته الى القاعة وقال لها هذا من فضل الله تعالى ثم بعد ذلك اخذها وتوجه بها الى الرخامة التى فيها اللولب وفركه وفتح باب الخزنة ودخل هو واياها وفرجها على الذهب الذى وضعه فيها فقالت له من اين جاءك هذا كله فقال لها جاءنى من فضل ربى فانى خرجت من عندك بمصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه لما فرج التاجر على المصرى زوجته على الذهب قالت له من اين جاءك هذا كله فقال لها جاءنى من فضل ربى فانى خرجت من عندك بمصر وطلعت وانا لا ادرى اين اذهب فتمشيت حتى وصلت الى بولاق فوجدت مركبا مسافرة الى دمياط فنزلت فيها فلما وصلت الى دمياط قابلنى رجل تاجر كان يعرف والدى فاخذنى واكرمنى وقال لى الى اين تسافر فقلت له اريد ان اسافر الى دمشق الشام فان لى فيها اصحابا وحكى لها على ما وقع له من اوله الى آخره فقالت له يا سيدى هذا كله ببركة دعاء والدك حين كان يدعو لك قبل موته ويقول اسأل الله ان لا يوقعك فى شدة الا ويدركك بالفرج القريب فالحمد لله تعالى حيث اتاك بالفرج وعوض عليك باكثر مما ذهب منك فبالله عليك يا سيدى لا تعد الى ما كنت فيه من عشرة اصحاب الشبه وعليك بتقوى الله تعالى فى السر والعلانية وصارت توصيه فقال لها قبلت وصيتك واسأل الله تعالى ان يبعد عنا اقران السوء وان يوفقنا لطاعته واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وصار هو وزوجته واولاده فى ارغد عيش ثم انه اخذ له دكانا فى سوق التجار ووضع فيه شيئا من الجواهر والمعادن الثمينة وجلس فى الدكان وعنده اولاده ومماليكه وصار اجل التجار فى مدينة بغداد فسمع بخبره ملك بغداد فارسل اليه رسولا يطلبه فلما جاءه الرسول قال له اجب الملك فانه يطلبك فقال سمعا وطاعة ثم جهز هدية للملك فاخذ اربع صوانى من الذهب الاحمر وملأها من الجواهر والمعادن التى لا يوجد مثلها عند الملوك واخذ الصوانى وطلع بها الى الملك فلما دخل عليه قبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والنعم واحسن ما به تكلم فقال له الملك يا تاجر قد آنست بلادنا فقال له

يا ملك الزمان ان العبد اتاك بهدية ويرجو من فضلك قبولها ثم قدم الاربع صوانى بين يديه فكشف عنها الملك وتأملها فرأى فيها شيأ من الجواهر لم يكن عنده مثله وقيمته تساوى خزائن مال فقال له هديتك مقبولة يا تاجر وان شاء الله تعالى نجازيك بمثلها فقبل يدى الملك وانصرف من عنده فاحضر الملك اكابر دولته وقال لهم كم ملك من الملوك خطب ابنتى قالوا له كثير فقال لهم هل احد منهم هادانى بمثل هذه الهدية فقالوا جميعا لا لانه لا يوجد عند احد منهم مثل هذا قط فقال الملك استخرت الله تعالى فى ان ازوج ابنتى لهذا التاجر فما تقولون فقالوا له الامر كما ترى فامر الطواشية ان يحملوا الاربع صوانى بما فيها ويدخلوها الى سرايته ثم اجتمع بزوجته ووضع الصوانى بين يديها فكشفت عنها فرأت فيها شيأ لم يكن عندها مثله ولا قطعة واحدة فقالت له من اى الملوك هذا لعله من احد الملوك الذين خطبوا بنتك فقال لا وانما هذا من رجل تاجر مصرى جاء عندنا فى هذه المدينة فلما سمعت بقدومه ارسلت اليه رسولا يحضره لنا كى نصاحبه لعلنا نجد عنده شيأ من الجواهر فنشترية منه من اجل جهاز بنتنا فامتثل امرنا وجاءنا بهذه الاربع صوانى وقدمها لنا هدية فرأيته شابا حسنا ذا مهابة وعقل كامل وشكل ظريف يكاد ان يكون من ابناء الملوك فلما رأيته مال اليه قلبى وانشرح له صدرى واحببت ان ازوجه بنتى وقد عرضت الهدية على ارباب دولتى وقلت لهم كم واحد من الملوك خطب ابنتى فقالوا كثير فقلت لهم وهل جاءنى احد منهم بمثل ذلك فقالوا كلهم لا والله يا ملك الزمان انه لا يوجد عند احد منهم مثل ذلك فقلت لهم انى استخرت الله تعالى فى ان ازوجه ابنتى فما تقولون قالوا الامر كما تراه فما تقولين انت فى جوابك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ملك مدينة بغداد لما عرض الهدية على زوجته واخبرها بشمائل التاجر على الجوهرى وانه يريد ان يزوجه ابنته قال لها فما تقولين انت فى جوابك قالت له الامر لله ولك يا ملك الزمان والذى يريده الله هو الذى يكون فقال ان شاء الله تعالى لا ازوجها الا لهذا الشاب وبات تلك الليلة فلما اصبح الصباح طلع الى ديوانه وامر باحضار التاجر على المصرى وكامل تجار بغداد فحضروا جميعا فلما تمثلوا بين يدى الملك امرهم بالجلوس فجلسوا ثم قال احضروا قاضى الديوان فحضر بين يديه فقال له يا قاضى اكتب كتاب ابنتى على التاجر على المصرى فقال على المصرى العفو يا مولانا السلطان لا يصح ان يكون صهر الملك تاجر مثلى فقال الملك قد انعمت عليك بذلك وبالوزارة ثم خلع عليه خلعة الوزارة فى الحال فعند ذلك جلس على كرسى الوزارة وقال يا ملك الزمان انت انعمت على بذلك وقد تشرفت بانعامك ولكن اسمع لى كلمة اقولها لك فقال قل ولا تخف قال حيث صدر امرك الشريف بزواج ابنتك فينبغى ان يكون زواجها لولدى فقال هل لك ولد قال نعم فقال الملك ارسل اليه فى هذه الساعة فقال سمعا وطاعة ثم ارسل واحدا من مماليكه الى ولده واحضره فلما حضر بين يدى الملك قبل الارض بين يديه ووقف متأدبا فنظر اليه الملك فرآه اجمل من بنته واحسن منها قدا واعتدالا وبهجة وكمالا فقال له ما اسمك يا ولدى فقال يا مولانا السلطان اسمى حسن وكان عمره حينئذ اربعة عشر عاما فقال الملك للقاضى اكتب كتاب بنتى حسن الوجود على حسن بن التاجر على المصرى فكتب كتابه عليها وتم الامر على احسن حال وانصرف كل من فى الديوان الى حال سبيله ونزل التجار خلف الوزير

على المصري الى ان وصل الى منزله وهو فى منصب الوزارة ثم هنوه بذلك وانصرفوا الى حال سبيلهم ثم دخل الوزير على المصرى على زوجته فرأته لابسا خلعة الوزارة فقالت له ما هذا فحكى لها الحكاية من اولها الى آخرها وقال لها ان الملك زوج ابنته لحسن ولدى ففرحت بذلك فرحا زائدا ثم بات على المصرى تلك الليلة ولما اصبح الصباح طلع الديوان فلاقاه الملك ملاقاة حسنة واجلسه الى جانبه وقربه منه وقال له يا وزير قصدنا ان نقيم الفرح وندخل ابنك على بنتى فقال يا مولانا السلطان ما تراه حسنا فهو حسن فامر الملك بقيام الفرح وزينوا المدينة واستمروا فى اقامة الفرح ثلاثين يوما وهم فى هناء وسرور وفى تمام الثلاثين يوما دخل حسن بن الوزير على بنت الملك وتمتع بحسنها وجمالها واما زوجة الملك فانها حين رأت زوج ابنتها احبته حبا شديدا وكذلك فرحت بامه فرحا زائدا ثم ان الملك امر لحسن ابن الوزير بسراية فبنوا له سراية عظيمة بسرعة وسكن فيها ابن الوزير وصارت امه تقعد عنده اياما ثم تنزل الى بيتها فقالت زوجة الملك لزوجها يا ملك الزمان ان والدة حسن لا يمكنها ان تقعد عند ولدها وتترك الوزير ولا يمكنها ان تقعد عند الوزير وتترك ولدها فقال صدقت وامر ان تبنى سراية ثالثة بجنب سراية حسن ابن الوزير فبنوا سراية ثالثة فى ايام قلائل وامر الملك ان ينقلوا حوايج الوزير الى السراية فنقلوها وسكن بها الوزير وصارت الثلاث سرايات نافذات لبعضها فاذا اراد الملك ان يتحدث مع الوزير يمشى له ليلا او يرسل اليه يحضره وكذلك حسن وامه وابوه وما زالوا مع بعضهم فى حالة مرضية وعيشة هنية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك والوزير وابنه ما زالوا مع بعضهم فى حالة مرضية وعيشة هنية مدة من الزمان ثم ان الملك حصل له ضعف وزاد سقمه فاحضر اكابر دولته وقال لهم انه حصل لى مرض شديد وربما كان مرض الموت وقد احضرتكم لاشاوركم فى امر فشوروا على بما ترونه حسنا فقالوا ما الرأى الذى تشاورنا فيه ايها الملك فقال انى صرت كبيرا وقد مرضت واخاف على المملكة بعدى من الاعداء وقصدى ان تتفقوا انتم الجميع على واحد حتى ابايعه على المملكة فى حياتى لكى ترتاحوا فقالوا جميعا نحن نرضى كلنا بزوج ابنتك حسن ابن الوزير على فاننا رأينا عقله وكماله وفهمه وهو يعرف مقام الكبير والصغير فقال لهم الملك وهل رضيتم بذلك قالوا نعم قال لهم ربما تقولون ذلك بين يدى حياء منى وفى خلفى تقولون غير ذلك فقالوا جميعا والله ان كلامنا ظاهرا وباطنا واحد لا يتغير وقد ارتضيناه بطيب قلوبنا وانشراح صدورنا فقال لهم ان كان الامر كذلك فاحضروا قاضى الشرع الشريف وسائر الحجاب والنواب وارباب الدولة جميعا بين يدى فى غد وتمم الامر على احسن حال فقالوا له سمعا وطاعة ثم انصرفوا من عنده ونبهوا على كامل العلماء ووجهاء الناس من الامراء فلما اصبح الصباح طلعوا الى الديوان وارسلوا الى الملك يستأذنونه فى الدخول عليه فاذن لهم فدخلوا وسلموا عليه وقالوا نحن الجميع قد حضرنا بين يديك فقال لهم الملك يا امراء بغداد من ترضوه يكون عليكم ملكا بعدى لاجل ان ابايعه فى حياتى قبل مماتى فى حضوركم جميعا فقالوا كلهم قد اتفقنا على حسن ابن الوزير على زوج ابنتك فقال لهم ان كان الامر كذلك فقوموا جميعا واحضروه بين يدى فقاموا جميعا ودخلوا سرايته وقالوا له قم بنا الى الملك فقال لهم لاى شئ فقالوا له لامر فيه صلاح لنا ولك فقام معهم حتى دخلوا

على الملك فقبل حسن الارض بين يديه فقال له الملك اجلس ياولدى فجلس فقال له ياحسن ان الامراء جميعا استرضوا عنك واتفقوا على ان يجعلوك ملكا عليهم من بعدى وقصدى ان ابايعك فى حياتى لاجل انفصاض الامر فعند ذلك قام حسن وقبل الارض بين يدى الملك وقال له يامولانا الملك ان فى الامراء من هو اكبر منى سنا واعلا قدرا فاقيلونى من ذلك الامر فقالت الامراء جميعا لا نرضى الا ان تكون ملكا علينا فقال لهم ان ابى اكبر منى وانا وابى شئ واحد ولا يصح تقدمى عليه فقال له ابوه انا لا ارضى الا بما رضى به اخوانى وقد رضوا بك واتفقوا عليك فلا تخالف امر الملك ولا امر اخوانك فاطرق حسن برأسه الى الارض حياء من الملك ومن ابيه فقال لهم الملك هل رضيتم به قالوا رضينا به فقرأوا جميعا على ذلك فواتح سبع ثم قال الملك يا قاضى اكتب حجة شرعية على هؤلاء الامراء انهم اتفقوا على سلطنة حسن زوج بنتى وانه يكون عليهم ملكا فكتب الحجة بذلك وامضاها بعد ان بايعوه جميعا على الملك وبايعه الملك وامره بالجلوس على كرسى المملكة فقاموا جميعا وقبلوا ايادى الملك حسن ابن الوزير وابدوا له الطاعة فحكم فى ذلك النهار حكما عظيما وخلع على ارباب الدولة الخلع السنية ثم انفض الديوان ودخل حسن على والد زوجته وقبل يديه فقال له ياحسن عليك بتقوى الله فى الرعية وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك حسن لما فرغ من الديوان دخل على والد زوجته وقبل يديه فقال له ياولدى عليك بتقوى الله فى الرعية فقال له بدعائك لى ياوالدى يحصل لى التوفيق ثم دخل سرايته فلاقته زوجته هى وامها واتباعهما وقبلوا يديه وقالوا له يوم مبارك وهنوه بالمنصب ثم قام من سرايته ودخل سراية والده وفرحوا فرحا زائدا بما انعم الله به عليه من تقليد الملك واوصاه والده بتقوى الله والشفقة على الرعية وبات تلك الليلة فى فرح وسرور الى الصباح ثم صلى فرضه وختم ورده وطلع الى الديوان وطلع اليه كامل العسكر وارباب المناصب فحكم بين الناس وامر بالمعروف ونهى عن المنكر وولى وعزل ولم يزل فى الحكومة الى آخر النهار ثم انفض الديوان على احسن حال وانصرف العسكر وسار كل واحد منهم الى حال سبيله ثم قام ودخل السراية فراى والد زوجته قد ثقل عليه الضعف فقال له لا باس عليك ففتح عينيه وقال له ياحسن قال لبيك ياسيدى قال له انا الان قد قرب اجلى فكن متوصيا بزوجتك ووالدتها وعليك بتقوى الله وبر والديك واخش مهابة الملك الديان واعلم بان الله يأمر بالعدل والاحسان فقال له الملك حسن سمعا وطاعة ثم ان الملك القديم اقام ثلاثة ايام بعد ذلك وتوفى الى رحمة الله تعالى فجهزوه وكفنوه وعملوا له القرآت والختمات الى تمام الاربعين يوما واستقل الملك حسن ابن الوزير بالملك وفرحت به الرعية وكانت ايامه كلها سرورا وما زال والده وزيرا كبيرا على ميمنته واتخذ له وزيرا آخر على ميسرته واستقامت به الاحوال ومكث ملكا فى بغداد مدة مستطيلة ورزق من بنت الملك ثلاثة اولاد ذكور يتوارثون المملكة من بعده وصاروا فى ارغد عيش واهناه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من له الدوام وبيده النقض والابرام وممايحكى ان رجلا من الحجاج نام نومة طويلة ثم انتبه فلم ير للحجاج اثرا فقام يمشى فضل عن الطريق وصار يسير الى ان رأى خيمة ورأى امرأة عجوزا على باب الخيمة ووجد عندها كلبا نائما فدنا من الخيمة ثم سلم على العجوز وطلب منها طعاما فقالت امض الى ذلك الوادى واصطد من الحيات

بقدر كفايتك لاشوى لك منها واطعمك فقال لها الرجل انا لا اجسر على ان اصطاد الحيات وما كانها قط فقالت العجوز انا امضى معك واتصيد منها فلا تخف ثم انها مضت معه وتبعهما الكلب فاصطادت من الحيات بقدر الكفاية وجعلت تشوى منها قال فلم ير الرجل الحاج من الاكل بدا وخاف من الجوع والهزال فاكل من تلك الحيات ثم انه عطش فطلب من العجوز ماء ليشرب فقالت له دونك والعين فاشرب منها فمضى الى العين فوجد ماءها مرا ولم يجد له من شربه بدا مع شدة مرارته لما لحقه من العطش فشرب ثم عاد للعجوز وقال لها عجبا منك ايتها العجوز ومن مقامك بهذا الموضع ومكثك فى هذا المكان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الرجل الحاج لما شرب من ماء العين المر لكثرة ما لحقه من العطش ثم عاد للعجوز وقال لها العجب ايتها العجوز منك ومن مقامك بهذا الموضع واغتذائك بهذا الطعام وشربك من هذا الماء قالت له العجوز فكيف تكون بلادكم قال لها ان فى بلادنا الدور الواسعة الرحبة والفواكه اليانعة اللذيذة والمياه الغزيرة العذبة والاطعمة الطيبة واللحوم السمينة والغنم الكثيرة وكل شئ طيب والخيرات الحسان اللاتى لا يكون مثلهن الا فى الجنة التى وصفها الله تعالى لعباده الصالحين فقالت العجوز قد سمعت هذا كله فقل لى هل يكون لكم من سلطان يحكم عليكم ويجور فى حكمه وانتم تحت يده وان اذنب احد منكم اخذ امواله واتلفه واذا اراد اخرجكم من بيوتكم واستأصل شأفتكم فقال لها الرجل قد يكون ذلك فقالت العجوز اذا والله يكون ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف والنعم اللذيذة مع الجور والظلم سما ناقعا وتعود اطعمتنا مع الامن درياقا نافعا اما سمعت ان اجل النعم بعد الاسلام الصحة والامن وانما يكون هذا من عدل السلطان خليفة الله فى ارضه وحسن سياسته وكان من تقدم من السلاطين يحب ان يكون له ادنى هيبة بحيث اذا رأته الرعية خافوه وسلطان هذا الزمان يحب ان يكون له اوفى سياسة واتم هيبة لان الناس الان ليسوا كالمتقدمين وزماننا هذا زمان ذوى الوصف الذميم والخطب الجسيم حيث اتصفوا بالسفاهة والقساوة وانطووا على البغضاء والعداوة واذا كان السلطان والعياذ بالله تعالى بينهم ضعيفا او غير ذى سياسة وهيبة فلا شك فى ان ذلك يكون سببا لخراب البلاد وفى الامثال جور السلطان مائة سنة ولا جور الرعية بعضهم على بعض سنة واحدة واذا جارت الرعية سلط الله عليهم سلطانا جبارا وملكا قاهرا كما ورد فى الاخبار ان الحجاج بن يوسف رفعت اليه فى بعض الايام قصة مكتوب فيها اتق الله ولا تجر على عباد الله كل الجور فلما قرأ القصة رقى المنبر وكان فصيحا فقال ايها الناس ان الله تعالى سلطنى عليكم باعمالكم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الحجاج بن يوسف لما قرأ القصة رقى المنبر وكان فصيحا فقال ايها الناس ان الله تعالى سلطنى عليكم باعمالكم فان انا مت فانتم لا تتخلصون من الجور مع هذه الاعمال السيئة لان الله تعالى خلق امثالى خلقا كثيرا واذا لم اكن انا كان من هو اكثر منى شرا واعظم جورا واشد سطوة كما قال الشاعر فى معنى ذلك

وما من يد الا يد الله فوقها ✱ وما ظالم الا سيبلى بظالم

والجور يخاف منه والعدل اصلح كل شيء نسأل الله ان يصلح احوالنا ومما يحكى انه كان ببغداد رجل ذو مقدار وكان موسرا بالمال والعقار وهو من التجار الكبار وقد وسع الله عليه دنياه ولم يبلغه من الذرية ما يتمناه ومضت عليه مدة من الزمان ولم يرزق باناث ولا ذكران فكبر سنه ورق عظمه وانحنى ظهره وكثر وهنه وهمه فخاف ذهاب ماله ونسبه اذا لم يكن له ولد يرثه ويذكر به فتضرع الى الله تعالى وصام النهار وقام الليل ونذر النذور لله تعالى الحي القيوم وزار الصالحين واكثر التضرع الى الله تعالى فاستجاب الله له وقبل دعاه ورحم تضرعه وشكواه فما كان الا قليل من الايام حتى جامع احدى نسائه فحملت منه في ليلتها ووقتها وساعتها واتمت اشهرها ووضعت حملها وجاءت بذكر كأنه فلقة قمر فاوفى بالنذر شكرا لله عز وجل واخرج الصدقات وكسا الارامل والايتام وليلة سابع الولادة سماه بابي الحسن فارضعته المراضع وحضنته الحواضن وحملته المماليك والخدم الى ان كبر ونشأ وترعرع واتشأ وتعلم القرآن العظيم وفرائض الاسلام وامور الدين القويم والخط والشعر والحساب والرمي بالنشاب فكان فريد دهره واحسن اهل زمانه وعصره ذا وجه مليح ولسان فصيح يتهادى تمايلا واعتدالا ويتزاهى تدللا واختيالا بخد احمر وجبين ازهر وعذار اخضر كما قال فيه بعض واصفيه

بدا ربيع العذار للحدق ✱ والورد بعد الربيع كيف بقي
اما ترى النبت فوق عارضه ✱ بنفسجا طالعا من الورق

فاقام مع ابيه برهة من الزمن في احسن حال وابوه به فرح مسرور الى ان بلغ مبالغ الرجال فاجلسه ابوه بين يديه يوما من الايام وقال له يا ولدي انه قد قرب الاجل وحانت وفاتي ولم يبق غير لقاء الله عز وجل وقد خلفت لك ما يكفيك الى ولد الولد من المال المتين والضياع والاملاك والبساتين فاتق الله تعالى يا ولدي فيما خلفته لك ولا تتبع الا من رفدك فلم يكن الا قليل حتى مرض الرجل ومات فجهزه ولده احسن تجهيز ودفنه ورجع الى منزله وقعد للعزاء اياما وليالي واذا باصحابه قد دخلوا عليه وقالوا له من خلف مثلك ما مات وكل ما فات فقد فات وما يصلح العزاء الا للبنات والنساء المخدرات ولم يزالوا به حتى دخل الحمام ودخلوا عليه وفكوا حزنه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن ابن الخواجا لما دخل عليه اصحابه الحمام وفكوا حزنه نسي وصية ابيه وذهل لكثرة المال وظن ان الدهر يبقى معه على حال وان المال ليس له زوال فاكل وشرب ولذ وطرب وخلع ووهب وجاد بالذهب ولازم اكل الدجاج وفض ختام الزجاج وقهقهة القناني واستماع الاغاني ولم يزل على هذا الحال الى ان مال المال وقعد الحال وذهب ما كان لديه وسقط في يديه ولم يبق له بعد ان اتلف ما اتلف غير وصيفة خلفها له والده من جملة ما خلف وكانت الوصيفة هذه ليس لها نظير في الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد والاعتدال وهي ذات فنون وآداب وفضائل تستطاب قد فاقت اهل عصرها واوانها وصارت اشهر من علم في افتتانها وزادت على الملاح بالعلم والعمل والتثني والميل مع كونها خماسية القد مقارنة للسعد بجبينين كأنهما هلال شعبان وحاجبين ازجين وعينين كعيون غزلان وانف كحد الحسام وخد كأنه شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان واسنان كأنها عقود الجمان وسرة تسع اوقية

دهن بان وخصر انحل من جسم من اضناه الهوى واسقمه الكتمان وردف اثقل من الكثبان وبالجملة فهي في . والجمال جديرة بقول من قال

ان اقبلت فتنت بحسن قوامها * او ادبرت قتلت بصد فراقها
شمسية بدرية غصنية * ليس الجفا والبعد من اخلاقها
جنات عدن تحت جيب قميصها * والبدر في فلك على اطواقها

كانها البدر الطالع والغزال الراتع بنت تسع وخمس تخجل القمر والشمس كما قال الشاعر البليغ الماهر

شبيهة البدر اذا ما مضى * خمس وخمس بعدها اربع
ما كان ذنبي حين صيرتني * شبيهه اول ما يطلع

صافية الاديم عاطرة النسيم كانها خلقت من النور وتكونت من البلور تورد منها الخد واعتدل القوام والقد كما قال فيها بعض واصفيها

تختال بين معصفر ومدنر * ومفضض ومورد ومصندل
هي زهرة في روضة او درة * في شمسة او صورة في هيكل
هيفاء ان قال القوام لها انهضي * قالت روادفها قفي وتمهلي
واذا طلبت الوصل قال جمالها * جودي وقال دلالها لا تفعلي
سبحان من جعل الملاحة حظها * ونصيب عاشقها كلام العذل

تسلب من راها بحسن جمالها وبريق ابتسامها وترميه من عيونها بنبل سهامها وهي مع هذا كله فصيحة الكلام حسنة النظام فلما انفد جميع ماله وتبين سوء حاله ولم يبق معه غير هذه الجارية اقام ثلاثة ايام وهو لم يذق طعم طعام ولم يسترح في منام فقالت له الجارية يا سيدي احملني الى امير المؤمنين هارون الرشيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لسيدها يا سيدي احملني الى هارون الرشيد الخامس من بني العباس واطلب ثمني منه عشرة الاف دينار فان استغلاني فقل له يا امير المؤمنين وصيفتي اكثر من ذلك فاختبرها يعظم قدرها في عينك لان هذه الجارية ليس لها نظير ولا تصلح الا للملك ثم قالت له اياك يا سيدي ان تبيعني بدون ما قلت لك من الثمن فانه قليل في مثلي وكان سيد الجارية لا يعلم قدرها ولا يعرف انها ليس لها نظير في زمانها ثم انه حملها الى امير المؤمنين هارون الرشيد وقدمها له وذكر ما قالت فقال لها الخليفة ما اسمك قالت اسمي تودد قال يا تودد ما تحسنين من العلوم قالت يا سيدي اني اعرف النحو والشعر والفقه والتفسير واللغة واعرف فن الموسيقى وعلم الفرائض والحساب والقسمة والمساحة واساطير الاولين واعرف القرآن العظيم وقد قرأته بالسبع والعشر وبالاربع عشرة واعرف عدد سوره وآياته واحزابه وانصافه وارباعه واثمانه واعشاره وسجداته وعدد احرفه واعرف ما فيه من الناسخ والمنسوخ والمدنية والمكية واسباب التنزيل واعرف الحديث الشريف دراية ورواية المسند منه والمرسل ونظرت في علوم الرياضة والهندسة والفلسفة وعلم الحكمة والمنطق والمعاني والبيان وحفظت كثيرا من العلم وتعلقت بالشعر وضربت العود وعرفت مواضع النغم فيه ومواقع حركات اوتاره وسكناتها

فان غنيت ورقصت فتنت وان تزينت وتطيبت قتلت وبالجملة فانى وصلت الى شئ لم يعرفه الا الراسخون في العلم فلما سمع الخليفة هارون الرشيد كلامها على صغر سنها تعجب من فصاحة لسانها والتفت الى مولاها وقال انى احضر من يناظرها في جميع ما ادعته فان اجابت دفعت لك ثمنها وزيادة وان لم تجب فانت اولى بها فقال مولاها يا امير المؤمنين حبا وكرامة فكتب امير المؤمنين الى عامل البصرة بان يرسل اليه ابراهيم بن سيار النظام وكان اعظم اهل زمانه في الحجة والبلاغة والشعر والمنطق وامره ان يحضر القراء والعلماء والاطباء والمنجمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة وكان ابراهيم اعلم من الجميع فما كان الا قليل حتى حضروا دار الخلافة وهم لا يعلمون الخبر فدعاهم امير المؤمنين الى مجلسه وامرهم بالجلوس فجلسوا ثم امر ان تحضر الجارية تودد فحضرت واظهرت نفسها وهي كانها كوكب درى فوضع لها كرسى من ذهب فسلمت ونطقت بفصاحة لسان وقالت يا امير المؤمنين مر من حضر من العلماء والقراء والاطباء والمنجمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة ان يناظرونى فقال لهم امير المؤمنين اريد منكم ان تناظروا هذه الجارية في امر دينها وان تدحضوا حجتها في كل ما ادعته فقالوا السمع والطاعة لله ولك يا امير المؤمنين فعند ذلك اطرقت الجارية وقالت ايكم الفقيه العالم المقرى المحدث فقال احدهم انا ذلك الرجل الذى طلبت قالت له اسأل عما شئت قال لها انت قرأت كتاب الله العزيز وعرفت ناسخه ومنسوخه وتدبرت آياته وحروفه قالت نعم فقال لها اسألك عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة فاخبرينى ايتها الجارية عن ذلك وما ربك وما نبيك وما امامك وما قبلتك وما اخوانك وما طريقتك وما منهاجك قالت الله ربى ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيى والقرآن امامى والكعبة قبلتى والمؤمنون اخوانى والخير طريقتى والسنة منهاجى فتعجب الخليفة من قولها ومن فصاحة لسانها على صغر سنها ثم قال لها ايتها الجارية اخبرينى بم عرفت الله تعالى قالت بالعقل قال وما العقل قالت العقل عقلان عقل موهوب وعقل مكسوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت العقل عقلان موهوب ومكسوب فالعقل الموهوب هو الذى خلقه الله عز وجل يهدى به من يشاء من عباده والعقل المكسوب هو الذى يكسبه المرء بتأديبه وحسن معرفته فقال لها احسنت ثم قال اين يكون العقل قالت يقذفه الله في القلب فيصعد شعاعه في الدماغ حتى يستقر قال لها احسنت ثم قال اخبرينى بم عرفت النبى صلى الله عليه وسلم قالت بقراءة كتاب الله تعالى وبالآيات والدلالات والبراهين والمعجزات قال احسنت فاخبرينى عن الفرائض الواجبة والسنن القائمة قالت اما الفرائض الواجبة فخمس شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام من استطاع اليه سبيلا واما السنن القائمة فهى اربع الليل والنهار والشمس والقمر وهن يبنين العمر والامل وليس يعلم ابن آدم انهن يهدمن الاجل قال احسنت فاخبرينى ما شعائر الايمان قالت شعائر الايمان الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد واجتناب الحرام قال احسنت فاخبرينى باى شئ تقومين الى الصلاة قالت بنية العبودية مقرة بالربوبية قال فاخبرينى كم فرض الله عليك قبل قيامك الى الصلاة قالت الطهارة وستر العورة واجتناب الثياب المتنجسة والوقوف على مكان طاهر والتوجه للقبلة والقيام والنية وتكبيرة الاحرام

قال احسنت فاخبريني بم تخرجين من بيتك الى الصلاة قالت بنية العبادة قال فباى نية تدخلين المسجد قالت بنية الخدمة قال فبما تستقبلين القبلة قالت بثلاث فرائض وسنة قال احسنت فاخبريني ما مبدأ الصلاة وما تحليلها وما تحريمها قالت مبدأ الصلاة الطهور وتحريمها تكبيرة الاحرام وتحليلها السلام من الصلاة قال فماذا يجب على من تركها قالت روى فى الصحيح من ترك الصلاة عامدا متعمدا من غير عذر فلا حظ له فى الاسلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما ذكرت الحديث الشريف قال لها الفقيه احسنت فاخبريني عن الصلاة ما هى قالت الصلاة صلة بين العبد وربه وفيها عشر خصال تنور القلب وتضئ الوجه وترضى الرحمن وتغضب الشيطان وتدفع البلاء وتكفى شر الاعداء وتكثر الرحمة وتدفع النقمة وتقرب العبد من مولاه وتنهى عن الفحشاء والمنكر وهى من الواجبات المفروضات المكتوبات وهى عماد الدين قال احسنت فاخبريني ما مفتاح الصلاة قالت الوضوء قال فما مفتاح الوضوء قالت التسمية قال فما مفتاح التسمية قالت اليقين قال فما مفتاح اليقين قالت التوكل قال فما مفتاح التوكل قالت الرجاء قال فما مفتاح الرجاء قالت الطاعة قال فما مفتاح الطاعة قالت الاعتراف لله تعالى بالوحدانية والاقرار له بالربوبية قال احسنت فاخبريني عن فروض الوضوء قالت ستة اشياء على مذهب الامام الشافعى محمد بن ادريس رضى الله عنه النية عند غسل الوجه وغسل الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب وسننه عشرة اشياء التسمية وغسل الكفين قبل ادخالهما الاناء والمضمضة والاستنشاق ومسح جميع الرأس ومسح الاذنين ظاهرهما وباطنهما بماء جديد وتخليل اللحية الكثة وتخليل اصابع اليدين والرجلين وتقديم اليمنى على اليسرى والطهارة ثلاثا ثلاثا والموالاة فاذا فرغ من الوضوء قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك فقد جاء فى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قالها عقب كل وضوء فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء قال احسنت فاذا اراد الانسان الوضوء ماذا يكون عنده من الملائكة والشياطين قالت اذا تهيأ الانسان للوضوء اتت الملائكة عن يمينه والشياطين عن شماله فاذا ذكر الله تعالى فى ابتداء الوضوء فرت منه الشياطين واستولت عليه الملائكة بخيمة من نور لها اربعة اطناب مع كل طنب ملك يسبح الله تعالى ويستغفر له مادام فى انصات او ذكر فان لم يذكر الله عز وجل عند ابتداء الوضوء ولم ينصت استولت عليه الشياطين وانصرفت عنه الملائكة ووسوس له الشيطان حتى يدخل عليه الشك والنقص فى وضوئه فقد قال عليه الصلاة والسلام الوضوء الصالح يطرد الشيطان ويؤمن من جور السلطان وقال ايضا من نزلت عليه بلية وهو على غير وضوء فلا يلومن الا نفسه قال احسنت فاخبريني عما يفعل الشخص اذا استيقظ من منامه قالت اذا استيقظ الشخص من منامه فليغسل يديه ثلاثا قبل ادخالهما الاناء قال احسنت فاخبريني عن فروض الغسل وعن سننه قالت فروض الغسل النية وتعميم البدن بالماء اى ايصال الماء الى جميع الشعر والبشرة واما سننه فالوضوء قبله والتدليك وتخليل الشعر وتأخير غسل الرجلين فى قول الى آخر الغسل قال احسنت وادرك شهر

زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما اخبرت الفقيه عن فروض الغسل وسننه قال احسنت فاخبرينى عن اسباب التيمم وفروضه وسننه قالت اما اسبابه فسبعة فقد الماء والخوف والحاجة اليه واضلاله فى رحله والمرض والجبيرة والجراح واما فروضه فاربعة النية والتراب وضربة للوجه وضربة لليدين واما سننه فالتسمية وتقديم اليمنى على اليسرى قال احسنت فاخبرينى عن شروط الصلاة وعن اركانها وعن سننها قالت اما شروطها الخمسة اشياء طهارة الاعضاء وستر العورة ودخول الوقت يقينا او ظنا واستقبال القبلة والوقوف على مكان طاهر واما اركانها فالنية وتكبيرة الاحرام والقيام مع القدرة وقراءة الفاتحة وبسم الله الرحمن الرحيم آية منها على مذهب الامام الشافعى والركوع والطمأنينة فيه والاعتدال والطمأنينة فيه والسجود والطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه والتشهد الاخير والجلوس له والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيه والتسليمة الاولى ونية الخروج من الصلاة فى قول واما سننها فالاذان والاقامة ورفع اليدين عند الاحرام ودعاء الافتتاح والتعوذ والتأمين وقراءة السورة بعد الفاتحة والتكبيرات عند الانتقالات وقول سمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد والجهر فى موضعه والاسرار فى موضعه والتشهد الاول والجلوس له والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيه والصلاة على الآل فى التشهد الاخير والتسليمة الثانية قال احسنت فاخبرينى فيماذا تجب الزكاة قالت تجب فى الذهب والفضة والابل والبقر والشاء والحنطة والشعير والدخن والذرة والفول والحمص والارز والزبيب والتمر قال احسنت فاخبرينى فى كم تجب الزكاة فى الذهب قالت لا زكاة فيما دون عشرين مثقالا فاذا بلغت العشرين ففيها نصف مثقال وما زاد فبحسابه قال فاخبرينى فى كم تجب الزكاة فى الورق قالت ليس فيما دون مائتى درهم زكاة فاذا بلغت المائتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه قال احسنت فاخبرينى فى كم تجب الزكاة فى الابل قالت فى كل خمس شاة الى خمس وعشرين ففيها ابنة مخاض قال احسنت فاخبرينى فى كم تجب الزكاة فى الشياه قالت اذا بلغت اربعين ففيها شاة قال احسنت فاخبرينى عن الصوم وفروضه قالت اما فروض الصوم فالنية والامساك عن الاكل والشرب والجماع وتعمد القىء وهو واجب على كل مكلف خال عن الحيض والنفاس ويجب برؤية الهلال او باخبار عدل يقع فى قلب المخبر صدقه ومن واجباته تبييت النية واما سننه فتعجيل الفطر وتأخير السحور وترك الكلام الا فى الخير والذكر وتلاوة القرآن قال احسنت فاخبرينى عن شىء لا يفسد الصوم قالت الادهان والاكتحال وغبار الطريق وابتلاع الريق وخروج المنى بالاحتلام او النظر لامرأة اجنبية والفصادة والحجامة هذا كله لا يفسد الصوم قال احسنت فاخبرينى عن صلاة العيدين قالت ركعتان وهما سنة من غير اذان ولا اقامة ولكن يقول الصلاة جامعة ويكبر فى الاولى سبعا سوى تكبيرة الاحرام وفى الثانية خمسا سوى تكبيرة القيام على مذهب الامام الشافعى رحمه الله تعالى ويتشهد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما اخبرت الفقيه عن صلاة العيدين قال لها احسنت فاخبرينى

عن صلاة كسوف الشمس وخسوف القمر قالت ركعتان بغير اذان ولا اقامة يأتى فى كل ركعة بقيامين وركوعين وسجودين ويجلس ويتشهد ويسلم قال احسنت فاخبرنى عن صلاة الاستسقاء قالت ركعتان بغير اذان ولا اقامة ويتشهد ويسلم ثم يخطب ويستغفر الله تعالى مكان التكبير فى خطبتى العيدين ويحول رداءه بان يجعل اعلاه اسفله ويدعو ويتضرع قال احسنت فاخبرنى عن صلاة الوتر قالت الوتر اقله ركعة واحدة واكثره احدى عشرة قال احسنت فاخبرنى عن صلاة الضحى قالت صلاة الضحى اقلها ركعتان واكثرها اثنتا عشرة ركعة قال احسنت فاخبرنى عن الاعتكاف قالت هو سنة قال فما شرطه قالت النية وان لا يخرج من المسجد الا لحاجة ولا يباشر النساء وان يصوم ويترك الكلام قال احسنت فاخبرنى بماذا يجب الحج قالت بالبلوغ والعقل والاسلام والاستطاعة وهو واجب فى العمر مرة واحدة قبل الموت قال فما فروض الحج قالت الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعى والحلق او التقصير قال فما فروض العمرة قالت الاحرام بها وطوافها وسعيها قال فما فروض الاحرام قالت التجرد من المخيط واجتناب الطيب وترك حلق الرأس وتقليم الاظافر وقتل الصيد والنكاح قال فما سنن الحج قالت التلبية وطواف القدوم والوداع والمبيت بالمزدلفة وبمنى ورمى الجمار قال احسنت فما الجهاد وما اركانه قالت اما اركانه فخروج الكفار علينا ووجود الامام والعدة والثبات عند لقاء العدو واما سنته فهو التحريض على القتال لقوله تعالى يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال قال احسنت فاخبرنى عن فروض البيع وسننه قالت اما فروض البيع فالايجاب والقبول وان يكون المبيع مملوكا منتفعا به مقدورا على تسليمه وترك الربا واما سننه فالاقالة والخيار قبل التفرق لقوله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا قال احسنت فاخبرنى عن شئ لا يجوز بيع بعضه ببعض قالت حفظت فى ذلك حديثا صحيحا عن نافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن بيع التمر بالرطب والتين الرطب باليابس والقديد باللحم والزبد بالسمن وكل ما كان من صنف واحد مأكول فلا يجوز بيع بعضه ببعض فلما سمع الفقيه كلامها وعرف انها ذكية فطنة حاذقة عالمة بالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك قال فى نفسه لا بد من ان احتيل عليها حتى اغلبها فى مجلس امير المؤمنين فقال لها يا جارية ما معنى الوضوء فى اللغة قالت الوضوء فى اللغة النظافة والخلوص من الادناس قال فما معنى الصلاة فى اللغة قالت الدعاء بخير قال فما معنى الغسل فى اللغة قالت التطهير قال فما معنى الصوم لغة قالت الامساك قال فما معنى الزكاة لغة قالت الزيادة قال فما معنى الحج لغة قالت القصد قال فما معنى الجهاد قالت الدفاع فانقطعت حجة الفقيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الفقيه لما انقطعت حجته قام قائما على قدميه وقال اشهد على يا امير المؤمنين بان الجارية اعلم منى بالفقه فقالت له الجارية اسألك عن شئ فائتنى بجوابه سريعا ان كنت عارفا قال اسألى قالت فما سهام الدين قال هى عشرة الاول الشهادة وهى الملة الثانى الصلاة وهى الفطرة الثالث الزكاة وهى الطهارة الرابع الصوم وهى الجنة الخامس الحج وهى الشريعة السادس الجهاد وهى الكفاية السابع والثامن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما الغيرة التاسع الجماعة وهى الالفة العاشر طلب العلم وهو الطريق الحميدة قالت احسنت وقد بقيت عليك مسألة فما اصول الاسلام قال هى اربعة صحة

العقد وصدق القصد وحفظ الحد والوفاء بالعهد قالت بقى مسألة اخرى فان اجبت والا اخذت ثيابك قال
قولى ياجارية قالت فما فروع الاسلام فسكت ساعة ولم يجب بشئ فقالت انزع ثيابك وانا افسرها لك قال
امير المؤمنين فسريها وانا انزع لك ما عليه من الثياب قالت هى اثنان وعشرون فرعا التمسك بكتاب الله
تعالى والاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم وكف الاذى واكل الحلال واجتناب الحرام ورد المظالم الى
اهلها والتوبة والفقه فى الدين وحب الخليل واتباع التنزيل وصدق المرسلين وخوف التبديل والتأهب
للرحيل وقوة اليقين والعفو عند القدرة والقوة عند الضعف والصبر عند المصيبة ومعرفة الله تعالى
ومعرفة ما جاء به نبيه صلى الله عليه وسلم ومخالفة اللعين ابليس ومجاهدة النفس ومخالفتها والاخلاص لله
فلما سمع امير المؤمنين ذلك منها امر بنزع ثياب الفقيه وطيلسانه فنزعهما ذلك الفقيه وخرج مقهورا
منها خجلا من بين يدى امير المؤمنين ثم قام لها رجل آخر وقال ياجارية اسمعى منى مسائل قليلة قالت له
قل قال فما صحة التسليم قالت القدر المعلوم والجنس المعلوم والاجل المعلوم قال احسنت فما فروض
الاكل وسننه قالت فروض الاكل الاعتراف بان الله تعالى رزقه واطعمه وسقاه والشكر لله تعالى على
ذلك قال فما الشكر قالت صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه فيما خلق لاجله قال فما سنن الاكل
قالت التسمية وغسل اليدين والجلوس على الورك الايسر والاكل بثلاث اصابع والاكل مما يليك قال
احسنت فاخبرينى ما آداب الاكل قالت ان تصغر اللقمة وتقل النظر الى جليسك قال احسنت وادرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما سئلت عن اداب الاكل وذكرت الجواب قال لها الفقيه
السائل احسنت فاخبرينى عن عقائد القلب واضدادها قالت هى ثلاث واضدادها ثلاث الاولى اعتقاد
الايمان وضدها مجانبة الكفر والثانية اعتقاد السنة وضدها مجانبة البدعة والثالثة اعتقاد الطاعة وضدها
مجانبة المعصية قال احسنت فاخبرينى عن شروط الوضوء قالت الاسلام والتمييز وطهور الماء وعدم المانع
الحسى وعدم المانع الشرعى قال احسنت فاخبرينى عن الايمان قالت الايمان ينقسم الى تسعة اقسام
ايمان بالمعبود وايمان بالعبودية وايمان بالخصوصية وايمان بالقبضتين وايمان بالقدر وايمان بالناسخ وايمان
بالمنسوخ وان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره قال
احسنت فاخبرينى عن ثلاث تمنع ثلاثا قالت نعم روى عن سفيان الثورى انه قال ثلاث تذهب ثلاثا
الاستخفاف بالصالحين يذهب الآخرة والاستخفاف بالملوك يذهب الروح والاستخفاف بالنفقة يذهب
المال قال احسنت فاخبرينى عن مفاتيح السموات وكم لها من باب قالت قال الله تعالى وفتحت السماء
فكانت ابوابا وقال عليه الصلاة والسلام ليس يعلم عدة ابواب السماء الا الذى خلق السماء وما من احد من
بنى آدم الا وله بابان فى السماء باب ينزل منه رزقه وباب يصعد منه عمله ولا يغلق باب رزقه حتى ينقطع اجله
ولا يغلق باب عمله حتى تصعد روحه قال احسنت فاخبرينى عن شئ وعن نصف شئ وعن لا شئ قالت
الشئ هو المؤمن ونصف الشئ هو المنافق واللاشئ هو الكافر قال احسنت فاخبرينى عن القلوب قالت
قلب سليم وقلب سقيم وقلب منيب وقلب نذير وقلب منير فالقلب السليم هو قلب الخليل والقلب السقيم
هو قلب الكافر والقلب المنيب هو قلب المتقين الخائفين والقلب النذير هو قلب سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم والقلب المنير هو قلب من يتبعه وقلوب العلماء ثلاثة قلب متعلق بالدنيا وقلب متعلق بالاخرة وقلب متعلق بمولاه وقيل ان القلوب ثلاثة قلب معلق وهو قلب الكافر وقلب معدوم وهو قلب المنافق وقلب ثابت وهو قلب المؤمن وقيل هي ثلاثة قلب مشروح بالنور والايمان وقلب مجروح من خوف الهجران وقلب خائف من الخذلان قال احسنت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما سألها الفقيه الثاني عن المسائل واجابته وقال لها احسنت قالت يا امير المؤمنين انه قد سألني حتى عيي وانا اسأله مسئلتين فان اتى بجوابهما فذاك والا اخذت ثيابه وانصرف بسلام فقال لها الفقيه سليني عما شئت قالت فما تقول في الايمان قال الايمان اقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح قال عليه الصلاة والسلام لا يكمل المرء من الايمان حتى يكمل فيه خمس خصال التوكل على الله والتفويض الى الله والتسليم لامر الله والرضى بقضاء الله وان تكون اموره لله فانه من احب لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان قالت فاخبرني عن فرض الفرض وعن فرض في ابتداء كل فرض وعن فرض يحتاج اليه كل فرض وعن فرض يستغرق كل فرض وعن سنة داخلة في الفرض وعن سنة يتم بها الفرض فسكت ولم يجب بشيء فامرها امير المؤمنين بان تفسرها وامره بان ينزع ثيابه ويعطيها اياها فعند ذلك قالت يا فقيه اما فرض الفرض فمعرفة الله تعالى واما الفرض في ابتداء كل فرض فهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واما الفرض الذي يحتاج اليه كل فرض فهو الوضوء واما الفرض المستغرق كل فرض فهو الغسل من الجنابة واما السنة الداخلة في الفرض فهي تخليل الاصابع وتخليل اللحية الكثيفة واما السنة التي يتم بها الفرض فهو الاختتان فعند ذلك تبين عجز الفقيه وقام على قدميه وقال اشهد الله يا امير المؤمنين ان هذه الجارية اعلم مني بالفقه وغيره ثم نزع ثيابه وانصرف مقهورا واما حكايتها مع المقرى فانها التفتت الى من بقي من العلماء الحاضرين وقالت ايكم الاستاذ المقرى العالم بالقرآات السبع والنحو واللغة فقام اليها المقرى وجلس بين يديها وقال لها اهل قرأت كتاب الله تعالى واحكمت معرفة آياته وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومكيه ومدنيه وفهمت تفسيره ومعرفته على الروايات والاصول في القرآات قالت نعم قال اخبريني عن عدد سور القرآن وكم فيه من عشر وكم فيه من آية وكم فيه من حرف وكم فيه من سجدة وكم فيه من نبي مذكور وكم فيه من سورة مدنية وكم فيه من سورة مكية وكم فيه من طير قالت يا سيدي اما سور القرآن فمائة واربع عشرة سورة المكي منها سبعون سورة والمدني اربع واربعون سورة واما اعشاره فستمائة عشر واحد وعشرون عشرا واما الايات فستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية واما كلماته فتسعة وسبعون الف كلمة واربعمائة وتسع وثلاثون كلمة واما حروفه فثلاثمائة الف وثلاثة وعشرون الفا وستمائة وسبعون حرفا وللقارئ بكل حرف عشر حسنات واما السجدات فاربع عشرة سجدة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما سألها المقرى عن القرآن اجابته وقالت له واما الانبياء

الذين ذكرت اسماؤهم فى القرءان خمسة وعشرون نبيا وهم آدم ونوح وابراهيم واسماعيل واسحق
ويعقوب ويوسف واليسع ويونس ولوط وصالح وهود وشعيب وداود وسليمان وذو الكفل وادريس
والياس ويحيى وزكريا وايوب وموسى وهارون وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
واما الطيور فهن تسع قال ما اسمهن قالت البعوض والنحل والذباب والنمل والهدهد والغراب والجراد
والابابيل وطير عيسى عليه السلام وهو الخفاش قال احسنت فاخبريني اى سورة فى القرءان افضل
قالت سورة البقرة قال فاى آية اعظم قالت آية الكرسى وهى خمسون كلمة مع كل كلمة خمسون بركة
قال فاى آية فيها تسع آيات قالت قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس الى آخر الاية قال احسنت فاخبريني اى آية اعدل قالت
قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى
قال فاى آية اطمع قالت قوله تعالى ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم قال فاى آية ارجى قالت
قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه
هو الغفور الرحيم قال احسنت فاخبريني باى قراءة تقرئين قالت بقراءة اهل الجنة وهى قراءة نافع قال
فاى آية كذب فيها الانبياء قالت قوله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب وهم اخوة يوسف قال
فاخبريني اى آية صدق فيها الكفار قالت قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت
النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب وهم صدقوا جميعا قال فاى آية قالها الله لنفسه
قالت قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال فاى آية فيها قول الملائكة قالت قوله تعالى
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال فاخبريني عن اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وما جاء فيها قالت التعوذ
واجب امر الله به عند القراءآت والدليل عليه قوله تعالى فاذا قرأت القرءان فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم قال فاخبريني ما لفظ الاستعاذة وما الخلاف فيها قالت منهم من يستعيذ بقوله اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم ومنهم من يقول اعوذ بالله القوى والاحسن ما نطق به القرءان العظيم ووردت
به السنة وكان صلى الله عليه وسلم اذا استفتح القرءان قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى عن نافع
عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام يصلى فى الليل قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
وسبحان الله بكرة واصيلا ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن همزات الشياطين ونزغاتهم وروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اول ما نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم علمه الاستعاذة
وقال له قل يا محمد اعوذ بالله السميع العليم ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق
الانسان من علق فلما سمع المقرى كلامها تعجب من لفظها وفصاحتها وعلمها وفضلها ثم قال لها يا جارية
ما تقولين فى قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم هل هى آية من آيات القرءآن قالت نعم آية من القرءان
فى النمل وآية بين كل سورتين والاختلاف فى ذلك بين العلماء كثير قال احسنت وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما اجابت المقرى وقالت ان بسم الله الرحمن الرحيم فيها
اختلاف كثير بين العلماء قال احسنت فاخبريني لم لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى اول سورة براءة قالت

لما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذى كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وجه اليهم النبى صلى الله عليه وسلم عليا ابن ابى طالب كرم الله وجهه فى يوم موسم بسورة براءة فقرأها عليهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم قال فاخبرينى عن فضل بسم الله الرحمن الرحيم وبركتها قالت روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما قرئت بسم الله الرحمن الرحيم على شىء الا كان فيه البركة وعنه صلى الله عليه وسلم حلف رب العزة بعزته لا تسمى بسم الله الرحمن الرحيم على مريض الا عوفى من مرضه وقيل لما خلق الله العرش اضطرب اضطرابا عظيما فكتب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فسكن اضطرابه ولما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امنت من ثلاثة من الخسف والمسخ والغرق وفضلها عظيم وبركتها كثيرة يطول شرحها وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى برجل يوم القيامة فيحاسب فلا يلقى له حسنة فيؤمر به الى النار فيقول الهى ما انصفتنى فيقول الله عز وجل ولم ذلك فيقول يارب لانك سميت نفسك الرحمن الرحيم وتريد ان تعذبنى بالنار فيقول الله جل جلاله انا سميت نفسى الرحمن الرحيم امضوا بعبدى الى الجنة برحمتى وانا ارحم الراحمين قال احسنت فاخبرينى عن اول بدء بسم الله الرحمن الرحيم قالت لما انزل الله تعالى القرءان كتبوا باسمك اللهم فلما انزل الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى كتبوا بسم الله الرحمن فلما انزل والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم فلما سمع المقرى كلامها اطرق وقال فى نفسه ان هذا العجب عجيب وكيف تكلمت هذه الجارية فى اول بدء بسم الله الرحمن الرحيم والله لابد من ان اتحيل عليها لعلى اغلبها ثم قال لها يا جارية هل انزل الله القرءان جملة واحدة او انزله متفرقا قالت نزل به جبريل الامين عليه السلام من عند رب العالمين على نبيه محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين بالامر والنهى والوعد والوعيد والاخبار والامثال فى عشرين سنة آيات متفرقات على حسب الوقائع قال احسنت فاخبرينى عن اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فى قول ابن عباس سورة العلق وفى قول جابر بن عبد الله سورة المدثر ثم نزلت السور والايات بعد ذلك قال فاخبرينى عن آخر آية نزلت قالت آخر آية نزلت عليه آية الربا وقيل اذا جاء نصر الله والفتح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما اجابت المقرى عن آخر آية نزلت فى القرءان قال لها احسنت فاخبرينى عن عدة الصحابة الذين جمعوا القرءان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت هم اربعة ابى بن كعب وزيد بن ثابت وابو عبيدة عامر بن الجراح وعثمان بن عفان رضى الله عنهم اجمعين قال احسنت فاخبرينى عن القراء الذين تؤخذ عنهم القراءة قالت هم اربعة عبد الله بن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم بن عبد الله قال فما تقولين فى قوله تعالى وما ذبح على النصب قالت هى الاصنام التى تنصب وتعبد من دون الله تعالى والعياذ بالله تعالى قال فما تقولين فى قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك قالت تعلم حقيقتى وما عندى ولا اعلم ما عندك والدليل على هذا قوله انك انت علام الغيوب وقيل تعلم عينى ولا اعلم عينك قال فما تقولين فى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالت حدثنى الشيخ رحمه الله تعالى عن الضحاك انه قال هم قوم من المسلمين قالوا نقطع مذاكيرنا ونلبس المسوح فنزلت هذه الاية وقال قتادة نزلت فى جماعة

من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على بن ابى طالب وعثمان بن مصعب وغيرهما قالوا نخصى انفسنا ونلبس الشعر ونترهب فنزلت هذه الاية قال فما تقولين فى قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا قالت الخليل المحتاج الفقير وفى قول آخر هو المحب المنقطع الى الله تعالى الذى ليس لانقطاعه اختلال فلما رآها المقرى تمر فى كلامها مر السحاب ولم تتوقف فى الجواب قام قائما على قدميه وقال اشهد الله يا امير المؤمنين ان هذه الجارية اعلم منى بالقرآآت وغيرها فعند ذلك قالت الجارية انا اسألك مسألة واحدة فان اتيت بجوابها فذاك والا نزعت ثيابك قال امير المؤمنين قولى فقالت ما تقول فى آية فيها ثلاثة وعشرون كافا وآية فيها ستة عشر ميما وآية فيها مائة واربعون عينا وحزب ليس فيه جلالة فعجز المقرى عن الجواب فقالت انزع ثيابك فنزع ثيابه ثم قالت يا امير المؤمنين ان الاية التى فيها ستة عشر ميما فى سورة هود وهى قوله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك الاية وان الاية التى فيها ثلاثة وعشرون كافا فى سورة البقرة وهى آية الدين وان الاية التى فيها مائة واربعون عينا فى سورة الاعراف وهى قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا لكل رجل عينان وان الحزب الذى ليس فيه جلالة هو سورة اقتربت الساعة وانشق القمر والرحمن والواقعة فعند ذلك نزع المقرى ثيابه التى عليه وانصرف خجلا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما غلبت المقرى ونزع ثيابه وانصرف خجلا تقدم اليها الطبيب الماهر وقال فرغنا من علم الاديان فتيقظى لعلم الابدان واخبرينى عن الانسان وكيف خلقه وكم فى جسده من عرق وكم من عظم وكم من فقارة واين اول العروق ولم سمى آدم آدم قالت سمى آدم لادمته اى سمرة لونه وقيل لانه خلق من اديم الارض اى ظاهر وجهها صدره من تربة الكعبة ورأسه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب وخلق له سبعة ابواب فى رأسه وهى العينان والاذنان والمنخران والفم وجعل له منفذين قبله ودبره فجعل العينين حاسة النظر والاذنين حاسة السمع والمنخرين حاسة الشم والفم حاسة الذوق وجعل اللسان ينطق بما فى ضمير الانسان وخلق آدم مركبا من اربعة عناصر وهى الماء والتراب والنار والهواء فكانت الصفراء طبع النار وهى حارة يابسة والسوداء طبع التراب وهو بارد يابس والبلغم طبع الماء وهو بارد رطب والدم طبع الهواء وهو حار رطب وخلق فى الانسان ثلاثمائة وستين عرقا ومائتين واربعين عظما وثلاثة ارواح حيوانى ونفسانى وطبيعى وجعل لكل منها حكما وخلق الله له قلبا وطحالا ورئة وستة امعاء وكبدا وكليتين واليتين ومخا وعظما وجلدا وخمس حواس سامعة وباصرة وشامة وذائقة ولامسة وجعل القلب فى الجانب الايسر من الصدر وجعل المعدة امام القلب وجعل الرئة مروحة للقلب وجعل الكبد فى الجانب الايمن محاذية للقلب وخلق ما دون ذلك من الحجاب والامعاء وركب ترائب الصدر وشبكها بالاضلاع قال احسنت فاخبرينى كم فى رأس ابن آدم من بطن قالت ثلاثة بطون وهى تشتمل على خمس قوى تسمى الحواس الباطنية وهى الحس المشترك والخيال والمتصرفة والواهمة والحافظة قال احسنت فاخبرينى عن هيكل العظام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما قال لها الطبيب اخبرينى عن هيكل العظام قالت هو مؤلف

من

من مائتين واربعين عظما وينقسم الى ثلاثة اقسام رأس وجذع واطراف فاما الرأس فتنقسم الى جمجمة ووجه فالجمجمة مركبة من ثمانية عظام ويضاف اليها عظيمات السمع الاربع والوجه ينقسم الى فك علوى وفك سفلى فالعلوى يشتمل على احد عشر عظما والسفلى عظم واحد ويضاف اليه الاسنان وهى اثنتان وثلاثون سنا وكذا العظم اللامى واما الجذع فينقسم الى سلسلة فقارية وصدر وحوض فالسلسلة مركبة من اربعة وعشرين عظما تسمى الفقار والصدر مركب من القص والاضلاع التى هى اربع وعشرون ضلعا فى كل جانب اثنتا عشرة والحوض مركب من العظمين الحرقفيين والعجز والعصعص واما الاطراف فتنقسم الى طرفين علويين وطرفين سفليين فالعلويان ينقسم كل منهما اولا الى منكب مركب من الكتف والترقوة وثانيا الى عضد وهو عظم واحد وثالثا الى ساعد مركب من عظمين هما الكعبرة والزند ورابعا الى كف ينقسم الى رسغ ومشط واصابع فالرسغ مركب من ثمانية عظام مصفوفة صفين كل منهما يشتمل على اربعة عظام والمشط يشتمل على خمسة عظام والاصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلاثة عظام تسمى السلاميات الا الابهام فانها مركبة من اثنين فقط والطرفان السفليان ينقسم كل منهما اولا الى فخذ هو عظم واحد وثانيا الى ساق مركب من ثلاثة عظام القصبة والشظية والرضفة وثالثا الى قدم ينقسم كالكف الى رسغ ومشط واصابع فالرسغ مركب من سبعة عظام مصفوفة صفين الاول فيه عظمان والثانى فيه خمسة والمشط مركب من خمسة عظام والاصابع عدتها خمس كل منها مركب من ثلاث سلاميات الا الابهام فمن سلاميين فقط قال احسنت فاخبرنى عن اصل العروق قالت ان اصل العروق الوتين ومنه تتشعب العروق وهى كثيرة لا يعلم عددها الا الذى خلقها وقيل انها ثلثمائة وستون عرقا كما سبق وقد جعل الله اللسان ترجمانا والعينين سراجين والمنخرين منشقين واليدين جناحين ثم ان الكبد فيه الرحمة والطحال فيه الضحك والكليتين فيهما المكر والرئة مروحة والمعدة خزانة والقلب عماد الجسد فاذا صلح القلب صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله قال اخبرنى عن الدلالات والعلامات الظاهرة التى يستدل بها على المرض فى الاعضاء الظاهرة والباطنة قالت نعم اذا كان الطبيب ذا فهم نظر فى احوال البدن واستدل بجس اليدين على الصلابة والحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة وقد توجد فى المحسوس دلالات على الامراض الباطنة كصفرة العينين فانها تدل على اليرقان وتحقف الظهر فانه يدل على ذات الرئة قال احسنت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما وصفت للطبيب العلامات الظاهرة قال لها احسنت فما العلامات الباطنة قالت ان الوقوف على الامراض بالعلامات الباطنة يؤخذ من ستة قوانين الاول من الافعال والثانى مما يستفرغ من البدن والثالث من الوجع والرابع من الموضع والخامس من الورم والسادس من الاعراض قال اخبرنى بماذا يصل الاذى الى الرأس قالت بادخال الطعام على الطعام قبل هضم الاول والشبع على الشبع فهو الذى افنى الامم فمن اراد البقاء فليباكر بالغدا ولا يمس بالعشا وليقل من مجامعة النساء وليخفف الردى اى لا يكثر الفصد ولا الحجامة وان يجعل بطنه ثلاثة اثلاث ثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس لان مصران بنى آدم ثمانية عشر شبرا يجب ان يجعل ستة للطعام

وسنة للشراب وسنة للنفس واذا مشى برفق كان اوفق له واجمل لبدنه واكمل لقوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا قال احسنت فاخبريني ما علامة الصفرآء وماذا يخاف منها قالت تعرف بصفرة اللون ومرارة الفم والجفاف وضعف الشهوة وسرعة النبض ويخاف صاحبها من الحمى المحرقة والسرسام والحمرة والبرقان والورم وقروح الامعاء وكثرة العطش فهذه علامات الصفراء قال احسنت فاخبريني عن علامات السودآء وماذا يخاف على صاحبها اذا غلبت على البدن قالت انها تتولد منها الشهوة الكاذبة وكثرة الوسوسة والهم والغم فينبغي حينئذ ان تستفرغ والا تولد منها المالنخوليا والجذام والسرطان واوجاع الطحال وقروح الامعاء قال احسنت فاخبريني الى كم جزء ينقسم الطب قالت ينقسم الى جزئين احدهما علم تدبير الابدان المريضة والآخر كيفية ردها الى حال صحتها قال فاخبريني عن وقت يكون شرب الادوية فيه انفع منه في غيره قالت اذا جرى الماء في العود وانعقد الحب في العنقود وطلع سعد السعود فقد دخل وقت نفع شرب الدوآء وطرد الدآء قال فاخبريني عن وقت اذا شرب فيه الانسان من اناء جديد يكون شرابه اهنأ وامرأ منه في غيره وتصعد له رائحة طيبة زكية قالت اذا صبر بعد اكل الطعام ساعة فقد قال الشاعر

لا تشربن من بعد اكلك عاجلا ✻ فتسوق جسمك للاذى بزمام
واصبر قليلا بعد اكلك ساعة ✻ فعساك تظفر يا اخي بمرام

قال فاخبريني عن طعام لا تتسبب عنه اسقام قالت هو الذي لا يطعم الا بعد الجوع واذا طعم لا تمتلي منه الضلوع لقول جالينوس الحكيم من اراد ادخال الطعام فليبطئ ثم لا يخطئ ولنختم بقوله عليه الصلاة والسلام المعدة بيت الدآء والحمية رأس الدوآء واصل كل داء البردة يعني التخمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت للحكيم المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء الحديث قال لها فما تقولين في الحمام قالت لا يدخله شبعان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم البيت الحمام ينظف الجسد ويذكر النار قال فاي الحمامات احسن ماء قالت ما عذب ماؤه واتسع فضاؤه وطاب هواؤه بحيث تكون اهويته اربعة خريفي وصيفي وشتوي وربيعي قال فاخبريني اي الطعام افضل قالت ما صنعت النساء وقل فيه العناء واكلته بالهناء وافضل الطعام الثريد لقوله عليه الصلاة والسلام فضل الثريد على الطعام كفضل عائشة على سائر النساء قال فاي الادم افضل قالت اللحم لقوله عليه الصلاة والسلام افضل الادم اللحم لانه لذة الدنيا والآخرة قال فاي اللحم افضل قالت الضأن ويجتنب القديد لانه لا فائدة فيه قال فاخبريني عن الفاكهة قالت كلها في اقبالها واتركها اذا انقضى زمانها قال فما تقولين في شرب الماء قالت لا تشربه شربا ولا تعبه عبا فانه يوذيك صداعه ويشوش عليك من الاذى انواعه ولا تشربه عقب خروجك من الحمام ولا عقب الجماع ولا عقب الطعام الا بعد مضي خمس عشرة درجة للشاب وللشيخ بعد اربعين درجة ولا عقب يقظتك من المنام قال احسنت فاخبريني عن شرب الخمر قالت افلا يكفيك زاجرا ما جاء في كتاب الله تعالى حيث قال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون وقال تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما وقد قال الشاعر

يا شارب

يا شارب الخمر اما تستحي ✻ تشرب شيأ حرم الله
تخل له عنك ولا تأته ✻ ففيه حقا عنف الله

وقال اخر في المعنى

شربت الاثم حتى زال عقلي ✻ فبئس الشرب حيث العقل زالا

واما المنافع التي فيها فانها تفتت حصى الكلى وتقوى الامعاء وتنفي الهم وتحرك الكرم وتحفظ الصحة وتعين على الهضم وتصح البدن وتخرج الامراض من المفاصل وتنقي الجسم من الاخلاط الفاسدة وتولد الطرب والفرح وتقوي الغريزية وتشد المثانة وتقوي الكبد وتفتح السدد وتحمر الوجه وتنفي الفضلات من الرأس والدماغ وتبطي بالمشيب ولولا الله عز وجل حرمها لم يكن على وجه الارض ما يقوم مقامها واما الميسر فهو القمار قال فاي شيء من الخمر احسن قالت ما كان بعد ثمانين يوما او اكثر وقد اعتصر من عنب ابيض ولم يشبه ماء ولا شيء على وجه الارض مثلها قال فما تقولين في الحجامة قالت ذلك لمن كان ممتلئا من الدم وليس به نقصان في دمه فمن اراد الحجامة فليحتجم في نقصان الهلال في يوم هو بلا غيم ولا ريح ولا مطر ويكون في السابع عشر من الشهر وان وافق يوم الثلاثا كان ابلغ في النفع ولا شيء انفع من الحجامة للدماغ والعينين وتصفية الذهن وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما وصفت منافع الحجامة قال لها الحكيم اخبريني عن احسن الحجامة قالت احسنها على الريق فانها تزيد في العقل وفي الحفظ لما روي عنه عليه الصلاة والسلام انه كان ما اشتكى اليه احد وجعا في رأسه او رجليه الا قال له احتجم واذا احتجم لا يأكل على الريق مالحا فانه يورث الجرب ولا يأكل على اثرها حامضا قال فاي وقت تكره فيه الحجامة قالت يوم السبت والاربعاء ومن احتجم فيهما فلا يلومن الا نفسه ولا يحتجم في شدة الحر ولا في شدة البرد وخيار ايامه ايام الربيع قال اخبريني عن المجامعة فلما سمعت ذلك اطرقت وطأطأت رأسها واستحيت اجلالا لامير المؤمنين ثم قالت والله يا امير المؤمنين ما عجزت بل خجلت وان جوابه على طرف لساني قال لها يا جارية تكلمي قالت له ان النكاح فيه فضائل مزيدة وامور حميدة منها انه يخفف البدن الممتلئ بالسوداء ويسكن حرارة العشق ويجلب المحبة ويبسط القلب ويقطع الوحشة والاكثار منه في ايام الصيف والخريف اشد ضررا منه في ايام الشتاء والربيع قال فاخبريني عن منافعه قالت انه يزيل الهم والوسواس ويسكن العشق والغضب وينفع القروح هذا اذا كان الغالب على الطبع البرودة واليبوسة ولا فالاكثار منه يضعف النظر ويتولد منه وجع الساقين والرأس والظهر واياك اياك من مجامعة العجوز فانها من القواتل قال الامام علي كرم الله وجهه اربع يقتلن ويهرمن البدن دخول الحمام على الشبع واكل المالح والمجامعة على الامتلاء ومجامعة المريضة فانها تضعف قوتك وتسقم بدنك والعجوز سم قاتل قال بعضهم اياك ان تتزوج عجوزا ولو كانت اكثر من قارون كنوزا قال فما الطيب الجماع قالت اذا كانت المرأة صغيرة السن مليحة القد حسنة الخد كريمة الجد بارزة النهد فهي تزيدك قوة في صحة بدنك وتكون كما قال فيها بعض واصفيها

مهما التفتت نعلت ماتبتغي * وحيا بدون اشارة وبيان
واذا نظرت الى بديع جمالها * اغنت محاسنها عن البستان

قال فاخبريني عن اى وقت يطيب فيه الجماع قالت اذا كان ليلا فبعد هضم الطعام واذا كان نهارا فبعد الغداء قال فاخبريني عن افضل الفواكه قالت الرمان والاترج قال فاخبريني عن افضل البقول قالت الهندبا قال فما افضل الرياحين قالت الورد والبنفسج قال فاخبريني عن قرار مني الرجل قالت ان في الرجل عرقا يسقي سائر العروق فيجتمع الماء من ثلاثمائة وستين عرقا ثم يدخل في البيضة اليسرى دما احمر فينطبخ من حرارة مزاج بني ادم ماء غليظا ابيض رائحته مثل رائحة الطلع قال احسنت فاخبريني عن طير يمني ويحيض قالت هو الخفاش اى الوطواط قال فاخبريني عن شيء اذا احبس عاش واذا شم الهواء مات قالت هو السمك قال فاخبريني عن ثعبان يبيض قالت الثعبان فعجز الطبيب من كثرة سؤاله وسكت فقالت الجارية يا امير المؤمنين انه سألني حتى عيي وانا اسأله مسألة واحدة فان لم يجب اخذت ثيابه حلالا لي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت لامير المؤمنين انه سألني حتى عيي وانا اسأله مسألة واحدة فان لم يجب اخذت ثيابه حلالا لي قال لها الخليفة سليه فقالت له ما تقول في شيء يشبه الارض استدارة ويواري عن العيون فقاره وقراره قليل القيمة والقدر ضيق الصدر والنحر مقيد وهو غير آبق موثق وهو غير سارق مطعون لا في القتال مجروح لا في النضال يأكل الدهر مره ويشرب الماء كثره وتارة يضرب من غير جناية ويستخدم لا كفاية مجموع بعد تفرقه متواضع لا من تملقه حامل لا لولد في بطنه مائل لا يستند الى ركنه يتسخ فيتطهر ويصلى فيتغير يجامع بلا ذكر ويصارع بلا حذر يرخ ويستريح ويعض فلا يصيح اكرم من النديم وابعد من الحميم يفارق زوجته ليلا ويعانقها نهارا مسكنه الاطراف في مساكن الاشراف فسكت الطبيب ولم يجب بشيء وتحير في امره وتغير لونه واطرق برأسه ساعة ولم يتكلم فقالت ايها الطبيب تكلم والا فانزع ثيابك فقام وقال يا امير المؤمنين اشهد على ان هذه الجارية اعلم مني بالطب وغيره ولا لي عليها طاقة ونزع ما عليه من الثياب وخرج هاربا فعند ذلك قال لها امير المؤمنين فسري لنا ما قلته فقالت يا امير المؤمنين هذا الزر والعروة واما ما كان من امرها مع المنجم فانها قالت من كان منكم منجما فليقم فنهض اليها المنجم وجلس بين يديها فلما رأته ضحكت وقالت انت المنجم الحاسب الكاتب قال نعم قالت اسأل عما شئت وبالله التوفيق قال اخبريني عن الشمس وطلوعها وافولها قالت اعلم ان الشمس تطلع من عيون وتأفل من عيون فعيون الطلوع اجزاء المشارق وعيون الافول اجزاء المغارب وكلتاهما مائة وثمانون جزأ قال الله تعالى فلا اقسم برب المشارق والمغارب وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فالقمر سلطان الليل والشمس سلطان النهار وهما مستبقان متداركان قال الله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون قال فاخبريني اذا جاء الليل كيف يكون النهار واذا جاء النهار كيف يكون الليل قالت يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل قال فاخبريني عن منازل القمر قالت منازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهي الشرطان والبطين

والثريا

والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبره والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرغ المقدم والفرغ المؤخر والرشا وهى مرتبة على حروف ابجد هوز الى آخرها وفيها سر غامض لايعلمه الا الله سبحانه وتعالى والراسخون فى العلم واما قسمتها على البروج الاثنى عشر فهى ان تعطى كل برج منزلتين وثلث منزلة فجعل الشرطين والبطين وثلث الثريا للحمل وثلثى الثريا مع الدبران وثلثى الهقعة للثور وثلث الهقعة مع الهنعة والذراع للجوزا والنثرة والطرف وثلث الجبهة للسرطان وثلثيها مع الزبرة وثلثى الصرفة للاسد وثلثها مع العواء والسماك للسنبلة والغفر والزبانى وثلث الاكليل للميزان وثلثى الاكليل مع القلب وثلثى الشولة للعقرب وثلثها مع النعائم والبلدة للقوس وسعد الذابح وسعد بلع وثلث سعد السعود للجدى وثلثى سعد السعود مع سعد الاخبية وثلثى المقدم للدلو وثلث المقدم مع المؤخر والرشا للحوت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما عدت المنازل وقسمتها على البروج قال لها المنجم احسنت فاخبرينى عن الكواكب السيارة وعن طبائعها وعن مكثها فى البروج والسعد منها والنحس واين بيوتها وشرفها وسقوطها قالت المجلس ضيق ولكن ساخبرك اما الكواكب فسبعة وهى الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل فالشمس حارة يابسة نحسة بالمقارنة سعيدة بالنظر تمكث فى كل برج ثلاثين يوما والقمر بارد رطب سعيد يمكث فى كل برج يومين وثلث يوم وعطارد ممتزج سعد مع السعود نحس مع النحوس يمكث فى كل برج سبعة عشر يوما ونصف يوم والزهرة معتدلة سعيدة تمكث فى كل برج من البروج خمسة وعشرين يوما والمريخ نحس يمكث فى كل برج عشرة اشهر والمشترى سعد يمكث فى كل برج سنة وزحل بارد يابس نحس يمكث فى كل برج ثلاثين شهرا والشمس بيتها الاسد وشرفها الحمل وهبوطها الدلو والقمر بيته السرطان وشرفه الثور وهبوطه العقرب ووباله الجدى وزحل بيته الجدى والدلو وشرفه الميزان وهبوطه الحمل ووباله السرطان والاسد والمشترى بيته الحوت والقوس وشرفه السرطان وهبوطه الجدى ووباله الجوزا والاسد والزهرة بيتها الثور وشرفها الحوت وهبوطها الميزان ووبالها الحمل والعقرب وعطارد بيته الجوزا والسنبلة وشرفه السنبلة وهبوطه الحوت ووباله الثور والمريخ بيته الحمل والعقرب وشرفه الجدى وهبوطه السرطان ووباله الميزان فلما نظر المنجم الى حذقها وعلمها وحسن كلامها وفهمها ابتغى لها حيلة يخجلها بها بين يدى امير المؤمنين فقال لها يا جارية هل ينزل فى هذا الشهر مطر فاطرقت ساعة ثم تفكرت طويلا حتى ظن امير المؤمنين انها عجزت عن جوابه فقال لها المنجم لم تتكلمى فقالت لا اتكلم الا ان اذن لى فى الكلام امير المؤمنين فقال لها امير المؤمنين وكيف ذلك قالت اريد ان تعطينى سيفا اضرب به عنقه لانه زنديق فضحك امير المؤمنين وضحك من حوله ثم قالت يا منجم خمسة لايعلمها الا الله تعالى وقرأت ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت ان الله عليم خبير قال لها احسنت وانى والله ما اردت الا اختبارك فقالت له اعلم ان اصحاب التقويم لهم اشارات وعلامات ترجع الى الكواكب بالنظر الى دخول السنة والناس فيها

عجايب قال وما هى قالت ان لكل يوم من الايام كوكبا يملكه فاذا كان اول يوم من السنة يوم الاحد فهو للشمس ويدل ذلك والله اعلم على الجور من الملوك والسلاطين والولاة وكثرة الوخم وقلة المطر وان تكون الناس فى هرج عظيم وتكون الحبوب طيبة الا العدس فانه يعطب ويفسد العنب ويغلو الكتان ويرخص القمح من اول طوبه الى آخر برمهات ويكثر القتال بين الملوك ويكثر الخير فى تلك السنة والله اعلم قال فاخبرينى عن يوم الاثنين قالت هو للقمر ويدل ذلك على صلاح ولاة الامور والعمال وان تكون السنة كثيرة الامطار وتكون الحبوب طيبة ويفسد بزر الكتان ويرخص القمح فى شهر كيهك ويكثر الطاعون ويموت نصف الدواب من الضان والمعز ويكثر العنب ويقل العسل ويرخص القطن والله اعلم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما فرغت من بيان يوم الاثنين قال لها اخبرينى عن يوم الثلاثا قالت هو للمريخ ويدل ذلك على موت كبار الناس وكثرة الفناء واهراق الدماء والغلاء فى الحب وقلة الامطار وان يكون السمك قليلا ويزيد فى ايام وينقص فى ايام ويرخص العسل والعدس ويغلو بزر الكتان فى تلك السنة وفيها يفلح الشعير دون سائر الحبوب ويكثر القتال بين الملوك ويكون الموت بالدم ويكثر موت الحمير والله اعلم قال فاخبرينى عن يوم الاربعا قالت هو لعطارد ويدل ذلك على هرج عظيم يقع فى الناس وعلى كثرة العدو وان تكون الامطار معتدلة وان يفسد بعض الزرع وان يكثر موت الدواب وموت الاطفال ويكثر القتل فى البحر ويغلو القمح من برمودة الى مسرى وترخص بقية الحبوب ويكثر الرعد والبرق ويغلو العسل ويكثر طلع النخل ويكثر الكتان والقطن ويغلو الفجل والبصل والله اعلم قال اخبرينى عن يوم الخميس قالت هو للمشترى ويدل ذلك على العدل فى الوزراء والصلاح فى القضاة والفقراء واهل الدين وان يكون الخير كثيرا وتكثر الامطار والثمار والاشجار والحبوب ويرخص الكتان والقطن والعسل والعنب ويكثر السمك والله اعلم قال اخبرينى عن يوم الجمعة قالت هو للزهرة ويدل ذلك على الجور فى كبار الجن والتحدث بالزور والبهتان وان يكثر الندا ويطيب الخريف فى البلاد ويكون الرخص فى بلاد دون بلاد ويكثر الفساد فى البر والبحر ويغلو بزر الكتان ويغلو القمح فى هاتور ويرخص فى امشير ويغلو العسل ويفسد العنب والبطيخ والله اعلم قال فاخبرينى عن يوم السبت قالت هو لزحل ويدل ذلك على ايثار العبيد والروم ومن لا خير فيه ولا فى قربه وان يكون الغلاء والقحط كثيرا ويكون الغيم كثيرا ويكثر الموت فى بنى آدم والويل لاهل مصر والشام من جور السلطان وتقل البركة من الزرع وتفسد الحبوب والله اعلم ثم ان المنجم اطرق وطاطا راسه فقالت يا منجم اسالك مسالة واحدة فان لم تجب اخذت ثيابك قال لها قولى قالت اين يكون مسكن زحل قال فى السماء السابعة قالت فالمشترى قال فى السماء السادسة قالت فالمريخ قال فى السماء الخامسة قالت فالشمس قال فى السماء الرابعة قالت فالزهرة قال فى السماء الثالثة قالت فعطارد قال فى السماء الثانية قالت فالقمر قال فى السماء الاولى قالت احسنت وبقى عليك مسالة واحدة قال اسالى قالت فاخبرنى عن النجوم الى كم جزء تنقسم فسكت ولم يحر جوابا قالت انزع ثيابك فنزعها واخذتها قال لها امير المؤمنين فسرى لنا هذه المسالة فقالت يا امير المؤمنين هم ثلاثة اجزاء جزء معلق بسماء الدنيا كالقناديل وهو ينير الارض وجزء يرمى به الشياطين

اذا استرقوا السمع قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين والجزء الثالث معلق بالهواء وهو سير البحار وما فيها قال المنجم بقى لنا مسألة واحدة فان اجابت اقررت انها قالت قل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد انه قال اخبرينى عن اربعة اشياء متضادة مترتبة على اربعة اشياء متضادة قالت هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة خلق الله من الحرارة النار وطبعها حار يابس وخلق من اليبوسة التراب وطبعه بارد يابس وخلق من البرودة الماء وطبعه بارد رطب وخلق من الرطوبة الهواء وطبعه حار رطب ثم خلق الله اثنى عشر برجا وهى الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وجعلها على اربع طبائع ثلاثة نارية وثلاثة ترابية وثلاثة هوائية وثلاثة مائية فالحمل والاسد والقوس نارية والثور والسنبلة والجدى ترابية والجوزا والميزان والدلو هوائية والسرطان والعقرب والحوت مائية فقام المنجم وقال اشهدوا على انها اعلم منى وانصرف مغلوبا ثم قال امير المؤمنين اين الفيلسوف فنهض اليها رجل وتقدم وقال اخبرينى عن الدهر وحده وايامه وما جاء فيه قالت ان الدهر هو اسم واقع على ساعات الليل والنهار وانما هى مقادير جرى الشمس والقمر فى افلاكهما كما اخبر الله تعالى حيث قال وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم قال فاخبرينى عن ابن آدم كيف يصل اليه الكفر قالت روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكفر فى بنى آدم يجرى كما يجرى الدم فى عروقه حيث يسب الدنيا والدهر والليلة والساعة وقال عليه الصلاة والسلام لا يسب احدكم الدهر فان الدهر هو الله ولا يسب احدكم الدنيا فتقول لا اعان الله من يسبنى ولا يسب احدكم الساعة فان الساعة آتية لا ريب فيها ولا يسب احدكم الارض فانها آية لقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى قال فاخبرينى عن خمسة اكلوا وشربوا وما خرجوا من ظهر ولا بطن قالت هم آدم وشمعون وناقة صالح وكبش اسماعيل والطير الذى رآه ابو بكر الصديق فى الغار قال فاخبرينى عن خمس فى الجنة لا من الانس ولا من الجن ولا من الملائكة قالت ذئب يعقوب وكلب اصحاب الكهف وحمار العزير وناقة صالح ودلدل النبى صلى الله عليه وسلم قال اخبرينى عن رجل صلى صلاة لا فى الارض ولا فى السماء قالت هو سليمان حين صلى على بساطه وهو على الريح قال اخبرينى عن من صلى صلاة الصبح فنظر الى امة فحرمت عليه فلما كان الظهر حلت له فلما كان العصر حرمت عليه فلما كان المغرب حلت له فلما كان العشاء حرمت عليه فلما كان الصبح حلت له قالت هذا رجل نظر الى امة غيره عند الصبح وهى حرام عليه فلما كان الظهر اشتراها فحلت له فلما كان العصر اعتقها فحرمت عليه فلما كان المغرب تزوجها فحلت له فلما كان العشاء طلقها فحرمت عليه فلما كان الصبح راجعها فحلت له قال اخبرنى عن قبر مشى بصاحبه قالت هو حوت يونس بن متى حين ابتلعه قال اخبرينى عن بقعة واحدة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولا تطلع عليها ابدا الى يوم القيامة قالت البحر حين ضربه موسى بعصاه فانفلق اثنى عشر فرقا على عدد الاسباط وطلعت عليه الشمس ولم تعد له الى يوم القيامة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الفيلسوف قال بعد ذلك للجارية اخبرينى عن اول ذيل سحب على وجه الارض قالت ذيل هاجر حياء من سارة فصارت سنة فى العرب قال اخبرينى عن شئ يتنفس بلا روح قالت قوله تعالى والصبح اذا تنفس قال اخبرينى عن حمام طائر اقبل على شجرة عالية فوقع بعضه فوقها وبعضه تحتها فقالت التى فوق الشجرة للتى تحتها ان طلعت منكن واحدة صرتن الثلث وان نزلت منا واحدة كنا مثلكن فى العدد قالت الجارية كان الحمام اثنتى عشرة حمامه فوقع منهن فوق الشجرة سبع وتحتها خمس فاذا طلعت واحدة صار الذى فوق قدر الذى تحت مرتين ولو نزلت واحدة صار الذى تحت مساويا للذى فوق والله اعلم فتجرد الفيلسوف من ثيابه وخرج هاربا واما حكايتها مع النظام فان الجارية التفتت الى العلماء الحاضرين وقالت ايكم المتكلم فى كل فن وعلم فقام اليها النظام وقال لها لا تحسبينى كغيرى فقالت له الاصح عندى انك مغلوب لانك مدعى والله ينصرنى عليك حتى اجردك من ثيابك فلو ارسلت من يأتيك بشئ تلبسه لكان خيرا لك فقال والله لاغلبنك واجعلنك حديثا يتحدث به الناس جيلا بعد جيل فقالت له الجارية كفر عن يمينك قال اخبرينى عن خمسة اشياء خلقها الله تعالى قبل خلق الخلق قالت له الماء والتراب والنور والظلمة والثمار قال اخبرينى عن شئ خلقه الله بيد القدرة قالت العرش وشجرة طوبى وآدم وجنة عدن فهؤلاء خلقهم الله بيد قدرته وسائر المخلوقات قال لهم الله كونوا فكانوا قال اخبرينى عن ابيك فى الاسلام قالت محمد صلى الله عليه وسلم قال فمن ابو محمد قالت ابراهيم خليل الله قال فما دين الاسلام قالت شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال فاخبرينى ما اولك وما آخرك قالت اولى نطفة مذرة وآخرى جيفة قذرة واولى من التراب وآخرى التراب قال الشاعر

خلقت من التراب فصرت شخصا ✻ فصيحا فى السؤال وفى الجواب
وعدت الى التراب فصرت فيه ✻ لانى قد خلقت من التراب

قال فاخبرينى عن شئ اوله عود وآخره روح قالت هى عصا موسى حين القاها فى الوادى فاذا هى حية تسعى باذن الله تعالى قال فاخبرينى عن قوله تعالى ولى فيها مآرب اخرى قالت كان يغرسها فى الارض فتزهر وتثمر وتظله من الحر والبرد وتحمله اذا اعيى وتحرس له الغنم اذا نام من السباع قال اخبرينى عن انثى من ذكر وذكر من انثى قالت حوا من آدم وعيسى من مريم قال فاخبرينى عن اربع نيران نار تأكل وتشرب ونار تأكل ولا تشرب ونار تشرب ولا تأكل ونار لا تأكل ولا تشرب قالت اما النار التى تأكل ولا تشرب فهى نار الدنيا واما النار التى تأكل وتشرب فهى نار جهنم واما النار التى تشرب ولا تأكل فهى نار الشمس واما النار التى لا تأكل ولا تشرب فهى نار القمر قال اخبرينى عن المفتوح وعن المغلق قالت يا نظام المفتوح هو المسنون والمغلق هو المفروض قال اخبرينى عن قول الشاعر

وما كن رمس طعمه عند رأسه ✻ اذا ذاق من ذاك الطعام تكلما
يقوم ويمشى صامتا متكلما ✻ ويرجع فى القبر الذى منه قوما
وليس بحى يستحق كرامة ✻ وليس بميت يستحق الترحما

قالت له هو القلم قال فاخبرنى عن قول الشاعر حيث قال

ململمة الجبينين موروودة الدم * مخزرة الاذنين مفتوحة الفم
لهاصنم كالديك يتقرجونها * تساوى اذا قومتها نصف درهم

قالت هى الدواة قال فاخبرينى عن قول الشاعر حيث قال

الا قل لاهل العلم والعقل والادب * وكل فقيه ساد فى الفهم والرتب
الا انبئونى أى شئ رأيتموا * من الطير فى ارض الاعاجم والعرب
وليس له لحم وليس له دم * وليس له ريش وليس له زغب
ويؤكل مطبوخا ويؤكل باردا * ويؤكل مشويا اذا دس فى اللهب
ويبدو له لونان لون كفضة * ولون ظريف ليس يشبهه الذهب
وليس يرى حيا وليس بميت * الا اخبرونى ان هذا من العجب

قالت لقد اطلت السؤال فى بيضة قيمتها فلس قال اخبرينى كم كلمة كلم الله موسى قالت روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كلم الله موسى الف كلمة وخمسمائة وخمس عشرة كلمة قال اخبرينى عن اربعة عشر كلموا رب العالمين قالت السموات السبع والارضون السبع لما قالتا اتينا طائعين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما قالت له الجواب قال لها اخبرينى عن آدم واول خلقته قالت خلق الله آدم من طين والطين من زبد والزبد من بحر والبحر من ظلمة والظلمة من نور والنور من حوت والحوت من صخرة والصخرة من ياقوتة والياقوتة من ماء والماء من القدرة لقوله تعالى انما امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون قال فاخبرينى عن قول الشاعر حيث قال

وآكلة بغير فم وبطن * لها الاشجار والحيوان قوت
فان اطعمتها انتعشت وعاشت * ولو اسقيتها ماء تموت

قالت هى النار قال فاخبرينى عن قول الشاعر حيث قال

خليلان ممنوعان من كل لذة * يبيتان طول الليل يعتنقان
هما يحفظان الاهل من كل آفة * وعند طلوع الشمس يفترقان

قالت هما مصراعا الباب قال فاخبرينى عن ابواب جهنم قالت سبعة وهم ضمن بيتين من الشعر

جهنم واظى ثم الحطيم كذا * عد السعير وكل القول فى سقر
وبعد ذاك جحيم ثم هاوية * فذا العد تم فى قول مختصر

قال فاخبرينى عن قول الشاعر حيث قال

وذات ذوائب تنجر طولا * ورآها فى المجئ وفى الذهاب
بعين لم تذق للنوم طعما * ولا ذرفت لدمع ذى انسكاب
ولا لبست مدى الايام ثوبا * وتكسو الناس انواع الثياب

قالت هى الابرة قال فاخبرينى عن الصراط ما هو وما طوله وما عرضه قالت اما طوله فثلاثة آلاف عام الف هبوط والف صعود والف استواء وهو احد من السيف وارق من الشعر وادرك شهرزاد الصباح

فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما وصفت له الصراط قال اخبريني كم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم من شفاعة قالت له ثلاث شفاعات قال لها هل كان ابو بكر اول من اسلم قالت نعم قال ان عليا اسلم قبل ابي بكر قالت ان عليا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع سنين فاعطاه الله الهداية على صغر سنه فما سجد لصنم قط قال فاخبريني اعلي افضل ام العباس قال النظام فعلمت ان هذه مكيدة لها فان قالت علي افضل من العباس فما لها من عذر عند امير المؤمنين فاطرقت ساعة وهي تارة تحمر وتارة تصفر ثم قالت تسألني عن اثنين فاضلين لكل واحد منهما فضل فارجع بنا الى ما كنا فيه فلما سمعها الخليفة هارون الرشيد استوى قائما على قدميه وقال لها احسنت ورب الكعبة يا تودد فعند ذلك قال لها ابراهيم النظام اخبريني عن قول الشاعر حيث قال

مهفهفة الاذيال عذب مذاقها * تحاكي القنا لكن بغير سنان
ويأخذ كل الناس منها منافعا * وتؤكل بعد العصر في رمضان

قالت قصب السكر قال فاخبريني عن مسائل كثيرة قالت وما هي قال ما احلى من العسل وما احد من السيف وما اسرع من السم وما لذة ساعة وما سرور ثلاثة ايام وما اطيب يوم وما فرحة جمعة وما الحق الذي لا ينكره صاحب الباطل وما حبس القبر وما فرحة القلب وما كيد النفس وما موت الحياة وما الداء الذي لا يداوى وما العار الذي لا ينجلي وما الدابة التي لا تأوي الى العمران وتسكن الخراب وتبغض بني آدم وخلق فيها خلق من سبعة جبابرة قالت له اسمع جواب ما قلت ثم انزع ثيابك حتى افسر لك ذلك قال لها امير المؤمنين فسري وهو ينزع ثيابه قالت اما ما هو احلى من العسل فهو حب الاولاد البارين بوالديهم واما ما هو احد من السيف فهو اللسان واما ما هو اسرع من السم فهو عين المعيان واما لذة ساعة فهو الجماع واما سرور ثلاثة ايام فهو النورة للنساء واما ما هو اطيب يوم فهو يوم الربح في التجارة واما فرحة جمعة فهو العروس واما الحق الذي لا ينكره صاحب الباطل فهو الموت واما حبس القبر فهو الولد السوء واما فرحة القلب فهي المرأة المطيعة لزوجها وقيل اللحم حين ينزل على القلب فانه يفرح بذلك واما كيد النفس فهو العبد العاصي واما موت الحياة فهو الفقر واما الداء الذي لا يداوى فهو سوء الخلق واما العار الذي لا ينجلي فهو البنت السوء واما الدابة التي لا تأوي الى العمران وتسكن الخراب وتبغض بني آدم وخلق فيها خلق من سبعة جبابرة فانها الجرادة رأسها كرأس الفرس وعنقها كعنق الثور وجناحها جناح النسر ورجلها رجل الجمل وذنبها ذنب الحية وبطنها بطن العقرب وقرنها قرن الغزال فتعجب الخليفة هارون الرشيد من حذقها وفهمها ثم قال للنظام انزع ثيابك فقام وقال اشهد على جميع من حضر هذا المجلس انها اعلم مني ومن كل عالم ونزع ثيابه وقال لها خذيهم لا بارك الله لك فيهم فامر لها امير المؤمنين بثياب يلبسها ثم قال امير المؤمنين يا تودد بقي عليك شيء مما وعدت به وهو الشطرنج وامر باحضار معلمي الشطرنج والكنجفة والنرد فحضروا وجلس الشطرنجي معها وصفت بينهما الصفوف ونقل ونقلت فما نقل شيأ الا افسدته عن قليل وادركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما لعبت الشطرنج مع المعلم بحضرة امير المؤمنين هارون الرشيد صارت كلما نقل نقلا افسدته حتى غلبته ورأى الشاه مات فقال انما اردت ان اطمعك حتى تظني انك عارفة لكن صفي حتى اريك فلما صفت الثاني قال في نفسه افتح عينك والا غلبتك وصار ما يخرج قطعة الا بحساب وما زال يلعب حتى قالت له الشاه مات فلما رأى ذلك منها دهش من حذقها وفهمها فضحكت وقالت له يا معلم انا اراهنك في هذه المرة الثالثة على ان ارفع لك الفرزان ورخ الميمنة وفرس الميسرة وان غلبتني فخذ ثيابي وان غلبتك اخذت ثيابك قال رضيت بهذا الشرط ثم صفا الصفين ورفعت الفرزان والرخ والفرس وقالت له انقل يا معلم فنقل وقال ما لي لا اغلبها بعد هذه الحطيطة وعقد عقدا واذا هي نقلت نقلا قليلا الى ان صيرت له فرزانا ودنت منه وقربت البياذق والقطع وشغلته واطعمته قطعة فقطعها فقالت الكيل كيل وافي والرزز صافي فكل حتى تزيد على الشبع ما يقتلك يا ابن آدم الا الطمع اما تعلم اني اطعمتك لاخدعك انظر فهذا الشاه مات ثم قالت له انزع ثيابك فقال لها اتركي لي السراويل واجرك على الله وحلف بالله ان لا يناظر احدا ما دامت تودد بمملكة بغداد ثم نزع ثيابه وسلمهم لها وانصرف فجيء بلاعب النرد فقالت له ان غلبتك في هذا اليوم فماذا تعطيني قال اعطيك عشرة ثياب من الديباج القسطنطيني المطرز بالذهب وعشرة ثياب من المخمل والف دينار وان غلبتك فما اريد منك الا ان تكتبي لي درجا باني غلبتك قالت له دونك وما عولت عليه فلعب فاذا هو قد خسر وقام وهو يرطن بالافرنجية ويقول ونعمة امير المؤمنين انها لم يوجد مثلها في سائر البلاد ثم ان امير المؤمنين دعا بارباب الات الطرب فحضروا فقال لها امير المؤمنين هل تعرفين شيأ من الات الطرب قالت نعم فامر باحضار عود محكول مدعوك مجرود صاحبه بالهجران مكدود وقال فيه بعض واصفيه

سقى الله ارضا انبتت عود مطرب ✻ زكت منه اغصان وطابت مغارس
تغنت عليه الطير والعود اخضر ✻ وغنت عليه الغيد والعود يابس

فجيء بعود في كيس من الاطلس الاحمر له شرابة من الحرير المزعفر فحلت الكيس واخرجت العود فاذا هو عليه منقوش

وغصن رطيب عاد عود القينة ✻ تحن الى اترابها في المحافل
تغني فيتلو لحنها وكأنه ✻ يلقنها اعراب لحن البلابل

فوضعته في حجرها وارخت عليه نهدها وانحنت انحناء والدة ترضع ولدها وضربت عليه اثني عشر نغما حتى ماج المجلس من الطرب وانشدت تقول

اقصروا هجركم وقلوا جفاكم ✻ ففؤادي وحقكم ما سلاكم
وارحموا باكيا حزينا كئيبا ✻ ذا غرام متيما في هواكم

فطرب امير المؤمنين وقال بارك الله فيك ورحم من علمك فقامت وقبلت الارض بين يديه ثم ان امير المؤمنين امر باحضار المال ودفع لمولاها مائة الف دينار وقال لها يا تودد تمني علي قالت تمنيت عليك ان تردني الى سيدي الذي باعني فقال لها نعم فردها اليه واعطاها خمسة الاف دينار لنفسها وجعل سيدها نديما له على طول الزمان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة اعطى الجارية خمسة الاف دينار وردها الى مولاها وجعله نديماله على طول الزمان واطلق له فى كل شهر الف دينار وقعد مع جاريته فى ارغد عيش فاعجب ايها الملك من فصاحة هذه الجارية ومن غزارة علمها وفهمها وفضلها فى كامل العلوم وانظر الى مروّة امير المؤمنين هارون الرشيد حيث اعطى سيدها هذا المال وقال لها تمنى علىّ فتمنت عليه ان يردها الى سيدها فردها اليه واعطاها خمسة الاف دينار لنفسها وجعل سيدها نديماله فاين يوجد هذا الكرم بعد الخلفاء العباسيين رحمة الله تعالى عليهم اجمعين

ومما يحكى ايها الملك السعيد ان ملكا من الملوك المتقدمين اراد ان يركب يوما فى جملة اهل مملكته وارباب دولته ويظهر للخلائق عجائب زينته فامر اصحابه وامراءه وكبراء دولته ان يأخذوا اهبة الخروج معه وامر خازن الثياب بان يحضر له من افخر الثياب مايصلح للملك فى زينته وامر باحضار خيله الموصوفة العتاق المعروفة ففعلوا ذلك ثم انه اختار من الثياب مااعجبه ومن الخيل مااستحسنه ثم لبس الثياب وركب الجواد وسار بالموكب والطوق المرصع بالجواهر واصناف الدر واليواقيت وجعل يركض الحصان فى عسكره ويفتخر بتيهه وتجبره فاتاه ابليس فوضع يده على منخره ونفخ فى انفه نفخة الكبر والعجب فزها وقال فى نفسه من فى العالم مثلى وطفق يتيه بالعجب والكبر ويظهر الابهة ويزهو بالخيلا ولا ينظر الى احد من تيهه وكبره وعجبه وفخره فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فقبض على عنان فرسه فقال له الملك ارفع يدك فانك لاتدرى بعنان من قد امسكت فقال له ان لى اليك حاجة فقال اصبر حتى انزل واذكر حاجتك فقال انها سر ولا اقولها الا فى اذنك فال بسمعه اليه فقال له انا ملك الموت واريد قبض روحك فقال امهلنى بقدر مااعود الى بيتى واودع اهلى واولادى وجيرانى وزوجتى فقال كلالا تعود ولن تراهم ابدا فانه قد مضى اجل عمرك فاخذ روحه وهو على ظهر فرسه فخر ميتا ومضى ملك الموت من هناك فاتى رجلا صالحا قد رضى الله تعالى عنه فسلم عليه فرد عليه فقال ملك الموت ايها الرجل الصالح ان لى اليك حاجة وهى سر فقال له الرجل الصالح اذكر حاجتك فى اذنى فقال انا ملك الموت فقال الرجل مرحبا بك الحمد لله على مجيئك فانى كنت كثيرا اترقب وصولك الى واقد طالت غيبتك عن المشتاق الى قدومك فقال له ملك الموت ان كان لك شغل فاقضه فقال له ليس لى شغل اهم عندى من لقاء ربى عز وجل فقال كيف تحب ان اقبض روحك فانى امرت ان اقبضها كيف اردت واخترت فقال امهلنى حتى اتوضأ واصلى فاذا سجدت فاقبض روحى وانا ساجد فقال ملك الموت ان ربى عز وجل امرنى ان لا اقبض روحك الا باختيارك كيف اردت وانا افعل ماقلت فقام الرجل وتوضأ وصلى فقبض ملك الموت روحه وهو ساجد ونقله الله تعالى الى محل الرحمة والرضوان والمغفرة

وحكى ان ملكا من الملوك كان قد جمع مالا عظيما لايحصى عدده واحتوى على اشياء كثيرة من كل نوع خلقه الله تعالى فى الدنيا ليرفه نفسه حتى اذا اراد ان يتفرغ لما جمعه من النعم الطائلة بنى له قصرا عاليا مرتفعا شاهقا يصلح للملوك ويكون بهم لائقا ثم ركب عليه بابين محكمين ورتب له الغلمان والاجناد والبوابين كما اراد وامر الطباخ فى بعض الايام ان يصنع له شيأ من اطيب الطعام وجمع اهله وحشمه واصحابه وخدمه ليأ كلوا عنده وينالوا رفده وجلس على سرير مملكته وسيادته واتكأ على وسادته وخاطب نفسه وقال يانفس قد جمعت لك نعم الدنيا باسرها فالاٰن تفرغى وكلى من هذه النعم مهناة بالعمر الطويل والحظ الجزيل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك لما حدث نفسه وقال لها كلى من هذه النعم مهناة بالعمر الطويل والحظ الجزيل لم يفرغ مما حدث به نفسه حتى اتاه رجل من ظاهر القصر عليه ثياب رثة وفى عنقه مخلاة معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة باب القصر طرقة عظيمة هائلة كادت تزلزل القصر وتزعج السرير فخاف الغلمان فوثبوا الى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا له ويحك ما هذه الفعلة وسوء الادب اصبر حتى يأكل الملك ونعطيك مما يفضل فقال للغلمان قولوا لصاحبكم يخرج الى حتى يكلمنى فلى اليه حاجة وشغل مهم وامر ملم فقالوا تنح ايها الضعيف من انت حتى نأمر صاحبنا بالخروج اليك فقال لهم عرفوه ذلك فجاؤا اليه وعرفوه فقال هلا زجرتموه وجردتم عليه ونهرتموه ثم طرق الباب اعظم من الطرقة الاولى فنهض الغلمان اليه بالعصى والسلاح وقصدوه ليضاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا اماكنكم فانا ملك الموت فرعبت قلوبهم وذهبت عقولهم وطاشت حلومهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم فقال لهم الملك قولوا له يأخذ بدلا منى وعوضا عنى فقال ملك الموت لا اخذ بدلا ولا اتيت الا من اجلك لافرق بينك وبين النعم التى جمعتها والاموال التى حويتها وخزنتها فعند ذلك تنفس الصعداء وبكى وقال لعن الله المال الذى غرنى واضرنى ومنعنى عن عبادة ربى وكنت اظن انه ينفعنى فبقى اليوم حسرة على ووبالا لدى وها انا اخرج صفر اليدين منه وبقى لاعدائى قال فانطق الله المال وقال لاى سبب تلعننى العن نفسك فان الله تعالى خلقنى واياك من تراب وجعلنى فى يدك لتتزود منى لآخرتك وتتصدق بى على الفقراء والمساكين والضعفاء وتعمر بى الربط والمساجد والجسور والقناطر لاكون عونا لك فى الدار الآخرة وانت جمعتنى وخزنتنى وفى هواك انفقتنى ولم تشكر لحقى بل كفرتنى فالآن تركتنى لاعدائك وانت بحسرتك وندامتك فاى ذنب لى حتى تسبنى ثم ان ملك الموت قبض روحه وهو على سريره قبل ان يأكل الطعام فخر ميتا ساقطا من فوق سريره قال الله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ومما يحكى ان ملكا جبارا من ملوك بنى اسرائيل كان فى بعض الايام جالسا على سرير مملكته فرأى رجلا قد دخل عليه باب الدار وله صورة منكرة وهيئة هائلة فاشتد غيظه من هجومه عليه وفزع من هيئته فوثب فى وجهه وقال من انت ايها الرجل ومن اذن لك فى الدخول على وامرك بالمجىء الى دارى فقال امرنى صاحب الدار وانا الذى لا يحجبنى حاجب ولا احتاج فى دخولى على الملوك الى اذن ولا ارهب سياسة سلطان ولا كثرة اعوان انا الذى لا يقر عنى جبار ولا لاحد من قبضتى فرار انا هادم اللذات ومفرق الجماعات فلما سمع الملك هذا الكلام خر على وجهه ودبت الرعدة فى بدنه ووقع مغشيا عليه فلما افاق قال انت ملك الموت قال نعم قال اقسمت عليك بالله الا ما امهلتنى يوما واحدا لاستغفر من ذنبى واطلب العذر من ربى وارد الاموال التى فى خزائنى الى اربابها ولا اتحمل مشقة حسابها وويل عقابها فقال ملك الموت هيهات هيهات لا سبيل لك الى ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ملك الموت قال للملك هيهات هيهات لا سبيل لك الى ذلك وكيف امهلك وايام عمرك محسوبة وانفاسك معدودة واوقاتك مثبوتة مكتوبة فقال امهلنى ساعة فقال ان الساعة فى الحساب وقد مضت وانت غافل وانقضت وانت ذاهل وقد استوفيت انفاسك ولم يبق لك الا نفس واحد

فقال من يكون عندى اذا نقلت الى لحدى قال لا يكون عندك الا عملك فقال مالى عمل قال لا جرم انه يكون مقيلك فى النار ومصيرك الى غضب الجبار ثم قبض روحه فخر ساقطا عن سريره ووقع الى الارض فحصل الضجيج فى اهل مملكته وارتفعت الاصوات وعلا الصياح والبكاء ولو علموا ما يصير اليه من سخط ربه لكان بكاؤهم عليه اكثر وعويلهم اشد واوفر وممّا يحكى ان اسكندر ذا القرنين اجتاز فى سفره بقوم ضعفاء لا يملكون شيأ من اسباب الدنيا وقد حفروا قبور موتاهم على ابواب دورهم وكانوا فى كل وقت يتعهدون تلك القبور ويكنسون التراب عنها وينظفونها ويزورونها ويعبدون الله تعالى فيها وليس لهم طعام الا الحشيش ونبات الارض فبعث اليهم اسكندر ذو القرنين رجلا يستدعى ملكهم اليه فلم يجبه وقال مالى اليه حاجة فسار ذو القرنين اليه وقال كيف حالكم وما انتم عليه فانى لا ارى لكم شيأ من ذهب ولا فضة ولا اجد عندكم شيأ من نعيم الدنيا فقال له ان نعيم الدنيا لا يشبع منه احد فقال له اسكندر لم حفرتم القبور على ابوابكم فقال لتكون نصب اعيننا فننظر اليها ونجدد ذكر الموت ولا ننسى الآخرة ويذهب حب الدنيا من قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا تعالى فقال اسكندر كيف تأكلون الحشيش قال لانا نكره ان نجعل فى بطوننا قبور الحيوانات ولان لذة الطعام لا تتجاوز الحلق ثم مد يده فاخرج قحفا من رأس آدمى فوضعه بين يدى اسكندر وقال له ياذا القرنين أتعلم من كان صاحب هذا قال لا قال كان صاحبه ملكا من ملوك الدنيا فكان يظلم رعيته ويجور عليهم وعلى الضعفاء ويستفرغ زمانه فى جمع حطام الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا رأسه ثم مد يده ووضع قحفا آخر بين يديه وقال له أتعرف هذا قال لا قال هذا كان ملكا من ملوك الارض وكان عادلا فى رعيته شفوقا على اهل ولايته ومملكته فقبض الله روحه واسكنه جنته ورفع درجته ووضع يده على رأس ذى القرنين وقال ترى انت اى هذين الرأسين فبكى ذو القرنين بكاء شديدا وضمه الى صدره وقال له ان انت رغبت فى صحبتى سلمت اليك وزارتى وقاسمتك فى مملكتى فقال الرجل هيهات هيهات مالى رغبة فى هذا فقال له اسكندر ولم ذلك قال لان الخلق كلهم اعداؤك بسبب المال والملك الذى اعطيته وجميعهم اصدقائى فى الحقيقة بسبب القناعة والصعلكة لانى ليس لى ملك ولا طمع فى الدنيا ولا لى اليها طلب ولا فيها ارب وليس لى الا القناعة فضمه اسكندر الى صدره وقبله بين عينيه وانصرف وممّا يحكى ان الملك العادل انوشروان اظهر يوما من الايام انه مريض وانفذ ثقاته وامناءه وامرهم ان يطوفوا اقطار مملكته واكناف ولايته وان يطلبوا له لبنة عتيقة من قرية خربة ليتداوى بها وذكر لاصحابه ان الاطباء وصفوا له ذلك فطافوا اقطار مملكته وجميع ولايته وعادوا اليه فقالوا ما وجدنا فى جميع المملكة مكانا خربا ولا لبنة عتيقة ففرح انوشروان بهذا وشكر الله وقال انما اردت ان اجرب ولايتى واختبر مملكتى لاعلم هل بقى فيها موضع خرب لاعمره وحيث انه الآن لم يبق فيها مكان الا وهو عامر فقد تمت امور المملكة وانتظمت الاحوال ووصلت العمارة الى درجة الكمال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك لما رجع اليه ارباب دولته وقالوا له ما وجدنا فى جميع المملكة مكانا خربا شكر الله وقال الآن قد تمت امور المملكة وانتظمت الاحوال ووصلت العمارة الى درجة الكمال فاعلم ايها الملك ان اولئك الملوك القدماء ما كانت همتهم واجتهادهم فى عمارة ولايتهم الا لعلمهم انه كلما

كانت الولاية اعمر كانت الرغبة اوفر لانهم كانوا يعلمون ان الذى قالته العلماء ونطقت به الحكماء صحيح لا ريب فيه حيث قالوا ان الدين بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة البلاد وعمارة البلاد بالعدل فى العباد فما كانوا يوافقون احدا على الجور والظلم ولا يرضون لحشمهم بالتعدى علما منهم ان الرعية لا تثبت على الجور وان البلاد والاماكن تخرب اذا استولى عليها الظالمون وتتفرق اهلها ويهربون الى ولايات غيرها ويقع النقص فى الملك ويقل فى البلاد الدخل وتخلو الخزائن من الاموال ويتكدر عيش الرعايا لانهم لا يحبون جائرا ولا يزال دعاؤهم عليه متواترا فلا يتمتع الملك بمملكته وتسرع اليه دواعى مهلكته

ومما يحكى انه كان فى بنى اسرائيل قاض من قضاتهم وكان له زوجة بديعة الجمال كثيرة الصون والصبر والاحتمال فاراد ذلك القاضى النهوض الى زيارة بيت المقدس فاستخلف اخاه على القضاء واوصاه بزوجته وكان اخوه قد سمع بحسنها وجمالها فتكلف بها فلما سار القاضى توجه اليها وراودها عن نفسها فامتنعت واعتصمت بالورع فاكثر الطلب عليها وهى تمتنع فلما يئس منها خاف ان تخبر اخاه بصنيعه اذا رجع فاستدعى بشهود زور يشهدون عليها بالزناء ثم رفع مسألتها الى ملك ذلك الزمان فامر برجمها فحفروا لها حفرة واقعدوها فيها ورجمت حتى غطتها الحجارة وقال تكون الحفرة قبرها فلما جن الليل صارت تئن من شدة ما نالها فمر بها رجل يريد قرية فلما سمع انينها قصدها فاخرجها من الحفرة واحتملها الى زوجته وامرها بمداواتها فداوتها حتى شفيت وكان للمرأة ولد فدفعته اليها فصارت تكفله ويبيت معها فى بيت ثان فرآها احد الشطار فطمع فيها وارسل يراودها عن نفسها فامتنعت فعزم على قتلها فجاءها بالليل ودخل عليها البيت وهى نائمة ثم هوى بالسكين اليها فوافق الصبى فذبحه فلما علم انه ذبح الصبى ادركه الخوف فخرج من البيت وعصمها الله منه ولما اصبحت وجدت الصبى عندها مذبوحا وجاءت امه وقالت انت التى ذبحته ثم ضربتها ضربا موجعا وارادت ذبحها فجاء زوجها وانقذها منها وقال والله لم تفعل ذلك فخرجت المرأة فارة بنفسها لا تدرى اين تتوجه وكان معها بعض دراهم فمرت بقرية والناس مجتمعون ورجل مصلوب على جذع الا انه فى قيد الحياة فقالت يا قوم ماله قالوا انه اصاب ذنبا لا يكفره الا قتله او صدقة كذا وكذا من الدراهم فقالت خذوا الدراهم واطلقوه فتاب على يديها ونذر على نفسه ان يخدمها لله تعالى حتى يتوفاه الموت ثم بنى لها صومعة اسكنها فيها وصار يحتطب ويأتيها بقوتها واجتهدت المرأة فى العبادة حتى كان لا يأتيها مريض او مصاب فتدعو له الا شفى من وقته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المرأة لما صارت مقصودة للناس وهى مقبلة على عبادتها فى الصومعة كان من قضاء الله تعالى انه نزل باخى زوجها الذى رجمها عاهة فى وجهه واصاب المرأة التى ضربتها برص وابتلى الشاطر بوجع اقعده وقد جاء القاضى زوجها من حجه وسأل اخاه عنها فاخبره انها ماتت فاسف عليها واحتسبها عند الله ثم تسامعت الناس بالمرأة حتى كانوا يقصدون صومعتها من اطراف الارض ذات الطول والعرض فقال القاضى لاخيه يا اخى هلا قصدت هذه المرأة الصالحة لعل الله يجعل لك على يديها شفاء قال يا اخى احملنى اليها وسمع زوج المرأة التى نزل بها البرص فسار بها اليها وسمع

اهل الشاطر المقعد بخبرها فساروا به اليها ايضا واجتمع الجميع عند باب صومعتها وكانت ترى جميع من يأتى صومعتها من حيث لايراها احد فانتظروا خادمها حتى جاء ورغبوا اليه فى ان يستأذن لهم فى الدخول عليها ففعل فتنقبت واستترت ووقفت عند الباب تنظر زوجها واخاه واللص والمرأة وعرفتهم وهم لايعرفونها فقالت لهم ياهؤلاء انكم ماتستريحون مما بكم حتى تعترفوا بذنوبكم فان العبد اذا اعترف بذنبه تاب الله عليه واعطاه ماهو متوجه فيه اليه فقال القاضى لاخيه يااخى تب الى الله ولاتصر على عصيانك فانه انفع لخلاصك ولسان الحال يقول هذا المقال

اليوم يجمع مظلوم ومن ظلما * ويظهر الله سرا كان قد كتما
هذا مقام تذل المذنبون له * ويرفع الله من طاعاته لزما
ويظهر الحق مولانا وسيدنا * هذا وان سخط العاصى وان رغما
ياويح من جاهر المولى واسخطه * كانه بعقاب الله ماعلما
ياطالب العز ان العز يحك فى * تقوى الاله فكن بالله معتصما

قال فعند ذلك قال اخو القاضى الان اقول الحق فعلت بزوجتك ماهو كذا وكذا وهذا ذنبى فقالت البرصاء وانا كانت عندى امرأة فنسبت اليها مالم اعلمه وضربتها عمدا وهذا ذنبى فقال المقعد وانا دخلت على امرأة لاقتلها بعد ماراودتها عن نفسها وامتناعها من الزناء فذبحت صبيا كان بين يديها وهذا ذنبى فقالت المرأة اللهم كما اريتهم ذل المعصية فارهم عز الطاعة انك على كل شىء قدير فشفاهم الله عز وجل وجعل القاضى ينظر اليها ويتأملها فسألته عن سبب النظر فقال كانت لى زوجة ولولا انها ماتت لقلت انها انت فعرفته بنفسها وجعلا يحمدان الله عز وجل على ما من عليهما به من جمع شملهما ثم طفق كل من اخى القاضى واللص والمرأة يسألونها المسامحة فسامحت الجميع وعبدوا الله فى ذلك المكان مع لزوم خدمتها الى ان فرق الموت بينهم   ومما يحكى ان بعض السادة قال بينما انا اطوف بالكعبة فى ليلة مظلمة اذ سمعت صوت ذى حنين ينطق عن قلب حزين وهو يقول ياكريم لطفك القديم فان قلبى على العهد مقيم فتطاير قلبى لسماع ذلك الصوت تطايرا اشرفت منه على الموت فقصدت نحوه فاذا صاحبته امرأة فقلت السلام عليك ياامة الله فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقلت اسألك بالله العظيم ما العهد الذى قلبك عليه مقيم فقالت لولا قسمك بالجبار مااطلعتك على الاسرار انظر مابين يدى فنظرت فاذا بين يديها صبى نائم يغط فى نومه فقالت خرجت وانا حامل بهذا الصبى لاحج هذا البيت فركبت فى سفينة فهاجت علينا الامواج واختلفت علينا الرياح وانكسرت بنا السفينة فنجوت على لوح منها ووضعت هذا الصبى وانا على ذلك اللوح فبينما هو فى حجرى والامواج تضربنى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية قالت لما انكسرت السفينة نجوت على لوح منها ووضعت هذا الصبى وانا على ذلك اللوح فبينما هو فى حجرى والامواج تضربنى اذ وصل الى رجل من ملاحى السفينة وحصل معى وقال لى والله لقد كنت اهواك وانت فى السفينة والآن قد حصلت معك فمكنينى من نفسك والا قذفتك فى هذا البحر فقلت ويحك اما كان لك مما رأيت تذكرة وعبرة فقال انى رأيت مثل ذلك

مرارا وبحوت وانا لا ابالى فقلت ياهذا نحن فى بلية نرجو السلامة منها بالطاعة لا بالمعصية فألح على فخفت منه واردت ان اخادعه فقلت له مهلا حتى ينام هذا الطفل فاخذه من حجرى وقذفه فى البحر فلما رأيت جرأته وما فعل بالصبى طار قلبى وزاد كربى فرفعت رأسى الى السماء وقلت يامن يحول بين المرء وقلبه حل بينى وبين هذا الاسد انك على كل شئ قدير فوالله ما فرغت من كلامى الا ودابة قد طلعت من البحر فاختطفته من فوق اللوح وبقيت وحدى وزاد كربى وحزنى اشفاقا على ولدى فانشدت وقلت

قرة العين حبيبى ولدى * ضاع حيث الوجد اوهى جلدى
وارى جسمى غريقا وغدت * بالتياع الوجد تشوى كبدى
ليس لى فى كربتى من فرج * غير الطافك يامعتمدى
انت يارب ترى ماحل بى * من غرامى بفراق ولدى
فاجمع الشمل وكن لى راحما * فرجائى فيك اقوى عددى

فبقيت على تلك الحالة يوما وليلة فلما كان الصباح بصرت بقلاع سفينة تلوح من بعد فما زالت الامواج تقذفنى والرياح تسوقنى حتى وصلت الى تلك السفينة التى كنت ارى قلاعها فاخذنى اهل السفينة ووضعونى فيها فنظرت فاذا ولدى بينهم فترامبت عليه وقلت ياقوم هذا ولدى فمن اين كان لكم قالوا بينما نحن نسير فى البحر اذ حبست السفينة فاذا دابة كانها المدينة العظيمة وهذا الصبى على ظهرها يمص ابهامه فاخذناه فلما سمعت منهم ذلك حدثتهم بقصتى وما جرى لى وشكرت ربى على ما انالنى وعاهدته على ان لا ابرح بيته ولا انثنى عن خدمته وما سألته بعد ذلك شيأ الا اعطانيه فمددت يدى الى كيس النفقة واردت ان اعطيها فقالت اليك عنى يابطال أفاحدثك بافضاله وكرم فعاله واخذ الرفد على يد غيره فلم اقدر على ان تقبل منى شيأ فتركتها وانصرفت من عندها وانا انشد واقول هذه الابيات

وكم لله من لطف خفى * يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر اتى من بعد عسر * وفرج لوعة القلب الشجى
وكم هم تساء به صباحا * فتعقبه المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاسباب يوما * فثق بالواحد الصمد العلى
تشفع بالنبى فكل عبد * ينال اذا تشفع بالنبى

ومازالت فى عبادة ربها ملازمة بيته الى ان ادركها الموت ومما يحكى ان مالك ابن دينار رحمه الله تعالى قال احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستسقى مرارا فلم نر اثر الاجابة فخرجت انا وعطاء السلمى وثابت البنانى ونجى البكاء ومحمد بن واسع وايوب السختيانى وحبيب الفارسى وحسان ابن ابى سنان وعتبة الغلام وصالح المزنى حتى صرنا الى المصلى وخرجت الصبيان من المكاتب واستسقينا فلم نر اثر الاجابة فانتصف النهار وانصرف الناس وبقيت انا وثابت البنانى بالمصلى فلما اظلم الليل بصرنا باسود مليح الوجه رقيق الساقين عظيم البطن قد اقبل عليه مئزر من صوف اذا قوم جميع ما كان عليه لا يساوى درهمين فجاء بماء فتوضأ ثم اتى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين كان قيامه وركوعه وسجوده فيهما سواء ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاى الى كم ترد عبادك فيما لا ينقص ملكك أنفد ما عندك ام فنيت خزائن ملكك اقسمت عليك بحبك لى الا سقيتنا غيثك الساعة قال فما تم الكلام حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كافواه القرب ولم نخرج من المصلى الا ونحن نخوض فى الماء الى الركب وادرك شهرزاد

الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه قال فما اتم كلامه حتى تغيمت السماء وجاءت بمطر كافواه القرب ولم نخرج من المصلى الا ونحن نخوض في الماء الى الركب وبقينا نتعجب من الاسود قال مالك فتعرضت له وقلت ويحك يا اسود اما تستحي مما قلت فالتفت الي وقال ماذا قلت فقلت له قولك بحبك لي وما يدريك انه يحبك قال فقال لي تنح عني يا من اشتغل عن نفسه فاين كنت انا حين ايدني بالتوحيد وخصني بمعرفته أفتراه ايدني بذلك الا لمحبته لي ثم قال محبته لي على قدر محبتي له فقلت له قف علي قليلا يرحمك الله فقال اني مملوك وعلي فرض من طاعة مالكي الصغير قال فجعلنا نقفو اثره على البعد حتى دخل دار نخاس وقد مضى من الليل نصفه فطال علينا النصف الثاني فذهبنا فلما كان الصباح اتينا النخاس وقلنا له أعندك غلام تبيعه لنا لاجل الخدمة قال نعم عندي نحو مائة غلام كلهم للبيع قال وجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض سبعين غلاما ولم ار صاحبي فيهم فقال ما عندي غير هؤلاء فلما اردنا الخروج دخلنا حجرة خربة خلف داره فاذا الاسود قائم فقلت هو ورب الكعبة فرجعت الى النخاس وقلت بعني هذا الغلام قال يا ابا يحيى انه غلام مشؤم نكد ليس له في الليل همة الا البكاء وفي النهار الا الندم فقلت لذلك اريده قال فدعاه فخرج وهو يتناعس فقال لي خذه بما شئت بعد ان تبرئني من عيوبه كلها قال واشتريته بعشرين دينارا وقلت ما اسمه قال ميمون فاخذت بيده وانطلقنا نريد به المنزل فالتفت الي وقال لي يا مولاي الصغير لماذا اشتريتني فانا والله لا اصلح لخدمة المخلوقين فقلت له انما اشتريتك لاخدمك بنفسي وعلى راسي فقال لي ولم ذلك فقلت الست صاحبنا البارحة بالمصلى فقال وهل اطلعت علي قلت انا الذي اعترضتك البارحة في الكلام قال فجعل يمشي حتى دخل مسجدا فصلى ركعتين ثم قال الهي وسيدي ومولاي سر كان بيني وبينك اطلعت عليه المخلوقين وفضحتني فيه بين العالمين فكيف يطيب الآن عيشي وقد وقف على ما كان بيني وبينك غيرك اقسمت عليك الا ما قبضت روحي الساعة ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع راسه فحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه فمددت يديه ورجليه ونظرت اليه فاذا هو ضاحك وقد غلب البياض على السواد ووجهه يستنير ويتهلل فبينما نحن نتعجب من امره اذ بشاب قد اقبل من الباب وقال السلام عليكم عظم الله اجرنا واياكم في اخينا ميمون هاك الكفن فكفنوه فيه فناولني ثوبين ما رأيت مثلهما قط فكفناه فيهما قال مالك فقبره الآن يستسقى به وتطلب الحوائج من الله عز وجل لديه وما احلى ما قال بعضهم في هذا المعنى

تجول قلوب العارفين بروضة * سماوية من دونها حجب الرب
اذا شربوا فيها الرحيق مزاجه * بتسنيم راح الانس بالله من قرب
سرى سرهم بين الحبيب وبينهم * فاضحى مصونا عن سوى ذلك القلب

ومما يحكى انه كان في بني اسرائيل رجل من خيارهم وقد اجتهد في عبادة ربه وزهد في دنياه وازالها عن قلبه وكانت له زوجة مساعدة له على شأنه مطيعة له في كل زمانه وكانا يعيشان من عمل الاطباق والمراوح يعملان النهار كله فاذا كان آخر النهار خرج الرجل بما عملاه في يده ومشى به يمر على الازقة والطرق يلتمس مشتريا يبيع له ذلك وكانا يديمان الصوم فاصبحا في يوم من الايام وهما صائمان وقد عملا يومهما ذلك فلما كان آخر النهار خرج الرجل على عادته وبيده ما عملاه يطلب من يشتريه منه فمر بباب احد ابناء الدنيا

واهل الرفاهية والجاه وكان الرجل وضيء الوجه جميل الصورة فرأته امرأة صاحب الدار فعشقته ومال قلبها اليه ميلا شديدا وكان زوجها غائبا فدعت خادمتها وقالت لها الا تحتالين على ذلك الرجل لتأتي به عندنا فخرجت الخادمة اليه ودعته لتشتري منه ما بيده وردته من طريقه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخادمة خرجت الى الرجل ودعته وقالت ادخل فان سيدتي تريد ان تشتري من هذا الذي بيدك شيأ بعد ان تختبره وتنظر اليه فتخيل الرجل انها صادقة في قولها ولم ير في ذلك بأسا فدخل وقعد كما امرته فاغلقت الباب عليه وخرجت سيدتها من بيتها وامسكت بجلابيبه وجذبته وادخلته وقالت له كم ذا اطلب خلوة منك وقد عيل صبري من اجلك وهذا البيت مبخر والطعام محضر وصاحب الدار غائب في هذه الليلة وانا قد وهبت لك نفسي ولطالما طلبني الملوك والرؤساء واصحاب الدنيا ولم التفت لاحد منهم وطال امرها في القول والرجل لا يرفع رأسه من الارض حياء من الله تعالى وخوفا من اليم عقابه كما قال الشاعر

ورب كبيرة ما حال بيني * وبين ركوبها الا الحياء
وكان هو الدواء لها ولكن * اذا ذهب الحياء فلا دواء

قال وطمع الرجل في ان يخلص نفسه منها فلم يقدر فقال اريد منك شيأ فقالت وما هو قال اريد ماء طاهرا اصعد به الى اعلى موضع في دارك لاقضي به امرا واغسل به درنا مما لا يمكنني ان اطلعك عليه فقالت الدار متسعة ولها خبايا وزوايا وبيت الطهارة معد فقال ما غرضي الا الارتفاع فقالت لخادمتها اصعدي به الى المنظرة العليا من الدار فصعدت به الى اعلى موضع فيها ودفعت له آنية الماء ونزلت فتوضأ الرجل وصلى ركعتين ونظر الى الارض ليلقي نفسه فرآها بعيدة فخاف ان لا يصل اليها الا وقد تمزق ثم تفكر في معصية الله وعقابه فهان عليه بذل نفسه وسفك دمه فقال الهي وسيدي ترى ما نزل بي ولا يخفى عليك حالي انك على كل شيء قدير ولسان الحال ينشد ويقول في المعنى

اشار القلب نحوك والضمير * وسر السر انت به خبير
واني ان نطقت بكم انادي * وفي وقت السكوت لكم اشير
ايا من لا يضاف اليه ثان * اتاك الواله الصب الفقير
ولي امل تحققه ظنوني * ولي قلب كما تدري يطير
وبذل النفس اصعب ما يلاقي * فان قدرته فهو اليسير
وان تمنن وتقضي خلاصي * فانت عليه يا املي قدير

ثم ان الرجل القى نفسه من اعلى المنظرة فبعث الله اليه ملكا احتمله على جناحه وانزله الى الارض سالما دون ان يناله ما يؤذيه فلما استقر بالارض حمد الله عز وجل على ما اولاه من عصمته وما اناله من رحمته وسار دون شيء الى زوجته وكان قد ابطأ عنها فدخل وليس معه شيء فسألته عن سبب بطئه وعن ما خرج به في يده وما فعل به وكيف رجع بدون شيء فاخبرها بما عرض له من الفتنة وانه القى نفسه من ذلك الموضع فنجاه الله فقالت زوجته الحمد لله الذي صرف عنك الفتنة وحال بينك وبين المحنة ثم قالت يا رجل ان الجيران

قد تعودوا منا ان نوقد تنورنا في كل ليلة فان عدا ونا الليلة دون نار علموا التا بلا شئ ومن شكر الله كتم ما نحن فيه من الخصاصة ووصال صوم هذه الليلة باليوم الماضي وقيامها لله تعالى فقامت الى التنور وملاته حطبا واضرمته لتغالط به الجارات وانشدت تقول هذه الابيات

ساكتم ما بي من غرامي واشجاني * واضرم ناري كي اغالط جيراني
وارضى بما امضى من الحكم سيدي * عساه يرى ذلي اليه فيرضاني

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المرأة لما اضرمت النار تغالط الجيران نهضت هي وزوجها وتوضئا وقاما الى الصلاة فاذا امرأة من جاراتها تستأذن في ان توقد من تنورهما فقالا لها شأنك والتنور فلما دنت المرأة من التنور لتأخذ النار نادت يا فلانة ادركي خبزك قبل ان يحترق فقالت امرأة الرجل لزوجها اسمعت ما تقول هذه المرأة فقال قومي وانظري فقامت وتوجهت للتنور فاذا هو قد امتلأ من خبز نقي ابيض فاخذت المرأة الارغفة ودخلت على زوجها وهي تشكر الله عز وجل على ما اولى من الخير العميم والمن الجسيم فاكلا من الخبز وشربا من الماء وحمدا الله تعالى ثم قالت المرأة لزوجها تعال ندع الله تعالى عساه ان يمن علينا بشئ يغنينا عن كد المعيشة وتعب العمل ويعيننا به على عبادته والقيام بطاعته قال لها نعم فدعا الرجل ربه وامنت المرأة على دعائه فاذا السقف قد انفرج ونزلت ياقوتة اضاء البيت من نورها فازدادا شكرا وثناء وسرا بتلك الياقوتة سرورا كثيرا وصليا ما شاء الله تعالى فلما كانا آخر الليل ناما فرأت المرأة في منامها كانها دخلت الجنة وشاهدت منابر كثيرة مصفوفة وكراسي منصوبة فقالت ما هذه المنابر وما هذه الكراسي فقيل لها هذه منابر الانبياء وهذه كراسي الصديقين والصالحين فقالت واين كرسي زوجي فلان فقيل لها هذا فنظرت اليه فاذا في جانبه ثلم فقالت وما هذا الثلم فقيل لها هو ثلم الياقوتة النازلة عليكما من سقف بيتكما فانتبهت من منامها وهي باكية حزينة على نقصان كرسي زوجها بين كراسي الصديقين فقالت ايها الرجل ادع ربك ان يرد هذه الياقوتة الى موضعها فمكابدة الجوع والمسكنة في الايام القلائل اهون من ثلم كرسيك بين اصحاب الفضائل فدعا الرجل ربه فاذا الياقوتة قد طارت صاعدة الى السقف وهما ينظران اليها وما زالا على فقرهما وعبادتهما حتى لقيا الله عز وجل وعما يحكى ان الحجاج بن يوسف الثقفي كان يطلب رجلا من الاكابر فلما حضر بين يديه قال اي عدو الله قد امكن الله منك ثم قال احملوه الى السجن وقيدوه بقيد ضيق ثقيل وابنوا عليه بيتا لا يخرج منه ولا يدخل اليه فيه احد فمضوا بالرجل الى السجن واحضروا الحداد والقيد وكان الحداد اذا ضرب بمطرقته يرفع الرجل رأسه وينظر الى السماء ويقول الا له الخلق والامر فلما فرغ عنه بنى السجان عليه البيت وتركه فيه وحيدا فريدا فداخله الوجد والذهول ولسان حاله ينشد ويقول

يا مراد المريد انت مرادي * وعلى فضلك العميم اعتمادي
ليس يخفى عليك ما انا فيه * لحظة منك بغيتي واقتصادي
حجبوني وبالفراق امتحاني * وبع نفسي لغربتي وانفرادي

انا كن مفرداقد كرك انسى * وسميرى اذا منعت رقادى
اوتكن راضيافلست ابالى * انت تدرى بما ترى فى فؤادى

فلما جن الليل ابق السجان حرسه عنده وذهب الى بيته ولما اصبح جاء وتفقد الرجل فاذا القيد مطروح والرجل ليس له خبر فخاف السجان وايقن بالموت فسار الى منزله وودع اهله واخذ كفنه وحنوطه فى كمه ودخل على الحجاج فلما وقف بين يديه شم الحجاج رايحة الحنوط فقال ما هذا قال يامولاى انا جئت به قال وما حملك على هذا فاخبره بخبر الرجل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السجان لما اخبر الحجاج بخبر الرجل قال للرجل ويحك هل سمعته يقول شيأ قال نعم كان اذا ضرب الحداد بالمطرقة ينظر الى السماء ويقول الاله الخلق والامر فقال الحجاج اوما علمت ان الذى ذكره وانت حاضر سرحه وانت عنه غائب وقد انشد لسان الحال فى هذا المعنى وقال

يارب كم من بلاء قد ذهبت به * عنى ولولاك لم اقعد ولم اقم
فكم وكم من امور لست احصرها * تجيئنى من بلاها كم وكم وكم

وحكى ان رجلا من الصالحين بلغه ان بمدينة كذا وكذا حدادا يدخل يده فى النار ويأخذ الحديدة المحماة منها بيده فلا تعدو عليه النار فقصد الرجل تلك البلدة يسأل عن الحداد فدل عليه فلما نظره وتأمل رآه يصنع ما قد وصف له فامهله حتى فرغ من عمله واتاه وسلم عليه وقال له انى اريد ان اكون الليلة ضيفك فقال حبا وكرامة فاحتمله الى منزله وتعشى معه وناما جميعا فلم ير له اثر قيام ولا عبادة فقال فى نفسه لعله يستتر منى فبات عنده ثانية وثالثة فرآه لا يزيد على الفرض الا السنن ولا يقوم من الليل الا القليل فقال له يا اخى انى سمعت بما اكرمك الله به ورأيته باديا عليك ثم نظرت الى اجتهادك فلم ارمنك عمل من تظهر عليه الكرامات فمن اين لك هذا قال انى احدثك بسببه وذلك انى كنت ولعت بجارية وكنت بها كلفا فراودتها عن نفسها كثيرا فلم اقدر عليها لاعتصامها بالورع فجاءت سنة قحط وجوع وشدة فعدم الطعام وعظم الجوع فبينما انا قاعد اذ قرع الباب قارع فخرجت فاذا هى واقفة فقالت يا اخى اصابنى جوع شديد وقد رفعت اليك رأسى لتطعمنى لله فقلت لها اما تعلمين ما كان من حبك وما قاسيته من اجلك فانا لا اطعمك شيأ حتى تمكنينى من نفسك فقالت الموت ولا معصية الله ثم رجعت وعادت بعد يومين فقالت لى مثل مقالتها الاولى وقلت مثل جوابى الاول فدخلت وقعدت فى البيت وقد اشرفت على الهلاك فلما جعلت الطعام بين يديها ذرفت عيناها وقالت اطعمنى لله عز وجل فقلت لا والله الا ان تمكنينى من نفسك فقالت الموت خير لى من عذاب الله تعالى وقامت وتركت الطعام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد الاربعماية

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المرأة قالت للرجل حين اتاها بالطعام اطعمنى لله عز وجل فقال لا الا ان تمكنينى من نفسك فقالت الموت ولا عذاب الله ثم قامت وتركت الطعام وخرجت ولم تاكل

شيأ وجعلت تقول هذه الابيات

ايا واحدا احسانه شمل الملقا * بشعك ما اشكو بعينك ما القى
فقد صدمتني شدة وخصاصة * ونازلني ما بعضه يمنع النطقا
كاني ظمآن ترى الماء عينه * فلا عينه تروى ولا شربه يسقى
تنازعني نفسي الى نيل اكلة * لذاذتها تفنى وعصيانها يبقى

ثم انها غابت يومين وانت تقرع الباب فخرجت فاذا الجوع قد قطع صوتها فقالت لي يا اخي قد اعيتني الحيل ولا اقدر على ابذآء وجهي لاحد من الناس غيرك فهل تطعمني لله تعالى فقلت لا الا ان تمكنيني من نفسك فدخلت وقعدت في البيت ولم يكن عندي طعام حاضر فلما انضج الطعام وجعلته في القصعة تداركني الله تعالى بلطفه وقلت لنفسي ويحك هذه امرأة ناقصة عقل ودين تمتنع من الطعام ولا قدرة لها على الصبر دونه لما نالها من الجوع وهي ترد المرة بعد الاخرى وانت لا تنثني عن معصية الله تعالى فقلت اللهم اني اتوب اليك مما خطر بنفسي فقمت بالطعام ودخلت عليها وقلت لها كلي ولا باس عليك فانه لله عز وجل فرفعت عينيها الى السماء وقالت اللهم ان كان هذا صادقا فحرم عليه النار في الدنيا والاخرة انك على كل شيء قدير وبالاجابة جدير قال فتركتها وقمت لازيل النار من الكانون وكان الوقت وقت فصل الشتاء والبرد فوقعت جمرة على بدني فلم اجد لها الما بقدرة الله عز وجل فوقع في نفسي ان دعوتها اجيبت فاخذت الجمرة بكفي فلم تحرقني فدخلت عليها وقلت ابشري فان الله قد اجاب دعوتك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الحداد قال دخلت عليها وقلت لها ابشري فان الله قد اجاب دعوتك فالقت اللقمة من يدها وقالت اللهم كما أريتني مرادي فيه واجبت دعوتي له فاقبض روحي انك على كل شيء قدير فقبض الله روحها تلك الساعة رحمة الله عليها وانشد لسان الحال في هذا المعنى وقال

دعت فاجاب مولاها دعاها * وتاب على غوي قد دعاها
أراها سؤلها فيه امتنانا * وآتاها كما شاءت مناها
اتته لبابه ترجو نوالا * وتقصده لكرب قد عراها
فمال الى غوايته واهوى * لشهوته واملـ منتهاها
ولم يعلم مراد الله فيه * وتوبته اتته وما نواها
قضايا الله ارزاق فمن لا * تتاح له وتأتيه اتاها

وحكي انه كان في بني اسرائيل رجل من العباد المشهورين بالعبادة المعصومين الموصوفين بالزهادة وكان اذا دعا ربه اجابه واذا سأل اعطاه وآتاه مناه وكان سياحا في الجبال قوام الليل وكان الله سبحانه وتعالى قد سخر له سحابة تسير معه حيث يسير وتسكب عليه ماء منهمرا فيتوضأ منه ويشرب فما زال على ذلك الى ان اعتراه فتور في بعض الاوقات فازال الله عنه سحابته وحجب عنه اجابته فكثر لذلك حزنه وطال كمده وما زال يشتاق الى زمن الكرامة الممنون بها عليه ويتحسر ويتأسف ويتلهف فنام ليلة من الليالي فقيل له

فى نومه ان شئت ان يرد الله عليك مصابتك فاقصد الملك الفلانى فى بلد كذا وكذا واسأله ان يدعو لك فان الله سبحانه وتعالى يردها عليك ويسوقها اليك ببركة دعواته الصالحات وانشد يقول هذه الابيات

اقصد الى الصالح الامير ✻ فى خطبك الواقع الكبير
فان دعا الله جاء ما قد ✻ سالت من وابل همير
اقد سما فى الملوك قدرا ✻ وجل فيهم عن النظير
وسوف تلقى لديه امرا ✻ يؤذن بالبشر والسرور
فاقطع له البيد والفيافى ✻ وواصل السير بالمسير

قال فسار الرجل يقطع الارض حتى دخل البلدة التى ذكرت له فى المنام فسأل عن الملك فدل عليه فسار الى قصره فاذا عند باب القصر غلام قاعد على كرسى عظيم وعليه كسوة هائلة فوقف الرجل وسلم فرد عليه السلام وقال ما حاجتك قال انا رجل مظلوم وقد جئت الملك ارفع قصتى اليه قال لا سبيل لك اليوم عليه لانه قد جعل لاهل المسائل فى الاسبوع يوما يدخلون عليه فيه وهو يوم كذا وكذا فاصبر راشدا حتى يأتى ذلك اليوم فانكر الرجل عليه تحجبه عن الناس وقال كيف يكون هذا وليا من اولياء الله عز وجل وهو على مثل هذا الحال وذهب ينتظر اليوم الذى قيل له عليه فلما كان ذلك اليوم الذى ذكره البواب دخلت فوجدت عند الباب اناسا ينتظرون الاذن لهم فى الدخول فوقفت معهم الى ان خرج وزير عليه ثياب هائلة وبين يديه خدم وعبيد فقال لتدخل ارباب المسائل فدخلوا ودخلت فى الجملة فاذا الملك قاعد وبين يديه ارباب مملكته على قدر مقاديرهم ومراتبهم فوقف الوزير وجعل يقدم واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة الى فلما قدمنى الوزير نظر الملك الى وقال مرحبا بصاحب السحابة اقعد حتى افرغ لك فتحيرت من قوله واعترفت بمرتبته وفضله فلما قضى بين الناس وفرغ منهم قام وقام الوزير وارباب المملكة ثم اخذ الملك بيدى وادخلنى الى قصره فوجدت عند باب القصر عبدا اسود وعليه ثياب هائلة وفوق رأسه اسلحة وعن يمينه وشماله دروع وقسى فقام الى الملك وسارع لامره وقضاء حوايجه ثم فتح باب القصر فدخل الملك ويدى فى يده فاذا بين يديه باب قصير ففتحه الملك بنفسه ودخل الى خربة وبناء هائل ثم دخل الى بيت ليس فيه الا سجادة وقدح للوضوء وشئ من الخوص ثم جرد ثيابه التى كانت عليه ولبس جبة خشنة من الصوف الابيض وجعل على رأسه قلنسوة من لبد ثم قعد واقعدنى ونادى ان يا فلانة لزوجته فقالت له لبيك قال لها اتدرين من ضيفنا فى هذا اليوم قالت نعم هو صاحب السحابة فقال لها اخرجى لا عليك منه قال فاذا هى امرأة كانها الخيال ووجهها يتلالا كالهلال وعليها جبة صوف وقناع وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك لما نادى زوجته خرجت ووجهها يتلالا كالهلال وعليها جبة خشنة من صوف وقناع فقال الملك يا اخى اتريد ان تعرف خبرنا او ندعو لك وتنصرف قال بل اريد اسمع خبركما فانه الاشوق الى فقال له انه كان آبائى واجدادى يتداولون المملكة ويتوارثونها كابرا عن كابر الى ان ماتوا ووصل الامر الى فبغض الله ذلك الى فاردت ان اسيح فى الارض واترك امر الناس لانفسهم ثم انى خفت عليهم من دخول الفتنة وتضييع الشرائع وتشتيت شمل الدين فتركت الامر على ما كان عليه

وجعلت لكل رأس منهم جراية بالمعروف ولبست ثياب الملك واقعدت العبيد على الابواب ارهابا لاهل الشر وذبا عن اهل الخير واقامة للحدود فاذا فرغت من ذلك كله دخلت منزلى وازلت هذه الثياب ولبست ماترى وهذه ابنة عمى وافقتنى على الزهادة وساعدتنى على العبادة فنعمل من هذا الخوص بالنهار مانفطر به عند الليل وقد مضى علينا ونحن على هذه الحالة نحو اربعين سنة فاقم معنا يرحمك الله حتى نبيع خوصنا وتفطر معنا وتبيت عندنا ثم تنصرف بحاجتك ان شاء الله تعالى قال فلما كان آخر النهار اتى غلام خماسى ودخل فاخذ ما عملاه من الخوص وسار به الى السوق فباعه بقيراط واشترى به خبزا وفولا واتى بهما فافطرت معهما ونمت عندهما فقاما من نصف الليل يصليان ويبكيان فلما كان السحر قال الملك اللهم ان هذا عبدك يطلب منك ان ترد سحابته عليه وانت على ذلك قدير اللهم اره اجابته واردد عليه سحابته قال وامنت المرأة فاذا السحابة قد نشأت فى السماء فقال لى البشارة فودعتهما وانصرفت والسحابة تسير معى كما كانت فانا بعد ذلك لا اسأل الله تعالى بحرمتهما شيأ الا اجابنى وانشأت اقول هذه الابيات

وان لربى صفوة من عبيده * قلوبهم فى روض حكمته تجرى
وابدانهم قد اسكنت حركاتها * لما فى صدور القوم من خالص السر
تراهم صموتا خاشعين لربهم * بحيث يرون الغيب بالغيب كالجهر

وحكى ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه جهز جيشا من المسلمين تجاه العدو قبل الشام فحاصروا حصنا من حصونهم حصارا شديدا وكان فى المسلمين رجلان اخوان قد آتاهما الله حدة وجرأة على العدو وكان امير ذلك الحصن يقول لاقياله ومن بين يديه من ابطاله لو ان هذين المسلمين خطلا اوقتلا لكفيتكم من سواهما من المسلمين قال فمازالوا ينصبون لهما المصايد ويحتالون عليهما بالمكايد ويجعلون المكامن ويكثرون الكوامن الى ان اخذ احدهما اسيرا وقتل الآخر شهيدا فاحتمل المسلم الاسير الى امير ذلك الحصن فلما نظر اليه قال ان قتل هذا لمصيبة وان رجوعه الى المسلمين لكريهة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العدو لما حملوا المسلم الاسير الى امير ذلك الحصن ونظر اليه قال ان قتل هذا لمصيبة ورجوعه الى المسلمين لكريهة ووددت لو يدخل فى دين النصرانية عونا وعضدا فقال بطريق من بطارقته ايها الامير انا افتنه حتى يرتد عن دينه وذلك ان العرب تكثر الصبوة الى النساء ولى بنت لها جمال وكمال فلو رآها افتتن بها فقال هو مسلم اليك فاحمله فحمله الى منزله والبس الصبية من الثياب ما زاد فى زينتها وجمالها وجاء بالرجل وادخله المنزل واحضر الطعام ووقفت الصبية النصرانية بين يديه كالخادمة المطيعة لسيدها تنتظران يأمرها بامر تمتثله فلما رأى المسلم مانزل به اعتصم بالله تعالى وغض بصره واشتغل بعبادة ربه وقراءة القرآن وكان له صوت حسن وقريحة مؤثرة فى النفس فاحبته الصبية النصرانية حبا شديدا وكلفت به كلفا عظيما وما زال كذلك سبعة ايام حتى صارت تقول ليته يرضى بدخولى فى الاسلام ولسان حالها ينشد هذه الابيات

اتعرض عنى والفؤاد لكم يصبو * فدا آؤكم نفسى ومثواكم القلب

وانى

وانى لارضى ان افارق فرقتى * واترك دينا دونه الصارم العضب
واشهد ان الله لارب غيره * بذا ثبت البرهان وارتفع الريب
عسى انه يقضى بوصلة معرض * ويبرد قلبا شفه الشوق والحب
فقد تفتح الابواب بعد تغلق * ويعطى الامانى من تداوله الكرب

فلما عيل صبرها وضاق صدرها ترامت بين يديه وقالت اسألك بدينك الا ما سمعت كلامى فقال وما كلامك قالت اعرض على الاسلام فعرضه عليها واسلمت ثم تطهرت وعلمها كيف تصلى فلما فعلت ذلك قالت يا اخى انما كان دخولى فى الاسلام بسببك وابتغاء قربك فقال لها ان الاسلام يمنع من النكاح الا بشاهدين عدلين ومهر وولى وانا لا اجد الشاهدين ولا الولى ولا المهر فلو تحيلت فى خروجنا من هذا الموضع لرجوت الوصول الى دار الاسلام واعاهدك على ان لا يكون لى زوجة فى الاسلام غيرك فقالت انا احتال لذلك ثم دعت اباها وامها وقالت لهما ان هذا المسلم قد لان قلبه ورغب فى الدخول الى الدين وانا اوصله الى ما يريد من نفسى فقال ان هذا لا يتفق لى فى بلد قتل فيه اخى فلو خرجت منه ليتسلى قلبى فعلت ما هو المراد منى ولا باس ان تخرجانى معه الى بلد اخرى فانى ضامنة لكما وللملك ما تريدونه قال فمشى والدها الى اميرهم وعرفه فسر بذلك سرورا كبيرا وامر باخراجهما معه الى القرية التى ذكرت فخرجا فلما وصلا الى القرية وبقيا يومهما وجن الليل عليهما اخذا فى الرحيل وقطع السبيل كما قال بعضهم شعرا

وقالوا قد دنا منا رحيل * فقلت وكم اهدد بالرحيل
ومالى غير جوب القفر شغل * وقطع الارض ميلا بعد ميل
لئن ظعن الاحبة نحو ارض * رجعت بها من ابناء السبيل
واجعل نحوهم شوقى دليلا * فتهدينى الطريق بلا دليل

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان المسلم الاسير والصبية اقاما بتلك القرية التى دخلاها بقية يومهما ولما جن عليهما الليل اخذا فى الرحيل وقطع السبيل وسارا ليلتهما تلك وكان الشاب قد ركب جوادا سابقا واردفها خلفه فما زال يقطع الارض حتى قرب الصباح فمال بها عن الطريق وانزلها وتوضئا وصليا الصبح فبينما هما كذلك اذ سمعا قعقعة السلاح وصلصلة اللجم وكلام الرجال وحوافر الخيل فقال لها يا فلانة هذا تبع النصارى قد ادركنا فما تكون الحيلة والفرس قد كل ومل حتى لا يقدر ان يخطو باعا فقالت له ويحك افزعت وخفت قال نعم قالت فاين ما كنت تحدثنى به من قدرة ربك وغياثه للمستغيثين تعال نتضرع اليه وندعوه لعله يغيثنا بغياثه ويتداركنا بلطفه سبحانه وتعالى فقال نعم والله ما قلت فاخذا فى التضرع الى الله تعالى وجعل ينشد ويقول هذه الابيات

الى اليك مدى الساعات محتاج * لو كان فى مفرقى الاكليل والتاج
وانت حاجتى الكبرى فلو ظفرت * بما اردت يدى لم يبق لى حاج
وليس عندك شئ انت مانعه * بل سيل جودك سيال وثجاج

لكنني انا محجوب بمصيبتي * وفور عقولك ياذا الحلم وهاج
يافارج الهم فرج ما بليت به * فمن سواك لهذا الهم فراج

قال فبينما هو يدعو والجارية تؤمن على دعائه ووجيف الخيل يقرب منهما اذ سمع الفتى كلام اخيه الشهيد المقتول وهو يقول يا اخي لا تخف ولا تحزن قالوا فد وفد الله وملائكته ارسلهم اليكما ليشهدوا عليكما في التزويج وان الله تعالى قد باهى بكما ملائكته واعطاكما اجر السعداء والشهداء وطوى لكما الارض وانك تصبح بجبال المدينة فاذا اجتمعت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه فاقرأ عليه السلام مني وقل له جزاك الله عن الاسلام خيرا فلقد نصحت واجتهدت ثم رفعت الملائكة اصواتها بالسلام عليه وعلى زوجته وقالوا ان الله تعالى زوجها منك قبل ان يخلق اباكما آدم عليه السلام بالفي عام قال فغشيهما البشر والسرور والامن والحبور وزاد اليقين وثبتت هداية المتقين ولما طلع الفجر وصليا الصبح وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يغلس بصلاة الصبح وربما دخل المحراب وخلفه رجلان فيبتدي بسورة الانعام او بسورة النساء فينتبه الراقد ويتوضأ المتوضي ويأتي البعيد فما يتم الركعة الاولى الا والمسجد قد امتلأ من الناس فيصلي الركعة الثانية بسورة خفيفة ويوجز فيها فلما كان ذلك اليوم صلى في اول ركعة بسورة خفيفة اوجز فيها وفي الثانية كذلك فلما سلم نظر الى اصحابه وقال اخرجوا بنا لتلقي العروسين فتعجب اصحابه ولم يفهموا كلامه فتقدم وهم خلفه حتى خرج الى باب المدينة وكان الشاب عند ما ظهر له النور ورأى اعلام المدينة قابل نحو الباب وزوجته خلفه فلقيه عمر والمسلمون فسلموا عليه فلما دخلوا المدينة امر عمر رضي الله عنه ان تصنع وليمة فحضر المسلمون واكلوا ودخل الشاب بعروسه ورزقه الله تعالى منها الاولاد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه امر ان تصنع وليمة فحضر المسلمون واكلوا ودخل الشاب بعروسه ورزقه الله منها الاولاد يقاتلون في سبيل الله ويحفظون انسابهم لفخرهم وما احسن ما قيل في هذا المعنى

اراك على الابواب تبكي وتشتكي * ومالك دون الطالبين جواب
اصابتك عين ام دهتك ملمة * فصدك عن باب الحبيب حجاب
صح اليوم يا مسكين والهج بذكره * وتب مثل ما تاب الورى واثابوا
عسى مطر الغفران يغسل ما مضى * ويحمى بارباب الذنوب ثواب
فقد يفلت المأسور وهو مقيد * ويعتق من سجن العقاب رقاب

وما زالوا في ارغد عيش واتم سرور الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات ومما يحكى ان سيدي ابراهيم بن الخواص رحمة الله عليه قال طالبتني نفسي في وقت من الاوقات بالخروج الى بلاد الكفار فكففتها فلم تكف وتكتف وعملت على نفي هذا الخاطر فلم ينتف فخرجت اخترق ديارها واجول اقطارها والعناية تكتنفني والرعاية تلحظني لا الاقي نصرانيا الا غض ناظره عني وتباعد مني الى ان اتيت مصرا من الامصار فوجدت عند بابها جماعة من العبيد عليهم الاسلحة وبايديهم مقامع الحديد فلما راوني

قاموا على القدم وقالوا لى أطبيب انت قلت نعم فقالوا اجب الملك واحملونى اليه فاذا هو ملك عظيم ذو وجه وسيم فلما دخلت عليه نظر الى وقال الطبيب انت قلت نعم فقال احملوه اليها وعرفوه بالشرط قبل دخوله عليها فاخرجونى وقالوا لى ان للملك ابنة قد اصابها اعلال شديد وقد اعى الاطباء علاجها وما من طبيب دخل عليها وعالجها ولم يفد طبه الا قتله الملك فانظر ماذا ترى فقلت لهم ان الملك ساقنى اليها فادخلونى عليها واحملونى الى بابها فلما وصلت قرعوه فاذا هى تنادى من داخل الدار ادخلوا على الطبيب صاحب السر العجيب وانشدت تقول

افتحوا الباب فقد جاء الطبيب * وانظروا نحوى فلى سر عجيب
فلكم مقترب مبتعد * ولكم مبتعد وهو قريب
كنت فيما بينكم فى غربة * فاراد الحق انسى بقريب
جمعتنا نسبة دينية * فتراءينا محب وحبيب
ودعانى للتلاقى اذ دعا * حجب العاذل عنا والرقيب
فاتركوا عذلى وخلوا لومكم * اننى بالومكم لست اجيب
لست الوى نحو فان غائب * انما قصدى باق لا يغيب

قال فاذا شيخ كبير قد فتح الباب بسرعة وقال ادخل فدخلت فاذا بيت مبسوط بانواع الرياحين وستر مضروب فى زاويته ومن خلفه انين ضعيف يخرج من هيكل نحيف فجلست بازاء الستر واردت ان اسلم فتذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتموهم فى طريق فاضطروهم الى اضيقه فامسكت فنادت من داخل الستر اين سلام التوحيد والاخلاص يا خواص قال فتعجبت من ذلك وقلت من اين عرفتنى فقالت اذا صفت القلوب والخواطر اعربت الالسن عن مخبآت الضمائر وقد سألته البارحة ان يبعث الى وليا من اوليائه يكون لى على يديه الخلاص فنوديت من زوايا بيتى لا تحزنى انا نرسل اليك ابراهيم الخواص فقلت لها ما خبرك فقالت لى انا منذ اربع سنين قد لاح لى الحق المبين فهو المحدث والانيس والمقرب والجليس فرمقنى قومى بالعيون وظنوا بى الظنون ونسبونى الى الجنون فما دخل على طبيب منهم الا اوحشنى ولا زائر الا ادهشنى فقلت ومن دلك على ما وصلت اليه قالت براهينه الواضحة وآياته اللائحة واذا وضح لك السبيل شاهدت المدلول والدليل قال فبينما انا اكلمها اذ جاء الشيخ الموكل بها وقال لها ما فعل طبيبك قالت عرف العلة واصاب الدواء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ الموكل بها لما دخل عليها قال لها ما فعل طبيبك قالت عرف العلة واصاب الدواء فظهر لى منه البشر والسرور وقابلنى بالبر والحبور وسار الى الملك واخبره فحضنى الملك على اكرامى فبقيت اختلف اليها سبعة ايام فقالت يا ابا اسحاق متى تكون الهجرة الى دار الاسلام فقلت كيف يكون خروجك ومن يتجاسر عليه فقالت الذى ادخلك على وساقك الى فقلت نعم ما قلت فلما كان الغد خرجنا على باب الحصن وحجب عنا العيون من امره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون قال فما رأيت اصبر منها على الصيام والقيام فجاورت بيت الله الحرام سبعة اعوام ثم قضت نحبها وكانت ارض مكة

تربها انزل الله عليها الرحمات ورحم من قال هذه الابيات

ولما اتونى بالطبيب وقد بدت * دلايل من دمع سفوح ومن سقم
نضا الثوب عن وجهى فلم ير تحته * سوى نفس من غير روح ولا جسم
فقال لهم ذا قد تعذر برؤه * وللحب سر ليس يدرك بالوهم
فقالوا اذا لم تعلم الناس ما به * ولم يك تعريف بحد ولا رسم
فكيف يكون الطب فيه مؤثرا * دعونى فانى لست احكم بالوهم

وحكى ان نبيا من الانبياء كان يتعبد فى جبل مرتفع وتحته عين ماء تجرى فكان بالنهار يقعد فى اعلى الجبل من حيث لا تراه الناس وهو يذكر الله تعالى وينظر الى من يرد العين من الناس فبينما هو ذات يوم قاعد ينظر الى العين اذ بصر بفارس قد اقبل ونزل عن فرسه ووضع جرابا كان فى عنقه واستراح وشرب من الماء ثم راح وترك الجراب وكان فيه دنانير واذا رجل قد اقبل وارد العين فاخذ الجراب بالمال وشرب من الماء وانصرف سالما فجاء بعده رجل حطاب وهو حامل حزمة حطب ثقيلة على ظهره وقعد على العين يشرب من الماء فاذا الفارس الاول قد اقبل لهفان وقال للحطاب اين الجراب الذى كان هنا فقال لا ادرى له خبرا فجذب الفارس سيفه وضرب الحطاب فقتله وفتش فى ثيابه فلم يجد شيأ فتركه وسار الى حال سبيله فقال ذلك النبى يا رب واحد اخذ الف دينار وآخر قتل مظلوما فاوحى الله اليه ان اشتغل بعبادتك فان تدبير المملكة ليس من شأنك ان والد هذا الفارس كان قد غصب الف دينار من مال والد هذا الرجل فمكنت الولد من مال ابيه وان الحطاب كان قد قتل والد هذا الفارس فمكنت الولد من القصاص فقال ذلك النبى لا اله الا انت سبحانك انت علام الغيوب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان النبى لما اوحى الله اليه ان اشتغل بعبادتك واخبره بحقيقة الامر قال لا اله الا انت سبحانك انت علام الغيوب وانشد بعضهم فى هذا المعنى شعرا

راى النبى الذى قد كان بالبصر * فصار يسأل عما كان من خبر
اذ شاهدت عينه ما ليس يفهمه * فقال يا رب ماذا والقتيل برى
هذا اصاب الغنى من دون ما تعب * وكان لما بدا فى زى مفتقر
وذاك قد صار بعد عيشته * من غير ذنب جنى يا خالق البشر
ان الدراهم كانت مال والد من * رأيته فغدا فى ارثنا بلا كدر
وكان قد قتل الحطاب والد ذا * فاقتص منه ابنه اذ فاز بالظفر
دع عنك يا عبدنا هذا فان لنا * فى الخلق سرا خفى عن حدة النظر
سلم لاحكامنا واخضع لعزتنا * فحكمنا قد جرى بالنفع والضرر

ومما يحكى ان رجلا من الصالحين قال كنت ملاحا بنيل مصر اعبر من الجانب الشرقى الى الجانب الغربى فبينما انا ذات يوم من الايام قاعد فى الزورق اذا بشيخ ذى وجه مشرق قد وقف على وسلم فرددت عليه السلام فقال تحملنى لله تعالى قلت نعم قال وتطعمنى لله قلت نعم فصعد الزورق وعبرت به الى الجانب الشرقى وكان عليه مرقعة وبيده ركوة وعصا فلما اراد النزول قال لى انى اريد ان احملك امانة قلت وما هى

قال اذا كان الغد والهمت ان تأتيني وقت الظهر واتيت ووجدتني تحت تلك الشجرة ميتا فغسلني وكفني في الكفن الذي تجده تحت رأسي وادفني بعد الصلاة علي في هذا الرمل وامسك المرقعة والركوة والعصا فاذا جاءك من يطلبهن فادفعهن له قال فتعجبت من قوله وبت ليلتي تلك ثم اصبحت انتظر الوقت الذي ذكره لي فلما جاء وقت الظهر نسيت كما قال ثم الهمت قريب العصر فسرت بسرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته وصليت عليه وحفرت له قبرا ودفنته ثم عبرت النيل وجئت الجانب الغربي ليلا ومعي المرقعة والركوة والعصا فلما لاح الصباح وفتح باب البلد بصرت بشاب اصله شاطر كنت اعرفه عليه ثياب رقيقة وفي يده اثر حناء فاتاني حتى وصل الي فقال انت فلان قلت نعم قال هات الامانة قلت وماهي قال المرقعة والركوة والعصا فقلت ومن دلك عليهن قال لا ادري غير اني بت البارحة في عرس فلان وسهرت اغني الى ان جاء وقت الصبح فنمت لاستريح فاذا شخص قد وقف علي وقال لي ان الله تعالى قد قبض روح فلان الولي واقامك مقامه فسر الى فلان المعدي وخذ منه مرقعته وركوته وعصاه فانه قد وضعها لك عنده قال فاخرجتها ودفعتها له فنضا ثيابه ثم لبسها وسار وتركني فبكيت لما حرمت من ذلك فلما جن الليل علي نمت فرأيت رب العزة تبارك وتعالى في المنام فقال يا عبدي أثقل عليك اني مننت على عبد من عبادي بالرجوع الي انما هو فضلي اوتيه من اشاء وانا على كل شئ قدير فانشدت هذه الابيات

ما للمحب مع الحبيب مرام * كل اختيارك لو عرفت حرام
ان شاء وصلك منة وتعطفا * او صد عنك فما عليه ملام
ان لم تكن بصدوده متلذذا * فادرج فما لك في المقام مقام
اولم تميز قربه من بعده * فلانت خلف والهوى قدام
ان كان ملكك الغرام حشاشتي * اوقادني للقتل فيك زمام
فاهجر وصد وصل فذلك واحد * ليس الوقوف مع الحظوظ بلام
ما القصد في حبي اليك سوى الرضى * فاذا رأيت البعد فهو قوام

ومما يحكى ان رجلا من خيار بني اسرائيل كان كثير المال وله ولد صالح مبارك فحضرت الرجل الوفاة فقعد ولده عند رأسه وقال يا سيدي اوصني فقال يا بني لا تحلف بالله بارا ولا فاجرا ثم مات الرجل وبقي الولد بعد ابيه فتسامع به فساق بني اسرائيل فكان الرجل يأتيه فيقول لي عند والدك كذا وكذا وانت تعلم بذلك اعطني ما في ذمته والا فاحلف فيقف الولد مع الوصية ويعطيه جميع ما طلبه فما زالوا به حتى فنى ماله واشتد اقلاله وكان للولد زوجة صالحة مباركة وله منها ولدان صغيران فقال لها ان الناس قد اكثروا طلبي ومادام معي ما ادفع به عن نفسي بذلته والآن لم يبق لنا شئ فان طالبني مطالب امتحنت انا وانت فالاولى ان نفوز بانفسنا ونذهب الى موضع لا يعرفنا فيه احد ونعيش بين اظهر الناس قال فركب بها البحر وبولديه وهو لا يعرف اين يتوجه والله يحكم لا معقب لحكمه ولسان الحال يقول

يا خارجا خوف العدى من داره * واليسر قد وافاه عند فراره
لا تجزعن من البعاد فربما * عز الغريب بطول بعد مزاره
لو قد اقام الدر في اصدافه * ما كان تاج الملك بيت قراره

قال فانكسرت السفينة وخرج الرجل على لوح وخرجت المرأة على لوح وخرج كل ولد على لوح وفرقتهم

الامواج فحصلت المرأة على بلدة وحصل احد الولدين على بلدة اخرى والتقط الولد الآخر اهل سفينة في البحر واما الرجل فقذفته الامواج الى جزيرة منقطعة وخرج اليها فتوضأ من البحر واذن واقام الصلاة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الرجل لما خرج الى الجزيرة توضأ من البحر واذن واقام الصلاة فاذا قد خرج من البحر اشخاص بالوان مختلفة فصلوا معه ولما فرغ قام الى شجرة في الجزيرة فاكل من ثمرها فزال عنه جوعه ثم وجد عين ماء فشرب منها ووحد الله عز وجل وبقي ثلاثة ايام يصلي وتخرج اقوام يصلون مثل صلاته وبعد مضي الايام الثلاثة سمع مناديا يناديه ان يا ايها الرجل الصالح البار بابيه المجل قدر ربه لا تحزن ان الله عز وجل مخلف عليك ما خرج من يدك فان في هذه الجزيرة كنوزا واموالا ومنافع يريد الله ان تكون لها وارثا وهي في موضع كذا وكذا من هذه الجزيرة فاكشف عنها وانا لنسوق اليك السفن فاحسن الى الناس وادعهم اليك فان الله عز وجل يميل قلوبهم اليك فقصد ذلك الموضع من الجزيرة وكشف الله له عن تلك الكنوز وصارت اهل السفن ترد عليه فيحسن اليهم احسانا عظيما ويقول لهم لعلكم تدلون علي الناس فاني اعطيهم كذا وكذا واجعل لهم كذا وكذا فصار الناس يأتونه من الاقطار والاماكن وما مضت عليه عشر سنين الا والجزيرة قد عمرت والرجل قد صار ملكها لا يأوي اليه احد الا احسن اليه وشاع ذكره في الارض بالطول والعرض وكان ولده الاكبر قد وقع عند رجل علمه وادبه والآخر قد وقع عند رجل رباه واحسن تربيته وعلمه طرق التجارة والمرأة قد وقعت عند رجل من التجار ائتمنها على ماله وعاهدها على ان لا يخونها وان يعينها على طاعة الله عز وجل وكان يسافر بها في السفينة الى البلاد ويستصحبها في اي موضع اراد فسمع الولد الكبير بصيت ذلك الملك فقصده وهو لا يعلم من هو فلما دخل عليه اخذه وائتمنه على سره وجعله كاتبا له وسمع الولد الآخر بذلك الملك العادل الصالح فقصده وصار اليه وهو لا يعلم من هو ايضا فلما دخل عليه وكله على النظر في اموره وبقيا مدة من الدهر في خدمته وكل واحد منهم لا يعلم بصاحبه وسمع الرجل التاجر الذي عنده المرأة بذلك الملك وبره للناس واحسانه اليهم فاخذ جانبا من الثياب الفاخرة ومما يستظرف من تحف البلاد واتى بسفينة والمرأة معه حتى وصل الى شاطئ الجزيرة ونزل الى الملك وقدم له هديته فنظرها الملك وسر بها سرورا كثيرا وامر للرجل بجائزة سنية وكان في الهدية عقاقير اراد الملك من التاجر ان يعرفها له باسمائها ويخبره بمصالحها فقال الملك للتاجر اقم الليلة عندنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان التاجر لما قال له الملك اقم الليلة عندنا قال ان لي في السفينة وديعة عاهدتها ان لا اكل امرها الى غيري وهي امرأة صالحة تيمنت بدعائها وظهرت لي البركة في آرائها فقال الملك سأبعث اليها امناء يبيتون عليها ويحرسون كل ما لديها فاجابه لذلك وبقي عند الملك ووجه الملك كاتبه ووكيله اليها وقال لهما اذهبا فاحرسا سفينة هذا الرجل الليلة ان شاء الله تعالى قال فسارا

وصعدا الى السفينة وقعد هذا على مؤخرها وهذا على مقدمها وذكرا الله عز وجل برهة من الليل ثم قال احدهما للاخر يا فلان ان الملك قد امرنا بالحراسة ونخاف النوم فتعال نتحدث باخبار الزمان وما رأيناه من الخير والامتحان فقال الاخر يا اخى اما انا فمن امتحانى ان فرق الدهر بينى وبين ابى وامى واخ لى كان اسمه كاسمك والسبب فى ذلك انه ركب والدنا البحر من بلد كذا وكذا فهاجت علينا الرياح واختلفت فكسرت السفينة وفرق الله شملنا فلما سمع الاخر بذلك قال وكيف كان اسم والدتك يا اخى قال فلانة قال وما اسم والدك قال فلان فترامى الاخ على اخيه وقال له انت اخى والله حقا وجعل كل واحد منهما يحدث اخاه بما جرى عليه فى صغره والام تسمع الكلام ولكنها كتمت امرها وصبرت نفسها فلما طلع الفجر قال احدهما للاخر سر يا اخى نتحدث فى منزلى قال نعم فسارا واتى الرجل فوجد المرأة فى كرب شديد فقال لها ما دهاك وما اصابك قالت بعثت الى الليلة من ارادانى بالسوء وكنت منهما فى كرب عظيم فغضب التاجر وتوجه للملك واخبره بما فعل الامينان فاحضرهما الملك بسرعة وكان يحبهما لما تحقق فيهما من الامانة والديانة ثم امر باحضار المرأة حتى تذكر ما كان منهما مشافهة فجىء بها واحضرت وقال لها ايتها المرأة ماذا رأيت من هذين الامينين فقالت ايها الملك اسألك بالله العظيم رب العرش الكريم الا ما امرتهما ان يعيدا كلامهما الذى تكلما به البارحة فقال لهما الملك قولا ما قلتماه ولا تكتما منه شيأ فاعادا كلامهما واذا الملك قد قام من فوق سريره وصاح صيحة عظيمة وترامى عليهما واعتنقهما وقال والله انتما ولداى حقا فكشفت المرأة عن وجهها وقالت انا والله امهما فاجتمعوا جميعا وصاروا فى الذ عيش واهناه الى ان اباده‍م الموت فسبحان من اذا قصده العبد نجاه ولم يخيب ما امله فيه ورجاه وما احسن ما قيل فى المعنى

لكل شئ من الاشيا ميقات ✻ والامر فيه اخى محو واثبات
لا تجزعن لامر قد دهيت به ✻ فقد اتانا بيسر العسر آيات
ورب ذى كربة باتت مضرتها ✻ تبدو وباطنها فيه المسرات
وكم مهان عيون الناس تشنؤه ✻ من الهوان تغشته الكرامات
هذا الذى ناله كرب وكابده ✻ ضر وحلت به فى الوقت آفات
وفرق الدهر منه شمل الفته ✻ فكلهم بعد طول الجمع اشتات
اعطاه مولاه خيرا ثم جابهم ✻ وفى الجميع الى المولى اشارات
سبحان من عمت الاكوان قدرته ✻ واخبرت بتدانيه الدلالات
فهو القريب ولكن لا يكيفه ✻ عقل وليست تدانيه المسافات

ومما يحكى ان ابا الحسن الدراج قال كنت كثيرا ما آتى مكة زادها الله شرفا وكان الناس يتبعوننى لمعرفتى بالطريق وحفظ المناهل فاتفق فى عام من الاعوام انى اردت الوصول الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام وقلت فى نفسى انا عارف بالطريق فاذهب وحدى ومشيت حتى وصلت الى القادسية فدخلتها واتيت المسجد فرايت رجلا مجذوما قاعدا فى المحراب فلما رآنى قال يا ابا الحسن اسألك الصحبة الى مكة فقلت فى نفسى انى فررت من الاصحاب وكيف اصحب المجذومين ثم قلت له انى لا اصحب احدا فسكت عنى فلما اصبح الصباح مشيت فى الطريق وحدى ولم ازل منفردا حتى وصلت الى العقبة ودخلت المسجد فلما دخلته وجدت الرجل المجذوم فى المحراب فقلت فى نفسى سبحان الله كيف

سبقني هذا الى هاهنا فرفع رأسه الي وتبسم وقال يا ابا الحسن يصنع للضعيف ما يتعجب منه القوي فبت تلك الليلة متحيرا مما رأيت فلما اصبحت سلكت الطريق وحدي فلما وصلت الى عرفات وقصدت المسجد اذا الرجل قاعد في المحراب فترامیت عليه وقلت له يا سيدي اسألك الصحبة وجعلت اقبل قدميه فقال ليس لي الى ذلك سبيل فجعلت ابكي وانتحب لما حرمت من صحبته فقال لي هوّن عليك فانه لا ينفعك البكاء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ابا الحسن قال لما رأيت الرجل المجذوم قاعدا في المحراب ترامیت عليه وقلت له يا سيدي اسألك الصحبة وجعلت اقبل قدميه فقال لي ليس لي الى ذلك سبيل فجعلت ابكي وانتحب لما حرمته من صحبته فقال لي هوّن عليك فانه لا ينفعك البكاء واجرا العبرات ثم انشد هذه الابيات

ابكي على بعدي ومنك جرى البعد ✻ وتطلب ردا حين لا يمكن الرد
نظرت الى ضعفي وظاهر علتي ✻ وقلت سقيم لا يروح ولا يغدو
الم تر ان الله جل جلاله ✻ يمن بلطف ما تخيله العبد
لئن كنت في رأي العيون كما ترى ✻ وبالجسم من فرط الزمانة ما يبدو
وليس معي زاد يوصلني الى ✻ محل به يأتي الى سيدي الوفد
فلي خالق الطافه بي خفية ✻ وليس له ند ولا منه لي بد
فسر سالما عني ودعني وغربتي ✻ فان الغريب الفرد يؤنسه الفرد

فانصرفت من عنده وكنت بعد ذلك لا آتي منزلا الا وجدته قد سبقني فلما وصلت الى المدينة غاب عني اثره وعمي على خبره فلقيت ابا يزيد البسطامي وابا بكر الشبلي وطوائف الشيوخ واخبرتهم بقصتي وشكوت اليهم قضيتي فقالوا هيهات ان تنال بعد ذلك صحبته هذا ابو جعفر المجذوم بحرمته تستسقى الانواء وببركته يستجاب الدعاء فلما سمعت منهم هذا الكلام زاد شوقي الى لقائه وسألت الله ان يجمعني عليه فبينما انا واقف بعرفات اذا بجاذب يجذبني من خلفي فالتفت اليه فاذا هو ذلك الرجل فلما رأيته صحت صيحة عظيمة ووقعت مغشيا علي فلما افقت ما وجدته فزاد وجدي لذلك وضاقت علي المسالك وسألت الله تعالى رؤيته فلم يكن الا ايام قلائل واذا به يجذبني من خلفي فالتفت اليه فقال عزمت عليك ان تأتيني وتسأل حاجتك فسألته ان يدعو لي ثلاث دعوات الاولى ان يحبب الله الي الفقر والثانية ان لا ابيت على رزق معلوم والثالثة ان يرزقني النظر الى وجهه الكريم فدعا لي هذه الدعوات وغاب عني وقد استجاب الله دعاءه لي اما الاولى فان الله حبب الي الفقر فوالله ما في الدنيا شيء هو احب الي منه واما الثانية فاني منذ كذا سنة ما بت على رزق معلوم ومع ذلك لا يحوجني الله الى شيء واني لارجو ان يمن الله علي بالثالثة ويكون قد اجاب فيها كما اجاب في الاثنتين قبلها انه كريم مفضال ورحم الله من قال

زي الفقير تبتل ووقار ✻ ولباسه الخلقان والاطمار
والاصفرار يزينه وربما ✻ بسرارها تتزين الاقمار
قد شفه طول القيام بليله ✻ ودموعه من جفنه مدرار

فانيسه فى داره تذكاره * وجليسه فى ليله الجبار
ان افتقر به يغاث الملتجى * وكذلك الانعام والاطيار
ولاجله يجرى الاله بلاءه * وبفضله تتنزل الامطار
واذا دعا يوما بكشف ملمة * هلك الظلوم وعطل الجبار
فالخلق اجمعهم مريض مدنف * وهو الطبيب المشفق المدرار
سيماه تبدو ان نظرت لوجهه * صفت القلوب ولاحت الانوار
يا راغبا عنهم و لم تر فضلهم * حجبتك ويحك عنهم الاوزار
ترجو لحاقهم وانت مقيد * قد اخرتك عن المنى اوزار
لو كنت تعرف قدرهم لاجبتهم * وجرت لهم من جفنك الانهار
انى الى المذكوم شم ازاهر * الثوب يعرف قدره السمسار
فاسرع الى مولاك واسأل وصله * فعسى تساعد سعيك الاقدار
وتراح من فرط التباعد والقلى * وتنال ما تهوى وما تختار
بجنابه رحب لكل مؤمل * وهو الاله الواحد القهار

ومما يحكى انه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والاوان حكيم من حكماء اليونان وكان ذلك الحكيم يسمى دانيال وكان له تلامذة وجنود وكانت حكماء اليونان يذعنون لامره ويعولون على علومه ومع هذا لم يرزق ولدا ذكرا فبينما هو ذات ليلة من الليالى يتفكر فى نفسه ويبكى على عدم ولد يرثه فى علومه من بعده اذ خطر بباله ان الله سبحانه وتعالى يجيب دعوة من اليه اناب وانه ليس على باب فضله بواب ويرزق من يشاء بغير حساب ولا يرد سائلا اذا سأله بل يجزل الخير والاحسان له فسأل الله تعالى الكريم ان يرزقه ولدا يخلفه من بعده ويجزل له الاحسان من عنده ثم رجع الى بيته وواقع زوجته فحملت منه تلك الليلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الحكيم اليونانى رجع الى بيته وواقع زوجته فحملت منه تلك الليلة ثم بعد ايام سافر الى مكان فى مركب فانكسرت به المركب وراحت كتبه فى البحر وطلع هو على لوح من تلك السفينة وكان معه خمس ورقات بقيت من الكتب التى وقعت منه فى البحر فلما رجع الى بيته وضع تلك الاوراق فى صندوق وقفل عليها وكانت زوجته قد ظهر حملها فقال لها اعلمى اننى قد دنت وفاتى وقرب انتقالى من دار الفناء الى دار البقاء وانت حامل فربما تلدين بعد موتى صبيا ذكرا فاذا وضعته فسميه حاسبا كريم الدين وربيه احسن التربية فاذا كبر وقال لك ما خلف لى ابى من الميراث فاعطيه هذه الخمس ورقات فاذا قرأها وعرف معناها يصير اعلم اهل زمانه ثم انه ودعها وشهق شهقة ففارق الدنيا وما فيها رحمة الله تعالى عليه فبكى عليه اهله واصحابه ثم غسلوه واخرجوه مخرجة عظيمة ودفنوه ورجعوا ثم ان زوجته بعد ايام قلائل وضعت ولدا مليحا فسمته حاسبا كريم الدين كما اوصاها به ولما ولدته احضرت له المنجمين فحسبوا طالعه وناظره من الكواكب ثم قالوا لها اعلمى ايتها المرأة ان هذا المولود يعيش اياما كثيرة ولكن بعد شدة تحصل له فى مبدء عمره فاذا نجا منها فانه يعطى بعد ذلك علم الحكمة

ثم مضت المنجمون الى حال سبيلهم فارضعته اللبن سنتين وفطمته فلما بلغ خمس سنين حطته فى المكتب ليتعلم شيأ من العلم فلم يتعلم فاخرجته من المكتب وحطته فى الصنعة فلم يتعلم شيأ من الصنعة ولم يطلع من يده شىء من الشغل فبكت امه من اجل ذلك فقال لها الناس زوجيه لعله يحمل هم زوجته ويتخذ له صنعة فقامت وخطبت بنتا وزوجته بها ومكث على ذلك الحال مدة من الزمان وهو لم يتخذ له صنعة ابدا ثم انهم كان لهم جيران حطابون فاتوا الى امه وقالوا لها اشترى لابنك حمارا وحبلا وفاسا ويروح معنا الى الجبل فنحتطب نحن واياه ويكون ثمن الحطب له ولنا وينفق عليكم مما يخصه فلما سمعت امه ذلك من الحطابين فرحت فرحا شديدا واشترت لابنها حمارا وحبلا وفاسا واخذته وتوجهت به الى الحطابين وسلمته اليهم واوصتهم عليه فقالوا لها لا تحملى هم هذا الولد ربنا يرزقه وهذا ابن شيخنا ثم اخذوه معهم وتوجهوا الى الجبل فقطعوا الحطب وحملوا حميرهم واتوا الى المدينة وباعوا الحطب وانفقوا على عيالهم ثم انهم شدوا حميرهم ورجعوا الى الاحتطاب فى ثانى يوم وثالث يوم ولم يزالوا على هذه الحالة مدة من الزمان فاتفق انهم ذهبوا الى الاحتطاب فى بعض الايام فنزلت عليهم مطرة عظيمة فهربوا الى مغارة عظيمة ليداروا انفسهم فيها من ذلك المطرة فقام من عندهم حاسب كريم الدين وجلس وحده فى مكان من تلك المغارة وصار يضرب الارض بالفاس فسمع حس الارض خالية من تحت الفاس فلما عرف انها خالية مكث يحفر ساعة فرأى بلاطة مدورة وفيها حلقة فلما رأى ذلك فرح ونادى جماعته الحطابين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان حاسب كريم الدين لما رأى البلاطة التى فيها الحلقة فرح ونادى جماعته فحضروا اليه فرأوا تلك البلاطة فتسارعوا اليها وقلعوها فوجدوا تحتها بابا ففتحوا الباب الذى تحت البلاطة فاذا هو جب ملآن عسل نحل فقال الحطابون لبعضهم هذا جب ملآن عسلا وما لنا الا ان نروح المدينة ونأتى بظروف ونعبى هذا العسل فيها ونبيعه ونقتسم حقه وواحد منا يقعد عنده ليحفظه من غيرنا فقال حاسب انا اقعد واحرسه حتى تروحوا وتأتوا بالظروف فتركوا حاسبا كريم الدين يحرس لهم الجب وذهبوا الى المدينة واتوا بظروف وعبوها من ذلك العسل وحملوا حميرهم ورجعوا الى المدينة وباعوا ذلك العسل ثم عادوا الى الجب ثانى مرة وما زالوا على هذه الحالة مدة من الزمان وهم يبيعون فى المدينة ويرجعون الى الجب يعبون من ذلك العسل وحاسب كريم الدين قاعد يحرس لهم الجب فقالوا لبعضهم يوما من الايام ان الذى لقى جب العسل حاسب كريم الدين وفى غد ينزل الى المدينة ويدعى علينا ويأخذ ثمن العسل ويقول انا الذى لقيته وما لنا خلاص من ذلك الا ان ننزله فى الجب ليعبى العسل الذى بقى فيه ونتركه هنالك فيموت كمدا ولا يدرى به احد فاتفق الجميع على هذا الامر ثم ساروا وما زالوا سائرين حتى اتوا الى الجب فقالوا له يا حاسب انزل الجب وعب لنا العسل الذى بقى فيه فنزل حاسب فى الجب وعبى لهم العسل الذى بقى فيه وقال لهم اسحبونى فما بقى فيه شىء فلم يرد عليه احد منهم جوابا وحملوا حميرهم وساروا الى المدينة وتركوه فى الجب وحده وصار يستغيث ويبكى ويقول لا حول ولا قوة الا بالله العظيم قدمت كمدا هذا ما كان من امر حاسب كريم واما ما كان من امر الحطابين فانهم لما وصلوا الى المدينة باعوا العسل وراحوا الى ام حاسب وهم يبكون وقالوا لها تعيش رأسك فى ابنك حاسب فقالت لهم ما سبب موته فقالوا

لها انا كنا قاعدين فوق الجبل فامطرت علينا السماء مطرا عظيما فاتينا الى مغارة لنتدارى فيها من ذلك المطر فلم نشعر الا وحمار ابنك هرب فى الوادى فذهب خلفه ليرده من الوادى وكان فيه ذئب عظيم فافترس ابنك واكل الحمار فلما سمعت امه كلام الحطابين لطمت على وجهها وحثت التراب على رأسها واقامت عزاءه وصار الحطابون يجيئون لها بالاكل والشرب فى كل يوم هذا ما كان من امر امه واما ما كان من امر الحطابين فانهم فتحوا لهم دكاكين وصاروا تجارا ولم يزالوا فى اكل وشرب وضحك ولعب واما ما كان من امر حاسب كريم الدين فانه صار يبكى وينتحب فبينما هو قاعد فى الجب على هذه الحالة واذا بعقرب كبير وقع عليه فقام وقتله ثم تفكر فى نفسه وقال ان الجب كان ملآنا عسلا فمن اين اتى هذا العقرب فقام ينظر المكان الذى وقع منه العقرب وصار يلتفت يمينا وشمالا فى الجب فرأى المكان الذى وقع منه العقرب يلوح منه النور فاخرج سكينا كانت معه ووسع ذلك المكان حتى صار قدر الطاقة وخرج منه وتمشى ساعة فى داخله فرأى دهليزا عظيما فمشى فيه فرأى بابا عظيما من الحديد الاسود وعليه قفل من الفضة وعلى ذلك القفل مفتاح من الذهب فتقدم الى ذلك الباب ونظر من خلاله فرأى نورا عظيما يلوح من داخله فاخذ المفتاح وفتح الباب وعبر الى داخله وتمشى ساعة حتى وصل الى بحيرة عظيمة فرأى فى تلك البحيرة شيأ يلمع مثل الماء فلم يزل يمشى حتى وصل اليه فرأى تلا عاليا من الزبرجد الاخضر وعليه تخت منصوب من الذهب مرصع بانواع الجواهر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان حاسبا كريم لما وصل الى التل وجده من الزبرجد الاخضر وعليه تخت منصوب من الذهب مرصع بانواع الجواهر وحول ذلك التخت كراسى منصوبة بعضها من الذهب وبعضها من الفضة وبعضها من الزمرد الاخضر فلما اتى الى تلك الكراسى تنهد ثم عدها فرآها اثنى عشر الف كرسى فطلع على ذلك التخت المنصوب فى وسط تلك الكراسى وقعد عليه وصار يتعجب من تلك البحيرة وتلك الكراسى المنصوبة ولم يزل متعجبا حتى غلب عليه النوم فنام ساعة واذا هو يسمع نفخا وصفيرا وهرجا عظيما ففتح عينيه وقعد فرأى على الكراسى حيات عظيمة طول كل حية منها مائة ذراع فحصل له من ذلك فزع عظيم ونشف ريقه من شدة خوفه ويئس من الحياة وخاف خوفا عظيما ورأى عين كل حية تتوقد مثل الجمر وهن فوق الكراسى والتفت الى البحيرة فرأى فيها حيات صغارا لا يعلم عددها الا الله تعالى وبعد ساعة اقبلت عليه حية عظيمة مثل البغل وعلى ظهر تلك الحية طبق من الذهب وفى وسط ذلك الطبق حية تضئ مثل البلور ووجهها وجه انسان وهى تتكلم بلسان فصيح فلما قربت من حاسب كريم الدين سلمت عليه فرد عليها السلام ثم اقبلت حية من تلك الحيات التى فوق الكراسى الى ذلك الطبق وحملت الحية التى فوقه وحطتها على كرسى من تلك الكراسى ثم ان تلك الحية زعقت على تلك الحيات بلغاتها فخرت جميع الحيات من فوق كراسيها ودعين لها واشارت اليهن بالجلوس فجلسن ثم ان الحية قالت لحاسب كريم الدين لا تخف منا يا ايها الشاب فانى انا ملكة الحيات وسلطانتهم فلما سمع حاسب كريم الدين ذلك الكلام من الحية اطمأن قلبه ثم ان الحية اشارت الى تلك الحيات ان يأتوا بشئ من الاكل فاتوا بتفاح وعنب ورمان وفستق وبندق وجوز ولوز وموز وحطوه قدام حاسب كريم الدين ثم قالت له ملكة الحيات مرحبا بك يا شاب ما اسمك فقال لها اسمى حاسب كريم الدين فقالت له

يا حاسب كل من هذه الفواكه فما عندنا طعام غيرها ولا تخف منا ابدا فلما سمع حاسب هذا الكلام من الحية اكل حتى اكتفى وحمد الله تعالى فلما اكتفى من الاكل رفعوا السماط من قدامه ثم بعد ذلك قالت له ملكة الحيات اخبرنى يا حاسب من اين انت ومن اين اتيت الى هذا المكان وما جرى لك فحكى لها حاسب جميع ما جرى لابيه وكيف ولدته امه وحطته فى المكتب وهو ابن خمس سنين ولم يتعلم شيأ من العلم وكيف حطته فى الصنعة وكيف اشترت امه له الحمار وصار حطابا وكيف لقى الجب العسل وكيف تركه رفقاؤه الحطابون فى الجب وراحوا وكيف نزل عليه العقرب وقتله وكيف وسع الشق الذى نزل منه العقرب وطلع من الجب واتى الى الباب الحديد وفتحه حتى وصل الى ملكة الحيات التى يكلمها ثم قال لها وهذه حكايتى من اولها الى آخرها والله اعلم بما يحصل لى بعد هذا كله فلما سمعت ملكة الحيات حكاية حاسب كريم الدين من اولها الى آخرها قالت له ما يحصل لك الا كل خير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ملكة الحيات لما سمعت حكاية حاسب كريم الدين من اولها الى آخرها قالت له ما يحصل لك الا كل خير ولكن اريد منك يا حاسب ان تقعد عندى مدة من الزمان حتى احكى لك حكايتى واخبرك بما جرى لى من العجائب فقال لها سمعا وطاعة فيما تأمرينى به فقالت له اعلم يا حاسب انه كان بمدينة مصر ملك من بنى اسرائيل وكان له ولد اسمه بلوقيا وكان هذا الملك عالما عابدا منكبا على قرأة كتب العلم فلما ضعف واشرف على الموت طلعت له اكابر دولته ليسلموا عليه فلما جلسوا عنده وسلموا عليه قال لهم يا قوم اعلموا انه قد دنا رحيلى من الدنيا الى الاخرة وما لى عندكم شئ اوصيكم به الا ابنى بلوقيا فاستوصوا به ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وشهق شهقة ففارق الدنيا رحمة الله عليه فجهزوه وغسلوه ودفنوه واخرجوه خرجة عظيمة وجعلوا ولده بلوقيا سلطانا عليهم وكان ولده عادلا فى الرعية واستراحت الناس فى زمانه فاتفق فى بعض الايام انه فتح خزائن ابيه ليتفرج فيها ففتح خزانة من تلك الخزائن فوجد فيها صورة باب ففتحه ودخل فاذا هى خلوة صغيرة وفيها عمود من الرخام الابيض وفوقه صندوق من الابنوس فاخذه بلوقيا وفتحه فوجد فيه صندوق آخر من الذهب ففتحه فرأى فيه كتابا ففتح الكتاب وقرأه فرأى فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه يبعث فى آخر الزمان وهو سيد الاولين والآخرين فلما قرأ بلوقيا هذا الكتاب وعرف صفات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تعلق قلبه بحبه ثم ان بلوقيا جمع اكابر بنى اسرائيل من الكهان والاحبار والرهبان واطلعهم على ذلك الكتاب وقرأه عليهم وقال لهم يا قوم ينبغى ان اخرج ابى من قبره واحرقه فقال له قومه لاى شئ تحرقه فقال لهم بلوقيا لانه اخفى عنى هذا الكتاب ولم يظهره لى وقد كان استخرجه من التورات ومن صحف ابراهيم ووضع هذا الكتاب فى خزانة من خزائنه ولم يطلع عليه احدا من الناس فقالوا له يا ملكنا ان اباك قد مات وامره مفوض الى ربه وهو الآن فى التراب ولا تخرجه من قبره فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من اكابر بنى اسرائيل عرف انهم لا يمكنونه من ابيه فتركهم ودخل الى امه وقال لها يا امى انى رأيت فى خزائن ابى كتابا فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم وهو نبى يبعث فى آخر الزمان وقد تعلق قلبى بحبه وانا اريد ان اسيح فى البلاد حتى اجتمع به فاننى ان لم اجتمع به مت غراما فى حبه ثم نزع ثيابه ولبس عباءة وزربونا وقال لا تنسينى يا امى من الدعاء فبكت عليه امه وقالت له كيف يكون حالنا بعدك فقال بلوقيا ما بقى لى صبر ابدا

وقد فوضت امرى وامرك الى الله تعالى ثم خرج سايحا نحو الشام ولم يدر به احد من قومه وسار حتى وصل الى ساحل البحر فرأى مركبا فنزل فيها مع الركاب وسارت بهم الى ان اقبلوا على جزيرة فطلع الركاب من المركب الى تلك الجزيرة وطلع معهم ثم انفرد عنهم فى الجزيرة وقعد تحت شجرة فغلب عليه النوم فنام ثم انه افاق من نومه وقام الى المركب لينزل فيها فرأى المركب قد اقلعت ورأى فى تلك الجزيرة حيات مثل الجمال ومثل النخل وهم يذكرون الله عز وجل ويصلون على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويصيحون بالتهليل والتسبيح فلما رأى ذلك بلوقيا تعجب غاية العجب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما رأى الحيات يسبحون ويهللون تعجب من ذلك غاية العجب ثم ان الحيات لما رأت بلوقيا اجتمعت عليه وقالت له حية منهم من تكون انت ومن اين اتيت وما اسمك والى اين رايح فقال لها اسمى بلوقيا وانا من بنى اسرائيل وخرجت هائما فى حب محمد صلى الله عليه وسلم وفى طلبه فما تكونون انتم ايها الخليقة الشريفة فقالت له الحيات نحن من سكان جهنم وقد خلقنا الله تعالى نقمة على الكافرين فقال لهم بلوقيا وما الذى جاء بكم الى هذا المكان فقالوا له الحيات اعلم يا بلوقيا ان جهنم من كثرة غليانها تتنفس فى السنة مرتين مرة فى الشتاء ومرة فى الصيف واعلم ان كثرة الحر من شدة فيحها ولما تخرج نفسها ترمينا من بطنها ولما تسحب نفسها تردنا اليها فقال لهم بلوقيا هل فى جهنم اكبر منكم فقالت له الحيات انما نخرج الا مع تنفسها لصغرنا فان فى جهنم كل حية لو عبرا كبر ما فينا الى انفها لم تحس به فقال لهم بلوقيا انتم تذكرون الله وتصلون على محمد ومن اين تعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا يا بلوقيا ان اسم محمد مكتوب على باب الجنة ولولاه ما خلق الله المخلوقات ولا جنة ولا نارا ولا سماء ولا ارضا لان الله لم يخلق جميع الموجودات الا من اجل محمد صلى الله عليه وسلم وقرن اسمه باسمه فى كل مكان ولاجل هذا نحن نحب محمدا صلى الله عليه وسلم فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الحيات زاد غرامه فى حب محمد صلى الله عليه وسلم وعظم اشتياقه اليه ثم ان بلوقيا ودعهم وسار حتى وصل الى شاطىء البحر فرأى مركبا راسية فى جنب الجزيرة فنزل فيها مع ركابها وسارت بهم وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى جزيرة اخرى فطلع عليها وتمشى ساعة فرأى فيها حيات كبارا وصغارا لا يعلم عددها الا الله تعالى وبينها حية بيضاء ابيض من البلور وهى جالسة فى طبق من الذهب وذلك الطبق على ظهر حية مثل الفيل وتلك الحية ملكة الحيات وهى انا يا حاسب ثم ان حاسب سأل ملكة الحيات وقال لها اى شىء جوابك مع بلوقيا فقالت الحية يا حاسب اعلم انى لما نظرت الى بلوقيا سلمت عليه فرد على السلام وقلت له من انت وما شأنك ومن اين اقبلت والى اين تذهب وما اسمك فقال انا من بنى اسرائيل واسمى بلوقيا وانا سايح فى حب محمد صلى الله عليه وسلم وفى طلبه فانى رأيت صفاته فى الكتب المنزلة ثم ان بلوقيا سألنى وقال لى اى شىء انت وما شأنك وما هذه الحيات التى حولك فقلت له يا بلوقيا انا ملكة الحيات واذا اجتمعت بمحمد صلى الله عليه وسلم فاقرئه منى السلام ثم ان بلوقيا ودعنى ونزل فى المركب وسار حتى وصل الى بيت المقدس وكان فى بيت المقدس رجل تمكن من جميع العلوم وكان متقنا فى علم الهندسة وعلم الفلك والحساب والسيمياء والروحانى وكان يقرأ التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وكان يقال له عفان وقد وجد فى كتاب عنده

ان كل من لبس خاتم سيدنا سليمان انقادت له الانس والجن والطير والوحش وجميع المخلوقات ورأى في بعض الكتب انه لما توفي سيدنا سليمان حطوه في تابوت وعدوا به سبعة ابحر وكان الخاتم في اصبعه ولا يقدر احد من الانس ولا من الجن ان يأخذ ذلك الخاتم ولا يقدر احد من اصحاب المراكب ان يروح بمركبه الى ذلك المكان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عفان وجد في بعض الكتب انه لا يقدر احد من الانس ولا من الجن ان يأخذ الخاتم من اصبع سيدنا سليمان ولا يقدر احد من اصحاب المراكب ان يسافر بمركبه في السبعة ابحر التي عدوها بتابوته ووجد في بعض الكتب ايضا ان بين الاعشاب عشبا كل من اخذ منه شيأ وعصره واخذ ماءه ودهن به قدميه فانه يمشي على اى بحر خلقه الله تعالى ولم تبتل قدماه ولا يقدر احد على تحصيل ذلك العشب الا اذا كانت معه ملكة الحيات ثم ان بلوقيا لما دخل بيت المقدس جلس في مكان يعبد الله تعالى فبينما هو جالس يعبد الله اذ اقبل عليه عفان وسلم عليه فرد عليه السلام ثم ان عفان نظر الى بلوقيا فرآه يقرأ في التوراة وهو جالس يعبد الله تعالى فتقدم اليه وقال له ايها الرجل ما اسمك ومن اين اتيت والى اين تذهب فقال له اسمي بلوقيا وانا من مدينة مصر وخرجت سائحا في طلب محمد صلى الله عليه وسلم فقال عفان لبلوقيا قم معي الى منزلي حتى اضيفك فقال سمعا وطاعة فأخذ عفان بيد بلوقيا وذهب به الى منزله واكرمه غاية الاكرام وبعد ذلك قال له اخبرني يا اخي بخبرك ومن اين عرفت محمدا صلى الله عليه وسلم حتى تعلق قلبك بحبه وذهبت في طلبه ومن دلك على هذه الطريق فحكى له بلوقيا حكايته من الاول الى الآخر فلما سمع عفان كلامه كاد ان يذهب عقله وتعجب من ذلك غاية العجب ثم ان عفان قال لبلوقيا اجمعني على ملكة الحيات وانا اجمعك على محمد صلى الله عليه وسلم لان زمان مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بعيد واذا ظفرنا بملكة الحيات نحطها في قفص ونروح بها الى الاعشاب التي في الجبال وكل عشب يمر عليه وهي معنا ينطق ويخبر بمنفعته بقدرة الله تعالى فاني قد وجدت عندي في الكتب ان في الاعشاب عشبا كل من اخذه ودقه واخذ ماءه ودهن به قدميه ومشى على اى بحر خلقه الله تعالى لم يبتل له قدم فاذا اخذنا ملكة الحيات تدلنا على ذلك العشب واذا وجدناه نأخذه وندقه ونأخذ ماءه ثم نطلقها الى حال سبيلها وندهن بذلك الماء اقدامنا ونعدى السبعة ابحر ونصل الى مدفن سيدنا سليمان ونأخذ الخاتم من اصبعه ونحكم كما حكم سيدنا سليمان ونصل الى مقصودنا وبعد ذلك ندخل بحر الظلمات ونشرب من ماء الحياة فيمهلنا الله الى آخر الزمان ونجتمع بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من عفان قال له يا عفان انا اجمعك بملكة الحيات واريك مكانها فقام عفان وصنع له قفصا من حديد واخذ معه قدحين وملأ احدهما خمرا وملأ الآخر لبنا وسار عفان هو وبلوقيا اياما وليالي حتى وصلا الى الجزيرة التي فيها ملكة الحيات فطلع عفان وبلوقيا الى الجزيرة وتمشيا فيها وبعد ذلك وضع عفان القفص ونصب فيه فخا ووضع فيه القدحين المملوءين خمرا ولبنا ثم تباعدا عن القفص واستخفيا ساعة فاقبلت ملكة الحيات على القفص حتى قربت من القدحين فتأملت فيهما ساعة فلما شمت رائحة اللبن نزلت من فوق ظهر الحية التي هي فوقها وطلعت من الطبق ودخلت القفص واتت الى القدح الذي فيه الخمر وشربت منه فلما شربت من ذلك القدح داخت رأسها ونامت فلما رأى ذلك عفان تقدم الى القفص وقفله على ملكة الحيات

ثم اخذها هو وبلوقيا وسارا فلما افاقت رأت روحها فى قفص من حديد والقفص على رأس رجل وبجانبه بلوقيا فلما رأت ملكة الحيات بلوقيا قالت له هذا جزاء من لا يؤذى بنى آدم فرد عليها بلوقيا وقال لها لا تخافى منا يا ملكة الحيات فاننا لا نؤذيك ابدا ولكن نريد منك ان تدلينا على عشب بين الاعشاب كل من اخذه ودقه واستخرج ماءه ودهن به قدميه ومشى على اى بحر خلقه الله تعالى لا تبتل قدماه فاذا وجدنا ذلك العشب اخذناه ونرجع بك الى مكانك وتطلقك الى حال سبيلك ثم ان عفان وبلوقيا سارا بملكة الحيات نحو الجبال التى فيها الاعشاب ودارا بها على جميع الاعشاب فصار كل عشب ينطق ويخبر بمنفعته باذن الله تعالى فبينما هما فى هذا الامر والاعشاب تنطق يمينا وشمالا وتخبر بمنافعها واذا بعشب نطق وقال انا العشب الذى كل من اخذنى ودقنى واخذ مائى ودهن به قدميه وجاز على اى بحر خلقه الله تعالى لم تبتل قدماه فلما سمع عفان كلام العشب حط القفص من فوق رأسه واخذا من ذلك العشب ما يكفيهما ودقاه وعصراه واخذا ماءه وجعلاه فى قزازتين وحفظاهما والذى فضل منهما دهنا به اقدامهما ثم ان بلوقيا وعفان اخذا ملكة الحيات وسارا بها الليالى والايام حتى وصلا الى الجزيرة التى كانت فيها ففتح عفان باب القفص وخرجت منه ملكة الحيات فلما خرجت قالت لهما ما تصنعان بهذا الماء فقالا لها مرادنا ان ندهن به اقدامنا حتى نتجاوز السبعة ابحر ونصل الى مدفن سيدنا سليمان وناخذ الخاتم من اصبعه فقالت لهما ملكة الحيات هيهات ان تقدرا على اخذ الخاتم فقالا لها لاى شئ فقالت لهما لان الله تعالى من على سليمان باعطاء ذلك الخاتم وخصه بذلك لانه قال رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب فما لكما ولذلك الخاتم ثم قالت لهما لو اخذتما من العشب الذى كل من اكل منه لا يموت الى النفخة الاولى وهو بين تلك الاعشاب لكان انفع لكما من هذا الذى اخذتماه فانه لا يحصل لكما منه مقصودكما فلما سمعا كلامها ندما ندما عظيما وسارا الى حال سبيلهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا وعفان لما سمعا كلام ملكة الحيات ندما ندما عظيما وسارا الى حال سبيلهما هذا ما كان من امرهما واما ما كان من امر ملكة الحيات فانها اتت الى عساكرها فرأتهم قد ضاعت مصالحهم وضعف قويهم وضعيفهم مات فلما رأى الحيات ملكتهم بينهم فرحوا والتموا حولها وقالوا لها ما خبرك واين كنت فحكت لهم جميع ما جرى لها مع عفان وبلوقيا ثم بعد ذلك جمعت جنودها وتوجهت بهم الى جبل قاف لانها كانت تشتى فيه وتصيف فى المكان الذى رآها فيه حاسب كريم الدين ثم ان الحية قالت يا حاسب هذه حكايتى وما جرى لى فتعجب حاسب من كلام الحية ثم قال لها اريد من فضلك ان تأمرى احدا من اعوانك ان يخرجنى الى وجه الارض واروح الى اهلى فقالت له ملكة الحيات يا حاسب ليس لك رواح من عندنا حتى يدخل الشتاء وتروح معنا الى جبل قاف وتتفرج فيه على تلال ورمل واشجار واطيار تسبح الواحد القهار وتتفرج على مردة وعفاريت وجان ما يعلم عددهم الا الله تعالى فلما سمع حاسب كريم الدين كلام ملكة الحيات صار مهموما مغموما ثم قال لها اعلمينى بعفان وبلوقيا لما فارقاك وسارا هل عديا السبعة بحور ووصلا الى مدفن سيدنا سليمان اولا واذا كان وصلا الى مدفن سيدنا سليمان هل قدرا على اخذ الخاتم اولا فقالت له اعلم ان عفان وبلوقيا لما فارقانى وسارا دهنا اقدامهما

من ذلك الماء ومشيا على وجه البحر وصارا يتفرجان على عجائب البحر وما زالا سائرين من بحر الى بحر حتى عديا السبعة ابحر فلما عديا تلك البحار وجدا جبلا عظيما شاهقا فى الهواء وهو من الزمرد الاخضر وفيه عين تجرى وترابه كله من المسك فلما وصلا الى ذلك المكان فرحا وقالا قد بلغنا مقصودنا ثم صارا حتى وصلا الى جبل عال فمشيا فيه فرايا مغارة من بعيد فى ذلك الجبل وعليها قبة عظيمة والنور يلوح منها فلما رايا تلك المغارة قصداها حتى وصلا اليها فدخلا فرأيا فيها تختا منصوبا من الذهب مرصعا بانواع الجواهر وحوله كراسى منصوبة لا يحصى لها عددا الا الله تعالى ورايا السيد سليمان نائما فوق ذلك التخت وعليه حلة من الحرير الاخضر مزركشة بالذهب مرصعة بنفيس المعادن من الجواهر ويده اليمنى على صدره والخاتم فى اصبعه ونور الخاتم يغلب على نور تلك الجواهر التى فى ذلك المكان ثم ان عفان علم بلوقيا اقساما وعزائم وقال له اقرأ هذه الاقسام ولا تترك قراءتها حتى آخذ الخاتم ثم تقدم عفان الى التخت حتى قرب منه واذا بحية عظيمة طلعت من تحت التخت وزعقت زعقة عظيمة فارتعد ذلك المكان من زعقتها وصار الشرر يطير من فيها ثم ان الحية قالت لعفان ان لم ترجع هلكت فاشتغل عفان بالاقسام ولم ينزعج من تلك الحية فنفخت عليه الحية نفخة عظيمة كادت ان تحرق ذلك المكان وقالت له ويلك ان لم ترجع احرقتك فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الحية طلع من المغارة واما عفان فانه لم ينزعج من ذلك بل تقدم الى السيد سليمان ومد يده ولمس الخاتم واراد ان يسحبه من اصبع السيد سليمان واذا بالحية نفخت على عفان فاحرقته فصار كوم رماد هذا ما كان من امره واما ما كان من امر بلوقيا فانه وقع مغشيا عليه من هذا الامر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما رأى عفان احترق وصار كوم رماد وقع مغشيا عليه وامر الرب جل جلاله جبريل ان يهبط الى الارض قبل ان تنفخ الحية على بلوقيا فهبط الى الارض بسرعة فرأى بلوقيا مغشيا عليه ورأى عفان احترق من نفخة الحية فاتى جبريل الى بلوقيا وايقظه من غشيته فلما افاق سلم عليه جبريل وقال له من اين اتيتم الى هذا المكان فحكى له بلوقيا جميع حكايته من الاول الى الآخر ثم قال له اعلم انى ما اتيت الى هذا المكان الا بسبب محمد صلى الله عليه وسلم فان عفان اخبرنى انه يبعث فى آخر الزمان ولا يجتمع به الا من يعيش الى ذلك الوقت ولا يعيش الى ذلك الوقت الا من شرب من ماء الحياة ولا يمكن ذلك الا بحصول خاتم سليمان عليه السلام فصحبته الى هذا المكان وحصل له ما حصل وها هو قد احترق وانا لم احترق ومرادى ان تخبرنى بمحمد اين يكون فقال له جبريل يا بلوقيا اذهب الى حال سبيلك فان زمان محمد بعيد ثم ارتفع جبريل الى السماء من وقته واما بلوقيا فانه صار يبكى بكاء شديدا وندم على ما فعل وتفكر قول ملكة الحيات هيهات ان يقدر احد على اخذ الخاتم وتحير بلوقيا فى نفسه وبكى ثم انه نزل من الجبل وسار ولم يزل سائرا حتى قرب من شاطئ البحر وقعد هنالك ساعة يتعجب من تلك الجبال والبحار والجزائر ثم بات تلك الليلة فى ذلك الموضع ولما اصبح الصباح دهن قدميه من الماء الذى كانا اخذاه من العشب ونزل البحر وسار ماشيا فيه اياما وليالى وهو يتعجب من اهوال البحر وعجائبه وغرائبه وما زال سائرا على وجه الماء حتى وصل الى جزيرة كأنها الجنة فطلع بلوقيا الى تلك الجزيرة وصار يتعجب منها ومن حسنها وساح فيها فرآها جزيرة عظيمة ترابها الزعفران وحصاها من الياقوت

والمعادن

والمعادن الفاخرة وسياجها الياسمين وزرعها من احسن الاشجار وابهج الرياحين واطيبها وفيها عيون جارية وحطبها من العود القمارى والعود القاقلى وبوصها قصب السكر وحولها الورد والنرجس والعبهر والقرنفل والاقحوان والسوسن والبنفسج وكل ذلك فيها اشكال والوان واطيارها تناغى على تلك الاشجار وهى مليحة الصفات واسعة الجهات كثيرة الخيرات قد حوت جميع الحسن والمعانى وتغريد اطيارها الطف من رنات المثانى واشجارها باسقة واطيارها ناطقة وانهارها دافقة وعيونها جارية ومياهها حالية وفيها الغزلان تمرح والجآذر تسنح والاطيار تناغى على تلك الاغصان وتسلى العاشق الولهان فتعجب بلوقيا من هذه الجزيرة وعلم انه قد تاه عن الطريق التى قد اتى منها اول مرة حين كان معه عفان فساح فى تلك الجزيرة وتفرج فيها الى وقت المساء فلما امسى عليه الليل طلع على شجرة عالية لينام فوقها وصار يتفكر فى حسن تلك الجزيرة فبينما هو فوق الشجرة على تلك الحالة واذا بالبحر قد اختبط وطلع منه حيوان عظيم وصاح صياحا عظيما حتى ارتجت حيوانات تلك الجزيرة من صياحه فنظر اليه بلوقيا وهو جالس على الشجرة فرآه حيوانا عظيما فصار يتعجب منه فلم يشعر بعد ساعة الا وطلع خلفه من البحر وحوش مختلفة الالوان وفى يد كل وحش منها جوهرة تضيء مثل السراج حتى صارت الجزيرة مثل النهار من ضياء الجواهر وبعد ساعة اقبلت من الجزيرة وحوش لا يعلم عددها الا الله تعالى فنظر اليها بلوقيا فرآها وحوش الفلاة من سباع ونمور وفهود وغير ذلك من حيوانات البر ولم تزل وحوش البر مقبلة حتى اجتمعت مع وحوش البحر فى جانب الجزيرة وصاروا يتحدثون الى الصباح فلما اصبح الصباح افترقوا من بعضهم ومضى كل واحد منهم الى حال سبيله فلما رآهم بلوقيا خاف ونزل من فوق الشجرة وسار الى شاطئ البحر ودهن قدميه من الماء الذى معه ونزل البحر الثانى وسار على وجه الماء ليالى واياما حتى وصل الى جبل عظيم وتحت ذلك الجبل واد ما له آخر وذلك الوادى حجارته من المغناطيس ووحوشه سباع وارانب ونمور فطلع بلوقيا الى ذلك الجبل وساح فيه من مكان الى مكان حتى امسى عليه المساء فجلس تحت قنة من قنن ذلك الجبل بجانب البحر وصار يأكل من السمك الناشف الذى يقذفه البحر فبينما هو جالس يأكل من ذلك السمك واذا بنمر عظيم اقبل على بلوقيا واراد ان يفترسه فالتفت بلوقيا الى ذلك النمر فرآه هاجما عليه ليفترسه فدهن قدميه من الماء الذى معه ونزل البحر الثالث هربا من ذلك النمر وسار على وجه الماء فى الظلام وكانت ليلة سوداء ذات ريح عظيم ومازال سائرا حتى اقبل على جزيرة فطلع عليها فرأى فيها اشجارا رطبة ويابسة فاخذ بلوقيا من ثمر تلك الاشجار واكل وحمد الله تعالى ودار فيها يتفرج الى وقت المساء وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا دار يتفرج فى تلك الجزيرة ولم يزل دائرا يتفرج فيها الى وقت المساء فنام فى تلك الجزيرة ولما اصبح الصباح صار يتأمل فى جهاتها ولم يزل يتفرج فيها مدة عشرة ايام وبعد ذلك توجه الى شاطئ البحر ودهن قدميه ونزل فى البحر الرابع ومشى على وجه الماء ليلا ونهارا حتى وصل الى جزيرة فرأى ارضها من الرمل الناعم الابيض وليس فيها شئ من الشجر ولا من الزرع فتمشى فيها ساعة فوجد وحشها الصقور وهى معششة فى ذلك الرمل فلما رأى ذلك دهن قدميه ونزل البحر الخامس وسار فوق الماء ومازال سائرا ليلا ونهارا حتى اقبل على جزيرة صغيرة ارضها وجبالها مثل البلور

وفيها العروق التى يصنع منها الذهب وفيها اشجار غريبة ما رأى مثلها فى سياحته وازهارها كلون الذهب فطلع بلوقيا الى تلك الجزيرة وصار يتفرج فيها الى وقت المساء فلما جن عليه الظلام صارت الازهار تضيء فى تلك الجزيرة كالنجوم فتعجب بلوقيا من هذه الجزيرة وقال ان الازهار التى فى هذه الجزيرة هى التى تيبس من الشمس وتسقط على الارض فتضربها الرياح فتجتمع تحت الحجارة وتصير اكسيرا فيأخذونها ويصنعون منها الذهب ثم ان بلوقيا نام فى تلك الجزيرة الى وقت الصباح وعند طلوع الشمس دهن قدميه من الماء الذى معه ونزل البحر السادس وسار ليالى واياما حتى اقبل على جزيرة فطلع عليها وتمشى فيها ساعة فرأى فيها جبلين وعليهما اشجار كثيرة وثمار تلك الاشجار كرؤس الآدميين وهى معلقة من شعورها ورأى فيها اشجارا اخرى اثمارها طيور خضر معلقة من ارجلها وفيها اشجار تتوقد مثل النار ولها فواكه مثل الصبر وكل من سقطت عليه نقطة من تلك الفواكه احترق بها ورأى بها فواكه تبكى وفواكه تضحك ورأى بلوقيا فى تلك الجزيرة عجائب كثيرة ثم انه تمشى الى شاطئ البحر فرأى شجرة عظيمة فجلس تحتها الى وقت العشاء فلما اظلم الظلام طلع فوق تلك الشجرة وصار يتفكر فى مصنوعات الله فبينما هو كذلك واذا بالبحر قد اختبط وطلع منه بنات البحر وفى يد كل واحدة منهن جوهرة تضيء مثل الصباح وصرن حتى اتين تحت تلك الشجرة وجلسن ولعبن ورقصن وطربن فصار بلوقيا يتفرج عليهن وهن فى هذه الحالة ولم يزلن فى لعب الى الصباح فلما اصبح الصباح نزلن البحر فتعجب منهن بلوقيا ونزل من فوق الشجرة ودهن قدميه من الماء الذى معه ونزل البحر السابع وسار ولم يزل سائرا مدة شهرين وهو لا ينظر جبلا ولا جزيرة ولا برا ولا واديا ولا ساحلا حتى قطع ذلك البحر وقاسى فيه جوعا عظيما حتى صار يخطف السمك من البحر ويأكله نيأ من شدة جوعه ولم يزل سائرا على هذه الحالة حتى انتهى الى جزيرة اشجارها كثيرة وانهارها غزيرة فطلع الى تلك الجزيرة وصار يمشى فيها ويتفرج يمينا وشمالا وكان ذلك فى وقت الضحى ومازال يتمشى حتى اقبل على شجرة تفاح فمد يده ليأكل من تلك الشجرة واذا بشخص صاح عليه من تلك الشجرة وقال له ان تقربت الى هذه الشجرة واكلت منها شيأ قسمتك نصفين فنظر بلوقيا الى ذلك الشخص فرآه طويلا طوله اربعون ذراعا بذراع اهل ذلك الزمان فلما رآه بلوقيا خاف منه خوفا شديدا وامتنع عن تلك الشجرة ثم قال له بلوقيا لاى شئ تمنعنى من الاكل من هذه الشجرة فقال له لانك ابن آدم وابوك آدم نسى عهد الله فعصاه واكل من الشجرة فقال له بلوقيا اى شئ انت ولمن هذه الجزيرة وهذه الاشجار وما اسمك فقال له الشخص انا اسمى شراهيا وهذه الاشجار والجزيرة للملك صخر وانا من اعوانه وقد وكلنى على هذه الجزيرة ثم ان شراهيا سأل بلوقيا وقال له من انت ومن اين أتيت الى هذه البلاد فحكى له بلوقيا حكايته من الاول الى الآخر فقال له شراهيا لا تخف ثم جاءه بشئ من الاكل فأكل بلوقيا حتى اكتفى ثم ودعه وسار ولم يزل سائرا مدة عشرة ايام فبينما هو سائر فى جبال ورمال اذ نظر غبرة عاقدة فى الجو فقصد بلوقيا صوب تلك الغبرة فسمع صياحا وضربا وهرجا عظيما فمشى بلوقيا نحو تلك الغبرة حتى وصل الى واد عظيم طوله مسيرة شهرين ثم تأمل بلوقيا فى جهة ذلك الصياح فرأى ناسا راكبين على خيل وهم يقتتلون مع بعضهم وقد جرى الدم بينهم حتى صار مثل النهر ولهم اصوات مثل الرعد وفى ايديهم رماح وسيوف واعمدة من الحديد وقسى ونبال وهم فى قتال عظيم فأخذه خوف شديد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما رأى هؤلاء الناس بايديهم السلاح وهم في قتال عظيم اخذه خوف شديد وتحير في امره فبينما هو كذلك واذا هم رأوه فلما رأوه امتنعوا عن بعضهم وتركوا الحرب ثم اتت اليه طائفة منهم فلما قربوا منه تعجبوا من خلقته ثم تقدم اليه فارس منهم وقال له اى شيء انت ومن اين اتيت والى اين رائح ومن دلك على هذه الطريق حتى وصلت الى بلادنا فقال له بلوقيا انا من بني آدم وجئت هائما في حب محمد صلى الله عليه وسلم ولكني تهت عن الطريق فقال له الفارس نحن ما رأينا ابن آدم قط ولا اتى الى هذه الارض وصاروا يتعجبون منه ومن كلامه ثم ان بلوقيا سألهم وقال لهم اى شيء انتم ايها الخليقة فقال له الفارس نحن من الجان فقال له بلوقيا يا ايها الفارس ما سبب القتال الذي بينكم واين مسكنكم وما اسم هذا الوادي وهذه الاراضي فقال له الفارس نحن مسكننا الارض البيضاء وفي كل عام يأمرنا الله تعالى ان نأتي الى هذه الارض ونغازي الجان الكافرين فقال له بلوقيا واين الارض البيضاء فقال له الفارس خلف جبل قاف بمسيرة خمسة وسبعين سنة وهذه الارض يقال لها ارض شداد بن عاد ونحن اتينا اليها لنغازي فيها وما لنا شغل سوى التسبيح والتقديس ولنا ملك يقال له الملك صخر وما يمكن الآن تروح معنا اليه حتى ينظرك ويتفرج عليك ثم انهم ساروا وبلوقيا معهم حتى اتوا منزلهم فنظر بلوقيا خياما عظيمة من الحرير الاخضر لا يعلم عددها الا الله تعالى ورأى بينهم خيمة منصوبة من الحرير الاحمر واتساعها مقدار الف ذراع واطنابها من الحرير الازرق واوتادها من الذهب والفضة فتعجب بلوقيا من تلك الخيمة ثم انهم ساروا به حتى اقبلوا على الخيمة فاذا هي خيمة الملك صخر ثم دخلوا به حتى اوقفوه قدام الملك صخر فنظر بلوقيا الى الملك فرآه جالسا على تخت عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وعلى يمينه ملوك الجان وعلى يساره الحكماء والامراء وارباب الدولة وغيرهم فلما رآه الملك صخر امر ان يدخلوا به عنده فدخلوا به عند الملك فتقدم بلوقيا وسلم عليه وقبل الارض بين يديه فرد عليه الملك صخر السلام ثم قال له ادن مني ايها الرجل فدنا منه بلوقيا حتى صار بين يديه فعند ذلك امر الملك صخر ان ينصبوا له كرسيا بجانبه فنصبوا له كرسيا بجانب الملك ثم امره الملك صخر ان يجلس على ذلك الكرسي فجلس بلوقيا عليه ثم ان الملك صخر سأل بلوقيا وقال له اى شيء انت فقال له انا من بني آدم من بني اسرائيل فقال له الملك صخر احك لي حكايتك واخبرني بما جرى لك وكيف اتيت الى هذه الارض فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له في سياحته من الاول الى الآخر فتعجب الملك صخر من كلامه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما اخبر الملك صخر بجميع ما جرى له في سياحته من الاول الى الآخر تعجب من ذلك ثم امر الفراشين ان يأتوا بسماط فأتوا بسماط ومدوه ثم انهم اتوا بصوان من الذهب الاحمر وصوان من الفضة وصوان من النحاس وبعض الصواني فيها خمسون جملا مسلوقة وبعضها فيه عشرون جملا وبعضها فيه خمسون رأسا من الغنم وعدد الصواني الف وخمسمائة صينية فلما رأى بلوقيا ذلك تعجب منه غاية العجب ثم انهم اكلوا واكل بلوقيا معهم حتى اكتفى وحمد الله تعالى وبعد ذلك رفعوا الطعام واتوا بالفواكه فأكلوا ثم بعد ذلك سبحوا الله تعالى وصلوا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم

فلما سمع بلوقيا ذكر محمد تعجب وقال للملك صخر اريد ان اسألك بعض مسائل فقال له الملك صخر سل ما تريد فقال له بلوقيا يا ملك اى شئ انتم ومن اين اصلكم ومن اين تعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم حتى تصلوا عليه وتحبوه فقال له الملك صخر يا بلوقيا ان الله تعالى خلق النار سبع طبقات بعضها فوق بعض وبين كل طبقة وطبقة مسيرة الف عام وجعل اسم الطبقة الاولى جهنم واعدها العصاة المؤمنين الذين يموتون من غير توبة واسم الطبقة الثانية لظى واعدها للكفار واسم الطبقة الثالثة الجحيم واعدها لياجوج وماجوج واسم الرابعة السعير واعدها لقوم ابليس واسم الخامسة سقر واعدها لتارك الصلاة واسم السادسة الحطمة واعدها لليهود والنصارى واسم السابعة الهاوية واعدها للمنافقين فهذه السبع طبقات فقال له بلوقيا لعل جهنم اهون عذابا من الجميع لانها هى الطبقة الفوقانية قال الملك صخر نعم هى اهون الجميع عذابا ومع ذلك فيها الف جبل من النار وفى كل جبل سبعون الف واد من النار وفى كل واد سبعون الف مدينة من النار وفى كل مدينة سبعون الف قلعة من النار وفى كل قلعة سبعون الف بيت من النار وفى كل بيت سبعون الف تخت من النار وفى كل تخت سبعون الف نوع من العذاب وما فى جميع طبقات النار يا بلوقيا اهون عذابا من عذابها لانها هى الطبقة الاولى واما الباقى فلا يعلم عدد ما فيه من انواع العذاب الا الله تعالى فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من الملك صخر وقع مغشيا عليه فلما افاق من غشيته بكى وقال يا ملك كيف يكون حالنا فقال له الملك صخر يا بلوقيا لا تخف واعلم ان كل من كان يحب محمدا لم تحرقه النار وهو معتوق لاجل محمد صلى الله عليه وسلم وكل من كان على ملته تهرب منه النار واما نحن فخلقنا الله تعالى من النار واول ما خلق الله المخلوقات فى جهنم خلق شخصين من جنوده احدهما اسمه خليت والآخر اسمه مليت وجعل خليت على صورة اسد ومليت على صورة ذئب وكان ذنب مليت على صورة الانثى ولونه ابلق وذنب خليت على صورة ذكر وهو فى هيئة حية وذنب مليت فى هيئة سلحفاة وطول ذنب خليت مسيرة عشرين سنة ثم امر الله تعالى ذنبيهما ان يجتمعا مع بعضهما ويتناكحا فتوالد منهما حيات وعقارب ومسكنها فى النار ليعذب الله بها من يدخلها ثم ان تلك الحيات والعقارب تناسلوا وتكاثروا ثم بعد ذلك امر الله تعالى ذنبى خليت ومليت ان يجتمعا ويتناكحا ثانى مرة فاجتمعا وتناكحا فحمل ذنب مليت من ذنب خليت فلما وضعت ولدت سبعة ذكور وسبع اناث فتربوا حتى كبروا فلما كبروا تزوج الاناث بالذكور واطاعوا والدهم الا واحدا منهم عصى والده فصار دودة وتلك الدودة هى ابليس لعنه الله تعالى وكان من المقربين فانه عبد الله تعالى حتى ارتفع الى السماء وتقرب من الرحمن وصار رئيس المقربين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ابليس كان عبد الله تعالى وصار رئيس المقربين ولما خلق الله تعالى آدم عليه السلام امر ابليس بالسجود له فامتنع من ذلك فطرده الله تعالى ولعنه فلما تناسل جاءت منه الشياطين واما الستة الذكور الذين قبله فهم الجان المؤمنون ونحن من نسلهم وهذا اصلنا يا بلوقيا فتعجب بلوقيا من كلام الملك صخر ثم انه قال يا ملك اريد منك ان تأمر واحدا من اعوانك ليوصلنى الى بلادى فقال له الملك صخر ما نقدر ان نفعل شيأ من ذلك الا ان امرنا الله تعالى ولكن يا بلوقيا ان شئت الذهاب من عندنا فانى احضر لك فرسا من خيلى واركبك على ظهرها وآمرها ان تسير بك الى آخر حكمى

فاذا وصلت الى آخر حكمى يلاقيك جماعة ملك اسمه براخيا فينظرون الفرس فيعرفونها وينزلونك من فوقها ويرسلونها الينا وهذا الذى نقدر عليه لا غير فلما سمع بلوقيا هذا الكلام بكى وقال للملك افعل ما تريد فامر الملك ان يأتوا له بالفرس فاتوا له بالفرس واركبوه على ظهرها وقالوا له احذر ان تنزل من فوق ظهرها او تضربها او تصيح فى وجهها فان فعلت ذلك اهلكتك بل استمر راكبا عليها مع السكون حتى تقف بك فانزل عن ظهرها وروح الى حال سبيلك فقال له بلوقيا سمعا وطاعة ثم ركب الفرس وسار فى الخيام مدة طويلة ولم يزل فى سيره الاعلى مطبخ الملك صخر فنظر بلوقيا الى قدور معلقة فى كل قدر خمسون جملا والنار تلتهب من تحتها فلما رأى بلوقيا تلك القدور وكبرها تأملها وتعجب منها واكثر التعجب والتأمل فيها فنظر اليه الملك فرآه متعجبا من المطبخ فظن الملك فى نفسه انه جائع فامر ان يجيئوا له بجملين مشويين فجاؤا له بجملين مشويين وربطوهما خلفه على ظهر الفرس ثم انه ودعهم وسار حتى وصل الى آخر حكم الملك صخر فوقفت الفرس فنزل عنها بلوقيا ينفض تراب السفر من ثيابه واذا برجال اتوا اليه ونظروا الفرس فعرفوها فاخذوها وساروا وبلوقيا معهم حتى وصلوا الى الملك براخيا فلما دخل بلوقيا على الملك براخيا سلم عليه فرد عليه السلام ثم ان بلوقيا نظر الى الملك فرآه جالسا فى صيوان عظيم وحوله عساكر وابطال وملوك الجان على يمينه وشماله ثم ان الملك امر بلوقيا ان يدنو منه فتقدم بلوقيا اليه فاجلسه الملك بجانبه وامر ان يأتوا بالسماط فنظر بلوقيا الى حال الملك براخيا فرآه مثل حال الملك صخر ولما حضرت الاطعمة اكلوا واكل بلوقيا حتى اكتفى وحمد الله تعالى ثم انهم رفعوا الاطعمة واتوا بالفاكهة فاكلوا ثم ان الملك براخيا سأل بلوقيا وقال له متى فارقت الملك صخر فقال له من مدة يومين فقال الملك براخيا لبلوقيا اتدرى مسافة كم يوم سافرت فى هذين اليومين قال لا قال مسيرة سبعين شهرا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك براخيا قال لبلوقيا انك سافرت فى هذين اليومين مسيرة سبعين شهرا ولكنك لما ركبت الفرس فزعت منك وعلمت انك ابن آدم وارادت ان ترميك عن ظهرها فاثقلوها بهذين الجملين فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام من الملك براخيا تعجب وحمد الله تعالى على السلامة ثم ان الملك براخيا قال لبلوقيا اخبرنى بما جرى لك وكيف اتيت الى هذه البلاد فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له وكيف ساح واتى الى هذه البلاد فلما سمع الملك كلامه تعجب منه ومكث بلوقيا عنده مدة شهرين فلما سمع حاسب كلام ملكة الحيات تعجب منه غاية العجب ثم قال لها اريد من فضلك واحسانك ان تأمرى احدا من اعوانك ان يخرجنى الى وجه الارض حتى اروح الى اهلى فقالت له ملكة الحيات يا حاسب كريم الدين اعلم انك متى خرجت الى وجه الارض تروح الى اهلك ثم تدخل الحمام وتغتسل وبمجرد ما تفرغ من غسلك اموت انا لان ذلك يكون سببا لموتى فقال حاسب انا احلف لك ما ادخل الحمام طول عمرى واذا وجب على الغسل اغتسل فى بيتى فقالت له ملكة الحيات لو حلفت لى مائة يمين ما صدقتك ابدا فان هذا الامر لا يكون واعلم انك ابن آدم ما لك عهد لان اباك آدم قد عاهد الله ونقض عهده وكان الله تعالى خمر طينته اربعين صباحا واسجد له ملائكته وبعد ذلك نكث العهد ونسيه وخالف امر ربه فلما سمع حاسب ذلك الكلام سكت وبكى ومكث يبكى مدة عشرة ايام ثم قال لها حاسب اخبرينى بالذى جرى

لبلوقيا بعد قعوده شهرين عند الملك براخيا فقالت له اعلم يا حاسب ان بلوقيا بعد قعوده عند الملك براخيا ودعه وسار في البراري ليلا ونهارا حتى وصل الى جبل عال فطلع ذلك الجبل فرأى فوقه ملكا عظيما جالسا على ذلك الجبل وهو يذكر الله تعالى ويصلي على محمد وبين يدي ذلك الملك لوح مكتوب فيه شئ ابيض وشئ اسود وهو ينظر في اللوح وله جناحان احدهما ممدود بالمشرق والاخر ممدود بالمغرب فاقبل عليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام ثم ان الملك سأل بلوقيا وقال له من انت ومن اين اتيت والى اين رايح وما اسمك فقال بلوقيا انا من بني آدم من قوم بني اسرائيل وانا سايح في حب محمد صلى الله عليه وسلم واسمي بلوقيا فقال ما الذي جرى لك في مجيئك الى هذه الارض فحكى له بلوقيا جميع ما جرى له وما رأى في سياحته فلما سمع الملك من بلوقيا ذلك الكلام تعجب منه ثم ان بلوقيا سأل الملك وقال له اخبرني انت الاخر بهذا اللوح واي شئ مكتوب فيه وما هذا الامر الذي انت فيه وما اسمك فقال له الملك انا اسمي ميخاييل وانا موكل بتصريف الليل والنهار وهذا شغلي الى يوم القيامة فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام تعجب منه ومن صورة ذلك الملك ومن هيبته وعظم خلقته ثم ان بلوقيا ودع ذلك الملك وسار ليلا ونهارا حتى وصل الى مرج عظيم فتمشى في ذلك المرج فرأى فيه سبعة انهر ورأى اشجارا كثيرة فتعجب بلوقيا من ذلك المرج العظيم وسار في جوانبه فرأى فيه شجرة عظيمة وتحت تلك الشجرة اربعة ملائكة فتقدم اليهم بلوقيا ونظر الى خلقتهم فرأى واحدا منهم صورته صورة بني آدم والثاني صورته صورة وحش والثالث صورته صورة طير والرابع صورته صورة ثور وهم مشغولون بذكر الله تعالى ويقول كل منهم الهي وسيدي ومولاي بحقك وبجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ان تغفر لكل مخلوق خلقته على صورتي وتسامحه انك على كل شئ قدير فلما سمع بلوقيا منهم ذلك الكلام تعجب وسار من عندهم ليلا ونهارا حتى وصل الى جبل قاف فطلع فوقه فرأى هناك ملكا عظيما وهو جالس يسبح الله تعالى ويقدسه ويصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ورأى ذلك الملك في قبض وبسط وطي ونشر فبينما هو في هذا الامر اذ اقبل بلوقيا وسلم عليه فرد الملك عليه السلام وقال له اي شئ انت ومن اين اتيت والى اين رايح وما اسمك فقال بلوقيا انا من بني اسرائيل من بني آدم واسمي بلوقيا وانا سايح في حب محمد صلى الله عليه وسلم ولكن تهت في طريقي وحكى له جميع ما جرى له فلما فرغ بلوقيا من حكايته سأل الملك وقال له من انت وما هذا الجبل وما هذا الشغل الذي انت فيه فقال له الملك اعلم يا بلوقيا ان هذا جبل قاف المحيط بالدنيا وكل ارض خلقها الله في الدنيا قبضتها في يدي فاذا اراد الله تعالى بتلك الارض شيأ من زلزلة او قحط او خصب او قتال او صلح امرني ان افعله فافعله وانا في مكاني واعلم ان يدي قابضة بعروق الارض وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك قال لبلوقيا واعلم ان يدي قابضة بعروق الارض فقال بلوقيا للملك هل خلق الله في جبل قاف ارضا غير هذه الارض التي انت فيها قال الملك نعم خلق ارضا بيضاء مثل الفضة وما يعلم قدر اتساعها الا الله تعالى واسكنها ملائكة اكلهم وشربهم التسبيح والتقديس والاكثار من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي كل ليلة جمعة يأتون الى هذا الجبل ويجتمعون ويدعون الله تعالى طول الليل الى وقت الصباح ويهبون ثواب ذلك التسبيح والتقديس والعبادات

للمذنبين من امة محمد صلى الله عليه وسلم ولكل من اغتسل غسل الجمعة وهذا حالهم الى يوم القيامة ثم ان بلوقيا سأل الملك وقال له هل خلق الله جبالا خلف جبل قاف فقال الملك نعم خلف جبل قاف جبل قدره مسيرة خمسمائة عام وهو من الثلج والبرد وهو الذى رد حر جهنم عن الدنيا ولولا ذلك الجبل لاحترقت الدنيا من حر نار جهنم وخلف جبل قاف اربعون ارضا كل ارض منها قدر الدنيا اربعين مرة فمنها ما هو من الذهب ومنها ما هو من الفضة ومنها ما هو من الياقوت ولكل ارض من تلك الاراضى لون واسكن الله فى تلك الاراضى ملائكة لا شغل لهم سوى التسبيح والتقديس والتهليل والتكبير ويدعون الله تعالى الى امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرفون حواء ولا آدم ولا ليلا ولا نهارا واعلم يا بلوقيا ان الاراضى سبع طباق فوق بعض وخلق الله ملكا من الملائكة لا يعلم اوصافه ولا قدره الا الله عز وجل وهو حامل السبع اراضى على كاهله وخلق الله تعالى تحت ذلك الملك صخرة وخلق الله تعالى تحت تلك الصخرة ثورا وخلق الله تعالى تحت ذلك الثور حوتا وخلق الله تحت ذلك الحوت بحرا عظيما وقد اعلم الله تعالى عيسى عليه السلام بذلك الحوت فقال له يا رب ارنى ذلك الحوت حتى انظر اليه فامر الله تعالى ملكا من الملائكة ان يأخذ عيسى ويروح به الى الحوت حتى ينظره فاتى ذلك الملك الى عيسى عليه السلام واخذه واتى به الى البحر الذى فيه الحوت وقال له انظر يا عيسى الى الحوت فنظر عيسى الى الحوت فلم يره فمر الحوت على عيسى مثل البرق فلما رأى ذلك عيسى وقع مغشيا عليه فلما افاق اوحى الله الى عيسى وقال له يا عيسى هل رأيت الحوت وهل علمت طوله وعرضه فقال عيسى وعزتك وجلالك يا رب ما رأيته ولكن مر على ثور عظيم قدره مسافة ثلاثة ايام ولم اعرف ما شأن ذلك الثور فقال الله يا عيسى ذلك الذى مر عليك وقدره مسافة ثلاثة ايام انما هو رأس الثور واعلم يا عيسى انى فى كل يوم اخلق اربعين حوتا مثل ذلك الحوت فلما سمع ذلك الكلام تعجب من قدرة الله تعالى ثم ان بلوقيا سأل الملك وقال له اى شئ خلق الله تحت البحر الذى فيه الحوت فقال له الملك خلق الله تحت البحر هواء عظيما وخلق الله تحت الهواء نارا وخلق الله تحت النار حية عظيمة اسمها فلق ولولا خوف تلك الحية من الله تعالى لابتلعت جميع ما فوقها من الهواء والنار والملك وما حمله ولم تحس بذلك الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك قال لبلوقيا فى وصف الحية ولولا خوفها من الله تعالى لابتلعت جميع ما فوقها من الهواء والنار والملك وما حمله ولم تحس بذلك ولما خلق الله تعالى تلك الحية اوحى اليها انى اريد منك ان اودع عندك امانة فاحفظيها فقالت الحية افعل ما تريد فقال الله لتلك الحية افتحى فاك ففتحت فاها فادخل الله جهنم فى بطنها وقال لها احفظى جهنم الى يوم القيامة فاذا جاء يوم القيامة يأمر الله ملائكته ان يأتوا ومعهم سلاسل يقودون بها جهنم الى المحشر ويأمر الله تعالى جهنم ان تفتح ابوابها فتفتحها ويطير منها شرر كبار اكبر من الجبال فلما سمع بلوقيا ذلك الكلام من الملك بكى بكاء شديدا ثم انه ودع الملك وسار الى ناحية الغرب حتى اقبل على شخصين فرآهما جالسين وعندهما باب عظيم مقفول فلما قرب منهما رأى احدهما صورته صورة اسد والاخر صورته صورة ثور فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام ثم انهما سألاه وقالا له اى شئ انت ومن اين اتيت والى اين رائح فقال لهما بلوقيا انا

من بنى آدم وانا سائح فى حب محمد صلى الله عليه وسلم ولكن تهت عن طريقى ثم ان بلوقيا سألهما وقال لهما اى شىء انتما وما هذا الباب الذى عندكما فقالا له نحن حراس هذا الباب الذى تراه وما لنا شغل سوى التسبيح والتقديس والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمع بلوقيا هذا الكلام تعجب وقال لهما اى شىء داخل هذا الباب فقالا لا ندرى فقال لهما بحق ربكما الجليل ان تفتحا لى هذا الباب حتى انظر اى شىء داخله فقالا له ما نقدر ان نفتح هذا الباب ولا يقدر على فتحه احد من المخلوقين الا الامين جبريل عليه السلام فلما سمع بلوقيا ذلك تضرع الى الله تعالى وقال يا رب ائتنى بالامين جبريل ليفتح لى هذا الباب حتى انظر ما داخله فاستجاب الله دعاءه وامر الامين جبريل ان ينزل الى الارض ويفتح باب مجمع البحرين حتى ينظره بلوقيا فنزل جبريل الى بلوقيا وسلم عليه واتى الى ذلك الباب وفتحه ثم ان جبريل قال لبلوقيا ادخل الى هذا الباب فان الله امرنى ان افتحه لك فدخل بلوقيا وسار فيه ثم ان جبريل قفل الباب وارتفع الى السماء ورأى بلوقيا فى داخل الباب بحرا عظيما نصفه مالح ونصفه حلو وحول ذلك البحر جبلان وهذان الجبلان من الياقوت الاحمر وسار بلوقيا حتى اقبل على هذين الجبلين فرأى فيهما ملائكة مشغولين بالتسبيح والتقديس فلما رآهم بلوقيا سلم عليهم فردوا عليه السلام فسألهم بلوقيا عن البحر وعن هذين الجبلين فقالت له الملائكة ان هذا مكان تحت العرش وان هذا البحر يمد كل بحر فى الدنيا ونحن نقسم هذا الماء ونسوقه الى الاراضى المالح للارض المالحة والحلو للارض الحلوة وهذان الجبلان خلقهما الله ليحفظا هذا الماء وهذا امرنا الى يوم القيامة ثم انهم سألوه وقالوا له من اين اقبلت والى اين رائح فحكى لهم بلوقيا حكايته من الاول الى الآخر ثم ان بلوقيا سألهم عن الطريق فقالوا له اطلع هنا على ظهر هذا البحر فاخذ بلوقيا من الماء الذى معه ودهن قدميه وودعهم وسار على ظهر البحر ليلا ونهارا فبينما هو سائر واذا هو بنظر شابا مليحا سائرا على ظهر البحر فاتى اليه وسلم عليه فرد عليه السلام ثم ان بلوقيا لما فارق الشاب رأى اربعة ملائكة سائرين على وجه البحر وسيرهم مثل البرق الخاطف فتقدم بلوقيا ووقف فى طريقهم فلما وصلوا اليه سلم عليهم بلوقيا وقال لهم اريد ان اسألكم بحق العزيز الجليل ما اسمكم ومن اين انتم والى اين تذهبون فقال واحد منهم انا اسمى جبريل والثانى اسمه اسرافيل والثالث اسمه ميكائيل والرابع اسمه عزرائيل وقد ظهر فى المشرق ثعبان عظيم وذلك الثعبان خرب الف مدينة واكل اهلها وقد امرنا الله تعالى ان نروح اليه ونمسكه ونرميه فى جهنم فتعجب منهم بلوقيا ومن عظمهم وسار على عادته ليلا ونهارا حتى وصل الى جزيرة فطلع عليها وتمشى فيها ساعة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا طلع الى الجزيرة وتمشى فيها ساعة فرأى شابا مليحا والنور يلوح من وجهه فلما قرب منه بلوقيا رآه جالسا بين قبرين مبنيين وهو ينوح ويبكى فاتى اليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام ثم ان بلوقيا سأل الشاب وقال له ما شأنك وما اسمك وما هذان القبران المبنيان اللذان انت جالس بينهما وما هذا البكاء الذى انت فيه فالتفت الشاب الى بلوقيا وبكى بكاء شديدا حتى بل ثيابه من دموعه وقال لبلوقيا اعلم يا اخى ان حكايتى عجيبة وقصتى غريبة واحب ان تجلس عندى حتى تحكى لى ما رأيت فى عمرك وما سبب مجيئك الى هذا المكان وما اسمك والى اين رائح واحكى لك انا الآخر حكايتى فجلس بلوقيا عند الشاب واخبره بجميع ما وقع له فى سياحته من الاول الى الآخر واخبره كيف مات

والده وخلقه وكيف فتح الخلوة ورأى فيها الصندوق وكيف رأى الكتاب الذى فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكيف تعلق قلبه به وطلع سايحا فى حبه واخبره بجميع ماوقع له الى ان وصل اليه ثم قال له وهذه حكايتى بتمامها والله اعلم وما ادرى بالذى يجرى على بعد ذلك فلما سمع الشاب كلامه تنهد وقال له يامسكين اى شئ رأيت فى عمرك اعلم يابلوقيا انى رأيت السيد سليمان فى زمانه ورأيت شيأ لايعد ولا يحصى وحكايتى عجيبة وقصتى غريبة واريد منك ان تقعد عندى حتى احكى لك حكايتى واخبرك بسبب قعودى هنا فلما سمع حاسب هذا الكلام من الحية تعجب وقال ياملكة الحيات بالله عليك ان تعتقينى وتأمرى احد خدمك ان يخرجنى الى وجه الارض واحلف لك يمينا انى لا ادخل الحمام طول عمرى فقالت له ان هذا امر لا يكون ولا اصدقك فى يمينك فلما سمع منها ذلك بكى وبكت الحيات جميعا لاجله وصارت تستشفع له عند الملكة وتقول لها نريد منك ان تأمرى احدانا ان تخرجه الى وجه الارض ويحلف لك يمينا انه لن يدخل الحمام طول عمره وكانت ملكة الحيات اسمها يمليخا فلما سمعت يمليخا منهن ذلك الكلام اقبلت على حاسب وحلفته فحلف لها ثم امرت حية ان تخرجه الى وجه الارض فاتته وارادت ان تخرجه فلما اتت تلك الحية لتخرجه قال لملكة الحيات اريد منك ان تحكى لى حكاية الشاب الذى قعد عنده بلوقيا ورأه جالسا بين القبرين فقالت اعلم يا حاسب ان بلوقيا جلس عند الشاب وحكى له حكايته من اولها الى آخرها لاجل ان يحكى له الاخر قصته ويخبره بما جرى له فى عمره ويعرفه بسبب قعوده بين القبرين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون بعد الاربعمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما حكى للشاب حكايته قال له الشاب واى شئ رأيت من العجائب يامسكين انا رأيت السيد سليمان فى زمانه ورأيت عجائب لاتعد ولا تحصى واعلم يا اخى ان ابى كان ملكا يقال له الملك طيغموس وكان يحكم على بلاد كابل وعلى بنى شهلان وهم عشرة الاف بهلوان كل بهلوان منهم يحكم على مائة مدينة ومائة قلعة باسوارها وكان يحكم على سبعة سلاطين ويحمل له المال من المشرق الى المغرب وكان عادلا فى حكمه وقد اعطاه الله تعالى كل هذا ومن عليه بذلك الملك العظيم ولم يكن له ولد وكان مراده فى عمره ان يرزقه الله ولدا ذكرا يخلفه فى ملكه بعد موته فاتفق انه طلب العلماء والمنجمين وارباب المعرفة والتقويم يوما من الايام وقال لهم انظروا طالعى وهل يرزقنى الله فى عمرى ولدا ذكرا يخلفنى فى ملكى ففتح المنجمون الكتب وحسبوا طالعه وناظره من الكواكب ثم قالوا له اعلم ايها الملك انك ترزق ولدا ذكرا ولا يكون ذلك الولد الا من بنت ملك خراسان فلما سمع طيغموس ذلك منهم فرح فرحا شديدا واعطى المنجمين والحكماء مالا كثيرا لايعد ولا يحصى وذهبوا الى حال سبيلهم وكان عند الملك طيغموس وزير كبير وكان بهلوانا عظيما مقوما بالف فارس وكان اسمه عين زار فقال له ياوزير اريد منك ان تتجهز للسفر الى بلاد خراسان وتخطب لى بنت الملك بهروان ملك خراسان وحكى الملك طيغموس لوزيره عين زار ما اخبره به المنجمون فلما سمع الوزير ذلك الكلام من الملك طيغموس ذهب من وقته وساعته وتجهز للسفر ثم برز الى خارج المدينة بالعساكر والابطال والجيوش هذا ما كان من امر الوزير واما ما كان من امر الملك طيغموس فانه جهز الف وخمسمائة حمل من الحرير والجواهر واللؤلؤ واليواقيت والذهب والفضة والمعادن وجهز شيأ كثيرا من آلة العرس وحملها على الجمال والبغال وسلمها الى وزيره

عين زار وكتب له كتابا مضمونه اما بعد فالسلام على الملك بهروان واعلم اننا قد جمعنا المنجمين والحكماء وارباب التقاويم فاخبرونا اننا نرزق ولدا ذكرا ولا يكون ذلك الولد الا من بنتك وها انا قد جهزت لك الوزير عين زار ومعه اشياء كثيرة من آلة العرس وانى قد اقمت وزيرى مقامى فى هذه المسألة ووكلته فى قبول العقد واريد من فضلك ان تقضى للوزير حاجته فانها حاجتى ولا تبدى فى ذلك اهمالا ولا امهالا وما فعلته من الجميل فهو مقبول منك والحذر من المخالفة فى ذلك واعلم يا ملك بهروان ان الله قد من على بمملكة كابل وملكنى على بنى شهلان واعطانى ملكا عظيما واذا تزوجت بنتك اكون انا وانت فى الملك شيأ واحدا وارسل اليك فى كل سنة ما يكفيك من المال وهذا قصدى منك ثم ان الملك طيغموس ختم الكتاب وناوله لوزيره عين زار وامره بالسفر الى بلاد خراسان فسافر الوزير حتى وصل الى قرب مدينة الملك بهروان فاعلموه بقدوم وزير الملك طيغموس فلما سمع الملك بهروان بذلك الكلام جهز امراء دولته للملاقاة وجهز معهم اكلا وشربا وغير ذلك واعطاهم عليقا لاجل الخيل وامرهم بالسير الى ملاقاة الوزير عين زار فحملوا الاحمال وساروا حتى اقبلوا على الوزير وحطوا الاحمال ونزلت الجيوش والعساكر وسلم بعضهم على بعض ومكثوا فى ذلك المكان مدة عشرة ايام وهم فى اكل وشرب ثم بعد ذلك ركبوا وتوجهوا الى المدينة وطلع الملك بهروان الى مقابلة وزير الملك طيغموس وعانقه وسلم عليه واخذه وتوجه به الى القلعة ثم ان الوزير قدم الاحمال والتحف وجميع الاموال للملك بهروان واعطاه الكتاب فاخذه الملك بهروان وقرأه وعرف ما فيه وفهم معناه وفرح فرحا شديدا ورحب بالوزير وقال له ابشر بما تريد ولو طلب الملك طيغموس روحى لاعطيته اياها وذهب الملك بهروان من وقته الى بنته وامها واقاربه واعلمهم بذلك الامر واستشارهم فيه فقالوا له افعل ما شئت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك بهروان استشار البنت وامها واقاربها فقالوا له افعل ما تريد ثم ان الملك بهروان رجع الى الوزير عين زار واعلمه بقضاء حاجته ومكث الوزير عند الملك بهروان مدة شهرين ثم بعد ذلك قال الوزير للملك اننا نريد منك ان تنعم علينا بما اتينا اليه فيه ونروح الى بلادنا فقال الملك للوزير سمعا وطاعة ثم امر باقامة العرس وتجهيز الجهاز ففعلوا ما امرهم به وبعد ذلك امر باحضار وزرائه وجميع الامراء من اكابر دولته فحضروا جميعا ثم امر باحضار الرهبان والقسيسين فحضروا وعقدوا عقد البنت للملك طيغموس وهيأ الملك بهروان آلة السفر واعطى بنته من الهدايا والتحف والمعادن ما يكل عنه الوصف وامر بفرش ازقة المدينة وزينها باحسن زينة وسافر الوزير عين زار ببنت الملك بهروان الى بلاده فلما وصل الخبر الى الملك طيغموس امر باقامة الفرح وزينة المدينة ثم ان الملك طيغموس دخل على بنت الملك بهروان وازال بكارتها فمضت عليها ايام قلائل حتى علقت منه ولما تمت اشهرها وضعت ولدا ذكرا مثل البدر فى ليلة تمامه فلما علم الملك طيغموس ان زوجته وضعت ولدا ذكرا فرح فرحا شديدا وطلب الحكماء والمنجمين وارباب التقاويم وقال لهم اريد منكم ان تنظروا طالع هذا المولود وناظره من الكواكب وتخبرونى بما يلقاه فى عمره فحسب الحكماء والمنجمون طالعه وناظره فرأوا الولد سعيدا ولكنه يحصل له فى اول عمره تعب وذلك عند بلوغه خمس عشرة سنة فان عاش بعدها رأى خيرا كثيرا وصار ملكا عظيما اعظم من ابيه وعظم سعده وهلك ضده وعاش عيشا هنيا وان مات

فلا سبيل الى ما فات والله اعلم فلما سمع الملك ذلك الخبر فرح فرحا شديدا وسماه جانشاه وسلمه للمراضع والدايات واحسن تربيته فلما بلغ من العمر خمس سنين علمه ابوه القرآن وصار يقرأ فى الانجيل وعلمه الحرب والطعن والضرب فى اقل من سبع سنين وجعل يركب للصيد والقنص وصار بهلوانا عظيما كاملا فى جميع آلات الفروسية وصار ابوه كلما سمع بفروسيته فى جميع الات الحرب فرح فرحا شديدا فاتفق فى يوم من الايام ان الملك طيغموس امر عسكره ان يركبوا للصيد والقنص فطلعت العسكر والجيوش وركب الملك طيغموس هو وابنه جانشاه وساروا الى البرارى والقفار واشتغلوا بالصيد والقنص الى عصر اليوم الثالث فسنحت لجانشاه غزالة عجيبة اللون وشردت قدامه فلما نظر جانشاه الى تلك الغزالة وهى شاردة قدامه تبعها واسرع فى الجرى وراءها وهى هاربة فاتبعه سبعة مماليك من مماليك طيغموس وذهبوا فى اثر جانشاه فلما نظروا الى سيدهم وهو مسرع وراء تلك الغزالة تراموا مسرعين وراءه وهم على خيل سوابق وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى بحر فتهاجم الجميع على الغزالة ليمسكوها قنصا ففرت منهم الغزالة والقت نفسها فى البحر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جانشاه هو ومماليكه لما هجموا على الغزالة ليمسكوها قنصا فرت منهم ورمت نفسها فى البحر وكان فى ذلك البحر مركب صياد فنطت فيه الغزالة فنزل جانشاه ومماليكه عن خيلهم الى المركب وقنصوا الغزالة وارادوا ان يرجعوا الى البر واذا بجانشاه ينظر الى جزيرة عظيمة فقال للمماليك الذين معه انى اريد ان نذهب الى الجزيرة فقالوا له سمعا وطاعة وساروا بالمركب الى ناحية الجزيرة حتى وصلوا اليها فلما وصلوا اليها طلعوا فيها وصاروا يتفرجون عليها ثم بعد ذلك عادوا الى المركب ونزلوا فيها وساروا والغزالة معهم قاصدين البر الذى اتوا منه فامسى عليهم المساء وتاهوا فى البحر فهبت عليهم الريح واجرت المركب فى وسط البحر وناموا الى وقت الصباح ثم انتبهوا وهم لا يعرفون الطريق ولم يزالوا سائرين فى البحر هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر الملك طيغموس والد جانشاه فانه تفقد ابنه فلم يره فامر العسكر ان يروح كل جماعة منهم الى طريق فصاروا دائرين يفتشون عن ابن الملك طيغموس وذهب جماعة منهم الى البحر فرأوا المملوك الذى خلوه عند الخيل فاتوه وسألوه عن سيده وعن الستة المماليك فاخبرهم المملوك بما جرى لهم فاخذوا المملوك والخيل ورجعوا الى الملك واخبروه بذلك الخبر فلما سمع الملك بذلك الكلام بكى بكاء شديدا ورمى التاج من فوق رأسه وعض يديه ندما وقام من وقته وكتب كتبا وارسلها الى الجزائر التى فى البحر وجمع مائة مركب وانزل فيها عساكر وامرهم ان يدوروا فى البحر ويفتشوا عن ولده جانشاه ثم ان الملك اخذ بقية العساكر والجيوش ورجع الى المدينة وصار فى نكد شديد ولما علمت والدة جانشاه بذلك لطمت وجهها واقامت عزاه هذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر جانشاه والمماليك الذين معه فانهم لم يزالوا تائهين فى البحر ولم يزل الرواد دائرين يفتشون عنهم فى البحر مدة عشرة ايام فما وجدوهم فرجعوا الى الملك واعلموه بذلك ثم ان جانشاه والمماليك الذين معه هب عليهم ريح عاصف وساق المركب التى هم فيها حتى اوصلها الى جزيرة وطلع جانشاه والستة المماليك من المركب ومشوا فى تلك الجزيرة حتى وصلوا الى عين ماء جارية فى وسط تلك الجزيرة فرأوا رجلا جالسا على بعد قريب من العين فاتوه وسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم ان الرجل كلمهم بكلام مثل صفير الطير

فلما سمع جانشاه كلام ذلك الرجل تعجب ثم ان الرجل التفت يمينا وشمالا وبينماهم يتعجبون من ذلك الرجل اذا هو قد انقسم نصفين وراح كل نصف في ناحية وبينماهم كذلك اذا اقبل عليهم اصناف رجال لا تحصى ولا تعد واتوا من جانب الجبل وساروا حتى وصلوا الى العين وصار كل واحد منهم منقسما نصفين ثم انهم اتوا جانشاه والمماليك ليأكلوهم فلما رآهم جانشاه يريدون ان ياكلهم هرب منهم وهربت معه المماليك فتبعهم هؤلاء الرجال فاكلوا من المماليك ثلاثة وبقي ثلاثة مع جانشاه ثم ان جانشاه نزل الى المركب ومعه الثلاثة المماليك ودفعوا المركب الى وسط البحر وساروا ليلا ونهارا وهم لا يعرفون اين تذهب بهم المركب ثم انهم ذبحوا الغزالة وصاروا يقتاتون منها فضربتهم الرياح فالقتهم الى جزيرة اخرى فنظروا الى تلك الجزيرة فرأوا فيها اشجارا وانهارا واثمارا وبساتين وفيها من جميع الفواكه والانهار تجري من تحت تلك الاشجار وهي كانها الجنة فلما رأى جانشاه تلك الجزيرة اعجبته وقال للمماليك من فيكم يطلع هذه الجزيرة وينظر لنا خبرها فقال مملوك منهم انا اطلع واكشف لكم عن خبرها وارجع اليكم فقال جانشاه هذا امر لا يكون وانما تطلعون انتم الثلاثة وتكشفون لنا عن خبر هذه الجزيرة وانا قاعد لكم في المركب حتى ترجعوا ثم ان جانشاه انزل الثلاثة المماليك ليكشفوا عن خبر الجزيرة فطلع المماليك الى الجزيرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان المماليك لما طلعوا الى الجزيرة داروا فيها شرقا وغربا فلم يجدوا فيها احدا ثم مشوا فيها الى وسطها فرأوا على بعد قلعة من الرخام الابيض وبيوتها من البلور الصافي وفي وسط تلك القلعة بستان فيه من جميع الفواكه اليابسة والرطبة ما يكل عنه الوصف وفيه جميع المشموم ورأوا في تلك القلعة اشجارا واثمارا واطيارا تناغي على تلك الاشجار وفيها بحيرة عظيمة وبجانب البحيرة ايوان عظيم وعلى ذلك الايوان كراسي منصوبة وفي وسط تلك الكراسي تخت منصوب من الذهب الاحمر مرصع بانواع الجواهر واليواقيت فلما رأى المماليك حسن تلك القلعة وذلك البستان داروا في تلك القلعة يمينا وشمالا فلم يروا فيها احدا ثم طلعوا من القلعة ورجعوا الى جانشاه واعلموه بما رأوه فلما سمع جانشاه ابن الملك منهم ذلك الخبر قال لهم اني لا بد لي من ان اتفرج في هذه القلعة ثم ان جانشاه طلع من المركب وطلعت معه المماليك وساروا حتى اتوا القلعة ودخلوا فيها فتعجب جانشاه من حسن ذلك المكان ثم داروا يتفرجون في البستان ويأكلون من تلك الفواكه ولم يزالوا دائرين الى وقت المساء ولما امسى عليهم المساء اتوا الى الكراسي المنصوبة وجلس جانشاه على التخت المنصوب في الوسط وصارت الكراسي منصوبة عن يمينه وشماله ثم ان جانشاه لما جلس على ذلك التخت صار يتفكر ويبكي على فراق تخت والده وعلى فراق بلاده واهله واقاربه وبكت حوله الثلاثة المماليك فبينما هم في ذلك الامر اذا بصيحة عظيمة من جانب البحر فالتفتوا الى جهة تلك الصيحة فاذا هم قردة كالجراد المنتشر وكانت تلك القلعة والجزيرة للقردة ثم ان هؤلاء القردة لما رأوا المركب التي اتى فيها جانشاه خسفوها على شاطئ البحر واتوا جانشاه وهو جالس في القلعة ثم قالت ملكة الحيات كل هذا يا حاسب مما يحكيه الشاب الجالس بين القبرين لبلوقيا فقال لها حاسب وما فعل جانشاه مع القردة وبعد ذلك قالت له ملكة الحيات لما طلع جانشاه وجلس على التخت والمماليك عن يمينه وشماله اقبل عليهم القردة فافزعوهم واخافوهم خوفا عظيما ثم دخلت

جماعة من القردة وتقدموا الى ان قربوا من التخت الجالس عليه جانشاه وقبلوا الارض قدامه ووضعوا ايديهم على صدورهم ووقفوا قدامه ساعة وبعد ذلك اقبلت جماعة منهم ومعهم غزلان فذبحوها واتوا بها الى القلعة وسلخوها وقطعوا لحمها وشووها حتى طابت للاكل وحطوها فى صوان من الذهب والفضة ومدوا السماط واشاروا الى جانشاه وجماعته ان يأكلوا فنزل جانشاه من فوق التخت واكل واكلت معه القرود والمماليك حتى اكتفوا من الاكل ثم ان القرود رفعوا سماط الطعام واتوا بفاكهة فاكلوا منها وحمدوا الله تعالى ثم ان جانشاه اشار الى اكابر القرود وقال لهم ما شأنكم ولمن هذا المكان فقال له القرود بالاشارة اعلم ان هذا المكان كان لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وكان يأتى اليه فى كل سنة مرة يتفرج فيه ويروح من عندنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جانشاه اخبره القرود عن القلعة وقالوا له ان هذا المكان كان لسيدنا سليمان بن داود وكان يأتى اليه فى كل سنة يتفرج فيه ويروح من عندنا ثم قال له القرود واعلم ايها الملك انك بقيت علينا سلطانا ونحن فى خدمتك وكل واشرب وكلما امرتنا به نفعله ثم قام القرود وقبلوا الارض بين يديه وانصرف كل واحد منهم الى حال سبيله ونام جانشاه فوق التخت ونام المماليك حوله على الكراسى الى وقت الصباح ثم دخل عليه الاربعة وزراء الرؤساء على القرود وعساكرهم حتى امتلأ ذلك المكان وصاروا حوله صفا بعد صف واتت الوزراء واشاروا الى جانشاه ان يحكم بينهم بالصواب ثم صاح القرود على بعضهم وانصرفوا وبقى منهم جانب قدام الملك جانشاه من اجل الخدمة ثم بعد ذلك اقبل قرود معهم كلاب فى صورة الخيل وفى رأس كل كلب منهم سلسلة فتعجب جانشاه من هؤلاء الكلاب ومن عظم خلقتها ثم ان وزراء القرود اشاروا لجانشاه ان يركب ويسير معهم فركب جانشاه والثلاثة مماليك وركب معهم عسكر القرود وصاروا مثل الجراد المنتشر وبعضهم راكب وبعضهم ماش فتعجب من امورهم ولم يزالوا سائرين الى شاطئ البحر فلما رأى جانشاه المركب التى كان راكبا فيها قد خسفت التفت الى وزرائه من القرود وقال لهم اين المركب التى كانت هنا فقالوا له اعلم ايها الملك انكم لما اتيتم الى جزيرتنا علمنا انك تكون سلطانا علينا وخفنا ان تهربوا منا اذا اتيتنا عندكم وتنزلوا المركب فمن اجل ذلك خسفناها فلما سمع جانشاه هذا الكلام التفت الى المماليك وقال لهم ما بقى لنا حيلة فى الرواح من عند هؤلاء القرود ولكن نصبر لما قدره الله تعالى ثم ساروا وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى شاطئ نهر وفى جانب ذلك النهر جبل عال فنظر جانشاه الى ذلك الجبل فرأى فيه غيلانا كثيرة فالتفت الى القرود وقال لهم ما شأن هؤلاء الغيلان فقال له القرود اعلم ايها الملك ان هؤلاء الغيلان اعداؤنا ونحن اتينا لنقاتلهم فتعجب جانشاه من هؤلاء الغيلان ومن عظم خلقتهم وهم راكبون على الخيل ورؤس بعضهم على صورة رؤس البقر وبعضهم على صورة الجمال فلما رأى الغيلان عسكر القرود هجموا عليهم ووقفوا على شاطئ النهر وصاروا يرجمونهم بشئ من الحجارة فى صورة العواميد وحصل بينهم حرب عظيم فلما رأى جانشاه الغيلان غلبوا القرود زعق على المماليك وقال لهم اطلعوا القسى والنشاب وارموا عليهم بالنبال حتى تقتلوهم وتردوهم عنا ففعل المماليك ما امرهم به جانشاه حتى حصل للغيلان كرب عظيم وقتل منهم خلق كثير وانهزموا وولوا هاربين فلما رأى القرود من جانشاه هذا الامر نزلوا فى النهر وعدوه

وجانشاه معهم وطردوا الغيلان حتى غابوا عن اعينهم وانهزموا وقتل منهم كثير ولم يزل جانشاه والقرود سائرين حتى وصلوا الى جبل عال فنظر جانشاه الى ذلك الجبل فوجد فيه لوحا من المرمر مكتوبا فيه اعلم يا من دخل هذه الارض انك تصير سلطانا على هؤلاء القرود وما يتأتى لك رواح من عندهم الا ان رحت من الدرب الشرقي بناحية الجبل وطوله ثلاثة اشهر وانت سائر بين الوحوش والغيلان والمردة والعفاريت وبعد ذلك تنتهي الى البحر المحيط بالدنيا او رحت من الدرب الغربي وطوله اربعة اشهر وفي رأسه وادي النمل فاذا وصلت الى وادي النمل ودخلت فيه فاحترز على نفسك من هذا النمل حتى تنتهي الى جبل عال وذلك الجبل يتوقد مثل النار ومسيرته عشرة ايام فلما رأى جانشاه ذلك اللوح وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جانشاه لما رأى ذلك اللوح قرأه ورأى فيه ما ذكرناه ورأى في اخر الكلام ثم تنتهي الى نهر عظيم وهو يجري وجريانه يخطف البصر من شدة عزمه وذلك النهر في كل سبت ييبس وبجانبه مدينة اهلها كلهم يهود ولدين محمد جحود ما فيهم مسلم ابدا وما في هذه الارض الا هذه المدينة ومادمت مقيما عند القرود هم منصورون على الغيلان واعلم ان هذا اللوح كتبه السيد سليمان ابن داود عليهما السلام فلما قرأه جانشاه بكى بكاء شديدا ثم التفت الى مماليكه واعلمهم بما هو مكتوب على اللوح وبعد ذلك ركب وركب حوله عساكر القرود وصاروا فرحانين بالنصر على اعدائهم ورجعوا الى قلعتهم ومكث جانشاه في القلعة سلطانا على القرود سنة ونصفا ثم بعد ذلك امر جانشاه عساكر القرود ان يركبوا للصيد والقنص فركبوا وركب معهم جانشاه ومماليكه وساروا في البراري والقفار ولم يزالوا سائرين من مكان الى مكان حتى عرف وادي النمل ورأى الامارة المكتوبة في اللوح المرمر فلما رأى ذلك امرهم ان ينزلوا في ذلك المكان فنزلوا ونزلت عساكر القرود ومكثوا في اكل وشرب مدة عشرة ايام ثم اختلى جانشاه بمماليكه ليلة من الليالي وقال لهم اني اريد ان نهرب ونروح الى وادي النمل ونسير الى مدينة اليهود لعل الله ينجينا من هؤلاء القرود ونروح الى حال سبيلنا فقالوا له سمعا وطاعة ثم انه صبر حتى مضى من الليل شيء قليل وقام وقامت معه المماليك وتسلحوا باسلحتهم وحزموا اوساطهم بالسيوف والخناجر وما اشبه ذلك من الات الحرب وخرج جانشاه هو ومماليكه وساروا من اول الليل الى وقت الصبح فلما انتبه القرود من نومهم لم يروا جانشاه ولا مماليكه فعلموا انهم هربوا منهم فقامت جماعة من القرود وركبوا وساروا الى ناحية الدرب الشرقي وجماعة ركبوا وساروا الى وادي النمل فبينما القرود سائرون اذ نظروا جانشاه والمماليك معه وهم مقبلون على وادي النمل فلما رأوهم اسرعوا وراهم فلما نظرهم جانشاه هرب وهربت معه المماليك ودخلوا وادي النمل فما مضت ساعة من الزمان الا والقرود قد هجمت عليهم وارادوا ان يقتلوا جانشاه هو ومماليكه واذا هم بنمل قد خرج من تحت الارض مثل الجراد المنتشر كل نملة منه قدر الكلب فلما رأى النمل القرود هجم عليهم واكل منهم جماعة وقتل من النمل جماعة كثيرة لكن حصل النصر للنمل وصارت النملة تأتي الى القرد وتضربه فتقسمه نصفين وصار العشرة قرود يركبون النملة الواحدة ويمسكونها ويقسمونها نصفين ووقع بينهم حرب عظيم الى وقت المساء ولما امسى الوقت هرب جانشاه هو والمماليك في بطن الوادي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد انه لما اقبل المساء هرب جانشاه هو ومماليكه في بطن الوادي الى الصباح فلما اصبح الصباح اقبل القرود على جانشاه فلما رآهم زعق على مماليكه وقال لهم اضربوهم بالسيوف فسحب المماليك سيوفهم وجعلوا يضربون القرود يمينا وشمالا فتقدم قرد عظيم له انياب مثل انياب الفيل واتى الى واحد من المماليك وضربه فقسمه نصفين وتكاثرت القرود على جانشاه فهرب الى اسفل الوادي ورأى هناك نهرا عظيما وبجانبه نمل عظيم فلما رأى النمل جانشاه مقبلا عليه احتاط به واذا بمملوك ضرب نملة بالسيف فقسمها نصفين فلما رأت عساكر النمل ذلك تكاثروا على المملوك وقتلوه فبينما هم في هذا الامر واذا بالقرود قد اقبلوا من فوق الجبل وتكاثروا على جانشاه فلما رأى جانشاه اندفاعهم عليه نزع ثيابه ونزل النهر ونزل معه المملوك الذي بقي وعاما في الماء الى وسط النهر ثم ان جانشاه رأى شجرة في شاطئ النهر من الجهة الاخرى فمد يده الى غصن من اغصانها وتناوله وتعلق به وطلع الى البر واما المملوك فانه غلب عليه التيار فاخذه وقطعه في الجبل وصار جانشاه واقفا وحده في البر يعصر ثيابه وينشفهما في الشمس ووقع بين القرود والنمل قتال عظيم ثم رجع القرود الى بلادهم هذا ما كان من امر القرود والنمل واما ما كان من امر جانشاه فانه صار يبكي الى وقت المساء ثم دخل مغارة واستكن فيها وقد خاف خوفا شديدا واستوحش لفقد مماليكه ثم نام في تلك المغارة الى الصباح ثم سار ولم يزل سائر الليالي والايام وهو يأكل من الاعشاب حتى وصل الى الجبل الذي يتوقد مثل النار فلما اتى اليه سار فيه حتى وصل الى النهر الذي ينشف في كل يوم سبت فلما وصل الى ذلك النهر رآه نهرا عظيما وبجانبه مدينة عظيمة وهي مدينة اليهود التي رآها مكتوبة في اللوح فاقام هنالك الى ان اتى يوم السبت ونشف النهر ثم مشى من النهر حتى وصل الى مدينة اليهود فلم ير فيها احدا فمشى فيها حتى وصل الى باب بيت ففتحه ودخله فرأى اهله ساكتين لا يتكلمون ابدا فقال لهم اني رجل غريب جائع فقالوا له بالاشارة كل واشرب ولا تتكلم فقعد عندهم واكل وشرب ونام تلك الليلة فلما اصبح الصباح سلم عليه صاحب البيت ورحب به وقال له من اين اتيت والى اين رائح فلما سمع جانشاه كلام ذلك اليهودي بكى بكاء شديدا وحكى له قصته واخبره بمدينة ابيه فتعجب اليهودي من ذلك وقال له ما سمعنا بهذه المدينة قط غير اننا كنا نسمع من قوافل التجار ان هنالك بلادا تسمى بلاد اليمن فقال جانشاه لليهودي هذه البلاد التي تخبر بها التجار لا تبعد عن هذا المكان فقال له اليهودي ان تجار تلك القوافل يزعمون ان مدة سفرهم من بلادهم الى هنا سنتان وثلاثة اشهر فقال جانشاه لليهودي ومتى تأتي القافلة فقال له تأتي في السنة القابلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جانشاه لما سأل اليهودي عن مجيء القافلة قال له تأتي في السنة القابلة فلما سمع جانشاه كلامه بكى بكاء شديدا وحزن على نفسه وعلى مماليكه وعلى فراق امه وابيه وعلى ما جرى له في سفره فقال له اليهودي لا تبك يا شاب واقعد عندنا حتى تأتي القافلة ونحن نرسلك معها الى بلادك فلما سمع جانشاه ذلك الكلام قعد عند اليهودي مدة شهرين وصار في كل يوم يخرج الى ازقة المدينة ويتفرج فيها فاتفق انه خرج على عادته يوما من الايام ودار في شوارع المدينة يمينا وشمالا فسمع رجلا ينادي ويقول من يأخذ الف دينار وجارية حسناء بديعة الحسن والجمال ويعمل لي شغلا من وقت الصبح

الى وقت الظهر فلم يجبه احد فلما سمع جانشاه كلام المنادى قال فى نفسه لولا ان هذا الشغل خطر ما كان صاحبه يعطى الف دينار وجارية حسناء فى شغل من الصبح الى الظهر ثم ان جانشاه تمشى الى المنادى وقال له انا اعمل هذا الشغل فلما سمع المنادى من جانشاه هذا الكلام اخذه واتى به الى بيت عال فدخل هو وجانشاه ذلك البيت فوجده بيتا عظيما ووجد هناك رجلا يهوديا تاجرا جالسا على كرسى من الابنوس فوقف المنادى قدامه وقال له ايها التاجر ان لى ثلاثة شهور وانا انادى فى المدينة فلم يجبنى احد الا هذا الشاب فلما سمع التاجر كلام المنادى رحب بجانشاه واخذه ودخل به الى مكان نفيس واشار الى عبيده ان يأتوا له بالطعام فمدوا السماط واتوا بانواع الاطعمة فاكل التاجر وجانشاه وغسلا ايديهما واتوا بالمشروب فشربا ثم ان التاجر قام واتى لجانشاه بكيس فيه الف دينار واتى له بجارية بديعة الحسن والجمال وقال له خذ هذه الجارية وهذا المال فى الشغل الذى تعمله فاخذ جانشاه الجارية والمال واجلس الجارية بجانبه وقال له التاجر فى غد اعمل لنا الشغل ثم ذهب التاجر من عنده ونام جانشاه هو والجارية فى تلك الليلة ولما اصبح الصباح راح الى الحمام فامر التاجر عبيده ان يأتوا اليه ببدلة من الحرير فاتوا له ببدلة نفيسة من الحرير وصبروا حتى خرج من الحمام والبسوه البدلة واتوا به الى البيت فامر التاجر عبيده ان يأتوا بالجنك والعود والمشروب فاتوا اليهما بذلك فشربا ولعبا وضحكا الى ان مضى من الليل نصفه وبعد ذلك ذهب التاجر الى حريمه ونام جانشاه مع الجارية الى وقت الصباح ثم راح الى الحمام فلما رجع من الحمام جاء اليه التاجر وقال انى اريد ان تعمل لنا الشغل فقال جانشاه سمعا وطاعة فامر التاجر عبيده ان يأتوا ببغلتين فاتوه ببغلتين فركب بغلة وامر جانشاه ان يركب البغلة الثانية فركبها ثم ان جانشاه والتاجر سارا من وقت الصباح الى وقت الظهر حتى وصلا الى جبل عال ماله حد فى العلو فنزل التاجر من فوق ظهر البغلة وامر جانشاه ان ينزل فنزل جانشاه ثم ان التاجر ناول جانشاه سكينا وحبلا وقال له اريد منك ان تذبح هذه البغلة فشمر جانشاه ثيابه واتى الى البغلة ووضع الحبل فى اربعتها ورماها على الارض واخذ السكين وذبحها وسلخها وقطع اربعتها ورأسها وصارت كوم لحم فقال له التاجر امرتك ان تشق بطنها وتدخل فيه واخيط عليك وتقعد هناك ساعة من الزمان ومهما تراه فى بطنها فاخبرنى به فشق جانشاه بطن البغلة ودخلها وخاطه عليه التاجر ثم تركه وبعد عنه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان التاجر لما خاط بطن البغلة على جانشاه تركه وبعد عنه واستخفى فى ذيل الجبل وبعد ساعة نزل على البغلة طائر عظيم فاختطفها وطار ثم حط بها على اعلا الجبل واراد ان يأكلها فحس جانشاه بالطائر فشق بطن البغلة وخرج منها فجفل الطائر لما رأى جانشاه وطار وراح الى حال سبيله فقام جانشاه على قدميه وصار ينظر يمينا وشمالا فلم ير احدا الا رجالا ميتة يابسة من الشمس فلما رأى ذلك قال فى نفسه لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انه نظر الى اسفل الجبل فرأى التاجر واقفا تحت الجبل ينظر الى جانشاه فلما رآه قال له ارم لى من الحجارة التى حولك حتى ادلك على طريق تنزل منه فرمى جانشاه من تلك الحجارة نحو مائتى حجر وكانت تلك الحجارة من الياقوت والزبرجد والجواهر الثمينة ثم ان جانشاه قال للتاجر دلنى على الطريق وانا ارمى لك مرة اخرى فلم التاجر تلك الحجارة وحملها

على البغلة التي كان راكبها وسار ولم يرد له جوابا وبقي جانشاه فوق الجبل وحده فصار يستغيث ويبكي ثم مكث في الجبل ثلاثة ايام وبعد الثلاثة ايام قام وسار في عرض الجبل مدة شهرين وهو يأكل من اعشاب الجبل ومازال سائرا حتى وصل في سيره الى طرف الجبل فلما وصل الى ذيل الجبل رأى واديا على بعد وفيه اشجار واثمار واطيار تسبح الله الواحد القهار فلما رأى جانشاه ذلك الوادي فرح فرحا شديدا وقصده ولم يزل ماشيا ساعة من الزمان حتى وصل الى شرم في الجبل ينزل منه السيل فنزل منه وسار حتى وصل الى الوادي الذي رآه وهو على الجبل فنزل الوادي وصار يتفرج فيه يمينا وشمالا ومازال يمشي ويتفرج حتى وصل الى قصر عال شاهق في الهواء فتقرب جانشاه من ذلك القصر حتى وصل الى بابه فرأى شيخا مليح الهيئة يلمع النور من وجهه وبيده عكاز من الياقوت وهو واقف على باب القصر فتمشى جانشاه حتى قرب منه وسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به وقال له اجلس يا ولدي فجلس جانشاه على باب ذلك القصر ثم ان الشيخ سأله وقال له من اين اتيت الى هذه الارض وابن آدم ما داسها قط والى اين رائح فلما سمع جانشاه كلام الشيخ بكى بكاء شديدا من كثرة ما قاساه وخنقه البكاء فقال له الشيخ يا ولدي اترك البكاء فقد اوجعت قلبي ثم قام الشيخ واتى اليه بشيء من الاكل وحطه قدامه وقال له كل من هذا فاكل جانشاه حتى اكتفى وحمد الله تعالى ثم ان الشيخ بعد ذلك سأل جانشاه وقال له يا ولدي اريد منك ان تحكي لي حكايتك وتخبرني بما جرى لك فحكى له حكايته واخبره بجميع ما جرى له من اول الامر الى ان وصل اليه فلما سمع كلامه تعجب منه عجبا شديدا فقال جانشاه للشيخ اريد منك ان تخبرني بصاحب هذا الوادي ولمن هذا القصر العظيم فقال الشيخ لجانشاه اعلم يا ولدي ان هذا الوادي وما فيه وذلك القصر وما حواه للسيد سليمان بن داود عليهما السلام وانا اسمي الشيخ نصر ملك الطيور واعلم ان السيد سليمان وكلني بهذا القصر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ نصر ملك الطيور قال لجانشاه واعلم ان السيد سليمان وكلني بهذا القصر وعلمني منطق الطير وجعلني حاكما على جميع الطير الذي في الدنيا وفي كل سنة يأتي الطير الى هذا القصر وننظره ويروح وهذا سبب قعودي في هذا المكان فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر بكى بكاء شديدا وقال له يا والدي كيف تكون حيلتي حتى اروح الى بلادي فقال له الشيخ اعلم يا ولدي انك بالقرب من جبل قاف وليس لك رواح من هذا المكان الا اذا اتت الطيور واوصي عليك واحدا منها فيوصلك الى بلادك فاقعد عندي في هذا القصر وكل واشرب وتفرج في هذه المقاصير حتى تأتي الطيور فقعد جانشاه عند الشيخ وصار يدور في الوادي ويأكل من تلك الفواكه ويتفرج ويضحك ويلعب ولم يزل مقيما في ألذ عيش مدة من الزمان حتى قرب مجيء الطيور من اماكنها لزيارة الشيخ نصر فلما علم الشيخ نصر بمجيء الطيور قام على قدميه وقال لجانشاه يا جانشاه خذ هذه المفاتيح وافتح المقاصير التي في هذا القصر وتفرج على ما فيها الا المقصورة الفلانية فاحذر ان تفتحها ومتى خالفتني وفتحتها ودخلتها لا يحصل لك خير ابدا واوصى جانشاه بهذه الوصية واكد عليه فيها وسار من عنده لملاقاة الطيور فلما نظرت الطيور الشيخ نصر اقبلت عليه وقبلت يديه جنسا بعد جنس هذا ما كان من امر الشيخ نصر واما ما كان من امر جانشاه فانه قام على قدميه وصار دائرا يتفرج على القصر يمينا وشمالا وفتح جميع المقاصير التي في القصر حتى وصل الى

المقصورة التى حذره الشيخ نصر من فتحها فنظر الى باب تلك المقصورة فاعجبه ورأى عليه قفلا من الذهب فقال فى نفسه ان هذه المقصورة احسن من جميع المقاصير التى فى القصر ياترى ما يكون فى هذه المقصورة حتى منعنى الشيخ نصر من الدخول فيها فلا بد لى من ان ادخل هذه المقصورة وانظر الذى فيها وما كان مقدرا على العبد لابد ان يستوفيه ثم مد يده وفتح المقصورة ودخلها فرأى فيها بحيرة عظيمة وبجانب البحيرة قصر صغير وهو مبنى من الذهب والفضة والبلور وشبابيكه من الياقوت ورخامه من الزبرجد الاخضر والبلخش والزمرد والجواهر مرصعة فى الارض على هيئة الرخام وفى وسط ذلك القصر فسقية من الذهب ملآنة بالماء وحول تلك الفسقية وحوش وطيور مصنوعة من الذهب والفضة يخرج من بطونها الماء واذا هب النسيم يدخل فى اذانها فتصفر كل صورة بلغتها وبجانب الفسقية ليوان عظيم وعليه تخت عظيم من الياقوت مرصع بالدر والجواهر وعلى ذلك التخت خيمة منصوبة من الحرير الاخضر مزركشة بالفصوص والمعادن الفاخرة ومقدار سعتها خمسون ذراعا وداخل تلك الخيمة مخدع فيه البساط الذى كان للسيد سليمان عليه السلام ورأى جانشاه حول ذلك القصر بستانا عظيما وفيه اشجار واثمار وانهار وفى دائر القصر مزارع من الورد والريحان والنسرين ومن كل مشموم واذا هبت الرياح على الاشجار تمايلت تلك الاغصان ورأى جانشاه فى ذلك البستان من جميع الاشجار رطبا ويابسا وكل ذلك فى تلك المقصورة فلما رأى جانشاه هذا الامر تعجب منه غاية العجب وصار يتفرج فى ذلك البستان وفى ذلك القصر على ما فيهما من العجائب والغرائب ونظر الى البحيرة فرأى حصاها من الفصوص النفيسة والجواهر الثمينة والمعادن الفاخرة ورأى فى تلك المقصورة شيأ كثيرا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جانشاه رأى فى تلك المقصورة شيأ كثيرا فتعجب منه ثم تمشى حتى دخل القصر الذى فى تلك المقصورة وطلع على التخت المنصوب على الليوان بجانب الفسقية ودخل الخيمة المنصوبة فوقه ونام فى تلك الخيمة مدة من الزمان ثم افاق وقام تمشى حتى خرج من باب القصر وجلس على كرسى قدام باب القصر وهو يتعجب من حسن ذلك المكان فبينما هو جالس اذ اقبل عليه من الجو ثلاثة طيور فى صفة الحمام ثم ان الطيور حطوا بجانب البحيرة ولعبوا ساعة وبعد ذلك نزعوا ما عليهم من الريش فصاروا ثلاث بنات كانهن الاقمار ليس لهن فى الدنيا شبيه ثم نزلن البحيرة وسبحن فيها ولعبن وضحكن فلما رآهن جانشاه تعجب من حسنهن وجمالهن واعتدال قدودهن ثم طلعن الى البر ودرن يتفرجن فى البستان فلما رآهن جانشاه طلعن الى البر كاد عقله ان يذهب وقام على قدميه وتمشى حتى وصل اليهن فلما قرب منهن سلم عليهن فرددن عليه السلام ثم انه سألهن وقال لهن من انتن ايها السيدات الفاخرات ومن اين اقبلتن فقالت له الصغيرة نحن اتينا من ملكوت الله تعالى لنتفرج فى هذا المكان فتعجب من حسنهن ثم قال للصغيرة ارحمينى وتعطفى على وارثى لحالى وما جرى لى فى عمرى فقالت له دع عنك هذا الكلام واذهب الى حال سبيلك فلما سمع جانشاه منها هذا الكلام بكى بكاء شديدا واشتدت به الزفرات وانشد هذه الابيات

بدت لى فى البستان بالحلل الخضر ✻ مفككة الازرار محلولة الشعر

فقلت لها ما الاسم قالت انا التي * كويت قلوب العاشقين على الجمر
شكوت اليها مالقيت من الهوى * فقالت الى صخر شكوت ولم تدر
فقلت لها ان كان قلبك صخرة * فقد انبع الله الزلال من الصخر

فلما سمع البنات هذا الشعر من جانشاه ضحكن ولعبن وغنين وطربن ثم ان جانشاه اتى اليهن بشيء من الفواكه فاكلن وشربن ونمن مع جانشاه تلك الليلة الى الصباح فلما اصبح الصباح لبسن البنات ثيابهن الريش وصرن في هيئة الحمام وطرن ذاهبات الى حال سبيلهن فلما رآهن جانشاه طايرات وقد غبن عن عيونه كاد عقله ان يطير معهن وزعق زعقة عظيمة ووقع مغشيا عليه ومكث في غشيته طول ذلك اليوم فبينما هو طريح على الارض واذا بالشيخ نصر قد اتى من ملاقاة الطيور وفتش على جانشاه ليرسله مع الطيور ويروح الى بلاده فلم يره فعلم الشيخ نصر انه دخل المقصورة وقد كان الشيخ نصر قال للطيور ان عندي ولدا صغيرا جابته المقادير من بلاد بعيدة الى هذه الارض واريد منكم ان تحملوه وتوصلوه الى بلاده فقالوا له سمعا وطاعة ولم يزل الشيخ نصر يفتش على جانشاه حتى اتى الى باب المقصورة التي نهاه عن فتحها فوجده مفتوحا فدخل فرأى جانشاه مرميا تحت شجرة وهو مغشي عليه فاتاه بشيء من المياه العطرية ورشه على وجهه فافاق من غشيته وصار يلتفت وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ نصر لما رأى جانشاه مرميا تحت شجرة اتاه بشيء من المياه العطرية ورشه على وجهه فافاق من غشيته وصار يلتفت يمينا وشمالا فلم ير عنده احدا سوى الشيخ نصر فزادت به الحسرات وانشد هذه الابيات

تبدت كبدر التم في ليلة السعد * منعمة الاطراف ممشوقة القد
لها مقلة تسبي العقول بسحرها * وثغر حكى الياقوت في حمرة الورد
تحدر فوق الردف اسود شعرها * فاياك اياك الحباب من الجعد
لقد رقت الاعطاف منها وقلبها * على صبها اقسى من الحجر الصلد
وترسل سهم اللحظ من قوس حاجب * يصيب ولم يخطئ ولو كان من بعد
فيا حسنها قد فاق كل ملاحة * وليس لها بين البرية من ند

فلما سمع الشيخ نصر من جانشاه هذه الاشعار قال له يا ولدي اما قلت لك لا تفتح هذه المقصورة ولا تدخلها ولكن اخبرني يا ولدي بما رأيت فيها واحك لي حكايتك وعرفني ما جرى لك فحكى له جانشاه حكايته واخبره بما جرى له مع الثلاث بنات وهو جالس فلما سمع الشيخ نصر كلامه قال له اعلم يا ولدي ان هذه البنات من بنات الجان وفي كل سنة يأتين الى هذا المكان فيلعبن وينشرحن الى وقت العصر ثم يذهبن الى بلادهن فقال له جانشاه واين بلادهن فقال له الشيخ نصر والله يا ولدي ما اعلم اين بلادهن ثم ان الشيخ نصر قال له قم معي وقو نفسك حتى ارسلك الى بلادك مع الطيور وخل عنك هذا العشق فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فلما افاق قال له يا والدي انا لا اريد الرواح الى بلادي حتى اجتمع بهذه البنات واعلم يا والدي اني ما بقيت اذكر اهلي ولو اموت بين يديك ثم بكى وقال انا رضيت بان انظر وجه

من عشقتها ولو في السنة مرة واحدة ثم صعد الزفرات وانشد هذه الابيات

ليت الخيال على الاحباب ما طرق * وليت هذا الهوى للناس ما خلق
لولا حرارة قلبي من تذكركم * ما سال دمعي على خدي ولا اندفق
اصبر القلب في يومي وليلته * وصار جسمي بنار الحب محترقا

ثم ان جانشاه وقع على رجلي الشيخ نصر وقبلهما وبكى بكاء شديدا وقال له ارحمني يرحمك الله واعني على بلوتي يعينك الله فقال له الشيخ نصر يا ولدي والله لا اعرف هذه البنات ولا ادري اين بلادهن ولكن يا ولدي حيث تولعت باحداهن فاقعد عندي الى مثل هذا العام لانهن يأتين في السنة القابلة مثل هذا اليوم فاذا قربت الايام التي يأتين فيها فاكمن مستخفيا في البستان تحت شجرة ولما ينزلن البحيرة ويسبحن فيها ويلعبن ويبعدون عن ثيابهن فخذ ثياب التي تريدها منهن فاذا نظرنك يطلعن الى البر ليلبسن ثيابهن وتقول لك التي اخذت ثيابها بعذوبة كلام وحسن ابتسام اعطني ثيابي يا اخي حتى البسها واستتر بها ومتى قبلت كلامها واعطيتها ثيابها فانك لا تبلغ مرادك منها ابدا بل تلبس ثيابها وتروح الى اهلها ولا تنظرها بعد ذلك ابدا فاذا ظفرت بثيابها فاحفظها وحطها تحت ابطك ولا تعطها اياها حتى ارجع من ملاقاة الطيور واوفق بينك وبينها وارسلك الى بلادك وهي معك وهذا الذي اقدر عليه يا ولدي لا غير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشيخ نصر قال لجانشاه احفظ ثياب التي تريدها ولا تعطها اياها حتى ارجع من ملاقاة الطيور وهذا الذي اقدر عليه يا ولدي لا غير فلما سمع جانشاه كلام الشيخ نصر اطمأن قلبه وقعد عنده الى ثاني عام وصار يعد الماضي من الايام التي تأتي الطيور عقبها فلما جاء ميعاد مجيء الطيور اتى الشيخ نصر الى جانشاه وقال له اعمل بالوصية التي اوصيتك بها من امر ثياب البنات فانني ذاهب الى ملاقاة الطيور فقال جانشاه سمعا وطاعة لامرك يا والدي ثم ذهب الشيخ نصر الى ملاقاة الطيور وبعد ذهابه قام جانشاه وتمشى حتى دخل البستان واختفى تحت شجرة بحيث لا يراه احد وقعد اول يوم وثاني يوم وثالث يوم فلم تأت اليه البنات فقلق وصار في بكاء وانين ناشئ عن قلب حزين ولم يزل يبكي حتى اغمي عليه ثم بعد ساعة افاق وجعل ينظر تارة الى السماء وتارة ينظر الى الارض وتارة ينظر الى البحيرة وتارة ينظر الى البر وقلبه يرتجف من شدة العشق فبينما هو على هذه الحالة اذ اقبل عليه من الجو ثلاث طيور في صفة الحمام ولكن كل حمامة قدر النسر ثم انهن نزلن بجانب البحيرة وتلفتن يمينا وشمالا فلم يرين احدا من الانس ولا من الجن فنزعن ثيابهن ونزلن البحيرة وصرن يلعبن ويضحكن وينشرحن وهن عرايا كسبائك الفضة ثم ان الكبيرة فيهن قالت لهن اخشى يا اخواتي ان يكون احد مختفيا لنا في هذا القصر فقالت الوسطى منهن يا اختي ان هذا القصر من عهد سليمان ما دخله انس ولا جن فقالت الصغيرة منهن وهي تضحك والله يا اخواتي ان كان احد مختفيا في هذا المكان فانه لا يأخذ الا انا ثم انهن لعبن وضحكن وقلب جانشاه يرتجف من فرط الغرام وهو مختف تحت الشجرة ينظرهن وهن لا ينظرنه ثم انهن سبحن في الماء حتى وصلن الى وسط البحيرة وبعدن عن ثيابهن فقام جانشاه على قدميه وهو يجري كالبرق الخاطف واخذ ثياب البنت الصغيرة وهي التي تعلق قلبه بها وكان اسمها شمسه فلما التفتت رأت

جانشاه فارتجفت قلوبهن واستترن منه بالماء واتين الى قرب البر ثم نظرن الى وجه جانشاه فرأينه كأنه البدر فى ليلة تمامه فقلن له من انت وكيف اتيت الى هذا المكان واخذت ثياب السيدة شمسة فقال لهن تعالين عندى حتى احكى لكن ما جرى لى فقالت السيدة شمسة ما خبرك ولاى شىء اخذت ثيابى وكيف عرفتنى من دون اخواتى فقال لها جانشاه يا نور عينى اطلعى من الماء حتى احكى لك حكايتى واخبرك بما جرى لى واعلمك بسبب معرفتى بك فقالت له يا سيدى وقرة عينى وثمرة فؤادى اعطنى ثيابى حتى البسها واستتر بها واطلع عندك فقال لها جانشاه يا سيدة الملاح ما يمكن انى اعطيك ثيابك واقتل نفسى من الغرام فلا اعطيك ثيابك الا اذا اتى الشيخ نصر ملك الطيور فلما سمعت السيدة شمسة كلام جانشاه قالت له ان كنت لا تعطينى ثيابى فتأخر عنا قليلا حتى يطلع اخواتى الى البر ويلبسن ثيابهن ويعطيننى شيأ استتر به فقال لها جانشاه سمعا وطاعة ثم تمشى من عندهن الى القصر ودخله فطلعت السيدة شمسة هى واخواتها الى البر ولبسن ثيابهن ثم ان اخت السيدة شمسة الكبيرة اعطتها ثوبا من ثيابها لا يمكنها الطيران به والبستها اياه ثم قامت السيدة شمسة وهى كالبدر الطالع والغزال الراتع وتمشت حتى وصلت الى جانشاه فرأته جالسا فوق التخت فسلمت عليه وجلست قريبا منه وقالت له يا مليح الوجه انت الذى قتلتنى وقتلت نفسك ولكن اخبرنا بما جرى لك حتى ننظر ما خبرك فلما سمع جانشاه كلام السيدة شمسة بكى حتى بل ثيابه من دموعه فلما علمت انه مغرم بحبها قامت على قدميها واخذته من يده واجلسته بجانبها ومسحت دموعه بكمها وقالت له يا مليح الوجه دع عنك هذا البكاء واحك لى ما جرى لك فحكى لها جانشاه ما جرى له واخبرها بما رآه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة شمسة قالت لجانشاه احك لى ما جرى لك فحكى لها جميع ما جرى له فلما سمعت السيدة شمسة منه ذلك الكلام تنهدت وقالت له يا سيدى اذا كنت مغرما بى فاعطنى ثيابى حتى البسها واروح انا واخواتى الى اهلى واعلمهم بما جرى لك فى محبتى ثم ارجع اليك واحملك الى بلادك فلما سمع جانشاه منها ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال لها ايحل لك من الله ان تقتلينى ظلما فقالت له يا سيدى باى سبب اقتلك ظلما فقال لها لانك متى لبست ثيابك ورحت من عندى فانى اموت من وقتى فلما سمعت السيدة شمسة كلامه ضحكت وضحك اخواتها ثم قالت له طب نفسا وقر عينا فلا بد ان اتزوج بك ومالت عليه وعانقته وضمته الى صدرها وقبلته بين عينيه وفى خده وتعانقت هى واياه ساعة من الزمان ثم افترقا وجلسا فوق ذلك التخت فقامت اختها الكبيرة وخرجت من القصر الى البستان فاخذت شيأ من الفواكه والمشموم واتت به اليهم فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وضحكوا ولعبوا وكان جانشاه بديع الحسن والجمال رشيق القد والاعتدال فقالت له السيدة شمسة يا حبيبى والله انى احبك محبة عظيمة وما بقيت افارقك ابدا فلما سمع جانشاه كلامها انشرح صدره وضحك سنه واستمروا يضحكون ويلعبون فبينما هم فى حظ وسرور واذا بالشيخ نصر قد اتى من ملاقاة الطيور فلما اقبل عليهم نهض الجميع اليه قائمين على اقدامهم وسلموا عليه وقبلوا يديه فرحب بهم الشيخ نصر وقال لهم اجلسوا فجلسوا ثم ان الشيخ نصر قال للسيدة شمسة ان هذا الشاب يحبك محبة عظيمة فبالله عليك ان تتوصى به فانه من اكابر الناس ومن ابناء الملوك وابوه يحكم على بلاد كابل وقد حوى ملكا عظيما فلما سمعت السيدة شمسة كلام الشيخ نصر قالت له سمعا

وطاعة لامرك ثم انها اقبلت بين يدى الشيخ نصر ووقفت قدامه فقال لها الشيخ نصر ان كنت صادقة فى قولك فاحلفى لى بالله انك لا تخونينه ما دمت فى قيد الحياة فحلفت يمينا عظيما انها لا تخونه ابدا ولابد ان تتزوج به وبعد ان حلفت قالت اعلم يا شيخ نصر انى لا افارقه ابدا فلما حلفت السيدة شمسة للشيخ نصر صدق يمينها وقال لجانشاه الحمد لله الذى وفق بينك وبينها ففرح جانشاه بذلك فرحا شديدا ثم قعد جانشاه هو والسيدة شمسة عند الشيخ نصر مدة ثلاثة اشهر فى اكل وشرب ولعب وضحك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جانشاه هو والسيدة شمسة قعدا عند الشيخ نصر ثلاثة اشهر فى اكل وشرب ولعب وحظ عظيم وبعد الثلاثة اشهر قالت السيدة شمسة لجانشاه انى اريد ان نروح الى بلادك وتتزوج بى ونقيم فيها فقال لها سمعا وطاعة ثم ان جانشاه شاور الشيخ نصر وقال له انا نريد ان نروح الى بلادى واخبره بما قالته السيدة شمسة فقال له الشيخ نصر اذهبا الى بلادك وتوص بها فقال جانشاه سمعا وطاعة ثم انها طلبت ثوبها وقالت يا شيخ نصر مره ان يعطينى ثوبى حتى البسه فقال لها يا جانشاه اعطها ثيابها فقال سمعا وطاعة ثم قام بسرعة ودخل القصر واتى بثوبها واعطاها لها فاخذته منه ولبسته وقالت له يا جانشاه اركب فوق ظهرى وغمض عينيك وسد اذنيك حتى لا تسمع دوى الفلك الدوار وامسك فى ثوبى الريش وانت على ظهرى بيديك واحترس على نفسك من الوقوع فلما سمع جانشاه كلامها ركب على ظهرها ولما ارادت الطيران قال لها الشيخ نصر قفى حتى اصف لك بلاد كابل خوفا عليكما ان تغلطا فى الطريق فوقفت حتى وصف لها البلاد واوصاها بجانشاه ثم ودعهما وودعت السيدة شمسة اختيها وقالت لهما روحا الى اهليكما واعلماهم بما جرى لى مع جانشاه ثم انها طارت من وقتها وساعتها وسارت فى الجو مثل هبوب الريح والبرق اللامع وبعد ذلك طار اختاها وذهبا الى اهلهما واعلماهم بما جرى للسيدة شمسة مع جانشاه ومن حين طارت السيدة شمسة لم تزل طائرة من وقت الضحى الى وقت العصر وجانشاه راكب على ظهرها وفى وقت العصر لاح لها على بعد واد ذو اشجار وانهار فقالت لجانشاه اقصدى ان ننزل فى هذا الوادى لنتفرج على ما فيه من الاشجار والنباتات هذه الليلة فقال لها جانشاه افعلى ما تريدين فنزلت من الجو وحطت فى ذلك الوادى ونزل جانشاه من فوق ظهرها وقبلها بين عينيها ثم جلسا بجانب نهر ساعة من الزمان وبعد ذلك قاما على قدميهما وصارا دائرين فى الوادى يتفرجان على ما فيه ويأكلان من تلك الاثمار ولم يزالا يتفرجان فى الوادى الى وقت المساء ثم اتيا الى شجرة وناما عندها الى الصباح ثم قامت السيدة شمسة وامرت جانشاه ان يركب على ظهرها فقال جانشاه سمعا وطاعة ثم ركب على ظهرها وطارت به من وقتها وساعتها ولم تزل طائرة من الصبح الى وقت الظهر فبينما هما سائران اذ نظرا الامارات التى اخبرهما بها الشيخ نصر فلما رأت السيدة شمسة تلك الامارات نزلت من اعلا الجو الى مرج فسيح ذى زرع مليح فيه غزلان راتعة وعيون نابعة واثمار يانعة وانهار واسعة فلما نزلت فى ذلك المرج نزل جانشاه من فوق ظهرها وقبلها بين عينيها فقالت له يا حبيبى وقرة عينى اتدرى المسافة التى سرناها قال لا قالت مسافة ثلاثين شهرا فقال لها جانشاه الحمد لله على السلامة ثم جلس وجلست بجانبه وقعدا فى اكل وشرب ولعب وضحك فبينما هما فى هذا

الامر اذ اقبل عليهما مملوكان احدهما الذى كان عند الخيل لما نزل جانشاه فى مركب الصياد والثانى من المماليك الذين كانوا معه فى الصيد والقنص فلما رأيا جانشاه عرفاه وسلما عليه وقالا له عن اذنك نتوجه الى والدك ونبشره بقدومك فقال لهما جانشاه اذهبا الى ابى واعلماه بذلك واتيانا بالخيام ونحن نقعد فى هذا المكان سبعة ايام لاجل الراحة حتى يجيء الموكب للاقاتنا وندخل فى موكب عظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان جانشاه قال للمملوكين اذهبا الى ابى واعلماه بى واتيانى بالخيام ونحن نقعد فى هذا المكان سبعة ايام لاجل الراحة حتى يجيء الموكب للاقاتنا وندخل فى موكب عظيم فركب المملوكان خيلهما وذهبا الى ابيه وقالا له البشارة يا ملك الزمان فلما سمع الملك طيغموس كلام المملوكين قال لهما باى شئ تبشرانى هل قدم ابنى جانشاه فقالا نعم ان ابنك جانشاه اتى من غيبته وهو بالقرب منك فى مرج الكرانى فلما سمع الملك كلام المملوكين فرح فرحا شديدا ووقع مغشيا عليه من شدة الفرح فلما افاق امر وزيره ان يخلع على المملوكين كل واحد خلعة نفيسة ويعطى كل واحد منهما قدرا من المال فقال له الوزير سمعا وطاعة ثم قام من وقته واعطى المملوكين ما امره به الملك وقال لهما خذا هذا المال فى نظير البشارة التى اتيتما بها سواء كذبتما او صدقتما فقال المملوكان نحن ما نكذب وكنا فى هذا الوقت قاعدين عنده وسلمنا عليه وقبلنا يديه وامرنا ان نأتى له بالخيام وهو يقعد فى مرج الكرانى سبعة ايام حتى تذهب الامراء والوزراء واكابر الدولة للاقاته ثم ان الملك قال لهما كيف حال ولدى فقالا له ان ولدك معه حورية كانه خرج بها من الجنة فلما سمع الملك ذلك الكلام امر بدق الكاسات والبوقات فدقت البشائر وارسل الملك طيغموس المبشرين فى جهات المدينة ليبشروا ام جانشاه ونساء الامراء والوزراء واكابر الدولة فانتشر المبشرون فى المدينة واعلموا اهلها بقدوم جانشاه ثم تجهز الملك طيغموس بالعساكر والجيوش وتوجه الى مرج الكرانى فبينما جانشاه جالس والسيدة شمسة بجانبه واذا بالعساكر قد اقبلت عليهما فقام جانشاه على قدميه ومشى حتى قرب منهم فلما رأته العساكر عرفوه ونزلوا عن خيلهم وترجلوا اليه وسلموا عليه وقبلوا يديه ومازال جانشاه سائرا والعساكر قدامه واحدا بعد واحد حتى وصل الى ابيه فلما نظر الملك طيغموس ولده رمى نفسه عن ظهر الفرس وحضنه وبكى بكاء شديدا ثم ركب وركب ابنه والعساكر عن يمينه وشماله ومازالوا سائرين حتى اتوا الى جانب النهر فنزلت العساكر والجيوش ونصبوا الخيام والصواوين والبيارق ودقت الطبول وزمرت الزمور وضربت الكاسات وزعقت البوقات ثم ان الملك طيغموس امر الفراشين ان يأتوا بخيمة من الحرير الاحمر وينصبوها للسيدة شمسة ففعلوا ما امرهم به وقامت السيدة شمسة وقلعت ثوبها الريش وتمشت حتى وصلت الى تلك الخيمة وجلست فيها فبينما هى جالسة واذا بالملك طيغموس وابنه جانشاه بجانبه اقبلا عليها فلما رأت السيدة شمسة الملك طيغموس قامت على قدميها وقبلت الارض بين يديه ثم جلس الملك واخذ ولده جانشاه عن يمينه والسيدة شمسة عن شماله ورحب بالسيدة شمسة وسأل ابنه جانشاه وقال له اخبرنى بالذى وقع لك فى هذه الغيبة فحكى له جميع ما جرى له من الاول الى الاخر فلما سمع الملك من ابنه هذا الكلام تعجب عجبا شديدا والتفت الى السيدة شمسة وقال الحمد لله الذى

وفقك حتى جمعت بينى وبين ابنى ان هذا لهو الفضل العظيم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشر بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك طيغموس قال للسيدة شمسة الحمد لله الذى وفقك حتى جمعت بينى وبين ولدى ان هذا لهو الفضل العظيم ولكن اريد منك ان تتمنى على ما تشتهينه حتى افعله اكراما لك فقالت له السيدة شمسة تمنيت عليك عمارة قصر فى وسط بستان والماء يجرى من تحته فقال سمعا وطاعة فبينما هما فى الكلام واذا بام جانشاه اقبلت ومعها جميع نساء الامراء والوزراء ونساء اكابر المدينة جميعا فلما رآها ولدها جانشاه خرج من الخيمة وقابلها وتعانقا ساعة من الزمان ثم ان امه من فرط الفرح اجرت دمع العين وانشدت هذين البيتين

هجم السرور على حتى انه * من فرط ما قد سرنى ابكانى

يا عين صار الدمع منك سجية * تبكين من فرح ومن احزان

ثم شكا لبعضهما ما قاسياه من البعد والم الشوق ثم انتقل والده الى خيمته وانتقل جانشاه هو وامه الى خيمته وجلسا يتحدثان مع بعضهما فبينما هما جالسان اذ اقبلت المبشرون بقدوم السيدة شمسة وقالوا لام جانشاه ان شمسة اتت اليك وهى ماشية تريد ان تسلم عليك فلما سمعت ام جانشاه ذلك الكلام قامت على قدميها وقابلتها وسلمت عليها وقعدتا ساعة من الزمان ثم قامت ام جانشاه مع السيدة شمسة وسارت هى واياها ونساء الامراء وارباب الدولة وما زالت سائرات حتى وصلن الى خيمة السيدة شمسة فدخلنها وجلسن فيها ثم ان الملك طيغموس اجزل العطايا واكرم الرعايا وفرح بابنه فرحا شديدا ومكثوا فى ذلك المكان مدة عشرة ايام وهم فى اكل وشرب واهنى عيش وبعد ذلك امر الملك عساكره ان يرحلوا ويتوجهوا الى المدينة ثم ركب الملك وركبت حوله العساكر والجيوش وصارت الوزراء والحجاب عن يمينه وعن شماله وما زالوا سائرين حتى دخلوا المدينة وذهبت ام جانشاه هى والسيدة شمسة الى منزلهم وتزينت المدينة باحسن زينة ودقت البشائر والكاسات وزوقوا المدينة بالحلى والحلل وفرشوا نفيس الديباج تحت سنابك الخيل وفرحت ارباب الدولة واظهروا التحف وانبهرت المتفرجون واطعموا الفقراء والمساكين وعملوا فرحا عظيما مدة عشرة ايام وفرحت السيدة شمسة فرحا شديدا لما رأت ذلك ثم ان الملك طيغموس ارسل الى البنائين والمهندسين وارباب المعرفة وامرهم ان يعملوا له قصرا فى ذلك البستان فاجابوه بالسمع والطاعة وشرعوا فى تجهيز ذلك القصر ثم انهم اتموه على احسن حال وحين علم جانشاه بصدور الامر ببناء القصر امر الصناع ان يأتوا بعمود من الرخام الابيض وان ينقروه ويجوفوه ويجعلوه على صورة صندوق ففعلوا ما امرهم به ثم ان جانشاه اخذ ثوب السيدة شمسة الذى تطير به وحطه فى ذلك العامود ودفنه فى اساس القصر وامر البنائين ان يبنوا فوقه القناطر التى عليها القصر ولما تم القصر فرشوه وصار قصرا عظيما فى وسط ذلك البستان والانهار تجرى من تحته ثم ان الملك طيغموس بعد ذلك عمل عرس جانشاه فى تلك المدة وصار فرحا عظيما لم يبق له نظير وزفوا السيدة شمسة الى ذلك القصر وذهب كل واحد منهم الى حال سبيله ولما دخلت السيدة شمسة فى ذلك القصر شمت رائحة ثوبها الريش وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان السيدة شمسة لما دخلت ذلك القصر شمت رايحة ثوبها الريش الذى تطير به وعرفت مكانه وارادت اخذه فصبرت الى نصف الليل حتى استغرق جانشاه فى النوم ثم قامت وتوجهت الى العمود الذى عليه القناطر وحفرت بجانبه حتى وصلت الى العمود الذى فيه الثياب وازالت الرصاص الذى كان مسبوكا عليه واخرجت الثوب منه ولبسته وطارت من وقتها وجلست على اعلى القصر وقالت لهم اريد منكم ان تحضروا لى جانشاه حتى اودعه فاخبروا جانشاه بذلك فذهب اليها فرآها فوق سطح القصر وهى لابسة ثوبها الريش فقال لها كيف فعلت هذه الفعال فقالت له يا حبيبى وقرة عينى وثمرة فؤادى والله انى احبك محبة عظيمة وقد فرحت فرحا شديدا حيث اوصلتك الى ارضك وبلادك ورايت امك واباك فان كنت تحبنى كما احبك فتعال عندى الى قلعة جوهر تكنى ثم طارت من وقتها وساعتها ومضت الى اهلها فلما سمع جانشاه كلام السيدة شمسة وهى فوق سطح القصر كاد يموت من الجزع ووقع مغشيا عليه فمضوا الى ابيه واعلموه بذلك فركب ابوه وتوجه الى القصر ودخل على ولده فرآه مطروحا على الارض فبكى الملك طيغموس وعلم ان ابنه مغرم بحب السيدة شمسة فرش على وجهه ماء ورد فافاق فرأى اباه عند رأسه فبكى من فراق زوجته فقال له ابوه ما الذى جرى لك يا ولدى فقال اعلم يا ابى ان السيدة شمسة من بنات الجان وانا احبها ومغرم بها وقد عشقت جمالها وكان عندى ثوب لها وهى ما تقدر ان تطير بدونه وقد كنت اخذت ذلك الثوب واخفيته فى عمود على هيئة الصندوق وسبكت عليه الرصاص ووضعته فى اساس القصر فحفرت ذلك الاساس واخذته ولبسته وطارت ثم نزلت على سطح القصر وقالت انى احبك وقد اوصلتك الى ارضك وبلادك واجتمعت بابيك وامك فان كنت انت تحبنى فتعال عندى فى قلعة جوهر تكنى ثم طارت من سطح القصر وراحت الى حال سبيلها فقال الملك طيغموس يا ولدى لا تحمل هما فاننا نجمع ارباب التجارة والسياحين فى البلاد ونستخبرهم عن تلك القلعة فاذا عرفناها نسير اليها ونذهب الى اهل السيدة شمسة ونرجوا من الله تعالى ان يعطوك اياها وتتزوج بها ثم خرج الملك من وقته وساعته واحضر وزرآه الاربعة وقال لهم اجمعوا لى كل من فى المدينة من التجار والمسافرين واسألوهم عن قلعة جوهر تكنى وكل من عرفها ودل عليها فانى اعطيه خمسين الف دينار فلما سمع الوزرآء ذلك الكلام قالوا له سمعا وطاعة ثم ذهبوا من وقتهم وساعتهم وفعلوا ما امر به الملك وصاروا يسألون التجار والسياحين فى البلاد عن جوهر تكنى فما اخبرهم بها احد فاتوا الملك واخبروه بذلك فلما سمع الملك كلامهم قام من وقته وساعته وامر ان يأتوا ابنه جانشاه من السرارى الحسان والجوارى ربات الالات والمحاظى المطربات بما لا يوجد مثله الا عند الملوك لعله يتسلى عن حب السيدة شمسة فاتوه بما طلبه ثم بعد ذلك ارسل الملك روادا وجواسيس الى جميع البلاد والجزائر والاقاليم ليسألوا عن قلعة جوهر تكنى فسألوا عنها مدة شهرين فما اخبرهم بها احد فرجعوا الى الملك واعلموه بذلك فبكى بكاء شديدا وذهب الى ابنه فوجده جالسا بين السرارى والمحاظى وربات آلات الطرب من الجنك والسنطير وغيرهما وهو لا يتسلى بهن عن السيدة شمسة فقال له يا ولدى ما وجدت من يعرف هذه القلعة وقد اتيتك باجمل منها فلما سمع جانشاه من ابيه ذلك الكلام بكى وافاض دمع العين وانشد هذين البيتين

ترحل صبري والغرام مقيم * وجسمي من فرط الغرام سقيم
متى تجمع الايام شملي بشملة * وعظمي من حر الفراق رميم

ثم ان الملك طيغموس كان بينه وبين ملك الهند عداوة عظيمة فان الملك طيغموس كان عدا عليه وقتل رجاله وسلب امواله وكان ملك الهند يقال له الملك كفيد وله جيوش وعساكر وابطال وكان له الف بهلوان كل بهلوان منهم يحكم على الف قبيلة وكل قبيلة من تلك القبائل تشتمل على اربعة الاف فارس وكان عنده اربعة وزرآء وتحته ملوك واكابر وامرآء وجيوش كثيرة وكان يحكم على الف مدينة لكل مدينة الف قلعة وكان ملكا عظيما شديد الباس وعساكره قد ملأت جميع الارض فلما علم الملك كفيد ملك الهند ان الملك طيغموس اشتغل بحب ابنه وترك الحكم والملك وقلت من عنده العساكر وصار في هم ونكد بسبب اشتغاله بحب ابنه جمع الوزرآء والامرآء وارباب الدولة وقال لهم اما تعلمون ان الملك طيغموس قد هجم على بلادنا وقتل ابي واخوتي ونهب اموالنا وما منكم احد الا وقد قتل له قريبا واخذ له مالا ونهب رزقه واسر اهله واني سمعت اليوم انه مشغول بحب ابنه جانشاه وقد قلت من عنده العساكر وهذا وقت اخذ ثارنا منه فتأهبوا للسفر اليه وجهزوا آلات الحرب للهجوم عليه ولا تتهاونوا في هذا الامر بل نسير اليه ونهجم عليه ونقتله هو وابنه ونملك بلاده وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك كفيد ملك الهند امر جيوشه وعساكره ان يركبوا على بلاد الملك طيغموس وقال لهم تأهبوا للسفر اليه وجهزوا آلات الحرب للهجوم عليه ولا تتهاونوا في هذا الامر بل نسير اليه ونهجم عليه ونقتله هو وابنه ونملك بلاده فلما سمعوا منه ذلك الكلام قالوا له سمعا وطاعة واخذ كل واحد منهم في تجهيز عدته واستمروا في تجهيز العدد والسلاح وجمع العساكر ثلاثة اشهر ولما تكاملت العساكر والجيوش والابطال دقوا الكاسات ونفخوا في البوقات ونصبوا البيارق والرايات ثم ان الملك كفيد خرج بالعساكر والجيوش وسار حتى وصل الى اطراف بلاد كابل وهي بلاد الملك طيغموس ولما وصلوا الى تلك البلاد نهبوها وفسقوا في الرعية وذبحوا الكبار واسروا الصغار فوصل الخبر الى الملك طيغموس فلما سمع بذلك الخبر اغتاظ غيظا شديدا وجمع اكابر دولته ووزرآءه وامرآء مملكته وقال لهم اعلموا ان كفيد قد اتى ديارنا ونزل بلادنا ويريد قتالنا ومعه جيوش وابطال وعساكر لا يعلمهم الا الله تعالى فما الراي عندكم فقالوا له يا ملك الزمان الرأي عندنا اننا نخرج اليه ونقاتله ونرده عن بلادنا فقال لهم الملك طيغموس تجهزوا الى القتال ثم اخرج لهم من الزرد والدروع والخوذ والسيوف وجميع آلات الحرب ما يردي الابطال ويتلف صناديد الرجال فاجتمعت العساكر والجيوش والابطال وتجهزوا للقتال ونصبوا الرايات ودقت الكاسات ونفخ في البوقات وضربت الطبول وزمرت الزمور وسار الملك طيغموس بعساكره الى ملاقاة الملك كفيد وما زال الملك طيغموس سائرا بالعساكر والجيوش حتى قربوا من الملك كفيد ثم نزل الملك طيغموس على واد يقال له وادي زهران وهو في اطراف بلاد كابل ثم ان الملك طيغموس كتب كتابا وارسله مع رسول من عسكره الى الملك كفيد مضمونه اما بعد فالذي نعلم به الملك كفيد انك ما فعلت الا فعل الاوباش ولو كنت ملكا ابن ملك ما فعلت هذه الفعال

ولا كنت تجيء بلادى وتنهب اموال الناس وتفسق فى رعيتى اما علمت ان هذا كله جور منك ولو علمت بانك تتجارى على مملكتى لكنت اتيتك قبل مجيئك بمدة ومنعتك عن بلادى ولكن ان رجعت وتركت الشر بيننا وبينك فبها ونعمت وان لم ترجع فابرز الىّ فى حومة الميدان وتجلد لدى فى موقف الحرب والطعان ثم انه ختم الكتاب وسلمه لرجل عامل من عسكره وارسل معه جواسيس يتجسسون له على الاخبار ثم ان الرجل اخذ الكتاب وسار به حتى وصل الى الملك كفيد فلما قرب من مكانه رأى خياما منصوبة على بعد وهى مصنوعة من الحرير الاطلس ورأى رايات من الحرير الازرق ورأى بين الخيام خيمة عظيمة من الحرير الاحمر وحول تلك الخيمة عسكر عظيم ومازال سائرا حتى وصل الى تلك الخيمة فسأل عنها فقيل له انها خيمة الملك كفيد فنظر الرجل الى وسط الخيمة فرأى الملك كفيد جالسا على كرسى مرصع بالجواهر وعنده الوزراء والامراء وارباب الدولة فلما رأى ذلك اظهر الكتاب فى يده فذهب اليه جماعة من عسكر الملك كفيد واخذوا الكتاب منه واتوا به الملك فاخذه الملك فلما قرأه وعرف معناه كتب له جوابا مضمونه اما بعد فالذى نعلم به الملك طيغموس انه لابد من اننا نأخذ الثار ونكشف العار ونخرب الديار ونهتك الاستار ونقتل الكبار ونأسر الصغار وفى غد ابرز الى القتال فى الميدان حتى اريك الحرب والطعان ثم ختم الكتاب وسلمه لرسول الملك طيغموس فاخذه وسار وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك كفيد سلم جواب الكتاب الذى ارسله اليه الملك طيغموس لرسوله فاخذه ورجع فلما وصل اليه قبل الارض بين يديه ثم اعطاه الكتاب واخبره بما رآه وقال له ياملك انى رأيت فرسانا وابطالا ورجالا لا يحصى لهم عدد ولا ينقطع لهم مدد فلما قرأ الكتاب وفهم معناه غضب غضبا شديدا وامر وزيره عين زار ان يركب ومعه الف فارس ويهجم على عسكر الملك كفيد فى نصف الليل وان يخوضوا فيهم ويقتلوهم فقال له الوزير عين زار سمعا وطاعة ثم ركب وركبت معه العساكر والجيوش وساروا نحو الملك كفيد وكان للملك كفيد وزير يقال له غطرفان فامره ان يركب ويأخذ معه خمسة الاف فارس ويذهب بهم الى عسكر الملك طيغموس ويهجموا عليهم ويقتلوهم فركب الوزير غطرفان وفعل ما امره به الملك كفيد وسار بالعسكر نحو الملك طيغموس ومازالوا سائرين الى نصف الليل حتى قطعوا نصف الطريق فاذا الوزير غطرفان وقع فى الوزير عين زار فصاحت الرجال على الرجال ووقع بينهم شديد القتال ومازال يقاتل بعضهم بعضا الى وقت الصباح فلما اصبح الصباح انهزمت عساكر الملك كفيد وولوا هاربين اليه فلما رأى ذلك غضب غضبا شديدا وقال لهم ياويلكم ما الذى اصابكم حتى فقدتم ابطالكم فقالوا له ياملك الزمان انه لما ركب الوزير غطرفان وسرنا نحو الملك طيغموس لم نزل سائرين الى ان نصفنا الليل وقطعنا نصف الطريق فقابلنا عين زار وزير الملك طيغموس واقبل علينا ومعه جيوش وابطال وكانت المقابلة بجنب وادى زهران فما نشعر الا ونحن فى وسط العسكر ووقعت العين فى العين وقاتلنا قتالا شديدا من نصف الليل الى الصباح وقد قتل خلق كثير وصار الوزير عين زار يصيح فى وجه الفيل ويضربه فيجفل الفيل من شدة الضربة ويدوس الفرسان ويولى هاربا ومابقى احد ينظر احدا من كثرة ما يطير من الغبار وصار الدم يجرى كالتيار ولولا اننا اتينا هاربين لكنا قتلنا عن آخرنا

فلما سمع الملك كفيد هذا الكلام قال لا باركت فيكم الشمس بل غضبت عليكم غضبا شديدا ثم ان الوزير عين زار رجع الى الملك طيغموس واخبره بذلك فهناه الملك طيغموس بالسلامة وفرح فرحا شديدا وامر بدق الكاسات والنفخ في البوقات ثم تفقد عسكره فاذا هم قد قتل منهم مائتا فارس من الشجعان الشداد ثم ان الملك كفيد هيأ عسكره وجنوده وجيوشه واتى الميدان واصطفوا صفا بعد صف فكملوا خمسة عشر صفا في كل صف عشرة الاف فارس وكان معه ثلاثمائة بهلوان يركبون على الافيال وقد انتخب الابطال وصناديد الرجال ونصب البيارق والرايات ودقت الكاسات ونفخ في البوقات وبرز الابطال طالبين القتال واما الملك طيغموس فانه صف عسكره صفا بعد صف فاذا هم عشرة صفوف في كل صف عشرة الاف فارس وكان معه مائة بهلوان يركبون عن يمينه وشماله ولما اصطفت الصفوف تقدم كل فارس موصوف وتصادمت الجيوش وضاق رحب الارض عن الخيل وضربت الطبول وزمرت الزمور ودقت الكاسات ونفخ في البوقات وصاح النفير وصمت الاذان من صهيل الخيل في الميدان وصاحت الرجال باصواتهم وانعقد الغبار على رؤسهم واقتتلوا قتالا شديدا من اول النهار الى ان اقبل الظلام ثم افترقوا وذهبت العساكر الى منازلهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العساكر افترقوا وذهبوا الى منازلهم فتفقد الملك كفيد عسكره فاذا هم قتل منهم خمسة الاف فغضب غضبا شديدا وتفقد الملك طيغموس عسكره فاذا هم قتل منهم ثلاثة الاف فارس من خواص شجعانه فلما رأى ذلك غضب غضبا شديدا ثم ان الملك كفيد برز الى الميدان ثانيا وفعل كما فعل اول مرة وكل واحد منهما يطلب النصر لنفسه وصاح الملك كفيد على عسكره وقال لهم هل فيكم من يبرز الى الميدان ويفتح لنا باب الحرب والطعان فاذا بطل يقال له بركيك قد اقبل راكبا على فيل وكان بهلوانا عظيما ثم تقدم ونزل من فوق ظهر الفيل وقبل الارض بين يدي الملك كفيد واستأذنه في البراز ثم ركب الفيل وساقه الى الميدان وصاح وقال هل من مبارز هل من مناجز هل من مقاتل فلما سمع ذلك الملك طيغموس التفت الى عسكره وقال لهم من يبرز الى هذا البطل منكم فاذا فارس قد برز من بين الصفوف راكبا على جواد عظيم الخلقة وسار حتى اقبل على الملك طيغموس وقبل الارض قدامه واستأذنه في المبارزة ثم توجه الى بركيك فلما اقبل عليه قال له من تكون انت حتى تستهزأ بي وتبرز الي وحدك وما اسمك فقال له اسمي غضنفر بن كمخيل فقال له بركيك كنت اسمع بك وانا في بلادي فدونك والقتال بين صفوف الابطال فلما سمع غضنفر كلامه سحب العود الحديد من تحت فخذه وقد اخذ بركيك السيف في يده وتقاتلا قتالا شديدا ثم ان بركيك ضرب غضنفر بالسيف فاتت الضربة في خوذته ولم يصبه منها ضرر فلما رأى ذلك غضنفر ضربه بالعود فاستوى لحمه بلحم الفيل فاتاه شخص وقال له من انت حتى تقتل اخي ثم اخذ نبلة في يده وضرب بها غضنفر فاصابت فخذه فسمرت الدرع فيه فلما رأى ذلك غضنفر جرد السيف في يده وضربه فقسمه نصفين فنزل الى الارض يخور في دمه ثم ان غضنفر ولى هاربا نحو الملك طيغموس فلما رأى ذلك الملك كفيد صاح على عسكره وقال لهم انزلوا الميدان وقاتلوا الفرسان ونزل الملك طيغموس بعسكره وجيوشه وقاتلوا قتالا شديدا وقد صهلت الخيل على الخيل وصاحت الرجال على الرجال وتجردت السيوف وتقدم كل فارس

موصوف

موصوف وحملت الفرسان على الفرسان وفر الجبان من موقف الطعان ودقت الكاسات ونفخ في البوقات فاتسمع الناس الا ضجة صياح وقعقعة سلاح وهلك في ذلك الوقت من الابطال من هلك وماز الوا على هذا الحال الى ان صارت الشمس في قبة الفلك ثم ان الملك طيغموس انفرق بعسكره وجيوشه وعاد لخيامه وكذلك الملك كفيد ثم ان الملك طيغموس تفقد رجاله فوجدهم قد قتل منهم خمسة آلاف فارس وانكسرت منهم اربعة بيارق فلما علم الملك طيغموس ذلك غضب غضبا شديدا واما الملك كفيد فانه تفقد عسكره فوجدهم قد قتل منهم ستمائة فارس من خواص شجعانه وانكسرت منهم تسعة بيارق ثم ارتفع القتال من بينهم مدة ثلاثة ايام وبعد ذلك كتب الملك كفيد كتابا وارسله مع رسول من عسكره الى ملك يقال له فاقون الكلب فذهب الرسول اليه وكان كفيد يدعى انه قريبه من جهة امه فلما علم الملك فاقون بذلك جمع عسكره وجيوشه وتوجه الى الملك كفيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك فاقون جمع عساكره وجيوشه وتوجه الى الملك كفيد فبينما الملك طيغموس جالس في خطه اذ اتاه شخص وقال له اني رأيت غبرة ثائرة على بعد قد ارتفعت الى الجو فامر الملك طيغموس جماعة من عسكره ان يكشفوا عن خبر تلك الغبرة فقالوا سمعا وطاعة ثم ذهبوا ورجعوا وقالوا ايها الملك قد رأينا الغبرة وبعد ساعة ضربها الهوا وقطعها وبان من تحتها سبعة بيارق تحت كل بيرق ثلاثة الاف فارس وساروا الى ناحية الملك كفيد ولما وصل الملك فاقون الكلب الى الملك كفيد سلم عليه وقال له ما خبرك وما هذا القتال الذي انت فيه فقال له الملك كفيد اما تعلم ان الملك طيغموس عدوي وقاتل اخوتي وابي وانا قد جئته لاقاتله وآخذ بثاري منه فقال الملك فاقون باركت الشمس فيك ثم ان الملك كفيد اخذ الملك فاقون الكلب وذهب به الى خيمته وفرح فرحا شديدا هذا ما كان من امر الملك طيغموس والملك كفيد واما ما كان من امر الملك جانشاه فانه استمر شهرين وهو لم ينظر اباه ولم يأذن بالدخول عليه لاحد من الجواري اللاتي كن في خدمته فحصل له بذلك قلق عظيم فقال لبعض اتباعه ما خبر ابي حتى انه لم يأتني فاخبروه بما جرى لابيه مع الملك كفيد فقال ائتوني بجوادي حتى اذهب الى ابي فقالوا له سمعا وطاعة واتوه بالجواد فلما حضر جواده قال في نفسه انا مشغول بنفسي فالرأي ان آخذ فرسي واسير الى مدينة اليهود واذا وصلت اليها يمن الله علي بذلك التاجر الذي استأجرني للعمل لعله يفعل بي مثل ما فعل اول مرة وما يدري احد اين تكون الخيرة ثم انه ركب واخذ معه الف فارس وسار حتى صار الناس يقولون ان جانشاه ذاهب الى ابيه ليقاتل معه وما زالوا سائرين الى وقت المساء ثم نزلوا في مرج عظيم وباتوا بذلك المرج فلما ناموا وعلم جانشاه ان عسكره ناموا كلهم قام في خفية وشد وسطه وركب جواده وسار الى طريق بغداد لانه كان سمع من اليهود انه تأتيهم في كل سنتين قافلة من بغداد وقال في نفسه اذا وصلت الى بغداد اسير مع القافلة حتى اصل الى مدينة اليهود وصممت نفسه على ذلك وسار الى حال سبيله فلما استيقظ العساكر من نومهم ولم يروا جانشاه ولا جواده ركبوا وساروا يفتشون على جانشاه يمينا وشمالا فلم يجدوا له خبرا فرجعوا الى ابيه واعلموه بما فعل ابنه فغضب غضبا شديدا وكاد الشرار يطلع من فيه ورمى بتاجه من فوق رأسه وقال لا حول ولا قوة الا بالله قد فقدت ولدي والعدو قبالتي فقال له

الملوك والوزراء اصبر يا ملك الزمان فما بعد الصبر الا الخير ثم ان جانشاه صار من اجل ابيه وفراق محبوبته حزينا مهموما جريح القلب قريح العين سهران الليل والنهار واما ابوه فانه لما علم بفقد جميع عساكره وجيوشه رجع عن حرب عدوه وتوجه الى مدينته ودخلها وغلق ابوابها وحصن اسوارها وصار هاربا من الملك كفيد وصار كفيد فى كل شهر يجى الى المدينة طالبا القتال والخصام ويقعد عليها سبع ليالى وثمانية ايام وبعد ذلك يأخذ عسكره ويرجع بهم الى الخيام ليداووا المجروحين من الرجال فاما اهل مدينة الملك طيغموس فانهم عند انصراف العدو عنهم يشتغلون باصلاح السلاح وتحصين الاسوار وتهيئة المجنيقات ومكث الملك طيغموس والملك كفيد على هذه الحالة سبع سنين والحرب مستمرة بينهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك طيغموس مكث هو والملك كفيد على هذه الحالة سبع سنين هذا ما كان من امرهما واما ما كان من امر جانشاه فانه لم يزل سائرا يقطع البرارى والقفار وكلما وصل الى بلد من البلاد سأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره احد بها وانما يقولون له اننا لم نسمع بهذا الاسم اصلا ثم انه سأل عن مدينة اليهود فاخبره رجل من التجار انها فى اطراف بلاد المشرق وقال له فى هذا الشهر سر معنا الى مدينة مزرقان وهى فى الهند ومن تلك المدينة نذهب الى خراسان ثم نسافر من هناك الى مدينة شمعون ومنها الى خوارزم وتبقى مدينة اليهود قريبة من خوارزم فان بينها وبينها مسافة سنة وثلاثة اشهر فصبر جانشاه حتى سافرت القافلة وسافر معها الى ان وصل الى مدينة مزرقان ولما دخل تلك المدينة صار يسأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره بها احد وسافرت القافلة وسافر معها الى الهند ودخل المدينة وسأل عن قلعة جوهر تكنى فلم يخبره بها احد وقالوا والله ما سمعنا بهذا الاسم اصلا وقاسى فى الطريق شدة عظيمة واهوالا صعبة وجوعا وعطشا ثم سافر من الهند ولم يزل مسافرا حتى وصل الى بلاد خراسان وانتهى الى مدينة شمعون ودخلها وسأل عن مدينة اليهود فاخبروه عنها ووصفوا له طريقها فسافر اياما وليالى حتى وصل الى المكان الذى هرب فيه من القردة ثم مشى اياما وليالى حتى وصل الى النهر الذى بجانب مدينة اليهود وجلس على شاطئه وصبر الى يوم السبت حتى نشف بقدرة الله تعالى فعدى منه وذهب الى بيت اليهودى الذى كان فيه اول مرة فسلم عليه هو واهل بيته وفرحوا به واتوه بالاكل والشرب ثم قالوا له اين كانت غيبتك فقال لهم فى ملك الله تعالى ثم بات تلك الليلة عندهم ولما كان الغد دار فى المدينة يتفرج فرأى مناديا ينادى ويقول يا معاشر الناس من يأخذ الف دينار وجارية حسنة ويعمل عندنا شغل نصف يوم فقال جانشاه انا اعمل هذا الشغل فقال له المنادى اتبعنى فتبعه حتى وصل الى بيت اليهودى التاجر الذى وصل اليه اول مرة ثم قال المنادى لصاحب البيت ان هذا الولد يعمل الشغل الذى تريد فرحب به التاجر وقال له مرحبا بك واخذه ودخل به الى الحريم واتاه بالاكل والشرب فاكل جانشاه وشرب ثم ان التاجر قدم له الدنانير والجارية الحسنة وبات معها تلك الليلة ولما اصبح الصباح اخذ الدنانير والجارية وسلمهما لليهودى الذى بات فى بيته اول مرة ثم رجع الى التاجر صاحب الشغل فركب معه وسارا حتى وصلا الى جبل عال شاهق فى العلو ثم ان التاجر اخرج حبلا وسكينا وقال لجانشاه ارم هذا الفرس على الارض فرماها وكتفها بالحبل وذبحها وسلخها وقطع قوائمها

ورأسها وشق بطنها كما امره التاجر ثم قال التاجر لجانشاه ادخل بطن هذه الفرس حتى اخيطه عليك ومهما رأيته فيه فقل لي عليه فهذا الشغل الذي اخذت اجرته فدخل جانشاه بطن الفرس وخاطه عليه التاجر ثم ذهب الى محل بعيد عن الفرس واختفى فيه وبعد ساعة اقبل طير عظيم ونزل من الجو وخطف الفرس وارتفع بها الى عنان السماء ثم نزل على رأس الجبل فلما استقر على رأس الجبل اراد ان يأكل الفرس فلما احس به جانشاه شق بطن الفرس وخرج فجفل الطير منه وطار الى حال سبيله فطلع جانشاه ونظر الى التاجر فرآه واقفا تحت الجبل مثل العصفور فقال له ماتريد ايها التاجر فقال له ارم لي بشيء من هذه الحجارة التي حواليك حتى ادلك على الطريق التي تنزل منها فقال له جانشاه انت الذي فعلت بي كيت وكيت من مدة خمس سنين وقد قاسيت جوعا وعطشا وحصل لي تعب عظيم وشر كثير وها انت عدت بي الى هذا المكان واردت هلاكي والله لا ارمي لك بشيء ثم ان جانشاه سار وقصد الطريق التي توصل الى الشيخ نصر ملك الطيور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان جانشاه سار وقصد الطريق التي توصل الى الشيخ نصر ملك الطيور ولم يزل سائرا اياما وليالي وهو باكي العين حزين القلب واذا جاع يأكل من نبات الارض واذا عطش يشرب من انهارها حتى وصل الى قصر السيد سليمان فرأى الشيخ نصر جالسا على باب القصر فاقبل عليه وقبل يديه فرحب به الشيخ نصر وسلم عليه ثم قال له يا ولدي ما خبرك حتى جئت هذا المكان وكنت قد توجهت من هنا مع السيدة شمسة وانت قرير العين منشرح الصدر فبكى جانشاه وحكى له ما جرى من السيدة شمسة لما طارت وقالت له ان كنت تحبني تعال عندي في قلعة جوهر تكني فتعجب الشيخ نصر من ذلك وقال والله يا ولدي ما اعرفها وحق السيد سليمان ولا سمعت بهذا الاسم طول عمري فقال جانشاه كيف اعمل وقد مت من العشق والغرام فقال له الشيخ نصر اصبر حتى تأتي الطيور ونسألهم عن قلعة جوهر تكني لعل احدا منهم يعرفها فاطمأن قلب جانشاه ودخل القصر وذهب الى المقصورة المشتملة على البحيرة التي رأى فيها البنات الثلاث ومكث عند الشيخ نصر مدة من الزمان فبينما هو جالس على عادته اذ قال له الشيخ نصر يا ولدي انه قد قرب مجيء الطير ففرح جانشاه بذلك الخبر ولم يمض الا ايام قلائل حتى اقبلت الطيور فجاء الشيخ نصر جانشاه وقال له يا ولدي تعلم هذه الاسماء واقبل على الطيور فجاءت الطيور وسلمت على الشيخ نصر نوعا بعد نوع ثم سألها عن قلعة جوهر تكني فقال كل منها ما سمعت بهذه القلعة طول عمري فبكى جانشاه وتحسر ووقع مغشيا عليه فطلب الشيخ نصر طيرا عظيما وقال له اوصل هذا الشاب الى بلاد كابل ووصف له البلاد وطريقها فقال له سمعا وطاعة ثم ركب جانشاه على ظهره وقال له احترس على نفسك واياك ان تميل فتنقطع في الهواء وسد اذنيك من الريح لئلا يضرك جري الافلاك ودوي البحار فقبل جانشاه ما قاله الشيخ نصر ثم اقلع به الطير وعلا الى الجو وسار به يوما وليلة ثم نزل به عند ملك الوحوش واسمه شاه بدري فقال الطير لجانشاه قد تهنا عن البلاد التي وصفها لنا الشيخ نصر واراد ان يأخذ جانشاه ويطير به فقال له جانشاه اذهب الى حال سبيلك واتركني في هذه الارض حتى اموت فيها او اصل الى بلادي فتركه الطير عند ملك الوحوش شاه بدري وذهب الى حال سبيله ثم ان شاه بدري سأله وقال له يا ولدي من انت ومن اين اقبلت مع هذا الطير العظيم

وما حكايتك فحكى له جميع ما جرى له من الاول الى الاخر فتعجب ملك الوحوش من حكايته وقال له وحق السيد سليمان انى ما اعرف هذه القلعة وكل من دلنا عليها نكرمه ونرسلك اليها فبكى جانشاه بكاء شديدا وصبر مدة قليلة وبعدها اتاه ملك الوحوش وهو شاه بدرى وقال له قم يا ولدى وخذ هذه الالواح واحفظ الذى فيها واذا اتت الوحوش نسألها عن تلك القلعة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان شاه بدرى ملك الوحوش قال لجانشاه احفظ ما فى هذه الالواح واذا جاءت الوحوش نسألها عن تلك القلعة فما مضى غير ساعة حتى اقبلت الوحوش نوعا بعد نوع وصاروا يسلمون على الملك شاه بدرى ثم انه سالهم عن قلعة جوهر تكنى فقالوا له جميعا ما نعرف هذه القلعة ولا سمعنا بها فبكى جانشاه وتاسف على عدم ذهابه مع الطير الذى اتى به من عند الشيخ نصر فقال له ملك الوحوش يا ولدى لا تحمل هما ان لى اخا اكبر منى يقال له الملك شماخ وكان اسيرا عند السيد سليمان لانه كان عاصيا عليه وليس احد من الجن اكبر منه هو والشيخ نصر فلعله يعرف هذه القلعة وهو يحكم على الجان الذين فى هذه البلاد ثم ركبه ملك الوحوش على ظهر وحش منها وارسل معه كتابا الى اخيه بالوصية عليه ثم ان ذلك الوحش سار من وقته وساعته ولم يزل سائرا بجانشاه اياما وليالى حتى وصل الى الملك شماخ فوقف ذلك الوحش فى مكان وحده بعيدا من الملك ثم نزل جانشاه من فوق ظهره وصار يتمشى حتى وصل الى حضرة الملك شماخ فقبل يديه وناوله الكتاب فقرأه وعرف معناه ورحب به وقال له والله يا ولدى ان هذه القلعة عمرى ما سمعت بها ولا رأيتها فبكى جانشاه وتحسر فقال له الملك شماخ احك لى حكايتك واخبرنى من انت ومن اين اتيت والى اين تذهب فاخبره بجميع ما جرى له من الاول الى الاخر فتعجب شماخ من ذلك وقال له يا ولدى ما اظن ان السيد سليمان فى عمره سمع بهذه القلعة ولا رآها ولكن يا ولدى انا اعرف راهبا فى الجبل وهو كبير فى العمر وقد اطاعته جميع الطيور والوحوش والجان من كثرة اقسامه لانه ما زال يتلو الاقسام على ملوك الجن حتى اطاعوه قهرا عنهم من شدة تلك الاقسام والسحر الذى عنده وجميع الطيور والوحوش تسير الى خدمته وها انا قد كنت عصيت السيد سليمان فهو اسرنى عنده وما غلبنى سوى هذا الراهب من شدة مكره واقسامه وسحره وقد بقيت فى خدمته واعلم انه ساح فى جميع البلاد والاقاليم وعرف جميع الطرق والجهات والاماكن والقلاع والمداين وما اظن انه يخفى عليه مكان فانا ارسلك اليه لعله يدلك على هذه القلعة وان لم يدلك هو عليها فما يدلك عليها احد لانه قد اطاعته الطيور والوحوش والجان وكلهم يأتونه ومن شدة سحره قد اصطنع له عكازة ثلاث قطع فيغرزها فى الارض ويتلو القسم على القطعة الاولى من العكازة فيخرج منها لحم ويخرج منها دم ويتلو القسم على القطعة الثانية فيخرج منها لبن حليب ويتلو القسم على القطعة الثالثة فيخرج منها قمح وشعير وبعد ذلك يخرج العكازة من الارض ثم يذهب الى ديره وديره يسمى دير الماس وهذا الراهب الكاهن يخرج من يده اختراع كل صنعة غريبة وهو ساحر كاهن ماكر مخادع خبيث واسمه يغموس وقد حوى جميع الاقسام والعزايم ولابد من ان ارسلك اليه مع طير عظيم له اربعة اجنحة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك شماخ قال لجانشاه ولابد من ان ارسلك الى الراهب مع طير عظيم له اربعة اجنحة ثم ركبه على ظهر طير عظيم له اربعة اجنحة طول كل جناح منها ثلاثون ذراعا بالهاشمي وله ارجل مثل ارجل الفيل لكنه لا يطير في السنة الا مرتين وكان عند الملك شماخ عون يقال له طمشون كل يوم يختطف لهذا الطير بختيتين من بلاد العراق ويفسخهما له ليأكلهما فلما ركب جانشاه على ظهر ذلك الطير امره الملك شماخ ان يوصله الى الراهب يغموس فاخذه على ظهره وسار به ليالي واياما حتى وصل الى جبل القلع ودير الماس فنزل جانشاه عند ذلك الدير فرأى يغموس الراهب داخل الكنيسة وهو يتعبد فيها فتقدم جانشاه اليه وقبل الارض ووقف بين يديه فلما رآه الراهب قال له مرحبا بك يا ولدي يا غريب الديار وبعيد المزار اخبرني ما سبب مجيئك هذا المكان فبكى جانشاه وحكى له حكايته من الاول الى الآخر فلما سمع الراهب الحكاية تعجب منها غاية العجب وقال له والله يا ولدي عمري ما سمعت بهذه القلعة ولا رأيت من سمع بها ورآها مع اني كنت موجودا على عهد نوح نبي الله وحكمت من عهد نوح الى زمن السيد سليمان بن داود على الوحوش والطيور والجن وما اظن ان سليمان سمع بهذه القلعة ولكن اصبر يا ولدي حتى تأتي الطيور والوحوش واعوان الجان واسألهم لعل احدا منهم يخبرنا بها ويأتينا بخبر عنها ويهون الله تعالى عليك فقعد جانشاه مدة من الزمان عند الراهب فبينما هو قاعد اذا اقبلت عليه الطيور والوحوش والجان اجمعون وصار جانشاه والراهب يسألونهم عن قلعة جوهر تكني فما احد منهم قال انا رأيتها او سمعت بها بل كان كل منهم يقول لا رأيت هذه القلعة ولا سمعت بها فصار جانشاه يبكي وينوح ويتضرع الى الله تعالى وبينما هو كذلك اذا بطير قد اقبل آخر الطيور وهو اسود اللون عظيم الخلقة ولما نزل من اعلى الجو جاء وقبل يدي الراهب فسأله الراهب عن قلعة جوهر تكني فقال له الطير ايها الراهب اننا كنا ساكنين خلف جبل قاف بجبل البلور في بر عظيم وكنت انا واخوتي فراخا صغارا وابي وامي كانا يسرحان في كل يوم ويجيئان برزقنا فاتفق انهما سرحا يوما من الايام وغابا عنا سبعة ايام فاشتد علينا الجوع ثم اتيا في اليوم الثامن وهما يبكيان فقلنا لهما ما سبب غيابكما عنا فقالا انه خرج علينا مارد فخطفنا وذهب بنا الى قلعة جوهر تكني واوصلنا الى الملك شهلان فلما رآنا الملك شهلان اراد قتلنا فقلنا له ان وراءنا فراخا صغارا فاعتقنا من القتل ولو كان ابي وامي في قيد الحياة لكانا اخبراكم عن القلعة فلما سمع جانشاه هذا الكلام بكى بكاء شديدا وقال للراهب اريد منك ان تأمر هذا الطير ان يوصلني الى عشه وكر ابيه وامه في جبل البلور خلف جبل قاف فقال الراهب للطير ايها الطير اريد منك ان تطيع هذا الولد في جميع ما يأمرك به فقال الطير للراهب سمعا وطاعة لما تقول ثم ان ذلك الطير اركب جانشاه على ظهره وطار ولم يزل طائرا به اياما وليالي حتى اقبل على جبل البلور ثم نزل به هناك ومكث برهة من الزمان ثم اركبه على ظهره وطار ولم يزل طائرا به مدة يومين حتى وصل الى الارض التي فيها الوكر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الطير لم يزل طائرا بجانشاه مدة يومين حتى وصل به الى الارض التي فيها

الوكر ونزل به هناك ثم قال له يا جانشاه هذا الوكر الذى كنا فيه فبكى جانشاه بكاء شديدا وقال للطير اريد منك ان تحملنى وتوصلنى الى الناحية التى كان ابوك وامك يذهبان اليها ويجيئان منها بالرزق فقال له الطير سمعا وطاعة يا جانشاه ثم حمله وطار به ولم يزل طائرا سبع ليال وثمانية ايام حتى وصل به الى جبل عال ثم انزله من فوق ظهره وقال له ما بقيت اعرف وراء هذا المكان ارضا فغلب على جانشاه النوم فنام فى رأس ذلك الجبل فلما افاق من النوم رأى بريقا على بعد يملأ نوره الجو فصار متحيرا فى نفسه من ذلك اللمعان والبريق ولم يدر انه لمعان القلعة التى هو يفتش عنها وكان بينه وبينها مسيرة شهرين وهى مبنية من الياقوت الاحمر وبيوتها من الذهب الاصفر ولها الف برج مبنية من المعادن النفيسة التى تخرج من بحر الظلمات ولهذا سميت قلعة جوهر تكنى لانها من نفيس الجواهر والمعادن وكانت قلعة عظيمة واسم ملكها شهلان وهو ابو البنات الثلاث هذا ما كان من امر جانشاه واما ما كان من امر السيدة شمسة فانها لما هربت من عند جانشاه وراحت عند ابيها وامها واهلها اخبرتهم بما جرى لها مع جانشاه وحكت لهم حكايته واعلمتهم انه ساح فى الارض ورأى العجائب وعرفتهم بمحبته لها ومحبتها له وبما وقع بينهما فلما سمع ابوها وامها منها ذلك الكلام قالا لها ما يحل لك من الله ان تفعلى معه هذا الامر ثم ان اباها حكى هذه المسألة لاعوانه من مردة الجان وقال لهم كل من رأى منكم انسيا فليأتنى به وكانت السيدة شمسة اخبرت امها ان جانشاه مغرم بها وقالت لها ولابد من انه يأتينا لانى لما طرت من فوق قصر ابيه قلت له ان كنت تحبنى فتعال فى قلعة جوهر تكنى ثم ان جانشاه لما رأى ذلك البريق واللمعان قصد نحوه ليعرف ما هو وكانت السيدة شمسة قد ارسلت عونا من الاعوان فى شغل بناحية جبل قرموس فبينما ذلك العون سائر اذا هو ينظر من بعيد الى شخص انسى فلما رآه اقبل نحوه وسلم عليه فخاف جانشاه من ذلك العون ولكنه رد عليه السلام فقال له العون ما اسمك فقال له اسمى جانشاه وكنت قبضت على جنية اسمها السيدة شمسة لانى تعلقت بحسنها وجمالها وكنت احبها محبة عظيمة ثم انها هربت منى بعد دخولها فى قصر والدى وحكى له جميع ما جرى له معها وصار جانشاه يكلم المارد وهو يبكى فلما نظر العون الى جانشاه وهو يبكى احترق قلبه وقال له لا تبك فانك قد وصلت الى مرادك واعلم انها تحبك محبة عظيمة وقد اعلمت اباها وامها بمحبتك لها وكل من فى القلعة يحبك لاجلها فطب نفسا وقر عينا ثم ان المارد حمله على كاهله وسار به حتى وصل الى قلعة جوهر تكنى وذهبت المبشرون الى الملك شهلان والى السيدة شمسة والى امها يبشرونهم بمجيء جانشاه ولما جاءتهم البشائر بذلك فرحوا فرحا عظيما ثم ان الملك شهلان امر جميع الاعوان ان يلاقوا جانشاه وركب هو وجميع الاعوان والعفاريت والمردة الى ملاقاة جانشاه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك شهلان ركب هو وجميع الاعوان والعفاريت والمردة الى ملاقاة جانشاه فلما اقبل الملك شهلان ابو السيدة شمسة على جانشاه عانقه ثم ان جانشاه قبل يدى الملك شهلان وامر له الملك بخلعة عظيمة من الحرير مختلفة الالوان مطرزة بالذهب مرصعة بالجوهر ثم البسه التاج الذى ما رأى مثله احد من ملوك الانس ثم امر له بفرس عظيمة من خيل ملوك الجان فركبها ثم ركب والاعوان عن يمينه وشماله وسار هو والملك فى موكب عظيم حتى اتوا باب القصر فنزل الملك ونزل

جانشاه فى ذلك القصر فرأه قصرا عظيما حيطانه مبنية بالجواهر واليواقيت ونفيس المعادن واما البلور والزبرجد والزمرد فمرصع فى الارض فصار يتعجب من ذلك ويبكى والملك وام السيدة شمسة يمسحان دموعه ويقولان له قلل من البكاء ولا تحمل همّا واعلم انك قد وصلت الى مرادك ثم انه لما وصل الى وسط المكان لاقته الجوارى الحسان والعبيد والغلمان واجلسوه فى احسن مكان ووقفوا فى خدمته وهو متحير فى حسن ذلك المكان وحيطانه التى بنيت من جميع المعادن ونفيس الجواهر وانصرف الملك شهلان الى محل جلوسه وامر الجوارى والغلمان ان يأتوه بجانشاه ليجلس عنده فاخذوه ودخلوا به عليه فقام الملك اليه واجلسه على تخته بجانبه ثم انهم اتوا بالسماط فاكلوا وشربوا ثم غسلوا ايديهم وبعد ذلك اقبلت عليه ام السيدة شمسة فسلمت عليه ورحبت به وقالت له قد بلغت المقصود بعد التعب ونامت عينك بعد السهر والحمد لله على سلامتك ثم ذهبت من وقتها الى بنتها السيدة شمسة فاتت بها الى جانشاه فلما اقبلت عليه السيدة شمسة سلمت عليه وقبلت يديه واطرقت برأسها خجلا منه ومن امها وابيها واتى اخوتها الذين كانوا معها فى القصر وقبلوا يديه وسلموا عليه ثم ان ام السيدة شمسة قالت له مرحبا بك يا ولدى ولكن بنتى شمسة قد اخطأت فى حقك ولا تؤاخذها بما فعلت معك لاجلنا فلما سمع جانشاه منها ذلك الكلام صاح ووقع مغشيا عليه فتعجب الملك منه ثم انهم رشوا وجهه بماء الورد الممزوج بالمسك والزباد فافاق ونظر الى السيدة شمسة وقال الحمد لله الذى بلغنى مرادى واطفأ نارى حتى لم يبق فى قلبى نار فقالت له السيدة شمسة سلامتك من النار ولكن يا جانشاه اريد ان تحكى لى على ما جرى لك بعد فراقى وكيف اتيت هذا المكان مع ان اكثر الجان لا يعرفون قلعة جوهر تكنى ونحن عاصون على جميع الملوك وما احد عرف طريق هذا المكان ولا سمع به فاخبرها بجميع ما جرى له وكيف اتى واعلمهم بما جرى لابيه مع الملك كفيد واخبرهم بما قاساه فى الطريق وما رأه من الاهوال والعجائب وقال لها كل هذا كان من اجلك يا سيدتى شمسة فقالت له امها قد بلغت المراد والسيدة شمسة جارية نهديها اليك فلما سمع ذلك جانشاه فرح فرحا شديدا فقالت له بعد ذلك ان شاء الله تعالى فى الشهر القابل تنصب الفرح ونعمل العرس ونزوجك بها ثم تذهب بها الى بلادك ونعطيك الف مارد من الاعوان لو اذنت لاقل من فيهم فى ان يقتل الملك كفيد هو وقومه لفعل ذلك فى لحظة وفى كل عام نرسل اليك قوما اذا امرت واحدا منهم باهلاك اعدائك جميعا اهلكهم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان ام السيدة شمسة قالت له وفى كل عام نرسل اليك قوما اذا امرت واحدا منهم باهلاك اعدائك جميعا اهلكهم عن اخرهم ثم ان الملك شهلان جلس فوق التخت وامر ارباب الدولة ان يعملوا فرحا عظيما ويزينوا المدينة سبعة ايام ولياليها فقالوا له سمعا وطاعة ثم ذهبوا فى ذلك الوقت واخذوا فى تجهيز الاهبة للفرح ومكثوا فى التجهيز مدة شهرين وبعد ذلك عملوا عرسا عظيما للسيدة شمسة حتى صار فرحا عظيما لم يكن مثله ثم ادخلوا جانشاه على السيدة شمسة واستمر معها مدة سنتين فى الذ عيش واهناه واكل وشرب ثم بعد ذلك قال للسيدة شمسة ان اباك قد وعدنا بالذهاب الى بلادى وان نقعد هناك سنة وهنا سنة فقالت السيدة شمسة سمعا وطاعة ولما امسى المساء دخلت على ابيها وذكرت له ما قاله جانشاه فقال لها سمعا وطاعة ولكن اصبرا الى اول الشهر حتى نجهز لكما الاعوان فاخبرت جانشاه

بما قاله ابوها وصبر المدة التي عينها وبعد ذلك اذن الملك شهلان الاعوان ان يخرجوا في خدمة السيدة شمسة وجانشاه حتى يوصلوهما الى بلاد جانشاه وقد جهز لهما تختا عظيما من الذهب الاحمر مرصعا بالدر والجوهر وفوقه خيمة من الحرير الاخضر منقوشة بسائر الالوان مرصعة بنفيس الجواهر يحار في حسنها الناظر فطلع جانشاه هو والسيدة شمسة فوق ذلك التخت ثم انتخب من الاعوان اربعة ليحملوا ذلك التخت فحملوه وصار كل واحد منهم في جهة من جهاته وجانشاه والسيدة شمسة فوقه ثم ان السيدة شمسة ودعت امها واباها واخوتها واهلها وقد ركب ابوها وسار مع جانشاه وسارت الاعوان بذلك التخت ولم يزل الملك شهلان سائرا معهم الى وسط النهار ثم حطت الاعوان ذلك التخت ونزلوا وودعوا بعضهم وصار الملك شهلان يوصي جانشاه على السيدة شمسة ويوصي الاعوان عليهما ثم امر الاعوان بان يحملوا التخت فودعت السيدة شمسة اباها وكذلك ودعه جانشاه وسار ورجع ابوها وكان ابوها قد اعطاها ثلاثمائة جارية من السراري الحسان واعطى جانشاه ثلاثمائة مملوك من اولاد الجان ثم انهم ساروا من ذلك الوقت بعد ان طلعوا باجمعهم على ذلك التخت والاعوان الاربعة قد حملته وطارت به بين السماء والارض وصاروا يسيرون في كل يوم مسيرة ثلاثين شهرا ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة مدة عشرة ايام وكان في الاعوان عون يعرف بلاد كابل فلما رآها امرهم ان ينزلوا على المدينة الكبيرة في تلك البلاد وكانت تلك المدينة مدينة الملك طيغموس فنزلوا عليها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الاعوان نزلوا على مدينة الملك طيغموس ومعهم جانشاه والسيدة شمسة وكان الملك طيغموس قد انهزم من الاعداء وهرب في مدينته وصار في حصر عظيم وضيق عليه الملك كفيد وطلب الامان من الملك كفيد فلم يؤمنه فلما علم الملك طيغموس انه لم يبق له حيلة في الخلاص من الملك كفيد اراد ان يخنق روحه حتى يموت ويستريح من ذلك الهم والحزن وقام وودع الوزراء والامراء ودخل بيته ليودع الحريم وصارت اهل مملكته في بكاء ونواح وعزاء وصياح فبينما هو في ذلك الامر اذا بالاعوان قد اقبلوا على القصر الذي في داخل القلعة وامرهم جانشاه ان ينزلوا بالتخت في وسط الديوان ففعلوا ما امرهم به جانشاه ونزلت السيدة شمسة مع جانشاه والجواري والمماليك فرأوا جميع اهل المدينة في حصر وضيق وكرب عظيم فقال جانشاه للسيدة شمسة يا حبيبة قلبي وقرة عيني انظري الى ابي كيف هو في اسوء حال فلما رأت السيدة شمسة اباه واهل مملكته في ذلك الحال امرت الاعوان ان يضربوا العسكر الذين حاصروهم ضربا شديدا ويقتلوهم وقالت للاعوان لا تبقوا منهم احدا ثم ان جانشاه اومأ الى عون من الاعوان شديد البأس اسمه قراطش وامره ان يجئ بالملك كفيد مقيدا ثم ان الاعوان ساروا اليه واخذوا ذلك التخت معهم وما زالوا سائرين حتى حطوا التخت فوق الارض ونصبوا الخيمة على التخت وصبروا الى نصف الليل ثم هجموا على الملك كفيد وعساكره وصاروا يقتلونهم وصار الواحد يأخذ عشرة او ثمانية وهم على ظهر الفيل ويطير بهم الى الجو ثم يلقيهم فيتمزقون في الهواء وكان بعض الاعوان يضرب العساكر بالعمد الحديد ثم ان العون الذي اسمه قراطش ذهب من وقته الى خيمة الملك كفيد فهجم عليه وهو جالس فوق السرير واخذه وطار به الى الجو فزعق من هيبة ذلك العون ولم يزل طائرا به حتى وضعه

على التخت قدام جانشاه فامر الاعوان الاربعة ان يقتلعوا التخت وينصبوه فى الهوا فلم ينتبه الملك كفيد الا وقد رأى نفسه ما بين السما والارض فصار يلطم وجهه ويتعجب من ذلك هذا ما كان من امر الملك كفيد واما ما كان من امر الملك طيغموس فانه لما رأى ابنه كاد يموت من شدة الفرح وصاح صيحة عظيمة ووقع مغمى عليه فرشوا وجهه بماء الورد فلما افاق تعانق هو وابنه وبكيا بكا شديدا ولم يعلم الملك طيغموس بان الاعوان فى قتال الملك كفيد وبعد ذلك قامت السيدة شمسة وغشت حتى وصلت الى الملك طيغموس ابى جانشاه وقبلت يديه وقالت له يا سيدى اصعد الى اعلى القصر وتفرج على قتال اعوان ابى فصعد الملك الى اعلى القصر وجلس هو والسيدة شمسة يتفرجان على حرب الاعوان وذلك انهم صاروا يضربون فى العساكر طولا وعرضا وكان منهم من يأخذ العمود الحديد ويضرب به الفيل فينهرس الفيل والذى على ظهره حتى صارت الفيلة لا تميز من الادميين ومنهم من يجى جماعة وهم هاربون فيصيح فى وجوههم فيسقطون ميتين ومنهم من يقبض على نحو العشرين فارسا ويقتلع بهم الى الجو ويلقيهم الى الارض فيتقطعون قطعا هذا وجانشاه ووالده والسيدة شمسه ينظرون اليهم ويتفرجون على القتال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان طيغموس هو وابنه جانشاه وزوجته السيدة شمسه ارتقوا الى اعلى القصر وصاروا يتفرجون على قتال الاعوان مع عسكر الملك كفيد وصار الملك كفيد ينظر اليهم وهو فوق التخت ويبكى ومازال القتل فى عسكره مدة يومين حتى قطعوا عن اخرهم ثم ان جانشاه امر الاعوان ان يأتوا بالتخت وينزلوا به الى الارض فى وسط قلعة الملك طيغموس فاتوا به وفعلوا ما امرهم به سيدهم الملك جانشاه ثم ان الملك طيغموس امر عونا من الاعوان يقال له شموال ان يأخذ الملك كفيد ويجعله فى السلاسل والاغلال ويسجنه فى البرج الاسود ففعل شموال ما امره به ثم ان الملك طيغموس امر بضرب الكاسات وارسل المبشرين الى ام جانشاه فذهبوا واعلموها بان ابنها اتى وفعل هذه الافعال ففرحت بذلك وركبت واتت فلما رآها جانشاه ضمها الى صدره فوقعت مغشية عليها من شدة الفرح فرشوا وجهها بماء الورد فلما افاقت عانقته وبكت من فرط السرور ولما علمت السيدة شمسة بقدومها قامت تتمشى حتى وصلت اليها وسلمت عليها وعانق بعضهما بعضا ساعة من الزمان ثم جلستا تتحدثان وفتح الملك طيغموس ابواب المدينة وارسل المبشرين الى جميع البلاد فنشروا البشاير فيها ووردت عليه الهدايا والتحف وصار الامرا والعساكر والملوك الذين فى البلدان يأتون ليسلموا عليه ويهنوه بتلك النصرة وبسلامة ابنه ومازالوا على هذا الحال والناس يأتونهم بالهدايا والتحف العظيمة مدة من الزمان ثم ان الملك عمل عرسا عظيما للسيدة شمسة مرة ثانية وامر بزينة المدينة وجلاها على جانشاه بالحلى والحلل الفاخرة ودخل جانشاه عليها واعطاها مائة جارية من السرارى الحسان لخدمتها ثم بعد ذلك بايام توجهت السيدة شمسة الى الملك طيغموس وتشفعت عنده فى الملك كفيد وقالت له اطلقه ليرجع الى بلاده وان حصل منه شر امرت احد الاعوان ان يخطفه ويأتيك به فقال لها سمعا وطاعة ثم ارسل الى شموال ان يحضر اليه بالملك كفيد فاتى به فى السلاسل والاغلال فلما قدم عليه وقبل الارض بين يديه امر الملك ان يحلوه من تلك الاغلال فحلوه منها ثم اركبه على فرس عرجا وقال له ان

الملكة شمسة قد تشفعت فيك فاذهب الى بلادك وان عدت لما كنت عليه فانى ارسل اليك عونا من الاعوان فيأتى بك فسار الملك كفيد الى بلاده وهو فى اسوء حال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك كفيد سار الى بلده وهو فى اسوء حال ثم ان جانشاه قعد هو وابوه والسيدة شمسة فى ارغد عيش واهناه واطيب سرور واوفاه وكل هذا يحكيه الشاب الجالس بين القبرين لبلوقيا ثم قال له وها انا جانشاه الذى رأيت هذا كله يا اخى يا بلوقيا فتعجب بلوقيا من حكايته ثم ان بلوقيا السائح فى حب محمد صلى الله عليه وسلم قال لجانشاه يا اخى وما شان هذين القبرين وما سبب جلوسك بينهما وما سبب بكائك فرد عليه جانشاه وقال له اعلم يا بلوقيا اننا كنا فى ارغد عيش واهناه واطيب سرور واوفاه وكنا نقيم ببلادنا سنة وبقلعة جوهر تكنى سنة ولا نسير الا ونحن جالسون فوق التخت والاعوان تحمله وتطير به بين السماء والارض فقال له بلوقيا يا اخى يا جانشاه ما كان طول المسافة التى بين تلك القلعة وبين بلادكم فرد عليه جانشاه وقال له كنا نقطع فى كل يوم مسافة ثلاثين شهرا وكنا نصل الى القلعة فى عشرة ايام ولم نزل على هذه الحالة مدة من السنين فاتفق اننا سافرنا على عادتنا حتى وصلنا الى هذا المكان فنزلنا فيه بالتخت لنتفرج على هذه الجزيرة فجلسنا على شاطئ النهر واكلنا وشربنا فقالت السيدة شمسة انى اريد ان اغتسل فى هذا النهر ثم نزعت ثيابها ونزع الجوارى ثيابهن ونزلن فى النهر وسبحن فيه ثم انى تمشيت على شاطئ النهر وتركت الجوارى يلعبن فيه مع السيدة فاذا بقرش عظيم من دواب البحر ضربها فى رجلها من دون الجوارى فصرخت ووقعت ميتة من وقتها وساعتها فطلعت الجوارى من النهر هاربات الى الخيمة من ذلك القرش ثم ان بعض الجوارى حملها واتى بها الخيمة وهى ميتة فلما رأيتها ميتة وقعت مغشيا على فرشوا وجهى بالماء فلما افقت بكيت عليها وامرت الاعوان ان يأخذوا التخت ويروحوا به الى اهلها ويعلموهم بما جرى لها فراحوا الى اهلها واعلموهم بما جرى لها فلم يغب اهلها الا قليلا حتى اتوا هذا المكان فغسلوها وكفنوها وفى هذا المكان دفنوها وعملوا عزاءها وطلبوا ان يأخذونى معهم الى بلادهم فقلت لابيها اريد منك ان تحفر لى حفرة بجانب قبرها واجعل تلك الحفرة قبرا لى لعلى اذا مت ادفن فيها بجانبها فامر الملك شهلان عونا من الاعوان بذلك ففعل لى ما اردته ثم راحوا من عندى وخلونى هنا انوح وابكى عليها وهذه قصتى وسبب قعودى بين هذين القبرين ثم انشد هذين البيتين

ما الدار مذ غبتم يا سادتى دار * كلا ولا ذلك الجار الرضى جار
ولا الانيس الذى قد كنت اعهده * فيها انيس ولا الانوار انوار

فلما سمع بلوقيا هذا الكلام من جانشاه تعجب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما سمع هذا الكلام من جانشاه تعجب وقال والله انى كنت اظن انى سحت ودرت طائفا فى الارض والله انى نسيت الذى رأيته بما سمعته من قصتك ثم انه قال لجانشاه اريد من فضلك واحسانك يا اخى انك تدلنى على طريق السلامة فدله على الطريق ثم ودعه وسار وكل هذا الكلام

تحكيه ملكة الحيات لحاسب كريم الدين فقال لها حاسب كريم الدين كيف عرفت هذه الاخبار فقالت له اعلم يا حاسب انى كنت ارسلت الى بلاد مصر حية عظيمة من مدة خمسة وعشرين عاما وارسلت معها كتابا بالسلام على بلوقيا لتوصله اليه فراحت تلك الحية واوصلته الى بنت شموخ وكان لها بنت فى ارض مصر فاخذت ذلك الكتاب وسارت حتى وصلت الى مصر وسألت الناس عن بلوقيا فدلوها عليه فلما اتت ورأته سلمت عليه واعطته ذلك الكتاب فقرأه وفهم معناه ثم قال للحية هل انت اتيت من عند ملكة الحيات قالت نعم فقال لها اريد ان اروح معك الى ملكة الحيات لان لى عندها حاجة فقالت له سمعا وطاعة ثم اخذته وسارت به الى بنتها وسلمت عليها ثم ودعتها وخرجت من عندها وقالت له اغمض عينيك فاغمض عينيه وفتحهما فاذا هو فى الجبل الذى انا فيه فسارت به الى الحية التى اعطتها الكتاب وسلمت عليها وقالت لها هل اوصلت الكتاب الى بلوقيا قالت نعم اوصلته اليه وقد جاء معى وها هو فتقدم بلوقيا وسلم على تلك الحية وسألها عن ملكة الحيات فقالت له انها راحت الى جبل قاف بجنودها وعساكرها وانها حين يأتى الصيف تعود الى هذه الارض وكلما ذهبت الى جبل قاف وضعتنى فى موضعها حتى تأتى فان كان لك حاجة فانا اقضيها لك فقال لها بلوقيا اريد منك ان تجيئى بالنبات الذى كل من دقه وشرب ماءه لا يضعف ولا يشيب ولا يموت فقالت له تلك الحية ما اجيء به حتى تخبرنى بما جرى لك بعد مفارقتها حيث رحت انت وعفان الى مدفن السيد سليمان فاخبرها بلوقيا بقصته من اولها الى آخرها واعلمها بما جرى لجانشاه وحكى لها حكايته ثم قال لها اقضى لى حاجتى حتى اروح الى بلادى فقالت الحية وحق السيد سليمان ما اعرف طريق ذلك العشب ثم انها امرت الحية التى جاءت به وقالت لها اوصليه الى بلاده فقالت لها سمعا وطاعة ثم قالت له اغمض عينيك فاغمض عينيه وفتحهما فرأى نفسه فى الجبل المقطب فسار حتى اتى منزله ثم ان ملكة الحيات لما عادت من جبل قاف توجهت اليها الحية التى اقامتها مقامها وسلمت عليها وقالت لها ان بلوقيا يسلم عليك وحكت لها جميع ما اخبرها به بلوقيا مما رآه فى سياحته ومن اجتماعه بجانشاه ثم قالت ملكة الحيات لحاسب كريم الدين وهذا الذى اخبرنى بهذا الخبر يا حاسب فقال لها حاسب يا ملكة الحيات اخبرينى بما جرى لبلوقيا حيث عاد الى مصر فقالت له اعلم يا حاسب ان بلوقيا لما فارق جانشاه سار ليالى واياما حتى وصل الى بحر عظيم ثم انه دهن قدميه من الماء الذى معه ومشى على وجه الماء حتى وصل الى جزيرة ذات اشجار وانهار واثمار كأنها الجنة ودار فى تلك الجزيرة فرأى شجرة عظيمة ورقها مثل قلوع المراكب فقرب من تلك الشجرة فرأى تحتها سماطا ممدودا وفيه جميع الالوان الفاخرة من الطعام ورأى على تلك الشجرة طيرا عظيما من اللؤلؤ والزمرد الاخضر ورجلاه من الفضة ومنقاره من الياقوت الاحمر وريشه من نفيس المعادن وهو يسبح الله تعالى ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما طلع الجزيرة ووجدها كالجنة تمشى فى جوانبها ورأى ما فيها من العجائب ومن جملتها الطير الذى هو من اللؤلؤ والزمرد الاخضر وريشه من نفيس المعادن على تلك الحالة وهو يسبح الله تعالى ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأى بلوقيا ذلك الطائر العظيم قال له من انت وما شأنك فقال له انا من طيور الجنة واعلم يا اخى ان الله تعالى اخرج آدم من

الجنة واخرج معه اربع ورقات تستر بها فسقطن فى الارض فواحدة منهن اكلها الدود فصار منها الحرير والثانية اكلها الغزلان فصار منها المسك والثالثة اكلها النحل فصار منها العسل والرابعة وقعت فى الهند فصار منها البهار واما انا فانى سحت فى جميع الارض الى ان من الله على بهذا المكان فمكثت فيه وانه فى كل ليلة جمعة ويومها تأتى الاوليا والاقطاب الذين فى الدنيا هذا المكان ويزورونه ويأكلون من هذا الطعام وهو ضيافة الله تعالى لهم يضيفهم بها فى كل ليلة جمعة ويومها ثم بعد ذلك يرتفع السماط الى الجنة ولا ينقص ابدا ولا يتغير فاكل بلوقيا ولما فرغ من الاكل وحمد الله تعالى فاذا الخضر عليه السلام قد اقبل فقام بلوقيا اليه وسلم عليه واراد ان يذهب فقال له الطير اجلس يا بلوقيا فى حضرة الخضر عليه السلام فجلس بلوقيا فقال له الخضر اخبرنى بشأنك واحك لى حكايتك فاخبره بلوقيا بجميع ما جرى له من الاول الى الآخر الى ان اتاه ووصل الى المكان الذى هو جالس فيه بين يدى الخضر ثم قال له يا سيدى ما مقدار الطريق من هنا الى مصر فقال له مسيرة خمسة وتسعين عاما فلما سمع بلوقيا هذا الكلام بكى ثم وقع على يد الخضر وقبلها وقال له انقذنى من هذه الغربة واجرك على الله لانى قد اشرفت على الهلاك وما بقيت لى حيلة فقال له الخضر ادع الله تعالى ان يأذن لى فى ان اوصلك الى مصر قبل ان تهلك فبكى بلوقيا وتضرع الى الله تعالى فتقبل الله دعاءه والهم الخضر عليه السلام ان يوصله الى اهله فقال الخضر عليه السلام لبلوقيا ارفع رأسك فقد تقبل الله دعاءك والهمنى ان اوصلك الى مصر فتعلق بى واقبض على بيديك واغمض عينيك فتعلق بلوقيا بالخضر عليه السلام وقبض عليه بيديه واغمض عينيه وخطا الخضر عليه السلام خطوة ثم قال لبلوقيا افتح عينيك ففتح عينيه فرأى نفسه واقفا على باب منزله ثم انه التفت ليودع الخضر عليه السلام فلم يجد له اثرا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان بلوقيا لما اوصله الخضر عليه السلام الى باب منزله فتح عينيه ليودعه فلم يجده فدخل بيته فلما رأته امه صاحت صيحة عظيمة ووقعت مغشية عليها من شدة الفرح فرشوا وجهها بالماء حتى افاقت فلما افاقت عانقته وبكت بكاء شديدا وصار بلوقيا تارة يبكى وتارة يضحك واتاه اهله وجماعته وجميع اصحابه وصاروا يهنونه بالسلامة وشاعت الاخبار فى البلاد وجاءته الهدايا من جميع الاقطار ودقت الطبول وزمرت الزمور وفرحوا فرحا شديدا ثم بعد ذلك حكى لهم بلوقيا حكايته واخبرهم بجميع ما جرى له وكيف اتى به الخضر واوصله الى باب منزله فتعجبوا من ذلك وبكوا حتى ملوا من البكاء وكل هذا تحكيه ملكة الحيات لحاسب كريم الدين فتعجب حاسب كريم الدين من ذلك وبكى بكاء شديدا ثم قال لملكة الحيات انى اريد الذهاب الى بلادى فقالت له ملكة الحيات انى اخاف يا حاسب اذا وصلت الى بلادك ان تنقض العهد وتحنث فى اليمين الذى حلفته وتدخل الحمام فقال ايمانا اخرى وثيقة انه لن يدخل الحمام طول عمره فامرت حية وقالت لها اخرجى حاسب كريم الدين الى وجه الارض فاخذته الحية وسارت به من مكان الى مكان حتى اخرجته على وجه الارض من سطح جب مهجور ثم مشى حتى وصل الى المدينة وتوجه الى منزله وكان ذلك آخر النهار وقت اصفرار الشمس ثم طرق الباب فخرجت امه وفتحت الباب فرأت ابنها واقفا فلما رأته صاحت من شدة فرحتها والقت نفسها عليه وبكت فلما سمعت زوجته بكاها خرجت اليها فرأت زوجها فسلمت عليه وقبلت يديه وفرح بعضهم ببعض فرحا عظيما ودخلوا البيت

فلما استقر بهم الجلوس وقعد بين اهله سأل عن الحطابين الذين كانوا يحطبون معه وراحوا وخلوه فى الجب فقالت له امه انهم اتونى وقالوا لى ان ابنك اكله الذئب فى الوادى وقد صاروا تجارا واصحاب املاك ودكاكين واتسعت عليهم الدنيا وهم فى كل يوم يجيئوننا بالاكل والشرب وهذا دأبهم الى الان فقال لامه فى غد روحى اليهم وقولى لهم قد جاء حاسب كريم الدين من سفره فتعالوا وقابلوه وسلموا عليه فلما اصبح الصباح راحت امه الى بيوت الحطابين وقالت لهم ما وصاها به ابنها فلما سمع الحطابون ذلك الكلام تغيرت الوانهم وقالوا لها سمعا وطاعة وقد اعطاها كل واحد منهم بدلة من الحرير مطرزة بالذهب وقالوا لها اعطِ ولدك هذه ليلبسها وقولى له انهم فى غد يأتون عندك فقالت لهم سمعا وطاعة ثم رجعت من عندهم الى ابنها واعلمته بذلك واعطته الذى اعطوها اياه هذا ما كان من امر حاسب كريم الدين وامه واما ما كان من امر الحطابين فانهم جمعوا جماعة من التجار واعلموهم بما حصل منهم فى حق حاسب كريم الدين وقالوا لهم كيف نصنع معه الان فقال لهم التجار ينبغى لكل منكم ان يعطيه نصف ماله ومماليكه فاتفق الجميع على هذا الرأى وكل واحد اخذ نصف ماله معه وذهبوا اليه جميعا وسلموا عليه وقبلوا يديه واعطوه ذلك وقالوا له هذا من بعض احسانك وقد صرنا بين يديك فقبله منهم وقال لهم قد راح الذى راح وهذا مقدور من الله تعالى والمقدور يغلب المحذور فقالوا له قم بنا نتفرج فى المدينة وندخل الحمام فقال لهم انا قد صدر منى يمين اننى لا ادخل الحمام طول عمرى فقالوا له قم بنا البيوت حتى نضيفك فقال لهم سمعا وطاعة ثم قام وراح معهم الى بيوتهم وصار كل واحد منهم يضيفه ليلة ولم يزالوا على هذه الحالة مدة سبع ليال وقد صار صاحب اموال واملاك ودكاكين واجتمعت به تجار المدينة واخبرهم بجميع ما جرى له وما رآه وصار من اعيان التجار ومكث على هذا الحال مدة من الزمان فاتفق انه خرج يوما من الايام يتمشى فى المدينة فرآه صاحب حمامى وهو جائز على باب الحمام ووقعت العين فى العين فسلم عليه وعانقه وقال له تفضل على بدخول الحمام وتكيس حتى اعمل لك ضيافة فقال له انه صدر منى يمين اننى لا ادخل الحمام مدة عمرى فحلف الحمامى وقال له نسائى الثلاث طالقات ثلاثا ان لم تدخل معى الحمام وتغتسل فيه فتحير حاسب كريم الدين فى نفسه وقال له اتريد يا اخى انك تيتم اولادى وتخرب بيتى وتجعل الخطيئة فى رقبتى فارتمى الحمامى على رجل حاسب كريم الدين وقبلها وقال له انا فى جيرتك ان تدخل معى الحمام وتكون الخطيئة فى رقبتى انا واجتمع عملة الحمام وكل من فيه على حاسب كريم الدين وتداخلوا عليه ونزعوا عنه ثيابه وادخلوه الحمام فبمجرد ما دخل الحمام وقعد بجانب الحائط وسكب على رأسه من الماء اقبل عليه عشرون رجلا وقالوا له قم يا ايها الرجل من عندنا فانك غريم السلطان وارسلوا واحدا منهم الى وزير السلطان فراح الرجل واعلم الوزير فركب الوزير وركب معه ستون مملوكا وساروا حتى اتوا الحمام واجتمعوا بحاسب كريم الدين وسلم عليه الوزير ورحب به واعطى الحمامى مائة دينار وامر ان يقدموا لحاسب حصانا ليركبه ثم ركب الوزير وحاسب وكذلك جماعة الوزير واخذوه معهم وساروا به حتى وصلوا الى قصر السلطان فنزل الوزير ومن معه ونزل حاسب وجلسوا فى القصر واتوا بالسماط فاكلوا وشربوا ثم غسلوا ايديهم وخلع عليه الوزير خلعتين كل واحدة تساوى خمسة الاف دينار وقال له اعلم ان الله قد من علينا بك ورحمنا بمجيئك فان السلطان كان اشرف على الموت من الجذام الذى به وقد دلت عندنا الكتب على ان حياته على يديك فتعجب حاسب من امرهم ثم تمشى الوزير وحاسب وخواص الدولة من ابواب القصر السبعة الى ان دخلوا على الملك وكان يقال له الملك كرزدان ملك العجم وقد ملك

الاقاليم السبعة وكان فى خدمته مائة سلطان يجلسون على كراسى من الذهب الاحمر وعشرة آلاف بهلوان كل بهلوان تحت يده مائة نائب ومائة جلاد وبايديهم السيوف والاطبار فوجدوا ذلك الملك نائما ووجهه ملفوف فى منديل وهو يئن من شدة الامراض فلما رأى حاسب هذا الترتيب دهش عقله من هيبة الملك كرزدان وقبل الارض بين يديه ودعا له ثم اقبل عليه وزيره الاعظم وكان يقال له الوزير شمهور ورحب به واجلسه على كرسى عظيم عن يمين الملك كرزدان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير شمهور اقبل على حاسب واجلسه على كرسى عن يمين الملك كرزدان واحضروا السماط فاكلوا وشربوا وغسلوا ايديهم ثم بعد ذلك قام الوزير شمهور وقام لاجله كل من فى المجلس هيبة له وتمشى الى نحو حاسب كريم الدين وقال له نحن فى خدمتك وكلما طلبت نعطيك ولو طلبت نصف الملك اعطيناك اياه لان شفاء الملك على يديك ثم اخذه من يده وذهب به الى الملك فكشف حاسب عن وجه الملك ونظر اليه فرآه فى نهاية المرض فتعجب من ذلك ثم ان الوزير نزل على يد حاسب وقبلها وقال له نريد منك ان تداوى هذا الملك والذى تطلبه نعطيك اياه وهذه حاجتنا عندك فقال حاسب نعم انى ابن دانيال نبى الله لكننى ما اعرف شيأ من العلم فانهم وضعونى فى صنعة الطب ثلاثين يوما ولم اتعلم شيأ من تلك الصنعة وكنت اود لو عرفت شيأ من العلم واداوى هذا الملك فقال الوزير لا تطل علينا الكلام فلو جمعنا حكماء المشرق والمغرب ما يداوى الملك الا انت فقال له حاسب كيف اداويه وانا ما اعرف دآءه ولا دوآءه فقال الوزير ان دوآء الملك عندك قال له حاسب لو كنت اعرف دواءه لداويته فقال له الوزير انت تعرف دواءه معرفة جيدة فان دواءه ملكة الحيات وانت تعرف مكانها ورأيتها وكنت عندها فلما سمع حاسب هذا الكلام عرف ان سبب ذلك دخول الحمام وصار يتندم حيث لا ينفعه الندم وقال لهم كيف ملكة الحيات وانا لا اعرفها ولا سمعت طول عمرى بهذا الاسم فقال الوزير لا تنكر معرفتها فان عندى دليلا على انك تعرفها واقمت عندها سنتين فقال حاسب انا لا اعرفها ولا رأيتها ولا سمعت بهذا الخبر الا فى هذا الوقت منكم فاحضر الوزير كتابا وفتحه وصار يحسب ثم قال ان ملكة الحيات تجتمع برجل ويمكث عندها سنتين ويرجع من عندها ويطلع على وجه الارض فاذا دخل الحمام تسود بطنه ثم قال لحاسب انظر الى بطنك فنظر اليها فرآها سوداء فقال لهم حاسب ان بطنى سوداء من يوم ولدتنى امى فقال له الوزير انا كنت وكلت على كل حمام ثلاثة مماليك لاجل ان يتعهدوا كل من يدخل الحمام وينظروا الى بطنه ويعلمونى به فلما دخلت انت الحمام نظروا الى بطنك فوجدوها سوداء فارسلوا الى خبرا بذلك وما صدقنا اننا نجتمع بك فى هذا اليوم وما لنا عندك حاجة الا ان ترينا الموضع الذى طلعت منه وتروح الى حال سبيلك ونحن نقدر على امساك ملكة الحيات وعندنا من يأتينا بها فلما سمع حاسب هذا الكلام ندم على دخول الحمام ندما عظيما حيث لا ينفعه الندم وصار الامراء والوزراء يدخلون على حاسب فى ان يخبرهم بملكة الحيات حتى عجزوا وهو يقول لا رأيت هذا الامر ولا سمعت به فعند ذلك طلب الوزير الجلاد فاتوه به فامره ان ينزع ثياب حاسب عنه ويضربه ضربا شديدا ففعل ذلك حتى عاين الموت من شدة العذاب وبعد ذلك قال له الوزير ان عندنا دليلا على انك تعرف مكان ملكة الحيات فلاى شىء انت تنكره ارنا الموضع

الذى

الذى خرجت منه وابعد عنا وعندنا الذى يمسكها ولا ضرر عليك ثم لاطفه واقامه وامر له بخلعة مزركشة بالذهب والمعادن فامتثل حاسب امر الوزير وقال له انا اريكم الموضع الذى خرجت منه فلما سمع الوزير كلامه فرح فرحا شديدا وركب هو والامراء جميعا وركب حاسب وسار قدام العساكر وما زالوا سائرين حتى وصلوا الى الجبل ثم انه دخل بهم الى المغارة وبكى وتحسر ونزلت الامراء والوزراء وتمشوا وراء حاسب حتى وصلوا الى البئر الذى طلع منه ثم تقدم الوزير وجلس واطلق البخور واقسم وتلا العزائم ونفث وهمهم فانه كان ساحرا ماكرا كاهنا يعرف علم الروحانى وغيره ولما فرغ من عزيمته الاولى قرأ عزيمة ثانية وعزيمة ثالثة وكلما فرغ البخور وضع غيره على النار ثم قال اخرجى يا ملكة الحيات فاذا البئر قد غاض ماؤه وانفتح فيه باب عظيم وخرج منه صراخ عظيم مثل الرعد حتى ظنوا ان ذلك البئر قد انهدم ووقع جميع الحاضرين فى الارض مغشيا عليهم ومات بعضهم وخرج من ذلك البئر حية عظيمة مثل الفيل يطير من عينيها ومن فيها الشرر مثل الجمر وعلى ظهرها طبق من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وفى وسط ذلك الطبق حية تضىء المكان ووجهها كوجه انسان وتتكلم بافصح لسان وهى ملكة الحيات والتفتت يمينا وشمالا فوقع بصرها على حاسب كريم الدين فقالت له اين العهد الذى عاهدتنى به واليمين الذى حلفته لى من انك لا تدخل الحمام ولكن لا تنفع حيلة من قدر والذى على الجبين مكتوب ما منه هروب وقد جعل الله آخر عمرى على يديك وبهذا حكم الله واراد ان اقتل انا والملك كرزدان يشفى من مرضه ثم ان ملكة الحيات بكت بكاء شديدا وبكى حاسب لبكائها ولما رأى الوزير شمهور الملعون ملكة الحيات مد يده اليها ليمسكها فقالت له امنع يدك يا ملعون والا نفخت عليك وصيرتك كوم رماد اسود ثم صاحت على حاسب وقالت له تعال عندى وخذنى بيدك وحطنى فى هذه الصينية التى معكم واحملها على رأسك فان موتى على يدك مقدور من الازل ولا حيلة لك فى دفعه فاخذها حاسب وحطها فى الصينية وحملها على رأسه وعادت البئر كما كانت ثم ساروا وحاسب حامل الصينية التى هى فيها على رأسه فبينما هم فى اثناء الطريق اذ قالت ملكة الحيات لحاسب كريم الدين سرا يا حاسب اسمع ما اقوله لك من النصيحة ولو كنت نقضت العهد وحنثت فى اليمين وفعلت هذه الافعال لان ذلك مقدور من الازل فقال لها سمعا وطاعة ما الذى تأمرينى به يا ملكة الحيات فقالت له اذا وصلت الى بيت الوزير فانه يقول لك اذبح ملكة الحيات وقطعها ثلاث قطع فامتنع من ذلك ولا تفعل وقل له انا ما اعرف الذبح لاجل انه يذبحنى هو بيده ويعمل فىّ ما يريد فاذا ذبحنى وقطعنى يأتيه رسول من عند الملك كرزدان ويطلبه الى الحضور عنده فيضع لحمى فى قدر من النحاس ويضع القدر فوق الكانون قبل الذهاب الى الملك ويقول لك اوقد النار على هذا القدر حتى تطلع رغوة اللحم فاذا طلعت الرغوة فخذها وحطها فى قنينة واصبر عليها حتى تبرد واشربها انت فاذا شربتها لا يبقى فى بدنك وجع فاذا طلعت الرغوة الثانية فحطها عندك فى قنينة ثانية حتى اجى من عند الملك واشربها من اجل مرض فى صلبى ثم انه يعطيك القنينتين ويروح الى الملك فاذا راح اليه اوقد النار على القدر حتى تطلع الرغوة الاولى فخذها وحطها فى قنينة واحفظها عندك واياك ان تشربها فان شربتها لم يحصل لك خير واذا طلعت الرغوة الثانية فحطها فى القنينة الثانية واصبر حتى تبرد واحفظها عندك حتى تشربها فاذا جاء من عند الملك وطلب منك القنينة الثانية فاعطه الاولى وانظر ما يجرى له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ملكة الحيات اوصت حاسب كريم الدين بعدم الشرب من الرغوة الاولى والمحافظة على الرغوة الثانية وقالت له اذا رجع الوزير من عند الملك وطلب منك القنينة الثانية فاعطه الاولى وانظر ما يجرى له ثم بعد ذلك اشرب انت الثانية فاذا شربتها يصير قلبك بيت الحكمة ثم بعد ذلك اطلع اللحم وحطه فى صينية من النحاس واعط الملك اياه لياكله فاذا اكله واستقر فى بطنه استر وجهه بمنديل واصبر عليه الى وقت الظهر حتى تبرد بطنه وبعد ذلك اسقه شيأ من الشراب فانه يعود صحيحا كما كان ويبرا من مرضه بقوة الله تعالى واسمع هذه الوصية التى وصيتك بها وحافظ عليها كل المحافظة وما زالوا سائرين حتى اقبلوا على بيت الوزير فقال الوزير لحاسب ادخل معى البيت فلما دخل الوزير وحاسب وتفرق العساكر وراح كل منهم الى حال سبيله وضع حاسب الصينية التى فيها ملكة الحيات من فوق راسه ثم قال له الوزير اذبح ملكة الحيات فقال له حاسب انا لا اعرف الذبح وعمرى ما ذبحت شيأ فان كان لك غرض فى ذبحها فاذبحها انت بيدك فقام الوزير شمهور واخذ ملكة الحيات من الصينية التى هى فيها وذبحها فلما رأى حاسب ذلك بكى بكاء شديدا فضحك شمهور منه وقال له يا ذاهب العقل كيف تبكى من اجل ذبح حية وبعد ان ذبحها الوزير قطعها ثلاث قطع ووضعها فى قدر من النحاس ووضع القدر على النار وجلس ينتظر نضج لحمها فبينما هو جالس اذ اقبل عليه مملوك من عند الملك وقال له ان الملك يطلبك فى هذه الساعة فقال له الوزير سمعا وطاعة ثم قام واحضر قنينتين لحاسب وقال له اوقد النار على هذا القدر حتى تخرج رغوة اللحم الاولى فاذا خرجت فاكشطها من فوق اللحم وحطها فى احدى هاتين القنينتين واصبر عليها حتى تبرد واشربها انت فاذا شربتها اصح جسمك ولا يبقى فى جسدك وجع ولا مرض واذا طلعت الرغوة الثانية فضعها فى القنينة الاخرى واحفظها عندك حتى ارجع من عند الملك واشربها الان فى صلبى وجعا عسـاه يبرأ اذا شربتها ثم توجه الى الملك بعد ان اكد على حاسب فى تلك الوصية فصار حاسب يوقد النار تحت القدر حتى طلعت الرغوة الاولى فكشطها وحطها فى قنينة من الاثنتين ووضعها عنده ولم يزل يوقد النار تحت القدر حتى طلعت الرغوة الثانية فكشطها وحطها فى القنينة الاخرى وحفظها عنده ولما استوى اللحم انزل القدر من فوق النار وقعد ينتظر الوزير فلما اقبل الوزير من عند الملك قال لحاسب اى شىء فعلت فقال له حاسب قد انقضى الشغل فقال له الوزير ما فعلت فى القنينة الاولى قال له شربت ما فيها فى هذا الوقت فقال له الوزير ارى جسدك لم يتغير منه شىء فقال له حاسب ان جسدى من فرقى الى قدمى احس منه بانه يشتعل مثل النار فكتم الماكر الوزير شمهور الامر عن حاسب خداعا ثم انه قال له هات القنينة الباقية لاشرب ما فيها لعلى اشفى وابرأ من هذا المرض الذى فى صلبى ثم انه شرب ما فى القنينة الاولى وهو يظن انها الثانية فلم يتم شربها حتى سقطت من يده وتورم من ساعته وصح فيه قول صاحب المثل من حفر بئرا لاخيه وقع فيه فلما رأى حاسب ذلك الامر تعجب منه وصار خائفا من شرب القنينة الثانية ثم تفكر وصية الحية وقال فى نفسه لو كان ما فى القنينة الثانية مضرا ما كان الوزير اختارها لنفسه ثم انه قال توكلت على الله تعالى وشرب ما فيها ولما شربه فجر الله تعالى فى قلبه ينابيع الحكمة وفتح له عين العلم وحصل على الفرح والسرور واخذ اللحم الذى كان فى القدر ووضعه فى صينية من نحاس وخرج به من بيت الوزير ورفع

رأسه

رأسه الى السماء فرأى السموات السبع وما فيهن الى سدرة المنتهى ورأى كيفية دوران الفلك وكشف الله له عن جميع ذلك ورأى النجوم السيارة والثوابت وعلم كيفية مسير الكواكب وشاهد هيئة البر والبحر واستنبط من ذلك علم الهندسة وعلم التنجيم وعلم الهيئة وعلم الفلك وعلم الحساب وما يتعلق بذلك كله وعرف ما يترتب على الكسوف والخسوف وغير ذلك ثم نظر الى الارض فعرف ما فيها من المعادن والنبات والاشجار وعلم جميع ما فيها من الخواص والمنافع واستنبط من ذلك علم الطب وعلم السيميا وعلم الكيميا وعرف صنعة الذهب والفضة ولم يزل سائرا بذلك اللحم حتى وصل الى قصر الملك كرزدان ودخل عليه وقبل الارض بين يديه وقال له تسلم رأسك فى وزيرك شمهور فاغتاظ الملك غيظا شديدا بسبب موت وزيره وبكى بكاء شديدا وبكت عليه الوزراء والامراء واكابر الدولة ثم بعد ذلك قال الملك كرزدان ان الوزير شمهور كان عندى فى هذا الوقت وهو فى غاية الصحة ثم ذهب ليأتينى باللحم ان كان طاب طبخه فما سبب موته فى هذه الساعة واى شئ عرض له من العوارض فحكى حاسب للملك جميع ما جرى لوزيره من انه شرب القنينة وتورم وانتفخ بطنه ومات فحزن عليه الملك حزنا شديدا ثم قال لحاسب كيف حالى بعد شمهور فقال حاسب لا تحمل هما يا ملك الزمان فانا اداويك فى ثلاثة ايام ولا اترك فى جسمك شيأ من الامراض فانشرح صدر الملك كرزدان وقال لحاسب انا مرادى ان اعافى من هذا البلاء ولو بعد مدة من السنين فقام حاسب واتى بالقدر وحطه قدام الملك فاخذ قطعة من لحم ملكة الحيات واطعمها للملك كرزدان وغطاه ونشر على وجهه منديلا وقعد عنده وامره بالنوم فنام من وقت الظهر الى وقت المغرب حتى دارت قطعة اللحم فى بطنه ثم بعد ذلك ايقظه وسقاه شيأ من الشراب وامره بالنوم فنام الليل الى وقت الصبح ولما طلع النهار فعل معه مثل ما فعل بالامس حتى اطعمه القطع الثلاث على ثلاثة ايام فتقبب جلد الملك وانقشر جميعه فعند ذلك عرق الملك حتى جرى العرق من رأسه الى قدمه وتعافى وما بقى فى جسده شئ من الامراض وبعد ذلك قال له حاسب لابد من دخول الحمام ثم ادخله الحمام وغسل جسده واخرجه فصار جسمه مثل قضيب الفضة وعاد لما كان عليه من الصحة وردت له العافية احسن ما كانت اولا ثم انه لبس احسن ملبوسه وجلس على التخت واذن لحاسب كريم الدين فى ان يجلس معه فجلس بجانبه ثم امر الملك بمد السماط فاكلا وغسلا ايديهما وبعد ذلك امر ان يأتوا بالمشروب فاتوا بما طلب فشربا ثم بعد ذلك اتى جميع الامراء والوزراء والعسكر واكابر الدولة وعظماء رعيته وهنوه بالعافية والسلامة ودقوا الطبول وزينوا المدينة من اجل سلامة الملك ولما اجتمعوا عنده للتهنئة قال لهم الملك يا معشر الوزراء والامراء وارباب الدولة هذا حاسب كريم الدين الذى داوانى من مرضى اعلموا اننى قد جعلته وزيرا اعظم مكان الوزير شمهور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد الخمسمائة

قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الملك قال لوزرائه واكابر دولته ان الذى داوانى من مرضى هو حاسب كريم الدين وقد جعلته وزيرا اعظم مكان الوزير شمهور فمن احبه فقد احبنى ومن اكرمه فقد اكرمنى ومن اطاعه فقد اطاعنى فقال له الجميع سمعا وطاعة ثم قاموا كلهم وقبلوا يد حاسب كريم الدين وسلموا عليه وهنوه بالوزارة ثم بعد ذلك خلع عليه الملك خلعة سنية منسوجة بالذهب الاحمر مرصعة بالدر

فالجوهر اقل جوهرة فيه يساوى خمسة الاف دينار واعطاه ثلاثمائة مملوك وثلاثمائة سرية تضاهى مثل الاقمار وثلاثمائة جارية من الحبش وخمسمائة بغلة محملة من المال واعطاه من المواشى والغنم والجاموس والبقر ما يكل عنه الوصف وبعد هذا كله امر وزراءه وامراءه وارباب دولته واكابر مملكته ومماليكه وعموم رعيته ان يهادوه ثم ركب حاسب كريم الدين وركبت خلفه الوزراء والامراء وارباب الدولة وجميع العساكر وساروا الى بيته الذى اخلاه له الملك ثم جلس على كرسى وتقدمت اليه الامراء والوزراء وقبلوا يده وهنوه بالوزارة وصاروا كلهم فى خدمته وفرحت امه بذلك فرحا شديدا وهنته بالوزارة وجاءه اهله وهنوه بالسلامة والوزارة وفرحوا به فرحا شديدا ثم بعد ذلك اقبل عليه اصحابه الحطابون وهنوه بالوزارة وبعد ذلك ركب وسار حتى وصل الى قصر الوزير شمهور وختم على بيته ووضع يده على ما فيه وضبطه ثم نقله الى بيته وبعد ان كان لا يعرف شيأ من العلوم ولا قراءة الخط صار عالما بجميع العلوم بقدرة الله تعالى وانتشر علمه وشاعت حكمته فى جميع البلاد واشتهر بالتبحر فى علم الطب والهيئة والهندسة والتنجيم والكيميا والسيميا والروحانى وغير ذلك من العلوم ثم انه قال لامه يوما من الايام يا والدتى ان ابى دانيال كان عالما فاضلا فاخبرينى بما خلفه من الكتب وغيرها فلما سمعت امه كلامه اتته بالصندوق الذى كان ابوه قد وضع فيه الورقات الخمس الباقية من الكتب التى غرقت فى البحر وقالت له ما خلف ابوك شيأ من الكتب الا الورقات الخمس التى فى هذا الصندوق ففتح الصندوق واخذ منه الورقات الخمس وقرأها وقال لها يا امى ان هذه الاوراق من جملة كتاب واين بقيته فقالت له ان اباك كان قد سافر بجميع كتبه فى البحر فانكسرت به المركب وغرقت كتبه وانجاه الله تعالى من الغرق ولم يبق من كتبه الا هذه الورقات الخمس ولما جاء ابوك من السفر كنت حاملا بك فقال لى ربما تلدين ذكرا فخذى هذه الاوراق واحفظيها عندك فاذا كبر الغلام وسأل عن تركتى فاعطيه اياها وقولى له ان اباك لم يخلف غيرها وهذه اياها ثم ان حاسب كريم الدين تعلم جميع العلوم ثم بعد ذلك قعد فى اكل وشرب واطيب معيشة وارغد عيش الى ان اتاه هادم اللذات ومفرق الجماعات وهذا آخر ما انتهى الينا من حديث حاسب بن دانيال رحمه الله تعالى

والله اعلم

٢

قد تم بعون الله تعالى طبع هذا الجزء الاول ويليه الجزء الثانى وبالله التوفيق

ALIF LAILA WA LAILA

THE

BOOK OF A THOUSAND AND ONE NIGHT REPRINTED ON AN ORIGINAL COPY OF THE BULAQ EDITION

OF 1252 A.H.